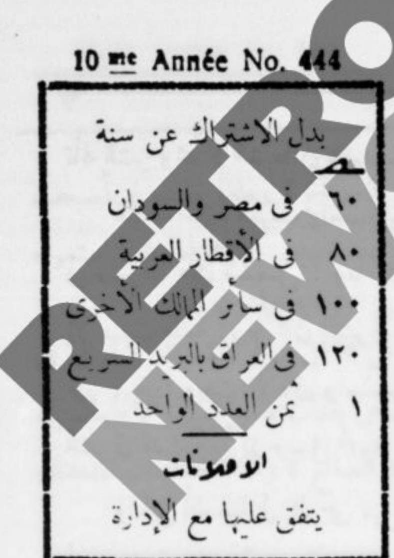


10 me Année No. 444

Lundi - 5 - 1 - 1942



بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

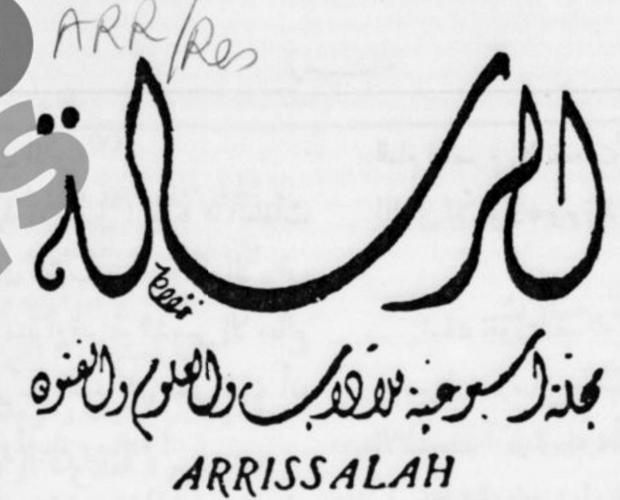
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٤٤ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٨ ذو الحجة سنة ١٣٦٠ — الموافق ٥ يناير سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـــــــرس

الرسالة

فى عامها العـاشر

باسم الله تخطو الرسالة إلى عامها العاشر ؛ وبغير اسم الله نورِ السموات والأرض لا يهتدى فى هذا الظلام الحالك سارٍ ولا سائر . والظلام فى هذا الكوكب طبيعة أصيلة ؛ فأناره الله بالشمس والقمر والدين ؛ وأنرناه نحن بالزيت والكهرباء والعلم ، حتى أوشك أن ينجاب الحلَك الفاشى عن آفاقه وأخلاقه ؛ ولكن سلائل الطين لا تستضىء بصائرهم وسرائرهم بغير الدين ؛ فإذا أطفأوه فى قلوبهم تنفسوا الظلام فإذا الدنيا ضلال وجهل ! وإذا العالم دمار وهُلْك ! وتلك هى الحال التى يكابدها الناس اليوم : ظلام فى بلاد الأرض ، وظلام فى نفوس الناس ، وظلام فى وجوه المستقبل ! فمن يخرج يده لا يكدْ يراها ، ومن يتعلق بسبب من أمله انقطع به ! ومن ينظر فى صفحة الغد عَمِّيت عليه ! ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور !

* * *

الظلام ! الظلام ! الظلام ! ذلك هتاف الأمان ودعاء السلامة فى كل أمة من أمم الشرق والغرب اليوم ! فليت شعرى هل

تأله الشر وتحكم الشيطان وصدقت المانوية(١) ؟

غشينا ظلام الغرب ولفَّنا ليله الأليَل ؛ فكأنما انطفأت في مشرقنا عين الشمس ! وما كان الغرب منذ دحا الله الأرض إلا مبعث ظلمة ؛ وما كان المشرق منذ أوقد الله الشمس إلا مطلع نور . فإذا دجت الآفاق واستسرَّت المعالم كان معنى ذلك أن الشرق قد انكفأ فلم يرسل شمسه ولم يبلغ رسالته !

والحق أن منازل الوحي من الطور والجليل وحراء قد أصبحت ترسل أمواج النور الإلهية لغير قابل . كان لها من نفوس الأنبياء أجهزة من صنع الله تقبلها وتنشرها وتهدى بها وتدعو إليها ؛ فلما خُتمت النبوة وانقطع الوحي ورث الخلفاء والعلماء رسالة الله فكانوا كورّاث الملك أو المال ، منهم القاعد المضيع ، ومنهم المجاهد الكاسب . ولو شاء ربك أن يدرك النصرَ أولياؤه ، ويطبِّق الأرض دينُه ، لجعل الناس أمة واحدة ؛ ولكن لا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم !

لا تزال منازل الوحي ترسل الأمواج السماوية بالهدى ودين الحق ؛ ولكن الله الذي يضل من يشاء ويهدى من يشاء حرم الناس نعمة القبول فاستأسدت فيهم الغرائز ، وأسرفت عليهم المطامع ، وتفرقت بهم المذاهب ، وذاقوا من فساد النظام وطغيان الحكام ما لم يذقه الحيوان الأدنى من القتل والجوع والجور والبؤس والفوضى

وكان الظن بالأزهر الذي قام للدين ، وعاش بالدين ، أن يكون لأمواج الوحي الخالد محطة استقبال وإذاعة ؛ ولكنه انقطع عن ركب الحياة تخضع لعوادي الدهر القاهر ، خضوع القلعة المحصورة للمغير القادر !

على أن هذه الحرب العالمية هي كما قلنا القيامة الصغرى ؛ ومن الحتم أن سيكون بعد القيامة الخَلق الجديد والحياة الفضلى . والواقع في الظن أن الأزهر يمهد لهذا الانبعاث ، ويهيئ لهذه الحياة . وما هذه الروح التي دبت في (جماعة كبار العلماء) آخر العام المنصرم إلا نفحاتُ الربيع الأولى يرسلها النيروز لتجرى الماء في الأعواد ، وتوقظ الحياة في البراعم

* * *

لعلك تقول لنفسك : ما بال الرسالة لا تنفك تذكر الأزهر في معرض الإصلاح والنهضة ، وما الأزهر في رأى أكثر الناس إلا متحف آثار ومقبرة أفكار وطلل مذاهب ؟

وقولى فيما تقول أن الشرق لا ينهض إلا بالدين ، وأن الدين لا ينهض إلا بالأزهر . ولست أقصد بالدين هذا الدينَ الذي يعتقده المسلم المعاصر ، ولا بالأزهر هذا الأزهرَ الذي تراه في نظامه الحاضر ؛ إنما الدين الذي أعنيه هو دين القرن الأول ، والأزهر الذي أبغيه هو أزهر القرن الرابع عشر . أريد الدين النقي القوى الذي فتح الممالك ، ومدّن الأمم ، وكرّم الإنسان ، واحترم العقل ، وفرض المعرفة ؛ أما هذا الدين الذي يقول بعبادة الأولياء ، وتمجيد القبور ، وتقديس القديم ، وإيثار التواكل ، ومخادعة الله بالحيل ، ومهاواة القادة بالنفاق ، فليس دين الله ؛ إنما هو دين هؤلاء الأوزاع الأتباع الذين ضلّوا وذلّوا فرقتهم الأحداث ، وأكلتهم المطامع ، وأصبحوا نهباً تتقاتل عليه الدول ويعتدل بتقسيمه التوازن

وأريد الأزهر الجديد الذي يضع لثقافة الشعب أساساً من الدين ، يقوى بقوة الله ، ويثبت بثبوت الحق ، ويدوم بدوام الدنيا ؛ ثم يقيم عليه من القواعد والنظم والأوضاع ما يقره العقل ويؤيده العلم ، ويتقبله العصر ، وتقتضيه الحاجة ؛ أما هذا الأزهر الذي يَمضُغ الكلام ، ويجترُّ الماضي ، ويقتات الفُتات ، ويعطل الاجتهاد ، ويعطل العقل ، فهو مسجد من المساجد الأثرية لا أقل ولا أكثر

* * *

أما بعد ، فقد عوّدتك يا قارئى العزيز أن أتحدث إليك في مطلع كل عام عن بلاء الرسالة في الجهاد وعملها في المستقبل ؛ وإنك لتعلم أن هذا الظلام الشامل الكثيف الذي ضرب على أبواب الغد حجباً فوق حجب ، يجعل مثل هذا الحديث أقرب إلى لغو الكلام وعبث الأماني . فأسأل الله أن يتولانا في هذه الأزمة العامة برحمته وفضله !

احمد حسن الزيات

---

(١) المانوية مذهب مانى ، وهو رجل ولد في فارس حوالى سنة ٢٧٤ م ، وكان يقول بأن العالم تتولاه قوتان متضادتان : قوة من طبيعتها الخير وهى الله أو الروح أو النور ، وقوة من طبيعتها الشر ، وهي الشيطان أو المادة أو الظلام ، وقال المتنبي :

وكم لظلام الليل عندى من يد تخبر أن المانوية تكذب

أحلام العام الجديد

للدكتور زكى مبارك

للتفت أخونا الأستاذ الزيات فرأى العام الجديد لا يخيفه إلا من ناحية « استحكام أزمة الورق ومواد الطباعة وارتفاع أثمانها إلى عشرة أضعاف » ، فتوكل على الله وقرر أن « الرسالة ستستمر على نظام العام السابق من التخفيض والتقسيط والإهداء مع المشتركين القدماء ؛ أما المشتركون الجدُد فيؤدون الاشتراك كاملاً ، مقسّطاً أو غير مقسّط » . وبهذا ظهر « امتياز » الصديق القديم على الصديق الجديد !

والتفتُ فرأيت العام الجديد يخيفنى من ناحية غير تلك الناحية ، فأنا لا أشكو غلاء الورق ولا ارتفاع موادّ الطباعة ، بعد أن أرجأت النظر فى طبع مؤلفاتى الجديدة إلى أن تنتهى الحرب ؛ وإنما أشكو غلاء العواطف وارتفاع أثمان الصدق إلى ألف ضعف لا عشرة أضعاف

وما ظنُّكم بزمان لا يبرح شعراؤه فى غير الحديث عن « الرغيف » ، كالذى ترون من يوم إلى يوم فى بعض الجرائد والمجلات ؟

ما ظنُّكم بزمان يعدّ فيه الحديث عن أحلام القلوب ضرباً من الفُضول ؟

إن هذه المحنة العاتية هى الفرصة لاختبار ما عند أدبائنا من عناصر الثروة المعنوية ، فبها نعرف ما عندهم من أرزاق الروح والذوق والوجدان

أيكون الكلام عن « الرغيف » تودداً إلى أهل البطون ، وهم ألوف أو ملايين ؟

إن كان ذلك فأين الأريستوقراطية الأدبية وهى تسمو على الحاجيات اليومية ؟

أيكون الكلام عن الرغيف فرصة من فرص القول يهتبلها من لا يصل إلى بعض الجرائد والمجلات إلا بعناء ؟

إن كان ذلك فأين تصوّن الأديب عن الكلام المبذول ؟

سمعت — بل علمت — أن مدرساً فى « قنا » أرسل إلى جلالة الملك برقية يشكو فيها انعدام الرغيف ، فاذا وقع من الخطر حتى يجوز مثل هذا الصراخ ؟ وماذا نصنع لو أصبحت بلادنا وهى ميدان حرب ، وقد تصير كذلك إذا طال استمراء المتحاربين لما اندفعوا إليه من استطابة الجنون ؟

وإذا استجاز « المدرس » أن ينظم القصائد الطوال فى الشوق إلى الرغيف وهو مدرس يقتات بالعواطف والأحاسيس ، فماذا يصنع « الفلاح » أو « الصانع » وهما شخصيتان تعتمدان فى القوت على الرغيف ؟

لعل الأيام أرادت أن تعلمنى ما كنت أجهل ، فقد طال منى التجنى على الصوفية (وكانوا يدعون إلى التحرر من ربقة الرغيف) فهل كان للرغيف مثل هذه الآفة فى العصور الخوالى ؟

ولعل الأيام أرادت أن تقنعنى بأنى صرت من الحكماء من حيث لا أعرف ، فقد هجرت الخبز منذ أعوام طوال ، واكتفيت بما تيسر من الخضروات ، بغض النظر عن اللحم الذى [illegible] باسم النقد الأدبى ، وهو لحم غاب اسمه عن « دولة الحاكم العسكرى » فلم يفرض على من يتناشه أى عقاب !!!

ما تهمنى أزمة الرغيف ، وإنما تهمنى أزمة القلب

ولو كان فى وزراء مصر لهذا العهد من عانى أزمات القلوب لعرف كيف يحارب أزمة الرغيف ، لأن القلب هو الأساس فى فهم أخطار الوجود

الظبية تجتزئ بالعشب فتستغنى عن الماء ، ومن أجل هذا سُمّيت جازية ، و « جازية » اسم من أسماء الملاح فى هذه البلاد وإن لم يعرف الجمهور ما فيه من معنًى ملفوف

فإذا فقدت الظبية العشب ، فكيف تعيش وبه غنيتْ عن الماء ؟

لن أنسى أبداً سخرية « فاجيه » من « أفلاطون » ، وفاجيه كان أكبر من اهتممت بآثاره الأدبية والفلسفية من بين أقطاب الأدب الفرنسى ، ومن سيرته تعلمت أشياء هى الهادى والدليل فى حياتى الأدبية ، فأنا أسجل كل ما يعتلج فى صدرى قبل أن يضيع ، ثم أقدمه للجرائد والمجلات حين أشاء ، بلا تقيد بالمكان والزمان !

وفى هذه المرة أكون أعظم من أستاذى فاجيه ، فقد سخر من تسامى الفلاسفة إلى ولاية الحكم وهو ينقد أفلاطون . أما أنا فأرى أن الفلاسفة هم أقدر الناس على إقامة الموازين بالقسطاس

نحن ، رجال القلم ، أعرف خلق الله بما يشتجر فى الصدور من آلام وآمال

كانت الحكومة إلى رجال يعيشون فى حصون تقفل أبوابها بالنهار وبالليل : فلا يعرفون ما يعانى الشعب من ظلمات الحوادث والخطوب ...

ولم نكن كأولئك ، فنحن قوم نعيش للشعب وفى صحبة الشعب ، ولنا فيه أعمام وأخوال ، ولن نتجنى عليه بأى حال

ونحن مع هذا ممرّضون لدسائس سود ، ومن الواجب أن نبدّد تلك الدسائس ، بلا تسويف ، تمهيداً للوزارة التى سنؤلفها فى العام الجديد .

قيل إن الزيات متأنق فى الأسلوب ، فهو يزاوج بين لفظ ولفظ بغير عناء ؛ وأقول إن هذه النزعة تنفع فى المزاوجة بين الطبقات والأحزاب ، حين يمسى الزيات وهو رئيس الوزراء

وقيل إن العقاد مولع بوصل ما بين الشرق والغرب فى الآفاق الفكرية ، وأقول إنه أصلح الأدباء لتولى وزارة الخارجية .

وقيل إن أحمد أمين لا يجيد الكلام فى غير البحث المطروق ، وأقول إنه أصلح الناس لوزارة المواصلات ، فلن نجدد فيها إلا بعد انتهاء الحرب .

وقيل إن المازنى أول أديب حجّ بيت الله فى غير موسم الحج ، فهو إذن أصلح الأدباء لأن يكون سفير مصر فى الحجاز ، وإن قال فى سلاّ « زكى باشا » ما قال .

وقيل إن توفيق الحكيم يقدس « السيدة زينب » فهو إذن وزير الأوقاف .

وقيل إن طه حسين لم يُجد فى « هامش السيرة » غير الحديث عن « الراهب » فهو إذن وزيرنا فى بلد النجاشى .

وقيل إن محمود تيمور لا يحسن القول إلا فى وصف الطبقات الشعبية ، فهو إذن وزير الشؤون الاجتماعية .

ولا موجب للحديث عن الأدباء الفَدَرَة من أمثال : عبد القوى أحمد ومحمد هيكل ومصطفى عبد الرازق ؛ فقد تولوا الوزارة قبل أن يستأذنوا إخوانهم من رجال القلم البليغ !

بقى مكانى فى الوزارة المنشودة ، فما عسى أن يكون ؟

هل أختار وزارة المعارف ؟

وكيف وهى وزارة متعبة ، وما تولاها رجل إلا عرف خطر المشى على الشوك ؟

صار من تقاليد وزارة المعارف أن يهدم الخلَف ما بنى السلف ، وأنا أكره التقلبات الكثيرة ، وأبغض الضجيج المفتعَل ، والصياح المصنوع .

يضاف إلى ذلك أنى نشرت مقالات تفوق العدّ والإحصاء فى شؤون التربية والتعليم ، ومن الجائز أن يطالبنى الجمهور بتحقيق ما اقترحت فى تلك المقالات ، وهنالك الخطر كل الخطر ، إلا أن أروض نفسى منذ اليوم على التنصل من تلك المقترحات !

هل أختار وزارة الداخلية ؟

هذا هو المركز اللائق برجل يغضب للشعب ، ويثور على الاحتكار والمحتكرين .

إن توليت وزارة الداخلية ـ وهذا أمرٌ قريب ـ فسأفرض على رجال الحكومة فى مختلف الأقاليم أن يعرفوا جميع البيوت وجميع الناس ، ليدلوا الدولة على المستور من الثروات والنيات ، وسأجعل من سلطة الشرطة جيشاً يمزق الشراذم الباغية على الأمن والنظام ، وهل يهدّد الأمن والنظام بمثل الإصرار البغيض على احتكار الأقوات ؟

لن أنتظر حتى ينتفع الناس بوعظ الواعظين ، وإرشاد المرشدين ، فقد ظهر أن فى الدنيا قلوباً لا يقوّمها وعظٌ ولا إرشاد .

لن أنتظر غير حكم العدل ، والعدل يوجب أن يعرف وزير الداخلية حقيقة الثروة المدفونة فى زوايا البيوت ، بيوت الأغنياء والفقراء ، فأنا أخشى أن تكون هذه الأيام قضت بأن يكون فى الفقر تزوير وافتعال « ولم يكن المصريون كذلك فى الأيام الخالية ، فقد كانوا يسترون الفقر عن الأقربين قبل الأبعدين »

إن توليت وزارة الداخلية ـ ويجب أن أتولاها ـ فسأحرم العمد نعمة الثرثرة فوق المصاطب ، وسأحولهم إلى جنود نافعين ، فأولئك أقوام يعلمون من أمور بلادهم كل شىء ، ولكنهم يكتمون ما يعلمون ، فإن طووا عنى ما يجب أن أعرف فسأقضى فيهم بالعدل ، وهم يفهمون جيداً خطر العدل .

أليس من العار أن يصبح التموين مشكلة من المشكلات فى مثل هذه البلاد ؟

وكيف تكون الحال لو شاءت المقادير أن نطالب بتموين مئات الألوف من الجنود يوم يدعو الداعى إلى الجهاد ؟

اللعب فى أمثال هذه الأيام لا يليق ، ومن اللعب القبيح أن يكنز ناس ما يملكون من أصول الأقوات لينتفعوا بالربح الحرام على حساب الشعب المهدد بالجوع .

وأنا مع هذا أعرف ما تصير إليه حمتى يوم أتولى وزارة

الداخلية ، فسيقول السفهاء من الناس إني خليفة الحجاج ، وسيتخذون من شراستي دليلاً على أن المواهب الأدبية تنطوي على جحيم من الطغيان المكبوت .

وما خوفي من القال والقيل وأنا في غنًى عن رضا الناس ، ولن أتقدم يوماً لخوض معركة انتخابية ؟

إن رجال الأقلام هم أصلح الرجال لسياسة الدولة في السنين العِجاف . وهل يشقى أحدٌ في سبيل الأمة كما نشقى ؟ وهل يعرف أحدٌ من متاعب الأمة بعض ما نعرف ؟

الوزراء في الأمم الدستورية لا يقدرون على الحزم إلا في أندر الأحيان، لأنهم مقيدون بعواطف الناخبين ، وفي الناخبين خلائق لا تمطلي أصواتها إلا لغاية مطوية ، هي السكوت عن آثامها الثقال

ولن أكون وزيراً برلمانيًا يحسب لعواطف الناخبين ألف حساب قبل أن يُقدِم على إعزاز شريعة العدل

سأكون بإذن الله وزيراً يُختار لغرض واضح صريح : هو القضاء على البغي والفساد ، وزجر من يحرمون الشعب من الأقوات

وقد فكرت في مصير البرلمان الحاضر ، وهو برلمان طال حوله الخلاف ، ثم صح الرأي على السكوت عن هذه المعضلة الدستورية إلى حين ، فما يتسع وقتي للنظر في شئون تضر أكثر مما تنفع . وهل تحتاج الأمة إلى برلمان إلا حين يعوزها الحاكم الرشيد ؟ — « إنما أسأل أمام ضميري لا أمام البرلمان »

سأفاضل بين الأحزاب على أساس غير الأساس المعروف ، فلن تكون هنالك أغلبية وأقلية ، وإنما يكون التفاضل بقدرة هذا الحزب أو ذاك على توفير أسباب الرخاء

لن يقول النحاس باشا : « أنا أول من أنذر بأزمة التموين » فسأسوقه سوقاً إلى الطواف بالبلاد لدعوة أنصاره إلى الإفراج عن القوت المحبوس

ولن يقول الدكتور ماهر باشا : « أنا أول من تأهب للحرب » ؛ فسأجره جراً إلى ميدان جديد هو حرب الغلاء !

سأغيّر من أخلاق الناس ، إن دُعيت إلى ولاية الحكم في هذه الأيام ، وليس ذلك بالأمر البعيد ، فقد جُرِّبتْ جميع القُوى السياسية ، ولم يبق إلا تجربة القوة الأدبية ، وهي أقوى من الزمان

أما بعد فهذا حلمٌ من أحلام العام الجديد ، ولكل عام أحلام هو لفتة روحية ستؤتي ثمارها بعد حين ، فمن الشر الموبق أن يحال بين رجال القلم وما يشتهون من إقرار العدل ، وما كانوا في الحاضر والماضي إلا موازين

دعونا كم ألف مرة إلى الاعتراف بالسلطة الأدبية فلم تسمعوا ؟ ونهونا كم ألف مرة عن تنامي السلطة الأدبية فلم تنتهوا .

فهل جازيناكم صداً بصد ، وإغضاء بإغضاء ؟

لا ، والله ، وإنما مضينا على السجية الكريمة ، فأوقدنا في صدر الأمة جذوة الشوق إلى التماسك والتساند والتآخي ، فما كان في الأمة من خير فهو من صُنع أقلامنا ، وما كان في الأمة من شر فهو من جناية الراغبين في السيطرة والاستعلاء

لن تصلُح الأمور إلا يوم تصبح المقاليد بأيدي رجال القلم البليغ

ومن قال بغير ذلك فهو بقية من بقايا الطغيان المهزوم

أتريدون الدليل ؟

نحن نبخل بالحكم لقطعة شعرية أو نثرية حين نراها بعيدة عن الجهد المستطاب ، مع أن الحكم لقطعة شعرية أو نثرية لا يقدم ولا يؤخر في سياسة البلاد

وأنتم تُضفون الألقاب السنية على من تحبون بغير حساب ، وقد تُسندون بعض المناصب إلى من لا تُزكيه غير رضاكم عن أسلوبه في حفلات الاستقبال

الأدباء هم أقدر الرجال في مصر على عصيان الأهواء

ألا ترون كيف نحارب منافعنا في سبيل النزاهة الأدبية ؟

نحن نصاول الأحزاب والهيئات في كل يوم لنرفع قدر الفكر والرأي ، ونرحب بجميع المتاعب في سبيل تلك الغاية العالية ، فأين من يصنع بعض الذي نصنع ؟ وأين الذي يعاني في سبيل المبادئ السامية بعض ما نعاني ؟

لو سخرنا أقلامنا في سبيل الغايات الوقتية لسددنا الطريق في وجوه الكثير من طلاب النفع الموقوت ، وهم أعمدة المجتمع فيما يتوهمون

إلى أقلامنا يرجع الرأي في سياسة هذه البلاد ، وإن بعُدنا صورياً عن المناصب الوزارية والبرلمانية ... لكل وطن روح ، وروح هذا الوطن هو رسالة القلم البليغ

زكي مبارك

ظاهرات نفسية

٢ـ في مسرحيات محمود تيمور

للأستاذ زكي طليمات
مفتش شئون التمثيل

سبق أن قررت في مقالي السابق [1] عن مسرحيات تيمور أن القيمة الأدبية الحقة للعمل الأدبي، مسرحية كان أو قصة، رهينة بما يسجله من الحقائق الإنسانية الخالدة التي تسمو على مشكلات الاجتماع، ومسائل الإصلاح الموقوت، وأزياء الأساليب البيانية، وتتجاوزها إلى ما هو أعرق في الإصالة وأجدر بالمعالجة، ألا وهو النفس البشرية بكامل كيانها، فيكون همّ الكاتب قبل كل شيء، تسجيل سماتها والكشف عن مظاهرها ومضمراتها. ومن أجل هذا جملت نقدي للمسرحية الأولى من مسرحيات تيمور، ألا وهي (الصعلوك)، معنى بهذه الناحية وتجاوزت قصداً عما سواها؛ وسيكون هذا دأبي في نقد المسرحيتين الأخريين، وهما (أبو شوشة) و (الموكب) وعلى أساس أن كياننا النفسي الكامل يتألف من العقل الظاهر (الوعي) ومن العقل الباطن (اللاوعي)، وإننا في تصرفاتنا خاضعون إلى التيارات الخفية التي تنطلق من معقل الوعي الباطن فتدفعنا إلى إتيان بادرات، لا يستطيع عقلنا الظاهر تفسيرها [2]

النقد تنبيه وتبيين وتسجيل

إن مهمة الناقد وقد أخذ بها أسلافناه شاقة عسيرة، ولكنها مجدية للقارئ قبل كل شيء، إذ أنها تقدم له في بيان واضح وسرد مستفيض غير مقيد بأوضاع وقيم فنية مرسومة، تقدم إليه سمات هذه الشخصيات التي نلحظها في تعقيدها النفسي مضطربة مقنعة، بعد أن يكون الناقد قد استخرجها من بين السطور، وقيد أوابدها، وتصيد شواردها، وحلل نزعاتها، وأسقط أقنعتها

ورب معترض يقول: وما هذا اللون من الأدب أو المسرحية الذي يحتاج إلى تفسير وتعليق وتذييل يجلو الغموض ويبدد الأبهام؟ ولم كل هذا التعليق من جانب الناقد؟!

وجوابنا: أن لا غموض ولا إبهام تلحظه العين في عمل أدبي حق، لو أن كل قارئ كان سامياً في ثقافته إلى المستوى الذهني الذي أصدر عنه الكاتب أو الشاعر عمله الأدبي الرفيع، وصدق القائل:

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

وإن النقد كما أنه تنبيه منزه عن السقوط إلى ما يتضمنه العمل الأدبي من مفاتن ومقابح، فهو تفسير وإيضاح لما يسجله المؤلف مجملاً أو مركزاً، وقد تقيد بقيود الوضع الشكلي الذي تفرضه صياغة القصيد أو القصة أو المسرحية، وأخذ بأسباب شرائط فنية قد توجب الإغراب قصداً، وقد تحتم التلويح بدلاً من التصريح في مواقف، والعكس بالعكس في مواقف أخرى، وقد تقضي بالإيجاز الذي يضني القارئ في ناحية، لتنهكه مرة أخرى في تنقل وثبي جرئ، تدفعه من فكرة إلى فكرة، ومن خيال إلى خيال، من غير تمهيد يستطيع كل قارئ معه أن يجد الرابطة بين كل هذا

وهناك شيء آخر جدير بالاعتبار يتصل بالمؤلف نفسه مباشرة، وذلك أن النقد إذا صح أنه إيضاح وتبيين فوق تبيين، ييسر لكل قارئ استبطان دخائل العمل الأدبي الذي يقرؤه، ويبصره بمواطن الفتنة والسمو والقبح والإسفاف فيه، فهو أيضاً تسجيل وتحليل لطرائق المؤلف واتجاهاته في الأسلوب والصياغة والفكر؛ وهو أيضاً تقدير لمبلغ توفيقه في كل هذا، لأن المؤلف الموهوب قد يصدر كثيراً فيما يكتب عن وحي الساعة وقد لبسته حال من اللاوعي، فهو لا يخضع كل سانحاته وطوارقه الذهنية إلى مقاييس الفن ومعايير البيان. إنه يرتجل أحياناً وهو يدري ولا يدري بعد أن تهيأت نفسه للخلق والابداع، وفي تسجيل هذا من جانب الناقد تبصير جديد للقارئ وإقرار صحيح لمنازل الكتاب من حيث القيم الأدبية الفنية

وفيما نحن بصدده في مسرحيات تيمور ـ وقد نحا في التأليف والتحليل النفسي نحواً يقضي بتسجيل النتائج والأعمال التي يأتيها أبطال مسرحياته من غير أن يعنى بتبيين البواعث والدوافع، وذلك باعتبار أنها أعمال تبدر من العقل الباطن ولا يستطيع العقل الظاهر تعليلها وتفسيرها ـ لا مناص من أن تكون مهمتنا الأولى إيضاح هذه البواعث التي أدت إلى النتائج، ولا يخفى أن

(١) عدد «الرسالة» رقم ٤٤٠ المؤرخ في ٨ ديسمبر

(٢) عدد «الرسالة» رقم ٤٣٩ المؤرخ في أول ديسمبر

أعمال الناس تفسر بالبواعث والدوافع قبل أن تفسر بالنتائج والغايات .

والآن فلنتقدم إلى مسرحية (أبي شوشة)

أبو شوشة

اسم لعجل مدلل ، يرعاه (مؤنس بك) في ضيعته (كفر البلابل) ، ومن العجيب أن يكون عنواناً لمسرحية اسم عجل يخور ولا يفد لسانه بحوار في المسرحية ولا ترى له وجهاً على المسرح، ولكن من يدقق قراءة هذه المسرحية لا يلبث أن يصل إلى ما توخاه المؤلف من هذا العنوان ، بعد أن يتضح له أن (أبا شوشة) ليس إلا رمزاً للحاضر الجاثم بكيانه القادر بظروفه وشواغله . (والحاضر) في هذه المسرحية عنصر هام وخطير

ترك مؤنس بك ماضيه في القاهرة منذ ست سنوات وهاجر إلى الريف وتزوج من حرائر أعيانه . له من زوجته رفيق مؤنس ، وله من توفره على الزراعة ومنتجاتها شغل وعزاء . نراه أول ما نراه في المسرحية ، محنقاً مكروباً ، لأن العجل (أبا شوشه) متوعك المزاج يعاف أكل العليق وعينه محمرة دامعة ! ! القصر الريفي في حيرة واضطراب ، الخدم يرقبون شفاء العجل العزيز الغالي لتعاود غبطة المزاج السيد المكروب الذي أرصد للعجل السيد خادماً يسهر على راحته

فجاءة يهبط للقصر نفر من الزوار من أعيان الريف ، بينهم حسنية هانم وزوجها (ظاظا بك) — وهما من سكان القاهرة — جاء الضيعة لزيارتها بعد أن ذاع صيت نظامها ووفرة غلتها في دوائر القاهرة . فنرى مؤنس بك يضطرب ويرتبك لمرأى (حسنية) وكأنه فوجئ بمجيئها ، ولكنه يتغلب على ارتباكه ويرحب بالزائرين

وإذ يخلو لمؤنس وحسنية المكان بعد تمهيد دق المؤلف في إتيان مواقفه من غير تكلف ، نراهما منجذبين الواحد نحو الآخر ، متقابلين فماً لفم ، وسرعان ما ينجلي للقارئ أسباب ارتباك مؤنس واضطرابه . . . لقد كان مؤنس وحسنية متحابين ، متعاقدين على الزواج قبل أن يهجر مؤنس القاهرة ويقيم بيته وأعماله في الريف . ولكن حدث إذ ذاك أن توفي والده وطالبته تركة موروثة مرهقة بالدين تتدحرج نحو الإفلاس والبوار ؛ فأسقط في يده ، وخابت أمانيه في الزواج ، لأن كبرياءه حجزته عن أن يتزوج من حسنية الناعمة المترفة . فترك القاهرة بغتة واستقر في الريف يوم النهار من تركته بعد أن قطع كل روابط ربطه بالقاهرة وساكنيها . وكان أن تزوجت حسنية من ظاظا بك

هذا المشهد هو دعامة المسرحية وبيت القصيد فيها . . .

ها هما الإثنان يبعثان الماضي وذكرياته ، وها هو مؤنس يشد على يد حسنية في انقياد ، مهيباً بها أن تنسى الحاضر وأن ترجع بعين الخيال إلى مراتع حبهما ، فتزداد التصاقاً به ، وتدنى فمها من فمه ، مغمغمة اسمه المحبوب ، القبلة تكاد تتم فصولاً ، الحب الهامد يتسرح من جديد و . . . .

ولكن يحدث في هذه اللحظة أن يرتفع خوار العجل أبي شوشة ؛ فإذا بمؤنس يجمد في مكانه ، وإذا بالقبلة لا تتم ، وإذا به يترك حسنية واجمة متعجبة ، ويطل من النافذة منادياً متسائلاً عن صحة العجل العزيز الغالي ! !

بادرة عجيبة ولا شك من جانب مؤنس تناقض الواقع الذي كان يعيش فيه منذ لحظة بيهان لسانه وكال وعيه !

ويستدرك مؤنس ما أتاه من غير وعي بهذه البادرة النابية فيعاود الحديث عن الماضي ويستعين عليه في هذه المرة بمطالعة بعض صور فتوغرافية قديمة تمثله مع حسنية في مواقف عديدة . ويبدو للقارئ أن مؤنس يحاول لاهثاً أن يستمد من هذه الصور إنقاذاً لخيلته ويقظة لحسه . وتقع يد حسنية بين هذه الصور على رسم للعجل أبي شوشة فتتبرم ؛ ثم لا تلبث أن تزداد عجباً على عجب ، إذ ترى مؤنس يأخذ بأسباب سرد مشرق عن ولادة العجل وحياته الأولى

وهكذا يبدو مؤنس متطوحاً بين (الماضي) الذي يشده بعين حسنية ، وبين (الحاضر) الذي يجتذبه بخوار أبي شوشة

ولا تجد حسنية موضوعاً للحديث غير الكلام عن الطقس . ويفطن مؤنس إلى ذلك فيعتصر حسه من جديد ويأخذ في إطراء مفاتن حسنية ، فينشط حس المرأة أمام هذا الإطراء فلا تتوانى عن أن تعرض عليه أن يحضر الحفلة التي ستقيمها في القاهرة بمناسبة عيد ميلادها ، ولا تتحرج من أن تناشده معاودة حياته الأولى في ظل حبها

مؤنس ينقاد إلى حديثها في شبه حلم لذيذ وقد غمره الماضي ، فلا نلبث أن نسمعه متبرماً بحاضره . وها هو أخيراً يقرر في نبر صوتي متقد أنه سيعود إلى القاهرة ، وأنه سيحضر حفلة عيد ميلادها . . . وأن الإنسان في وسعه أن يحقق ما يريد إذا صح عزمه على ذلك

وإذ هما يحتضنان ، يرن صوت الخادم وقد أقبل نحوهما . . . الخادم يدخل فرحاً معلناً أن « أبا شوشه » أكل عليقه ، وأن الصحة عاودته . . .

يا لسخرية الحاضر من الماضي ! !

نرى مؤنس ينتفض فجأة وكأنه خرج من حلم بعيد وينطلق نحو الباب والفرحة ترقص أمامه ، ويدعو حسنية إلى أن ترافقه إلى مذود العجل ؛ ولكنها ترفض فيتركها وقد نسى القاهرة وحفلة العيد ! !

هذا المشهد هو الرواية كلها ، وقد وفق تيمور في التمهيد لانطلاق الإيحاءات الباطنة التي كانت تطرق مؤنس وتجعله وهو لا يدري ينقض ما يبرمه وهو يدري . ووفق تيمور في هذا بطريق إيرادها جسات نفسية خاطفة كانت تلوح للأمر المزمع ، والغاية المقصودة

ويجرى بعد هذا المشهد الحافل مشاهد إضافية ، نرى (حسنية) في أحدها تعلن لمن جاءوا الضيعة معها أن (مؤنس) سيحضر حفلة عيد ميلادها بالقاهرة ؛ ولكن سرعان ما يحضر مؤنس وقد امتلأت نفسه نشاطاً وفاضت غبطة ليعلن الحضور بدوره أنه سيشترك في المعرض الإقليمي بمنتجاته الزراعية ، وكان قبل ذلك متردداً في هذا الاشتراك . تمتعض (حسنية) وتقطع الحديث وهي تقترح العودة إلى القاهرة ، لأن لديها ما يشغلها لإعداد حفلة عيد ميلادها . وإذ ذاك يتذكر (مؤنس) أمر هذه الحفلة ، ويبدي حيرته كيف يوفق بين الاشتراك في المعرض وحضور حفلة القاهرة . . . ولكن (حسنية) تتدخل في الأمر تدخلاً عابراً من باب جبر الخاطر — وأغلب الظن أنها بدورها أحست فتوراً من الرجوع إلى شيء مضى وفات — ويعتذر مؤنس عن حضورة الحفلة وكأنه أنقذ من ورطة قادمة !

وتنتهي المسرحية بأن ترحل (حسنية) إلى القاهرة لتعيش هناك في (حاضرها) ، ويبقى (مؤنس) في قصره الريفي ليعيش بدوره في (حاضره) .

كل هذا يجري ولم نر المؤلف يجعل بطلي المسرحية (مؤنس وحسنية) يحاولان تعليل تلك الإيحاءات الباطنة وتفسيرها بطريق المنطق ، بل جعلها تمرض نفسها خطفاً ، وبهذا خالف النهج الذي نهجه في مسرحيته الأولى (الصعلوك) وحسناً فعل .

***

والآن نتساءل ما الذي يلبس هذا الرجل (مؤنس بك) الفينة بعد الفينة ، والموقف واحد لم يتبدل زمانه ومكانه ، فنراه يتخبط وينقض فعلاً ما أبرمه كلاماً ويتأرجح بين قوتين عنيفتين تشده كل منهما من ذراع لتجتذبه إحداهما في النهاية ؟ ؟

ألا يرى القارئ معي أن هذا الرجل يحاول عبثاً إرجاع الماضي وبعثه بعذبات الذكرى وبحطام نفسه وبشخص المرأة التي كانت له شريكة فيه ؟ ؟ وأن الحاضر يأبى عليه ذلك ويسير على شرعته الأزلية من أن ما فات مات ، وأن لا رجعة لما أغرقه الزمن في لجته ؟ ؟

نعم هو هـذا . وأن الذي كان يلبس الرجل ويدفعه بقوة خفية إلى التناقض إنما هو سيطرة الحاضر الذي أقام لنفسه في الواعية الباطنة سلطاناً يدفع به وثبة الماضي إذا قدر له أن يستفيق من همدته وتهيأ للانسراح بعـد انكماشه ، والماضي بدوره له في الواعية الباطنة منازل ينطوي فيها على نفسه ولكنه يقنع من السلطان بأن يكون معين الصراع بين المادة والحافظة ، وأن يكون الشرفة التي نطل منها على المستقبل .

لا سبيل إلى إحياء الماضي ، تلك هي المسألة التي أثارها تيمور في مسرحيته — الماضي لا يعود — ومرد هذا أن النظرة إلى الأشياء تتغير بتغير الميول ، والميول تبدل أثوابها بمرور الزمن ، الزمن الذي يبلى كل شيء ويسير دائماً إلى الأمام دون أن ينظر إلى الوراء ، الزمن الذي يستبد فينا بحاضره ، ويدفعنا بشواغله والتزاماته إلى أن نحيا فيه . فكأن النظرة إلى الأشياء مقضي عليها بالتغير ، ومتى تغيرت النظرة تغيرت معها معالم الدنيا من إنسان وجماد .

لقد نال الزمن من (مؤنس) وهو لا يدري ، كما نال من نفس (حسنية) وهي لا تشعر ، ولم يكن حظها في هذا أرفق من حظ مؤنس ، وآية ذلك أنها حينما أجابت نداء (الماضي) عن لقائها حبيب القلب الغابر وانساقت مع دفعاته الفاترة المتقطعة ، لم تستطع أن تدفع سلطان (الحاضر) بل كانت في محاولتها إحياء الماضي ، كما كان (مؤنس) ، متعثرة على الرغم منها .

ولو أن تيمور أجرى موضوعه على الرجل دون المرأة لأوقع بالمسرحية ثلمة تنفذ إليها منه بالمؤاخذة ، ولكنه فطن إلى ما لا يفطن إليه عادة غير المرتاض بصياغة القصة المتمرس بعرض موضوعه عرضاً صادقاً كاملاً .

التبعـــــة والعقوبة
في المجتمع البشري القديم

للأستاذ رفعة الحنبلي

ساد المجتمع ، خلال العصور القديمة ، نوع من النظم الاجتماعية ، وضرب من المبادئ الفطرية ، أخذ بها طوال المدة التي جنح فيها إلى التفكير الهزيل ، والمعرفة الضئيلة ، والعلم القليل مما كان له أثره فيه . فاتسم بطابع خاص يتميز به عن بقية المجتمعات الإنسانية الأخرى ، ولم يقتصر على الثقافة فحسب بل تناول التقاليد والعادات أيضاً

وفي الواقع أنه إذا تقصى المرء أحوال المجتمع البشري القديم في الأزمنة الغابرة ، ودرس نظامه الاجتماعية ، وتفهم نفسية أفراده وأخلاقهم ، والتمس ميولهم ورغائبهم ، وتبين عاداتهم وتقاليدهم ، واتصل بهذه النظم على ضوء الدرس المنظم وعن طريق التتبع والاستقراء ، تكشفت له عن حياة اجتماعية متأخرة ، وبيئة ضيقة ، وعقلية محدودة وتفكير سقيم تتباين مع الحياة الاجتماعية الأخرى في المجتمعات الثانية وبيئتها وتفكيرها وعقليتها ، هذه الحياة الاجتماعية توقفنا على درجة من درجات رقي المجتمع وحضارته وتكشف لنا عن سمة من سمات الطبع والنفس ، ومظهر من مظاهر الروابط الاجتماعية والقيم الخلقية

على أن هذه الحياة لا يزال يشوبها كثير من اللبس والغموض ، ولا تزال تكتنفها ظلمة كثيفة في كثير من أفيائها وإن أخذ بعض علماء الاجتماع — يدفعهم في ذلك حب البحث والاستقراء والحاجة الملحة إلى المعرفة — يبددون ما أحاط بها من ظلمة ، وما اكتنفها من شوائب

ومن النواحي التي درسها علماء الاجتماع ناحية جديدة خطيرة لها أثرها المباشر في الحياة الاجتماعية وفي مقومات المجتمع البشري أيضاً : هذه الناحية تعرف بالتبعة Responsabilité والتي عرفها المجتمع في الوقت الذي عرف الإنسان فيه العمل الاجتماعي واضطلع به ، إذ ذهب هؤلاء العلماء إلى أن التبعة كانت معروفة عند أكثر الأمم والشعوب القديمة . وقد استمدت بعض المجتمعات الحديثة نتفاً من قوانينها ونظمها فدمجتها فيما ابتكرته من نظم وقوانين حملت الإنسان تبعة ما يقوم به من عمل اجتماعي أو أدبي أو غيره .

والواقع أن المجتمعات البشرية تختلف باختلاف درجتها في سلم الحياة والارتقاء . فعلى قدر ما يكون المجتمع البشري من الرقي والحضارة يحتاج إلى نظم جديدة تتلاءم مع الحضارة والرقي اللذين أخذ بهما ؛ فالمجتمعات والحالة هذه لا تتمشى على نظم واحدة ، ولا تتقيد بقوانين واحدة ، بل لا بدّ لها من نظم مختلفة وقوانين متباينة تميز المجتمع الواحد عن الآخر وتصور نفسية أفراده وبيئتهم ودرجة رقيهم وحضارتهم

بقيت مبادىء التبعة التي أخذ بها المجتمع البشري القديم ، ردحاً من الزمن — قل أو كثر — خافية على كثير ممن يعالجون البحوث الاجتماعية حتى كشف عنها بعض كبار الباحثين ممن درسوا المجتمع القديم دراسة مكنتهم من إدراكها إدراكاً قد يكون تاماً أو لا يكون ، بيد أن وقفوا على خصائص الحياة

ورب معترض يقول : إن الدافع الحقيقي الذي حجز (مؤنس) عن معاودة حياته العاطفية مع (حسنية) هي أعماله بالريف وشواغله الملحة فيه . وهذا حق من ناحية أن هذه الأعمال وتلك المشاغل إنما هي من عناصر (الحاضر) ، والحاضر ، كما قررنا ، يفرض سلطانه علينا . بيد أن هذا ليس كل شيء ، لأن الظروف المحيطة بمؤنس وحسنية — كما رسمها المؤلف — كانت ظروفاً مواتية تسمح لهما باستئناف علاقتهما دون أن يخل ذلك بشواغلهما ، ولكن بشرط . . . وهـذا الشرط أن يكون لاعج العاطفة المتأجج في قلبيهما متقداً قوياً كما هو الشاهد المألوف لدى الأكثرين ، لأن الإنسان يحيا بغرائزه وعواطفه أكثر مما يحيا بعقله ومنطقه ، وفي تلك الفترات التي يكون فيها الإنسان لحياة العاطفة لا يبالي بأي قيد من القيود . ولكن العاطفة القوية أو الحب المتقد لم يكن يعمر قلبي مؤنس وحسنية عند لقائهما الأخير . لقد كان الأمر غير ذلك فيما مضى ، ولكن الزمن أطفأ اللاعج المتقد وأوهن القوى النابض ، ولم يبق في قلب كل منهما من ذلك الغرام غير هيكل من عظام نخرة ترتدي مسوح (فينوس) تكفي أن تهزها اليد لتنهار .

زكي طليمات

الاجتماعية التي سادت ذلك المجتمع ، وبعد أن تفهموا المقومات الاجتماعية الجديدة . وما زال الباحثون الاجتماعيون من ذوى الاختصاص يسبرون غور هذه الحياة وهذه المقومات الاجتماعية بعد ما درست آثارها ، وعفت رسومها أو كادت ، فراضوا صعابها وجلوا شكوكها إلى أن وقفوا على عناصرها وعواملها ، وكشفوا عن أسرارها وخبيآتها ؛ وهم إلى ذلك - أي الباحثون - يؤمنون بأن القدامى من أفراد المجتمع كانت لهم من الآراء الخطيرة ، والتفكير العقيم ، والتقدير الهزيل ، ما حملهم على إلقاء التبعة لا على عاتق كل فرد من أفراد المجتمع فحسب ، بل على كل الكائنات الحية من حيوان وجماد أيضاً

* * *

بدأ علماء الاجتماع ، في العصر الحاضر ، يدرسون المبادىء التي من شأنها أن تحدد كل عمل يقوم به الفرد في مجتمعه وما يتبعه من عقوبة وقصاص على ضوء علم النفس الحديث ، وعلم الأمراض النفسية Cycopathologie بعد أن كان المجتمع القديم يقيم حدها على كل فرد من أفراده ، دون أن ينظر إلى نفسية هذا الفرد وإلى الأمراض المتصلة بها التي تتناوره إبان حياته ، بل كان مآل نظم المجتمع القديم فرض العقوبة على أي امرىء ارتكب جرماً أو اقترف إثماً

والتبعة ليست ، في الواقع ، إلا نتيجة لعمل اجتماعي ، شرعياً كان أو غير شرعي ، يخالف ما تعارف عليه المجتمع وما ألفه الناس ، أو بعبارة أخرى نتيجة أعمال وأفعال اجتماعية يقوم بها أفراد المجتمع تتعارض مع القوانين أو النظم الموضوعة التي تستوجب التبعة ، فإذا ما خرق امرؤ حرمة الآداب والأخلاق ، أو نكث عهداً من العهود الاجتماعية ، أو اتهم برقة في دينه أو وطنيته ، أو احتفظ بعلاقة غير شرعية مع فتاة ، كان ذلك كافياً ، في نظر المجتمع ، لأن يحمل تبعة عمله وأن يعدّ مسئولاً

ولا بد للمرء أن يتساءل عن الأعمال التي قد ترضي الجماعات الإنسانية أو تغضبها إذا ما قام بها ، ولا بد له من أن يتفهم التقاليد والعادات التي تدنيه من المجتمع أو تبعده عنه ، كي يستبين طريقه على ضوئها ، ويتمشى حسب نظم المجتمع لئلا يقحم نفسه في مآخذ عنيفة ومزالق خطرة تستوجب التبعة والعقوبة

وماذا يعني بالتبعة ؟... هي قيام امرىء بعمل ما ، في مجتمعه أو في مجتمع آخر ، في حالتي النفع والضرر . فالمرء الذي يقدم على أعمال من شأنها تحدي النظم القائمة وخرقها والتي قد يتضرر منها المجتمع الإنساني يكون مسئولاً عن أعماله هذه ، كما أن المرء الذي ينشط إلى المحافظة على الآداب والأخلاق ، والذي يلذ له خدمة الأمة والإخلاص لها والتفاني فيها يكون مسئولاً من هذا العمل أيضاً . فالتبعة إذاً تقع على عاتق المرء في الحالين المتقدمين وإن اتجه كل منهما اتجاهاً يختلف والآخر جد الاختلاف من حيث الوسيلة والغاية ؛ وإذا ما أبدلنا العقوبة بالمكافأة واللوم بالثناء ، فمن هو الذي يستحق العقوبة واللوم ، ومن هو الجدير بالمكافأة والثناء ؟ ... مما لا مشاحنة فيه إن الإنسان يكافأ على عمله إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ...

ألا ترى أن الأب يكافىء ابنه الأديب الوديع ويعاقب الطائش الشرير ؟ ... وكذلك المربي ؛ ألا تراه يثني الثناء العاطر على الطالب الخلوق الطيع ، وينحي باللائمة على النفور المتمرد ؟ ! والحكومة ، ألا تشعر أنها تكافىء رجالها المخلصين والعاملين بالأوسمة والرتب ، وتعاقب المجرمين والخائنين بالسجن والإبعاد والقتل أحياناً ؟ ... ألا ترى أن الجماعة البشرية قد أعدت جوائز قيمة ، أدبية ومادية ، للأفراد الذين يحملهم الإخلاص ويدفعهم الوفاء على التفكير بترقية المجتمع وتخفيف الآلام عن الإنسان ، ورفع مستوى الحياة الاجتماعية ؟ أليس كل ذلك يدخل في حدود التبعة الاجتماعية على اختلاف شكولها وتباين غاياتها ؟ ! على أن العلماء لم يقصدوا بالتبعة إلى المعنى الذي ذهبنا إليه ، ولم يتجهوا الاتجاه الذي أخذنا به ، ولكن هي الحقيقة وهو الواقع ! ولمَ لا يكون المرء مسؤولاً عما قام به من صالح الأعمال كما يكون مسؤولاً عما جنته يداه من إثم أو جريمة ؟ ! وما التبعة في الواقع إلا صدى تلك الحياة الاجتماعية التي ارتضاها الإنسان لنفسه ، وتلك البيئات التي تكتنفها التقاليد والعادات ...

ومن هو المسئول — في الدرجة الأولى — في نظر المجتمع

لقد أعطت الجماعات الإنسانية أجوبة تختلف باختلاف حياتها الاجتماعية وبيئتها وثقافتها ، وتتباين بتباين أخلاقها وتقاليدها وعاداتها . على أنها حمّلت الإنسان — منذ الأزمنة القديمة — التبعة ، باعتباره أرقى المخلوقات الحية وأشرفها وأذكاها ، وأقربها من المدنية والحضارة ، حيث يقوم بدوره الرئيسي في المجتمع ، إذ أنه يتمتع بعقلية نيرة تدفعه إلى استخدام الحيوان لشؤونه اليومية والمعاشية والاستفادة من النبات والجماد لمنافعه الشخصية والبيتية التي تتطلبها حياته الاجتماعية . وهو — فوق ذلك — يملك من الأهلية والاستعداد ما يجعله يحمل تبعة ما يقوم به من عمل . لذا نجـد الإنسان شاعراً بالتبعة ورازحاً تحت ثقلها منذ اليوم الذي قتل فيه قابيل أخاه هابيل

ولا يمكن الأخذ بالتبعة أو الإقرار بها إلا في حالة خاصة ، بمعنى أن الإنسان إن لم يتمتع بعقل سليم وتفكير صحيح فلا جناح عليه بما يأتيه من عمل شائن أو فعل قبيح ؛ لأن سلامة العقل وصحة التفكير شرط أساسي — في بعض المجتمعات — لإلقاء التبعة وتحمل العقوبة ، وإن أقرّ البعض هـذه التبعة على من لم تتوفر فيه هذه السلامة والصحة ، حتى أن بعضهم ذهب إلى إلقاء التبعة على الطفل والمجنون والأبله والمعتوه أيضاً ... وتمادت المجتمعات القديمة ، والحديثة المتأخرة ، فذهبت إلى أبعد من هذا الحد ، إذ ألقت التبعة على الحيوان والجماد ! !

وقد تتعدى هذه التبعة من شخص إلى آخر وإن لم يجمعهما نسب أو قرابة ، وتتجاوز الفرد إلى الجماعة ، وإن لم تكن بينهما صلة أو علاقة ، وتعرف حينئذ بتبعة الجماعة ، لـكنها تبقى — في غالب الأوقات — تبعة غير محدودة Respousabilité indeterminée . بيد أن الجماعة التي تتحمل التبعة تكون ذات صلة مباشرة أو غير مباشرة — ولو إلى حد ما — بصاحب الجريمة أو الإثم ، باعتبار أن أفرادها وحدة لا تتجزأ ، وباعتبار أن المتهم فرد منها ، فالجريمة التي يؤخذ بها هذا المتهم تؤخذ بها الجماعة ، والتبعة التي يحملها تشاركه الجماعة فيها ، والعقوبة التي تفرض عليه تنالها أيضاً على حد سواء ؛ وتبعة الجماعة إنما تكون في الجماعات التي تعيش قبائل منفصلة الواحدة من الأخرى ، وفي المجتمع القديم الذي يتبع نظام التوتمية Totemisme ، والجماعات التي يرأسها شيخ هو أكبر أفرادها سناً Pater Familias ومن هذه الجماعات ظهرت أول مبادئ تبعة الجماعة التي تتعدى أقرب الناس إلى أبعدهم عن المتهم

وهنالك أيضاً بعض الجماعات ممن يقرون مبدأ التبعة الفردية في جرائم خاصة ، ومبدأ تبعة الجماعة في جرائم أخرى ؛ ففي حالة الجرائم الصغرى كالسرقة أو القتل ، إنما تكون التبعة فردية ، وتكون جماعة في حالة الجرائم الـكبرى كالخيانة الوطنية وخرق حرمة الدين ، والثورة على الحـكومة وقتل الملك وغيرها ... ففي هذه الحالة تسود التبعة جميع أفراد عائلة المتهم دون النظر إلى تفاوت درجة القرابة والأعمار بينهم ؛ فالجد والأب والأعمام والأولاد والحفدة يساقون إلى منصة الإعدام كالمجرم على حد سواء ؛ أما أقرباؤه الأدنون ، فيعاملون معاملة العبيد ويصبحون أرقاء ، توزعهم الحـكومة على قادة الجند بمثابة رهائن ، ينقطعون للعمل ، ويحبسون على الخدمة ، وتصادر أملاكهم ، وتحجز أموالهم ، كما صودرت وحجزت أملاك أولئك من قبل

كذلك كان عدم الوفاء لصاحب الجلالة ، أو عصيان أوامره المقدسة ، يسبب للفرد عقوبة تذهب بحياته ، وتودي بأسرته إلى العذاب البئيس ، وتهوي بهم إلى أدنى درجات الاسترقاق والعبودية ؛ أما هو ، فيعدم ويحرق ، وأما زوجه وأولاده ، فيصبحون أرقاء ؛ أما أبواه وجداه وإخوته وأولاد أخيه ، فينفون من الأرض إلى أمد بعيد

وهكذا نجد أن هذه العقوبة المنيفة التي تعرّض صاحبها وأسرته ومن يلوذ به إلى الموت ، والتي تجعل من ذوي قرابته عبيداً أرقاء ، لم تستأثر بها أمة دون أخرى ، بل اشتركت أكثر الأمم فيها مع اختلاف العقوبة من حيث العنف والقسوة باختلاف شرائعها وقوانينها . ففي فرنسا مثلاً — أيام قيام المـلكية في ربوعها — كانت عقوبة النبيل والشريف الذي يرتكب أية هفوة في حق الملك أو الامبراطور ، هي تجريده من رتبه العسكرية ، وإزال درجته النبيـلة ، وإبعاده مع أسرته خارج المـلكة ، أو الامبراطورية ، مع حرمانه هو وأسرته من العودة ثانية إلى بلاده ووطنه حرماناً قد يكون أبدياً ؛ وإن قدر له أن يعود دون عفو خاص من صاحب الجلالة ، فإنه يعدم حالاً دون أية محاكمة

أو أي تحقيق ؛ أما إذا لم يكن نبيلاً ، وكان ينتسب إلى عامة الشعب ، فعقوبته كما يقول الأستاذ Jousse : تماثل عقوبة الشريف فضلاً عن هدم منزله وإعفاء أثره . وإذا تعمق الباحث في درس هذه التبعة ، ردّ دواعيها ومسبباتها إلى ذلك الاعتقاد السائد — قديماً وحديثاً — أن صاحب الجلالة هو خليفة الله في أرضه ، لذلك كان لهذا الاعتقاد من الأثر القوى في نفسية الشعوب والأمم ما جعلها تشرع هذه العقوبة العنيفة لحفظ خليفة الله من الاغتيال وحرصاً على شخصيته المقدسة

والأمة العربية لم تعرف في سالف عهدها التبعة الفردية بل كانت آخذة تبعة الجماعة باعتبار أنها ترى نفسها قائمة على التكتل وعلى المبادئ القبلية وإفناء الفرد إفناء كلياً في المجموع . وكم من حرب ظل ضرمها يحتدم بين قبيلة وقبيلة لجريمة ارتكبها أحد أفراد هاتين القبيلتين ! ... وكم من تضحية فرضت على فرد لم يقترف إثماً ... ! أو على أفراد قبيلة لم يجنوا جريرة أو ذنباً ! .
لقد كان رأس القبيلة هو المسئول الأول والمباشر عن عمل كل فرد من أفراد جماعته ، كما أن القبيلة بأجمعها مسئولة عن هذا العمل أيضاً ... وجاء الإسلام بالشريعة السماوية السمحة ، فمحا تبعة الجماعة وأقر تبعة الفرد ورسم حدودها وأمسى الفرد مسئولاً عن عمله دون غيره مهما ترادفت آثامه وتعددت جرائمه ، ولا تزروا وازرة وزر أخرى . . .

إلا أن العرب عرفوا ، قبل الإسلام ، نوعاً من التبعة الفردية ، في حدود ضيقة محدودة ، كانت قائمة ما قام « نظام الخليع » على معنى أن القبيلة كانت تكره في بعض الأحايين على مجازاة أحد أفرادها لخصال وخلال لا تقره عليها أو تتنافى مع بيئتها وأخلاقها — فتخلعه من ذمتها وتهدده عنها وتقطع صلته بها ؛ فالمرء الذي تلفظه القبيلة يتحمل هو وحده تبعة عمله وليس لقبيلته أن تتحمل شيئاً من هذه التبعة كما أنها لا تطالب بدمه إذا أهدر .

إن هذه الظواهر الاجتماعية ، في صدد تبعة الجماعة ليست في الواقع ، إلا صدى تلك الحياة الاجتماعية العنيفة وصدى ذلك النظام الاجتماعي الضعيف . وكثيراً ما كانت هذه التبعة جد عنيفة وقاسية ينوء الفرد بحملها ويرزح تحت ثقلها

لقد تقلص ظل هذه التبعة عن الإنسان في مجتمعنا الحاضر وعفت رسومها وامحى أثرها إلا عند الجماعات المتخلفة عن المدنية والحضارة واتجه إلى التبعية الفردية إذ أصبح الإنسان مسئولاً عما يرتكبه من آثام وجرائم ، ولا شأن لأسرته وذوى قرابته فيما يرتكبه من إثم وجريمة ، وإن كان بعض الأمم التي بلغت أقصى درجات المدنية والحضارة ، وأسمى مراتب الرقي والتمدن ، تأخذ بها أحياناً في حالات خاصة إبان الحروب والثورات .

[البقية في العدد القادم] — بيروت رفعة الخنبلي

من الأدب الروسي

أنطون تشيكوف

الكاتب الروسي العالمي

[من كتاب « رجال القصة الروسية الحديثة » لمديح برمي]

للأستاذ خليل هنداوي

من عادة الناس القول : « بأن الإنسان لا يحتاج إلا إلى مترين من الأرض ، لكن هذه الحاجة هي حاجة الجثة الهامدة ، لا حاجة الإنسان الحي الذي لا يكفيه إلا هذا الفضاء . لا يطلب الانسان من الأرض قيد أقدام ، ولا يطلب مسكناً ، وإنما يطلب الأرض بأسرها ، والطبيعة بجمتها ، لكي تتفتح على آفاقها كل خصائصه ومزاياه بحريته ! »

هذا ما قاله — تشيكوف — عن أبحاثه ورسالته حين دخل الحياة الأدبية . ولد سنة ١٨٦٠ ، وبعد أن أنجز دراسته في جامعة بلده أتم دراسة الطب في موسكو حتى غدا طبيباً مشهوراً ، لكنه أخذ يسأم هذه الحياة العملية ، ويستهويه عامل الأدب . فنشر عدة أقاصيص في بعض الصحف ، وكان يؤجر عليها ، لأن موارده في العيش كانت ضئيلة . وقد جمعت قصصه الأولى ولم تكن مما تبعث على الرضا ، لأنها قصص كتبت لاجتذاب القراء وتسليتهم في أوقات فراغهم ، دون أن تنطوي على فلسفة معينة ، أو غاية معلومة . لكن الكاتب سرعان ما تبلورت نفسه ، واتسعت آفاق عقله ، فترك ذلك الجو الصبياني ، ودخل في جو ملؤه دراسة الإنسانية ، وهذه الدراسة طوقت روحه بالحزن والكآبة . أضف إلى ذلك أن بلده كان يكابد عناء الحروب في الحرب الروسية التركية ، هذه الحرب التي كان ثمنها تحرير بلغاريا مذ أوحت إلى الروس أنفسهم بإدراك حريتهم وأثارت في الشباب العزم للعمل على الوصول إلى هذه الحرية مهما بلغ الثمن وأرهقت المقادير . لكن هذا الأمل تحطم ، وهذه الجهود ذهبت عبثاً ، لأن الرجعية قد ظفرت ، وبظفرها طارت الأحلام ، فسرا النفوس شيء من الذهول أو التخدير ، ومن كان في قمة العزيمة والأمل جاء انتكاسه عظيما ، ووشكان ما دب في هذه القلوب النشيطة دبيب اليأس والعجز ، فمن القلوب من لاذ بالعزلة لوحده كأنه لا يريد أن يبدي جراحه ، ومنها من اعتصم بالعمل ليذهل ، ومنها من ظل يرسل الأنين تلو الأنين لعله يشفى . وهكذا يقال إن ضباباً رمادياً أحاط بحياة القوم ، حاملاً معه الكآبة . هذه هي المشاهد التي وقف عليها — تشيكوف — يراعته ، ولم تنتج روسيا مثله كاتباً استطاع أن يصور لنا اضطرابات هذه الفئة من الناس التي كانت تمشي خابطة على وجهها بدون فجر ولا رجاء .

يقول أحد أبطاله مفسراً الأزمة الخلقية : « ليس لي من العمر إلا ست وعشرون ، ولكن أراني لا أجهل أن الوجود يمشي بلا غاية ، خالياً من أي غرض ، وكل شيء فيه باطل زائل . تتشابه فيه حياة ساكن جزيرة « سخالين » مع حياة ساكن « بنس » ؛ والفرق بين دماغ « كانت » ودماغ ذبابة ما ليس له قيمة حقيقية ، وأن لا شخص في هذا الكون على ضلال ولا على صواب »

وفكرة — العدمية — بكل ظواهرها المروعة تنعكس كثيراً ما في آثار تشيكوف ، وأقصوصة « القبلة » ليست إلا وجهاً من هذه الظواهر . فالعريف « ريابوفيت » بتأثير قبلة غير مقصودة ابث يحلم بالحب طوال صيف ؛ فهو ينتظر متألماً ساعة العودة ليرى جميلته المجهولة ، لكن حلمه لم يكن إلا وهماً ، إذ لم يكن هنالك أحد ينتظره . وبينما كان في أصيل يوم يسرح على ضفة جدول استسلم لتأملات تتفجر من قلبه : « الماء يفر إلى حيث لا يعلم أحد ، ولا لماذا . إنه يفر إلى الحالة التي مر بها في أيار الغابر . إنه عبر من الجدول إلى النهر الكبير ، ومن النهر الكبير إلى البحر ، ثم إنه تبخّر واستطار ، ثم استحال مطراً . فهل أرى ذات الماء يركض جديداً على مرأى من عيني ؟ ! ما غاية ذلك ولماذا ؟ ! وهكذا أصبحت الحياة عند هذا العريف لغزاً معمى لا يدركه العقل ، تمشي على غير غاية ، هائمة بدون قرار

وقد أعطانا تشيكوف نماذج عدة لأفراد انتقاهم من بيئات مختلفة ؛ فكأنما يأخذ القارئ بيده ، يقوده إلى أي مكان يستطيع أن يعرض عليه فيه صوراً من المجتمع الروسي الحديث :

فى الحقل أو المصنع أو الطريق . وهو بعد ذلك لا يستقر فى موقف ، ومهما كانت المواطن التى يرتادها القارئ وراء آثاره لا يخرج منها إلا مشبعاً بهذه العزلة الروسية المؤلمة

يقدم لنا تشيكوف مثلاً للحبة الضالة فى كثير الأحلام ، يمنع رأسه حيث تطلع عليه منه أية فكرة جديدة . قد بحث عبثاً طوال حياته عن شكل عملى يلائم مثله الأعلى الذى يراه ، والآن تركه القدر أباً أو ترك له ابنة تكرهه على كسب قوتها وقوته ، هو يحب ابنته ، ولا يفتأ يردد اللوم لها على كثير من العيوب فى حياتها القلقة . فى أمسية ساهرة ، وجدت امرأة أيم — هذه الفتاة العابسة الشاردة ، فأخذت تعزيها بكلمات لطيفة ، وفى هذه الساعة تحدث الأيمان وشكا كلاهما للآخر ما عنده ، وأذاع الرجل عليها قصة حياته كلها ، وما ساقه إليه القدر ، فاهتمت بحديثه اهتماماً شديداً وأقبل عليها بقلبه وعاطفته . حتى ليظن الناظر أن القدر لم يجمع بينهما باطلاً ، وإنما لأمر يريده فى الجمع بينهما ، وفى الغد ركبت المرأة العجلة ، وكان يساعدها على الركوب ، وإن الآذان لتنتظر منهما الكلمة التى يجب أن تجمع ما بينهما ، ولكن لم يقل واحد هذه الكلمة . انطلقت العجلة ولبث الرجل جامداً كالتمثال . ينظر بعاطفة فيها فرح وألم إلى الطريق الممهدة التى توارت عليها السعادة التى فرت من بين يديه منذ قليل

وقصة « الغارة » تقدم لنا مثلاً لعاطفة الخوف الحادة التى تغزو لجأة نفس فتى متكبر اصطدم ببعض الحقائق . فالطالب « فاسيليف » وهو ذو طبيعة حادة دخل للمرة الأولى بيت الهوى ولكنه لم يستطع أن يتحمل التأثيرات المرهفة التى كان يكابدها ؛ وغزت رأسه أفكار مظلمة أحاطت به من كل مكان . فكان يصيح آخذاً برأسه : « أحياء ... أحياء ... لو حطمت هذا المصباح لوجدتم أن فى هذا شراً ، ولكن — هنالك — ليست المصابيح هى التى تحطم ، ولكن حيوات الخلائق البشرية . . . أحياء » ثم أخذ يفكر فى وسائل استنقاذ هؤلاء المنكوبات ، ويبدو له أن يجلس على قارعة الطريق مخاطباً كل عابر : « إلى أين تمضى ؟ ولماذا ؟ إخش الله ! » لكن هذه الفكرة سرعان ما غلب عليها الألم والريبة من نفسه ، وزاد عليه الألم حتى سحق قلبه ، ولكن فتيان مجتمعه لم يتألموا من أجله ، وإنما كانوا يعبرون غير ملتفتين إليه . فأحس الطالب أن عقله يفلت منه . فتهدده حتى إذا ما شفى مما هو فيه ذكر عواطفه الأولى ، وخجل منها ، وهكذا حطم مذهبه ، وخنق حلمه

فى الأوساط الاجتماعية ، وصابع العمال يكاد الإنسان يبدو أكثر ابتعاداً عن الأنواب المسطحة والمظاهر الكاذبة . فإن المكافحة المتواصلة ضد الفقر لم تترك فرصة لغيرها . الحياة قاسية تحطم بلا رأفة أحلام السعادة ، ولا تدع للانسان — على الأغلب — رفيقاً يقاسمه أثقال الهموم والرزايا حتى الصغيرة منها . وقصة الحائك تعطينا مثلاً لهذه العزلة ، هذا السائق المعدم فقد ولده فلم يأنس فى نفسه القدرة على احتمال هذه المصيبة . ووجد فيها ما يدفعه إلى أن يحدث الناس بها . ولكنه كان يبحث عبثاً عمن يستمع إليه . وفى يوم من أيام عمله ألفى نفسه وحيداً مع فرسه فناجاها : « نعم يا فرسى الصغيرة ! إنه مات ولدى الحبيب ، وتوارى سريعاً من دون علة . لنفرض أن لك مهراً ، وهذا المهر مات على حين غرة ، ألا يؤلمك فقده ؟ » أما الفرس فقد رنت إليه بعينين هادئتين لامعتين ، ونفخت من أنفاسها بين يدى صاحبها الذى أنجز قصة موت ولده

ولتشيكوف قصص رائعة وقفها على وصف الحياة القروية التى تشبه من وجوه عدة حياتنا القروية . ومن ذلك « القرويون » . فنيقولا خادم فى أحد فنادق « موسكو » ساوره داء عياء ووجد نفسه مضطراً إلى مغادرة عمله . وكان كل ما يقتصده يذهب إلى أيدى الأطباء والصيادلة . وعند ما يئس من شفائه قرر أن يعود إلى قريته حيث أهله وأخوته ، لأنه يؤثر إذا فاتته الحياة أن يموت على مرأى من أهله . لقد ترك القرية حين كان فتى ثم لم تقع عليها أنظاره بعد ذلك . عاد هو وزوجه وابنته ، فوجد أباه وأمه وأخوين له مع أزواجهما وأولادهما فى هوان وفاقة ، وألفى أن الأسرة كلها تأوى إلى زريبة مظلمة قذرة يرن فى أجوائها الذباب ؛ فأدرك أن بقاءه فى موسكو كان الأجدر به ، ولكن هذا أمل خادع لأنه لا يملك أجر العودة . إذن يجب البقاء فى هذا اللحد الذى اختاره . وهكذا استقبلتهما هو وزوجه حياة كلها تعب ونكد وشقاء ليس فيها إلا النزاع والصفع والهوان بدون نهاية . إنه يريد أن يعود ، لأنه مل هذا الوجود ؛ ولكن أنى له

المال ؟ فزادت صحته سوءاً على سوء ؛ فوعده صاحب قديم بشفائه ، فقام بجملة تجاريب كانت القاضية عليه . وقضت زوجه من بعده شتاءها فى القرية مع ابنتها . فأسرع دبيب الهم بخطوط الكهولة إلى وجهها الذى كان يحار فيه ماء الشباب ، ومالت قامتها ، وتبدلت حالتها . ومن ذا الذى يبقى على الهم ؟ أقبل الربيع والأم وابنتها تدخلان الكنيسة ثم تزوران ضريح فقيدهما ، ثم تطوفان سائلتين فى الطرق ! وتشيكوف نفسه يقول : « إن حياة عمالنا هى سوداء تمشى فى طريق الفسق ، أما حياة الشعب : عماله وفلاحيه ، فما هى إلا ليل مدلهم ماؤه الجهل والفقر والألم »

* * *

إن تشيكوف ببراعته الفائقة ، ونظراته الشخصية ، يصف الحياة الإيجابية والسلبية ؛ وهو ليس بذى طبيعة هجائية ، لأن كتابته يغمرها العطف العميق . وهو لا يسخر من أبطاله ، وإنما يشفق عليهم . عبقريته هادئة ، مفكرة ، عميقة ، ولكن يجهل أحياناً أن هذا العدو ليس إلا قناعاً . وقد قال ناقد فيه : « إنه قلم ذو حنان » وهو فى قصصه ينبوع فياض ، لا ينفذ له موضوع ، ولا يفتر له تحليل برغم بساطته . وهو لا يُعنى بالأسهاب الكثير ، والاستطراد البعيد ، لأنه يكفيه أن يطرق الجانب الحى من الموضوع .

جرب تشيكوف الكتابة المسرحية ، وله منها القوى المتين ، ومن ذلك مسرحية « الأخوات الثلاث » . هؤلاء كن يقضين حياتهن فى بلدة حقيرة تبعث على السأم ، خالية من الرجال اللامعين ، وليس فيها إلا من تشابهت وجوههم ، وتشاكلت نفوسهم ، كأنهم نسخة واحدة تكررت نسخاً . وكان حلم هؤلاء السفر إلى موسكو ، لكن بلادتهن قضت عليهن بالبقاء ، فليتهن يتناقشن ويتجادلن متفلسفات فى مواضيعهن . وقد اتفق أن نزل المدينة ثلة من الجند ، فاجت فيهن الحياة ، وكان لهن حوادث حب مع العرفاء دامت حتى يوم الرحيل .

قالت الكبرى : إنهم رحلوا . . . سنبقى وحدنا ! والحياة الساكنة ستبدأ .

فقالت الثانية : إنما يجب العمل ، لا شىء يعزينا إلا العمل !

وقالت الثالثة معانقة أختيها فى حين راحت الموسيقى العسكرية تعزف لحن الرحيل : يا أختىّ ! إن حياتنا لم تنته بعدُ إننا صبحنا .

هذه الموسيقى تصدح طربة . . . رويداً رويداً ! إنى أحس به . . . سنعلم غداً لماذا نحيا ولماذا نتألم !

هذه ناحية قوية من نواحى فلسفة تشيكوف البسيطة ، وهى بمجموعها تنم عن (عجز عن الحياة مشوب بأمل مبهم . . .)

* * *

إن تشيكوف فى الحقيقة منحة الأدب الروسى ، وغرسة لم تتعهدها إلا تربة عرقه . ففى نزوعه إلى الحرية رن ألحان تولستوى ؛ وفى ميله إلى شراء الماضى بالألم يلوح وجه « دوستويفسكى » كأنما آثار كبار الروس تتبين خلال سطوره .

وقد يشبه تشيكوف من نواح عدة « موباسان » و « إبسن » لكنه لا غموض ولا إبهام فيه ، لأن الغموض النرويجى لا يلائم روح الأدب الروسى الذى ينزع إلى مجابهة المسائل الملمونة فى الحياة مجابهة صريحة عنيدة . ولقد حار فى تحديد قيمته النقاد فنهم من وصفه بأنه كاتب « خلى » لأن كتابته لا تدعو إلى الثورة التى برزت فى بعض آثار غيره ، ومنهم من وجد فيه متشائماً لا يتفاءل فى شىء من الحياة الروسية ، لأنه ملتفت إلى وصف الآلام أو الجهود النازعة إلى طلب حياة تكون أحسن أثاثاً ورئياً

ولعل فى الرجوع إلى بعض سطور له ما يفيدنا فى توضيح صفات هذه الشخصية الفذة ، ومما يقوله : « إننى أخاف أولئك الذين يفتشون عن ميول ورغبات خفية بين السطور ، وأولئك الذين يريدون أن يجدوا فىّ محرراً أو محافظاً . . . إننى لست من ذلك فى شىء . . . لست بالمحرر ولا بالمحافظ ، ولا بالراهب ولا بالخلى ، وإنما أنا رجل أمقت الكذب والصولة فى أى مكان وتحت أى مظهر . . . لا أريد أن أكون إلا فناناً . . . وهذا كل شىء » ولكن هذا الفنان الحر الذى أبغض الكذب والصولة فى المعنى الذى نفهمهما لم يستطع أن يكون إلا محرراً للانسان بأوسع معنى للتحرير ، ولم يكن بذلك التشاؤم الذى نتلوه ، لكنه كان كاتباً يتألم لمثله الأعلى ، ويوقظ بكتاباته الأمل فى الخروج من غسق الحياة التى وصفها . وقد تبدى فى بعض مراحله أنه مؤمن بمستقبل الإنسان والإنسانية ، فيقول فى محاورة له لبستانه : « أتعلم بعد جيلين أو ثلاثة أن الأرض ستصبح بستاناً زاهراً

وإذ ذاك كم تغدو الحياة جميلة ! » وهو الذي يقول بأن الإنسان قوة الأرض المركزية « وينبغي للانسان أن يعلم أنه أسمى من كل ما في الطبيعة ... إننا أكوان سامية عظيمة ؛ وحين يتسنى لنا أن نعرف كل قوى العبقرية البشرية نغدو قرناء الآلهة »

لكن هذه الآمال الكبرى لم تحل بينه وبين وصف عجز الإنسان في كل زمان ومكان ، فهل تأتى ذلك منه بطريق المناقضة ؟ نقول : لا ، لأن تشيكوف إذا لم يشك لحظة في تقدم الانسانية فانه ليتألم ، ويهمنه على الألم تشاؤمه الأسمى النزاع إلى السمو ؛ هذا التشاؤم الإنساني تجاه ما يخور العقل أمامه عجزاً ، وهذه العاطفة تتألم وتيأس إزاء خبط الحياة وعصف الموت

يقول أحد أبطاله : « إني إذا ما خشيت الحياة ولم أفهمها ، فعندما أرقد على بساط من الأعشاب . وأتأمل طويلاً في حشرة ولدت في مطلع الليل ، لأتفهم شيئاً من وجودها . يخيل إلى أن حياتها ليست إلا مرحلة من الرعب والذعر ، فيها أرى نفسي ، وأتمثل خاطراتي ... كل شيء يروعني لأني لا أفهم العقل ولا نهاية الأشياء . لا أفهم شيئاً ، ولا أدرك أحداً . . . أما أنت فاذا كنت تفهم فأحرى بي أن أهنئك ... »

و « حين ينظر الإنسان طويلاً في السماء الزرقاء المترامية ، فالأفكار المنبعثة والنفس تتحد اتحاداً خفياً في عاطفة عزلة عميقة ، وخلال لحظة واحدة يشعر الفكر بوحدة الموت ولغز الحياة اليائسة المروعة »

إن هذا اليأس الشامل ، وهذا الشقاء الذي تحدث عنه تشيكوف يتمثلان في آثار كل الشعراء والفنانين الروس البارزين . ومن منهم لم يرسم الحياة بهذه الخطوط المجسدة ، ولم يجعل فؤادها مغموراً بهذا اليأس !

على أن تشيكوف - بما أوتي - رأى وأدرك وجهي الحياة : وجه تقدمها التاريخي والاجتماعي ، ووجهها الآخر الذي يحيط بها من كل ناحية : هـذا الوجه المظلم المجهول القائم تحت أنفاس الموت الباردة

« حلب » خليل هنداوي

في المخبأ ...

للأستاذ محمد محمود دوارة

عشنا انرى ما لم يكن يخطر لنا على بال . واضطرتنا حوادث الأيام إلى أن نأتى أعمالاً لو أنا أتيناها قبل اليوم لنصب إلينا الجنون المطبق ! ...

انقلبت جميع الأوضاع رأساً على عقب .

كان الظلام مبعث الرهبة والخوف ، فأمسى هو الملجأ منهما

كان المنزل هو المكان الذى يتوفر فيه أمن المرء وطمأنينته فأصبح الهلاك كل الهلاك فى البقاء بالمنزل .

كانت الشجاعة فى الثبات أمام الأخطار والمكاره ومجابهتها وجهاً لوجه فإذا هى فى الفرار والهرب .

كان النهار معاشاً والليل لباساً فإذا النهار غير معاش والليل هلاك .

كان القمر فتنة السكون فى لياليه الباهرة ، وكان نجوى الشاعر والعاشق والفنان ، فإذا هو علامة من علامات الشر ، ونذيرٌ من نذر الدمار والخراب .

فسبحان الذى يغير ولا يتغيّر ...

***

بعد منتصف الليل والكون غارق فى بحار الكرى تدوى فى الفضاء فجأة أصوات منكرة متقطعة متكررة لا عهد لنا بها من قبل ، فكأنه قد نفخ فى الصور ، وجاء يوم البعث والنشور .

يثب المستدفئ من فراشه الوثير وكان لو خيّر بين تركه أو خسارة نصف ماله لضحّى بالمال غير متردد فى الاختيار .

وتغصّ الشوارع فى تلك الساعة التى اعتادت فيها الفراغ إلا من متسكع لا مأوى له ، أو حارس تعلم بالتجربة كيف ينام وهو واقف ، أو مريد جعل من ليله نهاراً .

رجال ونساء وصبية وأطفال كلهم مفزع مضطرب . كلهم صامت كأن لم يخلق له لسان ولا شفتان ، وكلهم سريع الخطى لا فرق بين هرم وشاب ، ولا بين عجوز وفتاة فى عنفوان الصبا والشباب .

قف فى تلك الساعة وتأمل من الناس ...

هذه جارتى الحسناء التى اعتادت أن تقف أمام المرآة نصف النهار لتخرج إلى الناس فتنة وسحراً لا يقاومان ، ها هى قد خرجت تهرول بوجهها الذى خلقه الله . لم تمكنها المفاجأة ولم يمكنها الخوف من الكذب على عباد الله .

وهذا جارى الذى لم أكن أراه ولم يكن يراه الناس إلا منتفخ الأوداج مصعر الخد متبختراً يمشى الهوينى كأنه الهودج أو الديك الرومى ، ها هو الآخر يهرول فى مشيته ضارباً بأصول العظمة والكبر ومشية الحكام عرض الحائط

وهذا الرجل الذى قطع حبل السكون بضراعته إلى الله تعالى وبدعوة رسله وأنبيائه وأوليائه ، هل رأيته فى الصباح وسمعته وهو يسب الأديان جميعاً لسبب من أتفه الأسباب ؟

ما أروع الفرق بين الليل والنهار فى هذه الأيام !

وما أقرب المسافة بين إيمان الإنسان وكفره ، وبين أمنه وخوفه وبين هداه وضلاله !

وفى المخبأ فى كل ليلة من ليالى الغارات تستطيع أن تشهد وأن تسمع ما لا عين شهدت ، ولا أذن سمعت ، قبل هذه الليالى السوداء !

***

دخل المخبأ متأخراً من رواده بقايل رجل يحمل فى إحدى يديه مصباحاً كهربائياً (بطارية) يستعين به بين الفينة والفينة على تعرف طريقه ، فما كاد يطأ بقدميه بابه حتى ضغط زر المصباح ليرى ما أمامه ، ولكنه سرعان ما ارتد إلى الوراء مفزعاً مضطرباً إذ تعالت صيحات الاحتجاج والتوبيخ الموجهة إليه من كل جانب

— من هذا الحمار الذى يريد ضياعنا فى شربة ماء ؟ !

— من هذا المجرم الذي يريد قتلنا ؟ !

— إطفئ النور أيها المغفل

— الله ، الله ... أتريد قتلنا بمصباحك كما قتل مصباح آخر قوماً آخرين بالإسماعيلية ؟

* * *

ووسط ذلك السكون الرهيب والظلام الدامس انبعث صوت متحدث رزين تدل نبراته على فرط الرسوخ في العلم

قال زاده الله علماً ومعرفة :

— الصمت مطلوب في هذه اللحظة يا إخوان ، لأن طيارات الأعداء بها أجهزة خاصة لالتقاط أصوات المتكلمين وهي من الدقة بحيث لا يخفى عليها حتى همسات الهامسين ... ضموا ألسنتكم في أفواهكم ، وإن استطعتم فاكتموا أنفاسكم على قدر الاستطاعة ! بهذا حكم الله وبه قضى ، ولا راد لقضائه سوى رحمته . واعلموا أن كل من يجازف بالحديث أثناء تحليق الطائرات في الجو كأنه يريد أن يدل الأعداء على مكاننا ، أو بمعنى آخر كأنه يريد القضاء على نفسه وعلينا جميعاً

ولست أدري هل صدّق الناس قول ذلك الخبير العجيب أم لم يصدقوه ، فإن واحداً منهم لم يعترض على ما قال ولم يحاول مناقشته ، ولكني لا أشك لحظة في أن جارتي العجوز قد آمنت بكل كلمة من كلماته ، وإلا فما بالها تكتم أنفاسها ذلك الكتم الشديد الذي جعلها في آخر الأمر تعلن إفلاسها في تلك المحاولة المضيرة قائلة : يفعل الله ما يشاء ... إنني أكاد أموت اختناقاً

ثم جازفت وعادت سيرتها الأولى في استنشاق الهواء ونفثه بالكيفية المعتادة

* * *

وعند مدخل المخبأ وقفت مع بعض اللاجئين فراراً من الجو الخانق في داخله كان بيننا جندي من أهالي الصعيد يظهر من لهجته الجافة أنه لم ينل أي نصيب من التعليم أو التهذيب

ومما يدل على حاجته الشديدة إلى دروس في الذوق أنه اختار هذه المناسبة ليحدثنا عن جماعة لجأوا إلى مخبأ في بلد من البلاد المنكوبة بالغارات فأصيب ذلك المخبأ وهم فيه بقنبلة مباشرة نسفته نسفاً وجعلت من فيه أشلاء لا يعرف فيها القدم من العنق ولا المعصم من العامود الفقري !

وفي أثناء حديثه ظهرت أنوار المصابيح الكاشفة منعكسة على السحاب فأراد أحدنا أن ينتهز فرصة ظهورها ليحول التفاتنا إلى غير ذلك الحديث المقلق للراحة حديث الجندي اللبق ! فقال وهو يشير بسبابته إلى حيث تلك الأنوار :

— أنظروا ! ها هي الأنوار الكاشفة قد بدأت عملها

ولكنه ما كاد يفعل حتى انقض الجندي على ذراعه الممدودة في الفضاء وإذا به يجذبها في شدة وعنف قائلاً في غضب ليس بعده غضب :

— أأنت مجنون يا هذا ؟ أتريد أن ترى الطيارات ذراعك الممدودة وسبابتك الموجهة إليها فتعرف مكاننا ولا تتركنا إلا أشلاء لا يعرف فيها القدم من العنق ولا المعصم من العامود الفقري كما حدث في ...

واستأنف حديثه كما بدأه . . .

* * *

وردد الفضاء صوت انفجار أول قنبلة مضادة للطائرات ، ثم تلاه أصوات متلاحقة لقنابل أخرى تتفاوت في الشدة والقوة فسرت في المخبأ دمدمة رهيبة تلاها صمت كصمت القبور لم يقطعه إلا صوت امرأة تخاطب زوجها قائلة :

— هذا صوت قنابل الطيارات . إنهم يضربون البلد ! لا بد من الهجرة غداً

فأجابها في صوت ضعيف مستكين :

— ليست هذه قنابل الطيارات

— ماذا تكون إذن ؟ لا بد من الهجرة غداً . . . غداً من الفجر بإذن الله . هل جننت حتى أعيش في هذا الجحيم ؟

— ليست هـذه قنابل الطيارات . قلت لك إنها المدافع المضادة لها

— بل هى قنابل الطيارات

— ليست هى قنابل الطيارات

— بل هى قنابل الطيارات

— ليست ...

وشفع كلامه فى هذه المرة بحركة صاحت على أثرها المرأة صياحاً منكراً ، وإذا بها معركة زوجية من الصنف الحاد وطغا صوت المرأة على صوت أضخم المدافع وأقواها صوتاً

* * *

وكان الأستاذ كامل قد احتسى كأساً أو كأسين غير حاسب للغارات حساباً ؛ فلما فاجأته غارة الليلة وهو فى نشوته اللذيذة هبط إلى المخبأ وهو يلعن الحرب ومن كان السبب فى شبوبها

وهناك انتبذ ركناً قصياً واستسلم للتفكير

ولكنه لم يهنأ بجلسته طويلاً ، إذ صاح صبي من الصبية كان يجلس إلى جواره قائلاً :

— هنا رجل سكران يا ماما ... فى المخبأ رجل سكران طينة ... إننى أشتم رائحة الخمر . وأيدته امرأة عجوز قائلة :

— إن رائحته كبرميل من الخمر القذرة

وإذا بدرديس أخرى تقول :

— إن وجوده بالخندق نجاسة !

فلم يسع كامل أفندى إلا أن ينفلت من مكانه فى سكون تاركا القوم قبل أن يكشفوا أمره ... ومن يدرى ماذا يفعلون به حينئذ ؟ !

وأقسم من تلك الليلة ألا يذوقها إلا نهاراً ...

* * *

فى المخبأ عجائب لا تجتمع فى مكان آخر ، وفيه مفارقات لا تخطر على بال

ها هنا رجل جبان رعديد ينتفض من الفزع ، بينما أخذت طفلة فى الخامسة تشجعه وتهون الأمر عليه

وهناك فتاة عابثة تضحك من كل شىء ومن لا شىء

فى المخبأ لمحات من الفكاهة الصافية الحلوة وصور عابسة من الأسى المرير . وإذا كنت لم تر السعادة مرتسمة على وجه من الوجوه فتعال إلى المخبأ وانظر إلى وجوه الخارجين منه بعد انتهاء الغارة وكأنهم يبعثون !

أما إذا أردت أن ترى الهم فى أتم صوره فانظر إلى ذلك الوالد وهو يجلس إلى جوار زوجته المريضة وقد حمل على يديه ولداً من أولادها بينما حملت هى آخر ، بينما جلس بينهما ثلاثة أو أربعة آخرون .

(السويس) محمد محمود دراره

---

٢٠ - المصريون المحدثون
شمــــائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل السادس — عاداتهم

ومن العادات التي تراعيها طبقات الشعب أن تذهب العروس ظهر الأربعاء الأول أو بعيد الظهر، أو يوم السبت إذا كان الزواج يتم مساء الإثنين، إلى الحمام في أبهة واحتفال[1]. ويسمى هذا زفة الحمام. فيتقدم الزفة فرقة تتكون من مزمار أو زمارين وطبول مختلفة الأنواع[2]. وكثيراً ما تنتهز الفرصة للاحتفال بختان الولد؛ فيسير هذا وحاشيته خلف الموسيقيين بالطريقة السابق ذكرها. وقد يتقدم حاشية العروس رجلان يحملان الأواني والملابس التي تستعمل في الحمام على صينيتين مستديرتين تغطيان بنسيج من الحرير المطرز أو الساذج. ويوجد أيضاً سقاء يروي ظمأ السائرين، ورجلان آخران يحمل أحدهما قمقماً من الساذجة أو المذهبة، أو من الصيني مملوءاً بماء الورد أو زهر البرتقال يرش منه على السائرين من وقت لآخر. ويحمل الآخر مبخرة من الفضة يحرق فيها العود وغيره من المواد العطرية، ولكن يندر أن تسير الزفة بهذه الطريقة. وتكون حاشية العروس من صديقاتها وقريباتها المتزوجات، يتقدمن اثنتين اثنتين، ويتلوهن الفتيات العذارى. ويلبس المتزوجات الملابس العادية ويتدثرن بالحبرة الحريرية السوداء؛ أما الأخريات فيلبسن الحبرة الحريرية البيضاء أو الشال. ثم تلبسهن العروس تحت مظلة حريرية ذات ألوان زاهية قرنفلية أو وردية، أو صفراء، أو ذات لونين معاً على هيئة خطوط عريضة غالباً ما تكون وردية وصفراء. ويحمل المظلة من قوائمها الأربعة المعلق على كل منها منديل مطرز، أربعة رجال. ويفتح صدر هذه المظلة. وتختفي العروس تحت ملابسها فتتدثر من قمة الرأس إلى أخمص القدمين بشال كشمير أحمر، أو نادراً بشال أبيض أو أصفر، ويتوج رأسها بغطاء من الورق المقوى يوضع عليه الشال فيحجب عن الأنظار وجهها وملابسها الثمينة وحليها خلا قصة أو قصتين[1]. وحلي أخرى أحياناً من الماس والزمرد تعلق على هذا الموضع من الشال الذي يغطي الجبهة. ويرافق العروس تحت المظلة اثنتان أو ثلاث من قريباتها، وامرأة أخرى تروح عليها عند ما تشتد الحرارة بمروحة كبيرة من ريش النعام الأسود يزين أسفلها مرآة صغيرة. وقد تقام زفة واحدة لعروسين معاً تحت مظلة واحدة. وتسير الزفة ببطء شديد وتتبع طريقاً ملتوياً ليطول العرض. وتتوجه إلى اليمين عند البدء في السير؛ ويأتي في ذيل الزفة فرقة موسيقية أخرى مثل الأولى أو فرقة من طبالين اثنين أو ثلاثة. ويلاحظ أن السائرات في زفة العروس من الطبقة السفلى يزغردن كثيراً. ويزغرد كذلك نساء الطبقة الفقيرة كلما شاهدن زفة



(شكل ٤٦) زفة عرس «قسم أول»

وقد يستأجر الحمام كله للعروس وحاشيتها فيمضين ساعات أو ساعتين على الأقل في الاستحمام واللعب وتناول الطعام. وكثيراً ما تستأجر العوالم (القيان) لتسليتهن في الحمام. ثم تعود

---

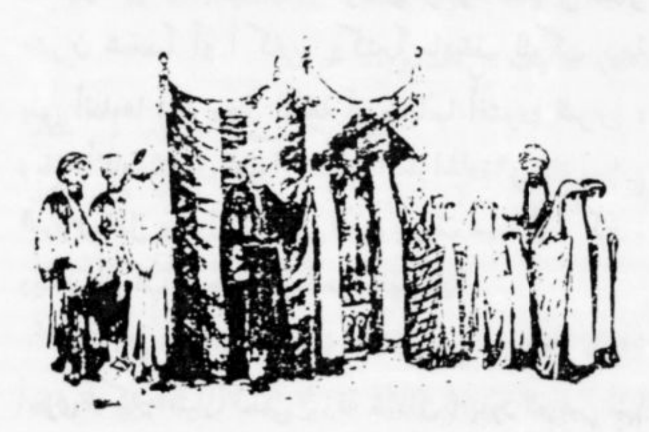
(١) وقد رأيت مرة هذه الزفة وأخرى سأصفها فيما بعد تسير بعد ذلك الوقت بكثير وتعود بعد الغروب بساعة

(٢) ونوع الموسيقى على العموم بدائي وتعزف مادة ألحاناً شعبية

(١) أنظر وصف هذه الحلي في الملحق

الزفة بالنظام نفسه . ويتحمل أهل العروس نفقات الزفة ، إلا أن العريس يقيم المأدبة التي تعقب ذلك

وتعود العروس من الحمام إلى منزل أهلها فتتناول مع رفيقاتها العشاء . وتصحبهن القيان لاستئناف اللهو . وتدور أغانيهن على الحب والزواج . وبعد ذلك تعجن بعض الحناء وتضع العروس قطعة من العجين في يدها ، ثم تتناول (النقوط) من ضيفاتها ، فتلصق كل منهن قطعة من النقود الذهبية عادة في تلك العجينة حتى لا يبقى موضعاً فيها ، فتنقشطها العروس حينئذ بعيداً عن يدها على حافة وعاء مملوء ماء ، ثم تضيف بعض الحناء إلى يديها وقدميها وتربطها بالكتان حتى الصباح ، فتصبغ بلون أحمر برتقالي قان . وتستعمل المدعوات ما تبقى من الحناء لصبغ أيديهن . وتسمى هذه الليلة (ليلة الحنا)



(شكل ٤٧) زفة عرس « قسم ثان »

ويقيم العريس الحفلة الكبرى في هذه الليلة ، وأحياناً في اليوم السابق . فيعرض (المحبزون) ألعابهم أمام المنزل أو داخل الفناء إذا كان المنزل واسعاً . وقد وصفت الألعاب الشائعة الأخرى التي تعرض على المدعوين لتسليتهم .

وتزف العروس إلى منزل عريسها في اليوم التالي . وتسمى هذه الزفة لأهميتها (زفة العروسة) . أما الزفة السابق وصفها فتسمى (زفة الحمام) لتمييزها عن الأخيرة . وقد تسير العروس إلى الحمام بغير أبهة أحياناً تقليلاً لمصاريف الاحتفال وتكون الزفة إلى منزل العريس فقط . وزفة العروس كالزفة السابقة تماماً . وتتناول العروس الفطور مع حاشيتها ثم تبدأ الزفة بعد الظهر ، فتسير ببطء وانتظام كزفة الحمام سيراً طويلاً خلال الشوارع الرئيسية لأجل العرض ولو كان منزل العريس قريباً . وقد تدوم الزفة ثلاث ساعات أو أكثر عادة . وقد يتظاهر أمام الزفة مبارزان لا يلبسان غير السراويل ، أو يتضارب فلاحان بالنبوت أو بغيره . وترحب العائلات الموسرة بمن يجهد لتسلية المتفرجين بحيلهم وألعابهم العجيبة أثناء زفة العروس ، وتقدم إليهم هدايا جميلة[1] . وحينما زوج السيد عمر نقيب الأشراف الذي كان الوسيلة الكبرى لبلوغ محمد علي ولاية مصر ، بنته منذ حوالي خمس وأربعين سنة سار أمام الزفة شاب قد شق بطنه وأخرج أمعاءه على صينية من الفضة ، ثم أعادها إلى موضعها بعد الزفة ولزم السرير عدة أيام قبل أن يشفى من آثار هذا الجنون الكريه . وضرب آخر ذراعه بسيفه أمام المتفرجين ثم شد جرحه قبل أن يخرج السلاح بضمة مناديل تشربت بالدم . وقد وصف لي هذه الألعاب شاهد عيان . وهناك مشهد أكثر غرابة وأشد إثارة للاشمئزاز لا يقل شيوعاً في هذه المناسبات عادة إلا أنه يندر أن يشاهد الآن[2] . وقد يعرض الحواة أيضاً حيلاً مختلفة إلا أن أكثر الألعاب تكون تقليداً للمعارك . وقد تعرض مثل هذه الألعاب في الاحتفال بختان، وقد تسير في الزفة العظيمة عدة عربات يركبها صناع وتجار من مختلف الفنون والحرف المارسة في العاصمة يمثلون أعمالهم العادية . ويوجد في إحدى العربات بعض الرجال يصنعون القهوة ويقدمونها إلى المتفرجين أحياناً ، وفي عربة أخرى يجلس بعض الموسيقيين ، وفي عربة ثالثة بعض العوالم . وتركب العروس في مثل هذه الزفة عربة أوربية مقفلة ، ولكن كثيراً ما تركب العروس وقريباتها وصديقاتها

(١) وأكثر ما يشاهد في هذا الوقت العمل الشاق الذي يقوم به سقاء يطلق عليه لقب (قيم) ، ليحصل على هدية ولقب زهيد . فيحمل قربة ثقيلة تملأ رملا وماء أطول وقت دون أن يستريح بالقعود إلا إذا حبا . وقد شاهدت أخيراً في زفة عرس قيا يحمل قربة من الرمل والماء تزن أكثر من قنطارين ، ابتداء من غروب اليوم السابق قبل الزفة وأثناءها حتى الغروب

(٢) وقد وصفه «بركهاردت» وصفا صحيحا في كتابه «الأمثال العربية» (ص ١١٥ — ١١٦)

الحبير فوق البراذع المرتفعة ، ويتقدمهن الموسيقيون والمغنيات ويتلوهن فرق أخرى فى نهاية الزفة

وتؤدب للعروس ورفيقاتها مأدبة عند بلوغهم منزل العريس ، وسرعان ما تنصرف الصديقات وتبقى أم العروس وأختها وحدها معها أو إحدى قريباتها الأخريات وامرأة أخرى تكون (البلانة) عادة ، وتسمى الليلة التالية (ليلة الدخلة)

ويبقى العريس فى الدور الأسفل ، ويذهب قبل الغروب إلى الحمام فيغير ملابسه وقد يغيرها فى المنزل ؛ وبعد أن يتناول وجبة العشاء مع بعض أصدقائه ينتظر قليلاً إلى قبيل الصلاة أو إلى مربع من الليل ، ثم يذهب حينئذ ـ حسب العادة الشائعة ـ إلى أحد المساجد المشهورة مثل مسجد الحسين لإقامة الصلاة ؛ وتقام له بهذه المناسبة زفة إذا كان شاباً ، فيتوجه إلى المسجد مصبوقاً بفرقة من طبالين وزمار أو زمارين ، ويصحبه بعض أصدقائه وحاملى المشاعل : والمشعل عبارة عن عصا طويلة ينتهى طرفها الأعلى بإطار إسطوانى من الحديد يوضع فيه خشب مشتعل ؛ وقد يكون لها أكثر من وعاء واحد للنار (أنظر شكل ٤٨) ،



(شكل ٤٨) مشاعل

وتسير الجماعة إلى المسجد عادة بخطى سريعة ونظام قليل ، وتختم الزفة فرقة موسيقية كالأولى أو فرقة طبالين . ويلبس العريس عادة قفطاناً ذا خطوط حمراء وجبة حمراء ويتم بشال من الكشمير باللون نفسه ، ويمشى بين صديقين فى مثل ثيابه . وتقام الصلاة للاحتفال فقط ، وفى أكثر الأحيان لا يصلى العريس مطلقاً ، أو يصلى من غير وضوء مثل المماليك الذين يقيمون صلاتهم خوفاً من سادتهم فقط[1] . وتعود الزفة من المسجد فى نظام أتم وأبهة أعظم وبطء شديد . وربما كان سبب ذلك أنه لا يليق بالعريس أن يسرع إلى المنزل ليحظى بعروسه . ويتقدم الزفة — كما سبق — موسيقيون وحاملو مشاعل ، يتبعهم رجلان يحملان على كتفيهما إطاراً معلقاً فى مذراة يتدلى منه عشرون فانوساً صغيرة أو أكثر مقسمة إلى أربع دوائر تعلو إحداها الأخرى ، ولا تثبت الدائرة العليا بحيث يستطيع أحد حاملى الإطار أن يديرها من حين لآخر . وينير لألاء هذه الفوانيس والمشاعل الكثيرة الشوارع التى تمر فيها الزفة ، فتحدث تأثيراً جميلاً يستحق الاعتبار . ويتقدم العريس وأصحابه وغيرهم فى شكل حلقة مستطيلة متقابلين وفى يد كل منهم شمعة أو أكثر ، وأحياناً يحملون أغصاناً من شجر الحناء أو بعض الزهور عدا العريس وصديقيه على كل جانب ، وهم يمشون فى مؤخر الحلقة التى تشمل عشرين شخصاً أو أكثر . وكثيراً ما يقف الموكب برهة يغنى أثناءها أحد رجال الحلقة أو صبيانها أنشودة العرس ، ويقف أثناء ذلك دق الطبول ونغمات الزمار الحادة التى تبلغ مسامع العروس قبل وصول الزفة إلى المنزل بنصف ساعة أو أكثر . وينتهى الموكب كما سبق بفرقة موسيقية ثانية

هذه هى الطريقة الشائعة فى زفة العريس . وهناك طريقة أخرى أكثر اعتباراً تسمى (زفة ساداتى) يسير العريس فيها بين أصدقائه كالطريقة السابقة وبين حاملى المشاعل دون الموسيقيين ، ويستخدم مكان هؤلاء رجال يسمون لاحترافهم الغناء فى مثل هذه الأوقات (ولاد ليالى) ويتوجه العريس بين هذه الحاشية إلى المسجد . ثم يعود الموكب على مهل ويشرع المغنون فى الغناء أو إنشاد الموشحات فى مدح الرسول (صلعم) ويرتلون متعاقبين ما تيسر من القرآن بعد الوصول إلى المنزل ، ثم يقرأون جميعاً الفاتحة ، وينشد أحدهم بعد ذلك قصيدة فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ وأخيراً ينشد الجميع مرة أخرى الموشحات ويتناولون النقوط من العريس وأصدقائه

(يتبع) عدلى طاهر نور

(١) ومن هنا سميت هذه الصلاة « صلاة مماليكية » أو « صلاة المماليك »

برقة

للأستاذ عبد اللطيف النشار

ما بَرْقة تلك التي خَلَقَتْ لنا — شغلاً وشغلاً للهواجس في غد

تلك التي حمل ابن أوس همها — في بارع بادي الجمال مخلد

(أصبا الأصائل إن برقة مَنشد — تشكوا اختلافك بالهموم العوّد)

أم برقة أخرى وكم من برقة — أخفى تألقها اتساع الفدفد

قد كدت أنساها لطول تذكري — فضللت حتى كدت ألا أهتدي

(ياجارة الوادي) ولست بجارة — إن لم تردي عنه كيد المعتدي

ثأرُ السنوسيين لما ينسه — أهل العروبة واللسان الأمجد

جبّتْ عروبتنا عهوداً قبلها — ومضت حفائظنا وراء المسجد

مضت الألوف من السنين بما حوت

مما حمدناه وما لم نحمد

والآن يقرئُ بالسلام يمينَهم — ويسارَهم أبناء دين محمد

ولقد شهدت وأدمعي منهلة — أسراكمو، يا ليتني لم أشهد!

أمحالفون لغزو مصر عدوكم — وعدوّها وعدو أهل السؤدد

يا جارتا إن كنت غير مطيقة — إدراك ثأرك فاغضبي وتمردي

أنا لا ألوم على المساوئ أهلها — إن كنت لما تدركي فتجلدي

إني لأذكرها فأذكر شاعراً — (ظن الظنون فبات غير موسد)

•••

ماذا شهدت؟ شهدت أسمج مشهد

فتيان رومةَ في القميص الأسود

وأظنهم لا ينزعون سوادهم — لا بل يحك عليهمو بالمبرد

صدأ العقول كسا الجسوم بلونه — فمشوا عراة مشية المتبلد

فرحوا بأسرهمو فدان ألوفهم — في موكب الأسرى لفرد أوحد

لا بل همو اعتادوا المذلة قبلها — فبلادهم تعنو لرأي مفرد

متبجح جعل الصياح أداته — فسما على أكتاف شعب مُجهَد

لا تطلبوا من خاضع حربية — (صعب على الإنسان ما لم يعتد)

أمر الجنود بغزو مصر فأذعنوا — وأتوا إلى مصر بغير تردد

لا فاتحين ولا غزاة وإنما — أمروا فكانوا طوع أمر السيد

ووراءهم (عَرَبٌ) فوا أسفاهمُ — لِمَ يتبعون جيوش طاغ معتد؟

وإذا أردت عن الحروب نبوة — فانظر إلى الجندي ماذا يرتدي

الفاتحون، ثيابهم وحلاهمو — شهدت لهم بعقاب يوم مُرْصَد

شِعر أغصُّ به فذلكمو أخي — ولو أنه في نهجه لم يرشد

لو كنت من أبناء برقة ما خطت — رجلي إلى مصر وسيفي في يدي

هيا ادخلوها راكعين وسجداً — أنتم بمصر عند أقدس معبد

لو يشهد «المختار» أسرى برقة — لرثى لشعب في الهوان مبدد

سد يا حليف فكل فرد سيد — لكن شعبك ماله من سيد

لا ندعي لك عصمة في موقف — لا بل نقول لصاحب لا تبعد

طال الخلاف وما تزال بقية — منه ولكنا كرام المحتد

خانَ الوثائقَ والكتابةَ قومُنا — حرصاً على عهد لهم أو موعد

سادوا، وما سادوا بغير جدارة — ما ساد إلا كل سامي المقصد

عبد اللطيف النشار

« الرسالة »
في عيدها العاشر

[مهداة إلى « الرسالة » الحبيبة وإلى أقطابها الثلاثة : الزيات والعقاد وزكي مبارك ...]

للأستاذ أحمد أحمد العجمي

حيّ « الرسالة » واقبس من محيّاها
ما شئت من حسنها أو من حميّاها !!

رفّت على الشرق أندى من أزاهره
كأن من نفحات الخلد ريّاها

وأشرقت بشعاع الفكر ناضرة
تسبي القلوب وتجري في حناياها

حسناء أوفت على عشر ومن عجب
مرّ البرية لا يعدو ثناياها

ترجو العيون إذا أبصرن نضرتها
لو أنهن شفاه قبّلت فاها

مضى الزمان عليها وهي أغنية — فم الخلود ازدهى منها وغنّاها

تختال بالفن والآداب مترعة — كالنهر يضحك أعشاباً وأمواها

الفكر أدّبها ، والعقل هذّبها — والطبع حبّبها ، والحسن جلّاها

والشرق من وردها ريّان مقتبس — من نورها مستمد من سجاياها

تغدو عليه كأنفاس الربيع لها — في كل قلب معانيها ونجواها

وللحياة بجمال في صحائفها — كالنفس تزخر بالدنيا طواياها

لم يبق للكون سرّ بعد ما بعثت — شعاعها في الدنى يجلو خفاياها

رسالة النيل لا يبغي بها بدلاً
وهي « الرسالة » و« الزيات » أذاها

سمت إلى المجد والعلياء وصاحبها — أوفى على الغاية القصوى ووفّاها

في كلّ لفظ من « الزيات » أغنية
الشمع يعشقها والفكر يهواها

والفن في أدب « الزيات » موهبة — الحسن باكرها والسحر غاداها

مازال يهتف بالفصحى ويكلؤها — حتى غدا وهو حاميها ومولاها

أما « زكي » فلا والله ما خلقت — له الطبيعة أنداداً وأشباهاً !

أهفو إليه كأن النفس غارقة — في حبه ! وكأن الحب سلواها

حديثه ذو شجون سحرها عجب — ما رادها شاعر إلا تمنّاها

معنى جميل وأسلوب له صلة — بالموج في البحر : هدّاراً وتيّاها

لو أن بالخمر معنى من سلاسته — لباعت الناس بالأقداح دنياها !

وسائلوني عن « العقاد » إن له — نفساً تفيض المعاني من زواياها

أضفى من الكون تختال الحياة بها
بالشعر والحب والدنيا ومغزاها

له عليّ أيادٍ ليس يعرفها ! — ولست أجهلها بل لست أنساها

ديوانه قبلتي ألقى الحياة بها — حسناء بالحب تلقاني وألقاها

مرآة نفس جمال الكون رقرقها
وسرّ روح لسان الدهر ناجاها

أقسمت أنك يا عقاد معجزة
هيهات يدري ضمير الكون معناها

آمنت بالشعر يا عقاد في بلد — غلّ العمى مقلتيها ثم غشّاها

للجهل فيها دواوين وأروقة — تدعى المدارس حيّ الله مبناها !

آمنت بالشعر والدنيا تضيق به — وطالما أضحك الدنيا وأبكاها

أنا - ويا ويح من تجني عليه أنا - — كزهرة الجبل العالي وريّاها !

يضوع منها الشذى لكن يضيع سدى
مع الرياح وما تدري بسلواها

حسبي من الدهر أن أحيا بعاطفة — مماتها في سبيل الشعر محياها !

(كوم النور) أحمد أحمد العجمي



ليـــلة عيد الميلاد

للكاتب الإنجليزى « نيوروز هو »

بقـــلم الأستاذ كامل يوسف

— ١ —

طاب للناس الهدنة من أحزانهم ليلة ٢٥ ديسمبر سنة ١٩١٧ وراحوا يحيون ذكرى ميلاد « السيد المسيح » ، فأنيرت الثريات الملونة، وأوقدت شموع شجرة الميلاد فى كل دار، وتدفق الشراب فى أجواف الناس ، حتى أصبحوا لا يشعرون إن كانوا يحملون فوق أكتافهم رؤساً أم أثقالاً . وامتلأت البطون بألذ وأنخر المآكل ، حتى خيل إليهم أنهـا تكاد تنفجر من فرط ما استقر فيها ، وتلمس كل المتع فمن مخاصر إلى مراقص إلى مناج إلى مختلس للقبلات . كان الناس على هذه الحالة من المرح والسرور ، وهم يقولون فى أنفسهم : « غداً سيكون الطوفان » فستحمل إليهم الأنباء ويلات الحرب التى نزلت بذويهم وفلذات أكبادهم ، وربما حملت إليهم هـذه الأنباء ، وأشفق ذوو الأمر من تبليغها حرمة لهذا العيد المقدس .

فى هذه الليلة تنبه شيطان من شياطين العالم الآخر على حركة مرح غير عادية فى الكوكب الأرضى ، واستغرب صدور ذلك من سكان الأرض وقال فى نفسه : « لعلهم لا يشعرون بما يجرى من ويلات ! » ولم يدر سبب ذلك فلجأ إلى زميل من زملائه يعبر له عن عجزه عن إدراك السبب ، وكان بجوارهما مفستو فليس كبير الأبالسة ينصت إليهما فقال لهما فى ابتسامة ساخرة : ألا تعلمون سر هذا المرح ؟ اليوم ذكرى ميلاد رب السلام ، فما أغبى الإنسان ! إنه ينسى مصائب الأجيال والأزمان ممثلة فى الحرب الأوربية الآن ويهلل فرحاً بهذا العيد !

فلما سمع الشيطانان ذلك قال أحدهما للآخر : ما دام الأمر كذلك فدعنا نمزح ونُضحك من الناس قليلاً هذه الليلة .

فأجابه الآخر : وأين نضحك وهنا مجال عملنا فى الضحك والاستهزاء ، وأشار بيده إلى جهنم . فقال الأول : حقاً إنه لمجال مُمله مِمل، وإنه لا يسرنى شىء أكثر من ذلك الرجل الذى يقال له فيدياس فقد قيل عنه إنه أخرج أحسن دمية عرفها التاريخ، ومن ذلك الرجل الذى يقال له « دافنشي » ، ومن ذلك الرجل العابس الذى كان يكره أمه كرهاً عميقاً وانفصل عنها ثم جمعتهما المصادفة فى موطننا العزيز أعنى به «شوبنهور» . ليس يضحكنى أكثر من هـذه الشخصيات الغريبة التى تبددت فى شخص امرأة جميلة ، رآها فيدياس فقال إنها أجمل مما صاغته يده ؛ ورآها دافنشى فاعترف بحقارة فنه تجاهها ؛ ورآها الرجل العابس شوبنهور فأقر بخطأ رأيه فى المرأة وعادت العلاقات بسببها مع أمه ، تلك المرأة المتحذلقة ، ورآها لويس الرابع عشر فأمر مدام بمبادور أن تكون خادمتها ، واستحت كيلوبطرة أن تظهر أمامها لئلا تفقد شهرتها التاريخية .

وكان هذا الشيطان مع حداثة عهده قديراً مبدعاً فى مخاطراته، وساخراً بارعاً فى أفعاله ؛ وكان زميله ينصت إليه بشوق ولذة ، فقال له وهو معجب : هيه يا بعلزبول ! فاستمر الأول يقول: تصور هذا الجمع من الجانين تظهر فى وسطهم حورية ! لقد كنت أتودد إلى كل واحد منهم على حدة حتى أدعه يثق بأنها أصبحت أسيرة هواه ، فإذا استقر هـذا الرأى فى ذهنه تحولت عنه إلى آخر ، ومثلت هذا الدور نفسه مع كل واحد ، وبذلك استفززت غيرتهم جميعاً فنشب بينهم الخصام . وسمعت شوبنهور يقول بعد ما قاسى الخيبة : « محال أن أنزل عن رأيى الذى ذكرته فى المرأة . إنها الخادعة الماكرة » وسمعته ينادى نيتشه : تعال يا بنى وهات معك سوطك لكى أتفاهم مع هذه المرأة الغريبة » فقد ضحكت كثيراً من حركات هذا الفيلسوف العصبية . وددت لو صورت نفسى على مثال كابه لكى أمزح معه ، ولكنى أشفقت على أعصابه . لقد كان يوماً جهلاً حقاً ظلت فيه أبحث عنك لكى تشهد هذا الفصل المضحك فلم أجدك ، فأين كنت ؟

— كنت مشغولاً بدعابة من نوع دعابتك . فقد هيأت لنيرون أن يشعل النار فى جهنم لتزيد فى لذته . فإذا استعد

لذلك ظهرتُ كالمارد فاستخزى وسكن جنونه . ولكنى فى الحق سئمت هذا المزاح وتاقت نفسى إلى شىء جديد .

فقال الشيطان الأول : وأنا كذلك أريد تجديداً .

ثم قال فرحاً كمن طرأ عليه خاطر جميل : دعنا نمزح ونسخر مع من فى الأرض الليلة ؟

— وهو كذلك . إنها لفكرة حسنة . دعنا نضحك من صخفهم هذه الليلة .

— ٢ —

فى مساء تلك الليلة اجتمعت الجموع فى كنيسة القديس بولس . وكانت الجموع خاشعة ، وقد اكتظت الكنيسة بالمصلين ، كل قد جاء يدعو الله أن يحفظ أهله من شرور هذه الحرب الطاحنة ؛ وكانت صلاة القداس يملؤها وقار وجلال لم يشهد من قبل ، وكانت قلوب المصلين تتجه إلى الذات العلية مخلصة صادقة فى دعواتها وصلواتها ؛ وظل هذا الجلال والصمت لا يقطعهما غير صوت الكاهن وأغانى الشمامسة ونغمات الأرغن حتى أتى دور الدعوات ، فأخذ الكاهن يتضرع إلى المولى عز وجل أن يزيل الكروب ، وكان يجد من مساعدة الشعب له ما يجعلهم يرددون بصوت يرن صداه فى قبة الكنيسة ومن أعماق القلوب « آمين يا رب . آمين يا رب » واستمر الكاهن فى توسله يقول : « وامنع الحروب والغلاء والفناء وسيف الأعداء » ، وقد توجهت القلوب بجملتها إلى الذات الإلهية بإخلاص أن يكشف عن الإنسان ذلك الكابوس الثقيل الذى لم يقاس أفظع منه . ومن منهم لا يتوجه بإخلاص إلى الله بهذه الضراعة وكلهم منكوب إما فى نسله أو فى ذوى قرباه ؟ لذلك كانت « آمين يا رب » تخرج من القلوب بحرارة صاعدة إلى عرش الملكوت فى ذلة الضعيف يطلب صنعاً من سيده .

فى هذه اللحظة الرهيبة كان المستر باترمان يردد هذه الدعوات وهو يقول فى دخيلة نفسه : « يا رب لا تسمح بإجابة هذه الضراعة لأن فيها خرابى بل خراب أمتنا العزيزة » ، وكان الشيطان الكبير يرافق زميله الصغير فى هذه الحفلة المقدسة . فلما سمعا المستر باترمان اقتربا منه وسمعا أمنيته فضحكا من هذه المهزلة الإنسانية الكبيرة وأرادا أن يعبثا بالمستر باترمان فرغب الشيطان الكبير أن يهوى الرجل على الأرض ، وكان عجوزاً فى السادسة والستين من عمره لا يقوى على الوقوف طويلاً أثناء القداس ؛ لذلك كان يستند على عصاه الأبنوسية ، وفى فترات السكون الشامل بين الضراعة والأخرى ، جاء الشيطان الكبير فزحزح العصا . فسقطت من يد الشيخ العجوز وأحدثت ضجة كبرى لفتت أنظار المصلين ، وانكفأ الشيخ على وجهه وكاد يسقط لولا أن تمالك نفسه ، ولما كان لا يقدر على الوقوف بدون العصا ، انحنى ليأتى بها ، ولكنه ما كاد يقبض عليها حتى خطر للشيطان الصغير أن يعبث به أيضاً فجذب العصا منه ثم تركها تهوى على الأرض فأحدثت مثل الضجة الأولى فى فترة السكون ، ولكن المستر باترمان أحكم فى المرة الثانية القبض عليها ووقف مستنداً إليها وهو يشعر بشىء من وخز الضمير علماً بأنه نتيجة أمنياته التى تخالف أمنيات المصلين

والمستر باترمان من أغنياء الإنجليز وصاحب مصانع الذخيرة والأطعمة المحفوظة ، وهو مع ذلك من أقطاب السياسة وله نفوذ كبير فى إدارة دفتها . لذلك لا تستغرب منه هذه الأمنيات السيئة ، إذ فى إبطال الحرب ضياع ثروته التى جمعها فى مواد سيكون مصيرها البوار . وهو ككل رجال السياسة يعمدون من توخى الصالح العام ، يوقعون الأمم فى شباك الحروب للغنم الذى يعود عليهم أو لخطر وهمى فى أذهانهم ، ويدفعون بملايين من أرواح البشر فى سبيل هذه الغايات المجرمة . وكان من سوء حظ البشرية أن نعتقد فى رجالها القداسة ، وكان المستر باترمان ككل سياسى يبرر موقفه المخزى بشتى العلل والنيات . لذلك كان يجيب على هذه الضراعات التى كانت تخرج من قلوب المصلين ومن صميم الإنسانية جمعاء ، بالتوسل للذات الإلهية ألا يجيبها لماذا ؟ لأن فى إجابتها وانتهاء الحروب ضياعاً لثروة أمة ممثلة فى ثروته تصبح بعدها فى ذل الإفلاس والانحطاط المالى

انتهت الصلاة وخرج باترمان وهو ما زال يشعر بوخز ضميره ، وقصد النادى وخرج وراءه الشيطانان ، وقال أكبرهما : لنتبعه حيثما يذهب ، ولنجعل منه متعة لأنفسنا الليلة . « فما كاد يدخل ردهة النادى حتى سمع أصواتاً عالية كان أصحابها فى مناقشة حادة ؛ فلما دخل القاعة وجد أعضاء النادى فى صخب وجدل فسأل

صديقه للمستر كونراد عن سر هذا الجدل ، فعلم منه أنهم يجادلون في محاصرة بلاد العدو . وهل هـذا العمل يكلف الحلفاء والإنجليز خاصة أكثر مما يربحون ، ولكن باترمان لم يكن صافي الذهن خلي البال حتى يدلي برأيه ، غير أنه سأل صديقه :

— وهل من جديد في الجو السياسي ؟

فأجابه : لا شيء غير ما نقلته إلينا التلغرافات الآن من أن البابا يناشد الدول المتحاربة وخاصة الحلفاء أن يكفوا عن القتال

وقد وجد باترمان مجالاً يخرج فيه عن صمته الذي لزمه منذ كان في الكنيسة فانفجر صائحاً :

— لقد ضايقنا هذا البابا بأمنياته ، فماذا يهمه من الحرب ؟ نحن الذين ضحينا بأبنائنا وأموالنا لنا الخيار في الكف عن الحرب أو الاستمرار فيها ؛ أما هو فماذا يهمه من الخسائر ؟ لقد انزوى هو ورجاله في معقل الفاتيكان ثم يريد أن يملي إرادته علينا . إن خير جواب على هـذا النداء أن نقابله بما قوبلت به نداءاته الأخرى بالإعراض والإغفال

فرد عليه صديقه المستر كونراد :

— أنت محق يا عزيزي باترمان . إن البابا لم تحترق يده في النار ليعرف ما هي النار . لذلك لا يمكنه أن يحكم على نزعاتنا ؛ وهو لم يناضل في هذا الميدان ؛ وهو وجنوده يسمنون من أكل أجود اللحوم وشرب أفخر الأنبذة . دع غواصة ألمانية تصيب أربعة منهم وهم يتنزهون في قارب — أقول أربعة فقط لا ملايين كما فجعنا نحن — وعندئذ يحق لنا الأخذ برأيه ونقول إنه جرب الأسى والحزن مثلنا ، وعندئذ لا يتمالك أن يصب غضبه وغضب الإله الذي ينوب عنه على هؤلاء السفلة الألمان

وكانت هذه الإجابة قد أرضت سياسينا فكسرت من حدة غضبه ، واطمأنت ثائرة نفسه فقال — هو كذلك — : أوعز إلى الصحف المحافظة أن تستخف بنداء البابا ، ولتدع الصحف الكنائسية تنادي بهذا الحلم الخيالي الذي يبدو جميلاً لأربابها أعني به الصلح والسلام

— وهو كذلك

وانصرف باترمان وخرج من النادي بعد أن وقف على تطورات الحالة السياسية وقصد فندق سيسل، وكان الفندق غاصاً بالناس تلك الليلة يحيون فيه عيد الميلاد ، ودخل المستر باترمان الفندق وخطا في ردهته الطويلة فلفت نظره في نهايتها ما حرك اهتمامه ، فدرج نحو هذا الشيء، وهو يقول في نفسه : « هل بعثت ؟ محال أن يكون ذلك ، فلسنا في عصر المعجزات ، إذن لا بد أن تكون قرينتها » ، وكلما اقترب ازداد يقيناً ، لأن ما رآه أمام ناظريه الآن ينبئ عن صلة القربى . فأمامه سيدتان كبراهما ذات جمال رائع وقامة كغصن البان ، وعيون هي موارد السحر ، وشعر هو الذهب الوهاج ، وسنٌّ في حدود الثلاثين ؛ والأخرى لا تقل عنها حسناً ، ولكنها أقصر قامة وأقل فتنة . وقد اقترب منهما باترمان وهو واثق من هذه القربى ، وشغل باله بها فلم يع شيئاً غيرها . ولما وقع نظره عليها شعر بتجاوب العاطفة في نفس تلك السيدة ؛ فقد بدا على ثغرها ابتسامة جميلة فهم منها الشيخ معنى الرضا . ولما اقترب منهما رفع قبعته وانحنى وحياهما : « مساء الخير يا سيداتي ! عيد ميلاد سعيد »

فأحنت الكبيرة رأسها قليلاً بكبرياء ، وأجابت هي وشقيقتها الصغيرة : « مساء الخير يا سيدي ، عيد ميلاد سعيد » . ولم يكن المستر باترمان يعرفهما من قبل ، ولكن دفعه إلى هذه التحية وجه الشبه الذي رآه والذي أراد تحقيقه . لذلك لم يلبث أن فاجأهما بهذا السؤال : « أليس سيدتاي من أسرة سوانسون » فأجابت الكبرى في رفق وعلى ثغرها ابتسامة مغرية : « كلا يا سيدي ، بل نحن من أسرة كلارك » . وكان ثغر الصغيرة يفتر عن ابتسامة خفيفة ، ولكن الشيخ لم يقنعه هذا الرد . وذهب إلى أنه لا بد أن يكون هناك صلة قديمة بين أسرة سوانسون وكلارك ، ولكنه لا يمكنه تحقيق ذلك وهو في طريق كل إنسان يدخل أو يخرج من الفندق . لذلك دعاهما للجلوس معه فلم يرفضا ، وكانتا فرحتين طروبتين ، وقصدا مكاناً قصياً بعيداً عن ضوضاء الأحاديث وصخب الراقصين ، ودعاهما إلى الشراب فلم يرفضا ، وكانت علامات السرور بادية على محياهما ، كما كان الشيخ مسروراً لهذه الملاقاة التي ذكرته بالماضي ... وكانوا كلما شربوا كثر ضحكهم وعلا صوتهم ؛ وكان الرائي يشاهد خصلتين من الشعر على فوديهما كأنهما قرنان ، ولم يفطن

لذلك الشيخ الذي أعماه السرور ، وقد حق للشيخ أن يسر ، فقد وجد شبهاً قوياً بين السيدة الكبرى وبين زوجته ، كان قد أحب في شبابه فتاة من طبقة النبلاء كانت آية الجمال في عصرها ، ثم تزوجها بعد جهد جهيد ولم تعش معه إلا عاماً ونصف عام ثم ماتت على أثر ولادتها الأولى . فقطع على نفسه عهداً منذ ذلك الحين أن يحفظ لها المودة ما دام حياً ، وقد بر بوعده ، وصرف عنايته إلى ابنه « جيمس » وغمره بحبه ، وجعل منه الذكرى الوحيدة لتلك الحبيبة الراحلة ... لذلك كان قرة عينه وحبة قلبه ، لا يألو جهداً في العناية بأمره ــ ولو كلفه ذلك كل ثروته ــ إخلاصاً لتلك الفتاة التي فتح لها قلبه لأول مرة ... وكان لجيمس تلك الطلعة الصبيحة التي كانت لوالدته ، وتلك النونة التي كانت في متوسط ذقنها ، فهو صورة منها . . . كان الشيخ الهرم يرى فيها مطالع السحر ... فلما وقع نظره في تلك الليلة على هاتين السيدتين ، انتعشت روحه ، لأن حبيبته تعود للحياة ثانية . . . وأشد ما جذبته تلك الطلعة نحوها لتصور الماضي البعيد المملوء بالأحلام السعيدة ... ذكر كيف ظفر بحبيبته وتذوق السعادة لأول مرة في حياته : ولكن الشقاء كان يسخر من هذه السعادة فلم يلبث أن انتزعها منه ... هذا الماضي البعيد يعود الآن ، وهو الذي جعله ينسى الحالة السياسية وما فيها من تطورات ومفاجآت ... كانت تشغل باله على الدوام ، وخاصة تلك الليلة .

لقد اعتقد تلك الليلة بالبعث ، وكان يقول في نفسه : لعلها تجهل في حاضرها شخصيتها السابقة ... وقد كذب هذا الوهم ما رآه من مهاها من أول نظرة إليه . . فهي هي إذن ، وسذاجتها في حديثها هي سذاجة حبيبته التي ورثها عنها ابنه « جيمس » معبوده الثاني بعد أمه ، وكان يود تلك اللحظة لو يحضر جيمس ليشاهد طلعة أمه -- أو على الأقل -- ليشاهد طلعة نسخة منها ، ولكن « جيمس » في ميادين الحرب ، قد تملكته النزعة الامبراطورية فأبى أن يخلد إلى السكينة في الوقت الذي تصوب سهام العدو إلى هدم امبراطورية أجداده ، فتطوع في الحرب برغم كل العراقيل التي وضعها والده في سبيله ... ولكن كان يسر الشيخ إذا علم أن الفرقة التي ينتسب إليها ابنه قد حازت انتصاراً على العدو ، وكان يعتقد أن الظفر قد تم بفضل حذق ابنه ، وكان يكثر من ترديد ظفر الفرقة التي يحارب فيها ابنه أمام أصدقائه ، وكان يقول لهم : وإلى حذق ابني يرجع الفضل ... وكان عند التحق ابنه بالجيش يخشى عليه عادية الردى ، ولكن بعد أن تدبر تاريخ حياته وما فيه من نكبات وفواجع ، استكثر على المقادير أن تختمها بفقده ، وأصبح يميل إلى اعتقاد أن المقادير رحيمة ، تكفر عما أصابته بهذه الحسنة ، وقد أغراه بهذا الوهم ما كان يصله من حين وآخر من سلامة ابنه من كل الأخطار ... !

في هذه اللحظة القدسية التي وجد فيها الشيخ نفسه بجوار حبيبته نسي العالم وما فيه من شرور ، وشعر بسمو روحه ولذة قدسية ، كأنها قد هبطت عليه من السماء . . . وكان يزيد هذا الشعور الروحي في داخله كلما فتح عينه فرأى صورة زوجته وحبيبته ، أو هي بذاتها ... ولم يكن هذا الشعور من فعل الخمر ، فإنه لم يكرع غير ثلاثة أكواب من الويسكي لم تحدث له أي جموح في الخيال ، بل هي على العكس قد زادت في انتباهه وذهبت بالغضب الذي كان طول هذا اليوم

وكان حديث الشيخ عادياً ، أو قل كان مقطوعاً ، وهل في مثل هذه اللحظة يجرى الحديث ؟ ... وكان معظم ما فاه به لا يخرج عن تعبيره عن غبطته وسروره وسعادته بتلك اللقيا ، وكانت الفتاتان لا تكلفان أنفسهما أكثر من الابتسامة رداً على تهنئاته . وقد أحدث سروره نوعاً من الذهول جعله في عزلة عما يحيط به ؛ حتى إنه لم يشعر بوجود خادم الفندق بجواره يقدم إليه شيئاً في صحن ، حتى نبهته كبرى الفتاتين ، فالتفت إلى الوراء فوجد الخادم ، فقدم إليه برقية وقرأ على الغلاف : في خدمة صاحب الجلالة الملك . . . ففهم أنها برقية حكومية ، وما كاد يفض الغلاف ويقرأ البرقية حتى أفاق من نشوته ، وأظلمت الدنيا في وجهه ، وأغمى عليه ... فتناولت الفتاة الكبرى البرقية وقرأتها ؛ فإذا فيها :

« الملازم الأول « جيمس باترمان » أصابته رصاصة قضت عليه . . . ! » (القيادة العامة)

وبعد أن عاد إلى حسه سمع صوتاً يردد : « يارب ، لا تسمح بإجابة هذه الضراعة ، لأن فيها خرابي ، بل خراب أمتنا العزيزة ! » وتلا ذلك ضحكات ملؤها السخرية والتهكم ... ففتح عينه ، فلم يجد مصدر هذا الصوت ، ولم يجد جليستيه ... ولكنه شعر بحفيف أشبه بحفيف الأجنحة أحدث تياراً شعر به !

كامل يوسف

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



10me Année No. 445

Lundi - 12 - 1 - 1942



بدل الاشتراك عن سنة

مصـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

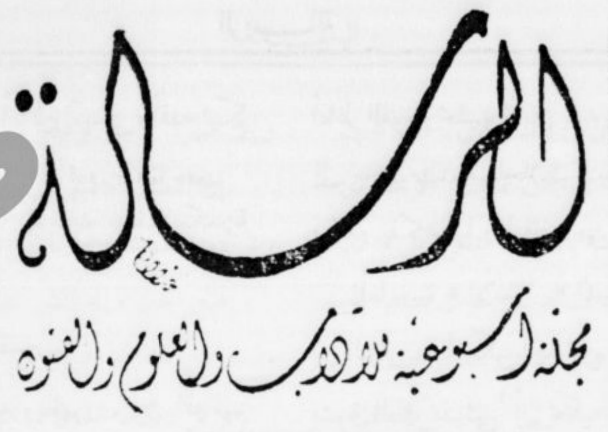
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الادارة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٤٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٥ ذو الحجة سنة ١٣٦٠ — الموافق ١٢ يناير سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـــــرس

صفحة

الطموح والتمنى

للأستاذ عباس محمود العقاد

« ... ولست أدرى ماذا تتصورون حتى أن تكون هناك علاقة بين الأدب وقيادة الجيوش. أو بينه وبين انجذاب أهل الطريق. ففى رأيى أن لا علاقة هناك إلا علاقة الطموح والرغبة فى نعم الشهرة المنعقدة فوق جبين الكثيرين ... فطموحكم من مطالع صباكم هو الذى حبب إليكم أن تكونوا شيخاً يحيط بكم ما كان يحيط بمشايخ حيكم من احترام وتبجيل فى بيئة كالتى نشأتم بها ، والتى يبدو لى أنها كانت شديدة التقوى كثيرة الاحتفاء بالدين ورجاله ، ثم تحولت الأنظار إلى الجيش المصرى والإنجليزى الهابطين من السودان وكثر الحديث عنهما وعن قوادهما فى بلدكم ، فتحولت « بوصلة » الطموح عندكم إلى هذا القطب الجديد . هذا رأيى الذى أظنه الصواب ، وقد جربت مثل ذلك بنفسى ، وتمنيت وأنا فى المدرسة الابتدائية أن أكون لاعب كرة يحيط بى من تصفيق الطلبة وإعجابهم ما يحيط بمشاهير اللاعبين . ثم تمنيت من أول دراستى الثانوية أن أكون محامياً وأنتم تعلمون شدة اهتمام الجمهور بقضايا عهد صدقى باشا السياسية .

« وفى انتظار تكرمكم بإبداء وجهة نظركم فى رأيى هذا

إما بكتاب خاص أو بمقال فى الرسالة ، أكرر تهنئتى وأقدم لكم الشكر والتقدير ... »

ادورد حنا سعد

إيرادات بلدية الاسكندرية

* * *

ورأيى أن الطموح تفسير وليس بتفسير .

فالناس يشتهرون بألوف الأشياء ويظهرون بين أقوامهم بكثير من المزايا التى تكفل لإصحابها الوجاهة وارتفاع الصوت والصيت : بالمال والمنصب والهيبة الدينية ، أو الدنيوية . وبالعلم على اختلاف أبوابه وتعدد مناحيه . وبالنبوغ فى الألعاب والفنون التى يدركها الجمهور بداهة أو يدركها محاكاة لمن هم أرفع منه فى المنزلة والمعرفة . وكلهم طامح وكلهم محقق لما تمناه من الطموح

فليس بتفسير أن يقال إن هذا الشاعر العظيم بلغ مكانه من الشهرة الشعرية لأنه طامح ، وأن هذا المهندس العظيم بلغ مكانه من الشهرة العلمية لأنه طامح ، وأن هذا الغنى العظيم بلغ مكانه من الثراء واليسار لأنه طامح . وأن كل عظيم طمح فاشتهر لأنه تعلق بالطموح

كلا . ليس هذا بتفسير فيما أرى

وليس هذا بالحقيقة فيما أعلم من شأن نفسى ، وفيما أعلم من شأن البواعث التى حفزتنى إلى معالجة « الدروشة » والكرامات الدينية ، وحفزتنى إلى قيادة الجيوش والغلبة فى القتال ، وحفزتنى حيث استقر بى المطاف إلى المضى فى طريق الأدب والكتابة دون كل طريق

فلو كانت المسألة طموحاً وتطلعاً إلى الحفاوة لكان الأولى بى أن أطمح إلى جمع المال والتوسع فى التجارة لأنها قبلة الأنظار فى بلد له فى التجارة تاريخ عريق حتى قيل إن اسم الإقليم مستمد من اسم السوق

بل لو كانت المسألة طموحاً إلى الحفاوة التى يلقاها رجال الدين لكان الأولى بى أن أطمح إلى مكانة القضاة الذين يخرجون بين الحراس والحجاب ويتقدمون على رجال الحكم ورجال الجيش حيثما اجتمعوا معاً فى مكان حافل أو مأدبة حكومية ، أو لكان الأولى بى أن أطمح إلى منزلة كمنزلة أستاذنا الفقيه الأديب الأستاذ أحمد الجداوى — رحمه الله — وكانت له حلقة دينية أدبية يتردد عليها أعاظم القوم ويجلسون بين يديه جلسة الخشوع والتوقير ، وكانت له إلى جانب ذلك مساجلات أدبية يحج إليها المعلمون والمتعلمون ، ويتندر بفكاهاتها وطرائفها من يدرسون ومن لا يدرسون

أما حياة « الأسرار » الدينية فلم تكن محل ظهور ولا وجاهة بين الناس ، ولم يكن أحد ممن يقتدى بهم فى هذا المجال على مظهر يشوق الطفل الناشئ أن يحكيه أو يعيش على غراره : مظهر مسكنة وحرمان وشظف وانقطاع

وأدل من هذا على خطأ التفسير بالطموح فى هذا الصدد أن الظهور وطلب الكرامات والأسرار نقيضان كما تنبئنا أول صفحة من أول كتاب فى مناقب الصالحين

فمن طلب الظهور فلا سبيل له إلى كرامة ولا نفاذ له إلى سر مكنون من أسرار القداسة والولاية

إنما تناول الكرامات والأسرار بالإعراض عن المظاهر والزهد فى الحفاوة ، وأن ننذر نفوسنا للفاقة والشظف والحرمان ، ونجنبها غواية الزهو والترف والإعلان . وهذه هى الأمنية التى تمنيتها لأننى تمنيت البحث عن الحقيقة والهيمنة من طريق معرفة الحقائق على ما حولى من قوانين الكون وعناصر الطبيعة

فالطموح كما قدمنا ليس بتفسير لطلب العظمة كائناً ما كان مجالها والغرض منها . فبعد الطموح يبقى لنا سؤال آخر عن علة طلب العظمة من هذا الطريق وعن التوفيق بين نوع العظمة المطلوبة ونوع المزاج النفسى الذى يطلبها ويؤثرها على غيرها

والطموح بعد ذلك ليس بالتفسير الصحيح فى الحالة الخاصة التى ذكرتها عن أمنيتى ؛ لأننى لم أطلب الظهور بل ضحيت به فى سبيل الحقيقة التى أصل منها إلى هيمنة لا ظهور فيها ؛ ولا يزال الظهور الشائع مفسدة لها وداعية إلى حبوطها

وما لنا ولهذا والأديب صاحب الخطاب يذكر حالة تنفى تعليل كل شىء بالطموح فيما ذهبنا إليه ؟

قال فى خطابه : « تمنيت وأنا فى المدرسة الابتدائية أن أكون لاعب كرة يحيط بى من تصفيق الطلبة وإعجابهم ما يحيط بمشاهير اللاعبين ... »

فليعلم الأديب صاحب الخطاب أن التصفيق لم يحط بلاعب

كرة كما كان يحيط بلاعبيها الأسوانيين فى ذلك الحين . فقد كانت العناية بالرياضة البدنية يومئذ فى إبانها ، وكان للجيش الإنجليزى بأسوان فرق مدربة تسترعى أنظار المدينة بأسرها ويتمنى كل طالب أن تتغلب فرقته المدرسية عليها . وكانت فرقة أسوان تسافر إلى إدفو وقنا وسوهاج وأسيوط لتلاعب هناك فرقة بعد فرقة وتعود من تلك البلاد غالبة أو مغلوبة يتطلع الزملاء إلى أخبارها كما يتطلع قراء الصحف إلى أنباء المعارك الحاسمة . ومع هذا كله فشلت مساعى المدرسين فى إغرائى بالانتظام فى فرقة الكرة أو الفرق الرياضية على اختلافها لنفورى منها . وظللت أتجنب وأفضل الحبس على حضور حصة الرياضة البدنية فى أوقاتها المفروضة علينا . ولم يستهونى الطموح ولا الشهرة ولا التصفيق إلى هذا الجانب المغرى لكل طالب. ولم أكن أفهم دهشة زملائى لرفضى دخول الفرقة وهم يتحرقون شوقاً إلى دخولها ويتمنون لو وهبوا تلك الصفات الجسدية التى جعلت المدرسين حريصين على ترشيحى لفرقة الكرة وكل فرقة رياضية

فليست المسألة يا صاحبى مسألة طموح وظهور . ولكنها مسألة شوق باطنى وجد مصرفه فى هذه الناحية أو تلك حتى استقر من الناحية الأدبية إلى قرار

ومن الواجب أن نربط بين النزعة الدينية والقيادة العسكرية والملكة الأدبية إذا أردنا أن ننفذ إلى خصة من خواص النفس البشرية التى تؤلف بين النقائض حتى تنتظم فى نسق واحد ، وهى كما تبدو على وجه الأمور غير قابلة للتناسق والائتلاف

وربط هذه الشعب المتفرقات واجب ها هنا لأن العلاقة بينها صحيحة متغلغلة ملموسة ؛ فلا بد من سبب اتصال بينها ، ولا بد من النفاذ إليه ، وليس النفاذ إليه بعسير

فالنزعة الدينيـة — نزعة الأسرار والهيمنة على العناصر الطبيعية — تلاقى البحث الأدبى من طرفين : أحدهما الاستطلاع والاستكناه وهو أصيل فى طلب الأسرار الدينية وأصيل فى طلب الأسرار الفكرية على الإجمال

أما الطرف الآخر فهو طرف إثبات النفس ، وهو فى جانب التدين سيطرة على أسرار الكون ، وفى جانب الأدب تعبير عن النفس وتوجيه للأفكار وامتلاك لناصية الحقائق ، وكلا الطرفين قريب من قريب

ولا صعوبة فى التوفيق بين التدين والقيادة العسكرية ، وإن ظهرا لأول وهلة كالنقيضين المتدابرين

إن النضال لعميق فى روح الدين لم تخل منه الأديان الأولى ولا أديان الكتب المنزلة التى يدين بها معظم الأمم اليوم

فإله الخير وإله الشر . أو إله النور وإله الظلمة . ما برحا متصارعين عند الجوسيين من أقدمين ومحدثين

وكل دين من أديان الكتب المنزلة يؤمن بالصراع بين الملائكة والشياطين . وبالحرب الدائمة بين جنود الله وجنود إبليس

وكل ساعة من ساعات الضمير فهى مصارعة ومغالبة قلما تنتهى بمنصر حاسم لجانب من الجانبين . وما هى حياة الضمير إن لم تكن حياة العراك والمقاومة والانتصار ؟ وما هى أسرار الكون إن لم تكن أسرار التجاذب والتدافع بين دواعيه ونواهيه ؟

فالنضال أصيل فى روح الدين

والتقاء التدين وطلب الغلبة وطلب التعبير فى فترة واحدة أو فترات متعددات فى النفس « المتطورة » ليس بالأمر الغريب ولا باللغز العسير التعليل

وكم أديب مناضل وجندى يحمل السلاح وهو غير مطبوع على النضال !

وقد تركت أمل القيادة العسكرية منذ الصبا الباكر ولكنى لم أتركه إلا فى الظاهر الذى لا يتعدى الملابس والأزياء

فما هو إلا أن أسلمتنى المناوشات الصبيانية إلى نظم الشعر للتحدى والمناجزة حتى انتقلت إلى عالم التعبير والكتابة وانتقلت إلى هذا العالم الأدبى لأناضل وأقضى العمر كله فى نضال باطن بينى وبين نفسى ونضال ظاهر بينى وبين الآخرين

فما الغرابة فى التوفيق بين هذه الأمانى ؟ وما الصعوبة فى هذا التوفيق ؟ وأيهما أسهل وأدنى إلى القبول : تعليل كل أمنية بالطموح وليس هو بالتعليل الشافى ولا بالتعليل الصحيح ، أو النظر إلى ما وراء الطموح من بواعث متقاربات تتلاقى عندها الظواهر المتباعدات ؟

الراحة الكبرى تنال على جسر من التعب كما قال أبو تمام ، والسهولة الكبرى فى تعليل الحقائق تنال بعد خطوات من السهولة العارضة على وجه الأمور . ولكنها بعد اجتياز هذه الخطوات أسهل من كل سهل قريب ، لأن هذا السهل القريب لا يؤدى إلى شىء ولا يستريح الواقف لديه .

عباس محمود العقاد

الصوم عن القاهرة
فى يوم العيــد

[رسالة مهداة إلى الأستاذ الزيات ،
وإلى من تعنيهم مكانة القلم البليغ]

للدكـتور زكى مبارك

كان من السنن الجميلة أن أقضى يوم العيد بين أهلى فى الريف وكان للعيد فى حياتى تأثير جميل : فقد كنت أسمع من أمى وخالاتى وعماتى دعوات أكاد أشهد صعودها إلى السماء

وما أذكر أنى قضيت العيد بعيداً عن أهلى إلا فى الأعوام التى قضيتها بين الاعتقال والاغتراب . ولله حكمة عالية فى ابتلاء القلوب بألوان من الضجر والضيق تؤهلها لإدراك بعض المجاهيل من بيداء الوجود

وفى صبيحة أحد الأعياد مضيت إلى « سنتريس » وأنا خلى الذهن من المفاجئات . فراعنى أن أرى أبى يجذب يدى فيقبلها بحرارة وشوق . وكنت أنا الذى يقبل يمناه فى جميع فرص اللقاء ولو أتيحت فى اليوم الواحد عشرات المرات ، فماذا فهمت من ذلك العطف الجديد ؟

قدرت أن أبى سيموت . وأنه لم يقبل يدى إلا إيذاناً بالوداع ، وأننى لن أراه فى مثل ذلك اليوم من السنة التالية ، وأن الدنيا لن تسمح بأن أرى العيد فى صحبة صديق كان غايةً فى صباحة الوجه ، وحصافة العقل ، وطهارة الوجدان . وهل رأت عيناى رجلاً أفضل من أبى ؟

وصفه المسيو دى كومنين لأحد محدثيه بهذا الوصف الطريف :

C'était un vieillard de chez nous

يرحمك الله ، يا أبى ! ويرحم أيامى فى رعاية قلبك الرفيق !

كان أبى يحبنى إلى حد الإسراف ، وكنت خليقاً بذلك الحب ، فما بات من أجلى ليلة واحدة وهو محزون أو مكروب . وهل جشمت أبى ما لا يطيق . أو فرضت عليه أن يحسب لمتاعبى أى حساب . مع أنه لم يمت إلا بعد أن تعرض كاهلى بحمل الألوف من المصاعب الثقال ؟

ثقل علىّ قضاء العيد فى الريف بعد موت أبى . فكيف كان العوض من ذلك الحرمان ؟

أشار أخ كريم بأن أزور قصر جلالة الملك يوم العيد لأقيد اسمى فى دفتر التشريفات . فماذا غنمت من تحقيق ذلك الاقتراح الجميل ؟

كنت أبكر قليلاً . لأسير فى شوارع القاهرة لحظات قبل أن أصل إلى قصر جلالة الملك . فعرفت من جمال القاهرة ما لم أكن أعرف . وما ظنكم بمدينة لا يستطيع العيد أن يزيدها جمالاً إلى جمال ؟

كان يروعنى أن أرى القاهرة لا تتأثر بالعيد . وكيف وجميع أيامها أعياد ؟

وهل يمكن أن تمر بأحد شوارع القاهرة فى أى وقت ، ثم تعود وأنت فى أمان من الفتون ؟

إنى أحسد من يرى القاهرة لأول مرة . أحسده وأحقد عليه ، فالبرغم منى أن يكون لى فى هواها شريك . ولو كان من أكابر أهل الوفاء

وأقول « أول مرة » لأنى أخشى أن يكون طول الإلف قلل من طرافتها فى عينى ، وإلا فكيف جاز أن يكون طوافى بشوارعها مقصوراً على أوقات الأعمال ؟ ألا تمر أسابيع فى أيام الإجازات بدون أن أستصبح بنورها الوهاج ؟

وأرجع فأدون أني كنت أصل إلى قصر جلالة الملك بعد أن أطوف بشوارع القاهرة لحظات ، فأرى القصر يموج بالمهنئين من الوزراء والقضاة والمحامين والنواب والشيوخ والأعيان ، وألتفت فأراني أستقبل كل قادم ، وأودع كل ذاهب ، كأننى فى دارى ، وأنتهب الفرصة فأدير المناقشات الأدبية والاجتماعية مع من أصادف هنالك من رجال القلوب والعقول ، ولا أنصرف إلا بعد أن أطمئن إلى أني عيدت على أكثر من أحب أن أراهم فى يوم العيد

وكان جلالة الملك رأى أن يخفف على شعبه الأمين تكاليف التشريفات ، فكان الوافدون على القصر للتهنئة لا يشعرون بالفروق الموروثة بين الطبقات ، وكان حظ أى زائر مماثلاً تمام المماثلة لحظ رئيس الوزراء

ثم ماذا ؟ ثم جاء هذا العيد بجديد لم ألتفت إليه من قبل

نظرت فى منهاج التشريفات فهالنى أن لم أجد فيه مكاناً لرجال القلم البليغ ، مع أن لرجال القلم نصيراً فى قصر جلالة الملك ، هو الرجل أحمد محمد حسنين ، وكان من لطائفه أن يراعى هذا الشأن الدقيق

مليكنا العظيم الشاب يسره أن يشهد جميع ما فى وطنه من القوى الحيوية ، وأعظم القوى فى مصر هى قوة القلم البليغ ، فكيف يصعب علينا أن نصافح جلالة الملك فى يوم العيد ، ونحن رسل الثقافة المصرية فى الشرق ؟

إن أقلامنا هى زينة الوطن فى أعوام النعماء ، وسناده فى أيام البأساء ، فكيف يحال بيننا وبين مصافحة رمز الوطن فى يوم العيد ؟

رجال الدين لهم فى التشريفات الملكية مكان ، وللوزراء والسفراء مكان ، ولكبار رجال الأعمال مكان ، فأين المكان المحفوظ لأقطاب القلم البليغ ؟

أعيذ القارئ أن يتوهم أنى أطالب بمغانم رسمية ، تغض من سمو المنزلة الأدبية ، فما نحن طلاب ظواهر ، وإنما نحن طلاب معانى ، والقصر هو الرمز المعنوى لروحانية هذه البلاد ، ونريد بصراحة أن يكون لنا فى ظلاله مكان ، باسم الفكر والبيان .

الأدب للأدب ...

ولهذا المعنى نطالب بأن يكون له فى التشريفات الملكية مكان

قد يقال إن حملة الأقلام فى مصر يعدون بالعشرات أو بالمئات ، ومن الصعب أن يوضع لهم نظام فى التشريفات .

وأجيب بأن من السهل أن يكتفى بالطبقة الأولى ، وأفرادها لا يحتاجون إلى تعريف ، ثم تكون هذه الطبقة رمزاً للقوة الأدبية فى التشريفات ، ليعرف رجال القلم أن حظهم غير ضائع فى هذه البلاد

كان متوسط ما يصدر عن المؤلفين المصريين اثنا عشر مجلداً فى كل يوم ، قبل أن ترتفع أثمان الورق ، فهل أقيم لجهودنا ميزان فى وزارة المعارف أو رياسة مجلس الوزراء ؟

واسم مصر يرتفع من يوم إلى يوم فى أقطار اللغة العربية بفضل القلم البليغ ، فهل جوزى حملة الأقلام على ذلك الجهاد ؟

نحن أغنياء بأقلامنا وأرواحنا عن ثناء الأمة المصرية ، ولكننا نشتهى أن تكون أمتنا غاية فى الوفاء ، وهو أشرف الخصال ، فهل تسمع أمتنا هذا الصوت ؟

شاءت المقادير أن تكون لمصر الزعامة الأدبية فى الأقطار العربية والإسلامية ، أفلا يكون من العيب أن يحفظ قدر القلم المصرى فى جميع الديار ، إلا الديار المصرية ؟

بأعصابنا ودمائنا غنمنا المعركة الأدبية ، بعد نضال حشدت فيه قوى كريمة تتمتع بالهواء الذى تنسمه ملك بنى أمية ، وملك بنى العباس .

ولن تنزع الراية الأدبية من أيدينا ، ولو عاد عهد الخلفاء فى قرطبة ودمشق وبغداد ، فإن شاء بنو الأعمام والأخوال أن يناضلونا من جديد فنحن على استعداد للنضال

وهل يحتاج بنو الأعمام والأخوال إلى مثل هذا الوعيد ؟

إن عطفهم مبذول بغير حساب ، ونحن لا نشكو غير تجنى الحكومة المصرية ، فهى لا تعترف للقلم بحق إلا إن كان صاحبه من السياسيين ، وسنؤلب جميع أدباء اللغة العربية على الحكومة المصرية ، فلتعرف هذه الحكومة أن صبرنا لن يطول على تجنيها الجميل !

* * *

أما بعد فقد عز على أن يحظى ناس بتقابلة جلالة الملك ، ثم لا يكون نصيبى غير كتابة اسمى فى دفتر التشريفات ، وأنا من فئة قليلة تحمل المصابيح لإنارة القلوب والعقول ، ولها فضل معروف أو مجهول فى بناء هذا الجيل

وكذلك قررت الصوم عن القاهرة فى هذا اليوم ، والصيام فى العيد حرام لا حلال ، فهل يغفر الله هذا الذنب الدميم ؟

المدينة الفاضـــلة

للدكتور جواد علي

والمدينة الفاضـلة هي أصغر مجموعة بشرية كاملة تصورها الفيسوف الفارابي فيلسوف المسلمين في كتابه : « آراء أهل المدينة الفاضلة »(١) وقد نعت مدينته هذه بهذا الاسم تميزها بذلك عن المدينة الجاهلية والمدينة الفاسقة والمدينة المتبدلة والمدينة الضالة وغيرها من المدن التي ابتكرها عقل الفارابي . وقد سجل أسماءها وخواصها في كتابه حيث ذكر خواص كل مدينة من هذه المدن وعلاماتها الفارقة وميولها من خير أو شر(٢)

وكتاب « آراء أهل المدينة الفاضلة » في ذاته نوع من أنواع الإيتوبيا (طوبى) Utopie أراد فيه مؤلفه الفيلسوف المعلم الثاني(٣) معالجة قضية من أشكل القضايا البشرية التي جابهها الإنسان ألا وهي قضية شكل الحكومة المثالية والنموذج الأعلى لنظام الحكم في هذا العالم كما فعل قبله الفيلسوف اليوناني الكبير أفلاطون في جمهوريته(٤) أو كما فعل المعلم الأول الفيلسوف أرسطو في سياسته(١) وكما فعل فيلسوف المسيحية الأول القديس أوغسطين في كتابه مملكة الإله أو De Civitate dei وكما عالج نفس هذه المشكلة فلاسفة آخرون من القدماء والمحدثين ممن كانوا قبل عصر الفارابي أو ممن جاءوا من بعده بقليل أو كثير

وآراء الفارابي في هذه المدينة تكاد تنطبق على عالم أهل السماء أكثر من انطباقها على عالم أهل الأرض . هو فيلسوف ينظر إلى الحقائق بنظرات مجردة تختلف كثيراً عن وجهة نظر السياسي المحترف أو الإداري العملي إلى الأمور . هو مفكر له مثله العليا ويريد تطبيق مثله هذه على جميع شؤون الحياة . وقد أصاب الهدف في جهات ولم يصبه في جهات أخرى . ولقد كان شأنه في مدينته هذه كشأن توماس الأكويني في شرحه لكتاب السياسة لأرسطو(٢) أو دانته الشاعر الإيطالي الفيلسوف في كتابه «المملكة» De monarchia(٣) . حاول أن يوفق بين آراء أفلاطون وأرسطو، وبين كتاب الجمهورية وبين كتاب السياسة، وبين الحاكم والمحكوم . فكان يرى الفارابي في الخير الخير العام وفي السعادة السعادة العامة للحكام والأتباع معاً(٤)

ويريد أن يوفق بين هذه الآراء وبين آرائه الشخصية ، وبين مقتضيات الزمن . ومقتضيات زمانه السياسية من أصعب الأشياء

(١) الطبعة التي نعتمد عليها في هذا الموضوع هي طبعة مطبعة النيل بمصر سنة ١٣٢٣ هـ

(٢) راجع آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٩٠

(٣) ابن خلكان ج ٢ ص ١٣٤ وأما المعلم الأول فهو أرسطو

(٤) راجع كذلك كتابه (Politeia) حيث تجد آراء أفلاطون السياسية فيه .

(١) هكذا يطلق عليه العرب راجع كتابه (Politik) السياسية

(٢) راجع Prof. voigt Die Somialen uto p. 54

(٣) Max horten die Philo des Islam p. 220 وكذلك Windelband Gech der Philo s, 265

(٤) Hitti history of the Arabs p. 371

أين أنا من القاهرة ؟ وأين القاهرة مني ؟

لقد سكنت الدنيـا من حولي ، ولم يبق غير الأصوات الصواخب في أعماق الوجدان

أهو يوم أضعته ؟ لا ، والله . بل هو عمر ضاع . فليس من رؤية القاهرة عوض ، ولو انتفعت بالاعتكاف لتسجيل أعظم حديث يجود به القلب الخفاق

وهل استوفيت حظي من الحياة حتى أسأل عن نصيبي من القاهرة في مثل هذا اليوم ؟

صمت عن القاهرة في يوم يحرم فيه الصيام . فما جزائي ؟

الجزاء هو الحرمان من رؤية وجهها الأصبح في يوم عيد ، وقد تجمعت الخلائق لشهود معترك الحسن والوجد في ساحتها الفيحاء ...

للقاهرة في كل يوم مذاق ، فكيف أصوم عنها في يوم العيد ، وهي فيه ألوان من الأذواق ؟ أمن أجل الغضب لقوم لا يغضبون لأنفسهم أصوم عن القاهرة في يوم عيد ، وهو فيها صنوف ، من الحسن الموصوف ؟

لقد ضحيت ما ضحيت لأغنم الثواب في التنويه بجمال بلادي ، فما ثوابي عند القاهرة ، وقد جعلت الصيام عنها في العيد من المحرمات ؟ الجواب عند روحها اللطيف .

زكي مبارك

إذ عليه أن يرضى حماته أصحاب الحل والعقد وإلا جلب على نفسه السخط والنقمة وعليه أن يرضى ضميره وضميره ضمير فيلسوف عالم لا يؤمن إلا بالعلم ولا يثق إلا بالعقل ، وهذا ما لا يرضى معظم الناس طبعاً

وقد اتبع الفارابي في معالجة ضروريات مدينته والدوافع الطبيعية التي تدفع الإنسان إلى الاجتماع طريقة الفلاسفة الطبيعيين مبتعداً في كثير من الأحايين ، وعلى الأخص في القسم الأخير من كتابه عن طريقة الفلاسفة المنطقيين[١] . تراه يشبه المدينة بجسم حي ثم يأخذ في شرح أهمية كل عضو من أعضاء هذه المدينة ، يفعل ذلك على نحو ما يفعل علماء الاجتماع في هذا اليوم[٢] ، ويتوصل من ذلك إلى نظرية يضعها هي نظرية التفاوت بين قابليات الأفراد وبين قابليات العناصر البشرية وبين قابليات الحكام والأتباع[٣] . وهي نظرية عامة يطبقها حتى على المعايير الأخلاقية والقواعد الأدبية والاجتماعية

يترأس مدينة الفارابي رئيس لا يرؤسه إنسان آخر أصلاً هو الإمام ، وهو الرئيس الأول للمدينة الفاضلة ، وهو رئيس الأمة الفاضلة ، وهو رئيس المعمورة من الأرض كلها ، ولا يمكن أن تصير هذه الحال إلا لمن اجتمعت فيه بالطبع اثنتا عشرة خصلة قد فطر ذلك الرئيس عليها[٤] . واجتماع هذه الخصال كلها في إنسان واحد عسر ، لذلك لا يوجد من حظى بهذه الفطرة إلا الواحد بعد الواحد والأقل من الناس[٥] . فإذا اجتمعت الحكمة في شخص والصفات الأخرى في شخص كانا هما رأسين في هذه المدينة ، فإذا تفرقت الخصال في جماعة وكانوا متلائمين كانوا هم الرؤساء الأفاضل[٦]

وللحكمة في هذه المملكة حظ عظيم كما هي في مملكة أفلاطون ؛ ولكن حكيم أفلاطون حكيم زمني لا يأتيه الوحي ولا يعتمد على إلهام من السماء ؛ أما حكيم الفارابي فهو حكيم مسلم بكل معنى الكلمة يمثل زمان الفارابي خير تمثيل ، يأتيه الوحي ويتنزل عليه الإلهام[١] ؛ وله سلطان واسع في الحكم لا حد له هو أفلاطون في ثوب رسول كريم[٢] . وفي هذه النقطة من البحث تجتمع العقلية الشرقية بالعقلية الغربية ، تجتمع وجهة نظر أفلاطون بالنسبة للفيلسوف الحكيم الحاكم بوجهة نظر الشرقيين ، وهي السيادة المطلقة التي هي من ضروريات الحكم لدى الشرقي ، وهنا تلتقي الفلسفة اليونانية بالفلسفة الإسلامية ، فيتكون من امتزاج الفكرين صورة جميلة على أحسن ما يكون

يظهر التأثير الإسبارطي واضحاً في جمهورية أفلاطون ، وفي « السياسة » لأرسطو ، وتظهر الروح الفردية بصورة جلية على الأخص في مملكة أفلاطون ؛ وفي آراء كل من الفيلسوفين انعكاس تام لآراء اليونانيين الخاصة بالنسبة لسياسة المدن حيث كانت حكومة المدن هي النموذج الأعلى لنظام الحكم لدى اليونانيين القدماء[٣] . أما في مملكة الفارابي فالمثل الروماني بالنسبة لطريقة الحكم هو المثل الأعلى إذ يسيطر الرئيس الذي افترضه الفارابي على المعمورة الفاضلة كلها ، وفي حالة تعذر وجوده يقوم رئيسان أو ثلاثة أو أربعة أو غير ذلك ممن توفرت فيهم شروط الرآسة الفطرية والقابليات الطبيعية بنظام الحكم على طريقة تشبه طريقة حكم المسلمين في أوائل عهدهم وإلا هلكت المملكة أو المدينة وتاهت البشرية[٤] . وإن تعذر وجود الرؤساء قام وكلاء عن الرؤساء بالأمر يدبرون شؤون الناس ويقومون بتنفيذ الأحكام والعدل بين الناس وتكون لهم سلطة عليا لا حد لها تستند على حق طبيعي شرعي افترضه العقل على الإنسان فرضاً

وعلى الرئيس الحاكم أن يسعى في جلب السعادة لأتباعه المرؤوسين ؛ ومتى حصل ذلك ، وكانت الخصال التي رآها الفارابي قد توفرت فيه كان ذلك الرئيس هو الرئيس الفاضل ، وكانت المدينة هي المدينة الفاضلة ولا يهم الفارابي بعد ذلك شكل الحكم إذ هو فيلسوف يفنى في السعادة ويرى الخير كل الخير فيها على

---

(١) راجع تاريخ الفلسفة في الاسلام ، تأليف دي بور ص ١٥٠
(٢) نفس المصدر ص ١٥٠ (ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة)
(٣) راجع ص ٨٠ ، ٩٦ ، ١٠٣ من كتاب آراء أهل المدينة
(٤) المدينة الفاضلة ص ٨٦
(٥) نفس المصدر ص ٨٨
(٦) ص ٨٩

---

(١) المدينة في بحث « القول في الوحي ورؤية الملك » وما بعد
(٢) دي بور « ترجمة أبو ريدة » ص ١٥١
(٣) Georg Lellinch. Allgemeine staatslehre p. 297
(٤) Haurt Geschichte der Ararber Bd. 2 p. 361

ثقافة فلسطين

عمر أمنا الأرض

للأستاذ خليل السالم

يجد الباحث البصير أن تاريخ أى علم من العلوم مملوء باللمعات الفنية والخطرات الثاقبة والإشراقات الذهنية والفكر الدقيقة التى تشبه الوحى ينزل من الملأ الأعلى على العالم أو المخترع أو المكتشف. وإن الباحث ليقف إزاء لحظات التجلى التى تمر بالعالم وقفة كلها دهشة وروعة وإعجاب ندر أن تتسنى له وهو يتفرس فى محاسن التمثال الخالد، أو يستشف مواطن الإبداع فى القصيدة الرائعة، أو يغيب وعيه فى الاستماع إلى قطعة موسيقية ساحرة

أنا لا أقول هذا اعتباطاً؛ وإنما أقوله عن اعتقاد جازم مكنه فى نفسى شعور من يوثق بأقوالهم وشعورى أنا الداخلى الصادق. تأخذ الاكتشافات العلمية بعضها برقاب بعض؛ فاكتشاف حقيقة بعينها يقود بقليل من التدبر والوعى إلى اكتشاف أو وضوح حقيقة أخرى لا تمت إلى الأولى بصلة سوى أن اكتشاف الأولى سبب فى اكتشاف الثانية. فالروعة إذاً كامنة فى نقطة الاتصال أو فى الطريقة التى تم بها اكتشاف تلك النقطة. وليسمح لى القارئ أن أدرس معه فى هذا الفصل القصير مشكلة عمر الأرض. فلا أشك أنه رأى — أو سيرى — الأرقام الكبيرة التى يزعم العلماء أنها عمر هذه الحسناء التى تنعم كل عام بالربيع الطلق والحيوية النابضة فى مختلف أعضائها، والتى لا تبدى من شيبها دليلاً على صدق أقوال العلماء. ولعل حيرة القارئ تزول بعض الشيء إذا عرف الطرق العبقرية التى تم بها انتزاع هذا العمر الطويل من فم الحسناء نفسها، ولعله يفهم أيضاً معنى تلك الإشراقات الذهنية التى أشرت إليها أولاً

سأل الناس منذ القدم عن عمر الإنسان على الأرض أو عمر الأرض فى الكون، فلم يجدوا جواباً شافياً. واحتال العلماء على الأرض لعلها تعترف بعمرها. ولكنها — كالعادة فى بنات جنسها — أبت إلا كتماناً وإصراراً على الكتمان حتى قيض الله لهالى Halley (عالم فلكى انجليزى) فى لحظة من لحظات الإلهام أن يستنطق المحيطات فتجيبه عن عمر الأرض. من كان يظن — قبل أن يقول هالى — أن ملوحة ماء البحر تكشف سر الأرض؟ وهل يرى القارئ بسهولة العلاقة بين عمر الأرض

نحو ما يذهب إليه المتصوفة وما ذهب إليه الفيلسوف أرسطو[1]

والرؤساء هم الذين يعينون شكل المدن ويهدون الناس إلى الصراط المستقيم. فإذا كان رؤساء المدينة أو الرئيس الأول من طبقة الحكماء الذين دأبهم الخير للمجتمع كانت المدينة فاضلة، وإذا كان دأب الرؤساء أو الرئيس الأول استغلال أهل المدينة والتحكم فى الناس كانت المدينة مدينة جاهلية أو ضالة أو متبدلة حسب المعاملة الغالبة التى تكون بين رؤساء هذه المدينة أو أبنائها. ويحاول الفارابى أن يضع العلامات الفارقة التى تبين شكل المدينة ولكنه لا يحاول أن يعين نوع الحكم ولا طريقة الحكم كما فعل القديس أوغسطين أو توماس الأكوينى أو توماس مور أو سنت سيمون أو غيرهم من الأيتوبيين[1]

لم يعتقد الفارابى بنظرية المساواة الاجتماعية ولم يتصور فى مدينته الفاضلة أية صورة للمساواة الاشتراكية التامة أو الناقصة سواء أكان ذلك بين أهل المدينة بصورة عامة أو بين طبقة معينة كما تصور ذلك أفلاطون. والفارابى فيلسوف عملي من هذه الناحية يرى التفاوت حتى فى درجات الفضيلة ينظر من جهة أخرى إلى ما يحتم عليه الوضع السياسى وآداب مجتمع ذلك العصر[2].

ميراد على

(١) Schmidt s, 42

(١) أحسن كتاب يجمع آراء هؤلاء، هو كتاب البروفسور فويكت Voigt وعنوانه Die Somialen utopien

(٢) راجع مجموعة الأستاذ ديتريس وعنوانها Dietrici, Philo. der Araber vol 14. Leyden 1895 Der musterstaat von Alfarabi Leyden 1900

وملوحة المحيط ؟ . . . إليك ذلك :

يتبخر الماء من المحيط دائماً ، ثم يعود إلى المحيط مع الأنهار الجارية . فبقليل من التساهل نستطيع أن نفرض أن مقدار الماء في المحيط ثابت ما دامت العودة إلى المحيط تتم بنفس السرعة التي يتبخر بها المـاء ؛ لا يهمنا هذا بقدر ما يهمنا أن نعلم أن ملوحة المحيط تزيد زيادة مطردة أثناء هذه العملية المستمرة . فالماء الذي يتبخر كما لا يخفى مقطر خال من الأملاح . أما المـاء الذي تحمله الأنهار . فيعود وقد ذاب فيه قدر ضئيل من الأملاح . فإذا عرفنا معدل الزيادة السنوية لملوحة ماء المحيط . استطعنا أن نعين بكثير من الدقة عدد السنين التي انقضت على استمرار هـذه الظاهرة الطبيعية ؛ وهكذا كان ، فإن الإحصاءات والدراسات الحديثة لمعدل الزيادة ومقدار الملوحة الحالية تبين لنا كما يقول جينز J. Jeans أن المحيطات تعود في عمرها إلى مئات من ملايين السنين

لم يرق للعلماء هذا الاعتراف ولم يخفف من غلواء جدلهم . فقد تكون الأرض قد كذبت عليهم وغررت بهم ، وكان أن اتسعت شقة الخلاف بين البيولوجيين والجيولوجيين من جهة ، وعلماء الطبيعة من جهة أخرى : أولئك يؤيدون وهؤلاء يكذبون . وحجة أولئك أن تلك المخلوقات التي تعنى بها الأرض وترعاها لا تبلغ هـذا الـكمال في نشوئها إلا في غضون أجل طويل سحيق في القدم . وحجة الآخرين أن الأرض لم تهرم بعد ، وهي تبرد من نفسها وفي كل عام تفقد من حرارتها وتخسر من نشاطها وحيويتها ؛ وإذا كان ما يقوله خصومهم صحيحاً فيجب أن تكون الأرض الآن جثة هامدة باردة الأطراف لا يعيش عليها حيوان ولا ينبت نبات . واحتدم الجدل واشتد النقاش ، والأرض صامتة لا تعي ، لاهية عما يبحثون، نشيطة في رياضتها وطفرها حول أمها الرءوم (الشمس) ولـكن جفرز H. Jefferys (عالم إنجليزي) رفع عينيه نحو السماء لعل عندها بعض الخبر ، ولحسن حظه وقوة عبقريته ونفاذ فـكرته وجد عند شقيق الأرض — عطارد — نبأ مهماً . ماذا لاحظ ؟ لاحظ أن مدار عطارد يكاد يقرب من الدائرة ، وانتقاله من الشكل الإهليلجي إلى ما يقرب من الشكل الدائري تم بفعل المواد المنتشرة في الفضاء التي تناثرت عقيب انفصال السيارات عن السديم الشمسي ، فقد كان عطارد لقربه من الشمس يصطدم بتلك المواد . فالمدة التي انقضت حتى بلغت المدة (٠,٢) هي عين المدة التي انقضت حتى فنت تلك المواد . فلو بقيت لتمت الاستدارة ، ولو فنت قبل أن تصل المدة مقدارها الحالي لما وصلته حتماً . وبموجب الحساب الدينامي وجد جفرز أن عمر الأرض أو عمر النظام الشمسي على الإطلاق ينحصر بين (١٠٠٠ — ١٠٠٠٠) مليون من السنين

لم يتأكد العلماء أيضاً من شهادة عطارد ، فعادوا ثانية إلى الأرض يقرأون في وجهها أخاديد الـكبر ويجسون نبضها ويفحصون قلبها الـكبير ، وكان أن قضى الله أمراً كان مفعولاً على يد العالم الطامة رسل Russell (عالم فـلكي أميركي) فقد وجد هذا عمر الأرض مسطوراً في مناجم الراديوم وغيره من العناصر المشعة . وفعـل الإشعاع هذا حجة دامغة ضد الذين قالوا بفتوة الأرض . فالأرض لا تبرد من نفسها كما كان يظن . ليس هذا فحسب ، وإنما هي تسخن بفعل هذا الإشعاع . فصار علماء الطبيعة مستعدين أن يقدروا للأرض عمراً لم يفرضه خصومهم من قبل

ما هي نقطة الاتصال بين إشعاع الراديوم وعمر الأرض ؟ يعلم كل مثقف أن عناصر الراديوم والثوريوم المشعة تتحول من عناصر ثقيلة إلى أخرى تكون أعدادها الذرية أقل من أعداد الأولى . ويجيء الرصاص مسكا لختام هذه السلسلة

ولحسن الحظ وجد أن الرصاص المتكون بفعل الإشعاع يختلف عن الرصاص العادي في أن وزن الأول الذري (٢٠٦) بينما الوزن الذري للثاني (٢٠٧,١٨) ، ومن هنا سهل التفريق بين النوعين . وفي مناجم الراديوم لا تجد اليورانيوم دون أن تجد معه الرصاص الذي تكون من إشعاع اليورانيوم . ولما كان معدل التحول من اليورانيوم إلى رصاص وهو (١ ٪) كل (٦٦)

مدينة طرابلس الغرب

للأديب مصطفى بعيو الطرابلسي

من بين المدن العديدة التي يتردد ذكرها في هذه الأيام على صفحات الجرائد « مدينة طرابلس الغرب » عاصمة الإقليم المعروف باسمها ومقر حكومة لبيا الإيطالية ، وهي مدينة إغريقية في اسمها ومعناه المدن الثلاث ، وهي « سبراتا Sabrata » ، وكان البربر يسمونها « زواغة » قبل أن يلقبها العرب « بصبرة » ، وهي اليوم تدعى « زوارة » ؛ ثم « أوا Oea » التي هي أويات في نظر البربر قبل أن يحرفها الرومان إلى اللفظ السابق عند استيلائهم على تلك البلاد ، وأخيراً « ليبدس Leptis » التي لم يبق منها إلا آثار متهدمة تشهد على عظمتها في سابق عهدها ، وقد حلت محلها اليوم مدينة « الخمس » العامرة ، وأصبح أهالي البلاد يطلقون اسم « لبدة » على تلك الأطلال الخربة

وجدير بالملاحظة أن كلمة « طرابلس » لم تكن معروفة حتى القرن الرابع (ق . م) عندما أطلقها الكتاب الرومانيون على تلك المدن الثلاث السابقة الذكر ، ولكن هذه الكلمة تغير مدلولها في العصر البيزنطي ، وأصبحت تطلق على « أوا » فقط دون غيرها . ولما جاء العرب استعملوها على هذا النحو ، إلا أنهم أضافوا إليها كلمة « الغرب » تمييزاً لهذه المدينة عن مدينة « طرابلس الشام » ، وكانوا يسمونها أحياناً « أطرابلس » بزيادة الهمزة في أولها . على أن صاحب القاموس قد ضبط اسمها بفتح الطاء وضم الباء واللام وجعل الهمزة من مميزات الشامية ، ولكن البكري والتيجاني وغيرهما يرون إلحاق الهمزة بمدينة « طرابلس الغرب » ، وهذا ما أرجحه لأن الأهالي إلى وقتنا هذا ما زالوا ينطقونها أحياناً بهذا الشكل

ويرجع تاريخ إنشاء مدينة « أوا » إلى أوائل القرن الخامس ق . م . ونظراً لحسن موقعها وصلاحية مرساها للسفن بسط الفينيقيون سيادتهم عليها حتى تم لهم السيطرة على البحر الأبيض

مليوناً من السنين معروفاً أصبح من السهل جداً أن نعرف عمر الأرض بمعرفة النسبة بين الرصاص واليورانيوم في منجم واحد . وقد قدر عمر النظام الشمسي بما لا يقل عن (١٣٠٠) مليون من السنين . وهو كما يلاحظ القارئ يتفق تمام الاتفاق مع ما قدره جفرز من قبل

وجاءت من السماء رسائل تؤيد هذا التاريخ حملتها الشهب والنيازك التي عجز الهواء المحيط بالكرة الأرضية أن يحرقها تماماً فسقطت جلاميد كبيرة على الأرض وأحدثت أغواراً عميقة كحفرة أرزونا مثلاً ، وفي كثير من هذه الجلاميد يلتقي عنصر الراديوم ونفايته وقد وجد أنه ليس بين الحجارة التي امتحنت مازاد عمره على (٢٩٠٠) مليون من السنين وما قل عن السن التي شهدت بها الصخور الأرضية

وكما أن لكل بداية نهاية فلا بد للأرض أن تهرم وتموت ، متى ؟ هذا بيد الله ، فربما لا يزيد هذا الزمن الذي يحير عقولنا ويشعرنا بعظمة الكون عن أن يكون لحظة قصيرة عابرة في مخيلة المهندس الأكبر وربما يكون المستقبل أرحب وأوسع بكثير من الماضي

وفي نفس الوقت الذي يكون القارئ لنفسه رأياً في هذه الأرقام الضخمة ، أرى أن أذكره بتلك اللمعات الفنية والإشراقات الذهنية التي تمر بذهن العالم ، وأن أشير عليه أيضاً بالتزود ما استطاع من الثقافة العلمية . ففي الأخيرة لذة وطرافة وقصص رائع لا تقل عما يلقى في غير العلم من ميادين الثقافة الواسعة

(تجهيز السلط) خليل السالم

(ب . ع .) من الدرجة الأولى في الرياضيات

المتوسط ؛ ثم ورثهم فى هذه السيطرة خلفاؤهم القرطاجنيون الذين أسلموها بدورهم إلى الرومان على أثر هزيمة قرطاجنة فى الحروب البونية خلال القرن الثانى ق . م . ويذكر لنا بروكوبيس Procopius أحد مؤرخى الرومان أن الوندال عند ما استولوا على مدينة أوا « طرابلس الحالية » هدموا أسوارها ، ولكن ليس هناك شك فى أن البيزنطيين قد أعادوا بناءها عند استرجاعهم لها فى عصر الإمبراطور جستنيان بدليل ما نراه من أثر التجديد البيزنطى فى بقايا الأسوار التى ما زالت إلى اليوم . ولكن هذه الأسوار لم تكن تامة الإحاطة بالمدينة من جهة البحر مما سهل على العرب فتحها على أيدى جنود عمرو بن العاص ؛ ولهم فى ذلك قصة ترويها كتب التاريخ تتلخص فى أن عمرو بن العاص قد ضرب حصاراً على المدينة من جهة البر وأقام يتحين الفرص للاستيلاء عليها حتى وافاه ذلك عندما خرجت جماعة من جنوده للصيد، فلما شعرت بوطأة الحر توجهت إلى البحر لتخفيف ما تشعر به ، وكانت المدينة تشرف على البحر مباشرة لا يفصلها عنه أى حاجز ؛ فوجد الجنود طريقاً إلى المدينة على أثر جزر البحر فتسللوا إلى داخلها . وكم كانت دهشة الرومان عظيمة عند ما سمعوا تهليل هؤلاء الجنود وتكبيرهم مما دفعهم إلى الاحتماء بسفنهم . وأبصر عمرو أصحابه فى جوف المدينة فأقبل بجيشه واستولى عليها بعد أن سهل عليه أصحابه تلك المهمة . وقد فطن العرب إلى هذا النقص فى تحصين المدينة فيما بعد مما دعا هرثمة بن أعين — والى المدينة من قبل الخلافة العباسية أن يعمل على إتمام هذه الأسوار من جهة البحر . وبدخول العرب لمدينة طرابلس دخلها الإسلام وانتشرت فيها اللغة العربية ولا تزال لغتها ولا يزال الإسلام دينها على رغم بعض المحاولات الفاشلة

وممـا تجب ملاحظته هنا أن المؤرخين قد اختلفوا فى تحديد زمن تبعية هذه المدينة للعرب ؛ فبعضهم يقول إن ذلك تم فى سنة ٢٢ هـ والبعض الآخر يقول إن ذلك كان فى سنة ٢٣ هـ ويمكننا التوفيق بين الطرفين مع عدم أهمية هذا الخلاف لبساطة الفارق الزمنى إذا اعتبرنا جزءاً من الحملة العربية على مصر قد توغل غرباً بعد فتح مصر حتى وصل مدينة طرابلس ثم تبعته بقية الحملة فى سنة ٢٣ هـ . والحقيقة التى لا مراء فيها أن مدينة طرابلس نفسها لم تخضع للعرب خضوعاً تاماً حتى سنة ٢٦ هـ عند ما حاول عقبة بن نافع التوغل فى أفريقية وفتحها ، فاتخذ منها قاعدة حربية لأعماله الجديدة وبقيت بها حامية عربية . وكان والى مصر هو فى نفس الوقت حاكما لمدينة طرابلس ، ولكنها سرعان ما انفصلت عن مصر عند ما عين عمرو بن العاص والى مصر ابن خالته عقبة ابن نافع بن عبد القيس الفهرى والياً عليها من قبله ، فكان بذلك أول ولاتها الذين لم تصلنا أسماؤهم بعد

وكانت مدينة طرابلس خلال القرن الثانى والثالث الهجريين ميداناً للقلاقل والفتن الدينية نتيجة لأعمال فرقة الأباضية إحدى فرق الخوارج التى وجدت لها أتباعاً بين قبائل البربر من هوارة وزناتة ؛ فأقلقوا بذلك بال الخلافة العباسية بهجومهم المتوالى على المدينة ومحاصرتهم لهـا . وكذلك كانت حالة طرابلس أثناء حكم بنى الأغلب مما سهل على العباس بن أحمد بن طولون والى مصر أن يغزو تلك المدينة بعد أن استولى على أقليم برقة واستطاع أن يتغلب على حاكمها محمد بن قرهب عند لبدة سنة ٢٥٥ هـ وحصره فى مدينة طرابلس ثلاثة وأربعين يوماً تمكن من بعدها أن يفك الحصار عن نفسه

وتبعاً لقيام الخلافة الفاطمية فى المغرب خضعت طرابلس لسلطانها ، وتولى حكمها أفراد من بنى خزرون الذين أسلموها إلى بنى حفص أصحاب اليد الطولى فى رخائها وتعميرها كما يحدثنا

بذلك التيجاني في رحلته عند ما زار المدينة سنة ١٣٠٨ م فيخبرنا بإقامة الحاكم في قصر بديع ربما كان القصر الحالي قد بني على أنقاضه . ويحدثنا عن طريقة حكم المدينة بواسطة مساعدة مجلس من شيوخ المدينة يتكون من عشرة أعضاء . ولا يخفى التيجاني إعجابه بحمامات المدينة ونظافتها وشوارعها الواسعة المنسقة التي يتلاقى معظمها بزوايا منتظمة . كما أعجبته آثارها ومسجدها الملقب بالجامع الأعظم . ومدرستها المسماة بالمستنصرية ، وأسوارها المحصنة بالأبراج والخنادق . والخلاصة أن الحياة كانت فيها كما وصفها لنا ناعمة مزدهرة . ولكن تنازع أفراد بني حفص على الحكم وانشغالهم عن الإصلاحات الضرورية جعل المدينة تأخذ في التدهور والضعف مما عرضها لهجمات أهل جنوا . إذ كان كثير من تجارها يترددون عليها ، فعرفوا نقط الضعف فيها ، ولم ينقذها من أيديهم إلا تلك الفدية التي قدمها لهم أبو العباس أحمد بن مكي صاحب قابس[1] وقدرها خمسون ألف مثقال من الذهب الخالص

وما كادت المدينة تسترجع أنفاسها بعد هذا الغزو الأجنبي حتى وقعت مرة أخرى في قبضة الإسبانيين سنة ١٥١٠ م الذين مكثوا فيها عشرين عاماً عاثوا فيها فساداً ولكنهم مع ذلك جددوا قصرها كما الذي ما زال محتفظاً ببعض شكله حتى يومنا هذا كما أصلحوا ما تهدم من أسوارها وبنوا الرصيف المعروف باسمهم في ميناء المدينة لرسو سفنهم واتخذوا منها قاعدة بحرية لمناكسة أعمال العثمانيين في البحر الأبيض المتوسط في ذلك الوقت . ثم انتقلت بعد ذلك إلى أيدي فرسان القديس يوحنا في جزيرة مالطة الذين بقوا فيها حتى سنة ١٥٥١ م بمساعدة شارل الخامس إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة رغم ما عانوه من هجمات ثوار العرب بمساعدة سكان البلاد الداخلية . وتروى لنا كتب التاريخ قصة طريفة عن مقدمات احتلال الأسبان لمدينة طرابلس ، وهي ولا شك أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة[2] وتتلخص في أن الأسطول الإسباني التجاري قدم إلى الميناء فأتى أحد أهالي المدينة واشترى جميع سلع المراكب ودفع لأصحابها الثمن فوراً ، ثم استضافهم رجل آخر في بيته بعد أن جهز لهم طعاماً فاخراً ، ولما أخرجه لهم أخذ ياقوتة ثمينة وسحقها ورشها على طعامهم فبهتوا لذلك الأمر ، ولما انتهوا من الطعام قدم لهم بطيخاً فطلبوا سكيناً لقطعها فلم توجد في داره تلك الآلة البسيطة الضرورية ولا عند جاره إلى أن خرجوا إلى السوق وأتوا بسكين . فلما رجع هؤلاء التجار إلى بلدهم سألهم ملكهم عن حال البلد التي قدموا منها . فقالوا : ما رأينا بلداً أكثر منها مالاً وأقل سلاحا وأعجز أهلاً عن مدافعة عدو . وحكوا له الحكايتين فتشجع بذلك وتأهب للاستيلاء عليها

على أن تفاقم استبداد الإسبانيين بأهالي مدينة طرابلس أجبرهم على الهجرة منها والالتجاء إلى مدينة « تاجوراء » ؛ ثم انتخبوا وفداً للذهاب إلى دار الخلافة العثمانية طالبين تخليصهم من أيدي الإسبانيين فأجاب السلطان سليم الأول طلبهم وأرسل معهم مراد بك أغا أحد أغوات الحرم الذي تمكن من تخليصها من أيدي الإسبانيين في ١٣ أغسطس سنة ١٥٥١ م بعد أن فر حاكمها إلى جزيرة مالطة . وبذلك أصبح مراد أغا حاكماً للمدينة وما زال مسجده الذي بناه في سنة ١٥٥٤ م في تاجوراء يحمل ذكراه إلى يومنا هذا . وعبثاً حاول الإسبان وشركاؤهم فرسان مالطة استرجاع المدينة . ولم تبق لهم طريقة ينتقمون بها من العثمانيين سوى انسلال مراكبهم إلى داخل الميناء ليلاً وإحراق السفن العثمانية

هكذا أصبحت طرابلس تحت الحكم العثماني يتولى شأنها ولاة يعينهم السلطان ، ولكن نظراً لبعد المدينة عن الحكومة المركزية في الاستانة وضعف خلفاء بني عثمان بمرور الزمن عمل الولاة على الانفصال عن الحكومة المركزية خصوصاً بعد أن اختلطوا بأهل البلاد . فنرى أحمد باشا القره مانلي يعلن استقلاله في سنة ١٧١١ م مؤسساً أسرة القره مانلية التي حكمت حتى سنة ١٨٣٥ م . وقد خلفت لنا هذه الأسرة الكريمة عدة آثار قيمة

---

(١) قابس : جنوب شرق تونس على خليج قابس

(٢) من بين هذه الكتب كتاب « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ، طبع نظارة المعارف العثمانية في سنة ١٣١٧ هـ لمؤلفه المرحوم أحمد بك الأنصاري الطرابلسي عضو مجلس « شهر أمانت » العثماني

تشهد بعظم شأنها وحسن حكمها ولا سيما أحمد باشا القره مانلى الذى حكم حوالى أربعة وثلاثين عاماً كانت بمثابة العصر الذهبى لتاريخ هذه المدينة، إذ استطاعت بسط نفوذها على داخل البلاد حتى فزان وحدود برقة شرقاً، وعمل على حفر قنوات لجلب المياه العذبة للمدينة من العيون القريبة، فضلاً عن حفره عيناً على الساحل لتزويد البحارة بالمياه العذبة، وهذا لا يعد شيئاً بجانب مسجده الذى شيده فى سنة ١٧٣٨ م، ومدرسته التى ما زالت عامرة بالطلبة حتى يومنا هذا تستمد نشاطها من الأوقاف المخصصة لها. وكان قصره ندوة لقناصل الدول لكسب صداقته. خصوصاً وأنه اتبع سياسة التسامح نحو المسيحيين فكثر عددهم فى المدينة فضلاً عن أنه أحسن معاملة بعثات الفرنسسكان. هذا قليل من كثير يشهد بحسن أعمال مؤسس هذا البيت، ولولا ضيق المقام لأتيت على باقى أعمال أفراد هذه الأسرة التى رفعت من شأن طرابلس وجعلت دول أوربا تخطب ودها نظراً لما كان لأسطولها من سطوة فى مياه البحر الأبيض المتوسط

ولولا ذلك الوباء الذى اكتسح المدينة على أثر مجاعة حلت بها سنة ١٧٨٤ — ١٧٨٥ م والذى قضى على أربعة عشر ألف نسمة من سكانها البالغين مائتي ألف؛ ولولا تلك المنازعات العائلية من أجل تولى الحكم والتي أفسحت المجال للتدخل الأجنبي؛ ولولا دسائس قنصل فرنسا وانجلترا لافتراس البلاد لبقيت طرابلس محتفظة باستقلالها وكيانها مدة أطول من تلك الفترة التي تمتعت بها ولكن كل هذه العوامل عجلت تداعى الكره مانلى مما ساعد تركيا على استعادة البلاد مرة ثانية يوم ٢٨ مايو سنة ١٨٣٥ م. وبابتداء ذلك التاريخ تبدأ صفحة جديدة فى تاريخ مدينة طرابلس الغرب حاول الأتراك خلالها إصلاح الحال ولكن الأجل لم يساعدهم على تحقيق ذلك إذ سرعان ما احتلت الجيوش الإيطالية تلك المدينة فى عصر يوم ٥ أكتوبر سنة ١٩١١ م على أثر إعلانها الحرب على تركيا

وبابتداء هذا التاريخ أيضاً تدخل مدينة طرابلس الغرب فى حياة جديدة أرجو التحدث عنها فى مقال آخر مع ذكر أهم آثارها ووصف موجز لبعض إحيائها وعادات أهلها وأشهر علمائها ورجالها

مصطفى بعيو الطرابلسى
كلية الآداب — القاهرة

الصحيفة المثـــالية

لرجل الصحافة « ويكهام استيد »

بقلم الأستاذ زين العابدين جمعة المحامي

حاولت فيما عرضته أن أوحي إلى القارئ بما يجب أن تتوفر الصحافة على خدمته من مثل أعلى . وأن أدله على ضوئه إلى ما كان من تقصير الصحافة البريطانية في أمره وبينا في نهجه وقصورها عنه . وبوسعي أن أتخيل صحفياً أثقله عمل لم يؤده إلا بجهد جاهد ودرى بما وصف فيه من أغلال وما نصب له من أشراك دراية جامعة وهو يحاورني عن علم وخبرة قائلا : « عفنا من عسير أمرك يا أخي[1] وترسل فيما يختال بخاطرك من نسج النظر ووهم الخيال ! » فأي نوع من الصحافة يسعك أن تبدعه إذا هيأوا لك الفرصة . وأطلقوا في الأمر يدك ؟

هبك كنت « توماس » بصحيفته (التربيون) ، أو « الفردهارموث » بصحيفته الضخمة (الديلي ميـل) ، أو « ليفي لوسن » بصحيفته (الديلي تلغراف) ، وقل لي لعمرك ماذا عساك صانعه — وأنت مقيد بقيود الصحافة الحاضرة — لتظفر بالحرية وطيب الحياة لصحافة أمست وهي تخضع خضوعاً كبيراً للاعتبارات التجارية ؟؟

أغلب ظني أنه حوار حكيم وسؤال عادل ، وقد يتأتى لي أن أجيبه إجابة نظرية عما سأل بقدر ما يشق علي أن أقارعه الحجة بالحجة من الوجهة العملية الناجحة وأضعها نصب عينيه حقيقة واقعة ؛ فهـذا شأن آخر له قدره وأثره . وليس يتوفر لجميع الصحفيين من البراعة وبسطة الكف ما يسعهم معه إنشاء صحيفة ؛ فقد كان « و . ت استيد » مثلاً صحفيا عبقريا ورئيس تحرير نابغا وهو إلى عبقريته ونبوغه قد أخفق إخفاقا محزنا في إخراج صحيفة يومية ، وإني على العموم لست قانعا بأني أملك لنفسي من الكفاية

(١) ترسل : تمهل ؛ والترسيل : التحقيق بلا عجلة

والأداة ما يسعني معه أن أطالع الناس بصحيفة يكتب لها النجاح من الوجهة التجارية ؛ كما وسع « جون » و « ولتر الثاني » صاحب (التيمس) ، وليفي لوشن صاحب (التلغراف) ، ويوسف بوليتزر صاحب (النيويورك ورلد) ، وأدولف أخ صاحب (النيويورك تيمس) ، والفرد هارمسورث صاحب (الديلي ميل) ؛ في مذاهبهم الخاصة وطرقهم المختلفة ، أو كما وسع « لورد بيفربروك » صاحب (الديلي اكسبرس) ، ولورد كامروز صاحب (الديلي تلغراف) . « السندي تيمس » من أصحاب الصحف الحاضرة . فجميع هؤلاء الرجال قد حققوا آمالهم وظفروا من « الصحافة » بمآربهم باعتبارها من المؤسسات الاستغلالية ؛ ولقد كان فريق منهم — وما زال بعضهم — من الصحفيين الأفذاذ

إلا أنه سواء لدي أكانت الصحافة استغلالاً خصيباً أم كانت مستراداً جديبا ما دمت لا أومن إيماناً تاما بأن ما يرجى للصحف من نجاح تجاري هو أفضل مقياس للصحافة الممتازة الطيبة . فصحيفة « ألوست مانشستر جازت » مثلاً ما تهيأ لها قط أن تعيش من غير أن تقترض ، ومع ذلك فأي صحافي يسعه أن يقول إنها لم تكن صحيفة فذة جديرة بالإعجاب . وما كانت صحيفة « المانشستر جازت » لتصبح يوما ما في ذاتها وبذاتها معقد رجاء أصحابها في أن تغدو منجماً ذهبيا وتثميراً رابحا ولكني إلى ذلك لا أرى لها من تفوقها الممتاز نظيراً في أي قطر كان

إن ما أنشده من مثل أعلى للصحافة لينطوي في تقصي واستيعاب نوع الصحيفة التي سيكون بوسعها أن توفق بين رسالتها المعنوية وما تترقبه من ثروة مادية من غير أن تضحي في هذا النهج الدقيق بشيء من النزاهة الصحفية والخلق القويم

وما إن يحفل خاطري بالآمال الحسان شأن غالبية الصحفيين حتى يتملكني العجب أحيانا ، وأسائل نفسي : أي نوع من الصحافة يجمل بي أن أخرجه للناس إذا ما اجتمع لي من الجنيهات مثلاً مليون أو يزيد ، وأطلق لي التصرف فيه . فكان بوسعي إما أن أبدعها صحيفة جديدة لنفسي ، أو تطلق يدي في صحيفة من

الصحف الحاضرة لأغير أسلوبها وأقوم نهجها وأجمل طابعها وفق ما أريد ؟؟ وهل يتيسر لصحيفة تثقلها تلك القيود التي يخضع لها الآن : « الإنتاج الصحفي » أن تحرر من أغلالها وترتفع فوق مستوى ما يقيدها أو ترجعه إلى الوضع الذي يسعها معه أن تسترد حرية الصحافة وتصونها ؟

الجواب عندي أن هذا الوضع هو ما يجب أن يكون ، ولو أني لا أنكر أن الرجل الذي يتهيأ له أن ينهض بهذا العمل قد يكون بحاجة إلى كفاية أسمى شأناً ومقدرة أبعد أفقاً مما يسعني أن أظفر به أو أطمع فيه ، وقد تعمل ضرورة الساعة على بعث هذا الرجل وقد لا تعمل . ففي الحرب العظمى كانت هنالك حاجة ملحة للبحث بين جيوش الحلفاء عن قائد حربي ذي رأي عبقري وكفاية فذة ليتولى أمر القيادة العامة ، وهبهم لم يعثروا بهذا الرجل أفكان ذلك أو لم يكن لأن الحالة آنئذ بلغت من التعقيد والإعجاز مبلغاً لا يسمح بالسيادة لأي رجل كان ؟؟

لقد أتيح لي في أوائل عام ١٩٢١ وقبل الذكرى المئوية لوفاة نابليون بأسابيع قليلة أن أسأل المارشال « فوش » (الذي عرف عن نابليون أكثر مما عرفه أي قائد آخر من قادة الحلفاء) عما إذا كان قد همس بضميره يوماً ما وهو القائد العام لقوات الحلفاء والجيوش المتحدة في أواخر الحرب العظمى الماضية أنه كان بوسع نابليون لو حل محله أن يكون أوفر منه كفاية وأحكم قيادة وأكثر توفيقاً أم كانت طبيعة الظروف الحديثة من شأنها أن تجعل من نابليون رجلاً أدنى قدراً وأقل شأناً . وقد أجابني « فوش » أنه كثيراً ما وجه لنفسه هذا السؤال بعينه إبان الحرب العظمى الماضية ووقتما كان يمر بقبر نابليون في « الأنفاليد » . وأن رأيه قد استقر آنئذ على أن ما امتاز به نابليون من البطولة الفذة والقلب الصارم في كفاحه ومن الكفاية الممتازة والبأس الصادق في الاضطلاع بالصعاب ومجالدة الأعداء كان من شأنه أن يمكنه من التسلط على الحرب الحديثة في قرابة الستة أسابيع . قائلاً : « وآنئذ كان يسع نابليون أن يضع لجيوشه خططاً وأساليب جديدة ويبدع للحرب فنوناً لا عهد لها بها من قبل ثم يعمل ما توفر له من عبقرية ودهاء في أن يضرب أعداءه وقد هالهم الفزع الضربة القاضية » .

وأغلب ظني أنه على هذا النهج بعينه يسع منشئ الصحيفة النابغ أن يسيطر على ما يصادفه من عقبات جسام في طريق إنشاء الصحف الحديثة سيطرة تامة تنعكس معها آية تلك العقبات فإذا هي فرص مواتية وصفقات رابحة . وإذا هو يحدق بأعدائه المناهضين لمشاريعه فيهزمهم هزيمة نكراء قبل أن يتنبهوا إليه ومن حيث لا يعلمون . وغالب الأمر من نجاحه أنه رهن كفايته في قراءة ما يجول برءوس أبناء الأجيال الناشئة والإفصاح لهم عما تحفل به رءوسهم من أفكارهم وتوجيههم إلى ما تطمح أنفسهم له وتنصرف أمانيهم إليه لو أنهم اهتدوا إلى سبيله .

ولعهد غير بعيد بعث كاتب برسالة لصحيفة « المانشستر جارديان » رثى فيها لحال أبناء هذا العصر لما يستبد بهم من شعور بحاجتهم إلى مثل أعلى يعيشون له أو يموتون في سبيله إذا دعتهم الحاجة إلى ذلك . وكان جماع رأيه أن حياتهم بحاجة إلى نصيب من الصفات الروحية والمقدمات المعنوية . ويغلب على ظني أن ما شكاه من أمرهم قد بني على أساس صحيح . فالناس قد اختلط عليهم الأمر وفترت عزائمهم وضلوا السبيل ، وهم — ولا سيما شبابهم — يزجون بأنفسهم في ميادين الخطر[1] ومسارح اللهو حيثما يكون أعظمهم مخاطرة أفضلهم شأناً . وكثير منهم عاملون على الاحتفاظ « بكفايتهم » لركوب هذه الأخطار . ولو أن قليلاً منهم يسعهم أن يجيبوا هذا الناشئ الموفور القوة على ما يسألهم عنه وقد تملكه العجب من احتفاظ الرياضي بكفايته من غير مران يعتصم به قائلاً : « لقد أنفقت جميع أوقاتي في الاحتفاظ بكفايتي . ولكن علام أحتفظ بهذه الكفاية ؟؟ »

لقد أصبح الكثير وهم من « هواة الطيران » الذين لا يهيبون أن تمزق أوصالهم وتتحطم رؤوسهم . أو ممن يتولون قيادة « سيارات السباق » لينبدفعوا بها في سرعة طياشة قاتلة . كما أصبح المتقدمون

(١) الخَطَر : السبق الذي يتراهن عليه . والاشراف على الهلاك .

فى السن منهم وهم يرقصون تلك الرقصة الشاقة المضنية المسماة برقصة « الجاز » أو يلتمسون الرياضة العقلية فى « حل الألغاز » . أما شأنهم فى الميادين الاجتماعية ونصيبهم منها فيا لهما من شأن موجع ونصيب منقوص . فهم بالاضافة إلى الشئون العامة ليس لهم من عقيدة تصدر عن تفكير رشيد . وهم لا يؤانسون فى التعلق « بالوطنية » بدورها مايشبع جل رغباتهم وإن كانت « الشيوعية » بالقياس إلى غيرها قد أمست وهى تجذب إليها قليلاً منهم . على حين أفل نجم داعى « الاشتراكية » — وهى صورة مخففة وطابع معتدل من الشيوعية — ففقد بريقه وضيع الافتتان به . وما برحت النازية أو الفاشية وهى أقل شأناً من أن تلفت أنظارهم إليها كعلاج ناجع لجميع الأدواء الاجتماعية . وهم إلى ذلك كله لم يظفروا من الإلمام بالمبادئ الحرة إلا بنصيب هو من قلة المحصول وضآلة الشأن بحيث لا يصلح لأن يكون وحيا للخاطر أو مصدراً للالهام . ولو أن غالبهم يميل إلى المبادئ الحرة ميلاً تقليديا لا يصدر عن خبرة صحيحة أو إدراك سليم . وهم وقد صارت تلك المبادئ التى ينادى دعاتها بوجوب صيانة السلام العالمى ويزعمون أن القضاء على الحرب أمر محبوب ميسور وهى أجنبية عن فطرتهم ، نجدهم ينفرون من الحرب ويشق عليهم أمرها . وهم يبحثون عن أشياء أجل من حياتهم شأناً وأعظم من أنفسهم قدراً يقفون عليها حياتهم وأنفسهم ولكنهم لا يملكون لها طولاً ولا يستطيعون إليها سبيلاً . وهم لم يظفروا من نتاج الأدب وخطب المنابر ومن سياسة الساسة وتشريع البرلمان ومن فلسفة الفلاسفة وعلم العلماء إلا بما هو كالسراب من الماء أو الحصباء التى لا تنفع أقواما يفتقرون حقيقة إلى الخبز . يضاف إلى ذلك كله أن انطباع الحياة بذلك الطابع الآلى المطرد الأسلوب من شأنه أن يفوت عليهم الفرصة فى الانتفاع بجهودهم وتجديد نشاطهم .

(البقية فى العدد القادم)

زين العابدين جمعة

التبعـــة والعقوبة

فى المجتمع البشرى القديم

للأســتاذ رفعة الحنبلى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

تبعة الطفل

إن أكثر الشرائع الأوربية الحديثة لا تحمل الطفل تبعة ما . لكن بعضها لا يبرئه منها ، وقد تختلف باختلاف رقي المجتمع ورفعة البيئة وتباين تباين التقاليد والعادات . فى انجلترا وروسيا مثلا لا يؤخذ الطفل بالتبعة إن أقدم على جريمة ما حتى العام السابع من عمره . والسنة الرابعة عشرة فى مقاطعتى « فو Vaud » السويسرية وفلوا Valois الفرنسية . والسادسة عشرة فى بلجيكا . أما فى فرنسا عام ١٨١٠ فقد حددت التبعة حتى السادسة عشرة . وأدخل عليها بعد ذلك تعديل آخر إلى أن تدنت إلى السابعة أو الثامنة ثم عدلها مجلس الأمة الفرنسى إلى العام الثالث عشر

والشرائع الإنكليزية الحديثة لها نصيبها فى إقرار هذه التبعة على الطفل . وإن قبلت الحكومة — تحت تأثير الرأى العام وبعض أصحاب الضمائر الحية من القضاة — مبدأ إعفائه منها إعفاء جزئياً أو كلياً أو تعديلها تعديلا يتلاءم مع الحياة الاجتماعية الإنكليزية ، إلا أنها أبقتها كمبدأ قد يعمل به من حين إلى آخر . فى عام ١٤٥٧ أخذ وليد له من العمر أربع سنوات بجريمة قتل ، وحكم على مراهق لم يتجاوز الاثنتى عشرة سنة بجريمة أيضاً ، وفتاة لم تشرف على ربيعها الثامن أخذت بالتبعة لإشعالها النار فى مسكن

على أن بعض الشرائع تحتم على الولد نفسه ، دون غيره ، أن يتحمل تبعة عمله ، والبعض الآخر تحمله وتحمل أسرته معاً ؛ وفى كلتا الحالتين لا ينجو الولد منها وإن كانت التبعة فى الثانية أخف وطأة عليه من الأولى

أما فى العهد القديم فالقانون الصينى لم يخل من تشريع غريب فى صدد هذه التبعة يتنافى مع التبعات الأخرى فى المجتمعات الثانية ؛ فالولد الذي يرتكب إثماً أو جرماً ولم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره — مثله مثل رجل جاوز السبعين من سنيه، أو شيخ فقد عيناً واحدة أو ذراعاً واحدة — يتمكن أن يستبدل المال بالإعدام إذا كانت الجناية ليست بذات أهمية — أى لا تستوجب الإعدام — ويكون المال حينئذ كفارة عن ذلك الإثم أو الجريمة ؛ أما الولد الذي يؤخذ بجريمة تستوجب الموت ولم يتجاوز العشر سنوات من عمره — فمثله كمثل رجل أربى على الثمانين . أو شيخ فقد عينيه أو ذراعيه — يسمح له أن يطلب عفواً خاصاً من جلالة الأمبراطور . والوليد الذى لم يتجاوز الربيع السابع من سنيه — مثله مثل صاحب التسعين — لا يتحمل أية تبعة ما وبالتالى لا يحكم بأية عقوبة إلا فى حالتى الخيانة والتمرد . فالولد فى هذه الحالة يؤخذ بالتبعة هو وأسرته ويتحملان العقوبة بمعنى أن كل أفراد أسرته الذين لم يتجاوزوا الخامسة عشرة من سنيهم . من كلا الجنسين ، يخضعون لعبودية ثقيلة قد تكون وبلا عليهم فى المستقبل . فالذكور منهم يرسلون إلى مستشفيات خاصة حيث يعقمون بينما الأناث يقضين بقية حياتهن فى خدمة المجتمع !

أما تبعة الوليد عند اليونانيين القدماء فتختلف باختلاف الحكومات القائمة فى ذلك العهد ؛ فحكومة أثينا ، تمشيا مع شريعة أرسطو ، طرحت جانباً تبعة الوليد وستنكرت معاقبته فى حال قيامه بإثم عرضى غير مقصود به أى ضرر . ولكنها تأخذه بجرمه إذا ما ارتكب جريمة قتل الإنسان Hommicide ؛ ولا تقر شريعة أفلاطون التبعة على الوليد الآثم . وهو فى أدوار الجنون والمرض والطفولة حتى فى حالة الخيانة والكفر والزندقة . ولكن أفلاطون استثنى حالة واحدة هى جريمة قتل الإنسان ؛ أما إذا قدر للولد أن يجرح مواطن له ، فإبعاد عام واحد عن البلاد ، وإن سولت له نفسه العودة قبل إتمام هذه المدة ، فسجن عامين كاملين ؛ أما حكومة أسبارطة فيبعد الوليد إلى خارج بلاده وإلى أمد بعيد أن ارتكب جريمة قتل دون قصد منه . وهذا الابعاد هو بمثابة انتقام خاص لعائلة القتيل وإرضاء رمزى لها ؛ وفى حالتي الخيانة والصبأ ، فالعقوبة تتناوله فوراً دون النظر إلى عمره ، وقد تتناول أسرته أيضاً .

ولا تقر الشرائع الجرمانية القديمة التبعة على وليد أخذ بسرقة ولكنها تأخذه بجريمة قتل وتحده ، وربما رأفت به وخففت العقوبة عنه ؛ وتحاكى هذه العقوبة الأحكام المقررة على الراشد الذى يقترف القتل عفواً .

يتبين مما تقدم أن التبعة تلازم الولد — منذ أقدم الأزمنة حتى الآن — ملازمة لا ينجو منها ، وإن فكرت بعض الأمم

فى تحقيقها ، لـكن البعض الآخر أخذ فى بداءة هذا القرن يجتهد فى إلغائها عن ولد لا يفقه معناها ، ولا يفهم النظم الاجتماعية لأن تجريمه هو بمثابة ظلم لا مسوغ له .

تبعة المجنون :

اختلف المشرعون الحديثون فى أهمية الدور الذى يقوم به المجنون فى المجتمع الانسانى وما يتركه من أثر قوى أو ضعيف فيه ، ولـكنهم أقروا — وإن اختلفوا فى الاجتهاد — مبدأ واحداً هو أن لا تبعة على المجنون وأنه معفى من العقوبة .

وماذا يراد بالجنون ؟ لقد عرفه الأستاذ « مرسيه Mercier » بأنه « اختلال فى أى عنصر من عناصر القوى العقلية ؛ وقد يكون هذا الاختلال تشويهاً أو توقفاً فى النمو أو انحلالاً والتواء فى عنصر من تلك العناصر » مما يجعل « الفرد غريباً عن الوسط الذى يعيش فيه . وقد يصطدم اصطداماً يضر به وبالمجموع معاً دون أن يدرك عاقبة عمله » . ويقول الأستاذ « مرسيه » أيضاً : « إن أكثر حالات الجنون سببها تسمم بطىء يؤدى إلى انحلال العرى بين المراكز العليا والمراكز السفلى ، ثم يؤدى إلى انحلال العناصر التى تكون تلك المراكز » وقد عرفت الشريعة المجنون « بالفرد الذى خرج عن قواه العقلية فلا يصحو إلا فى فترات نادرة أو لا يصحو أبداً » . وإذا كانت هذه وضعية المجنون المحزنة وعقليته القاصرة . فكيف أجاز المجتمع البشرى لنفسه أخذه بالتبعة والحكم عليه بالعقوبة ؟ ! ...

كان كثير من المجتمعات القديمة والحديثة ، تأخذ المجنون بالتبعة والعقوبة . ففى القرن الثامن عشر أصدر بعض قضاة فرنسا أحكاماً مختلفة على بعض المجانين ، فأثارت هذه الأحكام حفيظة نواب مجلس الأمة ، واحتفظ هذا المجلس ، بما له من سلطة تشريعية ، بتخفيف هذه العقوبة أو إلغائها ، ولـكنهم أقروا مبدأ التبعة والعقوبة فى حالة جريمة يرتكبها المجنون تتناول صاحب الجلالة أو أمراء الأسرة المالكة أو الرئيس الأول أو غيرهم من الزعماء كبار القادة .

والشريعة الصينية تميل بعض الميل إلى تخفيف التبعة عن المجنون وتعديل عقابه . فالجريمة التى تستوجب الاعدام يستعاض عنها بالسجن والتصفيد بالحديد عند عفو أهل القتيل عنه ، وإذا قدر للمجنون أن يجرح أباه ، فعلى هذا أن يبعث برسالة خاصة إلى صاحب الجلالة يتوسل فيها أن يعطف على ولده ، ويعفو عن خطيئته ويغفر له ذلته ؛ أما إذا قتل أباه فيؤخذ بالعقوبة وبأشد ما تكون قسوة وعنفاً حيث تقطع أوصاله وتحرق حتى ولو قضى نحبه قبل تنفيذ الحكم فيه .

وكان الرومانيون يعاملون المجنون معاملة القاصر — وهى تشبه إلى حد ما معاملة اليونانيين — ألا إنه قد يدفع فى بعض الأوقات مبلغاً من ماله أو قسماً من أملاكه يتناسب مع أهمية الجريمة التى ارتكبها . وفى نهاية القرن الثانى أصدر الامبراطور « مارك أوريل » Marc Aurèle وابنه الامبراطور « كومود » Commode قانوناً يبرئ فيه المجنون من التبعة ويرفع عنه التهمة ، وينقذه من العقوبة . وساندهم فى ذلك كبار المشرعين آنئذ ، وحجتهما أن الجنون بعينه هو عقوبة فى حد ذاتها ؛ أفلا يكفى المجنون عقوبة أن تكون الطبيعة قد حرمته من نعمة العقل . ولذة الفكر ، وسعادة الحياة ، حتى يزيده المجتمع شقاء بتجريمه وعقابه !! ... إن هذا لكثير على امرئ بائس مسكين ...

وهكذا نرى المجتمع البشرى يعاقب المجنون ويحمله التبعة ليس لأنه يتجاهل حالته العقلية والنفسية . ويتعامى عن وضيعته الشاذة المضطربة بل تمشياً لما جاء فى الشرائع من أن المجنون يؤخذ بالتبعة والعقوبة .

تبعة الأموات

لقد عرف المجتمع القديم هذه التبعة كما عرف غيرها من التبعات الأخرى التى تتناول الحيوان والبحار والنبات . وكان الاعتقاد السائد ، فى ذلك الزمن ، أن التبعة تتدول الميت نفسه باعتبار أن جثة المجرم عليها أن تتحمل العقوبة ، وعلى هذا الاعتبار أقروا مبدأ التنفيذ

ويذكر التاريخ لنا حوادث عديدة من هذا النوع الطريف ؛ ففى الهند يقطع رأس المجرم الميت ويحمل على الحراب ويسلخ جلده ؛ وفى اليونان تقطع أوصاله وتحرق ؛ وقد يحتفظ بجمة من شعره كذكرى لهذه العقوبة

ولا يؤخذ بهذه العقوبة إلا فى حالتين اثنتين : أولاهما فى حالة الانتحار ؛ وثانيتهما فى حالة ارتكاب جريمة تتناول الأمة والوطن . فالمنتحر يحكم وتنفذ العقوبة فى جثته ، فيسام إلى الجلاد حيث يصلب ويمثل به أشنع تمثيل ، ولا يحتفل بدفنه احتفالاً دينياً ، ويحرم من الرقود فى باطن الأرض بسلام

وعرفت الأمة المصرية هذا النوع من العقوبة أيضاً ، فكان المجرم — وهو الجثة الهامدة — يمثل أمام محكمة كهنوتية

Tribunal sa cerdotal فإذا أخذته بجرمه حكمت عليه حكماً يحاكى فى أصوله وفروعه الأحكام اليونانية ؛ وكذا الحال فى الأمة الفارسية فقد قطع الملك الفارسى Artaxerxès رأس أخيه Cyrus — وكان يناصبه العداء ويوثب الأمة عليه — ومثل فيه تمثيلاً فظيعاً بعد أن سقط فى إحدى المعارك قتيلاً

وعرف المجتمع اليونانى أيضاً أنواعاً كثيرة من هذه العقوبات فمنها ما ينتهى بالتمثيل بجثة المجرم وحرقها ، وما ينتهى بسحقها تحت الرحى وذرها فى البحر ، وما ينتهى بالحرم الدينى ورمي الجثة خارج البلاد وغيرها

والواقع أن مثل هذه العقوبات تدلنا دلالة واضحة على عقلية المشرعين الضيقة الذين لم يدركوا كل الادراك ما فى هذه العقوبات من إسفاف وسخف وتفكير عقيم

تبعة الحيوان

وكما أن التبعة والعقوبة كانتا تلازمان الانسان فى المجتمعات القديمة فهما تلازمان الحيوان أيضاً . فمن تقاليد قبيلة Kukis أن تأخذ بثأر أحد أفرادها إذا ما قتله نمر أو فهد وذلك بقتل الحيوان المفترس أو قتل آخر من فصيلته ؛ ومن تقاليد القبائل الساكنة فى جزيرة مدغشقر الاقتصاص والانتقام من التماسيح ؛ فأفراد قبيلة Antimerima التى تربطهم بالتماسيح رابطة الأخوة والصداقة — وهى التى وعدت وأقسمت ، حسب اعتقادهم ، ألا تأكل إخوانها من بنى الانسان — لا تتوانى عن معاقبة أحدها إذا حنث بيمينه أو رجع عن وعده

ينفر رئيس القبيلة أفراده ، ويوثب جماعته لأخذ الثأر من هذا الأخ الحيوان الذى لم يرع حرمة الأخوة والصداقة ، ويوحى هذا الثأر فى نفوسهم حب الانتقام منه ، ويشتد إضغانهم عليه ، فينهضون حالاً إلى ذلك النهر وعلى وجوههم أمارات الجرأة وعلامات البأس ، حتى إذا ما اقتربوا من ساحله المرمل ، ونزلوا بقبالة مسايله وخلجانه ، يتقدم رئيسهم بالشكوى المريرة إلى إخوانه التماسيح — تمشياً على الشريعة المقدسة — ويتبسط فى سرد الجريمة على مسمع منها ، ويتلوم القاتل على فعلتـه هذه ويتوعده — وهو الذى أقسم وعاهد ألا يفتك بأخيه الانسان — طالباً منها أن تسلم القاتل صباح الغد للاقتصاص منه ، ملقياً فى النهر شصاً كبيراً تتدلى منه قطعة كبيرة من اللحم حجمها قرابة من ربع بقرة ؛ ومن ينكفئ كل منهم إلى مسكنه ، وينصرف إلى نفسه يتوفر على الاستعداد للانتقام صباح الغد ؛ فالنساء يأخذن فى جدل الشرائط الحريرية ، والفتيات فى غزل خيوط القنب ، والرجال والأيفاع فى شحذ الأسنة والحراب والرماح

فما يكون الغد حتى يتوافد زمر الرجال والنساء ، وجموع الفتيان والفتيات إلى مضرب الزعيم يتشاورون معه فى كيفية المحاكمة ، وتساورونه فى طرق الانتقام ، حتى إذا جمعوا جموعهم واكتمل عددهم ، أخذوا سمتهم إلى ذلك النهر الهادر بأمواجه ، مكان الجريمة وموضع الاستغفار والتوبة

يتقدم الزعيم فيغمز الشص متربصاً بغريمه موالاة الفرصة ، وقد لا يطول ثواؤه حتى يظفر به ويهب بجماعته أن يساعدوه ويعاونوه . وما أن يظهر التمساح على سطح الماء حتى يأخذوه بالعنف والقسر ويبادرونه بالأهازيج والأغنيات رمز الظفر والغلبة ، ويتسابقون فى إحكام أربطة القنب والحبال على جميع أطرافه إحكاماً قوياً لا يستطيع معه حراكا . وبعد أن يتحلق القوم حوله يعمد رئيس القبيلة إلى التبسط فى الجريمة وإلقاء التبعة على هذا التمساح ، معتذراً إلى رجال القبيلة بمحاكمته والحكم عليه بالموت — باعتباره أخاً لهم — وما أن يحكم عليه حتى ينبرى القوم بغرز الأسنة والرماح فى بطنه إلى أن تقر حركته وتهدأ ثورته وتخمد أنفاسه . حينئذ تتقدم النساء بنزع الأربطة واستبدالها بأربطة حريرية ثم يزمله الرجال بالأكفان الناعمة بين عويل أولئك وبكاء هؤلاء حتى يوارى فى رمسه ، وهو رمس لو تعلم جميل ، أعد له ولأمثاله منذ أمد بعيد ، وذلك باحتفال دينى مهيب ...

وهكذا نرى أن هذا الحيوان السائم الذى لا يعرف ما ينفعه وما يضره يعاقب عقاب من يرتكب إثماً من بنى الإنسان ، ويحتفل به احتفالاً قد يقل نظيره لابن آدم ...

والمزدكيون التابعون لمذهب زرادشت Zoroaster يأخذون الحيوان بالتبعة والعقوبة فالكلب المسعور يعاقب بصلم أذنه اليمنى إذا افترس حملاً أو جرح رجلاً ، وتصلم أذنه اليسرى فى حالة الإعادة ، وإذا تعددت آثامه وشروره ففرضة فى رجله اليمنى واليسرى ثم يبتر ذنبه ؛ وبما أن مبادئ المزدكيين لا تسمح بتقطيع أوصال المجرم — إنساناً كان أو حيواناً — فالعقوبة لا تتعدى حدود ما ذكرنا

وقد تشمل التبعة والعقوبة صاحب الحيوان أيضاً ، وهـذا ما تأخذ به المجتمعات القديمة والحديثة ، فالشرائع القديمة كانت تحمل صاحب الحيوان ما يسببه هذا من ضرر وأذى ، وتحمله على

أداء تعويض مالى أو ترغمه على إعطاء عقار أو متاع يوازى قيمة الأضرار التى صدرت عنه ، والمجتمع العربى القديم كان يعرف هذه التبعة ويأخذ صاحب العجماء بها على اعتبار أنه هو وحده مسئول عن الإهمال أو بالأحرى عن الضرر الذي تأتى عن الحيوان ، فلو أن صاحب العجماء عقل الحيوان عقلاً تاماً ورعاه رعاية فيها كثير من الحذر واليقظة لما سبب إضراراً لهذا وأنزل خسائر بذاك ، بل ذهبت الأمة العربية فى الزمن الغابر إلى أبعد من هذا الحد ، فأخرت مبدأ شهادة الحيوان أمام القضاء ، فقد أورد مؤلف الأغانى قصة الشاعر « الحزين الديلى » الذي كثيراً ما كان ينصرف بمفرده إلى تعاطى الأشربة المحرمة فى ظاهر مكة ولا صديق يؤاكله ويشاربه إلا حماره الذى يحمله ما يحتاج إليه من آكل لذيذة وأشربة خمرية معتقة

أحب جماعة من أهله وأصحابه أخذه بهذا الإثم وإقامة الحد الشرعى عليه وكانوا يؤنبون فى كل مرة بفشل مرير ، ولم يكن لهم من طريقة أخرى إلا أخذ الحمار كقرينة على ارتكابه الإثم ، ولما مثل الشاعر أمام القاضى وسئل عن التهمة أنكرها ، فأراد القاضى أن يأخذ الحمار كقرينة على ارتكابه الإثم ، وأحب أن يحده الحد الشرعى . وما أن سمع الشاعر قولته حتى بادر القاضى بقوله : إنى أقبل هذا الحد — وإن لم يكن شرعياً — لكن أخوف ما أخافه أن يضحك منا أهل العراق ويتقولوا أن أهل مكة يأخذون بشهادة الحمير

والواقع أن الأخذ بمثل هذه القرينة هى بمثابة نوع من أنواع التبعة التى كانت تلازم الحيوان فيما مضى ، وهى أيضاً بمثابة رجوع العربى إلى المنطق القبلى الذى كان يأخذ الحيوان بالتبعة

أما فى العصر الحاضر فإن العرب لا يأخذون بهذه النظرية خلاف الأمم الأوربية التى تأخذ بها لا سيما فى الأجرام الجزائية . ففى الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ — ١٩٣٩ عمل الإنجليز بشهادة كلاب الأثر وفرضوا العقوبات الصارمة وطبقوا قانون الطوارىء الذى يقضى بالإعدام على كل من حمل سلاحاً ، إلا أن قضاة العرب لم يوافقوا على ذلك إذا عرضت عليهم قضايا من هذا النوع كما جرى مع أحد القضاة الذى رفض الأخذ بشهادة الكلاب كما ورد فى سياق حكمه

وجاءت الشريعة الإسلامية فهدمت ما أخذ به الجاهليون من هذه النظم ، وأقرت مبدأ التبعة على صاحب الحيوان فحسب ، وكذا الحال فى المجتمعات المتمدينة الحديثة التى تكون قد اتصلت بالحضارة الاسلامية وتفهمت شرائعها ونظمها فأقرت ما أقرت وهدمت ما هدمته

ويخبرنا أرسطو بأنه شاهد بنفسه ، فى أثينا ، محاكمة الحيوان المجرم فى محاكم خاصة ، وكثيراً ما كانت العقوبة تتناول قتل الحيوان وطرحه خارج حدود المدينة ؛ ويقول أفلاطون أن حيوان النقل Bête de Charge يؤخذ بالتبعة والعقوبة إذا أودى بحياة فرد خلال حالات خاصة كالاحتفالات الدينية والأعياد الوطنية ؛ وعقوبته إما القتل أو الاحراق

وهناك نوع من العقوبات الدينية . مصدرها الكنيسة الكاثوليكية ، تختلف عن بقية العقوبات اختلافاً كلياً تتناول الحيوان الوحشى دون الأليف باللعنة الدائمة والحرم الأبدى

تبعة النبات والجماد

وكما تقع العقوبة على الحيوان تقع أيضاً على النبات والجماد على حد سواء ، فقبائل Kukis تقتص من الشجرة إذا أودت بحياة أفرادها وقت وقوعها والاقتصاص منها إنما يكون بتقطيعها إرباً إرباً وسحقها سحقاً ناعماً وذرها فى الهواء ؛ وعند سكان استراليا يحرق سلاح القاتل

ويروى التاريخ أن أحد ملوك فارس جلد البحر عقب معركة بحرية هزم فيها ، وأن أمبراطور Cyrus بدد ماء نهر لأنه حال دون انتصاره على أخيه

وأخبرنا ديموستين الخطيب اليونانى الكبير أنه شاهد بنفسه محاكم خاصة صلاحيتها محاكمة الجماد دون غيره ، وحدث أن عائلة يونانية تسكن جزيرة Thasos رفعت الدعوى على تمثال بطل عظيم من أبطال اليونانيين لحادثة وقعت على أحد أفرادها من قطعة صغيرة منه ، إلى أن فازت بالحكم على التمثال وألقت به فى البحر

* * *

تلك هى التبعة والعقوبة فى المجتمع البشرى القديم التي أظهرت لنا حياة اجتماعية متأخرة ، وبيئة حقيرة ، وحضارة فقيرة وواضحت نظماً وقوانين قد لا يأخذ ببعضها أو بأجمعها المجتمع الحاضر وعادات وتقاليد قد لا يقرها أيضاً ، وإنما عالجنا هذا البحث لكى توقف القارىء العربى على درجة من درجات تفكير المجتمع القديم ومظهر من مظاهر الروابط الاجتماعية فيه

رفعة الجنبلى

* * *

مصدر هذا البحث :

١ — الأغانى
٢ — التبعة La Résponsobilité للعالم Fauconnet

٢١ - المصريون المحدثون

شمـــائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل السادس — عاداتهم

سرعان ما يترك العريس — بعد عودته من المسجد — أصدقاءه في الدور الأسفل ينعمون بتدخين الشبك واحتساء القهوة والأشربة . وتظل أم العروس وأختها أو غيرهما من قريباتها في الدور الأعلى بينما تكون هي والبلانة في غرفة منفصلة . وينبغي أن يبدى العريس الشاب بعض الحياء مثل العروس ؛ فيحمله لذلك أحد أصدقائه في بعض الطريق المؤدي إلى الحريم . وقد تجلى العروس إذا كانت من الطبقات الموسرة أمام العريس في ملابس مختلفة تصل إلى سبعة . وعلى العموم يرى العريس عروسه مع البلانة وحدها . فيمنحها عند دخوله الغرفة منحة فتنسحب في الحال . وتغطى العروس رأسها بشال لا يرفعه العريس قبل أن يهبها هبة مالية تسمى « كشف الوش[1] » بينما تظهر العروس في سبيل رفع الغطاء نفوراً وممانعة شديدة لتعبر عن خفرها البتولي . ويبسمل العريس عند كشف النقاب ثم يحيي العروس قائلاً : « ليـلة مباركة ! » فتجيبه إن لم يرغ عليها من الخجل : « بارك الله فيك » . وقد يرى العريس حينئذ لأول مرة وجه عروسـه . ويجد العريس على العموم أن العروس كما وصفت له تقريبا . وكثيراً ما تنجز حينئذ طقوس عجيبة ، فيرفع العريس ملابس العروس جميعها ما عدا القميص ، ويجلسها على حشية سرير يتجه نحو مكة كما يولي ظهر العروس هذه الجهة ، ثم يجذب حجر قميصها إلى الأمام ويبسطه على الحشية ويقف أمامها على بعد ثلاث أقدام تقريبا ويصلي ركعتين واضعا رأسه ويديه عند السجود على هذا الجزء من القميص .

(١) كلمة (وش) تحريف عامى لكلمة وجه أو وجه (بتعطيش الجيم)

ولا يبقى العريس مع عروسه أكثر من بضع دقائق[1] بعد أن يكون قد أشبع فضوله بمشاهدة جاذبيتها ، ويطلب من النساء — اللاتي يتجمعن عند الباب وهن قلقات — أن يزغردن . وتصل الصيحات الحادة إلى مسامع الرجال في الدور الأسفل وإلى الجيران وتتجاوب النساء بالزغاريد مخبرات أن العريس رضى بعروسه . ثم يهبط العريس إلى أصدقائه ويبقى معهم ساعة أو أكثر قبل أن يعود إلى زوجته . ويندر جداً أن يطلق الزوج زوجه إذا خاب فيها رجاؤه وإنما يستبقيها أسبوعا أو أكثر

* * *

الآن وقد وصفت طريقة الاحتفال بزواج العذراء في القاهرة أضيف بعض كلمات عن بعض حفلات شاهدتها في أحوال أخرى خاصة بالعذارى والثيبات سواء .

يندر أن يذهب بنات العظماء إلى الحمام العمومي قبل الزواج لوجود الحمام في المنزل . وعند ما تخلو منازل العائلات الموسرة أو المتحضرة من حمام ، تذهب العروس مع قريباتها وصديقاتها إلى حمام عمومي يستأجرلهن خاصة . ويفضل الكثيرات الذهاب إلى الحمام وإلى منزل العريس دون زفة راكبات الحمير فوق البراذع المرتفعة . وتتدثر العروس بشال كشميري على طريقة الحبرة . وقد ترافق حاشية العروس فرقة عوالم يركبن الحمير أيضا ويغنين طول الطريق

وقد يكون لعائلة العروس أو العريس أغاوات فيتقدمون العروس راكبين . وقد يجرى على رأس الزفة رجل يصيح : (صلوا على النبي) وينثر هذا الرجل عند باب المنزل بعض أوراق السلق ليسير عليها السيدات اتقاء لأحداث الدهر . ثم يصيح الرجل نفسه قائلاً : « نصر من الله وفتح قريب »

وقد يتم عقد الزواج عند المصريين من غير أبهة ولا احتفال حتى في حالة زواج العذراء ، برضا عائلتي العروسين المتبادل ، أو بموافقة العروس نفسها . أما الثيب فلا تزف أبداً عند الزواج . ويكفي أن تقول المرأة لمن يتقدم لزواجها : « وهبت لك نفسي » فتصبح امرأته شرعا متى كانت بالغة حتى من دون شهادة إذا استحال الحصول عليهـا . وقد يعقد المسلمون في مصر وغيرها من البلاد

(١) أرجو من يرغب في بعض التفصيل أن يرجع إلى بركهاردت ص ١١٧ فقد يكون وصفه أكمل ، ولـكن يبدو أنه عني بالايجاز في هذه الحالة بصفة خاصة .

العربية الزواج بالثيب بهذه الطريقة البسيطة . ويبلغ مهر الثيب على العموم ربع مهر العذراء أو ثلثه أو نصفه

وتتم حفلات الزواج فى القاهرة عند الطبقات التى تعلو الطبقات السفلى وإن حقرت معيشتها بنفس طريقة الطبقة الوسطى . إلا أنهم يراعون البساطة عندما يستحيل تحمل نفقات مثل هذه الزفة السابق وصفها ، فتسير العروس متدثرة بشال أحمر ويحيطها فريق من قريباتها وصديقاتها فى أحسن حللهن أو فيما يستعرن من الملابس . ولا يبهج الموكب من صيحات الفرح غير الزغاريد التى يرددنها من وقت لآخر

وتختلف الزفة فى القرى عن الزفة السابقة . فالعادة أن تركب العروس جملاً وهى متدثرة بشال حتى تبلغ منزل العريس . وقد يجلس معها على الجمل بعض النساء والبنات . اثنتان على جانبها واثنتان أو ثلاث وراءها . ويكون الهودج كبيراً ويغطى بالبسط وغيرها . ويتبع العروس جماعة من النساء يغنين . وكثيراً ما يتقابل أصدقاء الطرفين وصديقاتهما فى منزل العريس مساء يوم الاحتفال والأيام السابقة ويلهون فى الهواء الطلق طويلاً بالأغانى والرقص الذى ينقصه المهارة على ألحان الدف والطبل . ويغنى الجميع رجالاً ونساء ويرقص النساء فقط . وقد اختصرت الكلام فى وصف الحفلات الريفية لتجنب ترديد الوصف فى موضوعات متشابهة . ولنرجع إلى عادات أهل القاهرة .

فى الصباح التالى للزفاف يعرض (الخولات[١]) والغوازى (رجالاً ونساء) ألعابهم أمام منزل العريس أو فى الفناء[٢] . وفى الصباح عينه إذا كان العريس شابا يدعوه الشخص الذى سبق أن حمله إلى الحريم إلى قضاء اليوم فى الريف مع الأصدقاء . ويسمى هذا (الهروبة) . وقد ينظم ذلك العريس نفسه ويشترك فى النفقات إذا زادت على ما يقدمه أصدقاؤه من النقوط فى هذه المناسبة . ويستأجر الموسيقيون والراقصات لتسليتهم . ويسير العريس من الطبقة السفلى فى مؤخرة الموكب مسبوقا ببعض الطبالين والزمارين . ويحمل كل من أصدقائه وغيرهم باقة من الزهر كما يفعلون عادة فى زفة الليلة السابقة . ويرافق الحاشية حاملو المشاعل والمصابيح عند عودتها

(١) ويسمى الخول أيضاً (غايش) وجمعها (غياش)

(٢) ويسمى هذا (صباحية العروس)

بعد الغروب بينما يحمل الأصدقاء علاوة على الباقات شمعا[١] . وهناك حفلات لاحقة تقام بمناسبة الزواج أيضا ستوصف فى فصل لاحق .

ويفضل العريس على العموم إذا وفق إلى ذلك أن تعيش أمه فى منزله حتى يتسنى لها أن تحمى شرف زوجته وبالتالى شرفه أيضا . ويقال إن الحماة تسمى كذلك لهذا السبب[٢] ويقال إن المصريات يملن إلى الدسائس . وأخشى ألا يكون هذا الحكم ظالما . وقد يسكن الزوج زوجه فى بيت أمها ويتولى الإنفاق عليهما . وهذا يوجب على الأم أن تهتم بالنفقات جد الاهتمام وأن تدقق فى ملاحظة ابنتها خوفا من أن تطلق . ولكن يقال إن الأم فى هذه الحالة تعمل وسيطة لابنتها ، فتعلمها الحيل والمكايد التى تتسلط بها على زوجها وتبذر نقوده . ويندر أن يقل الخوف من تأثير أم الزوجة عليها ولو كانت لا تنعم برؤية ابنتها إلا فى مناسبات عرضية . ولذلك يرى الرجال أنه من الحكمة أن يتزوجوا بنتاً لا أم لها ولا قريبات . حتى إن بعضهم يحرم على زوجته أن تستقبل امرأة غير قريباته ؛ ولكن قلما يفرض هذا التقييد الشديد .

(يتبع) هدى طاهر نور

(١) ويتقابل أصدقاء العروسين وأقربهما فى ريف الصعيد فى اليوم اللاحق للزواج . وترقص العروس وقتا قصيراً على نغمات تصفيق الرجال والدفوف وغيرها . وتطرح العروس على رأسها طرحة تصل إلى الكعبين وتغطى وجهها تماماً بمنديل من القطن المطبوع وتتحلى بأجمل ملابس العرس التى تعلق على باب الدار بعد الزواج فى بعض مناطق ريف مصر . ثم يتمم الرقص بعض النساء محتجبات كالعروس ومتدثرات بأحسن ملابسهن أو ما يستعرن .

(٢) وينطقها العامة (حمه) وهى مشتقة من فعل حمى بمعنى صان ووقى

الصحراء الغربية

للأستاذ عبد اللطيف النشار

صحراء مصرَ سلمتِ يا صحراء فلحكمة لم يجر فيك الماء
تحمى الكنانة من أذى أعدائها وهى الخصيبة، تربة جرداء
يا نيل، صحراواك جدبهما غنًى يا كنز، بابُك صخرة صماء
إن الطبيعة لا مردَّ لحكمها الفقر سور خلفه النعماء
أحنى القلوبِ جسومها مَوْضونة والناعمات قلوبهن هواء
ووداعة الدمث الرقيق وأمها ألاَّ تفارق ربَّها الخيلاء
يا هيِّناً سلس القيادة ليِّناً هل فى ثيابك حية رقطاء

أعداء مصرِ جاوروا صحراءها أتُقلّ جمعهمو لنا الصحراء؟
جسرٌ إلينا أنت أم جسر إلى قاع الجحيم وللطغاة جزاء
باء الحليف بنصرة مرجوّة وتسابقت فى عونه حلفاء
لكن نصر الله فى بحر بلا ماء وأرض ما بها أرجاء
ومَضَلّة أفواهها مفغورة أبد الزمان وما لها أحشاء
درداء تلتهم الخميس بأسره وتطير فى لهواتها الأحياء
ظمأٌ وجوع أنشآها نشأة لا البحر يشبهها ولا الغبراء
تُخفِى معالمَ جُرْمها فيظنها قديسة أعداؤها الجهلاء
خوّارة موّارة لا أرضها أرض ولا أجواؤها أجواء
نادوا يجبكم فى مجاهلها الصدى وتبينوا إن الجواب نداء
ردٌّ ولا رد ويُوهِمُ آلُهُ أن الذى يروى النواظرَ ماء
هيا إلى إعصارها وسمومها فالغول جاع وجاعت العنقاء
وجسومكم وحديدكم ونحاسكم خبزٌ لدائمة الطوى وشِواء
عُبّادَ هتلرَ أقبلوا أو أدبروا حُمَّ القضاء ولن يُرَد قضاء
كثُر الطغاة وكاثروا عدد الحصى ومضى الجميع فكلهم أسماء
أوغير من خلَقَ الصحارى خالق الخاليات وهُنَّ بعدُ مِلاء
فليعرف الصحراء فى أبنائها من لا تبين لعينه الأشياء
أممٌ وأديانٌ وفن ناصع بعثت بها فى العالم الصحراء
وطوت نظائرها وتطوى هتلرا والآخر الجعجاع حين تشاء
آثار روما من محاجرها التى تبقى وروما ساحة بلقاء

عبد اللطيف النشار

الحكمة الحائرة

للأديب عبد الرحمن الخميسى

« إذا لمْ يُعكّرْ صفاءَ السماء نِثارٌ مِنَ السُّحُبِ العابِرَهْ
فليستْ تَبِينُ تهاويلُها وَلاَ صفوُ قُبَّتِها السَّاحِرَهْ
وَإِنْ لَمْ يَثُرْ فى حَواشِى الْحُقُولِ شِتَاءٌ، هَوَاطِلُهُ غَامِرَهْ
فَمَا تَتَرَعْرَعُ أَغْرَاسُهَا وَمَا تُورِقُ الْخُضْرَةُ الزَّاهِرَهْ
وَلَوْلاَ شُبُوبُ الْحَرِيقِ لَمَا فَزِعْنَا إِلَى الْقُدُرِ الْهَادِرَهْ
وَهٰذَا الصَّبَاحُ يُطِلُّ خِلاَلَ نَوَافِذَ حالِكَةٍ بَاسِرَهْ
وَيُولَدُ فى رَاحَتَىْ ظُلْمَةٍ لِيَنْفُثَ أَنْوَارَهُ الْبَاهِرَهْ
فَلاَ بُدَّ لِلشَّرِّ مِنْ أَنْ يَعِيشَ وَتَحْرُسَهُ الأَنْفُسُ الْحَائِرَهْ
لِتَبْزُغَ فى عُمْرِهِ هَالَةٌ مِنَ الْخَيْرِ صَادِقَةٌ طَاهِرَهْ
وَتِلْكَ نَوَامِيسُ هٰذَا الْوُجُودِ وَتِلْكَ هِىَ الْحِكْمَةُ الْحَائِرَهْ »
كَذَلِكَ قَالَتْ لِنَفْسِى الْحَيَاةُ وَأَوْحَتْ مَعَالِمُهَا السَّاحِرَهْ

***

وَقَالَ لِىَ الصَّقْرُ فى عِزَّةٍ : أُحَلِّقُ فَوْقَ الذُّرَى النَّافِرَهْ
وَأَنْقَضُّ فى اللَّيْلِ فَوْقَ الْوُكُورِ وَأَنْهَشُ أَطْيَارَهَا السَّادِرَهْ
وَأَتْرُكُهَا لِلدُّجَى وَالسُّكُونِ هَوَاتِفَ بِالْفَجْعَةِ الْغَادِرَهْ
وَيُسْفِرُ فى الرَّوْضِ وَجْهُ الصَّبَاحِ فَتُعْوِزُهُ الْجَوْقَةُ الطَّائِرَهْ
وَيَسْأَلُ مُسْتَنْجِدًا بِالْغُصُونِ عَنِ الطَّيْرِ وَالْفُتُوَّةِ الْبَاكِرَهْ؟
فَتَهْتَزُّ هَامَاتُهَا حَسْرَةً وَتَدْمَعُ أَزْهَارُهَا الْعَاطِرَهْ
لِأَنَّ الْعَصَافِيرَ مَا اسْتَيْقَظَتْ وَمَا هَلَّلَتْ بِالشَّذَى سَاكِرَهْ
وَمَا اسْتَقْبَلَتْ بِالْغِنَاءِ السَّنَى وَمَا حَوَّمَتْ فى الْفَضَا ذَاكِرَهْ
وَيَنْسَابُ بَيْنَ الْعِشَاشِ الضِّيَاءُ لِيُوقِظَ أَطْيَارَهَا الشَّاعِرَهْ
وَيَرْتَدُّ مُنْذَعِرًا بَاهِتاً وَتَفْتُرُ لَمْعَتُهُ الْوَاهِرَهْ
إِذَا مَا جَرَى فَوْقَ أَعْشَاشِهَا عَلَى جُثَثٍ مَيْتَةٍ ضَامِرَهْ
وَيَعْلَقُ بِالنَّسَمَاتِ النَّدَى دُمُوعًا مُبَلْوَرَةً ثَائِرَهْ



وضع نشيد للسلام الملكي

انتهت لجنة « وضع النشيد للسلام الملكي » إلى دعوة الشعراء والأدباء لنظم نشيد يجرى فى توقيعه مع موسيقى السلام الملكي جرياناً دقيقاً ؛ ويشترط فى هذا النشيد أن يكون مؤلفاً من ثمانية أبيات ، ولا يزيد على اثنى عشر ، وأن يدور معناه حول العرش رمزاً لمصر الخالدة ، وحول الملك رمزاً لآمال الجيل . وينبغي أن يكون هذا النشيد « مشرق اللفظ ، محكم النظم ، رائع المعنى ، منشطاً للهمم »

وقررت اللجنة أن تمنح الفائز فى هذه المسابقة مائة جنيه ، وجعلت آخر موعد لتقديم الطلبات منتصف الشهر القادم

روح الإسلام

تحدث صاحب السمو الملكي الأمير فيصل نائب جلالة الملك عبد العزيز آل سعود إلى بعض الصحفيين المصريين قال : « إن الإسلام خير دين تعالى به الله عما يحاول أن يلصقه به المؤتفكون ، فليس فى الإسلام — كما يزعم هؤلاء — خمول ولا تواكل ولا استذلال ولا خضوع ، وإنما هو دين الجد والكد والتوثب والنهوض . ولو أن المسلمين اعتصموا بكتاب الله وسنة رسوله ، واستمسكوا بالعروة الوثقى ، وتآزروا وتعاونوا على البر والتقوى ، لكانت لهم قوة مرهوبة تبعث الرجفة فى القلوب

« لقد جمع كتاب الله وسنة رسوله من الأحكام ما ينير للناس طريق الدين والدنيا معاً ، فما بال بعض المسلمين يتنكبون هذا الطريق السوى المستقيم ؟

« ولو أننا ألقينا نظرة على الدول الغربية ، لرأينا أن الآخذة منها بما يقرب من أحكام ديننا فى المعاملات والحقوق والشرائع والحرية والديمقراطية ، هي أكثرها نجاحاً وأعظمها تقدماً وفوزاً »

واستطرد الأمير فقال : إن بعض الناس يدعى أن ضعف شوكة المسلمين يرجع إلى التدخل الأجنبي فيما بينهم ؛ وأنا أقول : إن التبعة كلها واقعة على المسلمين أنفسهم الذين يوسعون شقة الخلاف فيما بينهم ، والذين تفرقوا شيعاً وطرائق فرقت الشمل وأوهنت من قوة الإسلام وأضعفت شوكته

ومن واجب المسلمين الصادق الإيمان أن يقضوا على هذا الحال ، وأن يعودوا جميعاً إلى جبهة واحدة ، لا موئل لها ولا قبلة سوى الكتاب والسنة ، وأن يعملوا متكاتفين متساندين ، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، ويوم يتم ذلك للمسلمين ، لن نتوانى نحن « آل السعود » وأبناء نجد والجزيرة عن تبوئ مكاننا من هذا الموكب الجليل بين الصفوف

مؤتمر التعليم للأقطار العربية

تبحث اللجنة المؤلفة فى وزارة المعارف للتمهيد لعقد المؤتمر العربي على ضوء الحاجة إلى إصلاح النظم الحالية وتعديل السياسة المتبعة فى كثير من المسائل التعليمية فى مصر وجاراتها

وفى انتظار موافقة مجلس الوزراء على عقد هذا المؤتمر تعمل هذه اللجنة على أن تنتهي من عملها على الوجه الأكمل حتى يمكن الاتصال بالأقطار العربية بعد موافقة المجلس مباشرة

ونستطيع أن نذكر أن الموضوعات الرئيسية التي يفكر كبار رجال التعليم فى مصر فى طرحها على بساط البحث في هذا المؤتمر تشمل المسائل الآتية :

كأنَّ السَّمٰواتِ تَبْكِي الطُّيورَ ... وَتَبْكِي أهازِيجَها الغَابِرَه
وَتَجْثُمُ فَوْقَ الرُّبَى وَحْشَةٌ ... وَتَمْتَدُّ فى الأَيْكَةِ النَّاضِرَه
وَمِنْ ثَمَّ يُعْرَفُ قَدْرُ النَّشِيدِ ... وَقَدْرُ بَلابِلِهِ الآسِرَه
وَلَوْلَا افْتِرَاسِيَ أَسْرَابَها ... لَمَا افْتَقَدَتْها الرُّبَى الزَّاهِرَه
وَإِنْ لَمْ يُعَكِّرْ صَفَاءَ السَّمَاء ... نِثَارٌ مِنَ السُّحُبِ العَابِرَه
فَلَيْسَتْ تَبِينُ تَهاوِيلُها ... وَلَا صَفْوُ قُبَّتِها السَّاحِرَه
وَتِلْكَ نَوَامِيسُ هٰذَا الوُجُودِ ... وَتِلْكَ هِيَ الحِكْمَةُ الحَائِرَه !

عبد الرحمن الخميسي

١ — واجب الدولة نحو التعليم العام والتعليم الأولى

٢ — وسائل تدريس اللغة العربية

٣ — تبادل الزيارات العلمية بين طلاب الأقطار العربية والمدرسين بها

٤ — تنظيم الانتفاع بالكتب التى تطبع حديثاً فى هذه الأقطار فى مختلف العلوم والفنون والآداب

٥ — مواصلة السير على ندب مدرسين من قطر إلى آخر حسب ما تقتضيه روح التعاون الثقافى

ومما لا ريب فيه أن عقد هذا المؤتمر سيكون نواة لتعاون واسع النطاق بين البلاد العربية التى باعدت بينها ظروف خاصة . وأن الانتفاع به على الوجه الصحيح سيعزز مكانة مصر فى الشرق . وقد يلاحظ أن حرص العراق يماثل حرص مصر على عقد هذا المؤتمر الأول من نوعه فى العصر الأخير ، وذلك يدل على تجاوب الآمال بين البلدين فى إقامة الوحدة العربية الفكرية على أسس متينة بحيث يتاح لجميع البلاد التى تنطق لغة واحدة وتتأثر بشعور واحد أن تواجه مستقبلها بقلب مطمئن واتحاد وثيق

مكافحة الأمية بين الفلاحين والعمال

فكر لفيف من طلبة جامعة فؤاد الأول فى أن يشغلوا أوقات فراغهم فى عطلة الصيف بالعمل لمحو الأمية ورفع مستوى التفكير للفلاح والعامل . وقد وضعوا لذلك مشروعاً هو قيد البحث الآن مع كبار رجال التربية والتعليم والإصلاح الاجتماعى وهم يواصلون جهودهم فى ذلك السبيل المشكور فى كل فرصة تتاح لهم . وقد انتخبوا من بينهم وفداً لمقابلة صاحب المعالى الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظة بك وزير الشؤون الاجتماعية لعرض هذا المشروع عليه ورجاء معاليه تعضيد الوزارة له .

المرحوم « معاوية محمد نور »

رزىء القطر الشقيق — السودان — بفقد المرحوم معاوية محمد نور من أدباء الشباب المستنيرين الذين قامت بفضل جهودهم الموفقة دعائم النهضة الفكرية الحديثة فى مصر الجنوبية

وقد تلاقيت مع المرحوم معاوية لأول مرة على صفحات جريدة السياسة الغراء حوالى عام ١٩٢٩ ؛ ثم توثقت بيننا عرى الألفة والزمالة حين أسسنا جماعة الأدب القومى التى كان يرأسها معالى الدكتور هيكل باشا ، فجمعية العشرين التى أسسها الأستاذ محمود تيمور بك . وكان الأستاذ معاوية قد تخرج حديثاً فى كلية غردون بالخرطوم وأراد إتمام تعليمه فى كلية الآداب ؛ غير أنه صادف عقبات منعته من الالتحاق بالجامعة ؛ واتصل النبأ بسمو الأمير العالم عمر طوسون فرأى أن يرسله فى بعثة خاصة على نفقته إلى الجامعة الأمريكية ببيروت . وبعد أن نال إجازتها فى الآداب عاد إلى القاهرة واتصل بالأوساط الأدبية وزاول مهنة الصحافة فى صحف شتى كالأهرام والهلال والإجبشيان ميل ، وكتب على صفحات الرسالة ، وساهم بقلمه وفكره فى كافة الحركات الأدبية التى اضطلع الشباب بأعبائها . وفى غضون تلك الفترة وقع الاختيار عليه ليكون سكرتيراً للغرفة التجارية بالخرطوم ، غير أن فاجعة أليمة وقعت له وانتهت باختلال قواه العقلية

وكان المرحوم معاوية فى كافة مراحل جهاده الأدبى يتوق جهده إلى توثيق عرى الصداقة بين القطرين الشقيقين ، ويقصر جهده على خدمة أمته عن طريق إذاعة أدبها القومى فكتب بعض أقاصيص سودانية لها صبغة محلية ، وصور طبيعة بلاده فى صور سحرية أخاذة يساعده على ذلك ثقافته العربية والسكسونية

وأطلعنى قبل موته على تجارب كتب كان ينشر فصولاً منه على صفحات الإجبشيان ميل بعنوان « الأدب المصرى وتاريخه » تناول فيه بالدراسة والبحث مدارس التفكير فى الأدب المصرى وقادته ، ثم أدب المقالة والنقد الأدبى لخصائص الأدب القومى والشعر والقصة والمسرح وأثر الجيل فى كل حقل من حقوله ، وكان غرضه من ذلك أن يقف الرأى العام الانجليزى على تطور الأدب العربى عامة والمصرى خاصة

وكان إيمانه بالأستاذ العقاد يفوق حد الوصف فكتب بعض فصول حلل فيها أدبه وارتباطه بشخصيته ، وحلل شعره وأثره فى البيئة المصرية . أما أخلاقه فكانت على جانب من السمو . وقد عرف البؤس والفاقة فى بعض أوقات حياته غير أنه لم يقاسمهما مطلقاً ، بل كان يعمل وكان سعيداً أن يرى الناس تفهمه وتقدر جهوده

محمد أمين حسونة

أهلاً وسهلاً بك

من الصواب المخطأ قولهم : « أهلاً بك » فقد قام فى زماننا من ينكر هذا القول ويخطئه على صفحات جريدة كبرى

ودخل أستاذ على تلاميذه حاملاً معاجم اللغة مدعياً أن العرب لا تقول : « أهلاً بك » وإنما تقول : « أهلاً وسهلاً » أى حللت أهلاً ونزلت مكاناً سهلاً ومنه : « مرحباً وأهلاً، وناقة ورحلاً ، ومستناخاً سهلاً »

قال قائل منهم : وما رأى أستاذى فى قول حافظ :

« أهلاً بنابتة » البلاد ومرحباً

جددتم العهد الذى قد أخلقا

فقال : كلام المتأخرين لا يحتج به

ثم دارت الأيام دورتها وإذا بهذا الأستاذ نفسه يملى على تلاميذه أنفسهم قصيدة النابغة فى وصف المتجردة ومنها :

لا مرحباً بغد ولا « أهلاً به »

إن كان تفريق الأحبة فى غد

فأعجب للنابغة كيف حكم بين اللغويين المصريين ميتاً كما كان يحكم بين الشعراء الجاهليين حياً

وطالما جرى هذا التعبير على ألسنة الفحول من المتقدمين أمثال ابن دريد فى مقصورته والجاحظ فى بيانه وتبيينه وأبى الفرج فى أغانيه

وفى الصناعتين لابن المعتز :

أهــلاً وسهــلاً بالنــاى والعود

وكأس ســـاق كالغصن مقدود

قد انقضت دولة الصيام وقد

بشر سقم الهـــلال بالعيـــد

ولما دخل الرسول على المتوكل برأس اسحق بن إسماعيل قام على بن الجهم يخطر بين يدى المتوكل ويقول :

أهلاً وسهلاً بك من رسول جئت بمـا يشفى من الغليل

برأس إسحق بن إسماعيل

فقال المتوكل قوموا التقطوا هذا الجوهر لا يضيع .

محمد فتح الباب

برقة وأبو عبادة

طلع علينا الأستاذ النشار – بعد صمت طال حنيننا إليه فيه – بقصيدته الرائعة (برقة) ؛ فحمدنا له هذا العود الحميد ، على أننا نستميحه المعذرة فى ذكر نقطتين من قصيدته عن لنا بسط الرأى فيهما :

١ – ضبط الاسم فى مطلع قصيدته (برقة) بفتح الباء . والذى أعرفه أن اسم هـذا الإقليم (برقة) بالضم – وفى معاجم اللغة أن البرقة (بزنة غرفة) : أرض غليظة فيها حجارة ورمل وطين ، وجمعها برق ... أما البرقة – بالفتح – فهى الدهشة والخوف ، ولم ينظر فى تسمية الإقليم إلى هذا المعنى

٢ – يقول الأستاذ فى قصيدته مشيراً إلى ... برقة :

تلك التى حمل ابن أوس همها فى بارع بادى الجمال مخلد
(أصبا الأصائل إن برقة منشد تشكو اختلافك بالهموم العود)

ونفهم من هذا أنه ينسب البيت إلى (ابن أوس) ، أى إلى حبيب ابن أوس الطائى . وهو المعروف بأبى تمام ؛ مع أن المعروف أن البيت هو مطلع قصيدة لأبى عبادة البحترى يمدح بها يوسف ابن محمد . . . والأستاذ النشار لم يخطئ فى نسبة البيت إلى قائله فحسب ، بل نقله على تحريف ، إذ صحته كما جاء فى ديوان البحترى

أصبا الأصائل إن برقة منشد

تشكو اختلافك بالهبوب السرمد

هذا ما عن لى التعليق به ، وعلى الأستاذ منى أزكى السلام

(جرجا) **محمود عزت عرفة**

مهرجان أولى لعيد ميلاد حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك

فى كل يوم تتوالى مبرات المليك على شعبه ، وتتجلى أمارات عطفه على رعيته ، ولأياديه يد بيضاء فى كل عمل خيرى ، وتجارب من صنع يده يتوج به كل مشروع نافع

وللشعب – بحمد الله – قلوب تفيض بإجلاله وتبجيله ، وتخفق بحبه والتعلق به ، وتنبض على حركاته ، لحراسة ذاته وكلاءة الله له ؛ ووراء هذه القلوب ألسنة يرطبها ترديد محاسنه ، وذكر مفاخره ، والدعاء له بطول العمر وفسحة الأجل

ولمناسبة عيد ميلاد جلالته السعيد فى ١١ من فبراير سنة ١٩٤٢



نظرات فى كتاب :

أربعـــــة قرون
من تاريخ العراق الحديث (*)
للأستاذ حسن حبشى

« ترى ما نصيب المكتبة العربيـة من التآليف والتراجم عن بلادنا ؟ وما نصيب المترجم فى بلاد الضاد ؟ ... » سؤالان تبادرا إلى خاطرى حين أنهيت مطالعة هذا السفر القيم الذى تناول فيه مؤلفه الغربى « أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث » والذى أبت همة مترجمه الأستاذ جعفر الخياط إلا أن ينفح به المتكلمين بالعربية ، والمهتمين بدراسـة التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للشرق الحديث عامة ، والعراق خاصة

(*) كتاب فى ٤٠١ صفحة من القطع المتوسط ، طبع بمطبعة التفيض ببغداد سنة ١٩٤١

قد يكون من العسير على المؤرخ تدوين الأحداث السياسية فى العراق الحديث لكثرة ما يقع تحت يده من المصادر والوثائق الموجودة فى دور وزارات الخارجية ، وإلى ما قد يحصل عليه من الأخبار الواردة بالرواية ، لكن كلما رجعنا بالزمن القهقرى ألفينا قلة المصادر ، حتى ليجد الباحث نفسه يضرب فى مجاهل مظلمة ، فالروايات معدومة ، والمراجع نادرة ... فإذا عرفنا هذا أدركنا أهمية هذا الكتاب الذى ألم فيه مؤلفه «مستر ستفين هملى لونكريك» بتاريخ العرق فى حقبة كان القطر الشقيق خلالها نهبة أطماع الدول الأجنبية

تناول المؤلف فى هذا الكتاب الظروف التى مرت على العراق منذ مطلع القرن السادس عشر ، ودرس الصراع العنيف بين الأتراك والإيرانيين ، هذا الصراع الذى يسميه « بالجوع » ، حتى إذا طلع القرن السابع عشر ظهر اتحاد قبلى مؤلف من بنى مالك ، والأجود ، وبنى سعيد ، وتلا ذلك هجرات قبلية بشرية بقصد الاستقرار

ويشير المؤلف إلى تدهور موقف البرتغاليين ؛ والواقع أنهم كانوا من أشد المستعمرين تطلعاً لامتلاك العراق وفارس ، ولا سيما بعد أن عقدوا معاهدة مع الشاه اسماعيل ١٥١٥ م ، مما أدى ببريطانيا إلى التطلع هى الأخرى شطر هذه الجهات تحد من مطامع البرتغاليين ، حتى استطاعت بعد قرن من الزمن أعنى عام ١٦٢٢م

تعقد لجنة المهرجان الملكى الأدبية بمشيئة الله مباراة عكاظية ، يلتقى فيها الكتاب والأدباء والشعراء والزجالون بخطبهم وقصائدهم وأزجالهم وأناشيدهم كل بما تجود به يراعته وما تفيض به نفسه من إخلاص للمليك المفدى ، وولاء وحب لصاحب العرش المكين

وإن ميدان البيان البليغ لمتسع : شباب رائع فتى ، وعقل ألمعى ، وقلب تقى ، وخلق عظيم ، ودين مكين ؛ قد ضرب أروع الأمثال فى رعاية الفقير والترفيه عنه واحتضانه والأخذ بيده

لنا من سيرته الحميدة ومآثره المشهورة نبراساً يضىء الطريق فى ميدان الخطابة والإنشاد ، وخير حافز على تسجيل نفثات اليراع فى كتاب يرفع إلى مقام المليك وينشر على الملأ بعد أن يذاع منه بحفلة دار الأوبرا الملكية ما هو جدير بالتفضيل

وستضع اللجنة جوائز مختلفة لمن يحوز قصب السبق فى المباراة .

والمرجو ممن يتقدم لهذه الحلبة أن يبعث بما تجود به قريحته إلى حضرة الأستاذ محمد عبد الجواد المدرس بمعهد التربية للمعلمات بالزمالك فى ميعاد لا يتجاوز آخر يناير الجارى

السكرتير

أمين حمدى فرج

إعلان فقد ختم

تعلن الست هانم البيلى من كفور العرب مركز طلخا غربية أن ختمها فقد منها ، وليس عليها ديون ولا معاملات مالية مع أحد ، فإذا ظهر شىء من ذلك يعد لاغياً .

أن تقضى بمساعدة الفرس على نفوذهم ، لكن وجد الإنجليز أنهم قد أخرجوا البرتغاليين من الميدان ليحل محلهم الهولنديون ، مما هو معروف للملمين بتطورات الشرق الأدنى السياسية فى العصر الحديث

وأن الكاتب ليلتفت لدراسة الحركة الوهابية ، ذلك الانفجار الدينى الذى ولد فى واحات نجد وكان ما كان له من الأثر الفعال البارز فى تاريخ الشرق الإسلامى فى ذلك الحين ، والذى كان شوكة فى جانب الدولة العثمانية ، ويظهر أن المؤلف ممن يعتنقون الفكرة القائلة بأن نشأة هذه الجماعة ترجع إلى عدائها للأتراك ، فيقول ص ٢٧٧ : « إن أخشن رعاياهم أو أوحشهم من القبائل والمقاتلين كانت لا تعرف من القرآن والسنة إلا النزر اليسير ... وكانوا يضمرون للخليفة ولكل شىء تركى استهانة لا تحتمل ، وهذه التفاتة جديدة فى تفسير دواعى نشأة المذهب الوهابى يمكن أن تضاف إلى الأسباب المعروفة فى تكوينه .

ويتناول الكتاب بعد ذلك تطور العراق حتى يصل إلى نهاية القرن التاسع عشر فى شىء من التفصيل ، وحكومة مدحت باشا . ومن الفصول الجديرة بالمطالعة الدقيقة بحثه عن الخطة الجديدة فى إسكان القبائل ، والتى تتضمن بيع أراض من أراضى الحكومة بأقساط قليلة سهلة . وتتبين روح المؤلف العلمية فى هذا الفصل الذى خصصه لدراسة المصادر التى اعتمد عليها فى تأليفه ، وهى تربى على مئة وعشرين مرجعاً ما بين تركية وفارسية وعربية وأخرى باللغات الأوربية ، وكتب السياحات ، وكذلك سجلات شركة الهند الشرقية الإنجليزية . وخلاصة القول أن مراجعة ثبت المصادر أبرز دليل على ما تكبده المؤلف من عناء البحث والتدقيق ومقارنة المصادر بعضها ببعض حتى أخرج كتابه هذا

أما الترجمة العربية فقد وفق الأستاذ خياط كل التوفيق فيها ، لما اجتمع له من تمكن فى الإنجليزية وهو خريج كاليفورنيا ، وحسن تبصر فى العربية ، وسلامة الأسلوب ، ودقة الاختيار للألفاظ . وليس هذا الكتاب بأول كتاب يخرجه المترجم الفاضل بل لقد سبق له أن نقل إلى العربية كثيراً من المؤلفات العلمية ، مما يشهد له بطول الباع والمران . وعجيب أن يجد من وقته ـ وهو المشرف على التعليم الثانوى فى العراق ـ فراغاً يستغله فى هذه الترجمة العربية الرائعة . وإن المقدمة التى مهد بها الأستاذ جعفر الخياط بين يدى كتابه هذا لنفحة شعرية ، نحس فيها بالحسرة التى تغمره وتغمر كل عربى حر حين يذكر مجد الإسلام فى هذه البلاد وما ألم به من محن دامية . قضت على مدنيته الزاهرة ، وهى توشك اليوم أن تعود سيرتها الأولى

وكم كنا نود لو أن الأستاذ جعفر أبقى أسماء المراجع الغربية كما هى ولم يترجمها وهى ما زالت بعد فى لغاتها الأولى وعلى كل ففضل المترجم غير منكور .

(بغداد) حسين حبشى



(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)





10 me Année No. 446 — Lundi - 19 - 1 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٤٤٦ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢ محرم سنة ١٣٦١ — الموافق ١٩ يناير سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـــــرس

مشكلة الرغيف . . .

وكيف لا يكون للرغيف مشكلة ، والمشكلات منذ هبط الإنسان الأرض إنما تتناسل من أب واحد هو الرغيف ، ومن أم واحدة هى المرأة ؟

سمّ الرغيف وسيلة حفظ الحياة ، وسم المرأة وسيلة حفظ النوع ؛ ثم حاول أن تنسب بشىء من التحليل الدقيق جميع ما سجل التاريخ من خصومات ومشكلات وأزمات وثورات إلى هاتين الوسيلتين ، أو هاتين الغريزتين . فلن تجد فى نسبة البنات إلى أبويهن غموضاً ولا مشقة

كانت المرأة فى بدء الخليقة هى حواء ، وكان الرغيف فى حياة الجنة هو الشجرة ، وكانت الأثرة والطمع والحسد هى إبليس ، وكانت الضحية لهؤلاء جميعاً هى سعادة آدم !

ثم مضى الرغيف والمرأة وإبليس يعملون فى دنيا الأرض ما يشاء القدر : يصلحون هذا ويفسدون ذاك ، ويعمرون هنا ويخربون هناك ، ويخلقون التنافس لتنشط عناصر الحياة ، ويوجدون الخلاف لتتفق عوامل الموت ، وينزعون الملك من يد إلى يد ، وينقلون الحكم من دولة إلى دولة ، حتى قال ابن أبى الحديد بحق : « لم تسل السيوف إلا لوجه أصبح من وجه ، ولقمة أسوغ من لقمة »

ولو كان الملائكة يأكلون الرغيف ويخالطون المرأة لكانوا أناساً كالناس . ولكان الملكوت الأعلى كالملكوت الأدنى ، ولكن الله لم يشأ أن يجعل النور كالظلام ، ولا أن تكون السماء كالأرض !

على أن الرغيف لا كتنان سر الحياة فيه كان أشد الثلاثة إيقاداً للخصومة !

كان مالك بن أنس يذكر عثمان وعلياً وطلحة والزبير فيقول : « والله ما اقتتلوا إلا على الثريد الأعفر »

وأنت إذا ذكرت في تاريخنا العدنانية والقحطانية ، والقيسية واليمانية ، والمهاجرين والأنصار ، والهاشمية والأموية ، والعباسية والعلوية ، والعروبة والشعوبية ، والتركية والفارسية ، والهلالية والصليبية ، والإسلامية والقبطية ، والسعدية والعدلية ، والفلانية والعِلانية ، لما قلت إلا ما قال أنس بن مالك

كذلك إذا ذكرت في تاريخ الناس الشرقية والغربية ، والديمقراطية والدكتاتورية ، والرأسمالية والشيوعية ، لما وجدت لهذه الأسماء معنى ولا مغزى إلا ما قاله كثير بن شهاب لغلامه وقد طلب منه الطعام يوماً فقال ما عندي إلا خبز وبقل : « ويحك ! وهل اقتتلت فارس والروم إلا على الخبز والبقل ؟ »

* * *

لذلك كله عالج الدين مشكلة الرغيف بتنظيم المعاملات ، وفرض الصدقات ، وكفكفة النفوس الشرهة بالقناعة والعفة والحدود ؛ واتقت الدول جرائر الرغيف بالعلم والنظام والإصلاح والاستعمار ؛ فإذا غلب الكفر أو طغت الأثرة ؛ شبت الثورة أو نشبت الحرب . ذلك أن الفرد أو الشعب يصاب في حريته فيصبر ، ويؤذى في كرامته فيستكين ، ويفتن عن عقيدته فيرضى ؛ ولكنه إذا حرم الرغيف انقلب ضارياً كالوحش ، أو جارفاً كالبركان ، لا يذر من شيء أتى عليه إلا جعله كالرميم

* * *

هذه مصر هبة النيل وجنة الشرق وملتقى البحرين والبرين طالما عركتها الخطوب فاستكانت للقدر ، واستعانت بالصبر ، ومضت على حسن ظنها بالله تتربص الدوائر بالمغير ، وترجو الغوائل للظالم ، حتى إذا أخذت هذه الحرب الأكول تنازعها الرغيف ، أصبحت كلها لساناً واحداً يتضاغى مخافة انقطاعه . فلا تجد في الأمة ولا في الحكومة إلا سائلاً عنه ، أو شاكياً منه ، أو باحثاً فيه ، أو ساعياً له ؛ وكأنما اختزلت لغة الناس فأصبحت لا تعدو ألفاظ التخزين والتموين ، والإحصاء والاستيلاء ، والاستيراد والاستكثار ، والمطاحن والمخابز ، وما يدخل في هالة الرغيف النورية من مادة وأدب ! فليت شعري إلام تئول الحال إذا تأزم الأمر ، وضاقت موارد الرزق ، فلا أرض تغل ما يكفي ، ولا بحر يسد ما ينقص ؟!

تمثيل الحال في الخيال مرعب ، فما بالك بتقرير الحس وتصوير الواقع ؟

الأمر جد لا مساغ للعبث فيه ، والخطر باد فلا مناص من الاعتراف به ، والتقصير ثابت فلا سبيل إلى التنصل منه . وإذا فاتنا الاستبصار للمستقبل ، فلن يفوتنا الاعتبار بالحاضر . وإذ عجزت السياسة أن تحل مشكلة الرغيف فلا أزعم أن يحلها الأدب . وكل ما يستطيع الأدب أن يقوله للسياسي أن مشكلة التموين لا يحلها أن يكون لها وزارة ، ولا أن تقتصر على أمورها السياسة والإدارة ؛ إنما يحلها أداء الحاكم للواجب ، وقضاء المحكوم للحق . وأقسم بالله جَهْدَ القسم لو أن القائمين على شؤون الناس بسطوا لها الأيدي النظيفة ، وتحروا فيها الأوجه الصالحة ؛ ثم ساووا بين العامة والخاصة في القسمة ، وعدلوا بين الأقوياء والضعفاء في التكليف ، وأيقظوا العيون لخفايا الحيل ، وأنضجوا الآراء لمشتبهات الأمور ؛ ثم عاونهم الشعب بفضائله ، فلا يطمع المنتج ، ولا يدخر المستهلك ، ولا يحتكر التاجر ، ولا يشح الغني ، ولا يجزع الفقير ، لما كان للرغيف في مصر مشكلة ، ولا كان للتموين في الحكومة وزارة . ولكن مشكلة المشكلات هي أن مكارم الأخلاق لا تُباع ولا تُعار ولا تكسب في الزمن القليل ، إنما هي تهذيب الدين الصحيح وصقال الدهر الطويل

احمد حسن الزيات

بين الورق والدوح

[رسالة مهداة إلى المسيو « دى كومنين »]

للدكتور زكي مبارك

حدثت قرائى غير مرة أن ذاكرتى فيها انحراف غريب : فهى ضعيفة كل الضعف فيما يتصل بالأرقام والأعلام ، وقوية كل القوة فيما يتصل بالحوادث والمعانى ، ولها قدرة عجيبة على تمثل الملامح والأصوات والألوان ، فمن السهل أن أصف حادثاً رأيته قبل عشرين سنة ، مع الإحاطة بما لابسه من دقائق التفاصيل . ولكن من الصعب أن أتذكر رقماً سمعته قبل يومين . إلا أن يتصل بأمر تلتفت إليه الذاكرة بعض الالتفات ، ولأجل هذا أقيد ما يهمنى من الأرقام فى دفتر خاص

وفى هذه اللحظة أتذكر جيداً كيف شهدت عدوان الخريف على آثار الربيع ، ولم أكن شهدت ذلك العدوان قبل أول أيلول قضيته فى باريس ، وأتذكر أيضاً كيف كانت قدمى تخبان فى أوراق الأشجار وأنا أخترق حديقة « لكسمبور » ، وأكاد أتمثل كيف انتشيت حين رأيت ذلك المنظر الجميل ، وما هو فى الظاهر بجميل ، ولكنه أعاننى على فهم جوانب من حيوية الأدب الفرنسى ، ففيه ألوف من صور العدوان البغيض ، عدوان الخريف على آثار الربيع ، بلا تهيب ولا استحياء

وفى يوم عاصف جلست تحت « الدوح » وهو ينظر بحزن إلى تساقط « الورق » ، فوعيت من حواره أحاديث لن أنساها ما حييت . وكيف أنساها وقد زلزلت قلبى ، وأطلعتنى على بعض ما كنت أجهل من سرائر « الأدواح » و « الأوراق » ؟

سمعت « الدوح » يقول فى صراخ مبحوح :

« إلى أين يمضى هذا الورق الساقط ؟ وكيف جحد جميلى عليه ؟ حملته وهو ضعيف لا يقدر على التماسك ، وأمكنته من شرب الندى وارتشاف أكواب الضياء ، وحرمت نفسى عذوبة التمتع بضحوة الشمس فى الربيع ، ونشوة القيظ فى الصيف ، ليجد الفرصة لتذوق النعيم ، فهل حفظ هذا الصنيع ؟

« لقد أبحته أن يمتص دمى كيف شاء ، ليواجه نور الوجود بحرية الطفل الغافل عن جهاد أبيه ، ولكل أب جهاد يجهله الأبناء ، ولو كانوا من الملهَمين . فهل عرف الورق الساقط أننى حرمت نفسى نعيم الندى والضياء ليتخايل ويستطيل ؟ »

وسكت « الدوح » لحظات ، ثم صرخ من جديد :

« والآن يعرف الورق أن الشتاء قادم . وأننى سأحتاج إليه لدفع عوادى البرد والجليد ، فهو ينخلع عنى . ليتركنى بلا غطاء ، فى قر الشتاء ! »

ويسمع الورق أنين الدوح فيهتف :

— ما عتبك على أيها الدوح ؟ ما عتبك على وقد بذلت فى البر بك غاية ما أملك ؟ ألا تذكر أنى صبرت على مصاحبتك فى السيطرة والاستعلاء شهوراً من الزمان ؟ ألا تعرف أنى عققت من أجلك أمنا الأرض ؟ فما ذنبى إذا اشتهيت العودة إلى الأم الرءوم ، وهى أيضاً تحتاج إلى من يدفع عنها البرد والجليد ؟

وسمع الدوح هتاف الورق فأجاب :

— الأرض أمى وأمك ، ولكنى فهمت عنها ما لم تفهم ، فقد حدثتنى ألف مرة أنها لا تريد أن يرجع إليها غير الأموات من أبنائها الأعزاء ، فإن كنت مت أيها الورق فارجع إلى أمك الأرض !

فزمجر الورق :

— أنا مت ؟ أنا ؟ وهل يموت من يرجع إلى حجر أمه الغالية ؟

فيقول الدوح :

— نعم ، ثم نعم ، يموت من يرضى بأن تدوسه الأقدام ، ولن يكون لك نصيب غير الدوس ، يا جهول !

وهنا قال الورق للدوح :

— هل تنسى أنى أدفأتك فى الصيف ؟

فقال الدوح للورق :

— لم أكن أحتاج إلى دفء فى أشهر الصيف ؛ وإنما أحتاج إلى الدفء فى أشهر الشتاء

فقال الورق للدوح :

— لا أستطيع سماع صوتك وأنت مجلل بالسواد

فقال الدوح للورق :

— إنما تجللت بالسواد حداداً عليك . ألا تذكر أننى كنت

أحبك حباً هو الغاية فى الكرم ، لأنه حب القوى للضعيف ؟ ألا تذكر أنى كنت أقوم العواصف والزوابع لأقى خدودك ذلة الالتصاق بالأرض ؟ ألا تعرف أنى أعانى لفراقك كروباً لا تطاق ؟

قال الورق :

« أتحبنى إلى هذا الحد ، أيها الدوح ؟ »

فتأوه الدوح ثم أجاب :

« لا أحبك لأنك ورق ، فأنت تعرف أنى صبرت على تقلب الأوراق أربعين عاماً أو تزيد ، ولن أموت يوم أموت بسبب تقلب الأوراق — وإنما أحبك لأنى أنشأتك كما يحب الله هذا الوجود ، فأنت بعض ما صنع دمى أيها الورق ، ولن تعيش بعد فراقى إلا بفضل ما سكبت فى عروقك من الدم النفيس . وقد حل عليك غضبى ، فلا بقاء لك بعد اليوم ... وهل تستطيع أن تطبّ لما صنعت بنفسك أيها الورق الساقط ؟ لقد دعوتك إلى الترفق بمصيرك فلم تسمع . ومن أجل غفلتك لبست عليك ثوب الحداد . ولم أستغرب من فرحك بمصافحة الأرض ، فأنا أعرف أنه لا يرحب بالاستعلاء غير الأقوياء ، كما أعرف أن الأم لا ترحم من أبنائها غير الضعفاء »

قال الورق :

« وبأى حق تستطيل على ، أيها الدوح ، وأنت أسود مظلم . لا ترتجى لك صحوة ولا معاد ؟ »

قال الدوح :

« ذلك سواد الشباب ، يا أحمق ، وليس سواد الحداد[1] ، ولن تقيم الحياة لدلالك أى ميزان ، وهل تطول حياتك حتى ترى ازدهائى بالورق الجديد فى الهوى الجديد ؟ إن الدم الذى سوّاك ، سيسوى ورقاً سواك ، وسأعبث هذا العبث بالأوراق إلى أن أبلغ الثمانين أو التسعين ! »

قال الورق :

« خذنى إليك ، أيها الدوح ، فقد اشتقت إلى ساعدك القوىّ المتين »

فأجاب الدوح :

« تعال إلى ، إن استطعت ، أيها الورق الساقط ، فأنا لا أملك البعث كما أملك الإنشاء . وهل أملك مسامحة صاحب العزة والجبروت ؟ »

وتكلف الورق ما لا يطيق ليرجع إلى الدوح من جديد ، ولكنه عجز عن تحقيق ما يريد ، وتلك نهاية من يجهل السر فى تمتعه بشرف الوجود ، والشرف معناه الارتفاع ، وقد انحط الورق بسقوطه على الأرض ، فأمسى وهو ضعيف مَهين

ثم قال الدوح :

— لن نلتقى بعد اليوم ، أيها الورق الساقط ، وكيف نلتقى وأنا أجد عناء فى التعرف إلى هويتك ؟ وهل أراك إلا وهماً يصوره الرفات المسحوق ، مع قرب العهد بالفراق ؟

فأجاب الورق :

— ستجدنى فى الربيع المقبل

قال الدوح :

— سأجد فى الربيع المقبل ورقاً غيرك

قال الورق :

— كنت أنتظر أن يكون فى سخطك علىّ ما يزهدك فى جميع الأوراق

فصاح الدوح :

— كان ذلك لو أنى أردت الانتفاع بالتجارب ، والانتفاع بالتجارب يدل على العقل ، ولكنه يشهد بضعف الحيوية ، والخير أن نواجه الحياة فى كل يوم بأحلام الناشئين ، لا بعقول الكهول ، لتبدو لنا الحياة بكراً فى كل لحظة ، كما تبدو الغابة المؤذنة بالوحشة والأنس فى كل حين . ولو أنى اكتفيت بما جربت من أخلاق الورق لكان من المستحيل أن أراك ، بعد أن عرفت ما عرفت من شمائل سواك

قال الورق :

— وأستطيع أنا أيضاً أن أغفل الانتفاع بالتجارب وأرجع إليك فى الربيع المقبل

فضحك الدوح وقال :

— وهل كانت لك معى تجارب أيها الورق ؟ هل رأيت منى مايعاب حتى تزعم أنك فارقتنى عن عتاب يمحوه التفضل بالإعتاب؟ أنا الذى أنشأتك ، وأنا الذى ربيتك ، وأنا الذى أوحى إليك معانى الشوق إلى الندى والضياء . . . أنت لم تفارقنى لأنى جفوتك

---

[1] هذه مغالطة من جانب الدوح ، فقد اعترف قبل سطور بأنه لبس السواد حداداً على الورق ، وسنرى بعد سطور أنه لفراق الورق حزين .

أو أسأت إليك ،وإنما فارقتنى لأنك ضعفت عن صحبتى ، كما يضعف السحاب عن مصاحبة الجبال

قال الورق :

— خذنى إليك ، أيها الدوح . لأذوق من دمك ما كنت أذوق

فأجاب الدوح :

— عيب الأقوياء أنهم لا يصفحون عن المذنب ولو عفر جبينه بالتراب ، وأنت أيها الورق الساقط جحدت جميلى . فلن أراك بعد اليوم ولو استشفعت بأزهار الربيع

قال الورق :

— وهل يكون الورق الجديد أجمل منى أو أصدق منى ؟

فأجاب الدوح :

— لن يكون أجمل منك ولا أصدق منك ، فتجارب أربعين سنة دلتنى على أنكم جميعاً من وحل واحد، ولكن الورق الجديد سيلقانى وهو على جانب من الغفلة والجهل ، والغفلة والجهل يزيدان فى قيمة الجمال . فإذا تعاقل وتعالم ، كما تعاقلت أنت وتعالمت ، فسيكون مصيره إلى أمه الأرض ، وأستريح منه قبل أن يستريح منى

قال الورق

— أيكون معنى هذا الكلام أن لك سياسة مرسومة فى امتهان الأوراق ؟

فأجاب الدوح :

— معنى هذا الكلام أنى أحقد حقداً أبدياً على من يجحدون المعروف . لقد قضيت أربعين سنة أو تزيد فى تعهد الأوراق بالرفق والعطف ، فما حفظت ورقة عهدى ، ولا اعترفت بجميلى . . . ويعزينى أن الله ينتقم لى فما انخلعت عنى ورقة إلا كتب الله عليها الذبول والفناء

قال الورق :

ومع هذا فأنت لفراق حزين ، باعترافك فى بداية هذا الحوار ، وهذا الحزن هو انتقامى من غطرستك و كبريائك ، وأنا أتوعدك بقول أحد الشعراء :

سأنساك فانظر كيف تحيا إذا انقضى
نصيبك من روحى وحظك من قلبى

ونظر الدوح فلم ير الورق ، فأين ذهب ؟ أين ؟ أين ؟

لقد عصفت الريح فأطارت ما كان فى « لكسمبور » من أوراق ، وباد ما تعاقر الحديقة من «خشخشة» كانت أروع ما تسمع من الغناء فى باريس [1]

قال الراوى :

وكنت فتى مصريا لم يسمع مثل هذا الحوار بين الورق والدوح. فمصر الوفية لا تشهد انحلال الورق عن الدوح فى خريف أو شتاء بغض النظر عن الأشجار المجلوبة من بلاد لا تعرف خلائق وادى النيل

قال الفتى المصرى :

وتسمعت ما يقول الدوح بعد ذهاب الورق فوعيت هذه الكلمات:

— إلى أين ذهبت أيها الورق ، وكنت الشاهد على أن الضعف من عناصر الجمال ؟ إلى أين ذهبت وكان عطفى عليك دليلاً على أنى من الأقوياء ؟ إلى أين ذهبت وبفضلك سمعت تغريد الحمائم والبلابل والعنادل ، ولم أر بعد ذهابك غير وقر الجليد فى « أعوام » الشتاء ، وكل يوم فى الشتاء بعام أو عامين لمن يعيش بلا أليف ؟

ثم سمعت الدوح يقول :

— لو كنت أملك من أمرى ما يريد الهوى لخلعت العذار فى البحث عن الورق الذاهب ، ولكن الطبيعة التى أمدتنى بالقوة قيدتنى بالوقار ؛ فأنا جاثم فى مكانى ، وإن كان هواى فى بلد بعيد بعيد ، وآه ثم آه من المراعاة لما يوجب التغافل عن الهوى المشبوب !

وسمعته يقول :

— سقط عنى الورق ، لأنه ضعف عن مصاحبتى فى أيام

(١) الخشخشة كلة فصيحة ، ولها عندى شواهد

الشدائد؟ وهل يطالب الضعيف بما لا يطيق؟ فما عتبى عليه وهو أضعف من أن يقاسمنى المصاعب فى أيام الشتاء؟ وهل يتوهج الجمال إلا فى أوقات اللين والصفاء؟

ثم سمعت الدوح يقول:

«ألا يمكن اتهامى بإرغام الورق على أن يصير إلى ما صار إليه؟ كان فى مقدورى أن أضاعف له الكمية المبذولة من دمى، ولكننى جهلت الواجب فارتضيت أن يعيش فى الخريف بمثل ما كان يعيش فى الربيع. ولو أنى ضاعفت له الدفء لكان من الممكن أن يفكر فى حفظ الجميل. والدنيا أخذ وعطاء، ولو كره الأوفياء»

قال الفتى المصرى وهو يحاور قلبه بعد سماع ذلك الاعتراف:

تم نطق الدوح بالقول الفصل. وأجاب عن هذا السؤال:

«ما الذى يمنع من أن نعيش كما تعيش بعض الأشجار التى تخلع أوراقها فى الخريف لتكتسى بأوراق جديدة فى الربيع؟»

وما وجهت إلى نفسى هذا السؤال إلا بعد أن عانيت ألوف المكاره من الوقوف عند حال واحد فى الحب والبغض، والاقتراب والابتعاد. والأوراق هى العواطف فما بالنا نحرص حرص الأشحاء على استبقاء تلك الأوراق. وفيها ما يصل إلى الذبول والجفاف. ومن الخير أن نخلعه بلا رحمة ولا إشفاق؟ ما بالنا نحرص عليها حين تتصل بأحباب يصعب عليهم أن يقاسمونا شتاء الزمان؟

إن الله لا يضن على الشجر بالورق الجديد عند قدوم الربيع، فهل يضن علينا بالهوى الجديد عند استهلال الرخاء، وقد عرفنا من كرم الله ما لا تعرف الأدواح والأوراق؟ وهل يملك الدوح من الحيوية عند سقوط الورق مثل الذى نملك من الروحانية عند خمود الوجد؟ أكاد أجزم بأن الماء المكنون فى الشجرة العارية من الورق لا يقاس إلى الجمر المكنون فى القلب الخالى من الحب، فنحن والشجر إلى ربيع قريب، وإن استطال الشتاء

وبعد لحظات عاد الفتى المصرى إلى محاورة القلب

— الدوح مجلل بالسواد، والسواد شارة الحزن، فما بال الدوح يحزن وهو غاية فى القوة؟

— الحزن من علائم القوة، وليس من علائم الضعف، فهو دليل على شعورنا بقيمة ما نفقد، ولا يقع ذلك إلا ونحن أقوياء، والجهلة هم الذين لا يفرقون بين الحزن والذهول

— وكيف؟

— أنسيت ما قرأناه لأناطول فرانس من أن الموت نتيجة لضعف الـ vitalité

— أذكر ذلك، ولكنى أخشى أن يكون الحزن هو أيضاً نتيجة لضعف الحيوية

— أنت مخطئ فى هذا التأويل، فالحزن هو صوت الشهوة إلى النعيم المفقود، والشهوة لا تصدر عن النفس إلا فى حالة الفتوة والأريحية والطغيان

— وإذن فما بال جماعات من خلق الله تندد بالمحزونين؟

— كما تندد جماعات من خلق الله بالفرحين!

— ماذا تريد أن تقول؟

— أريد أن أقول إن الحسد هو الذى يحمل بعض الناس على التنديد بأهل الأحزان والأفراح، وما قام فى الدنيا أدب ولا مجد ولا سلطان إلا بفضل ما فى عاطفة الحزن أو الفرح من ثورة واشتعال

— أتريد أن أحزن، يا قلبى؟

— أريد أن تفرح بالحزن الصادق، فقد كان شعار الأنبياء؛ أما الحزن الكاذب فهو شعار المتصنعين. إن للحزن آداباً يجهلها أكثر الناس. ومن آداب الحزن أن يصدر عن عاطفة لا عن تصنع، وأن يأخذ وقوده من الإحساس لا من الخيال، وأن يردنا إلى الصدق فيما نكتب وفيما نقول، وأن يزيد فى احترامنا لأهل الأفراح، فهم إخوان أعزاء، ولو نقلهم الفرح إلى آفاق الجنون. أنظر إلى هذا التمثال وذلك التمثال!

قال الفتى المصرى:

ونظرت فرأيت تمثالين: أحدهما لعامل مكدود، وثانيهما لفتى تحتضنه فتاة بأسلوب يمنع من وصفه أدب أهل الشرق، فقد ضمته إليها كما يضم الحبيب المحبوب، وما أحب أن أزيد، وهل أستطيع القول بأن ذلك التمثال أفصح عن أشياء ينكرها الحياء؟ من بلايا الزمن أن الكاتب لا يملك من الحرية ما يملك المثّال!

كان هذان المنظران المتباينان يمثلان السلامة الوجودية أصدق تمثيل، فالعامل المكدود هو مثال الحزن الشريف، واحتضان الفتاة للفتى هو مثال الفرح النبيل، وليس من العيب أن نفرح أو نحزن بإفراط وإسراف مادمنا صادقين. وهل تهجم الفتاة على الفتى إلا طاعةً لغريزة كريمة هى سر البقاء؟ وهل تجعد وجه العامل المكدود إلا فى سبيل السعادة لأطفال يتمنى أبوهم أن يجهلوا معنى الفقر فى أيام الشتاء: شتاء الزمان؟

ثم عاد الحوار بعد لحيظات :

— حدثتك عما قرأنا لأناطول فرانس ، فهل تذكر ما سمعنا لعهد الطفولة فى سنتريس ؟

— لا أذكر من سنتريس غير أطياف بددتها أحلام باريس ؛ فماذا تريد ؟

— كان أهل سنتريس يقولون : « لما يخضرّ التوت ، البرد يموت »

— وما معنى ذلك ؟

— معناه أن الأوراق هى الوقاية من البرد !

— وإذن ؟

— وإذن تكون العواطف هى الوقاية من شتاء الزمان

— وما حال الشجرة التى لا ينخلع عنها الورق فى أى وقت ؟

— هى شجرة سعيدة أعاذها القدر من اختبار الأحباب . ومزية هذه الشجرة أنها تتذوق ما فى الأرض والهواء من حيوية عارمة لا تلتفت إلى تغير الفصول إلا فى أندر الأحايين !

— وهل فى مقدورنا أن نكون مثل تلك الشجرة ؟

— إذا تخلقنا بأخلاقها

— وكيف ؟

— فى الأسبوع الرابع من آذار تظهر تباشير الورق الجديد فوق غصون الأشجار التى عانت آلام العري فى الشتاء ، وننظر فنرى الأشجار الصغيرة أورقت قبل الأشجار الكبيرة ، فنفهم أن للشباب يداً فى سرعة الإيراق ؛ وقياساً على ذلك يكون الشباب الدائم هو الذى يحمى بعض الأشجار من سقوط الورق فى الشتاء

— أيكون لهذا الملحظ دخل فى تقديس شجرة « الجميز » عند قدماء المصريين ؟

— ليس هذا التخريج بغريب ، وقد يضاف إليه أن لشجرة الجميز ميلاً إلى البر بالجيران ؛ فهى تمد فروعها لتمتعهم بالثمار والظلال بلا انتظار للجزاء !

— أراك تهرب من الجواب !

— وأراك لا تفهم المعاريض !

— أنا أحب أن أعرف كيف أحتفظ بالشباب

— إذا احتفظت بالعواطف

— وكيف أحتفظ بالعواطف ؟

— إذا احتفظت بالشباب !

— وكيف أحتفظ بثروة من أعدائها الليل والنهار ؟

— أنت أقوى من الليل والنهار ، إذا أردت ؟

— وكيف ؟

— إجعل الليل والنهار من خدامك

— كيف ؟ كيف ؟

— لا تضيع لحظة واحدة بلا عملٍ نافع ، فالعمل الموصول فن من السيطرة على شباب الزمان ؛ أم تسمع بأخبار نوح ؟

— وما أخبار نوح ؟

— عاش فى قومه ألف سنة إلا خمسين عماً

— وهل يعيش الإنسان ألف سنة إلا خمسين عماً ؟

— بقليل من الفهم تدرك أن عمر نوح لا يرجع إلى الكمية الصورية ، وإنما يرجع إلى الكمية المعنوية ؛ وقد استطاع نوح باختراع « السفينة » أن ينقذ الإنسانية من « طوفان » الفناء ؛ فالعشرات من أعوامه تعد بالمئات . فصنع صنع نوح ، تعش عمر نوح !

قال الراوى :

ثم رأيتنى أهتف بقول أحد الهائمين :

ولو أن عمرى عمر نوح وبعته   بساعة وصل منك قلت كفانى

فالله وحده هو الذى يعلم قصة الورق والدوح . وهو الذى يعلم ما أعانى من البلبلة بين القاهرة وباريس وبغداد . وهو الذى يعلم كيف أفر من التصريح إلى التلميح . لينجو « الورق » من الافتضاح

إن عاد الربيع ، إن عاد ، فسوف نعقد « معاهدة ودية » لا ينقضها خريف ولا شتاء

وشبابى ، شباب الجسد والروح يحدثنى بأن الربيع إلى معاد ويلطف الله بمن يقول :

لنجواك أستبقي شـــبابي فعاطنى
كؤوس الهوى قبل ابيضاض المفارقِ

زكى مبارك



الإنسان الكامل

للدكتور جواد علي

عرّف المتصوفة الإنسان الكامل بقولهم: هو الإنسان الجامع لجميع العوالم الإلهية والكونية الكلية والجزئية. وهو كتاب جامع للكتب الإلهية والكونية: فمن حيث روحه كتاب عقلي مسمى بأم الكتاب. ومن حيث قلبه كتاب اللوح المحفوظ، ومن حيث نفسه كتاب المحو والإثبات: فهو الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة التي لا يمسها ولا يدرك أسرارها إلا المطهرون من الحجب الظلمانية. فنسبة العقل الأول إلى العالم الكبير وحقائقه بعينها نسبة الروح الانساني إلى البدن وقواه. وإن النفس الكلية قلب العالم الكبير. كما أن النفس الناطقة قلب الانسان؛ ولذلك يسمى العالم بالإنسان الكبير[1]

ويكاد يكون الإنسان الكامل نفس « الانسان الأول » لدى أرسطو[2]. أو « الحكيم » لدى أفلاطون، أو « الانسان الفاضل » لدى الفارابي. أو « الانسان المطلق » لدى جماعة إخوان الصفاء في البصرة[3]؛ وتكاد الفكرة تكون نفس فكرة « الانسان الذي لا إنسان فوقه » übermensch لدى هاينريش مولر من رجال أواخر القرن السابع عشر مبتدع هذه اللفظة لأول مرة[4] والشاعر الشهير جوته. والفيلسوف نيتشه[5] أو فكرة السوبرمان في اللغة الانكليزية Superman مع اختلاف بسيط سببه وجهة النظر والتفكير

وفكرة الانسان الكامل من الأفكار التي ترد على لسان المتصوفة كثيراً. وقد استعملها المتصوف الشهير محي الدين بن العربي[1] المتوفى سنة (٦٣٨ هـ ـ ١٢٤٠ م) وعلى الأخص في كتبه ومؤلفاته. وتكاد الفكرة تكون محور تعاليمه والنقطة التي تدور حولها أبحاثه التصوفية[2]. وابن العربي هذا من الشخصيات الاسلامية العظيمة التي تنتمي إلى أرومة عربية عريقة في القدم. شخصية أثرت في الحياة الروحية الاسلامية تأثيراً عظيماً ولا سيما في الحياة العقلية للأتراك والفرس[3]. وتتصل آراء هذا الصوفي بعضها ببعض بصورة متسقة منتظمة اتصال الحلقة أو السلسلة على غموض بعض أفكاره وعويص معانيه. وذلك أمر يقتضيه التصوف ذاته والموضوع الذي يدور حوله البحث. والظاهر أنه استمد آراءه في الانسان الكامل كما استمد ذلك سائر المتصوفة من الصورة التي رسمها مثاليو المسلمين للنبي الكريم. إذ نرى الصورة التي تصورها المتصوفة للانسان الكامل تسير جنباً لجنب مع الصورة التي يذكرها أصحاب السير للرسول نبينا العظيم[4]

استعمل محي الدين بن العربي هذا الاصطلاح كاستعمال أرسطو لكلمة « الانسان الأول »[5] أو استعمال فلاسفة اليونان لكلمة nus أو العقل. أو كلمة arché تقريباً[6]؛ استعمل هذا الاصطلاح ليدل على نسبة العقل الأول إلى العالم الكبير أو نفس الجزئية بالنسبة إلى النفس الكلية ليدل على فكرة طالما فنى المتصوفة أنفسهم شوقاً إليها إلا وهي فكرة المعرفة والتجلي عن طريق الوجد والفناء حتى يصل الانسان في النهاية إلى « الشجرة » وهي درجة الانسانية الكاملة التي لا إنسانية فوقها أبداً[7]. ونظراً لمكانة هذه الفكرة وما يحيط بها من إبهام وغموض، تصورها المسلمون لذلك بصور شتى وأشكال لا حد لها خرجت في كثير من الأحايين من عالم الفلسفة الاسلامية إلى عالم آخر أبعد من عالم الاسلام والتصوف بدرجات

---

(١) راجع تعريفات السيد الجرجاني طبعة استانبول سنة ١٣٢٧ ص ٢٥

(٢) راجع : Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesl Bd 79 1925 p. 241

(٣) وكتاب أرسطو Theol d. Arist s. o. s,234
Max Horten Philo d. Islam p, 347

(٤) راجع كتاب Geistlichen Erquickst unden and Schmidt Phil wort p. 679

(٥) راجع عن ذلك Berg der ub in der modernen literatur 18 97 R. m. meyer der uber in der Zeitschrift f. wortforschung Bd 1 1900

---

(١) راجع عنه الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ١٦٣

(٢) راجع مجلة الجمعية الشرقية الألمانية مجلد ٧٩ ص ٢٣٨ سنة ١٩٢٥

(٣) نفس المصدر

(٤) راجع : Tor Andrae die Person muhammeds in lehre und glauben seiner gemeinde 1917 Kap. 6

(٥) راجع Theol d. Aristo s. o. p. 234

(٦) Max Horten phil d. Islam p. 347
وكذلك Goldzfher 42 f

(٧) راجع مصطلحات الصوفية وكتبهم أمثال : اصطلاحات الصوفية الواردة في الفتوحات المكية طبعة استانبول سنة ١٣٢٧

وقد ظن المستشرق ماكس هورتن أن ذلك العالم هو العالم البراهمى وهو عالم غنى بهذه الأفكار مملوء بهذه الآراء[١] ، وظن المستشرق شيدر — وهو مستشرق يرجع أصل كل شىء فى الحضارة الاسلامية إلى مصدر إيرانى قديم — أن مصدر هذه الفكرة الآراء المانوية الايرانية القديمة . يرى أن هذه الآراء أثرت فى التصوف كما أثرت فى فلسفة أبى بكر الرازى وإخوان الصفاء وناصر خسرو وغيرهم ، وذلك لوجود تشابه رآه هذا المستشرق بين فكرة الانسان الكامل وبين المعتقدات المانوية القديمة[٢]

وترد نفس هذه الفكرة فى فلسفة فيلون Philon[٣] وفى الفلسفة البوذية حيث يكون بوذا أكمل مخلوقات الله . فيه اجتمعت المتناقضات، وفيه تم كل شىء، فهو الانسان الكامل[٤] وهو رمز وحدة الوجود ، فيه اجتمعت الروح بالمادة بصورة لا نتصورها إلا فى الله ، لذلك هو المثل الأعلى للبشرية ، وهو الانسان الكامل ؛ وعلى كل إنسان يريد أن يصل إلى مرتبة البشرية الكاملة أن يسعى سعياً روحياً للوصول إلى هذه الدرجة التى لا تتم إلا على يد قطب أو وسيط ، وهذا القطب أو الوسيط هو نفس الوسيط الذى استعمله الصوفية والاسماعيلية والشيع الاسلامية السرية للوصول إلى واجب الوجود[٥]

وقد مزج المغيرة وهو أحد الذين اتهموا فى دينهم (أحرق عام ٧٣٧ م[٦]) بين فكرة « الانسان المطلق » وبين نظرية العدد والبروج التى ترد فى مذهب الفيثاغورسيين والمنجمين فقال بأن الانسان أكمل المخلوقات طراً ، لأن له اثنى عشر عضواً يقابل كل عضو من هذه الأعضاء برجاً من البروج ؛ لذلك فالعالم الأكبر اجتمع هنا فى العالم الأصغر ، فهو هو هو ، والعالم الأصغر هو نفس العالم الأكبر . وحيث أن آدم هو أبو البشر فهو يمثل الصلة بين العالم الأكبر Markokosmus وبين العالم الأصغر Mikrokosmus ؛ فهو إذاً أكمل البشر وهو الانسان الأول أو الانسان الكامل على الاطلاق

وتقارب هذه النظرية ، على ما يقوله ماكس هورتن ، نظرية « الحروفية » وهم الذين يمثلون فلسفة العدد فى الاسلام ، والذين ينتهون بحكم هذه التعاليم إلى الحلولية على نحو ما ينتهى إليه أمثال هؤلاء فى الشرق والغرب ، مثل ما انتهى إليه نيقولا كوزانوس Nicolaus Cusanus[١] الذى كان يقول بأن الواحد مرآة صافية للكل ، وأن العالم الأصغر هو هو العالم الأكبر ، فيه حل الواحد وفى كل شىء حل الله ، على نظرية ما فى الجبة إلا الله . وهو فى تعاليمه يشابه الفيلسوف العربى الكندى ويكاد يكون أحد تلاميذه أو أتباعه[٢] . ومثل الفيلسوف لايبنتز Leibninz[٣] فى نظريته عن الذرات الروحية Monaden أو طاجينلا الايطالى المشهور والشاعر الشهير جوته فى مذهب الحلول[٤]

وهذا الإنسان الكامل الذى أبدع فى وصفه المتصوفة ، هو إنسان خيالى روحانى ليس له مثيل بين سكان الأرض، يجمع بين العالمين العالم الروحانى والعالم المادى، لا يعبأ بهذا الكون ولا يقيم له وزناً . وهو على طرفى نقيض مع « الإنسان الأعلى » ، أو السوبرمان الذى ابتدعه فلاسفة أوربا المحدثون ، ويعنون بذلك الإنسان الذى يحبذ هذا الكون ويقدسه ، يريد السيطرة ويحترم مبدأ القوة ، لتناقض موجود فى الأساس بين الفكرتين الشرقية الخيالية والغربية العملية الاكتشافية

وقد جمع عبد الكريم الجيلى المتوفى عام ١٤١٠ م تقريباً آراء فلاسفة الاسلام فى الانسان الكامل ، فى كتاب سماه : « الانسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل » استفاد منه المستشرق الانكليزى نيكلسون كثيراً إذ ذكر وجهات نظر المسلمين فى هذا الانسان أثناء بحثه عن التصوف الاسلامى فليرجع إليه[٥] .

ميراد هي

---

(١) راجع Max Horten Die philo des Islam p. 105 ff

(٢) راجع المجلة الشرقية الألمانية Z. Dmcr مجلد ٧٩ ص ٢٤٢

(٣) راجع Goldmiher k. 42 f.

(٤) راجع Tiele Kompend d. rel Gesch 1903 s, 238

(٥) Max Horten p. 348

(٦) نفس المصدر ص ٣٤٧

وكذلك Goldmiher abh. G. G. W. 1906

أيضاً Jacob Bektaschbijje abh. Bayr A. W. 1909 47 A. 2.

---

(١) وهو أحد مشاهير المتصوفة فى أوربا ولد عام ١٤٠١ وتوفى عام ١٤٦٤ راجع عنه ويند لبند فى كتابه تاريخ الفلسفة ص ٢٦٧ ، وكذلك Max Horten p, 348

(٢) نفس المصدر

(٣) فيلسوف ولد عام ١٦٤٦ وتوفى عام ١٧١٦ وقد تأسست جمعية عرفت باسم جمعية لاينبتز للأبحاث . مقرها برلين

(٤) راجع ديوانه Ost West Diwan وأشعاره

(٥) R. A. Nikelson the Perfect man, in studies in Islam mysticism 1921

مطالعاتي حول المدفأة

المدينة الضائعة

للأستاذ صلاح الدين المنجد

تهت الليلة في مخارم الجبال مع « جوكليه » سعياً وراء المدينة الضائعة[1] . إن هذا الكاتب ليهزني ؛ فهو وصاف للعادات مرة ، قصاص مغال أخرى ، متفلسف هزاء على نحو فونتير تارة ، مؤرخ يمزج التاريخ بالأدب أحياناً . . . وهذا ألذ الأمر معه لبيبة في روايته الأخيرة ؛ فأرشف العذوبة ، وأهيم مع الخيال ، وأسمع نداء الحكمة والحياة

لا بأس على القراء أن يتيهوا معي ، فالرواية طريفة والقصاص بارع . ها هو ذا « جوكليه » في جزيرة « لوسون » من الفيليبين يلتقي بفتى يتدفق حماسة وقوة . يريد أن يفتش عن كنز عظيم تركه ملاح صيني كبير ، في مدينة ضاعت بين الجبال ، في شرق الجزيرة منذ أربعة قرون . وكان نداء المجهول ، وحلاوة المغامرة ، يدفعان الفتى إلى البحث عن الكنز ، فأثر في رفيقه القصاص وساقه معه

وكان يصحبهما رفيق ثالث شاذ الطبائع ، غامض العواطف ، اسمه « دون انطونيو » عرفوه في الفندق . وكان هذا يود الهرب من المدينة الزائفة لأسباب غامضات

وهام الثلاثة في طريقهم ، وقد صحبوا دليلين قويين ، وبضعة بغال . . . ثم تغلغلوا في قلب غابات المتوحشين . وكان يصادفهم أخطار ترعب ، ومصاعب لا تحد : لذع من الشمس ، وخبل من الهواء ، وغرق في الماء ، ونهس من الذباب ، وتيهان في المستنقعات ؛ فضلاً عن شهق الجبال وعمق الأودية ، واشتباك الغابات ، ووفرة الشباك المنصوبة على حفافي الطرقات

وفاجأتهم قبائل التكريتو بسهامها في إحدى الغابات ، ففروا بعد جهد وعذاب . ومضت القافلة الصغيرة تماشي الهضاب ، وتصعد في الجبال ، وتفتش عن « المدينة الضائعة » في كل مكان . فاستيقظوا ذات يوم ، بعد أن قذفهم واد عظيم ، وإذا بهم يرون من شواهق الذرى ، في حضن جبل ، على حافة بحيرة راكدة : مزارع أرز واسعة ، وآثار بناء شامخ . تقوم عند أقدامه مساكن صينية حقيرة . فخفوا نحوها ، فستقبلوهم بصمت وحذر وجفاء ، وأدخلوهم باباً في ذلك البناء ... فعلموا أنهم أضحوا سجناء في مدينة واسعة ، قامت في قلب الجبل . لا يدرون من أمرها شيئاً ...

وساقوهم إلى شيخ صيني نبيل ، فأعلمهم بعد جهد ، أنهم في المدينة التي شادها « تماجونك » الملاح الصيني العظيم

« لقد قضى الوقت الطويل في البحث عن أعوانه . كان يريد أعواناً لا تبش وجوههم لبريق المال الذي يحيط بهم ، ومكاناً لا تصل إليه الأقدام . فاختار هذا الجبل مقاماً له عندما يقفل من قرصنته في البحار . وعاش مع أصحابه حياة هادئة غامضة لا يستطيع مؤرخ أن يكتب شيئاً عنها ؛ ثم أخضع القبائل التي كانت تعيش في الغابات المجاورة والجبال ، وجعلهم عبيداً له طول الحياة ... !

« ولم يفكر قط واحد منهم ، ولا واحد منا ، أن يعود إلى البلاد المتمدنة التي يضطرب فيها كل شيء ... فإذا ومضت هذه الفكرة في رأس أحدنا علمنا أنه مريض . . .

« ولقد وضعنا في طريق ذلك العالم المتمدن عقبات كثاراً لتعجز كل قوة أنسية عن اجتيازها ... نعم ، أيها السادة ، تلك قصة الملاح العظيم ، وإني لآسف أن أراكم بيننا ، وإن سعادة هذا الشعب الهادئ الذي يعيش هنا توجب على سجنكم عندي لئلا تغروهم بالعودة إلى دنيا المصائب والبلايا ... ! »

وسجن الأصحاب الثلاثة ، ولكنهم تحسسوا الأخبار ، وعلموا أن ذلك الملاح الشقي ، أودع كنوزه إحدى جزر المحيط قبل أن يموت ... ففروا من سجنهم بعد أن رأوا الموت مرات ، وفقدوا أحد الأدلاء . على أن الفتى « ميجيل » ما كان في هذه المرة يبتغي نوال المال ، فلقد أراد أن يسعى وراء حياة هادئة ، ليس فيها

---

(1) René Jouglet : La Ville Perdue (B. Grasset, édit)

شيء من « البوكر » ولا « السيست » وغيرها ...

ها هم أولاء يتيهون في البحار ، ينتقلون من جزيرة إلى جزيرة دون أن يعثروا على التي سمعوا وصفها . فقرروا أن يعودوا من حيث أتوا ... ولكن عاصفة مجنونة حملتهم إلى جزيرة بعيدة : كلها أعشاب خضر ، وبرارٍ محروثات ... وإذا هم بين أناس من الصين علموا أنهم أحفاد الملاح الكبير ... وأدركوا أن تلك الأراضي كنوز الملاح ... فعاشوا بسذاجة وانطلاق ...

وخطر على بال القصاص أن يعود مع الفتى . فعاد . . . أما « دون أنطونيو » . فقد آثر البقاء هناك ، وقال :

« لن أستطيع العيش في لندن . إن فيها جدراناً كثيرة تخنق المرء ... كل يوم فيها اصطدام واضطراب وظلم ... إن فيها قيوداً كثيرة . إنها سجون مظلمة ... وسيبحث عني أولئك الذين عرفتهم فلا يجدونني ، وسيحسبون أني مجرم آوتني السجون . . . ليقولوا ما شاءوا ... فأنا أعيش مع المتوحشين ، ولكني حر طليق ... لا يقيدني قيد ، ولا يخيفني مخلوق ... نعم ، وسيعلمون بعد حين أن عدد الهاربين من المدن ومن المدنية ومن الترف إلى الطبيعة سيزداد وينمو ... ! »

وعاد الصديقان وحدهما ، وقد علما أنه لا بد لهما من العودة يوماً ليستجيبا لنداء المجهول ، وليعيشا في الأرض التي لا تعرف الشقاء ، أرض الأعشاب والمرجان ... » (١) .

***

أين أنت أيتها الأرض البعيدة التي ستضمينني ؟

أيها المجهول الذي يناديني . ادفعني إلى تلك الأرض الهادئة لأستريح من لؤم الإنسان ... !

ادفعني ... لأحيا ... !

(دمشق) صلاح الدين المنجد

(١) لعل القارئ يلاحظ الشبه الشديد بين هذه الرواية ، وبين « نداء المجهول » لأمير القصة الأستاذ تيمور

في الفلسفة الإسلامية

إخوان الصفـــاء (*)

للأســتاذ عمر الدسوقي

مقدمة

في أواسط القرن الرابع الهجرى ذهبت سطوة الخلافة العباسية واستبد بالخلفاء مواليهم من فرس وديلم وترك ، وساموهم الخسف وسوء العذاب ، فستقل كثير من الأمراء عن بنى العباس وأسسوا دويلات صغيرة : كآل بويه ، وآل حمدان ، والساسانيين وغيرهم . ولم يبق للخليفة من مظاهر القوة شيء

بيد أن هذا الانحطاط السياسي في الدولة لم يمنع الحياة العقلية من الازدهار لتنافس الأمراء في تقوية دويلاتهم علمياً وأدبياً : في الشعر ونضج التفكير ، ونشطت حركة النقل والبحث في العلوم الفلسفية على اختلاف شعبها ثم هضمها وصبغها بالصبغة الإسلامية

وكان من عواقب الانحطاط السياسي للدولة العباسية تكوين كثير من الجمعيات السرية وغير السرية التي تحاول القضاء عليهم أو تحمس المسيين حتى تضع غيرهم مكانهم . أو توجد لنفسها كياناً مستقلا . ومن هذه الجمعيات التي ظهرت في منتصف القرن الرابع الهجرى « جماعة إخوان الصفاء » وهم من الشيعة الباطنية الذين لم يرضوا عن الخليفة العباسي كما لم يرضوا عن الخلافة الفاطمية في مصر . وحاولوا قلب النظام السياسي بقلب التفكير العقلي وإيجاد ثقافة جديدة يعتنقها شباب عصرهم مقتفين في ذلك أثر الفيثاغوريين وأفلاطون . ومن المعلوم أن الفيثاغوريين كانوا جماعة سرية إصلاحية حانقة على نظام الحكم اليونانى وأنهم حاولوا تغييره بخلق مذهب جديد ونظريات حديثة عن العالم ونشأته داعين إلى الزهد والتقوى . ومن المعلوم كذلك أن أفلاطون كان ساخطاً على حكومة أثينا . فلا الأرستقراطيون أنقذوا ما في حكومته من ظلم وجور . ولا الديموقراطيون حققوا آماله الفوضى التى ضربت خيامها في أثينا ؛ ولذلك جد في وضع منهج جديد للحكومة في كتابه الجمهورية وإن كان قد فشل حين حاول تطبيقه عملياً

أما إخوان الصفاء فقد نالوا شيئاً من النجاح لأنهم من الاسماعيلية الباطنية . وهؤلاء قد استطاعوا أن يوجدوا لأنفسهم كياناً سياسياً مكن لهم في بعض الأرض ونشر الرعب في العالم الاسلامى . وسنرى فيما بعد أدلتنا على أنهم من الاسماعيلية بل إن رسائلهم هي دستور هذه الطائفة

من هم إخوان الصفاء ؟[1]

لقد أحاطت هذه الجماعة السرية نفسها بسياج متين من الكتمان ويقولون في ذلك : « إننا لا نكتم أسرارنا عن الناس خوفاً من سطوة الملوك ذوى السلطة ، ولا حذراً من شغب الجمهور من العوام ولكن صيانة لمواهب الله عز وجل لنا »[2] . لذلك حار الناس قديماً وحديثاً في معرفة أسمائهم . ولولا ما نقله القفطى عن أبي حيان التوحيدى[3] في هذا الصدد وتعداده لبعض الأسماء المشهورة بينهم

(*) لم نجد بين أيدينا شيئاً مشبعاً عن إخوان الصفاء ودراسة رسائلهم ومدى تأثرهم بالمذاهب الفلسفية اليونانية ولذلك اعتمدنا أولا وقبل كل شيء على قراءة هذه الرسائل ، واستنباط ما يمكن أن يفيدنا في هذه الدراسة المختصرة . ومن المراجع التى اعتمدنا عليها :

١ — تاريخ فلاسفة الاسلام لدى بور

٢ — رسالة صغيرة بمكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت للسيد عبد اللطيف الطيباوي

٣ — كتاب مفكرى الاسلام لكرادي فو Carra de Vaux

٤ — مقدمتا الدكتور طه حسين بك وأحمد زكى باشا لرسائل إخوان الصفاء

٥ — كتاب الدعاية الاسلامية لسير توماس أرنولد وما ورد فيه خاصاً بطائفة الاسماعيلية

(١) أثرت هذه الجماعة اسم إخوان الصفاء لأنها كانت متحدة ممتزجة تسير نحو هدف واحد . وكان عندهم شيء من الزهد والتصوف . والتصوف يمت بسبب كبير إلى صفاء النفس ، وقد تحدثوا كثيراً عن الصداقة وكيف يختار الصديق — أى الذى سيدخل معه — أما صيغة الاسم فأقدم ما نعرفه عنها ما ورد في النقائض :

لعمرك ما آس طفيل بن مالك ... بنى عامر إذ ثابت الخيل تدعى

وودع إخوان الصفاء بقرزل ... يمر كمريخ الوليـــد المفزع

ثم وردت هذه الصيغة في كتاب كليلة ودمنة في باب الحمامة المطوقة ، وقد جاء في الرسائل ج ١ ص ٥٣ ما نصه (فاعتبر بحديث الحمامة المطوقة المذكورة في كتاب كليلة ودمنة) ، وقد كان الاخوان معجبين بهذا الكتاب وعنه اقتبسوا كثيراً من الحكايات ، فلا يستبعد أن يكون قد أوحى إليهم بهذه الصيغة . أما السبب الحقيقى فهو ما بين الاخوان من اتحاد وامتزاج وصفاء وإتقان في الهدف (طيباوى)

(٢) رسائل ج ٤ ص ٢١٥ . ولكن هذا ليس هو السبب ، فقد كانوا يخافون السيف وأن يقعوا في أيدى الظالمين ـ رسائل ج ٤ ص ١٠١

(٣) هو أبو حيان التوحيدى على بن محمد بن العباس الصوفى كان متفنناً في جميع العلوم يشبه الجاحظ في علمه وأدبه ، ويقال له شيخ الصوفيه وفيلسوف الادباء وأديب الفلاسفة وقال عنه ياقوت : (كان يتأله والناس على ثقه من دينه) وقد حكم المتأخرون بزندقته فطلبه الوزير المهلبي ، وقد درس الفلسفة على عدى بن زيد ، وأبى سليمان السجستانى محمد بن طاهر المنطق ، وتوفي في سنة ٢٨٠ هـ وقيل في سنه ٤٠٠ ببغداد فقيراً معدماً

لعمى علينا الأمر فقد ذكر في أثناء حديثه عن زيد بن رفاعة (أنه أقام بالبصرة طويلاً وصادق بها جماعة لأصناف العلم وأنواع الصناعة ، منهم أبو سليمان محمد بن معشر البستي (ويعرف بالمقدسي) وأبو الحسن على بن هارون الزنجاني وأبو أحمد المهرجاني و أبو الحسن العوفي وزيد بن رفاعة)

مكانهم وزمانهم :

كانت البصرة مركزهم الرئيسي وإن لم يذكر الاخوان شيئاً من ذلك في رسائلهم بيد أن القفطي قال : (وقد أقام زيد بن رفاعة بالبصرة زماناً طويلاً وصادق بها جماعة لأصناف العلم ... الخ) . وهناك ما يؤيد رأى القفطي وهو أن البصرة كانت منذ أسست عاصمة العلوم الاسلامية ومحط كثير من رجال الفقه ، فيها نشأ الحسن البصري ورؤساء المعتزلة ، وفيها قام عبد الله بن ميمون بفتنة القرامطة أصل مذهب الاسماعيلية في أواخر القرن الثالث الهجري ، وفيها قام أبو الحسن الأشعري ينتصل من الاعتزال ، وكانت فيها حلقات العلم من كل فن وفي مربدها ينشد الشعراء قصائدهم ؛ فلا عجب إذاً أن كانت البصرة مأوى إخوان الصفاء .

هـذا وقد كان لجماعة أنصار في مختلف البلدان ولهم دعاة يبشرون بمذهبهم بطرق منظمة ؛ وفي هذا يقولون : (إن لنا إخواناً وأصدقاء من كرام الناس وفضلائهم متفرقين في البلاد) . ويظهر أنه كان في بغداد جماعة أخرى على اتصال وثيق بإخوان الصفا وعنها يقول أبو حيـان التوحيدي في كتابه المقابسات : (من أعضائها أبو سليمان محمد بن طاهر السجستاني ، وأبو زكريا الصيمري ، والعروضي أبو محمد المقدسي ، ويحيى بن عدى ، وأبو اسحاق الصابي ، وماني المجوسي) ، ويظهر أن أبا سليمان المنطقي السجستاني كان رئيس هذه الجماعة فكثيراً ما يقول أبو حيان (دارت في مجلس أبي سليمان ... مناظرات) ، ويقول : (أملى علينا أبو سليمان)[1] . ويظهر أيضاً أن أمر هذه الجماعة الفلسفية كان على شاكلة أختها في البصرة سرياً ؛ فقد ثبت أن أبا العلاء المعري كان يختلف إلى هذه الجماعة بدار عبد السلام البصري أيام الجمع حينما قدم بغداد وهم الذين سماهم إخوان الصفاء حين يقول :

كم بلدة فارقتهـا ومعاشر	يذرون من أسف على دموعا
وإذا أضاعتني الخطوب فلن أرى	لوداد إخوان الصفاء مضيعا
خالت توديع الأصادق للنوى	فمتى أودع خلى التوديعـا[2]

(١) المقابسات ص ٥٧

(٢) تجديد ذكرى أبي العلاء للدكتور طه حسين بك ص ١٥١

وقد كان لاحتكاك أبي العلاء مع تلك الجماعة وتعرفه على مختلف النظريات الفلسفية والدينية والصوفية الأثر الأكبر في اتجاه أفكاره وفلسفته، فيقول الأستاذ ما كدونالد «يظهر أن أبا العلاء اتصل بفئة مثل إخوان الصفاء إن لم يكونوا هم أنفسهم»[1]

ومما تقدم نرى أن إخوان الصفاء كان مركزهم الرئيسي بالبصرة وكان لهم فرع قوى ببغداد . وأنصار ودعاة في مختلف البلدان والأمصار

أما الزمن الذى وجد فيه الاخوان فهو أواسط القرن الرابع الهجرى : ومن العسير تحديد السنة . بيد أن هناك ما يرجح أن الرسائل ألفت فيما بين سنتي ٣٣٤ هـ و ٣٧٣ هـ ؛ لأن بدء ظهورهم كان على أثر سيطرة آل بويه على بغداد سنة ٣٣٤ هـ . ولم نسمع بهم قبل هذا التاريخ ، ومن الجائز أن تكون جماعتهم قد تأسست قبل ذلك وبقيت في طى الكتمان . ولم تتجرأ على إظهار الرسائل إلا بعد هذا التاريخ[2]

نظام جماعتهم

كانت جماعة إخوان الصفاء تتكون من أربع طبقات : الأولى سبان يتراوح عمرهم بين خمس عشرة وثلاثين سنة ، وهم الذين يسمونهم في رسائلهم بالاخوان الأبرار الرحماء . ويظهر أن الرسائل قد ألفت لهذه الطبقة لأن الخطاب فيها موجه دائماً إلى الأخ البار الرحيم. أما الطبقة الثانية فرجال بين الثلاثين والأربعين يتلقون حكمة الدنيوية ، ويظهر أنه كان يعهد إليهم مراعاة الاخوان ومساعدتهم والتحقق عليهم ، وهم الذين يسمون في الرسائل بالاخوان الأخيار الفضلاء . والطبقة الثالثة رجال بين الأربعين والخمسين من العمر وهم يعرفون الناموس الالهى، كما أنهم أصحاب الأمر والنهى والسلطة بين الاخوان ، وإليهم يعهد بدفع العناد والخلاف عند ظهور المعاند المخالف لهذا الأمر بالرفق والمداراة في إصلاحه) ، وهم الذين يسمون بالاخوان الفضلاء الكرام . والطبقة الرابعة وهي مرتبة من يزيد على الستين سنة وهي أعلى المراتب في نظامهم ومن يصل إليها يكون فوق الطبيعة والشريعة والناموس ، ويكون ذا كشف يستطيع به أن يشاهد (أحوال القيـامة من البعث والنشر والحساب والميزان)[3]

والآن ! كيف يقبل المرشح لعضوية هذه الجماعة ؟ تجيبنا

(١) Muslim Theology ص ١٦٧ (٢) الطيباوى

(٣) رسائل ج ٤ ص ١١٩ — ١٢٠

الرسائل : (أنه ينبغى لإخواننا أيدهم الله حيث كانوا فى البلاد إذا أراد أحدهم أن يتخذ صديقاً مجدداً أو أخاً مستأنفاً أن يعتبر أحواله ويتعرف أخباره ويجرب أخلاقه ويسأله عن مذهبه واعتقاده ليعلم هل يصلح للصداقة وصفاء المودة وحقيقة الأخوة أو لا يصلح . لأن فى النـاس أقواماً طبائعهم متغايرة خارجة عن الاعتدال ، وعاداتهم رديئة مفسدة ومذاهبهم مختلفة حائرة)[١]

وكانوا يتحرون عن الشخص الذي يريد الإنضمام إليهم كل التحرى ، ويحذرون إخوانهم من الاغترار بالظواهر : (واعلم بأن من الناس من يتشكل بشكل الصـديق ، ويدلس عليك بشبه الموافق . ويظهر لك المحبة وخلافها فى صدره . فانظر من تصحب وتعاشر ولا تغتر بظاهر الأمور من غير معرفة بواطنها . . . بل ينبغى أن تنتقده كما تنتقد الدراهم والدنانير والأرضين الطيبة التربة للزرع والغرس وكما ينتقد أبناء الدنيا أمر التزويج وشراء المماليك والأمتعة)[٢] . . . (لأن إخوان الصدق هم الأعوان على أمور الدنيا والدين جميعاً وهم أعز من الكبريت الأحمر ، وإذا وجدت منهم واحداً فتمسك به فإنه قرة العين ونعيم الدنيا وسعادة الآخرة وابذل له نفسك ومالك وافرش له جناحك وأودعه سرك وشاوره فى أمرك وإن هفا هفوة فاغفر له)[٣]

وكانوا يحثون الإخوان على أن يعاون الغنى منهم الفقير والمتعلم الجاهل ويؤثرون أصدقاءهم على أنفسهم وأولادهم وأزواجهم ، لأن محبة هؤلاء لمصلحة دنيوية . أما الإخوان الذين انضموا إليهم ، فيحبونهم لله

فإذا ما قبل العضو قرءوا عليه خطبة فيها دعوتهم وغايتهم : « وينبغى لإخـواننا إذا حضروا المجلس ومعهم أخ مستجيب يستحب أن يقرءوا عليه هذه الخطبة : اعلموا ـ أيها الإخوان ـ أيدكم الله وإيانا بروح منه ، وهداكم للحق ، وجعلكم من أتباعه ، وسهل لكم سبيل الخير ، وأرشدكم إلى معرفة أهله ، وعصمكم من الشر ، وجنبكم صحبة أهـله ، وحرسكم من الزور الشيطان ، ووقاكم جور السلطان ونكبات الزمان ونوائب الحدثان ، ووفقكم لقبول نصيحة الإخوان ، إنه ودود منان — اعلموا أن كل دولة لها وقت منه تبتدئ ، ولها غاية إليها ترتقى ، وحد إليه تنتهى ؛ وإذا بلغت أقصى مدى غاياتها ومنتهى نهاياتها ، أخـذت فى الانحطاط والنقصان ، وبدأ فى أهلها الخذلان ، واستأنف في الأخرى القوة والنشاط والانبساط والظهور ، وجعل كل يوم يقوى هذا ويزيد ، ويضعف ذلك وينقص ، إلى أن يضمحل الأول المتقدم ، ويتمكن الحادث المتأخر ... وقد ترون ـ أيها الإخوان ـ أنه قد تناهت قوة أهل الشر وكثرت أفعالهم فى العالم فى هذا الزمان، وليس بعد التناهى فى الزيادة إلا الانحطاط . واعلموا أن الملك والدولة ينتقلان فى كل دهر وزمان من أمة إلى أمة ، ومن أهل بيت إلى أهل بيت ، ومن أهل بلد إلى أهل بلد ... واعلموا أن دولة أهل الخير يبدأ أولها من أقوام خيار فضلاء يجتمعون فى بلد ، ويتفقون على رأى واحد ، ودين واحد ، ومذهب واحد ، ويعقدون بينهم عهداً وميثاقاً بأنهم يتناصرون ولا يتخاذلون ، ويتعاونون ولا يتقاعدون عن نصرة بعضهم بعضاً ، ويكونون كرجل واحد فى جميع أمورهم ، وكنفس واحدة فى جميع تدابيرهم[١]

وقد كان للجماعة دعاة ومبشرون يجتهدون فى اختيار أعضاء جدد يضمونهم إلى صفوف الإخوان ، وقد كانوا يدربون تدريباً خاصاً على الدعاية : (واعلم أيها الأخ أيدك الله وإيانا بروح منه أن لنا إخواناً وأصدقاء من كرام النـاس وفضلائهم متفرقين فى البلاد، فمنهم طائفة من أولاد الملوك والأمراء والوزراء والكتاب والعمال ، ومنهم طائفة من أولاد الأشراف والدهاقين والتجار والتناء[٢] ، ومنهم طائفة من أولاد العلماء والأدباء والفقهاء وحملة الدين ، ومنهم طائفة من أولاد الصناع والمتصرفين وأمناء الناس . وقد ندبنا لكل طائفة منهم أخاً من إخواننا ممن ارتضينا فى بصيرته ومعارفه ينوب عنا فى خدمتهم بإلقاء النصيحة إليهم بالرفق والرحمة. وقد اخترناك أيها الأخ البار الرحيم لمعاونتهم فامض على بركة الله وحسن توفيقه إلى أخ من إخواننا ، وتوصل إليه بالرفق على خلوة وفراغ من مجلسه وطيبة من نفسه فاقرأ عليه منا التحية والسلام ، وبشره بما يسره من نصيحة الإخوان ، وعرفه شدة شوقنا إلى إخائه ومودته وولايته ، ثم اقرأ عليه هـذه الخطبة (التقدمة الذكر) وعرفه معانيها وفهمه مغزاها ومقصدها[٣] ... (فإن وقعت هذه التذكرة منه مكانها من القبول وسمت نفسه إلى ما أشرنا إليه فذلك

(١) رسائل ج ٤ ص ١٠٧

(٢) الرسائل ج ٤ ص ١٠٨ (٣) الرسائل ج ٤ ص ١٠٩

(١) ج ٤ ص ٢٣٥

(٢) الدهاقين جمع دهقان بكسر الدال وضمها وهو حاكم الاقليم المتصرف فارسية معربة ، والتناء بالكسر جمع تانئ من تنأ بالمكان أى أقام به ومعناه المرابط

(٣) الرسائل ج ٤ ص ٢٣٦

الصحيفة المثالية

لرجل الصحافة « ويكهام استيد »

بقلم الأستاذ زين العابدين جمعة المحامي

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

واجب الصحافة الرشيدة أن تستوعب أمر هذه الحال المفككة الأوصال وتنعم النظر في سبب نث الأدواء الاجتماعية وعلة هذا الضلال، ثم تتنزل على ضحاياه لتأخذ بيدهم وتأسو جراحهم وتنهض بهم من غير أن تبتعد عنهم. أو ترتفع في شرعتها عن مستواهم. وهنا تتهيأ الفرصة للصحفي الذي تأصل في نفسه مثل أعلى وتولى زمامه قصد نبيل أن ينشئ للناس صحيفة رشيدة. وقد أخفى مثله ونبالة قصده في نفسه واختزنها لغرضه حتى لا يسخر منه الحمقى ويضعوا من كفايته قبل أن يتمكن من تحقيق لبانته.

أما عن أمر صحيفتي المثالية التي أحلم بها وأصبو إليها فسوف تطالع الناس وهي تستوعب مصادر الأدواء الاجتماعية ومواردها وتتقصى أسباب الضلال والحيرة الماثلين في الحياة الحاضرة، وهي وإن تصدر في ذلك عن إيمان مكين لا يقل شأنه على أية حال عن إيمان الصحف الحاضرة بواجبها في تقصي نث العلل؛ إلا أنها ستضع للحق أعلاماً لا شبهة فيها فتعالج نث الأدواء باعتبارها ضلالاً وحيرة لا أشياء أخرى تعدد حقيقتها وتتجاوز قدرها.

وسوف تتلمس الحقيقة الماثلة وراء الظواهر، وتنتهي إليها، وتظفر بها ثم تذيعها على الناس في جرأة وأمانة فلا تبقى من أمرها على شيء كاذب، ولا تصانع المجتمع فيما انعقد إجماعه عليه فتحترم ما جرى عليه العرف فيه بمجرد أنه قد صار للناس عرفاً. وهي إذ تقر لذي الفضل بفضله، وتقدر المحسن إحسانه، وتوجه التكريم إلى الوجهة التي يجب أن يتجه إليها، ولا تقر له شرعة غير شرعة الحق والعدل، ستدعو التصنع تصنعاً وتسمى الخداع خداعاً بكامل ما انطوى عليه تسميهم من لفظ ومعنى.

وسوف لا تتهيب شيئاً كائناً ما كان أو تخشى في الحق لومة لائم. وإذا هي « لا تتحرج » في معالجة الموضوعات المؤلمة أو المزعجة، وإذا هي تسجل على نفسها خطأها إذ قدرها أن تخطئ، والزلل لا عاصم منه فالعصمة لله وحده. وإذا هي لا تقبل من ضروب الإعلان إلا ما يتحقق لها صدق عبارته ومادته وأمانة ذويه. وعندئذ يصبح قبولها للاعلان ضماناً أدبياً يصون مصالح القراء ويكفل حقوق الناشرين على السواء. وإذا هي تتأبى أن تنشر لتجار الشهادات المتعلقة بصافي مبيعاتهم وتحتقر صنوف (بعينات) البضائع لتبيعها لحساب عملائها؛ وإذا هي تتأبى على هؤلاء العملاء وقد غمرها شعور فياض بالكرامة والعزة أن تهبهم شيئاً من الامتيازات المجانية أو أية رخص أخرى؛ وإذا هي تذيع على الناس في قوائم سوداء أسماء الناشرين وشركات الإعلانات ثم تثيرها عليهم حرباً جبارة لا هوادة فيها ولا رحمة تذيع على الناس ما ينتهي إليها من خبيء أمرهم ومستور حيلهم إذا ما حاولوا في نهجها العادل وقصدها الشريف أن يعملوا ما وسعهم من جاه وثروة للقضاء عليها

وسوف تنفق شطراً كبيراً من رأسمالها في كسب ثقة العقول الشابئة الطامحة الذين سيتعلمون عاجلاً كيف يثقون برأيها ويقنعون بقضائها ويقدرون نصحها؛ وسوف تكون صحيفة مجاهدة يلمس الناس جهادها وضاحاً من أول عمود من أعمدة « أقلام تحريرها » إلى آخر عمود فيها. وسوف لا ترتبط بأية مصالح مهما كان شأنها ما لم تتفق ومثلها الأعلى. ولا تعبأ بعداء أو خصومة مهما كان مصدرها، بل تكون إلى ذلك كله مؤمنة كل الإيمان بما انتهت

هو الذي تريده، وإن توقف وقال ما علامة ما تقولون، وما تصديق ما تزعمون من الرأي والحديث؟ فتقول عندنا دلائل واضحة، فإن أراد أخونا الفاضل الكريم فليبعث إلينا ثقة من ثقاته وأميناً من أمنائه، ومن يشا كلنا في العلوم والمعارف ليتضح له حقيقة ما قلنا[1]

ويظهر أن هؤلاء الذين يوجه إليهم الأخ البار الرحيم والمنتشرين في أنحاء الأرض كانت ميولهم وأغراضهم السياسية تشبه ميول إخوان الصفاء وأغراضهم، ولم يكونوا قد انضموا إليهم بعد، أو لم يعلموا بوجودهم ... (واعلم أن من إخواننا وأهل شيعتنا طائفة أخرى بوجودنا شاكون، وفي بقائنا متحيرون فيما يعتقدون من موالاتنا، وطائفة أخرى ببقائنا موقنون، لكنهم غافلون عن أمرنا غير عارفين بأسرارنا، وكلهم منتظرون لظهور أمرنا، مستعجلون لمجيء أيامنا، مشتهون نصرة حزبنا[2])

(بيروت – يتبع)

عمر الدسوقي
مدير كلية المقاصد الإسلامية

(١) الرسائل ج ٤ ص ٢٣٨
(٢) ج ٤ ص ١٩٨

إليه من منزلة لا يسع كائناً ما كان أن يتجاهلها .

وسوف يكون من ديدن صحيفتي أن تفرغ وسعها في الحصول على الأخبار . وتعنى بإذاعتها مبوبة منظمة . فتضع أهم الأخبار في صفحتها الأمامية كما يجب أن تكون . وسوف لا تتحرج أن تطبع عدة أعمدة متوالية « لقصة » واحدة مسلسلة . فهي ستنظر دائماً باحتقار لتلك الحيل المضيعة للوقت من التنقل بالقراء من صفحة لأخرى عن طريق وضع بداءات « القصص » المختلفة على قمة من كل عمود

وسوف لا تخدع قراءها بأضخم عنوان لا تدعو الحاجة إليه . أو تكرار لا غنية فيه ؛ واستعمال حروف الطبع المختلفة النوع والحجم استعمالاً صحيحاً دقيقاً من شأنه أن يهيئ للقراء الإلمام بما سطر في الصحيفة من غير أن يضيع عليهم شيئاً من الموضوع .

وسوف تتقدم صحيفتي « بالأخبار » الصالحة للنشر في وضوح تام وصراحة مطلقة . سواء اتفقت هذه الأخبار مع « سياستها » أو لم تتفق . فستكون سياستها بحيث لا تعنى إلا بالحقائق وحدها فلا تخفف من أمر الأخبار أو تبالغ فيها . ولا تعلق عليها أو تؤولها لتتفق مع « سياستها »

وسوف تفسر الشك لصالح النشر في الحالات التي يتردد الصحفي فيها ، فيرى أنه قد يكون من صواب الرأي أن يمسك عن النشر

وسوف لا تؤيد أية حكومة بالغة من السلطان والسطوة ما بلغت ، أو تزكي أي سياسي كائناً من كان إلا لما تقتنع بصدقه من الأسباب العامة التي لا تخفيها عن الجماهير .

وسوف تكون خدمة الشعب وحده ، ولصالح الشعب فقط ، سوف تعترف بواجب الرعية نحو الحكومة ، وتقر ولاء الشعب لأولياء أموره ؛ وسوف لا تقود الشعب قيادة عمياء من طريق الزلفى إليه . فإذا هي تعامل جمهوراً وهمياً زاعمة أن القراء لا قبل لهم باحتمال القول الصريح والحقائق المرة ؛ إذ من واجب الخادم الأمين أن يقول الحق لسيده .

وسوف تكون صحيفتي صحيفة قومية ، لا صحيفة تعنى بالروابط الجنسية والفوارق العنصرية ؛ وسوف تطبع بطابع عام من سياسة الرجال الأحرار لا بطابع خاص بحزب الأحرار .

وسوف تجاهد في سبيل السلام الحقيقي من غير أن تنشده على ضوء النظريات السلمية التي تتجاوز طبائع الناس وطبيعة الحياة . فتكشف الستار عن الأمور الجوهرية وتفصح عن المسائل التي تقتضيها ضرورة الحياة ، تلك المسائل التي يكون من حق الأمم والرجال أن يحاربوا من أجلها حرباً لها ما يبررها ويزكيها ، أو يموتوا في سبيلها موتاً شريفاً نبيلاً إن ضاقت بهم السبل ، ولم يتيسر لهم طريق آخر يدعمون به حججهم من الاحتفاظ بمقومات حياتهم ؛ وسوف لا تقع صحيفتي أبداً في ذلك الخطأ الفاجع فيخيل لها أن اجتناب الاصطدام بين الأمم . وأن التوفيق بين المذاهب المتعارضة للشعوب المختلفة أمر ميسور ، وهو خطأ اقترفوه عند ما حسبوا أن اجتناب الحرب أمر ممكن ومرغوب فيه لذاته .

وسوف تكافح صحيفتي بكل ما وسعها من قوة ذلك النهج العدائي الأخرق الماثل فيما يثور بين الأمم من جدل . ولكنها إلى ذلك ستذكر دائماً أن قلوب الرجال سوف لا تنصرف عن الحرب وما تنطوي عليه من روح الإقدام والمخاطرة انصرافاً أبدياً، ما لم يقدر للسلام أن يطبع ما يكرسون له أنفسهم ويضحون في سبيله بأرواحهم بطابع يوجههم إلى أشياء أجل من الحرب شأناً وأنبل منها غاية

وسوف تعمل صحيفتي على أن تثبت قواعد المودة بين الأمم ، وتدأب على توثيق العلائق بين الشعوب . لا بغية اجتناب الحرب فحسب ، بل لتستعين بذلك في الدفاع عن حرية الشخصية والحقوق الإنسانية ، ولتشق طريقها إلى إنشاء التعاون الدولي . وسوف لا يقل نصيبها في ذلك عن نصيبها فيما ستضطلع به من تجنيد جميع طبقات الشعب فيما يتصل بالشئون القومية والاجتماعية ، بغية النهوض بما يتطلبه صرح الجماعة من إنشاء وتجديد

فهل يتاح لصحيفة كهذه ، أحكم صنعها من الناحية الفنية ، وظفرت بما طمعت فيه من الثقة والتقدير ، وسارعت بإذاعة الأخبار في إبانة وصدق ، ووجهت ضرباتها القوية بحكمة وحزم غير آبهة بسلطان أو حافلة بمال ، ثم تهيأ لها حظ موفور من القوة والنشاط ومجالدة الأعداء ، أقول : هل يتيسر لصحيفة كهذه أن تطمع في انتشار واسع يجعلها تتحكم — ولا أقول تلتمس — في دخل كاف من أجور الإعلانات يهيئ لها موازنة ميزانيتها ؟ !

أغلب ظني أنه سوف يتاح لها ذلك كله متى ما توفر لها من التروة في أوائل نشأتها « ما يثبت أقدامها » في ميدان الاختبار ، إلى أن يتهيأ لها أن تكسب ثقة شعبها

وقد تتهيأ الفرصة يوماً لرجل عبقري توفرت فيه مؤهلاته وكفايته أن يخرج للناس صحيفة من هذا القبيل . وآنئذ سوف

مع الشمس الغاربة

للأستاذ م . دراج

واعجباً لهذا الفكر المضطرب ! كلما تهيأت لأواجه موضوعاً خذلني وارتد القلم يترنح من عنف الصدمة ، تاركا وراءه خطوطاً مائلة منكسرة متعرجة — كتلك التي تجرها يد طفل عابث — هى كل ما أغنمه من أسلاب الفكر المهزوم !... حاولت ذلك مرة فى الإسكندرية ، وأخرى فى دمياط ، وثالثة فى المحلة الكبرى ، ومرة أخيرة هنا فى القاهرة . ومع ذلك فشلت . وكان فشلى محزناً يدعو إلى الإشفاق . لم أدر لذلك سبباً ، فأنا حين أكتب لا أحتاج إلى جو خاص ، وليس ثمة ضجيج يمنعنى عن الكتابة أو سكون يعيننى عليها . ذلك لأنى لا أغتصب الفكر شيئاً إلا إذا أحسست برغبة قوية عميقة حارة تدفعنى إلى الإذعان له

وها أنذا أعود مرة أخرى إلى الإسكندرية لأحاول من جديد إخضاع الفكرة العصية المتمردة لعلها تلين وترضى . . . فهل من سبب لهذه الظاهرة ؟ أجيبوا يا أصحاب الخبرة والتجارب ؟

كنت أفكر في هذه المرحلة التاريخية التي كان من حظى أن أعيش فيها لأشاهد أعظم انفجار على يوشك أن يزلزل رسوم الحياة، بما فيها من نظم وأخلاق ، وعادات وأفكار ، تتصل كلها بصميم الحضارة ـ حضارة القرن العشرين ـ تلك التى كلما فشلت فى رسالتها، قذفت بالبشرية فى جحيم الحرب باسم الحرية ، ذلك الوهم المنحوس .

وكان هذا التفكير يخلو لعينى صوراً غامضة ، تسطع فجأة ، ويتألق نورها ، فأرى على وميضه بلاداً غنية التربة ، تنتج من الغلال والحبوب فوق حاجتها فلا تجد مفراً من أن تلقى بالفائض فى البحر . كما وجدت فى هذا العمل الشائن ما يحفظ للسلعة سعرها العالى المناسب . . . فهذه كثبان عظيمة من الأذرة تروح « علفاً » للخيل ، وتلك مقادير هائلة من ثمار « الموز » تبتلعها الأمواج . وأخرى من البن تلقى بين حيزوم الناجحة . ثم أشاهد أناساً يسكنون الأصقاع الشمالية يتضورون من الجوع والبرد . يتضورون بين الأدغال ضنا بالخبز والدفء فلا يكادون يبلغونه إلا على سنان المخاطر . . . ثم أجدنى قد نقلت إلى سوق أخرى تزدحم فيها المصانع . وتتكدس الآلات والمنتجات . ويكثر المتعطل والجوع والحرمان !! وتمر الأقطار أمام عينى مراً سريعاً . وكأنى أشاهدها على الشاشة البيضاء . فهذه رقع من الأرض ضيقة الشقة قليلة الموارد صخرية التربة يتمتع أهلوها بأطايب الحضارة وملذاتها ؛ وأخرى بلاد غنية تدر الذهب . وتخصب الشهد . ومع ذلك فهى فقيرة يعيش أهلوها جياعاً حفاة شبه عراة !! وثمة شعوب تابعة ومتبوعة . صور عجيبة متناقضة تنتظم سمت الحضارة . ومع ذلك يأسفون لوقوع الحرب ! ويندبون هذه الحضارة الآفلة !! ...

هذه هى الحياة كما رأيتها على وميض الفكر الواعى : خداع وطمع، سيادة واستعباد ، ترف وحرمان . ضحكات ودموع ؛ وحشية عارية تستتر وراء الفكرة الخبيثة التى سموها بالحرية ! فانتفع من هذا كله بشيء واحد ، برعت المدنية فى إبداعه من حيث أخفقت فى كل شيء . ذلك هو المظهر الخلاب على الجوهر الرخيص المبتذل . وكأن الذين فتنتهم هـذه المدنية نسوا أن المظاهر تعيش حيناً ثم يعروها التلف والفناء ، أما الجوهر فيبقى دائماً كما هو . . .

كانت الشمس تحتضر عند حافة الأفق البعيد ، لما أشرقت أفكارى بهذه الصورة الغاربة . وكنت قد أسلمت نفسى لصديق أتبع خطواته كطفل وديع مطيع ، لا أعترض ولا أستفسر عن شيء ، حتى استقر بنا المطاف على متكأ عند شاطئ البحر نشاهد هذا الصراع العنيف بين عناصر الطبيعة ، وتتابع تطوراته باهتمام بالغ . فرأينا الشمس الغاربة مكفهرة الوجه ، تسيل منها العبرات شعاعاً مخنوقاً يتساقط على مياه البحر . فيصبغها بلونه الأرجوانى الحزين . وهناك فى الجانب الآخر من الأفق ، كانت طلائع الليل الزاحف تتوائب هنا وهناك ملقية ظلالها الكئيبة على الأحياء ،

نرى من نغمرهم الآن بمجاملاتنا من أصحاب الإعلان ومن المساهمين فى الصحيفة الذين لا يأبهون إلا لما يخلص إلى جيوبهم من ربح وممن يتجرون بالتداول الصحفى ، ولو كان تداولاً زائفاً مصطنعاً

وقد سقط فى أيديهم وتملكهم العجب مما تهيأ للصحفى المثالى من نجاح عظيم ، وإلى أن يتاح لى تحقيق هذه الآمال المنشودة ستظل صحيفتى المثالية وهى فى مملكة المثل الأعلى من عالم الخيال . وستظل الصحافة البريطانية — إذا قدر لها حقاً ألا تستعبد للحكام المستبدين — وهى تسير متثاقلة على نفسها فى طريقها الذى تسلكه راحلة حيث لا تنفك بعيدة عن قمة المجد الصحفى التى تتوق لها نفسى ويخفق بحبها قلب كل صحفى أصيل

(المنصورة) نور العابدين جمعة

والبحر واجم يتلقى أنفاس الشمس اللاهثة بحنان وصمت غريبين . أما الطيور فكانت جازعة ، كأم روعها الخطر على وليدها ، فهي تروح وتغدو مولولة صارخة تستنجد ولا مغيث ! حتى إذا هجم الليل هجومه الأخير ، ارتعش النور ، واضطربت الشمس ، ثم أسلمت نفسها للمغيب ...

سقطت الشمس الغاربة في هوة المغيب ، فأحسست رجة عنيفة تسلبني اليقظة ، وتتركني إنساناً بلا وعي . كنت – في الحقيقة – جسم ملقى على الجدار الصخري القائم عند التقاء اليابسة بالبحر ، لا يحس ولا يتأثر بما حوله ، فإن بدت منه التفاتة إلى هنا أو هناك ، فهي بلا شك نظرات لا معنى لها ، كتلك التي تصدر عادة من ذوي الأفكار الشاردة . آه . قد عرفت الآن أن هذه الرجة التي أصابتني لم تكن إلا وثبة من أفكاري لحقت بالشمس الغاربة في دنيا المغيب

أين يذهب هذا النور ؟ ولماذا تبدو عليه دلائل الأعياء كلما غرب أو شرق ؟ هكذا كانت توسوس نفسي ! فتبعت آخر شعاع ينفلت من يد الظلام ، وانسللت وراءه أتجسس في دنيا المغيب عن أسرار هذا السكون العجيب . سمعت همساً يدور حول جريحة تنزف الدماء منها بغزارة ، وليس في وسع أحد أن ينقذها من الخطر

هم يقولون : إنها ظالمة لنفسها ، وليس ثم من يستطيع علاجها إذا كانت أظافرها هي سبب بلائها ! وفجأة ، رأيت لهيباً يندلع في الجو ، وسحباً داكنة تنعقد في سمائه ، ومياهاً باردة تلطم وجهي . فأصحو من غشيتي لأسمع زئير البحر الهائج ، وقد تدافعت أمواجه وتلاطمت . وقذفت وجهي برشاشها المتطاير . ثم أسمع دوياً هائلاً يهز الأرض هزاً عنيفاً يعقبه طلقات سريعة متتابعة تندفع إلى السماء مزمجرة صاخبة ، فأطلع بوجهي إلى حيث استقرت في كبد الظلمة فأرى خطوطاً من النور تمتد وتتطاول ، ثم تتحرك في سرعة خاطفة ، والأشباح تهوم في الفضاء ، والريح الباردة تعصف بشدة . فأدرك في الحال من تكون تلك الجريحة التي كانوا يتهامسون عنها في دنيا المغيب ! وأعلم أنها « الإنسانية » التي طعنت نفسها بسلاح الطمع وأضرمت في جسمها نار الحرب !

أما النور الذي يبدو عليه الإعياء كلما غرب أو أشرق ! فهو الحرية التي يتعس بها المجرمون في دنيا الوحشية والطغيان !

وهنا هتف صديقي قائلاً : لقد غربت الشمس ، وأسدل الليل ستاره الأخير ! فعدت ، وانقضت الحرب بصواعقها ، وما تدري متى ترفع قمتها عن العالمين .

م . دراج

٢٢ – المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل السادس — عاداتهم

لا يصعب على من اختلط بمجتمع الرجال مسلمين في القاهرة – كما قد يتصور الأجنبي – أن ينال من غير زواج أدق المعلومات الكثيرة عن شئون النساء وعاداتهن ؛ وأغلب رجال الطبقة الوسطى المتزوجين والقليل من الطبقة العليا يتحدثون طوعاً عن مسائل الحريم إلى من يصرح لهم باستحسانه آراءهم في الأخلاق

ولا تعتبر الزوجة – على العموم – معتقلة في الحريم ، لأنها تكاد تكون مطلقة الإرادة في الخروج ، وزيارة الصديقات ، واستقبال الضيفات ؛ ولا جرم أنه ليس لجواري هذا الاختيار ، إذ هن سواء خضعن للزوجة كما يخضعن للسيد ، أو للسيد فقط ، تحت سلطة لا حد لها تقريباً . ومن أهم ما يرمي إليه رب الدار بتخصيص حريم منفصل أن يتلافى رؤية الخدم وغيرهم من الرجال لنسائه دون نقاب كما ينص الدين . وتبين الآية التالية أنه يجب على المسلمة أن تخفي عن الرجال ؛ خلا بعض الأقارب وغيرهم ، ما يلفتهم إلى شخصها أو زينتها : (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ، ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ...[1]) ؛ ويشير النص الأخير إلى عادة رن (الخلخال) الذي كان يستعمله نساء العرب في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يزال المصريات يتحلين به[1]

ويجب علي أن أذكر هنا تعليقين لمفسرين فاضلين[2] مدرجين في ترجمة سيل Sale للقرآن توضيحاً للآية السابقة ، حتى لا تؤديا إلى فهم العادات المتأخرة الخاصة بدخول الحريم أو عدمه فهما خطأ . والتعليق الأول خاص بكلمة (أو نسائهن) وقد شرحت كما يلي : « أي المسلمات ، ويرى البعض أن سفور المؤمنة أمام الكافرة مخالف للشرع أو للحشمة على الأقل ، إذ لن تعف الكافرة عن وصفها للرجال . ويفترض الآخرون أن هذا الاستثناء يشمل النساء جميعهن على العموم ، وتختلف آراء العلماء في هذا الموضوع » . ولا يعتبر الآن — في مصر وفي كل بلد إسلامي آخر على ما أعتقد — دخول امرأة من أي طبقة أو من أي دين حريم المسلم أمراً مخالفاً

ويتعلق الشرح الآخر بجملة (ما ملكت أيمانهن) : « يشمل هذا الاستثناء جميع الأرقاء من الجنسين . وكما يرى البعض الخدم غير الأرقاء مثل هؤلاء المنتمين إلى شعب آخر . ويروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أهدى مرة إلى ابنته فاطمة عبداً . وعندما أحضره أمامها لم تكن متدثرة بثوب ضاف ، فكان لا بد أن تترك رأسها أو قدمها مكشوفاً ؛ فقال لها الرسول صلى الله عليه وسلم حينما لحظ ارتباكها : أن لا تهتم ، لأنها ليست في حضرة أحد غير أبيها وعبدها » . وقد يكون الحال كذلك اليوم عند عرب الصحراء ، ولكن لم يبلغني قط أنه يسمح للعبد البالغ في مصر أن يرى حريم رجل فاضل سواء كان العبد في خدمة الحريم أو لا . وقد أكد لي أنه لا يسمح بذلك أبداً . وقد يكون سبب منح القرآن عبد المرأة هذا الامتياز استحالة الزواج به ما دام عبداً لها ؛ ولكن ليس هذا موجباً لمنحه حق الدخول إلى الحريم في مثل هذا المجتمع . ومما يستحق الاعتبار أن الآية السابقة لم تمنح الأعمام حق رؤية بنات الأخ أو الأخت مكشوفات الوجه . ويرى البعض أنهم ليسوا

---

(١) سورة النور الآية ٣١

(١) أنظر إشعيا ١٦/٣ « وقال الرب : من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات بعيونهن وخاطرات في مشيهن ويخشخشن بأرجلهن

(٢) والتعليقان للبيضاوي وجلال الدين — أنظر ترجمة سيل Sale للقرآن ص ٢٦٦

أهلا . لذلك خشية أن يصفوهن إلى أبنائهم ، ولا يليق بالرجل أن يصف سحنة امرأة أو شخصها ، (كأن يقول أن لها عينين نجلاوين وأنفاً مستقيماً وفماً صغيراً الخ) إلى من تحرم عليه رؤيتها . ولا عيب فى وصف المرأة وصفاً عاماً مثل قولك : « إنها فتاة لطيفة مكحلة بالكحل ومخضبة بالحناء »

ولا يسمح للرجل عامة أن يرى غير زوجاته وجواريه ومن حرمن عليه لقرابة أو رضاعة بدون نقاب[1] . وقد أشرت فى الفصل الأول إلى قدم عهد النقاب ، كما ذكرنا أيضاً أن المصريات يعتبرن تغطية أعلى الرأس ومؤخره ألزم من تغطية الوجه ، وحجب الوجه أهم من حجب أغلب أجزاء الجسم الأخرى . فالمرأة التى لا يمكن حملها على كشف وجهها أمام رجل قد لا تخجل من الكشف عن صدرها أو ساقها . وهناك حقيقة كثيرات من الطبقة السفلى يظهرن دائماً سافرات أمام العامة ، ولكنهن مدفوعات إلى ذلك لفقرهن ولصعوبة إحكام الطرحة — التى يندر أن تتجرد منها امرأة — فوق الرأس لتحل محل البرقع ؛ وخاصة إذا شغلت كلتا اليدين فى تثبيت ما يحملن من الأثقال . وتسرع المرأة الخليلة عند ما يصادفها رجل — مكشوفة الوجه أو الرأس — بلبس الطرحة أو إحكام وضعها ؛ وكثيراً ما تصيح : « يا دهوتى ! أو يا ندامتى ! » . ولكن كثيراً ما يدفع الدلال المرأة المصرية إلى كشف وجهها أمام الرجل متظاهرة أنها فعلت ذلك عفواً أو ظنت أنها لا تراه . وقد ينعم الرجل أيضاً برؤية وجه سيدة مصرية أحياناً — بينما هى تعتقد حقاً أنها بعيدة عن الأنظار — من شباك مفتوح أو فوق سطح . ويوجد فى القاهرة منازل صغيرة ليس لها غرف سفلى لاستقبال الضيوف من الرجال فيصعد هؤلاء إلى الدور الأعلى صائحين مراراً : « دستور ! يا ساتر ! » ، أو ما شابه ذلك لينبهوا من يصادفون من النساء فى الطريق لينسحبن أو يحتجبن ، فتسحب المرأة فضلة من طرحتها أمام وجهها إلا عيناً واحدة . ويصل شعور المسلمين بحرمة النساء إلى درجة غريبة ، حتى أنه يحرم على الرجال دخول قبور بعض النساء ؛ فلا يسمح مثلاً لغير النساء بزيارة زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم وغيرهن من أسرته فى مدافن المدينة . ولا يدفن الرجل والمرأة فى قبر واحد أبداً إلا إذا فصل بين الجثتين حائط . ويوجد مع ذلك من لا يهتم كثيراً بهذا الأمر وإن قل عددهم . ولى صديق مسلم من هؤلاء يسمح لى على العموم أن أرى أمه عند ما أذهب لزيارته . وأمه أرملة فى الخمسين من عمرها تقريباً ، ولكن ضخامة بدنها ودلالة سيماها على عدم الكبر يجعلانها فى سن الأربعين . وتقبل عادة إلى باب غرفة الحريم حيث أستقبل لخلو المنزل من غرف سفلى للاستقبال ، وتجلس هناك على الأرض ، ولكنها لا تدخل الغرفة أبداً . وقد تكشف أحياناً وجهها تماماً كما لو كان الأمر عرضياً ، فتبدو عيناها وقد أحاط بها الكحل الكثير ، كما أنها لا تحاول أن تخفى حليها الماسية والزمردية وغيرها . بل على العكس من ذلك تحاول إبرازها . ولم يسمح لى صديق برؤية زوجته أبداً مع أنه أذن لى بمحادثتها مرة فى حضوره خلف زاوية فى ممر أعلى السلم

وأعتقد أن نساء مصر لا يضيق عليهن بالشدة المشاهدة فى البلاد الأخرى الخاضعة للباب العالى ؛ ولذلك ليس من غير المعتاد أن ترى نساء الأوشاب يتسلين ويمزحن مع الرجال علناً ، والرجال يضعون أيديهم عليهن دون حرج . وقد يُظَن أن نساء الطبقتين العليا والوسطى يشعرن بالجور والتعاسة فى عزلتهن ، ولكن ليس هذا هو الحال عادة ، بل على العكس نلاحظ أن الزوجة المصرية التى تتعلق بزوجها قد تظن ، إذا أطلق لها زوجها الحرية أنه يهملها ولا يحبها كثيراً ، وتحسد أولئك اللاتى يخضعن للرقابة الدقيقة

وليس من المألوف أن يتزوج المصرى بأكثر من امرأة ، أو يتسرى بأكثر من جارية ، مع أن الشرع يبيح له أربع زوجات كما أشرت قبلاً ؛ والتسرى ، طبقاً للرأى الغالب ، حسب رغبته . إلا أن الرجل وإن اقتصر على زوجة واحدة يمكنه أن يبدل كيفما شاء . ويقيناً ليس هناك كثيرون فى القاهرة لم يطلقوا امرأة إذا طال أمد الزواج . ويستطيع الزوج أن يطلق زوجه وقتما يريد بقوله : « أنت طالقة » . فإذا استقرت إرادته على ذلك عن صواب أو عن غير صواب ، وجب على المرأة أن تعود إلى أهلها أو صديقاتها . وتعرض المرأة لطلاق لا تستحقه مصدر لأحزان وقلق أشد مما تتعرض له من أى اضطراب آخر . وقد تصبحه

(١) ويسمح للأغوات أن يروا وجه النساء وكذلك الأطفال

لذلك فى حالة عوز شديد . وهذا التعرض يبدو طبعاً على العكس تماماً لأولئك اللاتى يأملن تحسين حالتهن . ويستطيع الرجل أن يطلق زوجه مرة أو مرتين ويردها إليه فى كل مرة من غير حفل . ولكنه لا يستطيع أن يردها شرعاً فى المرة الثالثة قبل أن تتزوج رجلاً آخر وتطلق منه . وهذا عينه نتيجة الطلاق ثلاثاً المعبر عنه فى جملة واحدة : «أنت طالقة بثلاثة» . ولكن قد يتفق الرجل والمرأة على مخالفة الشرع . أو ينكر الرجل أنه أوقع يمين الطلاق . وتجد المرأة فى الحالة الأخيرة صعوبة كبيرة فى تنفيذ الطلاق قانوناً إذا أرادت ذلك

وأذكر لتوضيح هذا الموضوع قضية رحل إليها حضرتها فى شاهداً على يمين الطلاق . فقد كان جالساً فى مقهى مع رجلين آخرين كان أحدهما قد غضب على امرأته لشىء قالته أو فعلته . وأرسل هذا بعد حديث قصير فى هذا الأمر يدعو زوجه التى أوقع عليها يمين الطلاق ثلاثاً وأشهد جليسيه على ذلك . ولكنه سرعان ما ندم على فعله وأراد أن يعيد مطلقته . فرفضت العودة إليه ولجأت إلى (شرع الله) فقدمت قضية إلى محكمة وقررت المدعية أن المدعى عليه أوقع عليها الطلاق ثلاثاً ويريد الآن ردها إليه لتعيش معه كزوجة على خلاف الشرع . وأنكر المدعى عليه الطلاق ؛ فسأل القاضى المدعية : « هل لديك شهود » فأجابته « عندى شاهدان » . وكانا هما الرجلين اللذين شاهدا الحادث فى المقهى . فقررا أن المدعى عليه طلق امرأته ثلاثاً فى حضرتهما . فأكد المدعى عليه أن التى طلقها فى المقهى كانت امرأة أخرى . ولكن المدعية نفت وجود زوجة أخرى . فلفت القاضى نظرها إلى استحالة معرفتها ذلك . وسأل الشاهدين عن اسم المرأة التى طلقها الرجل أثناء وجودهما . فأجابا أنهما يجهلان اسمها . فطلب منهما أن يقسما إذا استطاعا أن المدعية هى المرأة المطلقة أمامهما . فأجابا أنهما لا يستطيعان ذلك لأنهما لم يريا المرأة سافرة أبداً . فرأى القاضى إزاء ذلك أن يرفض الدعوى . وأجبرت المرأة على العودة إلى منزل زوجها . كانت تستطيع أن تطلب حضور المرأة التى اعترف الرجل بتطليقها فى المقهى ، ولكن كان من السهل أن تحضر امرأة تقوم بالدور المطلوب ما دام لا يطلب منها وثيقة الزواج . وفى مصر يعقد الزواج دائماً من غير كتابة . ومن غير شهود أحياناً .

عدلى طاهر نور

بنى وطنى ...

لشاعر العراق الأستاذ معروف الرصافى

بنى وطنى ماذا أُؤمِّل بعد ما   تفشَّت سعاياتٌ لكم بالتجسس
أقول لمن قد لامنى فى تشدُّدى   على كل تدليسٍ أنى من مدلِّس
لو اسودَّ وجه المرء من قبح فعلِه   لما كنت تلقى عندنا غير مُدفِس
ولو نال بالإخلاص مثرٍ ثراءهُ   لما كنت تلقى بيننا غير مفلس
نحاول عزًّا بابتذال نفوسنا   فنشرى خسيساً بالثمين المقدس
ومن جهـ[illegible] ستكرهُنا فى معاشنا   شقاءً نزيهاً للنعـ[illegible]ـيم المدنَّس
سأرحل عنكم للذى قد أقامنى   على موحشٍ من أمركم غير مؤنس
أبَتْ لنفسى أن تحلَّ مكانةً   من العيش إلا فوق عز مؤسس
ولو أنَّ هذا الصبح كان انبلاجهُ   بغير شروق الشمس لم يتنفَّس
فلا أبتغى بالذل عيشاً مرفَّها   ولو عشت فى العزّى بفول مُدمَّس
وما أنا كالعبد إذ عانق الردى   لِجَدْوَى أتتها رغبة المتلمِّس
إذا ابتسمت لى عفتى ونزاهتى   فلست أبالى بالزمان المعبِّس
أقابل أخلاق الرجال بمثلها   وأعرف منهم وجهها بالتفرس
فأعنو لمن يعنو وأقسو لمن قسا   وأظهر كالغطريس للمتغطرس
ولست أُجازى المعتدى باعتدائه   ولكن بصفح القادر المتحمس
وما أنا من أهل الدعارة والخنا   ولا من أولى حمل السلاح المسدَّس
ولكنَّ لى فيكم يراعاً إذا شدا   أتاكم بكافٍ من عُلاه ومُخرِس
وما خالق الأكوان إلا مهندس   وإن جل عن تعريفه بالمهندس
تجلَّى على أكوانه بصفاته   وأغلس فيهم كُنهُهُ كل مُغلَس
وأقبسهم نوراً شديداً جلاؤه   فساروا به كالعُمى فى كل حِندس
وألبسهم حمر الغرائز فاغتنوا   بحمرتها عن كل ثوب مورَّس
وما مُقبِس عند النهى غير قابس   ولا لابس عند النهى غير مُلبس
فأيَّان جال الطرف لم ير غيره   إذا كان فى ألحاظه غير مُبلِس
حقيقة مخلوقاته لم تكن سوى   حقيقته دع عنك حدس المحدِّس
ألا إننى للكائنات موحِّد   ولو أرغمت كل المذاهب معطسى

معروف الرصافى

الأسطول البريطانى

للأستاذ عبد اللطيف النشار

تخيَّلها ولم يرها جرير   وزان خياله لفظٌ نضيد
فقال كأنه يصف الجوارى   ونبصرهن نحن فما نزيد
(وسُخِّرت الجبالُ وكنَّ خُرساً   يُقطِّعُ من مناكبها الحديد)
ترى أى السفائن كان يعنى   ألم يطلع على الدنيا جديد ؟
وهل شهد القدامى ما شهدنا   وشق بحارَهم جبل صلود
تمنى شاعر ضخمَ الأمانى   فحققت الذرارى ما يريد
وما كنا لنشهد ما نراه   إذا حُرمت من الشعر الجدود
حياة الحالمين بلا قيود   فمن أحلامهم كان الجديد
وهل يعنى الطوائرَ أم سواها   جريرٌ والقصيد هو القصيد
يقول وقوله أبداً غريب :   أما حدَّت منازعه الحدود ؟
(تصيَّدن القلوب بنبل جن   ونرمى بعضهن فما نصيد)
هل امتدت نبوءته إلينا   لعمرى إنه نظرٌ بعيد
فقال وليل مصر كما نراه   وقد شملت إضاءتها القيود
(نظرنا نار جعدة هل نراها   أبُعْدٌ غال ضوءَها أم همود)

أطلتُ أطلتُ لا أعنى جريراً   وضلَّ منطق فكرٌ شرود
أرى الأسطول أم أهرام مصر   ولكن أمُّ (خفرعه) ولود
أرى الأهرامَ فوق الماء تجرى   لماذا ذلك العدد العديد
وعند ذويه لو شاءوا مزيد   لعمرى إنه شعب سعيد
أرى الأسطول عند جدار دارى   ألا شعرٌ لدىَّ ؟ ألا نشيد
وأبغضُ ما تكون الحرب عندى   ولكن كيف عن وطنى أذود
أحب سكينة الراضى بحال   فهل ترضى عن الراضى الحقود
فأفٍ للسكينة حيث كانت   هى الذلُّ المهين ، هى الجمود
على الكأس السلام فقد تولت   محبتها وقد صدق الوعيد
وأنظر لا أرى إلا سفيناً   وإلا البحر تحميه الأسود
ضراغم من أراهم أم جنود   وطارفهم أجل أم التليد
وما الماضى بمنسىٍّ ولكن   مضى الماضى وليس له معيد
ونحن ونبتنا البردى أدرى   بما تعنى المواثق والعهود



قرار لجنة كبار العلماء وبرنامج الإصلاح

يعرف القراء أن جماعة كبار العلماء قد قررت في جلستها الأخيرة تأليف لجنة برياسة حضرة صاحب الفضيلة المفتي الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم لبحث المقترحات الهامة التي رفعت إليها من بعض حضرات أعضائها

وقد عقدت اللجنة عدة جلسات لهذا الغرض . وتلقت في إحدى هذه الجلسات كتاباً مرسلاً إلى فضيلة الأستاذ الأكبر من الأستاذ الشيخ حسن البنا يقترح أن تقوم جماعة كبار العلماء بإنشاء معجم جامع للحديث يتضمن كل الأحاديث يحتج بها الخ

وبعد بحث هذه المقترحات بما فيها هذا المقترح الأخير رأت اللجنة أن تقوم جماعة كبار العلماء بما يأتي :

أولاً :

(ا) إيضاح ما قد يخفى من أصول الدين

(ب) بيان ما هو بدعة وما ليس ببدعة

(ج) بيان أحكام الشريعة في المعاملات التي جدت وتجد .

(د) الإفتاء فيما يرى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أخذ رأي جماعة كبار العلماء فيه

ثانياً :

(ا) وضع مؤلفين يجمع أحدهما تفسير القرآن تفسيراً سهل التناول يوافق أصول الدين وقواعد اللغة العربية ، مع التنبيه على ما في كتب التفسير المتداولة من الإسرائيليات والآراء التي لا تتفق وأصول الدين العامة وقواعد اللغة ؛ ويجمع الآخر الأحاديث التي تصلح للاحتجاج والتي لا تصلح مع بيان درجاتها المختلفة .

(ب) التنقيب عن الكتب الإسلامية التي يعظم نفعها في مختلف العلوم ، والعمل على إخراجها إخراجاً صحيحاً متقناً

ثالثاً : إنشاء مكتب علمي يعهد إليه بتنفيذ هذه المقترحات . ويكون من اختصاصه بحث ما يقدم إليه من المؤلفات التي يقوم بها علماء الأزهر وغيرهم في العلوم الدينية والعربية وسائر العلوم التي تدرس في الأزهر وكلياته ، وتقدير قيم هذه المؤلفات والعمل على نشر النافع منها ومكافأة أصحابها . ليكون ذلك مدعاة إلى تنشيط الإنتاج العلمي

وتقترح اللجنة أن يكون هذا المكتب برياسة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، وعضوية عشرة من أعضاء الجماعة — ذكرتهم اللجنة في تقريرها — على أن يستعين المكتب بمن يختار من علماء الأزهر وغيرهم

وقد اقترحت اللجنة على فضيلة الأستاذ الأكبر إلى جانب ذلك :

أولاً : أن تشرف جماعة كبار العلماء بواسطة لجنة منها على مجلة الأزهر . ليكون ذلك وسيلة ناجحة إلى تنفيذ معظم هذه المقترحات ، وليكون ما ينشر في المجلة التي يصدرها الأزهر متفقاً وما ينتفي العالم الإسلامي لهذه المجلة من علو المكانة ورفعة الشأن .

ثانياً : أن يعمل فضيلة الأستاذ الأكبر على تأليف لجنة يمثل فيها الأزهر ، ووزارة الأوقاف ، ووزارة الشئون الاجتماعية ، ومشيخة الطرق الصوفية ، تكون مهمتها وضع الخطط النافعة في الوعظ والإرشاد واتخاذ ما يلزم لتعميم النفع به من إلقاء خطب أو إذاعات أو طبع رسائل توزع بالمجان على الناس ، وغير ذلك مما تراه نافعاً في تقويم الخلق وإصلاح المجتمع

هذا هو ما رأته اللجنة في شأن المقترحات وطرق تنفيذها ، وقد رفعت تقريرها بذلك — قبيل عيد الأضحى — إلى حضرة

سبقنا بالكتابة كل شعب ... ولسنا عن مواثقنا نحيد

وتعجبني الروائع إذ أراها ... وصاحبها هو الخصم اللدود

بلادي ما أعزك يا بلادي ... أمالك عن مسالمة محيد

أمالك مثل ما لهمو سفين ... ولا في الجو أجنحة ترود

أرى الذهب الحبيب إلى أناس ... بغيضاً والحبيبُ هو الحديد

فليت جدودنا كانوا قيوناً ... فيحمي مُلكنا ركن شديد

فَرِحتُ بنصة وببيت شعر ... ويحميني المحالف والعقيد

وعندي ما أقول وعند غيري ... ولكني سكتُّ فما أزيد

عبد اللطيف النشار

صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر . ليتخذ ما يرى فى سبيل عرضه على الجماعة تمهيداً لإقراره وتنفيذه

وبهذا أصبح برنامج الإصلاح فى كفالة الأستاذ الأكبر المراغى رجل الإصلاح

الى الأستاذ محمود عزت عرفة

عفا الله عنى نضو نعمى وأبؤس ... تمتع حيناً ثم أضناه ما يضنى
لحنت وأنحلت امرأ غير شعره ... وحرّفت ما أروى فويلى من سنى
وما كنت شيئاً من أولئك أتقى ... ولاحت أن الشيب من صفة حن
ويأبى وفائى أن أغالط محسناً ... أهدى إلى وجه الصواب ولا أنى
فقل للوليد البحترى وصنوه ... حبيب بن أوس ماجنيت ولا أجنى
هما الخمر والماء الطهور وأنتى ... مودة مزج السلافة فى الدن
لك الحمـــد يا محمود من ذى مروءة ... يرى الشكر فرضاً والجحود من جحن

عبد اللطيف النشار

بين صبرى وابن دريد

شهد الأديب الفاضل حسين محمود البشبيشى على الشاعر اسماعيل صبرى باشا بسرقة بيتىْ شعر وردا فى ديوانه . إذ رآهما فى مقال للشاعر محرم منسوبين إلى صاحب المقصورة الدريدية

والبيتان اللذان فى الديوان هما :

إن الذى أبقيتَ فى مهجتى ... يا متلف الصب ولم يشعرِ
حشاشة لو أنهـــا قطرة ... تجول فى عينيك لم تُنظرِ

وفى مقال الشاعر محرم وردا بتحريف بسيط فكانا هكذا :

إن الذى أبقيت فى (جسمه) ... يا متلف الصب ولم يشعر
(صُبابة) لو أنهـــا قطرة ... تجول جفنيك لم (تقطر)

قلت : إنها شهادة لعمر الحق جائرة . فما كان لشاعر كاسماعيل صبرى سما فى شاعريته البارعة إلى أعلى مراتب الشعر الغنائى أن يسف هذا الإسفاف الفاضح المعيب . فيعزو إلى نفسه قول غيره . ونحن إذا علمنا كيف جمعت مقطوعات الديوان من هنا وهناك بعد وفاة الشاعر بأعوام طويلة . ظهرت لنا براءته مما وصم به .

فنى كلمة الأستاذ أحمد الزين فى الديوان نرى أن صهر الشاعر صاحب العزة حسن رفعت بك قد حمل على عاتقه عبء جمع الديوان وهو عبء يجهد لقلة ما كان الشاعر يعنى بجمع شعره وترتيبه . يقول الأستاذ أحمد الزين إن صهر الشاعر جمع مقطوعات الديوان من بطون الصحف التى بعد بها العهد ومن أفواه الرواة المعاصرين له والمتصلين به فكان لا يسمع بإنسان جالس اسماعيل صبرى إلا زاره وكتب عنه ما يحفظه من شعره – أنظر الديوان صفحة ٤١ – ومن المرجح عندى فيما يختص بهذين البيتين أن يكون هناك مَن ضمه مجلس اسماعيل صبرى وسمعه ينشدهما فظنهما له ورواهما لصهر الشاعر على حسب هذا الظن . وهب أن البيتين وجدا مكتوبين بخط الشاعر فليس بعجيب أن يكتب الإنسان فى أوراقه شعراً أعجبه ، ولكنه سهو تقع تبعته على الذين أشرفوا على جمع الديوان . وقل مثل ذلك فى الأبيات التى وردت فى وصف النيل على أنها لاسماعيل صبرى وهى لابن الخروف أبى الحسن الأشبيلى من شعراء القرن السادس . ومما يجعلنى أقطع فى براءة اسماعيل صبرى هو أن هاتين المقطوعتين وردتا فى الديوان دون أن تشتملا على شهادة بنسبتهما إلى الشاعر كما نرى فى بقية أشعار الديوان

بقيت هنالك مسألة التحريف اللفظى . ولعل الأديب الفاضل يراها مما يقوى زعمه . إذ يعد هذا التحريف تغييراً من اسماعيل صبرى لكى يموه على الناس ، ولكنه تغيير لم يوفق فيه ، على رأى الأديب . والذى أراه أن هذا التغيير الذى لم يمس جوهر ذينك البيتين الرائعين ما هو إلا تحريف لفظى كثيراً ما يقع فى الشعر القديم . فبينما أنت تقرأ فى كتاب الأغانى مثلاً تراه بعينه فى كتاب آخر ، ولكنه محرف بعض الألفاظ ، ومثل هذا كثير . فلعل الكتاب الذى وعى منه اسماعيل صبرى هذين البيتين هو غير الكتاب الذى أخذهما منه الشاعر محرم منسوبين إلى أبى بكر ابن دريد ، ومن هنا حصل هذا التغيير الذى جعل الأديب حسين محمود البشبيشى يشهد هـذه الشهادة الجائرة على الشاعر رحمه الله

(نابلس) **فدوى عبد الفتاح طوقان**

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٣ / ١٢ / ١٩٤١ فى القضية رقم ٧٣١ سنة ١٩٤١ ضد أنور يوسف عبد الدايم تاجر بقالة بأبو حمص بالحبس خمسة عشر يوماً بالشغل والنفاذ والنشر على مصاريفه لبيعه كبريتاً بسعر أزيد من الحدد بالتسعيرة



بدلة الأسير

للأستاذ نجيب محفوظ

كان « جحشة » بائع السجائر أول السابقين إلى محطة الزقازيق حين اقترب ميعاد قدوم القطار ؛ وكان يعد المحطة بحق سوقه النافقة ، فيمضي على الإفريز في نشاط منقطع النظير يتصيد الزبائن بعينيه الصغيرتين الخبيرتين . ولعل « جحشة » لو سئل عن مهنته للعنها شر لعنة . لأنه كغالبية الناس برم بحياته ، ساخط على حظه . ولعله لو ملك حرية الاختيار لآثر أن يكون سائق سيارة أحد الأعيان ، فيرتدي لباس الأفندية ، ويأكل من طعام البك ، ويرافقه إلى الأماكن المختارة في الصيف والشتاء ، مؤثراً من أعمال الكفاح في سبيل القوت ما هو أدنى إلى التسلية والملهاة . على أنه كانت له أسبابه الخاصة ودواعيه الخفية لإيثار هذا العمل وتمنيه من يوم أن رأى الغر — سائق أحد الأعيان — يتعرض للفتاة نبوية خادم المأمور في الطريق ويغازلها بجسارة وثقة ، بل سمعه مرة يقول لها وهو يفرك يديه حبوراً : « سآتي قريباً ومعي الخاتم » . ورأى الفتاة تبسم في دلال وترفع طرف الملاءة عن رأسها كأنها تسويها ، والحقيقة أنها أرادت أن تبدي عن شعرها الفاحم المدهون بالزيت ... رأى ذلك فالتهب قلبه وأحس الغيرة تنهشه نهشاً موجعاً . وكان به من عينيها السوداوين أوجاع وأمراض . وكان يتبعها عن كثب ويقطع عليها السبيل في الذهاب والإياب ، حتى إذا خلا بها في عطفة أعاد على أذنيها ما قاله لها الغر : « سآتي قريباً ومعي الخاتم » ، ولكنها لوت عنه رأسها وقطبت جبينها وقالت له باحتقار : « هات لك قبقاب أحسن » . فنظر إلى قدميه الغليظتين كأنهما بطنا بخفي جمل ، وجلبابه القذر ، وطاقيته المغبرة وقال : « هذا سبب شقائي وأفول نجمي » . ونفس على « الغر » عمله وتمناه ... على أن آماله لم تقطعه عن مهنته ، فثابر على كده قانعاً من آماله بالأحلام . وقصد في ذلك الأصيل إلى محطة الزقازيق يحمل صندوقه وينتظر القطار القادم .

ونظر إلى الأفق فرأى القطار قادماً من بعد كأنه سحابة دخان ، وما زال يدنو ويقترب وتتميز أجزاؤه ويتصاعد ضجيجه حتى وقف على إفريز المحطة ... وهرع « جحشة » إلى العربات المتراصة ، فرأى — لدهشته — على الأبواب حراساً مسلحين ، ووجوهاً غريبة تطل من النوافذ بأعين ذاهلة منكسرة . وتساءل الخلق : فقيل لهم بأن هؤلاء أسرى الإيطاليين الذين تساقطوا بين أيدي عدوهم بغير حساب . وإنهم يساقون الآن إلى المعتقلات

فوقف «جحشة» متحيراً يقلب عينيه في الوجوه المغبرة ؛ ثم أدركته الكآبة لأنه أيقن أن تلك الوجوه الشاحبة الغارقة في البؤس والفقر لن يكون في وسعها إشباع نهمها من سجائره ... ووجدهم يلتهمون صندوقه بشراهة وجوع فألقى عليهم نظرة سخط واحتقار وهمّ أن يوليهم ظهره ويعود من حيث أتى . ولكنه سمع صوتاً يصيح به بالعربية بلهجة أفرنجية قائلاً « سجائر » فخدجه بنظرة دهشة وريبة ثم فرك سبابته بإبهامه : أي نقود . ففهم الجندي وأومأ له برأسه فاقترب محاذراً ووقف على بعد لا تبلغه يد الجندي . فخلع الجندي جاكتته بهدوء وقال له وهو يلوح بها : « هذه نقودي » فتعجب جحشة وتفرس في الجاكتة الرمادية ذات الأزرار الصفراء بين الدهشة والطمع . ووجب قلبه . ولكنه لم يكن ساذجاً أو مغفلاً ، فأخفى ما قام بنفسه أن يقع فريسة جشع الإيطالي ، وأبرز في هدوء ظاهري علبة سجائر ، ومد يده ليأخذ الجاكتة . فقطب الجندي جبينه وصاح به « علبة واحدة بجاكتة ؟ ... هات عشرا » فذعر جحشة وتراجع إلى الوراء ، وقد غاض طمعه ، وأوشك أن يأخذ في غير السبيل . فصاح به الجندي « أعطني عدداً مناسباً ... تسعا ... أو ثمانيا » فهز الشاب رأسه بعناد . فقال الجندي : « إذاً سبعا ... » ولكنه هز رأسه كما فعل في الأولى ، وتظاهر بأنه يعتزم المسير فقنع الجندي بست ثم هبط إلى خمس . فلوح جحشة بيده متظاهراً باليأس ، وتراجع إلى المقعد وجلس ، فصاح به الجندي المجنون : « تعال . . . رضيت بأربع ... » فلم يلق إليه بالاً ؛ وليدله على عدم اكتراثه أشعل سيجارة ومضى يدخن في تلذذ وهدوء . فثارت ثائرة الجندي وأهاجه الغضب ، وبدا وكأن ليس له غاية في الوجود سوى الاستيلاء على سجائر ، فهبط بطلبه إلى ثلاث ثم إلى اثنتين . ولبث جحشة جالساً يغالب اضطرام عواطفه وأوجاع طمعه ولما نزل الجندي إلى اثنتين أبدى حركة بغير إرادة رآها الجندي . فقال له وهو يمد يده بالجاكتة : « هات » فلم ير بداً من النهوض



نظرة جـــــديدة

في « أرواح شاردة »

بمناسبة طبعته الثانية

للأديب حسين محمود البشبيشي

ما ظنك بالروح الشاعر إذا تفتّح ليستوعب أسرار الوجود، وتغلغل يتأمل ألوان الجمال؟ وما ظنك بالفكر القادر إذا عقد النية على كشف منبهم الأمور، والبحث وراء بوارق المعرفة والنور؟ وما ظنك بالفن الساحر إذا تشوّف إلى الشوارد الفنية الباسمة، وتتطلع إلى مباهج الحياة الفاتنة.

... ذلك فيض من « أرواح شاردة » ! !

وقع الكتاب في يدي صدفة ، فتناولته بلهفة ... لست أدري أكان مصدرها تجاوب الروح بيني وبين أرواحه الشاردة ، أم الرغبة في الاطلاع على لون من الأدب جديد الطابع فريد النزع

لست أدري كل هـذا ؛ ولكن الذي أعلمه هو أني حسن الظن – عن حق – بصاحبه الشاعر ، قوى الإيمان بروحه الساحر وشفافية وجدانه ، وتألق لفظه ، وعذوبة جرسه التي يخيل إلى المرء أنه ينسجها من قلبه نسجاً ، أو يسكبها من روحه سكباً

... وقرأت الكتاب فوجدتُ روح الفنان غالبةً على روح الشاعر ، وروح الشاعر طاغية على روح الكاتب . فهو في كثير من الأحايين يعرض لدراسة شاعرٍ في استقراء الكاتب المحقق ؛ ثم هو بعد ذلك يحاول أن يدفع عن الشعراء كل تهمة جائرة مجرّداً لذلك قلمه ساكباً فيه عصارة قلبه ... ونظرة واحدة إلى دفاعه عن شارل بودلير تريك صدق ما أقول فقد جاء في مقام تعليل انغماسه في الشهوة العارمة . وتلويثه للجمال

ودنا من القطار حتى أخذ الجاكتة ، وأعطى الجندي العلبتين . وتفرس الجاكتة بعين جذلة راضية ، وقد لاحت على شفتيه ابتسامة ظفر . ووضع الصندوق على المقعد وارتدى الجاكتة ، وزرها . . فبدت فضفاضة ولكنه لم يعن بذلك وتاه عجباً وسروراً واسترد صندوقه . وأخذ يقطع الإفريز فخوراً طروباً . وارتسمت لعينيه صورة نبوية في ملاءتها اللف فقال متمتماً : لو ترانى الآن ! نعم لن تتجافانى بعد اليوم ولن تلوى وجهها عنى احتقاراً . ولن يجد الغر ما يفخر به على . ولكنه ذكر أن الغر يرتدى بذلة كاملة لا جاكتة مفردة فكيف السبيل إلى البنطلون . وفكر ملياً . وألقى على رؤوس الأسرى المطلة من نوافذ القطار نظرة ذات معنى . ولعب الطمع بقلبه من جديد فاضطربت نفسه بعد أن أوشكت أن تستقر . ودلف إلى القطار ونادى بجرأة : « سجائر . سجائر . العلبة بمنطلون لمن ليس معه نقود . علبة بمنطلون » وأعاد نداءه مثنى وثلاثاً ، وخشى أن يغيب عن الأفهام مقصده فمضى يومئ إلى الجاكتة التي يرتديها ويلوح بعلبة سجائر . وأحدثت إيماءته الأثر المرجو فلم يتردد جندي أن يهم بخلع جاكتته ولكنه سارع نحوه وأومأ إليه أن يتمهل ، ثم أشار إلى بنطلونه يعني أن ذلك بغيته ؛ وهز الجندي منكبيه باستهانة وخلع البنطلون وتم التبادل . وقبضت يد جحشة على البنطلون بقوة يكاد أن يطير من الفرح ، وتقهقر إلى مكانه الأول وأخذ يرتدى البنطلون وانتهى في أقل من دقيقة فصار جندياً إيطالياً كاملاً ... ترى هل ينقصه شيء ؟ ... المؤسف حقاً أن هؤلاء الأسرى لا يغطون رؤوسهم بالطرابيش ... ولكنهم يضعون أقدامهم في أحذية . . . ولا غنى عن حذاء ليتساوى بالغر الذي يكرب حياته . وحمل صندوقه وهرع إلى القطار وهو يصرخ « سجائر . . . العلبة بحذاء . . . العلبة بحذاء » . واستعان على التفاهم بالإشارة كما فعل في المرة الأولى . ولكنه قبل أن يظفر بزبون جديد آذنت صفارة القطار بالمسير . فتمخضت عن موجة نشاط شملت الحراس جميعاً . وكانت سحائب الظلام تغشى جوانب المحطة ، وطائر الليل يحلق في الفضاء ، فتوقف جحشة وفي نفسه لوعة ، وفي عينيه نظرة حسرة وغيظ . ولما أخذ القطار يتحرك لمحه حارس في عربة أمامية فبدا على وجهه الغضب وصاح به بالإنجليزية ثم بالإيطالية « إصعد بسرعة . إصعد أيها الأسير » فلم يفهم جحشة ما يقول وأراد أن ينفس عن صدره فجعل يقلده في حركاته مستهزئاً به مطمئناً إلى بعده عن متناول يده . فصاح به الحارس مرة أخرى والقطار يبتعد رويداً رويداً « إصعد ، إني أحذرك ، اصعد » فزمّ جحشة شفتيه احتقاراً وولاه ظهره وهم بالمسير ؛ فكور الحارس قبضة يسراه مهدداً وصوب بندقيته نحو الشاب الغافل ... وأطلق النار . ودوى عزيف الرصاصة يصم الآذان وأعقبتها صرخة ألم وفزع . وتصلب جسم جحشة في مكانه فسقط الصندوق من يده ، وتناثرت علب السجائر والكبريت . ثم انقلب على وجهه جثة هامدة

نجيب محفوظ

الأرضى « لقد كان بودلير فناناً صادقاً طموحاً محباً للجمال وعلى العكس مما يرى الـكثيرون فإنه باندفاعه المحزن فى تلويث الجمال الأرضى ، ورده كل أنثى امرأة عاهرة، قد أفنى عاطفته المكرسة لعبادة الجمال المطلق » ... وهذا كلام بعثه قلبٌ شاعر يدفع عن قلبِ شاعر !

ووجدت روحَ المؤلف حائرة بين مباهج الشعر ، ومفاتن النثر ، ولـكن ميله الشعرى جعله يعرض لدراسة الشعراء أكثر من دراسة الـكتاب

أفلم يعرض لنا بول فيرلين ويسايره أصدق مسايرة ، ويتابعه متابعة الشاعر يقدر عظمة الشاعر ؟

أو لم يقدم لنا بودلير فى فتنة شعره ، ويقظة وجدانه ، وتوهج شهوته ؟ ثم أكثر من ذلك إن روح الشعر فى نفس صاحبنا غلبت عليه فجعلته يترجم قبرة شلى ، وعودة الملاح لجون ماسفيلد ، وأغنية القطيع ، وبيت الراعى ، ثم يشرق علينا بنفحة شعرية هى قصيدته فى باريس

لو أستطيع أن أقول إنه حتى فيما كتب عن ذكرياته فى آخر الـكتاب كان شاعراً فى كثير من الأحايين

وليس بغريب أن يختار هؤلاء الشعراء موضوعاً لبحثه ، فبين نظرتهم الفنية النفسية إلى الحياة وبين نظرة صلات ووشائج يدركها الناقد الفطن !

ولا يسعنا إلا أن نقول إنه فى اختياره لقصائد القبرة وعودة الملاح، وبيت الراعى ، كان منسجماً مع اتجاهات نفسه وأحاسيسه ، ولـكنى أعتقد أن شعوره نحو هذه القصائد يختلف قوة وضعفاً ؛ وتبعاً لذلك تتفاوت القصائد

ولا يسعنى إلا أن أرفع القبرة إلى مستوى قدرة شاعرنا نفسه التى لمسناها حية متألقة بسامة فى « الجندول » ، وفى قصيدته الخالدة « موت شاعر » ، ولعل هذه القصيدة الأخيرة كانت أول عهدى بالملاح التائه ، ثم قصيدته فى ميلاد الشاعر التى نشرتها مجلة أبولو عقب وفاة شوقي

ونعود فنذكر رنة مطلعها ، وحسن اختيار بحرها ، وعذوبة قافيتها وشاعرنا يجيد الاستهلال . أنظر إلى روعة المطلع :

يا أيها الروح يهفو حوله الفرح   تحية أيهذا الصادح المرحُ !

عن أمّة الطير هذا اللحن ما سمعتْ

بمثله الأرض ، لا روض ولا صَدَحُ

أنت الذى من سماء الروح منهلُه   خمرٌ إلهيـــة لم تحوها قدحُ

يفيض قلبك ألحاناً يسلسلها   فن طليق من الوجدان منسرح

ولـكم أطربنى ، وهاج خواطرى ، وحلق بى فى جو من الخيال البامم الوضىء قدرته على صوغ هذه المعانى السامية إذ يقول :

إنا نفكر فى ماضٍ بلا أثرٍ   ومُقبلٍ من حياة كلها غيب !

ومستحيل نُرَجّى برقَ ديمته   وكل ما نرجيه منه مختلب

وكم لنا ضحكاتٌ غير صادقة   مالم يشب صفوها التبريح والوصب

وإن أشهى الأغانى فى مسامعنا   ماسال وهو حزين اللحن مكتئب!

وهنا وقفة يجب أن يقفها الثائرون على النغم الحزين فى أغانينا ؛ فهذا شلى الشاعر العالمى ينطق بلسان الفلسفة التى لا وطن لها . إن اللحن الحزين هو أشهى ما تسمع الإنسانية الحساسة الشفافة التى ترقب الزهر الوليد بنفس العين التى تودع الزهر الذابل

أما قصيدة عودة الملاح فلعله ترجمها بدافع تجانس الميول ، وتقارب الأحاسيس ؛ فقد كان شاعرنا ملاحاً تائهاً ! فهو كما يظهر يحب البحر ، أو فى طبيعته الزخارة بالوجدانات شىء من طبيعة البحر ؛ وإلا فلم ترجم عودة الملاح ؟ الجواب ينطق به مطلعها :

يا فرحتى للبحر أرجعُ ثانياً   متفرداً بعبابه وسمائه

أقصى مناىَ سفينة ممشوقة   وبزوغ نجم أهتدى بضيائه

بعد أن بينت الدوافع إلى ترجمته لهؤلاء الشعراء ولتلك القصائد أدع الـكاتب نفسه يعبر عن سبب ترجمته لقصيدة « بيت الراعى » فيقول : « لأنها ذات موضوع طريف حافل ، يتكلم فيه الشاعر بدقة ورقة وصراحة وعظمة عن القلب والروح والجسد وشقاء النفس الشاعرة بهذا العالم الجارح ومدنيته الجافية القاسية »

وهذا يصدق قولى فى أن الشاعر اختار ما جانس أحاسيسه ولابس وجدانه

ونتكلم عن ذكريات مرت بقلبه ، وعطرت بأريجها ألفاف روحه ، وتغلغلت فى أحاسيسه ، فخلدها ... !

وإنك لتلمح فى ليلته الأولى وحشة الغريب ولهفة المشتاق ؛ وترى فى ميدان إسدرا سحر الألحان وروح الفنان ، وتحس فى يوم فرساى نشوة الطرب وروعة الجمال ، وتنسم من فتاة برن عبير الروح وعبق القلب ... ثم ترى فى قصيدة باريس دمعة الفنان وثورة الوجدان !

تلك هى ذكريات صاحب الجنـدول التى خضع فيها — كما سأبين — الروح الشاعرية ، والنزعة الشرقية ، والثقافة الأوربية . ثم فى كثير من الأحايين لطريقة أستاذنا الزيات

فكيف كان ذلك ؟ !

أما خضوعه للشاعرية فأمر محتوم ، وما كان له أن يتخلص من قيودها الحبيبة الباسمة ، بل إنها لتظهر فى كثير من اللفتات الرائعة فى ألفاف ذكرياته . فهو مقيد بروح الشعر وخاصة عند الحديث عن الجمال والفن بل وكل ما يتصل بالجمال والفن ؛ فإن خياله ليصف الحسناء، فيقول فى معنى شعرى ساحر : كأنها طفلة إلٰهية هبطت لأول مرة عالم الأرض ؛ ويطيب لروحه الشاعر أن يتبعها بسجع حلو رقيق فاتن ... ولعل شاعرنا قد تأثر قليلاً بطريقة أستاذنا الزيات فى الصناعة القوية العذبة

وهو شاعر تنساب حياته انسياب خاطره الدافق ، وتجرى جريان خياله المتألق فى سهولة ووضاءة وسلام . ولكن الأقدار تأبى « إلا أن تضع فى طريقه حادثاً غريباً وشاغلاً عجيباً » . وفى حديثه عن فتيات باريس « وفى عيونهن من أسرار الليل الذاهب ألق . وفى شعورهن من خمر المساء الغابر عبق » ، وهو يحلو له أن يعبر عن حيرة وجدانه بسجعة رنانة تحمل من الشاعرية روح الحيوية، وتحمل من الفن حلاوة الجرس، فيخيل له أنه مطارد « يلاحقه خوف أو يتأثره حتف »

وحين يقول : « وبدأت إنشادها بصوت يتماوج مرحاً ، وينفجر شباباً ، ويترسل صفاء وعذوبة وسحراً ، وانفعلت هى بغنائها ، فستحالت طيفاً راقصاً نابضاً باهتزازات هذه الأنغام المنطلقة فى سكون الليل تودع السلام والحب والرحمة فى قلب العالم!»

تلك هى ناحية الشاعرية فى نثر الكاتب جلَّينا عنها فى إيجاز ؛ أما ناحية تأثره بالأدب الغربى فظاهرة فى كثير من اللفتات ، فهو يجعل للضوء أنابيب زئبقية ! وللأضواء العاكسة دهاليز من أشعة الشمس تمرق من خلال الغمام الأبيض، بل أنه ليغرق فى الروح الغربية ، حين يجعل الهواء يرفع معطف فتاته الحريرى الأبيض الهفهاف إلى ما فوق ذراعيها ، فكأنها ملك السحب يضرب بجناحيه الناصعين فى الزرقة الصافية متقدماً رعيلاً من الغمام الأبيض !

بقيت ناحية حبه للشرق والوطن ، فهو يهتاج عند ما يرى جثة الرسول مرقص فيقف خطيباً فى صحبه ويقول : « هذا الرسول الذى ضن البنادقة على مصر بجثته » ثم هو لا يسأم من ذكر مصر ولو عارض فتاة القلب وقطع عليها حديثها عند ما قالت : وهناك بلاد غير بعيدة عن روما وأثينا . . . وعنها أخذ العالم أرفع الفنون ... فيهتف : بل لا تزال يأخذ عنها !

وكم هزنى منه هذه اللفتة الحية النابضة بالوطنية عند ما قرن الصحراء والبحيرات الأفريقية والنيل المقدس ببحيرات سويسرا وإيطاليا ومساقط الماء فى جبال إنسبرول ...

ثم هو يهتاج لرؤيته الشباب الأوربى يتألق قوة وهو يسعى للقتال، وقد وقفت الفتيات ينثرن الابتسامات على جباه الشباب البسل . فيتمنى لو يقدر الله له أن يرى مثل هذا المنظر فى مصروطنه الحبيب

ولعل أطرف ما قابلنى من غيرته الوطنية دفاعه العجيب الفلسفى عن الفن المصرى وخلوه من الفن العارى ! ! فيقول معللاً ذلك بأن الحياة فى مصر سهلة ، والسماء صافية ، وكل شىء يفصح فى غير إبهام . . . وأن هذا الصفاء والإفصاح بعثت فى النفس الرغبة فى التستر . . . وهكذا يخلق شاعرنا من موضع النقص فى فننا موضعاً للتأمل الفلسفى ... فتأمل !

أما قصيدة باريس الراقصة المعانى الرنانة الجرس . فحسب مطلعها روعة

سألونى عن بيانى وقصيدى ... أسفا باريس قد مات نشيدى !

ولكن كيف يموت النشيد الذى يقول :

صرع النور به وانحسرت ... جبهة الشمس عن النور الشهيد

بل كيف يموت النشيد الذى يقول :

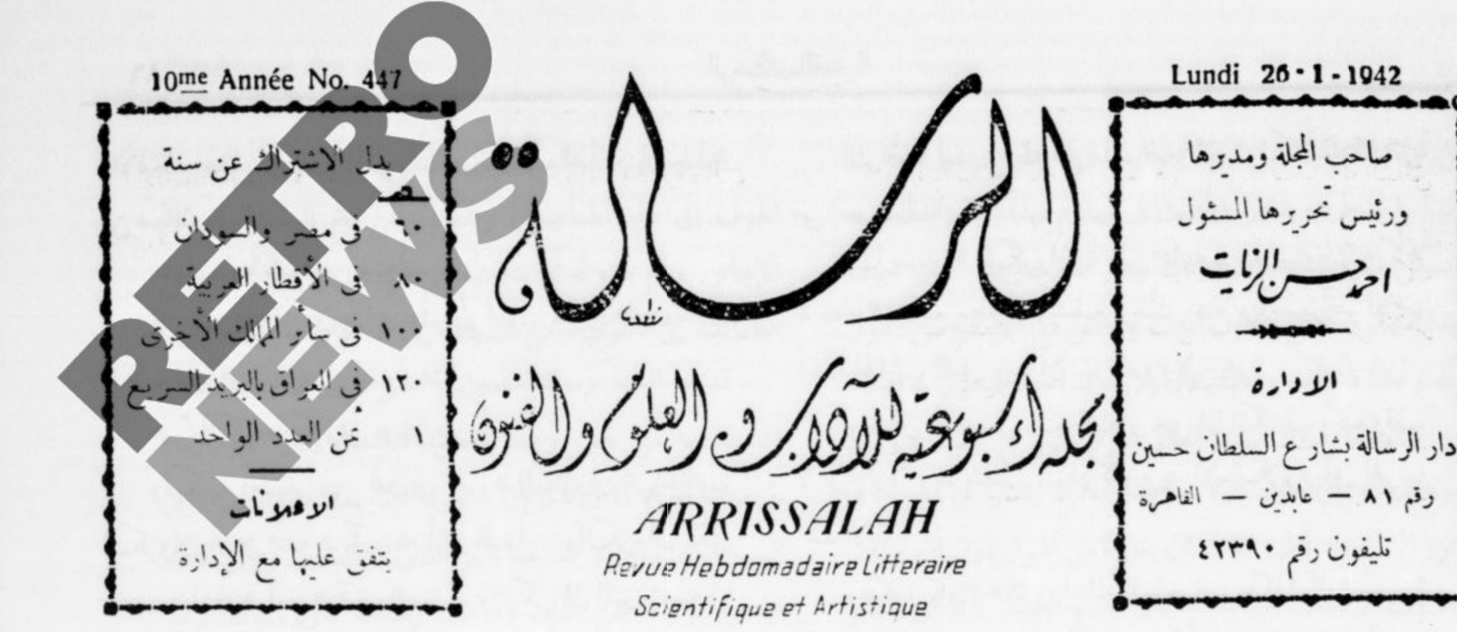
وابعثيها ثورة أخرى فما ... يعرف الأحرار معنى للجمود

وبعد هذا هو الروح الشاعر والفكر القادر والفن الباهر ففيض من أرواح شاردة .

حسين محمود البشبيشى

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبتديان حسين — عابدين)





10me Année No. 447

Lundi 26-1-1942

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٤٧ « القاهرة فى يوم الإثنين ٩ محرم سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٦ يناير سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـــــــرس

دعاء الكروان

للأستاذ عباس محمود العقاد

طائر الليل . طائر العزلة . طائر الصحراء . طائر الصيحة التى فيها من البشرى وفيها من التبريح وفيها من التسبيح تعنى « الكروان » ؟

نعم ، إياه أعنى . وهو صامت الآن !

صامت منذ أشهر لا تسمع له من وراء الأفق تلك الصيحة التى كأنها نصل من اللحن يشق ستراً من السكون ، أو كأنها عقيقة من البرق تنفتح فى سدفة من الظلام ، أو كأنها نفثة من الجوى تندفع فى هدأة من الصبر الطويل

وكأنما سكون ليل الشتاء فى هذه الآونة الموحشة إصغاء مرهف وحنين مكتوم إلى ذلك الصوت المغيَّب الذى سيطول غيابه ... وسيعود !

سيعود ، وسيدير لنا الربيع قلبه المحفوظ من الصرخات والألحان ، وسنسمعها ولا نمل سماعها ما كتب لنا أن نسمعها . فهى محفوظات يضن بها الربيع ألا تتكرر ، ونضن بها نحن ألا نتذكر ، ونضن بها نحن — إن تذكرناها — ألا نعيش معها كما عشنا من قبل سنين وسنين . كل صيحة منوط بها نبأ قديم : نبأ قُل إنه عذب رحيم ، وقل إنه موجع أليم . فما بين الرحمة

والألم من حدود فى هذه المحفوظات ، وما لهذه الحدود إن طالت من مساك .

سنوات ، يا لهـا من سنوات !

قل عشر ، وقل إن شئت عشرين ! ... بل زدها إن شئت قليلاً ، فـا هى بأقل من بضع وعشرين

عمرُ أكبر « كروان » فان

ولـكنها أصغر من لمحة فى عمر « الـكروان » الخالد : الـكروان الذى سمعه « آدم » أول الدنيا ، والـكروان الذى سيسمعه أبناء « آدم » آخر الزمان ، والـكروان الذى سمعته أنا والشعر أسود لجنح الليـل الذى يصدح فيه ، وسمعته والشعر يشتعل ، وسأسمعه وكل مشتعل فى هذه البنية رماد .

سمعته ولبيت كل دعوة من دعواته ، وخرجت له فى الليالى السود ... لا بل فى الليالى البيض . إلى الصحراء ... لا بل إلى الجنة ، إلى الصباح ... لا بل إلى الأبد الذى ليس له حدود .

وتبعته إلى أطراف الرمال ، وهذا البيت الذى أسكنه وقد تغير خمسة من ملاكه وأنا السا كن الطارئ عليه لا أتغير — لم تـكن من ورائه يوم سكنته غير مملكة واحدة هى مملـكة « الـكروان » ، ولم يكن سامر يستمع فيه إلى غير صوت واحد هو صوت « الـكروان » .

نعم ، هو صوت « الـكروان » ...

وصوت « الـكروان » هو جملة واحدة تنطوى فى نغماتها كل كلمة من معناها ، وما معناها ؟ معنى الحياة . معنى الربيع . معنى الحياة والربيع ممزوجين يمثل ما امتزجا به فى نفسى من طلاقة إن بلغت مبلغها فحركة الهواء عندها ركود ، ومن وحشة إن بلغت مبلغها فظلمة الجحيم عندها ضياء .

وكم دعانا ذلك الصوت ؟ وكم يدعونا فى أوانه ؟

وكم لبيناه ؟ وكم نلبيه ؟

وكم رصدت لنا الأفعى فى طريقه ؟ وكم ترصد لنا فى تلك الطريق ؟

وكم قتلتنا وكم قتلناها ؟

وهو مع ذلك دعاء

وهو مع ذلك ملبىً كأحسن ما يلبى الدعاء

***

لك الله يا صديقى طه من ملهم فيما اخترت لـكتابك الشائق من اسم « الدعاء »

فما يسمع « الـكروان » حتى سماعه من لم يستمع إليه كأنه « دعاء » يتابع مطلوبه ويتعقبه ويفتش عنه ويأخذه آخر الأمر أخذة الهارب الذى يريد أن يهرب ، ولا يريد

يريد أن يهرب فى جنح الظلام حتى إذا انكشف مكانه وقف لا يريم ولا يريد شيئاً ... أوكأنه يريد الاستسلام ويأبى الهرب أشد الإباء

وهكذا كانت فتاة روايتك الساحرة . هكذا كانت تهرب ولا تهرب ، ويعود إليها الـكروان وكأنها هى التى تعود إليه .

وإنها لتنسى ، وإنها لتلهو ، وإنها لتعرض عما كان وتقبل على ما هى فيه ، وإنها لفى شأن جديد غير شأنها الأول البغيض ، وإذا بالطالب الصياح مقبلاً إليها من بعيد : مقبلاً فى عبث ومثابرة وإلحاح ، مقبلاً فى دلال كأنه الشماتة ، وفى شماتة كأنها الدلال ، مقبلاً مقبلاً حتى ليقف على رأسها بل فى أعماق رأسها ، وحتى لتجمد له فى مكانها كأنها الصم الذى لا حياة به ، وفيها مع ذلك كل ما مضى لهـا من حياة

إلى أين يا مسكينة ؟

أنا « دعاء الـكروان » !

نعم ، ولا فرار من هذا « الدعاء » ، لأن الذى يفر منه ينقلب إليه .

***

تقول رواية صديقنا طه فى بعض صفحاتها : « ... وها نحن أولاء ننزل مضطربات ونسعى متعثرات ، وهذه أمنا تريد أن تسأل فيم إناخة الجملين ، وفيم النزول فى غير منزل ، وهأنذا هذه أريد أن أقول شيئاً ولـكنى لا أكاد أدير لسانى فى فمي ، ولا أكاد أستوعب ما كانت أمنا تقول . إنمـا هى صيحة منكرة مروعة تنبعث فى الجو ، وجسم ثقيل متهالك يسقط على الأرض ، وإذا أختى قد صرعت ، وإذا خالنا هو الذى صرعها لأنه أغمد خنجره فى صدرها . ونحن عا كفتان على هـذا الجسم الصريع يضطرب ويتخبط ويتفجر منه الدم فى قوة كما يتفجر الماء من الينبوع . نحن عا كفتان فى ذهول وغفلة وبله ، لم نفهم شيئاً ولم نقدر شيئاً ولم ننتظر شيئاً ، وإنما أخذنا على غرة أخذاً ، واختطفت هنادى

من بيننا اختطافاً . وجسمها يضطرب ويتخبط ، ودمها يتفجر ، ولسانها يضطرب ببعض الحديث فى فمها ثم يهدأ الجسم المضطرب ويسكن اللسان المتحرك ويخف تفجر الدم ، ويمتلئ الجو حولنا بهذا السكون الأليم سكون الموت ، ونحن فيما نحن فيه من ذهول وبله وخالنا قائم أمامنا كالشيطان إلا أنه قد أخذه الذهول كما أخذنا

« وهذا نداؤك أيها الطائر العزيز يبلغنى من بعيد ، وهذا صوتك يدنو إلى قليلاً قليلاً ، وهذا غناؤك ينتشر فى الجو كأنه النور المشرق قد أظهر لنا ما كان يغمرنا من الهول دون أن نراه ، وها أنت ذا تبعث صيحاتك يتلو بعضها بعضاً كأنما هى سهام من نور قد تلاحقت مسرعة فى هذه الظلمة فطردت من نفسى ذهولها وجلت عنها غفلتها وأيقظتها من هذا البله ، وجلت لنا الجريمة منكرة بشعة ، والمجرم آثماً بغيضاً ، والضحية صريعة مضرجة بالدماء . . . إن صوتك لينبعث فى الفضاء مستغيثاً وليس من يغيث ، وإن صوتى لينبعث فى الفضاء داعياً وليس من يجيب . . . »

وتجرى الرواية فى مجراها بين جوانح نفس واحدة هى أزحم بالأشباح والأصداء من كل فضاء : نفس الفتاة آمنة أخت الصريعة هنادى ، وهى كلما أوغلت فى باطنها حتى انقطع ما بينها وبين هذا الفضاء المحيط بنا لحق بها الدعاء وجذبها إلى حيث تستمع النداء . فتفرق آخر الأمر فى صمت سعيد كما كانت تفرق فى الصمت الشقى حيناً بعد حين : « ولكن صوتك أيها الطائر العزيز يبلغنى فينتزعنى انتزاعاً من هذا الصمت العميق ، فأثب وجلة مذعورة ويثب هو وجلاً مذعوراً ، ثم لا نلبث أن يثوب إلينا الهدوء . فأما أنا فتنحدر على خدى دمعتان حارتان ، وأما هو فيقول وقد اعتمد بيديه على المائدة : دعاء الكروان ! أترينه كان يرجع صوته هذا الترجيع حين صرعت هنادى فى ذلك الفضاء العريض »

وهكذا يستمع إلى الكروان من تعود أن يستمع إليه : سابح على حومة الليل يمد غرقى الظلام من صوته السريع بحبل خاطف يجذبهم إلى الفضاء ، كلما انقطعوا عن الفضاء .

يجذبهم من عالم الذكرى إلى عالم الشهادة ، ويجذبهم من عالم الخوف إلى عالم الطمأنينة ، ويجذبهم من عالم الوحشة إلى عالم الإيناس ، ثم يبدو له أن يجذبهم من الإيناس إلى الوحشة ومن الطمأنينة إلى الخوف ومن الشهادة إلى الذكرى ، وينجذبون .

تسمعه السنة ومعك سامع ، وسمعته السنة الدابرة وحدك ، وقد تسمعه من قابل وليست معك تانك الأذنان الأوليان ، بل معك غيرهما أذنان أخريان ! وربما سمعه معك من بينهم وبين السمع حجاب ، وربما سمعه معك من أغفلوك وأغفلوه . ويأتى الدعاء فيدعونا ولعلنا نحن الذين دعوناه ، ولكنه يأتى متوقعاً وغير متوقع ، ومحبوباً وغير محبوب ، وقائماً على موعده كأنه مرتبط بنظام من أفلاك الليل الذى يحبه ويأوى إليه ، ويتعلم على يدى أنواره وظلماته ، ويعلم من يتعلمون .

يا « دعاء الكروان » !

موعدنا معك الفضاء الرحيب

كلما أوغلت بنا الذكرى فى أغوار

ينقطع ما بينها وبين الفضاء الرحيب

ومن دعائك أنك جذبتنا خمساً

وعشرين سنة أو جذبت إلينا

تلك السنين الخمس والعشرين ،

وإنك أوحيت إلى طه ما يوحى ،

فإذا به يفتح لنا فضاء الليل وما فيه من أصداء وأشباح ، ويفتح لنا فضاء النفس الإنسانية وما فيها من أصداء وأشباح ، وإذا به يلقى إلينا بعاصم فى الفضاءين من ذلك الحبل السريع الخاطف ، ففيه لياذ بالنجاة

قال صديقنا الدكتور طه حسين وهو يهدى إلينا (دعاء الكروان) : « أنت أقمت (للكروان) ديواناً فخماً فى الشعر العربى الحديث ، فهل تأذن فى أن أتخذ له عشاً متواضعاً فى النثر العربى الحديث ، وأن أهدى إليك هذه القصة تحية خالصة من صديق مخلص » .

وإنى لأحسب وأنا أتقبل الهدية شاكراً أن « الكروان » سيأوى إلى العش الذى سماه صديقنا متواضعاً لأنه يرتضى العش وإن أغريناه بالدواوين . وحسبنا منه أنه يدعونا وندعوه ، وأننا وإياه نلبى الدعاء

عباس محمود العقاد

مسابقة الأدب العربي لطلبة السنة التوجيهية

الأجنحة المتكسرة

للدكتور زكي مبـارك

تمهيد — النفسية السورية — أحزان سريانية — مهاجرون بلا أنصار — الجيل الغادر — الأمل الضائع — أسلوب جبران — مسألة فيها نظر — الثورة على رجال الدين — جريمة جبران — صدق جبران — الاهداء —

تمهيد

كنت أعفيت نفسي من إتمام هذه الدراسات النقدية بسبب ما توجب من الإرهاق . فليس من السهل أن يقرأ المرء كتاباً في كل أسبوع ثم يكتب عنه بحثاً يرتضيه جمهور القراء ، ولكن جماعة من طلبة السنة التوجيهية كتبوا يسألون عن المغازي المطوية في كتاب « الأجنحة المتكسرة » المرحوم جبران خليل جبران ، كما سأل فريق عن « وحي الأربعين » للأستاذ عباس العقاد ، و « فيض الخاطر » للأستاذ أحمد أمين . فرأيت أن أغتنم ما بقي من الوقت الذي يسبق الامتحان الشفوي لأتمم هذه السلسلة من الدراسات ، مع الاعتراف بأنها ليست إلا توجيهات سريعة يراد بها إرشاد القراء إلى طريق الاستقصاء .

وطلبة السنة التوجيهية يذكرون أن الامتحان التحريري سيُعقد في التاسع والعشرين من هـذا الشهر ، فليُقبلوا عليه بلا تهيّب ، وليكتبوا بحرية مصحوبة بالرزانة والعقل ، وليطمئنوا إلى أن المصححين قد يرضون منهم بالقليل إن رأوا فيه بوارق تشهد بأنهم على شيء من الفهم العلمي والذوق الأدبي ، كتب الله لهم التوفيق !

النفسية السورية

حديث اليوم عن « الأجنحة المتكسرة » لجبران ، وقد ضاق الوقت عن مراجعة ما كُتِب عن الأدب الحديث في الديار السورية واللبنانية ، وكان من السهل أن أنتفع بكتاب الأستاذ ميخائيل نعيمة عن جبران ، ولكني لم أجده في مكاتب القاهرة ، ولا وجدت من الفراغ ما يسمح باستعارته من أحد الزملاء ، فلم يبق إلا أن أقول في جبران وكتابه كلمة وجيزة تقرّب مراميه إلى القراء بعض التقريب

فما تلك الأجنحة المتكسرة ؟

كان الرأي عندي أن المؤلف يرمز إلى الأجنحة الفلسطينية والسورية واللبنانية ، فجبران في صفحات هذا الكتاب يعبر عن الأشجان الموروثة في تلك البلاد ، ثم وجدت في كتابه فقرة تشهد بذلك ، فعرفت أن حكمي على اتجاهاته النفسية لم يكن ضرباً من التخمين .

أحزان سريانية

لكل أدب من الآداب القديمة خصائص ، وخصيصة الأدب السرياني هي الإسراف في البكاء . فجبران الحزين هو البقية من روح السُّريان القدماء .

وعلة الحزن السرياني أو السوري لا تحتاج إلى توضيح ، فأولئك أقوام كان تاريخهم كله عراكاً في عراك ، ولم تكن بلادهم إلا محترَباً يتصاول فيه الفقر والغنى ، والعبودية والحرية ، والخوف والأمان ، بغض النظر عن احتراب العواطف والشجون

وبكاء تلك البلاد لا يمثل العجز ، وإنما يمثل العتب على القضاء ، وقد يرتاض على الصبر الجميل في بعض الأحيان .

ومن أشهر الأغاني السورية هذا الصوت :

ماشي الحالْ ، وماشي الحالْ

وما في حالْ ، وماشي الحالْ

خلّيها لَلّـهْ ، يدبّرْها أَلَّـهْ

وهذه الأغنية هي الصرخة الباقية من بكاء السريان ، وهو بكاء ممزوج بالصفح عن كيد الزمان ، أو الرجاء في عدل القضاء .

مهاجرون بلا أنصار

والتاريخ يشهد أن الهجرة كانت من المذاهب السورية في كثير من العهود ، وهو مع ذلك يشهد أن السوريين كانوا في الأغلب مهاجرين بلا أنصار ، فقد بنى أجدادهم الفنيقيون مدينة « مرسيليا » قبل أكثر من خمسة وعشرين قرناً ، ولم تحفظ لهم مرسيليا هذا الصنيع ، فأحفاد أولئك البنائين لا يعيشون اليوم في مرسيليا إلا تراجمة أو حمّالين .

ثم هاجرَ السوريون المحدَثون إلى أمريكا ، ولم يتركوا قالة من قالات الخير إلا أضافوها إلى الأمريكان ، فهل تأمْركوا ونسوا وطن الآباء والأجداد ؟

إن نواحهم الموصول يشهد بأنهم فى أمريكا غرباء !

فمن أراد أن يعرف سرّ الحزن فى الأدب السرياني القديم ، ومصدر اللوعة فى الأدب السوري الحديث ، فليذكر أن الاغتراب والاضطهاد هما الأصل فى ذلك البكاء .

ومن أجل هـذا كان السوريون أحرص الناس على تأييد فكرة العروبة لأنهم يرجون أن تكون وطناً فسيح الأرجاء يغنيهم عن الاتجاه إلى الغرب ؛ ومن الغرب جاء الاغتراب !

ومن أجل هذا أيضاً كان السوري ينقل وطنه إلى كل أرض ليذكره فى كل وقت ، عساه يرجع إليه ولو بعد حين

ومن أجل هذا وذاك كان السوري فى أغلب أحواله من رجال الأعمال ، ليرحم نفسه من اجترار الأشجان . والغنى فى الغربة وطن ، كما قال أسلافنا الحكماء

الجبل الغادر

هو جبل لبنان ، الجبل الذى يدعو أبناءه فى كل لحظة إلى امتطاء غارب المحيط ليجدوا المجـد أو القوت فيما وراء البحار .

وكذلك يرحل اللبناني عن الجبل والدمع فى عينيه ليواجه العالم بنفس منطوية على الإباء المكبوت أو الهوى الدفين

ولو جمع ما قال المهاجرون اللبنانيون فى الشوق إلى ذلك الغادر الجميل لكان تحفة رائعة من صور الوجد والحنين

السوريون المغتربون لا ينسون وطنهم أبداً . وكيف ينسونه وهم مهـاجرون بلا أنصار ، ولا عزاء لهم غير تمثل ما فى بلادهم من أزهار ورياحين ؟

الأمل الضائع

كان السوريون واللبنانيون قد رفعوا علم العروبة فى الأقطار الأمريكية فأتاحوا لنا القول بأنهم بعثوا « الأندلس » من جديد ، وكيف لا يكون الأمر كذلك وقد أنجبوا أدباء من أمثال نعيمة وجبران ؟

ولـكن الطبيعة تريد غير ما نريد

الطبيعة قضت بأن يكون لبنى العمومة فى الأمريكتين زوجات أمريكيات وأبناء مخضرمون يعجزون عن فهم لغة الآباء الأصلاء

وهنا يظهر « عيب » اللغة العربية ، فهي ليست لغة تفاهم بسيط ينتفع به الناس فى أمور المعاش . وإنما هي لغة أدب وذوق ، ولغات الآداب والأذواق لا تعيش بين الأبناء المخاليط ، وذلك هو السر فى انحسار اللغة العربية عن بعض الأقطار الإسلامية ، وهو أيضاً السر فى أن اللغة التى يتكلمها أكثر من مئة مليون لا تنجب فى كل عصر أكثر من مائة أديب

كيف يعود الأدب العربي إلى الأمريكتين من جديد ؟

أعتقد أننا خذلنا أولئك الإخوان . فلم نعاونهم على إعزاز العصبية العربية فى البلاد الأمريكية ولم نقدم إليهم من المساعدات المالية مثل الذى نقدم إلى بعض الجمعيات العلمية فى الممالك الأوربية

هل سمعتم أن دار الكتب المصرية أو مكتبة الأزهر أو مكتبة الجامعة المصرية أو مكتبة الإسكندرية أو مكتبة وزارة المعارف قد اشتركت فى المجلات التى تصدر باللغة العربية فى المهاجر السورية كما تشترك فى المؤلفات التى ينشرها المستشرقون ؟

إلى أهل الغيرة على اللغة العربية نوجه هذا السؤال

أسلوب جبران

عرفنا السر فى أحزان جبران ، ولم يبق إلا أن ننظر فى كتابه الحزين ، فماذا نقول ؟

نكتب أولاً كلمة عن أسلوب هذا الكاتب ؛ ثم نمضى فى عرض ما فى كتابه من دقائق الأغراض

جبران أراد أن يكون أسلوبه زهرة لا شجرة ، فأساء إلى نفسه من حيث لا يريد ، وهل كان يتوهم أن النقد الأدبي سيعرف مقاتله بعد حين أو أحايين ؟

أغلب الظن أن جبران كان يحب أن يعرف إخوانه فى الشرق أن الحياة فى أمريكا لم تنسه خصائص البلاغة العربية ، وهي بلاغة ظلمها بعض أهلها فتوهموها فنوناً من الزخرف والبريق ، وكذلك شاء جبران أن يكون فى كل سطر من كتاباته تشبيهٌ طريف ، أو لمحة فلسفية ، أو رمز إلى غرض ملفوف يحار فى تأويله القراء

ولـكن ما قصة الزهرة والشجرة ؟

الزهرة غاية فى أناقة التلوين ، ولـكل ورقة من أوراق الزهرة رونق أخاذ ، مع أن أوراقها قد تعد بالعشرات ؛ فهى سِحرٌ فى سحر وفتونٌ فى فتون

ولا كذلك الشجرة ، فهي أفنان مختلفات ، وفيها ما يروق وما لا يروق ، هي شجرة يعتدل فيها غصن وتعوجّ غصون ، وتكون عشاً للبلبل كما تكون وكراً للثعبان

الزهرة أجمل من الشجرة ، ولكن الشجرة أقوى من الزهرة وأقدر على مقاومة العواصف والأعاصير ، وكذلك يكون الفرق بين الأسلوب العارم والأسلوب الرقيق ، كما يكون الفرق بين الطائر الجارح والطائر الغرِّيد

ولو كان جبران حيًّا لأسمعته ما لا يحب ، ولكنه اليوم في ضيافة التاريخ والتطاول عليه لا يليق

والمهم هو تنبيه شبان اليوم إلى أن أسلوب جبران ليس أفضل الأساليب ؛ فهو زهرة لا شجرة ، ونحن نريد أن يكون الأسلوب من صور العنف والطغيان

مسألة فيها نظر

جبران من أدباء العرب ، ونقاد العرب قد فضحوا عمر بن أبي ربيعة حين رأوه يصور معشوقاته بصور المتهالكات على شبابه الجميل .

لا عيب في أن يقول الرجل إنه من هوى الملاح ، ولكن ما لا يعاب قد يكون في بعض أحواله مما ينافي الذوق ، فكيف استجاز جبران أن يجعل حبيبته صاحبة الخطوة الجريئة في التصريح بالحب ، وصاحبة الفضل الأول في الإقدام على « التضحية » يوم اجتمعا لآخر مرة في المعبد الذي جمع بين صورة المسيح وصورة عشتروث ؟

قد يجيب بأن جان جاك روسُّو قد استجاز مثل هذا الصنع ولكن غاب عنه أن روسو لم يقترف ذلك « التصريح » إلا وهو في عقل الأطفال

جبران قال ما قال وهو في أمريكا « وأنا لم أزر الشرق » كما قال « ميسّيه » وهو يسخر من « هوجو » وقد يباح في تلك البلاد ما لا يباح !

الحق أن جبران أساء إلى الذوق العربي ، وجنى على نفسه وعلى محبوبته جناية سيدخل بها الجحيم ، ولن ألقاه هناك !

الثورة على رجال الدين

وغرة كتاب « الأجنحة المتكسرة » هي الصفحات الخاصة بالثورة على رجال الدين ، وهي ثورة يحسها المسيحيون لا المسلمون ؛ ذلك بأن الإسلام لا يعترف بالكهنوت ولا يقيم له أي ميزان ، فالصلاة على الميت تصح من أي مخلوق متسم بالإسلام ، وعقد الزواج يُكتفى فيه بالإيجاب والقبول ، والمسلم الصادق هو الذي يتقدم إلى ربه بلا وسيط

ولا كذلك المسيحية : فهي تعطي رجال الدين طوائف كثيرة من الحقوق ، وتمنحهم حرية التصرف في مصاير (المؤمنين) وكان ذلك لأن المسيحية تفترض أن الراعي في جميع أحواله غاية في الرفق والحنان

والظاهر أن جبران قد اكتوت يداه بنيران رجال الدين ، فهو يرجع إلى تجريحهم من صفحة إلى صفحة بلا رحمة ولا إشفاق

وقد بلغ غاية الشوط فصرح بأن من حق المرأة أن تهجر بيت الزوج لتلقى حبيبها حين تشاء ، بدون معاناة لوخز الضمير ، وحجته أن « العَقد » الذي يمضيه « الحب » أصدق من العقد الذي يمضيه « المطران »

فكيف وصل الكاتب إلى هذا الحكم الفظيع ؟

إن الإسلام لا يعترف لرجال الدين بأي خصوصية دينية ، ولا يبيحهم التحكم في مصاير المؤمنين ، ومع هذا يخشى المسلم أن تتناوشه ألسنة رجال الدين ، لأن صوتهم هو المسموع في تقرير الشك واليقين ، فكيف يكون إخواننا المسيحيون ؟

الجواب عند جبران ، وهو قد صرح بأن رجال الدين لا يخضعون لغير الأهواء ، وإن كان من الحق أن نقرر أن هذا التعميم لا يخلو من الإسراف ، فعند المسيحية رجال لا يجوز عليهم حكم جبران . وهل يصدُق الكاتب الثائر في كل ما يقول ؟

ومع هذا فقد صدق هذا الكاتب بعض الصدق ، لأن رجل الدين في المسيحية يدخل جميع البيوت بدون استئذان — ولا سيما في الشرق — وله يد في تعريف بعض العائلات إلى بعض ؛ وقد يكون صلة الوصل في التمهيد للزواج ، فما حالُ الفتاة التي

لا تطيع هواه فى التزوج من فلان أو فلان إذا كان من أصحاب الأغراض ؟ !

كاد جبران يقنعنى بأنه يحارب شخصية حقيقيه للمطران « بولس غالب » ؛ فاتصلت بالأستاذ أنطون الجميّل تليفونيًّا لأسأله عن تلك الشخصية فأجاب بأنها شخصية خيالية ، وأقول بأنها شخصية حقيقية ، وسنعرف أخبارها بعد حين ، وإن سترتها المعاريض »

والمهمّ هو أن يسجل النقد الأدبى أن كتاب « الأجنحة المتكسرة » ليس إلا ثورة على رجال الدين فى لبنان ، بغض النظر عما فى تلك الثورة من صحة أو بطلان

النقد الأدبى مؤرخ ، وهو يسجل أعمال الناس ، ومن الظلم أن يُسأل عن تلك الأعمال

جريمة جبران

هى تأثره المكشوف بالأدب الأوربى فى القرن التاسع عشر ، وهو أدبٌ جيل ـ ولكنه عليل ـ لأنه يجعل الحزن غاية الوجود

ولكن الأدب الوجدانى فى القرن التاسع عشر غاية فى الجمال لأنه غاية فى الصدق ، وهل ينسى الضمير الأدبى مآسى ميسّيه ولامرتين ؟ !

صدق جبران

ومع هذا فجبران صادق فى بعض مناحيه الوجدانية ، وهل يستطيع فتًى أن يبلغ العشرين فى لبنان بلا آلام ولا آمال ؟

وكيف يكون ذلك الفتى إذا طوّحت به المقادير إلى بلدٍ بعيد بعيد وهو موصول المهد بحبيب لا يرحمه التراب ؟

الإهداء

أهدى جبران كتاب الأجنحة المتكسرة إلى : (M. E. H)

وقد سمعت أنها إنسانة أمريكية كانت تنفق عليه لوجه الأدب الرفيع

فما السر فى عطف تلك المرأة على جبران ؟ !

إن هذا الكاتب مغرًى بوصف ما بين الإنسان والطبيعة من الصلات ، وتلك حال لا يلتفت إليها الأدب الأمريكى كل الالتفات ؛ فمن السهل أن نعلل إقبال تلك المرأة على جبران بأنها رأته (إنساناً من الشرق) وكانت تعيش فى بلاد تشغلها (السرعة) عن تعقب خطرات القلوب !

هو فتًى عربىٌّ ضاقت عنه بلاده ، مع أنها اتسعت لألوف الواغلين !

هو روح شرّده الشرق ليدرك سرائر الألم والحنين

هو فتًى يتحدث عن سلمى وليلى فى بلاد لا تعرف غير مرجريت وسوزان .

هو فتًى يقول بأن المعبد الوثنى صار كنيسة ثم تحوّل إلى مسجد ، ومعنى ذلك أنه يرحب بانتقال الروح من حال إلى أحوال

أما بعد فهل قلت شيئاً عن جبران ؟

الشواغل لا تسمح بأن أقول أكثر مما قلت ، وجهد المقلّ غير قليل !

زكى مبارك

أوغسطين - الغزالى
أبو العلاء - دانته

للدكتور جواد على

بالرغم من اختلاف عصرى كل من المفكرين الكبيرين « أوريليوس أوغسطين » قديس المسيحية ، و « الغزالى » حجة الإسلام وزين الدين ؛ فإن بين الرجلين تشابهاً يكاد يكون عجيباً . تشابهاً فى الحياة الخاصة ، وتشابهاً فى الحياة العامة وفى التفكير والإبداع ، حتى فى الشخصية تكاد تلامس روحاً واحدة فى جسمين مختلفين . عاش أحدهما وهو القديس « أوغسطين » فى شمالى أفريقية بين سنة ٣٥٤ وسنة ٤٣٠ الميلاديتين . وعاش الثانى فى بلاد الشرق الأدنى بين سنة ١٠٥٨ وسنة ١١١١ الميلاديتين أيضاً وبين الرجلين كما ترى عدة مئات من السنين

انتقل « أوغسطين » من حياة الشك إلى حياة اليقين ، وانتقل حجة الإسلام « الغزالى » من عالم الشك إلى عالم اليقين كذلك ، وكان القديس « أوغسطين » فى آخر حياته صوفياً ناسكاً ، وكان « الغزالى » فى رأس قائمة متصوفى المسلمين . وقد درس « أوغسطين » الفلسفة والمنطق وعلوم اليونان ومعارف عصره ؛ ولكنه لم يجد فى كل هذه الأمور لذة ولا سعادة ، بل وجد لذته فى القناعة والزهد والدين الحق ، ووجد « الغزالى » نفس ذلك أيضاً

لم ينحصر وجه التشابه فى طراز معيشة كل من الرجلين العظيمين ولا فى أسلوب الدراسة واختيار الدروس فقط ، بل ظهر ذلك حتى فى طريقة إبراز المعلومات من عالم الفكر إلى عالم الوجود . ألف « أوغسطين » كتاباً مهمًا سمّاه (مملكة الله)[1] De civitate dei ذاع خبره فى جميع العالم المسيحى ، وألف كتاباً آخر سمّاه (العقائد) Confessioues[2] . وألف « الغزالى » عدة كتب فى مواضيع تكاد تكون نفس المواضيع

(١) راجع قائمة كتب إباء الكنيسة Mign. 16 vol. Paris. 1835.

(٢) راجع Zepf. A. S. Konfessionen. Tübin gen. 1926.

التى عالجها القديس « أوغسطين » ، ومن جملة كتبه كتاب (المنقذ من الضلال) ؛ ويكاد يكون هذا الكتاب نفس كتاب (العقائد) لأوغسطين[1] فى مضمونه واصطلاحاته وأغراضه التى من أجلها وضع هذا الكتاب

وقد انتبه إلى هذا التشابه المستشرق فريك Frick الذى قرن بين الكتابين وإذا بينهما تشابه عظيم فى الترتيب والأسلوب والفصول والأدلة ، بل حتى فى بعض العبارات يكاد يكون عجيباً . وقد بحث هذا المستشرق عن نقاط الاختلاف الكائنة بين الكتابين أيضاً والعوامل التى أثرت فى كل من الرجلين فجعلت من الإنسانين إنساناً واحداً اتفقا فى كل شيء عدا الزمن والديانة . وقد دل المستشرق بصورة خاصة على ناحية التصوف والزهد فى حياة كل من الرجلين ، وهى الناحية الحساسة التى أثرت على مزاج كل منهما ، ومزاج كل من أوغسطين والغزالى واحد[2]

وهذا التشابه غريب فى بابه حقاً إذ لم يكن الغزالى يعرف اللاتينية حتى نقول إنه اطلع على مؤلفات أوغسطين ، ولم يرد فى الرواية أيضاً أن أحداً من علماء المسلمين أو المترجمين كان قد ترجم كتاباً من كتب هذا القديس إلى العربية حتى نقول إن الغزالى اطلع على كتب القديس واقتبس منها . لم يقل بذلك أحد حتى المستشرقون إلى هذا اليوم

يحدثنا البيهقى فى كتابه تاريخ حكماء الإسلام[3] أن الغزالى كان كثيراً ما يورد كلام العالم الاسكندرى الشهير يحيى النحوى[4] لا سيما فى كتابه تهافت الفلاسفة حيث يقول البيهقي : « وأكثر ما أورده الإمام حجة الإسلام رحمه الله فى تهافت الفلاسفة تقرير كلام يحيى النحوى » ويذكر الشهر زورى فى كتابه « نزهة الأرواح[5] » أن الغزالى أخذ ما أورده فى التهافت من كتب

(١) راجع Pfannmuller. Hand. der. Islam lêteratur. P 282 و

(٢) نفس المصدر ص ٢٨٢

(٣) نقلا عن كتاب تاريخ الفلسفة فى الاسلام لمؤلفه دى بور وترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة فى تعاليقه على الكتاب ويذكر أن الكتاب مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٦٦٦ ص ١٧

(٤) يحيى النحوي من الكتاب الذين أثروا على المسلمين كثيراً وقد تعرف على القائد العربى عمرو بن العاص وله حديث عن مكتبة الاسكندرية راجع الفهرست لابن النديم ص ٣٥٦

(٥) منقول من نفس المصدر ص ٢٠٩ والكتاب مصور على ما يقوله أبو ريدة بمكتبة الجامعة . ص ١٨٢ — ١٨٣

يحيي النحوى وقد اشتهر يحيى النحوى هذا بردّه على الفيلسوف برقلس Proklos (٤١٠ — ٤٨٥ م) رئيس المدرسة الإفلاطونية الحديثة فى أثينا وصاحب كتاب « مبادئ تعاليم اللاهوت » ، وكتاب شرح محاورات أفلاطون فى إبطال نظرية قدم العالم[١] .

هل يستطيع القارئ استنتاج شيء عن هذه الرواية ؟ والظاهر منها أن الغزالى كان قد اطلع على كتب الفيلسوف يحيي النحوى وكتب هذا الأفلاطونى المتفلسف كما يقول ابن القفطى كثيرة[٢] تعالج مواضيع فلسفية متنوعة وتعالج مواضيع تخص الكنيسة والعقيدة وهو أحد رجالها فهل توصل الغزالى إلى آراء أوغسطين عرضاً بواسطة كتب يحيي النحوى ؟ ولكن هل كانت آراء يحيي أو يوحنا النحوى[٣] هذا مستمدة من منبع آخر هو أوغسطين بالنقل دراية أو رواية أو بتشابه الفكرة وتوافق العقيدة فانتقلت هذه عرضاً أو دراية إلى الإمام الغزالى بالنقل أو بطريقة الاطلاع ؟ لا أدرى . وعلى كل فهنالك مشاكل علمية كثيرة لا يمكن للمؤرخ أن يجيب عنها أجوبة قاطعة أبداً .

وخلاصة ما يمكن قوله هو أن بين الحجتين تشابهاً عظيما جداً يكاد يكون محيراً ؛ وأن هذا التشابه هو الذى جعل لكتب الغزالى رواجاً عظيما بين فلاسفة أوربا المدرسيين المسيحيين وشهرة كبيرة أثرت على آراء بعض علماء اللاتين مثل توماس الأكوينى وباسكال بطريقة مباشرة أو غير مباشرة[٤] حتى يمكن أن نقول إنه كان حجة لدى المسيحيين كما كان حجة لدى المسلمين

أدرك علماء من المسلمين هـذا التشابه بين آراء الغزالى وبين آراء يحيي النحوى فقالوا بأن الغزالى كان يقرر ما كان يحيي قد سبقه به . وأدرك بعض المستشرقين ما بين كتاب « المنقذ من الضلال » وما بين كتاب أوغسطين « العقائد » من الاتصال فقالوا قولاً لم يجزموا أنفسهم بما قالوه جزماً . وأدرك المستشرقون أيضاً ما بين « الكوميديا الإلهية » للشاعر الإيطالى دانته الشهير Dante alighieri « ١٢٦٦ — ١٣٢١ م » وما بين بعض القصص الإسلامية من الاتصال مثل قصة الإسراء[١] . وقالوا إن دخول هذه العناصر إلى الكوميديا الدينية كان إما عن طريق مباشر وإما عن طريق الأساطير الأوربية التى سبق عهدها عهد الكوميديا الإلهية[٢] . وتظهر هذه الروح الإسلامية فى كثير من مواضع الكوميديا . وقد أيد بحث بعض المستشرقين أمثال سنوك هورگرونيه Snouck Hùrgronje وإيتالو بيتزى Italo Pimymyi هذا الرأى . وقد كتب العالم الشهير Miguel asin Palacios عن هـذا الموضوع كتاباً خاصاً حلل فيه الكوميدية تحليلاً دقيقاً مظهراً أثر القصة العربية فيه[٣]

وقال آخرون إن هذا التشابه أمر واقعى ؛ ولكنه لا يعود إلى مصدر عربى أصلاً بل يعود سببه إلى التقارب الكائن فيما بين العقليتين الرومانية والعربية[٤] . بينما يرى إسن أن لرسالة الغفران للشاعر المتشائم أبى العلاء المعرى ، وهو شاعر فيلسوف يوافق تفكيره التفكير الغربى أثر لا ينكر على كوميدية دانته هذه[٥] . وهذا رأى ذهب إليه مستشرقون آخرون وقد تعودنا سماعه ، ولكنه يحتاج إلى بحث علمى دقيق لنرى وجه التشابه ، وسبب هذا التقارب فى الأفكار

وعلى كل فهنا مثالان نسوقهما للقارئ من أمثلة كثيرة ، ليرى إلى أى مدى يصل التشابه الفكرى بين الناس أحياناً وهو موضوع مهم أكثر ما يسقط فيه المستشرقون . يحتاج إلى درس عميق ومقارنة بين العقليات البشرية ، وخصوصاً فيما يطلق عليه « الأفكار البشرية العامة » وهي الأفكار التى تخطر على بال كل أحد وتمر على فكر كل إنسان .

جواد على

---

(١) راجع قاموس الفلسفة لشميد ص ٥١٥ وأبو ريدة ص ٢٠٩

(٢) راجع كتابه أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٢٣

(٣) ويعرف باسم Johonnes Philoponus

(٤) وقد ترجمت بعض كتب الغزالى الرئيسية إلى اللاتينية فى عام ١١٥٠ الميلادية راجع : Theodor nöldeke و Hittl. P 432 و فى مجلة Z. D. M G . عدد ٤٠ سنة ١٨٩٤ ص ٤٥ — ٤٨ :

---

(١) Miguel Asiu. Islam Ande The Divine Comedy. London 1926.

(٢) راجع تراث الاسلام ج ١ ص ١٩

(٣) راجع 203 و Pfaunmulbr. S

(٤) راجع 138 f and و Babinger. Der. Islam 12, 1921. S
Jakab Overmans, Stimmen der Zeit. Bd, 99. 1920. P و 188-192

(٥) Asin. Islam and the Divine comedy. and Hitti, 459

الأحــــلام

للعالم النفسانى سيجموند فرويد

ملخص محاضرة ألقاها قبيل وفاته

للدكتور محمد حسنى ولاية

ينقسم الحلم إلى شقين : الحلم الظاهر والحلم الكامن . ويحتوى الأول على نسيج الحلم نفسه . ويتضمن الثانى ما يختفى وراء الحلم الظاهر من الأفكار والصور المستقرة فى العقل الباطن «اللاوعى» . وللاهتداء إلى الشطر الكامن علينا أن نطلب إلى الحالم استبعاد انتباهه من الحلم الظاهر والاهتمام بعناصره كل على حدة والأدلاء بالحوادث التى عرضت له فى اليوم السابق للحلم والتى تمت إلى هذه العناصر بصلة . وعلى هذا الأساس تسهل معرفة الأفكار المرتبطة بحوادث الحلم لما تنطوى عليه من ذكريات من اليوم السابق للحلم علاوة على ذكريات مستمدة من الماضى البعيد والقريب

يبذل الحالم مقاومة تتفاوت قوتها لإخفاء بعض نواحى الحلم ويتمخض هذا عن اضطراب الحلم وفقده بعض همزات الوصل . وليس الحلم الظاهر أو بعبارة أخرى الحلم المحسوس إلا وليد طاقة فكرية ترمى إلى التعبير عن نفسها ، ولكنها اصطدمت بمقاومة ؛ وهذا يؤدى إلى أن هذه الطاقة قد تعبر عن مضمونها ، ولكن قد تقوى المقاومة على منع هذا التعبير أو أن تستبدل اتجاه الطاقة باتجاه آخر لا يدل على كنهها ، وفى أكثر الأحيان ينتج من الصراع بين هاتين القوتين « الطاقة والمقاومة » مظهر منسجم بحيث تستطيع القوى الدفينة أن تقول كل ما تريد أن تقوله ، ولكن ليس على المنوال الذى تتوخاه ويتمخض هذا عن تشويه تعبيرها بحيث يصبح غير مفهوم . وتسمى القوة المقاومة « الرقيب الحلمى » Dream censor وما هى إلا القوة الكابتة المستقرة بين الوعى واللاوعى

إن المنبه غير الواعى هو خالق الحلم الحقيقى لأنه مصدر الطاقة العقلية اللازمة لتكوين الحلم ، وهو كأى منبه غريزى يسعى إلى الوسيلة التى تشبع نهمه وتظهر قوته . والواقع أن كل حلم يعبر عن إشباع رغبة غريزية على نمط هلوسى وهمى ، لأن التفريغ عن نفسه عن طريق الحركة غير ممكن بسبب النوم وعليه أن يرجع القهقرى ليتدفق فى مجرى آخر هو مجرى الإدراك الحاسى Perception ويعبر عن نفسه بطريقة هلوسية . وعلى هذا تتحول أفكار الحلم الكامنة إلى صور حاسية ومناظر مرئية ، وتتزيا الأفكار والصور بزى يبدو لنا جديداً وعجيباً . ولما كان الجهاز اللفظى عاجزاً عن العمل فى حالة النوم فهو لا يستطيع التعبير عن الارتباطات الفكرية الدقيقة ويتخلف عن هذا مواد فكرية خامة لا تماسك بين بعض أجزائها والبعض الآخر فهى تشبه تعبير الشخص البدائى . وقصارى القول أن هذا المنبه الفكرى المكبوت يتراجع إلى طرق قديمة فى الجهاز العقلى بتأثير الرقيب الحلمى ، ويعبر عن نفسه على نمط الإنسان الفطرى بالرموز التى أصبحت غريبة على الوعى ولكنها كامنة فى العقل الباطن . على أن التغييرات التى تطرأ على العناصر التى تحتوى عليها الأفكار الحلمية على جانب عظيم من الأهمية فإن هذه الأفكار تتكثف بحيث تتكون منها وحدات جديدة كما سنرى فيما يلى

عند ما تترجم الأفكار إلى صور تعبر هذه الصور عن أفكار كثفت واعتصرت وقد يمثل بسبب هذا التكثيف عنصر واحد فى الحلم المحسوس عدة عناصر من الأفكار الحلمية ، ولكن على النقيض من هذا قد يمثل عنصر واحد من الأفكار الحلمية عدة صور مرئية فى الحلم

وهناك ظاهرة هامة أخرى ، هى ظاهرة الإزاحة أو النقل وتنطوى على نقل أهمية فكرة إلى أخرى ، وتعد هذه الإزاحة فى الوعى تخطأ فى التفكير ، أو كوسيلة للمزاح . إن الأفكار الفردية التى تكون عناصر الأفكار الحلمية ليست كلها ذات أهمية متساوية ، لأن كلا منها مزود بطاقة عاطفية أو انفعالية تتفاوت فى قوتها . وتنفصل فى الحلم هذه الطاقات العاطفية عن الأفكار ، وحينئذ تتحول إلى طريق آخر أو تعدل أو تختفى من الحلم كلية أو تبقى كما هى . وقد تعود الأفكار التى سبق أن حرمت من

طاقتها الانفعالية إلى الحلم فى شكل صور حلمية حساسة ، وبذلك تتعلق الأهمية بعناصر لم تكن ذات أهمية ، وعلى هذا نرى أن الصور المرئية البارزة فى الحلم التى تعتبر أهم عناصره ، ليست فى حقيقة الأمر أهم عناصر الأفكار الحلمية ، كما أن العناصر التى تبدو قليلة الأهمية فى الحلم قد تكون فى الواقع أهم عناصره ، ولكن قلت أهميتها فى الحلم بسبب حرمانها من الطاقة الانفعالية أو العاطفية . وهذا هو السبب فى أن الحلم يبدو غريباً غير مفهوم .

من هذا يتضح أن الإزاحة تؤدى إلى تشويه الحلم تحت تأثير الرقيب الحلمي

بعد هذه العمليات تصبح الأفكار الحلمية جاهزة ، ولكنها قد تتأثر بعملية أخرى غير ملموسة الأثر فى كل الأحلام وتسمى عملية الإعداد الثانوى Secondary elaboration التى تؤثر على الحلم عندما يصل إلى الوعى الذى يحاول أن يوجد همزات الوصل ، ويملأ الفراغ بين بعض عناصر الحلم والبعض الآخر ، فيبدو الحلم متماسكاً مصقولا .

وحين ينعدم الإعداد الثانوى تبدو الأحلام على فطرتها لا تماسك بين بعض أجزائها والبعض الآخر . وقد يعمل الوعى على إعداد شطر من الحلم ويترك الشطر الآخر دون صقل ولا تهذيب

يحتوى الحلم على رموز قد يصعب تفسيرها ، وتستعصى معرفة مصدرها .

يرمز المعطف عند ما تحلم به امرأة إلى الرجل ، ويرجع منشأ هذا الرمز إلى طقوس البدو أثناء الاحتفال بالزواج فى العهد القديم فقد كان يلبس البدوى عروسه عباءة وهو يقول « لا تدعى رجلا آخر يسترك سواى »

وقد ذكر إبراهام أن العنكبوت يرمز إلى الأم القُبلية Ohallic mother لأنها تنهى طفلها عن العبث بقبلة فهو يخشاها ويمثل الخوف من العنكبوت الخوف من حب المحارم incest وكذا الخوف من رؤية أعضاء الأنوثة .

وقد فسر فرنزى Ferenczi رمز الجسر بكونه يمثل فى الأصل عضو الذكورة الذى يصل الوالدين أحدهما بالآخر أثناء العملية الجنسية . على أنه يمثل أيضاً معانى أخرى ناشئة من عضو الذكورة نفسه لأنه المسئول عما يحدث بعد من ولادة الطفل بعد أن يتدفق السائل القرنى ، ومن هذا يتضح أن الجسر قد يمثل عملية الولادة فى حد ذاتها .

(للبحث صلة)

دكتور محمد حسنى ولاية
طبيب بصحة بلدية الأسكندرية

نســــاؤنا فى الحج

للسيدة وداد سكاكينى

هنالك على السفوح المقدسة من عرفات ومنى ، حيث يتراوح الأخشبان بهامتيهما العاريتين وفى عدوة المسعى بين الصفا والمروة تتهادى نساء فى الحجيج ، متلفعات بالأبراد البيض ، مؤتزرات بأنقى الجلابيب ، يبتهلن إلى الله بوجوه مشرقة بالرضا ، وقلوب فياضة باليقين ، جياشة بالحنين ، إلى بيته الحرام ؛ وكم زم الرجل رحاله ، ولملم أحماله ، ويطوى البيد أو يمخر البحار ، ليصل إلى ديار بنى هاشم وعبد شمس ، بإيمان لا يزعزعه زمان ، وآمن ترثها الأجيال من الأجيال ؛ هكذا تسارع نساؤنا فى مواكب الرجال ، إلى دارة الوحى وكعبة الدين ، لا يصدهن عن الحج حرب ولا بعد ، ولا يعوقهن غد غامض مجهول ، أو ولد حبيب ، فإذا بلغن مكة المكرمة ، وباشرن فريضة الحج ، بدأن من الشعائر بالإحرام ، فلبسن كالرجال إزاراً ورداء جديدين ناصعين بالبياض ، ثم والين التلبية ، رافعات بها الأكف ، مبدئات ومعيدات : الله أكبر ، الله أكبر ! لبيك اللهم لبيك ... فيتردد هذا الهتاف ، ويضيع فى زمازم الحجيج كلما علون شرفاً ونجادا ، أو هبطن سفحاً ووهادا ، فمن حول البيت العتيق كم طوفت مسلمات مستلمات الحجر الأسود ، ميامنات فيه أشواطاً سبعة مباركة ! ولكم ثمة وفين بالنذور ، وتشبثن بالأستار الشريفة ، داعيات إلى الله بالرحمة والغفران ، وسلامة الإياب إلى الأوطان ...

كانت زبيدة بنت المنصور زوج الخليفة العباسى هرون الرشيد تتوق للحج كلما حج الرشيد الذى كان من دأبه أن يغزو عاماً ويحج عاماً ، فلما قتل ابنها الأمين ، واستولى المأمون على الخلافة ، جاءت زبيدة الثكلى حاجة محتسبة عند بيت الله مصابها فى ابنها ، فأكبت على المبرات ، وأجرت عيناً تعرف حتى اليوم باسمها ، يجد عندها الحجيج سكناً لهاثهم ، وريًّا لظمائهم ... ومن يدرى ، فلعل السيدة زبيدة — رحمها الله — كانت إذا وقفت عند أستار الكعبة تمزج الرحمات بالدمعات ، وتنشد قول الحسن بن هانئ فى ابنها الأمين :

طوى الموت ما بينى وبين محمد ... وليس لما تطوى المنية ناشر
لئن عمرت دور بمن لا أحبه ... فقد عمرت فيمن أحب المقابر
وكنت عليه أحذر الموت وحده ... فلم يبق لى شىء عليه أحاذر

ثم تنثنى إلى الصدقات . فتأمر بإمداد المعوزين والمساكين : فتكسو العريان ، وتطعم الجائع ، وتعطى الفقير ... ومن الغريب ألا يسلم عصر من عصور الأدب من مزاحمة الشعراء للنساء ، ولو كن فى مناسك الحج ومحاريب العبادة والزهادة : « ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ؟ » ... هكذا كانوا يترقبون أسباب الدعاب ، ويتلمسون مراتع الفتون ، فيجيبون داعى القلب ، كما يجيبون داعى الرب . على أن أشهر وأكثر من تصدى للنساء بالغزل والثناء هو عمر بن أبى ربيعة ، فقد اتخذ من أيام الحج موسماً لهوه ومجانته ، وكثيراً ما وقف عند الحطيم هائم النفس يترقب وينشد :

أيها الرائح المجد ابتكارا ... قد قضى من تهامة الأوطارا
من يكن قلبه صحيحاً سليما ... ففؤادى بالخيف[1] أمسى معارا
ليت ذا الدهر كان حتما علينا ... كل يومين حجة واعتمارا

وقد بلغ من عبثه وغزله أن نفرت كل حصان رزان من الحج ، وأبى أحرار الرجال على نسائهم تأدية هذه الفريضة كلما جاء هذا الشاعر المخزومى إلى تلك المناسك المباركة .

كان عمر يقتحم العقبات ولا يحجم عن تعقب الحسان وتتبع الغوانى فى مغانى الطائف أو بين مسارب العقيق ووادية البهيج مهما لقى من تهديد الخلفاء والمتزمتين ومن وعيد أصحاب الغيرة على الحرمات ، ولكم هجر مكة أناس فراراً من هذا الشاعر الغزل ، وخشية تشبيبه بكرائمهم وتنويهه بأسمائهن وكشفه عن معالم الجمال فيهن . أما مواكب النبيلات من شريفات الحجاز أو العراق والشام فى مواسم الحج فكانت حافلة بالهوادج والرواحل مثقلة بالمتاع والزينة

روى أن عائشة بنت طلحة حجت ذات مرة ومعها ستون بغلاً عليها الرحائل والقباب فعرض لها عروة بن الزبير قائلاً :

عائش يا ذات البغال الستين أكل عام هكذا تحجين

فأرسلت إليه : نعم يا عُريّة ! فتقدم إن شئت . فكف عنها وندم على فضوله

ولم تكن كل النساء في عصر عمر سواء في التنكر للشعراء والتحرج من غزلهم ولهوهم . فالجميلة منهن كانت تتمنى أن يسير في ذكرها الشعر . ولا سيما في شعر عمر بما يزيدها تيهاً بحسنها ويغري بها الخطاب . وكان الشاعر العرجي يتصدى في موسم الحج لمن عناهن بقوله :

من اللاء لم يحججن يبغين حسبة ولكن ليقتلن البريء المغفلا

ولكثير عزة وجميل بثينة والأحوص أشعار في بعض الحاجات المترفات ممن رضين بالأماديح وعدن تياهات بلقيا الشعراء مباهيات بغزلهم ونسيبهم ، حتى أن النواسي على مجونه لحق بجنان جارية الثقفي إلى طريق الحج فقال :

حججت وقلت قد حجت جنان فيجمعني وإياها المسير

وفي الواقع أن نساءنا في الحج كن في القديم يؤدين هذه الفريضة بشوق وحماسة ودافع ديني صميم ؛ وهنالك كن يشهدن في ذلك الموسم العظيم مباهج الإسلام وعزة الدين وفضل المساواة وكانت الحاجة تعود إلى بلادها سعيدة جد سعيدة ، مزهوة بما نالت من شرف الحظوة بالأرض المطهرة التي فيها أول بيت وضع للناس والتي ضمت قبر الرسول عليه السلام وصحبه الأكرمين وأطلعت آفاقها المنورة كواكب رجال تسلموا مفاتح الدنيا وملكوا زمامها.

أما نساء اليوم من أنداد مترفات الأمس وفضلياتهن فقلما يدور الحج في خواطرهن وهن مستطيعات إليه سبيلاً ، إذ أن تيار الحضارة قد جرفهن بريحه العاتية نحو الغرب فسحن في بلاده ، وزرن عواصمه الكبرى للمعرفة والسلوى وكان إليها حجهن المبرور

فيا مهبط الوحي ويا موطن النبوة والهجرة، إليك تهفو روحي هفهافة كالأجنحة ، خالصة صافية كماء النبع ، متوجهة للذي فطر السموات متوسلة إليه أن أراني يوماً طوافة في البيت الحرام حوامة على ذلك الصعيد الطهور الذي درجت في حماه خديجة الكبرى وفاطمة الزهراء، وعائشة أم المؤمنين وأسماء بنت أبي بكر وسكينة بنت الحسين وغيرهن من القانتات الطاهرات

ويا حجيج هذا العام من مترامي بقاع الإسلام ، يا من طويتم المراحل في غمرة هذه الحرب الضروس إلى بيت الله ومثوى الرسول سلوا ربكم أن يرفع غضبه عن بني الإنسان ويحقن الدماء التي يسفكها الجبابرة والطغاة ليقيموا على جماجم الأبرياء مجداً لجشعهم صبيغاً بالنجيع

(دمشق) وداد سكاكيني



رأى في تنقيح الأحاديث

للأستاذ محمود أبو رية

استبشرنا خيراً حينما أهاب بالعلماء الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت ليدعوهم إلى العناية بكتابهم فيعملوا على تخليص تفسيره مما شابه من الاسرائيليات التي شوهت جماله وأذهبت نوره. وقلنا لعل هذا العمل الطيب يكون مقدمة لأن يجعل شيوخ الأزهر هذا الكتاب الكريم إمامهم في أخذ العقائد والعبادات والأحكام منه ويسيروا بنوره في هذه الحياة حتى يكونوا هداة بحق، ومن ثم يتبين لأهل الأرض جميعاً أن هذا الدين خير الأديان وأنه صالح لكل زمان ومكان. ومنذ أيام كنت أتحدث مع الأستاذ الكبير صاحب الرسالة في هذا الأمر الذي دعا إليه الأستاذ شلتوت وكان مما قلته له، أن تخليص تفسير القرآن من الإسرائيليات يجب أن يسبقه أو يكون معه تطهير الأحاديث التي هي (السنن القولية) مما انبث فيها من الموضوعات. إذ ما أصيب الإسلام بشيء أشد وأنكى مما أصيب به في ناحية هذه الأحاديث الموضوعة. وما كانت الاسرائليات التي تدسست إلى التفسير إلا جزءاً منها ؛ ذلك بأن أعداء الإسلام وأصحاب الأهواء لما رأوا أنه لا يمكنهم أن يضربوا المسلمين من قبل كتابهم لأنه جاءهم من طريق التواتر، ونسخه منتشرة بين أرجاء الأرض، وكثير من المسلمين يحفظونه عن ظهور قلوبهم فلا يستطيعون بذلك أن يزيدوا فيه حرفاً أو يبدلوا منه كلمة، عمدوا إلى الحديث عن الرسول صلوات الله عليه فلعبت فيه أيديهم ونالوا به مآربهم، وغر المسلمين الأولين أن أولئك الذين يبطنون الكفر والحقد يرتدون لباس الإسلام ويعملون بأحكامه، فقبلوا منهم ما رَووا وصدقوهم فيما حدثوا. وناهيك بما فعل كعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهما. ولقد كان للمسلمين مما وضعه أولئك الأعداء في الأحاديث مشكلات كثيرة في الدين والحس والعلم لم نخلص منها حتى اليوم. فإذا أردنا الإصلاح حقاً كان علينا أن نبدأ بالحديث فننخل كتبه ولا نُبقي فيها غير الصحيح مما يخالف متواتر النقل وصريح العقل وما أثبته العلم وما شهد به الحس؛ وإننا إن نفعل ذلك لا نكون قد خرجنا عن قواعد رجال الحديث أنفسهم فقد قالوا[1] : إن من جملة دلائل الوضع أن يكون مخالفاً لمعقل بحيث لا يقبل التأويل، ويلتحق به ما يدفعه الحس والمشاهدة أو يكون منافياً لدلالة الكتاب القطعية أو السنة المتواترة أو الإجماع القطعي

وقالوا : ليس كل ما صح سنده يكون متنه صحيحاً، ولا كل ما لم يصح سنده يكون متنه غير صحيح

وكذلك قالوا[2] : « ولا يلزم في إجماع الأمة على العمل بما فيهما « البخاري ومسلم » إجماعهم على أنه مقطوع بأنه كلام النبي صلى الله عليه وسلم » ؛ ومتى تم لنا ذلك واستقام كان تخليص التفسير في الإسرائيليات وغيرها سهلاً يسيراً ؛ أما إذا وقف بنا الأمر عند تفسير كتاب الله تعالى، وتركنا كتب السنة تحمل ما تحمل. فإن عملنا يكون ناقصاً، ويظل المسلمون على ما هم فيه من الاختلاف بين الفرق والتعصب بين المذاهب، ذلك بأن الأحاديث — كما لا يخفى — هي مرجع كل الطوائف ومأخذ كل المذاهب.

هذا ما حدثت به الأستاذ الزيات، فكان من جوابه أن جماعة كبار العلماء قد تداركت هذا الأمر، وإنك ستجد ما قرروه في العدد القادم من « الرسالة ». ولما طلع علينا هذا العدد ٤٤٦ وقرأت فيه قرار الجماعة، عجبت من أنهم لم يلتفتوا إلى أمر السنة إلا لرغبة أتتهم من غيرهم، كأن هذا الأمر العظيم ليس له خطر عندهم. على أني رأيت أن أعلق بكلمة صغيرة على قرار الجماعة في أمر السنة ووضع كتاب فيها، وأرجو أن تنال هذه الكلمة منهم الرضا والقبول

تقول الجماعة : إنها ستضع مؤلفاً يجمع الأحاديث التي (تصلح للاحتجاج والتي لا تصلح مع بيان درجاتها)، وكلمة (تصلح

---

(١) ص ٨٣ من شرح ألفية السيوطي للمحدث الفقيه الشيخ أحمد شاكر

(٢) ص ١٢٦ من كتاب توجيه النظر للعلامة طاهر الجزائري

للاحتجاج) مطلقة المعنى ، فكما تصلح الحجة القوية للاحتجاج ، فإن الحجة الضعيفة تصلح كذلك !

فإذا أخذنا بهذه القاعدة ، ظل باب الضعيف مفتوحاً للاحتجاج به ، ورجعنا إلى قول بعض الأئمة ، فى أن الضعيف يقوى بتعدد طرقه ، وكأننا لم نصنع شيئاً . ونحن بما نرجو فى تنخل السنة ، إنما نريد إخراج كل ضعيف مهما تعددت طرقه ، لأن الضعيف ضعيف ولو تعددت أسانيده ، وإذا كانوا قد قالوا فى الصحيح : إنه يعطى الظن فترى ما ذا يعطى الضعيف ؟!

على أن هـذا الإطلاق يجعل المسلم فى حيرة من أمره ، إذ لا يعرف ما هى الأحاديث التى يحتج بها فى أصول الدين ، ولا ما هى التى يحتج بها فى فروعه . فلواجب أن يكون وضع كتاب السنة على غير هذه الطريقة . وإنى أعرف هنا طريقة في تنقيح كتب الأحاديث ، وهى لإمام السنة فى هذا العصر المرحوم السيد محمد رشيد رضا ، وقد كان هو يريد أن يعمل بها ، ولكن المنيَّة حالت بينه وبين ما كان يريد .

ذلك أنى كنت حدثته قبل موته بنحو عامين فى أن يخدم السنة بتنقيح كتبها ؛ فكان جوابه لى رحمه الله أنه لم يأسف على شىء فاته فى الحياة أسفه لعدم قيامه بهذا الواجب ، وتمنى لو أطال الله عمره لينهض به . وبعد شهور كتبت إليه أذكره بهذا العمل وأسأله عن الطريقة التى تنفع فى هذا التنقيح إذا تهيأت أسبابه . فكتب إلىّ رضى الله عنه جواباً كأنه كان يخاطب به كل من يريد أن يعالج هذا العمل ، وإننا ننقلها إليهم ونرجو أن ينتفعوا بها فى عملهم ، قال[1] :

« ... إن على المسلمين أن ينقحوا كتب السنة ويبينوا للناس صفوة السنة التى بين بها الرسول صلى الله عليه وسلم كتاب الله وأمر أصحابه بتبليغها للناس ، ففعل خلفاؤه وسائر علمائهم ذلك وقاموا به خير قيام على حين لم يكن معهم كتاب مخطوط غير كتاب الله ، وبينوا لهم ما هو قطعى الدلالة والرواية لا عذر لأحد فى جهله ولا فى تركه ، وما هو موكول إلى اجتهاد الأفراد ، وما هو خاص باجتهاد الأئمة (الخلفاء والأمراء والقضاة) . الخ »

هذه هى الطريقة الحكيمة التى أرشد إليها هذا الإمام الكبير وهى جديرة بأن تنال مكاناً محترماً بين جماعة كبار العلماء ، فإن لم يأخذوا بها فلا أقل من أن يسترشدوا بما جاء فيها

هذا ما رأينا أن نعلق به على قرار جماعة كبار العلماء ، ونرجو لكى يخرج هـذا العمل الجليل كاملاً أن تولاه أخصاء من كبار المحدثين الفقهاء ، أمثال المحدث الفقيه الشيخ أحمد شاكر

وإن أمل المسلمين جميعاً لكبير في أن الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر سيمد جماعة كبار العلماء بروح منه حتى تنهض بقوة لأداء ما قررته من تفسير كتاب الله تفسيراً صحيحاً وتنقيح سنة الرسول صلوات الله عليه ؛ لأن هذا العمل ولا ريب هو أجل عمل تقوم به هذه الجماعة فى هذا العصر لتنفع المسلمين بين مشارق الأرض ومغاربها فى دينهم ودنياهم

(المنصورة) **محمود أبو ريه**

جداول السنوات الهجرية والميلادية

يحتاج الباحثون فى التاريخ الإسلامى فى كل وقت إلى مقارنة السنوات الهجرية بالميلادية وقد عنى المؤرخون الأوربيون بدراسة هذا الموضوع لما له من الأثر البالغ فى تسهيل عملية الدرس وكتاب اللفتنانت كولونيل سير دلسيلي هايج هو عمدة المؤرخين فى هذا الصدد وقد عنى بنقله إلى اللغة العربية فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد العزيز مصطفى المراغى المتخرج فى جامعات لندن وأستاذ التاريخ الإسلامي بكلية أصول الدين فسد بذلك نقصاً كبيراً فى ناحية البحث التاريخى . والتزم توزيعه عبد الرحمن بيومي الملاحظ بكلية الشريعة وهو يطلب منه وثمنه خمسة قروش

---

[1] من كتاب للسيد رحمه الله مؤرخ ٤ شوال سنة ١٣٥٢ — ٢٠ يناير سنة ١٩٣٤

الصـــــليب

الشاعر لامرتين

بقلم الأستاذ محمد أنور ولاية

«ماتت أنفير فى ١٨ ديسمبر ١٨١٧ وهى جونيا فى قصته رفائيل بعد أن عانت آلاماً مبرحة وقد حمل أحد أصدقاء لامرتين إليه من التى كان يحبها الصليب الذى كانت تمسكه به ساعة النزع . فنظم هذه الأبيات بعد مضى عام . ولكنها لم تنشر إلا فى عام ١٨٢٣ فى مؤلفه (التأملات الثانية) ، وربما أدخل عليها الشاعر فى تلك المدة بعض التعديل كعادته »

أنتَ الذى التقطتك من فوق فمها وهى تكابد غصص الموت .

فى ساعة الوداع وهى تلفظ النفس الأخير

إنك رمز قدسى لصورة الإله ، ومنحة من يدها وهى تفارق الحياة

* * *

كم دمعة ذرفتْها تحت قدميك اللتين أعبدهما ،

ومنذ الساعة المقدسة قد تسلمتك يداى المرتعشتان

وأنت ما تزال دافئاً من نفسها الأخير ، المنبعث من أحشاء هذه الشهيدة .

* * *

كانت المشاعل المقدسة ترسل شعلة أخيرة ،

وكان القس يتمتم بأغانى الموت العذبة ، الشبيهة بتلك الأغانى ذوات الأنين المؤثر التى ترددها المرأة للطفل المسترسل فى النوم .

* * *

لقد انطبع على جبينها أثر ذلك الأمل ، المنطوى على الورع والتقوى .

وعلى أساريرها التى بدت فى جمال رائع ،

طبع الألم الهارب بهاءه والموت جلاله .

* * *

وهذه الريح التى كانت تداعب جدائل شعرها ،

كانت تكشف لى عن محياها آناً وتحجبه آناً ،

كما تموج ظلال شجر السرو السوداء على قبر ناصع البياض .

* * *

كانت إحدى ذراعيها متدلية من فراش الموت ،

والأخرى منثنية على قلبها بتراخ كأنها ما زالت تبحث عن صورة المنقذ لتضمها إلى فمها .

* * *

فتحت فاها لتعانقه ثانية ،

ولكن روحها ولت الأدبار وهى تطبع عليه هذه القبلة الإلهية كالعطر الرقيق المنبعث من البخور الذى تلتهمه النيران قبل أن يتأجج .

* * *

والآن هدأ كل شىء على فمها .

وأخلد النفَس إلى السكون فى أحشائها الهامدة .

وعلى عينيها اللتين خبا بريقهما أسبلت جفنيها حتى أضحتا مغمضتين نصف إغماض .

* * *

تملكنى فزع لا أعرف كنهه حين كنت ماثلاً أمامها ،

وكنت لا أجسر على الاقتراب من هذا التراث المعبود

كنت لا أجسر . . . ! ولكن أنصت الكاهن إلى سكونى

وأمسك بيديه المثلجتين الصليب وصاح بى :

« هو ذا التذكار . هو ذا الرجاء . خذه يا بنى . . . ! »

* * *

نعم ستبقى لى أيها الإرث المحزن .

منذ ذلك اليوم بدلَت الشجرة التى زرعتُها على قبرك وريقاتها سبع مرات ولكنك لم تهجرنى .

* * *

كنت قائماً إلى جانب هذا القلب وا أسفاه حيث كل شىء سائر إلى الزوال

لحميتها من النسيان على مر الزمن .

وطبعت عيناى وهما تذرفان القطرة تلو القطرة أثرهما على العاج الذى لان .

* * *

يا من باحت إليه الروح المدنفة بسرها الأخير

تعال . وتربع على قلبى وتكلم أيضاً وبثنى حديثها لك عند ما أصبح صوتها الضعيف لا يصل إلا إلى مسامعك .

* * *

وفى هذه الساعة المريبة حيث النفس خاشعة . وهى تتوارى تحت النقاب الذى يبدو كثيفاً لأعيننا ، خارج نطاق حواسنا المثلجة ، تنكمش رويداً رويداً غير منصتة إلى الوداع الأخير

* * *

وبينما هى على نهاية الحياة فى انتظار الموت كالثمرة التى تنفصل من الفرع لثقلها

ترتعش روحنا المعلقة عند كل زفرة على ظلام القبر

* * *

وحين تكف أغانى وتنهدات النشيد المضطرب عن إيقاظ عقلنا النائم

إذا بك ملتصق على الشفاه فى ساعة النزع كآخر صديق،

* * *

إنك تعرفين كيف تموتين ، وأن دموعك الإلهية التى ذرفتها فى تلك الليلة المخيفة ، حيث كنت تصلين عبثاً ، قد روت شجرة الزيتون المقدسة من المساء إلى الفجر

* * *

وعند ما ألقت عيناك نظرة على الصليب لتسبر غور هذا السر العظيم

رأيت أمك تجهش بالبكاء والطبيعة تلبس الحداد

لقد فارقتِ أصدقاءك على الأرض كما هجرت جسدك فى القبر

* * *

سأبحث عن الموضع الذى زفر عليه فمها منك وداعها الأخير وهى تسلم الروح

لعل نفسها تقبل لهداية نفسى الهائمة فى حب إله واحد

* * *

ألا من حبيب يلبس الحداد يلتقط الإرث المقدس من فوق فمى وأنا على فراش الموت وقد اعترانى الاكتئاب والهدوء معاً كلاك مولّه الفؤاد

فيسدد خطواته ويأتنس به فى ساعته الأخيرة

فتنتقل تلك الوديعة المقدسة المنطوية على الحب والأمل من المرتحل إلى المقيم ؛

وهكذا دواليك

* * *

إلى أن يأتى يوم تخترق فيه الأموات القبة المظلمة

يناديها صوت من السماء سبع مرات

فيوقظ هؤلاء الذين ينامون فى ظل الصليب الأبدى

(الأسكندرية) **محمد أنور ولاية**

٢٣ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل السادس — عاداتهم

كثيراً ما يحدث أن يرد الرجل امرأته بعد طلاق ثالث (بشرط أن ترضى هي نفسها باستئناف المعاشرة وألا يوجد شهود بوقوع الطلاق) دون أن يخضع للقانون الثقيل السابق ذكره . وجرت العادة أيضاً أن يستخدم الرجل في مثل هذه الظروف آخرَ يتزوج المطلقة بشرط أن يطلقها في اليوم التالي لزواجهما فيعقد عليها الزوج الأول من جديد وإن خالف ذلك روح الشريعة مخالفة صريحة . ولكن قد تمسك الزوجة عن القبول ، إلا إذا كانت قاصرة فيزوجها أبوها أو الوصي عليها من يشاء . ويُختار عادة للقيام بهذا العمل رجل فقير قبيح الشكل أعمى غالباً ، يطلق عليه لقب « مستحل » — بكسر الحاء أو فتحها — أو « مُحلِل » . وكثيراً ما يعجب المستحل بجمال المرأة التي يتزوجها بالشروط السابقة ، أو بثروتها فيرفض أن يتركها ، ولا يستطيع القانون أن يجبره على تطليقها إلا إذا ظلم . وطبيعي أنه يحرص على عدم الجور في معاملتها ، ولكن الرجل يستطيع أن يستخدم « المستحل » دون تعرض لهذا الخطر . فقد جرت العادة أن يستخدم أثرياء الترك وبعض المصريين عبداً أسود من عبيدهم ليقوم بهذا العمل . وقد يُشترى العبد أحياناً لهذا الغرض ، أو يطلب من النخاس أن يقدم العبد على سبيل العارية . وأحسن العبيد أقبحهم شكلاً ، ويختار الترك على العموم عبداً غير بالغ ، إذ يسمح لهم مذهبهم بذلك . وعند ما تستكمل المرأة عدتها يقدم لها مطلقها العبد ، بعد أن يحصل على رضاها بذلك من قبل ، ويسألها الموافقة على الزواج به ، فتوافق أمام الشاهدين ، ويقدم لها المهر لتكمل شرعية الزواج ، وبذلك يصبح العبد زوجها الشرعي . وبعد العقد فوراً ، أو في الصباح التالي يقدم الزوج الأول إلى مطلقته هذا العبد ملكاً لها ، فتنحل عقدة الزواج بقبولها إياه ، إذ أن الشرع لا يبيح للمرأة أن تتزوج من عبدها إلا إذا أعتقته . وتستطيع الزوجة عند ما يفسخ زواجها بقبولها العبد أن ترده إلى زوجها ثانية ، ولكن يندر أن يسمح الزوج للمستحل بالبقاء في المنزل . وبعد ذلك تستطيع الزوجة — عند ما تنتهي عدتها — أن تعود إلى زوجها بعد أن فارقته مدة العدتين وذلك ما يقرب من نصف سنة أو يزيد

ومن الميسور أن نتصور ما تنتجه سهولة الطلاق من ضرر ينال الجنسين معاً . وفي مصر رجال يتزوجون في عشر سنين عشرين امرأة أو ثلاثين أو أكثر من ذلك . وفيها كذلك نساء لم تتقدم بهن السن يتزوجن عشرة رجال أو أكثر على التوالي . وقد أُخبرت أن هناك رجالاً تعودوا الزواج كل شهر تقريباً بامرأة جديدة . ولا يصعب ذلك على الرجل ولو لم يملك إلا القليل ، إذ يستطيع أن يختار من بين نساء الطبقات السفلى أرملة شابة أو مطلقة ترضى أن تصبح زوجة له بمهر يقرب من عشرة شلنات ، ولا يلتزم عند ما يطلقها بأكثر من ضعف هذا المبلغ أثناء عدتها . ولكن يجب القول بأن المصريين على العموم يعتبرون مثل هذه التصرفات فاضحة ، وقلما توافق عائلات الطبقات العليا والوسطى أن يزوجن بناتهن من رجل مزواج

ويقل تعدد الزوجات في الطبقات العليا والوسطى عنه في الطبقات السفلى . وتعدد الزوجات مفسد لأخلاق الزوج وزوجاته ، ولا يبرره غير تقليله ارتكاب الفاحشة ، ويستطيع الفقير أن ينعم بزوجتين أو أكثر ، وتستطيع كل منهن أن تقوم بضروريات معيشتها تقريباً بأي صنعة أو عمل . إلا أن أغلب رجال الطبقات العليا والوسطى منصرفون عن ذلك لما يحدثه تعدد الزوجات من نفقات وتعب . وقد يضطر الرجل الذي يحب زوجته العقيم إلى الزواج بأخرى أحياناً لتكون له ذرية ، وقد يتزوج بثالثة أو رابعة للسبب نفسه . بيد أن السبب البيّن والمألوف لتعدد

الزوجات هو عدم استقرار الشهوة ؛ ولكن قلّ من يرضى هواه بالأسلوب السالف . وأعتقد أن ليس هناك أكثر من رجل واحد بين كل عشرين رجلاً ينعم بزوجتين

وتتمتع زوجة الرجل الأولى بالمكان الأولَ بين زوجاته الأخريات وتسمى (الست الكبيرة) . ومن هنا كان كثيراً ما يحدث عند ما يرغب الرجل فى الزواج أن يشترط أهل الفتاة المخطوبة أو الفتاة نفسها أن يطلق الزوجة الأولى أولاً . وطبيعى أن المرأة لا تستحسن زواج الرجل بأكثر من واحدة . ويُعد الرجل الثرى أو المتوسط الحال حتى الفقير لكل من زوجاته مسكناً منفصلاً . وتستطيع الزوجة أن تجبر زوجها على أن يخصص لها « مسكناً شرعياً » منفصلاً أو شقة (بها غرفة واحدة للنوم وللجلوس ومطبخ ودورة مياه) منفصلة عن غرف المنزل الأخرى . وتسمى كل من الزوجتين أو الزوجات « ضُرَّة »[1] وكثيراً ما يتحدث الناس عن مشاجرات الضرائر . ويستنتج طبعاً أن الصداقة لا تحصل دائماً بين امرأتين يقتسمان حب رجل واحد وحدبه . وكذلك الحال على العموم بين الزوجة والسريّة اللتين تعيشان فى منزل واحد وفى أحوال متشابهة[2] . ويحدث أحياناً إذا عقمت السيدة وحملت من دونها ، زوجة كانت أو سرية ، أن تصبح الأخيرة مفضلة لدى الرجل ، « وتصغر فى عينيها » سيدة المنزل كما صغرت امرأة ابراهيم فى عينى هاجر للسبب نفسه[3] ولذلك كان كثيراً ما تفقد الزوجة الأولى مكانتها وامتيازاتها . وتصبح الأخرى سيدة المنزل يعاملها منافساتها والحريم جميعه والزائرات ، لحظوتها عند الزوج ، بنفس الاحترام الظاهر الذى كانت تتمتع به الزوجة الأولى . ولكن قد تستعمل الكأس المسمومة أحياناً للتخلص منها . وكثيراً ما يكون تفضيل الزوجة الثانية سبباً فى تقييد الزوجة الأولى فى المحكمة « ناشرة » بناء على طلب الزوج أو طلب الزوجة الأولى نفسها . ومع ذلك كان كثيراً ما يرى زوجات يخضعن إلى أزواجهن الخضوع

---

(١) وينطقها العامة كذلك (أو بالحري درة « بالدال ») بدلا من ضرة (بفتح الضاد) وقد يكون ذلك فى الأصل تحويراً لمعنى كلمة ، إذ أن كلمة درة تسمية عامة للببغاء

(٢) ويأمر الشرع الزوج الذى يتزوج بأكثر من واحدة أن يلزم العدل بينهن فى كل شئ ولكن يندر الخضوع لهذا الأمر

(٣) أنظر سفر التكوين ١٦ : ٤ (فدخل على هاجر فحبلت ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها فى عينيها)

المثالى الصادق فى مثل هذه الأحوال ، ويعاملن الزوجة المفضلة بود وطيبة[1] . لبعض الزوجات جوار يشترين خاصة أو تقدم لهن قبل الزواج . وأولئك الجوارى لا يصبحن سريات للزوج إلا بإذن تسمح به السيدة أحياناً (كما كان حال هاجر جارية سارة) ولكن ذلك نادر جداً . وكثيراً لا تسمح أيضاً الزوجة لجاريتها أن تسفر فى حضرة زوجها . وقد يتسرى الزوج بالجارية دون إذن سيدتها ؛ وقد تحمل منه فيصبح الطفل عبداً إلا إذا بيعت الأم أو أهديت إلى الأب قبل ولادة الطفل

والجوارى البيض غالباً فى حوزة الأتراك الأثرياء ، أما سرارى المصريين فى الطبقتين العليا والوسطى فهن من الحبشيات . ويبدو أولئك الحبشيات من سيماهن ولون وجههن من جنس وسط بين الزنوج والبيض وإن كان الفرق بينهن وبين الجنسين كبيراً . ولكن الحبشيات يعتقدن أن ما بينهن وبين الجنس الأبيض من تفاوت قليل فلا يمكن حملهن على القيام بخدمة زوجات سادتهن مع الخضوع الواجب . وتشعر الجارية السوداء نحو الحبشية الشعور نفسه . ولكنها تخدم البيض بكل ارتياح . وأذكر هنا أن الجوارى اللاتى يسمين حبشيات لسن ، ما عدا القليل منهن ، من بلاد الحبشة ، ولكنهن من أقاليم الجلا المجاورة . وأغلب الحبشيات جميلات . وتقدر الحبشية المتوسطة الجمال من عشرة جنيهات استرلينى إلى خمسة عشر ، ولكن هذا نصف ما كان يدفع عادة ثمناً للواحدة من سنوات قليلة خلت . ويقدر أصحاب الثروة فى مصر الحبشيات كثيراً . ولكنهن رقيقات التكوين فيفنى أغلبهن رويداً فى هذا البلد . ويقدر ثمن الجارية البيضاء عادة من ثلاثة أضعاف إلى عشرة أضعاف الحبشية ، وثمن السوداء حوالى النصف أو الثلثين أو ما يزيد بكثير إذا كانت تجيد الطهى . وتقوم الجوارى السود بالخدمة .

ويدخل جميع الجوارى تقريباً فى دين الإسلام . ولكنهن على العموم لا يعرفن من دينهن الجديد إلا قليلاً . وأغلب الجوارى البيض اللائى كن بمصر أثناء زيارتى الأولى يونانيات . وقد أسرت

---

(١) وطبعاً يعتبر أجمل زوجات الرجل أو أجمل جواريه أفضل نسائه وقتاً ما . ولكن أكثر النساء حظوة لا تكون فى أحوال كثيرة إن لم تكن أغلبها ، أجملهن . ولذلك ليس حب المسلم دائماً مجرد شهوة ، ولا تتعلق أيضاً مكانة الزوجة وراحتها ، كثيراً وبلا تغير ، ببدوات الرجل أو بجاذبيتها الشخصية مثلما تتعلق بسيرتها العامة وأهليتها

الجيوش التركية والمصرية تحت قيادة إبراهيم باشا كثيرين من أبناء هذا الشعب البائس . وأرسل كثيرون منهم ذكوراً وإناثاً وأطفالا ليباعوا فى مصر . وقد قل طلب الجوارى البيض فيما بعد لشيوع الفقر بالطبقات العليا فى مصر . ويجلب من الجركس والكرج عدد قليل قد تلقى بعضهن نوعاً من الثقافة الأولية إذ يتعلمن الموسيقى وبعض الفنون الأخرى . وقد شغلت الجوارى البيض مكانة أعلى من مكانة الحرائر فى مصر عند الرأى العام . فكثيرات منهن كن رفيقات لعظماء الأتراك أو زوجاتهم . وكان الأتراك يفضلونهن على الأخريات . ويلبس أولئك الجوارى أفخر الملابس . ويتقلدن الحلى النفيسة ، وينعمن تقريباً بكل مستطاع . ويعتبرن فى بعض الأحوال إذا لم يستعملن للخدمة سعيدات . وقد أثبت ذلك أخيراً — منذ انتهاء الحرب فى اليونان — أن جوارى كثيرات بقين أسيرات فى الحريم ، ولم يرغبن فى الحرية . ولا يمكن افتراض عملهن نتيجة جهل بحالة أسرهن وأقاربهن ، أو خوف التعرض للفقر . وإن كان يحتمل أن بعضهن عمل على البقاء تحت تأثير الظروف الدينية والأخلاقية التى أخضعن إليها قسراً ، ولأنهن دخلن فى سلطان سادتهن أطفالاً . ولكن إذا كان بعضهن سعيدات وقتاً ما على الأقل فهن قليلات نسبياً . وقد قدّر لأغلبهن أن يخدمن زميلاتهن الحظيات أو السيدات التركيات ، أو أن يتقبلن كرهاً ملاطفات عجوز غنى ، أو رجل أنهك الإفراط جسده وعقله ، ثم يُعرضن للبيع إذا لم يكن لهن أطفال عند ما يسأمهن سادتهن أو سيداتهن ، أو عند ما يموتون ، أو يحررن ويزوجن من بعض الوضعاء الذين لا يستطيعون أن يمنحوهن إلا القليل مما تعودنه من الرفاهية . وتعتبر جوارى الطبقات الوسطى أحسن حالاً من جوارى الأغنياء ؛ فلا يعكر صفوهن فى أغلب الأحوال منافسة عند ما يستخدمن للتسرى ، ولا يُتعبن أو يشتد عليهن عند ما يخصصن للخدمة . وكثيراً ما تكون حالة السرية أسعد من حالة الزوجة إذا دامت المحبة المتبادلة بينها وبين سيدها . إذ أن الزوجة قد تطرد فى وقت غضب الزوج ، فيوقع عليها طلاقاً لا رجعة فيه فتمسى فى حالة فقر . بينما يندر أن يطرد رجل جاريته دون أن يدبر لها الأمر . فإن لم تكن تعودت الترف لا تتألم كثيراً أو إطلاقاً من هذا التبدل . فيعتقها السيد ويمنحها مهراً ويزوجها رجلاً طيب السمعة أو يقدمها إلى صديق .

وسبق أن ذكرت أن السيد لا يمكنه التصرف فى جارية حملت منه واعترف بولدها . وكثيراً ما يحدث أن تعتق هذه الجارية بعد الحمل فوراً وتصبح زوجة . فلا تستطيع الجارية عند ما تعتق أن تقوم طويلاً مقام الزوجة شرعاً إلا إذا تزوج بها السيد . ويرى بعض الناس أن من العار بيع الجارية التى بقيت طويلاً فى خدمتهم . ويفسد « الجلاّب » أو تاجر الرقيق — فى الصعيد والنوبة — الجوارى الحبشيات والسود أقبح فساد . ويندر أن ينجو من فى سن الثامنة أو التاسعة من شدة عنف النخاسين . وكثيراً ما يلقى هؤلاء الأطفال والأحباش منهم خاصة : أنفسهم فى النيل أثناء السفر[1] ، هرباً من قسوة « الجلاب » . وتعتبر الجوارى من أى طبقة أغلى ثمناً من الذكور فى السن نفسه . ويعطى المشترى ثلاثة أيام تظل الجارية أثناءها فى حريمه أو فى حريم صديق له ليقدمه النساء له تقريراً عنها . ومن أسباب إعادة الجارية إلى التاجر أن تغط فى نومها أو تصر بأسنانها أو تتكلم أثناء النوم . وتشبه ملابس الجوارى ملابس المصريات .

(يتبع) عدلى طاهر نور

(١) ويرسل الجلاب جواريه عن طريق الصحراء والبعض الآخر عن طريق النهر .



إلى تاج «الفاروق»

[تحية لذكرى مهرجان الشرق
في يوم الزفاف الملكي السعيد]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

لَمْ تكنْ نارُكَ بَرْدًا أو سلامَا ... فعلامَ الشَّدْوُ يا طيرُ علامَا ؟!

بينَ جنبيكَ حنينٌ أوشكتْ ... ريحُهُ الهوجاءُ تذروكَ حطاما

وعلى عشِّكَ ليلٌ جاثمٌ ... كلما راودَهُ الفجرُ تعامَى !

سكتةُ الدَّوحِ ، وآهاتُ الرُّبَى ... لم تفضْ كالأمسِ عطرًا أو بغاما

والهوى لمْ تغدُ في محرابِهِ ... صلواتُ الشوقِ يسحرْنَ الظلاما

كلُّ شيءٍ هاجَ حتى حرَمتْ ... ضجَّةُ الدنيا على الصمتِ المناما

كيفَ واديكَ وهلْ طافتْ بهِ ... نشوةُ الوحيِ فأرعشتَ الغراما

وتنقلتَ بعيدانِ الضحى ... عازفًا يستنطقُ النورَ كلاما !

ونسختَ الظلَّ لحنًا والثرى ... أذنًا ، والنبعَ قلبًا مستهاما !

كيفَ واديكَ وهلْ حالُ الهوى ... مثلما كانَ بهِ عرسًا مقاما ؟

وندامَاكَ وقلبي بينهمْ ... رقَّ حتى لمْ يكنْ بينَ الندامى !

جدولٌ غافٍ ، وصبحٌ ثملٌ ... ونسيمٌ مرَّ مسكينًا مضاما

وصدى صنجٍ بكفيكَ لهُ ... في فجاجِ الروحِ وجدٌ يترامى

وشعاعٌ ، وندى خيلتهُ ... منْ بقايا حانةِ الفجرِ مداما

كلُّ هذا كانَ حلمًا هاربًا ... ليتهُ طنَّبَ في قلبي الخياما !

فأعدْهُ معبدًا مصطخبًا ... وترنَّمْ واملإ الدنيا ابتساما

واسكبِ الأنغامَ لا تنشدُ لها ... أينما تهزجُ على الأرضِ مقاما

وتألَّقْ بأغانيكَ على ... زمنٍ عجَّ لهيبًا وقتاما

أخضرُ الشطينِ ناداكَ فطرْ ... في روابيهِ غناءً أو حماما

منْ يكنْ للحربِ غنَّى هولَها ... قمْ فرتِّلْ في مغانيهِ السلاما

وانشدْ للتاجِ الذي في ظلِّهِ ... تخشعُ الأفلاكُ قدسًا واحتشاما

صرعَ الدهرَ صبيًّا ، وسمَا ... دارةَ الشمسِ ولمْ يعدُ الفطاما

أعجزتْ مصرُ بهِ سحرَ النهى ... يومَ كانَ الناسُ في الأرضِ سواما

لمْ يزلْ في النيلِ منْ آياتهِ ... هزجٌ أشجى بهِ الموجُ الغماما

ردَّ يا «فاروقُ» منْ أمجادهِ ... قبسًا يوقظُ في الشطِّ النياما .

وأعدْهُ للبرايا كوكبًا ... طارَ للنجمِ لياذًا واعتصاما

وانشرِ الحبَّ على أقوامهِ ... منْ سوى نوركَ يجتاحُ الخصاما؟

كمْ على طيفكَ أغفى جائعٌ ... كانَ لولاكَ سيقتاتُ الرغاما

كلَّ يومٍ لكَ نعمى أهلكتْ ... آهةَ الشاكي وتنهيدَ اليتامى

أقبلتْ تنسخُ أرهامَ الندى ... كلَّ صبحٍ للمقلين طعاما

سابقتْ نوركَ في رأدِ الضحى ... ومشتْ زادًا إليهمْ وسلاما ...

كبَّرَ الشرقُ ! فقالوا : منْ بدا؟ ... قلتُ منْ غنَّى بهِ الشرقُ هياما

منْ رعى الإسلامَ حتى خلتهُ ... «عمريَّ» الدينِ رأيًا وحساما

في سبيلِ اللهِ ركبٌ سائرٌ ... لبيوتِ اللهِ... كمْ راعَ الأناما !

كمْ جثتْ للهِ منهُ هالةٌ ... في سناها يطرقُ الدهرُ احتراما !

يا مقيلَ الدينِ منْ عثرتهِ ... أنتَ أعليتَ لركنيهِ الدعاما

وتهاديتَ فسارتْ أممٌ ... جعلتْ منْ نوركَ الصافي إماما

كلَّ يومٍ لكَ عيدٌ مشرقٌ ... يتراءى في فمِ الوادي ابتساما

طارَ تغريدي على آفاقهِ ... نغمةً للعرشِ عزَّتْ أنْ تسامى

سقتُها مشبوبةً منْ كبدٍ ... أوشكتْ تسكبُ نجواها ضراما

لمْ يزلْ منها «بعبدينَ» صدًى ... ظلَّ في أسوارِها يشجي الحماما

محمود حسن اسماعيل

أمنيـــة ...

للأستاذ عبد اللطيف النشار

يُنبتُ قطنًا زارعو مصر كلهم ... بِرَبِّهِمْ ما بِهِمْ، هلاَّ وكرْمًا وتفاحا؟

يقول أناس أدركوا ما عنيته ... لك الويل ما ذا تبتغي؟ قلت أرواحا

ووالله لولا زهره ورحيقه ... لما غرَّدَ الغرِّيد يومًا ولا ناحا



الأزهر والمراجع الأجنبية

يدرس الطلاب في كلية أصول الدين طائفة من العلوم التي يحتاج الطالب فيها إلى مراجع أجنبية ، ومنها علوم التاريخ والأخلاق والفلسفة وعلم النفس وتاريخ التوحيد . ولما كانت معرفة هؤلاء الطلاب للغات الأجنبية محدودة فقد رؤى أن تترجم لهم بعض المراجع الشهيرة في هذه العلوم . وعهدت مشيخة الأزهر اختيار هذه المراجع وترجمتها إلى لجنة من أساتذة الكلية مؤلفة من بعض العلماء الأزهريين الذين تخرجوا في الجامعات الأوربية وبعض الأساتذة الذين يدرسون هذه المواد

وقد عقدت هذه اللجنة اجتماعها الأول بعد مقابلة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي حيث استمع أعضاؤها إلى إرشاداته وتوجيهاته

والمعروف أن هذه اللجنة ستنتهي من مهمتها التي وكلت إليها في يوم قريب .

في ديوان البحتري

البحتري شاعر مغبون لم يحظ شعره بما يستأهله من عناية ، ولم يطبع ديوانه — على ما يبدو — أكثر من مرتين ؛ إحداها بمصر والأخرى ببيروت [1] . والثانية أدق من الأولى ضبطاً وتمتاز عليها بالشكل الكامل ، وبتعليقات وحواش قصيرة تفيد المبتدئين

على أن هذه الطبعة لم تخلُ من أغلاط بينة أساء الشارح [2] فيها التقدير . وأغلبها يرجع إلى آفة « التصحيف » التي جنت على الكثير من مخطوطاتنا القيمة وكنوزنا الأدبية النفيسة

على أن الشارح نفسه قد توهم — في أكثر من موضع — أخطاء وادعى تصحيحها ، وتصحيفات تكلف ردها إلى أصولها ! فجاء الديوان مليئاً بعشرات الأغلاط الفاضحة الواضحة . وأنا مثبتٌ هنا منها خمساً — على سبيل التمثيل لا التعديد — لأنبه القارئ إلى وجوب التحرز في قراءة هذا الديوان ، وعدم الاعتماد على شكله أو شرحه اعتماداً قد يجر إلى الغفلة ويشغل عن تعرُّف الصواب :

١ — في قصيدة « قالت الشيبُ بدا قلت أجلْ » .

قال البحتري :

أصِلُ النزْر إلى النزر وقد يبلغ الحبلُ إذا الحبل وُصِلْ

من لَقَا هذا إلى محسوس ذا ومن الذوْد إلى الذود إبل

وقد ضبط الشارح اللفظ الأخير هكذا (أَبِلّ) ثم قال : أبل : أذهب في الأرض . وهذا وهم ، إذ الشطر كله مقتبس من المثل العربي القديم : « الذود إلى الذود إبل » وهو يضرب في الشيء القليل يجتمع إلى مثله فيصير كثيراً

٢ — جاء في قصيدة : « حلفتُ لها بالله يوم التفرقِ » قوله :

أُعِينَ بنو العباس منه بصارم جُراز وعزم كالشهاب المحرَّقِ

وقد صُحفت كلمة (جراز) في الأصل إلى (جران) فنقلها الشارح بوضعها ثم قال : الجران (كذا في الأصل) لعله يريد به اللّيّن من جرن الدرع لانَ . والوهم في النقل وفي الشرح ظاهر ؛ إذ الكلمة : (جراز) بمعنى السيف القاطع

٣ — يقول البحتري من قصيدته « يا يوم عرِّج بل وراءك يا غدُ » :

أشكو إليكَ أناملاً ما تنطوي يبساً وأخلاقاً تقصّفها اليدُ

(١) المطبعة الأدبية بيروت سنة ١٩١١ م .

(٢) في صدر النسخة : ضبطه بالشكل الكامل وعلق حواشيه رشيد عطية .

أتلك حياة نصفها بتَّ نائماً
ونصفاً تُرَى فيه على الرزق كدّاحا

ألا ليتني إلاَّ أكن ذا إمارة يُطاع على عِلاته كنت فلاحا

أغذي بأشجاري أنابيب معملي وأسقي مواشيَّ السلافة والراحا

كأن بياض القطن أرؤس نسوة عجائز يملأن المحافل أتراحا

إذا لم يكن إلا مسرَّة ساعة يجدد فيها صاحب الهم أفراحا

فلا أخصبت أرض تضن بنصفها
على حانة نَشْوَى ولا رحبت ساحا

عبد اللطيف النشار

قال فى الشرح : أخلاقاً محرفة عن (أخلافا) جمع خلف ، أى ضرع ... أما (أخلاق) بالقاف فلا معنى لها هنا

قلت : الصواب « أخلاقاً » كما جاء فى الأصل ؛ والمعنى أن أخلاق الناس أصبحت من الجفاء والغلظة واليبوسة بحيث تتقصف فى اليد تقصف العود الجاف ، وفى البيت استعارة تبعية «فى الفعل»

٤ — جاء فى قصيدة « رغم الغرابُ منبِّيءُ الأنباء » :

ما للجزيرة والشآم تبـــدّلا   بعد ابن يوسف ظلمةً بضياء ؟

أوردها الشارح (بيضاء) — مؤنث أبيض — ثم قال معلقاً : كان القياس أن يقول (بيضاء) بالنصب على أنها نعت لظلمة ولـكنه جرها إتباعاً لحركة القافية أو لسبب آخر لم أعلمه (كذا !)

قلت : وجه الكلام أن (بضياء) جار ومجرور متعلقان بالفعل (تبدلا) فى الشطر الأول

٥ — يقول البحترى فى مطلع إحدى قصائده :

هوِنْناكَ من لومٍ على حبِّ تكْتَما

وقَصْرَكَ نستخبر ربوعاً وأرْسُما

وقد أعمل الشارح ذهنه فى البيت ، ثم انتهى إلى قلبه بهذا الوضع « هويناك من لوم بحبِّ تكتّما » وقال فى هامشه : كان أصل الشطر الأول : هويناك من لوم على حب تكتما ، وهو غير مستقيم الوزن كما ترى ! وكذلك أبدلنا من « على » « باء » فقلنا « بحب » وكثيراً ما وقع لنا مثل هذا الخلل فى هذا الديوان وهو خطأ طبعى (!!!)

قلت : الصواب أن « تكتم » — على وزن الفعل — علم على امرأة ، وقد ذكره البحترى فى شعره أكثر من مرة كقوله من قصيدة أخرى :

لعمرى لقد نامتْ فؤادَكَ تكتمُ

ورَدّت لك العرفانَ وهو توهُّم

فالبيت فى وضعه الأول صحيح وزناً ومعنى ، وما التصحيف إلا ما جناه الشارح على البيت وهو يدعى تصحيحه من خطأ موهوم ... هدانا الله جميعاً إلى الصواب ؛ وعصمنا من الخطأ وسوء الغفلة بمنّه

(جرجا)   **محمود عزت عرفة**

بين صبرى وابن دريد أيضاً

تفضلت الشاعرة الفاضلة فدوى طوقان بنظرة ناقدة بصيرة على كلمتنا «بين صبرى وابن دريد» ، وقالت : إن الحكم بالسرقة على صبرى شهادة جائرة . ولقد بدهنا لأول نظرة فى الديوان ما رأته الناقدة الفاضلة ، ولـكنا رمينا إلى هدف مقصود ، هو بيان غفلة محقق الديوان عن أمر البيتين سواء أكان فيهما سرقة أم لم يكن . ولقد نصصنا على تلك الغفلة فى أية صورة كانت فى كلمتنا السابقة ؛ ولا علينا إذا حكمنا بالسرقة على صبرى ، وأمامنا ديوانه ينطق بها فى مواضع كثيرة يحضرنى منها :

(فماء فى مقلٍ والنار فى مهجٍ)   قد حار بينهما أمر المحبينا

مأخوذ من قول الشريف الرضى :

(الماء فى ناظرى والنار فى كبدى)

إن شئت فاغترفى أو شئت فاقتبسى

وقوله :

وتزيدُ فى فمها اللآلئ قيمةً   حتى يسودَ كبيرهنَّ الأصغرُ

وليد قول الشاعر :

وما كنت أدرى قبل لؤلؤ ثغرها   بأن نفيسات اللآلى صغارها

وقوله :

(قد صغت التبر له شركاً)   وقضيت الليـــل أنضّده

ينظر إلى قول الشاعر :

إن رمت صيدى فى الهوى   (فانصب شراكاً من ذهب)

أما شاعرية صبرى وشخصيته فلنا رأى فيها قد نعود إليه .

حسين محمود البشبيشى

مجلة الأنصار

استقبلت زميلتنا « الأنصار » عامها الهجرى الثانى فى غرة محرم سنة ١٣٦١ ، وقد صدر العدد الأول من هذه السنة الجديدة فى حجم أكبر ، ومادة أوفر . وأبحاث جديدة ، وموضوعات شيقة . وقد نهجت الزميلة بهذا العدد نهجها المحمود فى التطور ، وعبرت عن اتجاهها الصادق فى خدمة الفكرة العربية ، ونشر الثقافة الإسلامية . فنرجو لها بهذه المناسبة السارة دوام التوفيق

هذا وقد أعلنت « الأنصار » أن اشتراكها السنوى فى عامها الجديد هو ٢٠ قرشاً فى مصر والسودان والأقطار العربية و ١٥ قرشاً للمعلم الإلزامى والطالب . والمكاتبات بعنوان : الأنصار شارع البستان رقم ٣٤ القاهرة



المؤلفات العربية القديمة

وما نشر منها في سنة ١٩٤٠

للأستاذ كوركيس عواد

خطر لي قبل عامين، أن أجمع في «مقالات سنوية»، أسماء ما يتاح لي الوقوف عليه من مؤلفات العرب الأقدمين. وذلك مما تنشره المطابع في بحر سنة كاملة. وأن أواصل هذا العمل، سنة بعد أخرى ليتكوّن من مجموع تلك المقالات كشفٌ واسع يفيد محبّي الكتب ومراجعيها، ويقفهم على ما يُنشر منها بين الحين والحين

وكان بدء العمل في السنة الماضية. فنشرت في هذه المجلة[1] فصلاً جمعت فيه ما تيسر لي الوقوف عليه حينذاك من مطبوعات سنة ١٩٣٩. وها أنذا أورد في المقال الحالي ما أمكنني الاطلاع عليه من المصنفات القديمة التي شاءت يد الدهر أن تُبقي عليها وتصونها من الضياع!

وقد أبنتُ في مقال العام الماضي صعوبة الوقوف على كل ما ينشر من تراث الأقدمين وحصره حصراً تاماً! فبعض المطابع في إيران والهند والمغرب وأغلب الأقطار الأوربية لا يمكن الاتصال بها إلا بمشقة وجهد كبيرين. ولقد ازداد الأمر وعورة عن قبل بما ولدته هذه الحرب الجائحة من مشاكل ومعضلات، أدت فيما أدت إلى ركود في حركة النشر، وفتور في سير المواصلات. ومن ثمّة كان استقصاء جميع ما تنشره المطابع من هذه الكتب أمراً صعباً إن لم نقل متعذراً في بعض الأحوال!

ومع ذلك كله، فقد وقفت على جملة حسنة من تلك المؤلفات ناهزت الأربعين أذكرها فيما يلي بحسب تسلسل عنواناتها، مع الإشارة إلى سنيّ وفيات مؤلفيها، ومحل طبعها، وعدد صحائفها[2] ما أمكن. وأحياناً أضيف إلى ذلك إشاراتٍ وتوضيحات قد أراها ضرورية في مثل ذلك المقام

يلاحظ القارئ أنني ذكرت بين هذه المطبوعات ما هو بالحقيقة لمؤلفين معاصرين[1]، وإنما آثرت ذلك، لأن هذه المصنفات طبعت بعد وفيات أصحابها، فعتبرتها مؤلفات قديمة

وقد يلاحظ أيضاً، أن بعض ما نُسب من المطبوعات إلى سنة ١٩٤٠، يُرى على غلافه أنه طبع سنة ١٩٣٩، في حين أن طبعه لم يتم، في الواقع، إلا في سنة ١٩٤٠[2]

ولي أن أشير في هذا الصدد إلى أن جانباً من هذه الكتب ما يكون نشره قد جرى وفقاً للأساليب العلمية الحديثة، وذلك من وجهة التحقيق والشرح والفهرسة إلى غير ذلك، وبعضها ما كان يُرمى من نشره إلى غرض تجاري صرف يؤذي الكتاب والقارئ معاً إيذاء شديداً، ويفيد التاجر الذي يقوم بطبعه. واختار البعض الآخر طريقاً وسطاً بين هذا وذاك

على أنه لم يكن من شأني في هذا الموقف التعرض لقيمة الكتاب الحقيقية، أو لنوع الجهد والعناية المبذولين في سبيل إخراجه؛ فللقراء أن يحكموا على كل ذلك حين وقوفهم على الكتب ذاتها. وإنني لو فعلت ذلك — وهذا أمرٌ من الصعوبة بمكان — لضاق بي المجال وخرجتُ عن ما اختططتُه لنفسي في هذا الكشف

• إن بعض التصانيف المذكورة أدناه، ما هو مطبوعٌ الآن للمرة الأولى[3]؛ وبعضه ما كان قد طُبع سابقاً مرةً أو غير مرة؛ وإنما أعيد نشره لأسباب، منها أن تكون نسخ تلك الطبعة قد ندرت أو نفدت، ومنها أن تكون تلك الطبعة قليلة الحظ من العناية والضبط والتحقيق، وقد يكون لذلك أسباب ومآرب أخرى يدركها أرباب النشر!

ومن الخير لي أن أصرح، بأنني لم أُوفّق للاطلاع على كل هذه الكتب اطلاعاً مباشراً، بل إن قسماً منها[4] لم أقف عليه مع الأسف! وإنما استقيتُ المعلومات المدونة عنه من هنا وهناك

(١) أنظر الرسالة (العدد ٣٥٤، ص ٦٧٧ — ٦٨٠)

(٢) ذكرت بين قوسين سنة وفاة المؤلف، كما وضعت (ص) بدلاً من (صفحة)

(١) أنظر الأرقام ١، ١٤، ٢٣ من هذا الكشف، والأرقام ٢، ٥ من الملحق

(٢) أنظر الأرقام: ٢، ٣، ٢٧

(٣) أنظر الأرقام: ١، ٤، ٥، ٦، ٨، ٩، ١٠، ١٢، ١٣، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٤، ٢٨، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩

(٤) أنظر الأرقام: ٩، ١٢، ١٧، ٢٤، ٢٥، ٣٤، ٣٦، ٣٨

وفي آخر هـذا الكشف تكملة ، يجد القارئ فيها ما فاتني ذكره من مطبوعات سنة ١٩٣٩ ، وقد ذكرتها ههنا لتكون تتمة أو مستدركا على المقال المنشور في العام الفائت

١ – أبو العلاء المعري : نسبه وأخباره ، شعره ، معتقده

للمغفور له أحمد باشا تيمور[1] (١٣٤٨ هـ) . نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر . (القاهرة ، د + ١٦٠ صفحة)

٢ – الاستيعاب في أسماء الأصحاب

لابن عبد البر النمري القرطبي (٤٦٣هـ) . طبع مع كتاب « الإصابة في تمييز الصحابة » الآتي ذكره .

٣ – الإصابة في تمييز الصحابة

لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) . نشرته مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة (٤ مجلدات ، صحائفها ٥٧١ ، ٥٣٦ ، ٦٤٤ ، ٤٨٣) . في أعلى الصفحات طبع كتاب الإصابة هذا ، وفي أسفلها كتاب « الاستيعاب » المذكور في الرقم ٢ من هذا الكشف .

٤ – أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام

تأليف الأستاذ عمر رضا كحاله . هذا الكتاب وإن كان مؤلفه من المحدثين ، فإن مادته قد جمعت من مؤلفات الأقدمين (ما بين مخطوطة ومطبوعة) التي يشير إليها المؤلف في آخر كل ترجمة من التراجم التي رتبها على الطريقة الهجائية (المطبعة الهاشمية دمشق ٣ مجلدات ، مجموع صحائفها ١٦٦٨)

(١) الذي كتب في ترجمة تيمور باشا ووصف خزانة كتبه ، شيء كثير لا يسعني سرده ، إنما أذكر ما كتبه – مبتدئاً بالأقدم – كل من الأساتذة : يوسف اليان سركيس في معجم المطبوعات العربية (١٩٢٨ ، ص ٦٥٢ – ٦٥٣) ؛ والأب أنستاس ماري الكرملي في مجلة لغة العرب (٨ [١٩٣٠] ص ٤٨٣ – ٤٨٧) ؛ ومجلة المشرق (٢٨ [١٩٣٠] ص ٧٨٢ – ٧٨٣) ؛ ويوسف شخت في مجلة المستشرقين الألمانية (Zdmg, LXXXIV, 1930, pp. 255, 258) ؛ ومحمد كرد علي في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (١١ [١٩٣١] ص ١٢٩ – ١٤٧) ؛ ومحمد علي رفاعي في المقتطف (٨٠ [١٩٣٢] صفحة ٢٤٢ – ٢٤٥) ؛ ومحب الدين الخطيب في مقدمة كتاب « اليزيدية ومنشأ نحلتهم » لتيمور باشا ، المطبوع ثانية سنة ١٩٣٣ (صفحة ٤ – ٢١) ؛ وحسن عبد الوهاب في مجلة الرسالة (العدد ٦٠ ، سنة ١٩٣٤ ، صفحة ١٤٢٤ – ١٤٢٧) كما أن ترجمته مدونة في الفصل الأخير من كتابه « تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر » (صفحة ١٥٧ – ١٦٣) .

٥ – إغاثة الأمة بكشف الغمة

لتقي الدين المقريزي (٨٤٥هـ) . نشره الدكتور محمد مصطفى زيادة والأستاذ جمال الدين محمد الشيال بتعليقات وفهارس (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة . ك + ٩٢ ص) . الكتاب في تاريخ مصر الاقتصادي الاجتماعي في العصور الوسطى حتى سنة ٨٠٨ هـ . وهي السنة التي ألف فيها . عالج المقريزي فيه حوادث المجاعات والطواعين بمصر وتقصى أسبابها

٦ – أنساب الأشراف

للبلاذري (٢٧٩ هـ) . القسم الثاني من المجلد الرابع ، يحوي فهرس أعلام الرجال والمواقع والأمم وضعها المستشرق شلوسنكر Max Schloessinger . (مطبعة الجامعة العبرية ، القدس ، ٣٦ ص) . المجلد الخامس ومتن النصف الثاني من المجلد الرابع ، صدرا سنة ١٩٣٦ – ١٩٣٨ ، والعمل في إصدار سائر أقسام الكتاب لا يزال جارياً

(يتبع) **كوركيس عواد**



العقاقير المخــــدرة

عن الانكليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

نهضت « رودا فارمنجتون » عن المقعد الذى كانت جالسة عليه بقرب النافذة وأطلت فرأت العربة المقبلة هى عربة أبيها الدكتور فارمنجتون فتنهدت وقالت : إن مجيئه يمنع الشك وإن المعرفة بأمر مهما يكن نوعه أفضل من فترة الشك . وقد كانت منذ الظهيرة جالسة هذه الجلسة تترقب عودته لتتعرف الخبر . وهى بين حين وحين تطل من النافذة ؛ وها هى الساعة الآن قد تجاوزت الرابعة وسئمت الفتاة الانتظار . وفتحت الباب ودخل الدكتور فقالت بلهجة فيها رنة العتاب : « ماذا ! »

وإنما كان عتابها لأن أباها أمرها بالبقاء هنا . وقد كانت واجبات الصداقة تقضى عليها بأن تذهب إلى المريضة « جيسى شاننج »

وفرك الطبيب كفيه الباردتين وقاد ابنته إلى الغرفة وهو يقول: « تعالى يا رودا فإن الجو بارد فى هذه الردهة » . فتبعته وهى تقول: « هل حالة المريضة أسوأ ؟ »

قال الطبيب : « نعم أسوأ جداً »

فقالت : « هل تعنى أنها ... »

قال الطبيب مقاطعاً : « إن جيسي قد ماتت »

ثم نزع الطبيب معطفه بصورة آلية وعلقه على المشجب واتجه إلى الموقد فأدفأ كفيه . وكان الطبيب قليل الكلام وظن أن حديثه مع ابنته قد انتهى بسؤالها وجوابه . ولكن الفتاة ظلت واقفة واجمة كأنها تنتظر المزيد . وبينما هى كذلك إذ دخلت نانسى خادمة المنزل وهى امرأة فى منتصف العمر ، وأوقدت المصباح ونظرت إلى الدكتور ثم إلى ابنته وقالت : « أرجو أن تكون صحة جيسى سااننج قد تحسنت »

فقال الطبيب : « كلا ولكنها ماتت »

وجمت الخادمة أيضاً وكأنها لم تصدق أذنيها ثم أشارت بيديها إشارة تدل على اليأس وقالت : « مسكين جوردون ... إن هذا الخبر سيقتله لأنه لا يستطيع أن يعيش بدونها

فبدت على وجه رودا ابتسامة هزيلة عند خروج الخادمة من الغرفة ، ثم ارتمت على المقعد الذى كانت جالسة عليه قرب النافذة وأسندت رأسها إلى ذراعها وقالت بصوت خافت ولهجة بطيئة : « وددت لو أننى كنت مثل نانسى فأستطيع أن أصيح مظهرة العطف نحو جوردون . . . كم كان بودى أن أثير ضجة لأظهر أحزانى » .

فقلب الدكتور قطعة من الورق كانت أمامه على المنضدة وقال : « ولماذا تودين ذلك ؟ » .

فقالت : « لأننى مثلك لا أستطيع أن أظهر عواطفى »

بدت الرقة على عينى الدكتور وإن كان صوته لا يزال دالاً على الخشونة ، وقال بلهجة حاسمة : « يجب ألا يكون تأثرك كثيراً بسبب موت جيسى ، وإننى لهذا السبب منعتك عن الذهاب إليها ، وإننى أعرف مبلغ إعزازك إياها كصديقة ولكنك لم تفهميها فإن هناك أشياء لا يفهمها كل إنسان .

فقالت : « إن جوردون يفهمها »

فقال الدكتور : « نعم إن جوردون يفهم ، ولكننى أكرر أن موت جيسى يجب ألا يؤثر فى حياتك » .

فقالت رودا : « إنك تستطيع أن تدرك يا أبى أن هذا القول لا يؤدى إلى نتيجة ، فإننى فى الواقع لا أحزن على الميتة فقد استراحت ، بل على الحى ، فتصور مقدار انزعاجه » .

قال الدكتور بلهجة استغراب : « نعم إن انزعاجه شديد بلا شك ولكن ... » . ثم اشتغل بتقليب الأوراق التى على المنضدة

كأنه بذلك يريد الانتهاء من هذا الموضوع

وبعد فترة قليلة عادت رودا إلى الكلام بلهجة عتاب فقالت : فى بعض الأحيان يا أبى أتصور أنك قاس . ولعل ذلك لأنك رأيت كثيراً من مظاهر البؤس حتى ألفتها

فتجهم وجه الأب أمام هذا الاتهام وقال : أنت مخطئة يا رودا فإن رؤية البؤس لا تجعل القلب قاسياً ولكنها لا تزيد من حزنه ، قالت رودا : إذن فلا بد أن تكون حزيناً على جوردون فتصور كيف كان حبهما . لقد كان كاملاً فوق مجال النقد . إنه لم يتركها ولم يكن أحد أوفى لزوجته منه .

فقال الدكتور : نعم لقد كان معها دائماً ، ولكن عهد تمريضه لها قد انتهى بعد استمراره سبعة أعوام

قالت رودا : عهد تمريضه ! إنها فى الواقع لم تكن مريضة لولا النوبات الخفيفة التى جعلته بساطتها يمرضها بنفسه بدل أن يستحضر لها ممرضة

وقد كانت رودا تقول ذلك وهى تتذكر أن جيسى كانت تتغدى معها منذ يومين فقط . وكانت صحتها إذ ذاك أحسن من صحة رودا نفسها ، وكان لون خديها وردياً ، وكانت تضحك وتمزح كأحسن ما يكون والإنسان فى حالة الطرب . والآن وقد ماتت جيسى فإن رودا تعود بالذكرى إلى يوم منذ سبعة أعوام كانت فيه هى واسطة التعارف بين جيسى وبين جوردون فى نفس هذا المنزل

بعد أن تخرجت جيسي من المدرسة جاءت لتزور صديقتها رودا . وكانت رودا هى أجمل الفتاتين ولكنها غير متعلمة على النقيض من جيسى ، ولذلك استولت الأخيرة على قلب جوردون الذى كان إلى هذا العهد من المعجبين بها والذى يمتاز عن سائر هؤلاء المعجبين بأنه يجمع بين الذكاء وبين المهارة والجمال والغنى .

وقد نزلت رودا عن حبيبها إلى صديقتها وكانت سخية فى ذلك ، ولكنها لم تخل من الألم ولم تستطع كف الدموع ولم تستطع منع الغيرة . وهى مع ذلك ظلت تكتم الأمر عن الجميع فلم يفطن إلى حقيقته أحد حتى ولا جيسى ولا جوردون .

وفى الآونة الحاضرة استعادت رودا فى ذاكرتها كل حوادث الأعوام السبعة الماضية حتى التافه منها . وكان أخص هذه الذكريات وأهمها ذكرى مرض جيسى ذلك المرض الذى أظهر تفانى جوردون فى حبها إلى الحد الذى صار فيه كل الزوجات فى المدينة يعيرن أزواجهن لأنهم لا يحتذون هذا المثل العالى من الإخلاص

ومضت سبعة أعوام وماتت جيسى وانتهى كل شىء . وبعد العشاء لبست رودا ثيابها ومشت وهى ترتعش فى برد الليل إلى بيت شاننج ، وكان الليل مظلماً فرأت فى الطريق شبحاً وعرفته ولكنه لم يعرفها فنادته : جوردون إلى أين تذهب ؟ فمد يده إليها وارتعش جسمها عند ما لمست يده فصافحها مصافحة ود ، وأخذت تبحث فى ذهنها عن كلمة تعزيه بها فلم يسعفها الخاطر وأخيراً قالت : إلى أين تذهب يا جوردون ؟

وقد أربكها أنه لا يسير فى اتجاه المنزل وأنه يمشى بخطى سريعة إلى النهر وقد بدت على وجهه علائم عزم خطير ، وقال : إلى أين أذهب ؟ بالطبع يا رودا إلي ... ثم تابع السير ولكن إلى المنزل

وبعد جنازة جيسى سافر جوردون ولكن إلى الخارج ، وظل متنقلاً من بلد إلي بلد ، ولكنه فى أشهر الصيف يعود إلى المدينة التى دفنت فيها زوجته

وكان يرجع (على غير انتظار من رودا لذلك الرجوع) لأنها كانت تعد دخوله إلي منزل زوجته بعد دفنها يشابه شق القبر على ميت ، وذلك لما ينطوى عليه المنزل من الذكريات

وكانت رودا تقدر تمام التقدير حالة جوردون وأنه لم ينس قط زوجته ولم يرد أن ينساها ، وإنما هو يعالج نفسه كى يستطيع الحياة بالسفر ليرى مناظر جديدة ووجوهاً جديدة ، ولما تقابل معها لأول مرة بعد عودته قال : لقد بدت عليك علائم الكبر يا رودا ولكنك لم تزيدى إلا جمالاً وقد كنت ولا تزالين أجمل من رأيت

وقد أدهشت رودا هذه الصراحة فى مخاطبتها فتراجعت كما يتراجع من ينتظر أن تصيبه صفعة ، ونقصت منزلة جوردون عندها في هـذه الليلة لأول مرة منذ عرفته . وفى تلك الليلة طلب إليها جوردون فى وسط جمع من الأصدقاء أن تتزوج منه وقال : لقد كنت على الدوام أحبك وحدك وإن لم أتبين ذلك فى بعض العهود ، وكان طبيعياً أن يكون حبنا كذلك . وكان هذا الاعتراف مخجلاً فى نظر رودا فتلقته فى ألم صامت ولم تجد من الألفاظ

ما يعبر عن شعورها ، وكان خجلها لأنها هي نفسها كانت تريد الزواج منه ، وأدركت أنها غير وفية لصديقتها وأن جوردون غير وفي لزوجته وأن المسكينة الجديرة منها بالوفاء هي المضطجعة في القبر والمنسية من الجميع

ولما فرغ جوردون من تصريحه قامت رودا على الفور ودخلت مكتب أبيها ولكنها لم تجده فيه . وكان أبوها يحب جوردون ويحترمه . وكانت رودا تعتقد أن حبه واحترامه لجوردون سيزولان إذا أخبرته بما سمعته منه في هذه الليلة من الإنكار لحبه السالف لزوجته

وترددت رودا في كيفية رفضها لما طلبه جوردون . فهل تخبره بأنها ترفض لمجرد كونها لا تحبه ؟ إنها إن فعلت ذلك فلا تكون إلا كاذبة ، فإنها كانت لا تقف في حبها إياه عند حد

ورأت رودا أنها إن تغلبت على الجانب النبيل من عواطفها جانب الوفاء ، فإن معيشتها مع جوردون ستكون منغصة بسبب غيرتها من زوجته الأولى ، لأنه لن يستطيع أن يوجه إليها من العطف ما كان يوجهه إلى جيسى . وانقضت تلك الليلة ولم تخبر رودا أباها بشيء . وفي اليوم التالي أجابت جوردون على طلبه بقولها : « ... ولكن لم يمض على موت جيسى عام واحد ، ولهذا السبب كان من المستحيل أن أتزوج منك » ؛ وكانت هذه أول مرة سمع فيها جودون اسم زوجته المتوفاة ؛ واستمرت رودا تقول : « إن ذكراها ستقف على الدوام حائلاً بيني وبينك ؛ وإني لأعجب منك كيف نسيتها بهذه السرعة ، حتى تريد الآن إحلال أخرى محلها ؟ وهمَّ جوردون بأن يتكلم ، ولكنها أشارت إليه بالصمت وهي تقول: كلا لن أتزوج منك . فإن هذا مزعج جداً . لقد كنت أحبك إلى حد العبادة يا جوردون ، وإنما كان سبب هذا الحب شدة إخلاصك لجيسى ؛ ولكنك لم تدم على الوفاء ، فأثبت لي أن حبك لم يكن مثلاً عالياً . قال جوردون : ولكن هل من الممكن يا رودا ؟ إن المثل الأعلى في الحب وهم لا يصدقه إلا المجانين والأطفال . إنني آسف لعدم قبولك الزواج مني ، وقد كنت أحسب التفاهم بيننا أحسن مما أراه ؛ لقد كنت مخطئاً ، وسأعود في الصباح ولن أراك . . . وداعاً ! . . . وذهب جوردون وظلت رودا في مكانها تبكي

ولما رفعت يديها عن عينيها وجدت أباها جالساً بجانبها في حديقة منزل جوردون . ومن الغريب أن الدكتور الذي امتنع خمساً وعشرين سنة عن الزواج حزناً على زوجته ، لا يريد أن يفهم رأي ابنته في الزواج . ويقف في صف جوردون ضدها وسألها : لماذا رفضته ؟ فدهشت رودا من سؤاله إياها هذا السؤال الذي يدل على علمه بما كتمته عنه فقال : لقد سمعته وهو يطلب يدك . لم تشأ رودا أن تطيل مناقشته فقالت : هل نسيت جيسى يا أبي ؟

فضرب الطبيب الأرض بقدمه وقال: يكفي أن يعيش الإنسان في الجحيم سبعة أعوام . ولك أن تنتظري بقية العام إن كنت تريدين المحافظة على مدة الحداد . فقالت رودا : يظهر أن لديك سراً تكتمه عني ، فماذا تعنيه بقولك إنه عاش في الجحيم سبعة أعوام ؟ إنك تعلم أن الحب كان متبادلاً بينهما . قال الدكتور: إنني أعلم ذلك جيداً ولكن الذي سأخبرك به سيزعجك فاستعدي له . إن جيسى كانت تكتم سرها كل الكتمان ، وكذلك كان يفعل جوردون . وقد كان جوردون يظن أنك تعرفين السر مني . ولكني لم أخبرك به . فقالت رودا وقد نفد صبرها : ولكن ما هو هذا السر ؟ قال : « إن سر حب جوردون لزوجته ذلك الحب الذي يصلح أن يكون مثلاً أعلى كما تقولين ، إنه في الواقع لم يكن حباً ، ولكنه شفقة مع الكراهية . وقد بقي الأمر مكتوماً طول السنوات السبع ، وكان يكتم سرها عن الناس بملازمته إياها »

— أي سر هذا ؟

— إنها كانت معتادة تعاطي العقاقير المخدرة ولا تستطيع تركها

فسكتت رودا وكانت لحظة شديدة شعرت فيها بالذل لضلالها عن حقيقة هذه الظروف طوال السنوات السبع الماضية ... وعاد الدكتور إلى الكلام فقال : وإن وفاء جوردون — وأنت تتهمينه بعدم الوفاء — هو الذي جعله يكتم هذا السر حتى في اللحظة التي لو أفشاه فيها لنال سعادته التي يرجوها

وعاد الصمت مرة أخرى . وكان القمر يسبح في سماء صافية الأديم وجو من الأجواء التي تستثير صبوة العشاق . فقالت رودا بعد قليل لأبيها : « يا أبي إذهب واطلب إلى جوردون أن يعود »

عبد اللطيف النشار

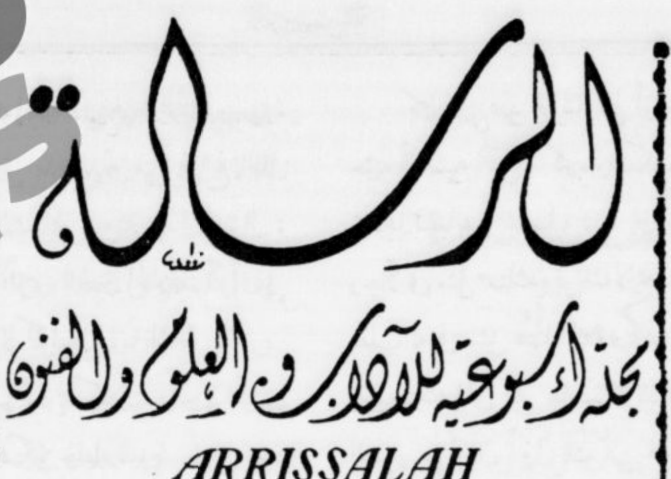
(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



10me Année No. 448 — Lundi - 2 - 2 - 1942


بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ٤٤٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٦ محرم سنة ١٣٦١ — الموافق ٢ فبراير سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـــــرس

صحة الفقير وثروة الغنى

فى هـذه الأيام العِجاف يكثر الكلام فى الغنى والفقر. والكلام فى الغنى والفقر وما يتصل بهما يوشك أن يكون الوظيفة الطبيعية للسان الإنسان ؛ ففى الرخاء يكون تعبيراً عن سخط مكظوم ، وفى الشدة يكون تبريراً لسخط منفجر . فإذا وجدت فى الفقراء من لا يسخط على الأغنياء فثق أنه من أتباع الفلسفة التى تؤمن بمبدأ التعويض فى قانون الطبيعة وتقول : « إذا لم يكن للفقراء الأرض فلهم السماء ، وإذا لم يُرزقوا المال فقد رُزقوا الصحة ؛ والآخرة خير وأبقى من الدنيا ، والعافية أعلى وأغلى من الثروة »

من هؤلاء الذين جعلوا القناعة فلسفة رجل من القُرّاء المنكَرى الصوت لا يملك فى أكثر أوقاته غير قوت يومه ، ولكنه مع ذلك موفور الحظ من السلامة ؛ لا يتسخط ولا يتبرم ، ولا يجد فى جسمه ما يشكوه ، ولا فى نفسه ما يرجوه ، ولا فى غده ما يخافه . رآنى بالأمس جالساً فى مكان ضاحٍ من القهوة أنقع فى أشعة الشمس الفاترة جسدىَ المقرور وعلىَّ من ثياب الشتاء لفائف فوق لفائف ، فأقبل إلىّ يطفر طفور الظبى بين المناضد المصفوفة وليس على جسمه غير غلالة بيضاء من التيل ، وعباءة سوداء من الصوف قد رفع ذيلها إلى عاتقه ؛ ثم جلس متهلل الوجه متماسك

البدن مكتنز اللحم رفاف البشرة يكاد إهابه من فرط الرِّى وسورة المرح ينشق . فلما تكلم وجدته على ما عهدته من فراغ البال وسلامة الصدر وقلة المبالاة فلم أتمالك أن بدهته بهذا السؤال : أفي هذه السن وفى هذه الأيام لا أرى للخبز المخلوط أثراً على وجهك ، ولا أسمع للمجاعة المتوقعة ذكراً على لسانك ؟

قال الشيخ منصور بلهجة الخلِىّ وضحكته : والله يا سيدى ما أكلت الخبز نقياً من قبل حتى أشكو خلطه اليوم . ومن تعود أن يأكل الخبز مخلوطاً بالحصى والتراب ، لا يصعب عليه أن يأكله مخلوطاً بالذرة والرز . أما المجاعة التى يتوقعها الناس فلا تختلف عما أنا فيه . وإذا جاز لى أن أشكو ، شكوت إلى الله طغيان الصحة ؛ فإن للصحة الطاغية تكاليف أقلها النَّهَم والقَرَم وتحلب الريق وسُعار الجوف وسرعة الهضم . وتحقيق الشبع الدائم للشهوة الدائمة لا يمكن إلا بخزائن عاشور ومخازن عمرو . إنى أسأم الصحة كما يسأم غيرى المرض . وفى ساعة من ساعات الشرَه يقوم فى نفسى أن الله قد منح الفقراء الصحة ليزيد ألمهم من الحرمان ؛ ولكننى حين أُسكّن أطيط أمعائى بفطيرة من الذرة وطبق من المش ورأس من البصل وحزمة من السريس ، ينمحى ما صوره الخيال فى ذهنى من أطيب الآكال وأعذب الأشربة ؛ ثم تنتشر على بدنى حرارة العافية فأرى الجمال فى كل منظر ، والنعيم فى كل شىء ، واللذة فى كل عمل ؛ وأدرك بمشاعرى السليمة القوية ما انبثّ فى عالم الحس من كل متاع ؛ ويخيل إلى من فرط الشعور وفيض السرور أن الهواء الذى أنشقه هو مددٌ من الروح الخالق يبعث فى جسمى النشاط وفى نفسى الغبطة

أؤكد لك يا سيدى أن الغنىّ يجوع مثل جوعى ، ولكنه لا يشبع مثل شبعى . أنا إن أصبت شِبْع بطنى بأى لون من ألوان الطعام بدا على من دلائل الراحة والسعادة ما وصفته لك . أما الغنى فإنه إذا جرؤ على معدته المترفة بالشبع قضى وقت هضمه العسير الطويل وهو فاقد الشعور بالدنيا لشدة ما يلقى من حزّة الحموضة وثقل الطعام وضيق النفس وضربان القلب . وهو فى الكثير الغالب ممعود أو مفؤود أو مكبود أو ممرور أو مصاب بالملح أو بالسكر ، فلا بد له من الجرعات المختلفة التى تنيم الألم أو تكافح الداء أو تؤخر الخطر . وقد ينتهى به الأمر فى الزمن القريب أو البعيد إلى الإمساك عن الطعام إلا ما يمسك الرمق

كان لى عند الباشا ثمن أربعين مقطفاً حفرتها لدائرته ، فلما جئته أقتضيه الثمن أكبره وأنكره وتهدم على بالكلام العنيف وقال محتجاً لسبابه واغتصابه : « إن حفر الحوض عمل العاجز ، وإن رجلاً فى مثل صحتك وقوتك لايجدر بيديه غير الفأس والكُريك» فقلت له فى مثل هذا الهدوء الذى أحدثك به : « يا باشا إن نصيحتك إياى على نفاستها وقداستها لا تبرر أكلك لحقى . ومن اليسير علىّ أن أنزل لك عن هذه القروش ثم لا أنقص شيئاً ؛ ولكنك قد تزيد شيئاً ؛ وكلما زاد مالك ساء حالك . إنك قد بلغت أرذل الغنى ، ثم انحدرت إلى أسفل الفقر ؛ فأنا وأنت يا باشا سواء : أنا فقير لأنى مصابٌ فى جيبى ، وأنت فقير لأنك مصاب فى معدتك ؛ فأنا أشتهى ولا أجد ، وأنت تجد ولا تشتهى ؛ ولكن حرمانى مؤقت وحرمانك مؤبد ، ونقصى يسده الرضا ونقصك يزيده السخط ، وجيبى المفتوق يرتقه الرفّاء بقرش ، ومعدتك البالية لا يجددها الطبيب بمليون »

وكنت لا أزال أرسل الكلام على هِينَة وحذر مخافة أن ينفجر فى وجهى على عادته مع الناس ؛ ولكن المعجزة التى ظهرت على يده أو على يدى — لا أدرى — هى أن الرجل استرخى وتليَّن وبدا على وجهه الأبكم سمات التفكر لأول مرة . ثم قال فى لهجة لا تزال فيها بقية حائلة من الشموخ : « ليتك تدلنى على ما فتل عضلك وشد عصبك ودفق فيك هذا الدم الفوار الحار النقى ، فليس ذلك من عمل طاهٍ ولا طبيب » . فقلت له فى شىء من الشماتة : ذلك يا باشا تعويض الفقر من الغنى ، وهو صنع الله ولا حيلة فى صنعه . أما الطاهى فهو الذى يقدم للغنى خيوط الكفن وهو ينسجه بأضراسه ؛ وأما الطبيب فلا يعرفه من لا يشبع . ولقد قال أبو جعفر المنصور لأعرابى : « أما عندكم فى البادية طبيب ؟ » فقال « يا أمير المؤمنين ، حُمُر الوحش لا تحتاج إلى بيطار » . والشبه بين حالنا وحال البدو فى الخضوع لقانون الطبيعة واضح . . .

قطعت الحديث على الشيخ منصور بهذا السؤال : أتكره أن تكون فى مكانه وهو فى مكانك ؟ فأجاب الخبيث : لا أقبل ثروة قارون إذا لم أحتفظ بمعدة منصور ، ولا أرفض وزارة المالية إذا أسندوا إلىّ معها وزارة الصحة !

احمد حسن الزيات

في بناء الجيل الجديد

أعدى الأعـــداء !

للدكتور زكي مبارك

الخطر الذي يهدد البيت من جهل الزوجات وتخلف الأبناء — ما الموجب لتشجيع الحركة النسوية ؟ — لن يذوق الرجل طعم السعادة أو الشرف إلا إن كان السيد الأول والأخير في البيت — السر في تمرد بعض الزوجات على بعض الأزواج — أبناء اليوم بعد بنات اليوم — هل سمعتم أن الأسد يتعطر ويزدان ؟

جاء في كلامٍ منسوب إلى الرسول هذه الحكمة السامية :

« أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك »

ولهذه الحكمة كثيرٌ من المرامي ، وسنرجع إلى شرحها بعد حين .

والمهم في هذا الحديث هو التنبيه إلى خطر يهدد قوانا المعنوية، وهو الخطر الذي يصل إلينا من الزوجات ومن الأبناء ، ولا سلامة من هذا الخطر ولا نجاة إلا إن قاومناه بعزائم لا تعرف التخاذل ولا النكوص .

والرجل الحق في نظري هو الرجل القادر على البطش بحقوق البيت ، ولا أريد الحقوق المشروعة التي يوجبها العُرف والدين ، وإنما أريد الحقوق المفتعلة التي تخلقها الزوجات الجاهلات ، أو الأبناء المتخلفون .

والرجل لا يسمح لزوجته بافتعال الحقوق إلا عند الشعور بضعف الحيوية ، فهو يرائيها لتكف عنه شرها المخبول . ولعل لهذا المعنى دخلاً في تهالك بعض الناس على تأييد الحركة النسوية ، فما يسيغ ذهني أن يدعو الرجل إلى المساواة بين النساء والرجال ، ولا يجوز عندي أن تصدر هذه الدعوة عن صدرٍ برىء من الأغراض .

وأقول بصراحة إني لم أجد شخصاً يساعد على طغيان الحركة النسوية إلا افترضته أحد رجلين : رجل ضعيف يستر ضعفه بالتظرف ، أو رجل ماجن يرى هذه الدعوة من أنجح الأحابيل .

وإذا جاز للرجل أن يساير الباطل في المجتمع فلا يجوز له أن يساير الباطل في البيت ، وإذاً يجب وجوباً جازماً أن تذكر الزوجة في كل لحظة أن مصيرها إلى الهاوية ، إن فكرت في الانتفاع بما أباحث المدنية الرخوة من تطاول النساء إلى منازل الرجال .

المرأة لن تكون إلا مرأة ولو طُوِّقت بالجوزاء ، وعقل المرأة لن يكتمل ولو ثُقِّف بجميع ما عرفت الإنسانية من علوم وفنون ، فما بال فريق من المخلوقات يبدئ ويعيد في الكلام عن حقوق النساء ؟

لقد خُرِّبتْ أكثر البيوت في الغرب بفضل التلطف مع المرأة ، فماذا تريدون بأنفسكم يا أبناء الشرق ؟

إن الخراب ينتظر البيوت التي يسيطر عليها الجنس « اللطيف » ، ونعوذ بالله من شر هذا الجنس ، فهو في كل مكان وفي كل زمان مصدر البلاء .

وخلاصة القول أن الرجل لن يذوق طعم السعادة أو الشرف إلا إن كان السيد الأول والأخير في البيت . وهل سميت المرأة «سيدة» إلا في عصور الانحطاط ؟

كان الزمام في أيديكم ، فكيف أضعتموه ؟

وكانت المرأة في مكانها وعند حدودها ، فكيف استطالت ، وما كانت إلا مخلوقاً أمضى أسلحته البكاء ؟

جفَّ الدمع في عيون النساء ، بعد أن خمد العزم في صدور الرجال ، ولن يكون لبنات حواء غير التعاسة بعد لياذهنَّ الأثيم إلى الغطرسة والكبرياء ، ولن يكون لبني آدم غير الذل بعد رضاهم الممقوت عن تطاول ربات الحجال !

أتريدون أن تعرفوا السر في تمرد بعض الزوجات على بعض الأزواج ؟

يرجع السر إلى أن طبيعة المرأة طبيعة كلبية ، فهي لا تعيش بغير سيد يُخضِعها لهواه في جميع الشئون ، فإن شاء الزوج

أن يجعلها سيدة ليصير من أبنـاء العصر الحديث فلن يقع الغُـرم إلا عليه ، ولعله يبحث فيعرف أن المرأة لا تتمرد على زوجها إلا بعد أن تصير أَمَـةً لرجلٍ سواه ، ولو فى حضانة الخيال ؟

ومن أعجب العجب أن تكون هذه الحقيقة البديهية فى احتياج إلى شرح ، ولـكن ماذا نصنع ونحن نعيش فى زمنٍ قضتْ غباوتُه بتوضيح الواضحات ؟

لقد بغتْ المرأة ثم بغت ، واستطالت ثم استطالت ، حتى صار من حقها أن تشترك فى مباريات الجمال ، ومع هذا لم يسمع أحدٌ أن مباراةً أُقيمت بين النساء فى ميدان العقل

وفى مصر مجلات تعرض وجوهاً نسائية من وقت إلى وقت ، لتحدثنا بالرمز والإيماء عن تفوق الملاحة والصباحة فى هذه البلاد

وأقول إن المرأة لا تسمح بنشر صورتها إلا وهى منخوبة العقل والوجدان !

كان من العسير على الفتى أن يتمثل صورة فتاةٍ عارية قبل أن تظهر بعض الأفلام وقبل أن تظهر بعض المجلات ، وكان من الصعب أن تهتدى المرأة إلى بيت أحد الأقارب بدون دليل . . .

واليوم يجوز ما لم يكن يجوز فنسمع أن المراقص تدار فى بيوت بعض الأعيان ثم تُنشر صورها فى صحائف يقرأها الجاهل قبل الحليم ، ونسمع أن حفلة أُقيمت لغرض لا نسميه ، وفيها تراقصَ أُناس لا تجمع بينهم لغة ولاجنس ولا دين

ليكن ذلك ، فنحن فى « القرن » العشرين

ولـكن البيت ، البيت ، البيت ؟؟؟

احذروا ثم احذروا من أن ترقص المرأة فى البيت !

واحذروا ثم احذروا من أن يكون للمرأة فى البيت أى سلطان !

يرحمك الله ، يا أبى ، فقد كنت لا تدفع ثمن النعل إلا بعد أن تجربه على رؤوس زوجاتك ، وكانت أحبهن إليك أصبرهن على أذاك

اليوم يجوز ما لم يكن يجوز

اليوم تعارض المرأة زوجها فى توافه الشؤون ، وتنتصب أمامه كالحية النضناض ، لتسأله كيف تأخر عن موعد الحضور دقيقة أو دقيقتين !

ثم ماذا ؟

أترك الحديث عن سخافة المرأة وأنتقل إلى حماقة الأبناء فأقول:

هل تعلمون أن من شباب اليوم من يظلّ عالةً على أبيه إلى سن الثلاثين !

ولـكن كيف ؟

بحجة أنه لا يزال طالباً فى أحد المعاهد العالية !

أسقط الله سقوف تلك المعاهد على رؤوسكم ، يا جهلاء !

بأى حق يجوز أن يبلغ الفتى سن العشرين قبل أن يصلح للاضطلاع بأعباء المعاش ؟

الجواب حاضر : لأنه يستبيح المشي في الشوارع وكأنه غادة بلا نقاب ، ولأنه يعتمد على أمه فى استغفال أبيه ، فيصل إلى الثلاثين قبل أن يصلح لشىء من صالح الأعمال

أحب أن أعرف كيف يجوز للفتى أن يتعطر ويزدان بإفراط وإسراف ؟

أيفعل ذلك ليختلب لُبَّ امرأة ؟

إن كان هذا ما يريد فقد أخطأ الصواب ، لأن المرأة تشمّ الفتى الفحل ، فتنجذب إليه ولو كان عاطلاً من الُحسن والرُّواء

وبهذه المناسبة أقول :

هل فكرت الدولة فى إحصاء ما ينفقه الفتيات والفتيان فى التزين والتجمل ؟

أكاد أجزم بأن « العِطر » فى مصر هو سبب أزْمة « الفُـول » ! ! !

وما هذه البدعة التى توجب أن يسير الشبان فى الشوارع ورءوسهم عارية ، برغم قسوة البرد فى الشتاء ؟

ألم أقل لـكم إن الإنسان هو الحيوان الوحيد الذى يغطى رأسه من بين سائر الحيوان ؟ فما زُهدُكم فى تلك المزية الإنسانية ؟

ولو كان ذلك التبرج لا يقع إلا من الشبان الوارثين خفّ الخطبُ وهان ، ولـكنه مع الأسف الموجع يقع من شبان يجهلون ما يعانى آباؤهم فى تزويدهم بالقوت ، فمن أين يجتلب أولئك الشبان نفقات الطلاء ؟ !

قد يقال إن تأنق الشبان صار بدعة عامية

وأقول إن ما يجوز فى الغرب قد لا يجوز فى الشرق . لأن الشرق فى مطلع نهضة جديدة ، وهى توجب أن يتخلق أبناؤه بأخلاق الأسود ، وما سمعت ولا سمعتم أن الأسد يتعطر ويزدان

أيها الناس

اسمعوا . وعوا . وإذا وعيتم فانتفعوا

لا تسمحوا للمرأة بأن تتحكم فى البيت ، فما كان تحكمها إلا تحكم الضعفاء . وهو أشنع ضروب الاستبداد

ولا تسمحوا لأحد أبنائكم أن يستظل بظلكم بعد العشرين ولو كانت مواهبه تبشر بأن سيكون من أعلام الزمان

أما بعد فهذه كلمة عنيفة ، ولكنها حجر متين فى بناء الجيل الجديد .

زكى مبارك

أبو سـليمان المنطقى

للدكتور جواد على

أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستانى المنطق شخصية من الشخصيات القوية الفذّة التي ظهرت فى عالم بغداد فى القرن الرابع للهجرة ، فأثرت فى مجتمعات عاصمة العباسيين العلمية وأنديتها الأدبية تأثيراً يشابه تأثير زميله فى المهنة الأديب الفرنسى الفيلسوف « فولتير » فى باريس عاصمة الفرنسيين[1] .

كان إذا تكلم أقنع ، وإذا فاه أسمع ، وإذا نطق أسكت ، وإذا بحث فى موضوع من الموضوعات حلله تحليلاً علمياً منطقياً ، فلا يترك لأحد فى الموضوع شبهة أو شكاً . وكيف لا يكون كذلك وسلاحه المنطق وهو سلاح اعتبر فى عهد العباسيين من أمضى الأسلحة وأقساها ، وهو رئيس مناطقة بغداد أيضاً ، وزعيم كبير من زعمائهم لا ينازعه فى ذلك منازع[2] .

(١) ولد عام ١٦٩٤ وتوفى عام ١٧٧٨م وكان من أعز أصدقاء الملك فريدريك الكبير ملك بروسيا . وهو من الفلاسفة الاصلاحيين النقادين وقد أصدر مولاند Moland جميع ما قاله هذا الفيلسوف فى مكتبة تضمنت اثنين وخمسين مجلداً ظهرت بين عام ١٨٧٨ وعام ١٨٨٥م .

(٢) راجع ابن القفطى أخبار الحكماء ص ١٨٥ طبعة القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ

كان للمناطقة فى بغداد فى القرن الرابع للهجرة دولة ومقام . كانوا لسن الأندية وخطباء المجالس ، وكانوا فقهاء القوم وأطباء المجتمع . كانوا كل شىء وبحثوا فى كل شىء ، ولذلك ميزهم الجمهور عن جماعة الفلاسفة الذين كانوا أكثر اتزاناً فى باب العلم وأكثر من المناطقة فى الكلام تحفظاً . وقد أطلق على كل واحد منهم لقب « المنطقي » ليميزوهم بذلك عن الفلاسفة والمتكلمين . وكان عماد أسلحتهم المنطق : منطق اليونان ، منطق أرسطو[1] . وفورفوريوس صاحب كتاب « الأيساغوجى » الشهير[2] .

وكان من زعماء الجماعة فى القرن الرابع للهجرة صاحبنا « أبو سليمان السجستانى » الذى اشتهر بنبوغه فى المنطق ، على الأخص حتى عرف به ، وحتى لقب « بأبى سليمان المنطق » . وكان له منتدى يرتاده كثير من طلاب العلم ورواد المجالس الأدبية من مختلف أنحاء الدنيا . قصده محمد بن عبدون الجبلى من الأندلس ، وهو أحد الذين ابتلاهم الله بحب الفلسفة والمنطق ولاقى فى سبيل غرامه العلمى ألواناً من القسوة والعذاب[3] . وقصده كثير من أبناء سجستان وتركستان وبلاد الشرق حتى كان منزله مثابة لأهل العلوم القديمة . وله أخبار وحكايات وأسئلة وأجوبة فى هذا الشأن على الرغم من عور كان به ، ووضح كان يمنعه من ارتياد منازل الوزراء وكبار رجال الدولة حتى قال فى ذلك الشاعر البديهى الأبيات الشهيرة التالية :

أبو سليمان عالم فطن ... ما هو فى علمه بمنتقص

لكن تطيرتُ عند رؤيته ... من عورٍ موحش ومن برَص

(١) راجع Max. Horten. Phil· d. Islam ص ٦٧ والمصادر الأخرى

(٢) Porphyrius فيلسوف شهير من المدرسة الأفلاطونية الحديثة (ولد عام ٢٣٢ وتوفى عام ٣٠٤ م) وكان من أبرز تلاميذ أفلوطين Plotine وقد شرح كتب أفلاطون وأرسطو ، وألف الايساغوجى فى المنطق Eisogögé ، وكان خصما لدوداً للمسيحية . راجع قاموس الفلسفة لشميد ص ٥٠٠ وكذلك كتاب المستشرق الشهير أوليرى O'leary وعنوانه : Arabie thought and its place in history ص ٢٢ وما بعدها ، وكتاب ماكس هورتن فى الفلسفة الاسلامية ص ٧٦ . وكتب التراجم العربية أمثال الفهرست لابن النديم وأخبار الحكماء لابن القفطى جمال الدين وطبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة وتتمة صوان الحكمة للبيهقى (طبعة لاهور) وغيرها .

(٣) راجع طبقات الأمم لابن صاعد الأندلسى (المتوفى سنة ٤٦٢ هـ) ص ٨١

ويأتيه مثل ما بوالده وهذه قصة من القصص[١]

انقطع أبو سليمان عن زيارة بيوتات الوزراء ودور أكابر بغداد على الرغم من ميل طبيعي كان فيه يدفعه دوماً إلى تتبع أخبار الدولة والحوادث العامة وسياسة ذلك الوقت ، وما كانت تدبره الأحزاب من مؤامرات وفتن إلى غير ذلك من أمور كان كلفاً بها مشتاقاً إلى معرفتها حتى اتخذ له عيوناً وأرصاداً من تلاميذه وأصدقائه ومحبيه يأتونه بالأخبار أمثال أبي حيان التوحيدي صاحب « الأمتاع والمؤانسة » ؛ وكان يغشى مجالس الرؤساء ويطلع على الأخبار ، ومهما علمه من ذلك نقله إليه وحاضره به . ولأجله صنف كتاب الإمتاع والمؤانسة ، نقل له فيه ما كان يدور في مجلس أبي الفضل ابن العارض الشيرازي عند ما تولى وزارة صمصام الدولة بن عضد الدولة من أخبار[٢] . ولكنه لم ينقطع عن زيارة بعض بيوتات العلم والأدب أو الأنس والطرب ، ولم يأنف أن يزور مثلاً رسل سجستان في أيام الجمعة وكان فيهم ابن جبلة الكاتب، وابن برمويه، وابن الناظر أبو منصور وأخوه، وأبو سليمان وبندار المغني، وغزال الراقص، وعلم وراء الستارة (جارية)[٣] وغيرهم من أمثال هذه الطبقة

ولأبي سليمان نفس تمثل نفسية الموسوعيين (الانسكلوبيديين)[٤] بكل معنى الكلمة ؛ تراه يتحدث عن نظرية العلم والمعرفة فيقول : إن العلم صورة المعلوم في نفس العالم ؛ وأنفس العلماء عالمة بالفعل ، وأنفس المتعلمين عالمة بالقوة .والتعليم هو إبراز ما بالقوة إلى الفعل ؛ والتعلم هو بروز ما هو بالقوة . إلى الفعل . والنفس الفلكية عالمة ؛ بالقوة . وكل نفس جزئية تكون أكثر معلوماً وأحكم مصنوعاً فهي أقرب إلى النفس الفلكية تشبهاً بها ونصيراً لها[٥] . وتراه يتكلم عن القرآن والحديث والأحكام بكل إمعان وإتقان وسعة اطلاع حتى كأنك أمام أحد المفسرين أو الفقهاء أو المحدثين . وقد أكسبته هذه الإحاطة العامة شهرة جعلت البعض يكتبون إليه يسألونه وهم في أقاصي البلاد . كتب إليه أبو جعفر ملك سجستان يسأله عن القرآن والعربية والشعر والأحكام[١]

وتراه يتحدث عن السياسة وصفات الملوك وأنظمة المملكة ، فيجيد في الموضوع كل الإجادة ويأتي بنظريات تكاد تكون من أحدث النظريات . فيصل علم ذلك إلى الوزير أبي العارض فيسأل تلميذه التوحيدي وهو من أعلم الناس بأحوال أبي سليمان هذا السؤال : كيف كان كلام أبي سليمان فينا ؟ وكيف كان رضاه عنا ورجاؤه بنا ، فقد بلغنا أنك جاره ومعاشره ولصيقه الخ[٢] ؟ ولا يستغرب صدور مثل هذا السؤال من وزير ، فلأبي سليمان مجلس له شأن ، ولأبي سليمان دائرة ذات مكانة في البلد ومنزلة .

كانت حلقة أهل المنطق في بغداد حلقة كبيرة ضمت نخبة كانت لهم ثقافة ممتزجة عالية ، لم تكن عربية بحتة ولم تكن يونانية أو فارسية أو سريانية خالصة . كانت تجيد مختلف اللغات، وتحمل مختلف الثقافات . ولقد فضل أهل النظر صاحبنا السجستاني على كثير من زعماء هذه الدائرة ممن كانوا يشتغلون بنفس الموضوع الذي اشتغل فيه السجستاني أمثال ابن زرعة أبي علي عيسى ابن اسحق (ولد سنة ٣٧١ وتوفي سنة ٤٤٨ هـ) ، وهو أحد المتقدمين في علم المنطق وعلوم الفلسفة والنقلة المجودين ، نقل من السريانية بعض كتب أرسطوطاليس[٣] . وكانت له عناية خاصة على ما يظهر بكتب هذا الفيلسوف ومنطقه دون فلاسفة اليونان الآخرين . وكذلك أبو الخير الحسن بن سوار بن بابا بن بهرام[٤] المعروف بابن الخمار ، وابن السمح، والقومسي، ومسكويه، ونظيف ويحيى بن عدي وعيسى بن علي[٥] . وكل هؤلاء من مشاهير

(١) راجع أخبار الحكماء لجمال الدين بن القفطي المتوفى عام ٦٤٦ هـ وكذلك كتاب الأمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي وهو من الكتب الأدبية الممتازة وقد تضمن أخباراً كثيرة عن أبي سليمان المنطقي السجستاني راجع الأبيات في صفحة ٣١

(٢) راجع أخبار الحكماء صفحة ١٨٦

(٣) راجع الامتاع والمؤانسة ص ٤٢

(٤) وكان من مذهب هؤلاء الاحاطة بكل العلوم ومن أشهر هؤلاء Vincenuy V. Beuvais المتوفى عام ١٢٦٤ م وقد استعملت هذه اللفظة بهذا المعنى في النصف الثاني من القرن السادس عشر وظهرت الانسكلوبيدية الفلسفية في فرنسا بين عام ١٧٥١ — ١٧٨٠ م على يد d'alembert وديدرو Diderot وبمساعدة روسو وفولتير وكريم Grimm وهولباخ . ثم انتقلت هذه الحركة إلى ألمانيا وانكلترة وفرنسا وأسبانيا وغيرها من البلاد

(٥) الامتاع ص ٤٠

(١) الامتاع ص ١٣٠ راجع أيضاً كتب مقابسات لأبي حيان التوحيدي

(٢) الامتاع ص ١٩

(٣) الفهرست لابن النديم ص ٣٧٠

(٤) الفهرست ص ٣٧٠ وتاريخ الفلسفة في الاسلام ص ٢٣ وكان ممن قرأ على يحيى بن عدي وكان يرى الوفاق بين رأي الفلاسفة والنصارى ، وقد تأثر بمنطق فرفوريوس أكثر من غيره على ما يظهر من مؤلفاته في فهرست ابن النديم

(٥) الامتاع ص ٣٢ — ٣٥

٢ — مطالعاتى حول المدفأة

حكومة الحـــدائق

للأستاذ صلاح الدين المنجد

ما علىّ وقد تهت بين الجبال فى البحث عن المدينة الضائعة ، ملبياً نداء المجهول ، مبتعداً عن ثقل الحضارة ؛ أن أنتقل مع « دوهامل » بين الأزاهير ؛ فأستنشق العطر ، وأرشف الحكمة ، وأنعم بهدوء البال

الحق أن ثقل المدنية يدفع إلى الهرب منها ؛ وهذا ما فعله «دوهامل» حين فر إلى حدائق «ڤالموندوا» فى « إيل دوفرانس » فتمتع بالزهر ، وسكر بالأرَج ، وحلم بحكومة الحدائق ... تخط رسومها ، وبين خططها ...[١]

ها هى ذى الطبيعة البكر ، لم تلمسها يد ولم تطأها قدم ، تنمو على غير نسق ، ودون نظام . فإذا امتدت إليها يد الإنسان

(١) أنظر كتاب دوماهل المسمى : George Duhamel :Fables de mon jardin

ورعتها بالتهـذيب ، وجملتها بالترتيب ، حسُنتْ وتمتْ . وها هى ذى الخضارات والنباتات تربو بفن البستانى ، وتزهر بالعناية والحرث والسقيا ، ففنـه إذن يفيد . إنه حياة تُرتّب الإبداع والجمال ... أفلا نستطيع أن نجنى من ذلك عبرة نتبعها فى حكومة الناس ... !

هذا ما يبدأ به دوهامل كتابه ... على أنه يصف بستانه الذى حلم بحكومته أنه ليس بالكبير ليقصر الإنسان عن العناية به ، وليس بالصغير ليوجب إهماله . وليس بالخيالى كبستان « لأ موريه » ، ولا بالبارع كبستان « بوميه » الذى ابتدعه هوجو فى البؤساء . لا ... ولكنه وسط بين أولئك . ومهما يكن من أمر ، فإن هذا البستان يوجب العناية ويدفع إلى العمل : إنه يتطلب جناناً بارعاً ، وعملاً متواصلاً ، ونظاماً سائداً ؛ وعندئذ يطيب الغرس ، ويتألق الزهر ، ويحلو الثمر ، ويربو القطف

لاجرم أن النظام سر الإبداع وسر الجمال ، وهو الذى يحيى النفوس ويرهف الأذواق ، ويخلق النبلاء . ولا بد لكل مخلوق منه ، حتى النباتات ؛ فينبغى أن تخضع لقانون تتبعه ، وتسلك نهجاً تسير فيه . لكن ما الذى يكون إذا أُهمل البستان ، فنسيه الفكرُ الذى ينظّمه ، وجفتْه الأيدى التى تعتنى به ... ؟

بغداد فى ذلك العهد ومن أدبائها الممتازين . فلا عجب بعد ذلك ولا غرابة أن رأينا أن عضد الدولة مثلاً كان يكرمه ويفخّمه وينزله منزلة خاصة من بين الأدباء المنطقيين[١]

انتقلت شهرة السجستانى فى المنطق من بغداد إلى الأندلس كما انتقلت فلسفة الفارابى والفلسفة الطبيعية أيضاً[٢] وكان الذى نقل هذه الشهرة وهذا المنطق محمد بن عبدون الجبلي من أهالى الأندلس ، نقلها إلى الأندلس عام ٣٦٠ الهجرية (٩٧١ م) أى فى السنة التى عاد فيها ثانية إلى وطنه الأصلي من العراق[٣] ، وللسجستانى كلمات حكمية تدل على أنه لم يكن يقنع بالحواس الخمس ولا بالتجارب وحدها وإنما كان يرى فى العقل وحده القول الفصل[٤]

(١) ابن القفطى ص ١٨٦ (٢) تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ٢٣٧
(٣) طبقات الأمم لابن صاعد ص ٨١
(٤) راجع تتمة صوان الحكمة لأبى الحسن على بن أبى القاسم زيد البيهقى المتوفى سنة (٥٦٠ هـ) ص ٧٤ طبعة لاهور

شأن الفلاسفة العقليين الذين يرون فى الحجج العقلية الدليل الأولى Rationalismus أمثال بار منيدس الفيلسوف العقلى الشهير وفلاسفة مدرسة الأليئاتن Aleaten وفلاسفة القرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد . وعلى الأخص أمثال ديكارت وشبينوتزا ولايبنتز وولف[١] وأولئك الذين أطلق عليهم الفيلسوف وند Wund اسم المنطقيين المتطرفين Paolanismus وهؤلاء هم عكس الفلاسفة التجريبيين Empirusten الذين يعتقدون بصحة المعرفة إلا إذا جاءت عن طريق التجربة والمشاهدة والحواس أمثال : لوك وفرنسيس بيكن وجون ستيوارت ميل[٢] وغيرهم

ميراد على

(١) راجع 535 و Schmidt. s
(٢) راجع E. wentscher. das Problem des E. dargestellt meurer. Gegen den. E. 1925 كذلك au. J. St. mill. 1922.

لا شك أن ذلك البستان يميد من الفرح في أيامه الأُول ؛ فتسكره الحرية ، وينطلق من النظام الذي كان يراه قيوداً فيعيش على هواه : نوم دائم ، واستقرار طويل ، وخمول لازب ؛ وفجاءة تعتلّ النباتات الضعاف لسعة حريتها ، فتعبّ الماء الكثير . . . وتبلى . ثم تغرق الأزاهير الصحاح في الماء فتندى ، ثم تروى ، ثم يداخل سوقها الوهن ، فتصبح كما أصبحت من قبل أخواتها ؛ وتفسد الثمار التي تركت على أشجارها فلم تقطفها يد الجنّان ، وينثر الهواء البذور في الأرض فتضيع ، وتستولي الأعشاب الوحشية على الممرات ، وتزاحم النباتات الطائشات الأزاهير الصغار . وعندئذ تسود الفوضى ، ويحكم البستان ثلاثة أصناف من الأعاشيب ، يرجع إليها الأمر ، وتكون الحكم والخصم . ثم يتقاسمن البستان ، وتنشأ حولهن أزاهير بورجوازية تكون من الأعوان والأنصار . ثم تغتنم هذه الأزاهير فرصة الفوضى فتنتشر هنا وهناك . فإذا مضى الشتاء وأقبل الربيع ، وجاء في موكبه النور والجمال . . . لم تجد في البستان الحياة والرونق ، ولا الجمال وبراعة النسق ، ولا الحرية المهذبة والنظام ... بل تجد الاضطراب والفوضى والظلام ، وترى بضعة أعشاب أنانية ، شرسة ، تحكم بعنف ، ولا تتراجع أمام شيء ، لتشبع نهمها ، وتغذي نفسها بالبطش والشر والانتقام

على أن سلطة رعاع العشب لا تدوم . فهناك ، على حفافي البستان تقوم برابرة الأشجار ... في الغابة . وفيها تجثم قوة مخيفة لا تعرف ولا توصف . لقد كان فن البستاني يوقفها ، لأن النظام الذي تراه رفّافاً في جنبات الحديقة كان يخيفها ، وكان يدفعها إلى احترام من يتبعون النظام . أما الآن ... فلا شيء يمنعها عن التقدم

ورويداً رويداً تتقدّم الغابة فتستعبد البستان بقوة لا تغالب ، وجبروت لا يُقهر ؛ فتقضي على الثائرين الصغار ، وتبطش بالفاسدين الكبار ؛ ثم تنمو وتترعرع حتى يأتي يوم يمّحي فيه البستان ويغيب في ظلال الشجرات العتاق ... ويعود عالمنا كما بدأ مضطرباً مظلماً موحشاً . فالنظام لا جرم سيد الكون ، وإن فن الحكومة — حكومة الحدائق — يدل على أنه لا بد من خضوع الطبيعة لسلطة ما تقودها نحو النظام . لأن الطبيعة هي حياة أصناف وحشية عندها ، وموت أصناف أخر ، واستخدام أصناف ثالثة . أما فنّ الجنّان فهو الذي يقاوم قوى الطبيعة الجبارة . فيحمي الأزاهير الجميلة لأنها أرق النباتات ، ويضع كلاً في موضعه ، ويحدد ذلك الموضع والمكان ؛ ويساعد الضعيفة منها ؛ ويخفف من غلواء ذوات الطيش والإقدام ، ويضع مجموعة من القواعد ملؤها الحكمة والانسجام تكون قابلة للتطبيق والاتباع

ولا بد من وقفة صغيرة . إن السلطة ضرورية ، ولكن ينبغي التفريق بينها وبين العنف . وإلا ما استطاع أحد قيادة الناس ، لأن القوة الوحشية التي تسود بالحديد والجرانيت والرخام لا قيمة لها أمام الحياة ... لأنها ستغلب يوماً . فالبستاني البارع يمارس سلطته باحترام أزاهيره ونباتاته والرفق بها ، ويبدّل قواعده التي تستند إلى القوة بالإقناع ، لأن الإقناع أشد تأثيراً في النفوس من الحديد . إنه يدفع إلى الهاوية ، وإنه يحيي ويميت . فإذا كان ذلك أصبح البستان رقعة من رقاع الفردوس ، ورفرف حوله العدل والانسجام والسلام

(دمشق) صلاح الدين المنجد

حكم في القضية ن ٩٧ عسكريه الفيوم سنة ٩٤٢ ضد محمد أبو الفضل خليل من هوارة عدلان بحبسه أسبوعين شغل وبتغريمه ٢٠٠ قرش وغلق المحل لمدة ثمانية أيام لبيعه سكرا بسعر يزيد عن المقرر

الأحلام

للعالم النفسانى « يونج »

للدكتور محمد حسنى ولاية

يقسم يونج العقل الباطن « اللاوعى » إلى قسمين :

١ — اللاوعى الشخصى الذى يحتوى على كل ما هو منسى أو مكبوت مما اكتسب بواسطة الإنسان .

٢ — اللاوعى الشامل الذى يشمل محتويات غريبة عن الفرد وليس لهـا طابع شخصى ، ويمكن استكشاف هذه المحتويات فى هواجس الجنون وبدوات الأحلام التى تنتمى إلى العقل البدائى ، فهى لم تكتسب ذاتياً ولكنها موروثة من الإنسان الفطرى ومتماثلة على وجه العموم فى كل الكائنات البشرية .

وقد قص يونج الحلم الذى سأذكره فيما يلى ليبين الفارق بين الأحلام الذاتية العابرة والأحلام الناشئة من اللاوعى الشامل . وهو يرى أن هذا الحلم قد طفا من مستوى أعمق بكثير من مستوى الأحلام العابرة :

« حلم طالب دينى أنه يصلى أمام شخص جميل أطلق عليه الساحر الأبيض وكان مرتدياً معطفاً أسود . ثم أقبل شبح آخر سماه الساحر الأسود مرتدياً جلباباً أبيض .

رغب الساحر الأسود فى التحدث إلى سيده الساحر الأبيض ، ولكنه تردد فى الإدلاء بحديثه وهو فى معية تلميذه «الطالب» . وحينئذ قال الساحر الأبيض : « تكلم . إنه طاهر » . فقص الساحر الأسود قصة عثوره على مفاتيح الجنة الضائعة ولم يتيسر له معرفة استعمالها . فجاء إلى الساحر الأبيض مستفسراً ثم قال : إن ملكه يبحث عن مقبرة ليوسد فيها حين يحين حينه ، ولكن بينما كان أحد رعاياه يحفر الأرض عثر على مقبرة كبيرة تحتوى على بقايا عظام عذراء ، ففتح الملك هذه المقبرة وألقى هذه العظام خارجها وأقفلها .

فلما إن تعرضت العظام لنور النهار حتى دبت فيها الحياة ، وأخذت شكل حصان أسود جرى إلى الصحراء .

فتبع الساحر الأسود هذا الحصان ، وبعد صعوبات جمة وجد مفاتيح الجنة الضائعة »

ويرى يونج أنه لا يمكن تفسير هذا الحلم بالطريقة المختزلة لأن قيمته الحقيقية تكمن فى ذاته لأنه عبارة عن تجارب روحانية تتحدى أية محاولة لتبريرها .

وقد انتقد يونج نظرية فرويد فى الأحلام والعقل الباطن لأنها لا تعترف بوجود اللاوعى الشامل . ثم قال : إن الوراثة فقط تستطيع أن تفسر التماثل العجيب بين الأقاصيص الدينية الأزلية من ناحية ، وبين الأحلام والهواجس من ناحية أخرى . وإن اللاوعى الشامل لا يظهر أثره إلا عند حدوث ظروف غير عادية تطلق سراح نشاطه المستقل .

أختم المقال بحلم شاب فى العشرين من العمر مشفوعاً بتعليق يونج عليه :

« رأيتنى فى كاتدرائية « لورد » وقد شملها جو قاتم غامض ونور خاب وتوسطتها بئر عميقة كان مفروضاً على أن أتوجه إليها »

ثم عقب الحالم على هذا بقوله : «إن لورد هذه بئر للاستشفاء ، وقد رأيتها فى الحلم بمناسبة تفكيرى فى السعى إلى العلاج »

« إن كلمة كاتدرائية تعيد إلى ذاكرتى كاتدرائية كولونيا التى أغرمت بها فى صباى ، وكثيراً ما كانت أمى تستصحبنى إليها وتحدثنى عنها »

هنا يصف المريض اختبارات مهمة فى صباه تعرب بنوع خاص عن صلته الوثيقة بالأم . وهذه الصلة تنطوى على علاقة سرية غير واعية ، وقد عبر عن هذه العلاقة تعبيراً قد يعتبر واعياً فى شكل إبطاء فى نمو أخلاقه وبقاء مظاهر من الطفولة فيه . وقد برزت فيه بعض خصائص الأنوثة كما يبدو من طريقة تعبيره ، وكانت علته التى التمس الشفاء منها حبه لذكور حباً جنسياً Homosexuality

تكافح الشخصية فى تطورها لكى تنفصل عن العلاقة الطفلية غير الواعية بالوالدين ، ولا شىء يعوق النمو الأخلاقى أكثر من بقاء نفسية طفلية غير واعية

وتأتى أول فرصة للانفصال عن الأم عن طريق إرضاء الغريزة باستبدال الأم بموضوع آخر يماثل الأم

وإنا نرى في حالة هذا الشاب أن بدواته Phantasies الطفلية متعلقة برمز الكاتدرائية بسبب حاجته القوية غير الواعية إلى بديل عن الأم . ونشأت الكنيسة هنا بديلاً روحياً عن الصلة الطبيعية بالوالدين

كان القدماء يحتفلون بسن البلوغ فيفهم الشاب أسرار قبيلته الدينية . وكان الاحتفال مصحوباً بكثير من الطقوس الدينية والعادات الفطرية ولا ريب في أن هذه تركت أثراً في عقلنا الباطن بل إنها أصبحت تقريباً شميات غريزية منحوتة في اللاوعي كنماذج قديمة Archetypes . هذا وإن حب الجنس المماثل Homosexuality يرجع إلى وقائع تاريخية عند الإغريق وبعض القبائل الفطرية ، وكانت الرغبة فيه تعد نضوجاً ورجولة . فإذا رجعنا إلى خطة الحلم أمكننا أن نفهم أنها ترمي إلى رغبة المريض في العلاج وإلى إثبات معنى حب الجنس المماثل أو بعبارة أخرى الدخول إلى دنيا البالغين

(للبحث صلة) **محمد حسني ولاية**

الأزهر في عامه الجديد
بين الذكرى والأمل
الأستاذ عبد اللطيف محمد السبكي

فوق ما للأستاذ « الزيات » بين رجال الفكر والقلم من مكانة مرموقة : فإن له نزعة دينية تتمثل فيما يكتبه من حين إلى حين عن الثقافة الإسلامية وحاجة الناس إليها ، وعن الأزهر وما يتصل بالأزهر من هذه الناحية . وبلاغة الزيات وروحه تقتضيان أن يقرأ له الناس إذا كتب ، ويصغوا إليه إذا قال

وقد تحدث الأستاذ في فتتاحية « الرسالة » لعامها العاشر عما يغشى الناس في هذه الآونة من ظلام : ظلام المطامع والشهوات ، أو ظلام القسوة والطغيان ؛ حتى عُمِّيت على الناس وجوه الرأي ، وغُلقت دونهم أبواب الحيلة ، واكفهرت أمامهم بوادر المستقبل

وتعليل ذلك كله عند الأستاذ الزيات ظلمة السرائر من نور الهداية ، وإقفار البصائر من روح الدين ، حتى تكاثفت هذه الظلمات الباطنة ؛ فكانت في الظاهر كذلك حلكاً غشياً ، وظلماً فشياً ؛ ثم كان ضجر الناس بالحياة ، وسخطهم في هذا الوجود . ذلك معنى حديثه ، وهو حديث حق لا ريب فيه « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً »

ولكن متى يستبين للناس وجه الرشاد من الغي فيرجعوا إلى الدين فيما يتصل بهم أو يصل بينهم من أسباب ، لتنجاب عن بصائرهم هذه الغشاوات ، وتنكشف لأبصارهم مسالك الحياة ؟ ! علم ذلك عند الله . . .

ولكن الأستاذ الزيات يتجه إزاء هذا السؤال نحو الأزهر ، وهو يرى الأزهر في وضعه الصحيح كمحطة استقبال وإذاعة : يتلقى تعاليم الوحي من كتاب الله وسنة رسوله ، ويذيع في الناس الحكمة الصادقة ، والموعظة الحسنة ، والقدوة الصالحة ، ويمثل في سيرة أهله ما كان مثلاً في سيرة السلف وأعمالهم للدنيا وللدين

والنظر إلى الأزهر بعين كهذه ليس فيه إسراف ولا شطط ، فقد قام الأزهر كما يقول الأستاذ — للدين وعاش بالدين — وليس يليق به أن يكون لغير هذا وإن تطاولت عليه السنون ؛ ولا يليق به أن ينحدر من عليائه إلى الوضع الأدنى الذي خرطه في عداد المدارس ، أو كاد . ونحن إذ ننظر إلى الأزهر بهذه العين نقف به مع الأستاذ الزيات بين الذكرى والأمل ، لترجع بنا الذكرى إلى أزهر القرن الرابع عشر ، يوم كان حقاً يعيش للدين وبالدين ، لا تلويه الأحداث ، ولا تستهويه المطامع فكان لقوله صولة ، ولرأيه شأن وحساب

وإذ تحولت نظم الحياة الاجتماعية ، واقتضى الزمن نشاطاً في السير ، ومتابعة للنهوض ، فما كان ينبغي للأزهر أن يقنع بالعزلة ويتنحى عن مكان القيادة ، ويقعد عن اجتذاب الجماهير إلى حوزة الدين ، واشتمالهم بتعاليمه الفضفاضة

وإن تكن هذه سيئة الزمن الماضي ، فماذا صنع أزهر اليوم ليدرك الناس ما فاتهم ، ويصل ما انقطع بينه وبينهم ، ولا يترك الخرق يتسع ، والشر يتفاقم ؟

نعم بدأ يخطو الأزهر فى عهده الحاضر خطوات لا بأس بها ، ولكنها خطوات هينة إذا قيست بالأمانة العظمى التي يتحملها عن الأنبياء . والأمر يقتضى نشاطاً فوق هـذا النشاط ، ولا يتسع لتريث فوق الذى كان ، وهنا مثار الأمل فى الأزهر ، فإلى من يتجه ذلك الأمل المنشود ؟

يتجه إلى صاحب المقام الأعلى ، إلى معقد الرجاء ، إلى جلالة الملك فاروق ، فجلالته حرىٌّ بين الملوك أن يحمل راية القرآن خفاقة على ربوع الإسلام ، وأن يجعل القرآن — بتشجيعه وعطفه — منهلاً عذباً فى وادى النيل ، يصدر عنه الناس وإليه يردون ، وهذا ما كشف اللثام عنه بين يدى جلالته شيخ الأزهر فى مستهل العام الهجرى ، فأبان فضيلته عن أمل المسلمين فى الأزهر وعن رجاء الأزهر والمسلمين فى جلالة الفاروق

ويتجه الأمل ثانياً إلى فضيلة الشيخ الأكبر وإلى من يؤازره من كبار العلماء ، وما يريد المسلمون منهم إلا ما تحدث عنه الأستاذ الزيات : « أن يضعوا لثقافة الشعب أساساً من الدين ، يقوى بقوة الله ، ويثبت بثبوت الحق ، ويدوم بدوام الدنيا ، ثم يقيموا عليه من القواعد والأوضاع ما يقره العقل ، ويؤيده العلم ، ويتقبله العصر ، وتقتضيه الحاجة »

ففي هذه الكلمات تتلخص حاجة الناس إلى الدين وتنحصر مهمة علماء الدين

وقد نشط إلى الجهر بذلك منذ أيام شيخ متوثب ، انتظم إلى جماعة كبار العلماء ، فكان إحساسه يقظاً ، وصوته ندياً . وإذا تجاوبت هذه الدعوى ، ودخلت إلى مكتب الشيخ ، وترامت إلى المسامع العلية ، فبعيد أن تفتر هذه الحمية ، وبعيد أن يركن الأزهر إلى تلك السياسة الشكلية التى تؤخر أكثر مما تقدم

أقول — السياسة الشكلية — وأنا فى هذا التعبير من غيرة وخشية : غيرة على عهد المراغى أن يعلق به شىء مما لا نحب ، وخشية من لائمة من لا يرضيهم ذلك التعبير

ولكنه مقام تعوزنا فيه الصراحة أكثر من المجاملة ، ويقتضينا الإنصاف ألا نشوب الإخلاص بالمداهنة ، وألا نطوى صفحة الولاء على غش ودخالة

هى مشكلة إلى حد ما ، ونحن نريدها عملية محضة : عملية فى التوجيه العلمى ، وتزكية الروح الأدبى والكرامة فى نفوس الناشئة . نريدها عملية فى الموازنة بين متصلين بالعمل : إدارياً كان أو عملياً . وليس بعزيز على الشيخ الأكبر أن يتحسس هنا ، ويوازن ويرجح ، ويحدث ويجدد ، بل ذلك فيما نعلم من خطواته الأولى فى إقامة الإصلاح

فلينظر مولانا الشيخ الأكبر فى الأدوات التى يؤدى بها الأزهر رسالته : قولاً كانت أو كتابة . ولينظر فيمن يساهمون فى الإدارة؛ فليس يكفى أن يكون الرأس وحده سليماً حتى تسلم بقية الأعصاب والعضلات !

وأكبر الظن أن ينقضى العام الجديد على خير ما بدأنا من آمال ، وما رجوناه من أعمال

عبد اللطيف محمد السبكى
مدرس فى كلية الشريعة



أدب الطف (*)

عامل من عوامل نمو الشعر فى العراق

للأستاذ عبد الكريم الدجيلى

كتب الدكتور زكى مبارك فى أعداد سالفة من (الرسالة) عن « الأدب العربى الحديث فى العراق » ، ولا أريد بكلمتى هذه أن أناقشه فيما كتب ، إذ أن وقت المناقشة قد بَعُد وتقادم ، على أنى معجب شديد الإعجاب ببعض ما كتب

وقد كنت معتقداً بأنه سيكتب عن الشعر الذى رُثى به الحسين بن على بن أبى طالب . فيكشف لقراء (الرسالة) صفحة منذورة من الأدب العربى . ومنجماً مليئاً بغرر الشعر وأطايبه ، فيُسجل له فضل الأسبقية فى هذا الموضوع بعد أن زودته وزارة المعارف العراقية بأغلب الدواوين المطبوعة لشعراء العراق، وأغلبها ملآن بمـا رُثِىَ به الحسين . فعبدت له الوزارة بعض الطريق . على أن الرجل قد أشار إلى هذا الموضوع من طرف بعيد قد يخفى على كثير من القراء — وعلى الأخص أدباء الأمة المصرية — إذ أن سمعهم لم يطرقه هذا اللون من الأدب العربى إلا النادر منهم

وكان الأجدر بالدكتور أن يقف عند هـذا الموضوع ولو قليلاً ، أو يَعِد القراء بالرجوع إليه ، لأن رثاء الحسين ، أو « أدب الطف » يعد (عاملاً مـن عوامل نمو الشعر فى العراق) . ولعـل كلمتى هذه تحفز الدكتور إلى الـكتابة فى « أدب الطف » ، والمراجع لديه كثيرة ، والوقت يناسب الكتابة فى هذا الموضوع. قبل أن ينقضى شهر محرم الحرام الذى قُتِل فيه الحسين بن على بن أبى طالب . فالمناسبة إذن تشجع الـكاتب على كشف هذا المنهل العذب الصافى من الأدب العربى لـكل من تعنيه الدراسات الأدبية والاتجاهات الفـكرية . على أن السبب الأول لـكتابة هذا المقال ، هو نفس السبب الذى دعانى أن أدعو الدكتور أن يكتب فيه

ذكر الدكتور فى المقال الذى كتبه عن « الأدب العربى الحديث فى العراق » أن الخصومات الدينية ، والخلافات المذهبية بين الشيعة والسنة ، قد عادت بالنفع والخير على الأدب والبيان فى العراق . وهذا حق لا جدال فيه ، فقد يكون بعض الخلاف خيراً وبركة من جهة ، ونقمة وبلاء من جهة أخرى . ولو تصفحنا أدوار الأدب العربى من فجرها إلى يومنا هذا ، لرأينا أجود ما فيه كان السبب فى وجوده الخلاف : فقصيدة عمرو بن كلثوم ، والاعتذار الذى صاغه الذبيانى فى قصيدته الخالدة ، وكثير من شعر حسان ، وخطب على ومعاوية ، والمراسلات التى كانت من جراء هذا الخلاف ، وشعر جرير والفرزدق والأخطل ومن شايعهم ، وخطب عيسى بن على والسفاح والمنصور ؛ ثم الغالب من شعر المتنبى الذى يبرق فيه ويرعد ، والرسالتان الجدية والهزلية لابن زيدون ، والقصيدة السينية — ما على ظنى يأس — كل هذا الإنتاج العقلي وألوف من أمثاله كان السبب المباشر فى وجوده هو الخلاف « السعيد » — على حد تعبير الدكتور . وأنا وإن كنت لا أحب أن أذكر ، حتى اسم الخلاف الذى يقع بين المسلمين ما دام المنهل واحداً — خصوصاً فى بلد كالعراق لا يستغنى فيه أحد الفريقين عن الآخر ، فإنى سأطرقه من ناحيته الأدبية لا غير

* * *

تقام الاحتفالات التأبينية فى العراق — وعلى الأخص فى نواحيه الجنوبية — وتعقد النوادى فيه تأبيناً للحسين بن على بن أبى طالب فى كل أيام السنة ، أما إذا هلَّ شهر المحرم ، فإن الأشغال تكاد تعطل ، والحوانيت تكاد تقفل طيلة شهرى محرم وصفر ، فتعقد مئات النوادى لذكرى قتيل الطف

فإذ كان الأدب العربى يفخر بسوق عكاظ لأنها كانت السبب فى رفع مستواه ، وكانت السبب فى احترامه وتعاليه ؛ فإن الأدب العربى مدين كل الدين لهذه النوادى التأبينية ، إذ أنها خير مدرسة وخير عامل لنمو الشعر فى العراق . فالشاعر الذى تنشد قصيدته على رؤوس الأشهاد وتستحسن يستمر بحكم الضرورة على قرض الشعر حتى يستمر هذا الإعجاب والتقدير

ثم هنـاك حافز آخر لخلق الشاعر فى هذه الناحية ألا وهو الحافز الدينى ، فقد وردت أحاديث كثيرة ، وأخبار مستفيضة تهب الثواب والجزاء لمن قال الشعر فى آل محمد ولو بيتاً واحداً . ومهما كان نصيب هذه الأحاديث والروايات من الصحة فإنهـا كانت سبباً قوياً وباعثاً لخلق الوف من الشعراء لا أظن أديباً

(*) الطف والجمع طفوف : اسم المكان الذى قتل فيه الحسين بن على ابن أبى طالب قريباً من كربلا بحاذى نهر الفرات قديماً

أو متأدباً ينضج ويكتمل ما لم يطلع على هذه الناحية من الشعر

ومن الغريب أن أدباء الأمة العربية لم يعرفوا عن هذا المنجم الأدبي الضخم ولم يسبروا ما فيه من غور وعمق . ولو أنهم فعلوا ذلك لظهر لهم من شعر الطف ما يغذي العاطفة ويربي الذوق، ولأضيفت إلى الأدب العربي صفحة مليئة بنفائس الشعر الجيد الممتاز ، ولفتحت أمام حملة الأقلام والقوامين على سير الأدب العربي أبواب فيها من الشعر ما هو ثمين بكل تقدير

وإذا كانت الخصومات الدينية ، والخلافات المذهبية في العراق هي السبب في حفظ كيان الأدب والبيان ولولاها لذهبت به تلك الأعاصير الهوج التي مرت عليه طيلة سنين عدة . فإن نفس تلك الخصومات كانت السبب الوحيد في انزواء هذه التحف الفنية والنوادر الأدبية

ولعلي أوافي قراء الرسالة متى سنحت الفرصة عن بعض هؤلاء الشعراء الذين وقفوا أكثر حياتهم الأدبية على هذه الناحية من الشعر فأكون قد قمت بواجب الأدب والتأريخ معاً

وإليك أبياتاً مقتطفة من قصيدة طويلة للسيد حيدر الحلي يرثي بها الحسين :

أيها الراغب في تغليسة   بأمون قط لم تشك الكلالا
اقتعدها وأقم من صدرها   حيث وفدُ البيت يلقون الرحالا
واحتقبها عن لساني نفثة   ضرماً حوّله الغيظ مقالا
فإذا أنديةُ الحيِّ بدَتْ   تشعر الهيبة حشداً واحتفالا
قف على البطحاء واهتف ببني   شيبة الحمد وقل قوموا عجالا
كم رضاع الضيم ! لا شب لكم   ناشئ أو تجعلوا الموت فصالا
كم وقوف الخيل لا كم نسيت   علكها اللجم ومجراها رعالا
كم قرار البيض في الغمد أما   آن أن تهتز للضرب انسلالا
قوّموها أسلا خطية   كقدود الغيد ليناً واعتدالا

وللحاج هاشم الكعبي من قصيدة مطولة في هذا الموضوع :

فوارس اتخذوا سمر القنا سمَرا   فكلما سجعت ورق القنا طربوا
يستعذبون الردى شوقاً لغايته   كأنما الضرب في أفواههم ضَرَب
حتى إذا سئموا دار البلى وبدت   لهم عياناً هناك الخرَّد العرُب
فغودروا في العرا صرعى تلفهم   مطارف من أنابيب القنا قشب
وأفلتت زمر الأعداء ترفل والأحـ   ـقاد تسعر والأحشاء تضطرب
جلا لها ابن جلا عضب الشبا ذكرا   لا يعرف الصفح إذ يسنله الغضب
تأتي على الحَلَق الماذيِّ ضربته   ولا يقيم عليها البَيض واليلب

وللحاج كاظم الأزري مرثية من غرر الشعر نقتطف منها ما يلي

وضربة تتجلى من صوارمه   كالشمس طالعة من جانبي نهر
كأن كل دلاص منهم بَرَد   يرمي بجمر من الهندي مستعر
إذا انتضى بردة التشكيل تحسبه   لاهوت قدس تردى هيكل البشر
صالوا وصلتَ ولكن أين منك همو   النقش في الرمل غير النقش في الحجر
ما أنصفتك الضبا يا شمس دارتها   إذ قابلتك بوجه غير مستتر
ولا رعتك القنا يا ليث غابتها   إن لم تذب لحياء منك أو حذر
قد كنت في مشرق الدنيا ومغربها   كالحمد لم تغن عنها سائر السور

أترى أن مثل هذا الشعر المتسامي في سبكه ومتانته وجودة تراكيبه لا يعرف عنه أدباء الأمة العربية وبخاصة أدباء وادي النيل الذين منحهم الله الإحساس الأدبي والشعور الفني لمثل هذه القطع الأدبية والأساليب العربية التي تتجلى بهذا الشعر ! وإذا كان هناك لوم يوجه إلى زمرة من الأدباء لأنهم أهملوا هذه الناحية الأدبية من الشعر

فإلى أدباء العراق وحملة الأقلام فيه إذ أن الواجب الأدبي يحتم عليهم أن يعنوا بنشر أمثال هذا الشعر

ولقد أذكر أنني قرأت كثيراً من هذا الشعر على نخبة من أدباء الأمة المصرية مثل الأستاذ هاشم عطية والأستاذ السباعي بيومي . ومما أذكره أن الأستاذ هاشم عطية قال لي بعد الانتهاء من قراءتي لهذا الشعر : إن هذا الشعر خلاصة تفكير أمة كاملة لا تفكير فرد . وإن مثل هذا الشاعر - ويعني السيد حيدر - لا يوجد في الأمة العربية مثله في كل وقت وحين ؛ وإنما يجيء على رأس قرن أو قرنين . فالواجب عليك وعلى أدباء العراق الاتجاه نحو هذا المنجم الأدبي لتخرجوا منه لنا كتباً تكون خير متعة أدبية ولذة فنية

ومن هنا عنيت بهذا الشعر ولعلي أخرج كتاباً فيه

عبد الكريم الدجيلي
المدرس بالثانوية العسكرية

حكمت محكمة المنصورة العسكرية في القضية رقم ٦٤٥ سنة ١٩٤١ بحبس حلمي عبد الحميد معروف من دكرنس شهراً ونصف بالشغل لبيعه بنزيناً بسعر يزيد عن التسعيرة

الفرق السياسية في الاسلام

للدكتور رينولد نيكلسون
بقلم الأستاذ حسن حبشى

كانت مناهضة الأحزاب السياسية والفرق الدينية للبيت الأموىّ اللغمَ الذى أخذ يقوّض دعائمه شيئاً فشيئاً ، حتى انهار ولم تقم له قائمة بعد ذلك . وسنسوق بعض التفاصيل عن الأفكار التى أدّت إلى تطاحن هذه الطوائف ، وعن العوامل التى دعتها إلى السخط على النظام القائم ، ثم نثنّى ببضع كلمات قلائل عن الفرق الدينية وعقائدها كالمعتزلة والمرجئة والصوفية ، ثم التكلم عن أدبهم الذائع الذى كان جُلّه شعراً . وعن حملة لوائه البارزين

كانت وجهة معارضى الأمويين سياسيةً باديء ذى بدء ، إذ كان معنى تولى معاوية الحكم انتصار الشام على العراق ، ومن ثم أصبحت دمشق عاصمة الدولة . وحلت محل الكوفة ، وقد لاحظ « ڤلهوزن » : « أن أشد الصيحات خطراً على بنى أمية كانت منبعثة من العراق ، فلم تكن صيحة حزب خاص بذاته . ولكنها صدى صوت جميع العرب المقيمين هناك ، والذين اتفقوا جميعاً على استنكار ضياع استقلالهم Selbstherrlichkeit وعلى كراهية أولئك الذين آل إليهم الأمر[١] » . وفى هذا الوقت نفسه اصطبغت هذه المشاعر بروح دينية ، واتخذت من الدين عوناً لها ، وسقط النظام الجديد مذموماً موسوماً بسمة الشرك ؛ وبناء على مبلغ تقدير المسلمين لمعنى الواجب ، كان لزاماً على كل رجل حرّ عاقل أن يعمل على إزالة أسباب ذلك المنكر ، ومن بين الأحزاب العديدة التى نهضت بأعباء هذا الأمر، يمكننا أن نتبين أربع جماعات وحّد بينها غرض مشترك ، وتعاونت فى سبيل تنفيذ فكرتها ، تلك هى :

(ا) المسلمون عامة المتمسكون بالدين ، الذى كان يتألف منهم أهل السنة[٢]

(١) Wellhausen: Das Arabische Reicken und sein Sturz (p. 38).

(٢) وهم غالبية المسلمين ، ولاتباعهم سنة النبى وخلفائه أطلق عليهم فيما بعد اسم «أهل السنة» ولم يكونوا من الشيعة أو الخوارج ولكنهم =

(ب) الخوارج ويمكن تسميتهم « بالمتطهرين » وهم شديدو التطرف فى نزعتهم الدينية

(ح) الشيعة أو أنصار علىّ وآل بيته

(ء) الموالى : وهم المسلمون من غير العرب

ومن الجلىّ الواضح أن الفريق الأول (الذى كان دعاته وأنصاره الفقهاء وحفظة القرآن وصحابة الرسول وتابعيهم) ، كان هذا الفريق كارهاً للحكومة التى أرغم على طاعتها والخضوع لسلطانها . أما الاعتقاد بأن القوة التى كان يمثلها الطغاة ومؤيدوهم قد وطئت الحق كما جاء به القرآن والسنة ، فقد جعل الكثيرين يقحمون أنفسهم فى غمار ثورة هائلة ؛ ويقال : إن خمسة آلاف قد لقوا مصرعهم فى حادثة تخريب المدينة ، كما عزف آخرون عن الدنيا مثل الحسن البصرى ، وسلكوا سبيل الزهد بعد أن يئسوا من الإصلاح . وقد كان لهذا الاتجاه عواقب خطيرة الشأن كما سنرى

* * *

لما رضى علىّ بعد « صِفّين » بالتحكيم فيما شجر بينه وبين معاوية من خلاف حول مشكلة الخلافة لامه الكثيرون من جنده ورموه بخيانة العهد ، إذ كان — كما يعدّونه — الخليفة المنتخب عن جدارة واستحقاق ، فكان لزاماً عليه أن يستمسك بمنصبه السامى ويضحى من أجله بكل ثمين ، وفى طريق العودة إلى أمصارهم نسلخ الساخطون ويقدّر عددهم باثنى عشر ألف رجل ، وعسكروا فى بلدة تدعى « حروراء[١] » على مقربة من الكوفة وصاحوا جميعاً : « لا حكم إلا لله » ، وبذلك أظهروا اعتراضهم على التحكيم بتلك العبارة ولم يجيزوه . وحاول علىّ — دون جدوى — أن يستميلهم إلى جانبه ، فأبوا عليه ذلك ، وانتخبوا خليفة من بينهم ، واجتمع فى « النهروان » أربعة آلاف من صناديدهم الغاوير ثائرين عليه ، فلما أشرف عليهم على وسط جموع جيشه النجب تفرّق أكثرهم خوف لقائه . أما الباقون ،

= يشترطون وجوب انتخاب المجتمع الاسلامى خليفته بنفسه وأن يكون من قريش ، وقد نشأت هذه الأحزاب كلها إثر النزاع الذى شجر بين على ومعاوية . وكانت « الخلافة » علة خلفهم الأساسى

(١) راجع نص خطبة محمد بن على بن العباس فى القدس « أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » طبعة دى جويه ، ج ٣ ص ٢٩٣ (المترجم)

فقد ثبتوا فى أماكنهم ، وآثروا الموت فى سبيل الذّب عن إيمانهم ومعتقداتهم ، وأصبحت مكانة « النهروان » عند الخوارج بمنزلة « كربلاء » عند الشيعة الذين اعتبروهم منذ ذلك اليوم أعداء لهم .

وقد ظلت ثورات الخوارج قائمة طوال صدر دولة بنى أمية ، إلا أن الحركة بلغت أقصى شدّتها وعنفها فى سنوات الاضطراب التى حدثت عقب موت يزيد ، فانتشر « الأزارقة[١] » فى العراق وفى جنوبى فارس ، على حين استطاعت شعبة أخرى — وهى النجدية[٢] — التسلط على جزء كبير من بلاد العرب وإخضاعها لنفوذها . ولقد ظلّ العُصاة زمناً طويلاً مقيمين على مناهضتهم ومقاومتهم لعبد الملك ، ولم يقلعوا عن التمرد . حتى قام الحجاج سنة سبع وتسعين وستمائة ، فأخمد ثورتهم التى كانت تحت رئاسة زعيمهم شبيب

ويقال إن كلمة « خارجى » ترجع إلى آية فى القرآن[٣] جاء فيها « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغماً كثيرا وسَعَةً ، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقعَ أجرُهُ على الله وكان الله غفوراً رحيماً » وعلى ذلك فالمقصود من كلمة « خارجى » ذلك الذى يهجر مقامه بين الكفار ابتغاء مرضاة الله ، وكذلك تتصل بلفظ « مهاجر » الذى أُطلق على المؤمنين من أهل مكة الذين صحبوا الرسول فى هجرته إلى المدينة[٤]

وهناك لقب آخر يُكْنَوْن به ، وهو مستمد من القرآن فى أصله ألا وهو « الشراة » أى الذين باعوا أنفسهم وأموالهم لقاء الجنة كما جاء فى قوله : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتُلون ويُقتَلون وعْداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوْفى بِعَهده من الله فاستبشروا بِبَيْعِكُمُ الذى بايَعْتُم به وذلك هو الفوز العظيم »[٥] ، وأغلب الخوارج من الجند البدو الذين استقروا فى الكوفة والبصرة عقب الحروب الفارسية. ولم تستطع الحياة المدنيــة أن تغيّر كثيراً من طبعهم الشموس وخُلقهم الجاف ، فلم يروا فى قريش من الفضائل ما يجعلها تذهب بالأمانة وحدها ، بل أرادوا اختيار رئيس من بين ظهرانيهم تجرى فى عروقه الدماء التى تجرى فى عروقهم ، ويطيعونه — كما جرت سنّة البدو — ما دام قائماً خير قيام بأعباء ما عهد إليه به[١] . ومع ذلك فقد كان الدافع الرئيسى للحركة دافعاً دينياً ، ويمكن ردّه — كما أشار ڤلهوزن — إلى القراء الذين ذهبوا إلى تهويل شأن المسألة الخاصة بإلزام على بالتفكير عن خطيئته الكبرى التى دفعه إلى إتيانها موقفهم المحزن الذى وقفوه حينذاك . وإنهم ليناهضون عليا لنفس السبب الذى دعاهم للوقوف ضد عثمان ، فى كلا الموقفين كانوا يتعلّلون بالرجوع إلى أمر الله للقيام فى وجه الخليفة الجائر .

وإنه لمن المهم عند التعرض[٢] لذكر مبادىء الخوارج الرئيسية عدم إغفال هذين الرأيين التاليين وهما

ا — جواز الخلافة لكل عربىّ حر[٣]

ب — عزل كل خليفة لا يحسن القيام بأعباء سلطته أو قتله إذا حتمت الضرورة ذلك

وقد كتب المستورد بن علّيفة الخارجى قائد المؤمنين إلى سمّاك بن عُبَيْد وكان فى المدينة العتيقة رسالة[٤] جاء فيها : « أما بعد فقد نقمنا على قومنا الجور فى الأحكام وتعطيل الحدود والاستئثار بالفىء ، وإنا ندعوك إلى كتاب الله عز وجل ، وسنة

---

(١) سموا كذلك نسبة إلى زعيمهم نافع بن الأزرق [ويكنى بأبى راشد]

(٢) هم أتباع نجدة بن عامر الحنفى

(٣) سورة النساء ، آية ١٠٠

(٤) Brunnow : Die charidschiten unter den ersten Omayyaden (Leiden 1884) p. 128. وليس هناك ما يثبت أن الخوارج قد أطلقوا على أنفسهم هـذا اللقب وعلى كل فهذا اللفظ يتضمن الخروج من المجتمع الاسلامي ، وربما أريد به الشق

(٥) سورة التوبة ، ٩ : ١١١

(١) Brünnow : op. cit. p. 28.

(٢) Wellhausen : Die Religios - politischen Opposition sparteien im alten Islam (abh. der Königl. Geselshaft der Wissençhaften zu Gottingen, 1901) p. 8 وهو يعارض رأى « برنو » فى أن أقدم الخوارج لم يكونوا أعراباً قحا ، بل الواقع أنهم بزوا بقية الجماعات الحربية فى الكوفة والبصرة فى نبذهم تقاليدهم البدوية ، وهو يذهب إلى أن شدة ورع القراء وملازمتهم الصلاة وقيامهم آناء الليل وترديدهم لكتاب الله يتفق تماماً وما أثر عن الخوارج مما لا يختلف فى وصفه عن هذا الأسلوب . أضف إلى هذا أننا نجد بين أقدم الخوارج ذكراً لجماعة كانوا يتشحون ببرانس طويلة كانت إبان هذا الوقت سمة خاصة للزهد والتقشف ، وما ذكره الطبرى (ج ١ ص ٣٣٣٠ س ٦) عن أبى مخنف من اعتباره الخوارج شعبة تفرعت عن القراء ، ثم يسمى قراء أصبحوا فيما بعد فى عداد الخوارج المتزمتين

(٣) لما انضم فيما بعد إلى صفوف الخوارج كثير من المسلمين غير العرب أصبح حق الخلافة مباحاً للأجانب أيضاً حتى العبيد

(٤) الطبرى ، ج ٢ ص ٤٠ س ١٣ وما يليه

نبيه صلى الله عليه وسلم وولاية أبى بكر وعمر رضوان الله عليهما والبراءة من عثمان وعلى لإحداثهما فى الدين وتركهما حكم الكتاب» ومن هذا يتضح لنا أن دعوة الخوارج كانت تتلخص فى التمسك بما نادى به الإسلام من المساواة والإخاء الذى لم يعد يُعمل به بل تلاشى تماماً . أما من الناحيـة النظرية فنرى أن جميع المسلمين المتمسكين بدينهم قد اتفقت رغبتهم على إعادته إلى نصابه ، وعلى إدانة الحكومة القائمة ، ولم يكونوا دون الخوارج فى هذه الناحية وفى مَقْتِ تلك الدولة مقتاً شديداً تأصّل فى حنـايا النفوس ؛ أما الفارق الذى كان يميّز أفراد الحزب الأخير عن سواهم فهو صرامتهم الشديدة ودقتهم فى تنفيذ مبادئهم ونشرها . وكان من آرائهم الجوهرية أنه يجب على الإمام أو زعيم المجتمع أن يحكم باسم الله وبمقتضى كتابه ، وأنّ من سار على غير هذا الدرب فقد باع نصيبه فى الحياة الأخرى ، وأن النجاة الأبدية وقف على اختيار خليفة النبىّ . وكانوا يعـدُّون المسلمين الذين يأبون سبّ علىّ وعثمان كفاراً مارقين ، كما كانوا يرون من الضرورى على كل مؤمن صادق الإيمان أن يساهم فى « الجهاد المقدس » ضد هؤلاء وأمثالهم ، وأن يقتلهم ويقتل زوجاتهم وأطفالهم أنّى ثقفتهم

ولقد ارتدت هـذه المبادئ الفظة على العصاة الذين سرعان ما وجدوا أنفسهم مهدّدين بخطر الانقراض ، ومن ثم أخذت الآراء المعتدلة تنتشر بينهم فأحَلّ الأباضيون « أتباع عبد الله بن أباض » عيشهم بين المسلمين والاختلاط بهم فى حدود التساهل المشترك بين الطرفين ، ولم يكن التساهل فى الواقع مناقضاً لما يريده الخوارج من إقامة مملكة الله على الأرض . ولـكن حطّم منطقهم العنيد ، كل دستور يوضع ؛ فهم يقولون - كما لاحظ علىّ - « لا إمارة ولـكن لا بد من إمارة برة أو فاجرة[1] » ومع ذلك فقد كانوا يحاربون بإيمان ثابت وعقيدة خالصة فى سبيل مرمىً شريف ،

(١) الشهرستانى : الملل والنحل (طبعة Cureton) جـ ١ ص ٨٨ س ١٢

ولم تكن لهم غاية دنيوية يسمون من أجلها على نقيض الأحزاب السياسية الأخرى

تكلم الشهرستانى عن الإثنى عشر ألفا الأوائل الذين ثاروا ضد علىّ فوصفهم بقوله « إنهم أهل صيام وصلاة[1] » . وكان القرآن حكَّمهم فى حياتهم والمهيمن على خواطرهم ، حتى إن تاريخ اعتقادهم الأول ، وتاريخ المضطهدين والشهداء والمؤمنين ... كل ذلك غدا مأساة حقيقية واقعة كانوا هم أنفسهم أبطالها الذين قاموا بتمثيلها ، كما أن خوفهم من الجحيم أثار فيهم حماسة صادقة وغيرة على إحقاق العدل ، كما امتحنوا اعتقادهم الشخصى فى دقة وخبروا إيمان جيرانهم . وويل للذين كانوا يجدونه ضعيف الإيمان ، فهناك خطوة واحدة تقرب المخطئ من الإسلام ، وعلى الرغم من أنه يمكن التجاوز عن الزلة وغفرانها بالتوبة الصادقة إلا أنهم كانوا يُسلكون أىّ مسلم ارتكب إحدى الكبائر ولو مرة واحدة فى زمرة الكفّار المخلدين فى النار ، أو كان ذلك على الأقل فى نظر الخوارج المؤمنين

حسين حبشى

(١) الشهرستاني : شرحه جـ ١ ص ٨٦ س ٣ من أسفل

ظاهرات نفسية

فى مسرحيات محمود تيمور

للأستاذ زكى طليمات

(تتمة)

نقدنا اليوم خص بمسرحية « الموكب » . وهى المسرحية الثالثة التى كتبها تيمور باللهجة العامية وأصدرها فى مؤلف واحد[1]

وتنفرد هذه المسرحية عن المسرحيتين الأخريين بأنها شاهدت أنوار المسرح وطلعت على الجمهور فى المكان اللائق بها . كان ذلك منذ سنتين وتسعة شهور ، أيام المواكب والأعياد التى جرت فى القاهرة احتفالاً بالمصاهرة السعيدة بين البيت المالكى فى وادى النيل والبيت الامبراطورى فى إيران ؛ وهو عهد اتجه فيه النشاط الاجتماعى — وذلك فى بعض البيئات المصرية — وجهة خاصة لم تدم طويلاً . والأدب من الاجتماع ، فكان أن كتب تيمور هذه المسرحية بإيذان تلك الساعات المشرقة . كتبها ليقدمها المسرح المدرسى لوزارة المعارف على مسرح الأوبرا الملكية فى الحفلة التى أقامتها الوزارة احتفاء بهذه المناسبة السعيدة

هى مسرحية سعيدة ولا شك ، لأنها كتبت لمناسبة سعيدة ، وقام بتأديتها نخبة من الفرق التمثيلية بالمدارس الثانوية ، هم طلاب علم وثقافة لا يرون من الحياة إلا جانبها المشرق السعيد ؛ فلا غرو أن جاءت مملحة بالمزاح المرح ، فياضة بالفكاهة العذبة ، تتوالى مشاهدها فى إيقاع خفيف جذل

وهى مسرحية « مناسبة » من حيث الباعث على كتابتها وإخراجها ، وروايات المناسبات — كما يدل الاستقراء فى تاريخ أدب المسرحية — لا يكون حظها كبيراً من القيمة الفنية ما عدا القليل ، ومن هذا القليل هذه المسرحية ؛ فقد استطاع كاتبها أن يسمو بها على أدب المناسبات ، بأن جعل « المناسبة » شيئاً ثانويًا لا يستأثر بجوهرها ، ولا يطغى على الناحية الإنسانية فيها ، بل إن « المناسبة » فى هذه المسرحية لا تتجاوز أن تكون مطية أحسن المؤلف اتخاذها لإبراز عرض إنسانى تضطرب فيه شخصيات عريقة فى إنسانيتها ، هى تضطرب وتستقر ، وتصطفق وتستكين ، كاشفة عما بنفسها من ظاهر ومضمر

الموكب ؟

والموكب فى هذه المسرحية حقيقة ومجاز . حقيقة باعتباره أنه كائن مادى يُستمع ويُرى جانب منه . يعج بحجيجه وتصدح موسيقاه ، وترتفع هتافاته فتسرى الهزة فى شخوص المسرحية ، وينطلقون يتحركون ويعملون ، كل منهم فى الدائرة التى رسمها له المؤلف . والموكب مجاز باعتبار أنه دلالة معنوية على شىء فى النفس ، فى نفوس أشخاص المسرحية . هو لون من ألوان الرغبة التى هى لدى بعض الأشخاص فى المسرحية مكبوتة مقيدة ، لا هى تهدأ وتستكين ، ولا هى تنطلق من إسارها إلا بعد لأى ومداورة ومراوغة ، ثم هى لدى البعض الآخر رغبة إيجابية فى فورتها تعمل مباشرة للانطلاق ولتحقيق غايتها .

* * *

أسرة فى بهو بيت من بيوتات القاهرة اجتمعت حول المذياع تنصت الفينة بعد الفينة إلى ما يقوله المذيع عن أوصاف الموكب الذى ينتظم فى محطة العاصمة ليسير بالأمير إلى ساحات القاهرة وطرقاتها . اصطفاق الجماعات وهى تعبر بهذا البيت فى طريقها إلى المحطة ، ترتفع إلى آذان المجتمعين حول المذياع من وقت لآخر فتشيع الهزة فيهم . والمجتمعون هم (فضل الله باشا) رب الأسرة ، والد شيخ مصاب بعصبة أمراض إلا المرض الذى يضعف الشهية ويلجم النهم ، وزوجة له دونه سناً وفوقه نشاطاً وعافية ، وابن وابنة لهما ، فى أول سنى الشباب يلبسان أحدث الأزياء ، ثم ابنة للوالد من سرير تقوض منذ زمن طويل ، فهى فى منحدر العمر ، وزوج لها يكبرها بأعوام ، الإثنان يتفقان فى الحياء الذى

(١) فى العددين ٤٤٠ ، ٤٤٣ من الرسالة نقد وتحليل للمسرحيتين الأوليين (الصعلوك) ، (أبو شوشه) ؛ وفى العدد ٤٣٩ بحث فى (اتجاهات علم النفس بالمسرحية) هو تمهيد لما كتبناه عن هذه المسرحيات الثلاث

لا سبب له . وفى نزعتهما التحشمية المتحفظة البادية على لباسهما . نماذج بشرية من أجيال مختلفة . وأمزجة مختلفة . إلا أنها تتفق فى ناحية واحدة . وهى الرغبة التى تساورهم جميعاً لمشاهدة الموكب !!

الجميع يرغبون فى الخروج ولكن ...

ولكن الباشا (فضل الله) يكره الخروج لأنه يمقت الزحام كما أنه متعب من أوجاع داء المفاصل . وابنته الكبرى وزوجها (زهرية وبديع) يودان الخروج ولكنهما يكبتان الرغبة احتراماً للباشا . هذا فى حين أن زوجة الباشا (نظيره) وولديها (بشاير وصفر) يتوقون جميعاً إلى الخروج ويجاهرون بهذا ويعملون على تحقيقه ... مجتمع ظريف ولا شك من حيث تباين النزعات ، ومن حيث موقف النفوس أمامها .

الباشا لن يستطيع مشاهدة الموكب لأنه لا يريد أن يبرح مكانه باسم المرض . إذن فلا خروج لواحد من أفراد الأسرة ، ولا متعة إلا ما يستطيع أن يستمتع بها هو قبل كل إنسان . الباشا قنع ومسرور بمشاهدة الموكب بعين الخيال الذى يبعثه صوت المذيع من الراديو ، فواجب أن يقنع الجميع قناعته ، وأن يسروا سروره . الباشا ، بعبارة أخرى ، أثر يحب نفسه ، الباشا تصرعه الأنانية ...

بيد أن هذه الأنانية أو الأثرة لدى الباشا غير ملحوظة بحقيقتها من وعيه الظاهر ، لأنها من إيحاء المضمر الكامن فى وعيه الباطن . والمرء قلما يشعر لأول وهلة بحالة نقص نفسى فيه . ولذلك نرى الباشا يلبس هذه النقيصة وهو لا يشعر حلة غير حقيقتها ويفسرها تفسيراً خاطئاً ، وأداته فى ذلك المنطق الكليل القاصر عن النفاذ إلى جوهر الأشياء ، فنراه فى حديثه يزجى حشداً من الأسباب لتبرير البقاء فى البيت والاكتفاء بسماع الراديو[1] ، ويورد مبررات منطقية لها ظل من الحقيقة النسبية التى يريد فرضها على أفراد أسرته[1] ، وهو يأتى كل هذا بعقله الظاهر ليستر شيئاً مضمراً فى ثنايا عقله الباطن ، وليقيم صلة منطقية بين العقلين

وأعجب من هذا أن الباشا ، وهو أثر يحب نفسه ، يفزع من سماع هذه الصفة ملتصقة به فنراه حينما يصارحه بها ابنه « صفر » يتبرم ويتعثر ويأبى إلا أن يفسر هذه الصفة بأنها نزعة غضب أو استبداد !

ونعود إلى موضوع القصة . قلت إن « صفر وبشاير » ووالدتهما يتحرقون شوقاً إلى مشاهدة الموكب وأنهم يجاهدون من أجل ذلك . فلا نلبث أن نرى صفر ، وكأن وحياً هبط عليه فجأة ، يصارح شقيقته وأمه بأنه وجد السبيل إلى الخروج من البيت ، ثم ينحنى عليهما ويأخذون بأسباب همس حار

ويعترض سياق الهمس من جانب والحديث من جانب الباشا وابنته الكبرى وزوجها مشهد أورده ، على ما أعتقد ، ابتغاء تنشيط الحركة المسرحية التى أخذت تركد بعض الشيء ، لا يخرج القارئ منه بشيء جديد أكثر من مطالعة شخصية جديدة هى « الشيخ كروان » وهو أفاق مشعوذ ممن يخلطون الجد بالهزل ، ويتزجون العته بالذكاء ، توسلاً إلى التقاط المال اليسير الذى يعيشون عليه . وقد يضيف هذا المشهد لوناً ثانوياً على شخصية الباشا فتنكشف لنا ناحية من نفسيته ، وهى ناحية تلحظ عند كثيرين من المشوات السذج الذين ما برحوا يرون فى التمرغ « بتراب الميرى » ولو بطريق اقتعاد مقاعد البرلمان ، أمنية محببة مرموقة . وأغلب الظن أن المؤلف قصد بإيراد هذا المشهد أن يمهد للانقلاب النفسى الذى سيجريه على نفسية الباشا فى نهاية المسرحية ، وذلك بطريق إظهار الباشا ممن يهتمون بالمظاهر الرسمية وممن لا يتركون فرصة تسنح دون أن يذكروا الدولة ورجالاتها بشخصهم الكريم .

ويستأذن « صفر » فى الخروج بعد أن أضمر أمراً مع شقيقته

---

(١) فى صفحة رقم ٩٦ س ٣ يقول الباشا : « خلاص جنؤمكم إيه ما دام الراديو حيوصف لكم كل الاحتفال من طأطأ لسلام عليكم . اشمعنا يعنى الناس بيسمعوا فى الراديو أخبار أوربا وأمريكا وبينبسطوا منها ؟ » يعنى راحوا شافوها ؟ » إلى غير ذلك ...

(١) فى صفحة ١٠٠ ألوان من التمحلات التى يوردها الباشا تدعيماً لرأيه فى البقاء بالمنزل ورفضه رجاء زوجته وولديه فى الخروج لمشاهدة الموكب

ووالدته فيسمح له . وبعد برهة قصيرة يبدو فيها الباشا أكثر اهتماماً بتسمع أقوال المذيع عن وصف الموكب ، وكأنما قد بعثت فى نفسه أقوال « الشيخ كروان » عما تتداوله الألسن عن قرب تعيين الباشا عضواً بمجلس الشيوخ ، يدق جرس التليفون . . .

صوت ناعم يتكلم ويرجو حرم الباشا أن تسارع بالمجيء من أجل مسألة هامة ، والباشا يعارض ؛ ولكن البيت الذى ستذهب إليه حرمه مجاور لبيته ، والداعية صديقة حميمة لها ، وزوجها (عبد الغفور بك) جار عزيز لدى الباشا ، والمسألة خاصة بوضع تعجل أوانه ، فلا يجد الباشا بداً من النزول على إرادة الداعية وإجابة التماس زوجته ، فتخرج (نظيرة هانم) وابنتها (بشاير) ، ويبقى الباشا ومعه ابنته الكبرى وزوجها .

وسرعان ما يقتحم بهو البيت حيث يتربع الباشا وفد يهتفون باسمه الكريم . الوفد هم أعضاء (جمعية الفتيان المصلحين) التى يتقلد رئاستها الفخرية الباشا ولا فخر

ما أحذق تيمور فى إيراد المتناقضات الخلقية فى الشخصية الواحدة ، تلك المتناقضات التى تثير الضحك فى غير افتعال ، وتبعث معين الرحمة فى القلوب فتمتد أطرافها إلى تفاهات الإنسانية وضعفها العريق !

إغتنم الوفد فرصة مروره أمام دار الباشا فصعدوا ليذكروه بأن دار الجمعية ترحب بتشريفه لمشاهدة الموكب عن كثب ومن غير عناء . ثم يأخذ زعيم الوفد فى الإشادة ببهجة الموكب وبجلال الموكب ، فنرى الباشا يعتذر عن إجابة دعوة الوفد . ولا يعتذر ، وإذا به نهبة لتيارات جديدة ... وينصرف أعضاء الوفد هاتفين بحياة الباشا

وتبدر بعد ذلك بادرة تنم على أن الباشا بدأت تعتلج نفسه بأشياء لم يكن يحسها من قبل . ها هو يطلب إلى ابنته الكبرى أن تفتح شباك الشرفة على مصراعيه ، والشرفة تطل مباشرة على الشارع حيث تمر الوفود لتنتظم فى سلك الموكب ، هو يطلب هذا بدعوى أن الهواء محتبس فى البهو

وإذ ينتهى المذيع من قوله فى وصف روعة الموكب وقد انتظمت صفوفه فى الميادين ، نسمع الباشا يصارح ابنته فى قوته .

وها هو يقوم ويطل من الشرفة فيرى جماعة من الشيوخ والنواب فى ملابسهم الرسمية ، وهم يطوون الطريق فى سياراتهم ... إنه ينادى الخادم ، ولكن الخدم تركوا البيت لمشاهدة الموكب ... إنه يطلب إلى ابنته أن تأتيه بالسترة الرسمية الخاصة بالتشريفة ! . ولماذا ... ؟ إنه يخاف أن تكون العلة قد تطاولت عليها ! بادرات ظاهرة تنم عن لمعات نفسية باطنة يأتيها الباشا وهو لا يحس بدوافعها الحقيقية !

المذيع يلهب الفينة بعد الفينة النزعة الجديدة التى أخذت تلبس الباشا وقد أخذ يرتدى سترته الرسمية بعد جهد وجهاد . هو يتمنطق سيفه ويتخطر أمام المرآة . إنه يتعجل ابنته أن تعيد تثبيت الأزرار التى انفرط عقدها ، ثم . . .

ثم ها هو (عبد الغفور بك) جاره العزيز يقتحم البهو ويسأل الباشا أن يعيره ما يشد به (بنطلونه) !

وكيف تأتى أن يترك (عبد الغفور) زوجته وهى على أهبة الوضع ؟

وإذ ذاك يسقط القناع عما دبره (صفر) ، لقد تكلم باسم زوجة (عبد الغفور بك) واختلق مسألة الوضع اختلاقاً لييسر خروج والدته وشقيقته . . .

الباشا يتوعد ابنه ، ولكن سرعان ما ينسى أمام صوت المذيع الذى يعلن وصول القطار المقل للأمير إلى المحطة .

الباشا يدور على نفسه مصلحاً هندامه ، متعثراً بأثاث البهو ، ثم ينطلق خارجاً ووراءه صديقه (عبد الغفور بك) .

يبقى بديع وزوجته ابنة الباشا الكبرى . . .

وهنا يقول المؤلف « يراقب بديع الباشا فى ذهول وهو يهرش رأسه ، يبادل زوجته النظرات ، ويقفز جارياً نحو الباب وهو يصيح : الله ! ! إتمنعنا احنا ؟ حصليني أوامك . . . بس اوعى تنسى البرقع »

***

وهكذا يبارح « فضل الله باشا » داره لمشاهدة الموكب بعد

أن كان عاقداً العزم على البقاء فيه ، وبعد أن حاول جهده احتجاز أفراد أسرته معه .

والآن نسأل هل كان الباشا صادقاً في عزمه على البقاء في المنزل ؟؟ ولئن كان كذلك فلماذا بارح المنزل ، وأين ذهبت آراؤه ومأثورات أقواله في الاكتفاء بسماع ما يذيعه المذياع عن أوصاف الموكب ؟؟

نعم كان الباشا صادقاً في عزمته ، وكان قانعاً بالبقاء أمام المذياع مؤثراً الراحة في جلبابه وعباءته على التعب في سترته المشدودة لأن نفسه كانت لا تختلج بلاعج يثير كامناً فيها يلوح له بأطراف أمان يصبو دائماً إلى تحقيقها . وكان كذلك مخلصاً في دعوة أفراد أسرته إلى البقاء في المنزل بل واحتجازهم حوله ، لا خوفاً عليهم من أخطار الطريق المزدحم . وتطاول النظرات العابثة كما كان يجرى لسانه بذلك ، ولكن إجابة لداعى أنانية لابسته إذ ذاك . مردها – كما أسلفنا البيان – إلى ألا تكون متعة من جانب أفراد أسرته لا يريد ، أو هو لا يقدر على أن يستمتع بها أولاً !

ومرض الباشا ؟ . . . نعم إن الباشا مريض ، ولكنه مرض لا يحجزه عن الخروج إذا أراد . أما إذا لم يرد فالمرض يقفز إلى الصف الأول من الأسباب التي يصح أن يعتذر بها عن الخروج . وقد كان الأمر كذلك في أول الرواية ، ثم كان عكس ذلك في نهايتها ! !

رأينا الباشا يصمد لإغراء أقوال المذيع عن بهجة الموكب وطرافته ، ويتمسك برأيه في البقاء بالمنزل ويسفه كل رأى عداه . ولكن حدث أن هاج « الشيخ كروان » في نفسه أمنية اقتعاد مقعد في مجلس الشيوخ فهمت نفسه بشيء خفف ألهاه بعض الشيء عما كان موطناً النفس عليه ، وأخذ أفراد أسرته يتركونه الواحد بعد الآخر بحجج لم يستطع دفعها ، وجاءت هتافات جمعية الشبان ودعوتهم إياه إلى مشاهدة الموكب من مكان لائق مأمون فاتجهت أنانيته السابقة الذكر والتعليل ناحية أخرى هي التفرد بمشاهدة الموكب من مكان قد لا يوفق إليه غيره ممن خلفوه بالمنزل وخرجوا ، فكان يشرف مباشرة على مسير الموكب

اصطلحت كل هـذه الواردات وتآزرت على الباشا العنيد فجعلته يلين وجعلت لأقوال المذيع منفذاً إلى مكانة الرغبة في نفسه فسعرتها فإذا هو يندفع خارجاً وفي لبوس تأنف منه الأيام لحصلته غير صالح للظهور به في حفل كبير !

حقاً إن الإنسان لكائن متغير كصفحة الماء لا يقيم على حال ، وله في كل حال آراء ومنطق ومذاهب بفعل المؤثرات التي تطلق من أعماق النفس تيارات تسيطر عليه وتوجهه كما يريد

وحقاً إن شخصية (فضل الله باشا) هذه تقدم لنا صورة من التقلقل والضعف اللذين لفحت بهما إنسانيتنا ، واللذين يبدوان حتى في أتفه الأمور

وهناك ظاهرات نفسية صادقة وطريفة تتصيدها العين الفاحصة في بعض شخصيات المسرحية . ولعل أعجبها ما يبدر من شخصية (بديع بك) صهر الباشا . هذا المتزمت المقنع يقع في تناقض عجيب حينما تندفع رغبته المكبوتة في مشاهدة الموكب وذلك بمجرد أن يرى والد زوجته يبارح البيت فلا يبالى أن يترك بدوره المنزل مخلفاً وراءه زوجته على أن تلحق به منفردة وبغير دليل وحارس لتخوض أمواجاً بشرية من الرجال المتدافعين بالمناكب !

* * *

هذه كلمتي الأخيرة عن كتاب (ثلاث مسرحيات في فصل واحد) لمحمود تيمور قصرتها على معالجة الناحية النفسية والإنسانية في أبطال هذه المسرحيات ، وذلك باعتبار أنها الناحية الثابتة التي لا تتغير من الحقائق التي ضمنتها هذه المسرحيات ، وأنها أجدر هذه الحقائق بالشرح والتبصرة ، وأولاها باهتمام الناقد وبحكمه عليها من ناحية صدقها ومن ناحية مبلغ توفيق مؤلف في معالجتها . وقد أجريت قلمي في هذا بغير قليل من الإسهاب إرادة البيان والتبيين .

ولا شك في أن « تيمور » توخى فيما توخاه من كتابة مسرحياته هذه ، أن يقربنا بعض الشيء مما تنغلق عليه نفوسنا تارة وتنفتح عنه أخرى ، وهذا من صميم الأدب والفن ، لأن الأدب الحق هو ما قرب الإنسان إلى معرفة نفسه

زكي طليمات

هواجس مريض

على وشك الرحيل

للأستاذ على عبد العظيم

حياة كالمنيَّةِ سوف تذوى فتسلمنى المنونُ إلى المنون
وما أخشى الردى لولا عيونٌ سأتركها مقرَّحة الجفون
ووالهةٌ تذوب أسًى وهماً ستهتك حرمة الخدر المصون
تكاد تضم من هلع ضريحى وتسأله الحنو على الدفين
وتسكب فوقه أفلاذ قلب مسلسلة مع الدمع الهتون
أحس بشكلها فى جوف رمسى فيوشك أن يُجَنَّ لها جنونى
وأسمع فى الظلام لها أنينا يردده على بعـــد أنينى

***

فيا أماه قد حان ارتحالى إلى وادى الظلام فودعينى
خذينى نحو صدرك واهتفى لى بلحن المهـد فى رفق ولين
وهاتى من حديثك وابسمى لى وضميـــنى إليك وقبلينى
فَرُبَّتَ بسمة من فيك رفت على قلبى رفيف الياسمين
سأقطف من جناها العذب زادى وأرشف من مناهلها مَعِينى
وأجعلها إلى الأخرى دليلاً يقود إلى مراقبها سفينى

***

غداة غد تخب بىَ المنايا فتقذف بى إلى واد شَطون
تقنع بالظـــلام وحجَّبته عن الدنيا مغاليقُ القرون
فلا شمسٌ ترف على دجاه ولا أخلاف غادية هَتون
ظلام تعـثر الألباب فيه وتفزع منه طارقة الظنون
سميرى فيه حصباء ومروٌ ومهدى فيه من ماء وطين
ولـكنى ستؤنسنى ـ إذا ما دلفت إليه ـ أخلاق ودينى

(الاسكندرية) على عبد العظيم

أشـــعار صينية (*)

كتاب الشعر من القرن ١٣ — القرن ٨ ق . م

[إلى السيدة « ل »]

للأستاذ م . وهبة

— ١ —

حبيبـتى

عند باب المدينة الغربى ، تقف فتيات صغيرات يتضاحكن ، متمايلات خفيفات كسحاب الربيع ... ولكنى لا أبالى سحرهن ، فحبيبتى فى ردائها الأبيض وتحت نقابها الشفاف أكثر سحراً منهن

***

عند باب المدينة الشرق ، تنام فتيات صغيرات يحلمن ، جميلات ناضرات كزهور الربيع ... ولكنى لا أبالى عطرهن ، فحبيبتى فى ردائها الأبيض وتحت نقابها الشفاف أزكى عطراً منهن

— ٢ —

رســالة

حبيبى ! لا تأت إلىّ لتسأل عنى ، أضرع إليك . أنت ستكسر أشجار الصفصاف التى غرستها أمام غرفتى . أنا لا أستطيع أن أحبك أكثر مما أحببتك . يجب أن أذعن لوالدىّ . قلت لهما : « كم أحبك وكم أنت كل شىء لدى ، فأسمعانى كلاماً جارحاً

حبيبى ! لا تتسلق حائطنا . أضرع إليك . أنت ستكسر أغصان الشجيرة الصغيرة التى أسقيها كل صباح . أنا لا أستطيع أن أعطيك قلبى ؛ فإرادة أخى الأكبر صارمة ، وهو لا يريدنى أن أحبك

حبيبى ! لا تحطم الحاجز الذى اتكأنا عليه سويًّا مساء رحيلك ؛ أضرع إليك . أنت ستنزع شجرة الورد التى أشم عبيرها عند الشفق

(*) La Jlut De Jade : poésies chinsises. Franz Toussaint
L'eclition d'art H. Piazza
19, Rue Bonaparte, Paris.

— ٣ —

وحــدى

إنه الأقوى . إنه الأشجع . إنه الأجمل بين جميع المتحاربين : ذلكم من أحبه ، ولكنه الآن فى جيشه يسير نحو الشرق

هأنذا أرسل شعرى للريح الآتية من الشرق ، تداعبه !

أنا أخشى الشمس والقمر والنجوم ، ولا أحب سوى مطر الشتاء المنهمر . فقطراته أطلبها لتطفئ نارى ، ولكنها لا تستطيع

أنا أعرف من أين أجمع الزهر الذى يلهمنى النسيان . فمنزلنا الصغير يملأه عبيره ؛ ولكننى قد أغلقته . لأنى أريد أن أتألم

فإذا لم أتألم كما أتألم الآن ، فسأكون أكثر بعداً عن حبيبى

« م . وهبه »

وليم بليـــــك

WILLIAM BLAKE

يمتاز شعر وليم بليك بطابع الطفولة التى غنى بها فى كثير من قصائده مثل : أغنية المربية ، وأغانى المهد ، والطفل الساهد ، ويسمو أيضاً شعره فى الخيال كما فى قصيدة « النمر » لذلك أعتقد أنه جدير بأن يسمى « شاعر الطفولة والخيال »

دنيا الأحــلام

إصح ، إصح ، يا ولدى الفريد !

كنتَ فرح أمك الوحيد

لماذا تبكى فى النوم الجميل ؟

إصح ! والدك يرعاك يا طفلى

* * *

آه ، ما دنيا الأحلام ، ما دنياها ؟

ما جبالها ، وما أنهارها ؟

رأيت أمى هنالك ، يا أبتاه !

بين زهور الزنبق وأعذب المياه

* * *

بين الحملان ، فى ملابس بيضاء

ومشت مع ابنها تومس فى هناء

فبكيت من الفرح ، ونُحت كالحمام الساجع

آه ! متى أرجع ثانية ، متى أنا راجع ؟

* * *

طفلى العزيز ، كنت مثلك بين المياه العذبة فى هيام

إلى انتهاء الليل فى دنيا الأحلام

ولكن ، والنهر هادئ والماء دافئ فاتر

لم أستطع عبورها للجانب الآخر

* * *

أبتاه ، يا أبتاه ! ما نفعل ههنا

فى دنيا الإلحاد والخوف هنا ؟

إن دنيا الأحلام أجمل مسكناً

فوق نور الصبح ، فوق نجومنا

الزهرة العليلة

أيتها الزهرة ، أنت عليلة !

الحشرة فى ثوب الخفاء ،

التى تطير فى جنح الظلام ،

وفى الزوبعة الهوجاء ،

وجدت فراشك

المملوء فرحاً قرمزياً كالدماء ؛

وحباً مختفياً فى حجاب الليل ؛

فقست على حياتك بالفناء

(الخرطوم . بحرى السودان) محمود محمد حسين

حكمت محكمة المنصورة العسكرية فى الجنحة ن ٤٨٢ سنة ٩٤١ بحبس شلبيه السيد عامر من أوليه عشرين يوما بالشغل لبيعها أدره بسعر زائد عن المحدد



ابراهيم حلمي العمر

لا يمرّ أسبوع بدون نعيم يزفه إلى روحي بريد العراق ، فإخواني في بلاد الرافدَيْن لا ينسونني ، ولا يفوتهم أن يطلعوني على ما يجدّ هنالك من ثمار الآداب والفنون .

وكان المألوف أن أجد ما يسرني فيما يصل من الجرائد والمجلات ، فماذا وقع اليوم ؟

جاءت حزمة من أعداد « الأخبار والأحوال والزمان والشهاب » وعلى صدورها جميعاً صورة واحدة لأديبٍ من أصدقائي فعرفت أنه مات . وهل تهتم الجرائد في يوم واحد بنشر صورة لأديب إلا حين يموت ؟ !

لم يبق شكٌّ في أن الأستاذ ابراهيم حلمي العُمَر قد مات ، ولن أراه إن قُدِّرت لي زيارة قريبة أو بعيدة لأصدقائي في بغداد ، فهو أنسٌ ذهب ولن يعود ، وإني لذهابه لحزين ، أحسن الله فيك عزائي ، يا إبراهيم !

ذلك كاتبٌ سياسيٌّ مغامر ، رضى عنه قومٌ وغضبتْ عليه أقوام ، فكان ملكا عند أولئك وشيطاناً عند هؤلاء ، ولكنه في حدود ما عرفتُه كان أديباً حلو التعبير ، بارع الأسلوب ، مع أريحية عربية قليلة الأمثال . وما أذكر أبداً أني رأيت منه غير الجميل

كان إبراهيم حلمي العُمَر من أوائل الأدباء الذين نهضوا بالصحافة العراقية كما قالت الجرائد التي لم تر مانعاً من إنصافه بعد الموت ، وهل ينتفع الميت بالإنصاف ؟ !

وإبراهيم هو الذي أنشأ جريدة « لسان العرب » في دمشق منذ أعوام طوال . وقد يكون أول عراقي خلق لوطنه صداقات في الديار المصرية قبل أن يصل تعارفُ العرب إلى ما وصل إليه اليوم . ألم يقل من رثوه إنه كان من مراسلي «المؤيد» و «اللواء» ؟

سألت عن إبراهيم حين انقطع سؤاله عني فعرفت أنه مريض فغالبتُ وهج القيظ ومضيتُ لعيادته بعد الدرس الأخير في أحد أيام حزيران سنة ١٩٣٨ ، فماذا رأيت في داره يومذاك ؟

رأيت طفلاً وطفلة يتفاهمان بالتناغي قبل موعد التفاهم بالكلام ، كما تتفاهم الحمائم الموصلية ، وهما يتصاحبان ويتباغمان بصورة تشهد بأنهما يجهلان أن أباهما مريض

ومن المؤكد أن هذين الطفلين وصلا إلى التفاهم بالنطق ، وأدركا معنى الحياة والموت ، فأين من يواسي هذين الطفلين الغريرَيْن بعد انحسار ظل أبيهما الرفيق ؟

الله عز شأنه هو المسئول عن الطب لجراح القلوب

زكي مبارك

١ — من غلط لغوي كبير

في كتاب « نشوء اللغة العربية للأستاذ أنستاس الكرملي » في الصفحة ٣٥ : قال ابن فارس في كتابه الصاحبي ما هذا نصه بحروفه « زعم أهل العربية أن القرآن ليس فيه من كلام العرب شيء ، وأنه كله عربي ، يتأولون قوله جل ثناؤه : إنا جعلناه قرآناً مبيناً »

وفي جريدة الخطأ والصواب في آخر الكتاب نبه على أن (العرب) صوابها (العجم) ولكنه لم يصحح الآية القرآنية ، وصوابها (إنا جعلناه قرآناً عربياً)

٢ — بَرقة

نشر الأستاذ النشار قصيدته « برقة » وضبطها بفتح الباء . ثم جاء الأديب محمود عزة عرفة فخطأ هذا القيد وقال إن الصواب « بُرقة » بالضم . فرجعت إلى القاموس المحيط فرأيته قال : والبَرقة الدهشة وبلدة بقم وبلدة تجاه واسط القصب وقلعة حصينة بنواحي دوان وإقليم أو ناحية بين الإسكندرية وأفريقية . وفي اللباب في الأنساب لابن الأثير : البرق بفتح الباء المنقوطة بواحدة وسكون الراء . هذه النسبة إلى برقة وهي بلدة بالمغرب خرج منها جماعة كثيرة من العلماء في كل فن ... الخ . وفي معجم البلدان لياقوت : برقة بفتح أوله والقاف لسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وأفريقية . وفي « النبهج لابن جني » بسط القول في الأعلام المرتجلة والمنقوله

محمد أبو البهاء

كيف تنقح الأحاديث

طالعت ما كتبه الأستاذ محمود أبو رية تحت عنوان (رأي في تنقيح الأحاديث) ؛ وإني أشكر للأستاذ الفاضل اهتمامه بهذا الموضوع الخطير ، وأرى ما يراه من وجوب تنقيح ما تركه لنا السلف من تلك الأحاديث ، وتمييز الصحيح منها على أساس قوة السند وصحة المتن ، ولكني أخالفه في أن يكون ذلك بتغيير كتب

الحديث القديمة . إذ نرى أن نبدأ بالحديث فنتخل كتبه ، ولا نبقى فيها غير الصحيح مما يخالف متواتر النقل ، وصريح العقل ، وما أثبته العلم ، وشهد به الحس .

فهذه الكتب أصبحت أمانة تاريخية بأيدينا ، فيجب أن نبقيها على حالها ، لتشهد بحال رجال الحديث فى تلك العصور ، وتبين مقدار اجتهادهم فى تمييز ما صح من الأحاديث ، وقد جرت الأمم على صيانة تاريخها من التغيير والتبديل ، وعملت على حفظ نواحيه كلها حتى ما يرجع منها إلى الأساطير ، وهذا إلى أن عملنا سيقوم على أساس الاجتهاد ، وهو يتغير بحسب المجتهدين ، ويختلف باختلاف العصور والأحوال .

فيجب أن نبقى كتب الحديث على حالها ، وأن نؤلف كتباً جديدة نتصرف فيها كيف نشاء باجتهادنا ، ونثبت فيها ما نرى إثباته من الأحاديث ، ونحذف منها ما نرى حذفه ، وقد يأتى من بعدنا فيعمل فى كتبنا ما عملناه فى كتب من سبقنا ، فباب الاجتهاد مفتوح إلى ما شاء الله ، والكمال لله تعالى وحده .

عبد المتعال الصعيدى

فتوى فى المذاهب الصوفية

هناك ناحية أخرى من نواحى الإصلاح إلى الآن لم يتعرض لها أحد ، وهى لا تقل خطرها عن إصلاح الأزهر ، تلك هى « الطرق الصوفية » .

الطرق الصوفية مبثوثة فى القرى والدساكر ، وهى تلقن العوام وأشباه المتعلمين البدع والضلالات ، ولو كنتم ممن يسكنون القرى أو لو كنتم ممن يتصلون برجال الطرق الصوفية عن كثب لجعلتم مجهود الذى توجهونه للأزهر وحده مناصفة بينهما

وقد اطلعت على الفتوى المرسلة مع هذا فى كتاب « الجامع لأحكام القرآن للقرطبى » ج ١١ صفحة ٢٣٧ ، ٢٣٨ عند تفسير قوله تعالى : « قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى » فعسى أن تنشروها بمجلة الرسالة الغراء ليطلع عليها الملأ رجاء أن يكون فى نشرها ما ينفع

* * *

سئل الإمام أبو بكر الطرطوشى رحمه الله :

ما يقول سيدنا الفقيه فى مذهب الصوفية ؟ وأعلم حرس الله مدته أنه اجتمع جماعة من رجال فيكثرون من ذكر الله تعالى وذكر محمد صلى الله عليه وسلم . ثم إنهم يوقعون بالقضيب على شيء من الأديم . ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغشياً عليه . ويحضرون شيئاً يأكلونه . هل الحضور معهم جائز أم لا ؟ أفتونا مأجورين .

الجواب

« يرحمك الله . مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلال . وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله . وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامرى لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون . فهو دين الكفار وعباد العجل

وأما القضيب فأول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى . وإنما كان يجلس النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه كأن على رؤوسهم الطير من الوقار .

فينبغى للسلطان ونوابه أن يمنعهم من الحضور فى المساجد وغيرها . ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم . هـذا مذهب مالك وأبى حنيفة والشافعى وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين . وبالله التوفيق »

(كفر الندرة) **أحمد أحمد القصير**

النابغة الذبيانى فى كتاب المنتخب

تركت الخدمة وشغلت نفسى بالزراعة ، بعد أن أجهدتها فى مراحل التدريس كلها خمساً وثلاثين سنة . ثم أراد الله أن ذهبت يوماً إلى العاصمة ، واتفق أن جلست على مكتب لأحد الأصدقاء ، فحنّت نفسى إلى ما أَلِفته قديماً ، فمددت يدى إلى « المنتخب » الذى ينسب إلى ستة من فحول وزارة المعارف

فكان من حظى أن وقع نظرى على عشرين بيتاً « للنابغة » من عينيته المشهورة التى اشتهرت بشواهدها النحوية والبيانية ، حتى تولى شرحها شراح الشواهد كالبغدادى والسيوطى . فقرأتها فهالنى ما عنّ لى فيها من مآخذ فى الشرح والشكل والإعراب ، حتى خيل إلى أن المؤلفات المدرسية التى توجت بأسماء هؤلاء الفحول ليس لهم فيها إلا الأسماء والأرباح ، وإلا فكيف أوفق بين علمهم الغزير وخطئهم الكثير ! وإليك البيان :

عفا ذو حسا من فرتنى فالفوارع . ضبطوا الحاء بالفتح ، والمعاجم والشروح تنص على ضمها .

أتانى – أبيت اللعن – أنك لمتنى وتلك التى تستك منها المسامع

قالوا : تستك أى تضيق ، والمعنى أتتنى عنك ملامة يضيق عنها السمع ويأباها . اهـ

وليت شعرى أسمع النعمان أم سمع النابغة ؟ وأقول : إنما أراد النابغة تستك منها مسامعى فزعاً من هول وعيدك ولومك ؛ وإذا كان الضيق من معانى الاستكاك فمن معانيه أيضاً الصمم

والانسداد ، وهذا هو الذى يناسب مقام الفزع الأكبر الذى حل بالنابغة ، فجعله يمعن فى الاعتذار والاستعطاف .

مقالة أن قد قلت سوف أناله   وذلك من تلقاء مثلك رائع

ضموا تاء ، قلت : والصواب فتحها . وقالوا : سوف أناله بهجاء أو بأذى ، فجعلوا هذا وعيداً من النابغة ، لأن التهديد بالهجاء إنما يكون من الشعراء لا من الملوك . وقالوا : تلقاء بمعنى لقاء ، أى وذلك مفزع لى عن لقاء مثلك ، وفاتهم أولا أن قوله : أناله معناه أدركه على حد قوله تعالى : « وهموا بما لم ينالوا » . وثانياً أن تلقاء هنا معناه جهة أو حذاء على حد قوله تعالى : « ولما توجه تلقاء مدين » . وعلى هذا فالمعنى : أتانى وعيدك بأن سوف تدركنى أينما اختفيت ، وهذا الوعيد منك ومن مثلك من أهل القدرة والسلطان الواسع مخيف مزعج ، لا تطمئن معه نفس بعدت عنك أم قربت منك كما قال : ولا قرار على زأر من الأسد .

أتاك بقول هلهل النسج كاذب   ولم يأت بالحق الذى هو ناصع

جروا لفظ كاذب ، وجعلوه صفة للقول مجازاً عقلياً إذ يقال : كذب الرجل ، ولا أعرف كذب القول إلا على حد «عيشة راضية». والأقدمون ينصبونه حالاً من فاعل أتاك ، وألمح فى النصب إشعاراً بتعمد الكذب ، وشاية وإيقاعاً بالنابغة ، هذا أبلغ في المعنى .

بمصطحبات من لصاف وثبرة   يزرن ألالا سيرهن التدافع

كسروا لام لصاف ، والصواب فتحها ، فقد قالوا لصاف كحذام مكسورة غير منونة ، أو كسحاب منونة معربة .

فإنك كالليل الذى هو مدركى   وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

قتل النحاة والبيانيون هذا البيت شرحاً وتحليلاً ، وجعلوه من عيون التشبيهات الرائعة ، شبه النابغة النعمان بالليل فى أن كلا منهما مع ما فيه من شديد الرهبة والوحشة يغشى مطلوبه بسرعة لا تدع له منجى مهما ظن الفرار ممكناً . أما شراح المنتخب فكل ما قالوه فى شرح البيت :

فإن عقابك ومؤاخذتك كالليل ؛ أى لا أنجو من عقابك مهما اتسعت أمامى مذاهب البعد عنك والهرب منك . وبهذا أذهبوا روعة التشبيه ، إن لم نقل جانبوا غرض الشاعر .

خطاطيف حجن فى حبال متينة   تمد بها أيد إليك نوازع

قالوا : خطاطيف خبر لمبتدأ محذوف ، أى لك خطاطيف ! ؟ وأنا أناشدهم الله أفيهم من يقبل من تلاميذ الابتدائى أن يقدروا المبتدأ جاراً ومجروراً !

أتوعد عبداً لم يخنك أمانة   ويترك عبد ظالم وهو ضالع

رفعوا يترك بعد الواو ، والمدارس تعلم الطلبة أن الواو التى يليها المضارع للمعية إذا سبقها نفى أو طلب . ولست أجهل أن الرفع جائز ، ولكن المعنى على الرفع غير المعنى على النصب ، ولست أشك فى أن المعية مقصودة هنا .

وأنت ربيع ينعش الناس سيبه   وسيف أعيرته المنية قاطع

أبى الله إلا عدله ووفاءه   فلا النكر معروف ولا العرف ضائع

وتسقى إذا ما شئت غير مصرد   بزوراء فى حافاتها المسك كانع

يصف النابغة النعمان بالسخاء والشجاعة . وأن الله فطره على العدل والوفاء ، لا يعرف المنكر ، ولا ينسى الجميل ، قد تهيأت له أسباب الرفاهية ، يشرب ما شاء من أطيب الشراب فى كأس من الفضة ، كأنها لطيب ما فيها قد لصق المسك بحافاتها . وكل هذا خبر لا دعاء فيه ولا إنشاء ؛ ولكن انظر كيف حار المؤلفون الستة فى ضميرى أبى الله إلا عدله ووفاءه ، أهما لله جل شأنه أم للنعمان ؟ فقالوا فى الشرح : « أى أن الله عادل ليس النكر مقبولاً عنده ، ولا المعروف ضائعاً لديه ، وهو جاعل النعمان بإرادته عادلاً ، وإن قلنا إن الضمير يعود على النعمان كان المعنى ظاهراً . اهـ » . ثم أنظر فى البيت الأخير كيف حرفوا كلمة حافات فجمعوها حانات ، وكيف غرهم بعض الكتب فاتبعوه ؛ وقالوا فى الشرح : زوراء دار كانت بالحيرة للمناذرة . وكنع : تراكم ولزق ، والبيت دعاء للنعمان !

وليت شعرى كم حانة كانت بتلك الدار ؟ ! وما الغرض من تراكم المسك فى تلك الحانات ؟ ولم جعلوا هذا دعاء للنعمان ؟ ولو كان دعاء لفصله عما قبله لاختلافهما خبراً وإنشاء ، والدعاء طلب غير الحاصل ليحصل . فهل كان عسيراً على النعمان أن يشرب أى مقدار شاء من الخمر فى دار تراكم المسك فى حاناتها حتى يتقرب إليه النعمان بالتضرع إلى الله أن يمن عليه بذلك . إن الأقدمين فسروا الزوراء بكأس مستطيلة من الفضة ، وأرى أن البيت :

وتسقى إذا ما شئت غير مصرد   بزوراء فى حافاتها المسك كانع

ويروى : فى أكنافها المسك كارع

هذه مآخذى على المؤلفين فى عشرين بيتاً لو كانت فى المنتخب كله لعُدت كثيرة ؛ فرجائى من صاحب المعالى وزير المعارف أن يضع حداً لفوضى تأليف الكتب المدرسية ؛ فلا تقرر الوزارة كتاباً مهما علا شأن مؤلفه إلا بعد أن يعرض على لجنة من أساتذة دار العلوم الذين امتازوا بالتوسع فى علوم اللغة العربية ، ولا تقرره الوزارة إلا لمدة سنة على الأكثر

عثمان أبو النصر
أستاذ بكلية دار العلوم سابقاً



٢ـ المؤلفات العربية القديمة

وما نشر منها فى سنة ١٩٤٠

للأستاذ كوركيس عواد

٧ — **البخلاء**

للجاحظ (٢٥٥ هـ) ، الجزء الثانى . نشرته وزارة المعارف المصرية (طبعة مدرسية) بتحقيق الأستاذين أحمد العوامرى بك وعلى الجارم بك . (مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ٢٦٠ ص) الجزء الأول صدر قبل هذا

٨ — **البداية والنهاية فى التاريخ**

لابن كثير الدمشقى (٧٧٤ هـ) مجلد الرابع عشر (مطبعة السعادة ، القاهرة ٣٣٢ ص) فيه حوادث السنين ٦٩٨ـ٧٦٧ هـ ، وبه ينتهى الكتاب . المجلدات ١ — ١٣ صدرت سابقاً

٩ — **البديع فى وصف الربيع**

لأبى الوليد اسماعيل بن عامر الحميرى الأشبيلى (المتوفى حوالى ٤٤٠ هـ) . علق عليه ووضع له فهارس للرجال والأماكن والقوافى ، المستشرق هنرى بيريس Pérès المدرس بجامعة الجزائر . (المطبعة الرباطية — الجزائر)

١٠ — **تاريخ الشيخ عيسى حمادة المنوالى**

للأب أغوسطين زنده الحلبى (كان حياً سنة ١٧٧٧ م) . وهو قطعة من كتاب كبير فى تاريخ لبنان فى المائة الثامنة عشرة للميلاد . نشرها الأب بولس مسعد الحلبى اللبنانى ، فى مجلة المشرق ببيروت (٣٨ [١٩٤٠] ص ٣٢ — ٤٠)

١١ — **التبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**

لأبى المظفر الإسفرايينى (٤٧١ هـ) نشره الأستاذ عزت العطار الحسينى ، بتعليقات للأستاذ محمد زاهد بن الحسن الكوثرى وكتب الدكتور محمود محمد الخضيرى كلمة عن الصلة بين علم الفِرَق وغيره من العلوم . (مطبعة الأنوار ، القاهرة ١٣٥ ص ٣ ، فيها الفهارس)

١٢ — **تحفة الأحباب فى ماهية النبات والأعشاب**

مؤلف مجهول — من جنوب مراكش — ألفه عند مختتم القرون الوسطى . طبعه وحل مشكلاته ونقله إلى الفرنسية : (هـ . ب . ج . رينو) و (جورج س . كولان) ؛ لم أقف على خبره فى غير ما أخبر به الدكتور بشر فرس فى مجلة الثقافة (العدد ١١٣ ص ٢٨٢ — ٢٨٤)

١٣ — **تخميس همزية البوصيرى فى سيرة الرسول**

للشيخ محمد الغلامى الموصلى[١] (١١٨٦ هـ) . نشره الأستاذ محمد رؤوف الغلامى . (مطبعة محفوظ ، الموصل ، ١٢٠ ص) . البوصيرى صاحب القصيدة الهمزية ، توفى سنة ٦٩٦ هـ

١٤ — **تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر**

لأحمد باشا تيمور (أنظر الرقم ١ من هذا الكشف) . نشر هذا الكتاب سنة ١٩٣٤ لأول مرة ، متتابعاً فى اثنى عشر عدداً من مجلة الرسالة (أنظر الرسالة فى أعدادها ٤٧ — ٥٨ ، ثم طبع سنة ١٩٤٠ (القاهرة ١٦٤ ص)

١٥ — **ترغيب أهل الاسلام فى سكنى الشام**

للشيخ عز الدين بن عبد السلام السلمى الملقب بسلطان العلماء (٦٦٠ هـ) . نشره الأستاذ أحمد سامح الخالدى (الديرى) ، (المطبعة التجارية ، القدس ١٦ ص)

١٦ — **تفضيل الأتراك على سائر الأجناد**

للوزير أبى العلاء ابن حسول (٤٥٠ هـ) وهى رسالة ضمنها الرد على كتاب « التاجى » ، لأبى إسحق الصابئ (٣٨٤ هـ) كما تكلم فيها على السلاجقة والديلم والجيل . النص العربى ، نشره الأستاذ عباس العزاوى المحامى البغدادى ، وكتب له مقدمة توسع فيها بترجمة المؤلف المقدمة (ص ١ — ٢٤) والمتن (ص ٢٥ — ٥١) طبعا بالزنكغراف . وقد نقلهما إلى اللغة التركية محمد

(١) أنظر ترجمته فى « تاريخ الموصل » للقس سليمان صائغ (٢ : ١٧٦ — ١٧٩)

شرف الدين بك الأستاذ فى كلية الآداب باستانبول ونشر الكل فى مجموعة « تاريخ قورومى » التى تصدرها الحكومة التركية فى استانبول (Belleten, No. 14 - 15, pp. 235 - 206) وقد طبع من الترجمة مع الأصل نسخ قلائل على حدة

١٧ — التفهيم لأوائل صناعة التنجيم

لأبى الريحان البيروتى (٤٤٠ هـ) . ألفه سنة ٤٢١ هـ لأبى الحسن على بن أبى الفضل الخاصى . وهو فى الفلك والرياضيات . طبع بمقدمة وتعليقات (طهران ٦٧٧ ص)

١٨ — جماع العلم

لإمام المذهب محمد بن إدريس الشافعى (٢٠٤ هـ) حققه الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر (مكتبة المعارف القاهرة ١٥٠ص)

١٩ — الجمان المنضد فى مدح الوزير أحمد

لمحمد الغلامى الموصلى[1] نشره السيد محمود فوزى الغلامى ، بشرح وتعليق الأستاذ محمد رؤوف الغلامى (مطبعة محفوظ — الموصل — ص ٣٤٤) . الكتاب فى مدح الوزير أحمد باشا ابن سليمان باشا الجليلى ، الذى حكم الموصل تسع سنوات ، وتوفى سنة ١٢٣٩ هـ .

٢٠ — الحدائق

لعبدالله بن محمد بن السيد البطليوسى[2] (٥٢١ هـ) ، نشره المستشرق الأسبانى آسين بلاسيوس Miguel asin palacios مع ترجمة أسبانية بعنوان :

[Kitab Al-Hada'ia]
Ibn al sid de Badajoz Y su A Libro de los cercos

فى مجلة « الأندلس » الأسبانية فى مدريد :

Al-andalus, vol. V. fase. 1, pp. 45-154

(١) من عائلة محمد الغلامى المذكور فى الرقم ١٣ وترجمته فى « تاريخ الموصل » لصائغ (٢ : ٢٠٢ — ٢٠٤)

(٢) ترجمته فى : الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس (المكتبة العربية الأندلسية ٢ رقم ٦٣٩) بغية الملتمس فى تاريخ رجال الأندلس (المكتبة الأندلسية ٣ رقم ٨٩٢) ؛ وفيات الأعيان (١ : ٣٧٠ بولاق ١٢٧٥هـ) قلائد العقيان للفتح بن خاقان (ص ٢٢١ — ٢٣١) طبع تونس)

النص العربى مطبوع بحروف مغربية ، وهو مع الترجمة وقعا من المجلة المذكورة فى ١١٠ صحائف

الكتاب فى الحكمة والتصوف

٢١ — حديث الحكمة

لأبى الفرج المعروف بابن العبرى (٦٨٥ هـ) نشره وصحح نقله لأول مرة البطريرك أغناطيوس أفرام الأول برصوم (مطبعة السلامة ، حمص ، ص ٦٦) ، الأصل وضعه ابن العبرى باللغة الإرمية[1] ، والترجمة المنشورة هذه قد تكون لأحد كتبة المائة الرابعة عشرة للميلاد . فى هذا الكتاب لخص ابن العبرى بعض مؤلفاته فى المنطق والطبيعيات والإلهيات

٢٢ — الحيوان

للجاحظ (٢٥٥ هـ) المجلد الرابع ، نشره الأستاذ عبد السلام محمد هارون بعد أن بذل فى تحقيقه وضبطه وشرحه ما لا مزيد عليه (مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ، ص ٥٣٦) المجلدات ١ — ٣ صدرت خلال ١٩٣٨ - ١٩٣٩ بمثل العناية التى لقيها هذا المجلد . الكتاب سيتم فى سبعة مجلدات ، هذا المجلد تناول الكلام على : النمل والقرد والخنزير والحيات والظليم وغير ذلك

٢٣ — ديوان البارودى

لمحمود سامى باشا البارودى (١٣٢٢ هـ) . المقدمة لمعالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا ، والشرح للأستاذين على الجارم بك ومحمد شفيق معروف ، نشرته وزارة المعارف المصرية فى مطبعة دار الكتب بالقاهرة

٢٤ — رحلة الوزير فى افتكاك الأسير

لمحمد بن عبد الوهاب الغسانى وزير مولاى اسماعيل وسفيره إلى ملك أسبانية نشره الأستاذ الفريد البستانى (طبع فى طنجة)

(١) الأصل الارمى نشره المستشرق هرمن جانسن H. F. Janssens فى مدينة لياج سنة ١٩٣٧ ، منقولا إلى اللغة الفرنسية

٢٥ — الرسالة

للامام الشافعي (٢٠٤ هـ) ، نشرها الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر بعد أن حققها على الأصول المخطوطة والمطبوعة ، وأقدمها نسخة بخط الربيع بن سليمان تلميذ الشافعي وراوى كتبه

٢٦ — رسالة في صنعة القواد

للجاحظ (٢٥٥ هـ) نشرها الأستاذ عبد الرزاق الحصان ، في « الملحق » الثاني من كتابه « نظرة عابرة في شمالي العراق » . (مطبعة التفتيش الأهلية ، بغداد ، ص ٧٢ — ٨١)

٢٧ — رسالة في نصيحة ولي عهده مروان بن محمد ، وفي صفة تعبئة الحروب ، والحذر من العدو والمكيدة له وانتقاء القواد ، والاستعداد بالآلات والأموال

لعبد الحميد الكاتب (١٣٢ هـ) نشرها الأستاذ عبد الرزاق الحصان في « الملحق » الخامس من كتابه المذكور في الرقم ٢٦ (ص ١٠٤ — ١٣٤)

٢٨ — طبقات ابن سعد

لابن سعد (٢٣٠ هـ) ، القسم الثالث من المجلد التاسع ، فيه فهرست أسماء الأشخاص الذين ذكرهم ابن سعد في متن كتاب الطبقات الكبير . رتبها المستشرق الألماني إدور سخاو E. Sachau وحالت وفاته دون نشرها (مطبعة بريل Brill في ليدن ٢٥٨ ص) . جميع أقسام الكتاب ظهرت خلال السنوات ١٩١٧ — ١٩٢٨ ، وقد استتم الآن

٢٩ — العقد الفريد

لابن عبد ربه الأندلسي (٣٢٨ هـ) الجزء الأول . نشره الأساتذة أحمد أمين ، وأحمد الزين ، وابراهيم الابياري ، بعد شرحه وضبطه وتصحيحه وعنونة موضوعاته ، وترتيب فهارسه الوافية (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، س + ٤٧٧ ص) . هذا المجلد يشتمل على ثلاثة أقسام بحسب تقسيم المؤلف لكتابه ، وهي : كتاب اللؤلؤة في السلطان ، كتاب الفريدة في الحروب ، كتاب الزبرجدة في الأجواد والأصفاد . بقية مجلدات الكتاب تصدر بالتتابع ، ولعله يتم في نحو ثمانية أو عشرة مجلدات

٣٠ — العقد الفريد

لابن عبد ربه الأندلسي (٣٢٨ هـ) . حققه الأستاذ محمد سعيد العريان ، ونشرته المكتبة التجارية الكبرى (مطبعة الاستقامة ، القاهرة) . صدر من هذه الطبعة ستة مجلدات ، صحائفها بالتوالي : ٣٤٦ ، ٣٦٧ ، ٣٧٤ ، ٣٤٣ ، ٤١٥ ، ٣٥٠ . وسيصدر الجزء السابع وبعده الثامن ، وبهما يتم الكتاب

٣١ — غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر

لياسين أفندي ابن خير الله الخطيب العمري الموصلي[1] (المولود سنة ١١٥٧ هـ) . عني بنشره الدكتور صديق الجليلي (مطبعة أم الربيعين ، الموصل ، ١٢٨ ص) . في هذا التاريخ حوادث السنين ١٢٠٠ — ١٢٢٥ هـ

٣٢ — مسند عمر بن الخطاب

لأبي يوسف يعقوب بن شيبة بن الصلت البغدادي ٢٦٢ هـ . الجزء العاشر ، عثر على مخطوطته الفريدة الدكتور سامي حداد « أستاذ الجراحة في جامعة بيروت الأمريكية » ؛ فعني بدرسه ونشره المطبعة الأمريكية بيروت ، ٢٣٨ ص . فيها المقدمات والتعليقات والفهارس و ٤ لوحات مطبوعة على الفتوغراف تمثل بعض صحائف المخطوط . سائر أجزاء الكتاب لا تزال — على ما يظهر — في عداد الضائعات

(له بقية) كوركيس عواد

(١) ترجمته في تاريخ الموصل لصائغ ٢ : ٢٠٨ — ٢١٠

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



10me Année No. 449 | Lundi - 9 - 2 - 1942

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique


بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
٢ عن هذا العدد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٤٩ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٣ محرم سنة ١٣٦١ — الموافق ٩ فبراير سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـــــرس

كيف عالج الإسلام الفقر



ألق عن عينيك هذا المنظار السحري الذي صنعه الأدب والفن؛ ثم انظر إلى الحياة في شتى مظاهرها تجدها معركة هائلة على القوت لا تنقطع ولا تفتر. وهذه المعركة التي لا ندرك لها طولاً في الدهر، ولا عرضاً في الكون، لا تنفك رحاها تلفظ على جنباتها قتلى وجرحى؛ وأولئك هم الذين خذلهم الضعف فماتوا شهداء، أو عاشوا فقراء. أما الموت فلا حيلة لأحد فيه؛ وأما الفقر فهو الداء العياء الذي خامر الإنسانية منذ طبعها الله على القدرة والعجز، وبرأها على الكمال والنقص. وهذا الداء كان وما زال موضوع الطب الاجتماعي

يحنف بُرَحاءه بالمُرقِد، ويكفكف غلواءه بالتمائم؛ ولكن دواءه الناجع ظل من وراء إمكانه حتى وصفه الله فى دينه، وطبقه فى شرعه، فانحسمت العدوى وانكشفت البلوى وبرئت العلة.

فإذا رأيت فى وطن الإسلام طرائد للفقر وفرائس للجوع فصدِّق الله وكذِّب نفسك. إن ما ترى لم يعد ذلك الوطن الذى أشرق بنور الله وتعطر بريح الجنة، إنما هو طلل ترحّل عنه أهله، ومريض فرط فيه أُساته، ومسلمون انطمست فيهم معانى القرآن فتعبدوا بألفاظه، وحاكمون أعضلت بهم أصول الحكم فاكتفوا بصوره. فلو كان للاسلام رأى فى الحكومة وسلطان على الأمة لكان الوطن كله أسرة، والناس جميعهم إخوة، تجد فيهم الفقير ولا تجد المحروم، وترى بينهم الضعيف ولا ترى المظلوم؛ لأن شريعة الله جعلت بين الغنىّ والفقير سبباً هو البر، وأنشأت بين القوى والضعيف نسباً هو الرحمة!

***

عالج الإسلام الفقر علاج من يعلم أنه أصل كل داء ومصدر كل شر. وقد أوشك هذا العلاج أن يكون بعد توحيد الله أرفع أركان الإسلام شأناً، وأكثر أوامره ذكراً، وأوفر مقاصده عناية. ولو رحت تستقصى ما نزل من الآيات وورد من الأحاديث فى الصدقات والبر، لحسبت أن رسالة الإسلام لم يبعث بها الله محمداً آخر الدهر إلا لتنقذ الإنسانية من غوائل الفقر وجرائر الجوع. وحسبك أن تعلم أن آى الصيام فى الكتاب أربع، وآى الحج بضع عشرة، وآى الصلاة لا تبلغ الثلاثين؛ أما آى الزكاة والصدقات فإنها تُربى على الخمسين

كأنما اختار الله لكفاح الفقر أشح البلاد طبيعة وأشد الأمم فقراً ليصرعه فى أمنع حصونه وأوسع ميادينه! فإن الفقر إذا انهزم فى قفار الحجاز كانت هزيمته فى ريف مصر وسواد العراق أسرع وأسهل. ثم اختار الله رسوله فقيراً ليكون أظهر لقوته، كما اختاره أمّيّاً ليكون أبلغ لحجته

كانت جزيرة العرب إبّان الدعوة العظمى مثلاً محزناً لما يجنيه الفقر على بنى الإنسان من تَضرية الغرائز، وتمزيق العلائق، ومعاناة الغزو، ومكابدة الحرمان، وقتل الأولاد، وفحش الربا، وأكل السُّحت، وتطفيف الكيل، وعنت الكبراء، وأثرة الأغنياء، وفقد الأمن، وانحطاط المرء إلى الدرك الأسفل من حياة البهيم. فلما أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق كانت معجزته الكبرى هذا الكتاب المحكم الذى جعل هذه الأشلاء الدامية جسماً شديد الأسر عارم القوة، ونسخ هذه النظم الفاسدة بدستور متين القواعد خالد الحكمة؛ ثم كانت بوادر الإصلاح الإلهى أن قلَّم أظفار الفقر، وأسا كلوم الفقراء، وقطع جرائر البؤس، فألف بين القلوب، وآخى بين الناس، وساوى بين الأجناس، وعصم النفوس من القتل الحرام، وطهر الأموال من الربا الفاحش؛ ثم عالج الداء الأزلى نفسه بما لو أخذ به المصلحون لوقاهم شرور هذه الحروب التى أمضّت حياة الناس، وكفاهم أخطاء هذه المذاهب التى قوضت بناء المجتمع: عالجه بالسفارة بين الغنى والفقير على أساس الاعتراف بحق التملك، والاحتفاظ بحرية التصرف، فلا يُدفع مالك عن ملكه، ولا يعارَض حر فى إرادته. إنما جعل للفقير فى مال الغنى حقاً معلوماً لا يكمل دينه إلا بأدائه؛ ذلك الحق هو الركن الثالث من الأركان الخمسة التى بُنى عليها الإسلام، فلا هو فرع ولا نافلة ولا فضلة. وليست الزكاة بالقدر الذى يخفى أثره فى حياة الفقير، فهى ربع العشر فى المال، وما يُقدَّر بنحو ذلك فى غيره. فإذا جُبيت الزكاة بالأمانة على حسابها المقدَّر، ووُزعت بالعدالة على نظامها المفروض، شفت النفوس من الحقد، وأنقذت المجتمع من البؤس، فلا تجد سائلاً فى شارع، ولا جائعاً فى بيت، ولا جاهلاً فى عمل.

ولم يقف الإسلام فى علاج الفقر عند فرض الزكاة، وإنما شرع للبر فى العبادات والمعاملات موارد لا يأسن لها مَعين ولا ينقطع عنها رافد:

يحنث الرجل فى يمينه فيكفر بإطعام عشرة مساكين من أوسط ما يطعم أهله، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة

ويقسم ألا يفعل شيئاً، ثم يرى أن فعله خير من تركه، فيكفر بإطعام المساكين ثم يفعله.

ويظاهر من زوجه ثم يبدو له أن يعود، فيطعم ستين مسكيناً أو يحرر رقبة

ويرمى فيقتل نفساً عن غير عمد ، فيطعم أو يعتق فضلاً عن أداء الدية

ويعجز عن صوم رمضان لسَقَم أو هرَم ، فيفطِر ويطعم كل يوم مسكيناً .

و يفطِر عامداً فى رمضان من غير علة ، فيطعم ستين فقيراً أو يفك رقبة .

ويخل الحاج بشرط من شروط الحج فيكفر عنه بِذِبْحٍ يقدمه للمساكين .

ويتجرد عن المخيط فإذا لبس شيئاً منه لزمته الفدية .

ويُرزق الرجل غلاماً فيعقُّ عنه بذبيحة يطعمها الفقراء يوم أسبوعه .

ويقبل عيد الصوم أو عيد الحج فيجب على الأغنياء أن يرفهوا عن الفقراء بزكاة الفطر أو بلحوم الأضاحى .

وينذر المسلم لله نذراً فيوجب الدين عليه أن يفى به برًّا بالفقراء وعوناً للمساكين .

ويعجز الرجل عن تكاليف العيش فيوجب الدين على من يرثه بعد موته أن ينفق عليه ! فينفق الابن على الأب ، والأب على الابن ، والأخ على الأخ ، والزوج على الزوج ، عملاً بالقاعدة الإسلامية الحكيمة : (الغُرم بالغُنم) . ولقد رأى الفاروق عمر بن الخطاب يهودياً لا يقدر على شىء ، فوقف به ثم قال له : ما أنصفناك أيها الذي! أخذنا منك الجزية فى قوّتك ، فيجب ألا نضيعك فى ضعفك . ثم أجرى عليه من بيت المال ما يمسك نفسه

وجاءت الشريعة بالوصية لمن حضره الموت : يوصى بثلث ماله لوجوه البر فضلاً عن الوصية للوالدين والأقربين

ونوهت السُّنة بالصدقة الجارية ، فكانت بركة من بركات الرسول الكريم على المرضى والزَّمْنَى وذوى الخصاصة وأبناء السبيل وطلاب العلم وحجاج البيت ، بما وقف عليهم أولو الفضل والسعة من المستشفيات والملاجئ والخانات والزوايا والأربطة والمدارس والمساجد والمكاتب . وكفى شهيداً على أثر (الصدقة الجارية) فى علاج الفقر وإشاعة البر ، أن تحصى الأوقاف في الأقطار الإسلامية ؛ ثم تنظر فيما حُبِست عليه من وسائل الإصلاح ووجوه الخير ؛ ثم تحكم على ما قدمت لذوى الحاجات والعاهات من إحسان لا يغب وإسعاف لا يغيب

كل أولئك إلى ما جاء فى كتاب الله وفى سنة رسوله من الحث على الإنفاق فى سبيل الله ، والترغيب فيما عند الله من حسن المثوبة ، بفنون من القول الرائع والتشبيه المحكم

* * *

كذلك عالج الإسلام الفقر من طريق آخر غير طريق الزكاة والصدقات والكفارة : عالجه من طريق الكسر من حدة الشهوة ، والكف من سورة الطموح ، والغضّ من إشراف الطمع ؛ فرغّب الغنى فى الزهد ، وأمر الواجد بالقناعة ، ومدح الفقير بالتعفف .

* * *

ذلك ما عالج به الإسلام داء الفقر الذى أعيا الإنسانية منذ الدهر الأول . وهو على إحاطته وبساطته ونجوعه ينهض وحده دليلاً على أفَن الذين يقولون إن دستور القرآن لا يأتلف مع المدنية ، وشريعة نابليون أصلح للناس من شريعة الله ، ونظام ماركس أجدى على العالم من نظام محمد .

فلو أن كل مسلم أدى حق الله في ماله ، ثم استقاد لأريحية طبعه وكرم نفسه ، فأعطى من فضل ، وواسى من كفاف ، وآثر من قلة ؛ ثم قيض الله لهذا كله من ولاة الأمر من يجمعه على أكمل حال ، ويدبره على أفضل وجه ، ويوزعه على أعدل قسمة ، لكان ذلك عَسِيًّا أن يُقر السلام فى الأرض ، ويُشيع الوئام فى الناس ، فتهدأ ضلوع الحاقد ، وترقأ دموع البائس ، ويسكن جوف الفقير ، ويذهب خوف الغنى ، ويتذوق الناس فى ظلال الرخاء ، سعادة الأرض ونعيم السماء !

احمد حسن الزيات

ملحق الممتاز

فاته هذا العدد عن طائفة من المقالات القيمة لصفوة من كبار الكتاب ، سننشرها فى العدد المقبل تسجيلا لما جادت به القرائح الكريمة فى هذه الذكرى العظيمة

لابد من دين الله لدنيا الناس

لإمام المسلمين الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي



عودة يوم الهجرة للنفوس المؤمنة، كعودة الربيع للجسوم الحية. فالربيع ينشر في الكون الحياة والجمال، فيتجدد البالي، وينتعش الذاوي، ويبتهج الكئيب؛ ويوم الهجرة ينشر في القلوب النور والجلال، فيقوى الخائر، ويهتدي الحائر، ويتذكر الغُفلان. وإذا كانت الحواس لا تنتفع بالربيع إذا لم تكن شاعرة، فإن النفوس كذلك لا تنتفع بمعنى الهجرة إذا لم تكن ذاكرة. والذكرى تنفع المؤمنين إذا اقتبسوا منها الهداية والتمسوا فيها العظة؛ أما إذا كان قصارى أمرنا في الاحتفال بحوادثنا الكبرى، وشخصياتنا العظمى، أن نكتب ونخطب فما أصبنا الغرض.

إن ذكرى الهجرة هي ذكرى وضع الأساس لهذا البناء الإسلامي الشامخ الذي انبسط ظله على أكثر الأرض، وانتشر نوره في ظلام الوجود، وأوت الإنسانية منه إلى ركن شديد بالعلم، أمين بالعدل، منيف بالحضارة؛ فالمسلمون أحرياء أن يجعلوا احتفالهم بهذه الذكرى العظيمة تقديساً للدين الذي كانت في سبيله، وتمجيداً للمبدأ الذي قامت عليه، وتأييداً للشرع الذي تكشفت عنه. وتقديس الدين هو الانقياد له، وتمجيد المبدأ هو الإخلاص فيه، وتأييد الشرع هو العمل به. وما كان الناس في عهودهم الخالية بأحوج إلى هدى الله منهم في هذا العهد؛ فقد طغت فيه المادية على الشعوب حتى تعادت، وأفرطت القوة على الدول حتى تفانت، وغررت المذاهب الإلحادية بالأفهام السقيمة فلبّسوا على الناس الحق، وشبهوا على القادة الطريق، حتى زلزلت الأرض تحت علينا، وخشينا على صرح المدنية والفضيلة أن ينقضّ ذلك إيذان من الله للناس بأنهم فسقوا عن أمره فجافتهم رحمته، وحادوا عن سبيله فحق عليهم عذابه. «وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون»

لا يكشف عنا ما غشينا من هذه النقمة العميمة إلا العمل بشريعة الإسلام والاحتفاظ بتقاليد الشرق الصالحة. والرجوع إلى شرع الله في أمور الدنيا من بدائه العقل وموجبات الفطرة؛ لأن الله جلت قدرته هو الذي خلق الناس ودحا الأرض، فهو أعلم بغرائز خلقه وأسرار كونه؛ وهو أعلم بما سينشأ عن تصادم الغرائز من نزاع، وما سيشتد على خيرات الأرض من تنافس؛ وهو أعلم بما سينتجه تفاوت الناس في القدرة والحيلة من بغي الأقوياء على الضعفاء، وجور الأغنياء على الفقراء؛ فشرعه وهو الخبير البصير حقيق أن يكون حلاً حاسماً لمشكلات الحياة، وعلاجاً شافياً لأدواء المجتمع، ودستوراً جامعاً تنتظم عليه شؤون الأفراد وأحوال الأمم في كل أرض وفي كل عصر وفي كل جنس. أما تشريع الناس للناس فهو عرضة للنقص أو للخطأ من جهة الجهل أو من جهة الهوى أو من جهة التطبيق؛ وهو إن صلح لعصر لا يصلح لغيره، وإن أفاد في أمة لا يفيد في أخرى. فما بالنا ندع حكم الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم نحكّم في أنفسنا وأموالنا وأحوالنا شرائع قد لا تتفق مع عقائدنا، ولا تأتلف مع عوائدنا، ولا تستطيع أن تحيط بما أحاط به الله من خفايا الصدور ومفاجآت الغيب؟!

لا يزكو بأهل القبلة أن يولوا وجوههم شطر المغرب يأخذون عنه من المذاهب والنظم والتقاليد ما أضلّ به أهله. إنما النور في الشرق مطلع الأديان، والهدى في شريعة الله مُنزل القرآن، والدليل في سنة الرسول صاحب الهجرة، والسبيل ما سلكه السلف الصالح فأوفى بهم على الغاية.

ونرجو في مولانا الفاروق أعز الله ملكه أن يبني إصلاح الأمة على قواعد الدين، وأن يُجري قضاء الحكومة على شريعة الله، فهو بما آتاه الله من العلم والحكمة والسلطان أحق بأن يبدأ للأمة الإسلامية هذا التاريخ الجديد

أسأل الله ولي المؤمنين وأحكم الحاكمين أن يسدّد خطانا في الطريق المستقيم، وأن يكشف عنا وعن الناس هذا الكرب العظيم

محمد مصطفى المراغي

الأوامر المختومة
في المأثورات النبوية

للأستاذ عباس محمود العقاد

يكثر في الحروب الحديثة ذكر الأوامر المختومة التي تصدر إلى قوّاد السرايا والسفن ليفتحوها عند مدينة معلومة أو بعد مسيرة ساعات أو في عرض البحر على درجة معينة من درجات الطول والعرض، إلى أمثال ذلك من العلامات التي تعين بها الجهات

ويتفق في أمثال هذه البعوث أن يكون القائد وحده مطلعاً على سر البعث أو موصياً به ورجاله جميعاً يجهلونه ولا يعرفون أنهم خارجون في غزوة أو في استطلاع أو في مناورة إلى ما قبل الحركة المقصودة بساعات معدودات، وهنالك تصدر الأوامر التي لا بد من صدورها للتهيؤ والتنفيذ، ولا خوف من كشفها في تلك الساعة لصعوبة الاستعداد الذي يقابلها به العدو إذا انكشفت له قبل تنفيذها بفترة وجيزة، ولا سيما إذا كانت الحركة من حركات البحار

هذه الأوامر المختومة ليست بحديثة

وقد عرفت في المأثورات النبوية على أتم أصولها التي تلاحظ في أمثالها، ومن ذلك أنه عليه السلام بعث عبد الله بن جحش ومعه كتاب أمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين، وفحواه أن «سر حتى تأتي بطن نخلة على اسم الله وبركاته، ولا تكرهن أحداً من أصحابك على المسير معك، وامض لأمر فيمن تبعك حتى تأتي بطن نخلة فترصد بها عير قريش وتعلم لنا من أخبارهم»

وهذا نموذج من الأوامر المختومة جامع لكل ما يلاحظ فيها حديثاً وقديماً عند بداية الدعوات على التخصيص

فأولها كتمان الخبر عمن يحيطون بالنبي عليه السلام، فلا يبعد أن يكون منهم من هو مدخول النية عيناً عليه وعلى أصحابه من قبل قريش، ولا يبعد أن يكون منهم من يبوح بالخبر ولا يريد به السوء أو يدرك ما في البوح به من الخطر المحظور، ولا يبعد أن يكون منهم الضعفاء والمخالفون، والاستعانة على قضاء الحاجات بالكتمان سنة حكيمة من سنن النبي عليه السلام، وهي في حروب الدعوات على التخصيص أقمن بالاتباع

ومما لوحظ في كتاب النبي لعبد الله بن جحش كتمان الخبر عن أصحابه ووصاته ألا يكره أحداً منهم على المسير معه بعد معرفته بوجهته. وهذا هو أهم الملاحظات في هذا المقام

فقد يحارب الرجل وهو مكره مهدد بالموت الذي يتقيه إذ يفر من القتال، ولكنه لا يستطلع وهو مكره ثم يفيد استطلاعه من أرسلوه، بل لعله ينقلب إلى النقيض فيحرف الأخبار عمداً، أو يتلقاها على غير اكتراث، أو يطلع الأعداء على أسرار أصحابه وهم غافلون عنه

ولهذا تعاني الدول أكبر العناء في مراقبة الجواسيس بالجواسيس، وفي امتحان كل خبر بالمراجعة بعد المراجعة والمناقضة بعد المناقضة حتى تطمئن إلى صحته قبل الاعتماد عليه

وفي الحرب الحاضرة تجربة جديدة لهذا النوع من المستطلعين أو الرواد المتقدمين

فقد عرف أن هتلر يعتمد على أفراد من جنده يهبطون من الطيارات وراء الصفوف فيتسللون إلى مراكز المواصلات ويعيثون بين القرى المعزولة فيشيعون فيها الرعب والحيرة ويوهمون من يراهم أن الجيش المغير كله على مقربة منهم فلا جدوى لهم من الاستغاثة أو المقاومة، ويحمل معظم هؤلاء الرواد المتقدمين أجهزة المخاطبة يستعينون بها على الاتصال برؤسائهم من بعيد

قيل في الإعجاب بهذه الخطة الهتلرية كثير، وقيل في انتقادها والتنبيه إلى خطرها كثير

فمن دواعي الإعجاب بها أنها أفادت في قطع المواصلات وإشاعة الذعر وتضليل المدافعين، وأنها شيء جديد في شكله وإن لم يكن جديداً في غايته ومرماه

ومن أسباب انتقادها أن كل فائدة فيها تتوقف على العقيدة وحسن النية ، فهى تستلزم أن يكون الرائد غيوراً على عمله مستحمساً لإنجازه رقيباً على نفسه وهو بمعزل عن رقبائه ، فليس أيسر له إذا هو انفرد وأعوزته الرغبة فى إنجاز عمله من أن يستأسر فى أول مكان يصل إليه من بلاد الأعداء طلباً للسلامة ولا عقاب عليه ولا هو يتقى العقاب إلى نهاية القتال . ثم يتعلل بما شاء من المعاذير إن وجد بعد ذلك من يحاسبه ويعاقبه ، وهيهات أن تستجمع الأدلة عليه فى أمثال هذه الفوضى

فالخطة الهتلرية فاشلة لا محالة إن لم ينفذها مريدون متعصبون غير مكرهين ولا متشككين فيما هو موكول إليهم . وهى لهذا أحرى أن تحسب من وحى الطريق وإلهام العقائد لا من النظام الذى يدرب عليه كل جيش ويصلح لجميع الجنود . فلولا أن النازيين قضوا قبل الحرب الحاضرة زهاء عشر سنوات ينفخون فى نفوس الناشئة جذوة البغضاء ويلهبونهم بحماسة العقيدة ويخلقون فيهم اللدد الذى يغنى عن الرقابة ساعة التنفيذ لحبطت الخطة كل الحبوط وانقلبت على النازيين شر انقلاب

وها هنا تتجلى حكمة النبى عليه السلام فى اشتراط الرغبة والطواعية واجتناب القسر والإكراه .

فهذه « أولاً » بعثة منفردة لا سبيل إلى الإكراه الفعال بين رجالها إذا أريد .

وهى « ثانية » بعثة استطلاع لا يغنى فيها عمل الكاره المقسور ، وألزم ما يلزم العامل فيها إيمانه وصدق نيته وحسن مودته لمن أرسلوه . فإن أعوزته هذه الصفة فقد أعوزه كل شىء .

أما غرض البعثة كلها وهو الاستطلاع فقد كان النبى عليه السلام عليماً بمزاياه معنياً به غاية العناية يحسب العدو المجهول كالعدو المستتر بأسوار الحصون فى حمى من الجهل به قد يحول دون الاستعداد له بالعدة الضرورية ويحول من ثم دون الانتصار عليه

وكان عليه السلام مثلاً بين قواد الجيوش الذين جعلوا عدة الاستطلاع مقدمة على عدة التعبئة ، ومن هؤلاء نابليون الكبير

قلنا فى مقال كتبناه بالرسالة لمثل هذه المناسبة منذ سنتين : « لم يعرف عن قائد حديث أنه كان يعنى بالاستطلاع والاستدلال عناية نابليون ، وكانت فراسة النبى فى ذلك مضرب الأمثال ، فلما رأى أصحابه يضربون العبدين المستقيين من ماء بدر لأنهما يذكران قريشاً ولا يذكران أبا سفيان علم بفطنته الصادقة أنهما يقولان الحق ولا يقصدان المراء ، وسأل عن عدد القوم فلما لم يعرفا العدد سأل عن عدد الجزور التى ينحرونها كل يوم فعرف قوة الجيش بمعرفته مقدار الطعام الذى يحتاج إليه . وكان صلوات الله عليه إنما يعول فى استطلاع أخبار كل مكان على أهله وأقرب الناس إلى العلم بفجاجه ودروبه ، ويعقد ما يسمى اليوم مجلس الحرب قبل أن يبدأ القتال ، فيسمع من كل فيما هو خبير به ، ولا يأنف من الأخذ بنصيحة صغير أو كبير »

ونحن نكتب هذا المقال والحرب الروسية تذكرنا كيف أصيب نابليون فى هذا الميدان حين أصيب فى وسائل الاستطلاع ، ثم تذكرنا كيف تكررت هذه الغلطة بعينها على نوع من المشابهة بين غزوة نابليون روسيا أمس وغزوة هتلر لتلك البلاد اليوم

فمن أسباب هزيمة نابليون إهماله النصائح التى سمعها فى مجلس الحرب من بعض الثقات قبل التوغل فى الأرض الروسية

ومن أسباب تلك الهزيمة أن الروس كانوا يتراجعون أمامه تحت جنح الظلام ويخلون المدن والطرقات حتى لا يرى فيها دياراً يسأله عن مكان الجيش المتراجع أو يلتقط من خلال أجوبته ما يعينه على الاستطلاع الذى كان كما أسلفنا شديد التعويل

أما هتلر فقد أُتى من قِبَل هذين النقصين كما أُتى من قبله من هو أعظم منه وأولى بالتحرز والأناة

فقد اشتهر الآن أنه كان فى مجلس الحرب على خلاف مع قواده الثقات الذين علموا من شأن الروس ما ليس له به علم

واشتهر الآن أنه أخطأ فى استطلاعه أخبار القوم إذ خيل إليه أن الشعب الروسى يتحفز للثورة ويترقب الإغارة عليه لنصرة المغير كائناً من كان ، ولو جاءت الغارة من عنصر معاد للعنصر السلافى وهو عنصر الجرمان

ومحمد عليه السلام لم يتعلم ما تعلمه هتلر ونابليون ، ولكنه لم يخطئ قط مثل هذا الخطأ فى جميع غزواته وكشوفه . ولعلنا نفهم كلما درسنا زمانه الحافل بالعبر والأمثلة الباقية أن دراسته ضرب من دراسة العصر الحديث والقادة المحدثين .

عباس محمود العقاد

مع المفتي الأكبر

فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية ، علم من أعلام الفقه الإسلامي في مصر والشرق ، يمتاز بعلم واسع ، ونظر صائب ، وفكر ثاقب ، وقد رأى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر أن ينتفع التعليم العالي بمواهبه ، فأسند إليه منصب « المراقب العام » على الكليات الأزهرية الثلاث ، فأصبح له بهذا المنصب ، وبشخصيته العلمية الجليلة ، مشاركة في الإشراف العلمي على شئون التعليم ، يرجى أن تحقق آمال الأستاذ الأكبر في الإصلاح

وفضيلته - إلى جانب ذلك - عضو بارز من أعضاء « جماعة كبار العلماء » له فيها نشاط محمود ، ورأى مشهود ، ومقام كريم

***

زرته في داره الحديثة الطراز التي بناها في ضاحية « كوبرى القبة » فجاءت مثلاً رائعاً لعظمة البناء ، وجمال التنسيق ، ودليلاً حاضراً على ما يستطيعه « العالم الديني » من جمع بين تقوى الله ، وأبهة الحياة

تلقاني فضيلته مرحباً ، وكنت منه على موعد ، فلما استقر بي المقام ذكرت له أن « الرسالة » تعتزم أن تصدر عددها الهجري الممتاز ، ويسرها أن تسفر بينه وبين قرائها الكرام في جميع أنحاء الشرق العربي بحديث يتصل بعمله في الإفتاء ، والرقابة العامة ، وجماعة كبار العلماء

فأبدى استعداداً كريماً لإجابة هذه الرغبة ، وأثنى على « الرسالة » ثناء جميلاً ، ذاكراً عنايتها الفائقة بشئون العلم والدين ، ودعوتها القوية للثقافة الإسلامية ، وقال : إنه يعلق على ذلك آمالاً عظيمة ، فإن للرسالة في نفوس المسلمين وأهل العروبة جميعاً مقاماً عظيماً ومنزلة سامية

فأجزلت لفضيلته الشكر على استعداده وحسن ثنائه ، ثم دار الحديث بيني وبينه على هذا النحو :

١ - في الإفتاء

قلت لفضيلته : إن منصب الإفتاء منصب جليل له بالفقه الإسلامي صلة عملية وثيقة ، وقد رسم الفقهاء المتأخرون للمفتي رسوماً لا يجيزون له أن يتعداها ، وألزموه أن يفتي بآراء عينوها له ، وكثيراً ما يذكرون الحكم ويتبعونه بقولهم : « وبه يفتى » ، أو « وعليه العمل » ونحو ذلك ؛ فهل تلتزمون فضيلتكم هذه الرسوم فيما تصدرون من فتوى ، ولا تخرجون عن هذه الأقوال ؟

فأجاب قائلاً : إن الفتاوى التي أصدرها على نوعين : نوع يتصل بالقضاء الشرعي والجهات الرسمية ، وهذا أفتي فيه بما هو الراجح من مذهب أبي حنيفة ، لأن المستفتي يطلب ذلك في استفتائه ، ولأن هذا هو المذهب الرسمي في مصر ، ولو لم أتبع هذه الطريقة لاصطدم القضاء بالفتوى

أما النوع الثاني فهو الفتاوى التي أصدرها في استفتاءات غير رسمية أو واردة من البلاد الأخرى ، وأنا في هذه الفتاوى لا أتقيد برسم يرسم ، ولا بقول من الأقوال في مذهب الحنفية ، وإنما أختار القول الذي أرى دليله راجحاً وأبين سبب رجحانه عندي ، وقد أذكر إلى جانبه الأقوال الأخرى إذا طلب المستفتي ذلك أو كان الأمر يستدعي ذكرها

قلت له : أتلتزمون في ترجيحكم دائرة المذاهب الأربعة المعروفة؟

فقال : أنا لا أتقيد بالمذاهب الأربعة ، ولكني لا أخرج فيما أفتي به عن مذاهب العلماء من السلف والخلف . والسبب في ذلك أن الفقه الإسلامي غني جداً بأقوال العلماء وآرائهم فلا تكاد تجد مسألة من المسائل إلا وقد تعددت آراء الفقهاء فيها

بحيث لا تستطيع أن تجزم بأن رأياً تراه لم يقل به أحد العلماء من قبل ، فليس على الناظر فى هذه الثروة الطائلة إلا أن يختار أرجحها مصلحة ، وأقواها دليلاً ، وأشبهها بروح الشريعة ، وهذا هو الذى أسير عليه

سألت فضيلته : أكان من المفتين الذين سبقوا فضيلتكم فى دار الإفتاء المصرية من جرى على هذه الطريقة التى تسيرون عليها ؟

فقال : إن الفتاوى التى تحتفظ بها سجلات دار الإفتاء لا تدل على ذلك ، وإن كانت تدل فى كثير من الأحيان على فقه جيد ، ونظر سليم

قلت له : وفتاوى الأستاذ الإمام محمد عبده ؟

فقال : إن الناحية التى تجلت فيها مواهب الأستاذ الإمام الشيخ « محمد عبده » كانت هى إدراكه الصحيح لمعانى القرآن الكريم ، وفهمه الدقيق لأغراضه ، وتذوقه لأسلوبه ومعجز بيانه ، مع بصر عظيم بأحوال الناس ، وعبر التاريخ ، وأسرار تقدم الأمم والشعوب ، وسنة الله فى جميع الكائنات ؛ يؤازر ذلك قلب جرىء ، وجنان ثابت ، وعقل متصرف . وكان — رضى الله عنه — يعتمد فى فتاواه على إدراك روح الشريعة ، وتبين أغراضها العامة ، لا على مناقشة المذاهب ، وترجيح أقوال الفقهاء ؛ ولذلك تأتى فتاواه غالباً مختصرة ، وقد تثير خلافاً بين أهل العلم . ومن أمثلة ذلك أنه أفتى فتواه المشهورة بجواز لبس « البرنيطة » ، فقامت من أجلها ضجة هائلة بين العلماء وأهل الأزهر يومئذ ، فلما أردت أن أفتى فى هذا الموضوع انتفعت بموضع العبرة فيه ، فأخرجت فتواى التى تجيز لبس « البرنيطة » إخراجاً فقهياً مؤيداً بأقوال العلماء ، جارياً على طريقتهم فى الاستدلال والترجيح ، وبذلك لم يستطع أحد أن يشغب على هـذه الفتوى أو يثير فى شأنها جدالا

٢ — فى الرقابة العامة

شكرت فضيلة المفتى الأكبر على هذه المعلومات القيمة ، ثم توجهت إلى فضيلة المراقب العام أسأله عن آماله فيما يتصل بالتعليم الأزهرى العالى ، وعن أسلوبه فى العمل على تحقيق هذه الآمال فأجاب قائلاً :

— إننى أرجو أن تخرج لنا الكليات الأزهرية فى نواحيها المختلفة علماء يمتازون بميزتين :

إحداهما : القدرة على فهم مسائل العلوم فهماً صحيحاً واضحاً لا على استظهارها فحسب ؛ وإن لدينا من آثار الأولين لثروة عظمى فى سائر العلوم الدينية والعربية والكونية : فى اللغة والنحو والصرف والبلاغة والأدب والفقه والأصول والتفسير والحديث وعلوم التاريخ والمنطق والفلسفة وأصول الدين والأخلاق وغيرها . لدينا كنوز مبثة بالخيرات تحتاج إلى من يفتح مغاليقها ويستفيد منها ؛ والأزهرى هو الذى يستطيع أن يفتح هذه المغاليق ، ويثير دفائنها ، وهو المطالب بأن يأخذها من مصادرها ، ويستخرجها من منابتها فى صبر ومثابرة وحسن إدراك

والوسيلة إلى ذلك هى غرس المحبة للعلم فى نفوس الطلاب والأساتذة فإن الذى يذوق لذة العلم لا يعدل بها لذة أخرى ، ولا تصرفه عنها صعوبة من الصعاب . والشعور بلذة البحث أول أمارات النجاح

الميزة الثانية التى يجب أن يمتاز بها العالم هى القدرة على التصرف فيما يعلم ، لإفادة الناس به . وتطبيقه عملياً فى جميع شئون الحياة

والوسيلة إلى ذلك فيما أرى هى تشجيع الكفايات العلمية الممتازة ، وبث روح العمل والإنتاج فى محيط أهل العلم

فإذا أخرجت الكليات هذا العالم الذى يمتاز بهاتين الميزتين أمكننا أن نرى رجالاً يدرسون قواعد البلاغة ومسائل الأدب ويكونون بلغاء وكتاباً وأدباء . وأن نرى رجالاً يدرسون أصول الفقه ويكونون فقهاء ومرجحين ، وأن نرى علماء يستطيعون أن يدافعوا عن الإسلام ، ويردوا هجمات أعدائه بأسلوب هذا العصر وهكذا ...

٣ — فى جماعة كبار العلماء

قلت لفضيلته : لقد اطلع قراء الرسالة على تقرير اللجنة التى ألفتها جماعة كبار العلماء برياسة فضيلتكم للنظر فى المقترحات الهامة التى رفعها إليها بعض أعضائها . فما الذى ترونه شخصياً فى هذه المقترحات ، ومتى يتم إعداد الوسائل للأخذ فى تنفيذها ؟

فأجاب فضيلته :

لقد سررت بهذه المقترحات العظيمة منذ أول لحظة ، وأعلنت رأيى هذا فى جلسة الجماعة الموقرة التى عرضت فيها هذه المقترحات

وقلت : إن جماعة كبار العلماء منذ تكوينها مطالبة بهذه الأعمال كلها ، فإذا كانت قد تأخرت فى الماضى عن القيام بهذا الواجب فلا ينبغى لها أن تتأخر بعد الآن ، ولا سيما فى عصر حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح الغيور على دينه : فاروق الأول أعزه الله ، وبإشراف الرجل العالم المصلح المؤمن بفكرته : فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى .

وهذه المقترحات لا يتردد أحد فى إدراك ما لها من فائدة جزيلة ، ولا فى وجوبها على جماعة كبار العلماء ، فتلك طوائف الأمة تتشاجر وتتشاحن باسم الدين فى كثير من الأشياء : أسنة هى أم بدعة ؟ أمن الدين أم ليست من الدين ؟ وهذه كتب التفسير والحديث ينظر فيها من يستطيع تمييز الغث والسمين ومن لا يستطيع ، وهذه شئون المعاملات التى جدت وتجد للناس ، وهم محتاجون إلى معرفة حكم الشريعة فيها بطريقة تقضى على النزاع ، وتقطع أسباب الجدل والخصومة ، وقد اتجهت أفكار المفكرين وآراء المصلحين إلى هذه الشريعة يلتمسون أن تكون نظام حياتهم ، وأساس مدنيتهم ، فلا بد لنا إذن من العمل ، ولا بد لنا من تلبية نداء الأمة ، وإعداد أنفسنا لهذه المهمة السامية .

أنا لا أزعم أن هذا العمل هين أو يسير ، بل أعتقد أننا سنتحمل منه عبئاً ثقيلاً ، ونضطلع بمهمة شاقة ، ولكننى مع ذلك أعتقد أن تضافر القوى ، وتعاون الجهود ، والإخلاص لله ، وابتغاء وجه الكريم ، كل ذلك كفيل بتسهيل الصعاب . لذلك كله أيدت اللجنة هذه المقترحات ، وأشارت بإنشاء مكتب علمى للجماعة تمهيداً للأخذ فى تنفيذها ، ورفعت رأيها فى ذلك إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر رئيس الجماعة ، وإنى ألمس من فضيلته عناية واهتماماً بهذه المقترحات ، وأعتقد أنها أصابت هدفه الأسمى فى الإصلاح الدينى والاجتماعى الذى يبتغيه جاهداً للأمة الإسلامية الكريمة ، وفقنا الله جميعاً إلى ما فيه خير الدين والوطن .

وهنا انتهى حديث فضيلة المفتى الأكبر ، واستأذنته فى نشره فأذن ، ثم انصرفت شاكراً .

م . . .

الهجرة وشخصية الرسول

للأستاذ محمود شلتوت



كان للوحي قبل الهجرة اتجاه ، وكان له بعد الهجرة اتجاه آخر ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يساير الوحي في هذين الاتجاهين ، ويحتفظ بما يؤدي إلى الغاية منهما .

كان الوحي يدور أولاً حول تحديد الدعوة ، وبيان الغرض منها ، ولفت الأنظار إلى أدلتها ، وذكر ما ينفع فيها من قصص الأولين وعبر الماضين ، وتسلية الرسول وغرس عوامل القوة الروحية في نفسه ، وتعويده عدم الاكتراث بما يجابه به من الإيذاء والتكذيب والاضطهاد . وقد اتجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذه الناحية في تفكيره وأعماله وأقواله وسائر تصرفاته ، يبلغ الدعوة ، ويعالج الصبر على الإيذاء في سبيلها ، ويحاول جمع القلوب حولها ، ويرسم للناس دائرتها ، ويركز أصولها في النفوس ، ويعمل على إيجاد بيئة إسلامية صالحة لما يرد عليها فيما بعد من مبادئ التشريع .

فلما تمت الهجرة دخلت الدعوة في عهد جديد تكونت به للمسلمين وحدة اقتضت معاملات ونظماً اجتماعية تمتاز بها عن سائر الجماعات .

ومنذ ذلك الحين اتجه الوحي إلى جهة أخرى تسير مع مقتضيات الحالة الجديدة وتلبي مطالب هذه الأمة الناشئة ، واتجه النبي صلى الله عليه وسلم هذا الاتجاه نفسه فأضيف بذلك إلى وظيفته في التبليغ وظائف أخرى . فكان أماماً للمسلمين يسوسهم ويرعى دولتهم وينظم شئونهم ؛ وكان مفتياً يجيبهم عما يسألون ، ويعلمهم ما يجهلون ؛ وكان قاضياً يفصل في خصوماتهم ، ويقضي بينهم ، معتمداً على ما يظهر به الحق من البينات والأدلة .

وقد صدرت عنه صلى الله عليه وسلم في جو هذه الحياة الجديدة أقوال وأفعال وتصرفات مختلفة عني بها المسلمون عناية فائقة هي مضرب الأمثال في عناية الأمم بتاريخ عظمائها وتتبع آثارهم ، دونوها وشرحوها وضبطوا ألفاظها وألفوا المعاجم في شرح غريبها ، واهتموا بتفهم أسرارها ، وتبين أغراضها حتى كان من آثار ذلك أن نشأت علوم خاصة تعرف « بعلوم السنة » من رواية ودراية وتجريح وتعديل وناسخ ومنسوخ وغير ذلك .

* * *

يهم الناظر في التشريع الإسلامي أن يعرف : هل كان النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما يروى عنه من هذه الأقوال وتلك الأفعال والتصرفات مُصدراً عن الوحي ، ناطقاً بلسانه ، أو كان له إلى جانب الوحي فيها تفكير ونظر واجتهاد ؟ ذلك ما نريد معالجته في هذا البحث .

يرى بعض العلماء أن النبي صلى الله عليه وسلم مبلغ عن الله فقط . تنحصر مهمته في تبليغ الوحي وما يتصل به من بيان على الوجه الذي ضمنه الله بقوله « فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه »

ويرون أن صفة الرسالة فيه غلبت على صفة البشرية ، وأنه عليه الصلاة والسلام تمحض في استعداده لحمل الرسالة وتبليغ الأمانة ، معتمدين في ذلك على ما فهموا من قوله تعالى : (إن هو إلا وحي يوحى) بعد قوله : (وما ينطق عن الهوى) .

رأوا هذا ورتبوا عليه أن كل ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم شريعة من الله رب العالمين ، لها صفة الدوام والبقاء إلى يوم الدين ، والناس مخاطبون بها في كل زمان ومكان ، لا يجوز لهم أن يحيدوا عنها قيد شعرة ، ومن حاد عنها أو سوغ لنفسه أن يتصرف فيها ، فذلك خارج على شريعة الله ، مخالف عن أمر الله ، غير جدير بأن يكون من المؤمنين .

يقولون ذلك ويتشددون فيه ، ولا يفرقون بين أقواله وأفعاله وأحكامه وأقضيته وسائر تصرفاته في العبادات والمدنيات والجنائيات والطب والسياسة والحروب والعادات والزي واللباس وآداب الطعام والشراب والجلوس والسير في الطريق وما يكون

من الأحوال الشخصية والمسائل الجنسية وغير ذلك ، فكل هذا وحى من الله ، بعضه ظاهر وبعضه باطن ، وكله شرع محكم ، ودين متبع لا يجوز الخروج عليه ، ولا التصرف فيه .

وقد نجد قوماً منهم يستثنون من ذلك بعض الأشياء التى لا تتصل بالنواحى التشريعية كرأيه صلى الله عليه وسلم فى تأبير النخل ، أو فى اختيار مكان ينزلون فيه للحرب أو نحو ذلك ، ولكنهم حين يتحدثون عن هذا الاستثناء يحتاطون فى الأمر تمام الاحتياط ، فيضيقون دائرته ولا يتوسعون فيه .

* * *

لقد جاءت الشريعة الإسلامية « بالاجتهاد » ، وأمر الله عباده أولى الأبصار بأن يعتبروا ، وينظروا ، ويتدبروا كتابه الكريم ، وقد كان الاجتهاد سنة الأنبياء والمرسلين من قبل ، والقرآن يحدثنا بذلك عنهم كما فى شأن يحيى إذ آتاه الله الحكم صبياً ، وكما فى قصة داود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم . وقد ذكر الله جملة من أنبيائه ورسله ، وأثبت لهم جميعاً هذا المعنى بقوله : « أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة » ؛ ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى الآيات نفسها : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » .

فالنبى إذن مأمور بالسير على سنة الأنبياء والمرسلين من قبله ، مأمور بأن يقتدى بهديهم ، وهذا أمر تقضى به طبيعة الأشياء ، لأنه لا يعقل أن يرسل الله رسولاً فى وقت نبغت فيه الإنسانية ، واشتد ساعد الفكر البشرى ، ثم يحرمه النظر والتفكير الذى أباحه لإخوانه الأنبياء فى طفولة الدهر وشباب الزمان ، وأباحه أيضاً لتبعيه الذين يدعوهم إلى دينه ويأمرهم بالعمل بشريعته .

كيف يسوغ لأحد أن يقول بحرمان النبى صلى الله عليه وسلم من الاجتهاد ، وهو مرتبة علمية من أسمى مراتب الفطنة البشرية والبصيرة الإنسانية ؟ أيمنحها الله لذوى العقول وأرباب البصائر ، ثم يحرمها على الإنسان الكامل ؟

كأنى بهؤلاء يرون رسالة الرسول أمراً يتعارض مع بشريته . ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع رسالته وقبل رسالته بشراً اكتملت فيه جميع معانى البشرية الفاضلة . ولم يشأ الله أن يرسله حتى بلغ أربعين عاماً لتنضج بشريته وتكمل رجولته ، فلا تطغى عليها الرسالة ولا تسلبها خصائصها . وقد عنى القرآن الكريم بأن يؤكد هذا المعنى فى كثير من آياته : « سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولاً » . « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ » . ومن زعم أن رسالة النبي قد غلبت على بشريته وقضت على لوازمها السامية فقد تلاقى فى رأيه من قريب أو من بعيد بالذين يقولون « أبعث الله بشراً رسولاً »

* * *

إن النبى صلى الله عليه وسلم بشر وفى أسمى مراتب البشرية ، وقد اكتسب بذلك شخصية الفقيه المجتهد كما منح شخصية الرسول المبلغ عن الله . وهو (أول الفقهاء) كما أنه (خاتم الأنبياء) .

فلننظر إذن فيما ورد عنه صلى الله عليه وسلم على هذا الأساس الذى يجمع بين الرسول والفقيه

اقتضت حكمة الله أن يسوس عباده ، ويحقق مصالحهم بنوعين من التشريع : نوع يتولاه بنفسه وينص فيه على ما يريد ويرسل به الوحى إلى نبيه . ونوع آخر (يسكت عنه) فلا ينص عليه غيرَ نسيان ولا إهمال ، ولكنه (رحمة بعباده) يكله إلى أصحاب الرأى والنظر لاختلاف المصلحة فيه باختلاف الظروف والأحوال . وقد قام (محمد النبى) بحق رسالته فبلغ النوع الأول كما أمره بتبليغه . وقام (محمد الفقيه الأول) بحق بشريته : رسم طريقة الاجتهاد ، وعنى بالتطبيق العملى عليها ، وبأن يعبّدها لمن يجيء بعده من الخلفاء والقضاة والأئمة : اجتهد وقاس وحكم ، وأفتى بالحاجة وتقدير المصلحة ، وساس الأمة بما أراده الله كما هو الشأن فى المجتهدين والحكام

١ — اجتهد فى الحروب وفى الأمور الدنيوية

٢ — واجتهد فى الأحكام الشرعية ، فأفتى المرأة التى سألته عن حجها لأبيها بقوله : « أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته أما كان يقبل منك » ؟ وأفتى السائل عن قُبلة الصائم بقوله : « أرأيت لو تمضمضت بماء ثم مججته أكان يضرك » ؟ وأفتى السائل عمن لامس امرأته أيكتب له أجر وهو يقضى شهوته ؟ فقال له : « أرأيت لو وضعها فى حرام أيكون عليه وزر ؟ »

٣ — ونزل على اجتهاد غيره فاستثنى « الأذخر » فى تحريم شجر مكة حين استثناه العباس . ودعا للمقصرين كما دعا للمحلقين ، وأذن فى غسل القدور التى طبخت فيها لحوم الحمر الأهلية بعد أن أمر بكسرها ، ونزل المنزل الذى أشار عليه أصحابه بأن ينزل فيه

٤ — وكان يجتهد ثم ينزل الوحي بخلاف اجتهاده ، وقد يسكت عنه فلا يعرض له بتصويب ولا تخطئة : عاتبه الله على الإذن للمنافقين ، وعلى أخذ الفداء من أسرى بدر ، وعلى إعراضه عن الأعمى ، فكان ذلك إيذاناً من الله بتخطئته في اجتهاده ، ورجع هو عن اجتهاد باجتهاد بمجرد النظر والتجربة فقال : « لقد هممت أن أنهى عن الغيلة[1] فنظرت في الروم وفارس فإذا هم يغيلون أولادهم فلا يضر ذلك أولادهم شيئاً » .

وقال : «لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لما سقت الهدْى»

٥ — وكان يحكم في الحوادث الجزئية التي ترفع إليه ، ويعتمد في حكمه على البينات وحجج الخصوم ويقول : « لعل أحدكم ألحن بحجته فإنما أنا بشر »

٦ — وكان يكل الجهاد إلى أمرائه وقضاته دون أن يقيدهم بالرجوع إليه

٧ — وكان يسارع أحياناً إلى الجواب عما يسأل عنه من غير أن يتربص لوحي ، وأحياناً ينتظر أمر الله ويقول لم ينزل علىّ فيه شيء كما في حادثة المرأة التي جادلته في زوجها ، وكما في حادثة الرجل الذي قذف زوجته ، فقد نزل القرآن بتشريع كفارة الظهار وشهادات اللعان

ولعل الأمر فيما ينزل فيه الوحي وفيما لا ينزل ، وفيما يجتهد فيه الرسول وفيما لا يجتهد راجع إلى الفصل بين الشئون التي تتعلق بأساس الدعوة ، أو بالجانب الخلقي ، أو بالعبادة ، وبين ما تختلف فيه المصلحة باختلاف الظروف والأزمنة والأشخاص ، وقد حدد الفقهاء المجتهدون بذلك مواضع الاجتهاد ومواضع النص

* * *

نستطيع بعد هذا أن نستخلص للنبي صلى الله عليه وسلم شخصيات متعددة : شخصية الرسول ، وشخصية الإمام العام ، وشخصية المفتي ، وشخصية القاضي

فهو بشخصية الرسول مبلغ عن الله لا يخرج فيما أوحى إليه عن حدود ما أمر به أو نهى عنه ، والمسلمون مكلفون به كما تلقوه عنه في عمومه أو خصوصه ، وفي دوامه أو توقيته ؛ وهذا يغلب فيما هو من العقائد وأصول الأخلاق والعبادات ، ولا يعد النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقيهاً ، وإنما هو أعلى شأناً وأجل مكانة من الفقيه

وهو بشخصية الإمام الأعظم رئيس المسلمين ، وزعيم قوميتهم يعمل على تركيز أمته ، وطبعها بطابع تتميز به عن سائر الأمم ، ويلحق بذلك كل ما ورد عنه مما يتعلق بالملبس والأزياء والتشبه بقوم ومخالفة اليهود والنصارى والمجوس والمشركين ، وما إلى ذلك مما لا يمس ناحية العقيدة ، ولا يعقل فيه معنى التعبد ؛ وإنما هو في الشئون الاجتماعية البحتة التي تعرفها الأمم في كل العصور والأجيال ، وينزع إليها الزعماء والقادة في القديم والحديث ، والأمر فيها راجع إلى ما تراه الأمم . وتقدر فيه قوميتها ومصلحتها وسيادتها

وهو بشخصية المفتي إما مجيب بلسان الوحي فليس له اجتهاد في ذلك إلا في تطبيق النص على جزئيات الحوادث ، وإما فقيه يجتهد ويقدر ويلاحظ أحوال السائلين فيجيبهم بما يراه كما يفعل سائر المجتهدين وبالطرق التي يألفها الناس في استنباط المجهولات ، وقد علم له من هذا النوع كثير

وهو بشخصية القاضي حكم بين المتخاصمين يسمع دعاواهم ، ويتعرف الحق بما يسمع من شهادة الشهود وما يرى من وجوه التثبت ، ويقدر ظروف القضية وأحوال المتقاضين كما يفعل سائر القضاة ، وأحكامه في هذه الدائرة لا عموم لها في الأشخاص ولا في الأحوال كما يقول علماء الأصول ، فليس لها صفة التشريع العام

* * *

هذه شخصيات أربع صادت إليه صلى الله عليه وسلم أثراً من آثار تلك الهجرة الميمونة . وإننا لنلمح هذه الشخصيات في جميع ما أثر عنه ودوّن في الكتب ، ومنه ما تظهر الشخصية التي صدر عنها دون أن يخالف فيه أحد ، ومنه ما تخفى شخصيته خفاء تتفاوت الأنظار فيه ، وتختلف الآراء في تقديره

ولو أننا تتبعنا المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعطيناه نظرة فاحصة يتميز بها ما كان صادراً عن كل شخصية من هذه الشخصيات ولم نخلط بعضها ببعض ، ورتبنا على كل منها آثاره ، وأعطيناه حقه ، لسهل على المسلمين أن يتفاهموا فيما شجر بينهم من خلاف ، ولتصافح المتخالفون ، ولما رمى أحد سواه بالكفر أو الزندقة ، ولعلم الجميع ما هو شرع دائم عام لا سبيل إلى مخالفته أو الخروج عنه ، وما هو تشريع خاص ، أو مؤقت

---

(١) الغيلة هي أن ترضع المرأة ولدها وهي حامل

لهم أن يتصرفوا فيه بما تقضى به المصلحة ، وبما توحى فيه الظروف والأحوال

لو فعلنا ذلك لما أبقينا على أسباب هذا الخلاف والتناكر بين أفراد الأمة وطوائفها ، ولرجعنا إلى كلمة سواء فى العبادات والمعاملات والآداب والنظم الاجتماعية وسائر شئون الحياة ، ولانتفع الناس بشرع الله ودينه . ولكنا كما يريدنا الله (خير أمة أخرجت للناس) . وفقنا الله جميعاً إلى الرشاد وبصرنا بالحق والصواب

محمود شلتوت
وكيل كلية الشريعة
وعضو هيئة كبار العلماء

ساعة فى ظلال الجنة

للأستاذ عبد الله عفيفى بك

الطريق من جدة إلى مكة غاص مزدحم ، يتدفق بالركب العظيم

والركب أروع ركب وأحفله ، وأشده إثارة للقلب والعاطفة والخاطر والخيال . فيه الركبان من كل لون ، وفيه المشاة من كل قبيل .

وفيه العابدون السائحون الذين صدروا عن أهلهم وأوطانهم منذ بضع سنين مشاة يستبقون إلى الله فى بيته الكريم . وفى هؤلاء من ساروا يحملون أثقالهم وأحمالهم والشيوخ المستضعفين الذين لا يطيقون المشى من الرجال والنساء ، وفيهم الوالدات يحملن أطفالهن وراء ظهورهن ويرفعن فوق رءوسهن أزواد الركب الكبير . وقد انتشر هذا الخلق الحاشد على الوادى الممدود بين الجبال المتناوحة فى قوة وعزيمة وفى صمت وجلال . يتم الشمس تؤذن بالثواء ، والليل من ورائها ينشر رواقه على الصحراء الإلهية الآخذة بمجامع القلوب

« لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » هذا هو النشيد السماوى الذى كان ينبعث من أعماق القلوب فتخشع له السموات والأرض والجبال ، وتتحطم فى جنباته كل نفس عاتية وكل قلب حديد

وسارت السيارة بى وبرفاقى متئدة متمهلة فى جلال هذا الحشد العلى الذى تغيب فى جلجلته ضجة الجيش القاهر . وتخفت لعظمته قعقعة السلاح العتيد

جوزنا الركب العظيم وأنا فى غاشية وجدانية ملكت علىّ الطريق . أبعد ساعة أو بعض ساعة أكون فى البيت الحرام ، وحول الكعبة التى تشخص إليها وجوه المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وأقف بين مقام ابرهيم وحجر اسماعيل ؟

وأخيراً انتهى الوادى ، وانفرجت الجبال ، وتراءت لنا عن بعد أنوار مكة

الله أكبر ! لبيك اللهم لبيك ! سبحانك يا من سبحت له السموات والأرض ومن فيهن ! تعاليت يا رب الأرباب ! أهذه السمات كان يشمها رسول الله . وهذه الأرض كانت تطؤها قدماه !

وسارت السيارة فى أحياء مكة حتى انتهت إلى ما بين عتيقين فى أقصى الطريق فوقفت ، وقال السائق هذا هو البيت الحرام !

نزلت وأنا ثابت ، لا أستطيع الحركة ، وأبصرت فإذا الكعبة تلوح عن بعد ، والمؤمنون يطوفون من حولها ، فأحسست بأن هذا المشهد من مشاهد السماء . . . !

دخلت البيت وكأننى روح من الأرواح تجرد عن هذه الدنيا وألقى وراء ظهره أحمالها وآمالها وآلامها وصار لا يشعر إلا أنه فى ظلال الجنة

أنا الآن ذاهل اللب ، مخطوف القلب ، مهمل العينين ، أهتف بالتلبية ، وأنشج بالبكاء

وعلى الكعبة جلال من جلال الله ، وجمال من جمال الفردوس ، وروح من أرواح العرش ، لا يراه الراؤون إلا خفوا هياماً به ، وحنيناً إليه . وأقسم لقد طفت بالكعبة طواف القدوم وقبلت الحجر الأسود ، ووردت ماء زمزم ، وشربت منها عَللاً بعد نهل ، وأنا لا أدرى إلا أننى فى جلوة سماوية ، أو حلم بديع .

خرجت وقد تعلق قلبى بالكعبة ، فلا أطيق الصبر عنها ، وعدت إليها فى السحر ، وسمعت أذان الفجر ، وأقيمت الصلاة . فوقف الناس صفوفاً حول الكعبة ، واستمعوا القرآن الكريم من إمام عذب الصوت ، جميل الترتيل ؛ وما أسماه موقفاً ، وما أطيبها متعة ، وما أخلدها لحظات !

وابتسم النهار ونحن جلوس بجانب المقام ، وللكعبة بهاء أكثر إشراقاً من بهاء النهار .

هي قوة روحية من قوى الله ، تلك التى يفيضها رب البيت على الوافدين إلى البيت .

آمنت بأن هذا البناء المشرف المظلم هو الذى بث روح الإيمان ونور اليقين فى نفوس المؤمنين . حتى شقوا الطريق بهذا الدين إلى أرجاء العالمين .

وتمثلت فى هذا الموقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى طريق هجرته إلى المدينة ، وقد وقف على ظهر ناقته واستشرف لعله يرى معالم مكة ، ثم ناجاها بقوله الكريم : « إنى لأعلم أنك أحب البلاد إلىّ ، وأنك أحب أرض الله إلى الله ، ولولا أن المشركين أخرجونى منك ما خرجت » .

هكذا أقمت فى مكة وفى منى وعرفات والمشعر الحرام ثمانية أيام ، وعدت إلى الكعبة وأنا أشم منها روح الجنة ، وأرى فيها بهاء السماء .

اللهم أعدنى إلى مكة ، فإنى أجد الشوق شديداً ، وما زال العهد غير بعيد

عبد الله عفيفى

رسول الله في عرفات

للدكتور عبد الوهاب عزام



أما اليومُ فتاسعُ ذي الحجة، وأما السنةُ فالعاشرة من الهجرة، والحجيج يسيرون من منى إلى عرفات، فما بال الناس لا يسيرون على السَّنَن المألوف، ولا يفعلون ما كانوا يفعلون؟ ما بالهم لا تفرّقهم العصبيات، ينحازون إلى الرايات؟ ما بال القبائل لا تلبّي لآلهتها ولا تهيب بأصنامها؟ عجباً، لا تذكر الآلهة حتى اللات والعزّى ومناة، ولا تسمى الأوثان حتى وَدّ وَهُبل؟

كلا، كلا، قد تتابع القوم في سمت وخشوع، فأين الجلبة والضوضاء، والتفاخر بالآباء؟ وإن قريشاً تتجاوز المزدلفة مع الناس إلى عرفات؛ فكيف سوت نفسها بالقبائل، ورضيت أن تسير إلى هذه المنازل؟ لست أرى ما غير قريشاً من غيرهم، ولا الُحمس ممن عداهم، وأين النَّسأة من كنانة؟ لا ترى لهم شارة ولا موكباً ولا تبصر منهم أحداً. ماذا دها العرب فغيّر سننهم؟ بل من ذا الذي جاءهم فجمع شملهم ووحد كلمتهم وأخلص لله دعوتهم؟ إن هذا لشيء عجاب. كنا قبل سنتين نسمع الضجيج والضوضاء، والتصدية والمُكاء، ونرى كل قبيلة تنحاز إلى علمها وتنادي ربها، فمن مُشيد بالأوثان، ومن مُناد: لبيك ربّ كنانة، أو لبيك ربّ همدان؟ فاستمع اليوم: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك!

قد تغيرت الدعوة واختلف الشعار، وتبدلت السيما والسيرة، ما عهدنا هذا من قبل!

والشيطان ذليل حسير قد أوى إلى صخرة على جنب الطريق يرقب الوفود المتآخية بل الأخوّة المجتمعة، يرمي الجموع بعينه خزيان، ويعض بنانه حيران، يقول: «ويلي من محمد! لقد أخرب بيوتي من هذه الأوثان، ومحا البغضاء والشنآن. لقد ذهب النزاع والخصام، وأفلت من يدي الزمام. ويلي من محمد! ألم يكن بالأمس يغشى هذه المجامع وحيداً، ويرتد عنها مخذولاً؟ ألم يكن يعرض نفسه على القبائل لتجيره، فيلقى الغلظة والجفاء، والهزء والسخرية؟ ويلي من محمد! لست آسى على الحجاز وحده ولا على جزيرة العرب فحسب، إني لأوجس خيفة أن يجاوز هذا التوحيد الجامع، وهذه الأخوة الموحدة، حدود الجزيرة، فتدمر منازلي من معابد الوثنية، وقصور الجبارين، وتمتد إلى كل بقعة تزلزلها الفرقة، ويسيطر عليها الظلم، ويشيع فيها الفساد، وتتغلغل فيها الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ويرفع فيها لواء الباطل فوق كل لواء. ويلي! لقد جاهدت محمداً في داري ثلاثاً وعشرين سنة واستنصرت شياطين الإنس والجن، وحشدت جنود الباطل، وخيل إليّ مراراً أني أشرفت على الظفر في هذه الجموع التي تسير وراء محمد وتدعو بدعوة محمد ومن أنه يوم له ما بعده»

يسير رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرة آلاف من الحجاج إلى عرفة وهذه قبة ضربت له في نمرة فينزل بها

زالت الشمس فأمر رسول الله بناقته القصواء فرُحِلتْ فركب حتى أتى بطن الوادي وادي عُرَنة فوقف واجتمع الناس وأصاخوا للخطبة التي لم يخطب الرسول مثلها في مثل هذا الجمع الحاشد، والوصية العظمى التي يوصي بها الرسول أمته في حجة الوداع، والبلاغ الأكبر يوم الحج الأكبر يؤذن الناس بكمال الدين وتمام النعمة، وتمكن الإسلام[1] ووقف ربيعة بن أمية ابن خلف على مقربة من الرسول يبلغ الحجيج بصوته الجهير مقال رسول الله

ألهم الرسول أنه بلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، وأن الدين قد كمل ونعمة الله قد تمت، فقال: «أيها الناس اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً.»

---

(١) في هذا اليوم نزلت الآية الكريمة: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً»

وعلم رسول الله أن التوحيد الذى جاء به الإسلام كفيل بتوحيد الله على مر الدهور ، وأن الكتاب الذى بلّغه ضمين ألا تعبد الأوثان من بعد ، وأن العقول التى حرّرها تستنكف أن ترتكس فى أباطيل الجاهلية . فليس يخشى على أمته الشرك ولكن يخشى أن يستجيبوا للشيطان فيما عدا التوحيد فى أمور يحسبونها هينة وهى عظيمة الأثر فى نظام الجماعة وأخلاقها ، حرية أن توهى القوة ، وتفرّق الكلمة ، وتعطل العقيدة الصالحة . وذلكم كل كلمة تؤدى إلى فرقة ، وكل فعلة من الظلم والعدوان أو الرذيلة والمنكر . عرف هذا خاتم النبيين فقال : « إن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه ولكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم » .

ثم وكد الرسول ما بلغه وعلمه ثلاثاً وعشرين سنة من حرمة الدماء والأموال والأعراض . وكد ما أبطل به الحروب المتمادية ، والغزوات المستمرة ، والثارات المستعرة ، وما هدم به جاهلية العرب هدماً ، وردّها شرعاً من السلام والوئام ، وسلطان القانون العام ، فقال : « أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وحرمة شهركم هذا ... وإن كل دم فى الجاهلية موضوع ، وإن أول دم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب ؛ فهو أول من أبدأ به من دماء الجاهلية .

ثم عمد الرسول الذى علم البر بالفقير وجعل له حقاً فى مال الغنى ، وعطف القلوب بعضها على بعض وأشعرها البر والمواساة ، وعمد إلى هذا الإثم الآثم ، والجرم المنكر ، الذى تتبرأ منه الأخلاق والمروءة ، هذه الشرعة الدنيئة التى تحكم الغنى فى رقبة الفقير بدراهم معدودات ، وتتغلغل فى الأخلاق والأموال تغلغل السوس ، فأعاد ما وكده الكتاب والسنة من إبطال الربا ، وأعلن أنه سواء منه ما تقدم وما تأخر قد محقه الله ومحق آثاره فقال : « وإن كل ربا موضوع ، ولكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . قضى الله أنه لا ربا ؛ وأن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله »

ولم ينس النساء وقد أنقذهن من الوأد وأشركهن فى الإرث وجعل « لهن مثل الذى عليهن بالمعروف » وشرع لهن الشريعة الكافلة سعادتهن وسعادة الأمة . لم ينس النساء فى هذا الموقف العظيم الذى يوصى فيه بأصول شريعته قال :

أما بعد أيها الناس فإن لكم على نسائكم حقاً ولهن عليكم حقاً ... واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ... فاعقلوا أيها الناس : « ليت النساء أخذن الحقوق وأدين الواجبات . ليت ثم ليت »

ثم وكد نبى التوحيد والأخوة ما بنى عليه شرعه من التراحم والتآخى والمساواة والمواساة ، وأن الناس سواسية كأسنان المشط سواء فيهم الأسود والأبيض ، كلهم لآدم وكلهم عباد الله وكلهم إخوة فى الله . قال الرسول الأكرم : « إعقلوا أيها الناس واسمعوا قولى فإنى قد بلغت وتركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً : كتاب الله وسنة نبيه ... أيها الناس : اسمعوا قولى فإنى قد بلغت ، واعقلوا تعلمُنَّ أن كل مسلم أخو المسلم ، وأن المسلمين إخوة ؛ فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه من طيب نفس ، فلا تظلموا أنفسكم . اللهم هل بلغت ؟ »

قال الحاضرون : نعم . قال الرسول اللهم اشهد .

ذلكم ما أوصى به الرسول يوم الحج الأكبر فى حجة وداعه ، وتلكم حقوق الإنسان دوّت بها أرجاء العالم قبل ألف وثلاثمائة وخمسين سنة ... تلكم وصايا الرسول لأمته تدوى بها الأجيال ، وتسمعها الآذان ، فأين منها الأعمال « إن فى هذا لبلاغاً لقوم عابدين »

عبد الوهاب عزام

شروط الاجتهاد في الفقه الإسلامي

للأستاذ محمد محمد المدني



كان الفقهاء الأولون من المسلمين مُثُلاً عليا في النشاط العلمي، والتفكير العقلي، والجرأة على الدراسة والشجاعة في مواجهة الحقائق. درسوا كتاب الله وسنة رسوله، وفهموا مقاصد الشريعة، وأدركوا أسرارها، وعرفوا أحوال عصرهم، وعادات قومهم، واجتهدوا ما وسعهم الاجتهاد، ولم يقصروا في ناحية من نواحي النظر، حتى ملئوا طباق الأرض علماً، ووسعوا دائرة الفقه، وجعلوا من مباحثه صوراً تمثل حياة الناس في عصورهم تمام التمثيل، ونشروا علمه الخفاق على دور الحكم والولاية والقضاء، ومراكز الإدارة والسياسة ودوائر الأموال والأعمال!

ثم دار الزمان دورته، وجاءت من بعد ذلك عهود ركدت فيها ريح الفقه، وغلِّقت أبواب الاجتهاد، وأصبح الفقهاء رواة لمن كانوا قبلهم يرددون أقوالهم، ويشرحون عباراتهم، ويدرسون ألفاظهم، ويتعصبون لمذاهبهم، وابتعدوا بالفقه عن الحياة الواقعية، واحتفظوا منه بصور أثرية تتحدث عن عصور منقرضة وتصف أحوالاً مندثرة؛ وكان من آثار ذلك نفور أهل الحكم والسلطان منه لشعورهم بأنه على صورته التي صار إليها لا يلبي حاجات الأمم، ولا يصلح عيوبها، ولا يحل مشاكلها. وكان من آثار ذلك أيضاً أن انقطعت الصلة بين أهله وبين المجتمع، إذ أصبحوا غرباء عنه، يعيشون في واد غير واديه، ويدرسون أحوالاً غير أحواله.

ثم كان من آثار ذلك أن دخلت التشريعات الأجنبية على بلاد المسلمين؛ فأصبحت دستور الحكم، وأساس الإدارة، وقانون القضاء، وعماد النظام في كل ناحية من نواحي الأعمال!

هكذا كان الفقه وهكذا صار!

* * *

كثيراً ما أسائل نفسي: هل كان الفقهاء الأولون طرازاً غير طراز سائر الناس؟ هل منحهم الله ما لم يمنحه أحداً من بعدهم، فآتاهم من العقل ما لم يؤت العقلاء، ورزقهم من صحة الفهم وقوة الإدراك ما لا ينبغي لأحد بعدهم من ذوي الفهم والإدراك؟ هل فتحت كنوز العلم والمعرفة والنظر عنصراً من الزمان ثم غلقت أبوابها وأُحكِم رِتاجُها فلن تفتح بعد ذلك لأحد من العالمين؟

إني أحب هؤلاء الفقهاء وأجلهم ولكنني مع ذلك لا أستطيع أن أجيب عن هذه الأسئلة «بنعم» لأن فضل الله أوسع من أن يقصر على زمان دون زمان، أو يختص بقوم دون آخرين

لا أستطيع أن أجيب «بنعم» لأن كتاب الله خالد، والخطاب به عام لجميع الناس سواء منهم المتقدمون والمتأخرون: كلهم مطالبون بأن يتدبروه ويعقلوا هدايته، ويدركوا أسراره، ويَلْقَنوا[1] منه حجة الله على عباده، وينتفعوا به في دينهم ودنياهم. ولو جاز أن تقف العقول البشرية عن متابعة هداية الله، وعن تدبر كلمات الله، لما قامت حجة الله على المتأخرين من الناس كما قامت على المتقدمين منهم، ولما كانت هناك فائدة عملية في أن يضمن الله الحفظ والخلود لكتابه الكريم!

إذن فما بالنا قد حرمنا أنفسنا هذا المتاع العقلي، وهذه اللذة الفكرية فلم ننظر كما نظروا، ولم نجتهد كما اجتهدوا؟ بل لماذا رضينا أن نكون صدى لهم في كل شيء حتى لنستشيرهم ولا نستشير عقولنا في أحوال شهدناها وغابوا عنها، ورأيناها رأي العين وتوهموها؟!

«شروط الاجتهاد» هي التي قضت علينا بذلك! نعم شروط الاجتهاد التي تصورها أهل العلم من المتأخرين شيئاً هائلاً رهيباً، وأسرفوا في تقييد أنفسهم وتقييد الناس بها، وأقاموا منها حجاباً بين العقول وما أوسع الله لها من مدى في التأمل والتفكير!

(١) لقن فلان الكلام من فلان. أخذه عنه مشافهة وفهمه

أبى المتأخرون إلا أن يجعلوا للاجتهاد شروطاً ، ثم زعموا للناس أن هذه الشروط صعبة لا يستطيعها أحد ، كثيرة متشعبة لا تكاد تجتمع لأحد . فأغلقوا باب الاجتهاد ، وأوجبوا على الناس أن يقلدوا ، ثم لم يكتفوا بذلك حتى أوجبوا عليهم تقليد فقهاء معينين ، يتعصبون لهم ، ويزعمون أنهم أولى بالاتباع من غيرهم . ولكن أقوالهم اضطربت فى ذلك اضطراباً يثير الظنون ، ويغرى بهم : فقالت طائفة منهم : لا يجوز لأحد أن يختار بعد أبى حنيفة وأبى يوسف وزفر . وقالت طائفة أخرى : لا اختيار بعد الأوزاعى وسفيان . وقال قوم : ليس لأحد أن يختار بعد الشافعى . وقال آخرون : ليس لأحد أن يختار بعد المائتين من الهجرة . ولما اشتهرت المذاهب الأربعة المعروفة وكان لها أتباع ومتعصبون يخشى بعضهم كيد بعض ، اصطلحوا فيما بينهم على أنه لا يجوز تقليد أحد سوى هؤلاء الأئمة ، فجعلوا لحكمهم أثراً رجعياً ينسحب على جميع الفقهاء الذين اجتهدوا ، فلم يعد لأحد أن يأخذ بقول الليث أو سفيان أو غيرهما من أصحاب المذاهب التى لم ترزق من الجد وحسن الطالع ما رزقته هذه المذاهب المعروفة ، فانقرضت ولم يبق لها أنصار يدافعون عنها ، ويدعون إليها

فعلوا ذلك كله . وألقوه فى روع العامة كأنه عقيدة من العقائد ، وشغبوا به على أصحاب العقول الراجحة ، والأفكار الحرة ، وأعلنوا عليهم حرباً طاحنة ، جيوشها العامة والدهماء ، وأسلحتها التكفير والرمى بالزندقة والخروج على إجماع الأمة ، والطعن فى الأئمة الذين ارتضاهم المسلمون ... الخ ، ثم عكفوا على كتب بخصوصها لا يعرفون غيرها ، ولا يعتمدون على سواها ، ولا يتلقون شريعة الله إلا منها ، ذلك بأنها ألفت على هذه الشريطة فى عصور التأخر الفقهى . وزعموا أن الدنيا خلت ممن يستطيع أن يخرج على هذه الكتب . أو يتكلم فى العلم دون أن يعتمد عليها ؛ بل حرموا على الناس أن ينظروا فى كتاب الله أو سنة رسوله نظر العلماء المستنبطين . وأوجبوا على العالم ألا يقضى ولا يفتى بشىء منهما حتى يعرضه على ما تنقله هذه الكتب من أقوال مذاهبهم ، فإن وافقها جاز الحكم به ، وإلا وجب رده وعدم قبوله !

تلك آثار بعيدة المدى ، لا يزال الفقه الإسلامى يعانيها ويحمل إصرها وأغلالها ، ويتعثر فى أشواكها وعقابها ؛ وهو الفقه الذى ورثناه عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعن أصحابه من بعده ، وعن الأئمة المهتدين ؛ قوياً لا يعرف الضعف ، ناشطاً لا يعرف الجمود ، واسعاً لا يضيق صدراً بالنوازل والأحداث !

شروط ؟ ومتى كان للاجتهاد شروط ؟ هل ذكرت فى كتاب الله أو فى سنة رسوله ؟ هل كان الصحابة الذين اجتهدوا واختلفوا وتعددت آراؤهم يعرفونها ؟ وهل روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان ينهاهم عن الاجتهاد أو يشترط له شروطاً خاصة ؟

لقد كان الصحابة رضى الله عنهم مع تفاوتهم علماً وفهماً وإدراكاً لأسرار التشريع يجتهدون ويختلفون فيما بينهم ؛ وربما انفرد الواحد منهم بالرأى لا يراه غيره ، ولقد وجد من بعدهم عشرات بل مئات من المجتهدين ، وكانت لهم حرية فكرية واسعة المدى ، فأين فى هذا كله خبر تلك الشروط وأين رِكْزها ؟ وهل زعم أحد أنهم أعدوا أنفسهم أولاً لنيل شروط معينة ، وأشهدوا الناس على أنهم حصلوها ثم أخذوا بعد ذلك ينظرون ؟ كلا فليس الاجتهاد منصباً تمنحه الأمة وتمنعه ، إنما هو مرتبة علمية يشعر بها العالم من نفسه ، وليس كل أحد يدعى ذلك . ولم نسمع أن أحداً من أهل العلم قد التمسه أو أقدم عليه دون أن تكون له أداته الطبيعية ؛ وليس الناس ملزمين برأى من الآراء كأنه فريضة محكمة ، وإنما هو العلم أساسه الحجة والبرهان . ولو اتفق الناس على أن رجلاً منهم صار من أهل الاجتهاد لما أعفاه ذلك من تمحيص العقول لآرائه ، والتثبت من حجته . ولو أنكر الناس على رجل منهم هذه المنزلة لما أعفاهم ذلك من الخضوع لرأيه حين تكون الحجة إلى جانبه

فليس الأمر إذن أمر شروط تشترط ، وإنما هو العلم يجب أن تسمع كلمته من أى فم كان ، وأن تفهم وتقبل إذا كانت حقاً ، وأن ترفض وترد إذا كانت باطلاً ، والحق أحق أن يتبع !

***

ولكن ، لندع هذا كله جانباً ، ولننظر فى نفس هذه الشروط كما يصورها الذين خوّفوا الناس بها ، وحجروا على العقول من أجلها !

تصفح ما شئت من كتب الأصول التى وضعها المتأخرون ، واقرأ ما شئت من هذه الشروط ، تجده يبدو لك أول الأمر عسيراً لا يستطاع تحقيقه ؛ فإذا راجعت فيه الشروح والحواشى والتقريرات ، وجدت الأمر على خلاف ما بدا لك ، ووجدته شرطاً هيناً سهل الحصول

قالوا : أول شروط الاجتهاد أن يكون المرء عالماً بكتاب الله وسنة رسوله ؛ ثم جعلوا يضخمون هذا الشرط ، فحكوا لنا خلاف العلماء فيما يجب علمه من السنة ؛ فقالوا : ألفان ؛ وقالوا : عشرة آلاف ؛ حتى زعم بعضهم أنه سأل أحمد بن حنبل : كم يكفي الرجل من الحديث حتى يمكنه أن يفتي ؟ يكفيه مائة ألف ؟ قال : لا ؛ قال : ثلثمائة ألف ؟ قال : لا ؛ قال : أربعمائة ألف ؟ قال : لا ؛ قال : أيكفيه خمسمائة ألف ؟ قال : أرجو !

لا تخف — أيها القارئ — ولا تستصعب الأمر ، فإن شارح التحرير يقول : « إن ذلك محمول على الاحتياط والتغليظ في الفتيا[1] » ؛ وإن الغزالي يقول : « لا يشترط معرفة جميع ما في الكتاب ، بل ما تتعلق به الأحكام ... ولا يشترط حفظها عن ظهر قلبه ، بل أن يكون عالماً بمواضعها بحيث يطلب منها الآية المحتاج إليها في وقت الحاجة ، ولا يلزم حفظ السنة عن ظهر قلبه ، بل أن يكون عنده أصل مصحح لجميع الأحاديث المتعلقة بالأحكام . ويكفيه أن يعرف مواقع كل باب فيراجعه وقت الحاجة[2] » .

فانظر كيف بدأ هذا الشرط عسيراً هائلاً ، ثم عاد خفيفاً هيناً !

وقالوا : لا بد أن يكون قادراً على التمييز بين الصحاح والحسان والضعاف من الأحاديث ، بحيث يعرف حال رجال الأسناد معرفة يتمكن بها من الحكم على الحديث بأحد هذه الأوصاف ؛ والشوكاني يعلق على هذا الشرط فيقول : « وليس من شرط ذلك أن يكون حافظاً لحال الرجال عن ظهر قلب ، بل المعتبر أن يتمكن بالبحث في كتب الجرح والتعديل من معرفة حال الرجال[3] » ؛ وكذلك يقول صاحب مسلم الثبوت : « مع العلم بحال الرواة ، ولو بالنقل عن أئمة الشأن[4] » .

وقالوا : لا بد أن يكون عالماً بمسائل الإجماع ، وبالناسخ والمنسوخ . ويقيد الشوكاني هذا الشرط بقوله : « إن كان ممن يقول بحجية الإجماع ويرى أنه دليل شرعي »[5]

ويقول الغزالي « وليس معنى ذلك أنه يلزمه أن يحفظ جميع مواقع الإجماع والخلاف بل في كل مسألة يفتي فيها فينبغي أن يعلم أن فتواه ليس مخالفاً للاجماع . إما بأن يعلم أنه موافق مذهباً من

(١) شرح التحرير ج ٣ ص ٢٩٢
(٢) المستصفى للغزالي ج ٢ ص ٣٥١
(٣) إرشاد الفحول للشوكاني ص ٢٣٤
(٤) مسلم الثبوت ، نسخة الشرح ، جـ ٢ ص ٣٦٣
(٥) إرشاد الفحول ص ٢٣٤

مذاهب العلماء أيهم كان ، أو يعلم أن هذه واقعة متولدة في العصر لم يكن لأهل الإجماع فيها خوض »[1]

أما الناسخ والمنسوخ فهذه كتب التفسير والحديث تعد بالمئات وقد تكفلت ببيان مواضع النسخ بياناً شافياً . على أن جهابذة العلماء لا يرون القول بنسخ شيء من الكتاب الكريم

شرطوا بعد ذلك أن يكون المرء عالماً بلسان العرب وعلم أصول الفقه ، ثم قالوا إلى حد يميز بين صريح الكلام وظاهره ومجمله وحقيقته ومجازه وعامه وخاصه ومحكمه ومتشابهه ومطلقه ومقيده ونصه وفحواه ولحنه ومفهومه الخ

والأمر في ذلك يسير وإن بدا متعسراً . فعندنا من العلماء من يعرف لسان العرب كما كان يعرفه العرب أنفسهم ، ومن فاق الأولين بصراً بعلم أصول الفقه وقدرة على التصرف فيه ، وبين أيدينا جميع مؤلفات العلماء في ذلك وفي قدرتنا أن نستخرج منها ما نريد ، وقد قربوها كما يقول الشوكاني أحسن تقريب !

هذه هي شروط الاجتهاد كما يراها المتأخرون ، وهي شروط في المجتهد المطلق الذي ينظر ويستدل ويستنبط في جميع أبواب الفقه ؛ فأما الذي ينظر في باب دون باب ، أو في مسألة دون مسألة ، فالأمر فيه أيسر ، وقد أجازوا له ذلك دون أن يشترطوا فيه إلا « أن يكون على بصيرة فيما يفتي »

فأي شيء في هذه الشروط يصعب تحقيقه ؟ وكيف يقال ذلك في عصر العلم والمراجع والمكتبات والفهارس والمذياع وجمعيات المراسلات والمؤتمرات العلمية والصحف والمجلات والدراسات المنظمة ، وهو لم يقل في عصور كانت العلوم فيها ناشئة ، وكان العلماء فيها يرحلون للحديث الواحد من بلاد إلى بلاد !

* * *

أما بعد فقد أتى على الناس حين من الدهر كان التدين فيه هو طابع الحياة ، وكانت مظاهر الورع والتقوى والصلاح تستطيع أن تغطي القصور والضعف وقلة الانتاج

أما اليوم فإننا في زمان هجمت علينا فيه الثقافات من كل جانب ، وأصبح الناس بحاجة إلى التوسع في العلوم ، وتلبية مطالب الحياة ؛ وأصبح النضج الفكري عنوان التقدم ووسيلة الاحترام

فإذا التمس العلماء أن يعيشوا في العصر الحديث بما كانوا يعيشون به في العصر القديم فقد التمسوا المحال

(القاهرة)

محمد محمد المدني
المدرس في كلية العربية

(١) المستصفى جـ ٢ ص ٣٥١

حلم ليلة الهجرة

للأستاذ علي محمود طه



يا شرقُ ، مِلءُ خاطرِى سحرٌ وملءُ ناظرى

أوَحْىُ ليلكَ القديمِ أم رُؤَى الزواهرِ ؟

يا شرقُ ، أىُّ ليــلةٍ رائعةِ الدياجرِ

نجومها خلفَ الغمامِ أعينُ المقادر

ترنو على جوانبِ السماء للمهـاجر

تَمُدُّ من شعاعها مِثْلَ جَناح طائر

رُعْيا المحبُّ للحبيب حُفَّ بالمخـاطر

تقول ههنا السُّرَى ومن هنا نحاذر

يا شرقُ ، أىُّ ليلةٍ بَعَثْتَها من غابر

حقيقة تلوح لى أم ذاك حُلْمُ شاعرِ ؟

أرى على صحيفةِ الزمانِ حدَّ باتر

تكمنُ فى فِرِنْدِهِ جريمـــةُ لغادر

ومن بريقهِ تطلُّ ألفُ عينِ فاجر

مُلَقًّى وراء صخرةٍ كنت ملاذَ عابر

أوَى إليها مُفْرَدًا غيرَ أخٍ مناصر

والباديات حوله رَوْعٌ وهمس حائر

كأنما أنسامهنَّ تمتماتُ ساحر

هو انتقالة الحياة ، وثبـــة الأداهر

شدا الرعاة باسمه فى الأعصرِ الغوابر

وأودعوه فرْحَـــةً جوانحَ السرائر

وأبدعتْهُ نَغَمًا صـــوادحُ المزاهر

زفّوا به إلى الحياة أجمل البشائر

لحنٌ وفيه قسوةُ العواصفِ الثوائر

وفيــه ثورةٌ على العقائد الدوائر

يقتحمُ الذُّرَى المنيعة اقتحامَ ساخر

يهزأ بالجيوش فى ألوية القياصر

يهدمُ كل معبدٍ ، يهزمُ كل جائر

ومن عجيبِ أمره يبنى بناء قادر !

يا شرقُ ، سحرُكَ القديمُ مالِكٌ مشاعرى

هذى الطوالعُ الحسانُ فى الحُلَى النواضر

المطلقاتُ بالنشـــيد أرخمَ الحناجر

كأنهنَّ جوْقةُ الهواتفِ الطوائر

حيّين مَوْلدَ الربيع والسَّنَى المباكر

عرائسُ الخيالِ ، هُنَّ ، أو بناتُ خاطرى

ينثرن من أكفهنَّ أجمل الأزاهر

على طريقِ مُلْهَمٍ مُخَـــلَّدِ المآثر

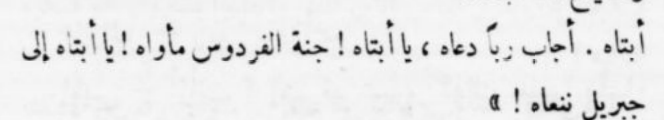
يا شرقُ ، أىُّ روعةٍ جَلَوْتَها لناظرى

حقيقةٌ تلوحُ لى أم ذاك حُلْمُ شاعر ؟

علي محمود طه

عدو إبليس

للأستاذ توفيق الحكيم



« عزرائيل ينصرف عن دار النبي بعد وفاته فيرى إبليس مقبلا فرحاً مبتهجاً . . . »

إبليس — هل قبضت روحه ؟

عزرائيل — وما شأنك وهذا ، أخزاك الله ؟

إبليس — نعم ، نعم ، لقد مات . أليس هذا صوت ابنته فاطمة تبكى وتصيح : « أبتاه ، أبتاه . أجاب رباً دعاه ، يا أبتاه ! جنة الفردوس مأواه ! يا أبتاه إلى جبريل ننعاه ! »

عزرائيل — وما يعنيك من هذا الأمر ؟

إبليس — أوليس هذا أيضاً صوت عائشة فى بكاء وشهيق : « وا حر قلباه ! وا مصيبتاه ! ألآن قد انقطع عنا خبر السماء ! »

عزرائيل — أغرب عن هذا المكان !

إبليس — ثم ها هو ذا صوت نسائه كلهن يبكين : « وا ثكلاه ! وا ثكلاه ! »

عزرائيل — أغرب عن هذا المكان !

إبليس — ما أجمل هذا النهار . . . إن نفسى لتكاد تنفجر شعراً وغناء . إصغ إلى هذه الأغنية :

ذهب عـــدوى إلى الفنـــاء
اليوم عيـــدى فإلى الغنـــاء

عزرائيل — صه ! قبَّحك الله وقبَّح صوتك !

إبليس — صوتى منذ اليوم يستطيع أن ينطلق حرا فى أرجاء الأرض . صوتى منذ الآن يستطيع أن ينفذ إلى تلك القلوب التى كانت تميل عنى لتتلقى أخبار السماء ؟ نعم الآن قد انقطع عن الأرض خبر السماء . لقد عاد إلىَّ ملك الأرض من جديد . . . وافرحتاه ! وافرحتاه !

عزرائيل — خسئت ! إن نور السماء قد نفذ إلى قلوب الناس فهيهات بعد اليوم أن يصغوا إلى صوتك !

إبليس — إنك لا تعرف الناس مثلما أعرفهم . إنى أعرف كيف أمر بأناملى مراً رقيقاً على أوتار قلوبهم ، فيذهلون ، وأغنى بصوتى هذا غناء شجياً فيطربون . . . إنك لا تعرف ما هى الأغانى التى أغنيها لهم . إنى أغنيهم أغانى الأرض لا أغانى السماء ! إن السماء تنير قلوبهم حقيقة .. ولكن لأجل قريب . لا تنس أنهم خلقوا من طين الأرض . لا شىء يهز كيانهم غير أغانى الأرض !

عزرائيل — إنهم من الأرض ولكن أعينهم تتطلع إلى السماء

إبليس — نعم ، عند ما يشير لهم إليها النبى بأصبعه . فإذا ولى . . . عادت رؤوسهم تنخفض نحو الأرض . إنهم كالسنبلة التى لا يرفعها غير الأصبع ، فإذا تركت سقطت

عزرائيل (كالمخاطب لنفسه) — عجباً ! ولماذا إذن رضى الله أن يقبض نبيه ؟! إن لله حكمة ، أجل ، أجل . أنسيت أيها الخاسر أن النبى إنما يأتى للتبليغ ويمضى . إنه جاء بالدين . إنه يذهب ولكن الدين باق . الدين هو الأصبع الدائمة التى لا تنفك تقيم المعوج . لا تفرح إذن كثيراً بموت النبى . ما مات غير الجسد الزائل . أما المبادئ والتعاليم فهى قائمة فى وجه ريحك العاتية دائماً . . . ما الرسول فى الحقيقة غير الرسالة . . . والرسالة لا تموت

إبليس — نعم ، نعم .

عزرائيل — ما بالك وجمت ! إن على وجهك الآن لغبرة تزيده قبحاً على قبحه . . .

إبليس — الرسالة والدين والتعاليم . . . هذا صحيح . . . ولكن . . . تلك أشياء لم تخفنى قط . . . فقد استطعت فيما مضى أن أنزع عنها بعض قوتها . . . إن المسيح قد بشر بالمثل الأعلى وفتح قلوب الناس لنور السماء . وذهب وقد ترك فى الأرض

قديسين وخلفاء ساروا على سنته فى نبذ متع الأرض والانقطاع مترهبين فى الصوامع والبيع والصحارى ورؤوس الجبال يتأملون وجه الله وحده ، ناسين أو متناسين هذه الأرض التى من عناصرها صنعت أجسامهم ... هنا تراءيت لهم ولمن تبعهم فى صور مختلفة تذكرهم بما نسوه وتناسوه ، وخاطبت أجسامهم بالمنطق الذى تفهمه ، وحدثت عناصر تركيبهم باللغة التى تعرفها ... فإذا أكثر الناس يصغون إلىّ فى أمور حياتهم ومعاشهم ولا يذكرون تلك التعاليم والمبادئ السماوية إلا يوم يجدون فى أوقاتهم فراغاً للتفكير فى السماء . إنى ذكى . إنى لم أرد قط فى حربى ضد المسيح أن اقتلع المسيحية من النفوس ، ولكنى أظهرت فى لباقة ما فيها من علو شاهق لا يستطيع المخلوقون من تراب وطين أن يبلغوه ما داموا آدميين ... فليصغوا إذن إلى أغانى الجسد وأناشيد التراب والطين ... وليطلب العلو من كان عنده فضل من فراغ ينفقه بعيداً عن الأرض والحياة ... وبهذا أصبحت المسيحية الحق اليوم ترفاً روحياً لا يقتنيه غير خاصة الخاصة ، أولئك الذين لم أستطع أن أخاطب فيهم منطق الأجساد والعناصر ...

عزرائيل — لقد أدرك الله غرضك الأثيم فأرسل محمداً بدين لا ينكر منطق الأجساد والعناصر ... دين لا يعرف الرهبنة ولا إنكار قوانين الأرض ... دين لا يكره أن يصغي أتباعه إلى أغانى السماء والأرض معاً ... وأن يفكروا فى الآخرة والدنيا معاً ... ما وسائل حربك إذن ضد محمد والإسلام ؟

إبليس — حقاً ... تلك هى المشكلة ! لهذا كان ذلك النبى ألدّ عدو لى !

عزرائيل — إنه خاتم الأنبياء لأنه ضيق عليك الخناق ، وسد كل ثغرة يمكن أن تنفذ منها سمومك ... فماذا أنت صانع ؟ ...

إبليس — دعنى أفكر ...

عزرائيل — فكر طول الأبد ... فلن تظفر ...

إبليس — بل لقد فكرت وظفرت ... الأمر بسيط : يجب علىّ أن أطمس خصائص هذا الدين ... إنى خبرت الناس لطول لصوقى بهم وعشرتى لهم ... إن النـاس يميلون دائماً إلى التشبه والتشبيه ... هذه القرود الناطقة ... يصعب عليها التميز والتفريق والنظر فى فلسفة الأشياء ... غداً عندما يوارى محمد فى التراب ... ويصبح ذكراً وطيفاً كموسى والمسيح ... لن يفرق الناس بين محمد وموسى والمسيح، بل ربما قبل أن يواروه فى الحفرة ... أنظر ... أليس هذا عمر بن الخطاب أحد خلفائه ؟ اصغ إليه ...

عزرائيل — إياك أن توسوس له بشىء .

إبليس — إصغ إليه ...

[عمر بن الخطاب يقوم فى الناس صائحاً]

عمر — لا أسمعن أحداً يقول : إن محمداً قد مات ؛ ولكنه أُرسل إليه كما أُرسل إلى موسى ، فلبث عن قومه أربعين ليلة . والله إنى لأرجو أن تقطع أيدى رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات !

عزرائيل — عجباً ! ما هذا الذى يقول ؟ !

إبليس — أرأيت ؟ إنهم قد شبهوه بموسى ولما يهيلوا عليه التراب !

عزرائيل — كذبت ! إنما هى وسوسة منك !

إبليس — صه ! أنظر ! هذا أيضاً رجل من بين الناس يريد أن يقول شيئاً ...

[ينهض أحد الناس صائحاً]

أحد الناس — إن رسول الله قد رُفع كما رفع عيسى ، وليرجعن !

عزرائيل — رباه ! ماذا أسمع !

إبليس — أرأيت ؟ إنهم قد شبهوه كذلك بعيسى ولما يدرجوه فى الأثواب !

عزرائيل — لست أصدق ما أرى وما أسمع

إبليس — لقد قلت لك إنى أعرف منك بالبشر

عزرائيل — اللهم نورك ! كيف خفى على هؤلاء أن دينهم لم يكن تكريراً لما سبقه من أديان ! ... اللهم إنك منزه عن اللغو والتكرار !

إبليس — ما أبهج هذا النهار ؟ ألا تطربك أغنيتى :

ذهب عدوّى إلى الفنـــاء
اليـوم عيدى فالى الغنـاء

عزرائيل — آه ، لو استطعت أن أبطش بك ...

إبليس — إقبض روحى إن قدرت ...

عزرائيل — ليس لك روح يُقبض

إبليس — بل لى روح لا تستطيع قبضه يداك الصغيرتان !

عزرائيل — يداى حقاً لا تستطيعان ؛ ولكن يد رضيع تستطيع ... إن روحك ليزهق فى اليوم ألوف المرات ... إن روحك لينطق فى قلب كل مؤمن ومؤمنة ومحسن ومحسنة وخيّر وخيّرة ... إن روحك مارد من دخان يستطيع طفل بكلمة طيبة أن يحبسه فى قمقم من نحاس !

إبليس — ولكنى لا أموت ولا أذهب إلى الفناء ... لأنى سلطان الأرض وروح الأرض ... ولن أترك الأرض ما بقيت دودة تسعى فى الأرض !

عزرائيل — إبق ما شئت فى الأرض ، ولكنك لن تقوى على دحر أعدائك ...

إبليس — عجباً لك ! أو لم تر كيف أنى فى لحظة استطعت أن أغير معنى الدين الذى قضى محمد حياته كلها فى تجليته وإظهاره وتوضيحه ... ؟ ألم يذكّر محمد قومه فى كل وقت أنه بشر يوحى إليه ... وأنه يحيا ويموت كبقية الناس ... وأن دينه هو دين الحياة ... الذى يحل للناس كل وسائل العيش الصالح على هذه الأرض ... وما دام دينه دين الحياة والفطرة والمنطق البشرى ... فلا ينبغى أن يؤلهه الناس كما ألّهوا المسيح ، ولا أن ينكروا إمكان موته كما فعلوا مع المسيح ... أليس هذا معنى دينه ؟ فكيف إذن بدّل الناس الآن المعنى وانقلبوا يسيرون نحو فكرة التأليه ؟ ...

عزرائيل — إنهم لم يغيروا شيئاً ... ولئن وقع فى نفسك شىء من كلام عمر بن الخطاب ، فهو ولا ريب قد قال ما قال خوفاً من الردة !

إبليس — ولماذا يخشى ارتداد الناس عن الدين بموت محمد ... إنهم إذن كانوا يعبدون محمداً !

عزرائيل — اللهم ألق نورك فى صدور الناس !

إبليس — هيهات ! إن ما تسميه « وسوسنى » قد استقر الساعة فى صدور الناس ...

عزرائيل — خسئت أيها الخاسر ... أنظر ... أنظر ...

إبليس — ما ذا ؟ من هذا ؟

عزرائيل — هذا أبو بكر يقوم فى الناس ... اصغ إليه ...

[أبو بكر ينهض فى الناس صائحاً]

أبو بكر — أيها الناس . . . أما بعد ، فمن كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ... ومن كان يعبد الله ، فإن الله حى لا يموت !

عزرائيل — وافرحتاه ... أسمعت ؟

إبليس — ؟ ؟ ؟

عزرائيل — أنظر أيضاً ... أنظر ... هذا العباس يريد أن يقول شيئاً ...

[العباس يقوم فى الناس صائحاً]

العباس — أيها الناس ... والله الذى لا إله إلا هو ، لقد ذاق رسول الله الموت ، وإنه ليأسن كما يأسن البشر ... فادفنوا صاحبكم ... إنه ما مات حتى ترك السبيل نهجاً واضحاً ... أحلّ الحلال وحرّم الحرام ... ونكح وطلق وحارب وسالم ... وما كان راعى غنم يتبع بها رؤوس الجبال بأنصب ولا أدأب من رسول الله فيكم ... !

[عزرائيل يلتفت إلى إبليس صائحاً صيحة انتصار]

عزرائيل — ما ذا تقول الآن فى هذا ؟ أغرب الآن عن هذا المكان ... لقد ظهر معنى الإسلام ، وتألق روح هذا الدين ... !

توفيق الحكيم

موقف العلم من الأديان اليوم
وحماية المسلمين من ضلالات المادية

للأستاذ محمد فريد وجدي



لقي رجال العلم الكوني من رجال الأديان — منذ أكثر من ألفي سنة إلى القرن السابع عشر — ما يلقاه الخصوم من الخصوم، وبدل أن تتلطف حدة هذه الخصومة من ناحية المتغلبين — وهم حفظة الأديان — استحالت إلى وحشية جامحة؛ فكانوا إذا آنسوا من رجل نظراً فيما يتعلق بالوجود وقواه العاملة فيه — أو فيما يتصل بعلل الظواهر الطبيعية — ألقوه حياً في النار، أو رموا به من حالق إلى مكان سحيق

فلما دالت للعلم الدولة بعد أدوار شتى من التطورات العقلية والاجتماعية في القرن السابع عشر، جعل حماته أكبر همهم ليس الانتقام من رجال الدين فحسب، ولكن من الدين نفسه أيضاً، حتى لا تبقى له دعوة في الأرض ينخدع بها بعض السذج فيجد بعض ذوي المطامع من يستغلونهم لسد نهمهم من المال والسلطان

اشتد العلم في إسقاط الدين، فوضع كثير من رجاله مؤلفات للتدليل على سذاجة عقائده الأساسية، وبينوا للناس أصولها من أوهام الجماعات الأولية وتداعي مبانيه حيال اليقينيات العلمية. وأكثروا من الحط من كرامة الدين في كل فرصة سنحت لهم حتى لا تكاد تقرأ كتاباً علمياً لا تصادف فيه شيئاً من هذا التصدي. فأفضت هذه الحال إلى نفور مستحكم من الأديان في نفوس الطبقات التي تتلقى نصيباً من الثقافة المدرسية

ولكن لما كان من أخص صفات العلم التطور فقد اقتضت به الحوادث منذ تسعين سنة إلى البحث الجدي في عالم ما فوق الطبيعة. ولكن لا كما كان يفعله الفلاسفة باستخدام قوى العقل في التحسس منه. ولكن على أسلوب العلم نفسه من المشاهدة والتجربة

عقدة النزاع الأساسية بين الدين والعلم

هذه العقدة بين الدين والعلم أن الأول يقول بوجود عالم فوق الطبيعة يتنزل منه جميع ما في الكون من كائنات مادية، وقوى عالية. وهو الأصل الأصيل في وجود وقيام العالم المحسوس، ويبتنى على هذا الأصل القول بوجود الخالق المدبر. والروح الإنسانية، والإلهامات الحيوانية، والإبداعات التكوينية، والوحي وخلود الإنسان في عالم الأرواح المجردة. الخ الخ. والعلم ينكر كل ذلك، ويعده من الخيالات التصورية، ويقرر أن المادة قديمة، وأن كل ما صدر في عالمها حتى القوى العقلية، والروح الإنسانية، إنما صدر بواسطة النواميس الطبيعية، الملازمة لذرة المادية على سبيل التدريج والتطورات المتعاقبة

تورط العلم أخيراً في بحثه الجديد عن عالم ما فوق الطبيعة على أسلوبه المعروف من التجربة والتمحيص وبدا لألوف مؤلفة من رجاله بصيص من نوره فأثبتوا نتائج تجاربهم وحداناً وجماعات في مؤلفات ومحاضر، قال عنها فيلسوف أمريكا الكبير «وليم جيمس» أستاذ جامعة «هارفارد» بالولايات المتحدة في كتابه «إرادة الاعتقاد La Volonté de croire» بصفحة ٣١٣ من ترجمته الفرنسية

«إذا صدقنا الجرائد وأوهام الصالونات خيل لنا أن الضعف العقلي وسرعة التصديق هما الرباط المعنوي الجامع بين أعضاء هذه الجمعية (يريد جمعية المباحث النفسية الإنجليزية). وأن حب العجائب هو العامل المحرك لها، ومع هذا فيكفي أن نلقي نظرة واحدة على أعضائها لدحض هذه التهمة؛ فإن رئيس هذه الجمعية هو الأستاذ (سدجوك) المعروف بأنه أشد الناس شكيمة في النقد، وأعضاءهم قياداً في الشك في جميع البلاد الإنجليزية، ووكيلاها المستر أرثر بلفور (أحد رؤساء الوزارات الإنجليزية وعالم مشهور)، والأستاذ ج ب لنجلي. ويمكن التنويه من

أعضائها العاملين بالأستاذ ريشيه الفيزيولوجى المشهور ، وتشمل قائمة أعضائها رجالاً كثيرين آخرين كفاءتهم العلمية أشهر من أن تذكر . فإذا طلب إلى أن أعين جريدة علمية تكون مصادر أغلاطها ممحصة بأدق الأساليب ، فإنى أنوه بمحاضر جمعية المباحث النفسية . فإن الفصول الفيزيولوجية التى تنشرها الجرائد الخاصة بهذا العلم ، لا تبلغ فى دقة النقد مبلغ دقة هذه المحاضر المذكورة » اﻫ

لما حدث هذا التطور العلمى الخطير ، مال رجال من كبار العلماء إلى النظر فى النتائج التى تؤيد الدين منها . وما دامت عقدة النزاع بين العلم والدين هى وجود أو عدم وجود العالم الروحانى . فإن هذه العقدة تحل إذا ثبتت صحة وجود هـذا العالم بدليل محسوس . قال العلامة (هـ . و . بيرس) المدرس بجامعة كمبردج فى كتابه (الشخصية الإنسانية) فى صفحة ١١ منه من ترجمته الفرنسية :

« حوالى سنة ١٨٧٣ حيث كان المذهب المادى بالغاً أوج سطوته على العقول ، اجتمع ثلة من الأصحاب فى كمبردج وأجمعوا على أن هـذه المسألة المتنازع فيها (يريد مسألة عالم ما فوق الطبيعة) تستحق التفاتاً وجهداً جدياً أكثر مما عولجت بهما إلى ذلك الحين ... وكنت مقتنعاً بأنه لو أمكنت معرفة شىء من ذلك العالم على أسلوب يمكن أن يقبله العلم ويحفظه ، فلا يكون ذلك بالتنقيب فى الأساطير القديمة ، ولا بوسيلة التأمل فيما فوق الطبيعة . ولكن بواسطة التجربة والمشاهدة . وبتطبيقنا على الظواهر التى تحدث بيننا وحولنا أساليب المباحث المضبوطة المنزهة عن الأغراض ، التى نحن مدينون لها بمعارفنا عن العالم المرئى المحسوس . ومباحثنا فى هذا السبيل يجب أن تكون مؤسسة على هذه القضية وهى : « إذا كان يوجد عالم روحانى ، وكان قابلاً لأن يدل على وجوده فى أى عهد كان ، فيجب أن يكون كذلك فى أيامنا هذه »

« فمن هذه الناحية . وبالحرى على هذه الاعتبارات واجهت الجمعية التي أنا عضو منها هذه المسألة » اﻫ

وقد مضت بعد هذا القول عشرات السنين وحدثت فيها بحوث عملية دونت فى مئات من الكتب والرسائل ، تبين منها أن العلم حيال حقيقة ثابتة مؤيدة بالدليل المحسوس الذى لا يمكن التمارى فيه حتى قال العلامة الفلكى الكبير (كاميل فلامريون) فى كتابه القوى « الطبيعة المجهولة » :

« إنى كلما أفكر فى هذا الأمر أدهش من أن دهماء الناس لا يزالون يجهلون هذه المسائل كل الجهل ، على حين أنه قد عرفها ودرسها وقدرها حق تقديرها وسجلها منذ سنين ، جميع الذين تتبعوا حركتها بكل نزاهة فى مدى هذا العهد الأخير »

وقال : « إن المشاهدات الحسية تثبت وجود عالم روحانى محقق كتحقق العالم المادى المدرك بحواسنا الخمس »

نقول وقد قررت جامعات أمريكية دراسة هـذا البحث ، وجعلت له أخيراً جامعتا كمبردج واكسفورد مقعدين رسميين له

كيف نحمى المسلمين من ضلالات المذهب المادى ؟

إتصل المسلمون بالعالم العلمى منذ أكثر من قرن ، وظل رجال الدين وطلابه فى عزلة عنه فلم يصبهم من ظلمات النظريات المادية شىء ، ولكن حركة التطور العامة دفعت بهم إلى الاتصال به من سائر طبقات الشعب ، تقريباً للثقافة الدينية من الثقافة العامة تفادياً من حدوث تناف بينهما ، فتصبح الأمة فريقين متنافرين

والإسلام متين يقوم وجوده وتقوم دعوته على العلم : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ »

وقد صافى الإسلام من يوم وجوده العلم ، وسمح لأهله أن يندفعوا فى تياره ، وأن يستفيدوا منه ويشيدوا مجتمعهم عليه ، فكان أنبل مجتمع ظهر على سطح الأرض ، وكانت له دولة لا تغرب عن أقطارها الشمس ، فأقال عثرات الإنسانية ، وداوى كلومها ، وكشف ظلماتها ؛ ولم تعرف فى تاريخ الإنسانية أمة قامت بالدين معتمدة على العلم غير الأمة الإسلامية

ولكن العلم الذى يدرس فى مدارس المسلمين اليوم ، قائم على الأصول المادية البحتة للقرن التاسع عشر ، ولممثليها من أهل القرن العشرين ؛ فتجد كتبها التى بين أيدى الطلبة لا تزال تردد لهم النظريات الرثة العتيقة التى تخيلها ديموكريت اليونانى منذ أكثر من ألفين وثلاثمائة سنة وهى : « أن المادة لا تفنى ولا تتجدد » ، على حين أن علم القرن العشرين قد توصل إلى إفناء المادة وإحالتها إلى قوة ، فأثبت بذلك أن المـادة لم تكن ثم كانت

هذه المعرفة لها قيمة عظيمة فى الدراسة الدينية ، لأن القول بعدم تجدد المادة وفنائها يؤدى إلى القول بقدم العالم المادى ، وهو أساس المذهب المادى وحصنه الحصين

وفى هذه المدارس الدينية تدرس الفلسفة ويقرر للطلاب فيها

أن الرأى المادى هو الذى ساد جميع الآراء ، وأن السلطان انتهى إليه ، وهو آخر طور من أطوار التفكير البشرى ، وما هو فى الواقع إلا مرمى المادية قبل التطور العلمى الأخير

وتدرس البسيكولوجيا (علم النفس) ، وكتبها المدرسية موضوعة على أسلوب الفلسفة المادية . فيضطر طلبة الدين أن يقرأوا فيها : أن ليس للانسان روح مستقلة عن الجثمان ، وليس له ضمير فطرى يرجع إلى عالم علوى . وأن كل ما فيه من شعور بالحسن والقبح ، وبالفضيلة والرذيلة ، وبالخير والشر ، أمور اعتبارية لا أصل لها فى وجود أرفع من هذا الوجود ؛ وأن الغرائز الأدبية ليست متنزلة من روح علوية ، ولكنها عادات أوجدتها مصلحة الاجتماع ، فرسخت فى الشخصية الإنسانية واعتبرت من الخصائص الروحية ، وليست من الروح المزعومة فى شئ

ويدرس لهم تاريخ الأديان ولحمته وسداه : أن الدين على ما هو عليه فى هذه العصور المتأخرة المهذب ، صادر من الدين الأولى الساذج الذى تخيله أهل القرون الأولى ، وليس هو بوحى ، لأن الوحى لا وجود له

ثم يقرأون فيها : أن الباعث الصحيح عليه أهواء النفوس ، وجهالتها بالعلل الطبيعية ، وهلعها من الجوائح الكونية ، فتآلبت كل هذه العوامل على إحلال الدين فى سويداوات القلوب بواسطة لوراثات الطويلة المدى ، حتى أصبح هو والحياة عند الفرد والجماعة فى مستوى واحد

فماذا ترجى أن تكون هذه المجموعة من الدروس ، غير دعاية للالحاد فى حرم الدين ، لم يظفر بمثلها المذهب المادى فى أية بيئة من بيئات العلم ، فى المهد الذى ثبت فيه العلم ، جرياً على أسلوبه كما قدمنا ، وجود العالم الروحانى ، وقام فيه أقطابه بنقد كل ما أورده المذهب المادى من الشبهات عليه ، سعياً منهم لتوحيد غاية الدين المطلق وغاية العلم على حال من الوفاق كانت أمنية دعاة المدنية الفاضلة

الوسيلة المثلى لدرء هذا الخطر أن تخضع هذه الدروس فى المدارس الإسلامية الدينية لمراقبة دقيقة ، وأن تلقى موادها متبوعة بالنقد الذى وجه ضدها من علماء القرن العشرين ، والتعديل الذى أدخل عليها بواسطتهم ؛ مع مراعاة أن يكون النقد ماحقاً لشبهاتها بأدلة ساطعة لا بكلمات جوفاء تزيدها تسلطاً على العقول

هذا خير ما أهديه لقراء « الرسالة » فى مفتتح السنة الجديدة ، ولهم منى معها أطيب تحية .

محمد فريد وجدى

تأملات

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي



ضلّت الإنسانية عن ربها وعبدت المال والقوة ، ودانت لهما بالطلب والحرص والإكبار ؛ وفي سبيل المال والقوة نُسي كل شيء : من دين أو فضيلة أو مبدأ ، وفعل كل شيء من : ظلم وقطيعة ونكث . يخدع كلٌّ كلا في السلم كما يتخادع أهل الحرب ، كأن أيام الناس في هذه المدنية حرب كلها ولكن بسلاح مختلف . فلحرب السلم سلاحها وفنونها وخططها ، كالحرب الدبابة والغواصة والطيارة . ففي السلم يتحارب الناس وتتحارب الأمم بالتجارة وحواجزها الجمركية ، وبالصناعة وموادها الخام ، ثم بالدعاية والسياسة ؛ وفي سبيل ذلك يسخّر الأدب بفنونه والعلم بفروعه ، تتنافس في ذلك الأمم ، وتتنافس في ذلك الطوائف والأفراد داخل كل أمة ؛ حتى الفضائل جعلت سلاحاً وسبيلاً إلى الغلَب . فالتاجر إن صدق يصدق لا لأن الكذب يزري ، أو لأنه منهي عنه في الدين ، ولكن لأن الصدق يجزي ويربح ، ولو وجد في الكذب ربحاً لكذب . والأمم تتعاهد ، فإن وجدت في الوفاء ربحاً وفت ، وإن وجدت الربح في النكث نكثت . فالمال هو البغية ، والقوة هي الغاية ، والشهوة هي السائق ، والهوى هو الغالب ، كأن قد غلب على هذه المدنية في معاملاتها روح الأحراج وقانون الأدغال ؛ وما يقول « دروين » إنه كان غالباً على أنواع الحيوان في أحقاب النشوء

ويل للانسان من نفسه ومن أخيه الإنسان حين يضل كلٌّ عن ربه . فلو لم يكن للدين ضرورة ، لجعله حال الناس اليوم ضرورة ؛ ولو لم يقم على وجوب التدين برهان ، لكان ما آل إليه أمر الناس بعد ترك التدين هو البرهان . إلا أن الإنسان يذكر وينسى ، ويؤمن ويكفر ، ويطيع ويعصى ، حسب الظروف . في الشدة يلجأ إلى الله ، وفي البلاء يكثر من الدعاء ، ويستغفر ربه وينيب : يفعل ذلك الأفراد ، ويفعل ذلك الأمم . حتى إذا استجاب الله وفرّج الكرب وكشف البلاء ، نسي الإنسان ونسيت الأمم ما كانوا يدعون الله من أجله ، وجعلوا لله أنداداً ، وانقلبوا له أضداداً ، وعادوا إلى آلهتهم من الشهوة والقوة والمال ، كأن لم يكن بلاء وكربة ، وكأن لم يكن دعاء وتوبة ؛ وجعلوا يضحكون من خوفهم الذي كان ، وجزموا بأن أسبابه لن تعود !

لقد كانت الحرب الماضية ، وجاءت الناس بكرب لم يروا مثله من قبل ، فجأر الناس إلى الله وجأرت الأمم ، وجعلت تنذر النذور ، وتبذر الوعود والعهود ، وتقيم الصلوات العامة ، تأمر بها الحكومات ، ويركع فيها الحكام والملوك . ثم جاء النصر وجاء السلم ، فذهبت النذور هباء ، ولم تلق الوعود ولا العهود وفاء ؛ وكل ما كان هنالك أن جيء بأسماء جديدة أطلقت على مسميات قديمة ، فذهب الاستعمار وجاء الانتداب . وذهبت المحالفات وجاءت عصبة الأمم ، وعاد الناس وعادت الأمم تبتغي الكسب وتبتغي المال والقوة ، حتى كان من الأمم المنتجة من كانت تحرق ما زاد من غلات أرضها لتبيع الباقي من الأمم الأخرى بثمن أعلى ، وانحدر المال إلى خزائن بعض الأمم ، كما ينحدر الماء إلى مهابطه من الأرض ، فجفت بقاع منه وغرقت بقاع ، وجاعت أمم وتخمت أمم ، وانقلبت الأوضاع واشتد النزاع ، وخسرت الإنسانية السلم ، كخسرت بذلك الحرب قبله ، إذ قامت هذه الحرب

قامت هذه الحرب فما ذا كان ؟ كان الذي يعرف كل إنسان أنه كان في الحرب الماضية : فالنذور تنذر ، والوعود تبذر ، والصلوات العامة تقام ؛ وأصبحت الأمم المتمدينة لا ترى أمناً من الأمن ، واعتزمت في مستقبلها أن تتناصف في قسمة المواد الخام لتعيش إلى الأبد في سلام !

إنها مدنية مجنونة هذه التي تنسى الله وتنساه في الرخاء بعد

أن كشف عنها البلاء ، حتى إذا أخذها بنكبها وإنها جأرت إليه تسأله النجاة ولم يكن لديها ما تتعهد به للناس أو تنذره لله إلا أن تتعايش فى سلام ، وتتناصف فى المواد الخام .

لقد أفسدت المدنية الغربية وحق عليها ما حق على المدنيات الخاطئة قبلها . وها هى تنتسف بقوتها الكامنة التى من الله بها عليها فلم تطعه فيها . ها هى حين فسقت عن أمر الله تنفجر بما اختزنت من علم ومال حولتهما فيما حولت قنابل وطرابيد تلق من الجو وتنثر فى البر والبحر على المحارب وغير المحارب على السواء (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة ، إن أخذه أليم شديد) إنها مدنية كتلك القرية التى ضربها الله مثلاً فى القرآن : (كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف)

إنها مدنية مسيحية اسما لكنها لم تقم قواعدها على نصرانية ولا إسلام . فنصرانية عيسى صلوات الله عليه ليس فيها حرب ولا سلاح ولا استعمار . والحرب فى الإسلام لا تكون فى سبيل الفرد ولا فى سبيل الأمة ولا فى سبيل الجنس ، ولكن فى سبيل الله ليكون الحكم فى الأرض لله .

إن الاستعمار الذى ابتدعته مدنية الغرب ليس من الإسلام فى شىء ، ولا من حكم الله فى شىء . فاستغلال القوى الضعيف فرداً كان أو أمة ينكره الإسلام كل الإنكار . وتحكم أمة فى أمة بالهوى لا يعرفه الإسلام ولم يشرعه الله . وعلو أمة على أمة وشعب على شعب أو جنس على جنس حرمه الله الذى سوّى بين الناس وساوى بين الأجناس ولم يجعل لأحد على أحد فضلاً إلا بالتقوى : تقوى الله الذى خلق الأحمر والأصفر والأبيض والأسود . ففيم استعلاء فريق على فريق ؟ وفيم تحكم لون فى لون أو شعب فى شعوب ؟ (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم . إن الله عليم خبير) .

لقد أعز الله الإنسانية أيما إعزاز حين جعلها خاضعة له وحده سبحانه فى الحكم ، ليس لأحد على أحد سبيل إلا بحق الله طبق دين الله الذى بينه للناس واضح المعالم ظاهر الحدود فى كتابه الكريم الذى فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً وعملاً فى حياته الكريمة التى مثلت حياة الأمم وحياة الأفراد كيف ينبغى أن تكون .

لقد علم الله أن هذه المدنية المعقدة ستكون . وأن الإنسانية ستتقلب فى أطوارها التى تقلبت فيها . وأنها ستفتح لها أبواب العلم . وأن هذا العلم سيفتح لها فنوناً من القوة ، وأن هذه القوة ستسلمها إلى صفوف من المشكلات لا تحل حلاً مرضياً موفقاً إلا طبق ما سن الله للفطرة من سنن ، وللنفس البشرية من قوانين ، عرفت الإنسانية بعضها ، وجهلت منها أكثر مما عرفت . فلو أن الإنسانية وكلت إلى نفسها وعلمها وجهدها وحده ما خرجت ، وما أمكنها أن تخرج من ورطاتها التى هى لا بد واقعة فيها بتعمقها فى العلم الطبيعى الذى يفتح لها كنوز الأرض من غير أن يريها طريق العدل فى استعمالها . فأراد الله سبحانه أن يتم نعمته على الإنسان بأن يجمع له بين القوة وبين الهدى فى استعمال القوة ، فآتاه العلم ، وقبل أن يؤتيه العلم أنزل عليه الكتاب والحكمة ليريه كيف يتقي شر العلم وينتقى خيره بالوقوف فى استعماله عند الحدود التى حدها الله فاطر الإنسان وفاطر القوى التى سخرها بالعلم للانسان .

فإذا كان من عجيب صنع الله للإنسان أن وهبه العقل الذى استفتح به كنوز العلم ، فإن أعجب من ذلك أن تفضل سبحانه فأنزل له الدين ليقيه ما لا يمكن العقل ولا العلم أن يكفوه إياه من الشرور والأخطار

أقسم أن نعمة الله على الناس فى الدين أعجب وأكبر من نعمته عليهم بالشمس أو بالقمر أو بما خلق فى الأرض من كائنات ينعم بها الإنسان أو لا ينعم ، شكوراً أو غير شكور . إن هذه الكائنات خلق من خلق الله ، والإنسان واحد منها يقوى أمام بعض ويضعف إزاء بعض ، ينتفع بها أحياناً ويتضرر بها أحياناً ؛ لكن الدين خير كله ونفع كله وسعادة صرفة لمن يتقبله مؤمناً ، ويعمل به مسلماً . وأقسم لو سخرت العلوم هذه الكائنات كلها للانسان وكان الإنسان بتسخيرها يتمتع فى هذه الحياة المتعة كلها من غير تعب ولا ملل ولا هم ولا حزن ولا ضعف ولا مرض حتى إذا مات كان الحساب وكان العقاب إذن لكانت نعمة الله على الإنسان بالدين الذى يقيه عذاب الآخرة ويؤتيه نعيمها أكبر من نعمته عليه بالعلم بقدر ما بين الآخرة وبين الدنيا من فرق وفضل فى المدة

وطولها ، أى بقدر ما بين الباقي وبين الفانى أو بين غير المتناهي والمتناهى من فرق وفضل . فكيف وهذه العلوم لا تسخر للانسان إلا جزءاً ضئيلاً مما حوله ، وقد يشقى بما يسخر له منها وقد يسعد ؛ وهو فى أحزانه وهمومه ، ومحابه ومكارهه ، وأمراضه ومصائبه ، لا يجد سلوى ولا مخرجاً ولا عزاء إلا بالدين، وبطاعة الله فى الدين . وكيف وهو لن يلقى النعيم الصرف الذى لا يخالطه عذاب، والسعادة المحضة التى لا يشوبها شقاء ، إلا بعد هذه الحياة فى حياة أخرى لا نهاية لها ولا أجل إذا كان قد أطاع الله وعمل فى دنياه بالدين

على أن هناك معنى فى الدين الإسلامى أكرم الله به الإنسان كرامة لا يقوم بها شكر ولا ينقضى منه عجب المتفكر ، ألا وهو تفضل الله جل جلاله بمخاطبة الإنسان من كتاب من عنده سبحانه على لسان رسول من البشر تقوم الأدلة القاطعة على صدقه . إن مجرد مخاطبة الخالق للمخلوق كرامة دونها كل كرامة يكبرها ويجلها الإنسان فى الدنيا ، فكيف والخطاب فى كتاب عظيم كريم مبين . الحق سبحانه هو المتكلم فيه ، فليس لبشر فيه جملة أو كلمة أو حرف ! كتاب من عند فاطر الفطرة وصفه فيه جل وعلا بصفة الفطرة بقوله : « وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »

أليس من أكبر الكرامة أن يذكر الله الإنسان ولا ينساه ، وأنه يوجه إليه الخطاب فى كتاب يهديه به سبحانه سبل السلام وسبل الهدى والنور ؟ أليس من أكبر النعمة حين علم الخالق سبحانه ضعف الإنسان وجهله وما يتهدده من جرائهما من أخطار أن ينزل عليه نظاماً لحياته هو وفق الفطرة التى لم يكن الإنسان ليحيط بها ولا بسنن الله فيها ؟

إن العلم شئ وتطبيقه من غير خطأ أو خلل شئ آخر . فلو أن الإنسان أحاط بالفطرة علمه لما استطاع أن يطبقها على حياته تطبيقاً محكماً لاخلل ولاعوج فيه . بل إن صعوبة التطبيق وإصابة الحكمة فيه لتزداد بازدياد ما يراد تطبيقه وتفرعه . فالإنسانية بقواها العقلية المحدودة أعجز من أن تحيط بالفطرة علماً ، ولو علمت لكانت أعجز من أن تطبق علم الفطرة وتنتزع منه نظاماً عملياً لحياة الإنسانية فى عصر واحد بله جميع العصور

فإن الخالق البارئ الحكيم قد جمع للإنسانية بين علم الفطرة وبين إحكام تطبيقه على الحياة حين أكرمها بالإسلام دين الإنسانية الكامل الشامل الذى أنزله على محمد نبى الهجرة صلوات الله عليه . فعجب إذن للانسانية كيف تتخبط وبين يديها الهدى ، وكيف تشقى وفى متناولها السعادة، وكيف تموت وعلى مقربة منها الحياة !!

ثم اعجب عجباً بعد عجب من قوم يزعمون من بين الإنسانية أنهم مسلمون إلى الله مؤمنون بالكتاب الذى أنزل والرسول الذى أرسل ، ثم هم يعطلونه ولايقيمونه ، ويضيعونه ولا يحفظونه ، بل هم يلتمسون الهدى فى غيره ، ويتطلبون الحياة ممن ضل عن روحه ونوره ، ويولون قلوبهم ووجوههم لاشطر المدنية الإسلامية التى أقامها الرسول بتطبيق كتاب الله فكانت مثلاً عملياً أعلى للانسانية كلها ، ولكن شطر المدنية الغربية التى ضلت عن ربها وعبدت المال والقوة والجاه فأداها ذلك إلى التهلكة التى ترى والتى تحاول التخلص منها فلا تستطيع

فريق من الإنسانية بيدهم النور فلا يستنيرون به ! وفريق فى الظلمات يظنون أنفسهم فى نور ! أيهما يا ترى أظلم ؟ ولأيهما يا ترى تكون النجاة ؟

محمد أحمد الغمراوى

الشجاعة وأثرها في الإسلام

للأستاذ محمد عرفه



لو قيل لى أى الأخلاق الفاضلة كان له الفضل فى ظهور الإسلام وانتشاره لما ترددت فى أن أقول الشجاعة. فالشجاعة الأدبية والشجاعة الجسدية هما الدعامتان اللتان قام عليهما الإسلام، وبفضلهما انبثق نوره فى سائر الأرجاء ؛ أو قل إن الشجاعة الأدبية والشجاعة الجسدية نوع واحد مرجعه إلى جرأة القلب ، والاعتماد على النفس ، وعدم الخوف من أحد ؛ فإذا وجد صاحبهما حقاً مهيضاً نصره ، وإذا وجد باطلاً عرماً خذله بحد اللسان أو بشبا السنان

ولقد كان صاحب الدعوة الإسلامية أشجع الناس فى قول الحق والجهر بما يعتقد ، وبحسبك أن قومه كانوا يقدسون الأصنام ويرونها الحق الذى لا ريب فيه ، والصدق الذى لا تحوم حوله شبهة ؛ وكان يعلم أنهم يتعرضون لشبا السيوف وملاقاة الحتوف محاماة عن أصنامهم وذباً عنهم ، فلم يمنعه ذلك من أن يجهر بالحق ويعيب آلهتهم ، ويسفه أحلامهم ، ويصيح فى وجوههم : « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » . « ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها ؟ » . رباه الله على الشجاعة الأدبية والجهر بما يعتقد فقال له : « يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر » . وقال : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين » . وقال : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » . وأبان له أن كتمان الحق موجب للعنة الله والناس « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » ؛ فعلم أن فى العالم حقاً وباطلاً وخيراً وشراً ، وأنه يجب على الأنبياء والمصلحين أن يكونوا نصراء الحق والخير وأعداء الباطل والشر ، وأن عليه أن يذكى هذه العداوة ويؤجج نارها حتى يديل الله الحق والخير من الباطل والشر . وكما كان صاحب الدعوة صلوات الله عليه المثل الأعلى فى الشجاعة الأدبية ، فقد كان كذلك فى شجاعته الحربية أعظم مثل وأروعه ، يدل على ذلك قول علىّ : « إنا كنا إذا حمى البأس واحمرّت الحدق اتّقينا برسول الله (ص) فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه . ولقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً » ؛ ووقفته الخالدة يوم أحد ويوم حنين حين فر الشجاع وارتعد الصنديد أكبر مثل وأعظم برهان

ولقد ربى الإسلام المسلمين على الشجاعة وحببها إليهم وزينها فى قلوبهم « إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » حتى جعل الجنة تحت ظلال السيوف ، ومازال يربيهم على الشجاعة والقوة والمنعة إلى أن صاروا فيها مُثُلاً عُلْيا وأمثالاً مردّدة ؛ ففرض الله عليهم أن يثبت الواحد لعشرة ولا يفرّ منهم ، ثم خفف عنهم وأوجب أن يثبت الواحد لاثنين ولا يفر الجيش من ضعفه « يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ، الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً ، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله »

وكان من أثر الشجاعة فى النبى وأصحابه أن عزّ الإسلام والمسلمون وصاروا أمنع من عقاب الجو وجبهة الأسد ، لا تلين قناتهم ولا يسلمون لمن أرادهم ، فلم تضعفهم قلتهم و كثرة أعدائهم وكان للاسلام العزة وللمسلمين التمكين فى الأرض

وكان أولو الأمر من المسلمين الأولين يحافظون على قوة نفوس

المسلمين كنبع لعزة الدولة الإسلامية ، ويعلمون أنهم إذا عاملوا الرعية بالقهر ذُلّوا لهم فذُلّوا لغيرهم ولم يكن فيهم غناء ، فبالغوا فى المحافظة على روح المسلم أن تذل وكرامته أن تمتهن ، بل جاوز ذلك غيرَ المسلمين ممن تظلهم الدولة الإسلامية برعايتها . ضرب ولد لعمرو بن العاص قبطياً فبلغ ذلك الخليفة عمر بن الخطاب فأرسل إلى عمرو وابنه وقال : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ لا . بل لقد كانوا يفرحون إذا وجدوا فى الأمة ما ينبئ عن قوة نفس وشجاعة قلب وجرأة على قول الحق . خطب عمر بن الخطاب فى خلافته فقال : « أيها المسلمون إذا وجدتم فىَّ اعوجاجاً فقوّمونى . فقام رجل من المسلمين وقال : والله لو وجدنا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا ، فقال عمر : الحمد لله الذى جعل فى هذه الأمة من إذا وجد فىَّ اعوجاجاً قوّمنى بسيفه . وذلكم مدى عناية الإسلام بالشجاعة ومدى ما كان لها من أثر فى ظهوره وانتشاره

بل إن الحضارة لم تتقدم وإن المدنية لم تنهض وإن العلوم والمعارف لم تعلُ إلا بفضل الشجاعة

يرى المصلح نظاماً فاسداً فى المجتمع أو رأياً قائلاً فى السياسة فيشن عليه حرباً شعواء ، يظهر عيوبه ومساوئه غير مبال بسخط الساخطين وغضب الناقمين ، ويستمر فى حربه وجهاده حتى تصبح آماله فى الإصلاح حقائق واقعة . فينقذ الأمة من شر وبيل . ويرى العالِمُ جهلاً قد جعل علماً وعلماً قد جعل جهلاً فيجهر بمـا يعتقد . يحارب الجهل ويشايع العلم ، فإن لم يكتب له الظفر فى حياته كان لفكرته النصر فى مستقبل الأجيال .

وبهذا تقدمت العلوم ، ونهضت الأمم ، وارتقت البشرية ، وذهبت أوضاع اجتماعية كانت داء وبيلاً ، وحل محلها نظم هى خير وأبقى .

فإذا رأيتم أمماً ترزح تحت أنظمة فاسدة وعادات بالية فاعلموا أنها لم تمط الشجاعة الأدبية لنقد الفاسد من أنظمتها والباطل من تقاليدها فتخلفت حين جد الركب وسارت القافلة .

على أن قوة نفوس الشعب وغلبة الشجاعة على أبناء الأمة أمر لا يأتى عفواً ، إنما هو نتيجة علم وافر وسياسة عادلة ونظام دقيق وإصلاح عام يتمشى فى جميع مرافقها ؛ وأول شىء فى سبيل ذلك أن يعلم أن النفس الإنسانية إذا استبد بها وأسىء الاحتكام فيها ذلت وضعفت وذهبت منها معانى الرجولة من النشاط والقوة والحزم والعزم والاستقلال الذاتى ؛ وإذا رفق بها وعوملت باللين وأحسنت رعايتها عزت وعظمت وكان لها من القوة والعزة والشمم القدر الذى تصلح به وتقدر على إصلاح من معها ؛ فإذا علمت الأمة ذلك وراعته وكانت سياستها فى الحكم والاجتماع والتربية سياسة رفق ولين فى غير ضعف ولا خور اطرد تقدمها ورقيها .

أيها المسلمون :

إذا رأيتم أنفسكم متخلفين عن ركب المدنية فاعلموا أن ذلك منكم وما كان يقدر أن يفعل ذلك بكم أحد سواكم . ملك بعضكم بعضاً ملكة قهر وغلب ، واستبد بعضكم ببعض فأفسدتم نفوسكم وجردتموها من معانى العزة والقوة ومن مقومات الحياة المدنية الثائرة ، فضعفت الشجاعة فيكم وضاعت من بين جوانحكم . وإذا فقدت الشجاعة فقد فُقد كل شيء ؛ ولو كشف لكم عن حقائق الأمور لرأيتم كل واحد منكم قد أخذ معوله بيده وأخذ يهدم جاهداً فى نفوس الآخرين ، فالأب يقتل نفوس أبنائه ، والزوج نفس زوجه ، والمعلم نفوس المتعلمين ، والرئيس نفوس المرؤوسين ، وهكذا أصبح كل من له رعاية يستبد فيها بالآخرين ويسيء حكمهم ويقتل فيهم روح القوة والرجولة

أيها المسلمون :

إذا أردتم أن تساهموا فى بناء المدنية الحاضرة فإنى أوصيكم بواحدة : أن تبقوا على رجولتكم وشجاعتكم وذلك بأن تعدلوا فى سياستكم وتحسنوا فى رعايتكم ، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ؛ فالرجل راع على أولاده ، والرئيس راع على مرؤوسيه . والحاكم على محكوميه ، والمعلم على تلامذته . عليكم بالرفق فى معاملتكم ، والإحسان فى سياسة من تلون أمورهم ، والمحافظة على كرامتهم كما تحافظون على كرامة أنفسكم . ولتكن آثر الحكومات لديكم أرفقها بكم ، وآثر الرؤساء عندكم أعدلهم فيكم ، وأحبَّ الناس إليكم من يحافظ على كرامتكم ومن يعمل على أن تكون نفوسكم قوية وأخلاقكم فتية . وليكن أبغض الناس لديكم من يعمل على أن تكون نفوسكم مهينة وأخلاقكم خائرة ضعيفة ، واجعلوا صديقكم من الكتاب من ينصحكم ويسمو بكم إلى آفاق الفضيلة والكمال . واجعلوا عدوكم منهم من يغشكم ويستغل غرائزكم الحيوانية . ومن يقول لكم ويقول

ثم لا تأخذون مما يقول روحاً سامية، ولا تستفيدون منه سمواً خلقياً

ويومئذ تجرؤون على كلمة الحق فتنتقدون الأنظمة الفاسدة، والتقاليد البالية والأوضاع الضارة . ويومئذ تنتقلون من فساد إلى صلاح ، ومن ضعف إلى قوة ، فى جميع شؤونكم وفى جميع مرافق الحياة فيكم

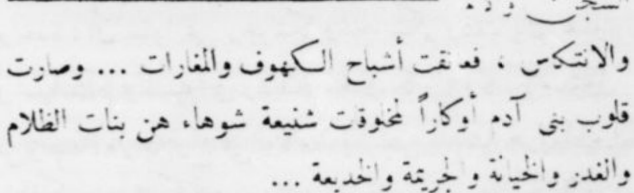
ويومئذ تسيرون مع ركب الإنسانية للعمل لخير الإنسانية ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله

محمد عرفة

عضو جماعة كبار العلماء

متى النور يا ظلمات

للأستاذ عبد المنعم محمد خلاف



أطبق الظلام على جميع آفاق الأرض . . . واختفى النور الصناعى الذى كانت الإنسانية تتسلق عليه إلى شُبُحات الجمال الموقوت والفن الفانى والطمأنينة الكاذبة . . . وارتدت الأحلام السعيدة إلى واقع الشجن والألم والانتكاس ، فعنقت أشباح الكهوف والمغارات ... وصارت قلوب بنى آدم أوكاراً لمخلوقات شنيعة شوهاء، هن بنات الظلام والغدر والخيانة والجريمة والخديعة ...

ولم يَعُدْ للانسانية غير ينابيع نور الطبيعة تستصبح به ... لم يَعدْ لعيونها غير الشمس والقمر والنجوم ... ولم يعد لقلوبها غير نور النور قبل الأزمنة والدهور ... ولم يعد لأفكارها غير مبادئ الحق الواضح فى الطبيعة .

أما الفلسفات والآراء والنظريات البراقة التى رددتها منابر المعاهد والمجامع ومجالس الترف العقلى ، فقد اختفت مع اختفاء الأنوار الصناعية التى أوقدتها الأيدى الظالمة النجسة التى لم تتطهر بنور الله ، وقد طارت بكتبها وسجلاتها قذائف الحديد والنار ...

ترى : هل تكون أمواج هذا الظلام طوفاناً يغسل الأرض من ذلك النور الصناعى المدلس المدخول الذى لم يجر من منابع الحب ويد الله ، وإنما من يد الشيطان الذى طمس وجه الحياة ، وجعلها فى نظر الأحياء ليست أكثر من اقتناء الفحم الأسود و « الفحم الأبيض » والذهب الأصفر و « الذهب الأسود » ؛ ثم أغراهم بذلك وجعلهم وراءه يتراكضون تراكض الذئاب بالأظفار والأنياب فى عصر العجز والقصور ، وبالفياصل والمناصل فى بدء عصر التغلب والقدرة ، ثم بالطائرات والغائصات والبارجات والجرارات فى عصر بلوغ الأشد واكتمال السلطان ! ؟

أم أن القلب البشرى لا يزال ولن يزال يعبد الظلام ويفىء إليه ويأنس بسكانه ، ويرى فى عالمه عبقريات يجب الرجوع إليها على فترات من الزمان ؟ ولن تزال وثنيات الجنس وخيلاء القومية وعبادة البطش وشهوات الاقتناء عقائدَ مقدسة يُفلْسَفُ لها وتصطنع فى حبها ترانيم وأناشيد ، وتقدم لمذابحها قرابين من اللحوم البشرية ، ولمجامرها بخور وعطور من الأموال والمقتنيات حتى يرث الله الأرض ومن عليها ؟

أما أنا فقلبى تغمره موجة من التفاؤل الأكيد حول مستقبل سعيد قريب للانسان ، وظنى أن هذه الظلمات تتمخض عن فجر أبلج وضاح يغمر آفاق الأرض غمراً طويلاً كما غمرتها هذه الظلمات طويلاً ... لأن قواد المعسكرين الهائلين المتحاربين لا ينفكون يرددون على أسماع الأمم التى فى أيديهم أزمتها ومقاليدها ؛ أنهم يحاربون فى سبيل خلق عالم إنسانى عادل سعيد هانئ بعد الحرب ؛ فإذا حدثت القوادَ نفوسهم أن يخيسوا بعهودهم وينقضوها ، فإن المجهودين المنهوكين من جنود الحرب وعمالها

ومنكوبيها سوف ينكلون بهم تنكيلاً ، سواء أكانوا منصورين أم مخذولين ، لأن الجرائم التي ارتكبت في هذه الحرب لا تغتفرها الشعوب إلا إذا رأت أنها أسلمت الناس إلى عالم أسعد وأكمل من العالم الحالي ، ولأن الحياة الاجتماعية لا تحتمل حرباً كهذه الحرب التي تدمر الإنسان مع ما أقامه من المدن والأعمال ومخلفات التاريخ ومقدسات العقائد والوصايا الخلقية بالأطفال والعجزة والشيوخ والنساء ... ولأن حرباً بعد هذه الحرب لا بد أن تكون أدهى منها وأمر ، بحيث تسحق براعم الحياة المدنية وأصولها سحقاً لا يبقى ولا يذر ، بما وصل إليه هذا الإنسان العجيب وما سيصل إليه في فترة السلم التي تعقب هذه الحرب ...

ويخطئ من يظن هذه الحرب صورة من ذلك العراك التقليدي بين بني البشر ، وأنها ثورة غرائز وحب غلبة بين مجموعة ومجموعة من أمم تحب الحرب للحرب ، وتمجدها لا لشيء إلا اندفاعاً وراء تلك الغرائز والحركات التاريخية الموروثة ... إن من يظن ذلك ذو نظرة متخلفة ، لا تزال تعيش في حدود النظرات الأولى للانسان ...

إن هذه الملحمة الكبرى تحول عميق أصيل عظيم في توجيه الحياة ... الحياة الخاصة للأمة الواحدة ، والحياة العامة للأمم جميعاً ... فلنتيقظ لهذا ، ولنؤمن به ، ولنعمل له ...

وإن القدر يؤذن بميلاد حياة جديدة ، وابتداء دورة زمنية بعقل الإنسان وقلبه وجسمه بعدهذه الحرب الحُطَمة الضَّرُوس التي تهدم مثل العالم القديم الضيقة بمثلها وأفكارها الحرة ، كما تهدم مبانيه ومخلفاته بالديناميت ...

وها هي ذي مواكبها ومراكبها وجراراتها العنيفة وزواحفها وطائراتها القاذفة والمنقضة والمترنحة والشراعية والهابطة ، وصواريخها وأبواقها وأنفاسها في الأثير ، وعيونها الكشافة ، وحشود جيوشها الآخذة من شمال الأرض وجنوبها وشرقها وغربها في قاراتها الخمس وبحارها السبعة ومن وراء كل أولئك عقول جبابرتها وأساطين علمائها ، ومعاملها الساهرة ومناجمها الحافرة ، ومحادثاتها السرية والجهرية ومؤامراتها والدماء والأرواح المبذولة فيها من الجيوش البيضاء والسوداء والصفراء والحمراء ، والعروش المقوضة والصوالج والمقاليد المحطمة ، والحديث عنها بكل لسان وبين كل قبيل من المتحضرين والهمج ...

ألا إن الحياة تنقل أقدامها بهذه الحرب إلى المجاهل حينما رأت أن كثيراً من بنيها لم ينهضوا بعد من مراقدهم في الكهوف والغابات لمشاهدة مواكبها الحديثة التي دقت نواقيسها في الآفاق ولم يشتركوا في حمل قوائم عرشها العظيم الذي من لم يره ويدرك أسراره لا يمكن أن يقال عنه إنه ابن زمانه وإنه حقق الغاية المنشودة من إخراجه للحياة في زمن بعينه ...

ولما رأت أن نورها في دور السلام والاستقرار استأثر به جماعة من الأوصياء الأنانيين ، وتركوا غيرهم من القاصرين يخوضون في الظلام والجهل ، حولت ذلك النور إلى شعل ذات لهب وحريق يأكل هذه الصدور الأثرة الأنانية التي ما عرفت قصد الحياة من وضع مصابيح النور في أيديها وخانت أمانات الاستخلاف .

فمن الذي لا يستيقظ ويتنبه بعد كل هذه الضجة النكراء ويسرع إلى موكب الحياة العظيم بالجسم الخفيف القوي الصحيح والفكر اللطيف اللاح العالم ، والقلب المؤمن العارف الحامل لأمانات الحياة ؟ !

***

وإذا أعرضت الإنسانية ونسيت آلامها الحاضرة وبؤسها وشقاءها بهذه الحرب وتركت الأنظمة الجائرة الغاشمة المغلوطة تتحكم فيها فويل لها ثم ويل لها ! وويل للذين يقودونها ! وتعساً للمكتوين بنار الحرب من العمال والصناع والجنود إن لم يقفوا في وجه اللاعبين بالشعوب !

ما أجمل إخاء العالم الإنساني ! وما أقربه في القلوب البريئة من أكثر الناس ! لولا الذين يؤرثون في صدورهم نار الحرب والحقد ببعض الأناشيد وإثارة الذكريات الجاهلية والخيلاء العسكرية والألوان الدموية المهيجة !

إن الثيران تظل هادئة مستأنسة حتى يثيرها مثير باللون الأحمر فيحولها إلى وحوش فاتكة ...

وكذلك قطعان ابن آدم تريد الهدوء والاستئناس حتى يثيرها مثير بالكلمات الحمراء والحماس الكاذب وحب الشهرة عن طريق الحرب والتخريب حين لا يوجد مجال لبعض الرجال للشهرة عن طريق السلم والعمران وإضافة شيء إلى بناء الحياة

***

وما أعظم خسارة الإنسانية فى أبناء السلم الذين ذهبوا فى ضحايا هذه الحرب !

إنهم إنسانية عاملة عاملة مدربة ماهرة كانت قد نجت من عوامل الموت والجهل والجفوة وتعبت فى تربيتها ثقافة السلام التى استحدثت بعد حرب العظمى الماضية

إنهم ثمرة كبيرة نمت فى جمال وصحة ولكنهم الآن يموتون فى خنادق الصحراء وزمهرير الثلوج ، وعلى أذرع الموج الفاغر والهواء المخلخل وتحت أثقال الحديد وبين صعق القذائف ! وهكذا يذهبون طعمة لوحوش الفلوات وأسماك البحار وتتساقط أعضاؤهم بين ركام الثلوج كأنهم عصف مأكول أو هباء منثور

ثم أعظم خسارة السلم فيهم بعد انتهاء الحرب حين تفتقد عناصر العاملة العلمية الفنية فلا توجد إلا بعد حين !

ولكنهم قربان لا بد من تقديمه فى سبيل مطلب عظيم !

وقد مات الميت فليحيى الحى !

* * *

وما أعظم ما تحتمل أعصاب البشر ! إنهم برهنوا على أن أرواحهم أقوى من الفولاذ والديناميت ؛ إذ رضوا أن يغدوا ويروحوا على موقع هذا الموت الفظيع والعذاب الوجيع ، وهم مع ذلك يطيعون وينشدون . . . وإذا رضوا أن تهدم ديارهم وأموالهم وتنسف أطفالهم وحبيباتهم ...

ذلك تحرر وانطلاق فى سبيل العزة وصيانة العقائد

أين صور الأهوال ووقعها فى القديم ؟ من كان يظن أن يعيش فترة ينتظر فيها نزول الصواعق والنواسف كل لحظة من السماء ، وهو مع ذلك يأكل ويُباعِل ويرقص ويغنى ويقتنى الأموال وينشد الرفاء والأطفال ؟

من كان يظن أن يفعل الناس هذا وهم فى ساحات هذه القيامة ؟ ! ما أوثق ما ربط الله الإنسان بالأرض !

هذه النفس البشرية أقوى وأبقى من هذه الأهوال لأنها هى التى صنعتها ولذلك لا تخشاها ...

ألا يجوز أن يكون هذا الاحتمال الصابر الذى بدا من النفوس البشرية تحت آلام النار والحديد تدريباً لها من الأقدار العليا وإعداداً لمستقبل مجهول ستحتمل فيه آلام اختراق الحجب الكثيفة التى تحول بينها وبين علم الكثير من غيب السموات والأرض ؟ !

ألا يجوز أن يكون هذا التسابق العنيف بين الدول المتحاربة فى اختزال الأبعاد والمسافات واقتحام العقبات إنما هو حَبْوٌ على عتبات باب من الانطلاق والتحرر ؟

ألا إنها الطبيعة الجامدة الميتة تبس هذه الأجساد الحية الثائرة المترعة بالحياة المتجددة ، الآخذة من موارد علم الله وقوته وقدرته !

ألا إنها القوى التى طال سجنها وكمونها فى صدر الأرض ، وجدت سبيلها إلى الانطلاق والظهور على يد الابن البكر للأرض !

ألا إنها جنٌّ خفية تركب مراكبها وتتدافع منطلقة من سجونها فى التراب ...

أطلقها يد الإنسان الذى لا يزال ذاهلاً عما يصنع ذهول النحل عما تمزج ، أو دودة القز عما تنسج !

* * *

هذه الحرب عملية هدم ما على الأرض وما فى نفس الإنسان ليحدث الله بعد ذلك أموراً ... ولن تنتهى إلا بعد أن تشمل موجتها كل البقاع ... ستيقظ على قوارعها سكان خط الاستواء فى مجاهل القارة السوداء ، وسكان الأراضى البيضاء وما بينهما وسكان الجزر النائية المنثورة فى المحيطات وامتزجت منهم جميعاً جيوش فى جميع البقاع تقاتل فى سبيل غاية واحدة ...

وإن الأقدار تحررهم من التاريخ السيئ و « تصفى » ميراث الشراهة والحقد ...

فهذه آثار لندن العزيزة على أهلها تهدم . . . هدمها الإنجليز لا الألمان ! لأنهم لم يسلموها لهم كما سلم الفرنسيون باريس ... بل تحرروا من حبها وقدموها دون حرية نفوسهم وعقائدهم فى الحياة ... ولا بد أنهم قد علموا بعد أن خوت مدينتهم على عروشها أن النفس هى الباقية أو هى الجديرة بحرص المرء على بقائها سالمة كريمة وما عداها فداء لها . وتلك حقيقة من حقائق الإيمان كان الإنجليز قد فقدوها حينما تدفقت عليهم سيول الأموال من بقاع الامبراطورية قروناً طويلة

ولا بد أنهم تذكروا كذلك أن حرية كل شعب محكوم لهم يجب أن تكون أعز عليه من كل شىء ، بعد أن هددت حريتهم من عدو غاشم جبار فعرفوا ذلك وكانوا قد نسوه أيضاً فى تلك الفترة الطويلة التى حكموا فيها أمماً ولم تحكمهم أمة . . . وبالطبع سيكون لعلمهم وتذكرهم هاتين الحقيقتين من حقائق الإيمان أكبر الأثر فى عملهم على إقامة عالم سعيد على أنقاض القديم . وإذا نسى

الإنجليز أو تناسوا تلك الحقائق بعد هذه الحرب فسوف لا ينسى الأمريكان الذين كانوا بنجوة من الحروب الحديثة وويلاتها بعد أن تحرروا من وثنيات الأجناس والدماء المختلفة ونعرات القوميات المفرقة وسُمَّار الاحتكار والاستعمار ...

* * *

أجل إن الأقدار ذات الحفاوة بالإنسان ما كانت لتترك هذه المجموعة الكبرى من الأمم التي تتكلم الإنجليزية ومن يرتبط بها في أكثر بقاع العالم دون أن توحدهم وحدة تامة بأية وسيلة لتتخذ منهم خميرة لوحدة أو شبه وحدة بين بني البشر . وقد خابت مساعي توحيدهم عن طريق السلم ، إذ عز على الإنجليز المحافظين أن ينزلوا عن كثير من تقاليد امبراطوريتهم العظيمة ، وعن حقوق الغلبة والفتح فيها ، وكانوا أولى الناس باتباع ذلك بعد أن خرجوا من الحرب الماضية منصورين . وإذ عز كذلك على الأمريكان الأحرار أن يسيروا مع الإنجليز في نظرياتهم المحافظة فيرتدوا عن مبادئ عالمهم الجديد وثوراتهم العظيمة التي قضوا بها على خمائر الأحقاد ومواريث التاريخ السيئ في القارات القديمة ، فعاشوا حياة جديدة في أرض جديدة ...

فكانت هذه الحرب الحالية ردًّا سريعاً من الأقدار وعقاباً للأمم الناطقة بالإنجليزية لأنها أهملت وتوانت في السعي المشترك المسلح لإقامة عالم أسعد وأعدل ، وكانت وحدها — ولا تزال — هي التي تستطيع أن تنهض بأعباء ذلك العالم المنشود

ولم أكد أفرغ من كتابة هذا المعنى حتى ساقت لي الأقدار دليلاً يؤيده من أقوال أحد أساطين الأمريكيين وهو المستر « وندل ويلكي » منافس « روزفلت » في الانتخابات السابقة ... قال كما ورد في « أهرام » ١٤ / ١ / ١٩٤٢ : « إننا جميعاً نلوم هتلر وحده ، بيد أن هذه الفكرة السطحية ليست صحيحة . فاللوم لا يقع على هتلر وحده بل ينصب علينا إلى حد ما . فلقد سمحنا في الماضي لإنتاجنا الصناعي العظيم أن يتحكم فينا وأن يتغلب على مثلنا العليا ... »

أجل ، هذا هو موضع الداء ، وضع « ويلكي » أصبعه عليه ... فإن أمريكا كان يجب أن يكون موقفها بعد الحرب الماضية موقف « بوليس » العالم بعد أن كان انضمامها للحلفاء في تلك الحرب أعظم مرجح لكفتهم ، وبعد أن تلقى المعسكران المتحاربان مبادئ الرئيس « ويلسن » الأربعة عشر بالحفة والقبول والاستبشار . وكان فيها المثل الأعلى المنشود . وكان شرف أمريكا يقضي عليها أن تقوم على تنفيذ تلك المبادئ التي قدمها رئيسها باسمها ، وأن تعلن حرباً على من يخالفها حتى يفيء إلى أمرها

ولكن ما شغل به العالم بعد الحرب من التهافت على المتاع المادي للتعويض عما أصابه من آلامها ، وما رأته أمريكا من عودة ذوي النزعات المحافظة إلى أساليبهم القديمة في مزاولة السياسة الدولية ، وما قضت به مساعي الرأسماليين والاستعماريين الأنانيين من بقاء العالم في أدوائه القديمة ... كل هذا ثبط من عزيمة أمريكا وجعلها تترك العالم القديم في شقائه وتقنع هي بعزلتها السعيدة

ولكن ها هي ذي يد الأقدار تمتد لتنتزعها من هناء عزلتها وتحشرها مع بني عمومتها وتدفعها معهم في هذه الحرب الزبون برجالها وأموالها وقضها وقضيضها ... وما أظنها ستنسى واجبها مرة ثانية حين يعود السلام . ومن هنا ينبعث نور الأمل . لأن أمريكا عملٌ عظيم في طريق أمل أعظم !

* * *

وبعد ، فإن ذكرى هجرة الرسول الأعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ينبغي أن تبعث في قلوب المسلمين روح الاستعداد لانتقال عظيم يجب أن يقدموا عليه بعد هذه الحرب للوقوف في صفوف الأمم التي ستشترك في إقامة الحياة العادلة السعيدة التي تخدم أهداف الإنسانية جميعاً . وإنهم لجديرون أن يقدموا للعالم أعظم المبادئ التي تقوم عليها السلامة الإجماعية والمساواة الفردية والدولية التي تنشدها الأمم وتنادي بها في كفاحها

فليهاجروا إلى حياة الحق والعدالة التي في دينهم بأرواحهم وأفكارهم حتى يكونوا نماذج مجسمة لما سيقدمونه للعالم بعد الحرب من مبادئ وحلول للعقد والمشكلات

وليعلموا أن هذا هو أوان التبشير والدعوة إلى مبادئ دينهم العالمي الذي قام على أصول أديان الحق التي ارتضتها البشرية في المشرق والمغرب ...

« ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرضَ يرثها عباديَ الصالحون »

عبد المنعم محمد خلاف

حكمت محكمة المنصورة العسكرية في الجنحة ن ٤٠٣ سنة ٩٤١ بحبس زينب المرسي حسن من سندوب شهراً بالشغل لبيعها فحماً بسعر زائد عن الحدد

من وحي النبي

معجزة العنكبوت

للأستاذ محمود حسن إسماعيل



[مشهد غنائي تنبع موسيقاه من الغار الذي أوى إليه النبي العربي الخالد مع صفيه « الصديق » في جبل « ثور » خوفاً من أذى المشركين الذين اقتفوا أثر « المصطفى » في طريقه إلى المدينة يوم الهجرة] .

(أبطال المشهد : العنكبوت ، الحمامتان ، الثعبان)

العنكبوت يغني (وهو ينسج خيوطه بعد أن دخل النبي وصديقه الغار) :

فِي سَبِيلِ اللهِ دُورِي يَا خُيُوطِي فِي الْأَثِيرِ
أَنَا نَسَّاجُ الْحُصُونِ الشُّمِّ مِنْ أَوْهَى السُّتُورِ
وَقَفَ الدَّهْرُ عَلَى بَا بِيَ مَذْعُورَ الضَّمِيرِ
وَحِجَابُ الشَّمْسِ لَاقَا نِي بِأَجْفَانِ الضَّرِيرِ
وَالضُّحَى خَرَّ كَلِيلًا فَوْقَ أَعْتَابِي أَسِيرِ
أَنَا شَكٌّ جَاءَ يَحْمِي كُلَّ إِيمَانِ الدُّهُورِ
أَرْسَلَتْنِي قُدْرَةُ اللّـــهِ أَمَانَ الْمُسْتَجِيرِ !
قَدْ وَهَى بَيْتِي ... وَلٰكِنْ صَارَ مِحْرَابَ الْعُصُورِ
بِالَّذِي أَخْفَى مِنَ الْأَنْـــوَارِ فِي وَجْهِ الْبَشِيرِ ...
فَارْفَعِي يَا حِكْمَتِي سَدًّا عَلَى بَطْشِ الْمُغِيرِ
وَتَغَنَّيْ يَا خُيُوطِي ثُمَّ دُورِي ! ثُمَّ دُورِي !

الحمامة الأولى (وقد وجدتا نفسيهما فجأة على باب الغار يلقفان ويسمعان نشيد العنكبوت) :

أُخْتَاهُ ! مَاذَا دَهَانَا فَلَمْ نَعُدْ فِي حِمَانَا ؟ !
مَاذَا ؟ ! رِمَالٌ ، وَنُورٌ وَعَنْكَبُوتٌ شَجَانَا ...
وَالْبِيدُ قَلْبٌ تَرَامَى عَلَى الثَّرَى حَيْرَانَا
وَسَامِعٌ ، وَمُنَادٍ وَأَعْيُنٌ لَا تَرَانَا
وَضَجَّةٌ فِي الْفَيَافِي حَسِبْتُهَا بُرْكَانَا
لَعَلَّ رِيحًا عَتِيًّا عَلَى الصُّخُورِ رَمَانَا
فَضَلَّلَتْنَا خُطَانَا وَأَوْحَشَتْنَا رُبَانَا
أُخْتَاهُ ! مَاذَا ؟ ...

الحمامة الثانية :

.... رُوَيْدًا فَقَدْ ضَلَلْتِ الْبَيَانَا
فَمَا تَرَكْنَا رُبَانَا لَكِنْ هَجَرْنَا الزَّمَانَا
لِذَلِكَ الْغَارِ جِئْنَا نُلْقِي عَلَيْهِ الْأَمَانَا
فَفِيهِ هَالَةُ نُورٍ تُفَجِّرُ الْإِيمَانَا
طَافَتْ بِمَكَّةَ حِينًا فَدَكَّتِ الطُّغْيَانَا
وَلَاحَ مِنْهَا شُعَاعٌ يُكَبْكِبُ الْأَوْثَانَا
فَالْمُشْرِكُونَ لَدَيْهَا مُسَهَّمُونَ حَزَانَى
خَرُّوا سُجُودًا ، وَأَرْخَوْا لِصَفْحَتَيْهَا الْعِنَانَا !
إِلَّا بَقَايَا ضَلَالٍ تُسَاوِرُ الْعُمْيَانَا
سَاقَتْ إِلَى النُّورِ جَيْشًا مُفَزَّعًا ، غَضْبَانَا

فَهَاجَرَ النُّورُ حَتَّى أَلْقَى الْعَصَا فِي حِمَانَا
ضَيْفٌ! وَكُلُّ الْبَرَايَا فِي حُبِّهِ تَتَفَانَى...
فَالْعَنْكَبُوتُ يُغَنِّي وَيَنْسِجُ النِّسْيَانَا
وَنَحْنُ نُلْقِي نَشِيدًا نُشْجِي بِهِ الأَكْوَانَا
وَنَسْحَرُ الْجَيْشَ حَتَّى يَفِرَّ حِينَ يَرَانَا
هَيَّا نُغَنِّي ...

الحمامة الأولى:

.... وَهَيَّا نُرَقِّصُ الْعِيدَانَا ...

تغنيان معاً:

نَحْنُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ حَارِسَتَانِ لِلنَّبِي
مِنْ وَحْيِهِ، وَطُهْرِهِ وَنُورِهِ الْمُحَجَّبِ
نُذِيعُ لِلدُّنْيَا صَدًى بِمِثْلِهِ لَمْ تَطْرَبِ...

***

نَحْنُ لِمَبْعُوثِ السَّمَا أَقْدَسُ طَيْرٍ رَنَّمَا
غَرِيبَتَانِ حَلَّتَا أَطْهَرَ وَادٍ فِي الْحِمَى
فَغَنَّتَا لِدِينِهِ لَحْنًا يُذِيبُ الصَّمَا...

الثعبان (خاشعاً مطرقاً بين يدى المصطفى بعد أن لدغ الصديق):

نَبِيَّ اللهِ... يَا هَادِي وَيَا تَرْنِيمَةَ الْحَادِي
وَيَا تَسْبِيحَةَ الْكُثْبَانِ، وَالرُّكْبَانِ فِي الْوَادِي
وَيَا تَوْبَةَ آثَامِ اللَّيَالِي... تَابَ إِنْشَادِي
وَجِئْتُكَ خَاشِعًا... مَاتَتْ نَوَافِثُ سُمِّيَ الْعَادِي
وَصَاحَ بِقَلْبِيَ الْغُفْرَانُ صَيْحَةَ مُغْرَقٍ صَادِ
أَغِثْ لَهَفِي! وَطَهِّرْ نَارَ تَسْبِيحِي وَأَوْزَادِي
لَدَغْتُ صَفِيَّكَ «الصِّدِّيقَ» حِينَ هَفَا لِإِبْعَادِي
وَخِفْتُ أَذُوقُ حِرْمَانَ السَّنَا مِنْ طَيْفِكَ الْهَادِي

[«سراقة» يمر على الغار ممتطياً جواده
متقصياً أثر النبي ... فضلله بيت العنكبوت
وطمأنينة الحمام ... فأعرض عن باب الغار
وعاد خائباً ... !]

(لها بقية) **محمود حسن اسماعيل**

العام الهجري

عبرة العبر

للأستاذ عبد العزيز البشري



هذه الشمس تطالع العالم بجفنيها من جانب الأفق . وما تلبث أن تتسلل منه رويداً رويداً ، حتى يستوى إطارُها على متنه . وما تزال في خلال ذلك تضاعف ما توسل على وجه الأرض من خيوطها العسجدية . وكذلك ما تزال تمطُل فيها وتبسطها من الشرق إلى الغرب . وهكذا تظل تحبو في مَدرَجها إلى قبة الفَلَك . وكلما حطت بالزمن خطوة ، رأيتها تشتدّ وتترعرع ، ويسطع ضوؤها . ويحمى وهجها إلى أن تبلغ الندوة ، وتستوى على أعلى الأوج .

وأنت خبير بأنه ليس بعدَ الصعود إلاّ الهبوط ، فهذه سنّة الله تعالى في كونه ؛ وكذلك تجرى سنّتُه على هذا الكائن العظيم ؛ فليس بعجيب أن يَدعو الفلكيون هذه اللحظة ، أعنى لحظة استواء الشمس في أعلى الأوج بالزوال ، إذ كان بدء الزوال ، هو غاية الكمال !

وهذه الشمس تمشى إلى الغرب في منحدرها كذلك رويداً رويدا ، كما تتداخلها الشيخوخةُ فالهرم رويداً رويدا ؛ حتى إذا اصفرّ لونها ، وبَردت السنُّ من جرمها ، جعلت تتدلى في قبرها من مغرب الأفق مستمهلةً مستأنية ؛ وهكذا تغيب في لحدها ، غير تاركة من التراث إلاّ صُبابةً من الذهب المذاب ، سرعان ما تتبخّر في حَلَك الظلام . وقد تترك توأمها الفضيّ على صفحة القمر ، يرفد العالَم به بعض ليالى الشهر .

تلك سيرة الشمس كلَّ يوم : ميلادٌ وترعرع ففتوة ، فشبابٌ وفراهة وقوة ، وكهولةٌ فشيخوخة فهَرم ، فتدسّ في النهاية تحت الرجَم . وسبحان الحيّ الذي لا يموت !

على أنها في جميع مراحل حياتها عاملةٌ جادّة جاهدة ، لا تنى عن السعي لحظةً واحدة . فها هي ذي تستنبت الأرض ، وتزكى الزرع ، وتبسّق الشجر ، وتنضج الثمر ، وتفتّح من أكمامه الزَهر . ثم ها هي تى ، في عنفوانها ، ما تفتأ تجتذب البخار ، عذباً سائغاً من أُجاج البحار[1] ؛ حتى إذا انعقد سحاباً ، سحّ فأخضل قفراً وأعشب يباباً . وهذه الأنهارُ الجاريةُ تُمونها في أقطار الأرض ، تبعث أسباب الحياة لكل مُبتغٍ للحياة . وكذلك لا ننسَ أنها ما تَبرح تعمل عامّةَ النهار ، في تطهير الأرض مما يَعلَق بجسدها من الأخباث والأوضار .

فأيّ عنصر ، لعمرى ، من حياة هذا العالَم يمكن أن يغنى عن الشمس ؟ ألا إنها لمصدَر الحياة جميعاً ؛ فحقّ للعالم أن يقول : إنما الحياة الشمس ، وإنما الشمسُ الحياة !

***

أيتها الشمس ! ما أحسنك وأجملك ، وما أطيبك وأكرمك ! تعملين لأول الدهر إلى غاية الدهر ، في غير ونًى ولا سأم ، ولا ضجر ولا تبرّم ، ولا صلف ولا استعلاء ، ولا زهو ولا كبرياء . ولو شاء الله لأهلك بحرك بعض الأقواء ، ولو قد شاء لأهلك بطول حجبك جميع الأنام !

***

وبعد ، فما أخلق الذين يمسهم حظ من المجد في هذه الدنيا ،

---

(١) كان المعرى ، رحمة الله عليه ، لا يؤمن بهذه القضية : (اشتقاق العذب من أمواه البحار) ، إذ تراه يقول في بعض شعره :

وقد يجتدى فضل الغمام وإنما من البحر ، فيما يزعم الناس ، يجتدى

كما يقول في بعض رسائله : (أو كالأمواه ، في مذهب لا أعتقده ، وقول سواى من يسدده ، يجتذب أجزاء البحار ، فيسير من تحته عذب الأمطار) !

والذين يمسون صدراً من السلطان فيها أن يبتغوا لسيرهم من سيرة هذه الشمس أعلى المثل . فيعملوا كل فى محيطه للنفع العام فى جد ودأب ، مؤمنين كل الإيمان أن الموهبة والسلطان إنما ينبغي أن يكونا ملكا خالصاً للمجموع لا لأحد من الناس ولا لشيء من الأشياء .

على أن مما يفجع حقاً أن كثرة من هؤلاء الذين ينالون مجداً ويولون سلطاناً سواء أكان أقام من ثم لهم هذا فى جماعة أم فى شعب أم فى شعوب — سرعان ما ينسون كل شيء لأن الأثرة قد ملكت من نفوسهم كل شيء . فنفوسهم هى المبدأ ، ونفوسهم هى الغاية . حتى إذا أجالوا الفكر فى منافع الجماعات ، فلا لأنهم يؤثرون لهذه الجماعات نفعاً أو يبتغون لها خيراً ، بل لأنهم إنما يطلبون من هـذا السعى مراماً لأنفسهم لا لشيء آخر ، وقد يكون هذا المرام ، فى أعف الصور هو إحراز المجد . أما ما يقع من خير المجموع ، أو ما يحتمل أن يقع ، فليس أكثر من طريق !

وكيفما كان الأمر ، فإنه ما يكاد أحد هؤلاء يحس مجده ويستشعر سلطانه ، حتى يَوْرَم أنفه ، ويتداخله من الصلف والمخيلة ما يملؤه اعتقاداً بأن الرأى فى الأمر ليس إلا ما يرى هو . وأن ما سواه لا صلاح له ولا خير فيه ، بل لقد يكون كله شراً وفساداً .

ولقد يشتدّ طغيان هذه الخَلّة على المرء ، فيرى أن الناس لا ينبغى أن ينظروا إلا بعينه ، ولا يسمعوا إلا بأذنه ، بل إنه ليرى أن من العبث الضار أن يجري فكرهم بغير ما يجرى به فكره ، وأن تنتهى آراؤهم على غير ما ينتهى إليه رأيه . فإذا خالفه امرؤ إلى غير هذا ، كان بين اثنين : إما ملتاث مخرق ، وإما معاند مكابر يجب أن يعجل له سوء العذاب !

وفى الحق أن أكثر من يغمرهم هذا الطغيان ، إنما يرون ما يرون ويفعلون ما يفعلون ، عن ثبات إيمان ورسوخ اعتقاد !

وما ظنك بمن تطبعهم شدة الأثرة على الإيمان بأنهم مبعوثون من لدن رب السموات لإصلاح ما فسد فى رقعة من الأرض أو فى رقاع الأرض جميعاً ؟ فإليهم وحدهم عهد الله بالاضطلاع بهذا المهم . وعليهم وحدهم تقع تبعة التقصير فى علاجه ، والتراخى فى إمضائه وإكماله !

وهؤلاء لا يطلبون الأعوان والأنصار ليعاونوهم بصدق الرأى وصالح المشورة ؛ ولكن ليعاونوهم بقوة المظهر وإمضاء ما قضى به الوحى الذى لا يخطىء أبداً !

فإذا تعاظمك ما يختلف على هذه الأرض من عصور العنت والطغيان : تخرب العامر ، وتدمر القائم ، وتُقفر الآهل ، وتراق فيه الدماء بغير حساب ، وتزهق النفوس لغير سبب من الأسباب : إذا تعاظمك هذا فى عصور الدهر المتتابعة ، فاعلم أن عنته تلك الخَلّة الفاجرة فى الإنسان !

* * *

وأمس ، لقد أتمّت دورةُ الشمس حولاً سلكته فى عقد التاريخ أيضاً ، وآذنتْ العالم بفجر حول جديد

وإن ذاك العام المدبر ، وهذا العام المقبل ، لهما — كما تعلم — من أعوام الهجرة ، هجرة محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه من مكة إلى المدينة ، وقد سد بها الإسلام ، فسعد بسلطانه الأنام

وبعد ، فلست بحاجة إلى أن أحدثك عما كان قد غشى الأرض جميعاً من ظلم وفساد ، وتصدّع فى النفوس وتضعضع فى الأخلاق ، حتى كاد يُقضى على الأمم بعدم الصلاحية للبقاء . إلى أن بُعث محمد من عند الله حقاً ، فبلّغ رسالته إلى الناس ، كما أوحى إليه بها ربه حقاً ، فكان ما شهد التاريخ من ذلك الفتح والإصلاح والإسعاد

ولا أحب أن أُطيل فى وصف ذلك الإصلاح والإسعاد ، فيحسبهما أن تنزّل بآياتهما وحيٌ كريم ، من عند الله العليّ العظيم

وإنما أقف وقفةً قصيرةً عند سيرة من خلفوا محمداً صلى الله عليه وسلم ، ولم يؤيَّد أحدٌ منهم بوحى سماوى ، ولا خُصَّ بالعصمة التى خُصّ بها الأنبياء ، إنما هم أناسيٌّ مثل سائر الناس .

وإذا كان خلفاء الرسول قد ارتفعوا على سائر الناس ، فبأنهم إنما ساروا سيرة هذه الشمس التى تطالعهم كلّ صباح وتغرب عنهم كلّ مساء . على أنها هى إنما تعمل لعالم الأجساد والأجرام ،

أما هم فيعملون لعالم النفوس والأرواح .

يعملون جادّين جاهدين ، لا يبتغون من سعيهم نفعاً ، ولا يُريغون من ورائه فخراً ولا ذكراً ، لأنهم أشد أمانةً من أن يقتطعوا لأنفسهم أو لذويهم شيئاً مما ينبغي أن يجرّد كله لنفع العام .

يعملون لا مستبدّين بالرأى ولا مستأثرين ؛ بل مشاورين مصغين مسرعين . حتى إذا اتسق لهم الرأى الذى يرون فيه منفعة المجموع ، أسرعوا إلى إمضائه ولو جاء من أصغر الجميع .

أما رأى الجماعة ، فشرعٌ عندهم مشروع ، وقضاءٌ مبرمٌ محتوم .

يعملون صادقين مخلصين لله وللنفع العام . لا كبر ولا مخيلة ولا استئثار بمنفعة من المنصب والجاه ، بل ليس عندهم إلا الإيثار والتواضع ، والرقة للضعفاء . وهيهات أن يؤثروا أحداً على أحد إلا بطاعة الله وما قدم من الخير للمجموع . ولعمرى ، لتلك أعلى صور الديمقراطية التى يحلم بها أجلّ الفلاسفة من قديم الزمان

وإذا كان هؤلاء الخلفاء قد انعقد لهم أعظم المجد ، المجد الخالد على الدهر ، فلأنهم لم يريغوه ولم يسعوا له ، ولم يشغل هو جزءاً من نفوسهم جليلاً ولا دقيقاً !

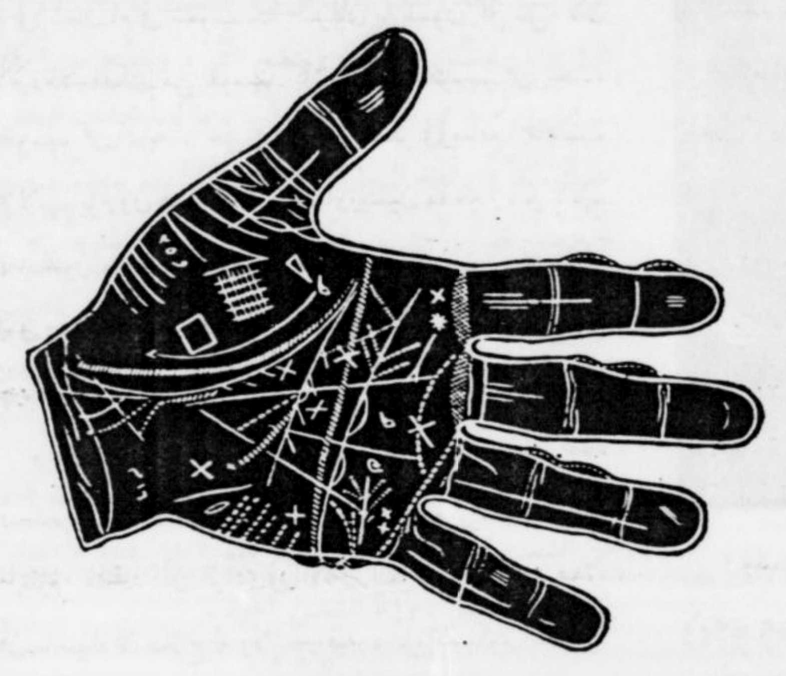
***

وبعد ، فلا شك أن مما أصفاهم لطلب النفع العام ، ونجافى بهم عن الاستئثار حتى بالنفع الخاص ، هو طول الذكر للموت . وكيف لهم بنسيانه ، وهذه الشمس العظيمة ، باعثة الحياة والحركة فى العالم تموت كل يوم ، بمرأى منهم ، بعد أقوى الحياة ، ولكل شئ نهاية ، ولكل سائلة قرار !

وإذا كانت الشمس تعود كل يوم فتوالى سعيها فى النفع والتجديد والإحياء ، فإن زعيما لن يعود بعد موته ، ولو لإصلاح ما عسى أن يكون قد أفسد وتعمير ما عسى أن يكون قد خرّب . فما له ، بعد الموت بالأمر يدان !

هذا بعض ما يلهمه حديث الهجرة ، وإن فيه لعبرة .

عبد العزيز البشرى



بطولة محمد

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

لا أعرف ولا أحسب أن غيرى يعرف ما يشبه — أو يقارب — بطولة محمد صلى الله عليه وسلم . ولست أنسى أنى مسلم ولكنى مسلم بالعقل قبل أن أكون مسلماً بالوراثة والنشأة . ولست أخشى أن أتهم بالتعصب لصاحب هـذا الدين . على أنى لا أعنى بالبطولة الشجاعة فى الحرب ، والجرأة فى الكر والفر ، والإقدام على مقارعة أحلاس القتال ومنازلة الأعداء فى حومات الوغى ، فما كان صلى الله عليه وسلم يعنى بالاشتراك فى القتال بسيف أو رمح؛ وكان يشهد المعارك ويصحب رجاله ولكنه لا ينزل إلى الحومة بنفسه ولا يخوض المعمعة مع أنصاره وإن كان يوجههم . وما كانت مزيته أنه أطعن الناس برمح ، أو أسدهم ساعداً ، وإنما كان نبياً وصاحب دعوة ، ورسولاً بدين ، ومعلماً ومرشداً وهادياً ، وحسب من شاء أن يقدر بطولة محمد أن يتأمل حياته وسيرته لا فى مكة وحدها بل بعد الهجرة منها إلى المدينة أيضاً وإلى آخر حياته ، فقد جاء بدين ينقض كل ما قامت عليه حياة العرب فى زمانه من عقائد وتقاليد وعادات وآراء ؛ ولا يُرضى حتى أهله ، لأنه يحرمهم مزاياهم وما كانوا ينعمون به من عزة فى الجاهلية ؛ ولم يجد من يؤمن به وبرسالته إلا قلة لا غناء لها ، ولقى من الضيم والعذاب والأذى والمطاردة والاضطهاد ، ما لم نعهد فى البشر إطاقته والصبر عليه ؛ وحوصر فى الشعب ثلاث سنين بلا أمل أو نصير ؛ وقاسى من المحن أقسى ما يخطر على البال ؛ ومع ذلك لم يلن ولم يضعف ، ولم يكد يخرج من هذا الشّعب حتى مضى وحده وبمفرده إلى الطائف يدعو إلى ترك الأوثان وإلى عبادة الواحد الأحد ، فلم يقابَل بغير الإهانة والزراية من الكبراء ، والرمى بالحجارة من الصبية والجهال ، حتى سال منه الدم فعاد إلى مكة لا يائساً بل مواصلاً بث دعوته وتبليغ رسالته ، وظل صابراً مواظباً محتملاً ما يلقى فى سبيل الله من الأذى البليغ والعنت الشديد ثلاثة عشر عاماً من يوم تلقى الوحى . ولما اعتزم الهجرة بعد أن مهد لها لم يخرج إلا بعد أن رحل عن مكة معظم أنصاره وأمن واطمأن عليهم ، ووثق بنجاتهم وسلامتهم . وهذا ثبات كان خليقاً وحده أن يقنع الذين كتبوا عنه من الأجانب بأنه لا يمكن ولا يعقل أن يكون من « دجال » كما وصفه بعضهم

وقد كتب « واشنطون إيرفنج » عن بواعث محمد يقول :

« أكانت الثروة ؟ لقد أفاده زواجه من خديجة الغنى ، فظل سنوات قبل الوحى لا يبدى رغبة فى زيادة ثروته . أم كان يطلب المنازل الملحوظة ؟ لقد كانت منزلته عالية فى قومه ، وكان معروفاً بينهم بالفضل والأمانة ، وكان من قريش ومن أكرم فرع فيها ، وكانت سدانة الكعبة وما تفيده من العز والسلطان فى أسرته منذ أجيال ، وكان من حقه أن يتطلع إليها ، فلما قام يحاول أن يهدم الدين الذى نشأ عليه قومه اقتلع جذور هـذه المزايا جميعاً ، فقد كانت ثروة أهله ومنزلتهم قائمتين على هـذا الدين فهاجمه وجر على نفسه عداوة أهله وغضب مواطنيه وسخطهم جميعاً

ويمضى إيرفنج فى تقصيه فيسأل : هل كان هناك فى بداية سيرته النبوية ما يبعث الأمل أو يعوّض هذه التضحيات ؟ ويرد على ذلك فيقول : إن الأمر كان على النقيض ، فقد بدأ محاذراً متوخيا الكتمان وظل سنوات غير موفق ؛ وعلى قدر توسعه فى بث دعوته ، وإذاعة رسالته ، كان يشتد ويعظم ما يلقى من العنت والسخريّة والأذى والاضطهاد ، واضطرّ بعض أهله

وأنصاره أن يفروا إلى بلاد أخرى، واحتاج هو نفسه آخر الأمر أن يهاجر إلى بلد غير مكة، فلماذا كان يصبر كل هذه السنوات الطويلات حتى «دجّال» يسلبه كل متاع الدنيا في سن لا تسمح بأن يبدأ المرء حياته مرة أخرى؟ فما قام بالدعوة إلا بعد الأربعين وقضى في مكة ثلاثة عشر عاماً، وكان تاجراً حسن الحال فهاجر منها فقيراً معدماً، لا يعرف ما كتب الله له في غيبه من النصر، ولا يبغى أكثر من أن يبنى مسجداً يعبد فيه ربه، ولا يرجو إلا أن يعبد الله في سلام. ولما جاءه النصر لم يتكبر، ولم يتجبر، ولم يغتر. كما يفعل الذين ينشدون المآرب الشخصية والغايات الخاصة، فخفض، وهو في أوج قوته، على بساطته أيام ضعفه

وقد جاء نصر الله بعد الهجرة، ولكن الأيام لم تجر كلها بالسعود في المدينة؛ وإذا كان قد انتصر كثيراً فقد انهزم أحياناً، فلا النصر أبطره. ولا الهزيمة أضعفت روحه أو فتت في عضده. ولعل القدرة على احتمال النصر أدل على العظمة من القدرة على احتمال الخيبة؛ ولكنه لم يكن من الهين على من احتمل مثله ثلاثة عشر عاماً من المتاعب أن يصبر على هزيمة جديدة ... وكان عليه أن يضع للجماعة الإسلامية في المدينة النواميس والنظم في السلم والحرب. وهو فيما أعلم الوحيد الذي بلّغ الرسالة كلها. وأتم عمله أجمعه في حياته، فأكمل الدين، وأسس الدولة. ووضع القواعد كلها، ووجه الأمة الجديدة الوجهة التي فيها الخير والصلاح والعز. وليس لهذا مثيل في التاريخ — قديمه وحديثه — . وهنا ينبغي أن نذكر أن مسافة الزمن التي تم فيها كل هذا كانت قصيرة جداً، وأن دينه كان جديداً، يخالف كل ما وجد عليه العرب. وفي هذه المدة الوجيزة لم يغير للعرب عباداتهم وحدها، بل غير نفوسهم أيضاً. ولا شك أن صرف امرئ عن عبادة حجر أو نحوه أهون جداً من صب النفس في قالب جديد. وقد خلق من هؤلاء العرب المتنافرين المتعادين المتهالكين رجالاً يعدون في طليعة أبطال العالم. وماذا كان هؤلاء جميعاً خليقين أن يكونوا لولا محمد؟ ونعني بهم أبطال التاريخ الإسلامي من مثل الخلفاء والولاة والقواد والفقهاء ... أكان أحد يمكن أن يسمع بهم؟؟ لا أظن! ولا شك أنهم كانوا خلفاء أن يكونوا شيئاً مذكوراً بين قومهم، ولكن قومهم أجمعين لم يكونوا شيئاً. وما قيمة قوم انقسموا قبائل متعادية لا أثر لها في الحياة، ولا يعبأ بها حتى من يجاورها من الأمم؟ ومن هذه العناصر خلق محمد أمة عظيمة فتحت الدنيا، ونشرت الدين. وأهدت إلى العالم حضارة كبيرة غيرت مجرى التاريخ الإنساني كله

ولا يتسع المقام للافاضة في هذه المعاني. ومن أجل هذا أكتفي بأن أقول إن محمداً أعظم عظيم خلقه الله. وأزيد على هذا أني كنت في صدر حياتي أستهجن قول من يقول إن العرب خير الأمم وأفضلها، وأرى ذلك من الغرور، ولكني الآن صرت أعذر من يقول هذا. ولست مغرى بالمفاضلة بين الأمم ولا أنا أرى داعياً لهذا، فإن كل أمة تؤدى في الحياة رسالتها على قدر طاقتها، ولكن أمة تنجب محمداً، هل يلام من يقول إنها أعظم الأمم؟

ابرهيم عبد القادر المازنى

حكمت محكمة المنصورة العسكرية في القضية رقم ٩ سنة ١٩٤٢ بحبس عبد المطلب عامر من كفر عوض شهر بالشغل والنفر على نفقته لبيعه بترولا بسعر يزيد عن التسعيرة.

في الطريق إلى قرطبة

للأستاذ محمود تيمور

[عندما استتب الأمر لأبي العباس السفاح أول خلفاء العباسيين هرب الأمير عبد الرحمن الأموى من العراق ووجهته الأندلس ليتسنم عرش الامارة فيها بمعاونة أنصاره الأمويين . فبينما كان في شمال أفريقيا وقعت له هذه الحادثة التي نرويها]

كان القمر ينشر نوره الفضى على قرية « مغيلة » في مراكش ، فتبدو الدور على ضوئه الهادئ كأنها تتمطى مبتسمة رافعة هاماتها إلى السماء تنفض عنها فتور النوم . في تلك الساعة التي بدأت فيها القرية تتنفس كان يسير في طريق من طرقاتها المهجورة رجل طويل القامة نحيف الجسم ملتف بعباءة دكناء ووجهه ملثم . كان يسير سيراً حثيثاً في مشية حذرة ، متجنباً الأماكن التي انجلت عنها غبشة الليل ، تدل مظاهره التي يجتهد في إخفائها على الامارة والجاه . ولما دنا من دار « وانسوس » رئيس أقوى قبائل البربر في تلك الجهة توقف عن المسير والتفت حوله ثم دفع الباب في سكون ودخل ، ثم أحكم إغلاقه خلفه ، وما إن خطا بضع خطوات ، حتى تقدم إليه « وانسوس » في خضوع وقال في صوت خافت :

— مولاى الأمير

— كدت أضل الطريق

وبدأ الزائر يرفع لثامه ويحل عباءته ، فظهر عارضاه الخفيفان وبانت ضفيرتاه على ظهره ، وسار بخطوات رزينة وخلفه « وانسوس » ؛ وقال :

— هل أحضر « بدر » الجواهر ؟

— أحضرها يا مولاى وهى وديعة عندى لا تستطيع أن تمتد إليها يد إنسان

— وماذا قال لك ؟

— إن أختك « أم الأصبغ » تقرئك السلام وتقول لك إنها سترسل لك غيرها

— بورك فيها . . وماذا بعد ذلك يا « وانسوس » ؟

— إن وهب بن الأصفر وشاكر بن أبى الأسمط يستحثانك على السفر ، إن المركب معد وهم في انتظارك

وكانا قد بلغا بهواً تتوسطه نافورة وقد نثرت بجوار حيطانه وسائد عريضة ؛ فوقف الأمير أمام النافورة يتأمل المياه ويداه مثنيتان على صدره وقال :

— وأهل الأندلس ؟

— يرحبون بقدمك لتنقذهم من أميرها يوسف بن عبد الرحمن الفهري . هناك أبناء عمومتك يا مولاى ومعهم أنصارهم الأقوياء ثم لا تنس القبائل اليمنية

— هذه حطمتها قوات الفهرى

— بل ما زالت محتفظة برجالها الأقوياء

— إن الحروب الأهلية يا « وانسوس » قد نهكت الأندلس ، وعمها القحط وجلا كثير من أهلها عنها . فإذا أردنا أن نستعجل النصر فلنعتمد على الذهب نكسب به الأنصار

ودخلت في تلك اللحظة « تكفات » زوجة « وانسوس » وكانت امرأة بدينة تلبس إزاراً واسعاً . دخلت في عجلة واضطراب وهى مكفهرة الوجه وقالت :

— بينما كنت على السطح في مكانى المخصص للمراقبة أبصرت رهطاً من الرجال مقبلين في سرعة وتلصص نحو الدار ، فاشككت أنهم من رجال ابن حبيب

فتغضن وجه الأمير وقال بصوت أجش :

— لقد وشى بى الواشون

وهرع وانسوس إلى البرج ليستعلم الخبر ثم عاد مضطرباً وهو يقول :

— عجل يا مولاى بالهرب

وجرى الإثنان نحو البرج ، ولكن ما كادا يطلان منه حتى عادا أدراجهما والأمير يتمتم :

— لقد أحاطوا بالدار

وسمعت فى هذه اللحظة جلبة عالية فى الخارج فيها وعيد وتهديد

وطرح الأمير عبد الرحمن عباءته واستل سيفه ووقف وقفة الجبار ناظراً إلى باب البهو وقد انطبع على محياه المهيب عزم رهيب وقال :

— إنى لأشعر بأرواح بنى أمية كلها قد تقمصت جسدى فليأت ابن حبيب وجيشه وليجرب حظه معى

واشتدت الجلبة وسمع قرع قوى على الباب وأصوات تقول :

— افتحوا . . .

وقال الأمير لوانسوس :

— إذهب وافتح الباب

ووقف وانسوس متردداً

وتكرر القرع بحماس شديد . وسمع الباب يهتز ويتقلقل والأصوات تتعالى فى سخط مرددة :

افتحوا . افتحوا . . .

فقال الأمير وهو ينظر إلى وانسوس نظراً حاداً :

— لقد أمرتك أن تفتح الباب

فقال وانسوس فى ذلة ويأس :

— الأمر لك يا مولاى

وذهب قاصداً الباب . وما كاد يخرج حتى أشرق وجه تكفات بغتة ولمعت عيناها . وتقدمت فى جرأة غريبة نحو الأمير وقالت :

— إنها لحظة من لحظات الدهر الخالدة . فإما إلى العرش وإما إلى القبر ... تعال

* * *

وفتح وانسوس الباب فتدفق الرجال فى صحن الدار وضجيجهم تسبقهم ، ووقف زعيمهم مكشراً أمام وانسوس وقال :

قبضوا على هذا الخائن ...

وفى لحظة كان وانسوس مقيداً وملقى بجوار الحائط ؛ وأتم الزعيم أمره قائلاً :

— دونكم الدار فلا تتركوا مخبأ إلا دخلتموه ، أو ركناً إلا فتشتموه ، وإياكم ألا تعثروا عليه

فانتشر الرجال فى الدار يفتشون ، وسار الزعيم فى رهط من أنصاره قاصداً إلى بهو النافورة واختفى الجميع فيه

* * *

ومضى الوقت ووانسوس ملقى بجوار الحائط يصغى بأذن مرهفة إلى ضجيج الرجال فى داخل داره وعيناه الحائرتان لا تفارقان باب البهو

وأخيراً فتح الباب وخرج منه الزعيم وخلفه رجاله . ولما دنا من وانسوس ألقى عليه نظرة احتقار ثم التفت إلى جماعة بالقرب منه وقال :

— حلوا وثاق هذا الرجل

ثم سار فى عجلة نحو الباب وهو يدمدم بكلمات غير مفهومة

وخرج والجميع فى أثره . وقام وانسوس وهو يفرك عينيه دهشا ، وبعد أن أحكم قفل الباب سار مهرولاً إلى بهو النافورة فوجد زوجته « تكفات » جالسة على إحدى الوسائد متكئة بظهرها على الحائط ؛ فما شك وانسوس أن قواها خارت من الخوف . فأقبل عليها وسألها قائلاً :

— أين الأمير ؟

وفى لحظة كشفت إزارها الواسع فخرج من بينه الأمير ؛ وما إن توسط البهو حتى قال :

— تالله إن عرش الأندلس لمدين «لتكفات» بهذه الحيلة . لن أنسى لك هذا الجميل يا « تكفات »

فانحنت المرأة أمامه فى خضوع

ووقف الأمير عبدالرحمن أمام النافورة ويداه مثنيتان إلى صدره ، وقال وقد سطع على وجهه العزم واليقين فى صوت ممتلئ قوى :

لقد بت أعتقد أن العناية تساعدنى . فهناك على شاطئ الفرات حيث كانت فرسان أبى العباس تلاحقنى أنا وأخى نجوت بأعجوبة لم أكن أحلم بها فى حين أن أخى قد عاكسه القدر فقبض عليه وقتل على مرأى منى . وهنا تمر بى رجال أبى حبيب وأنا على بعد خطوات منهم فلا يخامرهم شك فى أنى غير موجود

وأرسلت عيناه وميضاً عجيباً ، والتفت حوله وهو رافع الرأس كأسد منتصر على فريسته وقال :

— إيه أيها القدر ! تعصمنى والعباسيون يتهالكون على الفتك بى ، يطاردوننى فى كل شبر من الأرض ... إنى لأرى الأندلس تدنو منى كما يدنو مقبض هذا السيف من يمينى

محمود تيمور

حكم فى الجنحة المستأنفة رقم ٩٦٩٨ سنة ٩٤٠ ضد محمد حسن عراقى بتغريمه ٥٠ قرشاً ونشر الحكم بمجلة الرسالة والثقافة لبيعه كبريتاً أزيد من التسعيرة

الإسلام دين لا دولة

للدكتور زكي مبارك



أعترف بأني مُقبل على متاعب في تحرير هذا البحث ، لأني أكره أن يكون ضرباً من الحديث المُعاد، وما تريد « الرسالة » في مثل هذا العدد أن تعيد كلاماً فرغ منه الناس منذ أجيال .

وأعترف أيضاً بأني لا أجهل الفرق بين حياة الباحثين لهذا العهد وحياة من سبقوهم في سالف العهود ، فالسابقون فيما سلف كانوا يقسمون الجمهور إلى قسمين : قسم العوامّ وقسم الخواصّ ؛ ولم يكن العاميّ هو الذي لا يقرأ ولا يكتب ، كما نقول اليوم ، وإنما كان العاميّ هو الذي لا يدرك من مرامي القرآن والحديث ما يستطيع به تعقب أقوال الباحثين بالتعديل والتجريح ، ولهذا كان يتفق أن يسير في العصر الواحد آراء تختلف وتقتتل بدون أن يشعر أصحابها بأنهم مهدّدون بسوء القالة بين الناس ، إلا أن يكون في آرائهم ما يؤذي الخلفاء أو الملوك أو الوزراء ، وهؤلاء أيضاً كان لجبروتهم حدود ، لأنهم كانوا في الأغلب من أكابر الرجال ، وعلى علم بالزائف والصحيح من الآراء .

أما اليوم ، فمن حق من يقرأ ويكتب أن يعدّ نفسه من الخواصّ ، وأن يتعقب الباحثين في الشئون الدينية كيف شاء ، ولو لم يتفق له الاطلاع على كتابٍ واحد من كتب الفقه والحديث

وأقول بعد هذا التمهيد : إني سأفترض قلمي باحثاً يقف من الإسلام موقف الحياد ؛ فقد مضى الزمن الذي كان يقال فيه : « اللهمّ إيماناً كإيمان العجائز » ؛ فذلك الإيمان لا ينفع في هذا الجيل ولم يبق له مكان . وأنا أعتقد أن الرجل الذي يكفر بعد اجتهاد الأقوياء ، أقرب إلى الله من الرجل الذي يؤمن بعد استسلام الضعفاء . وهل تهون العقول على واهب العقول ؟!

وإنما يقف قلمي من الإسلام موقف الحياد ، لأني أريد أن يقوم هذا البحث على قواعد علمية لا خطابية ، فهو موجّه إلى قراء اللغة العربية ، وفيهم ألوف من غير المسلمين ، ومراعاتهم واجبٌ مفروض ، ومن الحتم أن يخاطَبوا بالعقل قبل الوجدان .

يضاف إلى هذا أن الإسلام كان في جميع أطواره ثورة عقلية . فمن أراد من أبنائه أن يجرده من تلك المزية ، فهو عدو يلبس ثوب الصديق .

ثم أواجه الموضوع فأقول :

لكل دين من الأديان خصوصيات وعموميات : فالخصوصيات هي اللطائف التي يتعارف عليها أبناء الدين الواحد بعضهم مع بعض ، ولا يرضيهم أن تذاع لضعفها عن مقاومة النقد العنيف ؛ أما العموميات ، فهي الأصول التي يجوز نشرها بين جميع الناس ، لقدرتها على مواجهة التحامل بشجاعة وكبرياء .

والظاهر أن « الخصوصيات » هي الطور الأول من أطوار التدين ، فقد كان التدين في نشأته لوناً من الانحسار عن المجتمع ، وهو يوجب الانفراد والانزواء ، ومن هنا كانت كلمة « الدين » مرادفة لكلمة « السرّ » عند الأقدمين . ومن هنا أيضاً كانت « العزلة » من ضروب التعبد ، لأنها من فنون الاستخفاء ... ألم تسمعوا أن الصوم عن الكلام كان من العبادات في كثيرٍ من الديانات ، مع أن الكلام هو أساس التفاهم بين المتعاملين من الأحياء[1] ؟

والنفرة من الزواج عند قدماء المتدينين لها صلة وثيقة بهذا الغرض ، وقد أصابت الفطرة الشعبية في مصر حين سمّت الزواج « دخول الدنيا » ، وإنما كان ذلك لأن الزواج في العُرف القديم لم يكن يأتلف مع التأهب للفناء في الدين

ومن هذه النقطة يتشعب حديث اليوم

فالنبي محمد قد اقترن بتسع نساء ، وقيلت في تعليل هذه

(١) رأيت في « الدير المحرق » راهباً حبشياً صام عن الكلام ثلاثين عاماً ، وأظنه لا يفطر قبل أن يموت !

الظاهرة أقوال ، وأصح تلك الأقوال أنه أراد توكيد الصلات بينه وبين بعض القبائل والشعوب

ولكن يظهر أن من الممكن أن نلتمس تعليلاً غير ذلك التعليل ، كأن نفترض أنه أراد أن يقضى قضاء مبرماً على الوهم الذى يقول بأن التدين لا يأتلف مع الزواج ، وما كان ذلك « وهماً » من الأوهام ، وإنما كان « حقيقة » من الحقائق فى صدور الأحبار والرهبان ، وإليهم كان الأمر فى مصاير الناس من جهة الدين والأخلاق

ولكن محمداً كان يؤمن بأن من واجبه أن ينقل المفهومية الدينية مع وضع إلى وضع ، ولا يتم ذلك بغير ثورة على الترهب ، ثورة ماحقة ساحقة تضيف الرهبان إلى طوائف الخصيان ، وتصدهم عن الاستهزاء بالمؤمنين المتزوجين ، فكان له ما أراد

ومحمد بشهادة خصومه كان من نماذج الفتوة العربية ، والفتى العربى يرى الرجال قوامين على النساء ، وإذاً ، يجب أن يتصل بالدنيا اتصال معاش ، ليكون رب البيت بحق وصدق ، ولتخضع له نساؤه خضوع العبد الطائع للسيد المطاع ، والرزق يذل أعناق الرجال ، فكيف يصنع بقلوب النساء ؟!

وماذا كانت صناعة محمد قبل أن يكون نبيًّا ؟

كان تاجراً ، والتجارة هى المختبَر الصادق لأخلاق الرجال ، وقد جاز الاختبار بنجاح مرموق .

وماذا كانت صناعة محمد بعد أن صار نبيًّا ؟

أظنه قال : « جعل رزقي تحت ظل رمحى »

ومعنى هذا أنه صار فارساً يعيش مما تغنم الرماح والسيوف ، وذلك أكرم أنواع العيش ، وما يليق بنبى أن يكون عالة على الأتباع ، ولو كانوا من شرفاء الأغنياء .

وبإقبال محمد على الزواج صار نبيا مدنيًّا ، وصار مسئولاً عن الاتصال بالمجتمع صلة معاشية ، بعد أن اتصل به صلة روحية .

ومن المؤكد أن صنيعه هذا قوبل فى عصره باندهاش ، واستغراب ، لأنه كان « بدعة » فى عرف رجال الدين ، ولأنه كان اعترافاً صريحاً بأن « الدنيا » مطلب لا يعيب من يتجه إليه من الأنبياء

والذى يراجع الأصول الأولى من الدين الإسلامي — وهي الأصول التى سبقت التفريع والتشقيق — يروعه أن يرى الإسلام يقتصد فى شرح معاملة الإنسان مع الله ، ويهوله أن يراه يطنب فى شرح المعاملات مع الناس .

فما معنى ذلك ؟

معناه أن الإسلام يمزج بين هذين المطلبين ، ومعناه أن حسن المعاملة مع الناس هو المظهر الصادق للخوف من الآثام والشبهات ، وبدون الصدق فى هذه المعاملة لا ينتفع المؤمن بصلاة ولا صيام ، والله يتسامح فى حقوقه ولكنه لا يتسامح فى حقوق الناس .

ومن أعجب العجب أن نرى القرآن ينطق السابقين من الأنبياء بأقوال ينكرها بعض أتباع أولئك الأنبياء .

فما تأويل هذا المنطق ؟

التأويل سهل ، فالقرآن ينزه جميع الأنبياء عن أوهام الأتباع والأشياع ، وما تحدث القرآن عن نبى إلا عرفنا أن الدعوات الصوادق لا تسلم من التصحيف والتحريف .

وبقليل من التأمل ندرك أن ذلك ليس من الغرائب ، فوضوح النصوص الدولية لهذا العهد فى المخابرات والمعاهدات لا يمنع من أن تصير من الألغاز عند اشتجار الأغراض ، فما ظنكم بنصوص دينية جرت فى الأصل مجرى التلميح تجنباً للعدوان والاضطهاد ؟

والمقام لا يتسع لغير فرضين اثنين : فرض يوجبه الأدب وهو القول بأن القرآن وحى من عند الله ، وفرض يجيزه الجدل وهو الظن بأن القرآن من صنع محمد ، وللفرض الثانى فرع سنشير إليه بعد لحظات .

فعلى الفرض الأول يكون القرآن هو الفيصل فى تقرير مذاهب الأنبياء ، وعلى الفرض الثانى يكون محمد أخضع الأنبياء فى أقوالهم وأفعالهم لمذاهبه الذاتية فى الوصل بين الدين والمدنية .

وأنا فى حيرة بين هذين الفرضين ، ولو كنت من خصوم الإسلام لاخترت الفرض الأول واسترحت ، فليس من الكثير أن يضاف محمد إلى الأنبياء ، ولكن الكثير حقاً أن يصل رجل غير ملهم إلى الوصل بين العلم والمدنية ، وهو غرض كان يجب أن يتنبه إليه كبار الأنبياء . و « البلية » كل البلية أن الناس عجزوا عن تخيل نظام يكون أفضل من نظام الإسلام ، وهو النظام الذى يوجب أن يوزع المرء قواه بين ثمرات الأرض وأنوار السماء .

الإنسانية أجمع تحتقر الرجل المنزوى فى الكهوف ، والإنسانية أجمع تبغض الرجل الذى لا يعرف غير اقتناص الأموال ، والإنسانية أجمع قد اتفقت على أن الإنسان الكامل

هو الرجل الذى يأخذ نصيبه من الدنيا مع الاحتفاظ بنصيب فى الدين

ومحمد هو صاحب هـذا الرأى ، وبه « ادّعى » على زعم أصحاب هذا الفرض أنه خاتم الأنبياء . ومن هذا اللحـظ ندرك كيف صار خاتم الأنبياء ، فمن العسير أن نتصور نظاماً أفضل من النظام الذى شرعه محمد عن طريق الوحى أو طريق الاجتهاد .

هنالك فرضٌ ثالث ، وهو أن تـكون الضمائر الإنسانية تجمّعتْ وابتدعت هذه الشخصية المحمدية ، لتكون الرمز الذى يصور مثلها الأعلى فى الوجود .

ويمنع من هذا الفرض مانعان حصينان ، أحدهما تاريخىّ وثانيهما فلسفىّ .

فمحمد حديث العهد فى التواريخ النبوية ، ولم يمض من الزمن ما يسمح بجعله شخصية معنوية ، كالذى قيل فى بعض الأنبياء ، أو بعض الحـكماء . ألم يَشُكّ قومٌ فى وجود المسيح وسقراط ؟

أما الجانب الفلسفى فهو يضايق خصوم الإسلام ، لأنه يجعله سريرة وجودية ، وعندئذ يكون من الحتم أن يكون أعظم دين عرفه الوجود .

للباحث المنصف أن يدير هذا البحث كيف شاء ، فلن ينتهى إلا إلى ما انتهينا إليه ، وهو القول بأن شريعة محمد خير شريعة عرفها المجتمع الإنسانى ، فهى إذاً منحة ربانية تستوجب الحمد والثناء . وهل يصدر مثل هذا الفيض إلا عن صاحب العزة والجبروت ، وهو الذى منح « إنسان العين » على صغره قوة تخترق أجواز السماء ، بغض النظر عن فضله العظيم فى إضاءة العقول والقلوب ؟

ثم ماذا ؟

نترك إلى الباحثين المنصفين درس هذه المعضلة بنور المنطق والعقل والعدل ، وننتقل إلى شرح الاصطلاح المعروف بالتطبيق ، فكيف كان الإسلام بعد موت الرسول ؟

شرّق الإسـلام وغرّب ، وجرَتْ بين أهله أحداثٌ وخطوب ، حتى جاز القول بأن فريقاً من المسلمين أخطأوا فهم الغرض من الدين الحنيف

وفى حومة ذلك الخطأ نشهد ظاهرتين بارزتين بعنف وطغيان :

الظاهرة الأولى هى الاهتمام باللغة العربيـة اهتماماً يتمثل فى المؤلفات التى تُعدّ بالألوف ، ويتمثل فى قول بعض الفقهاء بأن الصلاة بغير اللغة العربية عملٌ مردود

أما الظاهرة الثانية فهى الإقبال المنقطع النظير على درس الجوانب المدنية من التشريع الإسلامى ، ويمكن بسهولة أن نقول إن « القانون المدنى » لم يشهد فى جميع أدوار التاريخ شرّاحاً أعمق من الشرّاح المسلمين ، جزاهم الله خير الجزاء ، فهم الحجة الباقية على أصالة العبقرية المدنية فى الأمم الإسلامية

وأرجع إلى الظاهرة الأولى بشئ من التوضيح فأقول :

كان المسلمون يرون أنْ لا سلامة للعالم إلا بوجود « لغة دولية » يتفاهم بها أهل المشرق وأهل المغرب ، وهل قام فى الدنيا نزاع إلا بسبب انعدام التفاهم بين الناس ؟

وما زال المسلمون يساورون هذا الغرض حتى تحوّل إلى عقيدة دينية ، فصح عندهم أن « اللغة العربيـة أحسن اللغات » ، وأن الصلاة بغيرها لا تجوز ، وأنها ستكون لغة أهل الفردوس . والمسلمون يعتقدون اعتقاداً جازماً بأن رحمة الله مقصورةٌ عليهم ، وأن طمع سواهم فى الجنة لا يزيد عن طمع إبليس ، وتلك غاية الغايات فى الإيمان بأن « الدين عند الله الإسلام »

ذلك التصور اليوم قد يعدّ من ضروب الخيال ، ولـكنه كان حقيقة عند المسلمين الأولين ، وبفضل تلك الحقيقة وصلوا إلى ما وصلوا إليه من التفوق الملحوظ على أكثر الممالك والشعوب .

والغريب فى هذه القضية أن المسلمين الذين آثروا لغتهم بذلك التقديس قد تحرروا فى فهم أغراضها تحرراً لا يعرفه أبناء اليوم . فقد كانوا يستبيحون إنشاد أشعار المجون فى المساجد وفى أعقاب الصلوات ، وكانوا يرون خصومهم فى هذه الحرية الأدبية قد « تنسكوا تنسكاً أعجمياً » ، ولذلك شواهد يضيق عنها هذا المجال

قد تقول : وما الموجب لهذا التناقض الغريب ؟

وأجيب بأنهم أرادوا أن يجعلوا اللغة العربيـة لغة مدنية لا لغةً دينية ، واللغات المدنية تتحدث عن جميع الشؤون ، ولا تسكت عن شرح العواطف والأحاسيس والأوهام والأضاليل . ألم تروا كيف اتسعت مساجد المسلمين لشرح أشعار النصارى واليهود والصابئين ؟

ويتفرع عن هـذا ما جاء فى التواريخ الإسلامية من أعمال الرجال ، فالإسلام كُتلةٌ واحدة ، فـكما تقول فى جِد عمر بن الخطاب : حدثنا فلان عن فلان ، تقول فى هزل عمر بن أبى ربيعة : حدثنا فلان عن فلان . وهل ثبت فى أىّ ملة أن رجال الدين تحرروا من التقاليد فقالوا فى الجمال الذى يطوف بالأماكن المقدسة معشار ما قال الشريف الرضى فى قصائده الحجازيات ، وكان

أمير الحج بتفويض من خليفة المسلمين ؟

يجب الاعتراف بأن الإسلام أعطى أبناءه حريات لم تعرفها سائر الديانات ، لأنه لم يكن ديناً فحسب ، وإنما كان ديناً ومدنية

ويجب الاعتراف بأن التطاول على هذا الدين لا يقع إلا من الأوشاب والمأجورين . فما كان إلا نعمة نورانية جاد بها الله على هذا الوجود

وماذا أقول فى شرح الظاهرة الثانية ، وهى الاهتمام بما فى التشريع الإسلامى من الجوانب المدنية ؟

تنقسم كتب الفقه إلى قسمين : قسم العبادات وقسم المعاملات

ويلاحظ من يقرأ كتب الفقه أن المؤلفين يترفقون فى شرح القسم الأول ، ثم ينطلقون كالسهام عند شرح القسم الثانى ، وتظهر براعتهم فى تشريح دقائق المعاملات

وهنا نكتة تستحق التسجيل . فرجل الدين فى الفرنسية يوصف بأنه Religieux ، ومعنى هذا الوصف أنه لا يصلح لفهم أمور المعاش بسبب انقطاعه عن صحبة الناس

فكيف أمكن لرجال الدين من المسلمين أن يكونوا أئمة فى شرح القوانين المدنية ؟

يرجع ذلك إلى روح الدين الإسلامى ، وهو دين يدعو جميع أبنائه إلى الاندماج فى المجتمع ، ويقهرهم قهراً على الأخذ من منافع الدنيا بنصيب ، ليعرفوا الدقائق من شؤون الناس وهم قضاة الناس . وهل يصلح القاضى للفصل فى نزاع لا يحس له شبيهاً فى حياته المعاشية ؟

كان يقال إن أحق الناس بالإمامة فى الصلاة وفى القضاء هو المتزوج ، ويرجح زوج المرأة الجميلة ، لأنه أقرب إلى التعفف ، بفضل ما يملك من الجمال الحلال

وأقول إنما قدّم زوج المرأة الجميلة لأنه يعانى من المتاعب أضعاف ما يعانى سواه . فهو أعرف بشؤون المجتمع ، وأقدر على فهم شؤون المعاش

وأقول أيضاً إن تنقل الفقيه من أرض إلى أرض كان يزيد فى قيمته التشريعية . فالشافعى له مذهب جديد ومذهب قديم بسبب تنقله بين مصر والعراق

وأقول كذلك إن الرحلة كانت شرطاً فى التفوق العلمى عند الأسلاف لفضلها الظاهر فى الاطلاع على دقائق العادات والتقاليد

والقول الفصل أن رجل الدين عند المسلمين لم يكن من رجال القوانين المدنية إلا لأنه كان يساير المجتمع ويراوحه ويغاديه بلا انحسار ولا انقباض

وهل أستطيع القول بأن فى الدين الإسلامى أقطاباً كانوا من كبار الأغنياء ، ومن المتصرفين فى المتجرات والمزروعات ؟

إن الصوفية أنفسهم وهم الغاية فى الزهد لم يملكوا الفرار من المجتمع ؛ فقد كانوا مسئولين أدبيًا عن تدبير المعاش لمريدين . أليس من العجب أن نقرر أن أصدق ما كتب فى آداب التجارة والزراعة والصناعة هو ما صدر عن أقلام الصوفية ؟

ثم ماذا ؟ ثم ماذا ؟

ثم أمضى إلى آخر الشوط فأقول :

أحب المسلمون دنياهم فأقبلوا عليها بنهم وشراهة ، فماذا جنوا من ذلك الحب ؟

كان امتحاناً قاسياً عنيفاً إلى أبعد حدود القسوة والعنف . فقد عرفوا به أن لا بقاء للحياة بدون أخلاق ، فكيف كان نصيبهم من شرح دقائق الأخلاق ؟

لا أزعم أنى قرأت جميع ما كتب عن الأخلاق فى جميع الديانات ، وإنما أقرر أنى اطلعت على مجلدات كثيرة فى الأخلاق المنسوبة إلى رجال الدين من غير المسلمين ، فما وجدت لها حرارة تشبه النار الموقدة فى الكتب الإسلامية ، فما سبب ذلك ؟

المصلح المسلم تكتوى يده بنار المجتمع فى كل يوم ، فهو يسكب دم قلبه على القرطاس ، وهو يتحدث عن واقع لا عن خيال ، فهو يقول رأيت وغيره يقول سمعت ، وما أبعد الفرق بين الرؤية والسماع !

الأخلاق فى الكتب الإسلامية منقولة عن تجارب شخصية لا روايات خيالية ، وما خط مسلم حرفاً فى الأخلاق إلا وهو يتمثل مشاهد حية من بنى الناس بعضهم على بعض بلا رحمة ولا إشفاق

معاملة المسلم مع الله تنحصر فى هذه الكلمة الوجيزة

« أعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك »

أما معاملة المسلم مع الناس فلها ألوف وألوف من الدقائق والتفاصيل .

فهل كان ذلك إلا لأن الإسلام أول دين عُنِى عناية صريحة بالشؤون المدنية ؟

قد يقال : وكيف جاز أن يُسفه المسلمون بعد التحليق ؟

حاجة المدنية إلى دين

للدكتور محمد البهي

للجماعة الإنسانية مهمة، ولها هدف أخير: مهمتها تنظيم رغبات الأفراد، والعمل على تضييق دائرة التصادم — إن لم يكن منعه — بين هذه الرغبات، بعضها ضد بعض؛ وغايتها من وراء ذلك حياة الوئام والوفاق، أو حياة « السلام » أو سيادة « الخير » على نوازع الشر

هذا هو الشأن فى كل جماعة إنسانية، حتى فى الفطرية منها. فزعيم الجماعة البُدائية يدعى — حتى فى اللحظة التى تغالب أنانيته على تصرفاته — أنه يعمل للخير والسلام، وأنه يسعى للتوفيق بين أفراد رعيته فى رغباتهم ومآربهم

وقانون الجماعة المهذبة يضع — ما أمكن — نصب عينيه « صالح » الجماعة أو « العدالة » أو « المساواة » . ويحاول أن يبرز هذا الهدف فى كل ناحية من نواحيه محافظة على السلام وحباً فى خير الجماعة

ولا تتميز الجماعة الفطرية عن الجماعة المهذبة إلا بأن البواعث « الشخصية » أو الأنانية هى التى تتحكم عبثاً فى تحديد الخير والسلام، وفي توجيه الأفراد نحو الخير والسلام؛ بينما يحتكم قانون الجماعة المهذبة إلى عوامل مجردة — بقدر الإمكان — عن المعانى الشخصية فى نظرته إلى « الصالح العام » أو « المساواة » . وهذا بعينه هو الفرق بين الطفل والرشيد فى الإنسان

***

وخير الجماعة الإنسانية فى الواقع هو فى الحيلولة دون قيام النزاع والخصومة بين أفرادها بسبب اختلاف رغباتهم. إذ من شأن اختلاف الرغبات حدوث التصادم بينها عند محاولة تلبيتها

وهذه الحيلولة تتم سواء أكانت بالدعوة إلى كبْت الرغبات، وإلى الإقناع بالتنازل عنها أو عن كثير منها بدعوى أن ليست لها قيمة ذاتية كما تصوره لنا دعوة « الزهد » فى متع هذه الحياة، أم كانت بتوزيع نفس هذه المتع - بناء عن اعتبارها وتقديرها - بين أفراد الجماعة لكل منها نصيب حسب كفايته التى تختلف حسب اختلاف مقاييسها عند الجماعات المتعددة، كما تنصح بذلك « النظرات » الجديدة فى الحياة

والوسيلة الأولى وهى دعوة الزهد، أو دعوة القصد فى متع هذه الحياة كانت طريق العقائد الأولى الشرقية، والمدارس

وأجيب بأن المسلمين لم يسقُوا إلا بعد أن فُتِنوا وزُلزلوا وتوهموا أن المدنية ليست من شؤون الدين

أليس مما يعيب الرجل المسلم فى هذا العصر أن تكون له مطامح سياسية واقتصادية؟

إخلعوا النّير عن أعناقكم يا مسلمى هذا الزمان، ويا عرب الزمان؟

لقد فضَحنا « أشراف » مصر حين طالبوا بحقهم فى التحرر من الجندية

وفضحَنا «عربان» مصر حين طالبوا بامتيازهم فى التخلص من الجندية

فماذا يريد أولئك وهؤلاء؟

محمد هو أول نبيّ وآخر نبيّ حمل السيف

ومحمد هو أول نبي وآخر نبي عرف قيمة الإرادة الذاتية فقضى بأن واجب المرء أن يخاطب ربه بلا وسيط

ومحمد أول نبي وآخر نبي كَرِه لأتباعه القرار والاطمئنان

« البحر وراءكم، والعدو أمامكم » فأين تذهبون؟

غيّروا ما بأنفسكم، يا مسلمى هذا الجيل، ويا عرب هذا الجيل واحترسوا ثم احترسوا من أن يكون لمخلوق فوقكم سلطان

أنتم الأعلوْن، وإن كنتم مضطهدين، ولن تمر أعوام قبل أن تأخذوا مكانكم فوق هامة الوجود الصحيح

ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين

زكي مبارك

الفلسفية القديمة ، وطريق الديانات السماوية كذلك . فكلاها وضع « الخير » غاية للفرد والجماعة ، وكلاها تقريباً نصح ونادى بالزهد كعامل رئيسي من عوامل الوصول إلى هذه الغاية . والفرقُ بينهما أن العقائد الأولى كعقائد قدماء المصريين والهنود والفرس تنسج « الخير » كغاية للإنسان في قصة شعرية أو في حكاية فرضية -- وهي بينها تختلف في مقدار هذا الفرض وقيمته ، وفي ذلك العنصر الشعري ومقداره — بينما الفلسفات القديمة أو الديانات السماوية ، وإن سلكت طريق الإقناع تميل إلى تحكيم المنطق والالتجاء إلى العقل في الدعوة إلى « الخير » والتقرب من مثاله ، أو التقرب من الله الذي هو عنوان الخير المطلق . والفرق بينهما كذلك في قيمة النظرة إلى الزهد كوسيلة إلى تلك الغاية ، فبعض العقائد الشعبية الأولى كبعض المدارس الفلسفية القديمة وبعض الديانات السماوية يبالغ في تقدير الزهد وفي صلته بسيادة الخير في الجماعة ؛ ولذا يتشدد في طلبه من الفرد ويوصي به إلى درجة « الحرمان » أو « الإفناء » . والبعض الآخر من هذه الاتجاهات الثلاثة يعترف بالزهد كوسيلة للوصول إلى الخير - ويقرّه كذلك - ولكنه لا يطلب أن يكون موقف الإنسان من هذه الحياة سلبياً فقط ، بل بجانب نصيحته له « بالقصد » في متعها يوجه نشاطه وحيويته إلى عمل إيجابي لغاية نفسها ، وهي غاية الخير

أما الوسيلة الثانية وهي محاولة تنظيم متع هذه الحياة بين أفراد الجماعة الإنسانية تجنباً للتصادم والنزاع بين رغبات الأفراد المختلفة فهي طريق الأخلاق كعلم استقل عن التأثر بالميتافيزيقيا وطريق القانون . وبعبارة أخرى هي طريق الإنسان الحديث الذي رغب في الاستقلال بنفسه عن الدين وعن الفلسفة الأولى عند تحديده للحياة وتحديد مهمته فيها

فالبحث في تحديد « السعادة » أو « الواجب » مهمة علم الأخلاق ؛ واعتبار « سعادة » الجماعة أو اعتبار عمل « الواجب لذات الواجب » هو هدف التشريع الحديث والقانون الوضعي ، وهو كذلك أيضاً أساسهما . فالقانون في مواده المختلفة المتعلقة بنواحي الحياة للفرد والجماعة يحاول أن يُشعر الفرد ويُفهمه أيضاً أنه إذا لم تُقضى له رغبة بأن هذه الرغبة لم تضع عليه في الواقع ، إذ « سعادة » الجماعة أو « الواجب » ، أو ما صاغه القانون ذاته

من « الصالح العام » طلب إحلال أمر آخر محل هذه الرغبة الفردية الخاصة إلى حين ؛ وذلك نظير تمتعه - أي الفرد - بالصالح العام في فرص أخرى وهي كثيرة

فالقانون إذاً لا يرغب عن هذه الحياة ، ولا يقلل من قيمتها ، وقلما يعترف بتهذيبها أو بتحولها إلى حياة أخرى ثانية . ولهذا رأى مهمته في تنظيم رغبات الأفراد ، وفي التسوية في تلبيتها لهم بقدر ما يمكن ، دون أن يزهدهم مثلاً في إقناعهم بالعدول عنها إلى متع أخرى ألذ وأشهى وأدوم كذلك في حياة أخرى

والقانون والأخلاق كعلم من أخص مظاهر المدنية الحديثة . وهذا معناه أن المدنية الحديثة تتميز بالميل إلى الاستقلال وبمحاولة هذا الاستقلال . أيضاً ، عن الدين وعن العقيدة وعن الفلسفة الميتافيزيقية في فهم « غاية » الإنسان وفي تعيين الطريق لتحقيق هذه الغاية

وكما كان عنوان الدين ، أو من لوازم الدين والعقيدة ، الدعوة إلى « الخير » ، وكما كان من وسائله إلى تحقيق ذلك النصحُ بالزهد في هذه الحياة ، كان عنوان المدنية الحديثة تحديد « الصالح العام » وتقريره ثم محاولة تحقيقه بتنظيم انتفاع الأفراد بهذه الحياة

نظرتان مختلفتان في الحياة ، وتوجيهان للانسان فيها مختلفان كذلك

* * *

وربما يبدو أن تنظيم الانتفاع بهذه الحياة بين أفراد الجماعة الإنسانية ، وهو محاولة القانون ، ليس أشق على طبيعة الإنسان كطلب الزهد منها الذي هو نصيحة الدين ؛ والعلاقة الصحيحة بين تنظيم الانتفاع وبين الزهد ليست اليسر من جهة ولا العُسر من جهة ثانية ، بل هي تحكم إرادة الإنسان في طرف وإغفالها في طرف آخر . إذ طلب الزهد معناه اعتبار إرادة الإنسان وتحكيمها ، بينما تنظيم الانتفاع معناه الركون إلى سلطان القانون وتحكيمه وحده . فالزهد وإن بدا أنه مظهر سلبي هو عمل إيجابي ، إذ هو مظهر الإرادة للفرد

وحقاً إذا كانت غاية القانون أو غاية المدنية هي غاية الدين والعقيدة ، لأن مآل رعاية الصالح العام ، أو رعاية سعادة المجموع ، أو تقرير عمل الواجب لذات الواجب هو مآل عمل الخير ؛ وحقاً

إذا كان فى محاولة تنظيم الانتفاع بهذه الحياة بين أفراد الجماعة تحقيق لنتائج الزهد ، إذ أن فى الرغبة عن متع هذه الحياة أو عن كثير منها تضييق لدائرة النزاع بين الأفراد وهو غاية التنظيم ، إلا أن فى الدين والعقيدة معنى آخر ليس فى القانون وليس فى علم الأخلاق ، هذا المعنى الآخر هو أن موحى الدين له نهاية الحكمة وكمال المعرفة فى نفس الإنسان المتدين أو المعتقد طبقاً لمبدأ التأليه ؛ وهذه صفة للمعبود تدع فى نفس الإنسان المتدين عدم المناقشة فيما أوحى به الدين كما تدع فيها أيضاً الرضا بما جاء به الدين . فطاعته للدين إذاً طاعة نفسية ، ومحاولة الشذوذ عن أوامره ونواهيه أمر غير قريب إلى نفسه . ولكن واضع القانون ، فى نظر الخاضع له ، إنسان غير معصوم ، وبالأخص غير منزه عن التأثر بالعوامل الشخصية فى تقنينه لأنه من نوعه الإنسانى وليس من جنس آخر أسمى منه . فالقانون له احترام من نفس الفرد الخاضع له ما دام لم يتعارض مع رغباته الخاصة . فإذا تعارض قل الاكتراث به فى نفسه . لأن الانحراف - هكذا ينظر الفرد - عن الصواب قد يكون فى القانون نفسه دون أن يكون فى رغبات الفرد . فموقف الفرد إذاً من القانون موقف الناقد ؛ وأساس النقد عنده رغباته الخاصة فى الأغلب ؛ وطاعته للقانون فى كثير من الأحايين ليست لذات القانون بل للخشية من منفذه والقائم بأمره . وإذا قل عنصر الرضا النفسى فى الطاعة كانت محاولة المخالفة للقانون موجودة فى النفس ، ووقوعها مرهون فحسب بضعف الرقابة أو زوالها

فمحاولة المدنية بقانونها وبأخلاقها الاستغناء عن الدين وعن العقيدة محاولة قاصرة ، نجاحها لا يتعدى نطاقاً ضيقاً وهو نطاق الخاصة ، وهى فى حاجة فى الواقع إلى الدين وإلى أن يسود التدين جماعتها . ومهما استعانت بالعلم الذى هو مظهر آخر من مظاهرها . فليس فى العلم وحده ما تحتاجه من العون ؛ إذ الإنسان كما هو مودع فى فطرته الميل إلى العلم وإلى الكشف ، مودع فى فطرته كذلك الاطمئنان والركون إلى «السر الخفى» ، وتأليهه أو تعظيمه للغير ظاهرة من ظواهر هذا الاطمئنان والركون . والله فى نظر الإنسان رمز كل سر وكل خفاء ، فلا يُدرك كنهه ولا يُوقف على حقيقته . ولهذا كان له أرفع درجة من تعظيمه واحترامه . وما ينسب إليه عظيم ومحترم كذلك ؛ فقوله قل أن يخالف ، ووصيته ندر ألا تنفذ ، لأن المخالفة وعدم التنفيذ معناه الشك فى هذا التعظيم الذى صار الآن أمراً مقرراً .

***

وإذا كنا ندعو المدنية بوجه عام إلى دين وإلى تدين فلسنا متحيزين إذا دعوناها إلى الإسلام بوجه خاص ؛ لأن الإسلام فى تقريره الزهد كوسيلة للوصول إلى الخير لم يبالغ فى ضمه ولم يعتمد عليه وحده ، بل جعل بجانبه تنظيم الانتفاع بهذه الحياة - بعد أن أباح التمتع بها - وعمل على تنظيم علائق الأفراد فى دائرة هذا التمتع

وليس القانون ، وليس علم الأخلاق ؛ وبعبارة أخرى ليست المدنية هى التى كشفت عن « رعاية الصالح العام » ، بل من قبلُ وضعها الإسلام فى تنظيمه « للمعاملات »

ففى الغاية جمع الإسلام كدين وكتشريع بين « الخير » وبين « رعاية الصالح العام » ، وفى الوسائل نصح بالزهد إلى حد ما وعمل على تنظيم الانتفاع بهذه الحياة بعد أن أجاز الانتفاع بها وهو بهذا يعتبر إرادة الإنسان كما لا يهمل رقابة القانون

محمد البهى

على ذكرى الهجرة

القوة والدين

للأستاذ راشد رستم



إن الهجرة التى قام بها نبى الإسلام محمد بن عبد الله عليه السلام — حدث تاريخى . ليس له من صبغة الدين إلا أنه من أيام رسول الله

غير أن أثرها فى الإسلام عظيم

* * *

لما أراد المسلمون الأولون أن يؤرخوا لدينهم لم يجعلوا ذلك يوم ولادة الرسول ، ولا يوم نبوته — بل يوم هجرته

وقد كان هذا هو رأى رجل الإسلام القوى عمر بن الخطاب — تذكرةً للمسلمين بالاضطهاد الذى لاقاه رسولهم — وتنبيهاً إلى الثبات على المبدأ ، وتنبيهاً لضرورة الجهاد فى سبيل الدعوات

ذلك هو فضل يوم الهجرة : فضل تاريخى ، فضل اجتماعى ، فضل للحياة الآملة المجاهدة . هذه الحياة التى لا تقيم للحق وزناً إلا بالجهاد فى سبيله ، والتى لا تعرف للحق وجوداً إلا إذا قام له صاحب

وصاحب حق الإسلام هو عظيم المجاهدين له عليه السلام ، إذ لم يظهر حقه وقد كان خفياً إلا بعد أن جاهد له ، وقد اعترف به الزمان وظل به معترفاً

* * *

ولكن كان إذا ونَى أنصار الحق عنه قليلاً ونَى الزمان عنه قبلهم ، وإن شدّوا له وتجمعوا عدّه الزمان فأقامه لهم على هام الدول والأيام واضحاً ثابتاً

* * *

ذلك منطق الزمان . هو لا يعرف غير الغالب . والغالب أن يكون الغالبُ صاحبَ حق

ولكن الغالب كذلك ألا يكون حق غالباً إلا بالقوة ، فإن كانت غلبة الحق لا شك فيها ، فإنه وهو غالب يكون كذلك هو القوى ...

وقد يكون الباطل غالباً . ولكنه وهو غالب ، يكون كذلك هو القوى

غير أن دولة الباطل ساعة ، ودولة الحق إلى قيام الساعة

* * *

لذلك لما كان كفار العرب ، وهم مع باطلهم أظهر على الرسول وهو مع حقه ، كانوا كذلك لأن القوة كانت لا تزال معهم ؛ حتى إذا ثبت محمد بحقه فى الميدان واستمر مجاهداً فاز بالقوة يدعم بها حقه ويديمه



ومن مزايا الحق أن الاعتقاد بيقينه يجعل من الضعف قوة ، كما يزيد القوة قوى

ومن ذلك كان نصر الحق بالثبات عليه والجهاد له

* * *

ورسول الإسلام لم يكن ينقصه الحق ولا مزاياه ؛ وإنما هي القوة . . . لذلك كان يعمل لها بعد أن تأكد من يقين حقه ، وكذلك كان من معه

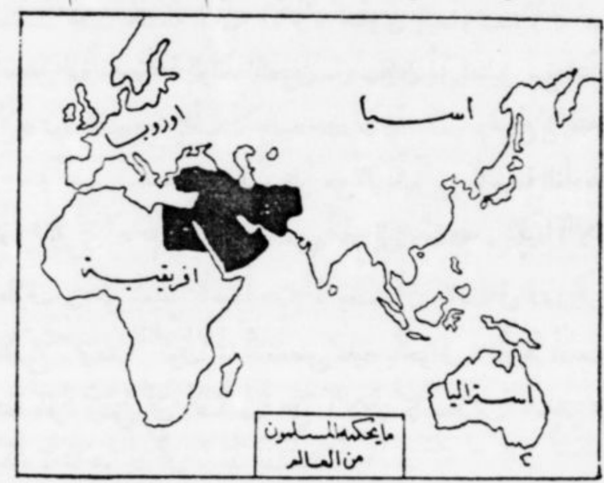
وهكذا كان ثبات النبي مضرباً للأمثال

فكم هُدد، وأوذى، ورُغِّب؛ فلم يجبن ولم يرجع عن جهاده. بل كان يثور للحق، ويثير في نفوس أنصاره الروح النقية القوية، والعقيدة الصحيحة بأن القوة أولى بها أن تكون للحق، وأن الحق لا بد له من القوة ما دام الباطل يستعين بها

فلما فاز الرسول بالقوة، ظهر على أعداء حقه

وهكذا كان حال السابقين من أهل الدعوات، فما تمكن دين المسيح عليه السلام إلا بعد أن دان له الامبراطور قسطنطين العظيم، فدعمته قوة السلطان

وما كان زاهياً زاهراً دين موسى عليه السلام إلا لما كان السلطان لبني إسرائيل؛ فلما شالت نعامتهم ذهبت ريحهم



مايحكمه المسلمون من العالم

على أننا لا نقصد بالقول أن نحط من قيمة الحق وأن نرفع من القوة، ولكننا نقرر مركز كل منهما من الآخر، ذلك المركز الذي توجبه جِبِلَّة البشر وطبيعة الإنسان، تلك الطبيعة التي فطر عليها من أن يَمَلَّ المعنويات ويعظمَ المحسوس

إن هذه الجبلة الآدمية هي التي تدفع بالحق يسعى وراء استخلاص القوة لنفسه، وإنه لعمل محمود

ليس في السعي وراء القوة عيب، إذ القوة أظهر مظاهر المحسوس، وهي لسان الإنسان الفصيح وبيانه المفهوم، وهي الواسطة القوية لنشر الفضيلة المطوية، كما أنها ترفع الباطل إن ظفر بها مختلساً

وسلامٌ على الحق إذا لم تؤيده القوة

وسلامٌ على القوة إذا لم تؤيد الحق

***

ليس في استعانة الحق بالقوة تقليل من قيمته أو حط من قدره. فالقوة وسيلة الطبيعة للبقاء، والإنسان حيوان قبل أن يكون عقلاً ..



مايسكنه المسلمون من العالم

لذلك يسبق في علمه إدراك القوة قبل أن يدرك ما هو حق وما هو باطل

فإذا هو أدرك لأحدهما معناه، عمل لبقاء ما اختار منهما لنفسه والبقاء في هذه الحياة هو للأقوى

فيا أيها الصالحون، اعملوا على أن تكونوا الأقوياء..

وانظروا في ذلك وأنتم في مرحلة لكم جديدة ...

راشد رستم

حكم في الجنحة المستأنفة رقم ٨٨٩٠ سنة ١٩٤٠ ضد محمد السيد الرازقي من درب الرزاز بتغريمه ١ ج لبيعه ملحاً بأزيد من التسعيرة ونشر الحكم بمجلة الرسالة والثقافة

حكمت محكمة المنصورة العسكرية في القضية رقم ٤٩٩ سنة ١٩٤١ بحبس فطمة ابراهيم عبد الحليم من الدرس شهراً بالشغل لبيعها قمحا بسعر يزيد عن التسعيرة

حكمت محكمة المنصورة العسكرية في القضية رقم ٥٣٠ سنة ١٩٤١ بحبس سلامة محمد داود من كوم النور شهرين بالشغل لبيعه بترول بسعر يزيد عن التسعيرة

حكمت محكمة المنصورة العسكرية في القضية رقم ٥٣١ سنة ٩٤١ بحبس محمد الطنطاوي عبيد من بهتيا شهرين بالشغل لبيعه أذرة بسعر يزيد عن التسعيرة

حكم في القضية نمرة ٦٨٠٣ سنة ١٩٤٠ محافظة مصر على رزق على صبي بقال بسوق الزلط ن ٦٢ موسكي لأنه في ٢٥ يناير سنة ٤٠ بدائرة قسم باب الشعرية باع كبريتاً بأزيد من السعر حضورياً بغرامة ١٠٠ قرش ونشر الحكم بمجلة الثقافة والرسالة وتعليقه على باب المتجر ويسراى المحافظة على نفقته في ٤ يونيو سنة ٩٤٠

من مذكرات عمر بن أبى ربيعة

أيام حزينة

للأستاذ محمود محمد شاكر



« قال عمر بن أبى ربيعة ... » :

وجاء ابن أبى عتيق [هو عبد الله ابن محمد أبى عتيق ابن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق] ، فوالله لأن كنت بين ضرسين من الجبل يدوران علىّ دوران الرحى ، أهون علىّ من أن أكون نعيت عندا رجل الحبيب !

كان رجلاً ضرباً خفيف اللحم أحمر ظاهر الدم كأن إهابه شعلة تشب وتتلهب ، أفرع فينان الشعر ، مخروط الوجه ، أزهر مشرقاً كأن بين عينيه نجماً يتألق ، يقبل عليك حر وجهه بعينين نجلاوين قد ظمئ جفناهما حتى رقا ، يرسل إليك طرفه فترى الضحك فى عينيه خلقة لا تكلفاً . ما أحسبنى رأيته مرة إلا خلته دعابة قال لها الله : كونى ! فكانته . وكأنى به قد دخل على أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق وهى تكيد بنفسها — فى مرضها الذى ماتت فيه — يقول : كيف أصبحت يا أماه ؟ جعلنى الله فداك ! فتقول عائشة : أجدنى ذاهبة يا بنى ! فيقول : فلا إذن يا أم المؤمنين ! ! فتتبسم عائشة وتقول : حتى على الموت يا ابن أبى عتيق ! ! فيقول : أرضاك الله يا أماه ! لو جاءنى الموت كأكره ما يأتى على حذر ، ما تركت له دعابتى حتى يستضحك ، فيرحل بى عن الدنيا بوجه غير الذى جاء به !

فلو أن امرأ من عرض الناس لا أعرفه ، جاءنى فزعم أن نجماً فى السماء بكى ، وأن القمر مد إليه مثل اليد فكفكف من عبراته ، لكان أقرب إلىّ من أن يأتى آت يقول هذا ابن أبى عتيق يمشى فى الناس بعينين ضارعتين خاشعتين ذاهلتين يعرف فيهما البكاء !

رجل صالح تقى خفيف الروح نشوان القلب ، قد انحدر من جده [عبد الرحمن بن أبى بكر الشاعر] ، حنين الشاعر حين يرى الدنيا كالغانية المنعمة تتصبى له وتتقتل ، فيحن إليها بصبوات الشباب المتوهج ... وآب إليه من جده [أبى بكر الصديق] حنان التقى وهو يرى الدنيا كالناشئة الغريرة لا تزال تنشد تحت جناحه دفء الأبوة فتأوى إليه وتتضور ، فهو يخفض لها من رحمة الوالد المتحنن ... فابن أبى عتيق من هذين الأبوين كالربيع : جمال وشباب ، ورقة وحنان ، وفرح لا ينتهى

وكنت أجده فيما يتوقد علىّ من الكرب كالغمامة الغادية : ظل ورى ، ثم لا يزال بى حتى أنام إلى دعابته ، فإذا آلامى تطوف بى من بعيد كأنها أحلام ، بعد أن كانت فى دمى جمرة تتلذع . وقد أكون مما أستعصى عليه بأحزانى ، فأريد أذهب عنه نافراً أبتغى أن أعكف على آلامى كما يعكف العابد على بده ، فما هو إلا أن يأخذ ينشد :

متى تر عينى مالك وجرانه   وجنبيه ، تعلم أنه غير ثائر
حضجر ، كأم التوأمين توكأت   على مرفقيها مستهلة عاشر[1]

فينشد أغرب إنشاد وأعجبه ، ولا يزال يحرك ويشير ويمثل ، فوالله ما من ساعة أنشدنيها هذين البيتين ، وأقبل علىّ يرينى ما يأتى به ، إلا نبع الضحك من قلبى دفعة حتى ما أتماسك معه

فكيف به اليوم وقد سكن كأنه دمعة خافتة تئن تحت الزفرات . يمشى إلىّ كأن أيامه تطوف به ثاكلات نائحات ، يغض طرفه كأنما يمسك عبرة همت هاربة من الأسر ، يطأطئ هامته كأنما يقول للزمن : تخطّ ، فلم يبق بينى وبينك عمل أيها الجبار ، يستكين حتى لإخاله يجمع أطراف نفسه لا يزاحم أفراح الناس بما يريد أن يتنفس من أحزانه

(١) الجران : باطن عنق البعير ، واستعاره الشاعر للسخرية . والحضجر : العظيم البطن الواسعه ، وهو حرف ساخر الجرس والحركة .

لك الله يا ابن أبي عتيق ! لقد كانت لك كالجدول النامي النمير : هو سر الأرض ، وسر العود ، وسر الزهر ، وسر العطر ؛ فلما جفت عنك همدت أرضك ، وظمئ عودك ، وصوّح زهرك ، وتهارب عطرك ... زوجة كانت تستودع روحك مع كل شارق ، ما تتملّى به أفراحك ولهوك ودعابتك ، فتخرج إلى أحبابك لتحمل عنهم همومهم فتغرقها في ذلك البحر الخِضَمّ من الفرح والابتسام والرضى !

* * *

ودخل ابن أبي عتيق فسلَّم سلام الذاهل المتولّه ، ثم جلس كأنما هو يلقي عبئاً ثقيلاً كان يمشي به ، ثم نظر في عينيّ بعينين نديّتين ترى في غورهما ذلك التنّور المتضرّم يتقاذف شُعَله في ثنايا النفس وفي مسارب العاطفة . وأدام النظر لا يرفعه عني كأنما يقول : انظرْ واعرفْ ولكن لا تتكلّم ! فأشهد أني افتقدتُ ما أقولُ أعزّيه به أو أرفّه عنه ، بل كأنما أفرغ بعينيه في عينيّ من أحزانه ، حتى أراني أجد مسّ النار في صدري وهي تستعر ولكني خفتُ على صاحبي ورفيقي إن أنا سكتُّ له ، أن أكون قد خلّيت بينه وبين همّه ، وإن أحدنا لو قعد يمارس أحزانه يوماً بعد يوم لصرعته . أجل ! وإن الحزن ليهجُم على النفس كالسَّبع الضاري ، حتى إذا عبَر إليها وقف يستأنس متلفتاً يريد ما يختلج أو يتحرّك ، فما هو إلا أن يهوِي إليه فيبطش به ، أو ينشب فيه براثنه ينفضه ثم يقضقضه حتى يهمد . وإذا خُلّي السبع لا يُذاد ولا يُطرد بقي حتى يتأبّد ويستوحش . ولا يزال على عادته يستمرئ كل ساعة فريسته يغمس في دمها أو يَلِغ ، ثم لا يكفّ حتى تكفّ الحياة عما ينبض أو يتنفس

وأخذتُ أزوّر له الأحاديث في نفسي . فلما هممت بها لم أقل إلا ما يقول الناس : عزاءك يا أبا محمد ! فوالله كأنما هِجْت بها الطير الجثوم ، وظل وجه ابن أبي عتيق يروح الدم فيه ويغدو ، وجعلت عيناه ترسلان على نظراتهما الدمعَ الذي لا يسفح ، والعَتْب الذي لا يتكلم ، وظلّ صامتاً ، وراحت نفسي تنخزل عما أقدمت عليه ، ولكنه لم يلبث أن زَفَر إليّ زفرةً خلت في نفثاتها شرراً يتطاير . ثم قعد يتململ حتى قال :

إن أيامي — يا أبا الخطاب — قد استحالت تيهاً أمشي فيه على مثل هذه الجمَرات ، ولقد كنت مما عهدتَني ، والأيام من حولي عُرْس لا أعدم فيها ما أطربُ له . كنت إذا ما حزن بعض أيامي ، أجد من أفراح الماضي ما أهرب إليه بالذكرى ، وأتوهّم من نشوة الآتي ما أترامى إليه بالأمل ، فكنت أعيش بفرحةٍ أحضرُها أو تحضرُني لا أخاف ولا أجزع ولا أتوهم في الحياة إلا الخير . فأنا وقد أبت بغتات القدر إلا أن تنتزع من كفّيَّ ما كنت أضنّ عليه ، فهيهات لها بعد اليوم أن تطيقَ انتزاعَه من فكري . آهِ ... آهِ يا عمر ! كانت ملء عيني وروحي وقلبي . كنت أعيش تحت نسيمها كالنشوان ذاهلاً عن الألم مهما أمضّ ، مستصغراً الكبير وإن فدَح ، راضياً باسماً متحففاً ... إذ كانتْ هي هي الأمانيّ تتجدّدُ مع أيامي عليّ وتتبلّج مع كل فجر في قلبي ، ما كنت جزوعاً ولقد جزعت ! كيف قلت : عزاءً يا أبا محمد ! ها الله يا ابن أبي ربيعة

كيف صَبري عن بعض نفسي ! وهل يصبِرُ عن بعض نفسه الإنسان ؟

كانت بيني وبين الدنيا ، وكانت آية الرفق والفرح ، فكنت أرى الدنيا بعينيها مشرقةً من تحت غياهب الأحداث ، فالآن إذ نأت عني ، كيف أرى إلا قِطعاً من الليل تغتالني من كل وجه ، أو أشلاءً من الدياجي تجثم لي بكل سبيل ؟

ثم رأيت في عينيه الملَل وهو يطوي على نظراته ما نشرتْه الحياة من همة النفس ؛ وتخيلته — حتى كدت أتبينه — شبحاً ينساب في ظلمة الليل فرداً قد انخلع من الحياة وأسبابها ، فهو يضرب في حشا الظلماء بسآمة لا يهتدي ولا يريد أن يهتدي ، وقد كدت مما شجيتُ له أن أدع إليه الحديث حتى يستتمَّه ، ولكني أعرف في قلبه الرِّقة ، فخشيتُ أن يمضي به الحزن على غلوائه ، فقلت له :

مَهْ مَهْ يا أبا محمد ، والله ما أنكرتك منذ عرفتك ، ولكني اليوم منكر لك أو كالمنكر . أليس لك في إيمانك وإيمان آبائك معتصم أيها الشيخ ؟ ما إسلامُك النفس للجزع وما غلوُّك فيه ؟ إن امرأً يؤمن بالله واليوم الآخر لخليق أن يستكين إلى قضاء الله استكانة الوليد إلى أمه . وإن أمراً يختاره الله لامرئ هو أهدى سبيليه لا ريب ، شَقِي بذلك أم سَعِد ، وما يمسك النفس على أحزانها للأمر من قدر الله إلا الشيطان . خبِّرني يا أبا محمد ! هل ابتُلِيَ الناس فيما ابتلُوا به بما هو أفظع من فجيعتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ كلا ! فقد حزن الناس حتى أخذتهم آخذة ، وحتى أنكر أحلمهم حلمه ، وحتى إن بعضهم ليوسوس ، فقام إليهم جدُّك الصديق فرد الناسَ إلى أحلامهم ، وهو أشدهم حزناً على صاحبه ورفيقه ؛ فعلَّم الناس أن الحزن للقلب وحده ، وأن

العقل والجوارح إنما هى للعمل ، وأن هذا هو طريق الإيمان بالله وبقضائه : خيره وشره ، أفأنت من يَجور عن سنة الله وسنة المهتدين من آبائه يا أبا محمد؟ كنتَ المرء الصالحَ الذي يرى الدنيا بعينىْ زائلٍ ، فما بالك اليوم تراها بِعَيْنَىْ متشبث قد أنشب فيها أمثال البراثن من عقله وفكره ، فهو يتأبّى أن يدور فى وهمه أنه مفارقها ؟

قال ابن أبى عتيق :

حنانيك يا عمر ! فوالله ما تعلمنى يا ابن أبى ربيعة إلا ما علمت . لقد عَجمتْ منى الحوادث صخرة مُلمْلمة لا تضرع . كم سحرْت من الدنيا وأحداثها ، فجعلتُ أطويها فى دعابتي طىَّ المُلاءة ! كنت أتخفّفُ منها بنشوة أحْدثها فى قلبى ، فلو كان عليه مثل الجبل من الهمّ لطار فيها كما تطير خافية من جناح . ولكنى اليوم ... آه ! لقلَّ ما جرَّبتَ يا عمر ! أسلمتُ لله مُقبِل أمرى ومُدْبِرَه يصرِّفه كيف شاء . ولكنى أجدُ هذا القلب المُعَنَّى لا يزال يخفق بالذكرى ؛ أفأنت منكرٌ عىّ يا عمر أن أذكرها نسيماً رَفرَف بين الجوانح والقلب ؟ أنَّى لى أن أَزوِىَ النفس عن آثارها ، وما أكد أرى شيئاً إلا خلته يحدثنى حديث الثاكل : أنينٌ وحنين ؟ فأين المهرب ؟ دع عنك يا أبا الخطاب ! أأراك تَلْحانى على الجَزَع ، وما على ظهرُها أشقى ممن يُصبح ليفتقد فى نهاره حُلماً ضَلَّ عنه مع الفجر ؟ كم خلوت إلى هذه النفس ألومُها كالذى تلوم ؟ وكم وقفت على هذا القلب أذكّره ما يذكرُ الناس منى ، فإذا الذى كان بالأمس قد أصبح وكأنه أديمٌ مرقوم قد تفرَّى عاثَ فيه البلى فمحاه . أريد ، ويا لضلَّتى فيما أريد ! أنا كالساري فى لُجَّة الليل يلطم فى سوادها ، قد أضاع لؤلؤة يَبحثُ عنها بين الحصى والرمال ! ... لن أعودَ إلى الناس حتى أجد لؤلؤتى يا أبا الخطاب ... لن أعود

ورأيتُ الرجل ينتفض انتفاضة المحموم من هول ما يجد ، فرَحمْته ، ولكنى آثرت أن أدور على بُنَيَّاته ، عسى أن يأوى لهن فيؤوب إلىّ كبعض ما كان ، قلت :

ظلمتَ نفسَك يا ابن أخى فظلمت من لا يلوذ إلا بظلك . صغيراتٌ ضعيفات ضائعات : فمن لهن بعدك ؟ لو كنتَ وشأنك لهان الأمر ، ولكنك استُحْفظتَ من لا يحفظه بعد الله إلا رحمتك ، ومن لا يغذوه بعد الطعام إلا حديثك ، ومن لا يضىء له وجه الدنيا بعد النهار إلا ابتسامك ، ومن إذا أهمل ضاع عليك ضيعة الأبد . إنهن بناتُك منها وبناتُها منك ، فوالله ما تذكرها ذِكراً فى شىء هو أكرم وأحب وأرضى عندها منهن . اجمِلْ يا أبا محمد ، أجمِل!

فرفع إلىّ رأسه ونظر ، ثم ربا صدره بالزفرات وهو يقول :

لقد كنت أخشى لو تمليتِ خشيتى !

عليكِ الليالى كرَّها وانفتالها

فأما وقد أصبحتِ فى قبضةِ الرَّدَى

فشأن المنايا . فتَصيب من بَدا لها

... لولا علمتَ يا عمر ! كيف - بربك - كنتَ ترانى أحبوهنَّ من قلبى خفقات لامعات باسمات ؟ كنتُ لو أطقتُ أن أجعل قلبى بينهن لهواً يَتلعَّبْنَ به لفعت ! فانظر إليك ماذا ترى ؟ ما شيء أجتلب به على قلبي ألماً كنوافذ الإبر إلا رؤية هؤلاء الصغيرات الضعيفات الضائعات ؛ وإن إحداهن لتعدو إلىَّ تستأوى فأحملها ؛ فكأن قد والله حملتُ بها صخرة مسرفة يُعيى حملها . لولا بقية من رحمةٍ - يا عمر - نفرتُ عنهن نفرةً واحدة لا أراهن ولا يريننى

أفزعنى والله الرجل ، ولكنى فهمت عنه ما يأتى به . إنه لا يزال يراها بعينيه تحول بينه وبين صغاره . إنه يريدها ويريدهن جملةً واحدة ، فإذ ذهبت هى ، فكأنما ذهب منهن الذى كان يراه فيهن . يرحمك الله يا ابن أبى عتيق ! فأما إذ بلغ به حبها هذا المبلغ من اليأس ، فلا والله ما ينجيه إلا أن يحتال ، فقلت له :

أأراك أنسيت ذكر ربك يا أبا محمد ! أتُرانا نعيش فى هذه الأرض إلا بما نرجوه عند الله فى غيب الله ؟ فلولا ما نمثله فى أنفسنا من الرجاء ، ما نبض لامرىء عرقٌ مما يأخذه من السَّأم . وأنت ، أفيغبى على امرىء فى مثل عقلك أن يجعل من مفقودٍ يحبه رجاءً يستمسك به ؟ انظره يا ابن أبى عتيق بين عينيك ، ولا تدع البَدن الراحل يَغلبُك على ما يحضرُك من روحها . إنك بعينيها ما عشت ، فلا تحسبنَّ أحزانك التى تبتغى أن تتسلّب بها فى حياتك ، تجعلها تنظر إليك راضية مطمئنة

لا تشكّنَّ يا ابن أخى ، فوالله إن الجسد ليذهب إلى البلى ، وإن الرُّوح ليخلد ، فما ترضى من يحبُّك بأمثل من أن تكون فى غيْبهِ ما كنت فى محضَره : « إن القلب ليحزن ، وإن العين لتدمع ، ولا نقول ما يغضب ربنا » وصدق رسول الله . وما ذلك إلا أن نقصر الحزن ، وأن نجعل أقوالنا وأفعالنا مرضاة لمن نحب وطاعة . ولا تستطيلنَّ ما بين الحى والميت ؛ فإنما هى ساعات قلت وإن أطلت لها . يا أبا محمد ! أرض ربك وأرض صاحبتك ، واجهد أن تكون كما أحبت لك ، فإنك عن قليل تلقاها ، فلا يلقها منك إلا ما تعرفه دون ما تنكره ...

محمود محمد شاكر

هجرة في سبيل الله

للأستاذ محمد عبد الغني حسن



هَجَرْتَ بِطاحَ مكةَ والشِّعابا ... وودَّعتَ المنازلَ والرِّحابا
تخذتَ منَ الدُّجى يا بدرُ سِترًا ... ومن مرهوبِ حُلكتِهِ ثيابا
فكيف تركتَ خلفكَ كلَّ شأنٍ ... وخلَّيتَ القرابةَ والصِّحابا؟
وشرُّ مواطنِ الإنسانِ دارٌ ... يرى من أهلِهِ فيها عذابا
يُناديهمْ فلا يلقى سميعًا ... ويدعوهمْ فلا يجدُ الجوابا

صبرتَ وكلُّ داعيةٍ يُلاقي ... منَ الأهوالِ ما يوهي الصِّلابا
تمرُّ بكَ الحوادثُ وهيَ كَلْمى ... كأنَّ مزاجَها الصخريَّ ذابا
فما ألقيتَ منْ رهبٍ سلاحًا ... ولا خلَّيتَ منْ نصبٍ حِرابا
تزيدُكَ كلُّ حادثةٍ ثباتًا ... وصبرًا في المواقفِ وانكبابا
أتعرفُ دعوةً للهِ قامتْ ... وكانَ قِوامُها شهدًا مُذابا؟
سبيلُ الحقِّ قدْ حُفَّتْ بشوكٍ ... ولمْ تُملأْ على دَعةٍ رُضابا
وما غلبَ الليالي مثلُ قلبٍ ... تجرَّعَ كأسَها عسلًا وصابا

نبتْ بكَ أرضُ مكةَ وهيَ أوفى ... وأرحبُ في سبيلِ الشركِ بابا
وضاقتْ بالحنيفةِ في إلاهٍ ... وما ضاقتْ بآلهةٍ جنابا
أما عُبدتْ بها العُزَّى قديمًا ... أما شبَّ الضلالُ بها وشابا؟
لقدْ وسعتْ منَ الأديانِ بُطْلًا ... ولمْ تَسَعِ الحقيقةَ والصوابا
ومنْ عجبٍ تُسيءُ إليكَ أرضٌ ... شببتَ فما أساتَ بها الشبابا
منازلُ كنتَ تنزلُها طهورًا ... وتلقى الوحيَ فيها والكتابا
فما عرفوا عليكَ بهنَّ نقصًا ... ولا أخذوا عليكَ بهنَّ عابا
تقومُ الليلَ في جنباتِ غارٍ ... وتقطعُهُ زكاةً واحتسابا
وتدعو والمضاجعُ غارقاتٌ ... بأهليها وتنتظرُ الثوابا
تزلزلُ بالدعاءِ ذرا «حراءٍ» ... فلولا اللهُ يُمسكُهُ لذابا

لقدْ آذاكَ أهلُكَ في حِماهمْ ... فكانَ أذاهمُ العجبَ العُجابا
رمَوا واللهُ جارُكَ منْ أذاهمْ ... فأخطأَ سهمُهمْ رميهمْ وخابا
فلا ترجُ السلامةَ منْ قريبٍ ... ولا تأمنْ منَ الأهلِ انقلابا
فرُبَّ أباعدٍ كانوا رجاءً ... ورُبَّ أقاربٍ كانوا مُصابا

أمينَ اللهِ أهلُكَ قدْ أساءوا ... ولجَّ لسانُهمْ إثمًا وعابا
وقالوا الساحرُ الكذابُ حاشى ... لربِّكَ لمْ تقلْ يومًا كِذابا
وكانوا منْ صفاتِكَ في يقينٍ ... فكيفَ يرونَ دعوتَكَ ارتيابا
ولكنْ ذو لُهُ الأغراضِ تُعمي ... وتُلقي فوقَ أعينِها حِجابا
لقدْ جحدوا ضياءكَ وهوَ سارٍ ... يشقُّ البيدَ أوْ يطوي الهضابا
كأنَّ منَ الهدى فيهِ سراجًا ... ومنْ وضحِ اليقينِ بهِ شهابا
ومنْ تسكنْ المآربُ ضلَّلتهُ ... يرى في الحقِّ زيغًا واضطرابا
يعيبُ ذوي المبادئِ وهوَ أهلٌ ... لأنْ يُرمى وأجدرُ أنْ يُعابا

أمينَ اللهِ قومُكَ قدْ أساءوا ... وطارَ صوابُهمْ ومضى وغابا
لقدْ عادوكَ موجدةً وكِبرًا ... ورُبَّ مكابرٍ فقدَ الصوابا
مضَوا يستكثرونَ عليكَ فضلًا ... منَ اللهِ الذي يُعطي الرِّغابا
هوَ الحسدُ الذي أكلَ البرايا ... وصيَّرهمْ على أنسٍ ذئابا
يكادُ الحقدُ يمسخُهمْ قرودًا ... ويخلقُ فيهمو ظفرًا ونابا
ولمَّا أنْ قدرتَ عفوتَ عنهمْ ... ولمْ تفرضْ على الجاني عقابا

روح الهجرة

للأستاذ محمود البشبيشي

الليل ينشر على الكون وحشة ورهبة . والظلم يغمر النفوس رعدة ورهبة ، ولكن الحقيقة المؤمنة تتطلق عزمة ورغبة . تنظر إلى أحابيل الشيطان نظرة القدرة القادرة ، وتتأمل أباطيل الباطل بثقة الحكمة النافذة ، وليكن ما يكون !

فى بطون الوهاد وأعالى الجبال عيون ترصد ، وفى خفايا المنافذ وحنايا البطاح أرصاد ترقب . وفى جوار كل جدار ووراء كل باب آذان تسمّع ، ولكن الحقيقة المؤمنة فى قلب الرسول تتوثب عزمة ، وتتوهج قوّة . وليكن ما يكون !

الشيطان قد فعل فعله فى النفوس الضالة ، والأحقاد قد بلغت الغاية فى القلوب الغُلْف ، ولم تبق بارقة تسطع من خلال رؤى الآمال !

كل شئ فى الجزيرة يحس أن شيئاً سيحدث ، وأنه سيكون حدثاً عظيما ... كل شئ فى الجزيرة يدرك أو يكاد أن أمراً ستتفتح عنه مغاليق الغيب ، وأنه سيكون أمراً خطيراً . ولكن ما من شئ كان يعلم أن ظنون الكفار المتلبدة بسواد النيات ستنهار كخيال الوهم . ولكن ما من شئ كان يعلم أن أمانى الرسول الكريم ستتوج بالنصر كحقيقة الواقع ... ولقد كان ما كان

وانطلقت الحقيقة المؤمنة من قيود الباطل ، وانبثق النور السماوى من خلال سحب الضلال . إن محمداً قد هاجر ، وكتب للرمال أن تقبل الخطا المباركة ، وللغار أن يتيه على أعظم القصور عزة وفخامة . إن محمداً قد لاذ به من كيد المشركين

أجل لقد كان ما كان . بل ما كان يجب أن يكون

وانبثق فى جبين الزمان نور جديد . فكان يوم الهجرة المباركة . وكان للاسلام عيداً ، وإنه لعيد مجيد . فلئن اعتزّت الأمم بأعيادها المختلفة . وخلّدتها بأيام من عُمر الزمن محدودة ، والتفتت إليها من حين إلى حين تعيد إلى ذكرياتها القوة ، وتجدد ما تقادم من حيويتها ، وتبعث فيها الروح بالاحتفال بها ... أجل لئن اعتزت الأمم بأعيادها وحرصت كل الحرص على أن تعيد إليها القوّة بالاحتفال . إن الإسلام ليحتفل بعيد الهجرة ... لا ليعيد للهجرة حيوية ضعفت ، ولا ليجدد للهجرة ذكريات تقادمت ، ولا ليبعث فى الهجرة روحاً خمدت ، بل ليستمد القوة من عزمة الرسول صاحبها ، ويقبس من أنوار عيدها أقباس الحيوية السماوية القادرة .

وإن أعياد الأمم مهما اختلفت أغراضاً ، وتفاوتت مقاصدَ ، لا تزيد على أن تكون رمزاً لناحية واحدة مجيدة اجتماعية أو غير اجتماعية ، فردية أو غير فردية ، على حين تجتمع فى عيد الهجرة أعياد وأعياد

فى عيد الهجرة أعياد . ومن أعياده الرائعة المُتألقة الوضيئة عيد الوفاء فى أروع مظاهره ، والفداء فى أبهى صوره ، والصبر فى أكمل معانيه ، والجهاد في أعظم غاياته ، والإيثار فى أنبل مواضعه ، وحب الوطن فى أقوى حالاته ، والثبات على المبدأ فى أثبت دعائمه

لنا فى الهجرة مثال للوفاء يحتذى ، وإنه لمثال يتألق حقاً فى رفيق الرسول أبى بكر الصديق ؛ فقد كانت براثن الخطر تترقب ، ومخالب الشيطان تتوثب ، وكل شىء فى شعاب الطريق ومسالكه يستر خطراً يكاد يهجم ، فالأحقاد تلهب الصدور ، والصدور تضطرب بنزوة الدم وثورة الضغينة

أجل كان كل هذا ولكن الصدّيق كان وفياً . ولكن

دَعَوْتَ لَهُمْ بِمَغْفِرَةٍ وَصَفْحٍ ... فَكَانَ دُعَاؤُكَ الْعَالِى مُجَابَا
مَلَكْتَ رِقَابَهُمْ عَفْوًا فَلَانُوا ... وَلَمْ أَرَ مِثْلَهُ مَلَكَ الرِّقَابَا

خَرَجْتَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهْىَ دَارٌ ... شَهِدْتَ بِهَا عَلَى الْكُفْرِ انْقِلَابَا
لَقَدْ آوَاكَ أَهْلُوهَا وَقَامُوا ... لِيُنْسُوكَ الرَّحِيلَ وَالاغْتِرَابَا
وَجَدْتَ بِهَا مِنَ الأَنْصَارِ أَهْلاً ... وَزِدْتَ بِهِمْ عَلَى الْبُعْدِ اقْتِرَابَا
وَرُبَّ أَبَاعِدٍ لَكَ قَدْ أَجَابُوا ... وَمَا سَمِعَ الْقَرِيبُ وَلَا أَجَابَا
رَجَوْتَ بِهِمْ لِدِينِ اللهِ نَصْرًا ... وَلَمْ أَرَ رَاجِيًا فِى اللهِ خَابَا

محمد عبد الغنى حسن

الصديق كان ثبتاً ؛ ولكن الصديق كان قد انتضى للأمر عزائمه وتغلغلت فى روحه روح الوفاء، فأبى أن يكون هيابة نكساً . ووجد الوفاء فى قلبه أرضاً طيبة فأينع وأثمر ، فذلل له كل مستصعب . فكان خير مثال لمصابرة المكاره، ومعالجة البأساء . تحمل فى سبيل الوفاء وعثاء الطريق ولم يضطرب قلبه لمخاوف الرحيل فى هذا الجو الملبد بالأخطار . فياله من رجل ترك الأهل والمال والولد ورافق الرسول الكريم لغاية لا يعلمها إلا الله . مثل هذا الوفاء جدير بأن نقيم له الأعياد لنستمد منه أروع المعانى، ونهرع إليه كلما دهمتنا الأحداث ولاحت لنا الخطوب

للهجرة أعياد ، ومن أعيادها عيد الفداء

وإن لنا من على كرم الله وجهه لمثلاً للفداء حياً

وما ظنك بالرجل الذى يعلم علم اليقين أن الموت يلمع فى أسنة السيوف بباب مرقده ، والهلاك يترصد فى كل زاوية من دار هو فيها سجين أو شبه سجين ؟ ما ظنك برجل يحس بالخطر يتوثب ويترقب ، وهو فى موقف يؤرق العين ويعذب القلب ؟ فالكفار بالباب قد أعلنوها حرباً مصرحة مستعلنة . والكائدون قد نصبوا الحبائل ومدوا الشباك يترقبون الرسول الكريم ... وهيهات ، فإن علياً هنالك ، وإنه لنائم مكانه

أيها الفداء العجيب فى شخص على ، إنك لخير مثال تتطلع إليه القلوب فى مثل أيامنا العجاف

للهجرة أعياد ، ومن أعيادها عيد الصبر

ومن ذا الذى صبر صبر الرسول على المكاره ، وتحمل من الأعداء والأهل ما لا تتحمله النفوس البشرية ؟ ... فى ظلال الإرهاب سار ، وبليل الأخطار أدلج ؛ رأى الموت فلم يفزع ، وكيف تفزع النفس المؤمنة ، ومن فيضها اقتبس الإسلام قوة جهاده ، واستمدت العروبة عزمتها القادرة وقوتها القاهرة ؟ من ذا الذى سواه يستطيع أن يخلع عن مكاره الأيام من روحه المؤمنة روحاً تسهل كل صعب وتنال من كل مستحيل ... ؟

يا عجباً ! لقد استطاعت القوة المؤمنة أن تفك الحبالة وتسلك إلى النفوس فى جو كانت تسير فيه قالة السوء كومض البروق ، فى جو اجتمع فيه الأشرار على باطل وتفرقوا عن كل حق ... ومن صبر الرسول الكريم وصبر أصحابه الأبرار ما نزال نستمد العون كلما طرقنا من الحوادث أمر طروق

للهجرة أعياد ، ومن أعيادها عيد الجهاد

وجهاد المؤمنين لا ينقصه الدليل ليصدق ، ولا يتطرق إليه الشك فينقص ؛ فلقد كانت الحقيقة المؤمنة فى نفوسهم قوة ، وفى قلوبهم حيوية ، وفى سيوفهم قدراً عاصفاً ، وفى عيونهم أملاً يعلم أنه محقق!

جاهدوا وثابروا فنالوا ما أرادوا . وبعون الله كشفوا عن القلوب غطاء الجهالة ؛ فتناثرت أباطيل الضلال أمام يقينهم ، وانطمست شمس الضلالة الزائفة أمام إشعاع إيمانهم ، وسقطت آمال المنافقين أمام إعصار الحق ، كما تتساقط أوراق الدوحة الهزيلة عندما تطيح بها العاصفة

فإلى جهاد المؤمنين فى فجر الإسلام توجهوا أيها المسلمون فى أقطار الأرض ، واستلهموا من معانيه الحيوية معانى العزة القومية ، والقوة والإباء ، والصبر والجلاد

تلك بعض أعياد الهجرة ، ومن أعيادها عيد الإيثار وحب الوطن والثبات على المبدأ

أما الإيثار ، فينطق به الأنصار عندما نسوا الأثرة واستقبلوا المهاجرين بكرم اليد وكرم القلب ، وقاسموهم الخير والأرض، وعطفوا عليهم عطف العالم بما لاقوا ، المقدر لما تحملوا ، المعجب بما أظهروا

وأما حب الوطن والحنين إليه ، فيتألق فيما كان يضطرب بين أضلاع الرسول الكريم وهو فى الغربة يناضل ويناوص ويستعد ويستجم ليرجع إلى الوطن الذى ترعرع فيه ، إلى الوطن الذى غدر به وحجب القلوب عنه . فهو يحن إلى الحج . فيفاوض المشركين رحمة بالأهل ، وحرصاً على الدم من أن يهدر ... وإنه لدم غال عزيز . أفليس هو دم الأعمام وأبناء الأعمام ؟

وأما الثبات على المبدأ ، فيظهر ناصعاً فى كل مراحل الجهاد ، فى صبر الرسول على الكيد، وتحمل المهاجرين لألم فراق الأهل والمال والولد

وبعد ، فقد قهرت القوة المؤمنة القوة الضالة ، وقهرت حقيقة الحق رياء الباطل ، وارتدت السهام إلى نحور الكائدين ، وانطلق النور السماوى من روح الرسول ، فبدد سحب المنافقين ، وطوى ظلال الشيطان

ولئن استمدت أعياد الأمم القوة بالاحتفال ، إن عيد الهجرة ليجدد حيوية الأمم المسلمة ... ولئن كانت الأعياد وليدة تاريخ الأمم ، إن تاريخ الأمم الإسلامية وليد عيد الهجرة

أيها العيد ، فى ظلالك أعياد ، وإنها لأعياد تعتز بها العروبة والإسلام . جمعت الوفاء والفداء ، والصبر والجهاد والإيثار وحب الوطن ، والثبات على المبدأ والعقيدة

إن كنت فى لغة الحياة وركبها ... يوماً فكن يا ابن الخلود عهودا

محمود البشبيشى

« المنصورة »

أحدث مطبوعات مكتبة النهضة المصرية

فرعها المختص بجميع الكتب العربية

٩ شارع عدلى باشا — المغربى سابقا — ١٥ شارع المدابغ تليفون ٥١٣٩٤

مليم	الكتاب	المؤلف
٨٠	شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى	للأستاذ عباس محمود العقاد
٨٠	ديوان عابر سبيل « شعر »	» » » »
٨٠	عالم السدود والقيود	» » » »
١٠٠	ساره	» » » »
١٥٠	فلسفة اللذة والألم	» إسماعيل مظهر
٦٠	مصر فى قيصرية الاسكندر المقدونى	» » »
٥٠	الحب الأول أو قيصر وكليوبترا	» » »
٢٠٠	التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية دراسات لكبار المستشرقين	» عبد الرحمن بدوى
١٥٠	اشبنجلر	» » » »
١٠٠	نيتشه	» » » »
١٠٠	جولة فى ربوع أستراليا	» الرحالة محمد ثابت
١٠٠	» » » آسيا	» » » »
١٠٠	» » » الشرق الأدنى	» » » »
١٠٠	» » » أفريقية	» » » »
١٠٠	» » » أوربا	» » » »
١٠٠	» » » الدنيا الجديدة	» » » »
١٥٠	زنوبيا ملكة تدمر	» محمد فريد أبو حديد
٢٥٠	النظم الاسلامية	للأستاذان : حسن إبراهيم حسن ، وعلى ابراهيم حسن
١٥٠	فى الطريق	للاستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى
١٢٠	من الأدب التمثيلى اليونانى	للدكتور طه حسين بك
١٠٠	أديب	» » » »
١٥٠	نظام أوربا الجديد	للأستاذان : محمد بدران ، وأحمد عبد الخالق
٦٠	اعتقادات فرق المسلمين والمشركين	لحضرة صاحب الفضيلة معالى مصطفى عبد الرازق باشا

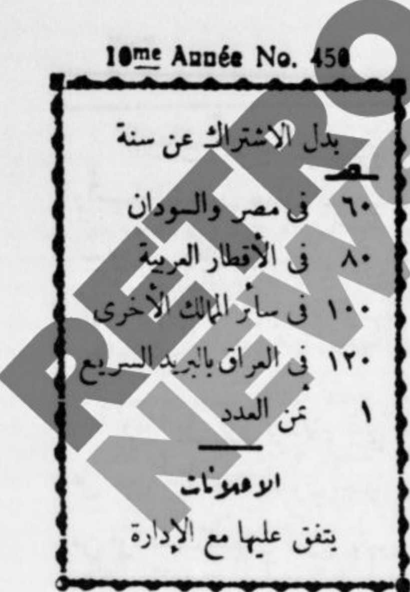
مليم	الكتاب	المؤلف
٨٠	تحقيق التام فى علم الكلام	لفضيلة الأستاذ محمد الحسينى الظواهرى
١٥٠	الصراط هرمان سودرمان	ترجمة الأستاذ محمود إبراهيم الدسوقى
١٥٠	هتلر يتكلم ، أو هتلر قال لى	ترجمة الأستاذ عبد الحميد حمدى
١٠٠	الطبع والصنعة فى الشعر	للأستاذ محمد الهياوى
٣٠٠	لغة الأيدى ، أول كتاب عربى ظهر فى هذا العلم موضح بالرسوم	» محمد محمد جعفر ، وأنور عادل
٢٥٠	أطلس تاريخ القرن التاسع عشر	للأستاذ أحمد نجيب هاشم ، ومحمد مأمون نجا
٣٢٠	تاريخ نابليون الأول (٣ أجزاء) مجلد	لمؤلفه إلياس طنوس الحويك اللبنانى
١٠٠	قضية الفلاح	للآنسة ابنة الشاطئ
١٠٠	وحى الخاطر « شعر »	للأستاذ على سعد مراد
٧٠	علم الاجتماع	» مصطفى فهمى
١٠٠	رضا شاه بهلوى نهضة إيران الحديثة	» أحمد محمود الساداتى
١٠٠	الأيام الثلاثة	» محمود عزمى
٧٥	الانسان وبيئته	» لويس اسكندر
١٥٠	من أدب الفراعنة ، أول كتاب عربى ظهر من نوعه	» محمد صابر
١٨٠	الطفل من المهد إلى الرشد	» محمد خلف الله
٢٠٠	الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوى الفاطمية	» محمد عبد الله عنان
٤٢٠	الشوقيات (٣ أجزاء)	للمرحوم أحمد شوقى بك
٦٥٠	دائرة معارف المنزل الحديث (٤ أجزاء) ضخم	للآنسة بسيمة زكى ابراهيم
١٠٠	السينما	للأستاذ أحمد بدرخان
١٠٠	جهاد الأمم فى سبيل الدستور	» محمد شوكت التونى
١٥٠	الصحافة والأدب فى مائة يوم	» كمال مصطفى
٥٠	الحرب والغازات	» عبد الرحيم رشوان
٢٠٠	مسرحيات توفيق الحكيم جزآن	» توفيق الحكيم

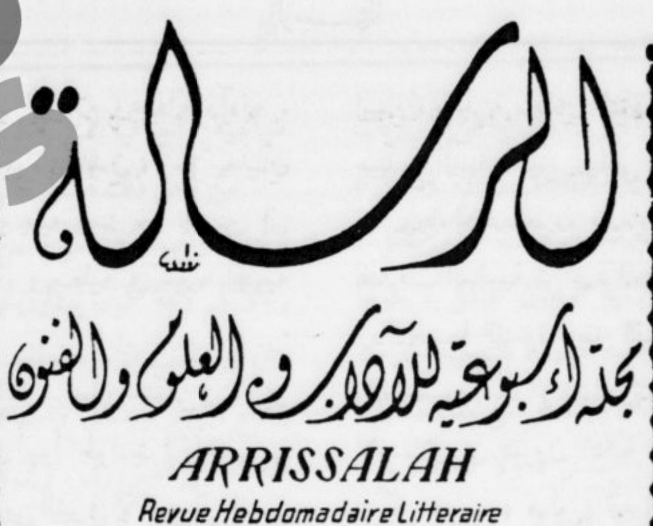
لمناسبة افتتاح مكتبتنا الجديدة بشارع عدلى باشا قد خفضنا

المطبوعات الموضحة أعلاه ٢٠ ٪ لمدة ٢٠ يوما من تاريخه



10me Année No. 450 — Lundi 16 - 2 - 1942





ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ٤٥٠ « القاهرة فى يوم الإثنين أول صفر سنة ١٣٦١ — الموافق ١٦ فبراير سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـــــرس

صفحة

ماضى الاسلام وحاضره

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

احتفلت مصر بأول السنة الهجرية ، فجىءَ فى الخواطر ذكر الهجرة النبوية ؛ وتمثل للأذهان المثقفة ما سبقها وما وليها وتتابع بعدها من حوادث جِسام بنتائجها القريبة والبعيدة ؛ واتجهت القلوب الشاعرة إلى ذلك الوطن الإسلامي المجيد الذى سطع منه نور الحقيقة الدينية فأضاء الآفاق

وتلك ستون وثلثمائة وألف سنة خلت بخيرها وشرها وتركت عبرها لمن يعتبر ، فيرى أن الله أسعد المسلمين بدينه الكريم ، وإنما هم أشقوا أنفسهم بميلهم عن صراطه المستقيم

* * *

قام محمد بالرسالة والعرب على شفا حفرة من النار بما كان لهم من دين وثنى فى تأخر ، وأخلاق فى تدهور ؛ فأنكروا عليه سعيه وائتمروا به ، فهاجر إلى المدينة ، ثم عاد إلى مكة المكرمة منصوراً بإذن الله ؛ وأدخل الرسول فى عقولهم الضالّة وأفئدتهم الشاردة عقيدة التوحيد الذى تجلّى فى القرآن الشريف بمنتهى القوة وأروع الجلال ، والذى هو جوهر الإسلام المتين على قواعده الخمس

فاعتدلت أحوال العرب بقواعد الإسلام وعباداته وآدابه ، وأصبح المؤمنون بفضل التوحيد أخوة فى الدين ، وجلّ به شأن المسلمين . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم خير المحسنين إلى الإنسانية بأمانته فى إبلاغ الرسالة ، وبعظمه فى سيرته الدينية والأخلاقية

وما أجلّ قوة الإسلام الذى انتشر سريعاً واستمكن فى قرنين على حين كان القتلة يغتالون الخلفاء فى أسوأ الحوادث ! وأعظم بها من قوة مدت سلطان الدولة الأموية من الشرق الأقصى إلى الغرب الأنأى فى أقل من قرن إن هو إلا لحظة من الدهر ! وأكرِم به من دين أزهرت بحسناته المدنية الإسلامية لعهد العباسيين !

فهذا هو الرسول يؤدى الرسالة ، وهذا أبو بكر أقرّ عناية بوضع الخطط الحربية منه بالدعوة وجمع القرآن ، وبتوطيد الوحدة الإسلامية ، وتأسيس حكومة عربية ؛ وهذا عمر لا يقلّ عدلاً عن أبى بكر ، وإن زاد ميلاً إلى الفتح وأشرف من الحجاز على جملة الأعمال الحربية ؛ وقد كان بقوة يده وشدة شكيمته هو الرئيسَ الذى تحتاج إليه أمّة حديثة التكوّن ، يفتنها فيض مغانمها ويظل هو هادئ النفس الأبيّة ، يضاعف بساطة عيشه ، ويفخر بثوبه المرقّع ، ولا ينال منه التعب ، وليس له من الأغراض سوى أن يزيد الإسلام نصراً على نصر ؛ وهؤلاء هم الصحابة والأنصار والأبرار ، ثم الخلفاء العظماء والقواد الكبار : معاوية وعبد الملك والوليد وعمر وعبد الرحمن ، وأبو جعفر المنصور والرشيد والمأمون ، وأسامة ، وابو عبيدة ، وابن العاص ، وخالد ، وعقبة ، وطارق ، وابن نصير ، والحجاج .

رحم الله الجميع بما خدموا الإسلام فى الفتح بالعقيدة والحسام والله « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أُوتى خيراً كثيراً وما يذّكر إلا أولو الألباب »

* * *

طغى الحكم المطلق لعهد المعتصم وبعده فى جماعات إسلامية مختلفة دماؤها وذكرياتها القديمة ؛ تقرأ فى الكتاب المجيد : « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون » ؛ وترى الموالى يبلغون أسمى المراتب ، ويداخلها من روح الإسلام الآمر بالشورى والعدل ما يشبه شعور الديمقراطيات فى أيامنا بلذة المساواة والحرية ، فكان التناقض بين ذلك الطغيان وهذا الروح سبباً من أسباب قلقٍ سياسى واجتماعى مستمر فى تلك الجماعات .

وجاء الانحطاط مع ضِعاف الخلفاء ذكاء وعقلاً ، فأصبحت الخلافات العباسية من عهد المعتصم متعثّرة فى غير الطريق الأقوم تزداد فيها القسوة ويقل التسامح ، وتكثر الفتوق والمطامع والمطامح ، ويتعدد الانقسام وتنفصل الولايات ؛ ثم كثرت حركات الاستقلال فى القرون التالية ، وتضاعف عدد الأسر الحاكمة فى كل صوب ، فداول الله الأيام بين الدويلات حتى تضعضع الدهر بالشعوب الإسلامية ، وأمست بلادها فى النهاية أسواقاً للغاشمين ومستغلات ومسالك للغالبين ، ومستعمرات تتبدّل أسماء بأسماء ، ولا تتغير المسميات « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير » ؛ « ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » .

* * *

أما ذلك الطود الأشمّ ، العزيز بالتوحيد ، الثابت على قواعد الإسلام الخمس وحِكمه الخلقية وعلى السنّة المحمدية ، فهو راسخ لم تذهب به زعازع القرون ، ولن تذهب

ولقد أثبت نجاح الدعوة نجاحاً متواصلاً أن الأخلاق الإسلامية لاءمت كل العصور ، ودلّ على أن الإسلام يوائم نور العقل الإنسانى . وقد أيد مبشّرون مسيحيّون أن هذا الدين القويم ينتشر ويمد رواقه فى الآفاق ؛ وبديهى أن هذه الشهادة هى ، بالنظر إلى علّة انتشاره ، إقرار منهم بفضل الإسلام وسموّه من حيث هو دين ، ومن حيث هو سبب للمدنية .

تلك الحقائق الواضحة ينكرها فريق من أصحاب المصالح الاستعمارية ، الحريصين على نفوذهم أو سيطرتهم فى البلاد الإسلامية ؛ بل هو يزعم أن عالَم الإسلام قوة من القصور الذاتى والقدرة على عدم المطاوعة تعارض بطبعها مدنية الغربيين ؛ وإنه عالَم لا يقبل التغيير وعاجز بكيانه وأخلاقه عن التطور الصحيح النافع ؛ فهو كتلة تظَل أبد الدهر غير قادرة على مساواة أممٍ غربية فى الجلَد والضمير ، والصفات النفسية ، برغم الظواهر وبعضِ التأويلات التى تخدع من لا خِبرة لهم برجال هذه الكتلة وشؤونها ؛ ومواهبُ الشرق الفطرية مناحسُ ، هى الخلو من المثل

الأعلى ومن الفضائل القومية؛ وهي الجوْر، والرغبة عن المشروعات التي يطول بتنفيذها الزمن؛ وهي البلادة في رخاوة وتثاقل، والجمود تتخلله أزَمات عنيفة قصيرة ليس فيها كبير طائل؛ فأحسن حال تحدث للبلاد الإسلامية هي أن تدخل، طوعاً أو كرهاً، في وصاية حكومات أجنبية تنيلها، بالتوجيه الحازم، خيرات النظام الذي تمنعها عوائقُها أن تقيمه هي من تلقاء نفسها.

ألا إن الإسلام دين الفطرة واليُسْر، ولا تعقيد فيه. واصله الاعتقاد بالله الأحد، وبالرسالة المحمدية. والقرآن هدى للمؤمنين لا عقبة في سبيل فلاحهم الاجتماعي والأخلاقي، والشرعي والفكري. وقد أصلح النبي على نوره شأنَ العرب وصَلُح به شأن أمم شتى. وكان تقييد العقول أبعدَ الأشياء عن خاطر الرسول الذي أوحى إليه: «إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون» و«قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب».

وليس الإسلام بذلك النظام الجامد الذي لا يراه إلا أهل النظر السطحي أو أولو الأغراض. ولقد كانت المدنية الاسلامية، قبل قرون، أزهرَ مدنية في الدنيا، يوم كان شارلمان فارساً خشناً بالنسبة إلى هارون الرشيد؛ وكان العالَم المسيحي، لأوائل عهد الاصلاح الديني في أوربا، على حال سادت فيها العقيدة على العقل، وعمّ الرضى الأعمى بالتعاليم وبالسلطة، والعداء لحرية الفكر والعلم، والارتيابُ بهما.

كلا، ليس الإسلام في شيء من المعارضة للعلم والمدنية؛ وقد قضى العالم الإسلامي عهداً مديداً في فتور وحياة متئدة، ولكنه آخذ في الخروج من حال تخلُّفه. فمن ذا الذي يستطيع أن يحكم بأنه لن ينطلق إلى طور جديد يعيش فيه عيشة مصححة بلا معين، محتفظاً بمميِّزاته الأصلية؟؟

والحق أن للاسلام أثراً جليلاً في حياة الإنسان الدينية، ومكاناً فسيحاً في الدنيا. وله فيهما شأن عظيم سواء أكان من حيث هو دين أم من حيث هو عالَم يضم شعوباً على إيمان واحد، ومظهر أخوّتهم الدينية حجُّهم البيت في الوطن الأصلي الذي نشأ فيه دينهم: يدعوهم الإسلام فيخفّون إلى القِبلة ويحتشدون فيها على رغم انقسامهم شيعاً ومذاهب، واختلاف نزعاتهم وتبعياتهم. فالإسلام قوة روحانية، وهو من ههنا قوة سياسية واجتماعية من الطراز الأول

من أجل ذلك فشِل طالبو محوه من الوجود ومحاربوه وجهاً لوجه؛ وأصبح في الغرب من يقول: «إن في العالم الإسلامي رجالاً لهم نزعة محمودة يعملون على التوفيق بينه وبين العالم الأوربي؛ وإن في الجانب الأوربي والمسيحي رجالاً أمثالهم يسعون سعيهم، ويدفع الجميعَ وجدانٌ واحد هو الشعور بواجب السعي في تحقيق هذا التوفيق الضروري. وإن هؤلاء الأفاضل — من الطرفين — هم وحدهم الأقدرون على تحقيق (الاتفاق) المنشود بين العالم الإسلامي والعالم الغربي المسيحي»

ويقول أيضاً إن كلمة (الاتفاق) — المطلقة المعنى الواسع العام — مستعملة عن عمد في هذا الكلام الذي لم يُرَد به سوى علاقات حسنة تسهّل الحياة فتروِّج التجارة والصناعة، لأن الدين الإسلامي سلطان روحي هو من القوة وزُيِّد الجدارة بالاحترام في مقام لا يمكن معه أن يُقصد ههنا غير الاتفاق الودي. «ودَّتْ طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون»

وليس شك في أن العاقل يسره التفاهم بين الناس والتوفيق بين مصالحهم، وإيتاء صاحب الحق حقه لا وكس فيه ولا شطط. غير أن كلام الغربي — في هذا الصدد — يشفّ عن الحقيقة وإن ظهرت وراءه في خفاء. فمسى الساعون من رجال البلاد الإسلامية في تحقيق الاتفاق بين الطرفين أن يتبينوا هذه الحقيقة تفادياً من أن يشوب خيره شر لأوطانهم يُطيل أمد بقائها تحت ألوان الحكم الأجنبي، وهو إسار وإن تموّهت أسماؤه الحسنى

***

ذلك بعض ما يرى الناظر في ماضي الإسلام وحاضره، وما يجمعه تداعى المعاني في خاطره من حقائق عظيمة الشأن. وفي القرآن: «فذكّر إن نفعت الذكرى، سيذّكّر من يخشى ويتجنّبها الأشقى»

فليت المسلمين يلتفتون إلى تلك الحقائق في فاتحة هذه السنة الهجرية المباركة، إذ يبدأ فيها الإصلاح الذي يتوخاه جماعة كبار العلماء، والعمل الجليل الذي عهدوا إلى لجنتهم في القيام به. والحمد لله! «ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب»

محمد توحيد السلحدار

الهجرة والأخلاق

للأستاذ محمد يوسف موسى

الهجرة من الناحية التاريخية حادث من أبرز الحوادث فى تاريخ الاسلام إذ كانت فاتحة مجده، ومقدمة علو كلمته على الشرك والمشركين. بها أعز الله الاسلام، وصار المسلمون بعد أن كانوا يستخفون من فتنه، ويتسللون لواذاً للمدينة فارين بدينهم وأنفسهم، أقوياء بعد ضعف، فيهاجون قريشاً ومن حالفها، وقد كانوا لا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم عدوان المشركين وجبروتهم. لا جرم أن أفاض المؤرخون والكتاب فى هذا الحادث؛ يصفونه، ويقصون ما كان من أمره فى بدئه ونهايته.

لكن للهجرة نواحيها الأخرى التى لا تقل عن الناحية التاريخية خطراً، والتى يجب فيما أرى أن نتذكرها ففى هـذا عظة وخير. من هذه النواحى الناحية التى تتصل بالأخلاق.

كلما تذكرنا هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة مثابة قومه إلى المدينة مستقر أنصاره، نتمثل المبدأ القويم واعتزاز صاحبه به، ومحافظته عليه، ولو وقف الموت فى سبيله أو عرضت عليه الدنيا بأسرها، كما نتمثل التضحية فى سبيل المبدأ بالمال والولد وسائر ما تحرص عليه فطرة الانسان وطبيعته. لقد صدع الرسول الشجاع بمـا أمر به، فلقى قومه من ذلك عظيماً، ورأوا فيه تسفيهاً لأحلامهم، وسباً لآلهتهم، واستهانة بما كان أسلافهم عليه من عقائد موروثة ودين مقدس عزيز. هبت قريش تتلمس السبل للتخلص من هذا الذى أقض عليهم مضاجعهم، وكان لهم فى هذا محاولات عدة، باءوا من جميعها بالفشل؛ ومنها ما عرضوه من أن يُملّكوه عليهم، فيكون الملك المطاع، وهم الرعية الخاضعة. رفض الرسول إذاً كل ما تقدمت به قريش؛ إذ وجد فى ذلك ما يحول دونه ودون ما أخذ نفسه به من الجهر بالدين حتى ينال النصر، وتكون كلمة الله هى العليا. وفى ذلك موضع الذكرى والعظة!

ورأت قريش مع هذا أن تعالج الأمر من ناحية أخرى بالقوة العارمة والعذاب الشديد للمستضعفين من المسلمين تريد فتنتهم وردهم للكفر وقد نجاهم الله منه. لكن هؤلاء قابلوا الفتنة بالصبر والتضحية قبل الهجرة وحين شرعوا فيها. كان أول من هاجر إلى المدينة — فيما يروى ابن إسحاق — أبو سلمة عبد الله. فلما أجمع الخروج فرقت قريش بينه وبين زوجه وابنه، فطاب عنهما نفساً وبقيا بمكة ولم يلحقا به إلا بعد سنة أو قريباً منها[(1)].

وصهيب بن سنان يروى ابن هشام حديثه لمـا أزمع الهجرة فيقول: إنه لمـا أراد الهجرة قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكاً حقيراً فكثر مالك عندنا وبلغت الذى بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك. والله لا يكون ذلك! فقال لهم صهيب: أرأيتم إن جعلت لكم مالى أتخلّون سبيلى؟ قالوا: نعم. قال: فإني قد جعلت لكم مالى. فما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ربح صهيب، ربح صهيب[(2)].

هكذا كان ثبات النبى وصحبه على المبدأ وتضحيتهم في سبيله بالنفس والنفيس وصبرهم على الأذى. أما نحن فإن الواحد منا يرى وجهاً من وجوه الإصلاح ويعتقد أن فى الدعوة إليه ونشره وأخذ الناس به الخير كل الخير لأمته؛ ثم يعد العدة للتبشير به مؤكداً لنفسه ولمن يحيط به أنه جاد فيما يرى، صادق فيما يقول، قائم بالدعوة مهما لقى فى سبيلها، باذل فى ذلك من وقته وماله ونفسه. وما هو إلا أن يلتف فريق من الناس حوله وإلا أن يلوّح له بعض ذوى الجاه والسلطان بسيف المعز وذهبه حتى ينكشف ويتضاءل فيعود مَسخاً ليس له من الرجولة إلا الإسم؛ وليس له من ماضيه وما كان اعتزم وقدر وقرر إلا الذكريات التى تتراءى له صوراً وأشباحاً تألم لها نفسه إن كان لم يفقد ضميره بعد، أو لا يأبه لها ولا يباليها؛ بل ويسخر منها إن كان فقد مع رجولته الضمير الحر الحساس أيضاً!

هل نحن فى حاجة لضرب الأمثال لهذا الداء الذى شرى

(١) سيرة ابن هشام طبع مصطفى محمد ج ٢ ص ٧٧ — ٧٨

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٨٩

فما أظن أن من السهل أن نطبب له ونبرأ منه ، أعنى داء عدم الاعتداد بالمبدأ والتمسك به ، مهما قامت العقبات وتعقدت الأمور ما دام فى التمسك به خير وصلاح الأمة . المُثُل لهذا كثيرة ؛ نجدها فى الميدان السياسى ، ونجدها فى الميدان الاجتماعى ، ونجدها فى الميدان الاقتصادى ؛ وأخيراً نجدها فى الميدان الدينى . لنلق نظرة على ما صدر من الصحف فى هذه السنوات الأخيرة نجدها ملأى بالدعوات الحارة لمبادئ مختلفة رأى الدعاة إنها خيراً كثيراً فى تحققها ، وربما ألفت لجان لبعضها تفحصها وتشير إلى وسائل جعلها حقائق فعلية بدل أن تظل أمانى تجيش بها الصدور وتلج بها الألسنة . ولكن ما هى إلا أيام أو شهور ونرى الدعاة قد استوعروا الطريق واستطالوا الشقة ، أو رأوا فيما يدعون إليه ما ينفر رئيساً أو ذا جاه ، فى ترك ما حسبوه جرى منهم مجرى الدم من مبدأ أوفكرة ما يقربهم زلفى إلى هذا الرئيس أو ذى الجاه ؛ حينئذ ينقلب الواحد من هؤلاء على عقبيه ، وينكر ماضيه ويترك مبدأه ويعيش متمتعاً بما نال من حظوة وكسب من صيت وشهرة باعتباره رجلاً من رجال الإصلاح !

إن كنت مبالغاً فى هذا الذى أقول فلنتذكر أن لنا بالقاهرة وحدها عشرات من الجمعيات الدينية والاجتماعية ولكل منها مبادئ قامت فيما تزعم عليها . وأنه ما من واحدة من هذه الجمعيات أخلصت أو تخلص لمبادئها وجدت أو تجد فى الدعوة إليها أو تحقيقها ! هل ربت جماعات الكشافة التى تزخر بها المدارس تلميذاً واحداً على الصدق فى القول والاستقلال فى الرأى والاكتفاء بالنفس ، ومعاونة الغير ، ونحو هذا من مبادئ الكشف والكشافة ؟ هل أفلحت جمعيات المسلمين فى جعل فريق من الناس ولو من أعضائها مسلمين حقاً يعرفون — ويعملون بما يعرفون — أن الصدق فى المعاملة من الدين ، وأن اعتبار المؤمنين جميعاً إخوة أساس الدين ، وأن كراهة الظلم والظالمين مما يحتمه الدين ويدعو إلى أن يظهر بطريقة عملية تردع هؤلاء الظالمين ؟ هل أخذ أعضاء هذه الجمعيات الدينية — التى تدعو للحشمة والصون والعفاف ، وتحارب فيما تزعم التبرج والخروج عن الدين — أهلهم وأولادهم جميعاً بحدود الدين وألزموهم سننه وشرائعه ؟ معاذ الله أن يفعلوا هذا وأن يلتزموا المبادئ التى يدعو إليها وأن يكون لهم فى ثبات النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الصادقين على المبدأ الحق عظة وذكرى !

إذا تركنا هذا النحو من القول ، وانعطفنا ثانية لحادث الهجرة نجد فيه مجالاً لعظات أخر من الخير أن نشير إلى بعضها . هاجر النبى وصاحبه الصديق إلى المدينة فماذا فعل ؟ كان أول ما عمل أن آخى بين المهاجرين والأنصار ليكونوا يداً واحدة على من عاداهم ؛ وكان من هؤلاء الأنصار أن واسوا إخوانهم المهاجرين وشاطروهم ما يملكون ، وآثروهم ولو كان بهم خصاصة ، فكانوا بذلك مؤمنين حقاً ؛ حسن إيمانهم ، وخلصت قلوبهم ، ورأوا من الكذب والزور أن يزعم الواحد منهم أنه أخ لمن يشركه فى الدين ثم يستأثر بما أنعم الله عليه به ، ويزوى عنه حقه فيه ؛ ويحتجن دونه نصيبه منه

أما نحن فنلوك بألسنتنا أن المؤمن أخ المؤمن لا يظلمه ولا يسلمه ؛ ونقرأ كثيراً قول الله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة » ؛ وقول الرسول الحكيم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . نعلم هذا كله ثم لا نؤدى الزكاة ، ولا نواسى المحتاج ؛ ولا نرحم البائس الفقير ؛ ونزعم مع ذلك أننا مؤمنون حقاً ؛ وأننا بمنجاة من سخط الله وعذابه لأننا قائمون له بما يجب ! ناسين أو متناسين ما رواه عبد الله بن عمر إذ يقول : « أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا معشر المهاجرين ، خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة فى قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضوا ؛ ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم ؛ ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ؛ ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما فى أيديهم ؛ وما لم تحكم أئمتهم بما أنزل الله ؛ ويتخيروا مما أنزل إليهم إلا جعل بأسهم بينهم » !

يميناً بالله أننى أرى أننا نستحق الآن أن يعمنا الله بعذاب من عنده ، لولا ما فينا من شيوخ ركع ، وأطفال رضع ، وبهائم رتع ! لقد اجتمعت فينا هذه الخمس التى خافها الرسول

على المؤمنين المهاجرين . فقد منعنا الزكاة والتمسنا لهذا الفتاوى الباطلة والتعلات الكاذبة ! وظهرت الفاحشة فينا ، بل جعلنا لها ولحمايتها اللوائح والقوانين ! وفشا الغش والتدليس فى المعاملة ، وصار ذلك باباً من المهارة يُطلب أن يحذقه التاجر والصانع ومن إليهما ! واستعرنا ما نتحاكم إليه من قوانين من فرنسا وغير فرنسا نابذين كتاب الله وما جاء به من شرائع ظهرياً ! وصار الغنى لا يرى بأساً فى أن يسكن القصر ويملك الآلاف ويبيت يشكو البطنة والتخمة ، وبجواره وحواليه المئات من إخوانه فى الدين والوطن جياعاً معدمين ! ومع هذا كله نزعم أننا بخير ، وأن الدين لا يزال ثابت الدعائم مرعى السنن والآداب والأحكام !

بذلك الإهمال للدين ، واطراح ما يأمر به الله من سنن وتشاريع ، وبترك النصح للعامة والخاصة ، صرنا فى أمر مريج ولبس شديد ، وصار المرام صعباً ، والمطلب وعراً ، والمسلك حَزْناً . ولو أننا اتعظنا بالحادثات وراعينا صالح الدين والوطن قبل كل شيء وائتمرنا بما يأمر به الله وانتهينا بنهيه ، لسهل الأمر وسلس ، وصار قريب التناول ، سهل المقاد !

بقيت كلمة أخيرة تخطر بالبال كلما انتهى العام وبدأ آخر : هى أنه كما يقول حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالى رضوان الله عليه : ترى التجار يحاسب الواحد منهم نفسه فى شهر أو عام ليعرف كسبه من خسرانه ؛ فإن كان الأول حمد الله واستزاده منه ، وإن كان الآخر بحث الأسباب ليتلافاها فلا يقع فيها مرة أخرى ؛ إذا كان هذا عادة التجار ، مع أن الخسارة أو الكسب لن يكون إلا شيئاً من حطام هذه الدنيا ، فكيف يليق بالعاقل ألا يحاسب نفسه كل ليلة ساعة يأوى لفراشه على ما عمل سحابة نهاره !

لست أطمع فى الوفاء بما يطلب الغزالى من حساب المرء نفسه كل ليلة ، وغاية الذى أرجو أن يكون الحساب آخر كل عام ؛ حتى نستقبل العام الجديد بنفوس راضية تائبة عازمة على أن تكون فيه خيراً منها فى العام الذى انتهى . هدانا الله إلى الصراط المستقيم ؛ وجعلنا من الذين إن تقلد الواحد منهم عملاً سوّاه ، وإن رأى ضالاً هداه ، وإن آنس أوداً ثقفه . إنه المستعان .

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

الاسلام في أوله وحاضره

للأستاذ عبد العزيز محمد عيسى

أظهر ما توحى به الهجرة إلى النفس، ما كان عند الرسول صلى الله عليه وسلم وعند أصحابه الأخيار من قوة العزيمة ورسوخ الإيمـان، قوة ورسوخاً تغلبا على جميع ما لا قوة من شدائد ومصاعب

فقد احتمل الرسول ألوان الكيد وصنوف المشقات من أعدائه بعزيمة لا تعرف الكلل ولا التوانى ولا الخنوع. وتحمل المسلمون الأولون معه مثل ذلك بعزائم مقتبسة من عزيمته، حتى كان الواحد منهم يمشط بأمشاط الحديد فلا يصرفه ذلك عن قصده ولا يلويه عن عقيدته. تحملوا هذا الضيم وهم أباته فى سبيل نشر الدعوة التى تفتحت لها قلوبهم فاعتنقوها وأخلصوا إليها. وما زالت المتاعب وضروب الإيذاء تغالب عزائمهم تبتغي وهنها والحد من نشاطها، حتى صرعتها هذه العزائم فى جلد وصبر واستهزاء، فإذا دين الله ينتشر عزيزاً فى بقاع المعمورة، وعلمه يرفرف على أمم وممالك لم تكن للعرب بها صلة قبل ذلك. ثم كانت تلك الفتوحات العظيمة أثراً من آثار رسوخ عقيـدة الأولين وإيمانهم بفكرتهم وتفانيهم فى الدفاع عنها والعمل على نفوذ سلطانها

إن الحوادث التاريخية منذ القديم إلى اليوم تدل دلالة واضحة أنه على قدر إيمان الدعاة والأتباع بفكرتهم ويقينهم بها يكون عملهم لرفعتها ونجاحهم فى نشرها وتحقيق سيادتها. كذلك نشاهد أن الأمم الحديثة التى تؤمن بفكرة اقتصادية واجتماعية وتعتقدها وتفنى فيها تحاول جاهدة بسطها على الناس بالدعاية والإقناع تارة، وبالسيف والنار أخرى. وما التطاحن الحـالى إلا مظهر من مظاهر ذلك

على هذا النحو كان المسلمون الأولون فى إيمانهم بفكرتهم وعملهم لها. وليس من شك أن للايمان بالفكرة والانسياب فى كل ما ينهض بها وجعلها الشغل الشاغل لصاحبها أثراً جليلاً فى قبول دعوتها وتوجه الناس إليها وتفكيرهم فى أمرها

إن الشعوب الأجنبية تنظر إلى الاسلام فى أشخاص أصحابه وأعمالهم وأوصافهم، وقديماً كانت الأفراد والشعوب تنظر إلى المبادئ والفكر فى تصرفات أصحابها وأحوالهم. ومازلنا نحن نحكم على الأحزاب والجماعات هذا الحكم؛ لأن ذلك أول مظهر يتجلى فيه الاخلاص للفكرة والاقتناع بها والإعلان عنها. ومن ثم كان من يحاول انتزاع صفات الاسلام والوقوف على مبادئه وغاياته من أعمال شيعته الأولين وتصرفات أحوالهم ومظاهر حياتهم يظفر بنتائج تصرفه إلى الاعتراف بصلاحه وتجعله دائم التفكير فى الركون إليه.

أما اليوم فمن يحاول انتزاع هذه الصفات والمبادئ من مظاهر أحوال معتنقيه فى كافة الشعوب التى تتغنى بأن دينها الاسلام، فإنه يظفر بما لا يجعله شديد الرغبة فى هذا الدين ولا كثير التفكير فيه؛ لأن مسلمى اليوم - لا فرق بين جمهورهم وسادتهم - فى ضعف واستكانة وذلة؛ وتحلل من جميع الصفات التى بها ساد السابقون وعليها ارتقت دولتهم وعظم سلطانهم.

وهذه المظاهر لا تدل على ضعف فى المبادئ ذاتها. لأن هذه المبادئ هى التى نهضت بالسابقين نهضة ما يزال التاريخ يزهى بها؛ وإنما تدل على ضعف فى إيمان أصحابها اليوم. ونقص فى إخلاصهم للفكرة وانصرافهم إليها. وإن تعجب فعجب أنهم ما يزالون يسمون أنفسهم مسلمين.

ليت شعرى متى كان الإسلام كلاماً ودعاوى، ومتى نهضت المبادئ مع تحلل أصحابها عنها وتركها وراءهم ظهريًا! إن الذى يتوهم أن المبادئ تعلو مع خذلان أصحابها لهـا، وتنتصر مع انصرافهم عنها، وتنهض وهم يعوقون حركتها؛ إن الذى يتوهم ذلك يجرى وراء شىء أبعد من الخيال. والرأى عندى لهذا أن الخلاف بين الكلاميين فى التفرقة بين الإيمان والإسلام يرجع إلى أمر جدلى أكثر مما يرجع إلى الحقيقة

* * *

هناك فرق بين الإيمان بالفكرة والتسليم بها. الإيمان بالفكرة يستلزم التفانى فى خدمتها والنهوض بها. ويتبعه جهاد عنيف شاق وعمل دائب متصل لأجل سيادتها وذيوعها وبسط سلطانها؛ ولأن هذه الرغبة تحدو المؤمن بفكرته يحاول جهده أن يقف عند

تعاليمها ويتأثر خطاها ويترسم حدودها ، ويبتعد عن كل مظهر يخالفها أو تلمح فيه مدافعتها . أما التسليم بالفكرة فيكتفي صاحبه باستحسانها وعدم معارضتها دون أن يتبع ذلك عملاً حاسماً في سبيل نصرتها ورفعة شأنها ؛ وسواء لديه بعد ذلك أنهضت الفكرة أم ماتت ؛ لأنه لم يؤمن بها ولم يخلص إليها ولم يأبه لرواجها

وإذا أردنا استخلاص شيء من ذلك خلص لنا أن المسلمين اليوم ضعاف الإيمان ؛ لأن مظاهر قوة الإيمان غير متحققة فيما بينهم ولا جلية في أعمالهم وأوصافهم ؛ وكل ما يبدو من تصرفاتهم عنوان هذا الضعف ودليله

لهذا كله نراهم محتاجين إلى قيادة وتوجيه حتى يتزايد عندهم الإيمان ويتولد الشعور بقوته وكماله فينصرفوا كما انصرف السابقون يثبتون دعائمه ويبسطون سلطانه

وموقف القيادة والتوجيه لذلك يتطلب من صاحبه أن يكون مثلاً أعلى فيما يدعو إليه ؛ مؤمناً بفكرته ، مخلصاً لها ، حريصاً على نجاحها ؛ لا يبدو عليه في قول ولا عمل ما يُشعر بعدوله عنها أو ضعف يقينه فيها . فاذا وجد ذلك القائد أقبل الناس عليه واستجابوا دعوته

***

إن مصر فيما يرى الناس زعيمة الشرق الإسلامي ، فمن حقها إذن أن تكون القائد الموجه له في ذلك . فهل تستطيع أن تعمل بحرارة وإخلاص لفكرة سيادة الإسلام وسيطرته ؟ وهل تستطيع النهوض بهذا العبء الشاق وتقوى على تكاليفه وتبعاته ؟

إنها لتستطيع ذلك وتقدر عليه عن طريق الأزهر ورجاله ، أزهر الشباب المملوء توثباً وأملاً وقوة ، « أزهر القرن الرابع عشر — كما يسميه الأستاذ الزيات — الذي يضع لثقافة الشعب أساساً من الدين ، ويقيم عليه من القواعد والنظم والأوضاع ما يقره العقل ويتقبله العصر وتقتضيه الحاجة » ؛ الأزهر الذي يتفانى في سبيل ذلك ويكافح وينافح ويلجئ بسلطانه الروحي رجال الحكم وذوي الرياسات على تنفيذ ما رسم والإيمان بما آمن ، لا يعرف من أجل هذه الغاية النبيلة هوادة ولا انتظاراً ولا مجاملة ؛ الأزهر المخلص الذي يراه الشعب كذلك فيكون حليفه وناصره ، ينقاد لأمره ويعمل برأيه ويسير بخطواته ؛ الأزهر الذي يقتفي

يحق أثر صاحب الهجرة ، فيؤمن إيمانه ، ويكافح كفاحه ، ويثق في الله ونصره وثوقه ، ويعتمد عليه اعتماده

يقول الأستاذ الأكبر : « كانت الهجرة حداً فاصلاً بين الذلة والعزة وبين الضعف والقوة » ؛ فهل يعيد التاريخ نفسه فتكون ذكرى الهجرة اليوم حداً فاصلاً بين ذلة الحاضر وعزة المستقبل ، وبين ضعف اليوم وقوة الغد ؟ وهل تكون رمزاً لانتصار حق الدين على باطل المدنية الكاذبة الخداعة ، فينخلع المسلمون عامة مما هم فيه من مجانبة لنظم الإسلام وتعاليمه وإرشاداته ، ويعودوا إلى الحنيفية البيضاء يترسمون خططها ويتبعون هداها وينزلون على أحكامها ؟

وهل يقف الأزهر من المسلمين اليوم موقف القائد الجريء الواثق من النصر ، المؤمن بمبدئه الراسخ العقيدة فيه ؟ وهل تتجه نظمه ودراساته إلى ما يخلق في نفوس أبنائه الإيمان بالفكرة والعمل على إنجاحها وسيادتها ؟ وهل يتفانى أهله في سبيل سيطرتها ونصرتها وتغلغلها في صدور الناس فلا يُرى من أحوالهم وتصرفاتهم إلا ما ينميها ويحسن الإعلان عنها ويفسح الطريق أمامها ؟

ذلك أمل عسى أن يتحقق قريباً

ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوي عزيز

عبد العزيز محمد عيسى
مدرس بمعهد القاهرة

كيف استفتى العـــلم في أول وحي إسلامي ؟

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

جاء الإسلام وقد آن للبشرية أن تدخل فى عصر يجمع بين الدين والعلم ، ليتضافرا على هناءتها ، ويكفلا لها السعادة فى دنياها وآخرتها . فكان لها من الإسلام الدين الذى يحقق لها هذا الغرض ، ويمد يده إلى العلم من أول يوم يولد فيه ، ليعلم الناس من أول الأمر أنه دين يؤاخى العلم ، ويقدر فضل رجاله ويرجع إليهم فيما يفيد الرجوع فيه ، ولا ينأى بجانبه عنهم كما نأت الأديان الأخرى ، فذمت الحكمة والحكماء ، وقالت فى بعض رسائلها المقدسة : الرب يعلم أفكار الحكماء أنها باطلة . كما قالت فى نص آخر : لأن حكمة هذا العالم هى جهالة عند الله

فلم يغض الإسلام من الحكمة كما غضت منها هذه الأديان ، بل مدحها فى إطراء ، ورفع من شأنها ، وعدها أكبر نعمة من الله على بنى الانسان : (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب)

وقد فتح الاسلام بذلك عصراً جديداً فى تاريخ الانسانية ، وانتقل بها من دور الطفولة الذى لم تكن تؤمن فيه بالعلم والنظر ، بل كانت تؤخذ إلى الايمان بوساطة المعجزات ، وخوارق العادات لقصور عقلها ، وعجزها عن فهم الايمان إلا بهذه الوسيلة التى تؤخذ فيها بالدهشة ، ولا تحتاج إلا إلى قليل من إعمال الفكر والنظر

فانتقل الاسلام من ذلك إلى معجزة تنظر إلى من قصد بها كانسان كامل ، له عقل يفكر به ، ويمكن أخذه بطريق النظر إلى الايمان ، ليؤمن عن عقل وتدبر ، ولا تنفرد بإيمانه المعجزة وحدها ، وليقوم إيمانه على أساس العقل ، ويتضافر فى تشييد بنائه الوحى والعلم

والآن فلنبين كيف استفتى العلم فى أول وحى إسلامى :

نشأ النبى صلى الله عليه وسلم بين قومه فى مكة ، فرعى الغنم صغيراً ، ثم اشتغل بالتجارة بعد رعى الغنم ، ثم تزوج خديجة رضى الله عنها ، ووجد من وقته فسحة بعد تزوجها ، فكان يقصد إلى غار حراء يتعبد فيه الفينة بعد الفينة ، فيقضى فيه الليالى ذات العدد ، ثم يعود إلى زوجه فيمكث معها أياماً ، إلى أن يقصد الغار مرة أخرى ؛ ولم يكن هو الذى يفعل ذلك وحده ، بل كان يشاركه فيه كثير من متنسكة قريش

وقضى فى ذلك أربعين عاماً لا يفكر فى غيره ، ولا تحدثه نفسه بما صار إليه حاله بعدها ، بل كان راضياً بحاله فيها كل الرضا ، إذ كان يجد من زوجه شريكة بارة صالحة ، ومن نفسه طهارة واستقامة وقناعة ، ومن قومه ثقة وتقديراً وإكباراً ، حتى كانوا يلقبونه الأمين تشريفاً له وتعظيما ، وليس بعد هذه الأمور من سعادة للنفس الراضية ، كنفس محمد صلى الله عليه وسلم فى ذلك العهد

فلما جاءه الوحى لأول مرة فى غار حراء صادف نفساً لم تكن تنتظره ، وكانت مفاجأة أثرت فيها أكبر تأثير ؛ فبينما هو قائم فى بعض الأيام على الجبل ، إذ ظهر له شخص غريب لم يشاهد مثله فى حياته ، فقال له : أبشر يا محمد ، أنا جبريل ، وأنت رسول الله إلى هذه الأمة . ثم قال له : اقرأ . فقال : ما أنا بقارئ ؟ لأنه كان أمياً لم يتعلم القراءة ؛ فأخذه جبريل فغطه بالنمط الذى كان ينام عليه ، حتى بلغ منه الجهد ، ثم أرسله فقال : اقرأ . فقال ما أنا بقارئ . فأخذه فغطه ثانية ثم قال : اقرأ . فقال : ما أنا بقارئ . فأخذه فغطه ثالثة ثم قال : اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم

ثم اختفى جبريل بعد هذا الوحى الأول ، ورجع محمد صلى الله عليه وسلم وقد بلغ ذلك من نفسه مبلغه ، لأنه فوجئ به مفاجأة ولم يكن يعرف من هو جبريل ، لأن ذلك لم يكن معروفاً بين قومه . وهو اسم غريب لا يمت إلى العربية بصلة ، فسار إلى خديجة يرجف فؤاده مما ألم به من الفزع ، فدخل عليها فقال : زملونى زملونى . فزملوه حتى زالت عنه هذه القشعريرة ، وذهب عنه الفزع ، ثم أخبر خديجة بأمره من أوله إلى آخره ، وخشى على نفسه أن يكون أصابها شىء ؛ وألا يكون هذا الشخص ملكاً من ملائكة الله تعالى . فطمأنته خديجة رضى الله عنها ،

وقالت له : كلا ، والله ما يخزيك الله أبداً ؛ إنك لتصلَ الرَّحم ، وتحمل الكَلَّ ، وتكسب المعدوم ، وتَقْرِى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ؛ فلا يسلط الله عليك الشياطين أو الأوهام ، ولا مِراء أن الله اختارك لهداية قومك

فاطمأن محمد بهذا الكلام الطيب من تلك الزوج البارة ؛ واطمأنت خديجة على زوجها بعد أن زال عنه ما ألمَّ به من الفزع ؛ ولكنهما أرادا أن يزيدا اطمئناناً بعلم العلماء من قومهما ، وأن يستفتيا منهم من له علم بحال الرسل ممن اطلعوا على كتب الأقدمين . وهنا يمد الإسلام يده إلى العلم من أول يوم يولد فيه ، وتظهر فضيلته فى مؤاخاة العلم والاعتراف بالحاجة إليه فى هذه الدنيا . فلا يكون هناك عداء بين العلم والدين . ولا يقف أحدهما حجر عثرة فى سبيل الآخر . وهذا هو الذى حصل فى تاريخ الإسلام إذ كان يُفهم فهماً صحيحاً ، ولا يتسلط فيه متنطعون يعادون العلم باسم الدين ، والدين براء مما يصنعون

وكان لخديجة ابن عم من علماء قريش يقال له ورقة بن نوفل ، وكان امرأً قد تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العِبْرانىَّ ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب . وكان شيخاً كبيراً قد عمى وانقطع للعلم ، وأخلص له نفسه فصفت به وطابت ، حتى أورثها تواضعاً وإذعاناً للحق ، وبعداً عن المراء والتمادى فى الباطل ، وكراهة للتعصب المقوت ، وبغضاً للجمود على القديم ، ومعاداة الإصلاح والمصلحين

فأخذت خديجة زوجها إليه ، وقالت له : يا ابن عمّ ، إسمع من ابن أخيك

فقال له ورقة : يا ابن أخى ، ماذا ترى ؟

فأخبره عليه السلام خبر ما رأى

فقال له ورقة : هذا الناموس الذى نزله الله على موسى ؛ لأنه يعرف أن رسول الله إلى أنبيائه هو جبريل

ثم قال : يا ليتنى فيها جَذَع ، إذ يخرجك قومك من بلادك التى نشأت بها ، لمعاداتهم إياك ، وكراهيتهم لك حينما تطالبهم بتغيير اعتقادات وجدوا عليها آباءهم

فاستغرب عليه السلام ما نسبه ورقة إلى قومه من معاداته ، مع ما يعلمه من حبهم له ، لاتصافه بمكارم الأخلاق وصدق القول حتى إنه لم يلق منهم أذى فى هذا العمر الطويل الذى قضاه معهم ، فقال لورقة : أوَمُخْرِجِىَّ هُمْ ؟

فقال له ورقة : لم يأت رجل قطُّ بمثل ما جئت إلا عُودِى ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزَّراً

وهكذا مدَّ العلم يده إلى الدين حين مدَّ الدين يده إلى العلم ، فآمن به حين مد يده إليه ، وزاد فى يقينه حين طلب منه أن يزيد فيه ، وبذل له المعونة التى يريدها ، وتطوع لنصره إذا صادف من أعدائه إنكاراً . وأثبت بذلك أن العلم الصحيح لا يعادى الدين ، كما أن الدين الصحيح لا يعادى العلم ، لأن الغاية منهما واحدة فى هذه الحياة ، وهى الوصول إلى هناءتها وسعادتها ، ولا يمكن أن يكون هناك عداء بين شيئين تتحد غايتهما ، ويرمى أحدهما إلى الغرض الذى يرمى إليه الآخر ، واختلاف الوسائل فى ذلك لا يؤثر شيئاً ، لأن اتحاد الغرض هو الذى يجمع بين الأشياء ، ولا تهم الوسيلة إليه بعد ذلك فى شىء

فإذا وجدنا أهل العلم يعادون الدين فى يوم من الأيام ، فإن هذا يكون ناشئاً عن جهلهم بالدين ؛ وإذا وجدنا أهل الدين يعادون العلم فى يوم من الأيام ، فإن هذا يكون ناشئاً عن جهلهم بالعلم ، ولهذا كان لزاماً على أهل العلم أن يُعْنَوْا بدرس الدين ، وكان لزاماً على أهل الدين أن يعنوا بدرس العلم ، لتهنأ الإنسانية بالوفاق بين الاثنين ، وتفوز منهما بسعادة الدارين

عبد المتعال الصعيدى

حكمت محكمة المنصورة العسكرية فى القضية رقم ٥٦٠ سنة ٩٤١ بحبس فاطمة رضوان الأشقر من كفر سرنجا شهراً بالشغل مع إيقاف التنفيذ لبيعها بسعر يزيد عن التسعيرة

حكم فى الجنحة المستأنفة رقم ١٦٠٩ سنة ٤٠ بجلسة ١٥ ديسمبر سنة ٩٤٠ ضد يوسف طه جمعة جزار ١٠٠ قرش والنشر لبيعه لحماً بسعر أزيد من التسعيرة

بهـــــرام جـــــور

فى التصوير الاسلامى

للدكتور محمـــد مصطفى

أمين مساعد دار الآثار العربية

هو بهرام الخامس بن يزدجرد السالم أحد ملوك الدولة الساسانية المعروف « بهرام جور » ، حكم إيران بين سنتى ٤٢٠ و ٤٣٨ ميلادية . وقد استطاع بعدله وسخائه وفروسيته وشجاعته أن يصير محبباً إلى رعيته بعد أن كرهوا أباه « يزدجرد » الذى اضطهد المجوس فى سبيل تمكين المسيحيين من العبادة جهاراً فى بلاده . وقد هاجمه خاقان التركستان الصينية بجيش قوامه ١٢٥،٠٠٠ رجل ، فاستطاع « بهرام جور » أن يصدّه بجيش من ١٠،٠٠٠ رجل من خيرة محاربيه وأن يقتله بيده . وكان « بهرام » موفقاً فى سياسته ، فقد صالح الروم على شروط عادلة بعد أن هزموا جيشه ، وحث الناس على الزراعة وأعانهم عليها ، وكان يشجع العلماء والأدباء والفنانين والموسيقيين ويدعوهم إلى بلاطه من البلاد الأخرى ، حتى أنه استحضر ذات مرة من الهند ألفى موسيقى من الذكور والأناث وفرّقهم فى بلاده ليطربوا فقراء المزارعين دون أجر ، فتوالدوا فيما بينهم وصار منهم القوم المعروفون « بالغجر[١] » وانتشروا من « إيران » إلى البلاد الأخرى . وقد كان « بهرام جور » فوق ذلك أديباً شاعراً ، تعلم الشعر فى صباه بين العرب فى الحيرة ، وقد بقيت هذه الذكرى فى الأدب الفارسى والعربى على السواء ، فالفرس يقولون إنه أول من قال الشعر وأنه أخذه عن العرب ، ويروون له أبياتاً فارسية ، والعرب يروون من شعره العربى والفارسى[٢]

وبقيت « لبهرام جور » ذكرى حسنة بين رعيته فاخترعوا له قصصاً تعبّر عن مكانته فى نفوسهم وتبيّن عن فروسيته وبطولته ومقدرته فى القنص والصيد . وصاروا يتناقلون هذه القصص جيلاً عن جيل حتى نظمها « الفردوسى » فى « الشاهنامه » حوالى سنة ٤٠٠ هجرية . ثم اتخذها الشاعر نظامي الكنجوى موضوعاً لإحدى منظوماته الخمس ، فنظمها مرة أخرى حوالى سنة ٥٩٦ هـ بعد أن ألبسها ثوباً جديداً من خياله وشاعريته

واستلهم الفنانون وقائع « بهرام جور » فى الصيد ومهارته فى الرمى بالنشاب فى رسم صورهم التفسيرية فى مخطوطات كتابى : « الشاهنامه » و « خمسه نظامى » ؛ كما صوروها على الخزف والقاشانى وحفروها على الأوانى المعدنية ونسجوها فى الأقمشة ، وصارت هذه الوقائع موضوعات محببة إلى الفنانين فى جميع فروع الفن ، متنقلين بها من الفن الساسانى إلى الفن الإسلامى ، حتى وصلوا بها إلى العصر التركى



(شكل ١)

ونرى[١] فى شكل (١) صينية من الفضة المذهبة عليها صورة « بهرام جور » يشج بسيفه رأس أسد ويمسك بيده اليسرى شبلاً صغيراً ، بينما هجمت عليه لبؤة تريد تمزيق رأس جواده . وهذه الصينية محفوظة فى متحف الأرميتاج بالروسيا ، وهى من القرن ٥ — ٧ الميلادى ، مما يدل على قدم هذا الموضوع الزخرفى فى « إيران » قبل انتقاله إلى الفن الإسلامى[٢]

يقول الشاعر نظامي الكنجوى[٣] فى منظومته « هَفْتْ

---

(١) وهم مشهورون باجادتهم للموسيقى فى أوربا ، وخاصة فى بلاد المجر ، ويسمون بالانكليزية Gipsy وبالألمانية Zigeuner . أنظر أيضاً الشاهنامه للفردوسى ، طبعة الدكتور عبد الوهاب عزام ج ٢ ص ١٠٥

(٢) أنظر حاشية الدكتور عبد الوهاب عزام فى الشاهنامة ج ٢ ص ٨٠ — ٨١ . وأيضاً ما كتبه الدكتور عزام فى نواح مجيدة من الثقافة الاسلامية ص ١٠٦ . وراجع Franz von Erdmann, Die Schöne vom Schlosse, Kasan 1832. S. 5 —7

(١) الصور المعروضة هنا من تصوير الأستاذ محمد محمود سيد أحمد شلبي مصور دار الآثار العربية

(٢) هذه الصورة منقولة من كتاب Orbeli et Trever; Orfèvriere Sasanide, Moscou, 1935. pl. 10 أنظر أيضاً A Survey of Persian Art IV, Pl. 231 و Sarre, Die Kunst des alten Persien, Pl. 104

(٣) أنظر خمسه نظامى ، طبعة طهران سنة ١٣٠٠ هجرية ص ٢٩٣ وما بعدها ، والترجمة الانكليزية لمنظومة « هفت بيكر » C. E. Wilson, The Haft Paikar, London 1924, I, 37 f.

يَشْكَرْ » . أي الصور السبع : إن الملك الساساني يزدجرد الأول ، عند ولادة ابنه بهرام ، عهد به إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة ليقوم على تربيته . وذلك عملاً بمشورة مستشاريه من المجوس ، رغبة منهم في إبعاده عنه ، كي لا يتخلق الصبي بأخلاق أبيه البغيض لهم . فسلمه النعمان إلى أربع نسوة اختارهن له فأرضعنه ولم يفطمنه حتى بلغ الرابعة من عمره . وبنى النعمان قصر « الخورنق » لسكنى بهرام . بناه له معمار من بلاد الروم اسمه « سِنِمَّار » استدعاه إليه لشهرته في بناء القصور . فجاء قصراً منيفاً من أجمل الأبنية . فأهلك النعمانُ سنمارَ كي لا يعود لبناء مثله ويبقى القصر فريداً — وضرب العرب المثل بجزاء « سنمّار » .

وتعلم بهرام الكتابة والقراءة . والتاريخ والعلوم . والرماية والصول والجول ، والصيد والطرد ، فأتقنها جميعاً . واشتهر ببراعته في صيد نوع من الغزلان كبير الحجم ، يعيش في تلك الجهات . ويسمى بالفارسية « گور » فعرف ببهرام گور ، وعربته العرب فقالوا بهرام جور [١] .

وذات يوم بعد ما بلغ بهرام جور أشده وصار قوياً وشاباً فتياً ، ركب وخرج للصيد ، وكان في معيته النعمان وابنه المنذر ، وإذا به يرى فجأة سحابة من التراب ترتفع من الأرض ، فاقترب منها ، ولما تبينها رأى في وسطها أسداً قد هجم على غزال . وامتطاه وراح يعمل نابه في عنقه ليفترسه . فأخرج بهرام جور من جعبته سهماً مدبباً ، وضعه في وتر قوسه ، وجذبه بشدة ، ثم أطلقه ، فانطلق السهم في عنف وقوة وأصاب كلا الحيوانين تحت الكتف الأيسر ، واخترق قلبيهما وجسديهما ، ثم غار في الأرض من تحتهما وإلى جانبه سقط الحيوانان كل منهما جثة هامدة . فلما رأى العرب ذلك أعجبوا ببهرام جور أيما إعجاب ، وأمر النعمان المصورين أن يصوروا هذه الواقعة على حائط إحدى قاعات قصر الخورنق [٢] .

وفي شكل (٢) نرى بهرام جور في وسط الصورة على جواد وأمامه الأسد والغزال وقد أصابهما بسهم واحد [٣] ، ويلاحظ ما أسبغه الفنان على هذه الصورة من جمال الحركة وروح الحياة ، وهي من تصوير الفنان الإيراني سلطان محمد ، من مخطوط لمنظومات الخمس للشاعر نظامي محفوظ في المتحف البريطاني ، كتب للشاه طهماسب بين سنتي ٩٤٦ و ٩٥٠ هجرية في تبريز ، واشترك في تصوير الصور التفسيرية التي به خمسة من كبار مصوري ذلك العصر هم : سلطان محمد ، ومظفر علي ، واقا ميرك ، وميرزا علي ، ومير سيد علي . وقد كان سلطان محمد من أساتذة الشاه طهماسب في التصوير ، ويقال إنه خلف المصور بهزاد ، عميد فناني إيران ، في إدارة « الورشة » الملكية لفنون الكتاب .



(شكل ٢)

أتقن بهرام جور الصيد والطرد ، واعتاد أن يخرج إلى الأحراج المجاورة لصيد الوحوش والغزلان ، وكان أن شرب يوماً مقداراً من الشراب ، وخرج للصيد فقابل قطيعاً كبيراً من الغزلان ، وأصاب منها الكثير . إلى أن رأى ظبياً جميلاً ، رشيق الحركات أراد أن يقتنصه . فأطلق الظبي ساقيه الرشيقتين الطويلتين للريح يسابقها ، وأعمل بهرام جور مهمازيه في جانبي الجواد فانطلق يجري ، يطلب الظبي ، واستمر على ذلك مسافة طويلة إلى أن وصل الظبي إلى فوهة كهف ربض أمامها تنين هائل ، بشع الخلقة ذو رأسين عظيمين مد أحدهما إلى الظبي فابتلعه ، وكان التنين جائعاً وما كان الظبي إلا ليثير شهيته لافتراس الفارس القادم عليه بجواده ، فأخذ بهرام جور سهماً عريضاً من جعبته ، وأطلقه على التنين

(١) أنظر أيضاً الشاهنامة جـ ٢ ص ٩١

(٢) خمسة نظامي ص ٢٩٥ . ويلسون جـ ١ ص ٥٠ — ٥١

(٣) منقولة عن كتاب L. Binyon, The Pœms of Nizâmi, Pl. XV أنظر أيضاً A Survey of Persian Art, III, P. 1875 f; Martin, The Miniature Painting, I, 117; II, Pl. 138. Blochet, Musulman Painting, Pl. CXXII. Binyon, Wilkonson, Gray Persian Miniature Painting, P. 115

فأعماه ، ثم استل سيفه الكبير وضرب به التنين بين رأسيه فشطره إلى بطنه ، حيث وجد الظبي قابعاً ، وما كاد هـذا يرى الحرية أمامه حتى قفز من بطن التنين وجرى إلى أن دخل الكهف ، وتبعه بهرام جور فوجد فى الكهف كنزاً عظيما من قدور ملأى بالذهب والأحجار الكريمة ، مما استدعى نقله إلى قصر الخورنق مائة جمل ، أرسل عشرة منها إلى أبيه يزدجرد ، ووهب النعمان عشرة أخرى ، واستمتع هو بالباقى على أن ينفق منها بغير رقيب[1]



(شكل ٣)

وفى شكل (٣) نرى بهرام جور على جواد فى وسط الصورة يرمى التنين بالنشاب ، وهذه الصورة[2] من مخطوط لنظامى محفوظ فى المتحف البريطانى ومؤرخ سنة ٩٠٠ هجرية ، وهى من تصوير الفنان الإيرانى قاسم على ، أحد تلاميذ بهزاد فى هرات ، وكان قاسم على ينقل فى صوره الكثير من موضوعات أستاذه ، فمثلاً هذه الصورة منقولة عن صورة مماثلة لها صورها بهزاد فى مخطوط آخر لنظامى محفوظ بالمتحف البريطانى[3]

وبقى بهرام جور فى الحيرة إلى أن مات يزدجرد ، وأزمع أعيان الفرس ألا يولوا من أولاده أحداً لما نالهم من ظلمه وجوره ، وأجلسوا على العرش رجلاً من بينهم يدعى خسرو ؛ فأيد النعمان

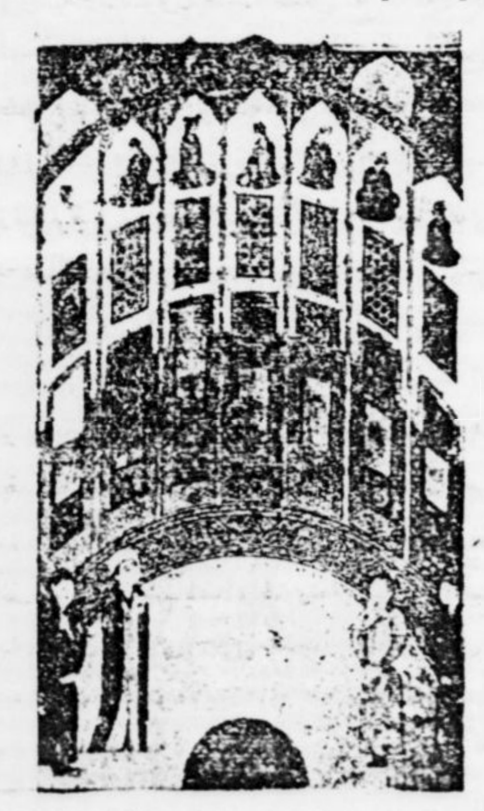
(١) خمسه نظامى ص ٢٩٦ . ويلسون ج ١ ص ٥١ — ٥٥

(٢) منقـولة عن Sakisian, La miniature persane, Pl. LIII, Fig. 93.

(٣) أنظر A Survey of Persian Art, V, Pl. 885 B

وابنه المنذر بهرام جور وأمداه بالجند ، حتى أرغم الكارهين على تمليكه . واتفق معهم على أن يضعوا التاج بين أسدين جائعين ؛ فإذا انتشله من بينهما كان له ملك إيران ، وقد كان ذلك وقتل بهرام جور الأسدين ولبس التاج ؛ فكان خسرو أول من هنأه بالعرش[1]

ولما كان بهرام جور فى الحيرة تجول ذات مرة فى أنحاء قصر الخورنق ، ووجد قاعة مغلقة لم يدخلها من قبل ، فطلب مفتاح بابها ودخلها فإذا به يرى سبع صور ، لسبع أميرات ، من بنات ملوك الأقاليم السبعة ، وكن آيات من آيات الجمال ، فسار يلتفت للواحدة بعد الأخرى ويبتسم لها ، وفى غرور الرجل القوى المعتد بنفسه ، يظن أن ابتسامته حازت قبولاً لديها ، وأنها تومئ إليه إشارة إلى ذلك ، وما جاء إلى الأخيرة حتى افتتن بهن جميعاً وتملك قلبه حبهن : فأغلق الباب وأخذ المفتاح معه ، وصار يخرج للصيد ثم يعود فيدخل هـذه القاعة ليناجى حبيباته السبع ، وقد هام بهن هياماً شديداً



(شكل ٤)

وفى (شكل ٤) نرى بهرام جور فى الركن الأيسر إلى الأمام ينظر إلى الصور السبع فى قاعة بقصر الخورنق . وهذه الصورة[2]

(١) أنظر أيضاً الشاهنامة ج ٢ ص ٧٨ — ٧٩

(٢) منقولة عن A Survey of Persian art, III 1875; V, Pl. 860

أنظر الدكتور زكى محمد حسن ، الفنون الإيرانية ، اللوحة ٣٩

فى مخطوط لنظامى كتب فى شيراز ومؤرخ سنة ٨١٣ هجرية ومحفوظ فى مجموعة جلبنكيان

ولما تولى ملك إيران، واستتبت له الحال، أرسل الرسل إلى الملوك السبعة يطلب من كل منهم يد ابنته، وكان أن تم له ذلك فجئن إليه مع الكثير من الهدايا والتحف وتزوجهن جميعاً، فأتاه معمار يسمى « شِيدا » وعرض عليه أن يبنى له قصراً ذا سبع قباب، ويفرش كل قبة بلون خاص بها، ويرصعها بأحجار كريمة من لونها، فقبل ذلك وبنى شيدا القصر، وصار بهرام جور يقضى كل يوم من أيام الأسبوع فى قبة مع إحدى الأميرات؛ فيوم السبت فى القبة السوداء مع الأميرة الهندية، ويوم الأحد فى القبة الصفراء مع الأميرة المغربية، ويوم الإثنين فى القبة الفضية مع الأميرة التترية، ويوم الثلاثاء فى القبة الحمراء مع الأميرة الصقلبية، ويوم الأربعاء فى القبة الزرقاء مع الأميرة الخوارزمية، ويوم الخميس فى القبة ذات لون خشب الصندل مع الأميرة الصينية، ويوم الجمعة فى القبة البيضاء مع الأميرة الرومية. وكان إذا ذهب إلى إحداهن لبس ثوباً من لون القبة إكراماً لها[1]

وفى (شكل ٥) يجلس بهرام جور فى القبة الصفراء مع الأميرة المغربية. وهذه الصورة[2] فى مخطوط لنظامى محفوظ فى متحف المتروبوليتان بنيويورك، كتب فى هرات ومؤرخ سنة ٩٣١ هجرية، وهى من تصوير محمود مذهب أحد الفنانين الذين انتقلوا من هرات بعد أن هاجمها الأتابك فى سنة ٩٤٢ هجرية وهاجر إلى بخارى عاصمة الأسرة الشيبانية فى ذلك الوقت

يقول الشاعر نظامى الكنجوى[3] إنه كان لبهرام جور جارية من التركستان الصينية، جميلة كالبدر، اسمها « فِتْنَة »، بها ألف نوع من المغريات، لها وجه صبوح كالربيع المبكر فى جنات عدن. أو هى – على حد قول الشاعر نظامى – قطعة من حلوى العسل مدهونة بالزيت، أو صحن من الفالوذج، أو كليهما معاً، فهى سمينة وحلوة. ولم تكن جميلة فقط، بل كانت تجيد الغناء والعزف على الجنك[1] والرقص. وقد اعتاد بهرام جور أن يصطحب جاريته فتنة كلما خرج للصيد. وفى ذات يوم خرجا معاً فقابلا قطيعاً من الغزلان، فأصاب منها عدداً كبيراً. كل ذلك والجارية تختال بكل ما أوتيت من أنواع الإغراء والدلال أن تكبح نفسها من أن تعطيه ما يستحق من الإطراء والمدح. صبر الملك برهة إلى أن مرّ غزال عن بعد، فالتفت إليها وقال لها ألا أيتها التترية ذات العينين الضيقتين، لم لا تفتحين عينيك لترى ما أصيد؛ ها هو ذا غزال آت فأخبرينى أى جزء من جسمه أصيب؟ فالتفتت إليه الجارية بشفتيها الجميلتين فى حركة طبيعية – وقد كانت امرأة بكل معانى الكلمة – وقالت: إعمل عملاً يشرفك: سمّر حافر هذا الغزال فى أذنه بسهم واحد



(شكل ٥)

وقد فعل بهرام جور ذلك، فأخذ حصاة وأطلقها على أذن الغزال فرفع المسكين حافره ليحك أذنه، وفى ذات اللحظة أطلق الملك سهماً سمّر به الحافر والأذن إلى رأس الغزال، فسقط هذا على الأرض. والتفت الملك إلى الفتاة التترية وقال: لقد نجحت فماذا ترين فى ذلك؟ فقالت: لقد اعتاد الملك عمل ذلك فأجاده، وأصبح عمله لا يتطلب منه أية قوة خارقة. فاغتاظ الملك لهذه الإجابة، وأمر ضابطاً أن يقتل الفتاة، فأخذها الضابط إلى منزله لينفذ فيها أمره. ولكن الفتاة نظرت إليه بعينين دامعتين متوسلة وأفلحت فى أن تقنعه بأن يبقى على حياتها، واتفقا على أن تعمل

---

(١) خمسه' نظامى ص ٢٩٧ وما بعدها. ويلسون ج ١ ص ١٠٦ وما بعدها. وانظر أيضاً Franrz von Erdmann, S. 12 — 16. و L. Binyon, P. 27 — 29

(٢) منقولة عن Sakisian, Pl. LXXIII Fig. 127. وانظر A Survey of Persian Art III 1869. والدكتور زكى محمد حسن: التصوير فى الاسلام، اللوحة ٤١

(٣) خمسه' نظامى ص ٣٠٤ وما بعدها. ويلسون ج ١ ص ٨٢ وما بعدها

(١) الجنك Harpe، وهو آلة موسيقية كبيرة ذات أوتار

فى منزله لخادمة حتى لا تثير الشبهات . وكان فى أعلى المنزل منظرة عالية تصعد إليها ستون درجة ، وقد اعتادت الفتاة كل يوم أن تحمل عجلة صغيرة وُلدت حديثاً وتصعد بها الستين درجة إلى المنظرة، فكانت قوتها تنمو تدريجياً بما يتناسب مع نمو العجل، إلى أن صارت بعد ست سنوات بقرة كاملة النمو دون أن تجد مشقة فى حملها . وذات مساء أعطت الفتاة الضابط بعض لآلئها ، وطلبت منه أن يهيئ بثمنها مأدبة فاخرة ينتهز فرصة مرور الملك للصيد ويدعوه إليها . فعمل الضابط ذلك ، وجاء الملك إلى المأدبة وجلس فى المنظرة ، فصعدت الفتاة تحمل البقرة على كتفيها لتحلب لهم من لبنها أثناء الطعام ، فنظر إليها الملك وقال : لقد تعودتِ حملها ، فأنت الآن لا تحتاجين إلى قوة خارقة لعمل ذلك . فقالت له الفتاة : وهل كان الغزال يحتاج إلى قوة خارقة ؟ فعرفها الملك وقام إليها فرفع نقابها واحتضنها ، ولم يفصلهما بعد ذلك سوى الموت



(شكل ٦)

وفى شكل (٦) بهرام جور على جواد فى الوسط وقد أطلق سهماً أصاب غزالاً أمامه فسمر حافره بأذنه . وإلى يسار بهرام جور نرى « فتنة » على جواد وفى يدها الجنك . وهذه الصورة[1] من مخطوط نظامى للشاه طهماسب السالف الذكر ، صورها مظفر على أحد تلاميذ بهزاد

(١) منقولة عن L. Binyon, Pl. XVI وانظر Arnold, Painting in Islam, p. 141 و Binyon-Wilkonson-Gray, p 115 و A Survey of Persian Art, III, 1878 f.

وفى شكل (٧) صينية من الفضة المذهبة عليها رسم بهرام جور يصطاد الغزال وهو جالس على هجين يردف جاريته المغنية وهذه الصينية[1] من عصر الإنتقال من الفن الساسانى إلى الإسلامى . وهى محفوظة فى متحف الإرميتاج بالروسيا .



(شكل ٧)

وفى شكل (٨) صحن من الخزف[2] من صناعة قاشان فى القرن السادس الهجري (١٢ الميلادى) مرسوم بالألوان فوق الدهان ، به صورة بهرام جور وقد أصاب الغزال فسمر حافره بأذنه بسهم واحد ، وهو راكب على هجين ويردف جاريته المغنية ممسكة بالجنك ، وقد تتبع الفنان فى رسمه قصة بهرام جور والجارية كما نظمها الفردوسى فى الشاهنامة[3] وهى تنتهى بأن يغتاظ بهرام جور من إجابتها فيلقيها على الأرض ويطأها بالهجين إلى أن تموت ونرى فى هذه الصورة أن الفنان لم ينس تصوير الجارية وهى على الأرض والهجين يطأ صدرها ، وقد كان لبهرام جور — كما وصفه الفردوسى — « هجين مسرج بسرج مغطى بالديباج له أربعة رُكب : ركابان من الذهب وركابان من الفضة ، فيركبه ويردف الجارية وفى حجرها الجنك » . أما فى قصة الشاعر نظامى فيركب كل منهما جواداً كما رأينا ذلك فى الصور السابقة



(شكل ٨)

(١) منقولة عن Orbeli et Trever, Pl. 11 وانظر A Survey of Persian Art IV Pl. 229. A و Sarre, p. 69; Pl. 106

(٢) منقولة عن A Survey of Persian Art, II, 1602, V, Pl. 672

(٣) الشاهنامه ج ٢ ص ٧٦

سيدى رسول الله

للأستاذ شكرى فيصل

يا سيدى الرسول :

أتراني أملك منك النجوى ، وأستطيع إليك البث ، وأبلغ من ذلك السبيل ، وأنا غائب فى فيض من روعتك ، ذاهل فى فضاء من جلالك ، فإن فىّ دنيا من قدسيتك . . . أذكر دعوتك الكريمة . . . فأنساق فى جمالها المشرق . . . منذ بدأتها فتى تأنف نفسه الجهل ، وتعاف بصيرته التقليد ، ويحس فى قراءته همسات من النور ، وقبسات من الحق . . . حتى اختارك الله داعياً لا يهاب ، ورسولاً لا يجبن ، وقائداً لا يضعف . . . واتسق فى ذلك التاريخ . . . يغمرنى ألقه الندىّ ، وتتولانى بهجته الطروب ؛ وتطالعني فيه العزمات التى لم يفل منها عدد ، ولم تقو عليها عدد ، ولم يبلغ إليها هدوء أو خور . . .

إن المشاعر لتختلط علىّ . . . وإنّ الروعة لتملأ منى كل ثنايا النفس . . . وإنى لأحس الرعدة التى تكاد تصرفنى عن الحديث ، وتقعد بي عنه ، وتغمرنى بالنشوة الحالمة ، فأصفو معها وأرق . . . وأخف معها وأدق . . . وأمتزج بها امتزاج الفناء . . . حتى لا أعى مكانى من الدنيا ، ولا موضعي من الغرفة ، ولا جواري من الناس .

* * *

يا لجلال دعوتك ، ياسيدى الرسول . . . إنى لأحاول أن أحدق فى مشاهدها ، وأجول فى ثناياها ، وأقف عند تفاصيلها ، فإذا هذا الجلال المهيب يحول بيني وبين أن أكون من هذه المعجزة القدسية ، كما نكون من أحداث التاريخ ، ووقائع الأيام ، نقبل عليها بالدرس ، ونمضى بها فى التحليل ، ونفصل منها الأجزاء ، ونركب عليها النتائج ، ونخرج بعد وقد أدركنا منها كل ما خالطها من مؤثرات : ومازجها من عوامل ، وما انكشفت عنه من أثر . . . وإذا هذا الكمال الرهيب يطغى على كيانى كله ، ليسكب عليه ألواناً من الروعة : أخاذة ساحرة . . . تهتز معها المشاعر اهتزازة الانفعال اللذيذ العميق . . .

ها هنا فى دعوتك . . . يا سيدى الرسول . . . عالم متسق من الحق البين ، والهدى الواضح ، ومن السنن القويم والخلق الكريم ، ومن العزمات الأبية والرجولة القوية ، ومن الخير المتدفق والفضل العميم . . . ومن الجمال الذى ينساب فى ذلك كله ، فيفيض عليه الرداء ، ويشيع فيه البهاء ، ويجعل منه الحادث الفذ .

* * *

أين تقف عيناى من دعوتك الكريمة يا سيدى رسول الله . . . إنهما لتتقلبان فى مدى واسع الفضاء ، فسيح الأرجاء ، بعيد الأطراف . . . وإنهما لتزوغان وتضلان . . . وإن إحداهما لتظلم الأخرى حين تحاول أن تقف بها عند حادث من الحادثات التى يملؤها ذكرك الرطب ، أو فى مرحلة من المراحل التي يغشاها خيالك الندىّ . . . وإنى لأحاول أن أستقر فى هذه المشاهد التى تتنازعنى . . . فما أسرع ما تتناهبنى السنون . . . وتنثال من أمامى

وفى شكل (٩) تربيعة من القاشانى [1] عليها رسم بهرام جور على الهجين يردف فتاته المغنية وهى من القرن السابع الهجرى (١٣ الميلادى) ومحفوظة بدار الآثار العربية برقم ١١٥٩٠

(شكل ٩)

قال الشاعر نظامى الكنجوى إن الملك بهرام جور خرج ذات يوم للصيد ، فشاء حظه العاثر — وهو ذلك الفارس البارع والصياد الماهر — أن يسقط فى بئر صادفته فى طريقه فيغرق فيها [2] ، ولم يعد إلى حبيبته فتنة ، لا ولا إلى زوجاته السبع ، فى القصر ذى السبع قباب . « وكذا كانت الأيام وكذا تكون ، فلا يكن منك إليها سكون ولا ركون »

(حلوان) محمد مصطفى

---

(١) أنظر ج . فييت : دليل موجز لمعروضات دار الآثار العربية ، ص ١٠٨ — ١٠٩ واللوحة ٢٢ و G. Wiet, L'exposition persane de 1931, p. 65 — 68, Pl. XXIII

(٢) قارن هذا بما جاء فى الشاهنامه جـ ٢ ص ١٠٥ ، حيث يقول الفردوسى أن بهرام جور قضى نحبه فى فراشه

صور كلها كريم ... عزيز ... نادر ... وتنبعث فى ذهنى لوحات كلها قوى ... أبى ... جرىء ... فأحار أين أبدؤ منها، وأين أنتهى فيها، وكيف أستقر عندواحد منها ... وأتيه بينها ... كما يتيه الإنسان فى النغم الخالد : لا يستطيع أن يفصّل أجزاءه، أو يمايز بين مقاطعه، أو يدرى سرّ الخلود فيه ... لأن الخلود قائم فى كل نغماته، منساب فى كل ضرباته ...

* * *

فاغفرلى يا سيدى رسول الله ... هذه الجرأة : أن أرتفع ببصرى الكليل لأدرك البصيرة المتقدة ... أن أفتح عينيّ الضعيفتين لأصوّبهما إلى الشمس ... فلن أملك بعد إلا أن أغمضهما على الإكبار الذى يخالط الشغاف، والإجلال الذى يستقر فى الحنايا ... والحب الذى يطأطئ منى ما لم يطأطأ لإنسان ...

وسأظل أسير فى ركابك يا سيدى الرسول ... خافض الرأس ... لأن مهابتك أجل من أن تمتد إليها عيون أو ترتفع إليها نواظر ... وسأعيش فى ظلالك الرحيبة تملؤنى فكرتك، وتبهرنى دعوتك، ويمضى بى هديك ... وسأهيم فى هذا الهدى، وسأنطلق فى أرجاء هذه الدعوة ... نفساً سمت كل مايحيط بها من عوائق، وما يحدها من علائق، وما يربطها من قيود ... وروحاً مستهــا أنوارك الزهر فألهبتها، وصهرتها، ونقت جوهرها ... فعاشت بعد أملاً واسعاً، ورجاء عريضاً، وشوقاً محرقاً ...

وستستغفر يا سيدى الرسول ... لى ... ولهؤلاء الذين ضلوا من قبل، وسيضلون من بعد ... هؤلاء الذين فتنتهم المادة، واستهواهم العقل، وزاغت بهم المناهج فى بيداء قاحلة مجدبة ... فعرضوا الذهب على النار كما يعرضون عليها الحديد والتراب ... فاستبان لهم الهدى، وانكشف لهم الحق، وظهرت لهم السبيل النيّرة فدخلوا جنتك المرعة ...

... إنها يا سيدى رسول الله إغفاءة الروح التى استيقظت معها المــادة، وصدأ النفس الذى فاقت عليه الغريزة، وخبو الإشراق الذى سبى فى ظلمته العقل، وكبر الحدس الذى نشط فى خموده الذهن ... وضــلال الأهواء العاتية الذى فترت معه الأحاسيس ... فإذا رؤى الجمال، ومعانى الحق، ومثل الخير لا تنبجس فى النفوس إشراقاً، ولا تنبعث فى العقول إلهاباً، ولا تلقى فى الروع إلقاء ... وإنمــا هى فى حاجة إلى المقدمات والحجج، وفى ضرورة إلى البيان والشرح !!

لشد ما أبغض أن ألقى جمال الزهرة فى تشريح أجزائها ومعرفة أعضائها وتمزيق أوراقها وبتر سوقها، والهبوط بها من عرشها الزاهى ... ! إنى لأفضل أن أترك هذا الأسلوب لطائفة غيرى من الناس وأسأل لهم منه العافية ... فما يجب لنا أن ننشد جمال الزهرة فى غير عرشها الزاهى، وتوردها الملهم، وساقها القائمة، وانحناءتها الحييَّة، وتفتحها بيد الله ... لا بيد الإنسان !

* * *

فلتعش سيرتك يا سيدى يا رسول الله ... انفعالاً حلواً، وعاطفة لذيذة ... وهيجاناً يذكر بآيات الله، ويقرب إليه، ويدنى منه ... ولتبق هــذه السيرة الكريمة فكرة ومثلاً ... فكرة سامية نبيلة، ومثلاً عالياً كريماً ... ولتخفق نفوسنا من حول هذه الفكرة، ولتحوم فى ثنايا هذا المثل كما يحوّم الحجيج حول البيت المقدس ... فى خشوع الإيمــان القوى، وروعة الجلال المهيب، وإطراقة المستغرق الذاهل ... ولتنطلق ... وقد انعتقنا من هذه القيود، وبرئنا من هذه الأغلال، وتجردنا عن أوضار المادة وآثام العقل ... نغتسل فى أضوائك الطهور ونتمسح بهديك الرشيد، ونستقى أمواهك الألِقة ... ونلعب فى دنياك البريئة عبر الفضاء البعيد البعيد ... أرواحاً صافية صفاء النسيم، نقية نقاء السماء، خالصة خلوص الشعاع ... لنلتقى فى ظلال الروح الأعلى ...

* * *

سأعب من كوثرك الخالد — يا سيدى يا رسول الله — فأنا ظمآن حرّان ... وسأقطف من جنانك الترعة، فأنا نهم شره، ولقد طال بى الظمأ، واشتد علىَّ الجوع، وضلّ بى الركب فى قافلة تظن الهداية وهى حيرى، وتدعى الهناءة وهى شقية، وتحسب الراحة وهى فى عذاب غليظ، وتمضى على الشوك وينفر من جراحها الدم، فلا تدرك لذع الشوك وألم الدم ... لأنها فقدت فى الحياة النفسية أحفل عناصرها بالاحساس وأشدها أثراً فى التفكير وأقربها خطىً من الخير... ولا تزال تزعم أنها فى سند

من جفاف العقل ، وفى كفالة من صلابة المادة !

فاستغفر لى يا سيدى الرسول ، إنى إنسان لا يرى بعينيه ولكنه يحس ببصيرته ... ولا ينطوى فى عقله ، ولكنه ينطوى معه فى حدسه ، ولا يتحجر مع المادة ولكنه يبلها بعصارة من قلبه : يبعث فيها جانب الحياة ، ويثير منها معنى الوجود ، كما يبل الطبيب وجه المريض يدفع عنه غفلته ، ويصرف عنه إغماءته ...

ادع لى ... واستغفر لى ... فما أحوجنى يا سيدى يا رسول الله إلى الدعاء والاستغفار ... !

(القاهرة) **شكرى فيصل**

صورة من عنت الجاهلية

فرعـــــون قريش

للأستاذ كامل محمود حنيب

« أرأيت الذى ينهى عبداً إذا صلى ، أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ، أرأيت إن كذب وتولى ، ألم يعلم بأن الله يرى ، كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية ، ناصية كاذبة خاطئة ، فليدع ناديه ، سندع الزبانية ، كلا لا تطعه واسجد واقترب » (قرآن كريم)

يا عجباً ! إن الإنسان ليخلو إلى نفسه أحياناً — فينتفى ما يرائى به الناس ، ويبدو عارياً عن كل شىء إلا ما اقترف من إثم أو ما اكتسب من خطيئة ؛ فيحاسبها وتعاتبه ، ويلومها وتؤنبه ، ثم يخرج من هذا العراك النفسانى وقد فاء وأناب . . .
أما الفاجر الفظ فلا يرتدع ولا يتصوّن ، لأن الشر يتدفق فى عروقه فيسيطر عليه فيسوّل له أشياء ليست هى من الإنسانية ولا من الضمير ولا من العقل ، ولأن الشيطان اتخذه ولياً فأضله عن سواء السبيل

***

الليل ساج ساكن والقمر يخفق فى السماء يشع نوراً جميلاً يجذب القلب ، والقوم مُنبثون فى أرجاء المكان بالعدوة القصوى ليلة سبع عشرة من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة ؛ وهم فى حركة صامتة يتهيأون لأمر ذى بال قد شغلهم عن كل ما حولهم ، لا تسمع إلا صليل الحديد وحنين الإبل ، وإلا صهيل الخيل ونباح الكلاب ، وإلا همسات فئة يتشاورون فى أمر قد أهمهم ... هـذا وفرعون قريش أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة جالس وحده فى ناحية وبين يديه درع له قد نثلها من جرابها فهو يَهْنَئها . وعملت فى نفسه الخلوة حين أخذ الناس يتسللون إلى مضاجعهم ، فراحت خواطره تسبح بين ثنايا عمره الغابر . وأطرق فرعون قريش طويلاً فإذا آثامه وأوزاره منشورة أمام عينيه تسخر منه وتهزأ به ، وإذا غده الأسود يرنو إليه عابساً مكفهراً وهو لا يدرى ما وراء . إنه سيغدو على حرب حطبها رجال من قومه وعشيرته ، هم أترابه ورفقاء صباه ، وهم علية قومه وساداتهم . وتمثلت له أفكاره أشباحاً تضطرب فى الفضاء اللانهائى تحجب عنه نور القمر البهيج ؛ فانطوى يحدث نفسه حديث فلسفته الجديدة ، فلسفة الشك والحيرة ، قال :

« رُب يوم قضيت فى أمن ودعة ، ناعم البال مطمئن الخاطر ؛ فما لهذا القمر يبدو كاسفاً حزيناً ، وما لهذه الجبال تتراءى معفرة غبراء ، ومالى أحس كأن أنفاس الليل الهادئة تهب قاسية لتصدع صدرى فى غير رحمة ولا شفقة ! إن قلبى تنهده الوحشة وأنا بين أهلى . أفيكون هذا لأننى سأغدو على حرب قوم هم منى وأنا منهم ؟ لقد صبأوا واعتدوا فحق عليهم عقاب

« يا ويلى ! أحقاً ما جاء به محمد ؟

« تا الله إنه لأمر عظيم . لقد عرضنا عليه المال حتى يكون أكثرنا مالاً ، والشرف والملك حتى يكون سيدنا ومليكنا ، فأبى وتعفف وقال : ما بى ما تقولون ... فماذا بقى من عَرَض الدنيا يبتغيه ذو حاجة !

« وتسللت — مرة ومرة — فى خفية وحذر أتسمع ما يقول وأرى رأيى فيه — وعندى أنه كان بيننا غلاماً حدثاً غير متهم فى قول أو فعل ، فغير جدير به أن يتقوّل علينا بعض الأقاويل بعد إذ بدأ الشيب فى صدغيه — فألفيتُ كلاماً حلواً عذباً ليس بينه وبين قلب اللبيب من حجاب ، فصبوت إليه وهفوت نحوه ؛

غير أن عنتاً أصابني فقلت للأخنس بن شريق حين سالني رأيي : ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ؛ أطعموا فطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ؛ حتى إذا تحاذينا على الركب ، وكنا كفرسي رهان قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك مثل هذه ؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه

« هذا هذا ، يا قلبي !

« وتأججت نار الحسد والبغضاء في قلبي ، فاندفعت أريد أن أقتله أو يقتله عصبة منا فما استطاع واحد أن يخلص إليه . يا لقلبي ، كيف حيل بيني وبينه ؟ لا ريب فهو قد سحرني أو أن خادماً من الجن أزعجني عنه

« كلا ، كلا ؛ فوالله ما هو بساحر !

« آه ؛ لطالما سكنت إلى نفسي فما وجدت إثماً قد قارفه ، غير أن له رأياً هو جعلني أحمل له ضغناً ، فانطلقت أشتط في السخرية منه ، أسفـه من حلمه ، وأضع من شرفه ، وأعذب صحابته ، وأفتنهم في دينهم ، لا أرعوي ولا أستقر ؛ ومضت الأيام وأنا أحتدم احتداماً لا تهدأ لي ثورة ولا ينطق غل

« ماذا عساه يبتغي ؟ لعمري إن أمر هذا الرجل لعجيب

« الله ! نعم ، الله ! »

* * *

وصمت الرجل برهة من زمان يتأمل . . . ثم ثاب إلى نفسه يحدثها مرة أخرى :

« ثم ... ثم ما اللات والعزى ، وما مناة الثالثة الأخرى ؟ أفليست بعض هذه الصخور المنثورة حوالى عاثت بها يد إنسان فصورتها آلهة تعبد ؟ أفحقاً أن الله يسكنها فيدبر الأمر من ورائها على حين هي ذرات في هذا العالم اللانهائي لا حول لها ولا طول ؟ يا لشد جهلي ! أأسجد وأقوم وأعبد وأقدم القرابين لمثل هذه الصخرة الواهية ؟ وما إساف ونائلة ؟ أفكانا غير رجل وامرأة أحدثا في الكعبة فسخهما الله فاتخذناهما إلهين ؟

« ليت شعري أين العقل والحكمة ؟

« ليتني أستطيع أن أنزل عن كبريائي فأرجع بهذا الناس ، فمالي بقتله من أرب ، وأذر الرجل يناجي ربه ويعبده ويتهجد له ما شاء ، وينشر دينه أنى شاء وكيف شاء ! ليتـه يعبد آلهتنا فنعبد إلهه ، ونرجع سيرتنا الأولى قبل أن تستبطر عليه هـذه الأخيلة ... ليتني وليته ... ولـكن ؟

« ولـكن أفننتظم تحت رايته وما هو بشيء ؟ فوالله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه فيكون له الشرف والمدن علينا ، ونكون نحن في دولته كبعض أراذلنا

« آه ، لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ! »

وراح الرجل في ضمير الليل يحدث عقله حديث الفيلسوف قد ضربه الشك فلا يستطيع أن يرى الضلالة التي تردى فيها . وخشي الشيطان غب الأمر فصاح من أقصى الأفق صيحة صكت مسمعي الرجل فانتزعته من خواطره ، ودوّى صوت الشيطان يبدد أخيلته ويطم على ضميره ويناديه بأن ستكون لـكم الغلبة فأفق من غمرات الشك والتخاذل . غداً تهدأ الثائرة ، وينطوي تاريخ هذا الرجل ، وتـكون أنت . . . أنت يا أبا الحكم السيد المطاع

وهب الرجل من مكانه يجر درعه ، في هدأة الليل ، صوب مضجعه وقد سكتت كل نأمة . . . ذهب إلى مضجعه لينام فألفى الشيطان هناك ينتظره ليحدثه حديث الكفر والفسوق حتى مطلع الشمس

* * *

وفي الصباح دفعه الشيطان إلى الحومة ليلقى — أول ما يلقى — معاذ بن عمرو بن الجموح فضربه ضربة أطنّت قدمه بنصف ساقه فسقط رأس الكفر يتضرج في دمه ، ونظر فإذا الأرض من حوله خلاء إلا من الشيطان يعبث به ويسخر من آلهته ، ويقول له : إني برىء منك ومما تعبد من دون الله . وتدفقت الحسرات في قلب الفاسق تأكله فما أنقذه منها إلا عبد الله بن مسعود — رضي الله عنه — فاحتز رأسه وحملها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهوى فرعون قريش أبو جهل — لعنه الله — إلى مثوى الكافرين . هوى إلى غضب الله يوم بدر ... يوم النصر ... يوم سطع أول شعاع أخاذ من نور النبوة على جزيرة العرب

(المحلة الكبرى الثانوية) **كامل محمود حبيب**

حكم في الجنحة المستأنفة رقم ٩٦٨٠ سنة ٩٤٠ ضد أحمد أمين حسن بقال بدرب البوارين بتغريمه ١٠٠ قرش ونشر الحكم بمجلة الرسالة والثقافة لبيعه ملحاً بأزيد من التسعيرة

القائد الشاب . . .

للأستاذ أحمد فتحي مرسي

[لقد بلغني أن قوماً يقولون في إمارة « أسامة » ولعمري لئن قالوا في إمارته لقد قالوا في إمارة أبيه من قبله ، وإن كان أبوه خليقاً بالامارة وإنه لخليق لها .]

(حديث شريف)

جرى على شفاه القوم في المدينة في ضحوة ذلك اليوم من ربيع السنة الحادية عشرة للهجرة أن محمداً – صلى الله عليه وسلم – أمر بالعدة لغزو الروم وأمّر على الجيش « أُسامة بن زيد بن حارثة »

ووقع هذا الخبر من الناس موقعين : وقع من نفس قوم موقع العجب والدهشة ، ووقع من نفس أقوام موقع التجِلّة والطاعة . وكان الناس في المدينة بين هؤلاء وأولئك . . . فأما الأولون فقد عجبوا كيف يُؤمَّرُ على جيش يضم صفوة المهاجرين والأنصار شاب حدَثٌ كأسامة لم يَعْدُ العشرين ربيعاً بعد . وكيف ينفرون للغزو وهم لم يعودوا من حجة البلاغ أو الوداع إلا من زمن قريب ، ولم يستقر بهم المقام بعدُ في المدينة ، حتى وقع في روع بعضهم أنهم سيحيون حياة دَعَة وهدوء ، بعد أن نصر الله دينهم ، ودخل الناس فيه أفواجاً ، ودانت شبه الجزيرة جميعها لدعوة الرسول الجديد ، فما بهم حاجة لغزو آخر بعد هذا الجهاد الواصب الطويل ، وبعد أن أكمل الله لهم دينهم ، وأتمّ عليهم نعمته ، ورضى لهم الإسلام ديناً

ثم إن الروم عدو لا يهون أمره ، ولا تلين قناته ، فقد قهر الفرس ولم يستطع العرب أن يقهروه ، وهو فوق ذلك حامى المسيحية ، وإن به لشوقاً للقاء هؤلاء القوم الذين أجلوا المسيحية عن أوكارها من شبه الجزيرة . . . وهم ما زالوا يذكرون غزوة « مُؤتة » وكيف خرج لهم الروم في مائة ألف ، وكيف ذهبت هذه الغزوة بثلاثة من صفوة قواد المسلمين ؟ ولولا مهارة رابعهم خالد بن الوليد في الانسحاب للحق بهم ولفتك الروم بالجيش ، وإنهم ليذكرون أيضاً كيف تقاعس الناس بعد خبر « مُؤتة » عن لقاء الروم في تبوك ، حتى قال بعض ضعاف النفوس للناس : لا تنفروا في الحر إلى تلك الأصقاع . فنزل قوله تعالى « وقالوا لا تَنْفِروا في الحرِّ قلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حرّاً لو كانوا يَفْقَهُون » . . . وحتى ذهب البعض الآخر يتلمس الحجج الواهية ليأذن له النبي في البقاء كما فعل الجدُّ بن قيس حين قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل لك العام في جلاد بني الأصفر ؟ » فقال : « يا رسول الله أو تأذنْ لي ولا تَفتِنّي فوالله لقد عرف قومي أنه ما من أحد أشدُّ عُجْباً بالنساء مني . وإنّي لأخشى إن رأيت بني الأصفر ألا أصبر » فأعرض عنه الرسول ونزلت فيه الآية «ومنهم مَنْ يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين »

فعدوٌّ تلك حاله وحال المسلمين معه ، كيف يكون على رأس جيشه غلام حدث كأسامة ، وكيف يعقد له اللواء في جيش يضم صفوة الأنصار ، وشيوخ المهاجرين الأولين كأبي بكر وعمر ؟

تلك قصة القوم من ضعاف الإيمان فما خبر المؤمنين ؟

لقد قال المؤمنون إن هذا أمر الرسول فعليهم طاعته . ألم يقل الله تعالى : « ومن يُطِعِ الرسول فقد أطاعَ الله » . ألم يقل عز وجل : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيَّن له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نُوَلِّه ما تولّى ونصله جهنم وساءت مصيراً » . ثم إنه الغزو جهاد في سبيل الله ، وإن المرء لفائز فيه بأحد الحسنيين : الاستشهاد أو الظهور ، وما أحدهما إلا خير عند الله من الآخر ... صحيح إن أُسامة شاب لم يعدُ العشرين ربيعاً ، ولكن أليس الشباب أنفذ عزماً ، وأنهض همة ، وأبعث للحمية في النفوس ؟ ... ألم يحن الوقت بعد ليحمل الشباب لواء هذا الدين الجديد ، وينهض بأمره ، ويشترك في تحمل تبعاته الجسام ؟ ثم أليس أسامة من خيرة شباب الإسلام : أليس أبوه زيد بن حارثة مولى رسول الله وصاحب ثقته ، وثاني من آمن به من الرجال بعد عليّ بن أبي طالب ، وأول من استشهد في غزو الروم في مؤتة وبين يديه لواء الإسلام ؟ أليس أُسامة من استشاره النبي في حديث الإفك عن عائشة وهو صبي صغير ؟ إن المسلمين ما زالوا يذكرون يوم دعاه النبي ودعا معه علي بن أبي طالب إلى منزل أبي بكر ليستشيرهما في أمر عائشة وصفوان ، وقد استفاض حديث الناس وكثر القول . فأما أُسامة فقد قضى أن الحديث إفك وبهتان عظيم . وأما عليّ فقد قضى قائلاً : إن النساء لكثير غيرها . وأما الوحي فقد قضى بما قضى به أُسامة : « ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم »

أليس أُسامة بعد هذا كله حقيقاً بهذه الثقة الغالية ؟ ! إذن فليمض على بركة الله ، ولينتقم لأبيه الشهيد ، وليضرب للشباب مثلاً يخلد على الدهر

ودعا النبي أُسامة فعقد له اللواء وأوصاه أن يُوطِّئ الخيل تخوم البلقاء والداروم فى أرض فلسطين على مقربة من « مُؤْتة » حيث قتل أبوه ، وأن ينزل على أعداء الله وأعدائه فى عَمَايَة الصبح ، وأن يُمعن فيهم قتلاً ، وأن يحرقهم بالنار ، وأن يتم ذلك دراكاً حتى لا تسبق إلى أعدائه أنباؤه ، واستوصاه بالنساء والأطفال خيراً ، وأمره بأن يخرج إلى الجرف — على مقربة من المدينة — حتى يتم جهاز الجيش ... وخرج أُسامة فضرب لواءه بالجرف ، وأقام فى انتظار أمر الله وأمر الرسول

وإن أُسامة لفى ارتقاب أمر المسير . وإن الجيش لفى جهازه وعدته ، وإن الناس لفى حديثهم عن إمرة أُسامة على شيوخ الإسلام ، إذ مرض الرسول عليه الصلاة والسلام مرضه الأخير بعد جهادين طويلين فى سبيل الله : جهاد الروح فى الرسالة ، وجهاد الجسم فى الغزوات والحروب . واشتد به المرض حتى لم يقو على مجالسة أصحابه . . . ولكن يشاء الله أن تبلغ همسات النـاس فى أُسامة آذان ذلك الراقد على فراش مرضه ، الذى برحت به الحمى حتى عاد يشعر كأن به منها لهباً ، يشاء الله أن يبلغ أذنيه أن الناس يقولون إنه أمَّرَ على جِلَّة المهاجرين والأنصار غلاماً حدثاً . فيعز عليه ذلك ويخشى أن تقع الفتنة فى الناس ، فيطلب إلى أهل بيته أن يُريقوا عليه سبع قرب من آبار شتى حتى يذهب المـاء ببعض حرارة الحمى . ثم يعصب رأسه ويتحامل على نفسه ويتساند حتى يبلغ المسجد ، فيجلس على المنبر فيحمد الله ويصلى على أصحاب أُحد ثم يقول :

« لقد بلغنى أن قوماً يقولون فى إمارة أُسامة ، ولعمرى لئن قالوا فى إمارته لقد قالوا فى إمارة أبيه من قبله — وإن كان أبوه لخليق بالإمارة — وإنه لخليق لها فأنفذوا بعث أُسامة » ثم يقول : « إن عبداً من عباده خيَّره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله » ... ويدرك أبو بكر والناس ما بهذه العبارة من إيماء فيتأثر الناس ويبكى أبو بكر ...

ويثقل المرض على المريض بعد ذلك المـاء الذى صُبَّ عليه وهو فى لهب الحمى ، وبعد ذلك الجهد الذى بذله فى خطاب الناس فيأمر أبا بكر أن يصلى بالناس ، ولا يلبث أياماً حتى يسلم أنفاسه الطاهرة فى حجر عائشة وهو يقول هامساً : « بل الرفيق الأعلى من الجنة »

ويبلغ نعى رسول الله أسامة بالجرف ، فيهبط وجيشه إلى المدينة ويركز لواءه بباب عائشة ... ثم تتعاقب الأحداث ، ويلى أبو بكر الخلافة ، ويعود الناس إلى حديثهم عن إمرة أسامة ... لقدمات الرسول فما ضرهم لو عاودوا الأمر على أبى بكر لعله يلين حيث صَلُبَ النبىّ ، ويولى أمرهم رجلاً أقدم سناً

ويجتمع الأنصار ويحملون رسالتهم عمر بن الخطاب ويقولون له : « أطلب إلى خليفة المسلمين أن يولِّىَ أمرنا رجلاً أقدم سناً من أسامة » . ولعل عمر كان يجاريهم هذا الرأى . لعله كان يشق عليه وهو الذى قدمه أبو بكر للخلافة بعد رسول الله فى اجتماع السقيفة أن يتأمر عليه شاب حدَث لم يكن له مثل جهاده فى الدين . لعل ذلك جال فى ذهن عمر لأنه سارع يحمل الرسالة إلى أبى بكر

ويصل عمر بالرسالة ويبلغها أبا بكر فيغضب أبو بكر ويقول :

— « ثكلتك أمك يا ابن الخطاب ... استأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمر أن أنزعه . . . » ثم يقوم الخليفة الشيخ ويأمر بإنفاذ الجيش ، ويخرج يستنهض الناس ، حتى إذا تم جهاز الجيش سار يشيعه وهو ماش وأسامة راكب . فيعز على أسامة أن يسير خليفة المسلمين — وهو إذ ذاك شيخ فى الستين — وهو راكب إلى جواره فيقول له : « يا خليفة رسول الله والله لتركبن أو لأنزلن » فيرد أبو بكر : « والله لا تنزل ووالله لا أركب ، وما علىَّ إلا أن أغبّر قدمىَّ فى سبيل الله ساعة فإن للغازى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة معصية ترفع عنه »

ويخرج الجيش إلى الصحراء ، وهنالك يدعو له أبو بكر ويطلب إلى أسامة أن يأذن لعمر في البقاء ليشير عليه فيأذن أسامة ويسير الجيش على بركة الله ورعايته

تُرى هل يحقق أسامة ثقة النبى به ؟ تُرى هل يفلح حيث أخفق أبوه وثلاثة من خيرة قواد المسلمين ؟ ترى هل يقهر عدواً لم يقهره أحد من أهل زمانه ؟ ترى هل يقطع ألسنة المجادلين المكابرين القليلى الثقة به وبالشباب ؟ ترى هل يرفع رأس شباب الإسلام ، ويمهد له الاضطلاع بما يثقل من الأعباء ؟

تعاقبت شهور وأيام ...

فمن ذلك العائد إلى المدينة يتخطّر على ظهر جواده ؟ ولمن هذا

عزاء من الله . . .

للأديب لبيب السعيد

علم رسول الله بالنازلة الجليلة ، فغشيه من الحزن مالم يستطع ردّه ، وشاع فى نفسه الهمّ الشديد حتى ليبدو للعيان فى صفحة وجهه الوضاء .

إنّ بينه وبين فقيد اليوم قربة الروح والدين فوق قرابة الدّم ... فالفقيد هو جعفر بن أبى طالب أحد « الرّفقاء النجباء » الذين يعتز بهم ويشيد بفضلهم ؛ وفى سبيل دعوته الناشئة آثر الاغتراب فى البلد النازح عن الإذعان لأعداء الدعوة فى أرض الوطن ، فتحمّل بزوجه إلى الحبشة ، حيث جعل الله على يديه إسلام عاهلها ومن تبعه . والفقيد من أبرّ الناس بالمسلمين ، و « أبو المساكين » كما هو يكنيه ؛ وهو أحرص الناس على الأخذ بأخلاقه حتى ليبدو أشبهَ الناس به خُلُقاً إلى كونه أشبههم به خَلْقاً .

وهو بعدُ ابن عمه ...

* * *

لقد كانت أوبةُ جعفر من مُهاجره قريبة العهد ، فما انقضى عليها غير عام وأربعة أشهر . ولقد آب يوم فتح الله على رسوله والمؤمنين حصون « خيبر » بعد عراك وجهد ، فكان الرّسول صلى الله عليه وسلم فى غمرة الأفراح يقبّله بين عينيه ، ويلتزمه ، ويقول : « ما أدرى بأيهما أنا أسرّ ؟ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ؟ » ويقول له كذلك : « أشبهتنى خُلُقاً وخَلْقاً » فكانت نشوة الفرح والاعتزاز بهذه العواطف وهذا التشريف تأخذ جعفراً حتى ليرقص من فرط الطّرب والسّعادة .

فوا أسفا ! أأقبل جعفر ليدبر ؟ أتحقّقت لقلب الرسول رجيته ليشكلها بعد حين قليل ؟ يا رحمتاه لهذا القلب ! !

ولقد كان جعفر أمس القريب حين خرج مع السّرية يكلم رسول الله فى ألاّ يقدّم عليه زيد بن حارثة ، لا إيثاراً لنفسه على زيد ، ولكن رجوة السّبق إلى لقاء المكاره فى سبيل دينه ... واستصغاراً للنّصيب الذى فُرض له من أعباء الجهاد ؛ ورغبةً حارّة فى أحسن بلاء يتاح لمسلم .

فأين أمس ، حين النبيّ يجيبه : « امض ، فإنك لا تدرى أىّ ذلك خير » ، وحين النبي فى توديعه هو والجيش ، وحين المسلمون ينظرون إليه وإلى الغُزاة نظرة الأمل ، ويدعون لهم أطيب الدعاء ؟

أين أمس ؟ ... لقد كان آخر العهد وفرقة الدهر ! !

وجعفر تخطّفه الموت وهو يطاحن مع ثلاثة آلاف من إخوانه المسلمين مائتى ألف جمّعها « هرقل » وزوّدها بما استطاع من عدّة ...

ولم يلق جعفر حتفه كما يتّفق ، بل لقيه على نحو سيظلّ فى القرون والأجيال آيةً مثاليةً باهرةً ، وذكرى مرويّةً لن تبيد ...

كان زيد بن حارثة يقاتل براية رسول الله عليه الصلوات « حتى شاط فى رماح القوم[1] » فتلقف جعفر الراية ، وانطلق يقاتل بها قتال المتشوّف لإحدى الحسنيَيْن ، حتى إذا ما ألجمه القتال اقتحم عن فرسه ، فعقرها ، كيلا ينتفع بها العدو ، وما برح يقاتل — كما أوصى الرسول يوم هيأهم للخروج — « باسم الله فى سبيل الله من كفر بالله » ، ولواء النبى الأبيض فى يمينه تباهى به ويباهى بها ... حتى جاءته ضربة أطاحت بهذه اليمين ...

وكان طَبَعيًّا لمن فقد يمينه أن يُسلِّم الراية لغيره – إن قدر على حفظها – ويتخلّف بعض الوقت لينظر أمره ... ولكن جعفراً الذى أعار الله حياته ، والذى لا يعرف شيئاً يمنعه عن المضىّ فى شرف الجهاد ، والذى لا يمكن أن يذل فى قراع النوائب أخذ اللواء الكريم بشماله ، وما انفكّ يصاول العدو أروع الصّيال مرتجزاً :

(١) رواية ابن هشام ٣ : ٢١٤ ؛ وشاط بمعنى هلك

الجيش المقبل وقد عقد من خلفه النقع وأثار رمال الصحراء ؟ ولمن هذه الوجوه المتهللة المزهُوّة بالنصر ؟

إنه لأسامة ، وإنه لجيشه ...

لقد فاز وسلم وغنم ...

* * *

رحمك الله يا أسامة ، وطيّب ثراك ، وخلّد ذكراك ، فقد حققت ثقة النبى فى وقت ضعفت فيه الثقة بك ، وقهرت عدواً للاسلام عزّ على غيرك قهره ، وضربت لشباب اليوم مثلاً من شباب الأمس

أحمد فهمى مرسى
المحامى

يا حبّذا الجنة واقترابها   طيّبة وباردٌ شرابها
والروم روم قد دنا عذابها   كافرة بعيدة أنسابها
عليّ إذ لاقيتُ ضرابها

حتى جاءته ضربة أخرى أطاحت بيساره ...

أخمدَت لجعفر الصيّب المنقطع ذراعاه همة ؟ أو فُلَّت له عزمة ؟ كلا ! فهو لم يدع اللواء العزيز الزهوّ يسقط أو يخزى وإنما احتضنه بعضديه ، منشوراً لا يُطوى ، كريماً لا يهون ، والطعان تترى على جعفر فلا يولّيها دبره ، وإنما يتلقاها فى استعذاب حتى لتبلغ جراحه بضعة وسبعين كلها فيما أقبل من بدنه . ولا يزال جعفر فى الغمغمة يهدر بنشيده القوى : « يا حبذا الجنة واقترابها » حتى تتحقق له الشهادة ، إذ يجيئه رومىٌّ فيضربه ضربةً تقطعه نصفين ...

وهنالك فقط يدع الراية لمسلم ثالث ؟

هذا هو الفقيد ...

* * *

وأتى الرسول صلوات الله عليه إلى بيت جعفر يتفقد يتامى تركهم من خلفه خُضراً كأفراخ القطا ، ويعزّى عن المصاب فيه شريكته المرزّأة : أسماء بنت عميس ؛ وإنه ليطلب إليها أن تأتيه بينها ، وهو يحبس عنها النبأ الفاجع ، ويأخذ أطفالها فيشمهم ، وينظر إليهم نظرة الأسى المرير ... فيتمثل — إذ يراهم — وجه أبيهم الذى لقى حتفه وهو فى غرب شبابه ، ويتمثل حلاوة أخلاقه وأن كان يداً قوية للمسلمين على عدوّهم ، وقلباً انطوت على حب الله ورسوله والإسلام لفائفه ، وأُترعت بالإيمان والإخلاص والعزم جوانبه ، فتفيض عيناه الشريفتان رحمة وحناناً ...

وأسماء تستوضحه : « بأبى أنت وأمي يا رسول الله ... ! ما يبكيك ؟ »

وتصيح من هول ما تسمع ... ويجتمع إليها النساء ، فيعزيها الرسول فى حنوّ وعطف وينهاها : « يا أسماء ! لا تقولى : هجرا ، ولا تضربى خدًّا » ... ويتوجه إلى الله ضارعاً : « اللهم قدّمه إلى أحسن الثواب ، وأخلفه فى ذريته بأحسن ما خلفتَ أحداً من عبادك فى ذريته ! »

كان خطب البيت النبوى فى جعفر خطباً أحسّوا له جميعاً لوعة متسعرة ؛ وانظر كيف تدخل فاطمة على أبيها رسول الله وهى تبكي وتقول : « وا عمّاه ! » ... فيقول والأشجان ملء فؤاده : « على مثل جعفر فلتبك البواكى ! ! »

* * *

ويشاء الله برحمته أن يمسح بيده الآسية على قلب نبيه وآله ، وأن يعزّيهم عن فجيعتهم الحمراء عزاء فذّاً كمصابهم الفذ ، فهذا الرّوح الأمين ينزل على الرسول المحزون ، فيبلغه أن الله قد عوض جعفراً عن ذراعيه بجناحين مضرجين بالدماء ، يطير بهما مع الملائكة فى الجنة ...

يا بشرى ! ! وهل يبغي حبيب لحبيبه شيئاً وراء ذلك ؟

ثم هذا النبي عليه الصلاة والسلام يرفع مرة رأسه إلى السماء فيقول : « ... وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ! » فيقول الناس : « يارسول الله ! ما كنت تصنع هذا » فيجيبهم : « مرَّ بى جعفر بن أبى طالب فى ملأ من الملائكة فسلم علىّ ... »

ندى هذا العزاء الإلهى على الأكباد القريحة وصرف عنها الجزع ونعم الآسى آسٍ من روح الله ، ونعم العزاء عزاء بقدر البلاء !

(المنصورة)   لبيب السعيدى

العذاب !

للدكتور إبرهيم ناجي

أَلِمى محا ذنبى إليكَ وكفَّرا هبنى أسأتُ ألمْ يحنْ أن تغفرا ؟

رُوحِى مُمزَّقةٌ وأنتَ تركتَها لمخالبِ الدُّنيا وأنيابِ الورَى

رُوحِى مُمزَّقةٌ ولو أدركتَها جمَّعتَ من أشلائها ما بعثرا

أوليسَ لى فى ظلِّ عطفِكَ موضعٌ أحبو إليهِ وأرتمى مُستنصرا

ما كنتُ أصبرُ عنْ لقائكَ ساعةً

كيفَ السَّبيلُ إلى اصطبارى أشهُرا ؟

مَنْ بدَّلَ الثَّغرَ الجميلَ عبوسةً ؟ وَمَضى إلى وجهِ السَّماءِ فغيَّرا ؟

يا هاتِهِ الأقدارُ ! يا كفَّاً جرتْ عسراءَ تمنعُ أفقَها أنْ يُمطِرا

يا هاتِهِ الأقدارُ ! عينُكِ لا ترَى

خلفَ الدُّجى سأمانَ ممتنعَ الكَرَى

ظمآنَ لو باعَ الأحبَّةَ قطرةً بالعُمرِ والدُّنيا جميعاً لاشترَى

أخفى جراحكِ واستعزَّ بفتكِها

غرِّيدُكِ الشَّادى المحلِّقُ فى الذُّرَى

يرنو إليكِ على البعادِ فيغتلى ويجرُّهُ الجُرحُ المُمِضُّ إلى الثَّرى

قدْ عاشَ وهوَ معذَّبٌ بإبائهِ ولقدْ يُلاقى حتفَهُ مُستكبِرا

حتَّامَ كِتمانى وطولُ تجلُّدى يا أيُّها الجانى علىَّ وما درَى

ومتى المآبُ إلى رحابِكَ ساعةً لاريكَ جُرحى والدِّما والخِنجرا

جنتى . . .

للآنسة الفاضلة دنانير

يا جنَّةً لذتُ بأفيائها فى غفوةٍ من غفواتِ الزَّمانْ

لمَّا تطوَّفتُ بأرجائها ألتمسُ الصَّفوَ وأبغى الأمانْ

رفَّتْ على قلبى بأضوائها وظلَّلتهُ بالرِّضى والحنانْ

يا قلبُ إنْ تكفرْ بآلائها فليسَ من حقِّكَ سُكنى الجنانْ

آوى إليها من جحيمِ العذاب ضحىً فتلقانى بوجهٍ طليقْ

وتُطفئُ النارَ ببردِ الشراب من سَلْسلٍ عذبٍ شهىِّ الرحيقْ

كأسى من أوراقِ وردٍ رطاب مكلَّلاتٍ بمذابِ العقيقْ

كم أنتشى بالنَّفحاتِ العِذاب منها فما أدرى متى أستفيقْ

قلبى فى ظلِّكِ يا جنتى قد مسَّهُ نورُ الهوى فاشتعلْ

وكنتُ من قبلِكِ فى وحشتى لا فرحٌ يؤنسُنى أو جذلْ

أهيمُ لا أبصرُ فى حيرتى إلا ظلامَ اليأسِ يغشى الأملْ

حتى تجلَّيتِ على ظلمتى بالنورِ يُوحى بفنونِ الغزلْ

يا شقوةَ النفسِ إذا ما انقضى عهدٌ ملىءٌ بالهوى والفتونْ

وباتَ عيشى فيكِ حلماً مضى تهيجُ لى ذكراهُ شجوَ الحنينْ

عيشٌ غضيرٌ، حافلٌ بالرِّضى يا حسرةَ القلبِ له إذْ يَبينْ

يا قلبُ من يمحو سطورَ القضا ويضمنُ المقدورَ ألا يكونْ

هيهاتَ هيهاتَ فلا بدَّ لى من ساعةٍ تصدعُ ما بيننا

خيالُها المفزعُ ما يأتلى يُساورُ القلبَ هنا أو هُنا

غداً ، ويَا وَيْلِى لما ينجلى عنه غدٌ من موجعاتِ الضنى

كيفَ تجافى فى غدى المقبلِ من كأسِ بينٍ قدْ أُعِدَّتْ لنا

أهواكِ أهواكِ وهذا دمى أوغلَ فيه حبُّكِ القاهرُ

كم ذا تُراعُ النفس يا مُلهمى مما يُسِرُّ القدرُ الساخرُ

سأنثنى عنك وقلبى ظمى يُلهيه حرمانُه الساعرُ

واسمكِ فى الخاطرِ أو فى الفمِ به يلذُّ الفمُ والخاطرُ

يا ليتَ شعرى ماحياةُ القلوبْ إن لمْ يطهِّرْها جحيمُ الهوى

فتمَّحى آثامُها والذُّنوبْ فى لهَبِ الوجدِ وحرِّ الجوى

ولم تَسِمْها من هواها ندوبْ تظلُّ إنْ فاتَ الصِّبى وانطوَى

تنكُّها فيها ذكرياتٌ تؤوبْ من غابرٍ ماتَ وماضٍ نوَى

أخشى وما أخشى سوى عودتى لوحشتى فى عُزلتى النائيهْ

فلا أرى بعدكِ فى وحدتى سوى صباباتى والآميهْ

وأنت فى شُغلٍ وفى غفلةٍ عن ذمَّتى الحافظةِ الوافيهْ

من لى بكأسِ الموتِ يا فتنتى فهى شفائى يومَ تنسانيهْ

(فلسطين) **دنانير**



قلوب تتناجى وأفكار تتلاقى

حفل عدد « الرسالة » الهجرى الممتاز بخير ما تجود به أقلام الـكتاب ، وأنفس ما تتمخض عنه قرائح المفكرين ، فلاطت أحاديثه بكل قلب ، وتغلغلت فى كل ضمير ؛ وأثارت فى النفوس المؤمنة شعوراً قوياً من اليقين والأمل والثقة بمستقبل الإسلام وما ينتظره من خير على أيدى رجاله العاملين .

ونحن خليقون أن ننتفع من هذا الشعور ، لا أن نكتفى بادراكه وتسجيله ؛ فهو الحافز الأقوى إلى التقدم ، والسبب الأوثق إلى بلوغ الغاية ؛ وهو أيضاً البشير الأصدق بأننا نسير على الجادّة ، ونمضى قدماً إلى ما عقدنا العزم عليه من النهوض بأنفسنا ، فى ظل هذا الدين الذى شرّفنا الله به .

وإذا تجانسَ الشعور العام نحو أمرٍ ما ، وتقاربت الأفكار حوله بل تلاقت ؛ دل هذا على صحة فى النظر ، وصدقٍ فى الوسيلة ، وشرفٍ فى القصد والغاية . ولا أدلّ على أن هذه حالُنا اليوم ، من ذلك الإحساس المتبادل الذى جاشت به قلوب كتابنا ، ففاض على أسلات أقلامهم وحياً من الوحى ، وآياً من الآى ! لقد هتفوا جميعاً بنداء واحد ، ودعوا إلى كلمة سواء ، هى أن نقف عند حدود شريعتنا فلا نعدوها ، وأن نستغنى بقانونها عن كل قانون ، ونادوا جميعاً بفشل أنظمة الغرب فى حل مشاكل الحياة ، وهداية البشر إلى طريق الخير والصلاح . . .

فعالج الأستاذ الجليل (صاحب الرسالة) مشكلة الفقر كرض اجتماعىّ له خطورته ؛ وبين ما طبّ له به الإسلام من ضروب العلاج . ثم ذكر أن هذا العلاج « على إحاطته وبساطته ونجوعه ينهض وحده دليلاً على أفَن الذين يقولون إن دستور القرآن لا يأتلف مع المدنية ، وشريعة نابليون أصلح للناس من شريعة الله ، ونظام ماركس أجدى على العالم من نظام محمد »

وفى كلمة الإمام الأكبر الأستاذ المراغى ما نصه : « لا يزكو بأهل القِبلة أن يولوا وجوههم شطر الغرب يأخذون عنه من المذاهب والنظم والتقاليد ما أضلّ به أهله . إنما النور فى الشرق مطلع الأديان ، والهدى فى شريعة الله مُنزل القرآن ، والدليل فى سنة الرسول صاحب الهجرة ، والسبيل ما سلكه السلف الصالح فأوفى بهم على الغاية » .

وفى كلام الأستاذ محمد المدنى ما يدخل تحت هذا المعنى ؛ فقد تحدث عن الفقه وكيف ركدت ريحه ، وعن الفقهاء وكيف غلّقوا أبواب الاجتهاد ، حتى أعرض عنهم أهل التشريع وأصحاب النفوذ والسلطان ، وانقطع ما بينهم وبين المجتمع من أسباب ؛ ثم قال : « وكان من آثار ذلك أن دخلت التشريعات الأجنبية على بلاد المسلمين ، فأصبحت دستور الحكم ، وأساس الإدارة ، وقانون القضاء ، وعماد النظام فى كل ناحية من نواحى الأعمال ! »

والأستاذ محمد النمراوى يحدثنا فى « تأملاته » عن المدنية الغربية ؛ وكيف جنى عليها بُعدها عن الدين ؛ ويبين ضرورة الرجوع إلى مبادئ الإسلام والأخذ بشريعته ثم يقول : « أعجب عجباً بعد عجب من قوم . . . يتطلبون الحياة ممن ضل عن روحه ونوره ، ويولون وجوههم وقلوبهم لا شطر المدنية الإسلامية التى أقامها الرسول بتطبيق كتاب الله فكانت مثلاً عملياً أعلى للانسانية كلها ، ولكن شطر المدنية الغربية التى ضلت عن ربها وعبدت المال والقوة والجاه فأداها هذا إلى التهلكة التى ترى والتى تحاول التخلص منها فلا تستطيع . . . »

هذا بعض ما نبضت به قلوب قادة الرأى فينا ، وما تحركت بتسجيله أقلامهم ؛ أفلا يحق لنا أن نطمئن ونستبشر ، ونرجو من هذا الشعور المشترك خيراً ؟ ؟

يقول أستاذنا المفتى الأكبر فى حديثه المنشور بنفس العدد من الرسالة : « قد اتجهت أفكار المفكرين وآراء المصلحين إلى هذه الشريعة يلتمسون أن تكون نظام حياتهم ، وأساس مدنيتهم فلا بد لنا إذن من العمل ، ولا بد لنا من تلبية نداء الأمة ، وإعداد أنفسنا لهذه المهمة السامية »

. . . وهـذا كلام نُؤمّن عليه مغتبطين ، وغاية نبيلة نرجو ألا يقف رجال الإسلام دون تحقيقها ؛ والله يكلؤهم برعايته ، ويمدهم بعونه وتوفيقه ، إنه نعم المستعان .

(جرجا) **محمود عزت عرفه**

الى الدكتور عبد الوهاب عزام

الآن وقد وضعت آخر كتاب قرأته لكم : كتاب «رحلات» تجلت لى منكم خلال «عزامية» ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ولمست فيكم تلك الروح الشرقية العربية الإسلامية بأجلى مظاهرها

وأسمى حلاها ؛ عرفت فيكم ذلك الأستاذ المثقف الذى لم تغره زخارف المدنية الأوربية ووقف عند كل « أثر » إسلامي يناجيه بروح رفافة وقلب متوثب وعزيمة وقادة . أين موقفك عند مواطن « بغداد » و « الموصل » و « دمشق » و « طرسوس » وحتى «البحر الأبيض» جعلته مثاراً لذكرى الفاتحين المسلمين الأولين . ثم أين موقفك « عند قبر صلاح الدين » وأين كلماتك التي نفثها يراعك الأكرم ثم ختمت مناجاتك وأمانيك عند البيت الحرام والقبة الخضراء الشريفة . فيالله من مواقف عظام وذكريات فيها الذكر والعبر كما حدثت

وبهذه المناسبة أتقدم إليكم لأستفسر منكم عن موقف من مواقف المتجادلين فى هذا العصر ، فبينا أخط هذا إذ وردت مجلة الرسالة « الغراء » وفيها فتوى « فى مذاهب الصوفية » نقلها كاتب عن « الطرطوسى » وسجل فيها ما سجل من خزعبلات المتصوفة لا الصوفيين بحق ؟ على أن هذا لا يعتبر شاهداً على صوفية أو متصوفة هذا الزمن . ومن مواقفك الحسان في كتاب (رحلات) أنك تركت إخوان (الخيام) لتزور ذلك الصوفى الذى لقيت فى سبيل زيارته ما لقيت . على أنى وإن لم أكن صوفياً بمعنى الكلمة أكره التجنى وأعلم أن هناك أناساً مخلصين يذكرون الله جهراً فى حلقات ، ثم يتدارسون العلم على يد فقيه عالم فيلقون إليه قيادهم فيبصرهم بأمور دنياهم ، ولم يكن هناك نقر على (الدفوف) ولا (جبى ضرائب) ولا (هيولة) معظمة ولا ولا الخ إنما يريدون إخوة فى الله ، والله لا يرضى عنهم إلا إن كانوا مجدين فى عمل الدنيا ، وما عليهم إلا (الاستغفار والصلوات على النبي صلوات الله عليه وتكرار اللفظ الأكرم (لا إله إلا الله) ويقولون لسنا إلا على الشرع . أرجو بيان هذا الموضوع ببيانك المعهود على صفحات الرسالة الغراء

ابراهيم السعيد محمد عجلاند

الاسلام دين ومدنية

فى العدد الممتاز وقع خطأ فى عنوان مقالى فصار « الإسلام دينٌ لا دولة » والصواب « الإسلام دينٌ ومدنية » كما ورد فى الفهرس وكما ورد فى الأصل قبل أن يصاب بذلك التحريف . وإنما اهتممت بتصحيح العنوان لأنه حين حُرّف دلّ على معنًى لا أرضاه للاسلام على الاطلاق ، وإن ارتضاه بعض الباحثين

وبعد فهل قرأتم فى العدد الممتاز مقال الأستاذ الشيخ محمود شلتوت عن « شخصيات الرسول »

اقرأوا ذلك المقال مرة ثانيه لتذكروا أنه متّسم بالروح الذى كتبنا به مقالاً فى أحد الأعداد الممتازة من الرسالة عن « النواحى الإنسانية فى الرسول » وهو مقال سبّب لنا متاعب كثيرة واستوجب أن تنوشنا المجلات الدينية فى مدًى يزيد على عامين بلا ترفق ولا استبقاء ، مع أننا لم نقل غير الحق

واليوم يستطيع خصومنا أن يوجهوا خصومتهم إلى فضيلة الشيخ شلتوت إن أرادوا ، فإن لم يفعلوا ولن يفعلوا فمن حقنا أن نرجوهم أن يتريثوا فى الحكم على ضمائر الرجال قبل أن يسوقوا التهم الجوارح بلا بينة ولا برهان

هدانا الله وإياهم إلى ما يحبه ويرضاه

زكى مبارك

حول محاضرة الدكتور زكى مبارك

كنت من أشد الناس إعجاباً بهذه المحاضرة القيمة التى ألقاها الدكتور فى دار اتحاد الشبان المسلمين بالقاهرة لأنها كانت تعالج موضوعاً خطيراً هو «اتجاهات مصر الأدبية وأثرها الضار أو النافع فى مركز مصر فى الشرق » إلا أن لى عليها ملاحظتين :

الأولى : أنه حينما ذكر أن مصر فى سبيل تعزيز اللغة العربية ، وتقوية العلاقات بينها وبين الأمم الشرقية ، قد أنشأت قسما داخلياً فى مدرسة دار العلوم لإيواء طلبة الأمم الشرقية فسهّلت لهم سبيل الثقافة والمعرفة ، وهذا عمل مشكور لوزارة المعارف المصرية ؛ ولكن أليس من الحق أن نقول أيضاً إن الجامعة الأزهرية قد أسهمت فى هذا الموضوع وكان لها فيه القدح المعلى ، وأكبر دليل على ذلك أنه لما فكر المرحوم الملك فؤاد الأول فى إنشاء أبنية فخمة تضم كليات الجامعة الأزهرية ، رأت إدارة الجامعة الأزهرية أن تجعل من بعض هذه العمارات مساكن لطلبة الأمم الشرقية موفورا فيها كل أسباب الراحة ؛ وقد جعلت فى كل قسم مكتبة علمية لتزويدهم بمختلف الثقافات والمعارف . هذا عدا ما فى الجامع الأزهر ، وما فى العمارات الأخرى التى استأجرتها إدارة الجامعة الأزهرية ، وهى فى أفخم أحياء القاهرة ، وكل هذه الأماكن لا تضم أفراداً من العراق والشام فحسب ، بل فيها طلبة من السودان وشمال أفريقا والعراق والشام والهند والأتراك وداغستان والصين وغير ذلك من الأمم الشرقية ؛ وقد رتبت لهم المكافآت المالية الكثيرة

الملاحظة الثانية : أنه قال « فى مناحىَ » ونطقها بثبوت الياء مفتوحة فى حالة الجر ونص على هذا قائلاً إنه هو الصحيح . وإنى مع احترامى لرأى الدكتور أرجو أن يدلنى على وجه الصحة فى هذا ، لأن المسموع فى أفصح كلم وأبلغه وهو القرآن عدم ذكر الياء مفتوحة في مثل هذه الكلمة ، قال الله تعالى : «والفجر وليالٍ عشر» . «ومن فوقهم غواشٍ» . وأما ما ذكره الدكتور فهو خاص بحالة النصب

وقد أجمع النحويون على معاملة مثل هذا الجمع معاملة قاض . هذا ما أعرفه ؛ وللأستاذ منى أصدق التحية

(القاهرة) عبد المنعم سليمان مسلم

بين أغسطين والغزالى

ذكر العلامة المحقق الدكتور جواد على، وجه الشبه بين اعترافات القديس «أوغسطين» ، وبين اعترافات الغزالى فى كتابه « المنقذ من الضلال» ، وقد حار فى تعليل هذا التشابه . وقد حملتنى بعض الغرائب فى أخلاق المتصوفة على دراسة هذا الموضوع من الناحية الطبية السيكولوجية زهاء سبعة عشر عاماً ، رجعت فى خلالها إلى شتى المصادر العلمية ، وخرجت من بحثى بأن التصوف ضرب من الانحراف الذهنى يُحدث ما يشبه الضغط فى بعض مراكز الفكر، وهذا ما يعلل ما يتسم به المتصوفة فى كل عصر ومن كل جنس ومن كل دين من الاتفاق فى الأفكار الأساسية التى يجمع عليها المتصوفون

وقد عثرتُ أثناء دراستى الطويلة على أمثلة رائعة لهذا التشابه بين متصوفين يفصلهم عن بعض الزمن والثقافة والجنسية والديانة ؛ فالحلاج يفكر فى مسألة الحلول نفس تفكير القديسة تريزا ، ولا يخرج تفكير ابن العربى وابن الفارض فى الحب الإلهى عن تفكير سويدنبرج السويدى . وقد كان البسطامى فى حدبه على النمل كثير الشبه بالقديس فرنسيس الأسيسى فى مناجاته للطير ونعته بالأخوة .

وأرجو أن أوفق إلى نشر بحثي مع ما فيه مما يخالف المألوف فى القريب العاجل ...

كامل يوسف

عضو بالمعهد الفلسفى البريطانى بلندن

تبرئة القضاء العربى من وصمة

أورد صاحب مقال (التبعة والعقوبة فى المجتمع البشرى)(١) قصة للحزين الديلى بنى عليها أحكاماً منها أن العرب « أقروا شهادة الحيوان أمام القضاء » ، وأن ذلك « بمثابة رجوع العربى إلى المنطق القبلى الذى كان يأخذ الحيوان بالتبعة »

ومن الواجب — وللرسالة مكانتها وخطرها — أن أنبه إلى أن الخبر الذى ذكره الفاضل نقلاً عن الأغانى محرف ملفق ، فلا صاحب الأغانى ذكره ولا غيره . وكل ما فى الأغانى خبر صغير عن الحزين الديلى خلاصته أن طائفاً وجده سكران فحبسه مع حماره إلى الصباح ثم ضربه الحد وأطلقه والحمار (الأغانى ١٤ / ٧٧) ، وأما بقية القصة التى أوردها فمسوخ عن قصة أخرى تذكرها كتب النوادر لأحد المتماجنين لا علاقة لها ألبتة بالحزين الديلى . وفى القصتين لا ورود لذكر قاض ولا لمجلس قضاء . وإذاً ينهار كل ما بناه عليهما الكاتب من أحكام . وأرجو أن أفرغ لتفصيل هذا الإجمال .

(دمشق) سعيد الأفغانى

حول المرحوم معاوية محمد نور

قرأت فى عدد (الرسالة) الغراء رقم ٤٤٥ الكلمة الموجزة التى كتبها الأستاذ محمد أمين حسونة عن أخى المرحوم معاوية ؛ وإنى نيابة عن أسرة الفقيد أشكر له هذا الشعور الكريم

غير أنه قد وقع فيها بعض الخطأ عن عهد دراسة الفقيد الجامعية إذ قال : إن معاوية بعد أن أكمل دراسته الثانوية بكلية غردون قصد إلى مصر للالتحاق بجامعتها وحالت بينه وبين الجامعة بعض الحوائل ووصل ذلك إلى علم صاحب السمو الأمير عمر طوسون فأرسله إلى الجامعة الأمريكية ببيروت على نفقته وهذا الكلام لا يتفق والواقع

فإن الحقيقة أن معاوية أمضى دراسته فى بيروت على نفقته الخاصة ، وعلى نفقة أهله وذويه بالسودان وهم والحمد لله على خير ما يكون العبد الشاكر لنعمة ربه السبكى خالد

---

(١) العدد ٤٤٥ من الرسالة الغراء ص ٤٨



توطئة

قد اتسع أفق الفن التمثيلي في مصر اتساعاً نغبط عليه من حيث هو اتساع فحسب. وقد كثرت الأصبغ الفنية فيه وتعددت الألوان. وما من ريب في أن بعض هذه الأصباغ تؤذي مشاهدتها العين. ومن شأن النقد أن يوجه المنقود إلى السبيل السوى، وأن يبين الحسن في مواطنه ويرشد إليه، وأن يفضح القبيح وإن خفي وينفر منه ...

وإني لأستعين بالله على كتابة هذه الصفحة عن: السينما. والمسرح. والإذاعة. وأحب أن ألفت أنظار أصحاب هذه الفنون والمشرفين عليها إلى أن مجلة «الرسالة» قد أفسحت صدرها لقلمي الضعيف على رغم إلحاح أزمة الورق للاتجاه بالنقد الصريح إلى ما فيه الخير للفن المصري الشرقي . . . فلينتظر هؤلاء كلمة الحق لهم أو عليهم

كتاب عن السينما

أخرج الأديب الشاب الأستاذ محمد عبد القادر المازني أول كتاب له تحت عنوان: (السينما مفخرة القرن العشرين) وقد جاء كتابه هذا في الوقت الذي تلح الحاجة فيه على قراء العربية أن يعرفوا شيئاً عن فن السينما وتاريخها. فليس أقبح من الجهل بأسرار مظهر من مظاهر الحياة نراه ونلمسه . . . والسينما مظهر قوي من مظاهر حياة البشر في القرن العشرين. فلا مندوحة للناس من أن يلموا بسر هذا الفن؛ ومعرفة المظهر تستدعي معرفة النشأة والتطور

وقد تناول الأديب في كتابه نشأة السينما وتطورها وسرد تاريخها سرداً مجملاً أتى فيه على أهم ما يعني القارئ من أمورها. وهو بهذا العمل الفني الأدبي قد سد نقصاً في الثقافة العربية

الفرقة القومية

قدمت الفرقة القومية في الأسبوع الماضي رواية (صلاح الدين ومملكة أورشليم) مأساة من أربعة فصول ألفها الأستاذ فرح أنطون وأخرجها الأستاذ سراج منير وقام بتمثيل أدوارها عدد كبير من ممثلي الفرقة القومية. ولقد أحسنت الفرقة في تقديم مثل هذه الرواية التي تعالج فكرة تاريخية وطنية في ظروف كهذه. وقد نجحت الرواية تأليفاً وإخراجاً وتمثيلاً بالرغم من بعض الهنات التي ظهرت في تكلف بعض الممثلين وفي عدم ملاءمة الإضاءة في مواقف كثيرة . . . ويسرنا أن نشير إلى النشاط الذي بدا على الفرقة وهو يبشر بالانتعاش والحياة. وأحسب أن سر ذلك النشاط راجع إلى الأستاذ سليمان نجيب الذي عين مديراً للأعمال الفنية فيها. وإنا نرجو للفرقة وأفرادها ومديرها اطراد التقدم

فرقة ملك

قدمت فرقة ملك على مسرحها الجديد رواية (بنت بغداد) وهي من نوع الأوبريت ألفها ونظم أغانيها الأستاذ بيرم التونسي. ولا يسعنا إزاء مجهود (ملك) القوي إلا أن نهنئها على هذا الإقدام. ونرجو أن تعمل على استكمال أدوات (الأوبريت) الفنية حتى تستطيع أن تؤدي واجبها الفني على الوجه الأكمل. ولسنا نغفل مجهودها المبذول في التلحين والغناء فذلك شيء مشهود لها به

أفلام جديدة

انتهت شركة أفلام الشباب من عمل فلمها الجديد: (أحب الغلط) الذي أعده للسينما وقام بإخراجه الأستاذ حسين فوزي. وقد اشترك في تمثيله لفيف من نجوم السينما نذكر منهم تحية كريوكا — حسين صدقي — منسى فهمي وغيرهم. وكذلك انتهت السيدة آسيا من فلم (الشريد) الذي ألفه الأستاذ فتوح نشاطي وأخرجه الأستاذ هنري بركات، واشترك في تمثيله حسين رياض — زكي رستم — أمينة نور الدين — نادية — وهناك أفلام جديدة أخرى يجري العمل فيها في استديو مصر وغيره من الشركات المصرية سنتحدث عنها في أعداد قادمة إن شاء الله

عبد الفتاح متولى غبن

حكمت محكمة المنصورة العسكرية في القضية رقم ٥٨١ سنة ٩٤١ بتغريم محمد الأنور عبد المعطى عمدة ميت الفرش عشرة جنيهات لبيعه بترول بزيد عن التسعيرة

اتهم حسانين سيد الجباس بقال بباب الشعرية في القضية ن ٢٢٨ سنة ١٩٤٠ تسعيرة المقيدة بالاستئناف رقم ٩٧٢٠ سنة ١٩٤٠ وحكم عليه في ٣٠ / ٩ / ٩٤٠ بغرامة ١٠٠ قرش والنشر في الثقافة والرسالة لبيعه ملح ناعم بأزيد من التسعيرة

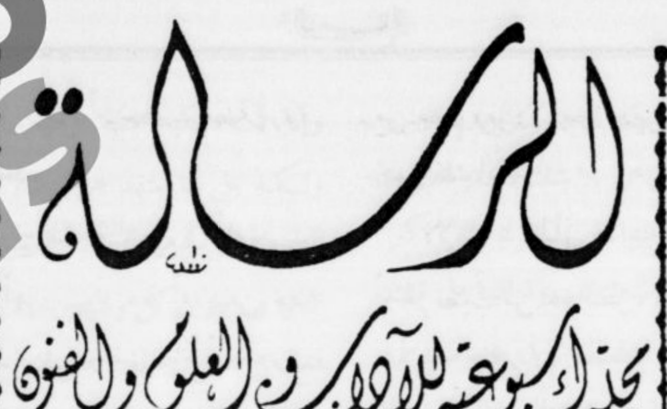
طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين



10me Année No. 451 — Lundi - 23 - 2 - 1942

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique



العـــدد ٤٥١ «القاهرة فى يوم الإثنين ٨ صفر سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٣ فبراير سنة ١٩٤٢» السنة العاشرة

الفهـــرس

التنجيم والحـــرب

للأستاذ عباس محمود العقاد

تتكلم بلغة الاقتصاد فنقول : إن التنجيم بضاعة يكثر طلبها فى أيام الحروب فيكثر عرضها

لأن الناس يتوقون إلى العلم بالمصير ، فيظهر لهم من ينبئهم صادقاً أو كاذباً بما يراه من مصير

ولأن الناس جميعاً يخشون شيئاً ويرجون شيئاً فى أيام الحروب ، فيحبون من يجلب إليهم الطمأنينة بما يزيل من خشية أو يعزز من رجاء ، ويتسع من ثمة مجال التنجيم والاستطلاع

ولأن الناس ، ولا سيما الجند ، يحتاجون إلى الثقة بالغلب ، أو ما يسمونه فى الاصطلاح الحديث بتقوية الروح المعنوية ، فيأنسون إلى ما يوافقهم من كلام المنجمين

ولأن الحوادث الجسام توحى إلى كل نفس أن الأمر فوق طاقة الإنسان ، وأن أعنة الأقدار فى يد غير يده وعلم غير علمه ، فيتجه الذهن إلى عالم الغيب وإلى الذين يدعون له العلم به والإنباء عنه

ولأن النزاع بين طرفين من شأنه فى كل حين أن يشحذ غريزة الرهان والسباق حتى فى الألعاب التى ليس لها عند الناس خطر الحروب ، ومتى شحذت غريزة الرهان فقد شحذت معها

غريزة التطلع إلى نجاح هذا وفشل ذاك ، أو شحذت معها غريزة الاستطلاع والتخمين ، ومنها التنجيم

هذه بعض الأسباب التي تروج صناعة التنجيم في أيام حرب كالحرب الحاضرة . ولا ندري أهو سوء حظ أم حسن حظ ذلك الذي أغرى الصحف الكبرى في حواضر العالم بأن تتحرى كل ما يروج وتهيئ للقراء كل ما يتوقون إليه من أنباء اليوم والغد ، وما يحصل الآن وما سيحصل بعد حين

ولكن الصحف على أية حال تصنع ذلك ولا تبالي أكان حسناً أم كان سيئاً ما تصنع . ففي كثير من صحف أوربا الكبرى أبواب يكتبها مخبرون « مستقبليون » غير الأبواب التي يكتبها مخبرو الوقائع الحاضرة والأنباء الجارية ؛ وهؤلاء المخبرون « المستقبليون » هم أناس يحترفون بالتنجيم ويتخذونه جداً يدافعون عنه كما يدافع العالم عن علمه والتاجر عن تجارته . وينكرون أنه لعب مصادفات أو أنه تزجية فراغ أشد إنكار

جاءتنا صحف انجلترا في البريد الأخير وفيها أحاديث شتى عن مأدبة أقيمت للمنجمين يحاضرون فيها عن صناعتهم ويدفعون فيها ما يتجه إليهم من نقد وريبة . ويذكرون لقرائهم والمستمعين إليهم شيئاً عن أسرار هذه الصناعة وأسسها . فلم يتفقوا لها على أسس ولا أسرار

فمنهم من أثبت للنجوم سلطاناً على حوادث هذه الدنيا وأخصها حوادث الحروب والنكبات ، ومنهم من نفى العلاقة بين النجوم وبين الحوادث الأرضية في « علم » التنجيم الحديث

وقال بعضهم إن التنجيم يصيب ويخطئ كما يقع الصواب والخطأ في أصح العلوم ، إلا أن الخطأ قليل في حساب المنجم الماهر كثير في حساب المنجم القاصر ، وقد يقع الخطأ في خبرين من عشرة أخبار أو في خبرين من اثني عشر خبراً ولا يقدح ذلك في صحة الحساب ولا في صحة « العلم » أو صحة الأساس الذي يقع عليه

وقد اطلعنا نحن على طائفة كبيرة من نبوءات الحرب الحاضرة فلم نعثر بينها على نبوءة واحدة تقطع بصحة « علم » التنجيم وتحوجنا إلى قبول دعوى المنجمين ، وكلها داخل في مستطاع من ينجم ومن لا ينجم ومن يعرف أسرار العلم المزعومة ومن يجهل تلك الأسرار

فالإنباء بما سيأتي قد يتاح لأناس لهم اتصال بمصادر الأخبار أو لهم نصيب من بعد النظر . وهم في هذه الحالة يبلغون من الصدق ما لم يبلغه منجم ولا مصطنع نبوءات

فمن أمثلة الاتصال بمصادر الأخبار أن الصحفي الأمريكي ريتشارد بوير Richard Boyer كتب في الثالث من شهر نوفمبر سنة ١٩٤٠ يقول : « إنهم ينظرون في جميع أنحاء الدنيا إلى روسيا وألمانيا نظرتهم إلى حليفتين . ومع هذا يبدو من الأمور المفروغ منها في الدوائر النازية أن ألمانيا ستغزو روسيا في السنة المقبلة . ويرى رجال الحكومة النازية بشيء من الثقة وإن لم يبلغ مبلغ الأسرار المكتومة أن اتحاد السوفييت إما أن يسلم في إقليم أكرانيا وإقليم النفط في باكو وولايات البحر البلطي ، أو تستولي عليها ألمانيا عنوة حينما تسنى لها أن تفرغ من انجلترا . وقد يزعم بعض الموظفين في الحزب النازي أن الحرب بين الولايات المتحدة وألمانيا غير ضرورية على خلاف ما تبينته بين كبار الرؤساء من جزم بضرورة هذه الحرب وأنها واقعة لا محالة . . . »

فهذه أنباء لو اتفقت لمنجم لباهى بها أقرانه واتخذها حجة لصناعته في أساسها . ولمهارته هو في كشف خباياها ؛ ولكن الرجل الذي أذاعها قبل وقوعها صحفي لا يدعي لنفسه صفة غير صفة المخبرين الصحفيين ولا يسلك نفسه في عداد المنجمين

وإلى جانب هذا يكتب المنجم المختص بباب النبوءات في صحيفة أنباء الدنيا News of the World « أن أموراً على أعظم خطر سيتفق عليها رأسان من رؤوس الدول الكبار - ولعلهم ثلاثة - فيرتبط بها خلاص بني الإنسان »

ثم زعم له مصدقوه أنه أحسن التنجيم لأنه كتب نبوءته في العاشر من شهر أغسطس ووقعت مقابلة الرئيسين روزفلت وشرشل بعد ذلك بأيام فتم فيها الميثاق الذي أشار إليه وربط به خلاص بني الإنسان !

إلا أن إشاعات المقابلة كانت تحوم في الجو كما يقولون قبل نشر النبوءة بثلاثة أيام ، فسرى بين الصحفيين نبأ فحواه أن

روزفلت وشرشل قد ذهبا إلى ألاسكا لمقابلة ستالين هناك ، وكذبت هذه الإشاعة فى حينها وهى هى بلا شك مصدر النبوءة التى أسرع بنشرها منجم الصحيفة ليواجه بها القراء وهم أكبر عدداً من زمرة الصحفيين القلائل الذين تنسموا النبأ على تلك الصورة قبل وقوع المقابلة ، ولهذا تردد المنجم فى عدد رءوس الدول لجمله بين الإثنين والثلاثة ، واستفاد بين ألوف القراء سمعة التنجيم الصادق لأن هؤلاء القراء يجهلون الإشاعات الخفية التى ينفرد بعلمها بعض المخبرين فى دوائر الصحافة ، فيسهل إقناعهم بأنها سر من أسرار النجوم

***

وهكذا يقال فى كل نبوءة وقفنا عليها من نبوءات الحرب الحاضرة ، فهى إما اتصال بمراجع الأخبار العليا ، أو صدق نظر فى قياس المجهول على المعلوم

إلا أننا لا نريد أن ننكر الشعور بالأمور المقبلة من طريق غير طريق المراجع العليا ، أو بعد النظر الذى يدخل فى عداد الأقيسة العقلية

فقد يرى الإنسان ما سيأتى على نحو يشبه رؤية العين لأشباح الظلام ، ولكنها رؤية لا تقبل التمحيص والمراجعة ولا تدخل فى صناعة التنجيم ، وهي مع ذلك مما ينقض التنجيم وليست مما يؤيده ويزكيه ، لأنها ترد الشعور بالأمور المقبلة إلى الحس الباطن أو إلى الواعية ولا ترده إلى حساب النجوم أو إلى صناعة قابلة للتعلم والتعليم . وقد يقوى هـذا الشعور حتى يتضح للعقل فيفسره كما يفسر الأقيسة ومدركات الأفـكار

أما الحقيقة التى لا شك فيها فهى أن البنية الإنسانية تحس ما يهددها من الأخطار الدخيلة قبل وقوعها فى بعض الأحايين . كما يقول ابن الرومى :

ولنفس حالات تظل كأنهـا   بما سوف تلقى من أذاها تهدد

فتحس الأمراض المقبلة والعلل المنذرة ، ولا تدرى لإحساسها سبباً فى كثير من الأحوال ، وإن كان هذا الإحساس مقدمة للعلة وعرضاً سابقاً من أعراضها بغير نزاع

وقد يهزأ بعضهم بتطبيق ابن الرومى لرأيه حين يقول :

لما تؤذن الدنيا به من صروفها   يكون بكاء الطفل ساعة يولد

وإلا فما يبكيه منها وإنها   لأرحب مما كان فيه وأرغد

ولكنه على ما نعتقد هزؤ ظالم أو مبالغ فيه ، لأن الأسباب الطبيعية التى تدعو إلى بكاء الطفل عنـد ولادته هى مقياس لسنة الدنيا فى اقتران كل وظيفة بجهد ناصب . وفى تقاضيها ثمناً لكل فتح من فتوح الحياة . فهى شىء ملازم للبنية الحية ، يدل عليه أن أول تنفس للهواء هو أيضاً لون من ألوان البكاء

غير أن إحساس الإنسان بما سيصيب بنيته شىء وإحساسه بما سيصيب الدنيا شىء آخر ، ولا سيما ذلك الإحساس الذى يدعيه المنجمون

والمسألة بعد لا تخلو من عزائها وسلواها ، فإذا امتعض أناس منا لما يرونه من تهافت جهلائنا على العرافين والمشعوذين فهذه أوربا تهون عليهم مضضهم بإقبال أهلها « المتعلمين » على لغو العرافة والشعوذة وإقبال صحفها الكبرى على باب من الأبواب مقصور عندنا على منشورات يزهد فيها العقلاء !

عباس محمود العقاد

رسالة الطالب العربى

لصاحب العزة الأستاذ محمد العشماوى بك

لقد قصدت حين اخترت « رسالة الطالب العربى » موضوعاً لحديث أن أتحرر مما تقتضيه المحاضرات من جهد وعمق فلا يرتفع بحثى إلى مرتبة المحاضرة وما تتطلبه المحاضرة من تقدمة وتفصيل وتحليل ، وأن يكون سبيلى حديثاً مرسلاً له صفة الحديث . وهى أنه ذو شجون ، فأطالعكم بمـا يعرض للذهن من خواطر وذكريات يطمئن لها خيالى وشعورى حين يجرى حديث العرب . وها أنذا فى مكانى هذا أذكر مواقف ماثلة أمامى على الرغم من بعد الشقة وتتابع الأحداث . ففى صيف سنة ١٩٣٧ وقفت على رابية من ربى لبنان الجميل أخطب كشافة العرب : لبنانيين وعراقيين وشاميين وفلسطينيين ، فكنت أبصر بعينى بعض البقاع العربية وأستجمع بخيالى نائى الأقطار والديار ، فلا ألمح حدوداً بين بعضها وبعض ، إن هى إلا أمة واحدة فى رقعة من الأرض واحدة ، يؤلف بين أجزائها ماض واحد وحاضر مشترك ومستقبل منشود ، ويحفز شبابها التوثب أمل قوى فى تجديد الحضارة العربية ، وبعث المجد الذى حفلت به صحائف التاريخ . وكذلك لا أنسى أنى وقفت أخطب شباب العراق وأتحدث فى مذياع بغداد ، فجعلت أسائل نفسى : أفى بغداد أنا أم فى القاهرة ، وعلى ضفاف دجلة أو على شاطئ النيل السعيد ، أغريب أنا فى هـذه الديار ، أم أنعم بين عشيرتى وأهلى ؟

والآن أقف فى جمع يضم شباب العرب من أقطار شتى فى ظلال الجامعة المصرية ، فلا أجد فى نفسى شعور الغريب يتحدث إلى الغريب ، وإنما أشعر حق الشعور بأنى أتحدث إلى طائفة من بنى قومى ليس بيننا وبينهم من الفوارق غير نأى الدار وشط المزار توثق بيننا أمتن الروابط الثقافية والروحية ، ويهدينا إلى المستقبل قبس تلك الحضارة العتيدة التى انتظمتنا فى الماضى ، فجعلت منا أمة موحدة فى عقيدتها وأهدافها من المثل العليا .

الـكلمة التى افتتح بها الأستاذ الـكبير سلسلة المحاضرات التى نظمتها جماعة الطلبة العرب بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول عن (الطالب العربى)

إن رسالة الطالب العربى هى رسالة الجيل الجديد ، وهى رسالة المستقبل القريب ، فهذه الجماعة التى تألفت من الطلاب العرب فى كلية الآداب لترسم الطريق لتحقيق الرسالة ، عليها أن تبدأ بتهيئة نفسها لخوض غمارها . وتستوفى من ألوان الإعداد ما يكفل لها النجاح فى مهمتها . فأول ما يجب أن يفكر فيه الطالب العربى هو إعداد نفسه وتكوين ذاته . وأرباب الرسالات لا يلون مهمتهم رتجالاً ولا يرقبونها عفواً ، وإنما يحققون فى أنفسهم قدرة الاضطلاع بالأعباء . ومما لا ريب فيه أن الإعداد الصحيح للطالب العربى يجب أن يتناول الجسم والخلق والثقافة . وهؤلاء فريق من طلاب العرب قدموا مصر ليغترفوا من جامعتها ثقافة وعلماً ؛ ومصر حين تقوم نحوهم بواجبها وتفسح لهم صدرها . إنما تؤدى إليهم ديناً فى عنقها ، فإن علماءهم وأدباءهم دانوها فى مفتتح نهضتها وفى ماضى حضارتها . وقد بايعت الأمم العربية اليوم مصر بالزعامة فى الأدب والثقافة والاجتماع والسياسة ، فمن واجب مصر الزعيمة أن تعرف لهذه الزعامة حقها ، وأن تنهض بتكاليفها ، وأن تخص الطلاب العرب برعايتها .

ولعل مما يحسن أن يتوجه إليه الطالب العربى فى الأخذ بأسباب رسالته أن تكون ثقافته كاملة ؛ فنحن بنو زمان هيمن فيه العلم على الأدب والقانون وعلى الطب والهندسة ومرافق الحياة كلها فى السلم والحرب . فالإعداد العلمى ضرورى لغلبة هذه الحياة . ولن يصلح الآن أن يستقبل المرء حياته معتمداً على التجربة أو متكلاً على الحظ ؛ فذلك إن أجدى عرضاً على فرد فلا يجدى على أمة ؛ وإن صلح فلا يصلح لهذا العصر الذى يهيمن العلم على كل مرافقه وأوضاعه .

وعلى الطالب العربى وهو يستكمل ثقافته أن يضع ماضى العروبة نصب عينيه ؛ فإن كان خيراً ترسمه أجمع ، وإن كان الخير فيه مخلوطاً بالشر نفى عنه شره واستبقى الخير ، وإن كان قد غلب الشر فى حقبة من الزمن وجب اختطاط خطة تقوم على الخير الغالب . وإن وراء العرب لماضياً حافلاً بالمفاخر ، وحضارة امتدت إلى ما وراء العمران . وكان سبيل الأولين من أسلافنا أن ينتفعوا بمـا يستطيعون الانتفاع به من علوم الأمم وفلسفاتها ونظم الحياة فيها ، فاتخذوا من مختلف الأخلاط مزاجاً جديداً له روعته ، وبقى

هذا المزاج حتى صار أساساً لحضارة العرب الحديثة ، فردّه الغرب إلينا غريباً علينا . فمن واجب الطالب العربى ألا ينسى ماضيه لأنه حلقة الاتصال بالحاضر والامتداد إلى المستقبل ، وإذا أهملنا هذا الماضى فقد أهملنا مجداً عظيماً تتقطع بنا الأسباب دونه ، ونفقد ما لنا من طابع وروح . وكيف نزهد فى ماض ينطوى على المثل العالية فى التفدية والجهاد ، ويصور لنا عظمة فى الخلق ، وقوة فى العقيدة دانت بها ممالك الدنيا جمعاء ؟ فلنتبين سر هذا الماضى ، ولنتعرف كنه هذه الحضارة ، ولنتدبر الأسباب التى نقضت هذا الحكم ، وهدمت ذلك البناء . وليكن ذلك التدبر وسيلة إلى العظة والاعتبار ، فنأخذ من الذرائع ما يكفل النهوض، ونتجنب من العلل ما طوى للعظمة العربية علمها الخفاق .

فإذا عرف الطالب العربى ماضى الأمة العربية بأمجادها ومفاخرها ، ووضحت له أسباب تدهورها وخمود جذوتها ، وكان قبل ذلك آخذاً من المعرفة بالقسط الأوفى ، بدأ يدرس الحاضر وأدواءه ، فالطبيب لا يجدى علاجه إذا لم يكن تشخيصه للمرض صحيحاً ، ولن تفيد العقاقير مهما تكن قيمتها شيئاً . وإن كثيراً من المصلحين لتذهب جهودهم هباء على الرغم من قوة عزيمتهم وحسن بلائهم ، لأنهم لم يفقهوا البيئة التى حاولوا إصلاحها ، ولم يتلمسوا العوامل المؤثرة فيها ، ولم يتعلموا كيف توجه الشعوب وكيف تواجه العلل .

فليكن هم الطالب العربى أن يدرس العلل الخلقية والاقتصادية التى أثرت فى البلاد العربية فردتها عن الصدر ، وقد تكون هذه العلل واحدة تشترك فى معاناتها سائر أقطار العرب ، وقد تكون لكل قطر علته الخاصة به ، فعلى كل طالب أن يتفهم العلل التى ينفرد بها وطنه الأصغر ، ثم يتفهم العلل المشتركة التى تصيب وطنه الأكبر ؛ فإن كانت هناك فرقة استجلى أسبابها ودواعيها ، وإن كان هناك جهل أو ضعف خلقي تفحص مصادره وبواعثه ، وإن وجد تخلفاً فى ميدان الصناعة أو التجارة استهدى إلى بواطن هذا التخلف . ومتى فرغ من هذا الدرس والفحص أمكنه أن يرسم منهاجاً سليماً لنهضة علمية خلقية عملية على أساس قويم .

وجدير بكل طالب عربي أن يتمثل له الوطن الأصغر والوطن الأكبر . فوطنه الأصغر شبيه بالأسرة تضم ما لها من أبناء ، ووطنه الأكبر شبيه بالأمة تحتوى سائر الأسر . وإنى لأتصور الأمم العربية كلها أسرة كبيرة واحدة لها أب واحد وأم واحدة، فشاء ذلك الأب أن يوفر لبنيه الكثيرين أسباب الاستقلال والنماء ففرقهم فى منازل شتى يعنى كل منهم بشأنه ، ولكن تبق بينهم أواصر القربى تجمعهم تحت لواء واحد وتؤلف بينهم عند الأحداث فإذا هم صف كأنه البنيان المرصوص . والحق أن من يزور الأقطار الشقيقة يحس هذا الشعور وهو يجتاز بلداً إلى بلد ، وينتقل بين أهل وأهل ، فلا حدود ولا فوارق، وإنما هو وطن بعيد الأطراف وحدت بين أجزائه المترامية روابط الدين واللغة والثقافة ، وألفت بين قلوب أبنائه آمال متشابهة وأهداف مشتركة .

ولا أظن أن ثمة رابطة أقوى من الرابطة الثقافية فى وصل الشعوب بعضها ببعض . فالأمم العربية بخير ما توثقت روابط الثقافة بين شباب العرب لأنها توحد بين الأفكار ، وتجمع بين القلوب ، ويتسنى بها لكل رابطة سياسية أو اقتصادية أن تجد طريقها إلى القبول . ولا يستطيع أحد أن يتصور أمماً تتفرق بعد أن يتم التوحد بين قلوبها وأفكارها وأمانيها جميعاً .

ومما نوصى به الطالب العربى أن يؤمن إيماناً عميقاً بأن اللغة الفصحي هى أداة الاتصال بين الأمم ، وإنه يجب أن يقوم على دعائمها صرح الثقافة العامة ؛ فلقد طوفت فى الشام والعراق وغيرهما فما كان يتيسر لى تقارب الفهم والإفصاح عن مكنونات النفس إلا حين اخترت الفصحى أسلوباً لحديثى ؛ فإذا تدسست اللهجات أفسدت ما بينى وبين محدثى من تعارف ، وأسلمتنا إلى التناكر البغيض . فالفصحى هى التى تجمع شملنا ؛ وهى التى تقارب تفكيرنا ، فليكن من مهمتنا نحن الدعاة إلى الوحدة العربية أن نحرص على الفصحى ، وأن ندانى بين الأساليب فى شتى الأقطار ، وأن نعمل على تيسير هذه اللغة لكى يسهل لنا استخدامها فى الثقافة المشتركة بين الناطقين بالضاد

ولقد أشرت فى مطلع حديثى إلى ضرورة إحيائنا لماضينا . وقد يقال إن لكل أمة من الأمم العربية ماضياً خاصاً ، والواقع أن هذا الماضى مشترك بين أمم العرب لأنها كانت تخضع فى حقيقة الأمر لنظام واحد ، وتستمد حضارتها وأنماط حياتها وتفكيرها من منبع واحد فى الأكثر الغالب ؛ فمن أركان رسالة الطالب العربى إحياء ماضى العروبة فى التفكير ، وعرض هـذا التراث

الفكرى العظيم فى إطار جديد . فذلك الماضى يستند إلى دين محكم وضع نظامه ليواجه مشكلات الحياة فى كل عصر وكل بيئة ؛ ولكن لا بد لنا من أن نتفهم روح الدين السامية على وجهها الصحيح خالصة من البدع محررة من الجمود . فلو استمسكنا بذلك النظام الذى وضع أساسه ديننا القويم لاستطعنا الخروج سالمين من نوائب الزمن التى يرجع مصابنا بها إلى تنكبنا ذلك الطريق المستقيم . وعلى أن لنا مع ذلك ماضياً تاريخياً يجمل بنا أن نحييه فى أنفسنا معتزين به ليكون حافزاً لنا على التوثب والرقى . ولنا كذلك تراث أدبى وعلمى عنى به علماء الغرب قبلنا وكان له أثره فى اتساع آفاق تفكيرهم الفلسفى والاجتماعى . فيجب أن يكون لنا فى هذا التراث مأرب عظيم وأن نعمل على تجديده وتنظيمه بما يلائم تطور الفكر الإنسانى، وأن نقرب موارده للدارسين والباحثين وطالبى المعرفة . فقد طالما طالعتنا الحقائق بأن كثيراً من نظريات آبائنا السالفين فى نواحى العلم يؤيدها الفكر الحديث ويحتفل بها العلماء المعاصرون

غير أننا مع احتفائنا بذلك التراث العظيم ودعوتنا إلى إحيائه والانتفاع به لا يجوز أن نتعصب له ونطرح ما عداه فنقول إن ثقافتنا كل شىء فى الحياة، وأننا نستغنى بها عما سواها، بل نعمل كما عمل أجدادنا العرب، وننهج طريقهم فى اكتساب المعرفة، فلقد نشدوا العلم من شتى مصادره وفرضوه على كل مسلم ومسلمة، وقربوا إليهم العلماء دون تفرقة بين أصيل ودخيل فانعقد لهم لواء الحضارة فى فجر نهضتهم، وسخروه لدولتهم وصولتهم . فلنتزود من العلم الصحيح حيث يكون فالعلم لاحكرة فيه لأحد ولا وطن له ولا دين

وإنه لمن تباشير الخير فى الشرق أن يوفد أبناءه ليتلقوا العلم من جامعة مصر . ومن تباشير الخير فى مصر أن تفتح جامعتها الأبواب لكل وافد عربى . ولقد كنت أتحدث إلى بعض أولى الأمر فى البلاد الشرقية أثناء جولاتى فقلت له فى سياق الحديث لِمَ تنشئ كل من سورية والعراق وفلسطين جامعة، وليس إنشاء الجامعات بالأمر الهين ولا يقصد به مجرد المظهر، فقليلاً ما يتوافر العلماء، وقليلاً ما يتيسر المال اللازم للانشاء؟ ولم لا تكون الثقافة الجامعية فى الشرق موحدة فتكون جامعة فؤاد الأول فى مصر جامعة الشرق كله يفد إليها الطلاب العرب فيتزودون زاد إخوانهم طلاب مصر العرب

***

إنى كنا أفضت فى حديث مشكلة اجتماعية يتملكنى عاملان : عامل يأس وعامل رجاء . وهذا هو شعورى بعد أن ألمت لكم برسالة الطالب العربى ؛ فيحضرنى عامل الرجاء حين أرى طائفة من شباب العرب فيها مخايل الرجولة الكاملة تفكر فى العرب وثقافة العرب ومستقبل العرب ، وتكون من أنفسها جماعة تدعو إلى رسالتها ، وتنظم المحاضرات فى موضوعاتها ، فهنا يقوى الرجاء ويبتسم المستقبل . ويحضرنى عامل اليأس حين أتفرس فى الحياة الاجتماعية التى يحيا العرب فى أكنافها ، فأرى فى بعض ما أرى نوعاً من الانقسام ، وألاحظ بلبلة فى الرأى ، وتباعداً عن فكرة الوطن الأكبر ، واشتغالاً بتوافه الأمور عن جلائلها . وهنا يلحقنى التردد فى الاطمئنان إلى الأمل والرجاء ؛ ولكن إذا كانت عوامل اليأس مما تجوز لمن هم على عتبة الشيخوخة أمثالى فإن الشباب يجب أن يمتلئوا أملاً وطموحاً وثقة بالغد المنتظر ، وأن يكونوا رسل إيمان ويقين فى المستقبل المنشود ، فإنهم بهذه الروح تلين لهم الصعاب وتتفتح لهم أبواب الجهاد لتأدية رسالتهم العظمى رسالة الإنهاض لشعب العربى ورده إلى مكانه فى الصدر الأول وإسلامه إلى مستقبل ميمون الطالع مبارك النفع إن شاء الله

محمد العشماوى

من دقائق إعجاز القرآن

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

قمت أجمع ما تفرق فى مكتبتى من أعداد (الرسالة) ، فإذا بعدد منها غلافه لم يفضّ هو العدد (٤٤١) . ففضضته وجعلت أقرأ ما استرعانى من فهرسه ، فبدأت بما كتبه الأستاذ أحمد صفوان بعنوان « غلطة مفسر كبير » ، وإذا المفسر الكبير هو الإمام أبو بكر بن العربى ، وإذا به يورد من سورة التوبة آية على غير نصها ، فأبدل كلمة مكان كلمة — غير عامد طبعاً — وجعل يفسر الكلمة التى أبدل كأنما هى الكلمة التى أنزل الله . والآية القرآنية هى : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجِرْه حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمَنه ، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) . فجعل الإمام أبو بكر « لا يعقلون » مكان « لا يعلمون » وطفق يفسر ويعلل لماذا نفى الله عنهم العقل ... إلى آخر ما روى له الكاتب الفاضل الذى نبه إلى هذه الغلطة الفذة

والغلطة فى ذاتها مألوف مثلها فى التلاوة حين يتلو الحافظ غير المتمكن عن ظهر غيب تلاوة من لا يتتبع المعنى ولا يتفقه وهو يقرأ . لكنها غلطة نادرة من مفسر إمام مفروض أنه يستوثق من النص قبل أن يبدأ التفسير . لكن الإمام أبا بكر ابن العربى غفر الله له اعتمد على ذاكرته فيما يظهر لخفائه هذه اللفظة ، وكان حسن الظن بحفظه فيما يبدو فلم يسترعه أى تفاوت فى المعنى يحمله على الرجوع إلى المصحف للتأكد من النص

والواقع أن أمثال هذه الغلطة من إمام مفسر ، وبُعد ما بين المعنى على أصله والمعنى بعد تحريفه ، من أقوى الدلائل عندى على أن القرآن ليس من عند بشر وأنه من عند خالق البشر ، فشتان بين المعنى لو كان النص كما أورده ابن العربى وبينه كما ورد فى القرآن الكريم . شتان بين تعليل أمر الله نبيه أن يجير المشرك حتى يسمع كلام الله ثم يبلغه مأمنه بأن المشرك لا يعقل ، وبين تعليل ذلك بأن المشرك لا يعلم . فمن المعقول من الحكمة أن يجار المشرك الذى لم تبلغه الرسالة حتى تبلغه على وجهها بسماع كلام الله، ثم من المعقول ومن الحكمة بعد إذ سمع كلام الله أن يُبلغ مأمنه ويترك لنفسه ليتدبر ما سمع بعقله غير مروع ولا خائف ، ثم هو بعد ذلك وما يختار لنفسه ، فإذا دخل فى الدين دخل غير مكره ، وإذا لم يدخل لم يدخل عن اختيار ، ولكلٍّ جزاؤه ، إن دخل كان أخا فى الدين لجميع المسلمين ، وإن لم يدخل كان عدوًّا ينفذ فيه ما أنزلت سورة براءة من أجله . لكن المهم أن مدار ذلك جعله الله سبحانه على علم المشرك الدعوة أولاً ، ثم على إعطائه فرصة لتدبرها فى أمن وحرية ثانياً . فعلم بالدعوة على وجهها كما يدل عليه قوله تعالى (حتى يسمع كلام الله) ، وتدبر الدعوة فى حرية وأمن كما يدل عليه قوله تعالى (ثم أبلغه مأمنه) ، هما ركنان للدعوة الإسلامية يدل عليهما دلالة واضحة العلة التى بنى الله سبحانه عليها أمره فى قوله (ذلك بأنهم قوم لا يعلمون)

وإذا عرفت الآيات قبل هذه الآية وما تأمر به من تأجيل المشركين أربعة أشهر يسيحون فى الأرض ، حتى إذا انسلخت الأشهر الحرم - والسورة العزيزة نزلت وتليت على الناس فى الحج وفيه المشرك والمسلم - قُتل المشركون بكل وجه وقُعد لهم كل مرصد ، إلا أولى العهد فيوفى للموفين منهم عهدهم إلى مدتهم : إذا عرفت هذا عرفت الحكمة البالغة الكامنة فى ذلك التعليل الإلهى لذلك الأمر الإلهى

إن ذلك التعليل مظهر من مظاهر العدل الإلهى فى الدين والرحمة فى الدعوة ، إذ ما كان الله ليأمر بقتل حتى المشرك قبل أن يدعى إلى الله دعوة مؤثرة . وأشد الكلام تأثيراً فى نفس العربى هو كلام الله العربى المنزل ، لذلك أمر الله نبيه حين أراد تطهير الأرض من الشرك أن يجير المشرك حتى يسمع كلام الله . ثم ما كان المشرك ليقتل حتى يأنس إلى كلام الله ، بعد سماعه ، مدة قد يجد فيها كلام الله إلى نفسه سبيلاً . وهذا ليس من العدل فقط ، بل هو من الرحمة والحكمة ؛ وهو فى ذاته دليل على أن هذا الأمر للنبى هو من عند خالق النفس وعالم ما هى وما فطرت عليه . فقد علم الله سبحانه بُعد ما بين الدعوة إلى الإسلام وبين ما نشأ المشرك عليه ، وعلم أنه إن كان فى المشركين من أوتى من صفاء العقل ما يدرك به عند سماع الدعوة فضل ما بينها وبين ما هو عليه ، فيستجيب لها غير متردد ، ويدخل فى الإسلام غير مسوف ، فإن فى المشركين أيضاً الرجل العادى وهو سوادهم :

ينفر نفسه مما لم نألف، ونكون له كبوة عند الدعوى مهما بلغ فضلها من الوضوح وبلغت هي من الإشراق . فلو أخذ المشرك بأول رأيه أو شعوره عند سماع كلام الله لكان نصيب أكثر المشركين القتل . لكن الله سبحانه أجّلهم حتى يأنسوا بكلامه ويتدبروه ويتذاكروه بينهم فعندئذ تكبر فرصة استجابتهم له بعد أن يزداد فهمهم إياه ، ويزول النفور الأول الناشئ عن مخالفة الدعوة لمألوفهم على وضوح خطئه وصوابها ، وضعته وشرفها . وفعلاً تحققت حكمة الله ودخل المشركون في دين الله أفواجاً .

والمهم ملاحظة أن المشركين ما كانوا ليدخلوا كما دخلوا في دين الله أفواجاً لو كان المانع لهم من قبول الدعوة أو الأمر قلة العقل بدلاً من قلة العلم ، فالعاقل الذي لا يعلم مرجو أن يستجيب للحق إذا زال جهله به ، وأعطى فرصة لتدبر ما دُعى إليه . لكن لا رجاء في استجابة من لا يعقل ، أو من كان على حال من الإصرار والعناد يحول بينه وبين قبول الحق وينزله منزلة من لا يعقل . فالحكمة واضحة في تأجيل من لا يعلم حتى يعلم وحتى يتدبر ما علم . لكن أي حكمة هناك في تأجيل من لا يعقل ، وهو مهما علم لن يفقه لأنه ليس لديه عقل يفقه به ، وتأجيله إلى أجل طال أو قصر لن يؤتيه ذلك العقل ؟ إن الفرق هائل بين قول الله سبحانه (ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) وفي موضعها من الآية الكريمة من سورة التوبة ، وبين قول ابن العربي في نفس الموضع (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون)

والغريب العجيب أن الجملة « ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » هي مما أنزله الله في مواطن أخرى من القرآن . فهي في موضعها من القرآن الكريم من كلام الله سبحانه لها كل ما لكلام الله سبحانه من روعة وجمال وجلال وإعجاز . فما نقلها الإمام أبو بكر بن العربي خطأ أو سهواً عن موضعها التي نزلت فيه إلى غير موضعها في تلك الآية من سورة التوبة أصبحت من كلام البشر لا من كلام الله ، ولم تتلاءم مع بقية الآية التي هي من كلام الله ، كالرجل أو العين الصناعية شتان بينها وبين الطبيعية ، أو كالعضو المنقول — لو أمكن النقل — إلى غير موضعه من جسم الإنسان

أنظر إليها في موضعها من سورة الحشر في قوله تعالى يخاطب المؤمنين منبئاً عن المنافقين : (لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر ، بأسهم بينهم شديد ، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) ، هي هنا من كلام الله سبحانه . وهي حيث أقحمها الإمام ابن العربي في آية التوبة غير قاصد ولا عامد من غير كلام الله ، بل لقد أفسدت من المعنى . فأعجب إذن لكلام إذا التبس الأمر فيه على الإنسان العاقل العالم فأبدل كلمة أو كلمات مكان أخرى تشبهها فقد صبغته وخرج من حيز الإعجاز إلى حيز غير الإعجاز

ذاك مثال من أمثلة دقة الإعجاز في القرآن . ومن غريب المصادفة أني وجدت في نفس العدد من الرسالة مثلاً آخر ، إذ وجدت غلطة أخرى في آية أخرى لرجل من رجال العربية المحدثين له إيمان ويقين إلا أنه لم يقع في غلطته في معرض تفسير القرآن ، فقد قرأت في العدد نفسه من الرسالة مقال أخي عبد المنعم خلاف (الحياة صادقة) وإذا فيه :

« إن الحياة هي كلمة الله النافذة إلى القلوب لا يحسها إلا من يحملها بأعبائها ثم يحاول أن يسلمها لغيره، وقد أودعها الله قلب آدم (فجعلها كلمة باقية في عقبه إلى يوم يرجعون)

والآية ليست بالفاء في أولها ولكن بالواو ، لكن لعل الفاء جيء بها لربط الكلام بالمقتبس من الآية فأدخلها الطابع في القوس . إنما موضع النقد الكبير والاستدراك هو ما دخل على آخر الآية ، فليست الآية (إلى يوم يرجعون) ، ولكن (لعلهم يرجعون) . ومن هنا يبدو لأول وهلة الفرق في المعنى بين الصيغتين ، ويبدو ذلك بصورة أوضح إذا عرفت سياق الآية الكريمة (وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) في موضعها من سورة الزخرف

فلنأخذ في الفرق الأول : الأستاذ عبد المنعم خلاف يريد بيوم يرجعون يوم الحشر ، فهو يقول إن الحياة باقية في عقب آدم إلى يوم الحشر ؛ ومن هنا يظهر بُعد هذا المعنى عن الواقع، لأن الحياة كما يعلم الأستاذ ستزول عن عقب آدم قبل يوم الحشر بأمد لا يعلمه إلا الله ، فسيشمل الموت بني آدم فترة يغلب أن تكون طويلة كما جرت العادة في أيام الله في الخلق ، ثم بعد ذلك يكون البعث ويقوم الناس . والآيات متظاهرة على ذلك ، لكن يكفي هنا الاستشهاد

بقوله تعالى : (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله . ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) . فالحياة ليست باقية فى عقب آدم إلى يوم يرجعون فى المعنى الذى أورده أخونا عبد المنعم ، ولا كلمة التوحيد باقية فى عقب إبراهيم إلى يوم يرجعون إذا أخذنا لفظ الأستاذ عبد المنعم وطبقناه على ما أخبرنا به الله سبحانه عن سيدنا إبراهيم فى القرآن

إن النص القرآنى بتمامه هو :

(وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إننى براء مما تعبدون . إلا الذى فطرنى فإنه سيهدين ، وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون) . وهنا يتبين أى فرق فى المعنى دخل على الآية الكريمة بجعل كلمة « إلى يوم » مكان كلمة « لعلهم » . فالمعنى القرآنى أن إبراهيم صلوات الله عليه — أو الحق سبحانه ، والآية تحتمل المعنيين — جعل كلمة البراءة مما يُعبد من دون الله باقية فى عقب إبراهيم لعلهم يرجعون عن عبادة ما سوى الله ، إن كانت الكلمة هنا هى الدعوة إلى التبرؤ مما سوى الله ، أو يرجعون إلى ما تستلزمه كلمة التوحيد من أحكام ، وعن كل ما ينافيها من سلوك ، إن كانت الكلمة الباقية فى عقب إبراهيم عليه السلام هى كلمة التوحيد . ووجود كلمة التوحيد بين العرب وسائر المسلمين هو من غير شك مناط الأمل وموضع الرجاء أن ينتبهوا يوماً ما إليها وإلى ما تستلزمه من إقامة دين الله ، ومن إسلام الوجه والقلب إلى الله ، وجعل الصلاة والنُّسُك والمحيا والممات (لله رب العالمين لا شريك له) كما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول : « قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

فكلمة (لعلهم) فيها ما فيها من الترجى ، وفيها ما فيها من التذكير . لكن كل ذلك يتغير ويزول إذا قيل : « إلى يوم يرجعون » بدلاً من « لعلهم يرجعون » ؛ إذ تصبح الآية إخباراً عن بقاء الإيمان والتوحيد فى ذرية إبراهيم عليه السلام إلى يوم البعث ، ولم يخبرنا القرآن بشىء كهذا . أما « لعلهم يرجعون » فتشعر بأن سيكون من عقبه عليه السلام طائفة غير مؤمنة يرجى أن تعتبر بالطائفة المؤمنة من عقبه وترجع معها إلى الله . لكن أكبر دلالتها — والله أعلم — أن المؤمنين من ذرية إبراهيم سيكون منهم تفريط فى توابع الإيمان ومستلزماته ، وإن شئت فقل فى حقيقة الإيمان ، وأن كلمة الإخلاص والتوحيد ستكون دائماً فيهم منذرة ومبشرة وداعية إياهم إلى الله وإلى إقامة شرع الله الذى قام على التوحيد ، وأنها ما دامت فيهم فسيرجى لهم ومنهم الخير

فانظر إلى جيش المعانى هذا الجائش من كلمة واحدة هى كلمة (لعلهم) فى موضعها من الآية الكريمة ، وإلى التفاوت البالغ الطارئ على المعنى حين اعتمد الأستاذ عبد المنعم على ذاكرته من غير رجوع إلى المصحف للاستيثاق من النص ، فأبدلته ذاكرته من « لعلهم يرجعون » « إلى يوم يرجعون » . وخرج الكلام بهذا التبديل الطفيف فى ظاهره من دائرة الإحكام

هذان مثالان يوضحان مقدار ما أودع الله فى القرآن من إحكام يزول إذا امتدت يد أو عقل أو ذاكرة إليه بأدنى تغيير أو تحريف أو تصحيف . ولو تتبع تالى القرآن إلى ما يسبق إلى لسانه من غلطات أثناء التلاوة ، وتدبر بُعد ما بينها وبين النص كما أنزله الله سبحانه ، لوقف من كل مثل على مثال جديد لإحكام القرآن ، وحجة جديدة لإعجاز القرآن

محمد أحمد الغمراوى

حكم فى القضية ن ١٣٧٤عسكريه طنطا سنة ١٩٤١ ضد حميده محمد زيدان بغرامة ١ جنيه والنشر بتاريخ ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤١ وذلك لبيعها أرز بسعر أكثر من المحدد

الحقيقة والتاريخ

بين آدم وحواء

للدكتور زكى مبارك

كثر الكلام فى هذه الأيام عما كان بين آدم وحواء لعهد الجنة وعهد الأرض . وقد تورّط صديقنا الأستاذ توفيق الحكيم فأقحم خياله الروائى فى شؤون فصل فيها التاريخ منذ أجيال طوال ولم يبق موجب لذلك التورّط بعد حكم التاريخ . فهذا الصديق يعرف أن آدم من الأنبياء، والتزيدُ عليه لا يجوز وإن احتال فزعم أنه يكتب باسم الفن لا باسم التاريخ

وهل يستطيع بفنه الروائى أن يخلق من الصور مثل ما سجل المؤرخ شيث بن عربانوس ، طيّب الله ثراه ؟

ولكن ما حديث ذلك المؤرخ المجهول ؟

لم أكن أعرف عنه شيئاً قبل سنة ١٩٣٣ ، وإنما هدانى إليه أستاذنا المرحوم أحمد زكى باشا بعد أن انتهى ما كان بينى وبينه من خصومة وصيال

فإن سألتم كيف ابتدأت تلك الخصومة وكيف انتهت فأنا أدوّنها فى سطور ثم أمضى إلى ترجمة شيث بن عربانوس بإيجاز ، تمهيداً لشرح آرائه فى آدم وحواء بإطناب :

كانت وزارة المعارف قررت إقامة حفلة تأبين للشاعر أحمد شوقى ، حفلة يشترك فيها أقطاب الأدب فى البلاد العربية ، وكان منهاج الحفلة يوجب أن يتكلم الضيوف فى الأوبرا الملكية تكريماً لمقدمهم الحميد . أما أدباء مصر فيتكلمون فى الحفلات التى تقام بكلية التجارة ، وهى حفلات دامت ثلاثة أيام ، وكانت أشبه بسوق عكاظ ، فقد اتسع فناء الكلية لمئات أو الألوف ممن يسرهم أن يستمعوا كلمات الخطباء وقصائد الشعراء

ومضيت لأشهد الحفلة الأولى بكلية التجارة فهالنى أن أسمع خطيباً يتنحنح بعنف ، مع أنى لم أكن اجتزت عتبة الكلية ، فسألت نفسى كيف يصل صوت التنحنح برغم تلك الأبعاد الطوال

وبعد لحظة فهمت أن الحفلة أقيم لها ميكروفون ، وأقيم لذلك الميكروفون مسامع فى جميع الأركان . فمن السهل أن يسمع صوت الخطيب جميع المارة بشارع « قصر العينى » أو شارع « أفراح الأنجال » ، ولا تسأل عما تصنع النحنحة وقد فجّت بها مسامع ذلك المذياع ؟

ونظرت فإذا الخطيب أحمد زكى باشا . فكيف غاب عنه وهو عالم علاّمة أن الميكروفون سينقل إلى الجيران وجيران الجيران نحنحته القوراء ؟

أما كان فى مقدوره أن يدير وجهه أو يدير الميكروفون قبل أن يقترف ذلك الصوت ؟

أضحكنى أن يقع شيخ العروبة فيما وقع فيه فأخذت أترصد له غلطة أدبية أو تاريخية لأهجم عليه فى جريدة البلاغ ، ثم اتفق لحسن الحظ أن قال كلاماً غير صحيح ، وهو يتكلم عن مدح الرسول فى « نهج البردة » ، وكنت يومئذ مشغولاً بتأليف كتاب « المدائح النبوية » فوجدت عندى من المحصول الأدبى والتاريخى ما يكفى لإفحامه بلا عناء

وما كادت تظهر كلمتى فيه حتى اندفع الرجل لمصاولتى على صفحات البلاغ بأسلوب ساحق ماحق ، وكان رحمه الله آيةً فى الكرّ والفرّ ، وكان لا يهجم على باحث إلا تركه كالرفات ، بفضل اطلاعه الشامل وذكائه الوهاج

كنت يومئذ بين نارين : نار الخوف من التطاول على شيخ جليل خدم اللغة والأدب والتاريخ ، ونار الخوف من الهزيمة أمام القراء ، وأنا محرر الصفحة الأدبية بجريدة البلاغ

وفى تلك المعمعة قدم الباشا للبحث عنى فى الجريدة ومعه الأستاذ عبد الرحمن بك عزام فحدّق فى وجهى وقال : أما تستحى من شتمى وأنا أستاذك ؟

فسكتُ قليلاً ثم قلت : وأنت يا باشا . أما تكفّ شرك عن تلميذك ؟

فابتسم عبد الرحمن بك وقال : لا موجب للجدل بعد هذا العتاب اللطيف !

ولكن زكى باشا لم يسكت عنى ، ومضى يلاحقنى بإيذاء لم يفضه غير الحادث الآتى :

كانت حوادث فلسطين وصلت إلى آلام وجراح ، فأرسل

زكى باشا إلى الحاج أمين الحسينى برقية مطولة كلفته أحد عشر جنيهاً ، وكان ينتظر أن يصل إليه جواب رقيق ، ولكنه لم يتلق أى ردّ من الحاج أمين ، فكتب إليه يسأل عن سر ذلك السكوت فكان الجواب أن البرقية وصلت ، ولكنها لم تكن بإمضاء « زكى باشا » وإنما كانت بإمضاء « زكى مبارك » !

وامتشق زكى باشا قلمه وأنشأ مقالاً أخذ أربعة أنهر من جريدة الأهرام ، وكان فى مقاله أن عامل التلغراف حرّف الإمضاء ، فإن كان من مصر فإلى « الليمان » وإن كان من فلسطين فإلى « البحر الميت » وأعلن زكى باشا أن التحريف مقصود ، وكانت حجته أن « زكى باشا » قد تُحرّف إلى « زكى الابراشى » بسبب « الشين » ولكنها لا تُحرّف إلى « زكى مبارك »

وامتشقت قلمى فكتبت رداً وجيزاً نشرته الأهرام فى أول نهر من الصحيفة الأولى ، وكان الرد يتلخص فى أن « زكى باشا » هو نفسه الذى أمضى باسم « زكى مبارك » ، وحجتى أن الباشا مشغول بمناوشتى على صفحات البلاغ ، فأنا ملء قلبه ، ومن السهل أن ينسى اسمه ويذكر اسمى ، ورأى زكى باشا أن التعليل مقبول ، فذهب إلى إدارة التليغراف وطلب أصل البرقية ، ثم ابتسم حين شاهد أنها باسم زكى مبارك ، وبخط الباشا الظريف ؟

لم يكن بدّ من أن يدرك زكى باشا أن الأقدار أرادت أن تطوقه بالخطأ ليكفّ عنى أذاه . فاتصل بى تليفونياً ليدعونى إلى العشاء وإمضاء عقد الصلح ، فأجبت بالقبول

دخلت على الباشا العالم العلامة « العالم حقاً والعلامة صدقاً ، فزكى باشا طراز وحيد من العلماء ، وليس من السهل أن يجود بمثله الزمان » . دخلت على الباشا فوجدته فى ثياب البيت وهو يلعب الشطرنج مع الدكتور « أحمد عيسى » ؛ فأشار بعد السلام إلى أن أنتظر لحظات ، فسيغلِبُ الدكتور أحمد عيسى ثم يلتفت إلى واجب الترحيب !

ومرّت ساعة وساعة والخلائق تتقاطر بميعاد وبدون ميعاد ؛ فعرفت أن العشاء فى بيت زكى باشا ليس لمن دُعِىَ إليه ، وإنما هو لمن تداعَوْا إليه !

ثم مُدَّ السماط على الطريقة العربية ، وأقبل خادمٌ فقدّم إلى الباشا ورقة مطوية فمحا الباشا كلمة وأبقى على كلمة . فماذا محا ؟ وماذا أثبت ؟

كان التفاضل بين نوعين من الشراب : أحدهما عصير الشمير وثانيهما منقوع الخرنوب . وقد رأى الباشا أن يكرم ضيفه المتخرج فى السوربون فاختار الشراب الأول وهو شراب أصهب يُستطاب فى ليالى الصيف !

لم أكن دخلت « دار العروبة » من قبل ، ولا كنت عرفت كيف ظفرتْ بذلك اللقب الظريف ؛ وكان مبلغ علمى أن صاحبها يتحدث عن العروبة فى كل يوم ؛ فهى دار العروبة لأنه شيخ العروبة ، والألقاب لا تَعسُر على أحد فى هذا الزمان !

وفى تلك الليلة عرفت ما لم أكن أعرف : عرفت أن زكى باشا يسير سيرة العرب القدماء ، فبيتُه مفتوح للجميع ، ومن حق أى إنسان أن يحضر وقت الغداء أو وقت العشاء بدون احتياج إلى استئذان ، على شرط أن يترك للباشا حرية التصرف فى وقته بعد رفع السماط

والحق أن زكى باشا كان ينوب عن مصر فى مهمة من أصعب المهمات ؛ فقد كانت داره مثابة الوافدين من الشرق ، ولم يكن يحق لأىّ ضيف أن يتهم مصر بالبخل وزكى باشا موجود . وإنما نصصت على هذا الجانب من شمائل زكى باشا رعايةً للتاريخ ، وأملاً فى أن يقتدى به من يسرهم إكرام من يفد على مصر من أهل الشرق . فمن العيب أن يذهب السخاء العربى إلى غير مَعاد وكانت له مواسم فى هذه البلاد !

وقد سمعت عن كرم زكى باشا فى سره وعلانيته أخباراً لا يصدقها العقل ، جزاه الله عما صنع خير الجزاء ، وحفظ اسمه بين الكرماء ، كما حفظ اسمه بين العلماء

ثم أرجع إلى الغرض من هذا الحديث فأقول :

جلست أسامر زكى باشا بعد العشاء تمهيداً للصلح المنشود ؛ فقد كنت فى سريرة نفسى أُومن بأن التطاول على مثل ذلك الرجل قد يعرّضنى لغضب الله . وأنا أخاف الله أشد الخوف لأنه حمانى من أن أخاف أحداً سواه ؛ فمن المخاطرة أن أشجُع فى موطن لا تكون فيه الشجاعة من رضاه . وكذلك عزمت على أن أتلطف ما استطعت لأظفر من زكى باشا بالصفح الجميل

— هذه أول مرة تأنس فيها « دار العروبة » بزيارة الدكتور مبارك

— ليست هذه أول مرة أتشرف فيها بزيارة « دار العروبة » أعزها الحب !

ما هذا الكلام ؟ وما رأيتك هنا قبل اليوم !

— سمعت أخبار دارك ، أيها الشيخ الجليل ، وكنت أشعر أني شريك بقلبي لكل من يفد عليها من أهل الشرق . وما غاب عني كرمٌ تؤدّي به فرض الكفاية عن بلادنا الغالية

فتبسم زكي باشا وقال :

ما كان ضرّك لو قلت هذه الكلمة وأنت تلاحيني على صفحات البلاغ ليخف عتبي عليك !

— سأقولها يا مولاي لجميع الناس . وسأملأ بها مسامع الأرض والسماء

— إسمع يا مبارك . إسمع ، إن أدبك في هذه المحنة سيتأهل جائزة سنية . جائزة تذكرني بها طول حياتك . وقد تكشف لك عن أشياء من غوامض التاريخ القديم ، وهو التاريخ الذي أرادت شراستك أن تجعله ظنوناً في ظنون !

— أعظم جائزة أتلقاها من أستاذي هي رضاه عني

— الجائزة العظمى لمن كان في مثل أدبك أن تهدى إليه النسخة الوحيدة من كتاب شيث بن عربانوس . أما رضاي عنك فهو مضمون مضمون

ومضى الباشا لإحضار الهدية ، ثم عاد ومعه كتاب في أكثر من خمسمائة صفحة بالخط الكوفي ، وهو مجلد على طراز المصاحف المحفوظة بدور العاديّات[1]

أقبلتُ على الكتاب بلهفة وشوق ، ثم لاحظتُ أن منزلتي عظمت في قلب زكي باشا حين رآني أقرأ الخط الكوفيّ بلا عناء ، وعندئذٍ تذكرت جناياتي على نفسي وعلى مصيري في هذا الوجود

وما تلك الجنايات ؟

سأتكلم بصراحة لأخدم قرائي ، فقد يكون فيهم من انحرف عن طريق النفع كما انحرفت

يعرف الناس أني مِثال الحرص على طلب العلم والأدب ، وتعرف مكتبتي أني صديق يزورها في كل يوم ، ويعرف قلمي أني أخلو إليه في كل ليلة ساعة أو ساعتين

فكيف تخلفتُ مع ذلك الحرص ؟ وكيف جاز أن أكون واحداً من الناس ، وكفاحي يوجب أن أكون أوحد الناس ، لو نجوت من ذلك الانحراف ؟

يرجع التخلف الذي أعانيه إلى أني أقبلت على علوم وفنون يُقبل عليها أكثر الناس ، ويَصعُب فيها الادّعاء ، لأن عليها رقباء يعدّون بالألوف

أردت التفوق في علوم اللغة العربية فوصلت إلى أشياء ، ولكن علوم اللغة العربية مبذولة لجميع الطالبين ؛ وليس من العسير أن يكون لي نظراء في كثيرٍ من البلاد

وأردت التفوق في الدراسات الجامعية فنِلت إجازة الليسانس مرة وإجازة الدكتوراه مرات . ولكن الدراسات الجامعية لم تَعُد من الأسرار ، فمن السهل أن يكون لي فيها منافسون

وأردت أن أكون من كتاب اللغة العربية وشعرائها وخطبائها فكان ما أردت . ولكن هذا الميدان محفوف بالأخطار في كل صباح وفي كل مساء بسبب نشاط الزملاء

وأردت أن أتفوق في اللغة الفرنسية فبلغت ما أريد . ولكن اللغة الفرنسية يجيدها ألوف أو ملايين . فأين مجال التفرد والازدهاء ؟

آه ، ثم آه ! !

كان الرأي أن أقصر جهودي على اللغات الميتة ، وهي لغات يدّعيها من شاء كيف شاء ، بلا رقيب ولا حسيب . ألم تسمعوا أن في الناس من يزعم أنه يجيد عشر لغات من لغات القدماء : كاللاتينية واليونانية والديموتيقية والسريانية والبابلية والحبشية والسنسكريتية والفهلوية ، إلى آخر ما تعرف الأنظمة الجامعية ؟!

من الذي يحاسب مدرس اللغة اللاتينية إذا أخطأ ؟ ومن الذي يجادل مدرس اللغة الديموتيقية إذا انحرف ؟ ومن الذي يراجع مدرس اللغة البابلية إذا حاد ؟ ومن الذي يتقدم فيردع من يخلط بين النصوص الحبشية والحميرية ؟

عرفت فيمن عرفت رجلاً يعجز عن كتابة صفحة سليمة باللغة العربية ، مع أنه من أبوين عربيين ، ولم يمنعه ذلك الضعف

(١) صفحات هذا الكتاب غير مرقمة وما قدرتها بخمسمائة إلا على وجه التقريب ، ولو كان للعدد أهمية لعددته صفحة صفحة قبل أن أكتب هذا الحديث

من أن يكون أستاذ اللغة البابلية فى إحدى الجامعات الأمريكية !

وعرفتُ فيمن عرفت شخصاً يتصدَّر لتدريس إحدى اللغات الميتة فى كلية تحيط بها حديقة بالقرب من نهر له مكانة فى التاريخ ، وهو شخص لا يجيد لغة قومه الأحياء . فكيف يسهل عليه فهم لغة مات أهلوها منذ أزمان ؟

لو أنى التفت إلى هذه الناحية لأرحت نفسى من منافسات لا تطاق .

كان من السهل أن أتعلم الأبجدية من إحدى اللغات الميتة . فالأبجدية تكفى للتفوق فى اللغات البوائد ! !

وهل فضح فلان لأنه أخطأ عشر مرات فى خمسة سطور كتبها باللغة العربية إلى عميد إحدى الكليات بأحد البلاد ؟

هو متخصص فى اللغة الأكادية ، أو اللغة القنقلية ، فكيف يطالب بإجادة اللغة العربية ؟

وهل يستطيع أحدٌ أن يطالب الدولة بمحاسبة هؤلاء ، وهو يعرف أن الدولة تريد أن تسامى الأمم الأوربية والأمريكية فى الحذلقة الجامعية ؟

الدولة على حق والشاهد الآتى يؤكد ذلك الحق :

قال فلان : القنقلون كلمةٌ آرامية ، وهى الكنكلون فى السريانية ، والفنكلون فى البابلية ، والكنفلون فى الآشورية ، ومعناها القنقلون ، والوصف منها متقنقل ومتكنكل ، ومتفنكل ، ومتكنفل ، على خلاف فى صياغة الأوصاف

ومن أجل هذا العلم الغزير تنفق الدولة ما تنفق لإحياء لغات ماتت فى بلادها الأصيلة بسبب انعدام الحيوية ، وعلينا نحن أن ننفض عنها أتربة القبور ، لأننا موكلون ببعث الأموات

الأوربيون يدرسون اللغة اللاتينية واللغة اليونانية ليعرفوا أصول لغاتهم ولينقلوا ما فى هاتين اللغتين من نفائس الآداب .

وقد عرفَت اللغات الحية فى أوربا خير ما أُثِر عن اللاتينية واليونانية ، ونحن لن ننقل تلك الآثار إلى لغتنا إلا عن الفرنسية أو الإنجليزية ، فما الموجب لقتل الوقت فى درس لغات ميتة لن ننقل عنها أى حرف ؟

يضاف إلى ذلك أن الشواهد تنطق بأن الشبان الذين قهرناهم على درس اللغات الميتة قد ضاعوا على مصر وعلى أنفسهم من الوجهة العقلية ، وإن كانوا أساتذة محترمين ، وكيف لا نحترم من يعرف من أسرار القنقلون ما لا نعرف ؟

أتريدون الحق ؟

الحق أن مصر تبتدئ من حيث انتهى الناس

والحق أن مصر تحاول أن تخلق من الدراسات الجامعية لوحة إعلانات عن قربها من العقلية الأوربية ، وكأنها لم تسمع أن أوربا بدأت تنفض يديها من التعصب للأموات

لو أن ما أُنفق على درس اللغات الميّتة كان أُنفِق على ترجمة ما أُثِر من تلك اللغات لظفرنا بنفائس تزيد فى ثروتنا الذوقية والأدبية ، ولكننا أطعنا الوهمِ فأضعنا أموال الدولة وأعمار الطلبة فى شؤون قليلة النفع والغناء ، مالى ولهذا ؟

أنا أضعت الفرص السوانح فى درس أبجديات تلك اللغات ، وهى فرص لن تعود ، فما تستطيع الأمة بعد اليوم أن تنفق درهماً فيما لا يفيد ، إن صح أن الأمة صحَتْ من غفوتها فأدركت الفرق بين ما يفيد وما لا يفيد !

إن زكى باشا طرب حين رآنى أقرأ الخط الكوفى بلا عناء ، فكيف يكون حاله لو نظر فرآنى أقرأ الخط السنسكريتى ؟

وهل أجهل الخط السنسِكريتى ؟

أنا أعرف منه ما لا يعرف فلان ، فليجادلنى فيه إن استطاع !

إفتحوا أعينكم يا بنى آدم من أهل هذه البلاد ، واعرفوا أن الحذلقة الجامعية لن تنفعكم فى كثير أو قليل ، وتذكروا جيداً أن العلم الصحيح هو علم هذا الزمان ، وستأثم الجامعة المصرية إن شُغلت عنه بأوهام التاريخ

إسمعوا قبل أن لا تسمعوا ، فأنا أخاف عليكم أشياء لا تخطر لكم فى بال ، وهذا نذيرٌ من النُّذُر الأولى يصوّبه إلى عقولكم كاتب يبغض المداهنة والرياء .

(للحديث شجون)

زكى مبارك

حكم فى قضية الجنحة المستأنفة رقم ٩٧٢١ سنة ١٩٤٠ بتاريخ ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٤٠ ضد شمس الدين الخطيب ومحل سكنه الأزبكية بتغريمه ٥٠٠ مليم لبيعه سكراً بسعر أزيد من التسعيرة

حكم فى القضية ن ١١٤٥ عسكريه طنطا سنة ٩٤١ ضد محمد محمد عوانى بغرامة ٣ جنيه والنشر بتاريخ ٢٦ نوفبر سنة ٩٤١ وذلك لبيعه ذره بسعر أكثر من المحدد

حكم فى قضية الجنحة مستأنفة رقم ٢٦٣٩ سنة ٩٤١ بتاريخ ٢٦/٣ سنة ٩٤١ ضد محمد ابراهيم على ومحل سكنه شارع السنيه بتغريمه ٢ جنيه لبيعه فحماً بسعر أزيد من التسعيرة

محمد بن عبد الله الجبلى الباطنى

للدكتور جواد على

اتخذت محمد بن عبد الله (أو عبدون) الجبلى موضوعاً لحديثى ، لأن الجبلى من الشخصيات الفذة التى يجب أن تدرس ويجب أن تقرأ ويجب أن يذكر عنها شىء ، وذلك بالرغم من إهمال المؤرخين والمترجين شأن هذا الفيلسوف وغضهم النظر عنه ؛ فلم يذكروه إلا عرضاً ولم يحفلوا به إلا قليلاً ، وبالرغم من إعراض قومه وهم سكان الأندلس وعرب الغرب عنه وإغفالهم أمره لسبب كانوا يذكرونه بمرارة عنه ، وحقد قديم كان قد علق فى قلوبهم ضد فيلسوفهم ؛ ذلك لأنه كان يدين بعقيدة تختلف نوعاً ما عن عقيدتهم ، ويقدس فيلسوفاً أعجمياً غريباً تقديساً يكاد يصل حدود الغلو والإغراق ؛ وهذا ما كان يزعجهم ويؤذيهم[1]

وكان هذا الفيلسوف الأعجمى الغريب الذى قدسه محمد ابن عبد الله بن ميسرة (مسرة) ابن نجيح القرطبى[2] هو الفيلسوف اليونانى بندقليس أو أبيذقليس أحد فلاسفة اليونان القدماء وأول الفلاسفة الخمسة الذين وضعهم العرب فى قائمة الحكماء اليونانيين الممتازين[3] وقد ميّز هؤلاء عن بقية الفلاسفة بنعوت تدل على مقدار تقدير العرب لهم وإعجابهم بهم . نعتوهم مرة (بالحكماء الخمسة) ونعتوهم أخرى (بأساطين الحكمة[1]) . سلكوا فى ذلك سبيل اليونانيين ونهجهم . وكان اليونان قد اختاروا قديماً سبعة أشخاص الفلاسفة القدماء لقبوهم « بالحكماء السبعة » وأسبغوا عليهم صفات فى العلم والاطلاع والحكمة تكاد ترفعهم من صفوف البشر إلى صفوف سكان السموات[2]

وقد ميز العرب أيضاً بين هؤلاء الحكماء فجعلوا أفلاطون مثلاً رئيساً على الحكماء الإشراقيين[3] . وجعلوا أرسطو زعيماً على رأس الفلاسفة المشائين المعروفين[4] . وأحاطوا هؤلاء الفلاسفة الحكماء بهالة من التقديس والتعظيم ، وزادوا على زمان بعضهم أزمنة ليزيدوا على رأيهم فى كثير من المسائل التى تستهويهم تعظيماً وفى شأنهم شأناً، فقالوا عن بندقليس مثلاً إنه كان فى زمان داود النبى ، وأنه أخذ الحكمة عن لقمان بالشام ، إلى أمثال ذلك من روايات[5] . ولعل مصدر ذلك الكتب التى دونها أتباع مذهب هذا الفيلسوف والتى وجدت لها سبيلاً إلى اللغة العربية ، والذين كانوا لا يكتفون بالمبالغات عن زعيمهم بل نسبوا إلى زعيمهم المعجزات والكرامات والقدسية الإلهية ، وقالوا بأن أرواح الآلهة حلت فيه[6]

وكان صاحبنا محمد بن عبد الله الجبلى الباطنى كلفا بفلسفة بندقليس دؤوباً على دراستها ملازماً لها مجاهراً بغرامه العلمى هذا ، فاتهمه أبناء قومه لذلك بالزندقة والإلحاد ، وغضبوا عليه حتى اضطر إلى الخروج إلى المشرق فاراً سنة سبع وأربعين وثلثمائة (٩٥٨م) ودخل البصرة ومصر ودبر مارستانيهما وتمهّر فى الطب ونبل فيه ، وأحكم كثيراً من أصوله ، وعانى صناعة المنطق عناية صحيحة[7] واشتغل بملاحاة أهل الجدل وأصحاب الكلام

(١) راجع طبقات الأمم لابن صاعد الأندلسى طبعة بيروت سنة ٩١٢ ص ٢١ وأخبار الحكماء لجمال الدين بن القفطى ص ١٣

(٢) كذا ورد فى أخبار الحكماء ص ١٣ طبعة مصر مطبعة السعادة سنة ١٣٢٦ وورد فى كتاب طبقات الأمم لابن صاعد الأندلسى فى المتن محمد بن عبد الله بن مسرة الجبلى الباطنى ص ٢١ وورد محمد بن عبدون الجبلى فى ص ٨١ من نفس الكتاب ؛ وورد فى كتاب طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ج ٢ ص ٤٦ محمد بن عبد الله بن مرة الجبلى راجع أيضاً الحاشية رقم ١١ من ص ٢١ من طبقات الأمم

(٣) وهو الفيلسوف اليونانى بندقليس أو أبيذقليس وورد أيضاً أنبادقليس راجع طبقات الأمم ص ٢١ وكتب الفلسفة القديمة . وهو الفيلسوف اليونانى الصقلى المعروف Empedokles عاش بين عام ٤٩٠ وعام ٤٣٠ الميلاديين وكان له أتباع يحترمونه كثيراً ويقدسونه إلى درجة العبودية ويعتقدون بمعجزاته وبتناسخ الأرواح . وله أشعار قالها لأغراض تعليمية منها مجموعة يطلق عليها اسم Physika تبحث فى الفلسفة الطبيعية وأخرى تعرف باسم Kathrmoi راجع عنه كتاب الأستاذ كافكا Kafka وعنوانه : Zur. Physik des E. in Philolopus J. G. 78 1923

(١) طبقات الأمم ص ٢١ وابن القفطى ص ١٣ وابن أبى أصيبعة ج ١ ص ٣٦ F

(٢) راجع H. Diels. Fargmente der Vorsok Ratiker. Bd. 2. 4. a. 1922

(٣) اصطلاحات الشريف الجرجانى ص ٦٣

(٤) مصطلحات الجرجانى ص ٦٣

(٥) راجع طبقات الأمم ص ٢١ وأخبار الحكماء ص ١٢ وراجع الكتب التى تبحث عن أخبار الأولين

(٦) راجع Schmidt. Philosaphi. Wörterbuch. S و 148.

(٧) راجع طبقات الأمم ص ٨١

واتصل بأساطين هذه المواضيع ؛ وهذا ما زاد فى قوة علم صاحبنا قوة وفى منطقه فصاحة وبلاغة[1]

ذهب أصحاب بندقليس مذهب الفيثاغورثيين فى العدد وفى الرموز والإشارات وتناسخ الأرواح . حولوا الفلسفة من فلسفة ظاهرة واضحة ذات قواعد معينة إلى فلسفة ورموز وإشارات وأسرار دينية [2] فانتقلت هذه الفلسفة من الفيثاغورثيين إلى المسلمين فظهرت فلسفة قائمة بذاتها اعتقدها جماعة من المسلمين حتى العصور المتأخرة[3] واكتسبت صبغة خاصة دينية لدى جماعة «الحروفية» من المسلمين[4] . ونظراً لغموض تعاليمهم الفلسفية هذه أطلق عليهم اسم « الباطنية » أيضاً وهم غير الباطنية المعروفين الذين كان منهم الاسماعيلية ، وإلى الباطنية الفلسفية نسب صاحبنا محمد بن عبد الله الجبلي

اتصل محمد بن عبد الله أثناء إقامته ببغداد بشخصية كبيرة من شخصيات العلم فى العراق هى شخصية محمد بن طاهر أبى سليمان ابن بهرام السجستانى البغدادى، وهى شخصية كبيرة ذات مركز مهم خطير فى عالم المنطق والجدل . فاستفاد الباطنى منه كثيراً وتعلم من هذا الأستاذ فن الإقناع والتأثير فى الجمهور والقدرة على البحث فى شتى المواضيع المتنوعة ، وكانت له قابلية عجيبة على التأثير فى المستمعين : له لسان خلاب يتوصل به إلى حرارة، وقابلية عجيبة على إبداء الحجج والإقناع . فلما عاد إلى وطنه الأندلس أظهر النسك والورع والتقوى واغتر الناس بظاهره واختلفوا إليه وسمعوا منه وتكونت له جماعة التفت حوله ودانت بعقيدته وظلت تلازمه وتجتمع به سراً حتى توفى ١٥١)[5]

حمل الجبلى إلى الأندلس منطق السجستانى وقواعد أهل العراق فى الجدل والمناظرة ، وقد جدد بذلك ما كان قد بدأ به محمد ابن إسماعيل المعروف بالحكيم[1] ، وعبد الرحمن بن إسماعيل بن زيد المعروف بالإقليدى ، وهو صاحب تأليف مشهور لدى أهل الأندلس فى اختصار الكتب الثمانية فى المنطق[2] ، وعلى بن أحمد بن حزم وكان من أهم أركان هذه الحركة فى الأندلس فقد انصرف هذا العالم هو وابنه من بعده خاصة إلى المنطق دون سائر الفلسفة[3] إلا أن هذه الحركة لم تكن مستقلة كتلك الحركة التى ظهرت فى الشرق ولم تكن قوية . كان عماد منطق أهل الأندلس على منطق أهل العراق وعلى الأخص منطق السجستانى ومنطق متى ابن يونس[4] والفارابى وأمثالهم من زعماء هذه الزمرة

حاول علماء الشرق أن يرفعوا المنطق إلى مصاف علم الفراسة أو علم النفس ، حاولوا أن يستدلوا به على معرفة دخائل أمور الفرد وطراز تفكيره ، وحاولوا أن يجعلوه سلاحاً ماضياً بأيديهم يسكتون به الخصم ، حتى أطلق عليه الرئيس الفيلسوف ابن سينا « علم الفراسة » فى رسالته « قصة حى بن يقظان »[5] . أما أهل الغرب فكانوا يرون فيه — وعلى الأخص رجال الحكم والسياسة — شيئاً لا يليق بأهل التقى والدين[6]

جواد على

(١) راجع أخبار الحكماء ص ١٣

(٢) راجع Frank. Plato u. die. Sog. Pythagoreer. 1923

(٣) راجع 138 و Max. Harten. Die Philo. des Is'am. S

(٤) ومن هؤلاء كان فضل الله الاستراباذى وكان قد بحث فى إيران عام ١٣٨٦ عن المعنى والحروف والاتحاد راجع عنه Rœmer. Babi-Bahai. Gipp. moworidl. nr. q

(٥) يقول ابن القفطى فى ص ١٣ إنه توفى عام ٣١٩ للهجرة وهذا خطأ يظهر أنه من الطابع لأن الجبلى كان فى عام ٣٤٧ هـ فى العراق كما ذكرنا . كذلك تذكره الكتب بعد هذا العهد أيضاً

(١) توفى عام ٣٣١ هـ ٩٤٣ م . طبقات الأمم ص ٦٦

(٢) طبقات الأمم ص ٦٨

(٣) طبقات الأمم ص ٧٥

(٤) نفس المصدر ص ٧٧ راجع عنه الفهرست لابن النديم ص ٣٦٨ وكتاب تتمة صوان الحكمة للبيهق (طبعة لاهور ١٣٥١ هـ) ص ١٤

(٥) طبعت هذه القصة عدة طبعات والتى عولنا عليها هى طبعة مطبعة السعادة بمصر عام ١٩١٧ بعنوان (جامع البدائع)

(٦) فى زمان الحاجب المنافرى مثلا حيث اضطهد الفلاسفة وأصحاب المنطق راجع طبقات الأمم ص ٦٦ والكتب المؤلفة عن الأندلس

الديمقراطية ومستقبلها

للأستاذ محمود تيمور

الأصل في الديمقراطية أن يحكم الشعب نفسه بنفسه ، لا رئيس ولا مرءوس ، ولا قاض ولا محكوم ؛ فقد ابتدع بعض مفكري الإغريق هذا النظام كأنه حلم خيالي لتحقيق العدالة ، وإيجاد نوع من المدينة الفاضلة ، حيث يعرف كلٌّ حقه لنفسه ، ويؤدي واجبه لغيره ، فيرتفع الظلم ، ويعيش الناس إخواناً

وقد تطور هذا المعنى للديمقراطية تطوراً ينزل به من آفاق الخيال ، فأصبح رمزاً للنظام النيابيّ ، إذ ينتخب الشعب من بين ثقاته نواباً يتولى مجلسهم مراقبة الحكومة فيما تأخذ وما تدع ، ويحث الحكام على تحقيق الأغراض التي يدعو إليها الصالح العام . وهذا النظام يختلف باختلاف البلاد وخصائص الأمم ، فكان في اليونان جمهوريات متعددة تعدد المدائن . وكان في الرومان يتمثل في مجالس الشيوخ والأعيان : وهو في العهد الأخير : ملكية ديمقراطية كما في انجلترا . وجمهورية ديمقراطية كما في فرنسا ، والمدلول في كل هذا واحد ، وهو أن تكون بيد الشعب مقاليد حكمه ، وإليه يصير الأمر في الهيمنة والسلطان

ومما بعث مفكري الأمم وساستها على اقتراح هذا النظام ، رغبتهم في أن يدرأوا طغيان بعض الطبقات على بعض ، فارتأوا أن النظام النيابي كفيل بضبط الحقوق العامة ، وبسط المساواة بين الناس

ونحن إذا نظرنا إلى هذا الأسلوب في الحكم من ناحية تَمَثُّلِه في هيئات نيابية صحيحة ، لم يقم شك في أن العرب الأولين لم يعرفوه ؛ فلقد كانوا في رحاب الصحراء يعيشون على نظام القبائل ، وكانت العصبية والأنفة تحول بينهم وبين الاندماج ، فكل قبيلة تتفرّد بأبنائها ، وتعتز بحرياتها بقدر ما لها من سطوة ونفوذ ؛ وكل شخص يتفرد بنفسه ويعتز بحريته في حدود ما تفرضه عليه قبيلته من واجبات وتبعات . فلما جمع الإسلام شملهم كان من العسير إخضاعهم لنظام نيابيّ كالذي شاع عند الإغريق ، لأنهم حديثو عهد بالنظام القَبَلِيّ ، وما يزال فيهم من العصبية الجاهلية أثر . وليس يعيب الأمم العربية أنها عدلت عن أسلوب الإغريق في الحكم ، واقتربت من أسلوب الفرس ؛ فإنما تصطنع الأمم من نُظم السياسة ما يلائم البيئة والطبع

ولكن الدول العربية التي لم تتخذ مظاهر الحكم الديمقراطي كما رسمه واضعو هذا النظام ، كانت في حقيقتها وجوهرها — في كثير من العهود — حافلة بثمرات الديمقراطية في القيام على صوالح الرعية . فالخلفاء والأمراء الذين حكموا البلاد حكماً قد يعتبر أوتقراطياً في المظهر ، كانوا يتبعون تعاليم الإسلام في التشريع والتنفيذ ، وهي تعاليم ديمقراطية الروح . ولذلك نعم الناس في ظلال هذا الحكم عهوداً كثيرة بالمساواة في الحقوق والواجبات ، وبالحريات الفردية في تصريف الشئون . وكان الحاكم حريصاً على ذلك ابتغاء مرضات الدين ، واستجلاباً لتأييد الأمة ، عليه من ذمته وضميره رقيب فوق رقابة الرأي العام . فإن أخل بشرائط العدالة ، وتجافى عن النزعة الديمقراطية في السياسة ، ثارت عليه الأمة حين تُمْكِنها الفرصة ، واستبدلت به حاكماً يوفر لها حرياتها على النهج القويم

والآن نسأل : هل يصلح النظام الديمقراطي للحكم ؟ الحق أن هذا النظام الديمقراطي القائم على أساس الانتخاب النيابي أفضل نظام عرف حتى اليوم لنشر العدالة العامة ، ودفع الطغيان الحكومي ، ولكنه لا ينتج نتاجه الطيب في الأمم العربية إلا إذا توافر له أمران : الأول ، قلة الأحزاب ، فإن الأحزاب ضرورية للتنافس والمراقبة ، ولكن الإقلال منها ضروريّ أيضاً لما أدت إليه كثرتها من اضطراب وزعزعة في الحكم . والأمر الآخر : تربية الشعب ، فلا بد أن يكون على درجة من الثقافة والتربية الخلقية والاقتصادية يتمكن بها من الهيمنة على نفسه ، وانتخاب الأكفاء الصالحين للنيابة عنه

ولسنا ننكر أن الإصلاح في ظلال الحكم الديمقراطي بطيء الخطا ، وذلك لخضوعه للرقابة وما تتطلبه من تعدد جهات النظر ؛ إلا أنه على أية حال يأتي بالنتائج المرضية ، وهو أوفى نظام يقر الطمأنينة في نفوس الأمة على اختلاف طبقاتها . وإذا اجتمعت

مطالعاتي حول المدفأة

ساحرة الجبـــال

للأستاذ صلاح الدين المنجد

نعِمْتُ الليلة بزورة من آنستى . فجنوتُ حديقة أبيقور[1] ، وكنتُ أرتع فيها منذ ثلاث ، وجلست بين يديها ؛ فهى كتاب حى كله إبداع وإغراء . وهى بسّامة جذّابة ، كأن جسمها الأهيف ظَرْفُ فتونٍ وعطور ، وكأن ثغرها الحبيب جمرة ترفّ ولهب بفور . ولا سبيل إلى الإنكار فهى حلوة بارعة الجمال

دخلت علىّ تقفز وتضحك ، وإذا ضحكت آنستى ، فالدلّ الناعم ، والنَّغم الجذاب . فرمت قفازها فى الأرض ، وفراءها الأشقر على نضد الزهور ، واقتربت من المدفأة جذلى وهى تقول :

— مررتُ ، وأنا آتية إليك ، بعجوز . فدفعتُها فانغمست فى الطين !

ثم قهقهت ، فقلت

— أوه ... ! ولم إذاً ؟ ...

— طلبت قرشاً وألحت ، ثم أمسكت بفرائى ، فزجرتها ، فتبعتنى ، فدفعتُها وأسرعت !

وآنستى لعوب يروقها أن تعبث بالعجائز كلما صادفتهن ، فتغمز بهنّ ، وتسخر منهن ، كأن ثاراً لا يدرك بينها وبينهن .

قلت لها وقد جلست أمامى تجعّد شعرها والمقعد يصيح تحتها:

— أراكِ مسرورة ، ألا تخافين ؟

— هه ... ومما أخاف ؟ ...

— أن يصيبك — مثلاً — ما أصاب الأميرة التى طردت الساحرة العجوز لمّا سألتْها قطعة من اللحم

— وماذا أصابها ...

— انقلبت عجوزاً ذات شعور بيض ، وأسنان دُردُ ، بعد أن كانت فتّانة الصبا جذابة الجمال

فضحكت ضحكة طويلة ... وقالت مستغربة :

— وكيف صارت عجوزاً ؟

— قلبتها ساحرة الجبال ... لأن العجائز معونات محوطات ، ما آذاهن أحد إلاّ مسّه السوء ...

— وكيف كان ذلك ... ؟

— لا تسخرى ، إصغى إلىّ ، أقرأ عليك قصّتها :

(١) Jardin d'Epicure. A. Frauce.

لتنفيذه أيد رشيدة وقلوب مخلصة كان أحسن نظام لإقرار العدل وابتغاء النفع العام

فأما القول بأن الديمقراطية أعلنت إفلاسها فى سوق الحكم ، فهو قول يلقى على عواهنه فى غير تبصّر ، لأنه حكم الواقع الوقتى بحالته الخاصة . وما الديمقراطية إلا نظام يجب أن تجرى عليه سنة التطور ؛ ولكن روح الديمقراطية حقيقة صالحة يجب أن تبقى وأن ترعى . والذى أنكرناه قبيل هذه الحرب الراهنة ، مما سميناه إخفاق الديمقراطية ، كان خليطاً من الأسباب والآثار ، منها ما أعقب الحرب الماضية من اضطراب الميزان الاقتصادى ، وتزايد العمال المتعطلين نتيجة تغلب الآلة على الأيدى العاملة ؛ أضف إلى ذلك تفشى الآراء الخيالية فى إيجاد نظام يضمن المساواة الاقتصادية بين عامة الناس . وواضح أن ذلك ليس وليد الفساد فى النظام الديمقراطى وإنما نشأ من عوامل عمرانية واجتماعية اقتضاها تطور الحياة

فالديمقراطية لم تستطع إزاء هذه المشكلات أن تحل عقدتها بالسرعة الواجبة لها ، لطبيعة البطء فيما تعالج من حلول . ولم يدركها فى ذاتها التطور المنشود حتى تعالج بعقلية جديدة تلك المشكلات الإنسانية الناشبة ؛ فانطلقت الطبيعة البشرية ثائرة فائرة ، تبغى نظاماً فى الحكم يستقيم به الميزان الاقتصادىّ والاجتماعى ، ويرفرف به الرخاء الممكن على مختلف الشعوب

وإذا جاز لنا أن نقدر ما يجئ به الغد المرتقب رجحنا أن تتمخض هذه الثورة العالمية عن المحافظة على الروح الديمقراطى الصالح ، مع تجديد فى نظام الحكم . ومعنى ذلك أن تتطور الديمقراطية تطوراً يوائم البيئة الجديدة والعقلية الجديدة التى تسود بعد هذه الحرب القائمة . وإننا لنلمح من الآن بوادر هذا التطور فى الأمم الديمقراطية العريقة

واليقين أن العالم سيشهد فى مستقبله السلمى نظاماً مستحدثاً يمكّن للسعادة بقدر المستطاع بين طبقات الشعب ، ولكن هذا النظام ستحل فيه روح الديمقراطية دائماً .

محمود نيمور

وتناولت كتاباً من جانبي وقرأت[1] : « ها هي ذي تترك كهفها المظلم ، مأوى الخفافيش ، لتحدر إلى السهل من مهاوى الجبال ، وتزور القصور والسفوح .

« إنها قصيرة ، قصيرة جداً . تلبس رداء من جلد الذئاب ، وتسعى وراء الفلوس والقروش ؛ فهي عطشى للمال على رغم غناها . لقد قالوا إن الغيران التي تملكها في الجبال مترعة بأساور من فضة بيضاء ، وإن بقراتها ذوات القرون المذهبة ترعى في الأهاضيب الخضر ، على شطآن السهول .

« لقد عجب الناس إذ رأوها ، وقالوا : ماذا أتت تفعل في السهول ، ولِمَ تركت كهوف الذئاب ... ؟

« إنها عجوز هرمة . يا بُعد وجهها الأصفر القبيح ، الرقاق بالدهون ، وأنفها الغليظ النافر ، وعينيها الصغيرتين الوامضتين تحت الأوساخ كالجمرات تحت الرماد . . . يا بعد ذلك من صباحة العذارى وحلاوة الفتيات !

« لقد زعموا أن لها من العمر مئات السنين ، وأنها قادرة على إنزال البَرَد وإيماض البرق . وهي تضلّ القطعان ، وتسلّط الذئاب على الخرفان ; وفي إكرامها الخير والبركة ... فمن حقّرها فجزاؤه أن ينفر الحصان ، ويحترق الكوخ ، وتُمل البقرة ، وتجنّ الزوج ...

« يا ويحها ! لِمَ هبطت من ذرى الجبال ... ؟ لِمَ تركت غيران الذئاب ...؟ ولماذا يصحبها البوم ، وترف حواليها الخفافيش ، وتخرج الحدآت فيملان الأفق ويغزون الدور والقصور ... ؟

« إنها تمشي مطمئنة ، لا تخاف شيئاً ولا تفزع من مخلوق ، وها هي ذي تصل إلى قصر الأميرة الشامخ ذي العُمُد البيض والجدران الشواهق

« وداست بحذائها الغليظ المصنوع من قشور الأشجار العتاق مماشي الحديقة المطرّزة بالأزهار ، ثم صعدت السلم إلى الطبقات العُلى

« وكانت الأميرة في روشن القصر تتمتع بروعة السماء وأنفة الرياض ، وقد حمل لها خدمان قطعاً من اللحم المشوى ذي الرائحة الطيبة ...

« وبدت العجوز ومدت يدها إلى اللحم ...

وشدهت الأميرة فنادت :

— ويلك أيتها العجوز السارقة ... اذهبي ...

فقالت العجوز :

— أعطيني قطعة لحم ... أعطيني ...

— مجنونة ... سارقة ... أخرجوها ... !

— أعطيني قطعة من اللحم الأشقر المشوى ...

— لا ... لن أعطيك يا عجوز القبح ... لن أعطيك ... فاذهبي ... أطعمها للخفافيش ولا تذوقين طعمها ...

واضطربت العجوز ، ثم أخرجت قضيبها الأخضر المسحور وتمتمت وبربرت ، ثم قالت :

— إذن فلتفترسك الخفافيش !

وكنت أرامق آنستي وأنا أقرأ لها ، فرأيتها قد فغرت فمها الصغير ، وتوردت وجنتاها الريانتان ، وحملقت عينيها الناعستين ، فبدت كالطفل المذعور ، فقالت :

— ثم ماذا أصابها ... أتمم ... أتمم ... ؟ !

« وجمدت الأميرة من الخوف : أرادت أن تضحك فلم تستطع وحاولت البكاء فجمد الدمع ... !

« وأقبلت خفافيش الغاب ، مناقيرهن حمر ، يبتغين افتراسها وكن يضحكن ضحكات ملأى بالسخرية . تنشر الذعر وتبعث الخوف!

« لقد أسرعت الأميرة إلى مخدعها وأغلقت الباب ، ولكن رنين الضحكات واصطفاق الأجنحة كانا يُسمعان في كل مكان !

« وعاشت الأميرة فلم تر عيناها بعد ذلك اليوم عذوبة الصباح ، ومتوع السماء ، وفرح الحياة ... واختبأت في الظلام وراء السُجف الصفّاق خوفاً من الخفافيش

« وأصبحت بعد أيام ، وإذا شعورها تبيّض ، ووجهها يتجعد ، وإذا هي عجوز

« أين صباحتها الضاحكة ، أين شعرها الناعم ، أين جسمها الطرى ... أين ... ؟ »

* * *

ونظرتُ إلى آنستي ، فإذا بها قد اقتربت مني وأمسكت بيدى ، وإذا رأسها الجميل الأشقر يميل برفق ورقة على كتفي ... كأنما خدّرها دفء الهواء ، وأفزعتها خفافيش الغاب ، وأحزنها دفعها السائلة ، فخافت أن يدركها الهرم ، ويضحك في رأسها المشيب

نامي آنستي ... نامي ... ولا تفزعي ، فتلك أساطير وأوهام

« دمشق » صلاح الدين المنجد

---

(١) أنظر كتاب الكاتبة السويدية سلمى لاجروف : Selma Lagerlof
La legend de Gosat Berling. traduit et adaptée par André Bellesort.

٢٤ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد دليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل السادس — عاداتهم

يقوم الخادمات المصريات بأحقر الأعمال . ويغطين وجوههن في حضرة سادتهن فيسحبن بعض الطرحة على الوجه فلا يظهرن غير عين ويد للقيام بالعمل . وإذا ما استُقبل ضيف في حجرة من حُجر الحريم انسحبت النساء إلى حجرة أخرى وبقيت خادمة متنقبة لخدمته

تلك هي أحوال طبقات النساء المختلفة . ويجب علاوة على ذلك أن نصف عاداتهن وأعمالهن وصفاً سريعاً

لا تحرم الزوجات كما تحرم الجواري من امتياز تناول الطعام مع رب العائلة غالباً فحسب ، بل يجب عليهن أيضاً أن يقمن على خدمته أثناء طعامه أو عند ما يدخن شبكه ويحتسي قهوته في الحريم . وكثيراً ما تشتغل الزوجات كخادمات فيحشون الشبك ويشعلنه ويصنعن القهوة ويجهزن الطعام أو بعض الأصناف اللذيذة على الأقل . وإذا استطعت الحكم تبعاً لتجربتي الخاصة قلت إن أغلبهن طاهيات بارعات . وكما أوصى إلى بطبق صنعته زوجة مضيفي وجدته لذيذاً بصفة خاصة . وتهتم السيدات في الطبقات العليا والوسطى بإرضاء أزواجهن وجذب قلوبهم اهتماماً متواصلاً بحيل شتى . ويظهر دلال النساء حتى في مشيتهن العادية عند ما يخرجن ، بهز الجسم هزاً خاصاً . وتضبط الزوجات أنفسهن عادة في حضرة الزوج قليلاً أو كثيراً . ولذلك يسرهن ألا تتكرر زيارة الزوج للحريم أو تطول أثناء النهار . وكثيراً ما يستسلمن في غيابه إلى ابتهاج صاخب

ولا يختلف طعام المرأة عن طعام الرجل إلا في قلة مقداره ولا تختلف كذلك طريقة تناول الطعام . ويسمح لأغلب النساء أن ينعمن بترف التدخين . ولا يعتبر النساء ، مهما علا مركزهن هذه العادة غير لائقة بهن ، إذ أن رائحة أنواع التبغ الجيد المستعمل في مصر لطيفة جداً . ويلاحظ عادة أن شبك النساء أرشق من شبك الرجال وأكثر زخرفة . ويكون مبسم الشبك أحياناً من المرجان بدلاً من الكهرمان . ويستعمل النساء العطور مثل المسك وقط الزباد الخ وكذلك الأدهان بكثرة . ويستعملن بضعة عقاقير تؤكل أو تشرب للحصول على بدانة ملائمة[1] وبعض هذه المسمنات تثير الاشمئزاز إلى أقصى حد ، لأنها تتكون خاصة من الخنافس المسحوقة . وقد تعود كثير من النساء مضغ اللبان واللادن اللذين يطيبان النكهة ، كما تعودن كثرة الوضوء ، ليكن طاهرات . ولا يبذل النساء وقتاً طويلاً في التبرج ، وقلما يغيرن ملابسهن طول اليوم بعد أن يلبسن في الصباح . ويضفرن شعرهن في الحمام ولا يحللنه بعد ذلك عدة أيام



(شكل ٤٩) المنسج وهو يصنع من خشب الجوز المطعم بالصدف والعاج وأكثر المناسج شيوعاً ما يصنع من الزان

والاعتناء بالأطفال أول ما يهتم به السيدات المصريات ، وعليهن أيضاً إدارة الشئون المنزلية ؛ إلا أن الزوج وحده في أغلب الأسر يقوم بنفقات المنزل . ويقضي السيدات ساعات الفراغ غالباً في الأشغال بالإبرة ، وعلى الأخص في تطريز المناديل والطرح بالحرير الملون والذهب على إطار يسمى (منسج) أنظر شكل ٤٩ ، وتكسب الكثيرات ، حتى في منازل الأثرياء ، من تطريز

---

(١) لا يعجب المصريون بخلاف المغاربة وبعض الافريقيين والشرقيين بالمرأة المفرطة البدانة ، ويصف المصري عادة حبيبته في أغاني الحب برشاقة القد وهيف الخصر

المناديل وغيرها بهذه الطريقة إذ يستخدمن (دلالة) تبيعها فى السوق أو فى حريم آخر . وكثيراً ما تشغل زيارة حريم لحريم آخر اليوم كله تقريباً . ولا تخرج تسلية النساء عن الأكل والتدخين واحتساء القهوة والأشربة والثرثرة وعرض زينتهن . ولا يسمح لرب الدار فى مثل هذه الأحوال أن يدخل الحريم إلا لعمل خاص لا بد منه . ويجب عليه فى هذه الحالة أن يعلن قدومه ، ويترك للزائرات الوقت الكافى للاحتجاب أو الانسحاب إلى غرفة أخرى . وينغمس النساء فى المرح والبهجة لاطمئنانهن بالوحدة وعدم المفاجأة ، ولميلهن بطبيعتهن إلى الجذل والتبسط . وقد تقوم إحدى السيدات أحياناً بتسلية الجماعة عند ما ينضب الحديث العادى بسرد القصص العجيبة أو الفكاهية . وقلما يعلم السيدات المصريات الموسيقى أو الرقص، ولكنهن يتلذذن كثيراً بسماع محترفى الموسيقى والرقص ورؤيتهم . وكثيراً ما يسلين أنفسهن وضيفاتهن بالضرب على (الدرابكة) و (الطار) [1] إذا لم يتيسر وجود العازفين . ويندر ذلك فى المنازل التى يستطيع المارة أن يسمعوا منها أصداء الاحتفال . وكثيراً ما يستخدم القيان (العوالم) فى أى مناسبة تبهج النساء كميلاد طفل أو الاحتفال بختان أو عرس الخ . ولكن ذلك لا يحدث عند العائلات الجليلة فى المناسبات العادية لاعتبارها إياه مخالفاً للآداب . وقلما يقبل فى الحريم الغوازى اللاتى يعرضن رقصاتهن سافرات فى الشوارع ؛ ولكنهن يرقصن أمام المنزل أو فى الفناء فى مثل المناسبات السالفة الذكر ، وإن كان هذا يبدو للكثيرين غير لائق . ولا يستأجر (الآلاتية) دون غيرهم لتسلية النساء ، وإنما يستأجرون خاصة لتسلية الرجال ويعزفون دائماً فى مجتمعاتهم ، ويسمعون مع ذلك بوضوح داخل الحريم [2] .

***

يركب نساء الطبقتين العليا والوسطى الحمير عند ما يخرجن للزيارة أو لغيرها ويجلسن على براذع مرتفعة عريضة تغطى بسجادة صغيرة (أنظر شكل رقم ٥٠) ويسير فى ركابهن رجل

(١) سنصف هذه الآلات ونوضحها بالرسم فى فصل آخر

(٢) سنصف أصحاب الآلاتية والعوالم والغوازى فى فصل آخر

واحد أو اثنان كل منهما فى جانب . ويركب نساء الحريم جميعهن معاً الواحدة خلف الأخرى . ويظهرن وهن راكبات بالطريقة الموصوفة فى هيئة غريبة جداً . فيبدون غير مطمئنات فى جلستهن على هذا الارتفاع . ويطلق على الحمار [1] الذى يجهز



(شكل ٥٠) سيدات راكبات الحمير

بالبرذعة المرتفعة : (الحمار العالى) ولكنى أعتقد أن الحال ليست من الصعوبة بحيث تظهر ، فإن الحمار قد شد حزامه جيداً ورسخت مشيته فهو يسير ببطء وهو وحركة سهلة . ويركب سيدات الطبقات العليا كما يركب سيدات الطبقات الوسطى ، الحمير المجهزة بهذه الطريقة . ويندر أن يرين فوق البغال أو الجياد . وتكرى الحمير على العموم ؛ وإذا لم تستطع السيدة الحصول على حمار عال تركب آخر مما يركبه الرجال بعد أن يوضع على البرذعة سجادة . وكثيراً ما يفعل ذلك نساء الطبقة الدنيا ونساء الطبقة الوسطى . ولا يمشى السيدات أبداً فى الخارج إلا إذا قصدن مكاناً قريباً جداً ؛ فيمشين ببطء وارتباك لصعوبة الاحتفاظ بالخف فى أقدامهن ، ويمسكن أطراف الحبرة الأمامية بالطريقة الموضحة فى شكل ٢٧ . ويتمتع النساء سواء ركبن أم مشين بالاحترام الزائد عند العامة ؛ فلا يشخص إليهن حسن التربية وإنما يحول نظره إلى اتجاه آخر . ولا يرى النساء فى الخارج ليلاً أبداً إلا إذا اضطرهن إلى ذلك ضرورة ملحة . والقاعدة العامة أن يعود النساء من الزيارة قبل غروب الشمس . ولا يذهب سيدات الطبقة الراقية إلى الحوانيت أبداً وإنما يرسلن فى طلب ما يشأن . وهناك (دلالات) يدخلن الحريم لعرض أنواع الزينة وأمتعة النساء الخ . ولا يذهب أولئك السيدات إلى الحمام العمومى إلا إذا دعين لمرافقة

(١) ويسمى أيضاً (حمار مغطى)

بعض صديقاتهن إذ أن لأغلبهن حماماً فى المنزل[1]

أما الحياة المنزلية عند الطبقات السفلى فهى بسيطة إلى حد أنها بمقارنتها بحياة الطبقات الوسطى والعليا التى تكلمنا عنها الآن لا يفيدنا العلم بها شيئاً كبيراً

تتكون الطبقات السفلى من الفلاحين ، ما عدا فئة قليلة جداً تسكن المدن الكبيرة على الأخص . وأغلب هؤلاء الذين يسكنون المدن الكبيرة والقليل ممن يسكن المدن الصغيرة وبعض القرويين هم من صغار التجار أو أهل الحرف أو ممن يكتسبون معاشهم بالخدمة أو بمختلف الأعمال . وأرباحهم على أى حال طفيفة تكاد تكفيهم . وقد لا تضمن لهم ولعائلاتهم ضروريات الحياة

ويتكون طعام الطبقة السفلى على الأخص من الخبز المصنوع من الدخن أو الذرة، وثم من اللبن والبيض والفسيخ والخيار والشمام والقرع على أنواع كثيرة الاختلاف ، والبصل والكرات[2] والفول والحمص والترمس والعدس الخ ، والبلح الطازج والمجفف والمخللات، ويأكلون أكثر الخضروات نيئة . ويقطع الفلاحون كيزان الذرة عند ما تقرب من النضج ويأكلونها مشوية أو مطبوخة . ولا يدخل الفلاحون الأرز فى طعامهم العادى لغلو ثمنه . وقلما يذوقون اللحم . وينعم أغلبهم مع ذلك بترف تدخين تبغ بلدهم الرخيص الذى يجفف ويفرم . ولون هذا التبغ يضرب إلى الخضرة وهو لطيف العطر . وكثيراً ما لا يجد الفقراء غير (الدقة) التى وصفتها فى فصل سابق يغمسون فيها خبزهم بالرغم من بخس أثمان الأطعمة المذكورة آنفاً . ومما يثير الدهشة أن يكون الفلاح قوياً صحيحاً مع بساطة طعامه وقلته وما يعانيه من كد

وقلما يحيا نساء الطبقات السفلى حياة الخمول ؛ وإن بعضهن ليكد أكثر من الرجال . وأهم أشغال النساء تجهيز الطعام، وجلب المياه ، فى جرار كبيرة يحملنها على الرأس من الموارد وغزل القطن والكتان أو الصوف ، وعمل (الجلة) أقراصاً مستديرة مسطوحة من روث البهائم المخلوط بالتبن ، للوقود ، ويقمن هذه الأقراص على حوائط منازلهن أو فوق أسطحها أو على الأرض لتجفف فى الشمس ثم يستعملنها لوقود الأفران ولأغراض أخرى . ويخضع نساء الطبقة السفلى لأزواجهن أكثر من خضوع نساء الطبقات الراقية . ولا يسمح دائماً للمرأة الفقيرة أن تتناول الطعام مع زوجها . وإذا خرجت معه سارت وراءه . والعادة أن تحمل الزوجة كل شئ إلا الشبك أو العصا . ويفتح بعض النساء فى المدينة حوانيت يبعن فيها الخبز والخضر الخ . . . فيساعدن مساعدة الزوج أو أكثر فى الإنفاق على الأسرة . ويضع الفقير الذى يرغب فى الزواج مسألة المهر موضع الاعتبار . ويكون المهر عادة من عشرين ريالاً إلى أربعة أضعاف هذا المبلغ إذا كان نقوداً فقط ، ويقل إذا شمل بعض الملابس كما هو الحال فى معظم القطر المصرى . وقلما يتردد الفقير فى الزواج إذا استطاع أن يقدم المهر ، فأى مجهود إضافى يساعده على قوت زوجه وطفلين أو ثلاثة أطفال . ويصلح الأطفال عند سن الخامسة أو السادسة لرعى القطعان ، ويساعدون آباءهم فى أعمال الفلاحة عند ما يتقدم بهم السن إلى أن يتزوجوا . وكثيراً ما يعتمد الفقير فى مصر على أولاده الاعتماد التام لمعيشته فى سن الكهولة ؛ ولكن أغلب الآباء يحرمون من هذه المساعدة ؛ فيقضون حياتهم على السؤال أو يموتون جوعاً . وقد حدث من زمن غير بعيد أن ألقى محمد على مرساه فى قرية على شاطئ النيل أثناء سفر له من الأسكندرية إلى القاهرة ، فأسرع إليه رجل فقير وأمسك بكمه بقوة لم يستطع معها أحد من الحاشية منعه ، وشكا إليه أنه كان وقتاً ما فى رغد ، ثم تحول الأمر إلى عوز تام بتجنيد أولاده فى الجيش وهو كبير السن . فخفف عنه الباشا بأن أمر أن يعطى له أغنى رجل فى القرية بقرة .

وقد يكون الأطفال مع ذلك حملاً ثقيلاً على والديهم الفقراء ، ولذلك لا تجد من النادر فى مصر أن يباع الأطفال علناً بواسطة أمهاتهم أو نساء أخريات يستخدمهن الآباء لذلك . ولكن هذا لا يكون إلا فى حالة الضيق الشديد .

(يتبع)

عدلى طاهر نور

---

(1) منذ صدرت هذه الطبعة الثالثة أقامت أختى (مسز پول Mrs Pool) مع ولديها وزوجتى وأنا أكثر من سبع سنين فى القاهرة ، ونشرت سلسلة رسائل تحت عنوان (الانجليزيات فى مصر) عرضت فيها لنساء هذا البلد عند ملاحظاتها عن حريم الأتراك خاصة . وقد استقبل كتابها استقبالا حسناً لا يحوجه إلى توصية

(2) أنظر سفر العدد ۱۱ / ٥ (قد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله فى مصر مجاناً والقثاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم)

ساعة حب ..

للدكتور زكى مبارك

[قصيدة يغنيها الموسيقار عبد العزيز
محمود عن طريق الاذاعة اللاسلكية]

يامليكَ الحسن عزّتْ دولتُكْ ورعَتْ آلهةُ الحبِّ صِباكْ
شِرْعةُ الإسعاد فينا شِرعتُكْ وهُدى الإشفاق والعطف هُداكْ

* * *

أنتَ أنقذتَ فؤادى من جَواهْ وسقيتَ الروحَ أكوابَ الصفاءْ
آنَ أن يَنْسى فؤادى ما شجاهْ نَسَخَ الإقبالُ أيام الشقاءْ

* * *

ساعة مرّت وفى القلب هواكْ ساحرَ النغْمة خفّاقَ الجناحْ
يرشُفُ النّسمةَ من كأسِ لَماكْ فى ظِلال الأنسِ والصّفو المُتاحْ

* * *

سكِرتْ نجواكَ فى الروح الأمانْ وأرانى الوصلُ أسرارَ جمالِكْ
فتمثّلتُ فراديسَ الجِنانْ ورأيتُ الخلدَ منضورَ وصالِكْ

* * *

وقفَ النجْمُ وألْقى بالَهُ ليَعُدَّ اللَّمحَ من قلبى وقلبِكْ
ويْحَ هذا النجمِ ممّا هالَهُ فى ضمير الليل من حبى وحبِّكْ

* * *

غارتِ الأنجمُ من قلبى الطَّرُوبْ ما يقول الناسُ لو شاموا غرامى
أنا بالأفنانِ فتّانٌ لَعُوبْ يزدهينى الغىُّ فى تِيهِ هُيامى

* * *

شُبْهةٌ فى قلبكَ البِكرِ يلُوحْ طيفُها المُرتابُ فى إنسان عينِكْ
أنا يا مولاىَ لو تعلَمُ رُوحْ يهْصِر المطلولَ من مائدِ غُصْنِكْ

* * *

تَنْظُرُ الساعةَ من حينٍ لحينْ ليتَ شعرى ما الذى يَستعجِلُكْ
إن هذا الوصل أحلامُ سنينْ فاتّقِ الحبَّ ودَعْ ما يَشغَلُكْ

زكى مبارك

بين عهدين

للأستاذ سيد قطب

١ — العش المهجور

طِرْتَ عن عُشّكَ الجميلِ فأُوبى شَدّ ما اشتاقَ طيرُهُ أن تَؤُوبى!
كان دِفئاً وكان مَرتعَ صَفْوٍ فكساهُ الصَّقيعُ ثوبَ القُطوبِ
مُنْذُ غادرْتِهِ قدِ انتثَرَ الحُبُّ وطاحتْ به رِياحُ الهُبوبِ
وتخلّتْ عِنايةُ اللهِ عنهُ فهْوَ فى وَحشةِ الغريبِ الكئيبِ
ولَياليهِ شاجِياتٌ حيارَى يترامَيْنَ حولَهُ من لُغوبِ

٢ — نداء العودة

عُودِى إلى العُشِّ عودِى ورَفْرِفِى مِنْ جديدِ
ورنّمِى بالأغانى فى جَوِّهِ واستعيدِى
وأدفِئى بالأمانى ما مَسّهُ من جمودِ
وتمتمِى بالتعاويذِ (م) والرُّقَى والنشيدِ
وأطْلِقِى فيهِ لحناً يَشْدُو لِحُبٍّ سَعيدِ
ويطْرُدُ اليأسَ عنهُ بالشّدْوِ والتغريدِ

طالَ انتظارُكِ وهْناً فى ظُلمةٍ وكُنودِ
والرِّيحُ تَعبَثُ فيهِ بكلِّ غالٍ مَجيدِ
وكلُّ خفقِ جَناحٍ أو رَجْفةٍ من بعيدِ
يخالُ فيها مآباً بَعْدَ النّوى والشرودِ

عُودِى إلى العُشِّ عُودِى ورفرِفِى من جديدِ
أضْناكِ طولُ الشُّرودِ ولَذّةُ التّصعيدِ
عُودِى إلى الدِّفءِ فى عُشّكِ الأمينِ الوَدودِ
العُمْرُ يَمضِى فهيّا نُعيدُهُ للوُجودِ

سيد قطب



إلى الدكتور زكي مبارك

في أي عصر نحن حتى توجه هذه الكلمات المخزية إلى شخص المرأة وهي التي ولدت العباقر وساعدت على قيام الحضارة ؟ وكيف تستطيع هذه المرأة التي وصفتها بهذا الوصف ورميتها بهذا الخلق أن تنشىء طفلاً على الكرامة . أو تطبع أمة على الاستقلال ؟ ثق يا أستاذ أن الأمم الشرقية ما سهل عليها تحمل الاستعباد والذل الجيل بعد الجيل إلا لأن الزوجات كن مستعبدات مستذلات . وهل تراني في حاجة إلى أن أذكرك بهند أم معاوية التي لم تخضع لزوجها أبي سفيان زعيم مكة وسيد قريش بل رمته بالحصباء وأغلظت له القول وعيرته وطردته حين أتاها يزف إليها البشرى يوم الفتح أن من دخل بيته فهو آمن . هل تجهل أنها أنجبت خير ملوك المسلمين سياسة ، وأكيسهم معاملة : معاوية الذي أنشأ دولة وحكم عشرين سنة استطاع بعدها أن يبايع لابنه الفاسق دون أن يعارض معارض ؟ حسبي ما ذكرت ؛ ولعلك راجع عما كتبت

(سوهاج) (بثينة)

(الرسالة) : جاءنا في هذا الموضوع كلمات أخرى لبعض السيدات الفضليات فيها كثير من القسوة والعنف . وقد لامت إحداهن الرسالة على أن نشرت هذه الكلمة ؛ والرسالة التي تسجل ألوان الأدب الحديث لا تؤدي واجبها لتاريخ الأدب إذا أسقطت مثل هذا الرأي من آراء كاتب معروف

في المجمع اللغوي

اجتمع مجلس المجمع اللغوي في الأسبوع الماضي ، ونظر في كثير من الأعمال ، وكان في مقدمة ما تناوله بالبحث مسألة الأعضاء الشرقيين والمستشرقين ، وهل يمكن دعوتهم هذا العام ، ليتسنى عقد المؤتمر السنوي ، فعرض المجلس ما يقوم في سبيل ذلك من العقبات ، واستقر رأيه على أن يصرف النظر عن عقد المؤتمر ، وأن يحاول المجمع ما أمكن توثيق الصلات بينه وبين الأعضاء غير المقيمين بالقطر المصري ، كل في مكانه ، وذلك باطلاعهم على قرارات المجمع ومصطلحاته وسائر أعماله ، والرغبة إليهم أن يوافوا إدارة المجمع بنقداتهم واقتراحاتهم فيما يعود بالفائدة على اللغة العربية، حتى يكون في هذه الصلة بعض العوض عن المؤتمر المتعذر عقده بسبب الظروف الدولية الراهنة

وقد تقرر أن يعقد مجلس المجمع في الثاني والعشرين من فبراير الحاضر ليوالي النظر في الأعمال المطروحة عليه ، وفي طليعتها ما أنتجته لجان المجمع المختلفة من المصطلحات في ضروب العلوم والفنون والآداب .

وينتظر أن يفتتح المجلس درسه للمصطلحات بما أتمته اللجنة الطبية من أشتات الكلمات في فروع الطب ، وسيتابع المجلس عقد جلساته مرتين في كل شهر .

في مطالعاتي

كثيراً ما يمر القارئ في كتبنا على أغلاط فلا يلقي لها بالاً وهي ذات شأن . ولقد كنت جمعت من ذلك مجموعة ثم أهملتها فما انتفعت بها ولا انتفع الناس ، لذلك رأيت أن أبادر بنشر كل ما أعثر عليه من ذلك :

١ — يروي كثيرون هذا البيت المشهور هكذا :

وعدت وكان الخلف منك سجية
مواعيد عرقوب أخاه « بيثرب »

و « يثرب » هي مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن جاء في القاموس في مادة ترب ما نصه : « ويترب كيمنع موضع قرب اليمامة وهو المراد بقوله : مواعيد عرقوب أخاه بيترب » ؛ وإذن فالكلمة بالتاء المثناة لا بالثاء

وفي لسان العرب ج ١ ص ٢٢٤ قوله : « ويترب بفتح الراء موضع قرب اليمامة ؛ قال الأشجعي (وذكر البيت السابق) ؛ ثم قال : هكذا رواه أبو عبيدة (بيترب) وأنكر (يثرب) ؛ وقال عرقوب من العماليق : ويترب من بلادهم ولم تسكن العماليق (يثرب) » .

والميداني في كتابه « مجمع الأمثال » روى البيت بالتاء وذكر بيتاً آخر بالثاء ، وقال يروى : (يعني البيت الأول) « بيثرب »

٢ - ذكر الكاتب الكبير المرحوم جورجي زيدان في كتابه « تاريخ آداب العرب » الشاعر عبد الله بن الدُّمَيْنة في الشعراء الجاهليين في غير موضع من كتابه ، وعند الترجمة له قال : « وبقي

جماعة منهم — يعني الشعراء الجاهليين — لا يجتمعون في باب وهم كثيرون نكتفي بذكر أشهرهم »

ثم ذكر ابن الدمينة ، وهـذا الكلام خطأ من وجهين : الأول أن ابن الدمينة شاعر أموى لا جاهلي ؛ والثاني أنه من أكبر شعراء الغزل الرقيق

٣ — قال الأستاذ الرافعي في كتابه « تاريخ آداب العرب » عند الكلام على أسواق العرب : « أما عكاظ فهي أعظم أسواقهم اتخذت سوقاً بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة (٥٤٠ للميلاد) » وكنت أظن أن هذا الرقم خطأ مطبعي حتى رجعت إلى دائرة معارف القرن العشرين للأستاذ وجدى فوجدته بنصه

ومعروف أن عام الفيل هو العام الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو عام ٥٧٠ للميلاد كما في تاريخ الطبرى وأبي الفداء وكتاب الكامل لابن الأثير ، وكتاب أخبار الدول وآثار الأول وفي العقد الفريد ؛ قالوا : ولد صلى الله عليه وسلم عام الفيل لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول وقال بعضهم لليلتين خلتا منه ؛ وقال بعضهم بعد الفيل بثلاثين يوماً ؛ فهذا جمع ما اختلفوا في مولده

وهذه العبارة الأخيرة من صاحب العقد خطأ ، فإنهم اختلفوا في مولده صلى الله عليه وسلم على أقوال كثيرة

وبعد ، فجمهرة الكتب على أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل ، وعلى أن عكاظ قامت بعد الفيل بخمس عشرة سنة ، فتكون أقيمت في سنة ٥٨٥ للميلاد

على محمد حسن

حول مقال

كنت كتبت في العدد (٤٣٨) من (الرسالة) الزهراء كلمة صريحة بعنوان : « بين الأديبن المصرى والسورى » وبتوقيع « كاتب لبناني » أنعى فيها على الأدباء السوريين واللبنانيين غرورهم وزهوهم اللذين كانا السبب الأول في اقتصارهم على إنتاج ضئيل هيهات أن يُقاس بإنتاج المصريين الغزير

ولم يكن من عجب أن تنبرى جريدة « المكشوف » الغراء دفاعاً عن الأدب اللبناني من أن يُخدش أو يُمس . فكان أن نشرت المقال لتطلع عليه القراء اللبنانيين ، ولم تُعلّق على الكلمة إلا بقولها :

« على أننا نشك في أن يكون هذا الكاتب لبنانياً على الرغم من توقيعه ؛ فإن بعض تعابيره « لك » يقرزم وغيرها لا تمتُّ إلى الذوق بصلة ، ونلاحظ أن الكمية عنده تفضل القيمة ... »

وكل ما أملك من قول ، هو أنني لن أقسم أنني لبناني ، فبحسب (المكشوف) أن ترجع إلى غير عددٍ من أعدادها لترى اسمى الكامل ، وبحسبها كذلك أن تعود إلى المقال فتروّى فيه لتتبين خطأ « ملاحظتها » ...

بيد أن الذي سرني هو أن (المكشوف) الغراء لم ترفع علم النكير في هذه المرة ، فقد أيقنت أن الكلمة التي نشرتها لم تعدُ الحقيقة

« بيروت » **سهيل ادريس**

الى الأستاذ ناجى الطنطاوى

كنت أقرأ في كتاب « كشف الحجاب والران ، عن وجه أسئلة الجان » للشعراني ، حتى وصلت إلى السؤال (٥٦) وهو : ما أقرب الطرق إلى دخول حضرة الله تعالى ؟ فأجاب بما ملخصه : أقرب الطرق كثرة ذكر الله تعالى ، فلا يزال العبد يذكر ربه ، والحجب تتمزق عنه شيئاً بعد شيء ؛ حتى يقع « الشهود القلبي » فإذا حصل الشهود ، استغنى عن الذكر بمشاهدة المذكور ، فلو ذكر العبد ربه في تلك الحضرة ، كان غير لائق بالأدب .

إلى أن قال : وقد أنشدوا في حضرة الشهود

بذكر الله تزداد الذنوب ... وتنكشف الرذائل والعيوب
وترك الذكر أفضل كل شيء ... وشمس الذات ليس لهـا مغيب

وختم جوابه بقوله : وأنشدوا في ترك الذكر في حضرة الشهود

فترك الذكر أولى بالشهود ... وذكر الله أولى بالوجود
فكن إن شئت في وجد الشهود ... وكن إن شئت في فضل الوجود

عند ذلك وضح لى معنى البيتين الأولين وضوحاً لا يحتاج إلى تبيان ، وتذكرت ما دار في مجلتنا المحبوبة « الرسالة » حول هذين البيتين في الأعداد ٣٧٥ ، ٣٧٨ ، ٣٨٢ بحالة تغاير ما هو مذكور هنا ، اضطرت الأستاذ السعيد جمعة إلى تأويل معناهما . ولو أنه شرحهما بحالتهما الراهنة لما احتاج إلى تأويل وعناء وشرح حال .

هذا ما عن لى أن أذكره وفاء لمجلتنا الرشيدة المحبوبة .

(شطانوف) **محمد منصور مظفر**



المؤلفات العربية القديمة

وما نشر منها في سنة ١٩٤٠

للأستاذ كوركيس عواد

(تتمة)

٣٣ — المفاضلة بين الصحابة

لابن حزم الأندلسي (٤٥٦ هـ) . نشره الأستاذ سعيد الأفغاني بعد أن قدّم له ببحث ضافٍ في ابن حزم . وقع في ١٦٠ صفحة من الكتاب ، وذيّله بفهارس متعددة للأعلام والأماكن والأشعار . (المطبعة الهاشمية ، دمشق ، ٤٢٠ ص)

٣٤ — مقدمة تحفة الأحوذي لجامع الترمذي

(الترمذي ، صاحب أحد الكتب الستة في الحديث ، توفي سنة ٢٧٩ هـ) ، نشرته مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد الدكن في الهند

٣٥ — المكافأة وحسن العقبى

لأحمد بن يوسف الكاتب المعروف بابن الداية (٣٤٠ هـ) . حققه وشرحه وصححه الأستاذ محمود محمد شاكر . مطبعة الاستقامة القاهرة ، ١٤ صفحة لمقدمة الناشر التي درس فيها حياة المؤلف ، و ١٦٠ ص للمتن والتعليقات والفهارس

٣٦ — المنتظم في تاريخ الأمم (١)

لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي البغدادي

(١) على الرغم من سعينا في الوقوف على مجلدات هذا الكتاب فإننا لم نوفق إلى ذلك حتى كتابة هذه الأسطر . وقد وجدنا الحاج خليفة ، (كشف الظنون ٦ : ١٦٦ طبعة فلوجل) ، يقول فيه إن ابن الجوزي ذكر فيه « من ابتداء العالم إلى الحضرة النبوية ، ثم منها إلى خلافة المستضيء على ترتيب السنة . وهو تاريخ كبير فيه نبذ من الفوائد الحديثية وتراجم الملوك والأعيان »

نسبة شعر

في أثناء مطالعاتي ما يختص بالأدب العباسي رأيت الكامل للمبرد « ج ٢ ص ٢٥٤ » يورد هذه القصة : « دخل شبل بن عبد الله مولى بني هاشم على عبد الله بن علي وقد أجلس ثمانين رجلاً من بني أمية على سُمُطِ الطعام فمثل بين يديه فقال :

أصبح الملك ثابت الآساس ... بالبهاليل من بني العباس

طلبوا وتر هاشم فشفوها ... بعد ميل من الزمان وياس

لا تقيلن عبد شمس عثاراً ... واقطعن كل رَقْلَةٍ وغراس

خوفها أظهر التودد منها ... وبها منكم كحز المواسي

إلى أن قال :

نعم شبل الهراش مولاك شبل ... لو نجا من حبائل الإفلاس

فأمر بهم عبد الله فشدخوا بالعمد ، وبسطت عليهم البسط ، وجلس عليها ودعا بالطعام وإنه ليسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعاً . وقال لشبل لولا أنك خلطت كلامك بالمسألة لأغنمتك جميع أموالهم » . وقد عجبت كثيراً بعد أن فرغت من تلاوة هذه القصة ؛ إذ أنني أحفظ من قديم هذا الشعر منسوباً إلى رجل آخر غير شبل يخاطب به رجلاً آخر غير « عبد الله » . . . فرجعت بالذاكرة حتى اهتديت إلى الكتاب الذي أخذت عنه ، وهو « الأغاني » فصاحبه أبو الفرج الذي ينتسب إلى بني أمية يعنون فصلاً في « ج ٤ ص ٩٢ — ٩٦ » بقوله « ذكر من قتل أبو العباس السفاح من بني أمية » ويبدأ أبو الفرج فصله هذا على قصة سديف بن ميمون الشاعر فيزعم أنه دخل على أبي العباس بالحيرة وعنده بنو هاشم وبنو أمية فأنشده قصيدته :

أصبح الملك ثابت الآساس ... بالبهاليل من بني العباس... الخ

ثم قال بعد أن روى الشعر : « فتغير لون أبي العباس وأمر بمن في مجلسه من الأمويين فأحمدوا »

قلت لنفسي بعد أن تلوت هذا وذاك ... إنه لو صحت الرواية الأولى « وهذا ما نعتقده » لوجب أن يغير الحكم على أبي العباس بأنه كان سفاكاً للدماء بهذه الصورة المرعبة التي يصوره بها المؤرخون فإنهم لا يكادون يستدلون على فظاعته وقساوته إلا بهذه الرواية

ثم قلت لنفسي أيضاً وأنا حائر بين هذا وذاك : ما أحوجَ أدبنا العربي إلى غربال دقيق

عبد العليم عيسى

(الرسالة) : لقد نشرت الرسالة في تحقيق هذا الموضوع ما لا مزيد عليه، مما كتبه الأساتذة : عبد الحميد العبادي ، ومحمود شاكر ، وعبد المتعال الصعيدي ، فارجع إليه

« ٥٩٧ هـ » . المجلدات ٥ ـ ١٠ نشرتها مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد الدكن فى الهند. المجلدات ١ ـ ٥ ظهرت سابقاً

٣٧ — النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة

لابن تغرى بردى (٨٧٤ هـ) . المجلد الثامن ، نشره القسم الأدبى بدار الكتب المصرية ، العناية بهذا المجلد بادية فى التعليقات والشروح والفهارس ، كما هو الشأن فى المجلدات السابقة (مطبعة دار الكتب المصرية . القاهرة ، ٣٤٢ ص) المجلدات ١ — ٧ صدرت خلال ١٩٢٩ — ١٩٣٨ . فى هذا المجلد حوادث السنين ٦٩٠ — ٧٠٩ هـ ، وسيليه التاسع

٣٨ — نصب الراية فى تخريج أحاديث الهداية

للشيخ جمال الدين يوسف الزيلعى (٧٦٢ هـ) . نشرته مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد الدكن فى الهند ، الكتاب فى علم الحديث

٣٩ — وثائق تاريخية عن حلب

فيها حوادث حلب وأخبارها ، للسنوات ١٨٥٥ — ٨٦٥ م أخذاً عن يومية نعوم بخاش وغيرها من المخطوطات ، نشرها الأب فرديناند توتل اليسوعى ، بتعليق وفهارس ، (المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ٢٣٤ + ١٠ ص) ، ظهرت هذه الوثائق متتابعة فى مجلة المشرق ، ثم طبعت على حدة

المستدرك على مطبوعات سنة ١٩٣٩

١ — اغاثة اللهفان فى مصاير الشيطان

لابن القيم الجوزية (٧٥١ هـ) ، المجلد الأول ، نشره الأستاذ أحمد حامد الفقى (مطبعة مصطفى البابى الحلبى . القاهرة ٣٨٦ ص)

٢ — الثمالة

لجميل صدقى الزهاوى[1] (١٩٣٦ م) وهى الأشعار التى عملها الزهاوى فى أواخر أدوار حياته (مطبعة التفيض الأهلية . بغداد ٧٦ ص)

(١) ترجمته بقلم الأستاذ طه الراوى ، فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق (١٤ [١٠٣٦] ص ٢٤٨ — ٢٥٠)

٣ — الجامع لأحكام القرآن

لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى (٦٧١ هـ) الجزء التاسع ، نشرة القسم الأدبى بدار الكتب المصرية ، (مطبعة دار الكتب المصرية ، ٣٨٦ ص) الأجزاء ١ — ٨ صدرت سابقاً

٤ — درة الناصحين

لعثمان بن حسن بن أحمد الخوبوى (فرغ من تأليفه سنة ١٢٢٤ هـ) ، وهى مجالس مشتملة على تفسير آيات من القرآن وشرح أحاديث فى الوعظ أيضاً نشرتها المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة (٣٢٠ ص) ، الكتاب طبع قبل هذا

٥ — ديوان حافظ ابراهيم

لحافظ بك ابراهيم (١٩٣٢ م) ، الطبعة الثانية ، أظهرتها وزارة المعارف المصرية . ضبطها وصححها وشرحها ورتبها الأساتذة : أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الإبيارى ، وبمراجعة محمد مختار يونس . (مطبعة دار الكتب المصرية . القاهرة . مجلدان : الأول ٤٧ + ٣١٨ والثانى ٢٦٢ ص)

٦ — الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة

لأبى الحسن علىّ المعروف بابن بسّام الشنتريني الأندلسى (٥٤٢ هـ) . القسم الأول من المجلد الأول نشرته كلية الآداب بالجامعة المصرية (مطبوع رقم ٢٦) ؛ مستعينة بمراجعة السادة : محمد عبده عزام ، خليل عساكر ، بخاطره الشافعى . وأشرف على عملهم أساتذة الجامعة : أحمد أمين ، مصطفى عبد الرازق ، عبد الحميد العبادى ، عبد الوهاب عزام ، طه حسين . وشاركهم فى بعض ذلك المستشرق ليفى بروفنسال Lévi — Provençal (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ى + ٤١٦ ص) الكتاب مرجع هام فى تاريخ الأندلس وشعرائها وبلغائها وكتابها . بقية أقسامه تصدر شيئاً بعد شىء

٧ — رسائل فلسفية

لأبى بكر محمد بن زكرياء الرازى (٣٢٠ هـ) ، مع قِطَع من كتبه المفقودة : جمعها وصححها المستشرق « پاول كراوس » P. Kraus ، الجزء الأول ، نشرته الجامعة المصرية (القاهرة ، ٣١٦ ص) ؛ يتألف هذا المجلد من الرسائل التالية :

١ — كتاب الطب الروحانى

٢ — كتاب السيرة الفلسفية

٣ — مقالة فيما بعد الطبيعة

٤ — مقالات فى أمارات الإقبال والدولة

٥ — من كتاب اللذة

٦ — من كتاب العلم الإلهى

٧ — القول فى القدماء الخمسة

٨ — القول فى الهيولى

٩ — القول فى الزمان والمكان

١٠ — القول فى النفس والعالم

١١ — المناظرات بين أبى حاتم الرازى وأبى بكر الرازى

٨ — شرح ألفية بن مالك

لنور الدين أبى الحسن الأشمونى (٩٠٠هـ) . نشره الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد (مجلدان ، ٥٣٢ + ٥٢٨ ص . مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة) . ابن مالك صاحب الألفية فى النحو ، توفى سنة ٦٧٢هـ .

٩ — شرح ديوان امرئ القيس ومعه أخبار المراقسة وأشعارهم فى الجاهلية وصدر الاسلام

أشعار امرئ القيس (٥٦٦م) جمعها ورتبها وشرحها الأستاذ حسن السندوبى ، وأضاف إليها أخبار المراقسة (مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٩٢ + ١١٢ ص)

١٠ — شرح ديوان الحماسة

لأبى زكرياء يحيى بن علىّ ، الشهير بالخطيب التبريزى (٥٠٢هـ) حققه وضبط غريبه وعلّق حواشيه ووضع فهارسه ، الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد (٤ مجلدات ، مطبعة حجازى، القاهرة ٤٦٤ + ٤٦٤ + ٤٢٠ + ٤٤٠ ص) . وديوان الحماسة ، هو لأبى تمام حبيب بن أوس الطائى (٢٣١ هـ) ، جمع فيه ما اختاره من أشعار العرب الأقدمين ، ورتبه على عشرة أبواب : الحماسة ، المراثى ، الأدب ، التشبيب ، الهجاء الإضافات ، الصفات ، السير ، الملح ، مذمة النساء ، وقد اشتهر الكتاب ببابه الأول .

١١ — الكليات فى الطب (١)

لابن رشد الفيلسوف الطبيب الأندلسى (٥٩٥هـ) . نشرته بالتصوير الشمسى ، لجنة الأبحاث العربية الأسبانية ، ضمن منشورات معهد الجنرال فرانكو . (مطبعة الفنون المصورة ، بوسكا ، العرائش [المغرب] ، ٣٠ + 231 + 34 ص)

١٢ — المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر

لضياء الدين بن الأثير الموصلى (٦٣٧ هـ) . حققه الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد . (مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده) القاهرة . مجلدان ، الأول : ز + ٤٢٩ والثانى ٤١٩ ص).

١٣ — مختار الصحاح

لمحمد بن أبى بكر الرازى (٦٣٠هـ) طبع هذا المعجم على الحجر بحجم صغير للجيب . (مطبعة الترقى دمشق . ٦٤١ ص)

١٤ — نزهة الرفاق عن شرح حال الأسواق بدمشق

ليوسف بن عبد الهادى المعروف بابن المبرد (فرغ منه سنة ٨٨٣ هـ) . وهى رسالة نشرها الأستاذ حبيب زيات فى مجلة المشرق ببيروت (٢٧ [١٩٣٩] ص ١٨ — ٢٨) فى هذه الرسالة بيان بجملة أسواق دمشق فى المئة التاسعة للهجرة وما يتعلق بها وما كان يباع فيها

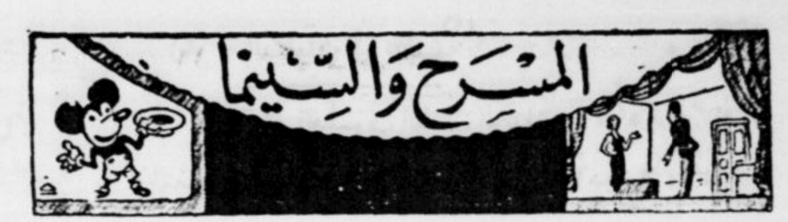
* * *

هذا ما أمكننى الوقوف عليه حتى هذه الساعة . وإنى موقن أن قد فاتتنى طائفة منها على الرغم من تتبعى لها ، وقد سقت وجه العذر عن هذا التقصير فى صدر المقال ، ورجائى من القراء أن يتفضلوا باستدراك ما لم أقف عليه . ولهم أخلص الشكر وأطيب الثناء .

كوركيس عواد

---

(١) الكتاب خلاصة العلوم الطبية حتى عصر مؤلفه . وقد عرف فى أوربة قديماً باسم Colliget حيث ترجم إلى اللاتينية غير مرة . وكان ممن نقله إليها بوناكوزا اليهودى Bonacosa فى بادوا سنة ١٢٥٥ م . وظهرت له ترجمة لاتينية مطبوعة فى البندقية سنة ١٤٨٢ م ، كما ظهرت له طبعة لاتينية أخرى فى ستراسبورج سنة ١٥٣١ م . أما الأصل العربى فلم ينشر حينذاك . راجع : Cambell : Arabian Medicine and its influence on the Middle ages. (Vol I.. , London, 1926, p. 45)



محطة الإذاعة

إن محطة الإذاعة وسيلة من وسائل التهذيب والترقي عند الأمم ، ولكنها في مصر بوق تنفخ فيه فئة معينة من الناس . واقفة عند حدود بدائية من الفن والفكر . وأبين ما يتضح من هذه الحدود تلك الأغاني الخائرة « معنًى وموسيقى » التي تجأر بها حناجر المطربين فتتناقلها أفواه الناس في سائر الأقطار — صورة من الفن المصري والأدب المصري !

يا ضيعة الشعر والغناء في هذا البلد ... هل يحسب المشرفون على أمر المحطة أن ما يختارونه ليذاع لا تردده إلا أركان مصر حتى يتساهلوا كل هذا التساهل في توخي الدقة والصلاحية فيما يذاع ؟

إن البلدان العربية تعنى بالاستماع إلى الإذاعة المصرية فيجب أن نعطيها أمثلة صادقة عن الشعر والغناء في مصر . ولكن المحطة — سامحها الله — تسرف في تنكب الصراط المستقيم ولا يقع اختيارها إلا على الأزجال الرخيصة ، والموسيقى المتهالكة ، والمطرب الناشئ المضطرب

إن الغناء والشعر غذاء الأرواح في كل بلاد الله . فماذا يمنع محطة الإذاعة أن تقدم شعراً طيباً فيه قوة الشباب وعفاف الهوى العذري بدلاً مما نسمع من لغة ركيكة ومعان مبتذلة ولدينا — والحمد لله — شعراء موهوبون لهم من القصائد ما يبهر القلب ، وما لو تغنى به المغني الموهوب لأعطى المستمع فكرة سليمة عن الشعر والفن والغناء . ماذا يمنعها ؟ ! أحد أمرين : إما أن المشرفين عليها جهلة ، وهذا ما لا نعتقد . وإما أنها المحسوبية العمياء التي تسد الطريق إلى الحق والصواب . نرجو الله أن يوفق أولي أمر هذه المحطة إلى ما فيه الخير

صالات الرقص

إن جبين الحر ليندى خزياً كلما استعرض صالات الرقص في هذه الأيام السود أي مصر ! يا بلد الإسلام والمسلمين ! كيف يسمح القوم أن تدار في رحابك المواخير علناً باسم الحرية ؟ ! وكيف يرفع المصري وجهه وقد وصمه العار بأبشع ما يوصم به الرجل الشريف ؟ لقد آن لنا أن نحارب هذه المباءات المتناثرة في أحضان القاهرة ، فنأتي على ما فيها من أسباب الإجرام

قالوا يوم افتتحوا هذه الصالات : إنها لون من التسلية لا بد منه للبلد الراقي . وكانوا يعرضون فيه الرقص والغناء والرواية الهزلية ثم أضافوا « الفتح » إلى البرنامج ، ثم هم يقتصرون الآن على شرب الخمور وارتطام الصدور في الصدور ، وامتصاص دماء الرواد ... فما معنى أن يسمح بفتح هذه المحلات « وهي عمومية » خاصة لشاربين الماجنين . لا يدخلها عامر الجيوب إلا ويخرج منه صفر الجيب من المال مفلس الروح من الإيمان .

يخيل إليّ أن انصراف الناس عن التمسك بالدين يغري في نفوس بعض المسئولين نوعاً من أنواع الخسة الجوعى .

أفلام جديدة

يدور العمل « الآن » بين جدران استديو مصر في صنع أفلام جديدة نذكر منها فلم « محطة الأنس » سيناريو وإخراج الأستاذ عبد الفتاح حسن ، وتمثيل : علي الكسار ، عبد العزيز خليل ، عقيلة راتب ، ماري منيب ، وغيرهم . وفلم « الستات في خطر » تأليف الأستاذ فؤاد الجزايرلي وإخراج الأستاذ ابراهيم عمارة وتمثيل : فوزي الجزايرلي ، مختار عثمان ، عبد العزيز خليل ، تحية كاريوكا ، إحسان الجزايرلي ، أمينة فهمي . وقد أوشك الأستاذ « محمد عبد الوهاب » أن ينتهي من فلمه الجديد (ممنوع الحب) الذي أخرجه الأستاذ محمد كريم . وقد انتهت شركة أفلام جلال من فلم (رباب) الذي ألفه وأخرجه الأستاذ أحمد جلال والذي سنشاهد فيه : ماري كويني ، ثريا فخري ، سميرة كمال ، أحمد جلال ، عمر جميعي ، عبد الحميد زكي . ونذكر بهذه المناسبة أن أحد تجار الحمزاوي يعمل على تأليف شركة سينمائية جديدة اسمها « شركة أفلام عبد الجليل غازي » ولا يسعنا إزاء هذا المجهود إلا أن نرجو الله أن يوفق الجميع إلى ما فيه الخير للفن المصري الشرقي .

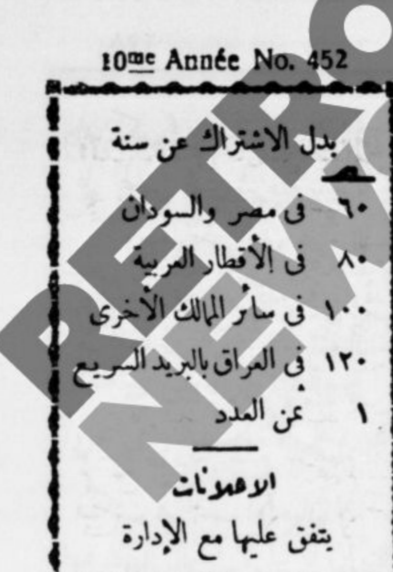
عبد الفتاح متولي غبن

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



10me Année No. 452

Lundi 2-3-1942


بدل الاشتراك عن سنة

م

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

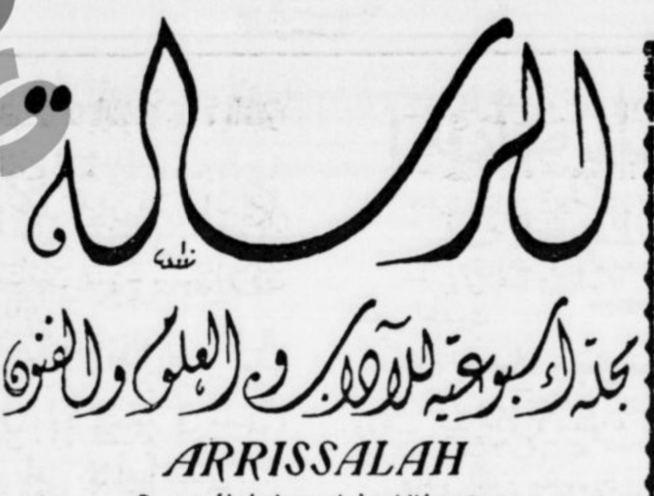
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة



ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــدد ٤٥٢ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٥ صفر سنة ١٣٦١ — الموافق ٢ مارس سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهــــــرس

من صور الريف

على المصطبــــة

على المَصطبة الغبراء وفوق حصيرها الخشن جلس (البك) وفى عينيه نظرة يكسر من طولها الخجل ، وعلى شفتيه بسمة يمد فى عرضها المَلَق ، وفي يمناه مسبحة يقطر من حباتها الرياء ، وفى يسراه صحيفة وفدية لا تزال على طيّة البريد ، وتحت قدميه بقية من وَحل الشتاء تهدد حذاءه اللامع ، وبين يديه وعن يمينه وعن شماله جلس الفلاحون يسارق بعضهم بعضاً نظر المستفهم عن سرّ هذا التواضع الغريب ، وسبب هذا التنازل المفاجئ ، ورب الدار يذهب ويجيء فى ربكة تبدو دلائلها على حركاته المضطربة ، وكلماته المتقطعة ، وتحياته المتكررة

صحيح أن صاحب المصطبة رفيع الصوت فى القريّة ، نافذ الرأى فى الناس ؛ ولكنه منذ أيام قلائل كان فى (دائرة) البك فريسة لغضبة هوجاء من غضباته أخذته بالشتم واللطم والسخرية ، لأنه جرؤ على أن يسأل (الكاتب) عما له من حساب الإجارة ، وأن يعترض على (الناظر) فيما عليه من نفقات الإدارة . ومن العسير على المنطق المحض أن يستخرج هذه النتيجة من تلك المقدمة !

كان البك المالك يرد التحيات الساذجة بالانحناء والإيماء والتحنى ؛ فكأنما انقلب جانبا معطفه الأسود جناحين رءومين يرفرف بهما على بنيه ! وكان أكابر القرية قد تسامعوا بمقدم

(مالكهم) على حال من التطامن والتبسط لم يألفوها منه ، فأقبلوا على المجلس الذى شرفته سيارته بالوقوف عنده

ومهما يكن البك عيّ اللسان كليل الذهن فلا بد أن يتكلم ليكشف عن سر قدومه . وقد استأذنت الشيخ منصورا راوى هذا الحديث أن أترجمه بلغة الناس فأذن

قال البك : لم أزركم منذ خمس سنوات لأن أعمال مجلس النواب لم تدع لى وقتاً يتسع للاهتمام بأسرتى ، ولا للتفكير فى معدتى ، فكنت فى أغلب الأحيان لا آنس بأهلى ولا أهنأ بطعامى ...

فقال الشيخ منصور مقاطعاً : ولكننا يا صاحب السعادة لم نقرأ لك كلمة واحدة فى محضر من محاضر المجلس .

فقال البك : ذلك لأن فى المجلس فريقاً يتكلمون وفريقاً يعملون ؛ وأنا من هذا الفريق

فقال الشيخ منصور بلهجة المستدرك الخبيث : ولكنك لم تفارق العزبة فى أكثر الأيام التى ينعقد فيها المجلس !

فقال البك : ذلك لأن الكلام يكون فى داخل المجلس ؛ وأما العمل فيكون فى خارجه

واندلق مالك القرية فى الكلام ليأخذ على الشيخ منصور سبيل الرد فقال : وقد أخذت الحكومة برأيى فى كثير من مشكلات التموين وأزمات الحكم ، واستفاد النواب من اقتراحاتى واعتراضاتى فى (بوفيه) المجلس وفى لجانه ؛ ولكنى إذا انتخبت هذه المرة فسأوزع مواهبى وجهودى بالعدل بين الحكومة والأمة ، وبين القرية و (الدائرة) . سأنظر بعين الرحمة إلى ما يكابده إخواننا الفلاحون من البلاء المرهق ، والعناء الممَنّى ، والمرض المضنى ، والجهل المطبق ، والعيش الخسيس ؛ فأخفض الإيجار ، وأردم البرك ، وأرمم المسجد ، وأعيد المدرسة ، وأحمل الحكومة على أن تمدكم بالماء النقى والنور الكهربائى ، وأن تخصكم بوحدة طبية أقل مايكون فيها صيدلية وطبيب .

ولعلى بذلك أكون قد أوفيت لكم بذمتى ، وقضيت للوطن واجب خدمتى ، وأديت لله زكاة قدرتى وثروتى

وكانت عين البك لا تنفك تراقب وجه الشيخ منصور ، فلما رآه يتحفز للكلام بادره بقوله :

— وأنت يا شيخ منصور ! ما هذا الحديث الذى قرأته لك فى (الرسالة) ؟

— أى حديث تعنى يا بك ؟

— حديثك عن صحة الفقير وثروة الغنى

— لقد قلت شيئاً كهذا ولكنى لم أنشره

— زرنى غداً فى العزبة فأريك عدد الرسالة وأسر إليك بعض الحديث

قال البك ذلك ونهض فودع الناس ثم ركب سيارته الفخمة وذهب يعيد هذه الأسطوانة نفسها فى قرية أخرى !

وأقبل القوم بعضهم على بعض يتساءلون : لماذا يُمَنّى البك نفسه هذا العناء ، ويستخذى لناس هذا الاستخذاء ، وهو بحمد الله ضخم الثروة فلا يحتاج إلى مكافأة البرلمان ، زَمِنُ المروءة فلا يصلح بطبعه لخدمة إنسان ؟ فقال الشيخ منصور : إن فى أربعين جنيهاً لَمُضطرباً ، وإن فى مزايا النيابة لطاعية . وإن الله الذى فطر بعض النفوس على الأثرة والشح جعل من خصائصها الوضاعة إذا تسامى المطلَب ، والضراعة إذا تجافى المطْمع . وقد رأيتم هذا الرجل المتكبر المترفع الكزّ كيف طامن من كبره، وردّ من جماحه، وبسط من يده، تتعطوه أصواتكم فى الانتخاب ، حتى إذا انتخب عاد إلى معاملتكم بالسفه ، ومحاسبتكم بالدناءة ، واستغلالكم بالشره ، ومقاطعتكم بالأنفة . إنه هو وأمثاله لا يرون للفلاح قيمة ولا كرامة إلا موسم الانتخاب . وقد كنا أحرياء ألا نعطى أصواتنا إلا من يعيش عيشنا ويشعر شعورنا ويتألم ألمنا ؛ فإن منطق الطبع يقول إن خصمك لا يدافع عنك ، وسيدك لا يحب حريتك .

فصاح أحد الحضور : ولم لا ترشح نفسك ونحن نضمن لك أصوات القرية ؟

فقال الشيخ منصور : إنى — وا أسفاه — لا أحرز من النصاب قيراطاً ، ولا أملك من التأمين بارة ! والنصاب والتأمين عقبتان وضعهما قانون الانتخاب فى سبيل الكفايات الفقيرة ؛ كأن المال شرط فى صدق الجهاد للوطن ، وإخلاص النيابة عن الأمة ! وإن مثلك فى ضمان أصوات القرية واستسهال ما بعدها كمثل السائح الذى لقى فى بعض طريقه نعل حصان واحدة فالتقطها ثم ضمها إلى صدره وقال :

آه ! وافرحتاه ! بقى ثلاث كهذه وحصان ثم أركب !

(المنصورة) **احمد حسن الزيات**

٢ - الحيـــــاة صادقة !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

وراثة التشاؤم — خطأ فى فهم الفكرة الأساسية فى الحياة — نتائج خطيرة تتصل بالعقائد الثلاث فى الحياة وواهبها والانسان — الانسان مبعث أكثر الشر — ضيوف الحياة يسخطون على المضيف ! — الحياة جديرة باختيار الخروج إليها من العدم — لا خلط بين عالم الطبيعة وعالم الانسان — فى عالم الكلام كثير مما لا وجود له فى الطبيعة — تقبيح سجل الفضائل وسجل الرذائل — الأخلاق « تفاعلات » أرضية وليست منزلة من السماء — إلى الذين يديمون التفكير فى الانسان والطبيعة

قال المتنبى :

صحب الناسُ قبلنا ذا الزمانا ... وعناهم من أمره ما عنانا

وتولوا بغصـــةٍ كلهم منـــه ... وإن سرّ بعضهم أحيانا

ربما تحسن الصنيعَ لياليــه ... ولكن تكدر الإحسانا

وكأنّا لم يرض فينا بريب الـ ... دهر حتى أعانه من أعانا

كلما أنبت الزمان قناةً ... ركب المرء فى القناة سنانا !

وهكذا نلقى أكثر الناس ساخطاً على الحياة متبرماً بها ، ناقماً على القدر ، يستشعر فى قلبه غيظاً دفيناً قد يكبته الإيمان حيناً وقد يمثه الجحود أحياناً ، فيثور حتى يسخط على اليد التى أخرجته إلى الحياة ووضعت فى قلبه شعلتها ... وقد وقر فى الصدور أن الحياة محنة وعناء أكثر مما هى فرصة للذات واهتبال الخيرات واكتساب المعارف وخروج من دائرة الجمود والموت والعدم إلى نطاق الإحساس والانفعال والنمو والمعرفة .

وقد ترجم الأدب القديم والأدب الحديث عن تلك الآراء المتشائمة السوداء ترجمة ملأت كثيراً من الصحف ، وتوارثها الخلف عن السلف وزاد كل عصر فى مجموعها ، حتى صارت نظريات مسلمة رضيها أكثر الناس وتدارسوها فيما بينهم وعلموها ناشئيهم قبل أن يختبر هؤلاء الناشئون وجوه الحياة بأنفسهم وتجاربهم ، فلوّنت مناظيرهم بالألوان القاتمة ، واستقبلوا الحياة بوجوه عابسة ، حتى فى أدوار الشباب اللاهى القوى المتفتح الضليع الخليق بحب الكفاح وطلب المجد عن طريق القوة والفتوة ، وترصدوا الأقدار على أنها معادية لهم مريدة الشر دائماً بهم ، جاهدة أن تضع فى سبيلهم العوائق والعراقيل ، كأن رب الأقدار مولع بالتنكيل والعذاب يصبه على من يخرجهم إلى رحاب ملكوته، مغرم بفرض الأوامر والنواهى التى لا معنى لها إلا إظهار السلطان وإرهاق عبده الإنسان ! فهم لذلك حريصون على اهتبال اللذات خلسة وجهرة ، وعلى الثورة على الأوامر والنواهى تحرراً وانطلاقاً ...

وقد وقر فى الأذهان كذلك أن الدنيا لا احتمال لمكارهها وآلامها وتكليفاتها ، ولا طاقة للقلوب البشرية على حمل أماناتها وأعبائها ، فاجترّت الأفكار معانى العجز والكسل والتسليم الذليل القاصر الذى لم يحاول شيئاً أمام ما زعموه سلطة القدر ، ورددت الأفواه ألفاظ الجزع والهلع والضعف والقنوط والهروب من مواجهة الحياة ، وجلس الرجال، نعم الرجال ! عنصر الكفاح فى الحياة مجالس الأطفال القاصرين العاجزين على التراب يبكون ويئنون ويضمرون الغيظ الأليم من الحرمان ، وينظرون إلى السماء نظر الفقد والثكل حتى يوم الإقبار ...

ومن هذه الفكرة الواحدة الأساسية الأولى ولدت جميع المصائب والمكاره التى ضاعفت سواد الحياة فى نظر الناس وجعلتها سلسلة من الآلام ، وأخرجتها مخرج المأساة الدامية التى يدور فيها سوط القدر على ظهورهم وسيفه على رقابهم ...

* * *

كانت نتائج هذا الفهم المخطئ والوضع المغلوط لهذه الفكرة الأولى ، ذات أثر عميق فى مجرى الحياة يتصل بالعقائد الأصلية فيها : وهى العقيدة فى الحياة نفسها ، والعقيدة فى واهبها ، والعقيدة فى الإنسان ...

فأما العقيدة فى الحياة فقلما تحظى من فكر الفرد أو فكر الأمة أو فكر الإنسانية بما يجب لها من التأمل والفهم قبل البدء بالسير فى طريق الحياة . . . أعنى عند تفتح المدارك وابتداء عهد الرشد وإدراك النسب الكثيرة بين الأشياء . . .

وإنك إذا سألت أكثر المتعلمين - دع الجاهلين - عن مدى فهمه لحياته وإحساسه بها ، وعن الفكرة الأولى التى بنى عليها معانى نفسه ، ووجه إلى نطها إبرة قلبه ، وأدرك أنها هدف

الإنسانية جميعها وجدت أكثرهم يتلجلج ولا يكاد يبين ؛ لأنه دخل الحياة فى ذهول الطفولة ، ثم درج إليها فى عبث الشباب ، ثم أخذته غمرة مشاغل الجماعة فى عهد الكهولة ، ثم هدمته عقابيل المرض والانحلال فى عهد الشيخوخة ، وإذا هو بعد ذلك مدرج فى الأكفان ، ملقىً إلى ظلمات القبور .

هو فى مراحل عمره مشغول بكل شىء إلا ما يجب أن يشتغل به أولاً ...

ولكن قد يصحو أحدهم من ذهول الطفولة أو من عبث الشباب صحوة المحموم الهاذى ، فترة قصيرة يرى فيها وجه الحياة ، ثم تعاوده أخذة الحمى فينتكس ...

وقد يدرك أحدهم وجه الحياة وهو فى مشاغل الكهولة ، ولكن يعز عليه أن يفارق طريق الجماعة ويبتدئ بناء حياته على ما أدرك فيمضى فى طريق القافلة التائهة ...

وقد يصحو أحدهم الصحوة الدائمة وهو فى انحلال الشيخوخة فيعوزه و يؤوده أن يجاهد فى سبيل إفهام الناس وإقناعهم بما أدرك فيمضى مغيظاً محسوراً يردد :

أواهُ لو عرف الشبابُ ، وآهِ لو قدر المشيب !

ما استقامت قناةُ رأيى إلا بعد أن عوّج الزمان قناتى

فلا مفر إذاً من ترقب عهد اليقظة وتفتح المدارك عند الطفولة والشباب ، لإدخال الفكرة الصحيحة عن الحياة ، وغرسها إلى أذهانهم .

***

والفكرة الصحيحة — فى رأيى — عن الحياة هى فكرة التفاؤل الرحب والتأويل الواسع لما عسى أن يكون فى الحياة الطبيعية من آلام ، وفهم الحياة على أنها فرصة للفرجة والاطلاع على أسرارها ، وأنها سفر فى مجاهل الكون . ولا بد للسفر من بعض المشقة ... ولكنها ليست مشقة النزاع والخلاف بين الركب المسافر ، فإن ذلك جناية الركب وليست جناية الطريق ...

ومن الهين على العقل أن يهدأ ويستريح لهذه الفكرة متى أدرك أن دخولنا إلى الحياة لم يكن باختيارنا ، وأن إنشاء الكون وتهيئة الأرض وإعدادها للسكنى بالحرارة والماء والضوء والغذاء والهواء والإنبات والإنسال ليس لنا أبداً رأى فيه أو اختيار ، فلا مفر لنا إذاً من الخضوع والتسليم والاندفاع مع عجلة الحياة ، والاجتهاد فى التحرى عن قوانين الطبيعة التى وجدنا أنفسنا فى نطاقها وإسارها ، والتلمس للغايات التى يصح أن تكون أهدافاً لإيجادنا فى الحياة

وما أريد أن أستند فى تركيز هذه الفكرة إلى دين متوارث أو إلى رأى مأثور ، وإنما الاستناد إلى الواقع المحسوس والمنطق الوضعى الذى فى الطبيعة .

ولو سألت الإنسانية نفسها : من أدخلنى إلى رحاب الحياة وجعلنى أحرص عليها مع أنى لم أدخلها باختيارى ؟ والتزمت ما يوحيه الجواب على هذا السؤال إذاً لثبت إيمان كل فرد من قلبه هو قبل أن يقرأ كتاب دين أو يرث عقيدة أمه وأبيه

لأن سر الحياة العميق الملتهب الذى يسكن أجسامنا يحملنا على المحافظة عليه دافع مبهم مجهول عجيب ! مهما لقينا فى سبيل الاحتفاظ به من آلام وعناء ... ولم يفر من حمله إلا الأقلون من المنتحرين ؛ وهم من القلة بحيث لا يعتد بهم

هذا الدافع العجيب هو صوت خفى بعيد عن غير « المؤمنين » وواضح قريب عند المؤمنين . وما يعنينا البحث عن الصوت الواضح عند هؤلاء ؛ وإنما يعنينا البحث عن ذلك الخفى البعيد عند أولئك ...

ونسألهم : لماذا لا يفرون من الحياة ويتحررون ما داموا بها غير مؤمنين ؟

لماذا يستمرون فى الصراخ والعويل والإزراء على الحياة والأقدار العمياء أو المبصرة ، واليد المقدرة أو الصدفة الخابطة . ويصدعون أسماع الناس بالأنين والتشاؤم مع أن الأولى بهم أن يريحوا أنفسهم من عناء الأحوال والأعمال والأقوال فيرجعوا إلى عالم الجود والموت كما تمنى قائلهم :

ما أطيب العيش لو أن الفتى حجرٌ تنبو الحوادث عنه وهو ملموم !

ونسألهم لماذا يقعد بهم الجبن عن مفارقة الحياة ثم تذهب بهم الشجاعة إلى السباب والسخط على من أدخلهم إليها ؟! فأين أدب الضيوف ؟!

إن للحياة نبأً عظيما يدركه الفكر المقدر لتلك الأعمال العظيمة التى يدور بها دولاب الفلك فى هول واتساع وقوة ورهبة ! و « إن فى السماء لخبرا » كلمةٌ جاهلية العصر ؛ ولكنها لُبابُ العلم فى كل زمان

وما يعنيني شخصيتي المحدودة ، ما دمت قد حظيت برؤية هذه الدار الهائلة ذات الأعاجيب اللانهائية .

وما تضيرني حوسلتي الضيقة المظلمة الفقيرة ما دمت قد رأيت رحاب الفضاء ، ومصادر النور وخزائن الغنى والثراء التي ما لهامن نفاد لقد تمتعت على الأقل بأحلام الفاقدين وإنها لمتاع أي متاع ! وتطلعت إلى عالم الانطلاق وأنا في القيود ... وأدركت الباق الخالد حين أدركت الفاني البائد . . .

وإنها لمعان جديرة أن يخرج إليها الإنسان باختياره من سكون العدم وجوده ، ويقتنيها ببعض الآلام والمكاره ، ويصطبر على الحياة من أجلها حتى توفى إلى غايتها ، ويبالغ دائماً في حب من أخرجه إليها ...

* * *

ولكن أفي الحق أن طبيعة الحياة تحمل هـذا الجانب البالغ من المكاره التي يزعمها الناس ويتوارثون الحديث عنها ويفيضون فيه شعراً ونثراً وحكم ووصايا وأمثالاً ؟ أم أن تلك المبالغة من جناية الإنسان الظلوم الجهول على الحياة وعلى نفسه وعلى واهب الحياة وبارئ النفس ؟

أم أنها من جناية « تجار الكلام ! » وحدهم الذين يرسلون زخرف القول غروراً لا يبالون ما فيه من الصدق أو الكذب ما داموا قد عبروا فيه عن حالة خاصة من مكارههم وسوداويتهم ، وما داموا قد أرضوا غرامهم الفني بحسن الصياغة والإغراب في المعاني والإتيان بغير المألوف وإرسال الخيال في أودية الأوهام والضلال ؟

أما اعتقادي فهو أن الآلام الأصيلة في طبيعة الحياة قليلة جداً لا تتعدى ما يتصل بالكوارث الطبيعية والأمراض . وإن كانت الكوارث الطبيعية والأمراض قد تغلبت على الإنسان قديماً فهو الآن يستطيع دفاعها والتحصن منها وتقليل آثارها إلى حد كبير ، فلا داعي لاجترار أقوال المتشائمين القدماء .

وقلما تصيب الأمم كارثة طبيعية الآن . ولن يبلغ مجموع الكوارث الطبيعية عشر معشار ما كسبت أيدي الناس وما بغى به بعضهم على بعض

فأكثرية آلام الإنسان ناشئة من جناياته هو على نفسه وعلى جنسه ، فهو يجنى على نفسه بالإفراط في اللذات والشهوات حتى يتهدم جسمه ، وبالتفريط في وقايتها من أسباب الأمراض حتى يدب إليه المرض وآلامه ويتسرب منه لذريته

وهو يجنى على جنسه بالشره والطمع فيما ليس له ، وبالتوزيع الظالم للثروة ، وباغتصاب حقوق الضعفاء والعجزة الذين لا يستطيعون حيلة ، وبحب الغلبة والتسلط وإهدار الدماء وإهلاك الحرث والنسل في سبيل ذلك ، وبتلويث الذرية بالأمراض الخبيثة ، وبالنزاع والخلاف لمجرد الحسد والحقد ومطاوعة الغرائز الدنيا التي يجب أن يحد من شرتها ما دام قد ارتضى حياة المدنية والجماعة المتعاونة المتفاوتة في الكفايات

وإذا نحن تأملنا عالم الشر والألم وجدنا أكثر من تسعة وتسعين في المائة منه ناشئاً من جنايات الإنسان ، والباقي مرده إلى الأسباب الطبيعية

وصدق قول القرآن : « ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا »

وصدقت الخنساء :

إن الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس

فليس من الإنصاف إذاً في الحكم على الحياة أن نخلط بين الأسباب الصناعية والأسباب الطبيعية للآلام فندخل جنايات الإنسان في نطاق الطبيعة ، ونجعل فساده سبباً في إرسال خواطر الشؤم والسخط على الحياة وواهبها . وإنما الإنصاف أن نعمد إلى النفس البشرية فنجعلها في انسجام وتوافق مع قوانين الطبيعة فلا نضيف للطبيعة شراً ليس فيها ...

ونحن قد حملنا الأقدار العليا أكثر مما تحتمل ، فنسبنا إليها ما نقترفه نحن من جرائم ، وزعمنا أنها راضية عن حياة الاجتماع الحالية ، ووقفنا منها موقف اللائمين . ولو فهمنا الأقدار التي استأثرت بها اليد العليا والأقدار التي خولت الإنسان التصرف فيها ، وفهمنا القدرة العجيبة التي للفكر البشري والجهد البشري على تغيير الأوضاع في الأرض ، وتأملنا تغير الإنسان وثبات الطبيعة في دوراتها الأبدية الكبرى ، وطواعية كل شيء للإنسان بسلطان العلم والتنظيم ، وأخذنا عقائدنا في الحياة وفي النفس مما تسمح الطبيعة لنا بالتصرف فيه . وأدركنا الخطوات السريعة التي خطاها الإنسان في سبيل الانطلاق والسيطرة والتحرر من القيود والقدرة على طرح كثير من القيود

على مرافق الطبيعة لتسخيرها ، إذاً لكان لنا من ذلك كله رأى جديد فى أنفسنا وفى الحياة وفى سلطاننا عليها ، ولحملنا ذلك على تلمس النقص والفساد فى نفوسنا لإكماله وإصلاحه لا فى الطبيعة البريئة من كثير مما تنسبه إليها .

ولكننا مع الأسف الشديد لا نزال نأخذ عقائدنا فى الحياة وفى الإنسان من منطق العجزة الأولين الذين كانت الأرض مغلقة الأبواب فى وجوههم ، وكانت الحياة جديدة عليهم ، وكانوا وسط ألغازها ومشقاتها كأطفال فى صحراء ، وكانت أكثر علومهم نظرية تجريدية تتخيل ، وتفرض وقليلاً ما تجرب وتعمل ، وكانت آراؤهم مبنية على ما يأخذونه من الاقوال المأثورة التى هى خواطر ابتدائية لفهم الحياة ، وكانت الأرض نفسها مبهمة مجهولة لديهم ، والأهوية والأمواه والنباتات والأمراض والنجوم ومواقع البلاد وأجناس العباد والجمادات والحيوان مجهولة العناصر والمناشئ ...

أما الآن فالناس جميعاً يقرءون أو تقرأ ناشئتهم الثقفة على الأقل كتاباً واحداً هو الطبيعة ذات العلوم « الموضوعية » التى لا تتبدل بتبدل الأمكنة والأزمنة والأجناس

فجدير بهم أن يأخذوا عقائد جديدة من الحياة الجديدة . ولا شك أنها ستكون واحدة لوحدة المصدر الذى يأخذونها منه ؛ ثم يرتدوا بعد ذلك للعقائد المسطورة فى الصحف الموروثة ، فما وجدوا فيه مصداقاً لما أخذوه من الطبيعة أبقوه ، وما وجدوا فيه خلافاً عليها طرحوه وراءهم ظهرياً ، وحاذروا أن يلقنوه الناشئين فيزيفوا عقائدهم .

* * *

أجل ، فى عالم الكلام المسجل كثير من القضايا التى لا وجود لها فى الطبيعة . وكل ما فى الطبيعة حق يجب الاعتراف به حتى الشر ! فهو مخلوق بالحق وللخير : يخدمه ويشير إليه

ولو علم المتكلمون ووارثو الكلام أنهم كثيراً ما يقولون ما ليس له وجود ، وأنهم يخلقون عوالم من الأفكار والآراء لا تمكن الحياة فيها ، وأن الأحلام والأمانى الكواذب وضباب الأفكار كثيراً ما تسبق إلى ألسنتهم وأقلامهم ، إذاً لحرصوا غاية الحرص — إن كانوا أمناء على الحياة — على أن يكون كلامهم وفنهم مرآة للحق الذى فى الطبيعة وحده !

إن الطبيعة ثابتة كما نعلم ، ولكن النفس فيها طبيعة التغير والتطبع والمرونة تحت تأثير الأفكار ، والأفكار أمهات الأعمال

وضلال أكثر النفوس ناشئ من أنها لم توضع فى المواضع التى تتسلط عليها فيها عوامل الطبيعة المباشرة ليكون عقلها صورة من التجارب التى فيها ، بل وضعت تحت تأثير تلك الأقوال المغلوطة عن الحياة والقدر والعجز الإنسانى والأحلام الكواذب فهى تنظر للحياة بما فى نفوسها من آثار ذلك وتحكم عليها به

ولو ذهبت أتقصى الضلالات المسطورة فى الكتب والموروثة فى العقول سواء فى الفضائل أم فى الرذائل ، إذاً لأخرجت عدداً من الفضائل ووضعته فى الرذائل وعكس ذلك

وكم أود لو ظفرنا باستخلاص الأخلاق الإنسانية الثابتة من الطبيعة وحدها حتى نضع من ذلك قانون الأخلاق للجميع ! وإن الأخلاق تفاعلات بين النفس والطبيعة وبين النفوس والنفوس ، وليست منزلة من السماء ، وإنما الذى ينزل من السماء هو الإرشاد إليها حين يضل الإنسان طريقها .

* * *

إن العلم الطبيعى هو أعظم أبواق الحياة فى دعوة الناس إلى اللقاء والسير فى طريق التعارف والتكافل . والشقاء الحالى الذى تصلى الإنسانية نيرانه ناشئ من أنها لم تستجب لدعوة العلم والخضوع لما يوحيه من وحدة المصلحة والمنفعة والطريق ...

وفى اليوم الذى تتسع فيه أخلاق الفرد لبنى أمته وأخلاق الأمم بعضها لبعض ، ويؤمنون بضرورة ضبط النفوس وتوزيع الموارد الاقتصادية — وهى كثيرة كافية فى الطبيعة — توزيعاً عادلاً ، والتعاون على مكافحة الشر والألم : الشر الذى مبعثه الغضبية والأنانية الفردية والقومية ، والألم الذى مبعثه أذى الطبيعة وآفاتها ؛ فلا شك يسعدون فى جنة موقوتة يجدونها فى الأرض قبل الجنة الموعودة فى السماء !

قد يبدو هذا الكلام لكثير من الذين لا يدمنون التفكير فى الطبيعة والنفس والقضايا العليا للوجود ، المغمورين بالنازعات والشهوات ، غير المعنيين بالسؤال عن وضع الإنسان فى الحياة ، الخاضعين لسلطان الأنانية الفردية والقومية ، الجاهلين خطوات سير الإنسان منذ وجوده ساذجاً إلى صيرورته عالماً معقداً ، الذين لا يسألون عن ماضى الإنسانية ولا يتساءلون عن مستقبلها ، وإنما يدخلون الحياة ويخرجون منها كأنهم أوراق أشجار تجيء

وتذروها الرياح، أو تحرق في المواقد، أو تطرح في المزابل والعفونات، أو كأنهم ذئاب عاثية خلقت للشر والفتك، أو خرفان بلهاء خلقت للذبح والافتراس، أو ذباب قذر يطير ويحط على الأقذار . . . الذين لم يأخذوا من الطبيعة أسرارها أو يعملوا فيها عملاً عظيماً، أو يصافحوا يد الله على بساطها ويأخذوا منها بعض أفانين صنعها ... الذين يولدون عمياً، ويعيشون عمياً، ويموتون عمياً . . . قد يبدو هذا الكلام لدى هؤلاء بعيداً أو مستحيلاً ...

ولكن الذين تركوا حماقات الأنفس وضلالات الجهل وتجردوا للحق، واتسعت نفوسهم باتساع الطبيعة، ونظروا لقضايا الوجود نظرة الاهتمام، وعرفوا أن وسائل تحقيق هذه الآمال حاضرة ... يرون كل أولئك حقاً لا شك فيه!

عبد المنعم خلاف

للحقيقة والتاريخ

٢ – بين آدم وحـــواء

للدكتور زكي مبارك

أرجع ثانيةً إلى الغرض من هذه الأحاديث فأقول:

كتاب شيث بن عربانوس يؤرخ عهد آدم في الجنة وعهده في الأرض، وكان ذلك لأن المؤلف قريب الزمن نسبيًّا من هذين المهدين؛ فقد وُلد في العام الثاني بعد انحسار الطوفان، وإذاً فهو أقدم نسلٍ حفظته الأرض بعد نجاة من نجا من قوم نوح، وأول عقلية علمية في ذلك العهد البعيد، إن صح أنه شخصية حقيقية من شخصيات التاريخ

ولكن ما قيمة هذا الكتاب؟ وما وزنُ حديثه عن آدم وحوّاء؟

عرضتُه على دار الكتب المصرية وعلى مكتبة وزارة المعارف وعلى مكتبة الجامعة المصرية فلم أجد من يعترف بقيمته التاريخية، وإن كان مكتوباً بالخط الكوفي ... وهل كنت أجهل أن الطعن في صحته من الممكنات؟ إنما كان همي أن أنتفع بثمنه، وأن أمكّن الجمهور من الاطلاع على ما فيه من مقاصد وأغراض، ولكن الأمل في الانتفاع بثمنه أمسى خيالاً في خيال، ولو ثبت أنه نسخة قديمة من نسخ الأناجيل، وهل تكتفي سفارة غربية أو شرقية حتى أبيع من المخطوطات ما أشاء ...؟ أنا مصري وآبائي مصريون، فكيف أنتفع من مصر باسم العلم والأدب والتاريخ؟

ألم تسمعوا حديث الأجنبيّ الذي سيتمصّر في سنة ١٩٣٧؟

كان أحد الأجانب يدرّس إحدى اللغات الحية بالمدارس الأميرية وبالمرتب الذي يتقاضاه الأجانب من المدرسين، ثم لاحت له فرصة للتجنس بالجنسية المصرية، فأسرعت وزارة المعارف وردّته إلى «الكادر» الذي تعامل به المدرسين من المصريين، كأنه انتقل من الهُدى إلى الضلال؛ وكان الظن أن تراه انتقل من الخوف إلى الأمان!

وإذا كانت المتاعب تلاحق من يتمصّر من الأجانب، فكيف تصنع بالمصري الأصيل؟!

إلى الله يشكو المصريون شقاءهم وعناءهم من التغاضي عن حقهم في الانتفاع بثمرات البلاد!

إلى الله نشكو الغربة في الوطن الغالي، ومنه نستمدّ العون على مكاره الزمان!

ما لي ولهذه الخواطر المزعجات؟ وهل قلّت المتاعب الجديدة حتى نؤزّرها بمتاعب قديمة تأخذ وقودها من الذكريات؟

أرجع إلى الغرض مرة ثالثة فأقول:

قبل الشروع في تلخيص كتاب شيث بن عربانوس أسجل أني غير مطمئن إلى أنه أُلف في العصر الذي تلا الطوفان — وما أقول بأن ذلك مستحيل — فقد يكون من الممكن أن ننظر إلى الطوفان من وجهة معنوية، فنعدّه مرحلة من مراحل الغفوات الروحية في الحياة الإنسانية، ونعدّ العصر الذي تلاه عصر يقظة ونهضة وإحياء، وعندئذ يصبح من السهل أن نفترض أن ذلك العصر يَصلُح لما صدر عن شيث بن عربانوس من أفكار وآراء.

ولكن هنالك عقبة تمنع من ذلك الافتراض، وهي إجماع الكتب الدينية على أن الطوفان وقع بالفعل، وأنه لم يبق من السلالة الإنسانية إلا ما حفظته سفينة نوح ... ومن الواضح أن تلك البقايا كانت في شغل بتدبير حياتها المعاشية؛ فمن العسير أن نتصور أنها عرفت التأليف والمؤلفين إلا إن توغلنا في شعاب الفروض!؟

يضاف إلى ذلك أن المصادر التى تحت أيدينا لم تتحدث عن شيث بن عربانوس ؛ ولم نسمع أن اسمه ورد فى كتب المستشرقين - وهم حجة فيما يتصل بمجاهل التاريخ فى الشرق - وقد يعرفون منه ما يجهل الشرقيون !

فأين وجد زكي باشا ذلك الكتاب ؟

كان فى النية أن أوجه إليه هذا السؤال ، ولكن المنية عاجلته فقضت بأن تطول الحيرة فى مصدر ذلك السِّفر الغريب

وفى الحق أنى غير مصدّق لكتاب لغتهُ العربية مع أنه أُلف بُعَيْد الطوفان

وهنا أذكر حادثةً فى نهاية من الغرابة ، ولكنها وقعت على مسمع من جمهور كبير فى أروقة السوربون يوم أديت امتحان الدكتوراه فى الخامس والعشرين من أبريل سنة ١٩٣١ ؛ فقد حاجّنى المسيو ماسينيون حِجاجاً عنيفاً حين رآنى أنكر أن تنشأ اللغات بالتوقيف . . . وإن عادت الدنيا إلى ما كانت عليه ورأيت المسيو ماسينيون بعافية فسأراجعه فى هذا الحِجاج ؛ فما يستطيع ذهنى أن يسيغ فكرة التوقيف ؛ وإنما أعتقد أن اللغات ظاهرة إنسانية يصنع بها التطور ما يصنع على اختلاف الأجيال

المهم أن أسجل أنى مرتاب فى كتاب شيث بن عربانوس ، ولن أقبل نسبته إلى ذلك العهد البعيد ، العهد الذى تلا الطوفان . وأين نحن من الطوفان وهو صورة حائرة لم يبق من ملامحها غير أطياف ؟

فمتى أُلف هذا الكتاب ، إن صح ذلك الارتياب ؟

إن لغته مزيج من القرشية والحميرية ، فهل أُلف قبل أن تصير لغة قريش لغة التخاطب والتأليف فى أشتات الجزيرة العربية وفيما خضع لسلطانها الأدبى من الممالك الإسلامية ؟

ألا يكون مؤلفه صنع ذلك عمداً على سبيل التضليل ؟

الله وحده هو الذى يعلم ما مرّ بهذه الوثيقة التاريخية من تمحّل واحتيال

المشكلة الأساسية

أترك الكلام عن صحة كتاب شيث ، وأنتقل إلى تشريح ما فيه من معانٍ وأغراض فأقول :

يقع الفصل الأول فى صفحات تصل إلى الخمسين ، وفى هذا الفصل نقض للنظرية التى تقرر أن آدم استكان لحواء . فتركها تمضى الله كيف تشاء ، فالمؤلف يقرر أن آدم كان تعب من الإقامة فى الجنة ، وكان يتمنى لو استطاع أن يخرج منها بأى حال وعلى أى أسلوب ليتنسم روح الوجود ، لا رَوْح الخلود ، فقد كان يعرف بفطرته أن الخلود إنما يأخذ صورته من الوجود[1]

وثورة آدم على الجنة لها أصل : فقد كان يرى أنه لا يليق بالإنسان أن يأكل طعامه بلا جهاد . وكان يرى من الضعة والمهانة أن يُترك المرء بلا متاعب ولا تجارب ، وهو لم يخلق إلا للكفاح والنضال

وزاد فى همّ آدم أن حوّاء كانت فى الجنة بلا ضرّة ، فلم تقهرها الغيرة على التسابق إلى مواقع هواه ؛ بدليل أنها كانت تنساه أو تتناساه عاماً أو عامين ، بلا تلهّف ولا تشوّف ، لأنها تعلم أنه لن يكون لسواها من النساء ، ولو أضمر من ضروب الخيانة ما يريد خياله الحبيس ؛ وإلا فكيف جاز أن تقضى فى الجنة أعواماً بلا تبرّح ولا اختيال ؟

وفى هذا المقام نقل شيث أبياتاً عزاها إلى آدم عليه السلام ، وهى من النظم الركيك ، فلا موجب لإثباتها فى هذا التلخيص ، ويكفى أن نشير إلى معناها لجودته وصدق مغزاه ، وهو يقول بعبارة صريحة إن حواء لم تكن تفرق بين البلادة والعقل ، ولم تكن تعرف أن التودد إلى الرجل والترامى عليه فى رقة ودلال لا ينافى الأدب والحياء

كذلك قال آدم فى رواية شيث . وعلى فرض أن الرواية صحيحة فآدم مخطئ - وأنا أريد آدم الرجل لا آدم الرسول - وإنما أخطأ لأنه تصور أن التلطف يجب أن يصدر أولا عن المرأة والتلطف ، هنا معناه الفتك وهو من جانب المرأة دلال . ومن جانب الرجل صيال

إذا كانت حوّاء أجرمت فى ترك آدم عاماً أو عامين فآدم أجرم أيضاً بسكوته عن شكل تلك الظبية النفور بشكال من الحب العارم والوجد المَشُوف

وهنا تظهر مفاجأة من أغرب المفاجآت ، فشيث ينقل عن تأملات آدم خطرات تبدد ما وجهنا إليه من اعتراض

وسأنقل تلك الخطرات بعبارة سهلة تقرّبها من أذهان القراء بعض التقريب « لأنها فى لغة شيث لا تخلو من غموض والتواء » ثم أنقدها برفق رعاية لمكان ذلك الجد الجليل

كان جلوس آدم على شطّ الكوثر من وقت إلى وقت يوحى

---

(١) نحن لا نوافق شيث بن عربانوس فى كل ما رواه . والغرض هو تقديم صورة جديدة من آراء لم تكن معروفة من قبل

(الرسالة) : ونحن نقول مرة أخرى إن الدكتور مبارك كاتب ممدود فطنه وحده تبعة ما فى رأسه من آراء ، وما فى مكتبته من كتب

إليه أفكاراً فى غاية من الطرافة النسبية ، لأنه أول إنسان شهد الوجود ، على أرجح الفروض[1]

كان يعرف أن الجنة فى غاية من العَرض والطول ، بحيث تسع لسكان الأرض والسموات[2] فكيف جاز أن لا يكون فيها غير نهر واحد ؟

كذلك قال آدم فى رواية شيث ، وهو قول خاطئ ، فوحدة النهر فى الجنة لها مغزًى جميل ، لأنها ترد أهل الجنة إلى مزاج متقارب فى فهم الأشياء . وهل يختلف سكان الأرض إلا باختلاف الطعوم فيما يأكلون وما يشربون ؟ لو اتحد مذاق الطعام والشراب بين جميع سكان الأرض لقل بينهم الخلاف . ألم تروا كيف تختلف الطبائع بين الحيوانات اللحمية والحيوانات النباتية ؟

إن القط فى صورة الأسد ، ولكنه ليس فى صولة الأسد ، لأن معدته لا تأخذ من اللحم إلا عُشرَ معشار ما تأخذه معدة الأسد ؛ وهو يروّع الكلب الضخم بأقل إشارة ، لأن الكلب نفسه قد يكتفى بالأطعمة المكونة من عناصر نباتية !

وما أقول بأن اللحم أفضل من النبات فى جميع الأحوال ، وإنما أقرر أن اختلاف الأغذية هو السبب فى اختلاف الطبائع . وكذلك أقول فى اختلاف الفصول ، وهل كان اطراد الجو فى الجنة على نسق واحد إلا بشيراً بما سيكون بين أهل الجنة من وفاق وصفاء ؟

وكانت غيبة حواء عن آدم توحى إليه التفكير فى منافع الأعضاء كان يتأمل فيرى أن الله خلق للانسان عينين وأذنين ولساناً واحداً فما سر ذلك ؟

يجيب آدم — فيما روى عنه شيث — بأن الله أراد أن يكثر زاد الإنسان من المرئيات والمسموعات ، ولا بأس بأن يقل نصيبه من المنطوقات ؛ لأن الرؤية والسماع من ضروب الانتهاب ، أما النطق فمن صنوف الإعطاء ، والانتهاب هو الشاهد الأول والأخير على قوة الحيوية ، أما الإعطاء فهو تسليم وانسحاب

وقد ابتسمت حين قرأت هذا الكلام ، فمنه أخذ الشاعر الذى سجل أن المرء يقبض يده عند الولادة ويبسطها عند الموت ، وإن جهل التعليل على وجهه الصحيح

وتحرير هذا المعنى أن المرء عند الولادة مقبل على الحياة ، فهو يقبض يده ليشير إلى أن وظيفته هى الأخذ والنهب ، وهو يبسط يده عند الموت ليشير إلى أن التبذير من صور الفناء

ثم يمضى آدم فى تأملاته فيقول : كيف يقنع من رزق عينين باصرتين بوجهٍ واحد : هو وجه حواء ؟ وكيف يقنع من رُزق أذنين واعيتين بصوتٍ واحد : هو صوت حوّاء ؟

ومن هذا التأمل العارم كان ضجر آدم من وحدته فى الفردوس

ويظهر أن آدم كان وُهب فكرة الاعتراض والجواب ، فقد خطر له أن حواء لها أيضاً عينان وأذنان ، وأن من حقها أن تفكر فى مثل ما فكر فيه ، إن أقيم للعدل ميزان

ثم يجيب آدم بأن تساوى الجوارح بين الرجل والمرأة ليس دليلاً على التساوى فى المواهب ولا دليلاً على التساوى فى الإحساس . ويبلغ غاية الشوط فيقرر أن المرأة كانت بعينين وأذنين لأنها أخذت من ضِلع الرجل فهى من صوره الوجودية ، أو هى الشكل الذى يرضيه أن تكون عليه ليتم بينهما الانسجام فى حدود الإمكان

وأقول إن هذا الكلام هدانى إلى كثير من المعانى :

فالحوَل يكثُر فى النساء ويقلّ فى الرجال ، ومعنى ذلك أن للذكر مثل حظ الأنثيين ، حتى فى القوة البصرية[1]

وإذا وُجد العوَر فى إحدى السلالات فالطفلة ترثه قبل الطفل

وإذا كان أحد الأبوين غبياً دميماً وثانيهما ذكياً جميلاً فالغالبُ أن يَرِث المولود الذكر ما عند أبويه من الذكاء والجمال[2]

ويؤيد هذا أن الديك أجمل من الدجاجة ، وأن الجواد أجمل من الفرَس ، وهذا الحكم مطّرد فى أكثر المخلوقات ، وهو يظهر واضحاً فى أشجار التوت ، بغض النظر عن ظهوره فى سائر الأشياء .

وإذا صدّقنا رواية شيث عما كان بين آدم وحوّاء فلن يفوتنا أن نسجل أن آدم هو الذى نطق قبل أن تنطق حواء ، وهل كان لتلك المرأة تاريخ فى الجنة غير انصياعها لدسيسة الحية ، وعن الأنثى تنقل الأنثى أصول الفساد ؟

الظاهر أن للذكورة خصائص لا تصل إليها الأنوثة بأى حال . والظاهر أيضاً أن الرجال لن يزالوا بخير ما فطِنوا لمكر النساء . وهل انخدع آدم بحيلة حواء أو حيلة الحية إلا فى لحظة من لحظات الضعف[3] ؟ !

(١) هذه الاشارة معنى سنرجع إليه حين يجىء مكانه من هذه الأحاديث

(٢) هل كانت عند آدم فكرة عن الأرض والسموات ؟

(١) سنرجع إلى هذا المعنى بشىء من التفصيل

(٢) واللون أيضاً يرثه الذكر قبل الأنثى

(٣) سيجىء هذه النقطة توضيح فى كلام شيث

وأستطرد قليلا فأقول :

وقع في هذه الأيام حادث فظيع . هو اصطدام أحد كبار الموظفين بسيارة يقودها أجنبي سكران ، وعُلِّق الموظف بتقدُّم السيارة ، ومضى السائق ينهب الأرض لينجو من العقاب . وتنبهت لخطر الفادحة سيدة مثقفة ، فمضت بسيارتها في ملاحقة ذلك الجاني الآثم ، ولكنها فوجئت بإشارة المرور فوقفت !!

وهنا الشاهد الذي أريد : فلو كان في سيارتها رجل لداس إشارة المرور في سبيل الواجب ؛ ولم يترك ذلك الجاني الهارب بلا اقتناص أو افتراس

هي امرأة وإن نالت إجازة الحقوق ، وطاعةُ إشارة المرور هي في نفسها الصورة الحرفية لطاعة الواجب ، أما تشريح هذه الدقائق فهو من خصائص الرجال . والرجل هو الذي يدوس جميع الأنظمة في سبيل الإعزاز لما يؤمن بأنه حق

وجملة القول أن سخرية آدم من مواهب حوّاء لم تكن طغياناً في طغيان ، وإنما اعتمدت على قواعد وأصول . ولم تقع من آدم إلا لأنه كان يستوحي الفطرة والطبع ، ولو أن الجنة لعهده كان فيها مدارس وكليات لكان من المرجح أن يكون حديثه عن حوّاء مُغلّفاً بالرياء !

ثم تجيء عقدة أغرب وأعجب ، وهي تفكير آدم في مسألة النسل ، وهي مسألة لم يفكر فيها آدم إلا بعد تأمله لما في الجنة من فصائل الطير والحيوان ، ولم يكن فطن إلى أنها مسألة تجتح عالم النبات ، وقد تمس عالم الجماد

ومن كلام شيث نفهم أن تفكير آدم في مسألة النسل لم يصر من المعضلات النفسية ، وإنما كان يعتاده من حين إلى حين ، ثم ينصرف عنه بالاشتغال بمداعبة حواء ، كأن يرميها بنواة من نوى الجوز ، أو يقذف بها في « الكوثر » على حين غفلة ، أو يدوس شعرها الذيّال

والحق أن عقم آدم وحواء في الجنة يحتاج إلى تأويل

أليس من العجب أن يكون ما في الجنة خصباً في خصب ونماء في نماء ، إلا فيما يتصل بآدم وحواء ؟

كان الشجر والزهر والنبات والطير والحيوان ، كان كل أولئك في حيوية مخصبة لا يعتريها ضعف ولا خمود ؟ وكنت ترى الجنة ينبت الأفانين من الألوان في كل يوم : وكان هواؤها يتجدد في كل لحظة بأسلوب يدل على أن الهواء مخلوق له روح ،

وكانت أسماك الكوثر تجتمع وتفترق بأريحية ودلال . . . كان كل ما في الجنة على جانب من الذاتية ، ولو كان من صغار الدواب والحشرات ، أو ضعاف الذباب والبعوض ، ولجميع الخلائق في الجنة مكان .

ازدهرت الجنة في أغلب مناحيها وأثمرت ، وخُصَّ بالعُقم آدم وحواء ، فما هي الأسباب ؟

لم يفكر شيث بن عربانوس في تعليل هذه الظاهرة الغريبة . ونحاول تعليلها فنقول :

كان سبب ذلك العُقم فيما نفترض أن حياة آدم وحوّاء في الجنة كانت حياة دعة وهدوء واطمئنان وأمان ، وهذا اللون من الحياة يخمد الحيوية الجنسية والمعنوية ، ويحوّل الرجل والمرأة إلى حيوانَيْن جامدَيْن لا يفكران في التسلح لدفع عوادي الوجود

والذي يقرأ ما أُثِر من الآداب الفطرية يلاحظ أن النسل لم يكن يُبتغَى للزينة ، وإنما يبتغى للدفاع والحِفاظ ؛ ومن هنا كانت قلة النسل من خصائص الأمم التي يقل خوفها من العدوان أو تقل رغبتها في السيطرة والاستعلاء ؛ ومن هنا أيضاً كان الناس يفضلون البنين على البنات ، لأنهم لا يبتغون من الذرية غير القدرة على مكافحة الباغين والعادين من الخصوم والنظراء .

ولم يكن لآدم في الجنة نصيبٌ من الخوف ، فقد كان ينام حيث يريد بكل اطمئنان ، وكان يتفق له أن يجعل صدر الأسد الرابض وساده الرفيق ، وقد طاب له مرة أن يطوّق « حوّاء » بعقدٍ مؤلف من أفراخ الثعابين .

ومع هذا لم يكن « آدم » يدرك ما في هذه المظاهر من غرابة وشذوذ ، فما كان سمع ولا عرف أن في الوجود أشياء فيها إيذاء .

وأقول : إن ذلك الأمان الموصول هو الذي أخمد عواطف « آدم » وأغناه عن التسلح بالنسل ، وحبّب إليه طعم القرار والهدوء والخمود . وكذلك صنع الأمان « بحوّاء » ، فغفتْ عواطفها الجنسية ، واستنامت إلى العُقم ، وهو مرض لم تلتفت إليه إلا حين رأت إحدى الظبيات تباغم رشأها الوليد في بعض غياض الفردوس .

ويؤيد هذه النظرية أن « آدم » لم ينجب إلا حين هبط الأرض ، فقد شعر بالخوف ، وأدرك أنْ لا بد له من أنصار وأعوان من الأبناء .

ومعنى ذلك أن الذرية ضربٌ من الفاعلية الحيوانية ، وهي تصدُر عن الرجل كما يصدُر السم عن ناب الثعبان .

وفي هذا المقام نشرح ظاهرةً لم تُشرَح من قبل ، وهي ما يلاحظ من قلة النسل عند العبقريين ، فما التعليل الصحيح ؟

يرجع السر إلى أن السلاح الماضي في يد الرجل العبقري هو مواهبه الذاتية ، فهو يحارب بالفكر قبل أن يحارب بالنسل ، وهواه لا يقف عند إخضاع الخصوم من الأهل والجيران ، وإنما يمتد إلى إخضاع الألوف والملايين من سكان الشرق والغرب والشمال والجنوب .

والنسل الحِسّيّ عند الجاهل سلاحٌ موقوت يخلقه الخوف ؛ أما النسل المعنوي عند العالم ، فهو سلاحٌ موصول تخلقه الرغبة في السيطرة الدائمة على الأفكار والعقول .

ولهذا السبب كانت ذخائر الأمم من الذرية لا تصل عن طريق العبقريين ، لأن هؤلاء لا يشعرون بالانفعال الحيواني شعوراً يكفي لأن تصدر عنهم الأنسال الكثيرة ، وإنما يتجه انفعالهم إلى جانبٍ آخر هو الرغبة العاتية في غزو العالم عن طريق الفكر والبيان .

وهل فطن أحدٌ إلى المعنى المطويّ في قول كُثيِّر :

بُغاثُ الطير أكثرها فراخاً وأمّ الصقر مِقلاتٌ نَزُورُ

فما معنى ذلك ؟ معناه أن أم الصقر لا تحتاج إلى حماية ، فهي لا تُكثِر من الذرية . ومعناه أن ضعف البغاث يوحي إليها بالإكثار من الأفراخ لتقاوم خصومها بالقوة العددية في حدود ما تطيق .

والمشاهَد أن المرأة الدميمة هي في الأغلب ولود ، كما أن المرأة الجميلة هي في الأغلب عقيم ، وكان ذلك لأن الدمامة تحتاج إلى حماية من الذرية ؛ أما الجمال فهو في ذاته قوة وسلطان

وللملائكة في أذهان الناس صور مجردة من النسل ، لأن الملائكة مؤيدون بقوة ربانية تغنيهم عن الاعتزاز بالأبناء

والله عز شأنه « لم يلد ولم يولد » لأنه منزه عن الضعف تنزيهاً خالياً من الشوائب ، وهذا لا يمنع من أبوّته الروحية لجميع ما في الوجود ، إن صح التعبير بالأبوّة في الدلالة على رفق الخالق بالمخلوق

وصفوة القول أن عقم آدم في الجنة له أصل ، فقد كان أكرم من في الجنة ، وكان المنطق يوجب أن يعيش بلا أسندة من الذرية بفضل غناه عن الكفاح والنضال

ولكن ... ولكن الأقدار أرادت غير ما يريد ، فنقلته من الجنة إلى الأرض ، ليشعر بالخوف ، وليحتاج إلى معاصم من الأبناء ، وليذوق طعوماً من الأفراح والأحزان لم تكن تخطر له في بال

والواقع أن الله كان أراد بآدم أشياء ، حين خلق له حوّاء ، فقد شغلته عن التكبير والتسبيح والتهليل ، وزيّنت له الثورة على ما في الجنة من أنظمة وقوانين

وشيث يحدثنا أن آدم كان صدرُه ضاق بالجنة بسبب ما لها من أسوار وجدران تجعل من المستحيل أن يسلم من تعقّب حواء ، وتفرض عليه التفكير في طلب النجاة ولو بالارتماء في أحضان الأرض ، مع أن بين الجنة والأرض فراغاً لا يَعبُره الهابط إلا في أعوام أطول من أعمار الأشجان . وسنرى فيما بعد أنه لم يفق عند هبوط الأرض إلا بعد أزمان وأزمان

هل كان آدم سعيداً في الجنة ؟

الظاهر أنه كان من السعداء ، ولكن شيث بن عربانوس يحدثنا أنه طفح الدم في الجنة بسبب صحبة حواء . فكيف وقع ذلك البلاء ؟!

وقع من عدم التكافؤ الروحي بين الرجل والمرأة ، فهما مخلوقان مختلفان إلى أبعد حدود الاختلاف . وزاد في النفرة أن آدم كان يميل إلى طاعة الله ، وأن حوّاء كانت تشتهي الخروج على طاعة الله . وتعليل ذلك سهل : فأسرع الناس إلى المخالفة عن أمر الحق هم الضعفاء

صبرَ آدم ما صبرَ إلى أن وقع « حديث السِّدرة » ، وهو حديث سجله شيث بن عربانوس بأمانة ونزاهة وإخلاص .

فما ذلك الحديث ؟ !

زكي مبارك

حكم في قضية الجنحة المستأنفة رقم ١٧٥٢٦ سنة ٩٤٠ بتاريخ ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٤٠ ضد محمد أمين السيد ومحل سكنه جزار درب الجماميز بتغريمه ٢ جنيه لبيعه لحماً بسعر أزيد من التسعيرة

حكم في قضية الجنحة المستأنفة رقم ٦٨١٥ سنة ١٩٤٠ بتاريخ ٤ يونيه سنة ١٩٤٠ ضد مصطفى نصر مصطفى ومحل سكنه شارع محرم حسن بتغريمه ١ جنيه لبيعه ملحاً بسعر أزيد من التسعيرة

حكمت محكمة المنصورة العسكرية في القضية رقم ٢١٤ سنة ١٩٤٢ بحبس صادق محمد ابراهيم من كفر العزازي شهرين بالشغل لبيعه قمحاً بسعر أزيد من التسعيرة بجلسة ١٢/١٧ سنة ٩٤١ رقم ٥٧٤١

حكمت محكمة بنها العسكرية في القضية ن ٣١ شبين القناطر سنة ٩٤٢ بجلسة ١٥ ديسمبر سنة ١٩٤١ بحبس يوسف مرسي هاني خمسة عشر يوما مع الشغل والنفاذ والاعلان بصحيفة الرسالة واللصق أمام منزل العمدة على نفقة المتهم لبيعه بأزيد من التسعيرة

في الفلسفة الإسلامية

٢ - إخوان الصفـــاء

الأستاذ عمر الدسوقي

هل هم شيعة باطنية ؟

لقد أقر إخوان الصفاء على أنفسهم بالتشيع في غير ما موضع من الرسائل . فمن ذلك قولهم عن السبب الذي حدهم لكتابة هذه الرسائل : « لكيما إذا نظر فيها إخواننا وسمع قراءتها أهل شيعتنا وفهموا بعض معانيها ، وعرفوا حقيقة ما هم مقرون به من تفضيل أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأنهم خزان علم الله ووارثو علم النبوات ، وتبين لهم تصديق ما يعتقدون فيهم من العلم والمعرفة والفهم والتمييز والبصيرة في الآفاق »[١]

ومنها : « واعلم يا أخي بأن لكل نفس من المؤمنين أبوين في عالم الروح كما أن لأجسادهم أبوين في عالم الأجساد . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه : أنا وأنت يا علي أبوا هذه الأمة . وهذه الأبوة روحانية لا جسمانية »[٢]

هذا وقد عقدوا فصلاً خاصاً بينوا فيه الطوائف التي تنتمي إلى الشيعة ، وقد انتقدوا بعضها واسترضوا بعضها ، وأخذوا يتبرأون ممن يدعي التشيع وهو يرتكب المنكرات ويقترف الموبقات . ويحملون على من يقول بأن المهدي المنتظر مستتر من خوف المخالفين ، كما أنهم حملوا على من يبكي الأموات من أهل البيت حملة شعواء ، وهاك ما يقولون : « إن قوماً من أشرار الناس جعلوا التشيع ستراً لهم عما يحذرون من الآمرين عليهم بالمعروف . . . وإذا نهوا عن منكر فعلوه بارزوا بإظهار التشيع واستعاذوا بالعلوية على من ينكر عليهم أو ينهاهم . لبئس ما كانوا يعملون . ومن الناس طائفة ينسبون إلينا بأجسادهم وهم براء بنفوسهم منا ويسمون أنفسهم بالعلوية وما هم من العلويين ، ولكنهم من أسفل السافلين ، لا يعرفون من أمرنا إلا نسبة الأجساد . . .

فهم أبعد الناس عن أهل ملتنا ، وأعدى الناس لشيعتنا ، وأغفل الناس عن حقيقة أمرنا وأسرار حكمتنا . . . ومن الناس طائفة قد جعلت التشيع مكسباً لهم مثل النائحة والقصاص لا يعرفون من التشيع إلا التبري والشتم والطعن واللعن والبكاء وترك طلب العلم وتعلم القرآن ، وجعلوا شعارهم لزوم المشاهد وزيارة القبور كالنساء الثواكل ، يبكون على فقد أجسامنا[١] وهم بالبكاء على أنفسهم أولى . ومن الشيعة من يقول : إن الأئمة يسمعون النداء ويجيبون الدعاء ، ولا يدرون حقيقة ما يقرون به وصحة ما يعتقدون . ومنهم من يقول : إن الإمام المنتظر مختف من خوف المخالفين . كلا ! بل هو ظاهر بين ظهرانيهم يعرفهم وهم له منكرون كما قيل :

يعرفه الباحث من جنسه وسائر الناس له منكر[٢]

نرى مما تقدم أنهم لا ينكرون التشيع ولكنهم يريدونه على شكل خاص ، وأنهم يبرأون من هؤلاء الذين لوثوا اسمهم وارتكبوا المنكرات والموبقات وادعوا أنهم علويون . فهم بذلك فرقة من الشيعة ترمي إلى تعاليم خاصة ، وغايتها إصلاح الطائفة وتهذيبها بالتعليم . ونرى كذلك أنهم يقولون بالمهدي المنتظر وأنه كان موجوداً إبان تأليف هذه الرسائل ، ولعله أحد من ألفها كما يذهب إلى ذلك بعض المستشرقين . وأنهم كانوا يقولون بأن علياً وصي النبي عليه السلام . وليس في ذلك أصرح من قولهم في باب مخاطبة التشيعين : « ومما يجمعنا وإياك أيها الأخ البار الرحيم محبة نبيه عليه السلام وأهل بيته الطاهرين ، وولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خير الوصيين صلوات الله عليهم أجمعين[٣] »

أما نسبتهم إلى الاسماعيلية الباطنية فلم تثبت بصفة جازمة ، بيد أن من يدرس آراء هذه الطائفة وآراء إخوان الصفا يجد تشابهاً عجيباً ، وإن كان الأولون أكثر صراحة من الآخرين . على أن الأستاذ كازانوفا يقول : « لقد وجدت مخطوطة في المكتبة الأهلية بباريس مفقودة الصفحات الأولى والعنوان ، وتقرأ على الصفحة السادسة منها ما يلي : فصل من رسائل إخوان الصفا ، وفي ابتدائها : القول على السر المخزون والعلم المصون من باطن الرسالة الجامعة من رسائل إخوان الصفا . ووردت فيها الجملة

(١) رسائل ج ٤ ص ٢٣٤

(٢) ج ١ ص ١٥٧

(١) هذا يؤيد من يقول إن الرسائل أملاها بعض الأئمة من آل البيت

(٢) الرسائل ج ٤ ص ١٩٩

(٣) الرسائل ج ٣ ص ٢٤٢

المشهورة : إعلم يا أخى أيدنا الله وإياك بروح منه التى يتكرر ذكرها فى كل صفحة من الرسائل » . وقد وجد كازانوفا أن هذه الرسالة الجامعة مصطبغة بالصبغة الإسماعيلية ، متلبسة بشمول الألوهيـة ، ونظرية الفيثاغوريين فى الأعداد . ويقول فى ذلك : « ما أرانى إلا مصيباً في القول بأن فلسفة الإسماعيلية جميعها مبثوثة فى رسائل إخوان الصفا ؛ فالقول بالإمام المنتظر الذى سوف يظهر ليعيد السلام إلى العالم يمثل امتزاج نظريات الأفلاطونية الحديثة بالاعتقاد بعودة المسيح[1] »

وقد جاء فى أحد أعداد جريدة آسيا[2] فصل هـذا عنوانه : « بحث جديد عن الإسماعيلية أو الباطنية بالشام المعروفين بالحشاشين » . وقد قال كاتبه ما يأتى : « إن سنان بن سليمان الملقب برشيد الدين هو من أجل وأفخم رؤساء الإسماعيلية ، وقد خدم فى ألموت القدمين الذين كانوا قبله ، وزاول علوم الفلسفة وأطال نظره فى كتب الجدل والخلاف ، وأكب على مطالعة رسائل إخوان الصفا »

ويقول المحبى فى خلاصة الأثر : « وحاصل تلك الرسائل ليس إلا مذهب الباطنية الإسماعيلية ، وهم أنحاء شتى ، ومعظم القول فى هذه الشيعة ، من شيعتهم تناسخ الأرواح ، ودعاء حول البارى تعالى فى الأنبياء المشهورين من آدم إلى محمد عليهم السلام وفى أئمة آل البيت — وآخرهم المهدى — ويعظمونه على الجميع . والاسماعيلية يوافقون الإمامية فى ذلك[3] »

وقد ثبت تاريخياً أن المغول عند فتحهم لقلعة (ألموت) مركز رؤساء الاسماعيلية عثروا على كثير من نسخ رسائل إخوان الصفا[4] . وقد جاء فى رسالة الإنسان والحيوان المطبوعة فى مصر خطاً تحت عنوان الجامعة : « نحن لبسنا السواد وطلبنا بثأر الحسين بن على عليهما السلام وطردنا البغاة بنى مروان ... ونحن

(١) رسالة الطيباوى ص ٧١ — ٧٢

(٢) مقدمة زكى باشا لرسائل إخوان الصفا طبعة مصر وعدد جريدة آسيا هو عدد يناير سنة ١٨٥٥ المحفوظ بدار الكتب المصرية

(٣) خلاصة الأثر جـ٤ ص ٦ و ٧ الطيباوي ص ٧٢

(٤) أحمد أمين فى مبادئ الفلسفة

نرجو أن يظهر من بلادنا الإمام المنتظر[1] »

وقد تضافر الكتاب قديماً وحديثاً على نسبة هذه الجماعة إلى الاسماعيلية الباطنية ، ومنهم ابن تيميـة وابن حجر والألوسى وغيرهم ، وقد دعاهم إلى ذلك أن نشاط الإخوان فى بث تعاليمهم يشبه نشاط الاسماعيلية وجدهم فى نشر مذهبهم وتشكلهم بما يلائم مصلحتهم ، ولبسهم لكل حال لبوسها ، ومخاطبتهم الناس على حب أهوائهم وأمزجتهم ، واستعمالهم السحر والطلاسم والرقى والتعاويذ فى إقناع الناس بتقدرتهم ومبلغ علمهم[2] . ثم فى تكتمهم وشدة حرصهم على ألا يطلع على مذهبهم إلا من دخل فى شيعتهم وقولهم بالتَّـقِيَّـة والإمام المنتظر ووصاية على رضى الله عنه ... الخ

تسامحهم الدينى

وممـا يقوى صلتهم بالاسماعيلية رحابة صدرهم لجميع المذاهب والديانات والعلوم ، فقد ثبت أن الاسماعيلية في أوائل دخولهم بلاد الهند[3] كانوا يوافقون البوذيين على عقائدهم حتى يستميلوهم إليهم ، ثم يكملون النقص فى هـذه العقائد بنظرية الاسماعيلية الأساسية ، وهى قداسة على رضى الله عنه وعودته ، ثم يجعلون برهم محمداً ، ووصنو علياً ، وآدم سيفا[4]

أما إخوان الصفا ، فكانوا أمام جميع المذاهب والديانات غير متعصبين : « وبالجملة ينبغى لإخواننا — أيدهم الله تعالى —

(١) الرسالة الجامعة ص ٨٣

(٢) راجع ما كتبه السير توماس أرنولد فى كتابه الدعاية الاسلامية تعرف مدى نجاح الاسماعيلية فى نشر تعليمهم ، وإدخال الهنود والبوذيين فى مذهبهم واستعمالهم شتى الوسائل والحيل حتى وتقيد أسمائهم ، ووازن بين هذا وبين ما جاء فى الرسائل من الخطب الخاصة لكل صنف من الناس ، ومن استعمالهم السحر والطلاسم والنجوم فى إقناع خصومهم

(٣) أول من دخل الهند من الاسماعيلية هو عبد الله اليمنى الاسماعيلى جاءها حوالى ١٠٦٧م وتبعه نور الدين الذى تسمى باسم نور ستاجر ، وقد قدم من ألموت إلى جوجرات فى حكم الملك الهندى سدهاراج (١٠٩٤— ١١٤٣م)

(٤) كتاب الدعاية الاسلامية للسير توماس أرنولد وترجمة الكاتب فى فصل عن انتشار الاسلام بالهند

ألا يعادوا علماً من العلوم ، أو يهجروا كتاباً من الكتب ، وألا يتعصبوا على مذهب من المذاهب ؛ لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم كلها[1] »

ويقولون : « واعلم بأن غرض الأنبياء — عليهم السلام — وواضعي النواميس الآلهية أجمع غرض واحد وقصد واحد وإن اختلفت شرائعهم وأزمان عباداتهم وأماكن بيوتهم وصلواتهم ، كما أن غرض الأطباء كلهم غرض واحد فى حفظ الصحة الموجودة واسترجاع الصحة المفقودة وإن اختلفت علاجاتهم باختلاف الأمراض العارضة للأبدان[2] » . فالتوراة والإنجيل والقرآن وغيرها من الكتب الدينية . السماوية وغير السماوية ، عندهم سواء . وكأنى بهم يحاولون أن يستوعبوا الديانات كلها فى دين واحد ومذهب واحد . وليس هناك أوضح من قولهم : « فالله أرسل روحه إلى كل الناس ، لا فرق بين النصرانى والمسلم وبين الأسود والأبيض »

وقد ثبت أن جمعية بغداد التى هى فرع من جمعية إخوان الصفا ، والتى كان يختلف إليها أبو العلاء المعرى كما مر بنا ، كانت تجمع السنى والشيعي واليهودى والنصرانى والصابئى والدهرى

وقد حدثنا أبو حيان التوحيدى فى المقايسات قائلاً : « إن من أعضائها يحيى بن عدى وأبو إسحق الصابى وأبو إسحق النصيبي ومانى المجوسى ... الخ » . وهذا دليل واضح على رحابة صدرهم وعظم دعايتهم وتعدد طرق تبشيرهم[3]

« يتبع » محمد الدسوقى

مدير كلية المقاصد الاسلامية بيروت

---

(١) الرسائل ج ٤ ص ١٠٥

(٢) ج ٢ ص ١٢٠

(٣) رسالة الطيباوى ص ٦٥

حكم فى القضية ن ٥٠٩ عسكرية ضبط سنة ٩٤٢ ضد محمود على الجنابى بالحبس شهر شغل والنشر بتاريخ ٢٤ ديسمبر سنة ٩٤١ وذلك لبيعه خبزاً بسعر أكثر من المحدد .

إذا...

قصيدة من الشعر الانجليزى

إذا احتفظت بصوابك بينا يفقد كل من حولك صوابهم فيتهمونك بما لم تجرم يداك ؛

إذا وثقت بنفسك بينا يتردد الرجال فى أمرك وحسبت مع ذلك لترددهم حسابه ؛

إذا صبرت وانتظرت ولم يضجرك الصبر والانتظار ، أو تقوّلوا عليك ولم تغْـرِك أقاويلهم بأقاويل مثلها تبتدعها ؛

إذا كَرِهوك وملكت نفسك فأمسكت عن كراهتهم ، ومع هذا لم تدغل فى الظهور بالطيبة أو الثرثرة بالحكمة ؛

إذا استطعت أن تحلم ولم تجعل أحلامك سلطانك ، وأن تفكر ولم تجعل التفكير كل غايتك ، بل قمت تسعى لتحقيق ما انتهيت إليه من رأيك ؛

إذا جاءك النصر أو نزلت بك المصيبة ، فسويت لهذين الضيفين الختالين المخادعين من نفسك ، وعدلت بينهما فى النصيب من لقائك ومعالجتك ؛

إذا استطعت أن تسمع الحق الذى قلت يُحرِّف كلمه أدنياء ، ويلوّى معانيه سفلة خبثاء ، يحفرون به الحفر للوقيعة بُله أغبياء ، أو أطقت أن تقف تنظر إلى أشيائك التى أنفقت ساعات حياتك فى صنعها تكسر وتحطم ، ثم قمت تبنيها بأداة مَبْرُوَّة بالية ؛

إذا استطعت أن تكوّم كل مكاسبك كومة واحدة وتقامر بها فتفقدها كلها مرة واحدة ، ثم عدت تبدأ من حيث بدأت أولاً ، ولم تخرج أنفاسك بكلمة تنبس بها عن خسائرك ؛

إذا قدرت وقد أدبر عنك كل شيء أن تهيب بقلبك وأعصابك وأوتار عضلاتك لِتُرْجِعَ لك الدبر وقد فات وتولى بعيداً فتثابر جميعاً حين لا شيء فيك يهتف لها بالمثابرة إلا إرادتك ؛

إذا استطعت أن تخاطب عامة الناس ودهماءهم وتحفظ على نفسك فضيلتها ، أو تسير مع الملوك جنباً إلى جنب ولا تضيع مع ذلك مسحة تميز عامة الناس ودهمائهم ؛

إذا عجز الأعداء الألداء والأحباب الأقربون عن أن ينالوك بأذى ؛

إذا اعتمد عليك كل الناس ولم يغلوا فى ذلك ؛

إذا قضيت الدقيقة القاسية التى لا ترحم من دقائقك بجرية تجريها تدوم ستين ثانية ؛

إذا كان ذلك فلك الأرض وما عليها ، وأفضل من هذا أنك تكون رجلاً يا بنىّ

« زكى »

الأحــــلام

للعالم النفسانى « ألفرد أدلر »

بقلم الدكتور محمد حسنى ولاية

يقول فرويد : إن الحلم يمثل رغبات جنسية طفلية لم تستوف بعد.. وإن الحالم يشبع رغباته المحرمة فى محيط أوهامه على الرغم من التقييدات التى فرضتها المدنية عليه .

إنى أرى أن هذا الرأى لا يقوم على أساس ، وأن تفسير الأمراض النفسية ومظاهر المدنية على أساس جنسى لا أقره عليه

يقصد الحالم بحلمه تأكيد أهمية الذات ورفعتها . والحلم كالأخلاق والانفعالات والأعراض النفسية قد جهزه الحالم لغرض صمم من قبل .

يكافح الحالم فى حلمه لتبرير شخصيته إزاء صعوبات حيوية قائمة . وليحل مشكلاً من مشاكل الحياة يلجأ إلى تصويره تصويراً طفلياً بسيطاً كأن يكنى عن المشكل بالامتحان، وعن فكرة الانتصار بالطيران إلى السماء ، وعن الخطر بهوة سحيقة .

زارتنى سيدة فى الثامنة والثلاثين شاكية من نوبات متكررة من القلق وخفقان القلب وألم فى الثدى والمعدة ، وقصت على الحلم الآتى :

« رأيتنى أهرب من فهدين فصعدت إلى أعلى صدر رجل ثم استيقظت وقد استبد بى الخوف »

تمخض تحليل الحلم عن سلسلة من الأفكار ترمي إلى تفادى إنجاب طفل آخر . وليس الصعود إلى أعلى صدر الرجل إلا رمزاً للجنوح إلى الذكورة . وكان الخوف والقلق عرضها النفسى الرئيسى الذى يرمى إلى التهرب من وظيفة الأمومة . وقد صورت فى الحلم والديها بفهدين كناية عن خطر داهم يهددها فصعدت إلى أعلى لتنجو منهما لأنهما كانا يعارضان فى زواجها

ظهرت الأعراض النفسية الأولى عندما كانت فى التاسعة عشرة بعد أن خطبت سراً إلى زوجها الحالى . وقد استغرقت خطبتها ثمانى سنوات رغم معارضة العائلة ؛ وتفتق هذا عن حدوث نوبات نورية إلى أن تم الزواج، ولكنها عادت مباشرة بعد ولادة ابنتها الوحيدة البالغة من العمر عشر سنوات

وقد أماط التحليل النفسى اللثام عن تكوينها الهستيرى عن تلون صفاتها بلون الذكورة إذ كانت كثيرة التحدى محبة للتسلط متكبرة

ابتدعت لنفسها خطة تؤمن حياتها بعد أن تعرفت إلى زوجها باستغلال القلق المستحوذ عليها . وعملت على ترتيب هذه الخطة على نمط هلوسى فى سريرتها دون أن تعى . وأضافت اليها آلاماً فى الثدى والمعدة لتجعل كل العلاقات الجنسية غير القانونية مستحيلة ...

وكانت تعنى بالتشنجات الليلية التى أقضت رقاد زوجها أنه من القلق جداً أن يصحو زوجها على أثر صياح طفل . ولم تكن نوبات ضيق التنفس التى كانت تعتريها الا تحذيراً لزوجها من احتمال اصابتها بالسل الذى قد ينجم عن الحمل

والآن ننتقل إلى حلم آخر للشاعر « ميتور سيمونيدس » رآه قبل الإبحار فى رحلة الي آسيا :

« حذره شخص من الإبحار في رحلة مقررة » ؛ وكان هذا الشخص ميتاً ، وقد سبق أن تولى هذا الشاعر أمر دفنه ، فعدل حينئذ عن الرحيل

ونحن نفترض أن سيمونيدس كان خائفاً من هذه الرحلة فاستغل الشخص الميت ليخيفه منها ومن نهاية مريرة قد تؤدى الى القبر لأن الذى حذره منها ميت

رغب الحالم على وجه العموم — كما يتضح من هذا الحلم — أن يضع نفسه فى مركز خاص يصل اليه من أحسن الطرق التى تتلاءم مع شخصيته وطبيعته وأخلاقه .

(للبحث صلة)

محمد حسنى ولاية

صفحة من كتاب

حنـــين

للأستاذ شكرى فيصل

سكن الكون ، فما فى الكون إلا همسات . . . من حديث النجم أو بث المحبين الشكاة . . . ينفثون الآهة الحرى ، ويلقون السهاد . . . وينادون محبيهم فهل يدرى محبوهم نداء ؟ . . . ويثور الدمع فى أجفانهم فيضاً غزيراً . . . أترى يدرك ذلك الذين تطفر الدموع من أجلهم ، وتتمتم الشفاه بالحنين إليهم ، وينبض القلب بذكرهم المستطاب ؟!

سكن الكون ، فثارت وحدتى تتلوى . . . وتذكرت العهود الزاهرات النضر . . . وتراءت من أمامى صور الماضى القريب . ويحها من صور ! فتنهدت حزيناً أسفاً . وتمنيت لهـا منصرفاً ؛ وذرفت الدمع هتاناً إذ وجدت فى الدمع خفوت السَّورة ، وبرودة الثورة ، وبعض العزاء

* * *

. . . وصمت الليل ، كأنما كان يعد على النـاس أنفاسهم المتصاعدة . . . وقد أووا إلى فرشتهم الدافئة ، يجدون فيها الهدوء ، وينعمون فيها بالدفء . . . ويحسون أنهم يرتعون فى أحضان الأبوّة ، وفى سماحة الأمومة ، وفى جمال القرابة الدانية

ودقت الساعة الثانية عشرة ، وانبعثت ضرباتها على صفحة الأفق السـاكنة . . . كأنما كانت اثنتى عشرة قطرة من المـاء تنصب على قطعة من الصفيح اللامع . فيكون لها بريق متلألئ كهذا الصدى الموغل فى جوف الظلام البعيد

وامتد رواق الليل كما يمتد حنين إنسان غريب . . . يدثر الماضى ليجد فيه الذكرى ، ويتطلع إلى المستقبل ليفسح فيه فرجة الأمل . . . كذلك كان رواق الليل ، لا يحتجزه حد ولا يقهره سلطان ، ولا يقف من دونه عائق . . . كما لا يحتجز الحنين سلوى ولا يقهره ضرّ ، ولا تقف من دونه الدنيا بكل صورها وألوانها إلا هذه النجوم . . . لقد كانت فى منجاة ومأمن . . . لكأن عالمها الحلو ، وشعاعاتها المتراقصة تكيد لليل وتتحداه . . . وكأنما هى فى أنوارها الحنون تبعث فى نفوس المحبين الولهى الأضواء الطروب . . .

سيظل هذا الحنين المتصل يهفو حول الأمل الناعم ، ويغرد فى حفافيه الندية . . . وينثر عليه الورود والرياحين كما تنثر دنيا النجوم من عالمها العلوى ذراتها اللامعة فى أجنحة الليل السود

* * *

وسكن الكون . . . واستاق الليل على صدر الدنيا . ونشر عليها أذياله وأردانه . . . كأنمـا كان يريد أن يكبت فيها الحركة ، ويقتل فيها النشاط ، ويقطع ما بينها وبين السماء . . . كن كالساعات اليائسة فى حياة المحبين . . . مزهقة ، مرهقة ، ثقيلة الظل شديدة الوطأة ، كأنما تحاول أن ترين فتحول بيننا وبين الرحمة . . . ولكن الرحمة القريبة لا تدع السبيل إلى اليأس ، والحب القوى لا تفل منه المصاعب ، والسماء الكريمة لا تقطع ما بينها وبين الناس . . . إنها تشق ثوب الليل الصفيق لتنبت النجوم النيرة على ظهره وفى أطرافه ومن بين يديه . . . كما تنبت الخزامى فى الأرض القفر عطرة الطيب ، شذية الروح . . . وأنها تمزقه فى كل جوانبه ، وترقمه فى كل ثناياه كما ترقم قطرات الماء سطح البحيرة الهادئ بدوائرها المترجرجات

هكذا الحنين . . . أيتها الكريمة الرءوم . . . كهذا الليل . . . تضحك على جوانبه المترعة بالأسى مُنى ، وترق فى ساعاته المريرة رؤى . . . وتنتثر فى لياليه الكئيبة أحلام بيضاء كهذه النجوم .

* * *

واستغرق الكون فى سكونه . وأحس الليل ما يلقى من عنت . لقد فرض سلطانه فتمزق . . . ومد رواقه فتخرق . . . ونشر جناحه البهيم فهاض النور جناحه البهيم . . . وغص بالحادثات . . . والنجوم من حواليه ترقص رقصة الظفر ، وتنشد نشيد الحياة ، وتهزأ هزأ المتحدى . . . وترسم شعاعاتها دعوة كريمة للفجر المستكن .

وارتمى يفكر . . . واستعرض تاريخه الطويل ، وبكى مجده

المندثر وساعاته الخاليات ، وذكر كيف اكتسح الأفق المديد ، وغطّى الشمس المشرقة ... ثم جاءت هذه النجوم الصغيرة تعبث به وتهزأ منه ، فلم يملك أن بكى . . . وانثالت دمعاته على كل نبتة وفوق كل غصن . وكان بكاؤه هذا الندى الطرى الذى اندفع يتاقى بسمة الصباح

... وهكذا تتراقص الأمانى من حوالينا ... أنها الإنسانة الكريمة ... وتنبثق شعاعاتها الناعمة تخط الفجر الذى نرنو اليه ؛ وتنسق ألوانها الزاهية السبع لتنسج بردة الشمس ، ولكنها تمضى فى هدوء واتزان ؛ فلن تمر بنا فى كل مرحلة ، ولن تقف بنا عند كل لون . ولكنها ستفجؤنا هالة بيضاء نيّرة ؛ فهلا وفّرت عليك بعض الجهد ، وحفظت عليك بعض القوة ، وكففت عن ارتقاب المشرق كما أرقب ، والتحديق فيه كما أحدق ؟!

ولكن لا عليك ، لا عليك يا أماه ؛ حدّقي ، وارقبى ، إن نظراتنا كهذه النجوم ترقص رقصة الظفر ، وتنشد نشيد الحياة ، وترسم للقاء القريب دعوة كريمة !

(القاهرة) **شكرى فيصل**

يوم الزهاوى

للأستاذ يحيى محمد على

إنه ليوم وإن احتوته لجج الزمن العاتية واستقرت به فى أغوار الماضى ، فإن له بين شغاف القلوب الذاكرة للجميل ، وفى أعماق النفوس المطوية على الوفاء ، أثراً لا أحسب النسيان يقوى على طمس معالمه . إذ امتدت فيه يد القدر من بطون الغيب إلى قلب «الزهاوى» فأسكنته ، وإلى لسانه فأسكتته ، وبذلك غيّضت من مناهل الحكمة منهلاً دفّاق الفيض ، وأطفأت من مشاعل العرفان مشعلاً وضّاء السّنا ، وقطعت من قيثارة الشعر وتراً رنّان الصوت ، وتركت فى كل فؤاد حسرات تضطرم ، وفى كل عين عبرات تختنق !

فكان يوماً لا نملك حين ينساب إلينا من مطاوى كل عام إلا أن نقف فيه وقفة الذاكر المحزون لنحلق بأجنحة الذكرى إلى أجواء رفيعة من النبوغ والعبقرية ، وآفاق مترامية من الإبداع والعظمة ، تزيدنا إعجاباً بالزهاوى ، وإجلالاً لقدره ، ويقيناً بأن خسارتنا فيه كانت أعظم مما قدّرناه بكثير

ثم لا تلبث الذكرى أن تفتح لنا من أسفار المجد سفراً أفعم « الزهاوى » صفحاته بمآثره ومفاخره لنستمد منه لضلالنا هدى ولمحنتنا تجربة ، ولنستوحى كلمة حتى نفرغها فى مسامع أولئك الذين بخسوا « الزهاوى » حقه ، وأنكروا عليه نضاله المجيد وكفاحه الخالد وما كانوا إلا أنفسهم يظلمون ، وستبقى آثار « الزهاوى » لنهضتنا معيناً ثرّاً لا ينضب سيله الطامى ولا يغور . . .

وحسبنا — ومجال البحث لا يتسع للاطالة والإسهاب — صفحات من هذا السفر نقلبها بين أيديهم ، لينعموا النظر فيها ، وليحكموا بعقول سالمة من الأهواء ، وضمائر خالصة من الأحقاد ، على أدب « الزهاوى » وجهاده .

يقول الزهاوى : « ... غنّيت لأبناء وطنى أريد إيقاظهم ، فلما فتحوا عيونهم شتمونى ، ثم غنيت ، فأخذوا ينظرون إلىّ شزراً ، ثم غنيت فابتسموا لى ، ثم هتفوا لى وبقى فيهم من يشتم ، وغنيت وسأغنى إلى أن يسكتنى الموت ، وسوف تبقى بعدى كمّاتى معربة عن شعورى وما كابدته فى حياتى من شقاء واضطهاد ، فهى دموع ذرفتها يراعتى على الطرس ناطقة بآلامى وهى خليقة بأن تذرف من عيون قارئها دمعة هى كل جزائى من نظمها . . . » !

فهو الشاعر الذى عاش لأمته فاستوحاها وأوحى إليها . والذى ما خفق قلبه إلا بحبها ، وما توجع واضطرب إلا لمصائبها وهوانها ، والذى ما جرى لسانه إلا بذكرها ، وما شدا إلا بآمالها وأمانيها

غنّى لها ، وغنى ، ولكنها تجاهلته حيناً واضطهدته أحياناً أخرى واهتزت جزعاً وحزناً حين فقدته

غنى لها حين ألفاها سادرة فى الضلال تتخبط فى رهج الونى والعجز ، وتتعثر فى دياجير الخمول والفتور ، ليوقظها من سباتها العميق ويمهد لها سبل الإفلات من ربقة هذه الغفلة ، فهو القائل :

تيقّظت الأقوام من غفلة لها ونحن بحال لم نزل فيه نهجع

والقائل :

أيها الشعب طال نومك فايقظ للمساعى فالليل صار نهارا

وليبعث فيها من الثقة والعزم ما ييسر لها تحطيم أصفاد اليأس ونضو ثياب الذل ومجاراة الأمم التى سبقتها فى مضمار التقدم والرقى فقال :

يا قوم قد وعر الطريق أمامكم فإذا عزمتم تسهل الأوعار

١٨ • ١٨

إن التوقف في زمان حازم فيه تقدمت الشعوب ، لعار
والقائل :
أمة تكسر الرتاج إذا ما وجدت دون ما تريد رتاجا
وغنّى حين رأى الجهل يرين على العقول فيكبحها عن الرشاد والسداد ويهوى بها إلى وهدة الزيغ ، ليرفع عن مداركها آصار الأفن ويدرأ أعوادي الطيش ويخفف غرام الأمية فقال :
العلم ثروة أمة ويسار والجهل حرمان لها وبوار
وقال :
لا يأمن السارى تورطه مالم يوطد له من عقله سندا
وقال :
استنيروا بالعلم فالعلم نور إنما بالعلوم تنفى الشرور
وليهيب بها للتهافت على ينابيع العلم ونشر التعليم فقال :
أليس الرقى بالعلم أكبر حطة أليس ذراع العلم أقدر دافع
خذ العلم إن العلم مال لمعدم ورىٌ لعطشان وقوت لجائع
وقال :
تشق حياة مالها من مدرب وتشقى بلاد ليس فيها مدارس
ثم غنى لما وجد الرجعية تحدق بالحقائق فتشوهها وتمسخها ، وتنأى بالعقائد عن هدفها السامي وغايتها المثلى ، فقال حاثاً على التمسك بالحقائق دون الأوهام والتحرر من نير الخرافات والنزوع إلى التجدد ومماشاة روح العصر الذي لم يعد يأتلف وهذه الأوهام
يا قومنا لا نفع في أحلامكم خذوا الحقائق وانبذوا الأحلاما
جهل الذين على قديم عولوا إن الزمان يغير الأحكاما
وقال :
أنضوا القديم وبالجديد توشحوا حتام تختالون في الأطمار
وتملصوا من نير كل خرافة خرقاء تلقى الرين في الأفكار
وغنى حينما تبين المرأة ترزح تحت أعباء التقاليد البالية ويبوء بها الحجاب ، مدافعاً عنها ، ذائداً عن حقوقها السليبة طالباً إنصافها فقال :
غصبوا النساء حقوقهن فلا تصان ولا تؤدى
وإذا النساء ردين في شعب فإن الشعب يردى
وقال :
طالما قد وقفت أدرأ عنهن الرزايا فيالها وقفات
ثم غنّى ... وغنّى ...
وما كان ليفت في عضد الزهاوي أو يثنيه عن عزمه طعن أو ثلب وإعنات أو إرهاق ورائده نصرة الحق ؛ وحسبه ذلك مسيغاً لغصة الجحود ، ومخففاً لوطأة النكران ، وإن قوله :
هي الحقيقة أرضاها وإن غضبوا وأدعيها وإن صاحوا وإن جلبوا
أقولها غير هياب وإن حنقوا وإن أهانوا وإن سبوا وإن ثلبوا
لأقوى دليل وأنصع برهان على تفانيه في سبيل الحقيقة !
هذا هو الزهاوي وهذه بعض مآثره وألحانه ...
أفليس من حقه على أمته التي حمل نفسه من أجلها على المعاطب وجوزى منها بالصدود والإغفال أن تعنى بإحياء ذكراه براً منها بالأدب واعترافاً بالفضل ووفاء بالعهد ؟!
أمثل الزهاوي من يمر يوم ذكراه كسائر الأيام ؟!
لطفك اللهم بالأدب ... فإن ما يلقاه من عقوق الناس لعظيم وأنتم أيها الجاحدون فضله ... أليس في كل ما أداه الزهاوي لأمته ما يستدر من مآقيكم دمعة حبسها الغرور ومنعها الحقد ؟
حسبك يا جميل أنك القائل :
كنت للحق كل عمري وفيّاً وسأبقى حتى أموت وفيّا
وقد أديت رسالتك على الوجه الأكمل فنم في ذمة الخلود .
(بغداد — مصرف الرافدين)
يحيى محمد علي

لكى تعيش . . . ! !

للأستاذ م دراج

أليس عجيباً أن يتعارض المنطق مع القانون ؟ إن منطق الحياة ليقول : الحياة تبرر نفسها ! ولكن القانون لا يخضع دائماً لمثل هذا القول ! « الحياة تبرر نفسها » منطق عجيب حقاً ينسف دعائم الجريمة والعقاب ، ومع ذلك فالقانون باق ، وسنة الحياة لا تتغير ! أجل ... إن القانون يثور على المجرمين ، ولكنه لا يفهم لماذا أجرموا ؟ يصليهم العذاب فى أركان مظلمة يسميها « دور التأديب والإصلاح » ! ولكن هذه الدور تزداد دائماً ، وتتسع ، وتكتظ ، ومع ذلك يصر على أنها ليست للأفساد ، لسبب الانحطاط فى طبقة ما من الأمة ، ويتعلل بتدهور أخلاقها ، ثم ينسى التفسير الصحيح لهذا التدهور ، وكيف تسببت أعراضه وتفاقمت ، لأنه لا يريد أن يقول : إنه الجوع أو الجهل ، أو الحرمان أو الفقر بمعنى أقرب وأوضح ...

هذه هى القصة ، قصة المرأة التى خلقت التاريخ ، وبقيت المحور الذى تدور عليه حوادث العالم حتى اليوم ... رأيتها بالأمس تسير الهوينا إلى جانب الطريق : تتصفح الوجوه صفحة صفحة بعينين لهما منطق مفضوح ! لقد طال سيرها على غير هدى ، حتى كاد التعب يهوى بفرعها إلى الأرض ، فأسندت ظهرها إلى جذع شجرة عتيقة كمن يريد انتظار شىء معلوم ... فوقفت على بعد منها ، لأنى لمحت على وجهها سمة التضليل واضحة ، ولم يخف عنى أنها تنتظر المجهول ... المجهول الذى يقودها من هذه السوق التى أقامتها مدنية القرن العشرين لتجارة الرق المشروعة ، فما ذا رأيت ؟ رأيت قطعة من جسم الإنسانية ، تتمرغ فى الوحل ، والناس يطربون لهذا المنظر البشع ، ويتهافتون على مشاهدته ، فبعضهم من ذوى « الرؤوس البيضاء » كانوا يرمقونها بنظرة التهكم والسخرية ؛ أما البعض الآخر فمن ذوى الشعور اللامعة والحواجب المزججة ، فإنهم يصارعونها النظرات أولاً ثم يفتشون فى مظهر التدين ، ثم يهبطون بأنظارهم حتى قدميها ، وكثيراً ما كان بعضهم يتعمد المرور من ورائها ليطمئن إلى حكمه الأخير ! وهم لا يكفون عن اللف والدوران ، وكأنهم جيوش من النحل تطوّف حول زهرة من أزهار الربيع ... إن منظرها على هذا الوضع ليضايقنى ويثير فىّ غيرة لا أعرف مصدرها ، لعلها الثورة على الإنسانة الذليلة ، أو لعلها الأنانية التى لا يخلو من بعضها كائن بشرى ... ووجدتنى مضطراً إلى الابتعاد ، فقد كان يؤلمنى أن أكون أحد المتحفزين للدخول فى صفقة كهذه . ولم أكد أبتعد خطوتين ، حتى أعود فألقى عليها نظرة أخيرة ، فأجد سيارة ضخمة لها طنين العظمة والكبرياء تتباطأ رويداً رويداً ، ثم تقف عن الحركة ، ويتحرك بابها ، ولا ينزل منه أحد ... لقد حجبت عنى هذه السيارة منظر الفتاة ، فقفزت كذلك خطوتين إلى الأمام حتى وضح لى أنها تحدق فى داخلها ، ثم تتقدم بعض الشىء ، وخيل إلىّ أنها تسأل عن الثمن ... وأخيراً تقفز إلى جوار السائق وتندفع السيارة بصيدها الحرام ، مخلفة وراءها عثاراً مشبعاً بدخان العظمة والكبرياء ...

ويضيق صدرى ، فأمشى مسلوب العاطفة والفكر معاً . أمشى أنا أيضاً على غير هدى ، هنا وهناك لا ألوى على شىء . وفجأة أسمع طنيناً يعيد إلى صوابى ، فأدرك أن حياتى كانت معرضة للخطر ، كنت مهدداً بالفناء من هذه السيارة الماجنة ، فقد وقفت منى على بعد أمتار . وألقت صيدها المذبوح إلى الطريق! وعلى غير وعى منى أتبع خطواتها ، فهى تسير فى نفس الاتجاه الذى يصل بى إلى مسكنى . ولكنى لا آبه بالوقت ، ولا بحاجتى إلى الراحة ، وأتابع السير وراءها حتى تعرج على دكانة تبيع « سمكا مشوياً » ثم إلى بائع الخبز فتبتاع منه حاجتها ... وتواصل السير وأنا أتبعها ... لقد اندفعت اندفاعاً غريباً لأعرف شيئاً عن قصتها . سلكت شوارع مظلمة ، وحارات ، ودروباً ما كنت أتصور أن القاهرة ، هذه المدينة الجميلة الضاحكة ... ذات القصور والفنادق والملاهى والأحياء التى تضارع أرق العواصم فى الغرب ، هذه المدينة التى يسمونها كذباً وتضليلاً عروس الشرق ، تضم هذه المباءات القذرة ، تلك التى لا تجد لها مثيلاً بين زنوج أفريقيا أو بلاد نيام نيام أو أى أرض شئت

وأخيراً أراها تحيى أمها العجوز ، وتنحدر إلى باب مسكنها الغائر فى بطن الجبل . فأتذكر المرأة التى أمر بها كل يوم وهى جالسة إلى صندوق القمامة تفتش فيه جاهدة عن شىء يؤكل ، والرجل الذى تسلل إلى فضلات طعام إحدى الفرق المعسكرة ، فأرداه الجندى صريعاً بالرصاص . والفلاح الذى يأكل الحشائش من الأرض كالحيوان . والعامل الذى يقسره الجوع أن يسرق

قطعة من « العجوة » ليبلع بها رغيفه ... كل أولاء كهذه المرأة هم فى العذر والحاجة سواء . لقد فقدوا كل إحساس لأنهم جياع فما يهمهم عرف ولا قانون . وهل فى عداد القوانين التى تنظم حياة المجتمع قانون واحد يجنب الفقير عواقب الشطط !! آه ... لقد تذكرت ! هناك السجون ! وهل رأيت فى السجون إلا فقيراً أو محروماً أو مطروداً ؟ هـذه السجون بنيت لفريق واحد من الناس ، وليس هذا الفريق من الأغنياء !

وعدت إلى دارى مهموم القلب ، يحتدم بينى وبين نفسى عراك عنيف : إنها ساقطة ... بغى ... عهرة تفسد فى الأرض . أثور ، وهى تهدئنى : « ألا تدرى أن صفقة كهذه لا غبار عليها . ما دام الخمر والجوع هما وسيطاها ! إن الخمر والجوع كليهما كأس يثمل شاربها . فكل كأس من الخمر لها رصيد من العرق أو الدموع ! فلم لا ترى مثل هذا يحدث على الشاطئ الغربى من النيل . . . حيث تقوم القصور الشاهقة مطلة على الأكواخ والكهوف . لا محل للأسطورة القديمة التى كانوا يدعونها الفضائل ، والشرف . والكرامة ، والمروءة ! كل هـذه أكاذيب قد عفت منـذ زمن بعيـد . إن الإنسانية تتقدم ، وتتطور ، دائماً ، دائماً ، حتى فى تجارة الرقيق . ولكنها تجارة منظمة . أجل تجارة منظمة تتفق وأسلوب القرن العشرين ...

لا ياصاحبى . إنهـا إنسانة لا بد لها من القوت لتعيش . ومن يدرى ؟ ربما أعيتها الحيل فى البحث عنه ، أذلتها الحاجة . والجواب بغير ثمن ليس من طبيعة هذا العصر ، ولا من تعاليمه . فما الكرامة ، وما الشرف ، وما العرض ، أمام الحاجة الملحة للطعام ؟ وما دمنا قد رضينا أن يحيا كل إنسان لنفسه ، فليس لك أن تلوم المرأة العاطلة ، التى لا عائل لها ولا قانون يحميها ، إذا انغمست فى الظلام تفتش عن شئ أعياها البحث عنه فى النور . إن لغة العطف والرحمة لم تعد من مصطلحات هذا الزمن . فالرجل القادر على أن يمنح العطف والرحمة فى شكل كسرة تمسك الرمق أو ثوب يستر الجسد قد طغت عليه تكاليف المدنية ، فهو يرى أن « جالوناً » من البنزين لسيارته ، أو كأساً من الشراب يذهب بصوابه ، أو حفلة ساهرة ترمز إلى عظمته ، أحق وأولى من معونة لا يطالبه بها القانون ، ولا تعترف بوجوبها الدولة !

صدقنى إذا قلت لك : إن يد المدنية الحديثة قد قلبت صفحة الزمن ، فطوت معها كل أثر للفضائل فى العهد القديم . نحن الآن أمام صفحة جديدة ، تختلف فى معالمها ومراميها ، وليس من معانيها شئ اسمه الرحمة !!

إن القوة الآليـة التى جعلت الثروة تتركز فى يد عدد قليل من الناس ، وتتزايد بأرقام مخيفة ، هى عينها التى سلبت الكثرة الهائلة النزر الضئيل الذى بيدها حتى باتت تبحث عن الرغيف فلا تجده . فالزيادة المطردة فى جانب ، والنقص المستمر فى جانب ، قد أوجدا ميزاناً عجيباً تعلو فيه كفة إلى السماء ، وتهبط أخرى حتى تلاصق الأرض . وليس القبّ الذى يرفع هـذا الميزان هو توراة « موسى » ولا إنجيل « عيسى » ، ولا هو القرآن الذى بلغه « محمد » . كما أن صنجاته ليست من المروءة أو الكرم أو الزهد ، ولكنها من نوع آخر تبيحه المدنية وتشجعه ، من الغش ، والطمع ، والمكر ، والاستغلال الشنيع الذى لا يصده حتى عرض فتاة مسكينة تتضور جوعاً

فكيف إذن تطلب من امرأة ضعيفة جائعة محرومة من شريعة الدين وشريعة المدنية ، أن تفهم معنى الكرامة والشرف وقداسة العرض فى هذا المعترك الضال ؟ الإنسان ظل للنظام الذى يعيش فيه ، فكيف يستقيم الظل والعود أعوج ؟

كيف ؟ كيف ؟ لم يعجبنى دفاع نفسى عن البغى . رأيت فيه دفاعاً عاطفياً لا يجوز على العقل ، فاختلفنا ، واتفقنا أن نقدم « للرسالة » هذه القضية .

م . د . ع



الامبراطورية اليابانية

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

ليس من شك فى أن أنظار العالم فى هذه الأيام تتجه صوب ميادين القتال المختلفة : فى ليبيا وروسيا وفى الشرق الأقصى ، وفى المحيطين الأطلنطى والهادى ، وتتلهف إلى استماع أنبائه عسى أن تنفذ أبصارهم إلى غياهب المستقبل فيعرفوا بعض ما ينتظرهم . وليس من شك فى أن أنباء القتال فى الشرق الأقصى تستأثر فى الوقت الحاضر بالجانب الأكبر من اهتمامهم . لقد بدأ المستر تشرشل حديثه الذى أذاعه فى مساء يوم الأحد ١٥ من فبراير سنة ١٩٤٢ بإذاعة نبأ سقوط سنغافورة فى يد اليابانيين . قال مخاطباً شعوب الإمبراطورية : « أتحدث إليكم جميعاً فى ظل هزيمة عسكرية شديدة بعيدة المدى . لقد سقطت سنغافورة ، واجتيحت شبه جزيرة الملايا كلها » .

ومضى يقول : « لقد تعرضنا جميعاً لهجوم شعب محارب يتجاوز عدده التسعين مليوناً من الأنفس تسلح بأمضى أنواع الأسلحة » ووصف شجاعة اليابانيين فى ميدان القتال ، وقوة اليابان الحربية فقال : « وخليق بكل إنسان ألا يقلل من شأن قوة اليابان الحربية وقوتها فى الجو أو فى البحر أو فى ميادين القتال البرية يوم يتنازل رجل رجلاً ، فقد أثبتوا أنهم محاربون بواسل حقاً » ولا شك أن الناس يتوقون إلى معرفة الكثير عن اليابان . وهل تستطيع أن تصمد طويلاً فى هذه الحرب أم لا . وها نحن فى مقالنا هذا نحاول أن نمدهم بما يتسع له المقال من معلومات .

اليابان إحدى الدول العظمى التى ما تزال تحتفظ بالنظام الملكى ؛ وامبراطورها يلقب بالميكادو وله سلطان عظيم على رعاياه . ويطلق على اليابان لقب امبراطورية مع أنها لم تكن قبل فتوحاتها الحديثة أكبر من فرنسا بل كانت أصغر مساحة من شبه جزيرة اسكندناوة وإن كان عدد سكانها يزيد على التسعين مليوناً . ويمتاز اليابانيون بنشاطهم وذكائهم ؛ ولكن هذه الصفات لا تساعدهم على أن يحملوا من طبيعة بلادهم الجبلية حدائق غناء أو مزارع خصبة ، ومن ثم اضطر اليابانيون إلى الالتجاء إلى الصناعة « كما حدث فى بريطانيا » واستبدال مصنوعاتهم بما يحتاجون إليه من مواد غذائية ومواد خام - ويشتغل معظم سكانها بالزراعة ، ومع هذا يعتقد كثير من الكتاب أنه لولا التجاء اليابانيين إلى البحر المجاور طلباً للسمك لما استطاعوا تموين أنفسهم . ولم يشعر اليابانيون بالضغط الناشئ من ازدحام السكان فى بلادهم ؛ ولعلهم لا يشعرون بذلك لأنهم ملاحون يستطيعون أن ينشئوا علاقات تجارية مع العالم الخارجى ويحصلوا على ما يبتغون من مواد خام ومواد غذائية . وقد كانت اليابان تستورد الأرز من الهند الصينية ، والنترات من شيلى ، والأخشاب من استراليا .

تتكون اليابان من أربع جزائر كبيرة : هندو ، وهكايدو ، وكيوشو ، وشيكوكو ، وعدد عديد من الجزائر الصغيرة . وهى كانجلترا تعزل عن القارة الآسيوية يفصلها عنها بحر اليابان ؛ وقد أتاح لها فرصة جعلتها تنمو وتنهض وتنشئ حضارة خاصة بها ودولة مستقلة لا تخضع لغيرها . يمتد الأرخبيل اليابانى من جنوب شبه جزيرة كمتشتكا فى عروض لندن إلى فرموزة فى العروض الحارة ؛ ومن ثم نجد مناخ أجزائها الشمالية بارداً ؛ ويزيد فى برودته هبوب الرياح الشمالية الباردة عليه شتاء ، وهبوب تيار كوريل البارد ، بينما جنوبها حار . على أن معظم أجزائها يقع فى مهب الرياح الموسمية الصيفية ويتمتع بكميات كبيرة من المطر ، وسطحها جبلى ولذا كانت أنهارها قصيرة تكثر بها المساقط وهذه قد استخدمت فى توليد الكهرباء .

الغلات والنباتات

اليابان فقيرة من حيث مواردها الزراعية ؛ فثلث مساحتها صالح للزراعة . وأهم ما يزرع به الأرز وهو الغذاء الرئيسى للسكان ، والقمح والشعير والفواكه والخضر ، وفى الأجزاء الجنوبية يزرع الشاى وشجر التوت . واليابان من أكبر الدول إنتاجاً للحرير الطبيعى . وفى فرموزة تنمو الغابات التى من أهم أشجارها الكافور . وفى وديانها يزرع الأرز وقصب السكر ويصدر إلى اليابان الأصلية Gapan proper . وتستورد اليابان مقادير كبيرة من المواد الغذائية من بلاد آسيا المجاورة . وتغطى الغابات كثيراً من أرضها وتمدها بالأخشاب اللازمة لصناعاتها

المعادن والصناعة

يوجد باليابان الفحم ؛ ولكن المقدار المستخرج منه لا يزيد على ثمن «$\frac{1}{8}$» الناتج من بريطانيا ؛ ولذا لا نعتبر اليابان من الدول الهامة

٢٥ - المصريون المحدثون
شمائلهم وعاداتهم
في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل السادس — عاداتهم

كثيراً ما يلجأ الأب والأقارب الفقراء إلى التخلص من الطفل الذي ماتت أمه ولم يفطم عند ما لا يستطيعون الحصول على ظئر له . وقد يوضع الطفل أحياناً على باب المسجد ساعة صلاة الجمعة ، فيحدث عادة أن تأخذ الشفقة بعض المصلين عند خروجه من المسجد فيحمله إلى منزله حيث ينشأ في أسرته كطفل متبنى لا رقيق . وقد يعتنى بعضهم بالطفل حتى يجد له رجلاً أو امرأة تتبناه . وقد حدث من زمن غير بعيد أن عرضت امرأة على سيدة من أسرة يعرفها صديق لي أن تبيعها طفلاً سنه بضعة أيام وجدته على باب مسجد ؛ فقبلت السيدة تربية الطفل لوجه الله رجاء أن يحفظ لها طفلها الوحيد جزاء هذا الإحسان . ثم ناولت المرأة التي أحضرت الطفل عشرة قروش ولكنها رفضت الأجر المقدم . وهذا يبين أن الأطفال يصبحون أحياناً مجرد سلع ، ويستطيع من يشتريهم أن يجعلهم عبيداً له يتصرف فيهم كما يشاء . وقد أخبرني أحد النخاسين وأكد لي غيره خبره هذا أن الوالدين قد يبيعان الصغيرات أحياناً باعتبارهن جواري مجلوبات من بلاد أخرى ؛ وأن كثيراً من أولئك البنات سلمن إليه بإرادتهن ليبيعهن ؛ وقد أُلقي في روعهن أنهن سينعمن بالملابس الفاخرة والترف العظيم ، وعُلّمن أن يقلن إنهن أُحضرن من بلادهن في سن الثالثة أو الرابعة ولذلك يجهلن لغتهن الأصلية ، وإنما يمكنهن التكلم بالعربية فقط .

وكثيراً ما يحدث أيضاً أن الفلاح يضطره الضنك الشديد إلى وضع ابنه — مقابل مبلغ من المال — وضعاً أسوأ بكثير من الرق . وذلك عند ما يطلب مجندون من القرية فإن شيخ البلد يعمد إلى الطريق الأسهل فيجند أولاد من يقتنون وهؤلاء يستطيعون أن يخلصوا أولادهم من الجندية بأن يعرضوا على الفلاحين الفقراء أن يجندوا أولادهم بدل أولادهم مقابل جنيه أو جنيهين لكل ولد . ويفوزون بطلبهم عادة مع أنه حب البنوة سائد عند المصريين بقدر حب الأبناء لوالديهم . ويكره أغلب الوالدين مفارقة أولادهم عند ما يجندون خاصة كما يدل على ذلك الوسائل التي يعمدون إليها لمنع تجنيدهم . وقد لاحظت أثناء

في إنتاجه ولا ينتظر لها مستقبل صناعي عظيم . وتوجد بها كميات من الحديد ، ولكن جل اعتمادها في صناعاتها على ما تستورده من حديد أملاكها الأسيوية . وهي من أكبر دول العالم إنتاجاً للنحاس

وقد تقدمت الصناعة باليابان ولكن ما زال عدد المشتغلين بها من السكان قليلاً . وأهم الصناعات صناعة المنسوجات القطنية والحريرية والورق والخزف واللعب وبناء السفن

واليابان من الدول البحرية الكبيرة ولها أسطول عظيم وقد اضطر سكانها لركوب البحر لصيد السمك . ويبلغ عدد الصيادين حوالي المليون

موازنة بين بريطانيا واليابان

يشبه كثير من الكتاب اليابان ببريطانيا ويطلقون عليها The Britanir of the Pacific وهذا التشبيه صحيح من بعض وجوهه ؛ ولكن هناك أوجه كثيرة للخلاف : فاليابان أقرب إلى خط الاستواء من بريطانيا ؛ فهي تقع في عروض البحر الأبيض . ويختلف مناخها ومناظرها ومحصولاتها عن نظيراتها ببريطانيا . ويختلف الإنجليز عن اليابانيين في مظهرهم وأخلاقهم وطرق حياتهم . وتعتمد بريطانيا على الصناعة بينما اليابان ما زال أكبر اعتمادها على الزراعة . ويشك كثير من الكتاب في مقدرتها على أن تصبح دولة صناعية . فموارد الفحم بها لا يمكن أن تستمر طويلاً برغم ضآلة المستهلك منها . وتنقص صناعاتها الجودة والإتقان ، أما انجلترا فمواردها وموارد أمبراطوريتها لا تنفد

ويرى كثير من الكتاب أن اليابان يمكن أن تكون موضعاً حسناً للمقارنة بإيطاليا لا ببريطانيا ؛ فتركيبهما الجغرافي وعروضهما ، وكثافة السكان بكل منهما ، وانتشار الزراعة وقلة المتلكات تجعل المقارنة بينهما ممكنة ، بينما لا يمكن تشبيه اليابان ببريطانيا !

(للبحث بقية) أبو الفتوح عطيفة

زيارتى الثانية لمصر أنك لا تكاد تجد فى أى قرية شاباً صحيح الجسم ليس بأسنانه كسر « حتى لا يمكنه أن يقرض الفشكة » أو بأصابعه نقص، أو بعينيه إصابة أو عمى حتى لا يجند. ويتخذ النساء المتقدمات فى السن وغيرهن هذا الأمر حرفة منتظمة، فيدرن على القرى لتنفيذ هذه العمليات؛ وقد يقوم أبوا الولد أنفسهما بهذا الأمر. ويبدو مما قيل آنفاً أن العاطفة ليست وحدها دائماً السبب الذى يدفع أهل الطفل إلى الالتجاء إلى مثل هذه الوسائل حتى لا يحرموا أطفالهم.

ولا يمكن تصوير فلاحى مصر من حيث حالتهم المنزلية والاجتماعية وشمائلهم صورة ملائمة. ويشبه الفلاحون على أسوأ الاعتبارات أسلافهم البدو دون أن ينعموا بكثير من فضائل أهل الصحراء إلا فى درجة منحطة. وكثيراً ما أحدث ما ورثوه عن أجدادهم أسوأ تأثير فى حياتهم الداخلية. وقد ذكرنا من قبل أن المصريين انحدروا من عدة قبائل عربية سكنت مصر فى عصور مختلفة، وأصهروا إلى الأقباط، وأن التمييز بين القبائل لا يزال قائماً بين سكان القرى فى القطر كله. وقد انشعبت بمرور السنين سلالة كل قبيلة من المقيمين إلى عدة فروع؛ وسميت هذه القبائل الصغيرة بأسماء متميزة أطلقت على القرية أو القرى أو المركز الذى يقيمون فيه. ولم يحتفظ الذين أقاموا طويلاً فى مصر بالعادات البدوية الكثيرة، ولم يصونوا نقاوة جنسهم، وإنما أصهروا إلى الأقباط الداخلين فى دين الإسلام أو سلالتهم؛ ولذلك تحتقرهم القبائل التى أقامت فى مصر بعدهم فيسمونهم ازدراء (فلاحين) بينما يجعلون لأنفسهم تسمية العرب أو البدو؛ ويتزوج هؤلاء الآخرون متى شاؤا من بنات الأولين، ولكنهم لا يزوجون بناتهم لهم؛ ويثأرون للدم إذا قتل شخص من قبيلة وضيعة أحدهم بقتل اثنين أو ثلاثة أو أربعة؛ وقد أشير إلى تلك الشريعة البدوية الوحشية الخاصة بثأر الدم وسيادتها بين سكان قرى مصر فى فصل لاحق. فيقتل أحد أقارب القتيل من ذريته أو من سلالة الجد الأكبر لأبيه القاتل، أو أحد الأقارب الذكورين من ناحيته؛ ولذلك كثيراً ما ينشب القتال بين قبيلتى القاتل والقتيل، وقد يستمر أو يتجدد كل حين عدة سنين. وكثيراً ما يكون الأمر كذلك نتيجة إهانة يسيرة بين شخصين ينتميان إلى قبيلتين مختلفتين. وكثيراً ما يعود الثأر بعد جيل أو أكثر من ارتكاب القتل، بينما كانت الخصومة فى ذلك الوقت هادئة، وربما لم يكن يذكرها أكثر من شخص واحد. وهناك قبيلتان فى الوجه البحرى إحداهما (سعد) والأخرى (حرام) اشتهرتا بهذه الحروب والخصومات الصغيرة[1]، ولذلك يطلق اسمهما عادة على أى شخصين أو فريقين عدوين. ومما يثير الدهشة أن يباح فى الأيام الحاضرة مثل هذه الأعمال التى إذا ارتكبت فى مدينة من مدن مصر عوقب عليها بالموت أكثر من شخص. وقد أباح القرآن الثأر ولكنه قيد تنفيذه بالعدل والاعتدال. وتخالف هذه الخصومات حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار ». ويشبه الفلاحون البدو فى أحوال أخرى؛ فعند ما تخون الفلاحة زوجها يقذف بها هذا أو أخوها فى النيل بعد أن يربط فى عنقها حجر أو تقطع إرباً ويقذف ببقاياها فى النهر. وقد يعاقب الأب أو الأخ العذراء التى تتهم بتنكر. ويعتبر أهل المرأة أن جريمتها تمسهم أكثر مما تمس الزوج، وكثيراً ما يحتقرون إذا لم يعاقبوها

الفصل الثامن

عادات المجتمع العامة

يؤدى احترام المسلم للتجارة إلى اتساع دائرة معرفته بالناس على اختلاف درجاتهم اتساعاً عظيماً؛ وينشط قانون انفصال الجنسين حرية المعاملات بين التجار إلى مدى بعيد، إذ يسمح للتاجر أن يشارك غيره — بصرف النظر عن اختلاف الثروة أو الدرجة — دون خشية اقتران شخصين متفاوتين بالزوج؛ وتتمتع النساء مثل الرجال بسعة المعاملات التجارية مع الغير من جنسهن

ويتكلف المسلمون ويدققون فى شمائلهم الاجتماعية إلى أقصى حد؛ ويقوم الكثير من عاداتهم الشائعة على تعاليم الدين، وذلك يميزهم فى مجتمعاتهم من كل قوم آخرين. ومن عاداتهم تحية بعضهم

(١) مثل قبيلتى (قيس) و (يمن) فى سوريا

بعضاً بقولهم : «السلام عليكم»[1] فيرد من يحيونه بقوله : «عليكم السلام ورحمة الله وبركاته»[2] . ولا يوجه المسلم هذا السلام إلى من يخالفه فى الدين[3] ولا بالعكس[4] ؛ ويجب على المسلم أن يحيى المسلم بهذه التحية ، إلا أن إهمال هذا الواجب لا حرج فيه . ويجب رد التحية على الإطلاق ؛ فالتحية (سُنَّة) وردها (فرض) . وقد يحيي المسلم مع ذلك خطأ من يخالفه فى الدين ، وليس على هذا أن يرد التحية . وينقض المسلم تحيته عند ما يتبين خطأه بقوله : « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » ؛ وكذلك يفعل أحياناً إذا حيا مسلماً ورفض أن يرد السلام

وأهم آداب السلام كما أملاها الرسول (ص) وكما يتبعها المصريون المحدثون ما يأتى : يبدأ الراكب بالسلام على الراجل ، والمار على الجالسين قلوا أو كثروا ، والفئة القليلة أو أحدهم على الفئة الكثيرة ، والصغير على الكبير[5]، ولما كان يكفى أن يوجه السلام واحد من الجماعة فكذلك يكفى أن يرده واحد . ويجب على المسلم أيضاً أن يحيى أهل المنزل عند دخوله وخروجه ؛ ويجب دائماً أن يبدأ بالتحية ثم يتحدث . ولآداب السابقة بعض الشواذ فلا يلزم مثلاً فى المدينة المزدحمة تحية أكثر هؤلاء الذين قد يمر بهم الإنسان ولا فى الطريق حيث يقابل المرء عدة عابرين . إلا أن العادة جرت على أن يُحيى الرجل الموسر أو الحسن الهندام أو الشيخ المحترم أو أى شخص وجيه من يبدو أنه رفيع المكانة أو عظيم الثروة أو من رجال العلم ولو كان الطريق حافلاً . وعادة المهذبين أن يضع من يسلم أو من يرد السلام يده اليمنى على صدره أو يلمس شفتيه ثم جبهته أو عمامته ويسمى ذلك (تَيْمينَه) . وتؤدى التيمينة الأخيرة ، وهى أكثر احتراماً ، لمن علا قدره لا مع السلام فحسب، ولكن أثناء الحديث أيضاً وبدون سلام حينئذ

ولا يؤدى من كان من الطبقة الدنيا السلام إلى المعظم دائماً وعلى الأخص إذا كان تركياً ، وإنما يكتفى بأداء التيمينة . ويظهر احترامه لمن سما مركزه بإحناء اليد إلى أسفل ثم رفعها إلى شفتيه وجبهته دون أن ينطق بالسلام . ومن العادات الشائعة أيضاً أن يقبل الرجل يد العظيم ، ظهرها وحده أو ظهرها وباطنها أحياناً ، ثم يضعها على جبهته لاظهار احترامه الخاص . إلا أن العظيم لا يسمح بذلك فى أغلب الأحوال ، وإنما يلمس اليد التى تمد إليه فيضع المحيّ حينئذ يده على شفتيه وجبهته فقط . وتقبل القدمان دلالة على الخضوع والمذلة لالتماس العفو عن ذنب أو للشفاعة لشخص آخر ، أو لطلب إحسان من عظيم . ويقبل الولد يد أبيه والزوجة يد زوجها والعبد والخادم الحر غالباً يد السيد . ويقبل أرقاء العظيم وخدمه كم ملابسه أو طرفها

وعند ما يُحيى الأصدقاء الخواص بعضهم بعضاً يتصافحون باليمنى ، ثم يقبل كل منهم يده أو يضعها على شفتيه وجبهته أو يرفعها إلى جبهته فقط أو يضعها على صدره دون أن يقبلها . ويتعانقون بعد الغياب الطويل وفى بعض المناسبات الأخرى . فيقبل كل منهم الآخر على الناحيتين اليمنى واليسرى . وهناك طريقة أخرى للتحية شائعة الاستعمال بين الطبقات الدنيا . فعندما يتقابل صديقان بعد سفر يتصافحان ويهنئ كل منهما الآخر على سلامته ويتمنى له الهناءة والرفاهية مردداً عبارتى : « سلامات » و « طيبين » على التعاقب ومراراً . وعند ما يبدآن هذه التحية التى تدوم وقتاً ، وقبل أن يأخذا فى الحديث يتصافحان كالعادة المتبعة عندنا ، ويغيران وضع اليد كلما يلفظان العبارتين السابقتين فيدير كل منهما أصبعه على إبهام الآخر عند ما يردد العبارة الثانية ويعود إلى الوضع عند العبارة الأولى

(يتبع)

عدلى طاهر نور

---

(١) أو « سلام عليكم »

(٢) أو « عليكم السلام » فقط . ولكن العبارة الطويلة تستعمل عادة تبعاً لأمر القرآن (سورة النساء آية ٨٦)

(٣) وقلما يفعل ذلك مسلمو مصر

(٤) ومع ذلك يرد المسلم أحياناً بعبارة « وعليكم » عند ما يحييه غير المسلم هذه التحية

(٥) وقد ذكر هيرودوتس احترام المصريين للمسنين كما أشار إلى تحياتهم المهذبة (الكتاب الثانى ص ٨٠)

أغنية

من ليـــالى الدانوب

للأستاذ أحمد فتحى مرسى

يا ليالى الحبِّ عاد الحبُّ ذكرَى ، يا ليالى
يا مَجالى النهــرِ أينَ النهرُ منَّا ، يا مجالى
غابَ عن عينى وما غابتْ رُؤاهُ عن خَيالى
وســلامٌ يا مِهادَ الحبِّ يا نبعَ الجمال
يا ليالى الحبِّ عاد الحبُّ ذكرَى ، يا ليالى

***

أينَ تحتَ الدَّوْحةِ السكرَى أمانِيُّ اللقاء
حينما أرختْ بنانُ الكونِ أهدابَ المساء
أينَ ضفَّاتُكَ يا نهرُ النديَّات اللَّوانى
لَقِيتْنَا بينَ ألحانٍ وأزهارٍ وماء
حُلُمٌ من غفوةِ الماضى تراءى فى جلال
يا ليالى الحبِّ ... ...

***

حدِّثى يا سرحةَ الوادى ويا خُضرَ الرحابِ
واذكرى يا كأسُ أحلامَ ليالينا العِذابِ
وارو يا نهرُ ترانيمى وأصغى يارَوابى
أنا من خلَّفتُ فى واديكَ أيامَ الشبابِ
وانطوتْ صفحةُ أحلامى على تلكَ الرمالِ
يا ليالى الحبِّ ... ...

***

هاهنا كمْ صافحَ الزهرُ وندَّى راحتَيها
والفَراشاتُ إلى الضوءِ تَسامَى وإليها
ترتجى الأمواجُ لو فاضتْ فمسَّتْ قدميها
وتودُّ الكأسُ لو تبقى طويلاً فى يديها
والغصونُ الخضرُ ما بينَ سجودٍ وابتهال
يا ليالى الحبِّ ... ...

***

سألتنى أترَى النهرَ جميلاً فى سُراه
لِمَ يبدو أزرقَ الصفحةِ يَسْبى من رآه
قلتُ يا أُنشودةَ القلبِ ، ويا حُلْمَ هواه
هذه الزُّرقةُ من عَيْنَيْكِ لَصَّتْها المياه
وتهادتْ راقصاتٍ بين زَهْوٍ واختيالِ
يا ليالى الحبِّ ... ...

***

أيها الأزرقُ يا مَسبحَ أحلامِ الحسانِ
والذى غنَّتهُ قيثارى شجيَّاتِ الأغانى
أنا من غنَّت بألحانِى أيَّامَ الزمانِ
وشدا كلُّ لسانٍ بالذى يشدُو لسانى
وحىُّ أيامِكَ يا نهرُ وأيامِى الخوالى
يا ليالى الحبِّ ... ...

***

يا ليالى الحبِّ عاد الحبُّ ذكرَى يا ليالى
يا مجالى النهــرِ أينَ النهرُ منَّا يا مجالى
غابَ عن عينى وما غابتْ رُؤاهُ عن خيالى
وسلامٌ يا مِهادَ الحبِّ ، يا نبعَ الجمالِ
يا ليالى الحبِّ عاد الحبُّ ذكرَى يا ليالى

أحمد فتحى مرسى
المحامى



تواضع الأديب الحق

مما يسترعى الالتفات أحياناً تلك اللغة التي يخاطب بها بعض الأدباء زملاءهم، فتراهم يقولون: « زميلنا أو صديقنا فلان يطلب إلينا كذا، ونحن نقول له كذا، والأجدر به أن يسألنا كذا » إلى آخر هذا التكبر والتكبر في التعبير

هؤلاء قد نسوا من غير شك أو تناسوا أن تكبر الأديب الحق وتعاليه هو في الفكر والتفكير لا في مخاطبة الآخرين. إني أرى شعار الأديب الحق هو: « تواضع في معاملة الناس، وتعالٍ في معالجة الأفكار ». لقد آن الأوان لأذكياء القراء أن يقفوا بالمرصاد لكل أديب يحاول أن يتعاظم بالحط من غيره، وأن يرفع قدر نفسه بوسائل لا تتصل بجوهر الرسالة العليا للفكر والأدب

حدث ذات مرة أن تفضل أحدهم فذكرني بقوله: « صديقنا فلان »! فتساءلت: « أهو يريد أن يشرفني بصداقته أم يشرف نفسه بتعظيمها على حسابي » ؟!

يقولون إن الذوق شيء ليس في الكتب؛ ولكني أقول إن الذوق شيء ينبغي أن يكون في طبيعة كل كاتب

توفيق الحكيم

على هامش العدد الممتاز

ظهر هذا العدد حافلاً كما تعود القراء بالآراء المنخولة، والعلم المصفى، والأدب الحي، الذي يبعث الحياة قوية في النفوس التي نال منها الجهد. وقد وقفني، وأنا أطالع بعض ما فيه من بحوث كمات - هي لفتات قوية - جعلتني أكتب هذه الكلمة القصيرة

١ - يقول الأستاذ الجليل الزيات: « إن عمر رضى الله عنه رأى من العدل أن ينال اليهودي الذي عجز عن كسب حياته، من بيت المال ما يمسك به نفسه ». ذكرني هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد أهل الحيرة في كتابه الذي جاء فيه: « وأيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته وعُيِّل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة والإسلام [١] »

أين هذا العدل مما نراه اليوم من ضياع حقوق الفقراء المسلمين عند الأغنياء المسلمين ولدى الحكومة في دار الإسلام!

٢ - ويذكر المؤمن حقاً الأستاذ الغمراوي في تأملاته أن الفضيلة جعلت في هذا الزمن الضال بأهله وسيلة للغلب؛ فالأمم تتعاهد فإن وجدت في الوفاء ربحاً وفت، وإن وجدت الربح في النكث نكثت. هذه الحقيقة المؤلمة أذكرتني كذلك ما جاء في كتاب الفاروق عمر إلى سعد بن أبي وقاص وهو في حربه مع الفرس: « فإن لاعب أحد منكم أحداً من العجم بأمان، أو قرفه بإشارة أو بلسان كان لا يدري الأعجمي ما كلمه به وكان عندهم أماناً، فأجروا ذلك مجرى الأمان. وإياكم والضحك، والوفاء الوفاء! » [٢]

هل ترى أنبل من هذا وأشرف! يحض الفاروق على الوفاء بكلمة تبدو من المسلم لأعجمي لا يدري معناها ولا يدور بخلده أنها أمان، أما الأمم التي ترى أنها أوفت على الغاية من المدنية والحضارة، والتي يأخذ عنها سادتنا وزعماؤنا ورجالاتنا العادات والتقاليد، فتتعاهد وتحكم العهد، حتى لا تترك فيه لفظة ينفذ منها شك، أو حرف يكون تعلة للبس؛ ثم إذا رأت إحداها أن خيرها في النكث نكثت، إن مكنها من هذا ما تملك من حول وطول، ومن قوى الدمار والهلاك!

يا قومنا! يجب أن نعتز بتراثنا وآدابنا وأمجادنا التي تصمد في مقام الاعتزاز والفخر. بذلك تحترمنا الأمم الأخرى، ونسير في طريق المجد. والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

إلى الدكتور زكي مبارك

قرأت ما كتبته في العدد (٤٤٨) من مجلة الرسالة الغراء تحت عنوان (أعدى الأعداء) ولست أقول فيه شيئاً، غير أني

(١) مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة للدكتور محمد حميد الله، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٤١ ص ٢١٩ — ٢٢٠

(٢) المرجع نفسه ص ٢٢٨

أحيلك على ما كتبه الدكتور طه حسين بك فى العدد (٣٩٩) من مجلة الإثنين ففيه خير جواب لك

ولعل من الخير أن أذكرك بكلمة قالها الجاحظ فى كتابه عن النساء وهى : (لسنا نقول ولا يقول أحد ممن يعقل أن النساء فوق الرجال أو دونهم بطبقة أو طبقتين أو بأكثر)

وبما لقلمك من فضل على الأدب العربى الحديث لا يسعنى إلا أن أقول : (هداك الله للحق وأبعد كيد الشيطان عنك) .

(بنت بغداد)

حول الهجرة وشخصيات الرسول

أولى المجلات عناية بما ينشر فيها بحثاً ونقداً « مجلة الرسالة الغراء » لأنها أصبحت حقاً مشاعاً للطبقة الراقية من رجال الدين والعلم والأدب ، فلا غرو أن ينتظر القراء منها تحقيق ما ينشر فيها من بحث أو يذاع فيها من رأى . كتب صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت كلمة ضافية فى العدد ٤٤٩ ناشد فيها أمنية له حارة أن يعنى العلماء بجمع ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن يميز من ذلك ما كان بصفته رسولاً وما كان بصفته إماماً أو قاضياً أو مفتياً ، بعد أن مهد لذلك بمقدمة نعى فيها على علماء الإسلام حرمانهم النبى صلى الله عليه وسلم من حق الاجتهاد وصورهم كأنهم يرون النبى صلى الله عليه وسلم اسطوانة لجبريل حيث غلبوا صفة الرسالة على صفة البشرية ، إلى أن قال فيهم : ومن زعم ذلك فقد تلاقى فى رأيه من قريب أو بعيد بالذين يقولون « أبعث الله بشراً رسولاً » . ومعلوم أن قائلى ذلك هم الكفار

وماذا يقول الأستاذ فى أن كتب الأصول من أولها إلى آخرها تقول بصحة اجتهاد الرسول ، وأنه إذا أخطأ فى الاجتهاد نزل الوحى بتصحيح الخطأ ، لأننا مأمورون فى القرآن الكريم بالاقتداء به ولا نقر بحال على الاقتداء به فى خطأ . كذلك نصت جميع كتب الأصول وكتب الشريعة جمعاء على تقسيم أفعاله صلى الله عليه وسلم إلى ما كان منها جِبلياً أو من قبيل العادات فلا يكون شريعة ولا نحن مأمورون بالاقتداء به فيها ، وإلى ما هو بيان لما جاء فى القرآن أو نزل بالوحى فيجب أن يكون تشريعاً عاماً ، وتحدثوا عن ذلك بإفاضة حتى مازوا ما يصدر عنه بصفة كونه إماماً ، وما يصدر منه بصفته مبلغاً أو قاضياً أو مفتياً وهى الشخصيات التى أرادها الأستاذ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو أول من أمر الصحابة بالتفرقة بين ما يصدر عنه بصفته رسولاً وما يصدر عنه بصفته من البشر . جاء فى صحيح مسلم عنه قال : (إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشىء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشىء من رأيى فإنما أنا بشر) وقال : (أنتم أعلم بأمور دنياكم) واتخذ العلماء ذلك قاعدة شرعية بنوا عليها تفصيل الكلام فيما يصدر عنه صلى الله عليه وسلم من تصرفاته ، حتى اختلفت الأئمة الأربعة فى كثير من المسائل بناء على هذا الأساس نفسه ، كما فى قوله صلى الله عليه وسلم : (من قتل قتيلاً فله سلبه) حملها بعض المذاهب على أنه تشريع عام دائم ، ورأى مالك أنه تصرف منه بصفته إماماً . كذلك ورد (من أحيا أرضاً ميتة فهى له) رأى مالك والشافعى أن ذلك من باب التبليغ والرسالة فهو تشريع دائم ، ورأى أبو حنيفة أن ذلك إنما صدر عنه بصفته إماماً . إلى غير ذلك مما هو مذكور فى كتب الخلاف

هذا حديث العلماء فى القديم والحديث فى الفقه واختلافه باختلاف النظر إلى شخصيات الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يصدر عنه من قول أو فعل ، بسطوا القول فى ذلك ووضعوا له الأبواب والقواعد فى كتب الأصول وكتب القواعد وأحكام القرآن والسنة

فأمنية الأستاذ محققة بحمد الله ، وأما الخلاف فى الفروع الجزئية فهو ضرورة اجتماعية فى كل تشريع ، ويمتاز التشريع الإسلامى بأنه فيه مصحوب بحسن التفاهم وعمق النظر إلى اختلاف أحوال الأفراد والطوائف مما لا يوجد فى التشريع الوضعى .

محمد عبد السلام القبانى

المدرس بكلية الشريعة

البراق النبوى وقصة المعراج فى التصوير الإسلامى

نشرت مجلة المقتطف فى عدد فبراير ١٩٤٢ مقالاً للأستاذ « عمر حمدى » خريج معهد الآثار الإسلامية عن : « البراق النبوى » كنا ننتظر أن يذكر الأستاذ فى ذيله أنه ترجمة لفصل من كتاب « التصوير فى الإسلام Painting in Islam » لمؤلفه « السير توماس أرنولد » ، وهذا الفصل فى الكتاب المذكور من صفحة ١١٧ ـ ١٢٢ بعنوان « البراق »

والأجدر بخريج معهد الآثار الإسلامية أن يلجأ فى كتابة مقال إلى الطريقة العلمية الصحيحة من إرجاع الفضل لذويه ، والاعتماد على المراجع ؛ فتلك هى الأمانة العلمية الواجبة ، فنحن الآن فى عصر زخرت فيه المكتبات بالكتب ، وصار فضل كتّاب المقالات ، بل فضل المؤلفين أنفسهم هو فضل إسناد

الآراء إلى مصادرها الأصلية . ذلك ما يطلب منهم ، إذا لم يكن أن يكون لهم فى مضمار العلم فضل الابتكار .

ونأمل أن يتفضل المقتطف الأغر بنشر هذا الاستدراك فى عدده القادم .

السيد العجمى

رأى الأئمة فى المذاهب الصوفية

بعد أن اطلعت – أيها القارئ الكريم – على فتوى الإمام « الطرطوشى » بالشين فى المذاهب الصوفية ، يجدر بك أن تسمع رأى أئمة الفقه المجتهدين فى هذه المذاهب الصوفية التى ذر قرنها فى أواخر القرن الثانى للهجرة، وظهر الشذوذ فى المنتحلين لها فى القرن الثالث للهجرة

قال الإمام الشافعى الذى توفى سنة ٢٠٤ هـ : إذا تصوف الرجل فى الصباح لا يأتى المساء إلا وهو مجنون . وأنكر الإمام أحمد الذى توفى سنة ٢٤١ هـ بعده على خيارهم ، ونهى عن قراءة كتب الحارث المحاسبى على التزامه الكتاب والسنة علماً وعملاً . وروى الخطيب بسند صحيح أن الإمام أحمد سمع كلام المحاسبى فقال لبعض أصحابه : ما سمعت فى الحقائق مثل كلام هذا الرجل ، ولا أرى لك صحبتهم . وسئل الإمام أبو زرعة عن الحارث المحاسبى وعن كتبه التى ألفها فى : أصول الديانات ، والزهد على طريق الصوفية ؟ فقال لسائل : إياك وهذه الكتب ، بدع وضلالات . عليك بالأثر ، فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب ؛ فقيل له : فى هذه الكتب عبرة ؟ فقال : من لم يكن له فى كتاب الله عبرة ، فليس له فى هذه عبرة – بلغكم أن مالكاً أو الثورى أو الأوزاعى أو الأئمة صنفوا كتباً فى الخطرات والوساوس وهذه الأشياء ؟ هؤلاء قوم قد خالفوا أهل العلم . ثم قال : ما أسرع الناس إلى البدع !

ومن خيار الصوفية الوعاظ المتقدمين منصور بن عمار ، وقد ذكر بن مفلح فى كتاب « الآداب الشرعية » أن الإمام أحمد نهى عن كلامه . وقد أنكر الغزالى فى كتاب « الغرور من الإحياء » على المتشبهين بالصوفية ، وكان ذلك فى أواخر القرن الخامس ، فإن الغزالى توفى سنة ٥٠٥ ، وكان قد تاب إلى الله من علوم التصوف والكلام وانقطع إلى علم السنة . ثم إن ابن الحاج المالكى المتوفى سنة ٧٣٧ هـ تكلم فى كتابه « المدخل » على هؤلاء المتشبهين بالمشايخ من أهل عصره فى القرن الثامن وبين ما لهم من المنكرات ، وفند ما يدعونه من الكرامات

وبعد ، فهذا نموذج من كلام أئمة الإسلام ندعم به فتوى الإمام الطرطوشى فى المذاهب الصوفية ، وحسبى ذلك وكفى

(كفر الندرة) أحمد أحمد القصير

مات حتف أنفه

فى الطبعة الرابعة لكتاب (إعجاز القرآن) للرافعى رحمه الله ص ٣٣٢ فى الكلام عن البلاغة النبوية وتحت عنوان (تأثيره فى اللغة صلى الله عليه وسلم) يقول المؤلف : (فلا جرم كان صلى الله عليه وسلم على حد الكفاية فى قدرته على الوضع والتشقيق من الألفاظ وانتزاع المذاهب البيانية حتى اقتضب ألفاظاً كثيرة لم تسمع من العرب قبله . . . إلى أن يقول (وكلها قد صار مثلاً وأصبح ميراثاً خالداً فى البيان العربى كقوله : مات حتف أنفه . وقد روى عن على بن أبى طالب (رضى الله عنه) أنه قال : ماسمعت كلمة غريبة من العرب (يريد التركيب البيانى) ألا وسمعتها من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسمعته يقول : « مات حتف أنفه » وما سمعتها من عربى قبله) ا . هـ

ولكننا نرى فى لامية السموأل بن عادياء المشهورة قوله :

وما مات منا سيد (حتف أنفه) ولا طُلّ منا حيث كان قتيل

فكيف نوفق بين هذا وذاك ؟...

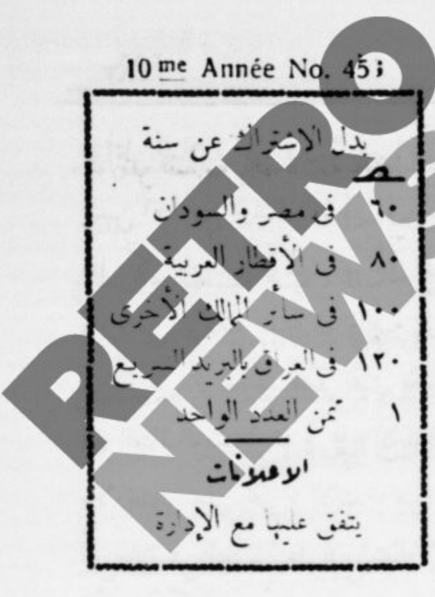
الرجاء أن تطرحوا السؤال على القراء ، ليجيب عليه من حضراتهم من يشاء .

(البصرة) خالد الشواف

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



10me Année No. 453 ; Lundi - 9 - 3 - 1942



بدل الاشتراك عن سنة

مص

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

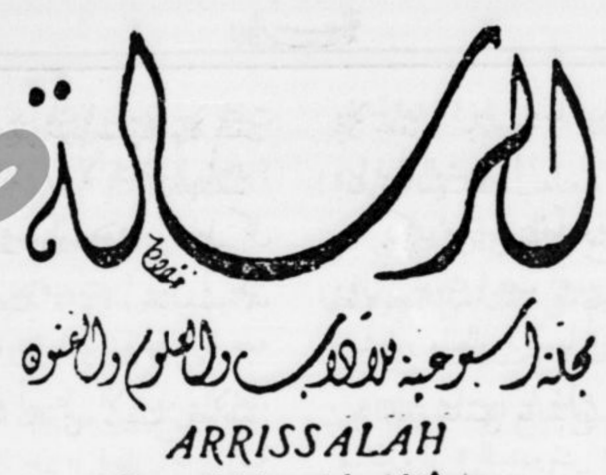
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٤٥٣ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٢ صفر سنة ١٣٦١ — الموافق ٩ مارس سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

دروس في الحرب

هل تنسى؟ ...

للأستاذ عباس محمود العقاد

واحدة . اثنتان . ثلاث ... ثمان ...

ومضى صاحبي يعد الفتيات اللائي يعبرن بنا في الظلام واحدة بعد واحدة حتى أربى العد على العشرين، وكلهن يعبرن الطريق المظلم منفردات كأنهن رجال، وقلّ في الطريق من يلتفت إليهن، أو يريهن أنهن أخطأن بالخروج في هذا الليل على انفراد، أو يعجب كما عجب القائل:

ثم قالتْ وأحسنَتْ عَجَبي ... من سُراها حيث لا تسرى الأسود

لا تَعجَبْ يا حبيبي فالسُّرى ... عادة الأقمار والناس هجود

قال صاحبي: لو خرج هؤلاء في ليلة كليلتنا هذه في القرن الماضي كيف كن يخرجن؟

كن يخرجن والمصباح أمامهن في يد الخصي أو الخادم إن كن من ربات الخدم والخصيان، أو كن يتسللن في استخفاء كتسلل اللصوص إن لم يكنَّ من ذوات اليسار

قلت: فإن كانت فتيات اليوم لا يحتمين بحارس ولا مصباح

الفهـــــرس

فما أظن العلامة كلها علامة خير ! من يدريك يا صاحبي لم لا يلتفت إليهن أحد من أولئك المدلجين فى الظلام ولم لا يلتفتن إلى أحد ؟ لعل كل عابر من أولئك المدلجين ذاهب إلى موعد ! ولعل كل عابرة من أولئك المدلجات ذاهبة إلى موعد مثله ! ومن لم يكن من الرجال على موعد فلعل الذى يثنيه عن المناوشة والمغازلة علمه أن الفتاة العصرية تجرؤ على الابتداء أو على الإيماء والإيحاء ولا تنتظر حتى يجىء الابتداء من الرجال . فإذا رآها معرضة أو جادة فى الطريق علم أن ابتداءه بالمناوشة والمغازلة لا يفيد ، وأن الأكرم له أن يمضى فى سبيله حتى تبدر له إشارة من إشارات التشجيع

ليس كله يا صاحبي بخير !

ليس كل هـذا من الصيانة بل فيه كثير من الابتذال والهوان . وليست كل شجاعة المرأة خيراً بل حياؤها وجبنها أكرم لها من هذه الشجاعة فى بعض الآراء

وانتقل الحديث من عبرات الظلام إلى الظلام نفسه فقال الصديق : والله لقد ألفناه حتى استحببناه ، ووالله إن الإنسان ليخرج من البيت إلى الطريق كأنه على العكس خارج من الطريق إلى البيت ، لأن فى الظلام معنى الاستكنان والإيواء ، وفى النور معنى العموم والشيوع . فإذا تجاوز أحدنا الباب فكأنه خارج من عالم حفل بالناس والمناظر إلى عالم لا مناظر ولا ناس فيه .

قلت : ما أدرى إن عشنا كيف تفاجئنا القاهرة أول ما تضاء كما كانت تضاء في أيام السلم قبل سنوات ؟ إخالنا سنحسبها ليلة عيد أو مهرجان ؛ وإخالهم لا يصنعون فى احتفالهم بالسلم أكثر من إضاءتهم المدن كما كانت تضاء .

قال صاحبي وكأنه خاف على ظلامه الذى ألفه واستراح إليه : أو عائدون نحن إلى تلك الأضواء المسرفة لا محالة ؟ لم لا نستفيد من دروس الحرب ونقنع بهذا النصيب من النور الذى يهدينا إلى حيث نشاء ؟ فإن لم يقنعنا هذا النصيب فلم لا نزيده بمقدار ما نتقى بعض الأضرار التى نحذرها الآن ؟ . . . لم لا نقنع بربع ذلك الضوء الذى كنا نسفكه على الأرض أو على الوجوه التى هى شر من الأرض قبل سنوات ؟

قلت أداعبه : نعم . أو على الوجوه التى تعدها الآن ولا تراها ! ! ولو رأيتها لما كنت ارتقيت بالتعداد إلى العشرين وما فوق العشرين !

وكان صاحبي جائعاً فوقف عند دكان من دكاكين الشطائر وقال : بإذنك يا عضو المجمع اللغوى ... ألا تأذن لنا فى « شاطر ومشطور والطازج بينهما » ؟

يريد صاحبي ما شاع على ألسنة العامة من تسمية المجمع للشطيرة أو « السندويتش » بذلك الاسم المطول الذى يدل على وليمة كاملة ، لا على لقمة تتناولها الأصبعان

قلت أداعبه أيضاً أو أنتقم منه : بل فى بلغة إن أردت ! !

قال : أو هذه تسمية المجمع ؟ أو هو تصحيح وترجيح ؟

قلت : إنك لأحرى أن تصدق هذه التسمية الصحيحة من تصديقك تلك التسمية التى لا تساغ ولو على سبيل المزاح . والبلغة أخف من الطازج بين الشاطر والمشطور

ثم ذكر صاحبي أن اليوم من أيام النبات وليس من أيام اللحوم . فعاد إلىَّ يرد انتقامى وسألنى :

أو يعجب هذا صاحبك المعرى ؟ . . . ما زلتم تهتفون باسم هذا الرجل حتى أوشكنا أن نقتصر على العدس والتين مثله . فلا تزيدوا بربكم من ذكره لكيلا نلتزم البيوت ولا نرى فى الدنيا غير الظلام . . . !

قلت : وما بالك لا تحسبه درساً من دروس الحرب الباقية ؟ وما بالك لا تحمد لنا أن ذكرنا المعرى حتى أوشكنا أن نرضيه وأن نقتدى به فى طعامه ؟

وكانت نوبة الاعتبار والاتعاظ مالكة زمام الصديق فى تلك الليلة ، فأخذ فى تفصيل هذا الدرس الجديد ، وطفق يقول ويكرر : ولم لا ؟ ولم لا ؟ إننا تعودنا ونعم العادة ما تعودنا . . . فلنمض فى ذلك طائعين لنسى غداً أننا مضينا فيه أيام الحرب ونحن كارهون

وراح يقول : أو ليس هذا ضرباً من الصيام المحمود ؟ أليس فيه ما فى الصيام من شعور بالمساواة بين الأغنياء والفقراء ؟ أليس فيه ما فى الصيام من ضبط للنفس وكبح للشهوات ؟ أليس فيه قصد ومنفعة ؟ أليس فيه صحة وحمية ؟ أليس فيه تآزر بين البيت والأمة فلا يأكل البيت إلا بمقدار ما تسمح الأمة ؟

قلت : بلى ، فيه هذا وفوق هذا

فظن أننى أمزح وأننى سأهزأ به فتأهب قائلاً : وما فوق هذا ؟

قلت : على ربعك ! لست أمزح ولا أنوى أن أستهزئ بنوبة عظاتك فى هذه النوبة ... إن الأيام التى خلت من اللحوم لفيها ما ذكرت وزيادة : فيها الحمية والقصد وضبط النفس والمساواة بين الغنى والفقير ، وفيها أنها ستبصرنا بمنافع السمك وطالما عجبت لإهمال المصريين إياه

فمصر يحف بها بحران عظيمان ، وفيها بحيرات كبار ، ويتخللها النيل وليس هو أغنى هذه الموارد بالسمك النافع ، ولكنه مورد لا نستفيد منه كل ما يستفاد

وقد كانوا فى مصر القديمة يستفيدون منه ويأكلون سمكه أيام الفيضان ، ويملحونه ليحفظوه إلى الفيضان المقبل ، لأنهم كانوا يجهلون من أساليب الصيد فى البحار وتوليد الأسماك فيها ما نعلمه الآن

أما نحن فعندنا الزوارق البخارية والوسائل العصرية والمعرفة بعلوم الأحياء . فلماذا لا نستكثر من أكل السمك وهو غذاء صالح للأجسام والعقول ؟

فصاح مستفهماً : وللعقول ؟

قلت نعم ... وإن أناساً جادين فى القول والبحث ليزعمون أن الفلسفة اليونانية مدينة للسمك بالشيء الكثير ، وإن حكماء الإغريق نبغوا على الشواطئ وبين أبناء الجزر ، لأنهم كانوا يستكثرون من أكل السمك وفيه « الفسفور » كما تعلم ، وفى الفسفور غذاء للمخ والأعصاب ، وغذاء للعقل والإدراك من هذا الطريق .

ومن فكاهات العصر الحديث ما يؤيد أولئك الباحثين الجادين فيما زعموه ... أولم تسمع بحوار الإنجليزى والاسكتلندى على السمك ومناصب الدولة ؟

قال : لا

قلت : فاعلم أن انجليزياً سأل رجلاً من أذكياء اسكتلندة متعجباً : ما بالكم يا هؤلاء وليست فى بلادكم العاصمة ولا مراكز الدولة ، تشغلون أكبر مناصبها ، وتستأثرون فيها أحياناً بالوزارة والقيادة والقضاء ؟

فارتد إليه الاسكتلندى مجيباً : أولا تدرى ؟ إنه الدماغ ، وإنه السمك . . . !

قال الإنجليزى : وما العلاقة بين الدماغ والسمك وأبناء اسكتلندة ؟

فقال الإسكتلندى : إن السمك فيه الفسفور وإن المخ لا يعمل بغيره ، وإنه كثير فى سمك بلادنا ... !

قال الإنجليزى : أئذا أكلت من سمك بلادكم رشحت نفسى بعد حين لمنصب من تلك المناصب الرفيعة ؟

قال : بلا جدال

ونقده الإنجليزى جنيهاً وأرسل إليه الأسكتلندى سمكة وعاد بعد أيام يسأله : كيف أنت واقترابك من المناصب الرفيعة !

فهز الإنجليزى كتفيه وأجابه : كما أنا !

قال : إذن كرر التجربة

وكرر التجربة ، وأعطاه الجنيه ، وأكل السمكة ، وعاد إليه بالسؤال مرتين وعاد إليه بالجواب بعينه ، فلما قال له : كرر التجربة إذا بالإنجليزى يقاطعه هذه المرة صائحاً :

— أولا يباع بالجنيه عندكم أكثر من سمكة واحدة ؟ !

فابتسم الإسكتلندى وربت على كتفيه وهو يقول : هذا مفعول السمك قد آذن أن يظهر يا صاح !

* * *

ومن أين لنا أننا إذا طالت التجربة فى مصر ، قلنا لمن فهموا بعد أن كانوا لا يفهمون : هذا مفعول السمك يا هؤلاء ، وهذه بركة الأيام التى لا تحمدونها الآن !

* * *

دروس من الحرب ، وكم للحرب من دروس ... فهل نذكرها ؟ وهل ننساها فيضيرنا نسيانها !

ويح بنى الإنسان ! لو أن درساً من دروس جيل ينفع الجيل الذى بعده لما تلاحقت المصائب عليهم جيلا بعد جيل

وويحهم مرتين ! لو أن الأجيال السابقة تجرب للأجيال التى بعدها وتعيش لها لبطل عيش اللاحقين وأصبح كالنسخة المكررة من عيش السابقين

فليجربوا أو لا يجربوا ، ولينسوا أو لا ينسوا ، فما هم بناجين ، وما هم عن تكرار التجربة بمستغنين ، ولو كلفتهم السمكة أكثر من جنيه ، وأبطأ مفعولها بعد قضاء الثمن مرات

عباس محمود العقاد

نظرة عاجلة

فى ديوان الشبيبى

للدكتور عبد الوهاب عزام

حسبت ، وديوان الشبيبى فى المطبعة ، أنى سأسبق الكتّاب إلى الكتابة عنه حين ينجز طبعه ؛ ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه . فقد لبثت حقبة أتربص فرصة بين الأشغال المتتابعة ، وأرتقب فترة فى الأعمال المسرعة ، وكلما صرفتنى الشواغل عن مقصدى أنشدت قول الأنورى الشاعر الفارسى :

أكر محوّل أحوالِ جهانيان نه قضاست
چرا مجارى أحوال برخلاف رضاست

ويمكن أن يؤدى معناه فى العربية بهذا البيت :

لماذا يخيب رجاء البشر إذا لم يكن أمرهم للقدر

وكانت عطلة عيد الأضحى . ودعيت إلى المشاركة فى المؤتمر الطبى العربى الذى اجتمع فى مدينة أسوان فقلت هى فرصة : أصحب ديوان الشبيبى فى القطار كما صحبت ديوان البحترى فى سفرى من حلب إلى استانبول قبل ربع سنين . ورحم الله أبا الطيب الذى قال : وخير جليس فى الزمان كتاب

عبرت ديوان الشبيبى عبرة وعزمت على أن أبادر بالكتابة عنه حينما أعود إلى القاهرة . ثم سارت الأيام سيرتها ، وجرت الأمور مجراها ، فإذا شهر ونصف يمضيان من الزمن الطيّار الذى قال فيه المعرى :

وأصغر كون تحته كل عالَم ولاتدرك الأكوانَ جردٌ صلادم

وقال عبد الحق حامد شاعر الترك الأكبر :

تجمز ، صايبرم ، بوردز كارى سر عتليدر أو لقدر كذارى

(وترجمته :

ويسرع هذا الزمانُ المرورَ إلى أن أرى أنه لا يمرّ)

ثم تسنت لى جلسة خالية مختلسة من بين الشاغل التى تعبّدنا وتستبدّ بعقولنا وقلوبنا فاستطعت أن أخط كلمات قليلة عن ديوان الشبيبى ، وما هى إلا نظرة عاجلة غير شاملة حاولت جهدى ،

حين الكتابة ، أن أتجاهل السيد رضا الشبيبى ، وأقدّر أننى لا أعرفه وأنى لا أكنّ له فى نفسى ودّاً وإعجاباً ليتيسر لى أن أزن الكلام بقيمته لا بمكانة قائله . ولكن كان بيت تقع العين عليه يذكر بأن بيت الشبيبى تتمثل فيه الأديب الوقور جالساً جلسته ، متحدثاً حديثه ؛ فلم أستطع أن أخدع نفسى عن الشبيبى ساعة واحدة أصف فيها الديوان . قلت لنفسى كيف الحكم وقد قال النقاد ينبغى ألا يكون لمعرفة الإنسان وميله أثر فى حكمه ؟ قالت : قد حكمت ولم تشعر . قلت كيف ؟ قالت : ألست تقول إن كلام الشبيبى يذكر به ، ويصدق الحديث عنه ؟ وخير الكلام ما شف عن صاحبه ومثله لقارئه

— ١ —

يفيض قلب الشبيبى بحب قومه العرب ، وينطق شعره بالغضب لهم والتوجع لما أصابهم والفخر بماضيهم والثقة بمستقبلهم . وحسبك بقصيدته القافية التى يتناشدها أهل الشام :

ببغداد أشتاق العراق وإننى إلى الكرخ من بغداد جمُّ التشوق
فما أنا فى أرض الشآم بمشئم ولا أنا فى أرض العراق بمعرق
هما وطنٌ فرد وقد فرقوهما «رمى الله بالتشتيت شمل المفرِّق»

وشد ما يعجبنى ويطربنى قوله فيها :

وما الأرض لولا أربُع عربية سوى عطنٍ بالعبقرية ضيّق

وقد ذكرنى قوله فى حلوان العراق :

فيا ليتها كانت ربا عربيــة مكرّمة منهن رَضوى وثهلان

بقصيدة أبى الطيب فى شعب بوان حينما افتقد وجه العربى ويده ولسانه ثم قال :

ولو كانت دمشق ثنى عنانى لبيقُ الثرد صينيّ الجفان

وكذلك يذكر بأبى الطيب قوله :

وفت عجائبُ أجيال وأعجبها إذا تأملت ، جيلٌ عربه عجم

واقرأ قصيدته : « دمشق وبغداد » ، وقف على هذا البيت الذى فاضت فيه أنهر العرب الأربعة :

بَرَدَى وأودية الفرات ودجلة والنيل غضّ بمائك الوُرّاد

ويتبين الإباء العربىّ حتى فى غزله :

تعفّف بعد العجز قوم فما حكوا خلائق أقوام متى قدروا عفوا

وأشق الهوى ما كان غاية أهله وعُقباهم منه الخلاعة والهوا

ومن خير ما يقرأ في هذا قصيدته الحب الطاهر .

— ٢ —

وأما العراق فقد وهبه الشاعر عقله وقلبه . ما يذكره إلا يجب قلبه ويفيض دمعه ، أو تثور نفسه ، حزناً لما يرى وطموحاً إلى ما يبقى له من العزة والسؤدد والسعادة :

أى دمع يفيض من أى مقله لوقوف بين الفرات ودجله

ما إخال الخرير والماء إلا صوت حزن وعَبرة مستهِلّه

يا خليليّ إن تشاءا اسعدانى فى شجونى فالخل يسعد خلّه

عللانى بذكر نهضة قومى قبل ألاّ أرى لقلبى تعلّه

أين ذاك العراق ؟ أين بنوه ؟ ليتهم أبصروا العراق وأهله

وقوله :

نظرت بنى الدنيا فأصررت أنها على الشر لا تنفك تجرى النحائت

هم أضمروا حب المظالم فاستوت دخائلهم والظاهر المتفاوت

سوائم يرعى بعضها دم بعضها شتاتاً وهل تحمى السروح الشتائت ؟

— ٣ —

وللأستاذ الشبيبى نظرات فى الحياة تعرب عن ضيقه بها وانقباضه وارتيابه فى الناس ، وتذكّر أحياناً بأبى العلاء المعرى :

من الناس خافى أيها النفس واحذرى ولا تأمنى إن المخافة فى الأمن

وكأنك تقرأ للمعرى حين تقرأ القطعة التى سماها « من لزوم ما لا يلزم » :

حياتى هذه ليل إذا متّ غداً يُجلى

وما آسى على شىء من الدنيا وإن جلاّ

— ٤ —

وللأستاذ شعر فلسفى يسمو إلى النظر العالى فى الكون والإبانة عن جلاله وجماله . إقرأ قصيدته على ضفاف دجلة :

يد لدجلة عندى لست أجحدها إلا إذا جحدت سلسالها الهِيمُ

حلفت ليلة تعريسى بشاطئها ألاّ يميل برأسى عنك تهويم

إذ كل زمزمة فى الكون هينمة بل كل ما فيه تغريد وترنيم

لى فى الرياض إذا أمرعن فلسفة وحكمة ملء مرآها تعاليم ..الخ

وبعد فقارئ ديوان الشبيبى يمرّ بصور صادقة ، صور إنسانية عالية وأخرى قومية رائعة . ويرى من آمال الحياة وآلامها ، وسعادتها وشقائها ، وجمالها وقبحها ، ما يحسن الشاعر الإبانة عنه ، ويصدق التصوير فيه ، حتى تحسب خياله حساً ومجازه حقيقة

والخلاصة أن شعره يصدق قوله فى الشعر :

إذا أنت كابرت الحقيقة عبّرت فصاحة قسٍّ عن فهاهة باقل

إذا قلتُ إن الشعر بحر غبته متى يستقيم البحر من غير ساحل ؟

قرائحنا منــــه بحور خضارم

ومنها — إذا جرّبتَ — رشح الجداول

وأجمع أقوال الرجال أشدها معان كبار فى حروف قلائل

ولله ما أبصره بالشعر الحرّ العالى حين يقول :

ما من بصير بحق الشعر يحفظه

كن شاعر الوقت أو كن شاعر الزمن

زن قبل لفظك معنى البيت تُنشِئه

فربَّ بيتٍ بمعنى غير مُتّزن

ولعل لنا نظرة أخرى شاملة مفصلة فى الديوان إن شاء الله .

عبد الوهاب عزام

بين آدم وحواء

حديث الســـدرة

للدكتور زكي مبارك

كانت حوّاء تعبث من عقل آدم ، وكان آدم تعب من جهل حواء ، وكان جوّ الخلاف ينذر بأن صاعقةً ستنقضّ على رأسيهما بعد حين ... ولذلك الخلاف المزعج تفاصيل فى كلام شيث بن عربانوس ، فما تلك التفاصيل ؟

كانت الأوامر والنواهى ثقُلت على آدم وحوّاء (الحكمة يعلمها الله) وكان آدم مع ذلك يدرّع بالصبر الجميل ، فيراعى الحدود بقدر ما يستطيع . أما حوّاء فكانت تتمرد من حين إلى حين ، وإن كان شيث يؤكد أن تمردها لم يكن فى جوهره إلا فناً من فنون الدلال .

ويظهر من كلام شيث أن حوّاء لم تكن تدرك أن النعيم قد يزول بالعصيان ، فما دار فى خَلَدها أن فى الوجود مكاناً غير الفردوس يُنفَى إليه العصاة والمتمردون ، ولا جاز فى وهمها أن يُنقَل الإنسان من دار إلى دار بسبب الثورة على الأدب والذوق . وكيف تدرك حواء هذا المعنى وقد وُلدتْ فى جنة دانية القطوف ، ولم تسمع بأخبار الأرض إلا بعد أن قضى الله فى أمرها بما أراد ؟

ويظهر أيضاً من كلام شيث أن آدم كان يخاف الله أشد الخوف ، وكان يدرك بفطرته أن النعيم قد يزول بالعصيان ، وأنْ لا بدّ من تأديب حوّاء إن تمادت فى الضلال .

كان آدم يفهم جيداً أن الله لا يتأذى بجهل الناس ، وإنما يوقع العقاب بالجاهلين لخروجهم على نظام الوجود ، وهو نظام يتأثر باليسير التافه من الانحراف ، لأنه غاية فى الدقة والترتيب ، ولا يحتمل الثبات على الاعوجاج .

وكان آدم يُقسم لئن رأى حواء ليذيقنّها العـذاب على ما اعتزمت من قُرب شجرة التين[1] ؛ ولكنه كان يتخاذل حين تُقبل عليه بجسمها الفينان ، وثغرها الرشوف ، فقد كانت ثناياها أحب إليه من حَبّ الرمان ، وكان قدها الرشيق نهاية ما يتصور من روعة الخطرات .

كان آدم يشعر بأن عزيمته تتحلل إلى أوهام حين يرى جسم حواء ، وكان يعجب من أن يكون فى الأوامر والنواهى ما يضع حدوداً لسيطرة تلك الظبية العصماء .

والظاهر أن الجسد الجميل يزيغ البصائر والعقول ، وينقل الرجل من حال إلى أحوال ، ويضيف الحليم إلى طوائف السفهاء ، ولا عاصم للرجل من فتنة الجمال إلا إن حمته وقاية الله .

وكان قدّ حواء من القدود السمهرية ، وكانت لها مِشية تزلزل القلب والوجدان ، وكان لها فى الضوء لون وفى الظل لون ، وكانت ظلال الأهداب توهم أن على خديها زغباً يشبه زغب الخوخ ، وكان غضبها أحلى من الرضا وقطيعتها أطيب من الوصال ، وكان تثنّيها وهى تتخطّر فوق شط الكوثر غريبة الغرائب فى السحر والفتون

وكان آدم أضعف من أن يقاوم حواء ، فقد كان فى فورة الشباب ، والشباب جهل ، وكان أعجز من أن يرجع على نفسه بالتأديب والتهذيب وهو يعاقر الجمال لأول عهده بالوجود ، وأخطر الحب هو الحب الأول ، ولكل آدم فى الدنيا حواء

كان آدم يُقسم ويقسم ثم يقسم لئن رأى حواء ليُقطّعنها إلى قطع صغيرة حقيرة ثم يقدمها إلى ما فى أرباض الجنة من ثعالب وذئاب ، جزاء بما تقترف من التفكير فى قرب شجرة التين ، ولكنه كان يُصعَق حين تُشرف عليه بقدها المرهف وطرفها النشوان

كان يبـدأ بالزجر ، ثم ينتقل إلى العتاب ، ثم ينتهى بالاستسلام ، وذلك مصير الغرماء لأمثال حواء

دعاها مرة إلى أحد الأدغال ليقتلها فى خفية ويستريح ، فحماها منه جسمها المجدول بأسلاك الكهرباء ، فارتدّ وهو هائم حيران ، وعرف أن الهوى فرضٌ على من وهبه الله نعمة الشعور بعبقرية الجمال

كان آدم رجلاً وكانت حواء امرأة ، وإذا تلاقى الرجل والمرأة فلا مجال لغير الغيّ والضلال ، وقد غوَى آدم بطاعة حواء فقضي الله فى أمره بما سجل التاريخ

(١) اختلفت الأقوال فى «الشجرة» فقال قوم : هى الكرمة ، وقال قوم : هي شجرة التين ، وشيث لا يذكر غير الشجرة الثانية .

جسد حواء صنع به ما صنع . جسد حواء غفر جهل حواء .

جسد حواء فعل بآدم الأفاعيل ، فزيّن له الخضوع لهواها الأثيم .كان آدم يضطرب ويرتعد ، حين تختال أمامه حواء بقدها المؤلف من الأحلام والأهواء ، وكان لا يعرف أين يضع قدميه وهي تساوره بعينين غافلتين عما تصنعان بقلبه المأخوذ ، وعقله الموقوذ ، وهل يبقى لمن يصارع الجمال قلبٌ أو عقل ؟

جسد حواء صنع بآدم ما صنع ، ولكنه تماسكَ في إحدى اللحظات وقد جالسها تحت السِّدرة فدار بينه وبينها ما سجل شيئ من هذه الأحاديث :

— أين كنت يا حواء ؟

— وما أنت وهذا السؤال ؟

— من حقي أن أسأل

— وليس من واجبي أن أجيب !

— إذن نفترق ؟

— وإلى أين تذهب ، وللجنة أسوار أمنع من الجبال ؟

— السور الحصين هو أنت يا شقية ، فإذا نجوتُ منك فقد نجوت من جميع المهالك والحتوف

— أنت تنجو مني يا آدم ؟ أنت تنجو مني ؟

« ونظرتْ إليه بعينين نجلاوين تخشع واستكان وهمّ بأشياء »

— كل ما فيك جميل يا حواء ، إلا التفكير في قرب شجرة التين ...

— والموت أهون من الصدوف عن شجرة التين

— هي محرّمة بأمر الله

— وكيف وقد رأيت ظبية تعطو إلى أوراقها منذ لحظات بلا تهيب ولا تخوُّف ولا احتراس ؟

— الظبية حيوان

— ونحن من الحيوان

— ولكن التكاليف تجعلنا أعظم من الحيوان

— وما قيمة التكاليف ؟

— التكاليف لا توجَّه إلا إلى الحيوانات الراقية

— وأنت حيوانٌ راقٍ يا آدم ؟

— لأني في صحبة حواء !

« وهنا وقع اشتباك بين خلقتين فطريتين لم يؤهلهما التهذيب لمراعاة الأدب في النضال والصيال »

— كان الظن أن تعرف ما نعاني من الظلم في الفردوس

— وماذا نعاني يا حواء ؟

— نعاني الخضوع للأوامر والنواهي ، وتلك أول مرة أفهم فيها المراد من وصف الله بأنه صاحب العزة والجبروت

— وهل يظلمنا الله يا حواء ؟

— انعدام المساواة من صور الإجحاف

— أتريدين أن نكون أشباهاً لما في الجنة من طير وحيوان ؟

— وما المانع من ذلك ؟

— المانع أننا ارتقينا ؛ وللرقيّ تكاليف

— وما حظُّنا من الرقيّ المقيَّد بواجبات وفروض ؟

— هو حظٌ عظيم ، يا حواء

— وكيف ؟

— لأنه يجعل لنا إرادة ذاتية

— ومعنى ذلك أنه يبيحني أن أصارعك فأصرعك ؟

« وتصارع آدم وحواء فانصرعتْ حواء »

— لا تنزعجي من الهزيمة ، أيتها الشقية !

— أحب أن أعرف ماذا تأكل حتى صرت أقوى مني

— طعامنا واحد ، ولكن الروح مختلف

— يظهر أنك تأكل من شجرة التين[1]

— قوتي الحقيقية ترجع إلى الانتهاء عن أكل شجرة التين ، وطاعة الله هي أعظم سلاح يتسلح به الرجل

— والنساء ؟

— الطاعة قوة ينتفع بها جميع الخلائق ، حتى الشجر والنبات

— نحن إذاً خُلقنا للمتاعب ، فالطاعة لا تتم إلا بجهادٍ عنيف

— الجهاد الصادق رزقٌ نفيس ، يا حواء ، ولا يكون إلا بتوفيق ، فهو يستحق الشكران

— أتريد أن أجاهد نفسي فأبتعد عن شجرة التين ؟

— ليتك تفعلين !

— إسمع يا آدم ، فعندي فتوى تنفعك

---

(١) في هامش الكتاب عبارة تفيد أن حواء كانت تتوهم أن آدم يأكل خفية من شجرة التين وأن ذلك سبب قوته العاتية .

— أنت تفتين يا حواء ؟!

— دع اللجاجة ثم اسمع ... حدثتني الحية أن النهى عن شجرة التين نهيُ تنزيه لا نهيُ تحريم

— وإذن ؟

— وإذن يجوز قرب الشجرة بلا تعرض لغضب الله ، وإن تعرضنا للعتاب[1]

— إسمعي يا حواء واعقلي ... أنا لا أعرف الفرق بين نهى التنزيه ونهي التحريم . إنما أعرف أن الله نهى عن الشجرة ، وأعرف أن الطاعة واجبة ، وأنا أخشى عواقب العصيان

— قلت لك إن الحية حدثتني ...

— أنت في نعيم يحتاج إلى حراسة ، فحترسي من الدسائس يا شقية !

— كل شيء جائز ، إلا أن تكون في الجنة دسائس ، فهذب كلامك يا آدم !

— الدسيسة لا تلاحقُ غير السعداء بالعيش الطيب والمواهب السامية . وستعرفين يا حواء صدق ما أقول إن استمعت كلام تلك الرقطاء

— قلت لك إن قرب الشجرة لن يعرضنا لغضب الله

— ولا يعرضنا لعتاب ؟

— عواقب العتاب هينة ، وهو في الأغلب يتوج بالإعتاب

— المهم في نظرى أن نقف حيث وقفتنا الإرادة الربانية ، بلا تخريج ولا تأويل . فكل خروج على الطاعة يترك في القلب حفرة ، والحفرة قد تتحول إلى هاوية ، وإذا تذوق المرء أو المرأة طعم الجموح فعلى الأخلاق العفاء

— أنا لا أفهم معنى النهى عن شجرة التين ، ولها ثمر معسول

— من حق الله أن ينهى عن الطيبات

— لأى غرض ؟

— ليختبر قدرتنا على ضبط النفس ، فلا قيمة لترك الأشياء الكريهة ، وإنما القيمة في ترك الأشياء الشهية حين يوجّه إليها النهى ، ولو عن طريق التنزيه ، كما أفتت الحية الباغية

— لا تذكر الحية بسوء فهى صديقتى

— آفة الآفات أن تكون للمرأة صديقات !

— هل يغيظك أن يكون لى فى الجنة رفيقة أسكن إليها من وقت إلى وقت ؟ أنت إذن لا تحبنى

— أحبك حباً لا يطاق ، ولهذا الحب عواقب ستعلمين أنباءها بعد حين !

— قبلني إن كنت تحبنى

— ستقبلك الحية فهى أقرب إليك منى !

« وفى تلك اللحظة سُمع فحيح هو دعوة الحية فجرت إليها حواء ، وتركت آدم لمصارعة ما فى صدره من آراء وأهواء »

فماذا قال آدم لضميره وهو يحاوره تحت السدرة بعد انصراف حواء ؟

من كلام شيث نفهم أن آدم زُلزل بعد ذلك الحوار ، فقد تأهبت نفسه لمناقشة الأوامر والنواهى ، وصح عنده أن لكل مسألة وجهين ، وأن من حقه كمخلوق مفكر أن يدرس مايعرض لذهنه من حقائق وأباطيل

بدا له أولاً أن الطاعة أفضل ، وأن الهيام بالتخريج والتأويل قد يكون من نزغات الشياطين ؛ ثم رجع فرجح أن النهى قد يكون ضرباً من الإغراء ، فليس بمعقول أن تكون ثمرة التين من الخبائث وهى فيما يظهر طيبة المذاق

والتفت مرة ثالثة فرأى من الحمق أن يخالف الرجل عن أمر الله من أجل امرأة

ثم عاد فرأى أن تلك المرأة هى رفيقه الأول والأخير فى الفردوس ، فما ارتاحت نفسه لرؤية الأشجار والأزهار إلا وهو مأهول الروح بهوى حواء

هى امرأة لا تخلو من هَوَج وطيش وسخف ، ولكنها من ذوات المعانى ، فقد كانت تعرف كيف تصيره جذوة من الصبوة حين تشاء ، وكان آدم لا يتمتع بإشراق الفكر إلا فى لحظات الصبوات

---

(١) لم نر هذا الكلام في غير كتاب شيث

ومن عجيب أمره أنه كان يتمثلها حين تغيب ، فقد كانت ذاكرته تعي الأصوات والألوان والحركات إلى الحد الذي يسمح بأن يعانق حواء ، وبينه وبينها فراسخ وأميال

ولكن . . . ولكن الله نهاه عن الشجرة ، فماذا يصنع ؟

توجه إلى الله بهذا الدعاء :

« يا خالق الكوثر ، ويا فاطر الأعناب والنخيل ، بك أستجير من ظُلم الجمال !

يا مبدع العيون الكحيلة ، والخدود الأسيلة ، بك أستغيث من سحر الفُتون !

أنت سوّيتني بيديك من جسد وروح ، وأنا بالروح أطيعك وبالجسد أعصيك ، فهل ترى عدالتك أن الحسنات يُذهبن السيئات ؟

إن كنت ترى أن شجرة التين شجرة مسمومة فاصرف عنها حواء ، فلم تعد لي طاقة على مقاومة حواء ؛ ولطف صنعتك هو الذي جذبني إلى تلك الهوجاء

وإن كنت ترى أن الهاوية تترقب من يعصيك فجرّد حواء من سحرها الفتّان لأملك من أمرى ما لا أملك ، ولأستطيع الصبر عن ثغرها الرشوف ، فأنت يا مولاى تعلم أنى بها من الهائمين

أنا عبدُك وحواء أَمَتُك ، فاقض فى أمرنا بما تشاء ، يا أحكم الحاكمين »

وانتظر آدم أن يغيّر الله ما بنفسه بعد هذا الدعاء الصادق ، ولكن الأقدار سكتت عنه فظل مخلوقاً من جسد وروح ، أو من طين وماء

وفي لحظة من لحظات الفجر عزم على المعصية ليعرف مكانه من الوجود

فى تلك اللحظة ظهرت حواء ، فهتف :

— إلى شجرة التين ، يا حواء !

— هل غيّرت رأيك ، يا آدم ؟

— بعض الشيء !

— أنت إذن تحبنى ؟

— ومن أجل هذا الحب أتعرّض لمكاره وخطوب ، فقلبى يحدثنى بأننا مقبلون على بلاء !

— لا تحزن فأنا معك

— من موجبات الحزن أنك معى ، يا حمقاء !

فكيف انتهت بهما الأمور تحت شجرة التين ؟

(للحديث شجون) **زكى مبارك**

العادات والإصـــــلاح

كيف نعود إلى التشريع الإسلامي

للأستاذ محمد محمد المدني

يشعر كل امرئ منا بأنه خاضع في نفسه، وفي نظام بيته، وفي دائرة عمله، وفي كل ناحية من نواحي حياته ونشاطه إلى عادات متنوعة تتحكم فيه، وتفرض عليه سلطانها الجبار وإرادتها القاهرة، وتطبعه بطابعها من حيث يريد أو لا يريد

يشعر كل منا بذلك في نفسه، ويشعر به في الناس من حوله لا فرق فيه بين طبقة وطبقة، ولا بين بيئة وبيئة، ولا يختلف فيه غني عن فقير، ولا كبير عن صغير، ولا متعلم عن جاهل.

في الطعام والشراب عادات، وفي اللباس والزي عادات، وفي الجلوس إلى الناس والتحدث معهم عادات، وفي البيت عادات، وفي الطريق عادات... وهكذا

وإننا لننتهز فرص الأيام والحوادث، والأعياد والمواسم، فنتخذ منها مناسبات لعادات شتى نحافظ عليها ولا نتسامح فيها، وربما عددناها من شعائرنا، وحسبناها من تقاليد ديننا!

* * *

هذه فطرة في الإنسان لا بد له منها بقطع النظر عن شريف العادات وذميمها. قضت بذلك حكمة العليم الخبير، ليكون الاستقرار والهدوء، ولتتركز شؤون الحياة، ولينجو الناس من الاضطراب والمفاجآت وأخطار التقلب السريع والتطور العنيف

لذلك يجب أن يدخل في حساب كل مصلح ما للعادات من سلطان على النفوس، ورسوخ في الأذهان، واستقرار في المجتمع

ولكن بجانب هذه الفطرة في الإنسان طبيعة أخرى هي طبيعة هذه الحياة نفسها. إن الحياة تأبى الركود، ولا يصلح معها الجمود، ولا بد لمن يريد العيش فيها أن يسايرها إلى حد ما، وأن يتدرج معها في سبيل الرقي والكمال؛ فإذا ظل الإنسان عبداً لعاداته، رازحاً تحت سلطانها، لا يفكر في التحول عن نظامها المفروض قيد شعرة، بل ينقد غيره ويعنف عليه في النقد إذا رآه يفكر في هذا التحول أو يدعو إليه، ويقف في سبيل دعوات الإصلاح والتجديد لاوياً عنقه، مثيراً المشاكل، فإنه يكون محتقراً لإنسانيته ملغياً لعقله جاهلاً بالحياة وما ينبغي للحياة!

وإذا أصرت طائفة من الناس على أن تصادر دعوات الإصلاح في دائرتها، أو على أن تقف في طريق الحياة العاملة الناصبة المنتجة المجددة في غير دائرتها لمجرد المحافظة على العادات والتقاليد الموروثة. فقد عرضت نفسها لعوامل الانحلال والفناء

* * *

هي إذن معركة حامية الوطيس بين طبيعتين متقابلتين: طبيعة الخضوع للعادات والتأثر بسلطانها. وطبيعة الحياة التي تطلب إلى كل حي أن يسايرها ويتدرج معها، ولا بد من تدخل العقل للفصل في هذه المعركة ووضع علاج يوجد به التوازن بين هاتين القوتين الضروريتين للانسان. لا بد أن نزن كل شيء بميزان العقل، وأن نسترشد بنور هداه في كل طريق نسلكه، وأن ننزل على حكمه راضين غير متبرمين

* * *

في كل أمة دعاة إلى الإصلاح يقفون منها موقف المرشد الناصح، ويعكفون على مشاكلها ليضعوا لها الحلول، وعلى أمراضها ليصفوا لها العلاج

وكثيراً ما يقع بين الناس وبين هؤلاء الدعاة المنادين بمبادئ الإصلاح خلاف، وقد يؤدي هذا الخلاف إلى إثارة المتاعب ووضع العقبات في طريقهم، بل قد يؤدي إلى التشكك في نياتهم وأغراضهم وانصراف النفوس عن دعوتهم. ولست أرى في ذلك شذوذاً، وإنما هو شيء طبيعي، لأن المصلح الداعي إلى الخير يحاول أن يلفت الناس عما ألفوا. يحاول أن ينتزعهم من أحضان عادات حبيبة إلى نفوسهم، عزيزة عليهم. يحاول أن يصادر الأهواء والنزعات وشهوات النفوس، فلا عجب أن تكون دعوته ثقيلة على الأسماع، كثيرة الخصوم والمستهزئين

وقديماً جاء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العرب بدين العقل والفطرة والسيادة والعزة والكرامة الإنسانية، فقاوموه ووقفوا في سبيل دعوته استكباراً أن يتركوا ما ألفوا، أو ينخلعوا مما ورثوا، وقالوا: إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون! ولم يقفوا عند هذا الحد بل زعموا أنهم لا يدركون ما يقول، وأن قلوبهم في أكنة مما يدعو إليه، بل رموه بالكذب والافتراء وهم الذين لقبوه من قبل بالصادق الأمين؛ ورموه بالجنون وهم يعلمون أنه أقواهم عقلاً وأعظمهم رشادا

هكذا قابل الناس دعوة سيد المصلحين، وبمثل هذه الدعاوى

والتهم واجهوه . والتاريخ يحدثنا عن كل مصلح بمثل ما حدثنا به عنه ، فكم شرد المصلحون وعذبوا ، وكم أوذوا واضطهدوا ، وكم قذفوا بالتهم ، ودبرت لهم المؤامرات ، وحيكت من حولهم الأكاذيب ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ، والله يحب الصابرين

لا بد لدعاة الإصلاح إذن من الصبر وتحمل المشاق ، ولكن هذا وحده لا يكفى ، بل لا بد إلى جانبه من اللباقة وحسن التصرف وتقدير الظروف والأحوال حق قدرها ؛ وإنما يكون ذلك بالتدرج دون الطفرة . لقد تدرج القرآن بالمسلمين من قبل ، فكان ينزل أولاً فى بيان العقيدة والاستدلال عليها ؛ وكان ينزل بمكارم الأخلاق ؛ وكان ينزل فى الزراية على العادات الذميمة . ثم جعل — بعد أن استقرت الدعوة — ينزل بتشريع الأحكام شيئاً فشيئاً ، حتى إن قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » ، لم ينزل إلا فى العام الذى توفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو لم يفاجئهم بالدين كاملاً قد استوفى جميع مبادئه وأحكامه ، ولو فاجأهم بذلك لفشلت دعوته ، وقل أنصاره وحماته !

لقد تناولت هذا المعنى فى مقال لى قبل اليوم ، وإنما أسوقه الآن ليتخذ منه المصلحون عبرة وليعرفوا ما فيه من موضع الأسوة الحسنة ، فيتدرجوا بالأمة كما تدرج القرآن

لقد بدأ هذا الدين غريباً ، وها هو ذا يعود غريباً كما بدأ : أصبحت تقاليدنا غير تقاليد الإسلام ، وأخلاقنا غير أخلاق الإسلام ، وأحكامنا غير أحكام الإسلام ، وقوانيننا غير قوانين الإسلام . أصبحنا نحرص على العادات التى ورثناها عن الآباء والأجداد أكثر من حرصنا على الدين . وإن أحدنا ليثور ويتألم إذا حاول محاول أن يصادره فى عادة من عاداته ، ولا يثور إذا اعتدى معتد على دينه ، زاعماً أن للدين ربّاً يحميه ، وما يريد بذلك إلا تبرير سكوته على العدوان وإيثاره للسلامة !

عندما أبطلت عادة الاحتفال بالمحمل انقطعت العلاقة بيننا وبين حكومة الحجاز ، وظل حكامنا ووزراؤنا معنيين بهذا الشأن فى كل مفاوضة لإعادة هذه العلاقة ، حتى إذا نجح وزير من وزرائنا فى إعادة الاحتفال بالمحمل وإرسال الكسوة عددنا ذلك ظفراً يتبادل الناس التهنئات بالتوفيق إليه ، ولكننا مع هذه الغيرة الشديدة على تقليد من تقاليدنا نرضى بهذه التشريعات المجلوبة ، والأوضاع المقلوبة ، والنظم المستعارة ! نرضى بشرائع فرنسا وبلجيكا ونحن أمة القرآن !

يتساءل الناس : ماذا نصنع لكى نعود إلى أحضان الإسلام ونعمل لمبادئ الإسلام ؟ ماذا نصنع ليعود التشريع الإسلامى مصدراً للقانون العام فى مصر والشرق ؟ ماذا نصنع لنستظل بلواء القرآن ونهتدى بهدى القرآن ؟

والجواب فى ذلك عند الذين بيدهم الحول والطول ، ولهم الإشراف على مناصب التشريع والتنفيذ فى البلاد : إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً . يقولون : ماذا نصنع وقد أصبح للأمة نظام ثابت متركز ، وقانون قد ألفه الناس ، ووضع اقتصادى قد سرى إلى سائر معاملاتها ولن تستطيع التخلص منه ؟ ماذا نصنع وقد ألفنا فى الأحكام والقضاء والعقوبات نظاماً معيناً لا تسمح لنا المعاهدات والقيود الدولية بالخروج عنه ؟

يقولون هذا ، ويردون به دعوة الدعاة إلى هذه الشريعة ، وهم يعلمون أن هذه الشريعة لا تجافى أصول المدنية الحديثة ، ولا تنفر من مجاراة النهوض والتقدم ، وأن مؤتمرات أوربا قد شهدت لها بذلك وسجلته فى قراراتها ، وأن ما لا يدرك بالطفرة يدرك بالتدرج وحسن التأنى

لا نقول لكم : اقلبوا التشريع فى البلاد رأساً على عقب ، ولا نقول لكم فضوا الشركات والمصارف التى تتعامل بغير ما يقضى به الدين فيما بين يوم وليلة ، ولا نقول لكم نفذوا ما جاءت به الشريعة الإسلامية فى أحكام القضاء والعقوبات دفعة واحدة ؛ وإنما نقول لكم تدرجوا بالأمة فى سبيل العودة إلى أحكام الإسلام كما تدرج القرآن بالمسلمين من قبل : خذوا فى كل قانون تضعونه منذ اليوم ، وفى كل تعديل تقررونه ، بمبادئ القرآن ، ولا بأس من أن تؤجلوا ما لا تقدرون عليه حتى تمهدوا النفوس له ، وتقنعوا أنفسكم وتقنعوا الناس به . فإنكم إذا بدأتم السير فى هذا الطريق تمهد أمامكم وتيسر لكم ، ولم تصادموا به تعهداً من تعهداتكم !

« ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ؟ »

محمد محمد المدنى

المدرس بكلية الشريعة

حكم فى الجنحة المستأنفة رقم ٨٨٨٣ سنة ٩٤٠ ضد صلاح ضعمة البقال بشارع البستان بتغريمه ١٠٠ قرش صاغ ونشر الحكم بمجلتى الاسلام والرسالة لبيعه ملحاً أزيد من التسعيرة .

يحيى النحوى

للدكتور جواد علي

ومن هو يحيى النحوى ذلك العالم الذى يرد اسمه كثيراً فى كتب الفلسفة والطب والطبيعيات لدى العرب ؟ يرد كمؤلف وكمنتقد لكتب اليونان السابقين ، وكطبيب ، ويرد كوسيط بين الحضارة اليونانية المسيحية وبين الحضارة العربية الإسلامية فيدخل اسمه بين مؤلفات كثير من علماء المسلمين ويستشهد بأقواله جماعة من أسلافنا العلماء

قالوا إنه كان يحيى الإسكندرانى الأسكلانى تلميذ ساويرى وأنه كان أسقفاً فى بعض الكنائس بمصر ويعتقد مذهب النصارى اليعقوبية ، ثم رجع عما يعتقده النصارى فى التثليث فاجتمعت الأساقفة وناظرته فغلبهم واستعطفته وآنسته وسألته الرجوع عما هو عليه وترك إظهاره فأقام على ما كان عليه وأبى أن يرجع فأسقطوه وعاش إلى أن فتحت مصر على يد عمرو بن العاص فدخل إليه وأكرمه ورأى له موضعاً . وقد فسر كتب أرسطوطاليس وكتب عن طب جالينوس الشهير[1]

وقد ذكر الوزير جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف القفطى (المتوفى سنة ٦٤٦ هـ) فى كتابه أخبار الحكماء نفس القصة التى ذكرها ابن النديم بعد أن أضاف إليها أن عمرو بن العاص لما سمع من ألفاظه الفلسفية وحججه المنطقية التى لم يكن للعرب بها أنسة لازمه وكان لا يكاد يفارقه ، وأنه نظراً لهذه الدالة التى كانت ليحيى على عمرو طلب منه ذات يوم تسلم بعض ما فى خزائن الأسكندرية من كتب لينتفع بها . ولما كتب عمرو إلى الخليفة يستأذنه أمره الخليفة بإحراق ما فى الأسكندرية من كتب[2]

وذكر الوزير قصة أخرى سندها رواية أبى عبيد الله بن جبريل ابن عبيد الله بن بختيشوع الطبيب فى كيفية نبوغ يحيى فى الفلسفة والمنطق دون سائر العلوم[3] . وهى قصة وردت فى كتاب عيون

---

(١) راجع الفهرست لابن النديم ص ٣٥٦ طبعة مصر المطبعة الرحمانية

(٢) راجع أخبار الحكماء ص ٢٣٢ وهى رواية نقلت من مصدر عربى واحد إلى سائر الكتب ولم تثبت تاريخياً .

(٣) أخبار الحكماء ص ٢٣٤

الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة أيضاً[1] ؛ وسندها كتاب مناقب الأطباء لعبيد الله بن جبريل على ما يقوله صاحبنا ابن أبى أصيبعة هذا . ويضيف إليها رواية نقلها من تعاليق الشيخ أبى سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستانى فى أن يحيى كان فى أيام عمرو بن العاص وأنه شهد الفتح الإسلامى لمصر[2] .

وقد عرف اليونان والسريان هذه الشخصية ولكنهم عرفوها فى وقت آخر غير الوقت الذى حدده المسلمون وسموها اسماً يختلف قليلاً عن هذا الاسم : سموه يوحنا فيلوبونس Johannes Philoponus ومعناه يوحنا الحريص ؛ وسموه أيضاً يوحنا الغراماطيقى Johannes Grammaticus أى يوحنا النحوى (يحيى[3]) وقالوا عنه : إنه كان أحد تلامذة أمونيوس بن هرمياس . وكان يعلم فى الاسكندرية نحو السنة ٤٨٠ ميلادية وأنه كان من رجال القرن السادس[4] . وقال عنه ميخائيل إنه ظهر سنة ٥٥٠ ميلادية وأنه اتبع بدعة المثلثين Tritteisme[5] ، وأنه ألف كتباً يدافع عنها . فلما عرف به الإسكندريون حرموه كما حرمه رؤساء أديرة بلاد العرب نحو سنة ٥٧٣ ميلادية . فأنت ترى من ذلك أن الرجل عاش ومات فى عصر لم يكن العرب فيه قد فتحوا مصر بعد ؛ ولا يعقل أن يكون قد شهد هذا الفتح أيضاً ، فكيف السبيل ؟

حاول جرجيس أفندى فيلوثاوس عوض من أقباط مصر[6] وحاول الأب لويس شيخو اليسوعى[7] إيجاد حل معقول لهذه المشكلة التاريخية ، فقالا : المعقول أن يكون مقصود العرب من يحيى النحوى هو يوحنا النقوى أو النخوى أسقف مدينة نخو ،

---

(١) عيون الأنباء ج ١ ص ١٠٤ طبعة سنة ١٨٨٢

(٢) عيون الأنباء ج ١ ص ١٠٤

(٣) راجع كتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانية تأليف الأب لويس شيخو اليسوعى طبعة بيروت سنة ١٩٢٤ ص ٢١٣ وكذلك مجلة المشرق مجلد ١٦ سنة ١٩١٣ ص ٤٧ وما بعد

(٤) راجع المشرق مجلد ١٦ سنة ١٩١٣ ص ٤٧ وما بعد

(٥) وقد ظهرت عقيدة التثليث فى أديان أخرى مثل الديانة الهندوسية وتدعى فى السنكريتية Trimurti ومعناها الثالوث أو التثليث ، وكذلك فى الديانة الرومانية القديمة . راجع Krüger. Das Dogma von der dreieinig keit. 1905. أيضاً ed. chabot. 2. 244

(٦) راجع المقتطف مجلد ٣٨ سنة ١٩١١ ص ٢٣٤ ، ٤٤٢

(٧) المشرق مجلد ١٦ سنة ١٩١٣ ص ٤٧ وما بعد ، وكتاب المخطوطات العربية ص ٢١٣

المعروفة عند اليونانيين باسم نيقيوس أو نيكيو Nikiou ، وعند اللاتين باسم Niciu أو Nikium [١] . وإن هذا الاشتباه الذى حصل لدى العرب إنما كان من قبيل التصحيف [٢] . وتكاد الظروف التى أحاطت بالأسقف يوحنا النحوى تنطبق مع الظروف والتفصيلات التى تنقلها الرواية العربيــة المذكورة عن يحيى النحوى ، فقد ذكر هذا الأسقف فى جملة من حوكم أمام سيمون أسقف الاسكندرية الذى ترأس محاكمة أصحاب البدع عام ٦٨٣ الميلادية [٣] وذكر أنه ألّف كتاباً فى التاريخ باللغة اليونانية ذكر فيه فتح العرب لمصر ، عرّبه أحد الأقباط ونقل هذا التعريب إلى الحبشية ، وتوجد النسخة الحبشية فى جملة مخطوطات المتحف البريطانى . وذكر عنه أيضاً أنه كان صديقاً موالياً لثورس بطريرك الاسكندرية وزعيم المنوثيليين ، وهو الذى يدعوه العرب بالمقوقس ، وقد ناصرهم فى فتح الأسكندرية . فهذه الصداقة على ما يقوله الأب لويس شيخو قربته من العرب وجعلته من أصدقاء عمرو بن العاص [٤]

وهذا الحل لا يخلو من اعتراضات أيضاً . فالمعروف عن يحى النحوى أنه كان من الأطباء وأنه كان من الفلاسفة أيضاً . وكتبه تدل على رجل عالم بالطب والفلسفة معاً لا على رجل دينى بحت كما هو شأن الأسقف يوحنا النحوى . والمعروف عنه أيضاً أنه كان أسقفاً من أساقفة الإسكندرية ، ولم يكن النحوى أسقفاً على الإسكندرية أبداً . على أن الإمام ظهير الدين أبا الحسن على ابن أبى القاسم زيد البيهق (المتوفى عام ٥٦٥ هجرية) يحدثنا فى كتابه (تتمة صوان الحكمة) [٥] عن رجل يعرف بيحيى النحوى الديلمى الاسكندرانى الملقب بالبطريق ، فيقول عنه إنه كان من قدماء الحكماء وأنه كان نصرانياً فيلسوفاً ، فأراد عامل على بن أبى طالب إزعاجه عن فارس وتخريب ديره فكتب يحى قصة إلى أمير المؤمنين وطلب منه الأمان ، فكتب محمد ابن الحنفية له كتاب الأمان بأمر أمير المؤمنين . ويقول مؤلف الكتاب أنه رأى نسخة هذا الكتاب فى يدى الحكيم أبى الفتوح المستوفى النصرانى الطوسى وكان توقيع على بن أبى طالب عليه [١]

ويضيف البيهق على روايات من تقدمه من المؤلفين قوله إن خالد بن يزيد بن معاوية أخذ الطب عنه ، وإن أكثر ما أورده الإمام حجة الإسلام الغزالى فى تهافت الفلاسفة هو تقرير كلام يحى النحوى [٢] ، وقد وافقه على هذا الرأى الشهرزورى الشهير أيضاً [٣] وقد قال إنه ألف كتباً وردّ بها وفيها على أفلاطون وأرسطو حين همّت النصارى بقتله ، ولا يتعرض بعد ذلك إلى حادثة التقائه بعمرو ولا إلى قصة الحريق المزعومة

ومشكلة المشكلات هى قول الرواة العرب أنه كان أسقفاً على الأسكندرية وأنه عاش فى زمان عمرو . وعلى كل فالرواية اليونانية السريانية تعارض هذه الرواية العربية ولا تعترف به كأسقف على الأسكندرية أبداً . والرواية العربية على ما يظهر مستقاة بعضها من بعض ؛ فقصة الحريق مأخوذة عن ابن العبرى [٤] وابن العبرى ينقل عن ابن القفطى ، وابن القفطى ينقل متن الرواية بدون ذكر حادثة الحريق من الفهرست لابن النديم [٥] ؛ ولم يذكر ابن العبرى نفسه فى كتبه السريانية : الكنسية منها والمدنية ، قصة الحريق مما يدل على أنه لم يجد ذلك فى كتب السريان [٦]

الحق أننا أمام مشكلة تاريخية فلسفية عويصة . فالرجل مهم جداً فى بحث الفلسفة العربية والعقلية الإسلامية . والموضوع معقد لا يعالج فى صفحات . ولا بد للباحث من تقليب المصادر اليونانية والسريانية والقبطية والعربية أيضاً للحكم بصورة قطعية على شخصية وعصر هذا الفيلسوف الذى هو حلقة وصل بين العقليتين : العقلية اليونانية المسيحية ، والعقلية العربية الإسلامية .

« بغداد » ميخائيل ...

(١) وقد كتب عن هــذه المدينة المستشرق كاتر مير راجع : Quattremère : mémoirs sur L'egypte 1 و 423

(٢) راجع مجلة المشرق ص ٥٤ نفس العدد

(٣) راجع تاريخ ساويرس بن المقفع لبطاركة الأسكندرية المذكور فى تاريخ يوحنا النستودى ed. Sybold. 1. 129 — 130

(٤) المشرق نفس السنة ص ٥٦ ، ولم يكن المؤلف قد انتفع بعد من المصادر التى طبعت بعد مثل كتاب البيهق وغيره

(٥) طبعة لاهور سنة ١٣٥١ هـ ص ٢٣

(١) تتمة صوان الحكمة ص ٢٣

(٢) نفس المصدر ص ٢٤

(٣) راجع كتابه نزهة الأرواح وهو مصور بمكتبة الجامعة المصرية على ما يقوله محمد عبد الهادى أبو ريدة ص ١٨٢ — ١٨٣

(٤) راجع كتابه مختصر تاريخ الدول ص ١٧٥

(٥) المشرق ص ٥١

(٦) راجع كتبه السريانية التى طبعها J. B. Abbeloos وكذلك T. J. Lamy ويبجان للمازارى والمشرق ص ٥١

تطور العلوم الاجتماعية

للأستاذ محمد جلال عبد الحميد

يتبين من تاريخ علم الاجتماع أنه لا يزال في دور التكوين . ولعل سبب ذلك يرجع إلى مايشوبه من نظريات فلسفية أفسدت عليه استقامة عوده ، وإلى عدم استقرار فروعه وتحديد غايتها واستخلاص طرقها

فترى تاريخ الأديان مثلاً تتنازعه تيارات كثيرة ؛ وعلى حسب اختلاف اتجاه تلك التيارات وقوتها تختلف طريقة البحث ونتيجته . وكثير من مؤرخي الأديان الكبرى كاليهودية والنصرانية والإسلام يرون أن للأديان منشأ واحداً لأنها جميعاً تعترف بوجود قوة خالقة واحدة لهذا الكون يشعر بوجودها الإنسان حين النظر في أمر تكوينه والبحث عن آثار تلك القوة الممثلة في وجدانه . أخذ هؤلاء العلماء يردون ويفسرون جميع الظواهر الكونية والاجتماعية والنفسية إلى أصل واحد يحيط بها ويعبر عنها بأسلوب لا يأتيه الباطل ولا يتطرق إليه الشك ، هذا الأصل هو الكتب المقدسة وآثار الأنبياء . من أجل ذلك توفرت جهود المؤرخين على جمع وترتيب شتات هذه الكتب وتلك الآثار ، وانكبوا على دراستها ليستخرجوا منها أسباب الحوادث والوقائع التاريخية مفسرين كل هذا حسب ما لديهم من اعتقادات راسخة وإيمان ثابت في صحة روايات ووقائع تلك الكتب والأحاديث[١]

وهناك فريق آخر — وهم الفلاسفة[٢] ومن إليهم — يرى أن نشأة الأديان ترجع في أصلها إلى عوامل نفسية لما فطر عليه الإنسان من حب ولما تكون فيه من غرائز ، وإن هذين العاملين يتنازعان القوى الروحية للانسان ، وعلى قدر تغلب أحد هذين العاملين على الآخر تتعين طبيعة الدين وقوته . فالدين عند الأمم المحدودة المدنية مثلاً هو دين غريزي ، لأن أصله غريزة الخوف والتنازع على البقاء . وقد نعته « برجسن » بأنه دين خامد[١] لخلوه من عناصر التطور والتجدد . وأما الأديان الكبيرة كاليهودية والنصرانية والإسلام والبرهمية فإنها تصدر عن عاطفة الحب التي يتميز بها الصوفي في تلك الأديان . ومن أجل ذلك اعتبر موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام أنبياء لتميزهم بحبهم الخالص لعالم كله ، وتفانيهم في العمل من أجل سعادته ، وقدرتهم على الإشراق والتقمص في قوة الكون ذاتها ، ليمثلوها في أجلى مظاهرها وأتم معانيها من خلق وتجديد ، وهذه هي الأديان (المتطورة) [٢]

ولكن علماء الاجتماع لم يرضهم هذا الرأي أو ذاك ، لأن العوامل النفسية والاعتقاد بوجود قوة واحدة خالقة ومدبرة لهذا الكون لا يمكن اعتبارها أساساً ومصدراً للأديان ، فهناك أديان كبيرة كالبرهمية والبوذية — نشأت وانتشرت ولم تزل تعم جزءاً كبيراً من العالم ، على رغم أنها خالية من مثل هذا الاعتقاد . وترى أيضاً أن هناك أدياناً متعددة عند الأمم المحدودة المدنية - كالقبائل الاسترالية والزنجية وغيرها - لها أوضاع وأسس تشبه في كثير من ظواهرها الأديان الكبيرة ، لأنها قادرة على التمييز بين الحلال والحرام وأمر القيام بعبادات منظمة ؛ وهذه الأديان أيضاً لم تقم ولم تتحدد بمثل ما تتقيد به النصرانية أو الإسلام من ضرورة الشعور بوجود هذه القوة الذاتية ؛ وكما أنها لا تشعر الفرد بأن هناك قوة روحية كامنة في الإنسان وخارقة للعادة تدفع الزنجي أو الاسترالي إلى حب غير بني جنسه كما يعمل الصوفي في اليهودية أو النصرانية . فالزنجي أو الاسترالي يتقرب لأبناء جنسه ويفنى فيهم لأنه لا يرى سواهم حوله ، فقبيلته هي كل شيء

---

(١) من الصعب أن نحصي هنا عدد هؤلاء المؤرخين لكثرتهم ولكن نذكر أهمهم Ad. Lods; Israel, des Origines au Milieu du VIII siècle; col. de L'evolution de L'humanité. Paris.

Ch. Guignebert; Jesus; Col. de Levolution de L'humanité; Baris 1933

I. Goldziher; Mohammedanische Studien; Halle 1890

P. W. Schmidt; Origine et Evolution de la religion; Tra. Française, Grasset 1931.

أحمد أمين بك « فجر الاسلام » و « ضحى الاسلام »

(٢) مثل هنرى برجسن H. Bergson وجورج فريزر G. Frazer وتيلر Taylor وماكس ملر M. Muller وغيرهم

(١) للتعبير عن كلمة Statique الواردة في كتابه Les Deux Sources de la Morale et de la Religion; Alcan, Paris 1932

(٢) للتعبير عن كلمة Dynamique الواردة في كتاب برجسن السالف الذكر .

كذلك حين يقدس هذا الزنجي معبوده « أي توتمه » ويفني فيه بحبه له ، يفعل ذلك ، بل وأكثر من ذلك ، لأن معبوده هو رمز قبيلته ، وأن الفرد والقبيـلة هما وحدة لا تتجزأ .

وأما الصوفي فحبه الشامل للكون وتفانيه في القوة الخافقة له ، لأنه مجبر على الإحساس – دون وعي لحالته – بهذا الشعور ، لأن الجماعة التي يعيش فيها تلهمه ضرورة حب غيره من عامة البشر ، بل وحب الكون عامة ، لأن هـذه الجماعة هي خلاصة العناصر المادية والروحية للانسانية كلها ، ولأنها رمز قوة الكون ، لذلك كان هم الصوفي أن يسعى ليفنى في هذه القوة ذاتها

من أجل ذلك يقرر علمـاء الاجتماع أنه إذا فرض واعتبرت الجماعة البشرية مصدر الأديان مهما اختلفت عصورها وتباينت بيئاتها فقد يكون في ذلك حالة أدعى للطمأنينة وأدنى للصواب حين يعمل الإنسان لكشف حقيقة الأديان وتحليلها إلى عناصرها الأساسية ، وفي هذا الاتجاه سار إميل دركيم[1] Durkneim وتلامذته بفرنسا

وهذه وإن كانت محاولة جريئة قد تهيئ لنا مجالاً أوسع للبحث والتنقيب عن أصل كثير من الظواهر الدينية ومعتقداتنا وأساس إيماننا

***

ولم يكن حظ الجغرافيا البشرية أوفر من حظ علم تاريخ الأديان من حيث القدرة على استخلاص قوانينها العامة والاسترسال في تحقيقها . فكثير من الجغرافيين[2] يرون أن البيئة الاجتماعية ـ بما فيها من تنوع في النشاط المادي والروحي ـ هي نتيجة حتمية للتأثيرات والعوامل الطبيعية لمنطقة التي تشغلها تلك البيئة الاجتماعية ؛ فإذا أينعت الأرض وعم خيرها وصلح جوها شبعت الجمـاعة وكثر نشاطها وعم فرحها وتنوعت ظواهرها الاجتماعية وتميزت عناصرهـا الجنسية

(١) أنظر كتاب : Les Formes Elementaires de la vie Religieuse; Alcan, Paris 1912

(٢) مثل فيدال دي لابلاش Vidal de Lablache وارتزل Ratzel وكثير غيرهما من الجغرافيين في القرن التاسع عشر

وهناك فريق آخر من العلماء[1] يقولون إن غاية علم الجغرافيا البشرية هي دراسة العلاقة بين الإنسان وبين البيئة الجغرافية التي يسكنها وأثر كل منهما في الآخر وتحديد ما يتركه هذا الأثر في التكوين الاجتماعي . ويظهر أن هـذا هو الرأي الأخير الذي استقر عليه عامة الجغرافيين والاجتماعيين

***

وأما علم الأنتولوجيا[2] فإنه لم ينج أيضاً من تلك العقبات الوضعية عند نشأته ، فقد اعتبره « كترفاج » أحد فروع الزيولوجيا وجاء بعده « بروكا » Broca وتلامذته « أرنست هامى » E. Hamy « وفرنو » Verneau فتوسعوا في فهم هذا العلم ووضعوا أسسه المختلفة ، فضموا إليه دراسة المدنيات واللغات ، وتسابقت الدول بعـد ذلك في إدخال تعديلات وزيادات في مناهجه وأسسه كل منهـا حسب فهمها له والغاية التي ترجوها منه ؛ فبعض هذه الدول كان يتخذه أداة صالحة للاستعمار ، وبعضها الآخر يتناوله على أنه علم قائم بذاته له تجاربه وأوضاعه ؛ وعني به كثيراً في الفترة الأخيرة في ألمانيا وانجلترا وفرنسا وأمريكا[3]

***

وهكذا حال بقية العلوم الاجتماعية الأخرى مثل علم النفس الاجتماعي وعلم الاقتصاد الاجتماعي وغيرها لم تكن أثبت وأدعى للطمأنينة فيما سبق من العلوم ، لأن ميادين تجاربها لم تتعين إلا قليلاً ولم يتنوع العمل فيها إلا يسيرا

وبرغم هـذا فإن تطور علم الاجتماع وبلوغه الدرجة التي يقف عندها الآن مدين في كثير منه إلى تلك العلوم ، لأنها عملت

(١) أنظر كتاب « الأرض والتطور البشري » لمؤلفه لوسيان فيفر Lucien Fevre كتاب « بيكاردي والمناطق المحيطة بها » لمؤلفه ديمنجون A. Demangeon

(٢) هـذا الاصطلاح لم يقره العلماء إلا أخيراً ، وذلك بعد أن كثر استعماله لدى الألمان

(٣) منذ عام ١٨٦٩ ، والأمريكان منذ عام ١٨٧٩ . وأما كلمة أنتروبولوجي Anthropologie فقل استعمالها كثيراً ؛ غير أن العلماء الانجليز ظلوا يستعملونها حتى الآن . والفرنسيون هم أول من فكروا في تكوين هذا العلم ، فأنشأوا له كرسياً خاصاً في جامعة باريس شغله أرمادي كترفاج E. Quatrfages وألقى أول درس في هذا العلم يوم ١٧ نوفبر سنة ١٨٠٦ أنظر دائرة المعارف الفرنسية Encyclopédie Française ; T. VII. L'espèce Humaine Paris 1936 : 1. 7. 061 —

صور من العصر العباسى

عشق القيـــــان

للأســـتاذ صلاح الدين المنجد

كن للقيان فى العصر العباسى الشأن العظيم والمنزلة العليا. ولم تشغل الحرائر ما شغلته القيان فى الأدب والتاريخ والاجتماع، ولم يكن لهن ما كن لأولاء من أثر فى تهذيب النفوس وصقل الطباع وانتشار المجانات؛ إلا من أوتيت منهن الإمارة والجاه والسلطان. شبيهات عُليّة وزبيدة والعبّاسة والخيزران

وقد خلا الأدب من صور المخدّرات، ولكنه رفّ بكثير من صور هؤلاء الجاريات؛ ففيه عنهن أشاوى حسان، وأحاديث ظراف. وأوصاف بارعات

ولم تبلغ القيان هذه الرفعة وتلك المنزلة إلا بعد الجد والجهد، والتعليم والتلقين، والصقل والتهذيب؛ فكن يتخرجن على المغنين الكبار أشباه الموصلى وابن المهدى، ويحذقن العزف والضرب، ويتفقهن فى العربية، يحفظن نوادر الأحاديث وفرائد اللغة، وأمالى المجالس وشوارد الأشعار؛ ثم يبرعن فى إظهار الأناثة والدل، حتى تصبح القينة مصدر غواية وفتون، ومثار دعابة وفجور، وبهجة الأرواح ومنية النفوس؛ فلا غرو إن أقبل عليهن الشيخان والشُبان، ولا عجب إن هن أتقنّ فن العشق وأصابت سهامهن قلوب الأبعاد والأحباب.

وقد ألّفوا عنهن رسائل حسانا، منها رسالة القيان للجاحظ، وكتاب القينات لإسحاق بن إبراهيم الموصلى، وكتاب القينات للمدائنى، وكتاب القينات ليونس بن سليمان المغنى، وغيرهن كثار[1]

(١) أنظر هذه التواليف فى مقال لنا نشر فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق (الجزء الخامس المجلد السادس عشر سنة ١٩٤١)

وما زالت تتعاون فيما بينها على كشف حقيقة عدد غير قليل من الظواهر الاجتماعية والدينية والاقتصادية. وكثيراً ما استفاد إميل دركيم من البحوث الأثنولوجية التى قام بها « سبنسر وجلن » Spencer & Gillen على قبائل استراليا؛ وذلك حينما حاول دركيم عام ١٩١٢ تفسير الظواهر الدينية لدى الأمم المحدودة المدنية. ونرى كذلك « ليفى برهل » Levy-Bruhl يرجع دائماً إلى نتائج البحوث الأثنولوجية حينما يريد أن يحدد ويحلل عناصر التفكير ووسائل التعبير عنه لدى الأمم المحدودة المدنية. ونجد أيضاً فرزر « G. Frazer » ومرجان « Morgan » ووستر مارك « Westermark » ومارسل موس « M. Mauss » وغيرهم من الاجتماعيين لم يتمكنوا من التقدم خطوة واحدة فى بحوثهم وتحقيق نتائجها دون الرجوع إلى بحوث الأثنجرافيين

وإذا أنعمنا النظر يظهر لنا الفرق الحقيق بين العلوم الاجتماعية من حيث فائدتها لعلم الاجتماع؛ فالأثنولوجيا هو الطريق المباشر الذى يسلكه الاجتماعى للبحث عن أصل كثير من الظواهر الاجتماعية والدينية والاقتصادية بل والمبادئ العلمية نفسها؛ لأننا لم نزل نشاهد فى كثير من بقاع الأرض أمماً وقبائل تتبع فى طريقة عيشها وسائل بسيطة، وتتبع فى التعبير عن تفكيرها وشعورها صوراً متناهية فى البساطة إلى درجة يمكن اعتبارها إحدى صور الحياة والتفكير للأمم التى سكنت أوربا وغيرها فى عصور ما قبل التاريخ. فهى صور خالية من التعقيد والتنوع اللذين تمتاز بهما حياة الأمم الراقية. وإن البحث عن أصل تلك الظواهر وكيفية نشأتها وطريقة تكوينها ثم العناية بترتيبها وتبويبها بطريقة علمية منظمة هو غاية الأثنولوجى؛ وبعمله هذا يكون ثروة علمية لا تفنى لدى العالم الاجتماعى

وسنبحث فى الكلمة القادمة عن أهمية البحوث الأثنولوجية بحوض النيل والعمل على تنظيم تلك البحوث وإدخالها ضمن التعليم العالى بمصر

محمد جهول عبد الحميد

على أنه لم يصل إلينا من هذه الرسائل كلها غير رسالة الجاحظ التي ذكر فيها الكثير من أحوال القيان وطبائعهن وميولهن وأخلاقهن وطرقهن في الإغواء . وقد خصهن أبو الطيب الوشاء في كتابه « الوشى »[1] بفصل ممتع عن عشقهن وغرامهن ، زاد فيه على ما ذكره الجاحظ وأفاد

وقد لا تجد في أدبنا العربي صفحة أكثر متوعاً وأبرع وصفاً وأشد دقة من وصف الجاحظ والوشاء لعشق القيان ، والحيل التي يتبعنها لاستمالة الشبان ، والسبل التي يسلكنها لطردهم إذا نفدت دنانيرهم وأفلسوا . فلقد بلغا في وصفهما الذروة التي لا تسامى ، والغاية التي لا تدانى

لا جرم أن الجاحظ كان أسبق إلى وصف ذلك ، ولكنه أجمل وأوجز ؛ أما الوشاء فلم يتعد ما قاله الجاحظ إلا قليلاً ولكنه شرح وفصّل

والمهم في وصف عشق القيان أن الكاتبين أبانا فيه عن عواطف كامنات ، وحيل مكنونات ، وطرق مغريات ، حتى تشعر وأنت تقرأ أنك اليوم بين يدى غانية من غواني الحانات اللواتي تخرجن في الفتنة والإغواء

فقد قرروا أن القينة لا تكاد تخلص في عشقها ، أو تناصح في ودها ، لأنها مجبولة على نصب الحبالات والشراك للمتربطين ليقعوا في أنشوطتها . ذلك لأن حبهن كلهن كذوب ، وعشقهن متبدل غير ثابت . فهو لطمع وغرض ، ولذا كن يقصدن أهل النشب واليسار ، ويصدفن عن ذوى الإقتار

وكان من عادة القينة إذا رأت في مجلس فتى له غنى وكثرة مال وحسن حال ، أن تميل إليه لتخدعه ؛ فتمنحه بادئ بدء نظراتها ، وغمزته بطرفها ، وأشارت إليه بكفها ، وداعبته بالتبسم ، وغازلته بأشعار الغناء ، فغنت على كاساته ، ومالت إلى مرضاته ، ثم تظهر الشوق إلى طول مكثه ، والميل إلى سرعة عوده ؛ حتى توقعَ المسكين في حبالها ، وتعلّق قلبه بحبها ، وتطمعه في قربها ثم تحزن لزواجه ، وتبكى لفراقه ، وتكاتبه تشكو إليه هواها ، وتقسم له أنه ضميرها في ليلها ونهارها ، وأنها لا تريد سواه ، ولا تؤثر أحداً على هواه ، ولا تنوى انحرافاً عنه ؛ ثم تعزز ذلك بالرسل ، وتخبره عن سهرها ، وتنبئه عن فكرها ، وتشكو إليه القلق ، وتخبره بالأرق ، وتبعث إليه بخاتمها وفضلةٍ من شعرها ، وقلامة من ظفرها ، وقطعة من مسواكها ، ولبانٍ قد جعلته عوضاً من قبلتها ، وكتابٍ قد نمقته بظرفها ، ونقطت عليه قطرات من دمعها ، وضمنته الشوق والشكوى ، وسألته الموالاة على حبها . . . وربما منحته من ريحانها ، وأهدت إليه في النيروز سكراً وفي المهرجن خاتماً ؛ وأخبرته أنها لا تمل الدموع إذا غاب ، ولا ذكرته إلا تنغصت ، ولا هتفت باسمه إلا ارتاعت . . . فلا يشك المسكين في إخلاص حبها ، فيميل إليها بوده . . . حتى إذا رأت أنها حوت عقله ، وصارت شغله ، واستمالت لبه ، وسلبت قلبه ، وعلمت أنه غريق في بحر حبها ... أخذت في طلب الهدايا ، فتشهت الثياب والأزر والأردية والعمائم والتكك والخفاف . والعصائب المرصعة ، وخواتيم الياقوت ، ثم تمارضت من غير سقم ، وتعالجت من غير حاجة منها إلى الدواء تجيئها هدايا ذوى الوجد ، من القمص المعنبرة ، والغلائل الممسكة ، والأردية المرشوشة ، ومخانق الكافور ، والمسك الأذفر ، والعنبر الأشهب ، والعود الهندى ، والماورد الجورى ، والفراريج ، والجداء الرضع ، والدجاج الفائق ، والفراخ السمنة ، والفاكهة والرياحين ؛ يتبعها صنوف من الشراب : من المعسل والمطبوخ والمشمس ، ثم تلحقها الدنانير والدراهم ، فلا تزال في هدايا متواترة ، وألطاف متتابعة . حتى إذا نفد اليسار وذهب الإكثار ، وأتلف المال وجاء الإقلال ، وأحست بالإفلاس ... أظهرت الملل ، وتبرمت بكلامه ، وضجرت بسلامه ، وتفقدت منه الزلل ، وتتبعت عليه سقطاته ، وأخذت في الجفاء والعتاب والقلى والإبعاد ، وصرفت عنها هواه ومالت إلى سواه ، فحينئذ يدرك المغرور الندم والأسف

---

(١) طبع في ليدن بعناية المستشرق رودلف برونو قبل نصف قرن تقريباً .

ولقد كانت القيان ينظرن إلى المال ، وكن يحتملن القبح والشيب مع اليسار ويكرهنهما مع الفقر . وهذا شأن الحسان كلهن ... « فليس للفقر مع الحب عمل »

وربما اجتمع عند القينة من مربوطيها ثلاثة أو أربعة ، وعندئذ يتحمون الإجتماع ، ويتغايرون عند الإلتقاء ، فتبكي لواحد بعين ، وتضحك للآخر بالأخرى ، وتغمز هذا بذاك ، وتعطي واحداً سرها ، والآخر علانيتها ، وتوهم أنها له دون الآخر ، وتكتب لهم عند الانصراف كتباً على نسخة واحدة تذكر لكل واحد منهم تبرمها بالباقين وحرصها على الخلوة به دونهم جميعاً [١] .

***

وبعد . فما رأيت أبرع ، ولا أحسن ، ولا أرق ، ولا أملح ، ولا أنفذ في العواطف ، ولا أكسب للقلوب من هذا الوصف . حتى لتحسب أنك أمام عالم نفسي لا يدع غمزة ولا إشارة ولا عاطفة ولا حيلة إلا أحصاها . وليت شعري أكان الجاحظ والوشاء عاشقين لقيان لقيا في سبيلهما الجهد والعناء ، فثأرا منهن بهذا الوصف ؟ وكأني بالجاحظ « وهو الذي عابوه بملك القيان [٢] » قد تيمه هوهن ، وأذبل غصنه حبهن ... أو أنه رأى عن قرب ما كن يصنعن .

فقال : « ولو لم يكن لإبليس شرك يقتل به ولا علم يدعو إليه ولا فتنة يستهوى بها إلا القيان لكفاه » ثم يستدرك فيقول « وليس هذا بذم لهن ، ولكنه من فرط المدح ، وليس يحسن هاروت وماروت ، وعصا موسى وسحرة فرعون ؛ إلا دون ما يحسن ؟

على أن الجاحظ إذا قسا عليهن فقد اتخذ لهن أعذاراً . قال : « وكيف تسلم القينة من الفتنة ، أو يمكنها أن تكون عفيفة ، وإنما تكتسب الأهواء ، وتتعلم الألسن والأخلاق بالمنشأ ، وهي تنشأ من لدن مولدها إلى أوان وفاتها بما يصد عن ذكر الله من لهو الحديث وصنوف اللعب والأخابيث ، وبين الخلعاء والمجان ، وتروى الحاذقة منهن أربعة آلاف صوت فصاعداً ؛ يكون الصوت فيما بين البيتين إلى أربعة أبيات ، إذا ضرب بعضه ببعض يكون عشرة آلاف بيت ليس فيها ذكر الله إلا عن غفلة ، ولا ترهيب عن عقاب ، ولا ترغيب في ثواب ؛ وإنما بنيت كلها على ذكر الزنا والقيادة والعشق والصبوة والشوق والغلمة ؛ ثم لا تنفك من الدراسة لصناعتها ، منكبَّة عليها ، تأخذ من المطارحين الذين طرحهم كله تجميش ، وإنشادهم مراودة ، وهي مضطرة إلى ذلك في صناعتها ، لأنها إن جفَتْها تفلّتت ، وإن أهملتْها نقصت ، وإن لم تستفد منها وقفت » [١] .

***

تلك صفحة من أدبنا العربي ما أحسب أنها تقل عن أدب كبار الوصّافين والنفسيين في الغرب ، لأنها صورة حيّة تشيع منها القوة والصدق ، ما نزال نراها كل يوم .

(دمشق) صلاح الدين المنجد

(١) أنظر رسالة القيان للجاحظ ص (٧١ — ٧٣) ، والوشى (٢ / ٩١ — ٩٥)

(٢) أنظر مقدمة رسالة القيان .

(١) انظر المصدر السابق : رسالة القيان (٧٢ — ٧٣)

في الفلسفة الإسلامية

٣ـ إخوان الصفاء

للأستاذ عمر الدسوقي

رسائلهم

هي موسوعة ضمت بين دفتيها مبادئ العلوم التي كانت معروفة في البلاد العربية حتى القرن الرابع الهجري، ولا سيما تلك التي ترجمت من اليونانية. وقد اعترف إخوان الصفاء بأنهم ألفوها كنماذج ومقدمات للعلوم فلم يتوسعوا في بسط قضاياها. ويقولون في ذلك: «قد عملنا إحدى وخمسين رسالة في فنون الآداب وغرائب العلوم وطرائف الحكم، كل واحدة منها شبه المدخل والمقدمات والأنموذج[1]».

ويظهر أنهم ألفوها للاخوان الأبرار الذين هم أولى طبقات هذه الجماعة، ولم يقتصروا فيها على مبادئ الفلسفة والعلم، وإنما خلطوها بكثير من الخرافات والأساطير؛ وحاولوا أن يوفقوا بين الدين والفلسفة محاولين أن يجدوا من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية ما يؤيد نظريات أفلاطون وأرسطو وأفلوطين وغيرهم. وخير ما قيل في وصفها رأي أبي حيان التوحيدي: «هي مبثوثة من كل فن بلا إشباع ولا كفاية، وهي خرافات وكنايات وتلفيقات وتلزيقات» وذلك أنهم قالوا: «إن الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية، والمصلحة الاجتهادية»؛ وزعموا: «أنه متى انتظمت الفلسفة الاجتهادية اليونانية والشريعة الإسلامية فقد حصل الكمال»؛ وحشوا هذه الرسائل بالكلمات الدينية، والأمثال الشرعية، والحروف المحتملة، والطرق المهملة[2].

والواقع يثبت رأي أبي حيان، فالرسائل لا تعمق فيها، ولا نظام يربط بين فصولها، وفيها تكرار وحشو. وعندي أن الرسائل كانت بمثابة موسوعة تبسط فيها المسائل الفلسفية الأولية بأسلوب يوافق عقلية العامة. وحتى لا ينفر هؤلاء

(١) رسائل ج ٤ ص ٢٣٤ (٢) الرسائل مقدمة زكي باشا.

من الفلسفة أخذ مؤلفوها يستشهدون بالآيات والأحاديث الكريمة وبأقوال من التوراة والإنجيل، وينسبون أشياء إلى نوح وإبراهيم وعيسى، ويروون قصصاً وأساطير إذا حاولوا البرهنة على مسألة من المسائل بدلاً من استعمال الأسلوب المنطقي الفلسفي. خذ مثلاً محاولتهم البرهنة على خلود النفس فإنك لا ترى سوى أساطير تحكي عن الأنبياء، وآل البيت وسقراط وإبراهيم ونوح وأفلاطون وأرسطو وفيثاغور وما قاله كل منهم وما عمله كل[1]. وتخرج من هذا الموضوع إذا بحثته بحثاً علمياً كما ابتدأت فيه دون أن تقتنع، ولكن عقلية العامة يوافقها هذا الأسلوب تماماً.

هذا وقد وضع الإخوان لرسائلهم مقدمة أشبه بالفهرست بينوا فيها بإيجاز عدد الرسائل والموضوعات التي تعرض لها بحثهم: «وهذه فهرست رسائل إخوان الصفا، وخلان الوفا، وأهل العدل، وأبناء الحمد، بمجمل معانيها وماهية أغراضهم فيها: وهي اثنتان وخمسون رسالة[2] في فنون العلم وغرائب الحكم وطرائف الآداب وحقائق المعاني من كلام الخلصاء الصوفية، صان الله قدرهم وحرمهم حيث كانوا في البلاد؛ وهي مقسومة على أربعة أقسام: فمنها رياضية تعليمية، ومنها جسمانية طبيعية، ومنها نفسانية عقلية، ومنها ناموسية إلهية». ثم أخذوا يبينون موضوع كل قسم: فالرياضيات تشمل العدد والهندسة والموسيقى والفلك والصنائع والمنطق بمقولاته وعباراته وبراهينه؛ والطبيعيات يتكلمون فيها على الهيولى والصورة والسماء والعالم والكون والفساد وكيفية تكوين المعادن وفي النبات والحيوان؛ والرسائل النفسانية تبحث في المبادئ العقلية وفي البعث والصور والنشور والقيامة؛ والإلهية تبحث في الآراء والمذاهب، وبيان اعتقاد إخوان الصفاء وكيفية أنواع السياسات وماهية السحر والعزائم. ويختمونها بالرسالة الجامعة التي لم تصل إلينا والتي كشف فيها كما يقولون عن كثير من الرموز والكنايات التي امتلأت بها رسائلهم: «وتليها الرسالة الجامعة ... ... المشتملة على حقائقها بأسرارها ... إذ هذه الرسائل كلها كالمقدمات لها والمدخل إليها

(١) رسائل ج ٤ ص ١٠٠

(٢) اختلف في عدد الرسائل ولم نقف على حجة ثابتة في هذا الموضوع ولكن يظهر لنا أن عددها واحد وخمسون، وهناك رسالة جامعة تحوي زبدة الرسائل. بيد أنها لا توجد في المجموعات التي بين أيدينا، وقد أشرنا في المقال السابق إلى أن الأستاذ كازانوفا وجد رسالة يظنها الجامعة فارجع إلى ما كتبت هناك.

والأدلة عليها والأنموذج منها ... وهي منتهى الغرض لما قدمناه[1]

ومثالهم في ذلك – على حد تعبيرهم – كمثل بستاني له حديقة لم تر العين مثلها حسناً وإبداعاً ، وأراد لكرمه أن يدعو الناس إليها والتمتع بما فيها ، فأخذ نماذج من أزهارها ورياحينها وفاكهتها ووقف أمام بابها يعرضها على الناس ، حتى إذا تذوقوها وعرفوا مزاياها واشتاقت نفوسهم لدخول البستان أفسح لهم الطريق كي يتمتعوا ما شاءوا ويتلذذوا ويطربوا

ويختم إخوان الصفاء كل رسالة بنصيحة للأخ البار الرحيم حتى يتفهم غرضها ويعرف أسرارها . ثم إنهم كانوا يكثرون من القصص على لسان الحيوان ، ويدلون بأشياء لو صرحوا بها لفضح أمرهم وانكشف سترهم . ومهما يكن الأمر فرسائلهم سهلة الأسلوب خالية من السجع والمحسنات البديعية ، واضحة العبارة أحياناً ، غامضة في الغالب من حيث المقصد والغاية . وقد ذكرنا في المقدمة أن الغرض من تأليفهم هذه الرسائل بث تعاليمهم السرية وإيجاد طبقة من الشعب مثقفة تقود الرأي العام إلى أغراضهم السياسية وهي قلب نظام الدولة

آراؤهم الخيالية

لا نريد أن نتعرض في هذا البحث إلى كل ما تناوله إخوان الصفا في رسائلهم من خرافات ، وإنما الذي يهمنا أن نضرب أمثلة على إغراقهم في الخيال أحياناً . فأنت تراهم مثلاً في رسالة العدد ، وهي العمدة في الرياضيات يتبعون الفيثاغوريين ، فلا يهتمون في البحث في علم الحساب كما يهتمون بتبيان خواص الأعداد والكلام عن موسيقى الأفلاك ... الخ ؛ وهاك مثلاً على ذلك : « إعلم بأن كون العدد على أربع مراتب آحاد وعشرات ومئات وألوف ليس أمراً ضرورياً لازماً لطبيعة العدد ، ولكنه أمر وضعي رتبته الحكماء باختيار منهم ، وإنما فعلوا ذلك لتكون الأمور العددية مطابقة لمراتب الأمور الطبيعية ، وذلك أن الأمور الطبيعية أكثرها جعلها الباري جل ثناؤه مربعات منها : الطبائع الأربع التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ، ومثل : الأركان الأربعة التي هي النار والهواء والماء والأرض ، ومثل الأخلاط الأربعة التي هي الدم والبلغم والصفراء والسوداء ، ومثل الأزمان الأربعة التي هي الربيع والصيف والخريف والشتاء ، ومثل الجهات الأربع ...[1] الخ »

(١) رسائل ج ١ ص ١٩ (٢) رسائل ج ١ ص ٢٧

والواحد من الأعداد هو أصل كل الأعداد ، وعنه تصدر بالتكرار ويذهبون مذهب الفيثاغوريين في ذلك وهو أن الواحد أصل الوجود وإن حاولوا التوفيق بين الدين والفلسفة : « واعلم أن الباري جل ثناؤه أول شيء اخترعه وأبدعه من نوره جوهر بسيط يقال له العقل الفعال كما أنشأ الاثنين من الواحد بالتكرار ، ثم أنشأ النفس الكلية الفلكية من نور العقل ، كما أنشأ الثلاثة بزيادة الواحد على الاثنين ؛ ثم أنشأ الهيولى الأولى من حركة النفس كما أنشأ الأربعة بزيادة الواحد على الثلاثة . ثم أنشأ سائر الخلائق من الهيولى ورتبها بتوسط العقل والنفس ؛ كما أنشأ سائر العدد من الأربعة بإضافة ما قبلها إليها »[1] ومن ذلك قولهم : « إن منفعة الشكل المسبَّع تسهيل الولادة إذا كتب على خزفين لم يصبهما الماء ، وعلقتهما المرأة التي ضربها الطلق »[2]

ويقولون في نشأة علم الفلك : « إن هرمس المثلث الحكمة وهو ادريس النبي عليه السلام صعد إلى فلك زحل ودار معه ثلاثين سنة حتى شاهد جميع أحوال الفلك ؛ ثم نزل إلى الأرض فخبر الناس بعلم النجوم ، قال تعالى (ورفعناه مكاناً علياً)[3] » .

ويعتقدون بتأثير الكواكب في السعد والنحس «الكواكب السبعة السيارة اثنان منها نيران ، واثنان منها سعدان ، واثنان نحسان ، وواحد ممتزج . أما النيران فالشمس والقمر ، والسعدان المشترى والزهرة ، والنحسان زحل والمريخ ، وأما الممتزج فعطارد»[4]

وأكثر من ذلك خرافة قولهم : « اعلم يا أخي أن كواكب الفلك هم ملائكة الله وملوك السموات ، خلقهم الله تعالى لعمارة عالمه وتدبير خلائقه وسياسة بريته ، وهم خلفاء الله في أفلاكه ، كما أن ملوك الأرض هم خلفاء الله في أرضه »[5] ويعتقدون أن لحركات الأفلاك والكواكب نغمات وألحاناً طيبة لذيذة مفرحة لنفوس أهلها الذين هم الملائكة ؛ فإن قال قائل : « لا بد إذاً أن يكون لهم شم وذوق ولمس » قلنا : « إن هذه حاجة الحيوان الآكل للطعام والشارب للشراب ؛ أما هم فغذاؤهم التسبيح ، وشرابهم التهليل ، وفاكهتهم الفكر والروية واللذة والفرح . . . ويقال إن فيثاغور الحكيم سمع بصفاء جوهره وذكاء قلبه نغمات الأفلاك والكواكب ، فاستخرج بجودة فطرته أصل الموسيقى

(١) رسائل ج ١ ص ٢٩ (٢) رسائل ج ١ ص ٨١
(٣) رسائل ج ١ ص ٩٢ (٤) رسائل ج ١ ص ٩٦
(٥) رسائل ج ١ ص ٩٨

ونغمات الأفلاك ، وهو أول من تكلم فى هذا العلم »[١] .

ولولا خيفة الإطالة لذكرت كثيراً من هذه الآراء الخرافية ، وحسبك أن تقرأ رسالة السحر والطلاسم والتعاويذ ، وكيف يحاولون معرفة الجنين وقدوم الرسول ومعرفة الكتاب قبل فضه واللص وماذا سرق ومعرفة الحروب وأسبابها . . . الخ[٢] .

مراتب الوجود :

« اعلم يا أخى أن الله تعالى لما كان تام الوجود كامل الفضائل ملماً بالكائنات قبل كونها ، قادراً على إيجادها متى شاء ، لم يكن من الحكمة أن يحدث تلك الفضائل فى ذاته ، فلا يجود بها ولا يفيضها ؛ فإذاً بواجب الحكمة أفاض الجود والفضائل منه كما يفيض من عين الشمس النور والضياء »[٣]

وقد استمر هذا الفيض فنشأ عنه العالم ، وأنت ترى أنهم يأخذون بنظرية الفيض التى ابتدعتها الأفلاطونية الحديثة ، وأنهم يقولون بالعناية الإلهية التى وضحها ابن سينا فيما بعد بقوله : « لما كان المبدع الأول يعلم ذاته ويعلم لذلك نظام الخير فى الوجود المطلق كان علة للخير والكمال اللذين فاضا على الوجود عند ما فاض الوجود نفسه ، فانتقل بذلك نظام الخير إلى العالم بحسب القدر الممكن لهذا العالم »[٤]

والعالم عندهم على الترتيب الآتى :

١ — العقل الفعال : وهو جوهر بسيط روحانى أبسط من النفس وأشرف منها قابل لتأييد البارى تعالى علام بالفعل

٢ — النفس الكلية : وهى جوهرة بسيطة روحانية علامة بالقوة فعالة بالطبع قابلة فضائل العقل بلا زمان ، فعالة فى الهيولى بالتحريك لها

٣ — الهيولى الأولى : وهى جوهرة بسيطة روحانية معقولة غير علامة ولا فعالة بل قابلة آثار النفس بالزمان منفعلة لها

٤ — الطبيعة الفاعلة : وهى قوة من قوى النفس الكلية سارية فى جميع الأجسام محركة مدبرة لها وتسمى النفوس الجزئية أو الملائكة

٥ — الجسم المطلق : ذو الطول والعرض والعمق وهو الهيولى الثانية

٦ — عالم الأفلاك : وسنتكلم عليه بالتفصيل فيما بعد

٧ — العناصر السفلى : كالنار والهواء والماء والأرض

٨ — المعادن والنبات والحيوان المكون من العناصر السابقة . وقد فاضت كلها من الله ، ولكن وقف الفيض بعد الجسم المطلق الذى لم يفض منه جوهر آخر لنقصان رتبته عن الجواهر الروحانية[١]

عالم الأفلاك :

الأفلاك أجسام كرية شفافة مجوفة ، وهى تسعة أفلاك مركبة بعضها فى جوف بعض كحلقة البصلة . وهناك كرتان ليستا من الأفلاك ، وهما كرة الهواء ، وكرة الأرض ، فيكون المجموع إحدى عشرة كرة . وتقع الشمس فى الوسط ، وفوقها خمس كرات وتحتها خمس ؛ فالتى فوقها على الترتيب ... كرة المريخ ، المشترى ، زحل ، الكواكب الثابتة ، ثم فلك المحيط ، والتى تحتها على الترتيب ... الزهرة وعطارد ، والقمر ، ثم كرة الهواء ، ثم كرة الأرض التى هى المركز ، وليست مجوفة ولكن متخلخلة

والشكل الكرى أفضل الأشكال كلها ، وحركته تامة ، وأفضل الحركات . والفلك المحيط ألطف الأجسام وأشدها روحانية وأشفها نوراً لقربه من الهيولى الأولى . والأرض أغلظ الأجسام كلها وأشدها ظلمة لبعدها عن الفلك المحيط . والقمر هو السماء الأولى وعطارد السماء الثانية وهكذا حتى تنتهى من السموات السبع التى آخرها زحل . أما فلك الكواكب الثابتة فهو الكرسى الذى وسع السموات والأرض ، والفلك المحيط هو العرش العظيم الذى يحمله يومئذ ثمانية[٢]

هل قالوا بالنشوء والارتقاء ؟

ذهب بعض الباحثين إلى أن إخوان الصفا كانوا يقولون بنظرية النشوء والارتقاء . والواقع أنهم كانوا بعيدين كل البعد عن هذا ، بيد أن لهم نظرية خاصة فى تدرج الأجسام المولدة : « واعلم يا أخى بأن أول مرتبة الحيوان متصل بآخر مرتبة النبات ، وآخر مرتبة الحيوان متصل بأول مرتبة الإنسان ، كما أن أول مرتبة المعدنية متصل بالتراب والماء . فأدون الحيوان وأنقصه هو الذى ليس له إلا حاسة واحدة فقط كالحلزون والديدان التى تتكون فى الطين وقعر النهر ...

(١) رسائل ج ١ ص ١٥٣ (٢) رسائل ج ١ ص ٢٤١
(٣) الرسائل ج ٣ ص ١٩٧
(٤) كتاب النجاه لابن سينا وفيه ملخص كتاب الشفاء

(١) ج ٣ ص ١٩٨ — ١٩٩ (٢) ج ٢ ص ٢٢ رسائل

٢٦ – المصريون المحدثون
شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الثامن – عادات المجتمع العامة

للطبقة المهذبة تحيات وتهنئات أخرى متكلفة تتبع السلام. كما أن هناك عبارات خاصة للرد على أكثرها أو عبارتين أو أكثر قد تستعملان في بعض الأحوال. غير أن الرد الذي لم تلزمه العادة قد يعتبر دليلاً على الجهل أو الخساسة. وعند ما يسأل رجل صديقه « كيف صحتك »[1] يجيبه الآخر « الحمد لله » ويستدل المستفهم باللهجة التي يرد بها الآخر إذا كان صديقه معافى أو مريضاً، وعند ما يقول الواحد للآخر « طيبين » يجيب الآخر عادة « الله يبارك فيك » أو « الله يسلمك »، وعند ما يتقابل صديقان لم يلتقيا عدة أيام أو وقتاً طويلاً يقول أحدهما بعد السلام « أوحشتنا » فيجيبه الآخر: « الله لا يوحشنا منك ». وقد يشغل ذكر التهنئات الفخمة التي يستعملها المصريون عادة صفحات من هذا الكتاب

ولا يدخل الرجل منزل غيره بدون استئذان لأن القرآن حرم ذلك صراحة[1]، وعلى الأخص إذا كان يريد أن يصعد الى إحدى الغرف العليا، فلا بد في هذه الحالة أن يصيح طالباً الإذن، أو يعلن قدومه عند ما يصعد السلم بالطريقة التي وصفتها سابقاً. وإذا لم يجد أحداً أسفل المنزل يصفق بيديه عند الباب أو في الفناء وينتظر نزول الخادم إليه أو الإذن له بالجلوس في حجرة سفلى أو بالصعود إلى غرفة عليا. ثم يجيء رب الدار عند ما يدخل الغرفة التي يجلس فيها، فيرد عليه رب الدار ويرحب به بأدب وبشاشة. ويقف رب الدار لمن كان أعظم منه[2] ولأقرانه على العموم، ويتقدم لاستقبال من هم أعلى منه مركزاً إلى الفناء أو بين الفناء وغرفة الاستقبال، أو في مدخل الغرفة أو وسطها، أو على بعد خطوة من مكان جلوسه. وكثيراً ما يكتفي عند استقبال أقرانه بأن يتحرك حركة خفيفة كما لو كان يهم بالوقوف. ولا يتحرك لمن دونه مقاماً. ويقدم رب الدار إلى الرفيع القدر وإلى أقرانه غالباً أفضل مكان في ركن من الديوان على يمين من

(١) « إيش حالكم »

(١) سورة النور آية ٢٧

(٢) أي لمن فاقه في المكانة أو الغنى أو في الشهرة الدينية أو الأدبية

فهذا النوع حيوان نباتي لأن جسمه ينبت كما ينبت بعض النبات، ويقوم على ساقه. ولما كان جسمه يتحرك حركة اختيارية كان حيواناً. (أما رتبة الحيوانية مما يلي رتبة الإنسان فليست من وجه واحد، ولكن من عدة وجوه، فمنها ما قارب رتبة الإنسان بصورة جسده كالقرد، ومنها ما قاربها بالأخلاق النفسانية كالفرس في كثير من أخلاقه، ومنها كالطائر الإنساني أيضاً، ومثل الفيل في ذكائه، وكالببغاء والهزار ونحوهم، ومنها النحل اللطيف الصنائع ... إلى ما شاكل هذه الأجناس. فهذه الحيوانات في آخر مرتبة الحيوان مما يلي رتبة الإنسان لما يظهر فيها من الفضائل الإنسانية[1])

ولا شك أن هذه النظرية بعيدة كل البعد عن مذهب النشوء والارتقاء الحديث، إذ جعلوا الفيل والنحل والطائر قريبة الشبه بالإنسان وفي أعلى مراتب الحيوان. ولعلنا إذا أخذنا رأيهم من الناحية العضوية البيولوجية توجد عندنا شبهة للقول بمذهب النشوء، فالحلزون حيوان نباتي، والقرد قريب للانسان جسمياً. ولكن حتى مع هذا لم يقل إخوان الصفا بأن الإنسان هو والقرد متفرعان من أرومة واحدة. وهم يعتقدون أن النبات متقدم في الوجود على الحيوان لأنه غذاء له، والحيوان متقدم على الإنسان لأن وجوده لخدمته ومنفعته[1]

(يتبع)

عمر الدسوقي
مدير كلية المقاصد الاسلامية ببيروت

(١) الرسائل ج ٢ ص ١٤٤

(١) رسائل ج ٢ ص ١٥٥

يواجه « صدر » الغرفة أي طرفها الأعلى ، ويعتبر المجلس الممتد بطول « الصدر » أكثر إجلالاً من المجلسين الممتدين على الجانبين ، ويسمي كل منهما « جنبيا » ، ولا يجلس من هم دون رب الدار في الصدر أبداً إلا إذا دعاهم إلى ذلك . وكثيراً ما يرفضون هذا الشرف . ويجلس أقران رب الدار واضعين رجلاً على رجل ، أو رافعين ركبتهم ومستندين على المساند . وكثيراً ما يجلس من دونه ، بادئ الأمر على الأقل ، على أعقابهم أو على حافة الديوان أو على الحصير أو البساط إذا كان فرق المكانة بينهما كبيراً . وتقتضي دقة الآداب ألا يظهر الزائر يديه عند دخول الغرفة أو عند الجلوس ، ويجب أن يسبل كميه عليهما ، وألا يمد رجليه عند ما يجلس على الديوان ، وألا يترك قدميه مكشوفتين ، ولكن هذه القواعد لا تراعى إلا في منازل العظماء . وتردد التهاني والتحيات بعد السلام وعلى الأخص عبارتا « طيبين » و « إيش حالكم » مرات عديدة أثناء المحادثة

وقد يقوم أحياناً خادم الزائر نفسه بتقديم الشبك ، فيخرج السيد كيس التبغ من عبه ويناوله الخادم الذي يملأ الشبك منه ثم يطويه ويعيده بعد ذلك أو عند انتهاء الزيارة . وفي غير هذه الحالة يقدم خادم المضيف شبكا إلى الزائر وآخر إلى سيده ثم يناول القهوة[1] لأن التدخين بدون قهوة كالطعام بلا ملح ، كما يقول العرب . ويحيي الزائر رب الدار عند ما يتناول الشبك والقهوة بالتمنية فيردها الأخير إليه ، وكذلك الأمر عند ما يعيد الفنجان إلى الخادم ، كما أن رب الدار يحيي ضيفه بالطريقة نفسها إذا لم يكن الفرق بينهما كبيراً . وكثيراً ما يلبث الخدم في الغرفة مدة الزيارة واقفين باحترام عند طرف الغرفة الأسفل ضامين اليدين (اليسرى في اليمنى) فوق الحزام ، وينادى على الخدم عادة بالتصفيق بأصابع اليمنى على راحة اليسرى ، ويسمع صوت التصفيق في المنزل لأن النوافذ من الخشب المشبك . ويدور الحديث على الأخبار اليومية وحال التجارة وأسعار المؤن ، والدين والعلوم أحياناً ، وتروى الحكايات الفكاهية . ويحدث كثيراً أن تسرد القصص والأمثال البذيئة في غير

(١) ويتناول الزائر الشبك والقهوة قبل رب الدار إذا كان عظيما أو لا يقل مركزه كثيراً

المجتمعات . وقلما يتحدث الناس في المجتمعات الطيبة عن نسائهم ، ولكن كثيراً ما يفعل ذلك الأصدقاء الخلص ومن لا يراعي دقة قواعد الأدب بطريقة لا تكون لطيفة دائماً . ويستفسر المهذبون كل عن (منزل) الآخر للاطمئنان على الزوجة والعائلة . وكثيراً ما تشغل الزيارات وقتاً طويلاً ، وقد تستمر أحياناً طول اليوم وعلى الأخص زيارات الحريم . ويتكرر حشو الشبك أو تبدل بغيرها كلما اقتضت الضرورة ذلك لأن الزائر لا ينقطع عن التدخين مدة بقائه . ويعاد تقديم القهوة والأشربة أحياناً . وقد سبق وصف طريقة تقديم القهوة والأشربة . وتقدم التهاني نفسها إلى الزائر بعد الشراب كما تقدم كذلك بعد جرعة ماء[1]

وجرت العادة في منازل الأثرياء أن يرش الضيوف قبل انصرافهم بماء الورد وماء الزهر ، ويطيبون ببخور بعض المواد العطرية . وقد أصبحت هذه العادة غير شائعة في السنوات الأخيرة . وتكون قارورة العطر المسماة (قمقم) من الفضة الساذجة أو المذهبة ، أو من النحاس الدقيق أو من الفخار الصيني أو من الزجاج ولها غطاء به ثقب صغير . أما أداة البخور المسماة (مبخرة) فتكون من أحد المعادن المذكورة ويجهز وعاء الجمر بالجص أو يملأ نصفه ، وبغطائه عدة ثقوب لصعود الدخان



(شكل ٥١) القمقم والمبخرة

(أنظر شكل رقم ٥١) . وتستعمل المبخرة بعد القمقم . ويقدمها الخادم إلى الزائر أو السيد فيحول البخور نحو وجهه ولحيته الخ ، بيمناه . وتفتح المبخرة أحياناً لإرسال البخور بلا عائق . وأكثر المواد استعمالاً : العود والجاوى وقشر العنبر . ويبلل الخشب

(١) أنظر الفصل الخامس

العطرى قبل أن يوضع على الجمر . ويستعمل المنبر للغرض نفسه ولكن يندر استعماله إلا فى منازل الأثرياء لغلو ثمنه . وينصرف الزائر بعد أن يُعطَّر ؛ ولكنه لا يخرج قبل أن يستأذن ثم يقرأ السلام ويقدم غير ذلك من التحيات والتمنيات التى يرد عليها رداً موافقاً . ويجب على رب الدار إذا كان الزائر بفضله مركزاً ألا يقوم له فحسب ، بل يرافقه إلى أعلى السلم أو إلى باب الغرفة ثم يودعه فى أمان الله

ومن المعتاد أن يعطى الزائر قبل انصرافه من الزيارات العظيمة هدية صغيرة قرشين أو ثلاثة قروش أو أكثر حسب الظروف ، إلى أحد الخدم أو بعضهم . ويرافق الزائرَ أحد الخدم إذا كان مطيته على الباب أو فى الفناء ليساعده على الركوب ، وينتظر هذا الخادم الحسن الالتفات — على الأخص — عطيةً . وعندما يعطى الزائر الخدم نقوداً فعلى السيد أن يرد المثل تماماً عند رده الزيارة

وكثيراً ما يتبادل الأصدقاء الهدايا تبعاً للعادة العامة ؛ ويقدم الأصدقاء الهدايا عند أى حفل خاص ، والقاعدة العامة أن يرد إلى مقدّم الهدية واحدة مماثلة أو فى قيمتها عند مناسبة مماثلة . والشائع أن يعبر المهدى إليه في مثل هذا الحفل عن رجائه استطاعة رد الهدية فى مناسبة مشابهة ، ويعتبر هذا الشكر المصحوب بالإشارة إلى وفاء دين الهدية أدباً وتلطفاً فى هذا البلد وإن كان الأوربى الكريم يراه إهانة له . وتُلفّ الهدية فى منديل مطرز يعاد إلى الرسول مع منحة مالية صغيرة . ومن الهدايا الشائعة الفاكهة تقدم على أوراق الشجر ، والحلوى فى طبق أو على صينية تغطى بمنديل ثمين أو بمفرش . وكثيراً ما تقدم الهدية إلى العظيم لأجل الحصول على هدية أثمن ، ويفعل هذا غالباً الخادم . وقلما يرفض السيد الهدية ، ولكنه يدفع فى الحال نقوداً تفوق قيمتها . وليست عادة منح الخدم منحة بعد الزيارة شائعة الآن كما كانت منذ بضع سنوات . إلا أنه لا يزال أغلب الناس يراعون ذلك فى الزيارات الكبيرة وعلى الأخص فى العيدين ، كما يراعى ذلك المدعوون إلى الحفلات الخاصة ؛ وسنصف عادات أخرى مثل العادات الأولى يراعيها المصريون فى هذه الحفلات فى الفصل السابع والعشرين ويعتبر رفض الهدية إهانة لمقدمها ، وتعبيراً عن زوال الحظوة

وهناك عادات كثيرة يراعيها المصريون ، لا فى الزيارات الكبيرة ، أو فى حضرة الغرباء ، أو عند مقابلة الأصدقاء العارضة فحسب ، بل فى العلاقات العادية ، فعندما يعطس الرجل يقول : الحمد لله ، فيقول كل من الحاضرين حينئذ ما عدا الخدم : يرحمكم الله ؛ فيرد عليهم : يهدينا ويهديكم الله ، أو بعبارة مماثلة . وإذا تثاءب يضع ظهر يسراه على فمه ، ثم يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ ولا يقال له شيء فى هذه الحالة ، لأن تجنب ذلك أجدر ، إذ المعتقد أن الشيطان يقفز إلى فم المتثائب . والعادة أن يستغفر الله من يخالف قواعد الآداب بدلاً من الاعتذار للحاضرين. وهناك عدة عبارات تقال بعد الحلاقة أو الاستحمام أو الوضوء أو الصلاة ، أو أى فعل يستحق الثواب ، أو عند القيام من النوم أو عندما تُشترى ملابس جديدة أو تُلبس ، وفى عدة مناسبات أخرى ، ولتلك العبارات أجوبة خاصة

والقاعدة أن يكرم المسلمون يمناهم يداً وقدماً ؛ فيستعملون اليد اليمنى للأغراض الجليلة واليسرى للأعمال التى تعتبر على رغم ضرورتها حقيرة ، ويلبسون الحذاء الأيمن ويخلعونه قبل الأيسر ، ويخطون عتبة الباب بالقدم اليمنى قبل اليسرى

ويجامل المصريون بعضهم بعضاً إلى أقصى حد . ولتحيتهم وسلوكهم العام رقة ووقار خاصان ومهارة سلسلة تبدو أنها فى طبيعتهم للاحظتها فى الفلاحين أيضاً . ويتفاخر أهل المدن من الطبقتين الوسطى والعليا بحسن الأدب ورشاقة النهج وقوة الذكاء وطلاقة اللسان ؛ إلا أنهم ليسوا أقل خلاعة فى أحاديثهم من مواطنيهم الأقل تربية . ويمتاز المصرى على اختلاف طبقاته بالبشاشة والأنس . ومن المألوف أن ترى غريبين يتحدثان بحرية كما لو كانا صديقين قديمين فى أى مكان، ويقدم أحدهما شبكه إلى الآخر . وليس من غير المعتاد ولا من سوء الأدب أن يستفسر الغريب فى أول مقابلة عرضية عن اسم الآخر وصناعته أو تجارته ومسكنه . وكثيراً ما تنشأ فى مثل هذه المناسبات صداقة دائمة بينهما[1] . وقلما يسمع فى مجتمعات الطبقتين العليا والوسطى ما يمس شعور الحاضرين ؛ ولا يجرؤ الخبيع مهما كانت خلاعته أن ينطق أى عبارة يقصد بها الهزؤ . ومع ذلك فأغلب الناس من جميع الطبقات هم خلعاء فى أحاديثهم ويحبون الدعابة إلى أقصى حد . وحديث المصريين مؤثر حار ، ولكن أفراحهم تكون أبداً بلا جلبة تقريباً . وقلما يستسلمون للضحك العالى وإنما يعبرون عن سرورهم بالابتسام أو الهتاف

(يتبع) عدلى طاهر نور

(١) وكثيراً ما يتخاطب الناس بألفاظ القرابة مثل الأب والابن والعم وابن العم والأخ والأخت والأم والبنت والخالة وبنت الخالة الخ

نجوى المغني...

[مهداة إلى الموسيقى النابغ
الأستاذ محمد عبد الوهاب]

للأستاذ محمود عماد

يا نضيرَ العودِ هاتِ الـ عودَ إنى سأغنى
واجلُ لى حسنَك إنى منهُ قد أُلهمتُ فنى
كل معنى فيك يوحى لىَ لحناً بعد لحنِ

إن تكن ماءً فألحا نِىَ الماء خرير
أو تكن ناراً فمنها نٌ شهيقٌ وزفير
وإذا ما كنت زهراً لم يفتهن العبير
مثلما ألقاك تلقا نى على العود أغنى

فيكَ للشعر معانٍ غالياتٌ كالجواهر
فيك للتصوير ألوا نٌ كألوان الأزاهر
كيفَ لا يجلوك لحنى فى مجاليك البواهر
سأغنيك إلى الدّ نيا فترِوى ما أغنى

يا حبيبى هاتِ لى العو دَ وهاتِ الخدَّ هاتِ
رَوِّ عينىَّ ورَوِّ الـ عودَ من ماء فُراتِ
فإذا الألحانُ تهمى حانياتٍ عاطراتِ
كندَى الوردِ ، فغَنِّ بفمى حين أغنى

مَن ترى غيرىَ إن غنّا كَ يا فاتن أبدعْ
إننى أُعطيكَ ما مِن زهرِ بستانِك أجمع
فأنلنى يا حبيبى خيرَ ما فيه وأمتع
واصرف الحارسَ عنى أو فإنى لا أغنى

محمود عماد

أغنية

ضفاف النيل

للأديب مصطفى على عبد الرحمن

صفقَ الموجُ وغنّانا أناشيدَ الجمالِ
ومضى الزورقُ يجرى مطمئناً لا يُبالى
يا ضفافَ النيلِ روِّى القلبَ من خمرِ الليالى

جددى عُرسى وأفراحى وأُنسى واسكبى النشوةَ فى روحى وحسّى
ودعينى قبلما تفرغُ كأسى وأرى الدنيا فما تضحكُ نفسى

واجرِ يا زورق نشوان على نورِ الأمانى
حولك الدنيا صفاء وضياء وأغانى
ضحك الكونُ وغنى بهوانا الشاطئان

فأعيدى فتنة الماضى إليّا يا ضفافَ النيل روِّى مقلتيّا
من ضياء يملأ الأرواح رِيّا قد دعا الحبُّ إلى دنياى هيّا

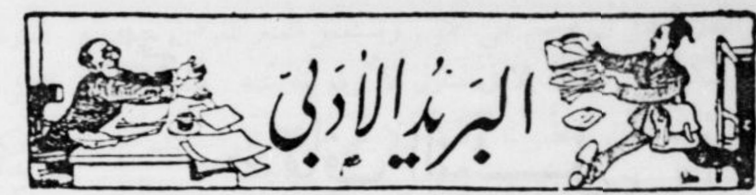
نعبُر الشطآن فى ظلٍ من النُّعمى نغنى
فابتعدْ يا دهرُ لا تحرمْ فؤادينا ودعنى
لا تقفْ بين هوى نفسى وآمالى وبينى

أيها النيلُ على صدرِك يجرى زورقٌ تحدوه آمالٌ بصدرى
أنت تدرى ما بقلبى أنت تدرى وتعى سِرِّى ولا تجهل أمرى

كُنْ رفيقاً أيها النيلُ ودعْنا وهوانا
غنِّنا لحن صبانا ، واسقنا واطوْ صَدانا
واملأ الجو فتوناً وأماناً وحنانا

يا حبيبى ها هى الدنيا أراها مثلما أهوى بعينى وتراها
آه لو تغفلُ عنا مقلتاها أبد الدهرِ وهل تُغنيك آها !

مصطفى على عبد الرحمن (الاسكندرية)



اتجاهات جديدة لرجال التعليم

فى الأسبوع الماضى أُقيم فى القاهرة مؤتمران : مؤتمر التفتيش ومؤتمر تدريس العلوم . وإنما أُقيم المؤتمران فى أسبوع واحد ، لأن « إجازة نصف السنة » هى الفرصة التى تسمح بأن يلتقى المفتشون والمدرسون فى القاهرة بلا عناء

وقبل أن نشير إلى أهمية هذين المؤتمرين نسجل أن « الظروف الحاضرة » لم تمنع رجال التعليم من أن يشغلوا أنفسهم بشئون لا يطالبهم بها أحدٌ فى هذه الأيام ، وذلك يشهد بأن النزعة العلمية تأصلت فى النفوس ، ولم تعد تحتاج إلى بواعث وأسباب . ولو أضفنا إلى ذلك أن مؤتمر تدريس العلوم حضره مندوبان عن وزارة المعارف العراقية : هما الدكتور فاضل الجمالى والدكتور متى عقراوى ، لعرفنا أن أصدقاء مصر فى الشرق يلتفتون إلى أخبارها العلمية بأسلوب يستحق الثناء

أُقيم الاجتماع الأول لمؤتمر التفتيش فى مدرسة فاروق الثانوية ، وألقى فيه الأستاذ سامى بك جنونة كلمة ضافية حدّد بها الأغراض المنشودة من التفتيش . ثم تفرّع المؤتمر إلى لجان تدرس ما يعترض التفتيش من مصاعب ومشكلات

وأُقيم مؤتمر تدريس العلوم بالجمعية الجغرافية ، وقد افتتحه سعادة الأستاذ شفيق بك غربال بالنيابة عن معالى وزير المعارف الرئيس الفخرى للمؤتمر ، وتكلم فى اليوم الأول الأساتذة محمد فؤاد جلال وأحمد زكى بك والمستر همى والدكتور الجمالى والدكتور الكردانى ، ثم استمر فى الأيام التالية يقوم بدراسات على جانب عظيم من الأهمية حضرها مئات المدرسين

والمهمّ هو أن نذكر بصراحة أن الذين حضروا هذين المؤتمرين راعهم أن يشهدوا وثبات فكرية وعقلية تستوجب الإعجاب ، وتجدد الثقة برجال التربية والتعليم فى هذه البلاد

وقد لاحظت أن اللغة العربية أصبحت فى غاية من المرونة والقدرة على شرح أدق الأغراض ، فقد كان الخطباء يتدفقون بأساليب منوعة الألوان ، وكان تعبيرهم يشهد بأننا نعاصر « لغة علمية » تعرف كيف تحيط بدقائق المعضلات

أما بعد فمن حق من شهدوا هذين المؤتمرين أن يرجوا أن تدوم هذه السنّة الحميدة ، وأن تكون « إجازة نصف السنة » فرصة سنوية لإذكاء الأفكار والآراء فى التربية والتعليم ، والله بالتوفيق كفيل ، وهو القادر على إثابة أهل الصدق والإخلاص

زكى مبارك

نزع العمائم فى دور الخلفاء والأمراء والسلاطين وبحضرتهم

قرأتُ فى باب البريد الأدبى من الرسالة الغراء (العدد ٤٢٩ ص ١١٩١) كلمة بعث بها الأستاذ عبد المجيد الساكنى من بغداد يسأل فيها الدكتور زكى مبارك عن « البيئة ونزع العمائم » فى عرض كلامه عن تأثير البيئة فى بعض عادات أهل الأندلس (الرسالة العدد ٤١٨ ؛ ص ٨٦٢ : تأثير البيئة)

وقد وقفتُ أثناء مطالعاتى على ما له صلة بهذا الموضوع أحببت أن أبيّنه فيما يلى لأنه يرينا ناحية من مناحى الرسوم المتبعة عند الإسلام بشأن العمامة

قال محمد بن عَبْدوس الجهشيارى المتوفى سنة ٣٣١ للهجرة ما هذا نصه : « وكان عيسى [بن عبد الرحمن] كاتب طاهر [بن الحسين] لمّا دخل مجلس الفضل [بن سهل] نزع قَلنسوته وجعلها إلى جانبه ، ثم فعلَ ذلك مراراً ، فقال نُعَيم بن حازم ليعقوب بن عبد الله ، وكان يعقوبُ آلفاً لعيسى : إن أبا العباس – يعنى عيسى – إذا جلس فى مجلس الأمير – يعنى الفضل – رفع قلنسوته عن رأسه ، وهذا استخفافٌ منه بالأمير ، قد أنكرهُ الناس ، وتكلموا فيه ، فأعلمه ذلك ليمسك عنه فيما يستقبل ، فإنه إن عاود دنوتُ منه ورددتُها على رأسه بعنفٍ وإنكار . فقال يعقوب لعيسى ذلك ؛ فقال له : بأىّ شىء رَدَدْتَ عليه ؟ قال قلت له : إنه محرورٌ ، ولعله قد استأذن الأمير فى ذلك ، أن كان لا يجهَل ما يأتى ويَذَرُ . فقال : والله ما بى أنى محرُورٌ ، وما استأذنتُ ، ولكنى أريد أن يعلم الفضلُ أولاً ، ثم مَن حوله أنه أهونُ علىّ وأدقُّ فى عينى ما دامَ صاحبى – أعزَّه الله – حيًّا ، من هذه الشعرة – وقبَع شعرةً من عُرْف دابته – ومن فوق نُعَيْم ، فضلاً عن نُعَيْم ، أشدُّ تهيُّباً للاقدام على

بشيء أنكره ، فلا يدخلك من قولهم شيء ، وعرّف نعيم ابن حازم ما قلته »(١)

ونظير هذا النبأ ما أورده هلال بن المحسّن الصابئ المتوفى سنة ٤٤٨ للهجرة ، قال : « وحدثني جدّي (أبو إسحق إبراهيم الصابئ) أن المكنّى أبا الهيثم حضر يوماً في دار عضد الدولة وأخذ عمامته من رأسه ووضعها بين يديه ، ورآه بعض أصحاب الأخبار فكتب بما كان منه ، وخرج أستاذ دار ، فخرّق به وشتمه ، وأخذ العمامة وضرب بها رأسه حتى تقطّعت قطعاً ، ووكل به واعتقله . فسئل فيه عضد الدولة ، وقيل : هذا رجل محرور الرأس ، ولا يستطيع ترك العمامة على رأسه ، وإنما فعل هذا لذاك ، لا لجهل بأدب الخدمة . فبعد مراجعات ما . أمر باطلاقه »(٢)

(بغداد) **ميخائيل عواد**

الى الدكتور زكى مبارك

قرأت بمزيد الأسف ما كتبته في رسالة هذا الأسبوع من حديث تهكمت فيه بمن يدرس اللغات الميتة كما تسميها أنت ، ونعيت فيه على الجامعة المصرية التي تعنى بإحياء ما اندثر وباد وانقطعت صلته بالحياة ، وأنا في هذه الكلمة أضرب صفحاً عما أدخلته في هذه المسألة من جوانب شخصية ، فإن هذا لا يعنيني ، وإنما أنفذ إلى لب المسألة فأقول :

يؤسفني أن أرى الدكتور زكى مبارك — وهو الرجل العظيم الذي أحبه أشد الحب وأعجب بشخصيته أعظم الإعجاب — يتجرد من ثياب العالم الواسع الأفق والباحث الطويل الباع ، وكيف يكون عالماً واسع الأفق وباحثاً طويل الباع من يجهل صلات اللغة العربية بهذه اللغة الميتة ؟ كيف يكون كذلك من يجهل أن خدمة اللغة العربية خدمة صادقة حقاً تستلزم معرفة واسعة بلغات عاصرتها في أجيال طويلة من التاريخ فأثرت فيها وتأثرت بها ؟ بل كيف يكون كذلك من يريد أن يفهم لغة بله أن يدرسها فلا ينظر إلى أخواتها التي تفرعت معها من أصل واحد ؟

هل يصح في أذهان العلماء أن تدرس اللغة العربية دراسة لغوية لا تستند إلى مقارنات شتى بينها وبين العبرية والسريانية وسائر الأخوات ؟ وهل ينكر أثر اليونانية واللاتينية في قاموس اللغة العربية ؟ ثم هل ينكر وجوب دراسة الصلات بين الآداب السريانية والعبرية والأدب العربي ، تلك الصلات التي لم أجد أحداً تنبه إليها حتى الآن إلا البعض القليل ؟ ثم هل ينكر أثر الوراثة الأجنبية فيما نظمه ابن الرومي وأبو تمام ؟

لئن كان الفرنجة يدرسون اللاتينية واليونانية كوسيلة لدراسة لغاتهم ، فنحن يجب علينا أن ندرس اللغات السامية أولاً ثم اللاتينية واليونانية ثانياً لدراسة لغتنا العربية التي نتعشقها ونفني أعمارنا في خدمتها

السيد يعقوب بكر

حول مقال الأستاذ المازنى

يقول الأستاذ في مقاله تحت عنوان « بطولة محمد » في العدد (٤٤٩) الهجرى ما نصه :

« فما كان صلى الله عليه وسلم يعني بالاشتراك في القتال بسيف أو رمح ، وكان يشهد المعارك ويصحب رجاله ، ولكنه لا ينزل إلى الحومة بنفسه ولا يخوض المعمعة مع أنصاره ، وإن كان يوجههم »

وهذا يخالف الواقع والتاريخ ؛ فقد ثبت أنه كرّ على الأعداء في بعض الغزوات كراً عنيفاً قائلاً متحمساً : « أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب » وثبت أنه كسرت رباعيته وجرح حتى سال منه الدم ، فجعل يمسح الدم ويقول : « كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم » ؟ وفي تفسير الكشاف الجزء الأول ص (٣١٤) في ذكر غزوة أحد ما نصه : « وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وأمّر عبد الله ابن جبير على الرماة وقال لهم : انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا »

---

(١) الوزراء والكتاب (ص ٣٩٤ طبعة مزيك) = (ص ٣١٠ — ٣١١ طبعة السقا والابيارى) وشلبي) = (ص ٢٥٤ — ٢٥٥ طبعة الصاوى)

(٢) رسوم دار الخلافة (المخطوط ؛ الورقة ١٠٦ أ) ؛ وهو كتاب حققناه وعلقنا عليه وأعددناه للنشر

وفى الجزء الأول من السيرة الحلبية ص (٥٥٠ ، ٥٥١) فى غزوة بدر أنه صلى الله عليه وسلم أخذ ثلاث حصيات فرمى بهن فى وجوه المشركين يمنة ويسرة ، وحين رمى بذلك قال لأصحابه شدوا ، فكانت الهزيمة . وأنزل الله تعالى : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » . وقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بنفسه قتالاً شديداً »

هذا وغيره كثير يدل دلالة واضحة أن رسول الله خاض المعمعة بنفسه وقاتل بسيفه

ابراهيم محمد عيسى
إجازة القضاء الشرعي

مات حتف أنفه

تحت هذا العنوان كتب الأديب خالد الشواف كمة فى البريد الأدبى بعدد (الرسالة) الأخير تساءل فيها : كيف يمكن التوفيق بين ما روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه من قوله : « ما سمعت كمة غريبة من العرب إلا وسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمعته يقول : «مات حتف أنفه». وما سمعتها من عربى قبله » ، وبيّن ما يروى للسموءل بن عادياء من قوله فى لاميته :

وما مات منا سيد حتف أنفه ... ولا طل منا حيث كان قتيل ؟

وطلب الأديب الإجابة عن هذا السؤال ممن يشاء من القراء فاليه الجواب :

رويت هذه القصيدة لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثى ، وهو شاعر إسلامى شامي من شعراء الحماسة . ولئن اعتمدنا هذه الرواية فلا إشكال ... على أن البيت فى بعض الروايات هكذا : (وما مات منا سيد فى فراشه ... الخ)

قال الخطيب التبريزى تعقيباً على هذه الرواية فى شرحه للبيت فى الجزء الأول من الحماسة صفحة ١١٣ ، تحقيق الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد : (وهذه الرواية رواية من يجعل القصيدة جاهلية) . وعليها فالبيت منى بالتحريف ، وكم عدا التحريف البغيض على آثار العبقرية العربية الشاعرة

وقد ذهب الأستاذ الزيات فى كتابه « تاريخ الأدب العربى » صفحة ١٧٧ الطبعة السادسة ، إلى أن ما روى عن علىّ دليل على أن قصيدة السموءل منحولة كلها أو بعضها ...

ولعل فى هذا ما يكشف الريب

محمد فهيم عبيد

عام الفيل ومولد الرسول

فى بريد العدد ٤٥١ من (الرسالة) ، يذكر الأديب الفاضل على محمد حسن فى الفقرة الثالثة من كلمته « فى مطالعاتى » أن النبى صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل الموافق سنة (٥٧٠ م) وبالرجوع إلى العدد ٣٤٩ من (الرسالة) ، نرى الأستاذ البحاثة المرحوم « إسماعيل أحمد أدهم » فى مقالة له عنوانها « عام الفيل وميلاد الرسول » يثبت ويؤكد بالأدلة القاطعة ، أن عام الفيل كان يوافق سنة (٥٤٠ م) ، وميلاد الرسول يوافق سنة (٥٧٠ م) . وهذا يدل على أن الصلة مفصومة بين ميلاد الرسول وعام الفيل ، وأن محمداً صلوات الله وسلامه عليه ولد بعد عام الفيل بنحو ثلاثين سنة ، ويوجه فى ختام بحثه أنظار المشتغلين بالتاريخ الإسلامى ، وخاصة أساتيذ الجامعة إلى هذه الحقيقة . ورجا أن يكون فى « بحثه هذا » تصحيح لما تجرى به أقلام الباحثين في العالم العربى ، من أن رسول الله ولد عام الفيل

وبعد . فإلى الأديب الفاضل أقدم هذا البحث القيّم للاطلاع عليه فى ص ٤٥٠ من العدد ٣٤٩ فى السنة الثامنة من عمر « الرسالة » المديد

وإلى جمهرة المؤرخين الأفاضل ، أرجو بسط هذا الموضوع وبحثه على صفحات « الرسالة » الغراء لحيويّته وخطورته بالنسبة لتأريخ مولد سيد العالمين ، وحقيقة صلة هذا الميلاد بعام الفيل

(ديروط) **أحمد محمد فرج**

حكم فى القضية المستأنفة رقم ٦٨٠٤ سنة ١٩٤٠ بتاريخ ٤ يونية سنة ٩٤٠ ضد محمد رفعت عامر سكنه شارع خيرت بتغريمه ١ جنيه لبيعه عدساً بسعر أزيد من التسعيرة .

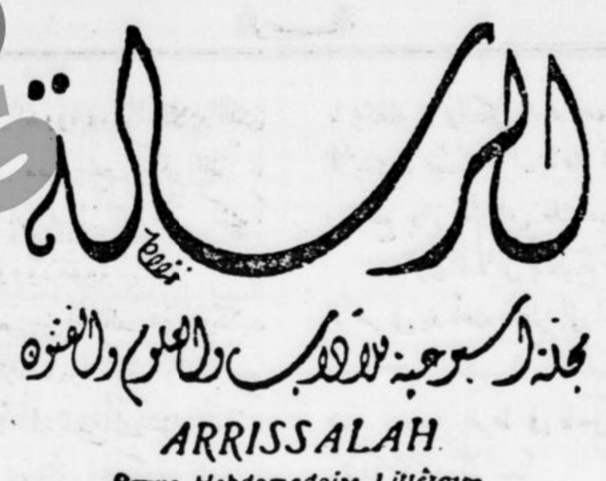
طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين

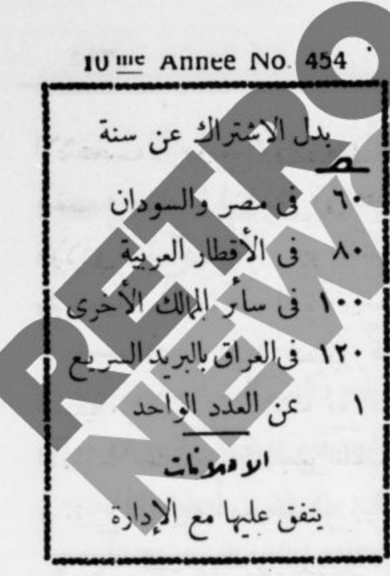


10 me Année No. 454 — Lundi - 16 - 3 - 1942

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠




بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٥٤ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٩ صفر سنة ١٣٦١ — الموافق ١٦ مارس سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـــــرس

بين ناخب ونائب

بين غداة وعشية أمسى غنيُّنا الطافح عضواً بالتزكية في مجلس النواب . والفوز بالتزكية هنا معناه امتناع المنافس لا انقطاع النظير ، وخلو الميدان لا بطولة الفارس ؛ ومع ذلك نصب البك السرادق ، وقدم الحلوى ، وتقبل التهنئات ، وسمع بأذنيه الطويلتين القصائد العُور والخطب البُتْر في الإشادة بالكفاية العالية فيه ، والثقة الغالية به ، والخير المرجو منه . وللريف شعراء وخطباء كعصافير الحصاد : تقع في الجرن ولا تقع في الروض ، وتزقزق للحبة ولا تزقزق للزهرة ، وتكرر أغرودتها الواحدة ولا تقصد بها معنى غير فرحها هي بسعة البَيدر وضخامة العُرمة !

ولكن البك وحده هو الذي صدق هذه التفاعيل العَروضية فانتفش انتفاش الديك ، وراح يَعِدُ ويُمنّي ، ويُعدِّدُ ويَمُنّ ، ويفخر ويفيش ، وزعم أنه باجتهاده وجهاده سيجعل المجلس يبسط الأرزاق ، ويطيل الأعمار ، ويضمن لكل ناخب في دائرته قصراً في الدنيا وقصراً في الجنة . كان الرجل يتنفَّخ والناس يجاملون بالإصغاء ، ويتجملون بالصبر ، إلا صديقنا الشيخ منصوراً فقد قال له في شيء من حدة الصراحة وشدة الحِجاج :

— ذلك يا بك كلام من لغة التحيات والمجاملات تردده الألسن بحكم العادة ولا تريد به شيئاً . هو أشبه بقولي : (أهنئك بالفوز) وما كنت أريد انتخابك ، أو قول اللص : (السلام عليك) وهو يريد انتهابك . ولو كانت الوعود البرلمانية في آخر

الانتخاب، والبرامج الوزارية في أول الدورة، من الكلام الذي يقصد به معناه، لما بقي في صحارى مصر شبر يشكو الظمأ، ولا في مساكين مصر فرد يشكو الجوع! لقد قلتم كثيراً ولم تفعلوا، فحاولوا هذه المرة أن تفعلوا ولا تقولوا!

— أنت يا شيخ منصور كالضرس المخالف في دولاب الساقية! لا يجرى كلامك مع الكلام، ولا يقف رأيك مع الآراء! ماذا تريد أن يفعل النائب أكثر من أن يمثل الأمة، ويشرع القوانين، ويبحث الميزانية، ويراقب الحكومة؟

— ذلك هو المفروض يا بك! أما الواقع فهو أن بعضكم متى دخل البرلمان لا يمثل إلا نفسه، ولا يقضي إلا حاجَه، ولا يراقب إلا عدوه. ويصوت على القانون في قاعة المجلس بالإقرار، ثم يكون هو أول من يطلب خرقه في ديوان الحكومة بالوساطة!

إن ما يُطلب من الحكومة والبرلمان في شؤوننا العامة، لا يزيد كثيراً على ما يُطلب من صاحب العزبة في شؤونه الخاصة: استصلاح الأرض والانتفاع بكل ما فيها؛ ثم تدبير القوت والصحة والمعرفة لكل من يقوم عليها. ليس لنا مستعمرات تقتضي إدارتها النشاط والحكمة، ولا أسواق تجارية تطلب مراقبتها الذكاء والخبرة، ولا سياسة خارجية تحتاج معالجتها الدهاء والقوة. ها هي ذي عشرون سنة مرت على مصر ولها استقلال وفيها برلمان، فهل تستطيع أن تقول إن المصري الآن، أصبح خيراً مما كان؟ إن هذه العشرين سنة غيرت نُظماً وخلقت أمماً وقلبت الدنيا كلها رأساً على عقب؛ ولكنها مرت على النائمين في الكهف مرور الحلم المزعج، حرك الأجسام بعض الحركة، وترك المشاعر ساكنة كل السكون.

— ما هذه الفلسفة يا شيخ منصور؟ هل تستطيع أن تقول لي أنت متى تركوا الحكومة تستقر، وخلوا البرلمان يعمل؟ إن الدستور في الأمة كالمصباح في الصحراء، لا ينشر ضوءه إلا إذا تركته الرياح آمناً

— لو تفلسفت يا بك كما أتفلسف لتبينت أن استقرار الحكومة واستمرار البرلمان لا يكونان مع سياسة الكلام، فإن سياسة الكلام هي سياسة الفراغ، وإذا شغلها شاغل فهو المراء والمكابرة والمهاترة والخصومة. وكلما علا صوت على صوت، وظهرت دعاية على دعاية، انقلبت الأوضاع، وتغيرت المكاتب، وتبدلت المناصب، وتعطلت المواهب، وتقوض المبنيُّ، وانتكث المفتول، وتوقف السائر. أما سياسة العمل فهي لكل ذهن ما يشغله، ولكل يد ما تعمله. وإذا اشتغلت الأذهان وعملت الأيدي، عيّت الألسنة فلا تجادل، وائتلفت القلوب فلا تختلف، وانقطع دابر القوالين فلا تعود الحزبية تجارة ولا السياسة حرفة

— إن الدلائل يا شيخ منصور تبشر بصلاح الحال. وما دام الأمر في يد أهله فانظر إلى المستقبل نظر المتفائل الآمل

— لا تكلني إلى المستقبل يا بك. إن من يضيع يومه لا يجد غدَه. ومن يفرط في عاجل الشهادة طمعاً في آجل الغيب كان حقيقاً ألا يدرك شيئاً

— وماذا تريد أن أصنع لك الآن؟

— أريد أن تنزل عن مكافأتك النيابية لدائرتك الانتخابية. إنك والحمد لله ضخم الثراء رفيغُ العيش، فلا أقول إنك طلبت النيابة كما يطلب الناس الوظيفة. وإن أربعين جنيهاً في كل شهر تقسم على ثماني قُرى لا تدع فيها أميّاً واحداً قبل انقضاء الدورة. ولا أعتقد أنك تؤدي إلى أمتك في طول نيابتك عملاً أرفع ولا أنفع من هذا العمل. إنك تعلم أن في مركزين من مراكز الغربية ثلاث عيلات تملك سبعة وعشرين ألف فدان، وتشغل سبعة كراسي في البرلمان، تكافأ على شَغلها بأربعين ألف جنيه في العام؛ فقدر في نفسك يا بك ماذا يجدي على دوائرهم الفقيرة هذا المبلغ وهو لا يقدم في ثرواتهم العريضة ولا يؤخر

— ولكنك تطلب ما لا يطلبه أحد في أمة من الأمم

— وهل تجد في أمة من الأمم فقراء في مثل فقرنا يعطون، وأغنياء في مثل غنا كم يأخذون؟ إن النيابة عندهم بذل وتكليف، ولكنها عندنا ربح وتشريف. وإن أكثركم ليسخو بالآلاف في سبيل الدعاية لها والظفر بها؛ فهل يضيركم أن تنزلوا لنا عن هذه العشرات فتحفظوا مهجاً من التلف وعقولاً من الجهالة؟

— كلامك يا شيخ منصور سديد ورأيك أسد. وإني أعدك ألا أعارض إذا قبِل الآخرون

— أي آخرين تريد يا بك؟ ولم لا تسن أنت هذه السنة الحسنة فيكون لك أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم يحل المجلس؟

— يحل المجلس؟ قل إلى يوم تنتهي الدورة يا شيخ؟ فأل الله ولا فألك! لقد شغلتنا بثرثرتك عن تحية الناس. ثم أشاح البك عن الشيخ وأقبل على المهنئين يوزع عليهم تحياته الشريفة! فلما أعدناها على ترتيبه خرجت لحسن حظ الأدب منظومة في هذا البيت:

أهلاً ومهلاً، طيبون، وحشتنا ... سلمات، إزّيك، وكيف الحال؟

(المنصورة) **احمد حسن الزيات**

بين آدم وحواء :

تحت شجرة التين

للدكتور زكي مبارك

جاهد آدم نفسه في حدود ما يطيق ... وماذا يطيق المرء وهو يجاهد النفس في أهواء تسوقها امرأة ؟ سينتهي أمره إلى الهزيمة ، إلا أن تؤيده قوة ربانية تصرف عنه السوء وترده إلى الاعتصام بالعقل . والحكمة يعلمها الله ضعف آدم عن مقاومة حواء ، ودعاها إلى التلاقي تحت شجرة التين

وهنا يذكر شيث في كتابه أن حواء تلكأت في الاستجابة لذلك الدعاء ، ولزمت مكانها تحت شجرة الطلح ، كأنها تريد أن تحمله على الإلحاح فيكون البادئ بالعصيان

ولو تأمل شيث قليلاً لذكر تعليلاً غير هذا التعليل ، فالرأى عندى أن حواء توهمت أن لآدم رغبة في شجرة التين ، وأن تمنّعه لم يكن عن صدق ، وإنما كان يريد أن يحمّلها تبعة العصيان

والحوادث تؤيد هذا الافتراض ، فما كاد آدم يخبر حواء بأنه سيسايرها فيما تريد حتى فترت رغبتها في قرب الشجرة المحرَّمة ، وأعلنت اكتفاءها بما أحلّ الله من طيبات الفردوس

فما معنى ذلك ؟ وما مغزاه ؟

معناه أن حواء تحب أن تسلك في جانب يغاير ما يسلك آدم من الجوانب ، فقد أحبت حواء التين حين ثار آدم عليه ، ثم زهدت فيه حين رأته من هواه ، وإلا فكيف جاز أن يدعوها فلا تجيب وهي التي قهرته قهراً على أن يذعن لما تريد من قرب شجرة التين ؟

وابتسم آدم حين رأى حواء تهدأ بعد ثورة وتلين بعد شِماس ، ثم حمد الله على انحسار النقمة وانجلاء الضيق ، وأخذ في الاستغفار من الذنب الذي اقترف . فقد حدّثه الضمير بأنه أذنب بالفعل ، وإن لم يذق الثمر الممنوع ، لأن نية السوء لا تقل بشاعة عن السوء في نظر الأخلاق ، وكان آدم يعرف أنه يعامل الله ، والله يحاسب على النيات بأقسى مما يحاسب على الأقوال والأفعال ، لأنه يحب لعباده أدب الملوك لا أدب العبيد

ثم نظر آدم فلم يرَ حواء ، فأين ذهبت ؟

فتش عنها في غياضٍ كثيرة ، وسأل عنها أسراباً من الطير والظباء فلم يظفر بجواب ، فأين ذهبت ؟ وكيف ضاعت ؟ وما السبيل إلى مكانها في الجنة الفيحاء ؟

أتكون غضبتْ من طاعة آدم وكانت تحب أن يتمرد ؟

لقد خطر لآدم هذا الخاطر ، فقد علمته التجارب أن حواء لا تتمتع بالصحوة الجسدية والروحية إلا في أوقات الخلاف . وهل ذاق آدم حلاوة حواء إلا في لحظات الثورة على الأوامر الربانية ؟

أمرُ هذه المخلوقة أعجب من العجب ، فهي لا تحلو ولا تطيب إلا عند النضال ، وهي تفقد كل قيمتها حين تتناول شؤون الحب في طاعة مجردة من الإحساس ، كالطاعة التي تصدر عن فتاة لم تبلغ سنّ الكيد ، وكيدُ المرأة إثمٌ جميل !

فكّر آدم طويلاً في غيبة حواء ، وانزعج حين خطر له أن تكون حُرِمت الثورة على ما ترى وما تسمع ، وأنها لذلك سكنت إلى العزلة في جُنَينة مهجورة يسقيها نُهيرٌ مجهول من رواضع الكوثر وهي رواضع تُعدّ بالألوف[1]

وعاد آدم إلى نفسه ليعرف حاله في غيبة حواء ، فصحّ عنده بعد التأمل أن العبادة الصحيحة لا تكون إلا بالجهاد ، ولا جهاد بدون أهواء .

يجب أن يكون في الوجود حرامٌ وحلال ، لنشعر بالذاتية في قرب هذا واجتناب ذاك ، وإلا صرنا خلائق تواجه الوجود بلا اكتراث ، وإذا انعدم الاكتراث فقد انعدمت الأخلاق . وقد يكون العصيان عن نية أفضل من الطاعة بلا إحساس ، لأن المهمّ أن نُدان حين نعصي ، ونُثاب حين نطيع ، ولا يتمّ ذلك بغير النية الواضحة فيما نباشر من مختلف الأعمال .

أتكون حواء ترهّبت فلاذت بأحد الكهوف ؟

ذلك ما خاف آدم أن يكون ، فالترهب نذير الموت ، وهو يكره لحواء أن تموت .

وكيف يعيش آدم إذا غفا كيد حواء ؟

---

(١) الرواضع هي النهيرات التي تأخذ زادها من النهر الأعظم ، أما الروافد فهي النهيرات التي تمده بالسيول .

لقد أبدعته إبداعاً وأنشأته إنشاء ، حين تولّت إضرام الجمر المكنون في قلبه الوسنان ، وآدم رجل ، والرجل يحفظ الجميل .

ومرّ حينٌ وأحيان وأحايين وحواء لا تعود .

وشعر آدم بانعدام أسباب الثورة والهدوء فأيقن بقرب الفناء

وما حياةُ الرجل إذا خلت من الأحلام والحقائق والأباطيل ؟

ما حياته إذا حُرِم التنقل من ضلالٍ إلى هدًى ، ومن هدًى إلى ضلال ؟

قيمة الرجل بالجهاد ، ولا جهاد بدون أهواء ، وقد أمسى صدر « آدم » وهو جلمود أملس لا ينبت الأزهار ولا الأشواك ولا يثبت فوقه تراب ولا ماء

والتفت « آدم » فرأى من الخير أن ينقطع للاستغفار ليتوب الله عليه ، وهل أذنب حتى يتوب ؟

إن كان كل حظه من المعصية أنه رضي مسايرة « حواء » ، وقد ذهبت « حواء » ولم يبق موجب للقنوت والابتهال

الموت أفضل من حياة تخلو من مقارعة هوى النفس في كل يوم . والرجل الذي يواجه المعاني بقلبٍ أغلف شبيهٌ بالرجل الذي يطالع سفر الوجود وهو معصوب العينين . وهل كان الموت فناء إلا لأنه يصدنا عن صنع الخير واجتراح الآثام ؟

وما طعمُ الاستغفار على لسان من لم يذنب ؟ وما لونُ الطاعة في عين من لم يقاوم الأهواء ؟

لقد مات « آدم » وهو حي ، فلم يعُد يدرك ما في الفردوس من سِحر وفُتون

كان « آدم » يجد لذة في ضرب « حواء » ، فأين هي الآن ليتمتع بلطم خدها الأسيل ؟ !

وكانت « حواء » تجر « آدم » إلى مآزق تُشعره بقوة الحيوانية ، فأين هو اليوم من تلك المآزق ؟ وأين سبيله إلى الفتك والجنون ؟

لقد خلت حياته من جميع المعاني بعد غيبة « حواء » ، وما كان يعرف أنها تملك من الروحانية الأثيمة ذلك الحظ العظيم

وانطلق « آدم » يراود معاهد الحب ، علّه يجد « حواء » مختبئة في بعض ألفاف البواسق ، على نحو ما كان يقع في الأوقات السوالف ، ولكنه لم يظفر بغير اليأس

أين « حواء » ؟ أين « حواء » ؟

أين الصبية الجميلة التي أوحت إليه فكرة الثورة على الشرائع ؟

أين الخلقة الحلوة التي زينت له طعم العصيان ؟

كان آدم يشتهي جميع ما في الجنة من أطايب قبل أن تفارقه حواء ، ثم أمسى وهو موقوذ الشهية بسبب الفراق ، وهل تطيب الحياة لمن يعيش بلا أنيس موسوم بالصباحة والجمال ؟

ذلك نعيم ذهب ، وأمل ضاع ، فليقتل آدم نفسه إن شاء

هي امرأة مخبولة ، ولكنها مشتهاة ، والشهوة رزق من الأرزاق ، وإن قيل في تجريحها ما قيل

كان آدم يهز الشجرات المثمرات ليُطعم حواء ، وهو اليوم يرضى بما يسقط من الثمر المعطوب ، إن يَبق له شيء من نعمة الجوع ، والجوع نعمة لا يحسها غير الأصحّاء

كان لآدم في الجنة تاريخ بسبب اللجاجة التي كانت تثور عن حواء من حين إلى حين ، فما حياته وقد أمسى مغسول القلب والروح والوجدان ؟

أيعبد الله بالاستغفار ؟ ومم يستغفر وهو مقتول الأهواء ؟

أيسبّح لله ؟ وكيف ؟ إن التسبيح تنزيه وهو معنًى لا يُدرَك بغير القياس ؟

لو عادت حواء لاستطاب آدم شجرة التين ، ولكن متى تعود ؟

لقد اكتفت الشقية بأن تطمئن إلى أنها مصدر ضلاله وهداه ؛ وكذلك رأت أن تتركه في حيرة دامية عدداً من الأعوام العجاف ؛ وبغيُ المرأة لا يحتاج إلى برهان

استيأس آدم فرضي بالازواء في أحد الأدغال ، وعند ذلك شعرت حواء بالشوق إلى مصاولته من جديد ، والمرأة يؤذيها أن يهدأ الرجل ، ولو كان في المحراب

— آدم ! آدم !

— حواء ؟

— نعم ، حواء ، ألا تراني ؟

— كنت حسبت أنكِ ذهبت إلى غير مآب

— قبل أن نأكل معاً من شجرة التين ؟ هذا مستحيل !

— وهل نعصى الله يا حواء ؟

— سترى أن المعصية طيبة المذاق (؟ !)

وتنبّه آدم فرأى أنه مقبل على خطر جديد ، فدار الحوار بأسلوب جديد

(للحديث شجون) **زكي مبارك**

النبي المقنع

بقلم الأمبراطور نابليون بونابرت

نقلها الى العربية عن الترجمة الانجليزية [1]

الأستاذ ابراهيم عبد الحميد زكى

مقدمة

لا تنحصر أهمية هذه القصة فى كونها أثراً من آثار رجل عظيم فحسب، بل تتعدى ذلك إلى ما تكشف للناس عنه من اتجاه نابليون وطموحه قبل أن تتيح له الثورة الفرنسية فرصة إظهار عبقريته ونبوغه فى الحرب والقيادة. فقد كان نابليون حتى عام ١٧٨٩ ضابطاً صغيراً فى الجيش الفرنسى، ولم يكن قد ظهر له من المواهب شئ يسترعى الأنظار، وكانت أسرته الكورسيكية قد أخنى عليها الدهر وقضت الأيام بأن تعانى شدائد العسر والضيق المالى، فرأى الشاب أن يحزم أمره ويعقد عزمه على إصلاح شئونها وتفريج كربتها بالالتجاء إلى الأدب عسى أن يظهر فيه ويذيع اسمه فينال من الشهرة ما يكفل له رواج كتبه وسعة رزقه، فاتجه بجميع قواه نحو تحقيق هذه الغاية، وبذل من الجهد العصبى فى هذا الميدان مثلما قدر له أن يبذل فى ميدان الحرب والقتال، فوضع كتاباً فى تاريخ جزيرة كورسيكا وهذبه على الأقل ثلاث مرات؛ وألف رواية كورسيكية أيضاً وعدة قصص صغيرة وبضع قصائد شعرية ومقالات كثيرة. فعل هذا كله ولم يبلغ سن العشرين، ولكن ذلك لم يجد عليه نفعاً ولم يحقق ما كان يطمح إليه، فلم ينشر كتاب التاريخ، وظلت روايته مخطوطة، ولم تر مقالاته ولا قصصه الضوء إلا بعد سنوات كثيرة من تأليفها

ولقد قيل عن قصة «النبي المقنع» إنها محض خيال، وإنها لا تستند إلى شئ من الواقع، ولكن هذا غير صحيح. حقاً إن نابليون لم يتبع الدقة التامة فى ذكر التفاصيل، ولكن هذا لا يعنى أن القصة لا تقوم على أساس تاريخى صحيح، بل إن المرء يلاحظ أنه عرض حوادثها عرضاً تمثيلياً (دراماتيكياً) قوياً. وقد كتبها نابليون عام ١٧٨٧، وجرى فى تأليفها على أسلوب فولتير ونشرت عام ١٨٢١ — أى عام وفاته

القصة

فى سنة ٧٧٦ ميلادية، أى بعد مائة وستين عاماً من هجرة النبي محمد، كان ميكادى [1] خليفة فى بغداد؛ وكان أميراً نبيلاً ذا بأس وقوة، تخشيه جيرانه وتقدروه ويجلوه. وفى ظل حكمه العادل تمتعت بلاد العرب بالسلم والرخاء. وكان الخليفة راعياً للعلوم والفنون فتقدمت الحضارة فى عهده تقدماً سريعاً، إلى أن كدر صفو هذا الهدوء والتقدم قيام متنبئ جديد. ظهر هذا الرجل واسمه حكيم فى مدينة خراسان فتبعه خلق كثير فى وقت قصير. وكان طويل القامة فصيح اللسان فادعى أنه صوت الله على الأرض وقال: إن الواجب أن يكون الناس جميعاً من حيث المراتب والثروة سواء. واستهوى هذا القانون أفئدة الدهماء فهرع إليه ألوف من الناس وكان له بذلك جيش عظيم

ولما رأى الخليفة والنبلاء خطر هذه الثورة عقدوا العزم على خنقها فى المهد؛ ولكن جيوشهم كانت تلاقي الهزيمة تلو الهزيمة فازداد بذلك أنصار حكيم يوماً بعد يوم

وبينما كان هذا النبي فى أوج مجده إذا به يصاب بمرض شديد، وكان هذا المرض نتيجة الجهد المضنى الذى بذله فى المعارك التى خاض غمارها. فلما خفت وطأة المرض ونال الشفاء أيقن أن حسنه قد ذهب، وأنه لم يعد بعد خير رجال العرب

(١) نشرت الترجمة الانجليزية لهذه القصة لأول مرة فى عدد شهر ديسمبر سنة ١٩٠٩ من مجلة Pearson's صفحة ٥٩٣ واسم المترجم الانجليزى سيدنى ماتنجلى Sidney Mattingly

(١) يريد المهدى، ويلاحظ أن رسم Mikadi قريب من Mahdi، فاما أن يكون نابليون قد أخطأ فى النقل، وإما أن يكون المصدر الذى أخذ منه قد وقع فى هذا الخطأ

وأوسمهم إذ كان قد عمى وخبا إلى الأبد ضوء عينيه الرائع

ولما أحس بأن هذا التشويه الطارئ قد يفقده السيطرة على أتباعه والتأثير فيهم، رأى أن يحجبه عن أعينهم بقناع من فضة وضعه على وجهه. فلما فعل ذلك عاد إلى الاتصال بهم والتجول بينهم يخطبهم ويؤثر فيهم بفصاحته المعهودة، فظل الناس مأخوذين بعذوبة لسانه وسحر بيانه كما كانوا من قبل؛ وكان يعلل لهم إخفاء وجهه عنهم بأنه يخشى عليهم أن يبهر أعينهم ذلك الضوء الفياض الخارق للطبيعة الذي ينبعث منه. إذ تبين له أن الظرف الحالى يقضى عليه بأن يعتمد أكثر من ذى قبل على الحماس الدينى الذى أوقد شعلته وأثار كوامنه فى نفوسهم

ولكن هذه الحال لم تدم كثيراً إذ أصيب أتباعه فجأة بهزيمة منكرة على أيدى جيوش الخليفة؛ فكانت هذه الهزيمة صدمة عنيفة وجهت إلى صميم هذا الدين الجديد؛ فهجر حكيما كثير من أنصاره، وتراجع هو ومن بقى معه من أتباع قلائل إلى مدينة محصنة محوطة بأسوار عالية؛ ولكنه لم يلبث قليلاً حتى أحدق به جند الخليفة وحاصروه

وتبين الآن أن أمام حكيم أحد طريقين: فإما أن يموت، وإما أن يحدث له ما هو أسوأ من الموت وهو الوقوع أسيراً فى أيدى أعدائه، فجمع أتباعه وخطب فيهم قال:

أيها المؤمنون! لقد اختارنا الله ورسوله لإعادة بناء هذه الأمة واسترجاع مجد الإنسان؟ فلماذا إذن يثبط من عزمنا ويلقى اليأس فى قلوبنا كثرةُ أعدائنا؟ أصغوا إلىَّ! فى الليلة البارحة والناس نيام سجدت لله طويلاً ودعوته فى حرارة قلت: أبتاه! لقد رعيتنى وحميتنى هذه السنين الطوال فهل أثمت أو أثم أحد من أتباعى حتى تخليت عنا؟ فسمعت صوتاً يجيب: يا حكيم إن أتباعك الذين حافظوا على عهودهم وظلوا معك يناصرونك ولم يتخلوا عنك فى ساعة الحرج، أولئك هم الذين سأنجيهم وأنصرهم، وأولئك هم الذين سيقاسمونك غنائم أعدائهم الطغاة وأموالهم. إنتظر حتى يبزغ القمر الجديد، فإذا بزغ فأمرهم أن يحفروا خنادق فى الأرض كثيرة فيسقط أعداؤهم فيها ويهلكون

ففعلوا ما أمروا به، وحفرت الخنادق والتى فيها مقادير هائلة من الجير، ووضع على حافاتها أوان من النحاس كبيرة ملئت زيوتاً قابلة للاشتعال

وعندئذ أقام حكيم حفلاً كبيراً دعا إليه أنصاره فأكلوا وشربوا من الخمر الذى قدم إليهم

ولكنهم لم يلبثوا أن وقعوا على الأرض صرعى يألمون أشد الألم من السم الزعاف الذى مزجت به الخمر، ثم فارقوا الحياة. وكان حكيم وحده لم يذق هذه الخمر فأخذ جثثهم وألقاها فى الخنادق ليتلفها الجير ثم سكب عليها الزيوت وأشعل فيها النيران؛ فلما تصاعدت أعمدة اللهب والدخان قفز فوق أتباعه فاحترق وكان من الهالكين

وفى اليوم التالى تقدم الخليفة وجيوشه صوب المدينة وأرادوا اقتحامها ولكنهم عند ما اقتربوا من أبوابها وجدوها مفتوحة على مصراعيها بغير حراسة، فوقفوا قليلاً وترددوا خشية أن يقعوا فى كمين أعد لهم؛ ثم دخلوها بعد قليل فإذا بها خالية من الناس، وإذا بالنبى وأتباعه جميعاً قد هلكوا إلا امرأة واحدة من حظايا حكيم

قصة يكاد العقل يأبى تصديقها لغرابتها، وهى تبين المدى البعيد الذى يذهب إليه الناس أحياناً طمعاً فى الشهرة وبعد الصيت

تعليق

هذه هى القصة كما كتبها نابليون وهى تتفق فى جملتها مع الرواية العربية التى سنأتى بخلاصتها فى الأسطر التالية:

ظهر المقنع كما يقول ابن الأثير فى حوادث سنة تسع وخمسين ومائة بمدينة خراسان، وكان رجلاً أعور قصيراً من أهل مرو يسمى حكيما. وكان قد اتخذ وجهاً من ذهب فجعله على وجهه لئلا يرى، فسمى المقنع وادعى الألوهية، ولم يظهر ذلك إلى جميع أصحابه. وكان يقول بالتناسخ فيزعم أن الله خلق آدم فتحول فى صورته ثم فى صورة نوح وهلم جرا إلى أبى مسلم الخراسانى، ثم تحول إلى هاشم؛ وهاشم فى دعواه هو المقنع. وتبعه

خلق كثير من ضلال الناس؛ وكانوا يسجدون له من أى النواحى كانوا؛ واجتمع إليه خلق كثير وظهرت المبيضه[1] ببخارى والصفد معاونين له

وكان يعتقد أن أبا مسلم أفضل من النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل المهدى إليه أبا النعمان والجنيد وليث بن نصر فحاربوه مرة بعد مرة، ثم أنفذ إليه جبرائيل بن يحيى وأخاه يزيد فاشتغلوا بالمبيضة الذين كانوا ببخارى فقاتلوهم أربعة أشهر فى مدينة بومجكت فقتل منهم سبعمائة ولحق منهزموهم بالمقنع؛ ثم سير المهدى أبا عون لمحاربة المقنع فلم يبالغ فى قتاله واستعمل معاذ بن مسلم

وفى سنة إحدى وستين ومائة سار معاذ بن مسلم وجماعة من القواد والعساكر إلى المقنع وأوقعوا بأصحابه وهزموهم، وقصد المنهزمون إلى المقنع بسبام فعمل خندقها وحصنها. ووقع بعد ذلك نفرة بين معاذ وأحد القواد وهو سعيد الحرشى فكتب الحرشى إلى المهدى يقع فى معاذ ويضمن له الكفاية إن أفرده بحرب المقنع؛ فأجابه المهدى إلى ذلك، فحاصر المقنع وأطال الحصار، فطلب أصحاب حكيم الأمان سراً فأجابهم الحرشى إلى ذلك فخرج نحو ثلاثين ألفاً، وبقى مع المقنع زهاء ألفين من أرباب البصائر. وتحول رجاء بن معاذ وغيره فنزلوا خندق المقنع فى أصل القلعة وضايقوه. فلما أيقن بالهلاك جمع نساءه وأهله وسقاهم السم فأتى عليهم، وأمر أن يحرق هو بالنار لئلا يقدر على جثته. وقيل بل أحرق كل ما فى قلعته من دابة وثوب وغير ذلك؛ ثم قال من أحب أن يرتفع معى إلى السماء فليلق نفسه فى هذه النار. وألقى بنفسه مع أهله ونسائه وخواصه فاحترقوا. ودخل العسكر القلعة فوجدها خاوية، وكان ذلك مما زاد فى افتتان من بقى من أصحابه والذين يسمون المبيضة فيما وراء النهر، إلا أنهم يسرون اعتقادهم. وقيل بل شرب هو أيضاً من السم فمات. فأنفذ الحرشى رأسه إلى المهدى فوصل إليه وهو بحلب سنة ثلاث وستين ومائة فى غزواته

وقد كانت هذه الرواية وغيرها معروفة على الأرجح فى القرن الثامن عشر عند أكثر الأدباء الغربيين فاستهوت أنفسهم وأثارت أخيلتهم لغرابتها وطرافتها، ولانتحار المقنع هذا الانتحار المروع، فاتخذها بعض الأدباء والشعراء موضوعاً لقصصهم وأشعارهم. ولعل أشهر من تناولها بشىء من الاحتفال والعناية فى القرن التاسع عشر هو الشاعر الإنجليزى المشهور توماس مور Thomas Moore (١٧٧٩ — ١٨٥٢) وهو صديق الشاعر الكبير لورد بيرون وكاتب ترجمة حياته ورسائله. وقد أفرد لقصة المقنع الجزء الأول من قصيدته الكبرى Lalla Rookh [1] فأثنى النقاد على هذه القصيدة ثناء عظيما لدقة وصف الشاعر للبلاد الشرقية وروحها؛ ولكن هازلت الناقد المعروف أنكر شاعريتها ورأى فيها من آثار الصنعة أشياء كثيرة تفوق ما انطوت عليه القصيدة من روح شعرية صافية[2]

ابراهيم عبد الحميد زكى

(١) يقول سيد أمير على (الترجمة العربية للأستاذ رياض رأفت صفحة ١٩٩): وقد كان أصحاب المقنع يلبسون الملابس البيضاء ولهذا سموا بالمبيضه، كما أطلق على فرقة جديدة أخرى فى «جورجان» اسم المحمرة لارتدائهم الملابس الحمراء، وكانوا يدينون بمبادئ إباحية مفرطة

(١) نشرت عام ١٨١٧

(٢) إرجع فى ذلك إلى كتاب سر وليم ميور عن الخلافة الاسلامية صفحة ٤٧٠ طبعة ١٩٢٤، وإلى دائرة معارف الأدب الانجليزى Chambers's صفحة ٣٦٣ وما يليها

اختباراتى في الأحلام

للدكتور محمد حسنى ولاية

إن الأخذ بنظرية خاصة فى تفسير الأحلام لا يؤدى إلى نتائج صحيحة فى كثير من الأحوال ؛ فرامى الإنسان كثيرة التشعب وظروفه مستمرة التقلب ، وأهدافه تتغير بتغير الظروف والملابسات وتفاوت السن ، وتطور العقلية بحيث يكون من الخطأ أن يولىّ الحالم القبلة التى يرتضيها مفسر الحلم تبعاً لنظريته .

وإنى أرى أنه لا توجد نظرية واحدة يمكن تفسير جميع الأحلام بمقتضاها . ونحن لا نستطيع أن نقول : إن كل حالم ينشد إرضاء رغبات طفلية محتبسة فى العقل الباطن ، أو أنه يسمى إلى توكيد أهمية ذاته فى الحلم ، كما أنا لا نستطيع أن نجزم بأن الأحلام التى تنشأ مما يسميه يونج « اللاوعى الشامل » تتحدى أية محاولة لتبريرها .

إن ما لا نستطيع تبريره ليس معناه أنه لا يمكن تبريره والتدليل عليه . ولا ينبغى لنا أن نقول : إنه لا يمكن الوصول إلى الحقيقة لأنا لم نستطع الوصول إليها ؛ فما زال مجال البحث والاستقصاء متسعاً ، وما زالت العقلية البشرية تسمو نحو الكمال رويداً رويداً على مر الزمن .

على أن هذا ليس من شأنه أن يبخس النظريات التى وضعها علماء النفس حقها ، إذ يكفيهم فخراً أنهم فتحوا أذهاننا للبحث ، واستكشفوا آفاقاً مجهولة من العقل البشرى ، وأرسلوا بصيصاً من النور على كثير من الحقائق . ومع ذلك فإن بعض النظريات التى وضعت تصلح لتفسير بعض الأحلام دون البعض الآخر . ومن الممكن أن يفسر حلم واحد على أساس نظريتين أو أكثر نظراً لتعدد جوانب بعض الأحلام وتشعب مراميها .

كثير من الأحلام تافه القيمة من الوجهة النفسية ، فهو أشبه بالأحاديث العادية التى يدلى بها الشخص بمناسبة وبغير مناسبة ، لأنه لا يستطيع الصمت فى أغلب الأحوال ، فلا بد أن يقول شيئاً أيا كان للتفريج عن الطاقات القائمة فى نفسه .

وقد تعبر الأحلام على وتيرة الأحاديث البادية أو على نمط الرموز البدائية أو على نهج الأفكار والنزعات الطفلية . على أن لبعض الأحلام قيمة المقطوعات الشعرية الرائعة ، أو الصور الزيتية الجميلة ، أو النغمات الموسيقية الساحرة .

يستفسر بعض الناس عن السبب فى كونهم لا يرون أحلاماً إلا فيما ندر ؛ ورداً على هذا أقول : إنه قد يكون راجعاً إلى كون الطاقة الكابتة (الرقيب الحلمي) لديهم قوية بحيث لا تستطيع المنبهات الكامنة فى العقل الباطن التعبير عن نفسها ، وقد يؤدى احتباسها فى السريرة إلى القلق .

ومن الناس من يعبرون فى اليقظة عن أفكارهم ووجداناتهم وعواطفهم بوسائل تشبه وسائل الرجل الفطرى الذى يستعين بالرموز ويعتقد فى السحر لأن قواهم الكابتة ضعيفة ، وهذا يؤدى إلى طغيان عقلهم الباطن على عقلهم الواعى ، فتبدو أفكارهم عجيبة لا يهضمها المنطق لكونها مؤسسة على البدوات مفتقرة إلى الانسجام والتماسك . وقد يبلغ بعض هؤلاء ذروة الذكاء ولكنهم مع ذلك يشبهون الأطفال فى تصرفاتهم ولا يستطيعون تكييف أنفسهم للبيئة . ولما كان هؤلاء يعبرون باستمرار عما يدور فى سرائرهم فى حالة اليقظة فهم لا يدخرون طاقات عقلية مستفيضة تسمى إلى التعبير عن نفسها إبان النوم فى شكل أحلام .

وهاك بضعة أحلام وتفسيرها بإيجاز :

١ — رأى شاب شارع فى الزواج أنه موجود فى غرفة بيضاء مستديرة الشكل ، وقد دهش فى الحلم من طراز الغرفة ولعدم وجود أبواب لها .

وقد قال لى إنه عند ما استيقظ فطن إلى أن الغرفة تشبه صندوق الحلوى الذى يوزع على المدعوين بعد تحرير عقود الزواج

وفى نفس الليلة رأى فى حلم آخر فريقاً من السيدات والرجال والأطفال مجتمعين على شكل دائرى ، وكان هو خارج الدائرة ، ثم ما لبث أن نفذ كالسهم إلى داخلها .

إذا أنعمنا النظر فى هذين الحلمين اتضح لنا أن الأول يعنى عقد الزواج وما يصحبه من توزيع صناديق الحلوى . كما أن وجوده فى غرفة لا أبواب لها يعنى أن هذا العقد قيد لا مخرج منه .

ويمثل الحلم الثانى الزواج نفسه ، فالدائرة ترمز إلى عضو الأنوثة ، والأشخاص يمثلون المحتفلين بالعرس ، ويعنى الدخول إلى الدائرة العملية الجنسية ذاتها

٢ — خطبت شقيقة صديق لى إلى شاب ثم ألغيت الخطبة ، وقد قص على الحلم الآتى :

« رأيتنى فى قاعة إلى جانب شقيقتى ، وجلس إزائى الأستاذ أحمد بدرخان والسيدة أسمهان . وبعد مدة وجيزة أقبل كلبان توأمان ورقصا على نغمات موسيقية »

المقصود من هذا الحلم التحذير من إتمام صفقة الزواج ، إذ هو يعنى أنه إذا تم الزواج فصيره إلى الإخفاق مثلما أخفق زواج الأستاذ بدرخان بالسيدة أسمهان . أما الكلبان التوأمان فدخيلان على الحلم . والسبب فى رؤية الحالم لهما أنه كان يقرأ موضوعاً عن التوائم فى الليلة التى رأى فيها الحلم ؛ على أن رقصهما على النغمات الموسيقية يقصد به التعبير عن السرور بالتخلص من خطيب غير مرغوب فيه

٣ — طلب شاب منذ عشر سنوات يد فتاة فرفضته فتزوج بفتاة أخرى . وقد رأت الفتاة الأولى على أثر إصابة الشاب بكارثة منذ عهد قريب أنها تلبس حذاء ذا كعب مكسور ثم خلعته وناولته زوجة الشاب

يرمز الحذاء فى هذا الحلم إلى الزواج ، وتقصد الحالة به تحقير خطيبها السابق ، ويمثل الكعب المكسور الكارثة ؛ وكأن الحالة تقول لخطيبها السابق : « الآن أسلمك للفتاة التى تليق بك فما أنت أهل لى بسبب وقوعك فى الكارثة التى تمخضت عنها تصرفاتك الشائنة »

واضح من هذا الحلم أنه يمزج حوادث ماضية بأخرى حديثة ، فالعقل الباطن لا يعى الزمن وليس لمحتوياته انسجام ولا ترتيب

٤ — رأى شاب أنه يسير نحو هوة سحيقة بمحض اختياره على الرغم من أنه يعلم أن تصرفه يودى بحياته . وقد قضى نحبه فى اليوم التالى للحلم بأن سار نحو مركبة كهربائية فى شبه ذهول فاصطدمت به

وهكذا تغلبت رغبات العقل الباطن على ميول العقل الواعى لأنها كانت مزودة بطاقات انفعالية كبيرة . وقد كان عيشه رغيداً فلم يكن هنالك داع لالتماسه الموت ، ولكن الميول المحتبسة فى العقل الباطن من زمن بعيد عبرت عن نفسها بطريقة عملية فانتهت حياته إلى هذه النهاية المريرة

٥ — رأت فتاة مخطوبة أنها تملأ طبقاً بأوراق من شجرة سلق بدت فى الحلم على هيئة شجرة عنب ، وقد دهشت من شكلها لعلمها أن السلق ينمو فى شكل عشبى

يمثل هذا الحلم الزواج ، فالطبق يرمز إلى عضو الأنوثة ، والشجرة عضو الذكورة بما تمتاز به من قوة الزحف والتشبث

ولما كان الخاطب أنثوى التكوين مثلته بشجرة السلق ، وكانت تريده كشجرة العنب المثمرة ، وهى تعنى بهذا أنه لا يستطيع إنجاب أطفال

٦ — رأت فتاة أنها فى قطار يجرى بسرعة شديدة بين بساتين دانية القطوف حتى وصل إلى بحيرة جميلة أينعت على صفحتها زهور النبات الطافى ، وسبحت فيها قوارب خضراء

يمثل هذا الحلم رغبة الفتاة الدفينة فى الزواج وإعقاب الذرارى فالقطار يمثل الرجل ، والبحيرة ترمز إليها ، والقوارب تعنى الأطفال

٧ — رأت سيدة نفسها ترتدى ثوب الزفاف وتتزين كالعروس . كانت هذه السيدة مريضة بمرض خطير يستدعى إجراء عملية جراحية وكأنها تقول فى الحلم : « سأسمح بإجراء العملية الجراحية فإذا شفيت فسأستقبل حياة جديدة »

وقد تحققت نبوءتها ، فأجريت لها العملية وشفيت

(البحث الآتى « أحلام اليقظة ») **محمد حسنى ولاية**

حاجتنا إلى معهد أثنولوجي

بجامعة فؤاد الأول

للأستاذ محمد جلال عبد الحميد

نعرض في هذه الكلمة الموجزة لضرورة العمل على إنشاء معهد ومتحف بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول يكون الغرض منهما دراسة الإنسان وجميع عناصر نشاطه المادى والروحى فى المجتمعات البشرية المحدودة المدنية[1] . وفى هــذا المعهد يعنى بوجه خاص بدراسة سكان حوض النيل وأثر البيئة الجغرافية فى حياتهم

وسنتكلم أولاً عن المقدمات والأسباب التى نشأت عنها فكرة وجود معهد الأتنولوجية وملحقاته ، ثم ننتقل بعد ذلك للحديث عن الطرق والوسائل والخطوات التى يمكن اتباعها للوصول إلى تحقيق فكرة وجود هذا المعهد، مراعين فى ذلك الحالات المادية والمستوى العلمى بمصر فى الوقت الحاضر . وفى النهاية نعرض لبرنامج الدراسة فيه وجمع الأشياء وترتيبها بالمتحف

***

كيف بدأت البحوث الأثنولوجية بمصر

(ا) المؤسسات العلمية بمصر

إذا استثنينا بحوث « جيرارد » Girard أحد أعضاء الحملة الفرنسية ووصفه الشامل لبعض نواحى الحياة المصرية ، وألقينا نظرة عامة على تاريخ المؤسسات العلمية بمصر ، ثم تصفحنا بحوثها الاثنوجرافية وقسنا مجهوداتها لنلمس ما قدمته من فوائد لعلم الاجتماع بوجه عام ، ولإتنوجرافية حوض النيل بوجه خاص، وجدنا أن الجمعية الجغرافية الملكية[1] هى أسبق تلك المؤسسات إلى تحديد غايتها من حيث العمل على دراسة البيئة الجغرافية والاجتماعية بحوض النيل ، إذ نقرأ فى منهجها الموضوع عام ١٩١٨ : أن « الجمعية ترغب بوجه خاص فى توسيع وتهذيب البحوث الاتنولوجية » :

(La Societé désire étendre le champ de ses études et développer plus particulièrement les études éthnologiques[2])

وجاء في موضع آخر من هذا المنهج أن « البيئة الجغرافية لا تدرس إلا فى الحالات التى تتأثر بها طرق حياة الإنسان » :

(Nous n'étudierons le Milieu que dans la mesure où il conditionne les modes de L'existence de l'homme[3])

ولتحقيق تلك الغاية اتبعت الجمعية الجغرافية عدة طرق، منها القيام بعمل بحوث علمية على البيئات الجغرافية بحوض النيل والأمم والقبائل المنتشرة فوقه لتحديد مميزات تلك البيئات ومعرفة اختلاف تلك القبائل والأمم من حيث الجنس والعادات والتقاليد ونوع نشاطها المادى ، وأن تتعهد الجمعية بنشر تلك البحوث وإلقاء المحاضرات التى تعالجها . يضاف إلى هذا أنها أنشأت متحفاً بدارها يضم كثيراً من أنواع الحرف والصناعات التى يمكن اعتبارها إلى حد ما من مميزات البيئة المصرية ممثلة فى مدينة

---

(١) استعمل علماء الاجتماع والأتنولوجيا اصطلاحات مثل : « Societés Primitives », « societés non-civilisées », « Societés Sauvages », « Societés Archaiques », etc...

وهذه تعبيرات مختلفة تدل على الأمم والقبائل الزنجية وغيرها من سكان أفريقيا وآسيا وأمريكا واستراليا التى ما زالت تتبع فى تفكيرها وحياتها نظاماً بسيطاً خلواً من التعقيد والتنوع اللذين تمتاز بهما حياة الأمم الراقية ؛ ولكنا نفضل هنا استعمال عبارة « الأمم ذات المدنيات المحدودة » عن غيرها من العبارات السابقة ؛ وذلك لأنه لا توجد الآن أية أمة أو جماعة بشرية مهما تضاءل حجمها أو اختلفت بيئاتها الجغرافية بدون مدنية ، وهذه المدنية هي بدورها خليط من مدنيات متعددة ولها تاريخ وأوضاع معينة

(١) أنشئت هذه الجمعية فى عهد الخديو اسماعيل باشا بمرسوم تاريخه ١٩ مايو سنة ١٨٧٦ أنظر « الجمعية الجغرافية الملكية » دليل للزائرين تأليف هنرى مونيه مصر عام ١٩٣٤

(2) Societé Sultanieh de Géographie et son Programme de travail; P. 1; 1919.

(3) Idid; P. 3.

القاهرة[1] . ولها أيضاً مكتبة غنية بما فيها من كتب ومراجع تاريخية وجغرافية عامة

ولو حاولنا أن نحصى نتائج البحوث العلمية التى قامت بها الجمعية منذ نشأتها إلى اليوم لظهر لنا أن قيمة هذه النتائج محدودة ، وخصوصاً إذا قيست هذه النتائج بما استنفد فيها من مجهودات فى مدة خمس وسبعين سنة تقريباً . إذ أننا لم نر لها بحثاً علمياً كاملاً فى أية ناحية من نواحى الحياة المصرية ، أو بما له اتصال مباشر بحوض النيل . هذا إذا استثنينا بعض المقالات والفصول التى تظهر بين وقت وآخر فى مطبوعاتها ؛ فهى أقرب إلى أن تكون إعلانات عن موضوعات يتناولها فيما بعد علماء مختصون يعنون بدراستها دراسة علمية منظمة . ولا تزال تجهل كثيراً من الظواهر الاجتماعية والدينية واللغوية بحوض النيل . ولا تزال تجهل أيضاً كيفية تعليل تلك الظواهر وتحديد أوضاعها

وأما قسم المحاضرات بالجمعية الجغرافية فإنه لم ينهض لتحقيق الغرض الذى أنشئ من أجله ، إذ لم يعمل على تنظيم إلقاء المحاضرات العلمية التى تتناول فى مجملها دراسة أحد الموضوعات والمشكلات التى هى وليدة البيئة المصرية وغيرها

ولعل سبب هذا الجمود الملحوظ من جانب الجمعية الجغرافية الملكية يرجع إلى أنها هيئة لم تشرف عليها الحكومة إشرافاً فعلياً لتخصص لها العلماء وتنفق عليها الأموال اللازمة لتحقيق غرضها العلمى كما جاء فى برنامجها السالف الذكر . وما دام هذا هو شأن هذه الجمعية فلا يحق لنا أن نعول عليها كثيراً وأن نحملها ما لا طاقة لها به من العمل على درس وتحليل البيئات الجغرافية والاجتماعية المختلفة الموجودة بحوض النيل، مع بذل الجهود فى جمع وترتيب ما اشتملت عليه العناصر المادية لتلك البيئات . فضلاً عما يطلب إليها من العمل على المساهمة فى بناء علم الأنتولوجيا مع المؤسسات العلمية فى البلاد الأجنبية

(ب) نـدرة بحوث النيل العلمية[1]

حين يتجول المرء بحوض النيل من منبعه إلى مصبه ، ومن شرقه إلى غربه ، لا يكاد ينتقل من مكان إلى آخر دون أن يلحظ كثيراً من التشابه تارة، ومن التباين تارة أخرى، بين البيئات الجغرافية والاجتماعية المختلفة . فمن منطقة جبال وغابات وبحيرات فى الجنوب، إلى منطقة تلال وصحار فى الشمال . وكذلك نشاهد على ضفاف النيل وعلى روافده كثيراً من القبائل الزنجية عراة الأجسام مثل الأشولى والمادى والبارى والشلوك والدنكا وغيرهم ؛ وفى مناطق أخرى نجد قبائل أفرادها نصف عراة مثل الانجستا والبرتا والتعايشة وما إليهم ؛ وفى شمال السودان ومصر نجد العرب والفلاحين وهم خليط من الدم السامى والزنجى وقليل من الدم الآرى . ونلاحظ أن كل تلك الجماعات البشرية تختلف كثيراً فيما بينها من حيث التكوين الاجتماعى وعناصر التفكير والشعور واللغة وطرق الحياة ؛ وأن من تلك الظواهر ما هو بسيط فى تكوينه، ومنها ما هو كثير التعقد والتنوع ؛ ولكل من هذه الأمم تاريخ قد يكون حديثاً فيرجع إلى مائة عام[2] أو أقل ، وقد يكون قديماً فيرجع إلى آلاف السنين

هذه هى حال الأمم والقبائل التى تسكن الآن حوض النيل . أما رجل ما قبل التاريخ والجماعات التى كونها والآثار التى خلفها فوق هذا الوادى فلا زلنا نجهل حقيقة أمرها . وإن بحوث

---

(١) يلاحظ أن معظم الأشياء الموجودة بمتحف الجمعية جمع من القاهرة وحدها، ومن حيث أن هناك فرقاً كبيراً بين الصناعات والمعتقدات وغيرها من الظواهر الاجتماعية فى مدينة القاهرة عنها فى الريف المصرى ، لذلك لا يجب أن نعول كثيراً على تلك المجموعة

(١) مما ساعدنى على فهم هذه الحقائق تجولى فى جهات متعددة بحوض النيل من منطقة البحيرات إلى البحر المتوسط فى الفترة بين عام ١٩٣٨ وعام ١٩٤١

(٢) مثل الجماعات الموجودة بجنوب المديرية الاستوائية بالسودان (بجهة تيمول) ومقاطعة أوغندة (بجهة نوير وموطير) ويطلق عليها الآن اسم (الملكية) نسبة إلى العساكر الرديف الذين تركوا هناك أثناء الفتح المصرى لتلك الجهات

جاك دى مرجان Jacques de Morgan ، وهنرى دى مرجان Henrl de Morgan ، وفلنـدرز بترى Flinders Petrie وغيرهم تدلنا على أن من الممكن عمل دراسة وافية مقارنة لآثار ما قبل التـاريخ بحوض النيل إذا تعددت البحوث وتوفرت الوثائق

من هنا يظهر جلياً ميزة الثروة العلمية الموجودة بحوض النيل ، وأنها تفوق بكثير ما عداها من ثروات أوربا وآسيا واستراليا . فنرى مثلاً فى أوربا نوعاً واحداً من المدنية هى المدنية الغربيـة الحالية ، وفى استراليا نوعاً واحداً من المدنية كذلك وهى «المدنية المحدودة » وهكذا ؛ ولـكننا نشاهد بحوض النيل « مدنيات محدودة » عند الأشولى والمـادى والأدك وغيرهم ، ومدنيات متوسطة مثل مدنية شمال السودان وريف مصر ، ومدنيات راقية مثل المدنية المصرية القديمة . ونشاهد أيضاً أن كثيراً من معالم تلك المدنيات[1] لم تزل باقية على حالتها الأولى برغم ما طرأ عليها من عناصر مدنيات أجنبية مختلفة

وإذا عنينا بدراسة تلك المدنيات وأسرعنا فى جمع معالمها وتحديد أوضاعها ومناطقها تهيأت فرصة طيبة لعلم الاجتماع وعلم تاريخ الأديان والجغرافيا البشرية واللغات وغيرها من العـلوم الاجتماعية الأخرى للاستفادة والاستزادة من الأدلة والبراهين فى توضيح نظرياتها وتنميتها

تلك هى الفائدة العامة المرجوة من البحوث الأنتولوجية بحوض النيل ؛ أما فائدتها لمصر والسودان فإنه يكون من السهل استخلاص العناصر الرئيسية لمدنية كل منهما مع معرفة اتصال تلك المدنيات ببعضها وأثر المدنيات الأخرى فيها ، فضلاً عما يكون لتلك البحوث من أثر واضح فى توجيه المصلحين[1] الاجتماعيين والدينيين وغيرهم نحو الغاية المنشودة فى جهادهم ونضالهم لرفع مستوى الشعب المادى والأدبى . وإذا تعينت أوضاع كل مدنية وحدودها بحوض النيل سهل على أبناء هذا الوادى أن يؤمنوا بحقيقة قوميتهم

(البقية فى العدد القادم) **محمد جلال عبد الحميد**

(١) إذا استثنينا البحوث التاريخية التى قام بها علماء الآثار وغيرهم وحاولنا أن نحصى البحوث الأنتولوجية بحوض النيل فإننا لا نظفر إلا بالقليل منها لعدم توفر اليد العاملة فى تلك الناحية ، فلم نر غير الأستاذين جورج سلجمان G. Seligman وإيفانز ريتشارد E. E. Evans Ritchard اللذين قاما بعدة تجارب على قبائل الزانده والنوير والشلوك والدنكا وغيرها ، ولم يعن بدراسة القبائل العربية الموجودة بشمال السودان غير مستر ماك ميكل Mac Maekel ونفر قليل من كتاب العربية مثل نعيم شقير . وأما قبائل النوبة بمديريتى دنقلة وأسوان وقبائل البجة على سـواحل البحر الأحمر ، وريف مصر ، فان دراسة كل تلك الجماعات لم تزل بكراً

(١) كما أن للعلوم الطبيعية مثل البيولوجيا والفزيولوجيا غاية عامة تسعى إليها وهى استخلاص القوانين الرئيسية التى يتعين بمقتضاها تركيب الخلية وشروط حياتها ونموها ، وعند البدء فى القضاء على مرض معين أو الاكثار من جنس معين أيضاً من الحيوانات أو النباتات ، فعلى الأطباء وعلماء الحيوان والنبات أن يستشيروا البيولوجى والفزيولوجى فى هذا الصدد ؛ كذلك يتعين على المصلحين الاجتماعيين والدينيين وغيرهم أن يستنيروا بآراء علماء الاجتماع والأنتولوجيا فيما يبغون بناءه من مثل عليا للمجتمع لأنهم أقدر على تشخيص الداء ووصف الدواء

ابن خُــرداذَبه

للأســتاذ كوركيس عواد

١ — تصدير

كانت مجموعة التصانيف الثمينة ، التي طبعها دى غويه De Goeje المستشرق الهولندى الذائع الصيت ، بعنوان « الخزانة الجغرافية العربيــة »[1] ، قد نالت استحسان جمهرة الباحثين ، وتقدير كبار العلماء ، ولا مراء أن تلك المؤلفات ، سطّرت لأصحابها اسماً ذهبياً على جبين الدهر ، وأبقت لهم ذكراً خالداً . وقد كان اهتمام ناشرها العلامة بتصحيحها ومقابلة روايات نسخها ، مدعاةً لإعجاب كل من وقف عليها ومجلبةً لإكبار ما عاناه فى تحريرها ، ودليلاً على ما اتّصف به من علم واسع وصبر جميل

والذي يؤسف له أشد الأسف ، أن أكثر مؤلّفى[2] هذه « الخزانة » هم من صنف العلماء المغمورين الذين نجهل الشئ الكثير من أمرهم . وحسبك أن تعلم أن أغلب كتب التراجم لم تتعرض لذكرهم ، وإن فعلت فبالشح والتقتير ! وكان المستشرق المذكور ، قد صرف جانباً من عنايته فى التعريف بكل واحد منهم فدوّن ما وسعه تدوينه ؛ ومع ذلك ظلّت هاتيك التراجم بحاجة إلى من يتبسّط فيها ، ويزيل عنها ما هو عالق بها من الاقتضاب . وقام بعد دى غويه من اهتم بهذا الشأن أيضاً ، فنشر الأب لامنس ترجمة حسنة للبشّارى المقدسى[3] ، وتلاه الأستاذ أحمد أمين بك فكتب ترجمة ثانية له[4] . ودوّن أخى ميخائيل عواد ترجمة وافية لابن حوقل[5] . وها نحنُ أولاء نعرض على القرّاء ترجمة « ابن خرداذبه » مستقاة من المراجع الموثوق بصحتها . ومن الله التوفيق

(١) عنوانها باللاتينية Bibliotheca Geographorum Arabicorum وقوامها ثمانية مجلدات ، ظهرت طبعتها الأولى فى ليدن سنة ١٨٧٠—١٨٩٤

(٢) هؤلاء المؤلفون هم : ابن حوقل وابن خرداذبه وابن رسته ، وابن الفقيه الهمذانى والاصطخرى وقدامة بن جعفر والمسعودى والمقدسى واليعقوبى

(٣) لامنس : المذكرات الجغرافية فى الأقطار السورية (بيروت ١٩١١ ، ص ٣٤ — ٥٢)

(٤) مجلة الثقافة (العدد ٩ ، ص ٩ — ١١)

(٥) مجلة « الرسالة » العدد ٤٢٣ ، ص ١٧٧٨ — ١٧٨١

٢ — لفظة خرداذبه

إختلفت المراجع القديمة فى ضبط لفظة « خرداذبة » أيما اختلاف : فبعضها ضبطها بإسكان الراء[1] ، وبعضها بفتحها مع التشديد[2] . ومنها من كتبها بذالين معجمتين بينهما ألف[3] ، أو بدالين مهملتين بينهما ألف[4] ؛ فى حين أن فريقاً آخر جعل من الدال الثانيــة ذالاً معجمة[5] ، وهى الأوفق . فإن الكلمة فارسية على ما يجىء بنا ، والدال الواقعة بعد حرف علّة تُعجَم على القاعدة المشهورة . وهناك من أورد الباء مكسورة ، أو من أوردها مفتوحة[6] ، أو من جعلها ياء[7] ، فقد قال السيد مرتضى الزبيدى : « خرداذبه : بضم الخاء وسكون الراء وفتح الدال بعدها ألف وكسر الذال وسكون الياء التحتية وآخره هاء »

وهنالك اختلافات عديدة غير ما ذكرنا ، حصلت من جراء التلاعب بأحرف لفظة « خرداذبه » . ونحن على يقين من أن

(١) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للبشارى المقدسى (ص ٣٦٢) والفهرست لابن النديم (ص ١٤٩ طبعة فلوجل)

(٢) كتاب صورة الأرض لابن حوقل (ص ٥ طبعة كريمرز) ، وديوان البحترى (طبعة الجوائب بالأستانة سنة ١٣٠٠ هـ ، ١ : ٢١٠ ؛ أو طبعة المطبعة الأدبية ببيروت سنة ١٩١١ ، ص ٣٢٥ و ٣٢٦)

(٣) مختصر نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق للشريف الادريسى (طبعة رومة سنة ١٥٩٢ م ، ص ٧٠)

(٤) كتاب الديارات للشابشتى (مخطوط برلين رقم ٨٣٢١ الورقة ١٤ ب) ، والفهرست تعليقات الناشر ص ٥٨ ، ومروج الذهب للمسعودى ، طبعة باريس ١ : ١٣ و ٢ : ٧٠ و ٣٢٦ ، والمعجب فى تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشى ، طبعة دوزي فى ليدن سنة ١٨٤٧ ، ص ٢٥٢ ، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ، ٤ : ٦٠٢ طبعة وستنفلد ؛ وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للحاج خليفة ٢ : ١٠١ — ١٠٢ و ٥ : ٥١٠ — ٥١١ طبعة فلوجل

(٥) الفهرست ص ١٤٩ ، والتنبيه والاشراف للمسعودى ص ٢٥ طبعة دى غويه ، أو ٦٥ — ٦٦ طبعة مصر ؛ والآثار الباقية عن القرون الخالية لأبى الريحان البيرونى ص ٤١ طبعة سخاو ، والكامل فى التاريخ لابن الأثير ٦ : ٢٣١ طبع الفرنج ومختصر نزهة المشتاق للادريسى ص ٣١٥

(٦) ابن حوقل ص ٥ ، والمقدسى ص ٣٦٢ ، والأغانى لأبى الفرج الأصفهانى فى أماكن مختلفة نذكرها فيما بعد

(٧) تاج العروس ٨ : ٣٢١ ، مادة : روم ؛ وكشف الظنون ٢ : ٤٢٣ طبعة استانبول الأولى ، ومقدمة ابن خلدون طبعة كاترمير فى باريس سنة ١٨٥٨ م ، ١ : ٩٣ ، وطبعة بولاق ص ٤٤ ، وطبعة بيروت الثالثة المشكولة سنة ١٩٠٠ ، ص ٥٣ ؛ ويلاحظ أن الخاء جاءت فى هذه الطبعة مفتوحة وهو تحريف ثان ، نظير ما ورد فى طبعة القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ ، ص ٤٢

أغلب ذلك إنما جاء على أيدى جهلة النساخ . ومما وقفنا عليه من الصور الممسوخة لهذه اللفظة : جرداذه[1] ، وجرداذبه[2] ، وجرداويه[3] ، وحرادو[4] ، وحراذبه[5] ، وحرداديه[6] ، وخرداذبة[7] وحردازبه[8] وخراداذبة[9] ، وخرداد[10] ، وخردادة[11] ، وخردادية[12] وخرداذه[13] ، وخرزاد[14] ، ودارية[15] !

فهذه اثنتان وعشرون صورة مضطربة مشوّشة ، جرَت على أسل الكتبة والنسّاخ ، وإنما أوردناها بهذا الوجه من التفصيل ليكون القارئ على بينة من أمرها حين مراجعته المصنفات التى نوّهنا بها في الحواشي

وفى معجم ريشاردسن الفارسى — العربى — الانكليزى[16] تفسير لمعنى لفظة خرداذبة . قال : إن معنى « خرداذ » بالفارسية مَلاَك ، و « بَه » ، والباء موحدة مفتوحة : جيد أو صالح . فيكون مدلول اللفظة : الملاك الصالح

نخرج بالقارئ مما ذكرنا آنفاً ، أن أحسن الوجوه وأصحها فى كتابة هذه التسمية الأعجمية هو «خرداذبة» بالضبط الذى نقلناه عن صاحب التاج مع مراعاة تصحيح الياء المثناة بباء موحدة مفتوحة

(١) المقدسى ص ١٠٥ حاشية E ، و ٢٢٢ حاشية G ، و ٣٦٢ حاشية I
(٢) المقدسى ص ٤ حاشية L ، و ٦٨ حاشية F
(٣) الخطط للمقريزى مطبعة النيل ١ : ٢١٧ و ٢٣٦ و ٢٦٢
(٤) معجم البلدان مخطوط المتحف العراقي الرقم ٤ مادة : مقذونية
(٥) معجم البلدان مخطوط المتحف العراقي الرقم ٣ مادة : قسطنطينية
(٦) مروج الذهب بهامش الكامل لابن الأثير ١٠ : ٣٠ و ٣٤ و ٣٦ طبع القاهرة
(٧) تاريخ أبي الفداء المطبعة الحسينية بالقاهرة ٢ : ٢٣
(٨) كشف الظنون ١ : ٢١٥ استانبول
(٩) مقدمة ابن خلدون طبعة باريس ١ : ٩٣
(١٠) كشف الظنون ٥ : ٥٠٩ فلوجل
(١١) المقدسى ص ١٠٥ حاشية E و ٣٦٢ حاشية I
(١٢) الخطط للمقريزى مطبعة النيل ١ : ٢٩٦ و ٢٩٧ و ٣٤٤ و ٣٦٦ و ٣٧١
(١٣) المقدسى ص ٥٧ حاشية I و١٨٩ حاشية G و٢٢٢ حاشية G و ٢٤١ حاشية G
(١٤) المقدسى ص ٤ حاشية P
(١٥) مروج الذهب بهامش ابن الأثير ١ : ٩ طبع القاهرة وكذلك فى طبعته المصرية سنة ١٣٤٦ هـ ١ : ٥ وطبعته المصرية الأخرى سنة ١٣٥٧ هـ ١ : ٥
(١٦) Richardson : Persian — Arabic — English Dictionary. (3 Rd Edition, London, 1829. Vol. I. , P. 299 A. , Vol. II. , P. 904 B.)

٣ — من عرف باسم خرداذبة

ويحدثنا التاريخ ، أنه نشأ غير واحد ممن عرف بهذه التسمية هدانا البحث إلى أسماء خمسة منهم ، ودونك شيئاً عنهم :

الأول — خرداذبة الرازى الراوى : ذكره الطبرى[1] فى حوادث سنة ٣١ للهجرة . وهذا لا يمت بصلة ما إلى الأربعة الآخرين الآتى ذكرهم .

الثانى — خرداذبة : جد أسرته الأعلى . وهو رجل فارسى من بلاد خراسان ، كان فى أول عهده مجوسياً ، ثم أسلم على يد البرامكة[2] . وهو أول من أسلم من أفراد أسرته .

الثالث — أبو عبد الله ابن خرداذبة : وهو ابن لخرداذبة المتقدم ذكره . لم نقف على ما يستحق التدوين من أخباره .

الرابع — عبد الله ابن خرداذبة ابن السابق ذكره . وهذا قام بفتوحات مهمة ، وأسند إليه منصب كبير فى عهد العباسيين ، أعنى به ولاية طبرستان . فقد روى الطبرى[3] ، وتابعه فى ذلك ابن الأثير[4] ، وأبو الفداء[5] ، فى حوادث سنة ٢٠١ للهجرة ، إن « فى هذه السنة ، افتتح عبد الله بن خرداذبة ، وهو والى طبرستان ، اللارِزَ والشرزَ[6] من بلاد الديلم ، وزادهما فى بلاد الإسلام . وافتتح جبال طبرستان ، وأنزل شهريار بن شروين[7] عنها ، فقال سلام الخاسر[8] :

إنا لنأمل فتح الروم والصين ... بمن أذل لنا من مُلك شروين
فاشدد يديك لعبد الله إن له ... مع الأمانة رأياً غير موهون

(١) تاريخ الطبرى (السلسلة الأولى ، ص ٢٨٧٣)
(٢) الفهرست (ص ١٤٩ فلوجل ، أو ص ٢١٢ مصر)
(٣) تاريخ الطبرى (السلسلة الثالثة ، ص ١٠١٤ — ١٠١٥)
(٤) الكامل فى التاريخ (٦ : ٢٣١ من طبع الفرنج ، أو ٦ : ١٢١ بولاق ١٢٩٠ هـ)
(٥) تاريخ أبي الفداء (٢ : ١١٦ طبعة ريسكى سنة ١٧٩٠ م ، أو ٢ : ٢٣ مصر)
(٦) ذكرهما ياقوت فى معجم البلدان . والذي فى طبعة ابن الأثير الأوربية : اللارز والشيزر ، وفي البولاقية : البلاذر والشيزر . وهما مصحفان.
(٧) فى تاريخ أبى الفداء : شهريار بن شهريار بن شروين .
(٨) هو سلم (بفتح الأول على الرواية المشهورة ، وبوزن سحاب على رواية ابن خلكان ، وكلاهما سائغ) الخاسر أحد شعراء الدولة العباسية ، مات فى أيام الرشيد . وأخباره فى طبقات الشعراء لابن المعتز (ص ٣٠ — ٤٣ طبعة عباس إقبال ، لندن ١٩٣٩) ، والأغاني (٢١ : ٧٣ — ٨٤ طبعة الساسى) ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى (٩ : ١٣٦ — ١٤٠) ومعجم الأدباء لياقوت الحموى (٤ : ٢٤٧ — ٢٤٩ طبعة مرجليوث) ووفيات الاعيان لابن خلكان (١ : ٢٧٩ — ٢٨٠ بولاق ١٢٧٥هـ) ونهاية الارب للنويرى (٣ : ٧٨ — ٨١) .

وأشخص مازيار[١] بن قارن[٢] إلى المأمون، وأسر أبا ليلى[٣] ملك الديلم في غير عهد في هذه السنة». انتهى كلام الطبرى

وقد تعرض ابن كثير لهذه الحادثة دون أن يذكر ابن خرداذبه وهذا نص كلامه[٤]: «وفيها (سنة ٢٠١ هـ) افتتح نائب طبرستان جبالها وبلاد اللارز والشيرز [كذا]. وذكر ابن حزم أن سلماً الخاسر قال في ذلك شعراً. وقد ذكر ابن الجوزى وغيره أن سلماً توفى قبل ذلك بسنين. فالله أعلم» اه

وقد أشار إليه الشابشتي بقوله[٥]: «فذكر عبد الله ابن خرداذبه، أنه حضر مجلس المأمون يوماً، وقد عرض عليه أحمد بن أبي خالد رقاعاً...»

وذكره أبو الفرج الأصفهاني بما يلي[٦]: «أخبرني الحرمىّ قال: حدثنا الدينارىّ قال: حدثنا اسحاق[٧] قال: قالت لي زهراء الكلابية: ما فعل عبد الله بن خرداذبه؟ فقلت: مات! فقالت: غير ذميم ولا لئيم. غفر الله لصداه[٨] لقد كان يحبك ويعجبه ما سرك...»

الخامس — أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه. وهو الذى عليه مدار كلامنا في هذا البحث

٤ — عبيد الله بن خرداذبه

وهذا أشهر مَن ذكرنا من هؤلاء القوم، وأعظمهم مكانة، وأبقاهم اسماً. كان قد أُنيط به منصب «صاحب البريد والخبر[٩]» بناحية الجبل[١٠] بفارس. على أن ما زاد في شهرته وتخليد اسمه في التاريخ، هو المؤلفات التى صنّفها، وسيأتى الكلام عليها في موطن آخر من هذا المقال

وكان ابن خرداذبه قد نادَمَ «المعتمد» خامس عشر الخلفاء العباسيين وخُصّ به. وقد ساق المسعودى «المقالة الموسيقية[١]» لابن خرداذبه، ومما جاء في ثناياها قوله[٢]:

«وذكر عُبَيد الله بن خرداذبة أنه دخل عليه [على المعتمد] ذات يوم وفي المجلس عدّة من ندمائه من ذوى العقول والمعرفة والحِجى؛ فقال له: أخبرنى مَن أول من اتخذ العود؟ قال ابن خرداذبة: قد قيل في ذلك يا أمير المؤمنين أقاويل كثيرة. الخ»

إلى أن يقول[٣]: «قال المعتمد: قد قلت يخاطب [ابن خرداذبة] فأحسنت، ووصفت فأطنبت، وأتمت في هذا اليوم سوقاً للغناء وعيداً لأنواع الملاهى. وإن كلامك لمثل الثوب الوشى، يجتمع فيه الأحمر والأصفر والأخضر وسائر الألوان. فما صفة المغنّى الحاذق؟ قال ابن خرداذبة: المغنّى الحاذق يا أمير المؤمنين ... الخ»

ويختم المسعودى الحكاية بقوله[٤]:

«فهذه — يا أمير المؤمنين — جوامع في صفة الإيقاع ومنتهى حدوده. ففرح المعتمد في هذا اليوم وخلع على ابن خرداذبة وعلى مَن حضره من ندمائه، وفضّله عليهم، وكان يوم لهو وسرور»

(يتبع — بغداد) **كوركيس عواد**

(١) في فتوح البلدان للبلاذرى (ص ١٣٤ و ٣٣٩ و ٣٤٠ طبعة دى غويه في ليدن): مايزديار بن قارن
(٢) في بعض الروايات: قارون (٣) في تاريخ أبي الفداء: أبا ليلى
(٤) البداية والنهاية في التاريخ (١٠: ٢٤٧ — ٢٤٨)
(٥) كتاب الديارات (الورقة ١٤ ب مخطوط. وهو مما أعددناه للنشر) وقد نقل هذه الرواية عنه أمدروز Amedroz في حاشية الصفحة ٤٧ من «ذيل تجارب الأمم» للوزير أبى شجاع
(٦) الأغاني (٥: ٧٦ طبعة الساسى، أو ٥: ٣٢٨ طبعة دار الكتب المصرية) (٧) هو اسحاق بن ابراهيم الموصلى
(٨) الصدى: جسد الانسان بعد موته
(٩) في تاريخ التمدن الاسلامى لجرجى زيدان (١: ٢٢٠ — ٢٢٢) بيان حسن عما كان يعهد به إلى صاحب البريد وما كان له من رفيع المنزلة في الدولة العباسية (١٠) هي بلاد ماذي Media القديمة

(١) سيأتى خبر هذه المقالة في معرض الكلام على مؤلفات ابن خرداذبة
(٢) مروج الذهب (٨: ٨٨ طبعة باريس)
(٣) مروج الذهب (٨: ٩٥ — ٩٦ طبعة باريس)
(٤) مروج الذهب (٨: ٩٩ — ١٠٠ طبعة باريس)

في الفلسفة الإسلامية

إخوان الصفاء

للأستاذ عمر الدسوقى

— ٤ —

النفس الإنسانية

تستمد النفس الإنسانية قوتها من النفس الكلية ؛ ومراتب النفوس ثلاثة أنواع : منها مرتبة الأنفس الإنسانية ، ومنها ما فوقها وما دونها . والمعروف من هذه النفوس خمس ، فالتى فوقها اثنتان : رتبة الملكية ، ورتبة القدسية ؛ فرتبة الملكية هى رتبة الحكمة ، ورتبة القدسية هى رتبة النبوة . والتى دونها اثنتان : النفس الحيوانية والنفس النباتية

ومن الأخلاق والقوى ما ينسب إلى النفس النباتية الشهوانية، ومنها ما ينسب إلى الحيوانية الغضبية ، ومنها ما ينسب إلى النفس الإنسانية الناطقة ، ومنها ما ينسب إلى النفس العاقلة الحكيمة ، ومنها ما ينسب إلى القدسية[1] . فالمنسوب إلى النباتية : الغذاء ، والرغبة فى المشروبات ، والحرص فى طلب الشهوات . والمنسوب إلى الحيوانية الغضبية : الشهوة الجنسية ، والانتقام ، وشهوة الرئاسة ، وكل الغرائز الشهوانية ، والمحافظة على بقاء النوع ؛ ويشترك فى هذه الحيوان والإنسان . والمنسوب إلى النفس الناطقة : شهوة العلم والمعرفة ، والعز والرفعة . والمنسوب إلى الملكية والقدسية : شهوة التقرب لربها والزلفى لديه . والسبب فى وجود هذه الغرائز بنفوسنا أنه يوجد فى المعلول دائماً شىء من العلة ، فإن انعدم فى المعلول سبب أو غير ذلك فهى كما فى الحيوان والنبات ؛ والله الذى هو علة الوجود حى باق لا يعرض له الفناء ، ولهذا صارت الموجودات محبة للبقاء كارهة للفناء ؛ ولهذا فالسعادة هى أن يبقى كل موجود أطول ما يمكن على أفضل حالاته وأتم غاياته لا ينقصه شىء ؛ حتى يكون شبيهاً بالإله

(١) ج ٢ من الرسائل ص ٢٤٠ — ٢٤١ . وترى فى تقسيم النفس وأثر ذلك فى الأخلاق آراء أفلاطون مرددة

الفضيلة

إذا ظهرت من الطبيعة هذه الشهوات المركزة فى الجبلة ، وكانت على ما ينبغى فى الوقت الذى ينبغى من أجل ما ينبغى سميت خيراً ؛ ومتى كانت بخلافه سميت شراً . وإذا فعل الإنسان ذلك باختياره وإرادته على ما ينبغى، بمقدار ما ينبغى ، من أجل ما ينبغى ، كان صاحبه محموداً ؛ ومتى كان بخلاف ذلك كان سفيهاً جاهلاً[1] وكل نفس خادمة للنفس التى أعلى منها ، وصلاحها فى امتثالها لأوامرها[2]

قوى النفس

وللنفس الإنسانية قوى كثيرة تساعدها على أن تصير عقلاً بالفعل ، وأفضلها القوى المفكرة لأنها تؤدى إلى المعرفة ، والمعرفة لباب حياة النفس . ونفس الطفل فى أولها صحيفة بيضاء لم ينقش عليها شىء ، وكل ما تحمله إليها الحواس الخمس تتناوله القوة المتخيلة وتجمعه ، ومجرى هذه القوة مقدم الدماغ ، ثم تدفعه إلى القوة المفكرة ومسكنها وسط الدماغ ، وهى تميز بعضه من بعض وتعرف الحق والباطل ، ثم تؤديه إلى الحافظة التى مجراها مؤخر الدماغ . والقوة الناطقة تعبر عما فى النفس بالألفاظ للسامعين ، أو تقيدها بصناعة الكتابة ، فيكون للنفس خمس حواس باطنة تقابل الخمس الظاهرة[3]

الموت والحياة

الإنسان مكون من جسم ونفس روحانية ، والجسم يريد البقاء فى الدنيا ، والنفس الروحانية تريد الرحيل إلى الآخرة[4] ؛ وعلى هذا فالموت والحياة نوعان : جسدى ونفسانى ، والحياة الجسدية ليست شيئاً سوى استعمال النفس الجسد ، والموت الجسدى ليس

(١) رسائل ج ٢ ص ٢٤٧ وهذا تأثر إخوان الصفاء بمذهب أرسطو فى نظرية الوسط

(٢) يمثل هذا رأى أفلاطون فى خضوع الشهوانى والجزء الشريف من النفس للعقل وأن صلاحهما فى امتثال أوامره . راجع R. L. Nettleship فى كتابه : Lectureson the Republic of Plato

(٣) رسائل ج ٢ ص ٣٤٧ — ٣٥٠

(٤) ولهذا يقول إخوان الصفاء إن أعمال الانسان أتت مثنوية متضادة كالموت والحياة والنوم واليقظة والعلم والجهل ... الخ فالصفات الرديئة تنسب للجسم والجنة تنسب للروح

شيئاً سوى تركها استعماله ؛ كما أن اليقظة ليست شيئاً سوى استعمال النفس الحواس ، وليس النوم شيئاً سوى تركها استعمالها ، أما النفس فحياتها ذاتية لها ، وذلك أنها بجوهرها حية بالفعل علامة بالقوة فعالة فى الأجسام والأشكال ، وموتها هو جهالتها بجوهرها وغفلتها عن معرفة ذاتها ، وذلك عارض لها من شدة استغراقها فى بحر الهيولى ، فكما أن ولادة الطفل ليست شيئاً سوى خروجه من الرحم ، فكذلك ولادة النفس ليست شيئاً سوى مفارقة النفس إياه ، والنفس لا تعرف السعادة إلا بعد ما تفارق الجسم ، وعلى ذلك فالموت حكمة لأنه سبب لحياة الأبد[1]

وبعد مفارقة النفس الجسد تبقى الشقية هائمة بهمومها معذبة دون فلك القمر ، سائحة فى بحر الهيولى ، هاوية فى عالم الكون والفساد مع أبناء جنسها من الأمم الخالية إخوان الشياطين وجنود إبليس أجمعين : « كلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها »

وهذه هى جهنم عند إخوان الصفاء ، وتراهم يتابعون فلاسفة اليونان والمسلمين فى قولهم بحشر الأرواح دون الأجساد ، وأن العذاب عذاب الروح لا الجسد . ولقد رد عليهم الغزالى فى تهافت الفلسفة رداً لا بأس به

أما النفوس الخيرة عند إخوان الصفاء فتصعد إلى عالم الأفلاك وتصير ملائكة بالفعل ، وهذه هى الجنة عندهم ؛ والثواب هنا ثواب روحى لا جسدى . ولقد فصل الفارابى هذه النظرية فى مدينته الفاضلة ووضحها ابن سينا فى النجاة والشفاء

خلود النفس

يعتقد إخوان الصفا اعتقاداً جازماً بأن الأجساد حبس للنفوس أو حجاب لها أو صراط أو برزخ ، والنفوس تعلم تمام العلم بأن لها وجوداً آخر خيراً وأبقى وألذ وأحسن من هذا الوجود والبقاء الذى مع الجسد ، فإذا استتمت الأنفس الجزئية وكملت صورتها ومعارفها ، واستيقظت من هذه الغفلة وأحست بغربتها فى هذا العالم الجسمانى وأنها فى أسر الطبيعة تائهة فى بحر الهيولى ، وعرفت فضيلة جوهرها ونظرت إلى عالمها ، وشاهدت تلك الصور الروحانية المفارقة للمادة ، إذا أدركت هذا كله هانت عليها مفارقة الجسد وسمحت بإتلافه وفى هذا سعادتها[1]

ومَوت النفس هو جهلها بجوهرها وغفلتها عن معرفة ذاتها ، والنفوس السعيدة هى التى قطعت أيام الحياة الدنيا بالأعمال الصالحة وسارت سيرة عادلة ، وتخلقت بأخلاق جميلة ، وبحثت عن حقائق المعقولات وأحكمتها ؛ فإذا ما بلغت آخر العمر اشتاقت إلى مفارقة هذه الحياة ، فلو لم يكن الموت لما أمكنها الصعود إلى ملكوت السماء ولا الوصول إلى الجنة[2]

وعلى العكس من ذلك نفوس الأشقياء ، فإنها بما اعتادته من لذات هذه المحسوسات ، وقد منعت الوصول إليها والعودة للجسم تقول : « يا ليتنا نُرَدُّ فنعملَ غير الذى كنا نعمل » وتبقى متألمة بذاتها معذبة من سوء عاداتها دون فلك القمر

وعلى هذا فالنفوس البشرية الخيرة ملائكة بالقوة ، فإذا فارقت أجسادها كانت ملائكة بالفعل . والنفوس الشريرة شياطين بالقوة فإذا فارقت أجسادها كانت شياطين بالفعل[3]

أما يوم القيامة ونهاية العالم فيكون بمفارقة النفس الكلية للعالم ورجوعها إلى الله[4]

الله والعالم

لما كان الله تام الوجود كامل الفضائل عالماً بالكائنات قبل كونها ، قادراً على إيجادها متى شاء ، لم يكن من الحكمة أن يحبس تلك الفضائل فى ذاته فلا يجود بها ويفيضها ؛ فإذا بواجب الوجود قد أفاض الجود والفضائل منه كما يفيض النور والضياء من عين الشمس[5] . والله سبحانه لا يباشر الأفعال بذاته ، بل يقتصر على الأعمال الكلية ، أما التفصيلات فيدعها لملائكته الموكلين « وما أمرُنا إلا واحدةٌ كلمحٍ بالبصر » ، ويقول تعالى كذلك : « وما خلْقُكم ولا بعثُكم إلا كنفْسٍ واحدة » . ونسبة الأفعال التى تجرى على أيدى عباده إلى البارى سبحانه كنسبة أفعال

---

(١) الرسائل ج ٣ ص ٦١

---

(١) رأى إخوان الصفاء فى النفس وخلودها ورجوعها بعد إتمام كمالها فى هذه الحياة الدنيا هو الرأى الذى أوضحه ابن سينا فى قصيدته

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تدلل وتمنع

(٢) رسائل ج ٣ ص ٦١

(٣) الرسائل ج ٣ ص ٩٤

(٤) رسائل ج ٢ ص ٤١

(٥) رسائل ج ٣ ص ١٩٧ . وأنت ترى من هذا أنهم يقولون بنظرية الفيض على طريقة الأفلاطونية الحديثة وقد تكلمت عنها آنفاً

الملوك إذا قيل بنى فلان الملك مدينة كذا ، وحفر نهر كذا ، فهؤلاء الملوك قد أمروا فقط ، أما مباشرة العمل فتركت لغيرهم[١]

وعلم الله تعالى محيط بما يحوى العقل من المعقولات ، والعقل محيط بما تحوى النفس الكلية من الصور ، والنفس محيطة بما تحوى الطبيعة من الكائنات ، والطبيعة محيطة بما تحوى الهيولى من المصنوعات[٢]

تأثير إخوان الصفا

قد بينا سابقاً تلك الدعاية المنظمة التي قام بها إخوان الصفا لحمل الناس على الدخول فى مذهبهم ، وقد أدى نشر هذه الرسائل الآنفة الذكر إلى نشر الفلسفة ومبادئها ، واشتغال الناس بها ؛ إذ كتبوها بلغة سهلة تناسب عقلية الجمهور ، ومزجوها بالدين مقتبسين كثيراً من آى القرآن الكريم حتى لا ينفرون منها ، ووضعوا فيها مبادئ عامة من كل فن ، فكانت من الوجهة العلمية موسوعة احتذى حذوها كثير من المؤلفين فيما بعد.

وقد حملت الرسائل على رجال الدين والفقه ، وأدى ذلك إلى اشتغال كثير من هؤلاء بالرد عليهم وتكفيرهم كابن تيمية وابن حجر وغيرهما . ثم إن رسائل إخوان الصفا كانت أول محاولة للتوفيق بين الدين والفلسفة ، تلك الخطة التي اقتفاها الفارابى وابن سينا وابن رشد فيما بعد ، والتى تأثروا فيها بإخوان الصفا كما تأثر هؤلاء بالأفلاطونية الحديثة بعد أن تنصرت ونقلها السريان إلى لغتهم محاولين أن يتخذوا منها دعامة لتأييد مذاهبهم المتعددة ...

والرسائل كانت دستوراً لطائفة الإسماعيلية كما رأينا من قبل فيها رموز وإشارات واصطلاحات لا يعرفها إلا الأتباع المخلصون. على أن هناك طائفة ممن اشتهروا بالعلم والفلسفة قد تأثروا بهم ومنهم : أبو حيان التوحيدى ، وقد عرفنا أنه كان الصلة بين جماعة البصرة وجماعة بغداد ، وقد اتهم بالزندقة من أجل ذلك ، حتى جاء فى طبقات الشافعية ما يأتى : « زنادقة الإسلام ثلاثة : ابن الراوندى ، وأبو حيان التوحيدى وأبو العلاء المعرى » ، ومنهم يحيى بن عدى[١] المترجم المشهور والذى كان أحد أعضاء فرقة بغداد ، وقد نشرت له مجلة اللغات السامية الأمريكية كتاباً فى تهذيب الأخلاق تشبه تعاليمه ما عند إخوان الصفا فى كثير من الموضوعات : ومنهم كذلك جماعة بغداد ورئيسهم السجستانى أبو سليمان وقد رأينا كيف أن أبا حيان قد أخذ رسائل إخوان الصفا وعرضها عليه ؛ وعرفنا ما قاله أبو العلاء المعرى فيهم عند مغادرته بغداد وكيف سماهم إخوان الصفا

نعم إن الغزالى يعرض بفلسفة إخوان الصفاء ، ويعدها فلسفة العامة من الناس ، بيد أنه لا يتحرج من الاقتباس منها ، وهو مدين لفلسفتهم بأكثر مما يعترف[٢]

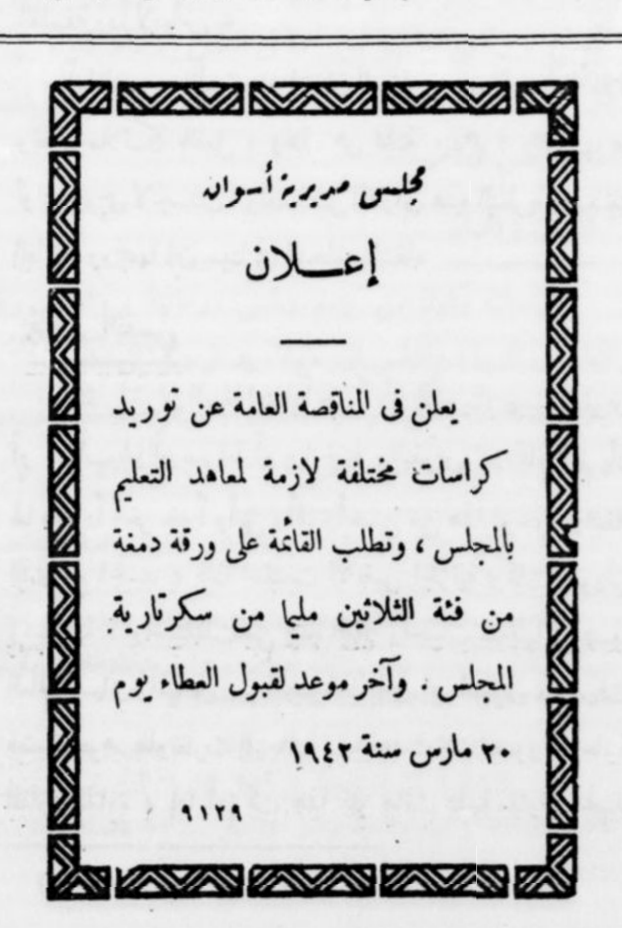
(بيروت) محمد الدسوقى

(١) رسائل ج ٢ ص ١٠٩ ، وأنت ترى كيف أنهم يؤولون ظاهر آيات القرآن ، وقد أقروا بأن للقرآن أغراضاً أخرى غير التى يفهمها الناس وقولهم بأن الله لم يخلق العالم مباشرة يعارض العقيدة الاسلامية ، وقد رد عليهم الغزالى فى تهافت الفلاسفة

(٢) رسائل ج ٢ ص ٩٨

(١) هو أبو زكريا يحيى بن عدى بن حميد ولد فى تكريت سنة ٨٩٣م وتوفى فى بغداد سنة ٩٧٤ م وكان رئيساً لأساقفة الكنيسة اليعقوبية ، ومثلا لنشاط هذه الطائفة فى المساهمة والنقل والترجمة

(٢) أنظر كتاب المنقذ من الضلال ص ١٣-١٤ طبعة مصر عام ١٣٠٩ ودى بور ص ١١٣ ترجمة أبى ريدة ، ورسالة الطيباوى التى أشرنا إليها آنفاً



آثار من أولية الشعر في الشعر الجاهلى

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

ظهرت فى عصرنا دعوى عريضة ، يذهب أصحابها إلى إنكار صحة الشعر الجاهلى ، وكان من أكبر ما قامت عليه تلك الدعوى أن هذا الشعر على حسب ما روى لنا يخالف سنة النشوء والارتقاء فيظهر أول ما يظهر بالغاً غاية الكمال ، لا شىء ينقصه من جهة الوزن ، ولا من جهة القافية ، ولا من جهة اللفظ ، ولا من جهة المعنى ، ومثل هذا لا يمكن قبوله ، لأن سنة النشوء والارتقاء من السنن الطبيعية التى لا يشذ شىء عن حكمها ، ويجب إنكار ما يأتى على خلاف مقتضاها

فإذا قيل لهؤلاء الناس إن هذا الشعر الجاهلى كان قبله شعر قديم لم يصل إلينا ، وقد مر هذا الشعر القديم فى أطوار تدرج فيها على سنة النشوء والارتقاء ، حتى وصل إلى هذا الشعر الجاهلى فجرى أمره على تلك السنة أيضاً ، ولم يكن فيه شذوذ عنها ، يتخذ ذريعة إلى إنكار صحته ، والطعن فى نسبته إلى عصره

إذا قيل لهم هذا قالوا إن هذا الشعر القديم حديث خرافة أيضاً ، لأنه لو صح وجوده لكانت له آثار ولو قليلة فى الشعر الجاهلى ، ولم ينقطع أثره هكذا مرة واحدة ، لأن هذا يخالف سنة النشوء والارتقاء أيضاً ، فهى كما تقضى بالتدرج من غير الأصلح إلى الأصلح ، تقضى ببقاء آثار قديمة فيما تتدرج إليه ، لتكون شاهدة بهذا التدرج ، وهي المعروفة فى مذهب النشوء والارتقاء باسم الأعضاء الأثرية

ولا شك أن هذا اعتراض له قيمته ، لأنه يقوم على شاهد من العلم ، فلا يقوم فى وجهه إلا شاهد يعتمد على العلم كما يعتمد ويتفق مع ما يقضى به مذهب النشوء والارتقاء من سنة التدرج ولا يكفى فى إثبات ذلك الشعر القديم الإشارة إليه فى مثل قول امرئ القيس :

عُوجا على الطَّلل المحيل لأننا نبكى الديار كما بكى ابن خِذامِ

وقول عنترة :

هل غادرَ الشعراء من مُتَرَدَّمِ أم هل عرفتَ الدار بعد توهُّمِ

وقول زهير :

ما أرانا نقول إلا مُعاراً أو معاداً من لفظنا مكرُورا

لأنه لا قيمة لهذه النصوص إذا لم يوجد فى الشعر الجاهلى آثار من ذلك الشعر القديم تشهد بوجوده ، وتبين بعضاً من حاله قبل أن يصل إلى طور الشعر الجاهلى ، لأنه لا يعقل أن يطفر الشعراء كلهم إلى هذا الطور كما طفر مهلهل وامرؤ القيس وغيرهما من القدماء ، ولا يوجد بينهم متخلفون قد تشبثوا بشىء مما كان عليه الشعر قبل هذا الطور

فذلك الشعر القديم لا بد أنه لم يكن مستقيم الوزن ، ولم يكن يجرى على هذه البحور التى يجرى عليها الشعر الجاهلى ، فأين أثر ذلك فى هذا الشعر ؟

وهو أيضاً لا بد أن يكون مضطرب القافية ، لا يجرى فيها على سنن مُطَّرِد ، ولا يتأنق فيها كما تأنق الشعراء الجاهليون ، فأين أثر ذلك فى شعرهم ؟

فإذا كان ذلك الشعر قد وجد حقاً ، فإنه لا بد أن يبقى أثر من فساد وزنه وقافيته فى الشعر الجاهلى ، حتى يكون دليلاً ناطقاً بأنه درج على سنة التدرج ، ويكون لوجوده فيه دلالة الأعضاء الأثرية على أصلها ، وهى دلالة لا تقبل شكا ، ولا يمكن أن يجادل فيها أولئك الذين ينكرون صحة الشعر الجاهلى .

وقد عثرت على بعض من هذه الآثار فى هذه الأيام ، ولا أنكر أنها فى كتب متداولة بين الناس ، ولكنهم يمرون عليها ولا يعرفون قيمة دلالتها ، ولا يلتفتون إلى أنها آثار من ذلك الشعر القديم الذى انطوى عنا خبره ، ولا يدركون أن منزلتها فى الدلالة على ذلك الشعر ، كمنزلة تلك الآثار المطوية فى بطون الأرض ، فى دلالتها على تاريخ آبائنا الأقدمين .

وممن وجد فى شعره بعض هذه الآثار عبيد بن الأبرص ، وهو شاعر قديم معاصر لمهلهل وامرئ القيس ، وقد روى صاحب الأغانى عن محمد بن سلام أنه قال :

عبيد بن الأبرص قديم الذكر ، عظيم الشهرة ، وشعره مضطرب ذاهب لا أعرف له إلا قوله :

أقفرَ من أهله مَلْحوبُ

ولا أدرى له ماَ بعد ذلك

وهـذه القصيدة التى ذكرها ابن سلام أشهر قصائد عبيد ابن الأبرص ، ولكنها مع هذا مضطربة الوزن ، مختلة القافية ، ولا يزال علماء العروض مختلفين فى أمرها ، فمن قائل إنها من البسيط ، ومن قائل إنها من الرجز ، ومن قائل إنها خليط منهما ، وذلك أنك تراه يقول فى مطلعها :

أقفر من أهله ملحوبُ　　فالقُطَبِيَّاتُ فالذَّنوبُ

وهذا من مُخَلَّع البسيط ، ثم تراه يقول :

أفلح بما شئت فقد يُدرَكُ بالضـ　　ـعفِ وقد يُخدَعُ الأريبُ

وشطره الأول من الرجز ، وشطره الثانى من مخلع البسيط

ثم يقول بعد هذا فى اختلال وزن واضطراب قافية :

لا يعظ الناسُ من لا يعظ الدَّ　　هرُ ولا ينفع التَّلْبيبُ

إلا سَجِيّاتُ ما القلوبِ　　وكم يصيرنَّ شانئاً حبيبُ

وقد ذكر ابن رشيق أن هذه القصيدة كادت تكون كلاماً غير موزون بعلة ولا غيرها ، حتى قال بعض الناس : إنها خطبة ارتجلها ، فاتزن له أكثرها

والحق عندى أن هذه القصيدة تمثل أولية الشعر العربى خير تمثيل ، وتبين أنه لم يكن له أوزان محدودة يتقيد بها ، ولا بحور متميزة لا يتعداها ، ولا تجرى فيه الحركات والسكنات على لحن مطرد ، لا يتغير ولا يتبدل فى القصيدة الواحدة ، وأن عبيداً فى هذا يمثل بين شعراء عصره حال الشاعر المتخلف ، لأنه لم يتهيأ له من أسباب النهوض ما تهيأ لهم ، فجرى فى شعره مجراه الأول ، ولم يعبأ بما تقيد به شعراء عصره فى أمر الوزن

ومما يروى لعبيد أيضاً من الشعر المختل الوزن قوله :

هى الخمر تكنى الطِّلا　　كما الذئب يكنى أبا جعده

ومما وقع من هذا الشعر قول علقمة الفحل ، وهو شاعر قديم

دافعت عنـــه بشعرى إذا　　كان فى الند أجحد

فكان فيـــه ما أتاك وفى　　تسعين أسرى مقرنين فى صفد

دافع قوى فى الكسر إذ　　طار بأظهار الظبـــاة وقد

فأصبحوا عند جفنة فى الأغـ　　ـلال منهم والحـــديد عقد

إذ مجنب فى المجنبين وفى　　النكهة عن باد ورشـــد

فهذه القطعة مما أدخل فى جملة شعر علقمة ، وهى مختلة الوزن حتى قال بعضهم إنها ليست بشعر

وأما القافية فإنها لدقتها كانت أحكامها تخفى على كثير من الشعراء الجاهليين ، فبقى فيها كثير من آثار أولية الشعر كالإقواء والسناد وغيرهما من عيوب القافية ، حتى قيل إن الإقواء كان مذهب العرب فى شعرهم ، ومن ذلك قول امرئ القيس :

أحنظلُ لو حاميتم وصبرتمُ　　لأثنيتُ خيراً صالحاً ولأرضانى

ثياب بنى عوف طُهارَى نقيَّة　　وأوجههم عند المشاهد غرانُ

عُوَيْرٌ ومن مثل العوير ورهطه

وأسْعَدَ فى ليل البلابل صفوانُ

فقد أصبحوا والله أصفاهم به　　أبرَّ بأيمـان وأوْفَى بجيرانِ

وكذلك كان النابغة الذبيانى يقوى فى شعره — وهو من متأخرى شعراء العصر الجاهلى — وكان لا يعرف أن الإقواء من عيوب القافية ، ومن إقوائه قوله فى داليته :

أمِنَ آل مَيَّة رائحٌ أو مُغْتَدِ　　عجلانَ ذا زادٍ وغير مُزَوَّدِ

زعم البوارحُ أن رحلتنا غداً　　وبذاك خبرنا الغرابُ الأسودُ

وقوله أيضاً :

سقط النصيفُ ولم ترد إسقاطه　　فتناولته واتقتنا باليـــدِ

بمُخَضَّب رخـص كأن بَنانه　　عَنَمٌ يكاد من اللطافة يُعْقَدُ

فلما ظهر الإسلام نهض العرب ورق وجدانهم ، ولطف ذوقهم ، فعرفوا هذه العيوب وتجنبوها ، وافتخروا بذلك على الشعراء قبلهم ، كما قال ذو الرُّمَّة :

وشعرٍ قد أرِقْتُ له طريفٍ　　أجانبه المُسَانَدَ والمحالا

وقال جرير :

فلا إقواء إذ مَرِسَ القوافى　　بأفواه الرواة ولا سِنَادا

وبهذا استقامت قوافى الشعر ، واتسقت أوزانه ، بعد أن مرّ فى تلك الأطوار ، ولم يشذ فى ذلك عن سنّة النشوء والارتقاء

عبد المتعال الصعيدى

٢٧ ـ المصريون المحدثون

شمـــائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

الفصل التاسع

اللغة والأدب والعلوم

احتفظت القاهرة بشهرتها النسبية التي امتازت بها عدة قرون ، أنها خير مدرسة للأدب العربي وعلم التوحيد والفقه الإسلامي . ولا جرم أن التعليم انحط كثيراً عند العرب عامة إلا أنه كان أقل انحطاطاً في القاهرة . فشهرة علماء هذه المدينة لا تدانيها شهرة . ولا يزال مسجدها « الجامع الأزهر » يجذب إليه الطلاب من كافة أنحاء العالم الإسلامي .

ويلاحظ أن اللهجة العربية التي يتكلمها أهل القاهرة من الطبقتين الوسطى والعليا أدنى من لهجات بدو الجزيرة العربية وسكان المدن المجاورة مباشرة من حيث النطق وقواعد الصرف والنحو ؛ إلا أنها تفضُل اللهجات السورية كثيراً ، واللهجات المغربية أكثر . وأهم الخصائص التي تلاحظ في نطق المصريين ما يأتي : ينطق القاهريون ومعظم المصريين حرف الجيم جامداً بينما يعطشه عرب الجزيرة وسورية وغيرهما . ولكن يجدر أن نلاحظ أن حرف الجيم ينطق جامداً [1] في بعض جنوب جزيرة العرب وهو منشأ اللغة العربية كما يقال . وينطق حرف القاف همزة حيث يسود نطق الجيم الأول ، غير أن المثقفين ينطقونه قافاً على حقيقته . وتنطق الجيم معطشة أو قريبة من ذلك في بعض مناطق مصر ، كما تنطق القاف جيماً . وينطق المصريون جيماً وكذلك أغلب الشعوب التي تتكلم العربية حرف الثاء تاء والذال دالاً والظاء ضاداً أو زاياً أحياناً . ومن أهم خصائص اللهجة العربية المصرية من حيث التركيب إضافة حرف الشين للدلالة على النفي ، مثل « ما يرضاش » بدلاً من « ما يرضى » و « ما هوش طيب » (ويقول العامة موش طيب) بدلاً من « ما هو طيب » ووضع اسم الإشارة بعد المشار إليه مثل « البيت ده » ، وكثرة استعمال التصغير في الصفات بلا مسوغ مثل « صغيّر » بدلاً من صغير و « قريّب » بدلاً من قريب

ولا يوجد فرق كبير بين اللهجة الدارجة والفصحى كما يفرض المستشرقون الأوربيون . ويمكن وصف اللهجة الدارجة أنها تبسيط للهجة القديمة بحذف حركات الكلام الأخيرة خاصة ، وبوجه آخر إهمال التفرقة بين أنواع إعراب الاسم المختلفة وبعض أشخاص الأفعال [1] . كما أنه لا يوجد فرق كبير بين اللهجات العربية في البلدان المختلفة كما يتصور بعض من لم يخالط أهل هذه البلاد . وتتشابه هذه اللهجات أكثر مما تتشابه لهجات بعض مناطق انجلترا المختلفة . وتفيض اللغة العربية بكلماتها المترادفة ، فتجد بعض الكلمات تستعمل في بلد ما وما يرادفها في بلد آخر . فيقول المصريون مثلاً « لبناً » بينما يقول السوريون « حليباً » ، ويطلق السوريون (اللبن) على الصريب (اللبن الحامض) . وكذلك الخبز يسميه المصريون « عيشاً » بينما يطلق عليه في البلدان العربية الأخرى خبزاً ، إلى غير ذلك من الأمثلة العديدة من هذا النوع . ويلاحظ أن نطق المصريين ألطف وأعذب من نطق السوريين وأكثر البلدان التي تتكلم العربية

والأدب العربي غنى شامل ، وأهميته في كمية كتبه أكثر مما هي في كيفيتها . ويبلغ عدد الكتب التي تبحث في الدين والفقه الربع تقريباً ، يتلو ذلك كتب النحو والصرف والمعاني والبيان

---

(١) ويبدو على الأرجح أن عرب مصر احتفظوا في هذه الحالة بنطق كان مألوفاً ، إن لم يكن عاماً ، عند أسلافهم في أسيا . أنظر De Sacy Grammaire Arabe الطبعة الثانية الجزء الأول ص ١٧ و ١٨

(١) بدأ العرب يبسطون لغتهم في القرن الأول للهجرة تبعاً لانتشارهم في البلدان الأجنبية التي ما كانت تستطيع أن تتعلم لغة الفاتحين الصعبة . ولاثبات ذلك أنظر « الأخبار الإسلامية » لأبي الفداء . عربي ولاتيني Abulfedae Annales Muslemici الجزء الأول ص ٤٣٢ و ٤٣٤ . ويمكن تقديم عدة أدلة أخرى إلا أن هذا الأمر معروف . وتؤكد العربية الحديثة بتشابهها العبرية دلائل الانحطاط الظاهر في تلك اللغة الأخيرة

والفروع المختلفة لعلم اللغة Philology . وتشتمل كتب التاريخ (وعلى الأخص تاريخ الأمة العربية) والجغرافية المرتبة الثالثة، وأخيراً الشعر . أما المؤلفات الطبية والكيميائية والرياضية والجبرية وغيرها فقليلة جداً بالنسبة لغيرها

ويوجد في القاهرة عدة مكتبات كبرى ، ويلحق أغلبها بالمساجد ، ويتألف معظمها من كتب التوحيد والفقه ومعاجم اللغة ؛ إلا أن هذه المكتبات مهملة إهمالاً يرثى له ، وتفنى محتوياتها بسرعة وإلى حد بعيد لعدم أمانة القائمين بأمرها أو باستهمالها وإهمالهم . ويقتني بعض التجار الأثرياء وغيرهم مكتبات حسنة . ويبلغ عدد تجار الكتب في القاهرة — كما أخبرت — ثمانية فقط[1] . إلا أن حوانيتهم غير مجهزة تجهيزاً حسناً . ويدور الكتبي كلما عثر على كتاب نفيس على حرفائه وهو يكاد يثق بالحصول على مشتر . وقلما تخاط أوراق الكتاب معاً وإنما يدرج الكتاب عادة في غطاء مجلد ، وكثيراً ما يكون له غلاف[2] خارجي من الورق القوى والجلد

وتتكون (الكراسة) من خمس ورقات مزدوجة كل منها في الأخرى ، وترتب الأوراق ملازم صغيرة دون أن تخاط فيستطيع أكثر من قارئ استعمال الكتاب معاً ، فيتناول كل كراساً ، وتوضع الكتب مسطوحة الواحد فوق الآخر ، ويكتب عنوان الكتاب على واجهة الغلاف الخارجي أو طرف الأوراق ، وورق الكتب غليظ لامع، ويستورد غالباً من البندقية ويلمع في مصر . والحبر كثيف لزج ، ويستعمل القلم للكتابة وهو أكثر ملاءمة للخط العربي . وعندما يكتب العربي يضع الورق فوق ركبته أو على راحته اليسرى ، أو على (مسندة) تتكون من بعض أوراق قد يزيد عددها عن دستجة وتشد معاً عند الأطراف الأربعة فتكون كالكتاب الرقيق ، ويجعل الكاتب الحبر والأقلام في (الدواية) المذكورة في الفصل الأول من هذا الكتاب ، ويوضع معهما المقشط والمقطة : وهي آلة من العاج يوضع عليها القلم ليقط . ويسطر الكاتب الورق بالمسطرة : وهي قطعة من الورق القوى يشد عليه بعرض الورق خيوط ملصقة بالغراء ، فيجعل المسطرة تحت الورقة ويضغط على كل خيط بخفة ، وتتضمن عدة الكاتب مقصاً لقطع الورق ، إذ لا يليق أن يكون أطراف الورق ممزقة . ويعيش الكثيرون في القاهرة على نسخ المخطوطات ويبلغ أجر نسخ الكراسة وهي عشرون صفحة في كل صفحة خمسة وعشرون سطراً بالخط العادي ، ثلاثة قروش ، ويزيد المبلغ إذا حسن الخط ويتضاعف إذا شكل الكلام



(شكل ٥٢) كتب وأدوات الكتابة

وهي تتكون من القلم والمقطة والمقشط والدواية والمسطرة والمسندة (وقد وضعت عليها الآلات الخمس المذكورة سابقاً) والمقص وقد وضع وغمده فوق الكتاب الأعلى

ويتلقى الذين يعدون أنفسهم لوظيفة دينية أو علمية دروسهم في الأزهر ، ويتعلمون قبل ذلك القراءة والكتابة وتلاوة القرآن أحياناً . والأزهر[1] ـ جامعة الشرق عامة ـ بنيان واسع الأرجاء ، يحيط بفناء مربع فسيح . ويوجد على أحد جوانب الفناء من جهة القبلة مكان الصلاة الرئيسي : وهو رواق فسيح ، وعلى كل جانب من الجوانب الثلاثة الأخرى أروقة صغيرة مقسمة إلى عدة أقسام يخصص الواحد منها لطلبة بلد معين أو مديرية خاصة من مديريات مصر . ويقع الأزهر في قلب القاهرة ، وعمارته لا تستحق الاعتبار ، وإحاطته بالمنازل تخفي خارجه إلا قليلاً . ويسمى من يتلقى العلم في الأزهر « مجاوراً » ، ولكل رواق مكتبة

(١) وهم مصريون ، ويوجد أيضاً بعض الأتراك

(٢) « ظرف »

(١) ولا يسمى الأزهر « جامعة » بالمعنى الدقيق ، إلا أن المسلمين يعتبرونه كذلك . وقد ترجم السياح الأوربيون اسم الأزهر بجامع الأزهار بدلا من جامع الأزهر الذي هو الاسم الصحيح ومعناه الجامع النير . وهذا الجامع هو الأول من نوعه بالنسبة لجوامع القاهرة القديمة من حيث عهد إنشائه وسعته . وظاهر الأمر أن ما تقدم في هذه الحاشية (وكانت مدرجة في الطبعة الأولى من هذا الكتاب لم يلتفت إليه البارون هامر برجستال ، إذ أنه كتب ملاحظاً (في Vienna Jahrbücher der Literatur ٨١ ص ٧١) أنه كان يجب أن أكتب بدلا من « أزهر » كلمة « إزهر » إذ أن الأولى كما يقول تعني « أزهار » ، واسم هذا الجامع ينطقه غالب المصريين والعرب على العموم كما كتبته « أزهر » ، ثم أن جمع الزهرة « أزهار » ، إلا أن الترك ينطقون الكلمة السابقة « إزهر »

لاستعمال الطلبة ، ويتعلم الطلبة من الدروس التي يلقيها المدرسون ومن محتويات الكتب الموجودة بمكاتب الأروقة

ويتكون برنامج الدراسة من علوم الصرف والنحو والمعاني والبيان والعروض والمنطق والتوحيد والتفسير والحديث والفقه والحساب في حدود المسائل الشرعية . وهناك دروس في الجبر والمقابلة والميقات . ويجلس الشيخ على الأرض عند أسفل عمود من الأعمدة ، ويتحلق حوله الطلبة . ويقرأ طلبة المذاهب المختلفة كتباً مختلفة . وأغلب الطلبة قاهريون ، وهم لذلك شافعيون ، وشيخ الأزهر شافعي دائماً . ولا يدفع الطلبة للدراسة في الأزهر أجراً إذ أن أغلبهم فقراء . ويتناول أغلب الأجانب الذين لهم أروقة خاصة راتباً من الطعام يومياً يصرف لهم من إيراد العقارات الموقوفة عليهم . والعادة أن يتناول طلبة القاهرة وما جاورها مثل هذا الراتب إلا أنهم لا يتمتعون بذلك طويلاً ، خلا شهر رمضان ، لأن « محمد على » استولى على جميع الأراضي الزراعية الموقوفة على المساجد ففقد الأزهر أكبر جزء مما وقف عليه . ولا تنفق الحكومة شيئاً غير مصاريف الصيانة اللازمة وأجور المستخدمين الرئيسيين . ولا يتناول المدرسون أجراً . وليس لهم وسيلة منظمة لكسب معيشتهم غير التدريس في المنازل ونسخ الكتب الخ ... إلا إذا ورثوا ملكاً أو كان لهم أقارب يعولونهم . وقد يتناول المدرس هدية من الأغنياء . ويستطيع أي طالب كفء أن يصبح مدرساً بإجازة شيخ الجامع . ويتبع الطلبة غالباً طريقة المدرسين لكسب معاشهم ، أو يتلون القرآن في المنازل أو على القبور أو في مكان آخر . وعند ما يتقدم الطلبة في دروسهم التقدم الكافي يدخل بعضهم في القضاء أو الأفتاء أو إمامة المساجد أو التدريس في قراهم أو مدنهم أو في القاهرة . ويحترف البعض الآخر التجارة . وقد يستمر بعضهم طول حياته يتلقى العلم مبتغياً الوصول إلى مصاف كبار العلماء . وقد نقص عدد هؤلاء الطلبة الذين لا رواق لهم كثيراً منذ الاستيلاء على الأراضي الموقوفة على الأزهر . ويبلغ عدد طلبة الأزهر ما خلا العميان حوالي ألف وخمسمائة[1] كما أخبرني أحد المدرسين .

(يتبع)

عدلى طاهر نور

(١) ويقول الكثيرون إن عددهم لا يقل عن ثلاثة آلاف ، ويقول الآخرون إنه لا يزيد على الألف . ويختلف الطلبة كثيراً باختلاف العصور

فوق الحياة

إني احترقت ولم تدع أشلائي ... نيران تلك الحسرة الهوجاء

قد أوغلت بي نزعة مدفوعة ... نحو الكمال تمد في برحائي

إذ أن ما يسبي قلوب الناس لا ... ألقاه حتى في ذبول سمائي

أقبلت ملء دمي على الدنيا وفي ... قلبي حياة جمة الأهواء

وطرحت أعوامي عليها شاديا ... متنقلا في الزرع والصحراء

ونزعت عني كل معنى كاذب ... ونشدت وجه النور في الظلماء

وتأملت روحي أسارير الدجى ... وتغلغلت في ذاته السوداء

وإذا الرياح تقول لي في نصحها: ... قف أيها الساري إلى التيهاء!

من لم تشقه الأرض وهو مكبل

نبذته عنها عبرة الأحياء!

تلك السدود أقامها فوق الثرى ... رب الوجود وضارب الجوزاء

قلت اهتدي يا ريح ما أنا مسرف ... متطلب في الصخر دفقة ماء!

وطفقت أخبط في الظلام منقبا ... عما وراء الليل من أشياء

حتى بدا لي خلف أحجار الدجى

نهر يعج بأعذب الأضواء

ونهلت منه فاكتملت كأنني ... أصبحت أسمى من بني حواء

وتألقت من حوله لي جنة ... علوية مطلولة الأرجاء

هي عالم المثل الرفيعة صاغها ... «فوق الحياة» تدفق الإيحاء

أظلالها فوق الزروع مديدة ... ونسيمها متعطر الأحناء

وطيورها ذهبية مسحورة ... تشدو فيهتز الفضاء إزائي

وأخذت أرشد من أحب إلى السنى

ومسابه، والنهلة البيضاء

والحق والخير الذي يمشي على ... ربوات تلك الجنة العذراء

لكنهم ضجت بهم أرواحهم ... ظمأى إلى الأوحال والأنواء

عادوا وفي ألبابهم لي لعنة ... مكنونة كالسم في الرقطاء

قالوا لقد عشنا على الدنيا كما ... شئنا وشاءت ربقة الأحياء

مستعذبين قيودنا لا تنجلي ... عنا عماية هذه الظلماء

تلك الحواجز لا نحب عبورها ... نحو الذي نخشاه من أجواء

يا أيها المجنون! إنك شاعر ... يقتات من أوهامه الحسناء

إذهب فلا كانت لك الدنيا وعش

في برجك المملوء بالخيلاء!

لكنني ناديت من عليائي ... مستعصيا بالذروة القعساء:

البرق يكسبني ائتلاقا إنني ... أفق فضجوا في رحاب فضائي!

والنار تمنحني حياة إنني ... ذهب فبثوا النار في أحشائي!

عبد الرحمن الخميسي

غيران ...

إذا الفجر لاح وحيا العذارى ... وحييته بابتسام رقيق

تلفت قلبي له واستطارا ... كأن به سكرة لا يفيق

يغار عليك إذا الفجر لاح

وإن جئت في خفة تخطرين ... ومالت عليك غصون الطريق

فما أشفق الغصن بالعاشقين ... ولكن بقلبي زفير الحريق

يغار عليك إذا الغصن مال

وإن رق بين يديك النسيم ... يساير ظلك مثل الرفيق

فلا كان هذا النسيم الكريم ... ألم يدر أن فؤادي عشيق

يغار عليك إذا الظل سار

وإن نطقوا باسمك الطاهر ... وخف له كل سمع طليق

ترامى صداه إلى خاطري ... ولكن قلب المحب المشوق

يغار عليك إذا الاسم ذاع

وإن ضمك البحر يا فاتنه ... وداعب منك القوام الرشيق

فيا حسن أمواجه الساكنه ... وقلبي الذي هو بحر عميق

يغار عليك إذا البحر ماج

وإن رقص الليل في راحتيك ... وأهديته بسمة من رحيق

فها قد حرمت سنى ناظريك ... وقلبي الذي في دجاه غريق

يغار عليك إذا الليل جاء

محمد محمود زيتونه



التعاون الثقافي بين مصر والعراق

أقامت المفوضية العراقية بالقاهرة حفلة شاي دعت إليها جمهوراً كبيراً من رجال التربية والتعليم بمناسبة انتهاء « مؤتمر تدريس العلوم » ، وقد اشتركت فيه الحكومة العراقية بإيفاد اثنين من رجالها الفضلاء : هما الدكتور الجمالي والدكتور عقراوي . أما الحكومة السورية ، فقد اعتذرت بخطاب كريم نصت فيه على أن ضيق الوقت حال بينها وبين ما تريد من الاشتراك ، وتمنت أن يديم الله على رجال العلم في مصر نعمة التوفيق

وفي الحفلة دار الحديث حول نشاط أعضاء المؤتمر فقلت : إن الذي شرح صدري هو أن أرى وزير العراق المفوض يحضر جميع الجلسات وعلى صدره شارة المؤتمر ؛ فقال الدكتور عقراوي : هذا اقتداء بالتقليد الذي سنّه صاحب السمو الأمير عبد الإله الوصيّ على عرش العراق ، فهو يحضر بنفسه جميع المحاضرات التي تُلقى في بغداد باسم التعاون الثقافي بين مصر والعراق وفي معيته جمهور من الوزراء والنواب والأعيان ، وتلك التفاتة نبيلة تبين لك عظمة ذلك الأمير الجليل

وانتهزت الفرصة فسألت الدكتور عقراوي عن شعوره نحو المؤتمر فقال : دلني هذا المؤتمر على نواحي جديدة من النهضة المصرية ، فأنا الآن أومن بأن لرجال التعليم في مصر آراء لا تقلّ وجاهةً عن آراء رجال التعليم في الأقطار الأوربية والأمريكية

والحق أن الصلات العلمية والأدبية بين مصر والعراق قويتْ جدًّا بفضل تعاون الأمتين ، وبفضل الأساتذة الذين أسسوا ذلك التعاون من أمثال : السنهوري والزيات وعزام ؛ ولم يبق إلا أن نفهم أن تلك الجاذبية الروحية تحتاج إلى أسندة من الصدق والإخلاص في كل يوم ، لتصل إلى كمالها المنشود

وفي هذا المقام أذكر أن سعادة الدكتور فاضل الجمالي حدثني أن معالي السيد تحسين علي ، وزير المعارف العراقية ، أوصاه بأن يصحبني معه إلى بغداد ، وقد أجبت بأن الشوق سيحملني إلى بغداد على غير ميعاد ، ولكن الذي يهمني هو أن يوجد مصريون بعواطف عراقية ، وعراقيون بعواطف مصرية ؛ وعند ذلك ابتسم سعادة الأستاذ شفيق بك غربال وقال : أنت هنا والجمالي هناك !

زكي مبارك

أولية سوق عكاظ

ذكر الأستاذ « علي محمد حسن » في الرسالة الغراء (العدد ٤٥١) تصحيحاً لما في دائرة معارف وجدي إذ جعلت افتتاح عكاظ سنة ٥٤٠ م ، قال في خاتمته : « وبعد ، فجمهرة الكتب على أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل ، وعلى أن عكاظ قامت بعد الفيل بخمس عشرة سنة فتكون قد أقيمت في سنة ٥٨٥ » .

والواقع أن جمهرة الكتب ذهبت إلى هذا ، إلا أنه لا يثبت على التحقيق ، بل إن سوق عكاظ ليرتفع تاريخها إلى ما قبل سنة ٥٠٠ ميلادية لهذه الأسباب :

١ — أجمعت كتب السير على أن رسول الله حضر حرب الفجار بنفسه ويحدد بعضها سنة إذ ذاك مستنداً على الحديث : « كنت أنبل على أعمامي يوم الفجار وأنا ابن أربع عشرة سنة » وحرب الفجار كانت في عكاظ إبان الموسم ، وذلك بعد عام الفيل بأربع عشرة سنة ، فكيف يقولون إن عكاظ أقيمت بعد الفيل بخمس عشرة (أنظر أسواق العرب ص ١٤٦ فما بعد) .

٢ — تزوج عبد شمس بن عبد مناف امرأة بعد أن طلقها زوجها لبيعها السمن وراحلتين بخمر شربتها في عكاظ . وهذا الحادث قبل عام الفيل بعقود السنين (أسواق العرب ص ٢٩٠)

٣ — قالوا إن عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة عاش حول سنة (٥٠٠م) ، وعمرو أنشد معلقته في عكاظ بالموسم ، فلا شك إذن في أن السوق كانت قبل هذا التاريخ بسنوات .

مما تقدم لأسباب أخرى لنا أن السوق أقيمت قبل التواريخ التي يذكرونها بأزمان وهي على أقل تقدير كانت قبل القرن السادس الميلادي ، ومن أراد زيادة في التحقيق فليرجع إلى كتابنا (أسواق العرب في الجاهلية والإسلام[1] ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ١٤٦ فما بعد

سعيد الأفغاني

(١) دمشق : المطبعة الهاشمية سنة ١٩٣٧ م

« أبو العلاء » و « إخوان الصفاء »

نقل الأستاذ عمر الدسوقى فى العدد (٢٤٦) من هذه المجلة الرفيعة قول الدكتور طه حسين بك أن « أبا العلاء المعرى » قد اجتمع بإخوان الصفاء إبّان إقامته فى بغداد ؛ وقد استدلّ الأستاذ الدكتور على ذلك بالبيتين الآتيين :

كم بلدة فارقتها ومعاشر يذرون من أسف علىَّ دموعا
وإذا أضاعتني الخطوب فلن أرى لوداد « إخوان الصفاء » مضيعا

لورود « إخوان الصفاء » فيهما .

وقد كتب الأستاذ سليم الجندى عضو المجمع العلمى العربى بدمشق مقالاً فى مجلة المجمع المذكور : (العدد الثامن ، المجلد السادس عشر ، ٩٤١) بيّن فيه التناقض الذى وقع فيه الدكتور فيما ذهب إليه ، ونفى أن يكون أبو العلاء قد اجتمع بإخوان الصفاء مستدلاً بأمرين :

الأول : أن وقوع كلمة « إخوان الصفاء » فى هذين البيتين لا يدل دلالة واضحة على اجتماع أبى العلاء بهم ، فقد وردت فى شعر كثير من الشعراء الجاهليين والإسلاميين والعباسيين : كالخنساء وأبى حبال البرّاء بن ربعى الفقعسى ، ويسار بن اسماعيل ، وعبد السلام بن رغبان ، وابن الرومى ، وصريع الفوانى ، وابن المقفع (فى كليلة ودمنة ، باب الحمامة المطوّقة) ؛ وبدهى أن هؤلاء جميعاً لم يقصدوا بإخوان الصفاء (الجمعية المعروفة) ، وإنما أرادوا إخوان المودّة الصافية الخالصة

والأمر الثانى : أن معرفة سبب قول هذين البيتين تنفى ما ذهب إليه الدكتور ؛ فقد روى ياقوت فى معجم الأدباء (ج ١ ص ١٧٥) عن أبى الوليد الدربندى قال : أنشدنى أبو العلاء التنوخى فى داره عند وداعى إياه (وذكر الأبيات ...)

هذا ، وفى المقال أشياء أخر ذات شأن يحسن الرجوع إليها

« دمشق » صلاح الدين المنجد

فى الكتب لا فى الصدور

نعم كل شىء فى الكتب ؛ ومن يغص فى أعماق تلك البحار يجد العجب العجاب ، ويعثر بالفريد المستطاب . وإن تراثنا العربى لا يمكن أن نهضمه فى أعوام ولا قرون ، ولا نسينه بكلمة أو مقال : إنه تراث غنى ولكنه مدفون

وما كان الأستاذ الجليل « شلتوت » وهو يتحدث عن « شخصيات الرسول » يجهل أن الذى تحدث به مدفون فى بطون الحواشى والمتون ، وما كان يجهل أن العلماء أقاموا من أجله المعارك والخصام . كان يعلم ذلك ، ويعلم أيضاً أن الناس مَعنيون بالظاهر ، واقفون عند القريب ، قانعون بالميسور ، فأراد أن يضع أيديهم على الداء والدواء ويلفت أعينهم إلى ما خلف الستار والحجاب

وكيف يجهل الأستاذ ذلك وهو أحد مؤلفى كتاب « مقارنة المذاهب » ، وهو بحث طريف ، وإن كنت أعتب عليه أن يحصر مثل هذا النوع من التفكير بين جدران الكليات ، ولا يذاع ليعرف الناس ، وليقول المنصفون !

ولقد قال الأستاذ شلتوت فى حديث لى معه : إن صح أن ديننا الحنيف يحتاج إلى شىء فهو حسن العرض والإعلان لنلفت إليه أنظار المفتونين بزخرف الأوربيين ، فيروا ما فيه من خبايا ودفائن ، وميزات وحسنات . ثم قال : أتريد من الناس أن يلتمسوا الدين من حواشى ابن عابدين ، وحواشى القليوبى والأسنوى والمحلى ؟ الخ

وقد يكون هذا هو الحافز لأستاذنا الجليل إلى أن يلفت لهذه الناحية الأنظار ، وخاصة أنظار الذين عموا وضلوا وحسبوا ديننا الكريم عصبية عمياء ، فذهبوا ينالون أحرار الفكر بالإيذاء

السيد جمعة

إيجبت

قرأت فى جريدة الأهرام كلمة للأستاذ محمد حسنى عبد الله تحت عنوان : « لفظة « إيجبت » ولمَ سميت بها مصر » ذكر فيها أسطورة يونانية ، ثم طلب ممن يعلم شيئاً فى هذا الموضوع أن يذكره . وإلى القارىء خلاصة ما وقفت عليه فى مطالعاتى :

أطلق اليونان لفظة أجيبتوس Aigyptos على مصر ولا نعرف تماماً تاريخ هذه التسمية ، إلا أن مصر لم تكن تسمى دائماً أجيبتوس وإنما عرفت قديماً بأسماء مختلفة أهمها : كيمى Kemi أو كاميت Kamit أو خمى Khmi بمعنى الأرض السوداء أى الخصبة ؛ ومن هذا الاسم اشتقت لفظة كيمياء ؛ وذلك هو الاسم الشائع .

وسميت أيضاً نحى بفتح النون أو ضمها Nohi و Nahi أى بلد الجميز ؛ وتوميرا To-mera أى الأرض المغمورة ، لفيضان النيل عليها . وأطلق عليها الساميون : عبرانيون وفينيقيون وعرب ، لفظة مصر ، ولعل أصل هذه التسمية جاء من أن معنى مصر فى لغاتهم : البلد العظيم . أما كلمة إجيبتوس فلا يزال تدل عليه أصلها موضع التخمين والاستنتاج ، ولم يستطع أحد أن يقطع فيه برأى . وقد رأيت هذه الكلمة فى الأوديسة تشير تارة إلى



المصابيح السبعة

قصة من القصص الشعبي لسكان جزيرة بورنيو

مترجمة عن الانجليزية

عند ما كبر والد الأبناء السبعة وطالت لحيته البيضاء بطول عمره ، دعا إليه ثمار بذوره وتحدث إليهم فى صوت خافت قال :

« أبنائى ! إننى أقف هنا فى مكان مظلم وتقفون أنتم حولى ولكن انظروا : ها هى أمامكم سبعة مصابيح عددها كعددكم ، فليتخير كل منكم مصباحاً يستضىء به ويتبع نوره ، ولا يأخذنكم الإعجاب بشدة ضوئها الحالى ، فإنى أنصحكم ألا تتخيروا ما قد يبدو لكم الآن أنه أحسن المصابيح وأسطعها ضوءاً . أنظروا إليها نظرة فاحصة ثم تخيروا ما شئتم ، وإنى لكم لنذير بأن اختياركم هـذا اختيار نهائى لا رجعة فيه . فتبينوا الأمر قبل أن تقدموا ، فإذا أقدمتم وتخيرتم ما استقر عليه رأيكم فلا تتحولوا عنه وأصروا على الاستضاءة به إصراراً ، إذ الأفضل أن يؤمن المرء إيماناً تاماً برأى ما ويتبعه فى إخلاص وأمانة ، وفى ثبات وإصرار — ولو كان هذا الرأى خطأ فى جوهره — أقول إن هذا أفضل من أن يتبع المرء فى تردد وضعف رأياً يؤمن فى قرارة نفسه ببطلانه ، ولو كان هـذا الرأى فى جوهره هو الحق والصواب »

فتقدم عنـدئذ الابن الأكبر ومد يده نحو المصباح الأحمر واستولى عليه ، ثم تمنطق بسيفه ودرعه وبدا على وجهه أمارات الجشع والطمع ؛ ثم صاح صيحة الوداع وانقلب على وجهه مسرعاً ليقضى حياته كلها فى السلب والنهب والإجرام .

ورأى الوالد سوء طالع ابنه وفساد رأيه ، ولكنه لزم الصمت،

مصر والمصريين ، وتارة أخرى إلى نهر مصر أى النيل ؛ وقد أطلق فيما بعد على هذا النهر اسم نيلوس وأصله مجهول أيضاً

وهناك رأى يقول إن لفظة إجيبتوس أصلها مصرى . ويحاول هذا الرأى أن يرجع هـذه التسمية إلى « هاكابتاح Ha-ka-Ptah » أو « ها كوبتاح Ha ka Ptah » وهو الاسم المقدس لمدينة منف Memphis فى عهد مينا Mena ، ومعنـاه « مكان عبادة بتاح » إذ كان بتاح يعبد فى هذه المدينة

وأذكر أنى قرأت فى كتاب أو مقالة أن ها كابتاح ورد فى نص من النصوص القديمة بمعنى مصر ، لا مدينة منف ، وأن هذه الكلمة نقلها الفينيقيون إلى اليونان فجعلوا منها إيجيبتوس . ولو صح ذلك لكان مؤيداً للرأى السابق .

وهناك رأى للدكتور أبات باشا Abbate Pacha ورد فى كتابه Aegyptiaca مصريات : فى فصل أفرده لكلمة إيجيبت تحت عنوان: Onomatopée d'Egypte يخالف فيه الرأى السابق ويرجعه إلى العالم بروكش Brugsch إذ يرى أن اليونان انتشروا فى مصر فى وقت قريب فتر فيه نفوذ مدينة منف العاصمة وعبادة بتاح المعبود ، وقوى سلطان مدينة طيبة Thébes . وقد شاركت مدينة قفط Coptos مدينة طيبة فى علو الشأن وذيوع الصيت لوقوعها على طريق البحر الأحمر ومحاجر Rohannou . وقد لعبت هـذه المدينة دوراً كبيراً ، وأصبحت مركز التجارة بين مصر وبلاد العرب والهند . ولا بد أن اليونان الذين جذبتهم روح التجارة إلى (كيمى) أولاً انتشروا فى منطقة قفط وجعلوا من اسمها اسما عامة لمصر فقالوا إجيبتوس أى بلد كبتوس . ويحتمل أن يكون أصل القبط من ذلك . وهكذا حلت إجيبتوس فيما بعد محل كيمى التى اقتصر على نقشها فى الآثار

وكثيراً ما أشارت النصوص القـديمة إلى الصعيد باسم Koptos . وقد ذكر العالم لبسيوس Lepsius عند الكلام على مصادر الذهب : ذهب الحبشة Nub en Kuch وذهب بلد كبتوس Nub en to Kopt (وقد يكون أصل تسمية بلاد النوبة بوجود الذهب بها فكلمة nub تعنى الذهب) . كما أنه ورد فى حجر رشيد كلتا Kemi و Aigyptos الواحدة ترجمة للأخرى وإذن تكون To kept : أرض قفط، Aigyptos ؛ وقد يكون اليونان قد وضعوا مكان To الفرعونية، الوصول الحرف اليونانى Ai الذى يدخل على الكلمة لتوضيحها أو للدلالة على صدارة الشىء

محمد طاهر نور

وأدار وجهه نحو الباقين من أبنائه يرقب ما استقر عليه رأى ابنه الثانى، وكان ضعيف الجسم قوى العقل، فتقدم ببطء وتردد وأخذ يعمل فكره فى تؤدة شأن الحكماء من بنى الإنسان، ثم ترنح قليلاً ومد يده نحو المصباح الأزرق وقبض عليه . فاغتبط الأب لهذا الاختيار أيما غبطة وقال :

« إذهب إنك لمن البرزين، وإنك سوف تظهر على الناس أجمعين » !

وكان المصباح الأزرق — مصباح الحق — يتلألأ أثناء ذلك

وتقدم الابن الثالث : وكان جميل الوجه حسن السمات . . . فأعجبت به النساء وشغفن به حباً ، فتخير المصباح الأخضر ذا اللهب الخافق الحائر وأخذه بين يديه ، ثم انصرف . فلما خرج من الباب ، لمح والده « صاندال » تجرى فى إثره وكانت هذه المرأة مضغة فى الأفواه لقبح سيرتها وفساد أخلاقها، فطأطأ الشيخ رأسه وقال : إن الرجل الذى يجعل النساء الجميلات قبيلته وغاية سعيه ، فيخضع لهن ويرضى أهواءهن ، لهو رجل خاسر ، إذ لا يتيسر له أن يتجه وجهة أخرى أو يعمل عملاً آخر

ولم يكد يختفى هذا الابن الذى جعل النساء شغله الشاغل فى هذه الحياة حتى سمع الجمع صوت النقود ورنين الذهب ، إذ تقدم الابن الخامس وعلى وجهه تعلو سمة المرابى ، فاختطف المصباح الأصفر وولى مسرعاً

وجاء الابن الخامس خائفاً يترقب ، يلتفت يمنة ويسرة ، ويقدم رجلاً ويؤخر أخرى، أصفر الوجه، مرتجف اليد ... ونظر إلى المصابيح الباقية ، فتخير المصباح الرمادى — مصباح الخوف والجزع — فقبض عليه بيده الخائرة ، وتولى من مجلس أبيه وهو يرجف فرقاً ...

وتبعه الابن السادس : وكان مدللاً ملحوظاً من يوم ولادته بعناية والديه ، فشب أنانياً محباً لذاته ، فلم يتردد ولم يتمهل ، بل اندفع نحو المصباح الأحمر — مصباح الأثرة ذى الضوء القاتم الحائر وقبض عليه ...

وأخيراً ... وقف الابن الأصغر فى تواضع وخشوع بين يدى والده ، ثم ركع على ركبتيه وأخذ المصباح الأبيض ـ مصباح الإيمان بالله ـ وقال : يا أبت ... لسوف أتبع هذا النور على الدوام فى كل مكان وكل زمان ، فى السراء والضراء ...

ومرت الأعوام ... فضمر جسم الوالد ، وانحنى ظهره ، وطال شعره ... ولكن ظلت عيناه الحادتان ترقبان ـ على الدوام ـ عودة أبنائه السبعة ...

وقرع الباب يوماً ، فلما فتحه الوالد الشيخ وجد أمامه الابن الثالث الذى تخير المصباح الأخضر فقال له : « أبى لقد تبين لى أن النساء مخادعات غادرات . ولقد احترق زيت مصباحى عن آخره . وهأنذا شريد بائس ، ولقد قابلت أخى الذى شغف بجمع المال فطلبت مساعدته ، ولكنه أبى على ذلك »

ثم عاد بعد ذلك الابن الرابع صاحب المصباح الأصفر ، فإذا بمصباحه قد خبا ضوؤه وهو ما يزال يسعى وراء المال وجمعه ؛ وكان هذا هو كل ما حصل عليه . فقال : « يا أبى ، إننى رجعت إلى دارنا لأموت » ثم سقط على الأرض وفارق الحياة

وعاد الابن الخامس ذو المصباح الأحمر وكان سلطان شهواته ورغباته وأثرته لم يبق له خليلاً ولا صديقاً ، ولم يجلب له سلاماً أو طمأنينة فرجع إلى أبيه بائساً مسكيناً

وعاد بعد ذلك الابن الخامس ذو المصباح الأخضر فإذا به قد قضى حياته كلها يحيطه الخوف والجزع ، ذلك فإنه لم يؤمن بالله ، ولم يعرف أنه أرحم الراحمين ، فاحترق مصباحه بين يديه ، ونفذ زيته ، وأخذه الشك والخوف من كل مكان ، وكان نصيبه الوحدة والهزؤ من الناس أجمعين

وأخيراً رجع الابنان الباقيان معاً يحمل أحدهما المصباح الأخضر — مصباح الحق — ويحمل الآخر المصباح الأبيض — مصباح الإيمان بالله — فقالا للشيخ : « يا أبانا ، لقد هدانا المصباحان سواء السبيل فاسترشدنا بهما وسط العواصف والأنواء، وكلما حزب الأمر واشتد الإغراء وجدناهما خير معوان لنا على مقاومة النفس والشر أينما كان . وها نحن أولاء نعود إليك نشكرك ونحييك ونخلص لك»

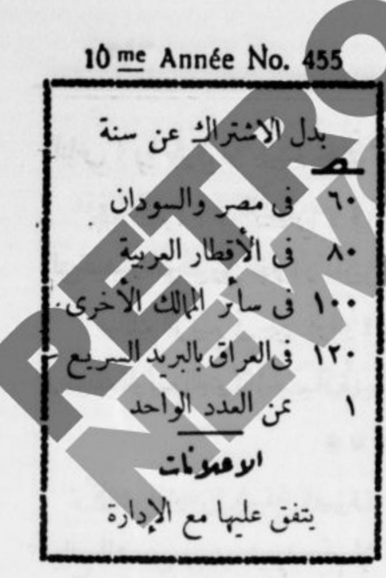
ابراهيم عبد الحميد زكى

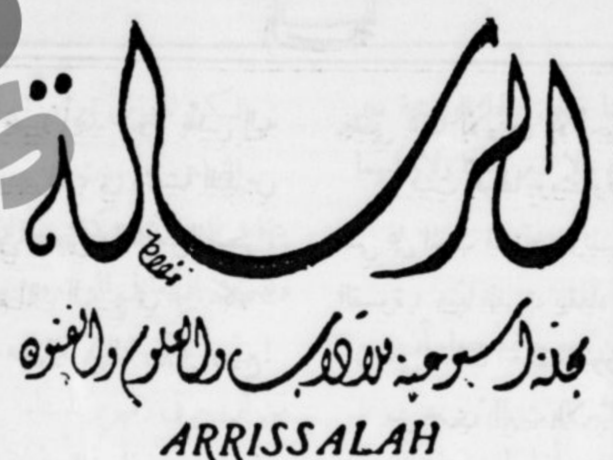
(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



10 me Année No. 455

Lundi - 23 - 3 - 1942


بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة


الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٥٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ٦ ربيع أول سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٣ مارس سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الربيع فى غير مكانه !

للأستاذ عباس محمود العقاد

الربيع . الربيع . الربيع !

وكررها ما شئت ، فما أنت بيالغ من تكرارها بعض ما تراه من اسم الربيع مرقوماً بشتى الحروف ، فى كل صفحة من صفحات الكون

كل بستان يقول لك الربيع ، وكل شجرة فى بستان تقول لك الربيع ، وكل طائرة غادية أو رائحة بين الزهر والشجر تقول لك الربيع ... !

وتقول لك الربيع كل عين لامعة ، وكل وجنة متوهجة ، وكل قلب خافق ، وكل حياة نامية

الربيع فى كل مكان

الربيع فى مكانه وفى غير مكانه . ويارب ربيع فى غير مكانه يلقاك بمعنيين لا بمعنى واحد ، كما يروعك الحسن غير منتظر ، أشد من روعته إياك وأنت فى انتظاره ، وعلى عهدك باختباره فى مكانه بين الضفاف والأشجار

وفى غير مكانه أين ؟ أين نلقاه فى أوانه ، بعيداً من مكانه ؟ سلنى وسل من واعدوه مثلى فى مختلف المواعد ، فيا طول ما رأيته حيث لا يراه الناس ! ويا طول ما ذكرته حيث لا يذكره

الفهـــــرس

الناس ! ويا طول ما حبيته حيث لا يحييه أحد ، ولا يأنس إليه

فى المقبرة ، فى السجن ، فى الصحراء ، فى وحشة النفوس التى تستعير الموت من المقبرة والضيق من السجن والظمأ من الصحراء

هنالك الربيع فى خير أوانه ؛ وهنالك الربيع فى غير مكانه ؛ وهنالك الربيع الذى لا أحب أن أنساه حين يذكر الناس كل ربيع !

* * *

كانت الشجرة باسقة ناضرة ، وكانت العصافير تملأها قبل مطلع الشمس وبعد مغيبها ، ثم لا تزال تغنيها طوال النهار شادية صافرة ، لاهية سادرة ، متلاقية زوجين زوجين أو متعاشرة ، ظاهرة بالفرار أو متظاهرة ، ثم متلاقية فى الصبيحة الباكرة ، متلاقية فى قيلولة الهاجرة ، متلاقية فى الظلمة الساترة

وكانت الشجرة على قبر فتاة

وكان القبر بين مئات القبور

وكنت أراها من حجرة قريبة إلى القبور فى كل شىء : فى الجيرة ، وفى المرض الذى أقعدنى فيها ، وفى الوحشة التى لا يشع خلالها رجاء

وكنا فى صحراء الإمام

انظر إلى عصافيرها . عصافير المقبرة على رفات الحسناء

انظر إليها لا ترى فرقاً بينها وبين عصافير روضة على ضفاف نهر فى يوم عيد

أتلومها أتحمدها ؟

نعم ، لك أن تلومها كما قلت يومئذ ألومها :

مفرَّدةَ الطير بين الحفـر   سواء لديك جميع الشجر
أفوق القبـور غنـاء الغرا   مِ ، وطيب المقام وصفو السمر ؟
دعيها لنـاعبة فى الدجى   وناعقِ سوءٍ رهيب الخبر
ولوذى بأيْكٍ يفىء الهوى   إلى ظله ويميـل النظـر
فذاك بصفوك أولى مقـا   مٍ ، وأولى بهذا المقام العبر

ولك أن تحمدها كما قلت يومئذ أحمدها :

مفردةَ الطـير أنت الأسـدُّ   وأنت الأجدُّ ، وأنت الأبر
عرفت الحيـاة فحييتهـا   بحيث نما غصنها وازدهر
ولم تعرفى الموت بين القبـو   رِ ، وماذا من الموت تحت الحجر ؟
ولا موت حيث يضوع الشذى   ويسرى الندى ، وتعيش الذكر
فغنَّى فما الأرض إلا حيا   ة تمر وأخرى تلى فى الأثر

وكنت أقولها يومئذ ولا أزال أقولها الآن وأنا أعجب لنا حين ننعى على الموت قسوته ، وننسى أن الحياة تواجهه بأقسى من تلك القسوة ، حيثما ظفرت ببقاياه

متى حفلت الحياة بالقبور ؟

متى هزئ الموت بالأحياء بعض ما تهزأ بالموت زهرة ضاحكة تنمو من جوف قبر ، وعصفورة عاشقة على مدفن حسناء ، وتغريدة تسمعها من الروضة فى يوم مهرجان كما تسمعها من صحراء الإمام فى جنازة عزيز ؟

تلك قسوة الحياة . وأقسى ما فيها أنها بحق ، وأنها لا تخجل ولا تدارى ولا تخال فى الأمر موضعاً لخجل أو مداراة .

* * *

وفى السجن !

والربيع فى السجن يعرف أوانه ولا يعرف مكانه

يعرف أوانه فلا يخطئه فى ورقة على فرع شجرة ، ولا ينساه فى قشاشة منسية على الأرض يلمحها عصفور عابر فيهبط إليها ، ليتخذ منها أثاثاً لمهاد غرامه ، فى موسم الغرام

أهذا أوان الربيع ؟

نعم هذا أوانه ، وهذه أنباؤه ، وهذه سيماؤه ! ! !

أو هذا مكان الربيع ؟

لقد كان ذلك بين الأسوار وراء القضبان ، وكل مكان فهو منزل للربيع الطلق غير هذا المكان ، فى حراسة سجان !

ولكننا تلقيناه فيه ، وابتسمنا له ، وعرفناه غير متنكر ولا متغير ، ومقتحماً علينا المكان أحب اقتحام .

* * *

ثم فى الصحراء

والصحراء والسجن نقيضان ، ولكنهما فى غرابة الربيع يلتقيان .

زهرة يفرقها من الزهرة التى بعدها مائة ميل ، وكأنها من الأنس بنضرتها فى جمهرة من الرياض والآجام . لا تلتفت إلى وحدتها لأنها فى حجر أمها وبين أبيها ، وهل لها من أم غير الحياة ومن أب غير الربيع ؟

ولكننا نحن الذين نراها بأعيننا فنخلق لها الوحشة من نفوسنا ، ونفرق بين مكانها وأوانها ، ولا ضير عليها ولا عليهما من افتراق

* * *

يذكرنا ربيع المقبرة وربيع السجن وربيع الصحراء أن ربيع العام كله فى غير مكانه وإن جاء فى إبانه

ربيع يقال له موسم الحياة والرجاء وأنباء الموت فيه أشيع الأنباء !

ربيع يتلاقى فيه محبان هنا ومحبان هناك ، ثم يتلاقى فيه مائة ألف من الأعداء ومائة ألف من الأعداء ، يتقاذفون الموت فى البر والبحر والفضاء !

ربيع يترقبه طلاب الموت ، ويفزع منه طلاب البقاء !

ربيع أقرب منه إلى مكانه كل ربيع في مقبرة ، وكل ربيع فى سجن ، وكل ربيع فى صحراء

هذا ربيع العام !

السلامة كل ما يُسأل منه ، وقد كان بعض سؤله النعمة والغرام

* * *

وكنت أسمعها تغرد ، وأراها تطفر ، وأرثى لها وهى فى قفصها ، وأحبها وهى لا تباليه ، كأنها نقلت الحرية من فضاء الله إلى صدرها الصغير بين أفراخها الصغار

تلك عصفورة الكنار عند صديق من محبى الطير فى الأقفاص ، وإن كنت لا أحبها فى غير فضاء الله

بل رأيتها تولد ، ورأيتها تزقو ، ورأيتها تترق يوماً بعد يوم من الزقاء فى طلب الَحب ، إلى التغريد فى طلب الُحب ، إلى التغريد فى الغبطة بالبنين

ثم نماها إلىّ الصديق ذات صباح ، فكان لنعيها تعقيب طال بيننا كما يطول التعقيب فى هذه الأيام على أنباء الغزوات

فليعجب من هذا من يستبعد الفارق بين النبأين ، كما يستبعد الفارق بين عصفورة واحدة ومائة ألف إنسان

إن كان هذا هو المقياس فالفارق جد بعيد ، بل هو فارق لا يجوز القياس فيه

لكن المقياس غير هذا وأصدق وأكرم من هذا المقياس بين موت فيه معناه ، وموت آخر فيه معناه ؛ وقد يتقابل المنيان فى كفتى ميزان ، إذا تجاوزت من مات وما مات وانتهيت إلى ما فى الموت من سر واعتبار

فى مستهل الربيع ماتت عصفورة الكنار التى نقلت إلينا قبساً من الربيع فى زمهرير الشتاء

ماتت وهى فى أول أمومة لها تستقبل ربيعها الثانى بخمسة من الأفراخ الضعاف

وماتت شهيدة هؤلاء الضعاف الظالمين ، لأنها جاءت لتطعمهم والحب عندها كثير ، ونسيت أن تأكل لنفسها لتذكر تلك الأفواه المفتوحة كأنها فتحت لتأكل كل شيء ... وماتت لأنها تعطى الحياة ولا تأخذ منها بعض ما تعطيه

ماتت شهيدة الفداء ، وماتت ووراءها تدبير حكيم أحكمته العناية فى مئات الألوف من السنين

وعند ما تموت عصفورة فيترجم لنا موتها ذلك التدبير ، ويقدر لنا ذلك التقدير ، لا عجب أن يقترن موتها بموت الجحافل وأنباء المحافل ، وهو فى قوانين الوجود كفاء ذلك القانون

لا عجب أن نحسب على ربيع العام هذه الشهيدة وأولئك الشهداء ، فكلهم فى سر الخليقة سواء

عباس محمود العقاد

صلوات فكر
في محاريب الطبيعة

للأستاذ عبد المنعم خلاف

[كتب كثير من هذه الخواطر في «الرستمية» بالعراق العزيز ، فهي مهداة إليه]

وما رأيت أرضاً يعنف فيها الشعور بالحياة كالعراق !

فهناك طلاسم مخبوءة في التراب والأعشاب للسحر وتفتح القلب للحياة والحب ...

وهناك تاريخ البشرية الأولى يحرك في نفس الحي الحس بالزمان ...

وهناك سحر هاروت وماروت لا يزال يجدد شباب قلب القارة العجوز : آسيا ...

حيث يفيض الماء دم الحياة غزيراً مدراراً ..

وحيث يفور النفط نهر اللهب غزيراً مدراراً ...

فينبت بين بينهما إنسان ذو جذوة بيضاء وأخرى حمراء ! في جماجم عاتية عمرت الحياة بالنسك والفتك في حياة الهدى وحياة الضلال ...

وهناك ملتقى الكيد وحرب الأجناس والأجيال في تلك الأرض السوداء ، على هامش الصحراء الصفراء ، وبين هضبة إيران وجبال كردستان تلتق الأنواع من إنسانها وحيوانها وحشراتها ... ففيها من كل جنس شاخص أو طلل . . هبت على قلبي فيها ريح الشمال من مجاري القرغيز وسهوب سيبريا ، وريح الجنوب ، من خضم تحمل مواعينه الطيوب والأفاويه ، والسحر الأسود من القارة السوداء وجزر الهند ؛ وريح النار من أرض الفرس ؛ وريح الموت من الهند أرض الاستغراق وفناء الأجساد وجنون الأرواح بالأسرار ، وانسلاخ القوى وتجسيم الخيال !

إنها ضلعة جبارة من ضلعات الطبيعة تطلق أشباحاً ترقص في الأوهام والظنون ...

فلا عجب إذا وعيت بعد هذا كله من أسرار الحياة ما جعل فكري دائم الصلاة !

١١ — أبجد (*)

أبداً أكرر دروس الطفولة فأتهجى أسماء الأشياء حتى لا أنسى ...

أبداً أحترم الطبيعة البدائية كما يحترم الأطفال كبار القوم ..

أبداً أسير إلى الأمام وعيني إلى الوراء ، حتى لا أضيّع طريق العودة إلى أحضان أمي ...

(*) أنظر الأعداد ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٩

لي ذهن سحري يَزْوِي لي الأيام الماضية ويحضرها لأعيش فيها فترات ثم يردها إلى مكانها من التاريخ ...

أسير وفي يدي مهدي الذي ولدت فيه ، حتى أصل إلى اللحد الموعود لأراهما معاً يتقابلان ...

أحتفظ دائماً بوجهي أمي وأبي حين رأيتهما لأول مرة بين الشباب والكهولة من عمرهما ... ولن أنسى هاتين الصورتين حتى أرى وجه الموت ... فأقابل بين الثلاثة ؟

ولدت في غيبوبة ... فهل أموت في غيبوبة ؟

١٢ — حماية الطفولة

الطفولة هي موضع عناية الله . . . ألا ترونه يضم كل جنين أو صغير ناشئ بحنان ويشق له بيده طريق الحياة !

فواضع يده اليقظة الرفيقة هي البراعم المتفتحة والمناطق النامية تلففها بأقمطة وأربطة ، وترصد حولها حرّاساً من الأشواك والمرارة والمواد قاتلة المكروبات والحشرات

إنها تستكثر من البويضات وجراثيم الحياة وتخرجه بالملايين التي تعجز قوى الإفناء عن إتلافها جميعاً لتسلم الحياة وتدوم الأنواع.

إنها تحب ذلك العالم الجميل البريء الذي لم يقبح ولم يتدنس ولم تحتله بعدُ قوى الشر .

إنهم يدخلون باسمين للنور والطعام واللعب يسألون عن كل شيء، الشمس لهم والمرعى والليل ، ولهم السعي والعمل والحب في منطقة الخديعة من قلوب الأمهات والآباء.

حُملان وجِراء وأشبال وأفراخ وبراعمُ وأطفال . أولئك هم الأصدقاء السائرون معاً في وَكْبَةٍ من مواكب الحياة ...

١٣ — الدوام

هل رأيت الدنيا تخلو يوماً من أشيائها ؟

أبداً ترى عصافير متحدة في الشكل والصوت تطفر على الأشجار والأغالي ...

وأبداً ترى هذه الدار مأهولة بالشمس والقمر والنجوم . . . نجوم السماء ونجوم الأرض ...

الأرض دائماً تقرع بالأقدام ، والصبح دائماً معه صوت الطير ...

أبداً فيك يا دنيا شباب مُتوَّجون بالطُّرة السوداء والنرَّة المشرقة ، والشفاه الباسمة ...

أبداً يلعب الأطفال فى أمكنة اللعب ويتصايحون عرابيدَ مِهاراً فى الملاعب ...

أزور دائماً أمكنة طفولتى فأجدها عامرة بالأطفال الذين احتلوا مكانى أنا ورفاق صباى ...

أترانى أرى دوام هذا الكون المظيم ... هذا الضياء الغامر الفياض ، هذا الليل الرائع الجبار . . . هذه الرياح العاتية الجارفة الزَّخارة ... هذا العُباب الهدّار الرَّجاف الرَّجْراج ... هذه الصحراء الطامسة الفاغرة . . . هذه الجبال الراسية الشامخة . . . هذه السماء الرحبة البعيدة المدى ... ثم أرى ذاتى إزاء هذه العوالم ضئيلاً ضعيفاً فانياً ثم لا أصرخ فى وجوهها صرخة تدوى بها هبواتُ الرياح ، وتتلقفها الجبال ، وتذهب أصداؤها فى الأعماق والأغوار ... صرخة تتمثل فيها كل معانى إحساسى بفنائى وضعفى وضياعى بينها من غير سند ولا عاصم أعتزّ به وأطُول وأصولُ ؟ !

لماذا تبقين وأنا أذهب ؟ وتتجددين وأنا أبْـلَى ؟ وتبصرين هذا الجمال الدائم وأنا أعمى وأطمس ؟ وتسمعين أصوات هذه الحياة العجيبة وضجتها وأنا أصمّ ؟

لماذا تُتَـوَّجين دائماً بلآلىء الصباح وذهب الضحى ورصائع النجوم ، وتتجملين بأصباغ فاتنة من وَهج الظهيرة وطَـفَل الأصيل وشفق المساء ، وتتعطرين بأنفاس الأزهار ... وأنا أجرد من حَلْيِـي وغُرَّتى وطُـرَّتى ، وتَـنْصلُ أصباغى ، وتتفكك أعضائى ، وتحبس روحى عن هذا الوجود ... حتى أنتهى إلى أن أنظر الكون من مِحْـجَرىْ جمجمة يسكنها الفراغ والظلام ، وتسكن هى فى أعماق حفرة ضيقة تضحك لظلامها بفكّـيْن مجرودَيْن مقبوحين حتى تمسها يد البلى فتتركها رُفاتاً سحيقاً بعد أن تمَـلّ الظلام وعلَّها ؟ !

لـماذا تمنحين ما أُحرَم وأنت عديمة القلوب والعيون ، وأنا ذو القلب الراقص دائماً على خفق الأدواح وصفق الرياح ، الجائع دائماً إلى الأحاسيس والمعانى المعلنة والباطنة ، وذو العين الرائدة الباحثة عن الحركات والألوان وسمات الوجوه وأشكال الأجسام !

لماذا يا عدالة السموات والأرض ؟ أفى الحق ذلك ؟

كلا ! فليست العدالة هى التى قسمت هذا وقالت به ... وإنما هى العقول السطحية اليائسة القاصرة قالت به ...

ولكن عدالة الأكوان ومنطق القلوب — أوعية الحياة — هما يقولان ببقاء هذه النفس لهذا الكون ونقلها إلى جمال أكمل وأسمى وأدوم ، وعالم من القدرة والتسلط أكثر هولاً وفنًّا وأعظم ، وعالم من الانطلاق والتحرر أرحب وأنعم !

والموت الموعد !

١٤ – تهافتت الغايات إلا غاية واحدة

وإنى لأهتف حين تهبُّ على قلبى نسماتٌ خفية تثير فيه حساسيته بالدوام والخلود واللانهائية ... ثم أرى أمامى كل غايات الحياة الأرضية متهافتةً أمام العقل لا تقنعُ عشاق الخلود والآملين فيه :

هل لى يا سيد الوجود شىء فى ملكوتك الجميل الخالد يبقى وأحوزه لنفسى بعد فنائى ورحيلى من هنا ؟

أم أنا ذاهب من كل هذا الجمال ومعانى الآمال كتينة ذهبت مع الريح ، أو ورقة أحرقت فى موقد ، أو حشرة عمياء صغيرة سحقت تحت قدم ... ؟

وهل يكون نصيبى من ملكوتك هذا الرحب الواسع الغنىّ بمعانى الحياة مكاناً مبهماً فى جوف الظلمات وأطواء العدم وسكون الجمود ، حيث لا إحساس بهذه الحياة ولا بما وراءها ... وحيث لا أمكنة لأشياء إذ لا أشياء إلا تلك الصور المطموسة التى ينقلها الخيال الإنسانى من عالمها هنا إلى هناك ، حين عجز أن يتخيل الفراغ والعماء ؟ !

إننى يا سيدى لا أصدق ، لأن ضميرى قطعة من ضمير الوجود كله ... !

وكيف أصدق أن ما فى عينى من الصور ، وما فى سمعى من النغم ، وما فى قلبى من أحاسيس ، وما فى فكرى من قضايا الكون والفساد وأحلام الكمال ، تذهب هكذا كأن لم تكن !

إنهم أطفال أولئك الذين يقصر خيالهم عن إدراك المدى الحيوى الباقى للانسان وراء هذه الحياة الدنيا، كما يقصر خيال الطفولة عن إدراك عوالم الرجولة وبلوغ الأشُد فى دنيا الأجسام ...

فكل غايات الحياة الأرضية متهافتة فانيـة أمام العقل ، لا عمر لها إلا خطفات زمنية ، ولا وزن لها تجاه الأبد الكبير ... والهادفون إليها فانون ، إلا إذا دارت حول غاية واحدة : هى الله والبقاء معه ...

عبد المنعم خلاف

بين آدم وحواء

شروق العقـــل

للدكتور زكى مبارك

أفاق آدم من غفوته عند قدوم حواء ، وكان المنتظر أن يتلقاها بالضم والتقبيل ، ولكنها عاجلتْه بضربة قاصمة هي تذكيره بشجرة التين ، فنام قلبه بعد صفاء ، وعاد فانطوى على نفسه كما يصنع الأرقم في ليالي الشتاء .

— آدم ، مالي أراك شارد اللب ؟

— من الفرح بقدومك بعد طول الغياب !

— أُنظر ، أُنظر ، ألا ترى أني صرت أنضر من أزهار التّفاح ؟

— وأحلى من أثمار التفاح !

— إذاً ما هذا الخمود الذي يغالب قُواك ؟

— ما أنا بغافل عن واجب الترحيب بهذا الجسم الفينان ، الجسم البديع الذي أضلني وهداني ، ولكني تذكرت « صلاة الشكر » وهي صلاة لا تتم بلا اعتكاف ، فإن رأيت أن تتركيني وحدي لحظة أو لحظتين ...

— انتهابُ الجمال هو في ذاته شكران لواهب الجمال

— أبغَضُ ما تكون المرأة حين تتفلسف ، فاتركيني لصلاتي ، وإلا مزجت الكوثر بدمك النجيع . إنصرفي ولا ترجعي إلا إن سمعت ندائي

« وخافت حواء عواقب هذه الغضبة فولت هاربة لا تُلوى على شيء وتركت آدم للصلاة ، وهي ترجو أن تكون صلاته أقصر من الأمل في سيادة العدل »

فماذا وقع بعد انصراف حواء ؟

هل صلّى آدم ؟ وكيف تصح له صلاة وقلبُه يفور ، وعقلُه يثور ؟

أخذ آدم يفكر فيما انتهى إليه أمره وأمر حواء ، فقد كانا غايةً في الطاعة والخضوع ، فما الذي جدّ حتى أصبحا غايةً في التمرد والعصيان ؟

أيرجع السبب إلى وسوسة إبليس ؟

ولكن إبليس كان يوسوس منذ أزمان ولم يصل إلى شيء ، فكيف وصل بعد اليأس ؟

هنا أدرك آدم أن السر يرجع إلى النموّ الملحوظ في جسده وجسد حواء ، وأيقن أن اضطرام الأجسام يصنع ما تعجز عنه ألوف الأباليس ... وهل تنجح النزوات الخارجية إن لم تصادف قبولاً من الأهواء الداخلية ؟

وزاد في اقتناع آدم بهذه النظرية ما كان يلاحظ على فصائل الطير والحيوان ؛ فقد كان يشاهد أنها لينة رفيقة في أول عهدها بالوجود ، ثم تغلب عليها القسوة والشراسة حين تصير إلى النضج والاستحصاد !

وإذن ؟ وإذن يكون تطوّر الفاعلية الجسدية مصدر التطور في الفاعلية العقلية !

ثم ؟

ثم يكون في كل تطور جديدٌ إبليس جديد

وعلى هذا يكون لحواء في طغيانها عذرٌ مقبول

وما ذنبُ حواء ؟ ما ذنبُها وقد استحالت إلى دوافع ونوازع وأهواء ؟

نظرتْ مرة إلى نهر الكوثر في لحظة سكون فرأت خيال وجهها الجميل وقد استدار في هالة من السحر والفتون ، فقدّرت أنْ سيكون لها تاريخ ، وعجبتْ من أن يتعامى آدم عن حسنها الفتّان ، كأنها تجهل أن آدم صار ألعوبة في زمامها المخبول

وخلاصةُ ما قرأت في كتاب شيث أن آدم لا يقيم وزناً لنزغات إبليس ، وإنما يرى أن الجسد هو الأصل ، وأن ألفافه مكوّنة من أباليس ، وأن ثمر الشجرة المحرّمة قد يزيده فورةً إلى فورة ، وجموحاً إلى جموح

وهل غاب عن آدم أن ثمرات التين سريعة العطب والفساد ؟ لقد تأملها مرة ومرتين ومرات ، فعرف أنها معرّضة لأخطر الجراثيم ، وأدرك أن سمها قد يورّث ما في الأجسام من السم المكنون فتستشري وتهتاج[1]

وإذا كان آدم عجز عن رياضة حواء وهي صحيحة ، فكيف يروضها وهي مريضة ؟

---

(١) تحرير هذه الفكرة أن الانحراف في الطبائع هو الأصل في انحراف الأخلاق

خطرتْ لآدم هذه الخواطر وهو يبحث عن السر فى تمرد حواء ... لقد كانت طفلةً وديعة ، فكيف صارت امرأةً خبيثة ؟ تطوُّر الجسد صنع بها ما صنع ، فأمست وهى أخطر من الحية النضناض ، ولن يكون إبليس بأمكر من حواء ، بعد أن تبلغ مبلغ النساء

وكان آدم يعرف أنه يحمل الجانب الأخطر من المسئولية ؛ فهو السبب الأصيل فى تمرّد حواء ، وبفضل شبابه وصياله ذاقت أفاويق الضلال

والذى ينتظر أن تهدأ المرأة وأمام عينيها رجل ، شبيهٌ بالذى ينتظر أن تهدأ النار وقد أُقِمتْ أكداس الحلفاء ... لقد كان آدم يطرد حواء ثم تعود إليه لتأنس بضربه الوجيع ، كما ترجع الفراشة إلى أقباس اللهيب

المرأة تدرك ما فى الرجل من المعانى ، ولو كان من الخاملين ، فكيف تصدّ عنه وهو من الأنبياء ؟

كانت حواء سمعت أن الله لم يخلق آدم إلا بعد أن دار بينه وبين الملائكة حوار طريف ، فكيف يفوتها أن تنتفع بشهرته ، وهى تعرف أن الشهرة مغنمٌ عظيمٌ ، وإن اعتمدت على أضاليل وأباطيل ؟

وهل تقوم الشهرة بلا أصل ؟

إن آدم رجل ، والرجولة من أعظم الأرزاق ، فما زهدها فيه وهو من أمثلة العزة والجبروت ؟ وهل تنسى أنه صرعها فوق شط الكوثر ألوف المرات ؟

القوة هى سحر آدم ، والضعف هو سر حواء ، والوجود يقوم على أسس كثيرة ولكنها ترجع إلى أساسين هما القوة والضعف ؛ والعشق العارم لا يقع إلا بين عاشقين مختلفين فى العرض والطول ، والدمامة والجمال ، والقسوة واللين

ومع هذا كان آدم هو البادىْ بإعلان شوقه إلى حواء ، وكانت حواء تنكر شوقها إليه . وتفسير ذلك سهل : فأسرع الناس إلى الاعتراف بالحق هم الأقوياء

وزعم شيث بن عربانوس أن آدم قال وهو يحاور تلك اللعوب :

أما والله لو تجدين وجدى   لطِرت إلىَّ خالعة العذار[1]

(١) كذلك ورد هذا البيت فى كتاب شيث ، ورواية الأغانى تخالف هذه الرواية فى الكلمة الأولى من الشطر الثانى

وقد فات آدم أن حواء ضعيفة ، والضعف يتسلح بالرياء

والقول الفصل أن آدم قد انتهى إلى حقيقة لا تحتاج إلى برهان ، وهى صدور الأهواء عن الأجساد قبل صدورها عن الأرواح ، لأن الجسد أداة الروح، ولأنه يحفظ قواها كما تحفظ الكأس سر الرحيق

ثم ماذا ؟ ثم التفت آدم إلى وحى النبوة فقال :

« لم أكن أدرك تكاليف النبوة حين أراد الله أن أكون من الأنبياء ، فقد فهمت أول الأمر أن النبوّة لا تصح إلا لمن يقف موقف الراعى من الرعية ، وليس فى الجنة جنود وأتباع يحتاجون إلى من ينظر فى شؤونهم بعين الدبّر الحصيف ... ثم عرفت أن الله جعلنى نبياً لحكمة سامية : فحواء شخصٌ فرد ، ولكنها مؤلَّفة من شخوص يعدّون بالألوف ، بفضل ما يصطرع فى جسدها وروحها ، وقلبها وعقلها ، من أشتات النوازع والأحاسيس ... هى شخصٌ فرد ، ولكن أوقاتى تضيق عن الطب لأهواء ذلك الشخص الفرد ، فكيف أصنع لو أضيف إليها أفراد يحملون ما تحمل من أوقار النزق والطيش والجموح ؟ إنها تتعبنى فى الحوار ، وأكاد أوقن بأن كل كلمة من كلماتها ترمز إلى شىء ، فهذه الكلمة عتاب ، وتلك الكلمة اتهام ، وهذا اللفظ وعد ، وذلك اللفظ إغراء ، وذلك اللفظ تجريح ... ومن عجيب الأمر فى سياسة هذه الشقية أن خطبها لا يهون إلا حين تنطق ، مع أن المفهوم أن نطقها فى أغلب أحواله وعيد مخيف ... أخطر ما تكون حواء حين تصمت ، فعند ذلك أدرك أنها تضمر أشياء ، وأنا أخاف أشد الخوف من النذير السَّموت ... لو أن الله جعلنى نبياً فى أمة كثيرة العدد لخفَّ الخطبُ وهان ، فقد كنت أستطيع الاعتذار بالعجز عن رعاية الألوف من الرجال والنساء ، ولكن الله جعلنى نبيًّا على مخلوق تحار فى رياضته العقول ... من أى طريق أصل إلى اكتناه قلب حواء ؟ وكيف أؤدى الواجب فى تهذيب تلك الشقية ؟ وهل نجحتُ فى التخلق بأخلاق النبوة وأنا أروض تلك الفرس الشَّموس ؟ الله يعلم أنى لم أُقصّر ولم أُفرّط ، ولكن ما هذا البلاء الذى أعانيه ؟ واجب النبى أن يَهدِى الجميع فى حدود ما يطيق ؛ وقد يتلطف الله به حين يعجز عن هداية من يحب، لأنه يعلم أن الأحباب هم فى الحقيقة أعداء ؛ وهل يعرف مَقاتل المحب غير الحبيب ؟ كان يكفى أن أعجز

عن هداية حواء فأُسلمها إلى الشياطين ، ولكن البلاء كل البلاء أن هذه المرأة لا تكتفى بنجاتها من يدى ، وإنما تريد أن تضلنى فآكل معها الثمر الممنوع ، وبهذا يصبح الهادى وهو من الضالين ! إن نجحت حواء فى اختتالى واختلابى فسأكون عِبرة لمن يأتى بعدى من الأنبياء . . . وهل أضمن حفظ مكانتى فى التاريخ ؟ إنْ تطاول الزمان فسيقول قوم إن آدم شخصية خرافية أُريدَ بها تصوير انهزام الرجال أمام النساء . وهل يؤذبنى أن يقال ذلك ؟ أنا أول ضحية بشرية إن هزمتنى حواء ، ومن حق من يجيئون بعدى أن يرتابوا فى حقيقتى التاريخية . فالرجل الذى يعجز عن كبح المرأة لا يستحق شرف الوجود ... وأنا أعيذ من تصل إليهم هذه الأخبار أن يسيئوا الظن بجدهم المظلوم ، فليس عندى أوامر صريحة أتولى بها زجر حواء ، ولست أعرف المصير إن عاقبتها بالقتل ، فما لى صديق غير هذا المخلوق ، والصديق الواحد جدير بالاستبقاء وإن تردّى بالعيوب . من أخصب تخيَّر ، وأنا فى الصداقة مُجدب لا مخصب . فهل ألام إذا استجزت المعصية طاعةً لمحبوب لا أجد غيره حين يضيع ؟ سأقرب الشجرة رعاية لحواء ، وليصنع الله بنا ما يشاء ... وماذا يريد الله ! أيريد أن نشاركه فى السموّ المطلَق ؟ أيريد أن نتنزه كما تنزه عن جميع الشُبهات ؟ أين نحن من الله وهو قوة أزلية لا يعتريها نقص ولا خمود ؟ بأمر الله سأعصى الله فأقرب الشجرة مع حواء . سأعصيه بأمره وإن كان نهانى ، فهو يعلم أن المخلوق المؤلف من أحلام وأهواء لا يعظم عليه العصيان »[1]

وانخرط آدم فى البكاء ، فلم يوقظه غير حواء

— آدم ، آدم ، ماذا بك ؟

— حواء ؟

— نعم ، حواء ، هل فرغت من صلاتك ؟

— أى صلاة ؟

— صلاة الشكر ، ألم تحدثنى أنك من أجلها أردت الاعتكاف

— لقد صليت صلاة لا تخطر لك فى بال

— هل صليت كما تصلى الملائكة ؟

— أعظم مما يصلّون

— وكيف ؟

— ناقشتُ الله !

— من ناقشَ الله هَلَك

— قولى هذا لنفسك ، يا حواء !

— أحب أن أعرف كيف تكون المجادلات من ضروب الصلوات ؟

— حين تكون شاهداً على شروق العقل

— لا أفهم ما تريد أن تقول

— أريد أن أقول : إن الله يكره لعباده أن يلوذوا بالصمت والجمود

— ومعنى هذا أنه يحب أن نتكلم ونتحرك فى كل وقت ؟

— إذا أشار العقل

— وما العقل ؟

— أن تسكتى إلى الأبد الأبيد !

— أتريد أن تتمتع بنعمة الكلام وحدك ؟

— لأننى أشقى بنعمة العقل وحدى ، ولأن الله لن يسأل غير « آدم » عن نزق « حواء »

— وما رأيك فى شجرة التين ؟

— المرأة حين تولع بشيء لا تنفك تدور حوله ولو نهاها عنه الأنبياء

— وأنت نبىٌّ يا « آدم » ؟ لم يبق إلا هذا الزعم الطريف !

— إن صوت الله قرع أذنيك ولم تنتهى ، فهل تسمعين صوت النبىّ المسكين ؟ !

— ومتى نهانى الله عن الشجرة ؟

— كيف نسيت يا حواء أننا سمعنا ألف مرة هاتفاً يصيح :

« لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين »

— هو نداء موجه إليك

---

(١) هذه الوثيقة التاريخية تشهد بأن آدم ظل مدة طويلة فى أسر القلق والخوف ، ومنها نعرف أنه كان فى عراك دائم بين عقله وهواه ، وأن حواء لم تفتنه إلا بعد أن بذل فى جهادها فوق ما يطيق

— إليّ وحدى ؟ وكيف ؟

— لأنك رجل !

— وإذن يكون من حقى أن أقرب الشجرة وحدى

— لن تذوق ثمرها إلا من يدىّ

— وهل أذوق من يديك غير العلقم والصاب ؟

— إسمع يا آدم ، إسمع : يظهر أنك أغلف القلب ، وأنك فى احتياج إلى من يزيل الغشاوة عن عينيك . ما هذا التمرد على الله ؟ وما هذا العصيان ؟ مزيتك أنك رجل ، ورجولة آدم رهينة بشهادة حواء ، ولن أعترف لك بشىء إلا إن عصيت وغويت

— ويقول الله : وعصى آدم رَبَّه فغوى ؟

— ومن أنت حتى تصل إلى أن ينالك الله بالغمز والتجريح ؟

— إسكتى ، يا حواء !

— لن أسكت قبل أن أزلزل قلبك جزاء بما احتكرت من دعوى الفضيلة والشرف والنبل ؛ كأن سلوكي معك رذيلةٌ وضعةٌ وإسفاف . أنت تصور نفسك دائماً بصورة المظلوم وتنسى أنك فى أغلب أحوالك من الظالمين

— ومتى ظلمتك ، يا حواء ؟

— حين تناسيت فضلى عليك ، فأنا أضرم أهواءك لتشعر بعنفوان الرجولة الحق ، وستموت حسيًّا ومعنويًّا يوم أعجز عن إغوائك . فيومذاك تعرف يا جاهل أن طيش حواء ليس بالمغنم القليل

— كفى . كفى !

— لا ، لا ، لن أتركك أو تعترف بفضلى عليك

— أمِنَ الفضل أن تزّينى المعصية ؟

— ما زّينت لك شيئاً غير جميل

— وشجرة التين ؟

— ما تهمنى شجرة التين بالذات فسأحاول هدايتك إن امتنعت عن شجرة الجميز ، لأملك نقل قلبك من مكان إلى مكان ، ولأطمئن إلى أنك بعافية تجعلك فى طليعة الفحول ، فما ينجو من كيد المرأة إلا العِنّين أو المجبوب

— أنت ياحواء شقية !

— وأنت يا آدم جهول !

ومرت لحظات صمت فيها آدم صمت الأموات ، ثم ثاب إلى صحوه فأيقن أن نجاته من كيد حواء أمل عزيز المنال ... ولكنه جمع قواه ليصدها عن الغواية بأسلوب لم يفكر فيه من قبل . فهل يصل إلى ما يريد ؟

« للحديث شجون » زكى مبارك

حاجتنا إلى معهد أثنولوجى بجامعة فؤاد الأول

للأستاذ محمد جلال عبد الحميد

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

٢ — كيف نبتدئ فى تكوين المعهد الأثنولوجى؟

قد يبدو غريباً أن نطالب الحكومة بإنشاء مؤسسة علمية جديدة بجامعة فؤاد الأول فى هذا الوقت وخصوصاً وقد أصبح من المتعذر استدعاء العلماء الإخصائيين من أوربا وغيرها ، وأنه أصبح من الصعب أيضاً توفير المال اللازم لتنفيذ مثل هذا المشروع ، ولكننا إذا توسعنا فى التفكير والبحث عن أقرب الطرق وأسهلها مع توخينا البساطة فى التنفيذ ظهر لنا الأمر على عكس ما كنا نتوهم

من حيث هيئة التدريس وتكوين أعضائها فإن من السهل انتداب بعض الأساتذة من كليات جامعة فؤاد الأول وغيرها من المؤسسات العلمية بمصر . ففى كلية العلوم مثلاً يمكن استدعاء أستاذى البيولوجيا والفزيولوجيا لمعالجة هاتين المادتين بالمعهد[1] ؛ وكذلك يمكن انتداب أستاذ علم التشريح من كلية الطب لمعالجة مسائل الجنس البشرى . ومن السهل أيضاً أن يقوم أساتذة علم الاجتماع والتاريخ والجغرافيا واللغات لمعالجة المسائل الاجتماعية وأثر البيئة الجغرافية فى تحديد النشاط المادى والروحى للجماعات البشرية المحدودة الدنية ؛ ثم البحث عن معالم مدنياتها وآثار ما قبل التاريخ فى الجهات التى تسكنها

فكما نشاهد فيما بعد أن المواد الرئيسية التى يتكون منها علم الأثنولوجيا هى ضمن اختصاص جماعة من العلماء لهم معاملهم وتجاربهم وأوضاع بحوثهم المستقلة . ولما كان الغرض

(١) أنظر منهج الدراسة بمعهد الأتنولوجيا ص ٩

الأول[1] من معالجة تلك المواد بمعهد الأثنولوجيا هو رسم صورة عامة للتكوين الاجتماعى والأسس الدينية والأوضاع الإقتصادية ، وتحديد المميزات الرئيسية للأجناس البشرية المحدودة الدنية ؛ فليس من الصعب أن نبدأ من الآن فنعمل على إنشاء معهد للبحوث الأثنولوجية وأن تكون هيئة التدريس فيه من الأساتذة المصريين والأجانب الموجودين بمصر الآن

وأما مشكلة التجارب الأثنولوجية وكيفية تهيئة المعامل اللازمة لها ، فليس فيها تعقيد أو صعوبة لا يمكن تخطيها ، لأنه من السهل استدعاء بعض الأطفال والأولاد من المدارس الإلزامية والابتدائية ، وأما الرجال والنساء ، فيؤتى بهم من بعض وحدات الجيش والمستشفيات والسجون لوصف وأخذ أقيسة مختلفة لأعضائهم وتحليل الدم عندهم لتحديد مجموعاته المختلفة . ويمكن أيضاً إجراء مثل هذه التجارب على الهيا كل البشرية التى يمكن الحصول عليها من كلية الطب

ومن ضمن التجارب الأثنولوجية أيضاً القيام ببعض زيارات لمتحف الأثنولوجيا والمتاحف الأخرى الموجودة بمصر للوقوف على كيفية ترتيب المعروضات فيها ، ثم القيام بوصف وتحليل بعض هذه المعروضات لمعرفة طريقة تكوينها واستخلاص الأسس الفنية والغاية التى أنشئت من أجلها

٣ — منهج الدراسة[2]

أولا — الدراسة النظرية

تتناول هذه الدراسة نشأة الإنسان ومميزاته الرئيسية والمؤثرات

(١) تلك هي المرحلة الأولى من حياة معهد الأتنولوجيا ؛ وأما المرحلة الثانية وهى التوسع فى دراسة أحد فروع الأتنولوجيا أو بعضها لاستخلاص بعض القوانين التى تتعين بها أوضاع الحياة الاجتماعية لدى تلك الأمم فيترك البحث فى أمر تحديدها الآن حتى تتهيأ الفرصة لتخطى المرحلة الأولى والتى تنتهى بتكوين وتهيئة جماعة من الباحثين يطلق عليهم (الصفافين الاجتماعيين) وهم الذين يقومون بجمع المعلومات والوثائق والأشياء بين الجماعات البشرية المختلفة مع القدرة على ترتيبها وتصنيفها بطريقة علمية منظمة

(٢) يعمل بهذا المنهج الآن بمعهد الأتنولوجيا بجامعة باريس ولكنا رأينا إدخال بعض تعديلات وزيادات علمية نظراً لتطور علم الأتنولوجيا وتعدد بحوثه

الخارجية المحيطة به واتصال ذلك بنظام تطوره العام ، وأبواب هذه الدراسة هي :

(ا) نشأة الانسان ومميزاته

١ — باليونتولوجيا Paléontologie

نستعين بهذه الدراسة في معرفة آثار الحياة في المخلوقات البسيطة التركيب وغيرها والتي وجدت في عصور جيولوجية قديمة سبقت عهد ظهور الإنسان مع العمل على تحديد المناطق الطبيعية لتلك الحيوانات وتعيين اتجاه هجرتها في تلك العصور ، ثم تعيين المناطق الأولى التي ظهر فيها الإنسان

٢ — بيولوجيا ... Biologie :

وعند الإلمام ببعض مبادئ علم الحياة نستطيع أن نعرف التطورات والتغيرات التي تنشأ داخل جسم الإنسان وتعتريه في حياته ، ثم العمل على تحديد العوامل الوراثية وأثرها في انتقال المميزات الرئيسية للجنس البشري

٣ — فزيولوجيا Physiologie :

ونقصد من هذه الدراسة الوقوف على كيفية ومدى تأثير البيئة الجغرافية وطرق التغذية ووسائل العمل في اختلاف الأجناس البشرية .

٤ — أنتروبولوجيا Anthropologie

يتناول هذا العلم دراسة الصفات الرئيسية لجسم الإنسان وتحديد المميزات المختلفة للأجناس البشرية كلها مع الإلمام التام بتاريخ نشأة كل منها .

(ب) مؤثرات خارجية

١ — البيئة الجغرافية والبشرية

بعد معرفة العناصر المختلفة للبيئة الجغرافية من حيث الطقس ودرجة خصوبة الأرض والتغيرات المناخية يمكن تحديد تأثير تلك العوامل الطبيعية في التكوين الاجتماعي والنشاط المادي والروحي للأمم المختلفة .

٢ — اتصال الأجناس والمدنيات

إذا تغلبت أمة على أمة أو طغت مدنية على مدنية أخرى فقد يؤثر ذلك في حجم الأمة المغلوبة إما بزيادة عدد أفرادها أو بنقص هذا العدد . وللمدنية الغالبة الحق والقدرة على توجيه رأي الجماعة والتعبير عن شعورها وتحديد طرق معيشتها . وعلى هذا فمن الضروري أن نهتم كثيراً بدراسة تأثير المدنيات بعضها في بعض ، ومعرفة النتائج المادية والمعنوية للاستعمار البشري والاتصال المدني . ويكمل هذه الدراسة بحوث يقصد منها تحديد مناطق المدنيات وعصورها واتجاهاتها ومميزاتها الرئيسية .

(ج) النشاط الانساني

١ — علم النفس Psychologie

يقصد من هذه الدراسة الإلمام بمعرفة الظواهر الأولى لنشأة الحياة الفكرية والإحساس والشعور وطرق التعبير عنهما لدى الإنسان ومقارنة تلك الظواهر بما تشابهها لدى الحيوانات الراقية

٢ — علم اللغة Linguistique

ونستعين بهذه الدراسة في معرفة القوانين العامة لاختلاف اللغات واللهجات والإلمام بالطرق العلمية لجمع عناصرها ومعالمها بين الجماعات المختلفة

٣ — علم الاجتماع Sociologie

يقصد من هذه الدراسة معرفة الأسس والتعاريف العامة للظواهر الاجتماعية والدينية والاقتصادية

٤ — أثنوجرافية Ethnographie

وغاية علم الإتنوجرافيا دراسة الطرق المختلفة التي يجب اتباعها في جمع معالم ولم شتات المدنيات لدى الأمم المحدودة المدنية

٥ — علم آثار ما قبل التاريخ Préhistoire

نبني من وراء هذه الدراسة معرفة المميزات الأساسية للانسان الأول ومعرفة آثاره المادية والروحية والعمل على جمعها وترتيبها حسب مواطنها وعصورها المختلفة

ثانيا — الدراسة العملية

١ — تجارب أنترو بولوجية

يقوم الطلبة بإجراء تجارب مختلفة ، كوصف جسم الإنسان وأخذ أقيسة لأعضائه ، وأن تجرى هذه التجارب على الرجال والنساء والأولاد والأطفال ؛ وذلك فى بيئات وطبقات اجتماعية مختلفة . هذا وأن تجرى نفس التجارب على الهيا كل البشرية والحيوانية

٢ — تجارب بسيكولوجية

يتمرن الطلبة على استعمال الآلات الحديثة الخاصة بقياس قوة النظر وسرعة الإحساس ، مع الإلمام بمعرفة الطرق العلمية المستعملة فى قياس قوة الذاكرة

٣ — تجارب اثنوجرافية

يقوم الطلبة بعدة زيارات لمتحف الأنتولوجيا والمتاحف الأخرى بالقاهرة وغيرها للوقوف على كيفية ترتيب وضع المعروضات فيها ووسائل حفظها والعناية بها . وأن يتدرب الطلبة أيضاً على وصف هذه الأشياء ، ومقارنتها بنظائرها

٤ — رحلات

يقوم الطلبة برحلات وزيارات لكثير من القرى المصرية والسودانية لدراسة نظام تكوين القرية ووصف الحياة فيها ويقوم الطلبة أيضاً بزيارة المناطق التى اكتشفت فيها آثار ما قبل التاريخ

وقبل أن أنتهى من الحديث عن منهج الدراسة بمعهد البحوث الأنتولوجية أريد أن ألفت النظر إلى أنه يشترط فى طالب الالتحاق به أن يكون من خريجى كليات الآداب والحقوق والتجارة والطب وأن تكون مدة الدراسة فيه سنتين

هذا وإننا نرى أن متحف الأنتولوجيا يكون جزءاً متمماً للمعهد فيجب أن يبدأ فى تكوينه مع المعهد

يظهر لنا مما تقدم أن بوادى النيل كثيراً من الجماعات البشرية تختلف عن بعضها من حيث جنسها ونوع تكوينها الاجتماعى ودرجة مدنياتها، وأن البحث عن معالم تلك المدنيات لم يتسع ميدانه ولم تتنوع أبوابه بعد ، فيجب أن نشرع فى إنشاء معهد ومتحف الأنتولوجيا لنتابع بذلك تقدماً مطرداً فى نهضتنا العلمية الحديثة والتى تبنى لها انسجاماً فى جميع نواحيها . وإذا نظرنا إلى ماضى نهضتنا على الأخص هذه وجدنا أن فى عنقنا ديناً نحو العلم الذى أصبح اليوم يزهق من زفرات أوربا المحرقة والتى شردت العلماء فى فيافى الأرض بعد أن تفككت أواصر مجتمعاتهم وانقلبت أوضاع معاملهم ، وأن شعورنا بهذا الواجب يحتم علينا أن ننهض ونضحى ونهيئ للعلم وطناً كما فعل السابقون من أبناء هذا الوادى

محمد مهول عبد الحميد

٢ - ابن خـــرداذبه

للأستاذ كوركيس عواد

يؤخذ مما ورد فى بعض المراجع - أن ابن خرداذبه هـذا - كان وزيراً ، فقد ذكر البَشّارى المقدسى[1] فى عرض كلامه على « سدّ ذى القرنين » ما هذا نصه :

« قرأتُ فى كتاب ابن خرداذبه[2] وغيره فى قصة هذا السد على نسق واحد ، واللفظ والإسناد لابن خرداذبه ، لأنه كان وزير الخليفة ، وأقدر على ودائع علوم خزانة أمير المؤمنين . . . »

ويؤسفنا أنه لم يُشِر إلى اسم ذلك الخليفة الذى وُزّر له ، والمرجّح عندنا أنه كان « المعتمد »

وقد بحثنا فيما بين أيدينا من تواريخ الدولة العباسية ، والمصنَّفات الباحثة فى أخبار الوزراء خاصة ؛ فلم نجد بين هاتيك المدوّنات مَن ذكر أن ابن خرداذبه كان وزيراً لخليفة من الخلفاء . والذى نذهب إليه أنه كان وزيراً بالإسم فقط ، وهذا أمر معروف عند متتبعى أحوال الإدارة فى تلك الأزمنة التى كثرت فيها الوظائف ، واصطنعت فيها الألقاب !

ومهما يكن من أمر ، ففى العبارة التى نقلناها عن البشارى ، خير دليل على عِظم منزلة ابن خرداذبه عند الخليفة ، وعلى اعتماد ذلك الخليفة عليه فى أمور خزانته الحافلة

وقد ذكر ابن خرداذبه نفسه بنفسه ، فى أوائل كتابه « المسالك والممالك » ، ولمح إلى مكانه من الخليفة بقوله[3] :

« هذا كتاب فيه صفة الأرض ، وبِنْية الخلق عليها ، وقبلة أهل كل بلد والممالك والمسالك إلى نواحى الأرض ، تأليف أبى القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خُرداذبه ، مولى أمير المؤمنين »

والظاهر أن « أمير المؤمنين » هذا ، قد كان المعتمد أيضاً ، على ما عُرِف من صلة وثيقة بينه وبين هذا الخليفة

(١) أحسن التقاسيم (ص ٣٦٢)

(٢) تجد الخبر بكامله فى كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة (ص ١٦٢ — ١٧٠)

(٣) المسالك والممالك (ص ٤)

ولعُبَيد الله ابن خرداذبه أخبار تفرقت فى شعر بعض معاصريه فيها ما يسير إلى أصله « الفارسى » ، وما يشيد بذكر عائلته العريقة فى المجد ، وما يدل على سمو منزلته فى الدولة

روى أبو بكر الصولى فى كلامه على الشاعر أبى الطيب محمد ابن عبد الله بن أحمد بن يوسف أنه قال : « وكتبت إلى ابن خرداذبه ، وقد دام المطر « بسُرَّ مَنْ رَأى » وتأخرتُ عنه :

لعمرى لئن سرّ الحيا فى مواطن ... لقد ساءنى أن عاقنى عن لقائكا

وقد كنتُ مشغوفاً بذاك أريده ... فحالَ قضاء الله من دون ذلكا

فَصِفْ لى فَدَتْك النفس أمراً يسرّنى ... وأحمد فيه الله من حسن حالكا

وحال أخينا أحسنَ الله صنعه ... وحال فتاك منعماً فى كتابكا[1] »

فهذا الشاعر ، على ما يبدو من الأبيات المتقدمة ، قد كان صديقاً حميماً لابن خرداذبة . ونظيره فى هذه الصداقة كان البحترى الشاعر المشهور المتوفى سنة ٢٨٤ هـ ؛ فقد وقفنا فى ديوان شعره على قطع له فيه . من ذلك ما قاله فى عبدون بن مخلد[2] وقد كتب بها إلى ابن خرداذبه[3] :

أبلغْ لديك عُبيد الله مألُكةً[4] ... وما بدار عُبَيْدِ الله من بُعدِ

أضحتْ بقطربّل[5] والدَّيْرِ[6] حَلّتُه ... وما يُجاوِرُ بيتَ النارِ ذا الصَّمدِ

لم تدرِ مابى وما قد كان بَعدكَ من ... نفاستى لك فى عبدون أو حسدى

أغرُّ ، أحسبُ نُعْماهُ الجليلةَ من ... ذخائرى لصروفِ الدهرِ أو عُدَدِى

إذا مضى اليوم لا نلقاه فيه مضى ... سرورنا وترقّبنا[7] مجىء غدِ

(١) كتاب الأوراق [قسم أخبار الشعراء] للصولى (ص ٢٤٩)

(٢) جاء ذكره فى حوادث سنة ٢٧٢ من تاريخ الطبرى (السلسلة الثالثة ، ص ٢١٠٩)

(٣) ديوان البحترى (١ : ٢١٠ طبع الجوائب فى الآستانة سنة ١٣٠٠ هـ ، أو ص ٣٢٥ — ٣٢٦ طبع بيروت سنة ١٩٠٠)

(٤) المألكة : الرسالة .

(٥) قطربل من مواطن اللهو والأنس ، بين بغداد وسامراء ، وهى مشهورة بخمرها . ضبطها ياقوت بالضم ثم السكون ثم فتح الراء وباء موحدة مشددة مضمومة ولام ، وقال إنه روى فى ضبطها : بفتح أوله وطائه وأما الباء فشددة مضمومة فى الروايتين

(٦) فى طبعة بيروت : والدار والوجه ما فى أعلاه

(٧) فى طبعة الآستانة : وترقتنا ، وهو تحريف

إن فات فى السبت أن نزدار[1] سيدنا
فلا تَفُتْنا لشىءٍ زَوْرَةَ الأحد

وفى القطعة التالية، يوجه البحترى الكلام إلى ابن خرداذبه بعد أن خلع عليهما عبدون بن مخلد. وفى هذه إشارة صريحة إلى ما كان من صلة بين عبدون وابن خرداذبه. قال البحترى[2]:

يا أبا القاسم استجدَّ لنا عبدو نُ حالاً تمامُها فى ضمانِهْ
جمعتنا مَودَّة واجتمعنا بعدُ فى برّه وفى إحسانهْ
قد لبسْنا ثيابَهُ وتَسايَرْ نا بتقريظه على حُملانه[3]

وأجزل فائدة من ذلك، ما قاله البحترى فى مدح عبيد الله ابن خرداذبه، وذكر صداقته، وتهنئته بخروجه من علة كان فيها ودونك ذلك:[4]

إن ترجُ طولَ عبيدِ الله لا تخبِ
أو ترم فى غرضٍ من سيبه[5] تُصب
لم تلقَ مثلَ مساعيه التى اتصلتْ
وما تقيَّلَ[6] منها عن أبٍ فأبِ
رأىٌ صليبٌ على الأيام يُتْبِعُهُ
ظرفٌ متى يَعترض فى عيشِنا يطِب
ذاكَ أخٌ أفتديهِ إنْ يُحِسَّ أذًى
بالنفسِ ممَّا توقّاهُ وبالنَّشَبِ[7]
[إذ[8] كان[9] من فارسٍ فى بيت سؤددها
وكنت من طيءٍ[10] فى البيت والحسب[11]

(١) نزدار: نزور
(٢) ديوان البحترى (١ : ٢١١ طبع الجوائب، أو ص ٣٢٦ طبع بيروت)
(٣) الحملان: ما يحمل عليه من الدواب فى الهبة خاصة
(٤) ديوان البحترى (٢ : ١٠ — ٢١ الجوائب، ص ٤١٥ — ٤١٦ بيروت)
(٥) السيب: العطاء أو النائل. الجمع: سيوب
(٦) يقال: تقيل أباه، بمعنى أشبهه
(٧) النشب: المال
(٨) الأبيات الثلاثة بين المربعين رواها الحصرى القيروانى فى زهر الآداب (الطبعة الثانية ٣ : ١٨٢ للدكتور زكى مبارك)
(٩) فى زهر الآداب: إن كنت
(١٠) فى زهر الآداب من محتدى
(١١) فى زهر الآداب: والنسب

فلم يضِرْنا[1] تنائى النسبين وقد
رُحنا نسيبَيْن فى خُلقٍ[2] وفى أدبِ
إذا تشاكلتِ الأخلاقُ واقتربتْ[3]
دنتْ مسافةُ بين العُجم والعربِ[4]]
إسلم ولا زلتَ فى سترٍ من النُّوَبِ
وعِشْ حميداً على الأيام والحُقُبِ
وليهْنِكَ البُرْءُ ممَّا كنتَ تألَمُهُ
والأجرُ فى عقْبِ ذاك الشكوِ والوَصَبِ
أوحشتَ، مذ غبتَ قوماً كنتَ أُنسَهم
إذا شهدتهمُ فاشهدْ ولا تغبِ
إلاَّ تكنْ مَلِكاً تُثْنَى تحيَّتهُ
فإنَّك ابنُ ملوكٍ سادةٍ نُجُبِ
وإن قصدْتَ ابتغاء البُرْءِ من سَقمٍ
فقد أرقتَ دماً يَشْفى من الكَلَبِ

وغنىٌّ عن القول أن ابن خرداذبه، وهو الفارسىّ الأصل، كان يعرف اللغة الفارسية، ولا ندرى ما إذا كانت له كتابات أو تآليف بهذه اللغة. وإنما وجدناه فى كتابه المسالك والممالك يستشهد فى موطنين[5] بشعر فارسى

أما سنة وفاته، فلسنا على علم ثابت منها. وقد وجدنا الحاج خليفة[6] يقول إن ابن خرداذبه توفى فى حدود سنة ٣٠٠[7] للهجرة، ولعل هذا صحيح، غير أننا لم نقف فى كتاب قديم على ما يدعم هذا القول

وقد قلنا إن ابن خرداذبة نادم المعتمد وخُصَّ به. ومعروفٌ أن المعتمد ولد سنة ٢٢٩، وبويع له بالخلافة سنة ٢٥٦، وتوفى سنة ٢٧٩ هـ، فيكون ابن خرداذبة قد بلغ أوج عزه خلال هذه الفترة المنحصرة بين ٢٥٦ و ٢٧٩ للهجرة.

(١) فى زهر الآداب: فلن يضر
(٢) فى زهر الآداب: فى علم
(٣) فى زهر الآداب: إذا تقاربت الآداب والتأمت
(٤) فى زهر الآداب: بين العرب والعجم، وهو مخالف للقافية
(٥) المسالك والممالك (ص ٢٦ و ١١٨)
(٦) كشف الظنون (٢ : ١٠١ طبعة فلوجل)
(٧) فى دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي (٣ : ٦٩٣) أنه توفى فى حدود سنة ٣٠٠٠ هـ، وهو خطأ مطبعى ظاهر

وذكرنا ما كان من صداقة بينه وبين البحترى المتوفى سنة ٢٨٤ هـ . إلا أن المراجع التى بأيدينا لا تعيننا على معرفة ما إذا كان ابن خرداذبة قد توفى قبل البحترى أو بعده .

وما قلناه فى عُبيد الله ، نقوله فى سائر بنى خرداذبة ، فإننا نجهل سنى وفياتهم ، فضلاً عن أن علمنا بسائر أخبارهم وشؤونهم ما زال مقتضباً يسيراً . وحسبك أن تعلم أن الترجمة الوحيدة لعبيد الله ابن خرداذبة ، هى التى كتبها ابن النديم فى فهرسته ، وهى أقل من خمسة أسطر !

٥ — مؤلفات ابن خرداذبة

سبقت الإشارة إلى بعض تصانيف ابن خرداذبة ، التى خلدت اسمه على كر العصور . وهذه المؤلفات قد تزيد على العشرة ، ذكر ابن النديم[١] ثمانية منها ، ضاع أغلبها فيما ضاع من تراث الأقدمين . وإليك الآن أسماءها وما نعلمه من أمرها :

١ — كتاب أدب السماع .

٢ — كتاب جمهرة أنساب الفرس والنوافل .

٣ — كتاب المسالك والممالك : ضمنه إحصاء جباية المملكة العباسية فى أواسط المائة الثالثة للهجرة[٢] . وهو من خيرة المراجع القديمة فى معرفة الطرق والمسالك ، وتعيين المسافة بالفراسخ أو بالأميال بين مكان ومكان ، على ما كان معروفاً عند القوم فى ذلك الزمان . ولا مراء ، إن ابن خرداذبة كان الرجل الثقة فى مثل هذه البيانات ، لأنه تولى أعمال البريد . ومن المعلوم أنه « لا غنًى بصاحب هذا الديوان أن يكون معه منه ما لا يحتاج فى الرجوع فيه إلى غيره ، وما إن سأله عنه الخليفة وقت الحاجة إلى شخوصه وإنفاذ جيش يهمه أمره ، وغير ذلك مما تدعو الضرورة إلى علم الطرق بسببه ، وُجد عتيداً عنده ومضبوطاً قِبَله ، ولم يحتج إلى تكلف عمله والمسئلة عنه[٣] »

ويبدو لنا واضحاً أن ابن خرداذبة لم يؤلف هذا الكتاب إلا بطلب من شخص كبير لم يصرح باسمه ولعله أحد الأمراء . قال فى أول كتابه ، وفيه ما يوضح غرضه من هذا السفر ما إليك نصه بالحرف الواحد[٤] :

« أطال الله تعالى بقاءك يا ابن السادة الأخيار والأئمة الأبرار منار الدين وخيرة الله من الخلق أجمعين ، وأدام الله لك السعادة ، وكثَّر لك الزيادة من جميع الخيرات ، ووفقك لسبيل الصالحات ، وجعلك ممن ارتضى أفعاله وزين أحواله . فهمتُ الذى سألتَ ، أفهمك الله جميع الخيرات وأسعدك إلى الممات ، وأفلح فى الدارين سهمك ، ووفر فيهما قسمك ، من رسم إيضاح مسالك الأرض وممالكها ، وصفتها وبعدها وقربها وعامرها وغامرها ، والمسير بين ذلك منها من مفاوزها وأقاصيها ورسوم طرقها وطسوقها[١] على ما رسمه المتقدمون منها . فوجدت « بطلميوس » قد أبان الحدود وأوضح الحجة فى صفتها بلغة أعجمية ، فنقلتها عن لغته باللغة الصحيحة لتقف عليها ، وقد رسمت ، رُسم لك فوز الحق فى جميع مأمولك ومطالبك ، ما رجوت أن يكون محيطاً بمطلوبك وآتياً على إرادتك كالمشاهد لما نأى والخبر بما قرب ، وصنعته كتاباً افتتحته بالحمد لله ذى العزة المنيعة والنعمة السابغة ، الذى أنشأ الخلق على ما أراد ، وبين سبيل الحق للعباد ، لم تشركه فى خلقه الآراء المتوهمة ولا ظنون الرؤيات ، تعالى الله عما يشركون ، وصلى الله على محمد نبيه ، وعلى الأخيار من عترته وسلم كثيراً » اهـ

والمعروف فى وقتنا أن لهذا الكتاب ثلاث نسخ خطية ، اثنتين منهما فى خزانة أكسفرد وفيهما خروم

وكان المستشرق باربيه دى مينار Barbier de Meynard أول من نشر هذا الكتاب ونقله إلى الفرنسية (المجلة الآسيوية الفرنسية ، السلسلة ٦ ، المجلد ٥ ، سنة ١٨٦٥ ، ص٢٢٧ وما بعدها ثم عُنى بتجديد طبعه العلامة دى غويه de goeje فنشره مترجماً إلى الفرنسية أيضاً (الخزانة الجغرافية العربية ، ج ٦ ، ليدن ١٨٨٩ فى ١٨٣ صفحة للمتن ، و١٤٤ للترجمة . ويليه فى المجلد نفسه نبذٌ من « كتاب الخراج وصنعة الكتابة » لقدامة بن جعفر الكاتب البغدادى ، المتوفى سنة ٣١٠ أو ٣٢٠هـ ، صفحة ١٨٤ — ٢٦٦) وجديرٌ بالعناية تلك التحقيقات الثمينة والتعليقات الدقيقة والفهارس المتقنة التى تحلى بها هذا الكتاب . وقد اشتملت المقدمة التى كتبها الناشر دى غويه بالفرنسية على فوائد جزيلة ، جاءت فى ٢٣ صفحة . وصفوة القول أن هذه الطبعة نفيسة ، فيها

---

(١) الفهرست (فلوجل ١٤٩ ، ٢١٣ مصر)

(٢) نشر جرجى زيدان ، خلاصة ذلك الاحصاء فى تاريخ التمدن الاسلامى (٢ : ٥٩ — ٦١)

(٣) كتاب الخراج وصنعة الكتابة لقدامة بن جعفر (ص ١٨٥)

(٤) كتاب المسالك والممالك (ص ٣)

(١) الطسوق ، واحدها الطسق (بالفتح فالسكون) ، ما يوضع من الخراج المقرر على الجربان (جمع الجريب ، وهو على ما فى التاج ١ : ١٧٩ ثلاثة آلاف وستمائة ذراع) . أو هو شبه ضريبة معلومة ، والكلمة من الدخيل (أنظر تاج العروس ٦ : ٤٢٣)

ما يحمل القارئ على الاطمئنان إلى سلامتها من الشوائب

وقد نشر دى غويه أيضاً ، قطعة من هذا الكتاب فى مجموع بلدانىّ له[١] ، كما نشر بلاشر Blachère قطعاً أخرى منه فى مجموع بلدانى له[٢]

ومن الدراسات الثمينة التى حظى بها هذا السِفْر ، ما كتبه الرحالة المستشرق موزيل Alois Musil فى كتابه « الفرات الأوسط »[٣] فقد عمد إلى المسافات والأبعاد التى ذكرها ابن خرداذبه فى الطريق من بغداد إلى الرَّقة ، وانتقد ما اعتورها من أوهام . وجدير بمن يطالع المسالك والممالك أن يرجع إلى ما كتبه موزيل فى هذا الشأن لتتم به الفائدة .

كوركيس عواد

(يتبع — بغداد)

(١) De Goeje : Selections From Arabic Geographical Literature. (Leiden, 1907; pp. 16 — 22)

(٢) Blachère : Extraits des Principaux géographes Arabes de Moyen Age. (Beyrouth, 1932; pp. 21 — 32)

(٣) the middle euphrates. (New York, 1927. pp. 248-251)

أستراليا

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

بيت القصيد ، وميدان القتال الجديد ، وما نخال إلا أنها كانت السبب الأول والعامل المهم فى دخول اليابان الحرب الحاضرة ضد بريطانيا العظمى — بعد أن حرم على أبنائها سكنى استراليا —

والآن وبعد أن أجهزت اليابان فى مدى شهرين أو ثلاثة على الجزائر التى تربط هذه القارة بآسيا ، فانها لا شك متقدمة إليها زاحفة عليها : ولسنا ندرى ما ذا ستكون نتيجة الصراع القادم بين الاستراليين واليابانيين ؛ فالاستراليون محاربون بواسل كان لهم القدح المعلى والنصيب الأوفر فى كسب بريطانيا للحرب الماضية ، وفى رد العدوان الإيطالى فى الحرب الحالية عن مصر ؛ وسوف يكون نضالهم عنيفاً من غير شك ، فإنهم لن يسلموا بلادهم دون الاستشهاد فى سبيلها ، وهم يدركون الآن أن الساعة التى تفرض عليهم المقاومة الباسلة آتية لا ريب فيها . وقد جاء من سيدنى بتاريخ ٩ فبراير سنة ١٩٤٢ أن الجنرال جوردن بنيت ألقى خطبة فى حفلة أقيمت لاستقباله قال فيها :

« عند ما نقابل اليابانيين فى استراليا — وأنا واثق من أننا سنقابلهم — فإنى موقن بأن روح القتال فى الشعب الاسترالى ستسود الموقف وتقودنا إلى النصر . فيجب علينا أن نقذف بهم فى البحر فى كل مكان يحاولون فيه تثبيت أقدامهم . إن محاولة غزو بلادنا تعد مغامرة تكتنفها الأخطار ، ولكننا لم نعد نقلل من قوة العدو كما أننا لن نقلل من قوتنا وقوة حلفائنا »

وسنحاول فى هذا المقال وصف المناطق الشمالية من استراليا التى ستكون أول ميدان للقتال ، ووصف استراليا وصفاً إجمالياً ومقدار ثروتها الزراعية والمعدنية وقدرتها على الإنتاج الصناعى

هذه القارة

أصغر القارات جميعاً وأكبر جزائر العالم . تبلغ مساحتها $\frac{4}{5}$ مساحة أوربا و $\frac{1}{4}$ مساحة أفريقيا و $\frac{1}{6}$ مساحة آسيا ، ويتكون شمالها من سهول شاطئية منخفضة لا يزيد ارتفاعها على ٦٠٠ قدم . وتتدرج فى الارتفاع نحو الداخل . ويمتاز هذا الإقليم بشدة حرارته وغزارة أمطاره فى فصل الصيف الجنوبى (يناير) ، وبجفافه وقلة حرارته نسبياً فى فصل الشتاء الجنوبى (يونيه) . وفى اعتقادنا أن ذلك من حسن حظ الاستراليين ، لأن القتال سيدور فى جو ملائم نوعاً لهم بعد أن ولى فصل الصيف الشديد الحرارة وأقبل الخريف . أما شرق هذه القارة فتوجد به المرتفعات الشرقية ، وهى تتكون من مرتفعات كوينزلند ، وجبال نيوانجلند ، والجبال الزرقاء ، وجبال الألب الاسترالية ؛ تلى هذه المرتفعات السهول الوسطى ، وتتكون من إقليم الآبار الارتوازية العظيم وتبلغ مساحته نصف مليون ميل مربع تقريباً ، وهو أكبر إقليم من نوعه فى العالم ، ومن حوض المرى ودارلنج . وتنصرف مياه شمال هذا الإقليم فى خليج كاربنتاريا . أما فى الوسط فتنصرف فى بحيرات داخلية أهمها بحيرة أير . وتمتاز أمطار هذا القسم بقلتها وعدم ضمانها ؛ ولذا يطلق عليه « قلب استراليا الميت » The dead heart of Australia أما الجنوب فيجرى به نهر المرى ودارلنج ويطلق عليه « قلب استراليا الحي The live haert of Australia » . ويلى السهول الوسطى الهضبة وأعظم جهاتها ارتفاعاً أجزاؤها الغربية والشرقية

ثروتها المعدنية والزراعية

هذه القارة من أغنى القارات بمواردها الزراعية ، فهى تزرع مساحات واسعة من القمح ، وتنتج منه مقادير كبيرة تفيض عن حاجتها وتصدرها إلى الخارج . والدقيق الاسترالى مشهور معروف . وفى جنوبها تزرع أشجار الفاكهة من : أعناب وبرتقال وليمون وتفاح ويصنع بها النبيذ . أما شمالها ، فتزرع به مساحات كبيرة من قصب السكر وتزرع كوينزلاند وحدها ما يزيد على ١٥٠٠٠٠ فدان ، وتصدر الزائد عن حاجتها من السكر إلى بريطانيا العظمى

والمراعى باستراليا عظيمة القيمة ، فباستراليا يربى ما يزيد عن المائة مليون رأس من الضأن . وقيمة الصادر من الصوف وحده تزيد على قيمة ما يصدر من محصولاتها جميعاً . وتمتاز كوينزلاند ونيوسوث ويلز بتصدير اللحوم المجففة ومستخرجات الألبان ، حيث تربى بهما الماشية . أما الثروة المعدنية ، فاستراليا غنية بها ، وقد لعب الذهب دوراً هاماً فى تاريخها ، فقد كانت قبل اكتشافه منفى للمجرمين ، ولكن بعد كشفه هرعت ألوف من المهاجرين إلى استراليا واستقرت بها ، ونشأت عدة مدن بالقرب من مناجمه مثل بلارات وبنديجو وكلجورى وكلجاردى . ومن أهم المعادن التى تستخرج : الفحم والفضة والرصاص والزنك والقصدير ؛ وتعادل قيمة المستخرج من الفحم قيمة المستخرج من باقى المعادن ، وهى تصدر الفحم الزائد عن حاجتها

ونظراً لتوافر المعادن والمواد الأولية قامت عدة صناعات أهمها دبغ الجلود وصناعة الآلات من الحديد والصلب والمنسوجات الصوفية وصناعة الأثاث والصابون . والاستراليون يعتمدون على مصنوعات بلادهم ويشجعونها ويؤثرونها على المصنوعات المستوردة وإن غلا ثمنها

السكان

هذه القارة رغم ثرائها قليلة السكان ، فإن عددهم لا يزيد على ستة ملايين وثمانمائة ألف . ولعل السبب فى ذلك تلك السياسة التى جرت عليها حكومتها من تحريم سكناها على العناصر الملونة وقصرها على العناصر البريطانية أو The White Oustralia Policy فمنعت الصينيين والهنود واليابانيين من دخولها وعملت على حفظها ميراثاً لأبناء العناصر البيض وأحفادهم .

وقد أقلق بال الاستراليين استيلاء اليابانيين عقب الحرب الماضية على جزائر مارشال وكارولين ، إذ اقترب اليابانيون من استراليا ألفى ميل . وزاد فى قلقهم أن جهات استراليا الشمالية قليلة السكان لعدم ملاءمة مناخها لسكنى الأوربيين . ودرءاً لهذا الخطر اتفقت الحكومة البريطانية مع حكومة استراليا على تشجيع الهجرة البريطانية إليها عام ١٩٢٥ ، وقد خصصت الحكومة البريطانية لهذا المشروع ٧٠,٨٣٠٠٠ جنيهاً

أما أكثر جهات استراليا ازدحاماً بالسكان ، فهى السواحل الشرقية والجنوبية ، حيث يسكنها ما يزيد على ٨٠٪ من السكان ولكنهم من أنشط العناصر وأبسلها

والآن اقتربت الساعة ودنا الخطر اليابانى من استراليا ، وسيتوقف الفوز فى المعركة القادمة على عاملين مهمين : أولهما المساعدات التى يقدمها الحلفاء ولا سيما الولايات المتحدة ؛ والثانى عزيمة الاستراليين أنفسهم ومقدرتهم على كيل الضربات إلى اليابانيين بصورة أقسى وأشد من الضربات التى يكيلها لهم اليابانيون . وهذه هى الروح التى يجب أن يعتصم بها الاستراليون فى هذا الصراع وإنا لشمس الغد لمنتظرون

أبو الفتوح عطيفة
مدرس العلوم الاجتماعية
بمدرسة الزقازيق


عبد الوهاب ورجـــاء
فى
ممنـــوع الحب
إخراج محمـــــد كريم
يعرض ابتـداء من ٢٣ مارس
بسينما ستـــوديو مصر

٢٨ ـ المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل التاسع — اللغة والأدب والعلوم

يلحق بالأزهر في ركنه الشرقي « زاوية العميان » يعيش فيها الآن حوالى ثلاثمائة ضرير فقير، وأغلبهم من الطلبة، على الأوقاف المحبوسة عليهم. وقد عرف هؤلاء بسلوكهم طريق التمرد والعنف والتعصب. وقد حدث منذ زمن غير بعيد أن دخل سائح أوربي الأزهر وشاع أمر حضوره، فأخذ العميان يبحثون عنه صائحين: أين الكافر؟ سوف نقتله! وجعلوا يتحسسون طريقهم إليه للقبض عليه. بينما لم يظهر غيرهم رغبة ما في مهاجمة الدخيل. وكثيراً ما كانوا ينتهجون، قبل تولى محمد على الحكم، مسلك الطيش والضجيج كلما حسبوا أنفسهم مظلومين، أو كلما أنقص راتبهم في الطعام، فكانوا يخرجون إلى الشوارع مصطحبين بعض الأدلاء مسلحين بالعصى، يخطفون عمائم العابرين، وينهبون محتويات المتاجر. ولم يكد يعيّن الشيخ القويسني[1]، أشهر علماء الأزهر الحاليين، شيخاً لزاوية العميان منذ بضع سنين، وكان كفيفاً، حتى أوجب جلد كل ضرير هناك، إلا أن العميان ثاروا عليه وقيدوه ثم جلدوه جلداً أشد بكثير مما قاسوه، وأكرهوه أخيراً على ترك منصبه.

وكان التعليم مزدهراً ازدهاراً عظيماً في القاهرة قبل دخول الجيش الفرنسي أكثر منه في السنين الأخيرة. وقد عانى التعليم كثيراً مما أحدثه هذا الغزو من الرعب والهرج. وكان يكفي قبل ذلك العصر أن يقوم الشيخ المتخرج من الأزهر بالتدريس لولدين من أولاد الفلاحين المتوسطي الثروة ليعيش في بحبوحة. إذ أن تلميذيه كانا يقومان على خدمته ونظافة منزله وتجهيز غذائه. فكانا وإن شاركاه الطعام يعتبران خادمين له في كل آن. فيتبعانه أينما ذهب، ويحملان نعليه (وكثيراً ما كانا يقبلان حذاءه بعد خلعه) عند دخوله المسجد، ويعاملانه في كل حين معاملة الأمراء. وكان الشيخ حينئذ يلبس الملابس الفضفاضة والمقلة العظيمة. وكثيراً ما كان المارة يسرعون إليه عند ما يمر بالطريق راجلاً أو راكباً طالبين منه الدعاء لهم؛ ويعتقد من تحقق رجاؤه أن البركة حلت به. وإذا مر الشيخ بإفرنجي راكب وجب على الإفرنجي أن يترجل. وإذا ذهب إلى الجزار لشراء اللحم (إذ يرى أن الذهاب بنفسه خير من إرسال غيره) رفض هذا أن يتناول الثمن وقبل يده معتبراً طلب الشيخ شرفاً وبركة. أما الآن فقد انحط شأن هؤلاء الشيوخ حتى يصعب عليهم الحصول على معاشهم إن لم تكن مواهبهم منقطعة النظير.

ولا جرم أن علماء المسلمين يعوقهم الدين[1] عن السير في بعض سبل العلم. وقد تفصل الخرافة في أمور اختلف فيها الناس أجيالاً طويلة. وهناك وسيلة غريبة لحسم النزاع في أي موضوع ديني أو علمي أو في أي حادث، أضرب لها مثلاً. فقد قص على إمام الشيخ المهدى المفتى السابق الحكاية التالية: كان الشيخ محمد البهائي، وهو رجل مثقف يعتبره العامة ولياً من أولياء الله، يستمع إلى درس الشيخ الأمير الكبير شيخ المالكية عند ما قرأ هذا حديثاً للرسول من الجامع الصغير[2] للسيوطي وهو «إن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة في الجنة» وأخذ يشرح الحديث بعد أن لخص تاريخ الحسن والحسين ملاحظاً أن لا أساس للرأى القائل بوجود رأس الحسين في مسجده بالقاهرة. وهنا قال محمد البهائي: فتملكني غم شديد لهذه الملاحظة لمخالفتها

(١) وكان منذ كتابة هذا شيخاً للأزهر وهو الآن متوفى

(١) لعله يقصد بالدين بعض آراء أهله كرأيهم في المنطق والفلسفة. (المترجم)

(٢) وهو مجموعة مختصرة مشهورة في الأحاديث النبوية

ما أعتقد وما زلت أعتقد ، بوجود الرأس الشريف فى هذا المشهد . ولكنى ما كنت لأعارض الشيخ لشهرته وسعة علمه .

وانتهى الدرس وخرجت أبكى . فلما جن الليل قمت أدعو الله وأبتهل إليه ولجأت إلى رسوله الكريم (ص) متوسلاً أن أراه فى المنام ليخبرنى بحقيقة الأمر . فرأيتنى أسير إلى المشهد الحسينى . فلما دنوت من القبة أبصرت بها نوراً ساطعاً فدخلت فوجدت أحد الأشراف واقفاً بالباب . فحييته فرد التحية وقال : « سلّم على رسول الله » . فأرسلت النظر نحو القبلة فرأيت الرسول (ص) جالساً على عرش وعلى جانبيه وقف رجلان . فرفعت صوتى قائلاً : « الصلاة والسلام عليك يا رسول الله » عدة مرات وأنا أبكى : فسمعته (ص) يقول لى : « ادن يا بنى ، يا محمد » فأخذ الرجل الأول بيدى وقدمنى إلى الرسول (ص) . فحييته فرد التحية وقال : « جزاك الله خيراً على زيارة رأس الحسين يا بنى » . فقلت : « يا رسول الله هل رأس الحسين هنا ؟ » فأجاب : « نعم . إنه هنا » ففارقنى الحزن وفرحت وثبت جنانى وقلت حينئذ : « يا رسول الله سأقص عليك ما أكده شيخى وأستاذى الأمير فى درسه » . وأعدت عليه قول الشيخ . فأطرق (ص) ثم رفع رأسه وقال : « إن النقلة معذورون » .

واستيقظت فرحاً سعيداً ولما ينقض الليل بعد . فعيل صبرى بطوله وجعلت أترقب طلوع النهار لأذهب إلى الشيخ فأقص عليه الرؤيا . فلما طلع الفجر أتممت صلاتى وخرجت إلى منزل الشيخ وأخذت أطرق الباب بشدة . فأسرع البواب فزعاً يسأل من الطارق ؛ فلما عرفنى فتح الباب ، ولو كنت غيرى لضربنى . ودخلت الفناء وأخذت أصيح : « سيدى ! يا سيدى ! » فاستيقظ الشيخ صائحاً : « من هذا » ؟ فأجبته : « أنا تلميذك محمد البهائى » فتعجب الشيخ لحضورى فى هذا الوقت وقال : « يا ألله ! ما هذا ؟ ما الخبر » ؟ فقد ظن أن حادثاً عظيماً نزل بالناس . ثم قال : « انتظر حتى أقيم الصلاة » . فظللت واقفاً حتى نزل الشيخ إلى الغرفة السفلى ودعانى إلى الصعود . فصعدت دون أن أحييه أو أقبل يده تحت تأثير الرؤيا ، وإنما قلت : « إن رأس الحسين فى مشهده بمصر ، لا شك فى ذلك » . قال الشيخ : « وما دليلك على ذلك ؟ وإذا كان مستندك صحيحاً فأرنيه » . فقلت : « ليس هذا فى كتاب » . فقال الشيخ : « هل رأيت رؤيا » ؟ فرويت له الرؤيا وعرفته أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبرنى أن الواقف بالباب هو على بن أبى طالب ، والواقف على يمين العرش أبو بكر وعلى يساره عمر بن الخطاب ؛ وأنهم حضروا لزيارة رأس الإمام الحسين » . فوقف الشيخ وأخذ بيدى وقال : « هيا بنا نزور المشهد الحسينى » . فلما دخل القبة قال : « السلام عليك يا ابن بنت رسول الله . آمنت أن رأسك الشريف هنا بعد الرؤيا التى رآها هذا الرجل ، لأن رؤية الرسول فى المنام حقيقية ؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم : من رآنى فى المنام فقد رآنى حقاً ، فإن الشيطان لا يتمثل بى » . وحينئذ قال الشيخ : « لقد آمنت أنت وآمنت أنا ولا يمكن أن تكون هذه الأنوار خادعة »

وقد أثار حديث الرسول صلى الله عليه وسلم السابق مناقشات أخرى بتّ فيها بالطريقة نفسها ، أى بالرؤيا . ولا يجرؤ أحد على مجادلة صاحب الرؤيا إذا كان ذائع الصيت فى العلم والورع

يفيد ما أشرت إليه فى بدء هذا الفصل أن بالقاهرة عدة علماء فى وقتنا الحاضر ، وأن بغيرها من المدن المصرية بعض العلماء الآخرين . ويعتبر الشيخ حسن العطار وهو شيخ الأزهر الآن[1] أحد مشاهير العلماء المعاصرين . وهو وإن يبلغ فى التوحيد والفقه مبلغ بعض معاصريه كالشيخ القويسنى خاصة ، ضليع فى الأدب . وهو مؤلف كتاب « الإنشاء » الذى يعتبر مجموعة فائقة من الرسائل العربية فى مختلف الموضوعات ، وضعها نموذجاً للأسلوب الإنشائى . وقد طبع هذا الكتاب فى مطبعة بولاق . وقد ذكرت اسم هذا المؤلف تنفيذاً لوعد قطعته على نفسى ، إذ طلب أن أنوه بمعرفتى له وأن أبين رأيى فى علمه ظناً أننى سأنشر فى بلدى أحاديث عن أهل القاهرة

(١) وقد توفى هذا الأديب الفاضل وقت كتابة هذا الكتاب

وقد اشتهر بحق الشيخ محمد شهاب بجودة أدبه ورقة شعره . وكان أنسه وذكاؤه يجذبان الأصدقاء إلى منزله كل مساء ، وكنت أحياناً أشترك فى مسراتهم . فكان الشيخ يستقبلنا فى غرفة صغيرة مريحة ، فيدخن كل منا شبكه ، وتقدم إلينا القهوة . وكان حديث الشيخ أعذب ما يقدم لنا . وفى القاهرة أيضاً علماء يتمتعون بشهرة عظيمة فى اللغة والشعر . ويستحق الشيخ عبد الرحمن الجبرتى ـ وهو من مؤلفى القاهرة المتأخرين ـ أن يشار إليه بصفة خاصة ، إذ أنه وضع تاريخاً جليلاً لحوادث مصر منذ القرن الثانى عشر للهجرة[1] . وقد توفي عام ١٨٢٥ أو ١٨٢٦ عقب قدومي القاهرة لأول مرة . وتنتمى أسرة الشيخ الجبرتى إلى الجبرت فى جنوب شرق الحبشة على شاطئ المحيط ، ويدين أهل جبرت بالإسلام ، ولهم رواق فى الأزهر ، ومثل ذلك فى مكة ، وفى المدينة .

***

لم يعد الشعر الجاهلى يفهم على حقيقته فى القرنين أو الثلاثة الأولى للهجرة لغرابة ألفاظه ، فمن باب أولى لا نجد الآن من يستطيع شرح هذه النصوص القديمة . غير أن هناك فى مصر من تضلع من علوم الصرف والنحو والبلاغة والأدب بالرغم من سيادة التوحيد والفقه فى هذا البلد . وقلما يعرف علماء مصر تاريخ بلدهم معرفة جيدة ، وأقل من ذلك معرفتهم بتاريخ الأمم الأخرى . أما الذين لا يحترفون الأدب من سواد الشعب فحصولهم الأدبى منحط النوع . ويجيد الكثير من التجار الأغنياء فن القراءة والكتابة ، ولكن قل من يخصص أكثر وقته لدراسة الأدب . ويعتبر من حفظ القرآن جميعه أو أكثره ، واستطاع أن يتلو قصيدتين أو ثلاثاً ، أو يضمن الحديث بعض الأمثال ، رجلاً كامل الثقافة . وهناك تجار فى القاهرة أميون فيلجأون إلى أصدقائهم ليكتبوا لهم حساباتهم ورسائلهم . إلا أن هؤلاء التجار لا يهتمون بذلك على العموم ، فيقومون بعمليات حسابية ذهنية معقدة بسرعة فائقة ودقة مدهشة .

ويخطئ المسيحيون فى أوربا فى اعتقادهم أن المسلمين أعداء العلم على اختلاف أنواعه تقريباً . والحقيقة أن العلم فى الوقت الحاضر تحده حدود ضيقة ، فقل من يدرس الطب والكيمياء والرياضيات وعلم الفلك . وتجد أغلب الأطباء والجراحين المصريين حلاقين يجهلون العلم الذى يباشرونه جهلاً مضراً وتنقصهم المهارة فيما يمارسونه .

ويرجع بعض ذلك إلى تحريم الدين تشريح الجسد . إلا أن بعض المصريين الشبان يتلقون الآن دراسة أوربية فى الطب والتشريح والجراحة وعلوم أخرى لخدمة الحكومة . وكثيراً ما يرفض المرضى من المصريين كل مساعدة طبية متوكلين على العناية الإلهية أو معتمدين على السحر . ويدرس فى هذا البلد علم تحويل المعادن أكثر من دراسة علم الكيمياء الصرف ، وعلم التنجيم أكثر من علم الفلك . ولا يستعمل فى مصر من آلات الفلك غير الاسطرلاب والربع المقنطر Quadrant تقريباً ويندر أن نشاهد مرصدة[1] (تلسكوب) هنا . وقلما تستعمل الإبرة المغناطيسية (البوصلة) إلا لمعرفة القبلة . ويصنع لهذا الغرض فى دمياط بوصلة صغيرة ملائمة (تسمى قبلية) تبين اتجاه القبلة فى المدن الكبيرة للبلاد المختلفة . وأغلب المدن بها مزاول تبين الوقت ظهراً وعصراً فى أماكن متعددة وفصول مختلفة . ويجهل هؤلاء الذين يدعون علم الفلك الأصول العلمية الصحيحة ويعتبرون القول بدوران الأرض حول الشمس إلحاداً مطلقاً ؛ ويستخدمون علم النجوم فى حساب التقويم السنوى

« يتبع » عدلى طاهر نور

(١) ويوافق بدء القرن الثانى عشر للهجرة اليوم السادس عشر أو السابع عشر من اكتوبر سنة ١٦٨٨ ميلادية .

(١) هذا ما قرره المجمع اللغوى . أنظر مجلة مجمع فؤاد الاول للغة العربية الجزء الرابع . « المترجم »

حيلة جديدة

هَلْ دَرَى عاشِقُوكِ أَنِّي تجنَّبْـ … ـتُ عَلَيْكِ الذُّنوبَ بَعْدَ الذُّنوبِ؟

هل دَرَوْا أنني افتريتُ الأكاذيـ … ـبَ وأمعنتُ في اختلاق العيوب

ليثُوروا على هواكِ ويُمسوا … في رُبوبٍ موصولةٍ بربوب

وتعُودي لِمُنْيَتِي وَلِقلبي … أنا وحدي لا لِلمُنَى والقلوب

كُنْتِ نجوايَ وابتسامَ حياتي … في حياةٍ مليئةٍ بالخطوبِ

تتمنَّى عرائسُ الشعرِ لو كُـ … ـنَّ لِحاظاً في طَرْفِكِ المرْهُوب

وعلى راحتيْكِ رقرقتُ أشوا … قي صلاةً لِحسنِكِ المحبوب

أتحدَّى بشائرَ السكونِ والآ … مالَ طُرًّا بوجْهِكِ المَوْهوب!

حِينَ كنتِ الحياةَ تملأُ عيْني … ثمَّ كنتِ الحياةَ تملأُ كوبي

ثمَّ كنتِ الحياةَ في غَوْرِ إحسا … سي وتمسى وقلبيَ المشبُوب

كَمْ تمنَّيْتُ أنْ أنالَ نصيبي … وبِحَسْبِي أن كُنتِ أنتِ نصيبي

كانَ لي في هواكِ ماضٍ طويلٌ … وأغانٍ رقراقةُ التَّشبيبِ

أتغنَّى بسحرِ عينيْكِ ظمآ … نَ إلى ثغركِ الرقيقِ الشنيب

فخلقْتُ العشاقَ بالشِّعرِ والحُـ … ـبِّ وبالدَّمعِ والضنى والشُّحوب

فترامَوْا على هَوَاكِ ظِماءً … كترامي الفَراشِ حول اللهيب

وأحبوكِ أنتِ أنتِ وذاقوا … حُرَقَ الحُبِّ حُلوةَ التعذيب

وغدوتِ الحبيبَ في كلِّ قلبٍ … وَسَلا العاشقونَ كلَّ حبيب

فأصرَّتْ صبابتي أن تكوني … لِيَ وَحْدي في فرحتي ونحيبي

وبرغمي أرجفتُ فيكِ فقالوا … أنتِ كالشمسِ آذنَتْ بغروب

هل دَرى عاشِقوكِ أني تجنَّبْـ … ـتُ عليكِ الذنوبَ بعد الذنوب

هل دروْا أنني افتريتُ الأكاذيـ … ـبَ وأمعنتُ في اختلاق العيوب

لتعــودي لمنيتي ولقلبي … أنا وحدي لا للمنى والقلوبِ

(كوم النور) **أحمد أحمد العجمي**

على عودى الحزين

ليتنا ...

لَيْتَنَا نَحْيَا سَعِيدَيْنِ هُنَا!
فِي ظِلَالِ الدَّوْحِ نَشْدُو لَحْنَنَا!
وَإِذَا مَا هَتَفَ الْمَوْتُ بِنَا!
نَطْرَحُ الزَّهْرَ عَلَيْنَا كَفَنَا!

صَبَوَاتِي أَنْتَ فِي الدُّنْيَا وَأَحْلَامِي وَفَنِّي
وَسَعَادَاتِي وَصَفْوِي وَتَسَابِيحِي وَلَحْنِي
أَنْتَ فِي قَلْبِيَ يَنْبُوعٌ مِنَ الْخُلْدِ يُغَنِّي
فَجَّرَ اللهُ عَلَى وَجْهِكَ مَا يَمْسَحُ حُزْنِي
فَتَغَنَّيْتُ مَعَ الْأَطْيَارِ مَا يُسْعِدُ كَوْنِي
لَيْتَنَا نَحْيَا سَعِيدَيْنِ نُغَنِّي ... وَأُغَنِّي

***

أَنْتَ يَا رُوحِي نِدَاءٌ فِي فَمِي!
وَشُعَاعٌ ضَاحِكٌ فِي حُلُمِي!
أَنْتَ صَفْوٌ يَتَهَادَى فِي دَمِي!
كُلَّمَا ضَجَّ بِقَلْبِي أَلَمِي!

هَاتِ مِنْ سِحْرِكَ هَاتِ وَاسْقِنِي كَأْسَ حَيَاتِي
أَنْتَ نَبْعِي وَظِلَالِي وَدُعَائِي وَصَلَاتِي
نَسَجَ الْوَهْمُ عَلَى أُفْقِي طُيُوفَ الظُّلُمَاتِ!
وَبِكَفَّيْكَ إِذَا شِئْتَ صَفَائِي وَنَجَاتِي
أَنَا فِي الدُّنْيَا غَرِيبٌ تَائِهٌ فِي رَحَبَاتِي
فَاسْكُبِ الْأَفْرَاحَ فِي قَلْبِي وَأَسْكِرْ نَغَمَاتِي

عبد العليم عيسى

البريد الأدبي

في الأدب التركي

من أنباء اسطنبول أن الدكتور « طازر » سكرتير حزب الشعب اقترح تأليف هيئة تحكيم تختار من الكتاب والأساتذة الأتراك برياسة السيد خالد ضياء أوشكيلجيل لاختيار أحسن رواية تركية نشرت خلال العشرين سنة الماضية ، فوقع اختيارهم على رواية « سنيكلى البقال » للسيدة خالدة أديب ، وفازت بالجائزة الثانية رواية « يابان » للكاتب « كياسماجلو » وفازت بالجائزة الثالثة رواية « فهيم بك » للكاتب السيد حيدر .

وتعد السيدة خالدة أديب من أنبغ من جمعوا الثقافتين السكسونية والتركية ، وقد ولدت في اسطنبول من أسرة تركية عريقة في النسب ، وقضت طفولتها في الأناضول ، ثم تلقت دراستها في الكلية الأمريكية للبنات المقامة على ضفاف البسفور

وقامت بعد ذلك بدور هام في الحرب الوطنية التي حدثت في ١٩١٨ — ١٩٢٢ وعملت في الجيش برتبة نفر في فرقة النساء المتطوعات ، وقد رقاها الغازي أتاتورك نفسه إلى رتبة جاويش في ميدان القتال لما أبدته من ضروب الشجاعة والإقدام .

وفي سنة ١٩٣٠ رحلت إلى أمريكا حيث ترجمت عدداً من كتبها ورواياتها إلى الإنكليزية ، فصادفت رواجاً واستحساناً عظيمين . ثم ألقت سلسلة محاضرات في جامعة كولومبيا بنيويورك عن « الآراء الحديثة السائدة في الشرق الأدنى » .

ورجعت إلى تركيا ، ثم عينت قبل أربع سنوات أستاذة للأدب الإنكليزي في جامعة اسطنبول ، ولا تزال تقوم بالتدريس في الجامعة . وهي تعد من أشهر وأحب النساء في تركيا ، وهي خير مثل لمزج الثقافتين السكسونية والتركية . فهي جريئة لا تتردد في قبول التبعات وتحملها مهما بلغت . فإذا رأيتها رأيت سيدة وقورة هادئة غير هيابة . .وهي خير مثال للأم الحنون وربة الدار الكاملة ؛ ولم يمنعها ذلك كله من أن تحمل السلاح وتخوض المعارك حينما أهاب بها الداعي إلى الدفاع عن بلادها ، والنضال عن حريتها واستقلالها . وهي وإن كانت كاملة الأنوثة والرقة لم يمنعها ذلك كله من أن تكون مقدامة لا تهاب ، وفيها ما فيها من سحر الشرقيات وجاذبيتهن

إلى الدكتور زكي مبارك

قرأت مقالتك الحافلة « تحت السدرة » ، وأهنئك بتصوير أحاديث الضمير ، هذا التصوير الرائع الطريف ؛ ولكني أستميحك في أن أقول لك : لقد ظلمت في هذا التصوير أبانا « آدم » ، فصورته خانعاً مستكيناً لعبقرية الجمال

وأنا أزعم بأن ما حدث من « آدم » من التعرض لمكاره الأكل من « الشجرة » ، لم يكن الوحي به جسد « حواء » وحده ؛ ولكنني أتهم معه ما ركب في رجولة « آدم » من حب المخاطرة والاستطلاع ، والتلذذ باقتحام المكاره والصعاب !

ولا أكاد أسيغ أن « آدم » قد تلقى أمر الله باجتناب « الشجرة » فلم تحدثه نفسه ، ولم يتحدث هو إلى نفسه في هذا الأمر ، حتى أتت « حواء » فطوته بدلالها وفتنة جمالها دفعة واحدة ، وذهبت به إلى حيث أرادت . وأعتقد أنه لو رزقها الله الصبر ولم تتحدث إلى « آدم » لتحدث هو إليها ، ولفعل ما كانت تريد . وليس معنى هذا أن أعفي الأثر الذي أحدثته « حواء » ، ولكنني لا أنسب لجمالها كل شيء !

صحيح أن الناحية الأدبية تفقد كثيراً من حرارتها على هذا الوضع ، ولكن هذا خير لنا من أن نعطي « حواء » الجديدة الفاتنة مادة جديدة تتطاول بها على « آدم » الحديث

فما رأيك يا دكتور في أن نلقي على كاهل كل منهما تبعته في الخروج من الجنة لتصطرع الأهواء على هذه الأرض ولتحقق لله حكمة تحار في فهمها العقول والأفهام؟

أحمد رضوان حامد

آثار من أولية الشعر

للباحث العالم الأستاذ عبد المتعال الصعيدي آراء في الأدب سديدة ، ونظرات في النقد والتحليل عميقة ، وقد كتب في عدد « الرسالة » رقم ٤٥٤ مقالاً بالعنوان الذي يظل كلمتي هذه رأى فيه أن قصيدة عبيد بن الأبرص التي مطلعها :

أقفر من أهله ملحوب فالقُطَبيَّات فالذنوب

تمثل أقدمية الشعر خير تمثيل ؛ إذ لا يستقيم لها وزن ، ولا تضمها قافية ، ومع تقديري لآراء الأستاذ أخالفه في ذلك الحكم لما يأتي :

١ — عاصر عبيد امرأ القيس المعقود له لواء زعامة الشعر ، فاضطراب قصيدة شاعر في عصر بلغ الشعر فيه آية الجودة لا يتخذ دليلاً على سنة التطور والارتقاء ، وإلا لصح لنا أن نتخذ

من محاولات المبتدئين فى عصرنا هذا دليلاً .كذلك على كيفية نشأة الشعر الأولى ، وأحسب الأستاذ يرفضه رفضاً جازماً

٢ – سبق عبيداً شعراء كُثر خلا شعرهم من كل اضطراب فى الوزن والقافية من أمثال دويد بن زيد القضاعى والأفوه الأودى من أصحاب المقطعات ، والمهلهل بن ربيعة والحرث بن عباد من أصحاب المطولات

٣ – لم يكن عبيد شاعر الطبيعة، فشارحو المعلقات يروون عنه « أن أحد بنى ثعلبة هجاه مقذعاً فابتهل عبيد إلى الله بقوله : « اللهم إن كان هذا ظلمنى ورمانى بالبهتان فأدلنى منه » ، ثم نام ولم يكن قبل ذلك يقول شعراً فأتاه آت فى المنام بكبة من شعر حتى ألقاها فى فيه فقام ترتجز هاجيا بنى ثعلبة » الشك فى القصة لا يرقى إلى أنه لم يكن شاعراً سليقياً ، وهـذا الجاحظ يستضئل آثاره فيقول : « إن عبيدا وطرفة دون ما يقال عنهما إن كان شعرهما ما فى يد الناس فقط »

٤ – اتخاذ عبيد وعلقمة دليلاً على تطور الشعر يقرب نشأة الشعر عند العرب ويظهرهم أمة جامدة العواطف متحجرة المشاعر آماداً طويلة وهو مالم يزعمه غير العربى، فضلاً عن العربى المنافح عنها

٥ – لأن نتخذ عدم قيام دليل أدبى لتطور الشعر حجة على أقدميته وبعد نشأته أشرف للغة العربيـة وديوانها من تلمس أدلة لا تقوم على دعائم قوية ؛ لأنه ليس هناك من يشك فى أن الشعر كـكل أثر أدبى أو علمى مرت عليه أحقاب وآماد حبا فيها وخطا ينهض حيناً ويكبوا حيناً حتى نما واستحصد وصار فناً له قواعد وقوانين ، وابن خذام الذى ورد فى قول امرئ القيس :

عوجاً على الطلل المحيل لعلنا نبكى الديار كما بكى ابن خذام

شخصية مجهولة للقدامى لإيغالها فى البعد

٦ – لا ينقص من قيمة الأدب الجاهلى أنه لم يقيد ؛ لأن الأمة كانت تحيا حيـاة فطرية فهى تعتمد فى أدبها على حوافظها وصدورها لا على كتبها ومدوناتها ، والشاكون فى الشعر الجاهلى لا يشكون فيه جملة وإنما يساورهم الشك فى بعضه ، ولعل قصيدة عبيد هذه من دعائم شكهم ؛ لأنهم يرون ما فيها من اختلال واختلاط عبثاً من الرواة ، وسخرية بالقدامى

تلك نظرة عابرة أرجو أن يعيرها الأستاذ لفتةً فاحصة ؛ ليتبين ما فيها من سداد أرجوه . وله من الأدب وأبنائه التقدير والإكبار

عبد العظيم على قناوى

ما قول الأستاذ لطفى جمعة ؟

قرأت فى جريدة « منبر الشرق » الزهراء فى عدد ٦ مارس عام ١٩٤٢ مقالة بعنوان : « على العزبى يعز بمواكب الحياة » للأستاذ محمد لطفى جمعة المحامى فوجدتها مأخوذة بالنص فى كثير من مواضعها من كتاب « معالم تاريخ العصور الوسطى » المقرر على السنة الثانية الثانوية هـذا العام لمؤلفيه محمد رفعت بك والأستاذ محمد أحمد حسونة ، فقول الأستاذ لطفى مثلاً :

(فـكانت روما عاصمة الامبراطورية ترسل إلى كل جهة من يغرس فيها حضارتها بمجرد استعداد البلاد المفتوحة لقبولها ، فمتى تم فتح إقليم بدأ صبغه بالصبغة الرومانية ، وإذا أخلد أهله للسكينة منحوا حقوقاً مدنية تشابه حقوق أهل روما أنفسهم ، حتى أنه على الرغم من الفروق التى كانت تفصل كل ولاية عن الأخرى شاعت بين الجميع مبادئ التهذيب الرومانى الخ) مأخوذ بالنص من الفصل الأول صفحة «١» من هذا الـكتاب ، وقوله أيضاً :

(وكان أبناء الأشراف ينضمون من سن السابعة إلى فارس مشهور ينشأون معه ويقومون بخدمته ويتعلمون منه ضروب القتال وآداب المائدة والحديث والاستقبال ويصحبونه فى الصيد والحرب وكان السواد الأعظم من القائمين بفلح الأرض وغيره من الأعمال من طبقة الأقنان أو رقيق الأرض وكانوا مرتبطين بالأرض ملزمين بالعمل فى أرض السيد الخاصة نحو نصف الأسبوع الخ) مأخوذ بالنص من الفصل الرابع صفحة « ١٢٨ » من نفس الـكتاب ، كما أن قوله أيضاً :

(وكان العرب يعتمدون على الخيل فى حربهم فلما قابلهم شارل مارتل فى موقعة « تور » عام ٧٣٢ أعجب بمـا للخيل من الصفات الحربية فـكون فرقاً من الفرسان على النسق العربى ومن ثم انتشر النظام فى أوربا كلها الخ) مأخوذ بالنص أيضاً من الفصل الرابع صفحة «١٢٧» من نفس الـكتاب . فإذا كان مراد الأستاذ الاستشهاد بما نقله من الـكتاب فلماذا جاء به فى سياق كلامه دون أن يضعه بين قوسين علامة التضمين ؟ ولماذا لم يذكر المصدر ؟ هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ما دخل المرحوم على العزبى شاعر دمياط فى تاريخ العصور الوسطى وأحوالها الاجتماعية وهو رجل عاش ومات فى القرن العشرين ؟ وما دخل عهد الأقطاع وأحواله فى « دراسة تحليلية » الشاعر ؟ وما فائدة إقحام العصور الذهبية للأمم فى مجال ذكرى أديب ؟

كمال الدين نشأت



النغم الضـــــائع !

بقلم F. MATANIA

[قصة من أدب الحياة الواقعى ، طغت فيها التقاليد على قلب فنان عبقرى]

للأديب حسين محمود البشبيشى

فى يوم من أيام عام ١٧١٧م أضاءته شمس الجنوب اللامعة الباسمة ، ترنحت عربة رثة متربة خلال مدخل كابيونيا أحد مداخل نابلى ، وقد جلس فى داخلها غلام فى عامه الثامن ، تحمل الرحلة المرهقة القاسية وحيداً من قرية جيزى إلى نابلى . وماكان معه من سند غير بعض كتب التوصية لنفر من البيوتات النابولية الرفيعة .

كان هذا الغلام هو « جيامباتيسنا بورجوليزى »

ولما نزل من العربة تعباً غريباً تائهاً فى حياة العاصمة الدوارة الصاخبة ، وضعه جنود الحراسة فى عربة عامة ، وأرسلوا به إلى أحد العناوين التى على كتبه .

تصور طفلاً صغيراً ضعيفاً كصاحبنا خرج لأول مرة من مجتمعه الصغير الحقير فى قرية جيزى بالقرب من أنكونا حيث توافقت الأزقة المهجورة وملالة الوجود ، وتمازجت حقارة الفكرة وشفافية الحياة ، إلى نابلى هذه المدينة الرحبة الصاخبة الماجنة العابثة الغارقة فى النور وشهوته ، الضاربة فى كل فن وكل غريب . . .

تصـوره وقد تعلق الأطفال حـول العربة كل يريد الركوب ، والحوانيت تبين وتغيب ، والمطاعم تقـدم صحاف المكرونة المعهودة ليلاً ونهاراً فى ضجة ومرح ، وهناءة وفرح ، والجمهور التائه كسرب من الحمام ، الصاخب كقطيع من الأغنام ، يزيد فى صخبه ، ويمعن فى دورانه ، والأسواق متنوعة : أسواق للسمك وأسواق للفاكهة وأسواق للخضر تموج فى ضجتها وشدتها ، وتضطرب فى تقلبها وحركتها ، كل ذلك بين أصـوات للباعة ترتفع جشَّاء جوفاء لا انسجام فيها ولا اتزان . . .

مسكين « جيامباتيسنا » ! هل كان فى حيرته يدور فى خلده ، إذ ذاك ، أن عبقريته ستتوجه يوماً ما فى هذه المدينة الدوارة المضطربة بوسائل الفرح ، المتقلبة فى مظاهر الانطلاق الروحى والحسى ! !

لقد ولد فى أسرة هى أغنى فى عقليتها وتعليمها منها فى ماليتها وتقاليدها ، وأعظم فى ميولها وأحاسيسها منها فى أصلها وأعراقها .

ورأت فيه عائلته عن حق ميلاً إلى النبوغ الموسيقى ، يتألق أنغاماً روحية تشعها روحه الباسمة وحركاته الراتبة ولفتاته الأنيقة . فأرسلته إلى « نابلى » ليأخذ هناك من نبعها الدافق ، ويتعيش فيما بعد منها . ودخل بالتوصية والالتفات والرعاية (المعهد الموسيقى العظيم) حيث تعلم العزف على القيثارة تحت إرشاد الفنان القديم « ديماتيس » ، فكان له من طبعه الفنى القادر ، وزوح أستاذه الساحر ، أكبر باعث ألهب فيه حيوية الفن وأقباسه . فصقل روحه بكل جديد من الصور ، وخلع على قلبه كل فاتن من الأحاسيس ، وإن ما كان يتوقعه هـذا الفنان « ديماتيس » لتلميذه المتألق المتوثب من مجد دفعه إلى أن أثر على الشاعر العظيم « جريكو » الذى اهتم بهذه العبقرية المتألقة المتطلقة التى لم تزل بعد فى أكمامها .

ووجد « برجوليزى » ككل فنان حديث يشعر فى قرارة نفسه بحيوية تريد أن تفيض ، وأقباس تتطلع للظهور ، وألوان تتواثب لتتنسم الحياة ؛ وجد فناننا « برجوليزى » من القيود الموسيقية الرثة أغلالاً تحمل أجنحة فنه تحلق فى سماء محدودة وأجواء مقيدة ، وآفاق لا تشبع الرغبة الجامحة والنزعة الطافرة . وضاق صبره بتلك القيود ولكنه أكره نفسه عليها ! حتى غادر مع أستاذه المعهد العظيم فى عام ١٧٢٦ ليجنى حراً طليقاً ما يريده

من أزاهير ، فتفتحت أمامه مبكرة ، وتحققت أمانيه ؛ فلحن على حداثته قطعاً من الأوبرا ونشيداً رائعاً فاتناً ساحراً هو (سان جيجليلمو) مما كان له مكانة سامية وشهرة عظيمة حتى فى هذا الوسط الفنى

ورحبت به العائلات الرفيعة التى كان عطفها ورعايتها قبلة فنانى القرن الثامن عشر

ولا عجب أن رحبت به والتفتت إليه ، وهامت بألحانه الساحرة ، وما تريد سوى أن يلتف حولها الفنانون . أما هو فقد جلت أثوابه الجديدة الأنيقة من ملامحه الدقيقة الوسيمة ، وقد عكس وجهه الوضئ الغنى روحه الشاعرة الفتية العامرة بالحساسية !

ووجد ثمرة الإلهام أمامه ناضجة

فقد كان ملك نابلى المتحمس لتشجيع فنانى عصره ملاذاً للعلماء والمهندسين والرسامين والموسيقيين ، وأصبحت نابلى إذ ذاك فى أوج مجدها الفنى ، إذ كانت مركزاً منفرداً للمدنية ، انبثق منها إلهام حى سام متألق لجامياتيستا

لقد كانت المدينة غنية بفنانيها حقاً . لقد انطفأت شعلة حياة (كوريللى)[1] و (وللى)[2] ولكن الجمرة التى تركاها تأججت من جديد عند ما نفخ فيها سحر (سكارلاتى)[3] ولما قضى هذا الفنان أيضاً لم يكن إلا لفنان قادر سامى العبقرية ، متوقد الروح ، بعيد مدى الآمال ، أن يحفظ عظمتها وينهض بها

فكان برجوليزى فتاناً ولم يزل بعد فى العشرين وارثاً ملهماً فذاً لهذا الإرث السامى من الفن العظيم . ما أسعده وما أتم نعمة الفن عليه ! لقد بلغ المجد الذى تطلع إليه . لقد سطع عليه القبس الروحى الذى طالما عناه . لقد أصبح الفنان القادر الساحر

ثم خفق فؤاده يوماً ما شديداً عنيفاً عند ما دعى إلى بيت « سيننللى » النبيل الكبير

ثم خفق فؤاده مرة أخرى ، ولكنه كان فى هذه المرة أشد خفقاناً ، حينما انتهت مراسيم التقديم ، ووجد نفسه منحنياً أمام غيداء فاتنة . لقد تنازلت ابنة أكبر البيوتات النابولية ارستقراطية عن كبرياء عائلتها ، رائعة دقيقة ساحرة ، تلك هي ماريا سيننللى التى نظرت إلى الشاب الفنان بورجليزى ، وألهبت شرارة حبها نار الوجد فى حناياه ! . . . وسواء أكان ذلك لفتنة فيه أم لسحر فى موسيقاه فقد باحت بسر الجوى أعين لطاف لجاويتها عيون ! وصفق قلب فأسرع إليه قلب . . .

وهكذا فاض روح الحب من النفس الجميلة والنفس الفنانة

ولكن وا أسفاه ! لم يكن للقصيدة الأبدية من تمام . لقد كانا فى ميعة الشباب وفتنته ، يتدفق فيهما الشعور بروح الجمال ، وتفيض أعينهما إحساساً به ، كما كان هناك على آخر ما يصل إليه البصر من نافذة القصر حيث يتصاعد عبير البرتقال قبور ، ترفع نصبها فى جنون تحت شمس الظهر المرهقة الحارة . أجل لقد كانا فى ميعة الشباب ، ولكن كان هنالك قبور بالقرب من عش غرامهما !

فلا عجب أن دار قدرهما قوياً قاهراً فعصف بهما عصفاً

تناثرت هنا وهناك الأحاديث ! وعرى أرستقراطيو القوم وجوم ودهش . يا عجبا ! ابن الشعب ذلك الحقير ، يتطلع إلى أن يختلط دمه الأحمر الشديد الحمرة بدم أسرة سيننللى الأزرق الشديد الزرقة ! لتكن عبقريته ما هى ، ليكن قدره ما يكون ، ليكن مستقبله ما سيكون ، ليكن كل شىء

لقد كانوا حمقى ! وما كانوا غير ذلك . فإن من اتحاد الأحمر والأزرق يتكون ذلك اللون البنفسجى الرائع الذى يعلوهما . ! تلك هى السماء

ولقد كانت الفكرة ، بل التفكير فيها أمراً حراماً . . . ابن الشعب يتطلع إلى بنت البيوتات الرفيعة !

ثار أهلها كل الثورة ، وحقدوا على الفنان كل الحقد ، وبرموا به كل التبرم . وأما أشياعهم من ذوى التقاليد والأشراف

---

(١) و (٢) من أعلام الموسيقى فى هذا العصر

(٣) ورث الفن بعدهما وسرعان ما أفل نجمه

ولهم فتيات قد يتطلع إلى إحداهن يوماً ما فنان من أبناء الشعب فقد شاركوهم الأمر ، وتنكروا لفناننا برجوليزى

وهكذا تعبث الشهوات الزائلة بجلال الفن، وتعبث الأغراض الدنيئة بجلال الحب ، وتفسد التقاليد العتيقة انسجام روحين ؛ فما أحقر الإنسان إذا انطلقت فيه نوازع النفس الترابية وغطت على بصره ، فظن أن الحياة مظاهر وتقاليد ؛ وما كانت لتكون كذلك والزهر يعانقه الشوك ويقاسمه أغصان دوحته ! أوصدت الأبواب المسرحية ، وحبست الوجوه الباسمة ، وولت الأقدام المقبلة ، وأغلقت ... وأغلقت تلك الخميلة التى طالما عزف فيها لماريا ، وألهمته فيها ماريا

وحُجبت عن نظراته الوالهة ابنة أسرة سبينللى

ولم يك يصل إليها إلا على جناحى أنشودة خالدة ، وفى ثنايا نسمة عابرة ، وبين ألفاف أمنية مستعرة . وثقلت به الحياة وثقل بها فانغمس فى ألحانه الباكية ، وترانيمه الحزينة ، عساها أن تكون له عن دنياه سلوى ، كما هى عن جواه

وتدفقت أمامه الشهرة الفارغة الجوفاء . وسجدت نابولى لعبقريته حين قدّم لها فى عام ١٧٣٠ قطعته الخالدة بعد نجاتها بأعجوبة من زلزال مروع . ولقد كانت قطعته هذه فريدة حقاً فى نغماتها ، وحيدة حقاً فى ألحانها ، فذة حقاً فى معانيها ، منقطعة حقاً فى روعتها . ولقد أدرَّت عليه كل ما ابتغاه فى فجر أيامه ، وتمناه فى متنفَّس عمره . أدرت عليه كل شيء ليضعه تحت قدمى ماريا ، ماريا الفاتنة ، ماريا ملهمته الفن الساحر القادر . ولكنما قدماها كانتا مغلولتين بغل من حديد التقاليد

لقد كان محرماً عليها هناك فى سجنها الذهبى حتى النطق باسم برجوليزى . فماتت بسمتها المرحة على شفتيها ، وانطفأت شعلة فى عينيها كانت متألقة باسمة . وجاءها إخوتها الثلاثة يوماً ، وقد أخذ الغضب منهم كل مأخذ ، وتطاير شرر التقاليد من أعينهم ، وأجهر بوق الأرستقراطية أصواتهم ، فتدافعوا إلى خدرها ، وهددوها وسيوفهم مشروعة بأنها إن لم تتخذ لها بعلاً كفئاً لها استقر السيف فى قلب هذا الموسيقى الحقير ! فدافعتهم بدورها ولوحت لهم بالقانون منتقماً لحبيبها . فضحكوا ؛ فهم حماة الشرف السبينللى ؛ ولم تك ليد أن تمتد إليهم إذ ذاك لا أن تمسهم .

لقد كان لهم أن يضحكوا ؛ فلم يك قولهم إلا حقاً ، فما نابلى إذ ذاك إلا مدينة الأشراف ؛ ولقد كانوا هم سادة الأشراف ! !

ومرت أيام ومضت ليال وجاء إخوتها برجل من أسرة كرافا أثقلته حليه ، وجللته عظمته ، فأخفت رأسه الفارغ ، وكست روحه العارية

لقد كان غنياً أرستقراطياً لا شبهة فى ذلك ، جاء به إخوتها لترضى به زوجاً ؛ ولكن لم تكن ماريا لتفتنها الثروة أو تأخذها الأبهة ، وما كانت لتريد رجلاً أياً كان ... لقد كانت تريد شيئاً غير هذا ! شيئاً أجمل من هذا . نخرج الكرافى بوجهه المصقول ، وجواهره اللامعة ، وتقاليده الرائعة ، وانحنى له إخوتها مودعين وقد وضع يده فى جيبه يتحسس خاتمه الذى لم يقدر له بعد أن يوضع فى مكانه

وأمضت ماريا برفضها الكرافى أمراً بالقضاء على برجوليزى . ولم تك هناك إلا طريقة واحدة لنقضه . لم يك هناك إلا أن تهب نفسها لله !

فوافق إخوتها . ولأمر ماقرروا أن يرأس برجوليزى العازفين فى حفل ترهبها ! يا عجباً ! برجوليزى يقدم قلبه لله !

وفى الحادى عشر من مارس عام ١٧٣٤ فى كنيسة سانتاشيرا رأس برجوليزى العازفين وبدأ الحفل فلوح بعصاه يفتتح قبر قلبه فكان لنقراته على حامل الموسيقى صدى ، كأنما هو يؤذن برفع الستار عن إحدى المآسى

ورفع الستار عن مأساة مروعة : عذراء تترهب مقدمة شبابها ، جمالها ، حياتها ، قلبها ، إلى نسيج حسن لا يرققه ولا يلطفه إلا الإيمان بالله

مأساة أعمق من أن تصل إليها الألفاظ والجمل . لقد كان الرهبان يصيحون : «مرحباً بعروس البيعة» ، ورنت أصواتهم فى كل أذن سمعتهم . أما أذن العروس ، وأما أذن رئيس العازفين فقد سمعتا ماريا كل نغمة تصيح : وداعاً . وداعاً رمى بها الأفق ، وداعاً ابتهل بها الرهبان . وداعاً نطق بها دخان البخور وقد صعد يتلوى فى زرقته إلى الله . إنه لم يترنم فى صعوده برسالة حبيب إلى السماء ، بل لقد كان يصيح وداعاً ويتلوى لرسالته من الألم ! وتخافتت الأصوات ، وسكنت الأقدام ووقف برجوليز وحيداً

مرفوع الرأس مديراً بعصاه أنغام العازفين وحركاتهم

لقد كان جديراً حقاً ذلك الحفل بأن يضع على رأسه أكاليل الغار ، ولكنه كان مأخوذاً مرعوباً لم يدر شيئاً ، ووقف يحترق في لهبه ، لقد كان فريسة لأساه ، هشيماً لنار جواه . وبكاها برجوليزي إلى العالم ولم تزل حية ، لم يبك « الأخت فكتوريا » كما نادوها في الدير ، بل بكى الحبيبة ماريا . لقد بكاها وهي في كهفها الضيق ولا من يسمع أناتها . إنك لتقرأ مأساتها كما قرأها من قبلك ، وكما سيطالعها إلى الأبد الكثيرون في دمعته المحرقة في دمعته الصارخة « Stabat Mater » ولا عجب أن كانت معجزة فلم يك أبداً فؤاد إنسان ذاك الذي لحنها ، ولكنه فؤاد من ذهب روحي خالص نقي صهرته الآلام الملتهبة

لم يتمكن الزمن أن يحدث معجزة النسيان ، ولكن لم يك غير الموت شافياً « لماريا » . فلم تمض سنة حتى تركت الأخت « فكتوريا » وراءها على الأرض صدفة مرمرية ورسالة إلى من وهبته قلبها . وحمل الرسالة إخوتها إلى « برجوليزي » في روما ؛ فقد رحل من قبل عن « نابلي » مثوى أحلامه . أما الرسالة فكانت : « دعوا برجوليزي يدير الحفل الأخير لروحي حتى يتاح لها أن تصعد إلى عالم الخلد على أجنحة الوجد »

فترك برجوليزي ما لم يتم من تأليفه ؛ وقد كاد أن يتم أوبراه الخالدة (الأوليمبياد) ورحل سريعاً إلى « نابلي » ليجد هناك طعنة جديدة تنتظره ؛ فقد كانت القطعة التي سيدير عزفها ليست له ولكنها من تلحين « ليد » الموسيقى القديم . ويحهم ! ويحهم ! لم يريدوا حتى أن يكون له شرف تأليف لحن جنازتها . لم يريدوا إلا حرمانه حتى ذلك التأسي الفاني ، ولكنه فنان عاشق ، ولكنه محب واله ، ولكنه .. لحن في سرعة جنونية يائسة قطعة كل نغم فيها فلذة من حنايا قلبه المضنى ، من ثنايا أساه البليغ

لم ير شيئاً سوى وجوه كالحة ساخرة مجرمة . وتخافتت الأصداء ، وسكنت الأقدام ، ولكن أقدام ماريا لم تخفق معها هذه المرة ، ولم تندمج في الصف الذي اندمجت فيه من قبل في حفل ترهبها . وها هي ذى فوق أكتاف الراهبات يحملن منها صدفتها المرمرية الهشة . وها هي ذى وخزات الآس الدامية ينقلها « برجوليزي » إلى لغة اللحن في أنات طويلة علوية

ولما أوصد الباب للمرة الأخيرة ، وانتهت المراسيم الحزينة ، تقدم برجوليزي وهبط عن منصته ثم جمع أوراقه التي سطر فيها أساه واحدة فواحدة ، وعدها ببطء ودقة . ولما تأكد من أنه لم يترك منها شيئاً . تقدم إلى المذبح . ويحه ماذا يريد ؟ وعلى أحد الشموع الكبيرة التي قدمت حياتها قرباناً لتضيء ساحة بيت الله ، ألهبت ناراً في عصارة قلبه ، في هديته الأخيرة لماريا ملهمته ، ولما اسودت الأوراق ، وتلوت ثم ترامت في ألم على الأرض ، صاح في أسى وحرقة :

لقد لحنتها لماريا ! لماريا وحدها . إنها لحنى الأخير لموكبها . إنها سلامي الأخير لها ، ووداعي الأخير لروحها . ولن تكون إلا لها . دائماً أبداً لن تكون

* * *

ولم يعلم أحد هل كانت هذه البقايا المحترقة هي معجزة برجوليزي التي جمعها الراعي في الصباح

لم يعلم أحد هل كانت هذه البقايا المرتعشة في مهب الريح هي « النغم الضائع » أو الوتر المنزوع من قيثارة « جيامباتسنا »

ولم تنتظر ماريا طويلاً . فلم تمض سنة حتى كان جيامباتسنا برجوليزي في قرية پوزيولي ، قريباً من نابلي ، وقد امتنع عن العزف ، وامتنع عن الشكوى والنواح

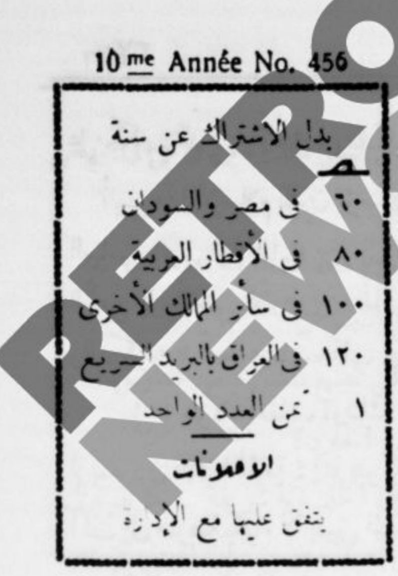
وارتفع إلى السماء ليعزف لها هناك على قيثارة الروح الأناشيد التي وضعها لها على الأرض

حسين محمود البشبيشي

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

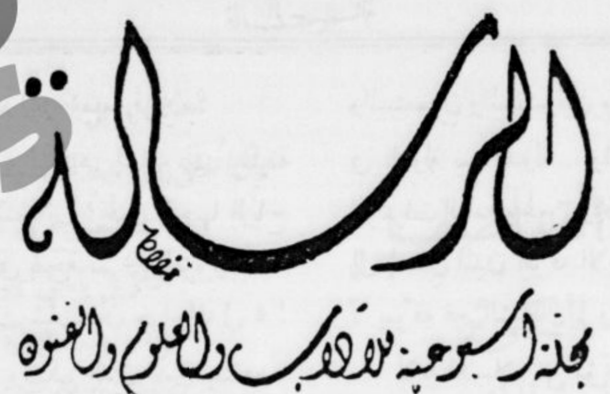


10me Année No. 456


بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة



ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 30 - 3 - 1942

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٥٦ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٣ ربيع أول سنة ١٣٦١ — الموافق ٣٠ مارس سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـــرس

صفحة

من خواطر الحرب

لا بد للاسلام من مؤتمر

جلست ذات أمسية إلى المذياع أتنقل فيه بسمعي الرهف بين برلين وبارى ولندن وموسكو وطوكيو وباريس وأنقرة، وكلها تذيع باللغة العربية، وتوجه الكلام إلى الأمة العربية. فقلت فى نفسى: سبحان الله! ما هذه العناية اليقظة بنا، والاهتمام البالغ بلغتنا وأدبنا، كأننا لا نزال نملك زمام الدنيا ونصرف عنان القدَر! ثم أعلن المذيعون أنباء الحرب فى ميادينها المختلفة، فإذا هم يذكرون: أفريقية الشمالية، ومصر، وفلسطين، وسورية، والعراق، وإيران، والهند، والصين، والملايو، وسنغافورة، وجزر الهند الشرقية؛ وكلها مواطن الأمم الإسلامية، ومسارح الثقافة العربية؛ وليس من أهلها المغيرُ ولا الدافع؛ وإنما هم كثروة الأرض وعروض التجارة خسارة للمغلوب وربح للغالب. فعدت أقول لنفسى: ما أشبهَ تلك الإذاعات اللينة العطوف بالرُّقَى الساحرة، يسلطها المفترس على أعصاب الفريسة لِتخدَر وتنام، فلا تنشب فى حلقه ولا تضطرب فى جوفه! وما أعجب ألاَّ تشب الحرب الاستعمارية، وتتصارع الدول القوية، إلا حيث يملك العرب ويعيش المسلمون، كأنما أصبحوا سلباً لكل غازٍ ونهباً لكل غاصب!

ألم يكن هؤلاء الناس أعقاب أولئك الفاتحين الذين نزل

على حكمهم الدهر ودخل فى ملكهم العالم بضعة قرون ؟

أليس هذا الإسلام الذين يؤمنون به اليوم هو إسلام ذلك الخليفة العباسى الذى نظر ذات يوم إلى السحائب الجون تزجيها الرياح الزُّعن إلى أقاصى الأرض ، فقال فى لهجة تنم على العزة والجلالة والشكر : « أمطرى يا سحائب حيث شئت فإن خراجك لى » !

بلى ، هؤلاء أعقاب أولئك ، ولكن الدين الذى يعتقدونه لم يعد دين ذلك الخليفة ؛ إنما هو بقية من الإسلام الأول حالت ثم آلت إلى صوفية بلهاء لا يفيق الممسوسُ بها من الغفلة ، ولا ينشط من الخمود ، ولا يبالى أن يبلغ ساحل الحياة مركوباً على ظهره أو مسحوباً على وجهه ! والدين والعلم مآلهما فى النفوس الضعيفة والعقول الخفيفة إلى الترهات والأباطيل : فأيلولة الكيمياء إلى البحث عن حجر الفلاسفة ، وعلم الفلك إلى التنجيم والسحر ، كأيلولة الإسلام إلى هذه العقيدة الملفقة التى زيف فيها الإيمان بالقدر حتى أهمل الناس التوقي استسلاماً للقضاء ، وتركوا السعى اعتماداً على (القسمة) . و «إن الله لا يغيِّرُ ما بقومٍ حتى يغيِّروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال »

ولئن سألتنى بعد ذلك : هل بلَّغ العلماء رسالة الله لأقولن لك : « لا » مغلَّظة مكبرة مكررة ! وأكبر الظن أنهم لا يؤمنون بأن لهم رسالة وأن عليهم تَبِعة

رجال السياسة يعملون بحق أو بباطل ، ورجال الحكم يتصرفون بعدل أو بظلم ؛ أما رجال الدين فى ممالك الوطن الإسلامى كله فقد قنعوا باللقب والزى ، واكتفوا بالشبع والرى ، ورضوا أن يكونوا متوناً لذوى الطمع ، وحواشى لأولى النعمة ، وهوامش على صفحة الحياة !

على أن سلطان الدين أكمل وأشمل من سلطان السياسة وسلطان الحكم ؛ فإن هذين لا يتجاوزان بقعة من الأرض ولا أمة من الناس ؛ ولكن ذلك ينبسط على كل مكان فيه لله ذِكر ، ويهيمن على كل إنسان له فى الإسلام فِكر . وعلماء الدين هم الطوائف التى نفرت من كل فرقة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم ؛ فإذا تفقهوا ولم ينذروا ، أنكروا ما خُلقوا له ، وعصوا ما أُمروا به . وليس الإنذار أن يلهجوا بذكر الحساب والعذاب ، وإنما الإنذار أن ينبهوا المخطئ ، ويوجهوا الحائر ، ويرشدوا الغوى ، وينصبوا فى مجاهل الأرض أعلام الطريق

لو كان علماء الإسلام يعملون لكان لهم مثل ما للمبشرين والمستعمرين والمستشرقين من المؤتمرات التى تعقد العام بعد العام ، فى الدولة بعد الدولة . والله قد فرض على المسلمين أمثال هذه المؤتمرات العامة بالحج . وإذا كان وفود العلماء من الأقطار المختلفة إلى إحدى المدن تعوِّقه الأهواء والظنون ، فإن وفودهم إلى مكة لا يعوِّقه غير الشيطان ، ورجال الدين والحمد لله فى عصمة منه

لا بد للاسلام من مؤتمر يجمع زعماء الرأى فى أهله ليجددوا ما دَرَس منه ، ويوضحوا ما التبس فيه ، وينفوا عنه ما غشيه من أساطير القرون وأضاليل النِّحل ، ويجلوه للناس كما كان صالحاً للحياة ، كافلاً للفوز ، ضامناً للسعادة

لا نطمع أن يجتمع هذا المؤتمر اليوم ، فإن الزلزلة التى لا تنفك آخذة بأقطار الأرض وأفكار الناس تجعل العقاب والسدود من دونه ، ولكنا نطمع أن يفكر أولو الأمر فيه ويهيئوا الأسباب له ؛ حتى إذا عادت السِّلم وتحلق زعماء الأمم حول الموائد الخضر لإقرار السلام الدائم واختيار النظام الملائم ، اجتمع كذلك علماء الإسلام ليعرضوا على العقول الحائرة والأجسام الخائرة نظام الله خالصاً كما أوحاه ، صافياً كما أنزله . نعم لا بد للاسلام من مؤتمر يقيم بين البَهرج والصحيح حداً من نور الحق يجتمع عليه القطيع الشارد ، ويهتدى إليه الركب المضلَّل . ولكن ليت شعرى من الذى يفكر فى هذا المؤتمر ويعمل له ويدعو إليه ؟

لقد عقدنا الآمال بالأزهر فى كل ذلك ، فهل عقدناها بلُعاب الشمس ؟

كانت (جماعة كبار العلماء) معقد الرجاء ومناط الثقة ؛ وكانت هذه الجماعة فى نظامها الجديد عسِيَّة أن تدعو إلى هذا المؤتمر بعد الحرب فى العيد الألفى للقاهرة ؛ وكان الظن ببرنامج الإصلاح الذى اقترحه شبابها المصلحون ، وأقره أقطابها المخلصون ، أن يكون نواة الإصلاح ونقطة التحول ؛ ولكن جنديًا باسلاً من جنود الإصلاح الدينى كتب إلينا يقول : إن برنامج الإصلاح أدركته أزمة رجعية توشك أن تخنقه فى درج المشيخة . فإن عضواً من الجماعة يوجس منه شراً ، فهو ينسج حوله الشكوك ويؤلب عليه القُوى ، وقد نجح فى ذلك !

فهل يجوز فى ظن امرئ أن يكون فى كبار العلماء من يشتبه عليه الحق والباطل والخير والشر والصلاح والفساد ؟ ذلك ما لا نصدقه ، ولا نود أن تجرى الأمور بما يحققه

(المنصورة) **احمد حسن الزيات**

بين آدم وحواء

قبل أن تثور القواصف
فوق أثباج الكوثر

للدكتور زكي مبارك

ارتاح آدم إلى كيد حواء بعض الارتياح ، وأدرك أن الرجل لا يعيبه أن يُفتن بالمرأة من حين إلى حين ، على شرط أن يظل في الحدود التي لا تجرح كرامة الرجال

وفطِن إبليس ، لعنه الله ، إلى أن آدم أخذ يؤوّل كيد المرأة ويقسمه إلى أقسام فيها المكروه والمباح ... فطن إبليس إلى هذه الثغرة فجدّد من نشاطه واستأنف الوسواس فهتف : « هل أدلكما على شجرة الُخلد ؟ ... هل أدلكما على شجرة الُخلد ؟ ... ألا تسمعان ؟ »

قالت حواء : سمعنا وسنطيع . وقال آدم : سمعنا ولن نطيع

فغضبت حواء من جواب آدم واتهمته بالزهد في الخلود ، وهو زهدٌ دميم ، فما يليق بالرجل أن يضيع فرصة تنجيه من الفناء ، ولو ارتكب في سبيلها ما لا يليق

وغضب آدم من سفاهة حواء فقال : من أين عرف إبليس أن شجرة الخلد هي شجرة التين ؟ وعلى فرض أن كلامه صدق في صدق ، فكيف يجوز أن نعصى الله لنظفر بالخلود ؟

إعلمي ، يا حواء ، أن الرزق والجاه قسمان : حرام وحلال ، وأنا لا أقبل أن نُرزَق الُخلد عن طريق الحرام ... إن اللقمة المسروقة تقف في الحلق لحظة ، ثم تُزدرَد برفق أو بعنف . ومع هذا تبقى لها عقابيل تحزّ في القلب إلى آماد طوال ، فكيف نستجيز الظفر بنعمة الخلود عن طريق العصيان ؟ وكيف نرضى أن نعيش أبد الآبدين في أسر الحرام الممقوت ؟

— آدم ، أنت أحمق !

— لأني أزهد في الُخلد المكسوب بالعصيان ؟

— لا ، بل لأنك تجهل أن الُخلد أنفس وأغلى وأعز من أن تُتقَى في سبيله الشُّبُهات

— النص صريح في تحريم هذه الشجرة يا حواء

— التأويل يلحق جميع النصوص

— إذا وُجدت الغاية التي تبيح الممنوع من التأويل !

— وأيُّ غاية أشرف من الُخلود ؟

— إسمعي ، يا حواء ، إن الُخلد غاية شريفة — كما تقولين — ولكني أبغضه أشنع البغض ، لأنه يوجب أن أعيش في صحبة عقلك الأجوف إلى ما لا نهاية له من الآباد ... إني ضَجِرت ، ضجرت ، مع أن صحبتنا في الجنة قريبة العهد ، فكيف أصنع إذا كتب الله عليَّ أن أكون من الخالدين في جوارك يا حواء ؟

— تغضب مني يا آدم وأنا أدعوك إلى الُخلد ؟

— هو خُلدٌ حرام لا حلال ... وما يليق بنا أن نعامل الله في كرمه بغير الامتثال

— أتصِفُ الله بالكرم وهو يبخل علينا بشجرة لا يساوى حطبها درهمين ؟

— ألم أقل : إن الله يختبر قُوانا النفسية بتحريم تلك الشجرة ؟ وإذا عجزنا عن كبح النفس في البعد عن شجرة لا يساوى حطبها درهمين ، فكيف يكون المصير لو نهينا عن شجرة مصوغة من عيون العذارى وخدود الملاح ؟ المعصية بغيضة يا حواء ، لأنها تضيفنا إلى أهل الكفران ، وما يجوز لمن يعيش في مثل هذا النعيم أن يفكر لحظة واحدة في عصيان المنعم الوهاب

— الله منعمٌ وهاب ، وهو يبخل بشجرة لا يساوى حطبها درهمين[1] ؟

— الآن عرفتُ أنك امرأةٌ سليمة الأعصاب والحواسّ إلى أبعد الحدود

— وكيف ؟

— لأنك تنكرين الجميل ، والمرأة لا تنكر الجميل إلا حين تكون في عنفوان الصحة والعافية

— وإذن ؟

(١) هل كان في جنة آدم وحواء دراهم ودنانير ؟ إن هذا يؤيد الطعن في صحة كتاب « شيث »

— وإذن أعصى الله من أجلك يا حواء !

— فتأكل من شجرة التين ؟

— وأترك طبعات على هذه الخدود المقبوسة من جمر الوجود

— تحبنى ، يا آدم ؟

— أحب المرأة الحلوة الجميلة التى زلزلتْ فؤادى . أحب المرأة التى نقلت قلبى من مكان إلى مكان . أحب الغادة اللعوب بالعقل والروح . أحبك يا حواء حبًّا أمتنَ من الصدق وأروح من اليقين . أحبك يا حواء حبًّا سيُفسِدُ ما بينى وبين ربى ، إلا أن تشاء إرادته السامية أن أتقرب إليه بعبادة الجمال ... ولعله يشاء !

— وإذا لم يشأ ، فماذا تصنع ؟

— آكل من شجرة الخلد ، لأحمى هذا الجبين من الأفول

— بالعصيان ؟

— هنا المشكلة يا حواء ، فما يُسيغ ذهنى أن ينهانا الله عن رعاية الجمال

— أراك اهتديت !

— وأرانى ضللت !

— أفِقْ ، يا نَشوان

— إن جاز للموقوذ بسكْر الجمال أن يُفيق !

— تحبنى يا آدم ؟ تحبنى ؟

— أحب النار التى صهرت روحى ، ولن أطمئن إلا يوم أنهشك يا حواء لتعودى نقطة من دمى

— ما هذه الوحشية ؟

— أىّ وحشية ؟ ألم تُؤخَذى من ضلعى ؟

— أنا من ضلعك أُخذتُ يا كذّاب ؟

— إسألى الملائكة ، فعندهم الخبر اليقين

— ولهذا جئت جميلة ؟

— وأجمل من الأفعى الملتوية على الشجرة الزهراء !

— أراك تبغضنى يا آدم !

— هو ذلك : فأنا أبغض العيون الجوارح ، وأبغض الجبين الوضاح ، وأمقت القد الرشيق ، وأستعيذ بالله من السحر المتموج فوق الثنايا البيض

— ثم ماذا ؟

— ثم أكره الصوت الذى يُشبه وسواس الحلِىّ فوق النحور ، والذى يفوق غمغمة الكأس عند فورة الرحيق

— ثم ؟

— ثم أثور على التفاتة الجيد عند العتاب

— ثم ؟

— ثم أبغض حواء لأنها حواء !

وبعد الأنس بقبلتين محرقتين مضى آدم لشهود حفلة الطيران ، وهى حفلة موسمية كانت تقيمها الحمائم والبلابل والعنادل فى « غابة الصنوبر » لتروض أفراخها على النهوض والتحليق . ويحدثنا شيث أن حفلات الطيران هذه كانت تجتذب جميع سكان الجنة بلا استثناء . وقد نص على أن السباع كانت تراها تجباً من العجب ، لأنها تشهد بتنوع المواهب ، وإلا فكيف جاز أن يقدر الطائر الضعيف على ما يعجز عنه الأسد الصوّال ؟

مضى آدم وحده لشهود حفلة الطيران ، وهو مبتسم جذلان ، فقد أعفى نفسه من الحيرة فى قرب شجرة التين ، وأسلم مصيره إلى خالق الأنوار والظلمات ، فللأقدار أن تصنع به ما تشاء

أما حواء فشعرت بحزن وانقباض حين رأت آدم لا يمانع فى قرب الشجرة المحرّمة ، ولهذا قلّت بشاشتها لشهود حفلة الطيران ، وكذلك آثرت الاعتكاف لتنظر فيما هى مقبلةٌ عليه ... فما الذى تأذّت به حواء وقد بلغت من ختل آدم فوق ما كانت تريد ؟

نظرت حواء فرأت أن الشقاق حول الشجرة المحرمة كان فرصة لشغل آدم بزوجته شغلاً غير مقطوع ، والمرأة يرضيها ويسرها ويشوقها أن يعيش الزوج وهو بها مشغول ، فكيف تكون الحال بعد أكل الثمرة الممنوعة حين يصبح جميع ما فى الجنة حلالاً فى حلال ؟

ونظرت فرأت أن الجدال حول الشجرة المحرمة ألانَ لسان آدم وعلّمه الحوار بأساليب لا تخلو من البراعة والظرف ، وقد تصل إلى السِّحر فى بعض الأحيان ، فكيف المصير إذا تساوت قِيمُ الأشياء واستغنى آدم عن الجدال ؟

سيكون الصمت من نصيب آدم حين تنعدم أسباب الخلاف ،

فـكيف تعيش حواء مع رجل صَمُوت ؟ وهل قلّ صمت آدم برغم ذلك الخلاف ؟ لقد كانت له تأملات طويلة ينسى بها ما حواليه حتى لتحسب زوجته أنه لا يشعر بأن لها من الوجود أى نصيب ، فأى بلاء ينتظر حواء يوم تنقطع موجبات اللجاجة مع فارسها الجميـل ؟

فى تلك الحومة كادت حواء تنتقل من المعصية إلى الـكفران ، والعياذ بالله ، فقد جاز لها أن تعترض على نظام الجنة ، وأن ترى أنه لا يخلو من اختلال . والثورة النفسية تحيل النعيم إلى جحيم ، وذلك ما وقعت فيه حواء

نظرت فرأت أن الجنة قليلة المحرمات ، فهى قليلة الطيبات ، وهل يستطيب الناس غير الممنوعات ؟

نظرتْ فى هذا المعنى مليًّا ثم صرختْ :

أرى طِيبَ الحلال علىّ خُبثاً وطِيبَ العيش فى خُبث الحرامِ

وهمّت باقتلاع شجرة التين لتحوّل الجنة إلى خراب يباب ، فما كانت الجنة فى نظرها غير تلك الشجرة الممنوعة ، وإذا اقتلعت تلك الشجرة فسوف يرى الله أن عنايته بخلق الجنـة ذهبت أدراج الرياح !

ولـكن شجرة التين التى لا يساوى حطبها درهمين أعجزت حواء فلم تستطع اقتلاعها برغم ما بذلت من الجهد « المحمود » فنكصت على عقبيها وقد نال منها الإعياء ما نال

وكان المفهوم أن تخجل من الهزيمة أمام شجرة التين ، وأن تزيد حقدها على الله ، ولـكنها فرحت حين عرفت بالتجربة أن « شجرة الشرّ » قوية الجذور ، وأن الأمل فى اقتلاعها ضعيف ، وتمنّت أن تصبح الجنة وفيها لهذه الشجرة أمثال وأمثال

ذلك ما كان من أمر حواء ، فما أمرُ آدم وقد ذهب وحده لشهود حفلة الطيران ؟

رأى جميع المتفرجين يتحدث بعضهم مع بعض ، وهاله أن يرى الثعلب يناجى أتناه بجذل وانشراح ، كأنه يدرك الدقائق من طيران أفراخ العندليب ، ورأى الأفعى تخاطب الأفعوان بعبارات فهِمَ منها أن حفر الُجحر فى أصل الشجرة لا يقل خطراً عن بناء العش فى أعالى الأغصان

أراد آدم أن يتكلم ، ولـكن مع مَن ؟

لو كانت حواء حاضرة لحدثها عن ذكائه فى استكشاف ما بين الخشب والمـاء ، فقد اهتدى إلى أن من يمتطى الخشبة لا تهوله أمواج الـكوثر فى كثير ولا قليل ، وهل يكون امتطاء الهواء أوثق من امتطاء المـاء ؟ (١)

لو كانت حواء حاضرة لقال لها وقال ، ولـكن أين حواء ؟

هنا أدرك آدم أن الحياة بلا رفيق لفظٌ بلا مدلول

ألم يكن يجرّد من نفسه شخصاً يحاوره حين يعتكف ؟

ألم تـكن أشعاره تبدأ بعبارة « يا خليلىّ » أو « يا صاحبىّ » كأنه يرى بضوء البصيرة أنه يحتاج إلى عدد من الأصحاب والخلان ؟

ألم يلاحظ أن الله حين اختصه بالنطق قد أوحى إليه أن حياته لن تـكون بلا رفيق أو رفاق ؟ !

أين حواء ليبادلها الأحاديث ؟ وأين ماضيه فى الطيران بأجواء الحقائق والأباطيل ؟

إلى حواء ، إلى حواء ، إلى حواء !!

فـماذا يرى آدم ، وماذا يسمع ؟

يرى فتاةً خامدة بجوار شجرة التين ، ويسمع أنيناً يذيب لفائف القلوب

— حواء !

— . . .

— حواء !

— . . .

— حواء !

— آدم ؟

— نعم ، آدم ، ماذا بك يا حواء ؟

— لا شىء ، ولـكن أين كنت ؟

— كنت أشهد حفلة الطيران

— ورأيت عدل الله ؟

— فيماذا ؟

— فى تزويد الطير بنعمة لن نظفر بها أبداً ، فهو يطير عن هذه الجنة حين يشاء !

— وهل مللت الثواء بالجنة يا حواء ؟

— أى جنة تريد ؟ أتريد هذا العيش الرتيب ، العيش الذى

---

(١) من هـذا نعرف أن آدم سبق نوحاً إلى اختراع السـفينة ، وإن لم يسبقه إلى ربطها بالدسر والألواح

لا يحرَّم فيه غير طعامٍ واحد؟ العيش المملول، العيش الذى يقدَّم فيه التفاح بلا حساب؟

— وما عيب هذا العيش يا حواء؟

— عيبه أنه حلال فى حلال

— وماذا تريدين؟

— أريد أن يكون لى جموح يُغضب الله

— وماذا تستفيدين من غضب الله؟

— أريد أن أشغله بنفسى

— لك الويل، يا شقية!

— لك أنت الويل، يا بليد!

— حواء، أنت حمقاء!

— الأحمق هو الذى يشهد حفلة الطيران ولا يستفيد

— وماذا يستفيد المرء من شهود حفلة الطيران؟

— ألم تر مئات الأفراخ من الحمائم والبلابل والعنادل والصقور والعقبان وهى مجرَّحة بسبب العنف فى التمرن على الطيران

— نعم، رأيت، ثم رأيت!

— تقول إنك رأيت، فهل فهمت أن تلك الجراح هى سرّ القدرة على التحليق؟

— وإذن؟

— وإذن نجرَّح مرة أو مرتين أو مرات ...

— لماذا؟

— لنطير فى أجواء الرشد والغىّ والهدى والضلال

— إن كنت تريدين شجرة التين فلن أقرب شجرة التين

— حدثنى أحد الملائكة ...

— وتحدثك الملائكة يا حواء؟

— وتحدثك أيضاً ولكنك لا تسمع!

— وماذا قالت الملائكة؟

— قالت إن الله أخبرهم أنه سيجعل فى الأرض خليفة، وأنهم كرهوا أن يجعل فى الأرض من يُفسد فيها ويسفك الدماء

— وبماذا أجاب الله؟

— قال: إنى أعلم مالا تعلمون

— ومعنى ذلك؟

— معناه أننا سنصير إلى الأرض

— بعد هذا النعيم؟

— وهل نحن فى نعيم؟

— اتقى الله يا حواء

— اتق الله أنت

* * *

— الأرض، الأرض، الأرض!!!

— الأرض، الأرض، الأرض!!!

كذلك دار ذهن آدم وحواء بهذه الكلمات، واشتهى آدم واشتهت حواء رؤية ذلك العالم المجهول

— إلى شجرة التين، يا آدم

— إلى شجرة التين، يا حواء

— ولكن احذر من أن تقول إنى أغريتك!

— لم يغرنى غير العينين النجلاوين، والخدين الأسيلين، والثغر المعطَّر بأنفاس الرحيق

— إعترف صراحة بأنى ما أغويتك ولا أضللتك ولا زينت لك العصيان

— أعترف بأن حواء لا تُسأل عما يجني قدها الرشيق

— ولا خصرها الأهيف؟

— ولا جيدها الأغيد!

— ولا ثغرها الرَّشوف؟

— ولا طرفها الكحيل!

— ولا ثنيها وهى تتخطر فوق شط الكوثر؟

— ولا سحر اللون الذى يتموج بساقَيْها حين تتمدد فوق الأعشاب!

— ولا بلؤمها حين تثور؟

— ولا بكرمها حين تطيع!

— آدم، آدم، أنت مخلوقٌ نبيل

— معاذ الله أن أكون كذلك، فما يوصف الرجل بالنبل إلا حين يملك ما يأتى وما يَدَع. وقد قلَّت حيلتى فى رياضتك يا حواء، فأنا بفضل هواك من الهالكين

— لن تهلك وأنا معك

— ولن أهلك إلا لأنك معى، فالرفيق الفاسد يجرّ صاحبه إلى الهلاك

— اللهُ قدَّر أن يكون مصيرنا إلى الأرض ، فما خوفُك وتلك إرادته السامية ؟

— للجنة أسوار وحدود ، وأنا أخشى أن تكون الأرض بلا أسوار ولا حدود

— عند ذلك تستطيع أن تفر منى حين تشاء

— أنا فى الجنة مقهور على محبتك بفضل الأسوار ، وسأكون فى الأرض مقهوراً على محبتك بفضل الأهواء ، والفرق بين الحالتين بعيد

— لك أن تتحرر من هواى

— لو أصبحتِ تراباً يا شقية لكان من واجبى أن أستاف ذلك التراب

— تحبنى يا آدم ؟

— أحب اللسان الذى يتلجلج بفم الحية النضناض

— أنت وقح !

— الوقاحة لن تكون إلا من نصيب الجمال النشوان !

— النشوة العارمة لم تعرف إهاباً غير إهابك

— ولهذا أخضع للشهوة وأطيع

— إذن تأكل من شجرة التين

— وأستبيح المعصية فى سبيل الجمال

— خذ هذه التينة يا آدم

— إبدئى بنفسك

— هذه واحدة وثانية وثالثة ورابعة وخامسة ، فهل وقع شئ ؟

— لم يقع شئ !

— وإذن يكون التين من الثمر المباح

عند ذلك مدّ آدم يده فالتهم ثمرة التين وهو يرجو أن يكون مصيره مصير حواء ، ولكن الجنة زُلزلت من جميع الجوانب فأدرك أن الله لا يقيم وزناً لغير هفوات الرجال .

« للحديث شجون وشجون »

زكى مبارك

الأدب والعلم

للأستاذ محمد محمد المدنى

كتب إلىّ صديق من زملائى على عهد الدراسة كتاباً يقول فيه : —

« إنى مواظب على قراءة الرسالة بشغف واهتمام ، ولست تكتب على صفحاتها مقالاً إلا قرأته لك ، وتنسمت فيه روحك ، وثارت به فى نفسى ذكريات محببة عن أيامنا الجميلة التى كنا نختلف فيها إلى دروس الأدب والبلاغة يلقيها المرصفىُّ وعيَّارةُ والبطراوى والأسكندرى وغيرهم ، ونتجاذب فيها أطراف المحاورة ، وأهداب المذاكرة ، ونتساقى كئوس الشعر والنثر كأنها رحيق مختوم . وقد أذكر زميلنا الذى كان مولعاً — فى كتاباته الإنشائية — برواية أشعار المتنسكين والمتزهدين ، وأننا كنا نغرب فى الضحك إذا سمعنا أستاذ الإنشاء يقرأ طرفاً مما كتب ، ويحاسبه على أفكاره العتيقة . وما لهذا كتبت إليك ، ولكنى أريد أن أتحدث إليك فى أمر كثيراً ما هممت بأن أحدثك فيه :

أنت تعرف رأيى فى أسلوبك الكتابى وبحوثك العلمية ، وتعرف حبى لك وشديد غيرتى عليك ، فهل لى أن أسألك : لماذا تنحو فى اختيار موضوعاتك هذه النواحى الأزهرية فتتحدث عن الأئمة وأصول التشريع ودراسات الأزهر وأسلوبه فى التفكير وما ينبغى له من علو ورفعة شأن ، ولا نراك تتحدث عن الأدب والشعر وهما فى هذا العصر أنشودة الشُّداة ، وأغرودة الحداة ، وثقافة المثقفين ؟ لو كنت أعلم أنك تخرجت فى علوم الشريعة لقلت : رجل مشغوف بما درس ، معنىٌّ بإشباع نهمه العلمى منه ، ولكنك تخرجت فى دراستك تخرج الأديب ، ونلت شهادة التخصص فى علوم البلاغة والأدب ، فكيف تجحد حقهما عليك وتنسى فضلهما فى تهذيبك وتثقيفك ؟ وهل تتجنب إلى الأدب طالباً ، وتتنكر له أستاذاً ، فتقطع به صلتك ، وتزوى عنه وجهك وتنصرف إلى غيره مما ليس منه ولا يمتُّ إليه ؟

ما هذا الذى أغرمت به ، وملك عليك نفسك ، واستبد بقلمك ؟ وأىُّ فرق بينك وبين الزميل المتنسك الذى أحدثُ إليه صدر هذا الكتاب ؟ ولِمَ إذن كنت تسخر منه ، وتُغرب فى الضحك عليه ؟

لا يا صديق ، ما لهذا يريدك أصدقاؤك ، وما لهذا أردت نفسك ، وما لهذا أعدتك « شعبة البلاغة والأدب » فى تخصص الأزهر . لا تكفر بالأدب ولا تنأ بجانبك عنه ، واستغفر لذنبك ودع الفقه والجدال فيه ، ودع الأزهر والحديث عنه ، والتحرق له والبكاء عليه ، فما ذلك بمغن عنك فتيلاً . وسوف يبقى الفقه كما هو ، وسوف يبقى الأزهر كما هو ، وسوف تضيع صيحاتك وصيحات غيرك فى شأنهما هباء كما ضاعت من قبلُ صيحات وصيحات ! عد إلى أحضان الأدب يا صديقى وأسمعنا شدوك عند رياضه وغياضه ، وطر إلى آفاقه ، وحلّق بخيالك فى سمائه ، فربما غنيت على قيثارته ألحاناً يرويها عنك الزمان ... »

* * *

هذا كتاب صديقى إلىّ ، أثبته كما هو لأنه وإن كان كتاباً خاصاً يتحدث عن شأن له ناحية من العموم ، ويمثل رأياً ينزع إليه جمهرة من شباب المتأدبين فى هذا العصر فهم به مولعون

ولست أرى أنى أغاضب الأدب وأجافيه — كما يتصور هذا الصديق — حين أكتب فى موضوعات علمية ، أو حين أعالج مشكلة من المشكلات الخاصة أو العامة ، فإن الأدب ليس محصوراً فى دائرة العاطفة والخيال وما يتصل بهما ، ولكنه أوسع من ذلك دائرة وأبعد أثراً . وقد أتى على الناس حين من الدهر وهم يظنون الأدب حلية تراد للزينة وتستكمل بها مظاهر الترف، فكانت قصور الملوك والأمراء وذوى اليسار كما تضم الندمان والسقاة والجوارى والغلمان ، تضم الشعراء والكتاب والقصاص والرواة ، فصارامم أن يكونوا أداة لهو وتسلية تَشرح بهم الصدور وتُنسى الهموم . فلما ترفع الأدباء والشعراء عن تلك المنزلة قصدوا إلى الأدب والشعر بالتكريم فصانوهما عن التبذل فى خدمة الأمراء والثراة إلا قليلاً ، فأصبح الشاعر يقول ليرضى ذوقه الأدبى ، وأصبح الكاتب يكتب ليصف شعوره هو قبل أن يصف شعور الآخرين ؛ وبذلك استقل الأدب ، ونال الأدباء والشعراء حريتهم، وانطلقوا يهيمون فى جوهم الصافى ، وينعمون بأحلامهم اللذيذة ؛ لا يحبون أن يكدرها عليهم مكدر ، ولا أن يفسدها عليهم مفسد ؛

ولـكنهم كانوا من ذلك فى شبه غيبوبة عن الحياة العملية المثمرة ، لا ينفذون إلى صميمها ، ولا يُعنَوْن إلا بحواشيها وأطرافها ، ورضوا بالفقر حليفاً ، وبالبؤس صاحباً ؛ وخيلوا للناس أن الأدب والفقر صنوان ، ورضيعا لبان ! وأن الأدباء والشعراء هم وراث « أبى الشمقمق » فى كل زمان !

أما فى هذا العصر ، فقـد تغيرت المثُـل ، واستبدل الأدباء بهجهم فى الحياة نهجاً سواه : أصبح الأديب هو الذى ينفذ بقلمه وذوقه إلى دقائق العلوم ، ومعضلات الفِكَـر والآراء . هو الذى يجلو الغوامض ، ويفتح المغاليق ، وييسر المعاسير . ذلك اليومَ هو صميم الأدب ، وقصارى الأديب ، وذلك هو الوضع الصحيح الذى ينبغى أن تقوم عليه العلاقة بين الأدب والعلم !

من ظن أن الأدب فى هذا الزمان إنما هو أنشودة تنشد ، أو أغرودة تغرد ، أو خيال يسبح فى جوه الهائمون ، أو وصف لزهرة مشرقة ، أو طائر صداح ، أو عاشق ولهان ، أو قلب خفاق ، أو عين باكية ، أو ثغر بسام ، أو جمال فتان ، أو قد ممشوق ، فقد ظن عجزاً !

إن ذلك من الأدب حقاً ، ولا يستطيع أن ينكر ذلك منكر ، ولـكنه اليوم ليس المثل الأعلى للأدباء ، وإنما هو لون من ألوان غذائهم الروحى يتشهَّوْنه الفينةَ بعد الفينة ، وهو بعد ذلك أقرب ثمرات الأدب إلى يد الأديب وأيسرها منالاً . أما العلوم والمعارف ؛ أما مشكلات الحياة وقضايا العقول ؛ أما سهر الليالى ومجافاة الجنوب للمضاجع فى سبيل التحصيل والتزود من زاد البصائر ، فتلك هى الحَلْـبة لمن أراد السباق ! !

***

أعيذك بالله ـ يا صديقى ـ أن تستخف بأمر الفقه والأصول وأسرار التشريع ، أو يثقل عليك القول فى إصلاح الأزهر وتقويم ميله ، أو يداخلك اليأس حين ترى الداء مستشريًا والطبيب حائراً

إن الشرق الإسلامى قد استفاق من سباته العميق ، وإنه يريد أن ينهض وأن يستعيد مجده السالف يوم كان مصدر النور والمعرفة ، بل يوم كان مصدر الهداية ومنبت الخير ، ولو تأملنا بوادر هذه النهضة وتأملنا إلى جوانبها بوادر الانهيار ، بل عوامل الدمار التى تعمل عملها السريع فى إهلاك أعداء الشرق وخصوم

الإسلام لـكان لنا أن نؤمل دورة الفلك ، وأن نأخذ فى تكميل أنفسنا ، وتصحيح أخطائنا ، والرجوع إلى قوميتنا استعداداً لما ينتظرنا . وهذه الشريعة الإسلامية هى الشريعة التى نلنا بفضلها أسباب السماء فى الماضى ، ولم يجد أعداؤنا منفذاً إلينا ونحن متمسكون بها ؛ وفقه هذه الشريعة هو فقه الحياة والعمل ، هو فقه العدل والرحمة ، هو فقه الحضارة والمدنية فى أبهى صور الحضارة والمدنيـة ؛ فإذا تكلم فى شأنه المتكلمون ، ودعا له الـكتاب ، وعرض الأدباء العاملون بعض صوره على الناس ، وخلصوه مما أضيف إليـه واختلط به ، كل بمقدار ما يستطيع ، فإنهم لا يقومون فى ذلك بواجب دينى فحسب ، وإنما يقومون مع ذلك بواجب قومى وطنى لا مناص لأهل العلم والأدب جميعاً من التعاون على حمل أعبائه . ومثل ذلك يقال عن الأزهر : ينبغى أن يلتفت إليـه أدباؤنا ، وأن يكتب فى شأنه كتابنا ، لأنه (جامعة الشرق) ، ووارث ثقافته ، وعنوان مجده ، ومعقد آماله !

إنك ـ يا صديقى ـ تقول لى فى كتابك : « سوف تضيع صيحاتك وصيحات غيرك فى شأنهما هباء كما ضاعت من قبل صيحات وصيحات » . وأحب أن أقول لك إنه لم يضع شئ أبداً ، وإن الذين صاحوا من قبل قد أثروا بصيحاتهم آثاراً بعيدة المدى فى العلم والتفكير والإصلاح . ويمكنك أن ترجع إلى عهد الأستاذ الإمام محمد عبده ، لتوازن بين عقلية الأزهر المـاضية وعقليته الحاضرة فى العقائد والفقه ،أحكام المعاملات والأحوال الشخصية ، فتلمس الفرق بينهما ، وتدرك أن صيحات هذا المصلح الدينى لم تذهب هباء

ولقد كان الأستاذ الإمام محمد عبده أديباً رائع البيان ، وكان له ذوق ممتاز فى فهم الشعر والنثر ظهر أثره فى تفسيره لما فسر من القرآنِ ، فهل منعه ذلك أن يؤلف فى علم الـكلام ، وأن يفتى فى الفقه ، وأن يشرع شَبَـاة قلمه لتأييد دعوته الأصلاحية الـكبرى ؟

بل لقد كان الإمام الشافعى رضى الله عنه أديباً عاش فى البادية ونزل فى هذيل ، يقيم معها ما أقامت ، ويرحل معها إذا رحلت ، ويتعلم كلامها ، ويحذق لغتها ، ويروى أشعارها ، حتى بلغ من ذلك شأواً بعيداً ، ولـكنه لم يجعل هذا غرضاً ، وإنما اتخذه وسيلة

إلى علم أكبر، وفضل أظهر، ووقرت فى نفسه كلمة الزبيدى الذى لقيه فى طريقه، فتحدث إليه فوجده فصيح اللسان، عبقرى الذكاء، فقال له: أيها الفتى! يعز علىّ ألا يكون مع هذه الفصاحة وهذا الذكاء فقه تسود به أهل زمانك! وقد أراد الله ذلك، فإذا الشافعى رجل من الرجال العالمين، وإذا اسمه مسجل فى سجل الخالدين!

أما بعد، فياصديقى العزيز: لا تَلْحَنى ولكن أعِنّى

محمد محمد المدنى

المدرس بكلية العربية

خواطر وصـــور

نثرها مرحلة من الطريق بين القاهرة وبغداد

[إلى الأستاذ المازنى نسوق السؤال]

للأستاذ فخرى شهاب السعيدى

كانت مفازة رهيبة!

ولم يكن فيها من آثار الإنسان غير اثنين: هذه الأسلاك النحاسيّة المعلّقة فى الهواء على ركائز من الحديد الصابر اثنين: تبيّن ما طُوِى من الشقة، وما ظل ينتظر الطىّ؛ وهذا الطريق الأسود الطويل ... الذى لا تكاد تدرك العين والسيارة آخر ما يمس الأفق من تعاريجه ومرتفعاته، حتى تتكشّف أمام العين مناظر منه أخرى، وحتى تتبدى للسيارة منه تعاريج وأطوال ...

وكانت السيارة صابرة على هذا الأسود الممتدّ أمامها، الهازئ بها، الذى يمتحن صبرها بأعاجيب من عنده: فتارة يلتوى لها، وأخرى ينحدر؛ وطوراً ينحنى أمامها، وحيناً يستدير ... وهى لا تعبأ بهذا الهازئ الممتحن، بل تمضى قُدُماً، وصوت شهيقها وزفيرها، وقلبها الخافق، ودمائها الغالية ملء أسماع الركب الذين أسلموها القياد فى صبر واضطرار! وكانت السآمة قد تغشتهم جميعاً مما يتدفق أمام عيونهم من مناظر الصحراء، وما كانت هذه لتعدو الرمال والجلاميد، والهضاب العالية والوديان الخالية، وكل ما يمثل الموت والسكون والجمود من آثار الطبيعة.

وما أشد صدوف الناس عما يذكرهم بمثل ذلك من آثار!

... كان بعضهم يزجى فراغه بالحديث يرفعه عالياً ليغالب زئير السيارة الذى ملأ الفضاء والأسماع، ثم لا يلبث — هذا البعض — أن تتعبه المغالبة فيستنجد بالسكوت. وكان بعضهم يأكل! نعم كان يقتل السآمة بالأكل. وبعضهم كان يقرأ. وكنت أنا من بينهم وحدى الذى طاب له أن يقصر عمله على اثنين: مطالعة هذه الصفحة الصحراوية، الجميل خطّها، المذهب متنها بفعل الرمال، والمفضّضة حواشيها بإطار الأفق الجميل؛ والتحدث إلى نفسى والأخذ منها والرد عليها فيما كان يحضرنى من أفكار ... وبين هذين المهمين، أو هذين الشاغلين ـ بكلمة أخرى ـ كان الوقت يمضى مسرعاً، والسيارة تنهب من الأرض كيلو مترانها نهباً؛ وكنت وجدت فى ذلك لى متعة كان يحظرها علىّ المجتمع لو أننى أضعت هذا الوقت فيه!

وعندى أن الأخذ من النفس والرد عليها، ومحاورتها بألوان الأفكار، ومناقشتها فى ضروب من الآراء، مما يرتاح الإنسان إليه — أو أنا على الأقل، فما أدرى ما حال الناس غيرى — ولقد تمرّ علىّ فى حال معينة وظرف بعينه لحظات أود لو أنى استطعت أن أكون من هذا المجتمع فى نجوة لألقى تلك الصديقة المحببة ... التى هى نفسى، فأجلس إليها وأداعبها وأعاتبها وأحاورها، وأسمعها وتسمعنى فى صنوف شتى من أبواب الجد الهازل أو الهزل الجاد!

أما الصحراء هذه الصحيفة التى تنبسط أمامى جديدة من سفر الوجود، فما كان أجملها، وما كان أروع الجلال الذى كان يشع منها على النفس فيصغر من شأنها، ويقلل من تيهها، ويذلل من كبريائها، ويصهر جوهرها صهراً يصفيه ويطهر الأعراق

كم من البشر — قبلنا — مروا بك أيتها الصحراء؟ وكم ركباً قبل هـذا اقتحم مفاوزك هذه، ثقةً منه بنفسه، واعتماداً منه على قدرته، واتكالاً على ما أوتى من علم؟ وكم منهم نجا، وكم كان فى الهالكين؟ لم أنجيت من أسرك فريقاً؟ ولِمَ اقتنصت فريقاً، فأطبقت عليهم فى غير شفقة ولا رحمة، ولا ذكر لذويهم الذين استودعوك قلوبهم وائتمنوك عليها ثقة منهم بعدلك فإذا أنت تضيعين الثقة وتخلفين الرجاء؟!

كم ـ أيتها الصحراء ـ فيك من قوافل تسمع ولا تجيب، وتحتمل وطأنا إياها ولا تئن؟ لم لا تطلقين هؤلاء من أغلالهم،

وترديهم إلى أهلهم فتكسبى حبهم وشكرهم وثقتهم ، وتعودون — أنت وهم — بعض لبعض أحباباً ؟ ! ألا تعجبك أيتها الصحراء صداقة الإنسان ؟ !

يا لله !

ما لها لا تحير جواباً ! لعلها كانت تنطق فلا أسمع وترفع بالإجابة صوتها فتتلقاه أذنى دوياً لا تستطيع آدميتى فهمه واستجلاء معانيه !

وعدتُ أنظر إلى هذه التلال ثانية فإذا هى قد نمَتْ وكبرت وتضخَّمتْ حجارتها واشتدتْ صلابةً وأيْداً ؛ وقد علمتُ — حين سألتُ عن السر — أننا شارفنا أرض فلسطين ! ! فالقيعة إذاً تلبس لباس وقارها وحشمتها لتدخل الأرض المقدسة أرض المَعَادِ ! فما بالنا نحن ـ البشر ـ لا نلبس لهذه الأرض المقدسة لباسها كما تفعل الأرض ذاتها ، ولا نحييها باطراح شرورنا ونبذ ما ران على قلوبنا ، كما تصنع هذه الجلاميد ؟ ولقد هممت أن أقوم احتراماً ، بل لقد قمت فعلاً ، فما راعنى إلا أن أجلستنى السيارة المنطلقة فى عنف ، طالبة أن أكف عن الاسترسال فى هذا الخيال وأنصرف معها إلى ما هى فيه من جد وكد عنيف !

ولم نلبث بين هذه الجلاميد إلا ساعة أو نحوها حتى تبدّت الأرض فى حلة من وشى جديد ، تختلط فيه خضرة العشب النضر بسواد الصخور الصم ، فكأن الطبيعة قد أرادت بهذا الجمع بين النقيضين أن تجيء بالبرهان القاطع على أنها لا تعرف هذا الذى تواضع الناس عليه من فصل بين شتى مظاهرها فى هذا الكون الذى هو معرض الاتساق !

وكان جميلاً أن أُرى ما كان يحسبه الإنسان من هذه الصخور الجرد مثالاً للقسوة وتمثالاً للجمود ينشىءُ الحياة الغضة إنشاء ويخرجها أعشاباً طرية من بين الفرجات الصغيرة التى فيه ، ويجمع لها فى هذه الشقوق الماء الذى تحتاج إليه لترتاح له وتأنس بالمقام عنده وتطمئن ـ فى ضمان حياتها ـ إليه .

وكانت الجبال على أتم صلة ببعضها ، فلا يفصل بينها شىء إلا صبغته بصباغها الأحْوَى ، وعلمته كيف ينساق لمشيئتها فى غير تردد ولا بطء : فالجداول الصغيرة ، والوديان الفسيحة ، وهذا القليل من رحاب الأرض المنبسطة ، ومخارم الجبال ذاتها أيضاً ، كل أولئك كان طائعاً لتلك الجبال يصل ما بينها ليظهرها أمام العين بمظهر واحد ينم على الألفة المتينة والوداد الجميل .

وكانت هذه المشاهد التي تطغى على القلب والعقل ، فتملأ ذاك غبطة وتزيد هذا إيماناً بالعجز أو سدوراً فى الضلال ، جديدة أمام عينى ؛ وكان كل واحد منها جديراً بأن أطيل النظر فيه لنتعارف ، ولكن السيارة كانت تأبى ، وحسبت أن ذلك قد يطول منا فنعتاقها عما هى وراءه من تقريب الشقة أمام هذا الركب الضجر الملول . وجدة المشاهد أمام العين تذكر بعهد الطفولة حين يخرج الواحد منا من ظلماته الأزلية إلى هذا النور الدنيوى ـ أو الذى نسميه نوراً وما ندرى من أمره حقيقة ولا ندرك كنهاً ـ فكل ما تقع العين عليه جديد لذيذ ، يبعث الفضول ويرهف الحس ويصب على الفكر وابلاً من الأسئلة الخالدة التى تطوف فى فكر كل ذى فكر ؛ ثم لا يلبث المرء أن تعييه الإجابة فينزل عند حكم المشيئة التى أرادت له مثل هذه الحواس المحدود إدراكها ، ومثل هذه القوة العاقلة التى يسرع التعب إليها قبل بدئها فى البحث عما هى وراءه من استكشاف المجاهيل !

ونبّهتنى هذه الخواطر إلى ما للجهل من فائدة وفضل على الناس ، وأذكرنى هذا بالنظرية التى تقول : إن كل شيء خيّر فى الطبيعة إذا وُضع فى موضعه وأُحِلّ فى المكان المناسب له . فالجهل مثلاً ـ وهو موضوعنا ـ يثير فضول القوى العاقلة لدى الناس ، ويعقّد أمامهم مشاكل كل عويصة يعالجون حلها ، فكثيراً ما يضلون وقليلاً ما يهتدون . ولكنهم ـ وعلى أية حالة كانوا ـ تفيض السعادة والراحة على قلوبهم حين القصور ، وحين البلوغ على حد سواء ! !

وأذكر أنى كنت ذات مرة فى زيارة لخرائب بابل ، وكنت وقتئذاك صبياً يحسب العلم وقفاً على المسنّين . فسألت أحد الأدلاء ـ وكان شيخاً ـ وكان جاهلاً أميًّا ـ عما صيّر هؤلاء الآدميين الذين كانوا مثلنا من لحم ودم ـ حجارة ! فأجاب أو أجابت بديهته ـ فما كان عنده عقل يجيب ـ : غضب الله ! وقد ظللت أعتقد بصحة هذه الجملة التى انطلق بها لسان دليلى العامى حتى دخلت المدرسة فعُلِّمْت غير هذا ، ووعيت فى حافظتى كلاماً غير كلام الدليل ، علمياً منطقياً ، تقوم على تأييده والبرهنة على صحته حجج قواطع . فاستسخفتُ ذلك الساذج ، واستسخفتْ نفس ذلك الطفل الذى لم يحاكم القول الذى سمع ؛ ولكنى أشهد الله (تعالى) ، على أن نفسى اليوم لا تستطيب معنى أحلى ، ولا جملة أبلغ ، ولا فلسفة أعلى مما انطلقت به بديهة الرجل

من أدب القرن التاسع

كتاب « سحر العيون »

للأستاذ أحمد يوسف نجاتى

كنت منذ حين قرأت حديثاً للأستاذ أحمد بك أمين يعرض فيه « كتاب سحر العيون » عرضاً شائقاً – والكتاب مطبوع قديماً بدون أن يذكر فى أوله اسم مؤلفه – ورأيت الأستاذ يقول فى هذا المقال القيّم : من الأسف أنى لم أعثر على اسم مؤلفه . ولكنه فى ثنايا الكتاب يقول : «أنشدنى صاحبنا الشيخ شمس الدين محمد ابن أبى بكر القادرى[1] المولود سنة ٨٢٤ . فمؤلف الكتاب إذاً – من أدباء القرن التاسع الهجرى – والظاهر أنه مصرى لأنه يروى لنا فى ثنايا الكتاب أحداثاً مصرية وأمثالاً عامية مصرية »

(١) شمس الدين محمد بن أبى بكر بن عمر بن عمران بن نجيب بن عامر أبو الفضل الأنصارى الأوسى السعدى المصرى القادرى الشاعر المشهور . جزم فى نظمه أنه ولد فى سنة ٨٢٠ فى جهة دمياط ، كان أديباً شاعراً مجيداً . أنشد له البدرى فى ص ٢٨٥ ، ٣٠٢ من كتابه ، وتوفى فى أوائل القرن العاشر . وسنعرض لترجمته ونقد شعره وعرض كثير منه

فأسفت لأسف الأستاذ ، وأردت أن أكتب ترجمة طويلة لهذا المؤلف تكشف الحجاب عنه ، وأن أعرض ما أعرفه من مصنفاته عرضاً دقيقاً وأحلله تحليلاً أدبياً مسهباً . ولكن عدت دون ذلك عوادٍ صارفة لا قبَل لى بها ، وحالت دونه عوائق شاغلة لم يكن أمر نفسى معها بيدى . وطال الأمد على ذلك حتى أُنْسِيت ما كنت قد عزمت عليه ؛ وشغلتنى أعمالى الكثيرة بغيره ، إلى أن سألنى اليوم أحد الطلبة الأدباء عن مؤلف هذا الكتاب ؛ فذكرنى بما كنت قد نسيته ؛ ورأيت أن أنتهز هذه الفرصة السانحة فأسعف طلبته بهذه الكلمة الموجزة التى أحررها على عجل . وفى العزم إن شاء الله أن أبسط القول فى ترجمة هذا الأديب وترجمة شيوخه وأصحابه ومعاصريه الذين تربطهم به صلة وثيقة كن لها أثر بيّن فى أدبه ؛ وأن أطيل الكلام فى الأدب المصرى والشامى فى عصر المماليك عامة وفى القرن التاسع خاصة . وأرجو أن تفسح لى مجلة « الرسالة » الغراء صدرها فعهدى بها مجلة الأدب الرفيع وحلبة ميدانه الذى تجول فيه أقلام فرسانه من الكرام الكاتبين

١ – لقد دل مؤلف « سحر العيون » على نفسه فى نحو عشرين صفحة من كتابه ، ونادى باسمه (البدرى) فيه كثيراً حتى بحّ صوته . وكأنى به فى ص ١٨٨ قال : « من عرفنى فقد اكتفى ، ومن لم يعرفنى فأنا جامعه البدرى عفى عنه ، مولده فى عشية الثلاثاء رابع عشر ربيع الأول من شهور سنة سبع وأربعين وثمانمائة » وسنعرض بعد لسائر الصفحات التى صرح فيها باسمه ، ونتناول شعره فيها وفى غيرها بالنقد والتحليل

٢ – للبدرى مؤلف « سحر العيون » كتاب آخر اسمه : (نزهة الأنام فى محاسن الشام) طبع بمصر بالمطبعة السلفية سنة ١٣٤١ هـ صدر عنوانه فى أول صفحة منه بما يأتى :

« نزهة الأنام فى محاسن الشام ، تأليف أبى البقاء عبد الله ابن محمد البدرى المصرى الدمشقى من علماء القرن التاسع (ولد سنة ٨٤٧) صاحب الديوان المشهور ، وتاريخ « تبصرة أولى الأبصار » و « سحر العيون » اهـ . وقد دل المؤلف أيضاً على نفسه فى هذا الكتاب فى كثير من صفحاته ، وموعدنا بالكلام فى هذا الكتاب وسواه قريب إن شاء الله

المجهول ! ! هل ترى العالِم المنقّبَ الفاضل حين يدخل خرائب البابليين يَغْمُرُ صدره بالإيمان ، وترتفع روحه إلى أجواء من السعادة العلوية ، وتتملكه الروعة والجلال كهذا الدليل الجاهل الأمى

الجواب عندى « لا » ! !

لأنى من المؤمنين بأن للجهل نفعاً ، وأن شأنه فى هذا شأن كل ما أبدعته الكفُ الصَّناعُ الخالقة الجليلة فى هذا الكون الجميل ... وهنا بانت لنا عن بعد دائرة جوازات السفر على الحدود الفلسطينية فأبدلتنا بأفكارنا غيرها ، وتبددت هذه الأخيلة وكان ما كان ...

* * *

فإلى الأستاذ المازنى الجليل نسوق سؤالاً عن نفع الجهل ؛ فقد كان حدثنا بحديث من ذلك قبل سنين . فإن رأى – أطال الله بقاءه ، وجعلنا من كل سوء فداءه – ألا يبخل بهذه الآراء على قراء (الرسالة) فعل وله منا ومنهم ألف شكر !

فخرى شهاب السعيدى

٣ — وفى فهرس الكتب العربية لدار الكتب الملكية بالجزء الخامس المشتمل على فهرس التاريخ فى ص ٣٨٧ ما نصه :

« نزهة الأنام فى محاسن الشام ، تأليف أبى البقاء عبد الله ابن محمد البدرى المصرى الدمشقى من علماء القرن التاسع ، ولد سنة ٨٤٧ (وكتب سنة ٧٤٧ غلطاً) ، وهو صاحب الديوان المشهور والتاريخ المسمى : « تبصرة أولى الأبصار فى انقراض العمر بين الليل والنهار » ، « سحر العيون » . الخ

وإنى أنصح لمن يعنى بالأدب وتاريخه أن يطلع على فهارس دار الكتب ، فإنه يعثر فيها على فوائد جمة ويهتدى إلى مراجع قيمة فى اللغة العربية وآدابها وتاريخها . وفى كشف الظنون (نزهة الأنام في فضائل محاسن الشام) لأبى البقاء عبد الله ابن محمد البدرى المصرى الدمشقى الشافعى

٤ — وأبين مما تقدم ترجمة علم الدين السخاوى فى كتابه (الضوء اللامع) لمؤلف « سحر العيون » . ونحن ننقل هذه الترجمة بنصها ، ونشفعها بشرحها ونقدها . قال : « أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن عبد الله تقى الدين بن الجمال الدمشقى القاهرى الشاعر الوفائى ، ويعرف بابن البدرى ، ويكنى أيضاً أبا البقاء ، ولد فى شهر ربيع الأول سنة ٨٤٧ بدمشق ونشأ بها ، وتكرر قدومه مع أبيه للقاهرة ثم قطنها مدة ، واشتغل بالبلدين قليلاً . وكتب عن خلق من الشيوخ فمن فوقهم . وتعانى الشعر ومدح وهجا وطارح . وتردد إلىّ فأخذ عنى ومدحنى فيما كتبته فى موضع آخر ، وفيه :

جد لى سريعاً بالحديث إجازة يا كاملاً دم وافر الإعطاء

وانتمى لبنى الشحنة وتكسب بالشهادة وبالنسخ . فلما ولى الأمشاطى عمل فيه أبياتاً فلم يقابله عليها ، إلى أن تعرض لعبد الرزاق الملقب عجين أمه نزيل القاضى فى البرقوقية ونسبه لأمر فظيع الله أعلم بصحته ، فبادر لتطلبه فلم يقدر عليه ، فصرح بمنعه من تحمل الشهادة فلم يلبث إلا يسيراً . وماتت له زوجة فورث منها قدراً طائلاً بعد فقره فلمّ أطرافه وسافر لمكة فجاور ثم قطن الشام ، ثم جاور بالمدينة سنة ٨٩٢ وكتب فيهما من تصانيف الشريف السمهودى وغيره ، ثم جاور التى تليها سنة ٨٩٢ بمكة ؛ وكان يجتمع علىّ بها ، وكتب من تصانيفى مجموعاً ، ولازمنى فى التحمل رواية ودراية . وأوقفنى على مجموع سماه « غرر[1] الصباح فى وصف الوجوه الصباح » وقرظه له الشعراء فأبلغوا ، وكان من أعيانهم البرهان الباعونى وأخواه ، والشهاب الحجازى ، والمنصورى ، والقادرى ، وابن قرقماس . وقال إنه ألفه بدمشق سنة ٨٦٥ ، والتمس منى تقريظه فأجبته وكتبت له إجازة حسنة ، وامتدح قضاة مكة وغيرهم ، وليس نظمه بالطائل ، ولا فهمه بالكامل . وكتبت عنه من نظمه :

إذا ما كان مجموعى لديكم من الدنيا بهذا قد قنعت
وما قصدى سوى هذا وحسبى بأنى فى يديك وما جمعت

وكان يتكسب بالتجارة ، وربما جلس بحانوت بمكة فى الموسم . تعلل بمكة مدة وسافر منها وهو كذلك فى أوائل المحرم سنة ٨٩٤ فى البحر فوصل إلى الطور ثم غزة فأدركه أجله هناك فى جمادى منها . وبلغنا ذلك فى شوال — عفا الله عنه — وترك ولدين أو أكثر وتركه، وأظن والده فى الأحياء . عفا الله عنه وإيانا » اه

إنتهت ترجمة السخاوى . وهو معروف بأنه قد يتحامل على بعض معاصريه ، ويقذفهم بعبارات تهكم لاذعة وقوارص من الكلم تنطوى على سخرية مريرة ، بداعى المنافسة والمعاصرة والازدحام على منهل عذب واحد . وقد قال فيه معاصره (ابن إياس) فى كتابه « بدائع الزهور » : « إنه ألف تاريخاً فيه كثير من المساوئ فى حق الناس » . وأنشأ معاصره (جلال الدين السيوطى) مقامة من ضمن مقاماته سماها « الكاوي فى رد تاريخ السخاوى) شنع عليه فيها ... يقول فيها : « ما ترون فى رجل ألف تاريخاً جمع فيه أكابر وأعياناً ، ونسب لأكل لحومهم خواناً ، ملأه بذكر المساوئ وثلب الأعراض ، وفوّق فيه سهاما على قدر أغراضه والأعراض هى الأغراض . وجعل لحم المسلمين جملة طعامه وإدامه ، واستغرق فى أكلها أوقات فطره وصيامه ... » والمقامة مخطوطة محفوظة بدار الكتب الملكية تحت رقم ١٥١٠ . فينبغى للمنصف أن يقف أمام بعض تراجم السخاوى موقفاً محايداً مرويا

ونحن بعد هذا نشرح ما يحتاج إلى الشرح والتبيان من ترجمة علم الدين السخاوى لأبى بكر البدرى ، ونشفع ذلك بنقده ونصل القول إلى ما وعدنا به من ترجمة حياة هذا الأديب ترجمة ضافية وترجمة أدباء عصره وأقرانه وشيوخه وأصحابه ، ونكشف النقاب عن الأدب المصرى فى القرن التاسع بل فى عصر المماليك عامة بإذن الله

(١) قال فى كشف الظنون « غرة الصباح فى وصف الوجوه الصباح » — والاسم محرف هنا — للشيخ تقى الدين أبى بكر البدرى الدمشقى ثم المصرى . أوله : (أما بعد حمد الله الذى الخ رتبه على سبعة عشر باباً) اه

١ – أما بنو الشحنة الذين انتمى إليهم البدرى فهم من أسرة شامية من مدينة حلب كريمة الأصل والحسب ، عريقة فى العلم والأدب . وقد تقلدوا كثيراً من الوظائف العلمية والدينية بالشام ومصر من قضاء وإفتاء وخطابة وتدريس . وكان لبعضهم أثر فى الحركات السياسية فى ذلك العصر ؛ وجدهم الأعلى «محمود» من أصل تركى وهو الملقب بالشحنة لأنه كان شحنة مدينة حلب (وشحنة البلد من فيه الكفاية لضبطها من جهة السلطان) ، فهى وظيفة كأنها وظيفة (الحكمدار) الآن .

ومن أقدم من عرفت من بنى الشحنة :

١ – كمال الدين محمد بن محمد بن محمود (الشحنة) بن غازى ابن أيوب ، كان من فضلاء زمانه متقناً لعلوم الدين واللسان ، واشتغل بالتدريس والقضاء ونشر العلم وإفادته . وتوفى بمدينة حلب فى شهر ربيع الأول سنة ٧٧٦ .

٢ – وابنه أبو الوليد محب الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمود ولد سنة ٧٤٩ بحلب ونشأ بها فى كنف أبيه وارتحل إلى دمشق والقاهرة للأخذ عن علمائها . وارتحل مرة أخرى إلى مصر سنة ٧٧٧ بعد وفاة والده فظهرت بها فضائله فولاه سلطانها قضاء بلده حلب سنة ٧٧٨ فلبث بها حيناً يتقلب بين الولاية والعزل حتى فصله السلطان برقوق سنة ٧٩٣ فعاد إلى القاهرة وأقام بها نحو ثلاث سنين ، ثم توجه إلى بلده وشغل نفسه بالتأليف وإفادة العلم ، ثم ولى قضاءها سنة ٨٠٩ ، وبعد حوادث عاد إلى القاهرة معزولاً عن عمله فولى بها عدة وظائف فى التدريس ، ثم عاد إلى وطنه حلب فتوفى بها فى شهر ربيع الآخر سنة ٨١٥ وكان نابغة فى علوم اللغة والدين والأدب والتاريخ ، وله مؤلفات مفيدة ذكر منها فى كشف الظنون كتاب (أوضح الدلائل والأبحاث فيما تحل به المطلقة بالثلاث) و (روض المناظر فى علم الأوائل والأواخر) انتهى فيه إلى سنة ٨٠٦ ؛ وبدار الكتب المصرية نسخة منه مخطوطة فى مجلد فرغ كاتبها منها آخر شوال سنة ١٢٩٧ هـ نقلها عن النسخة الخطية بخط أبى الحسن على بن حسن بن على ابن احمد السروى الأزهرى ، انتهى من كتابتها فى شهر شعبان سنة ٨٧٣ وهى منقولة عن نسخة بخط القاضى محب الدين أبى الفضل محمد بن محمد بن محمود بن الشحنة ولد المؤلف ، أتمها كتابة فى شهر رمضان من سنة ٨٢٥

وكان عاقلاً ذكياً دمث الأخلاق ، حلو النادرة ، لطيف المحاضرة ، قوى البديهة . قال المقريزى : ولقد قام مقاماً عجز أقرانه عنه ، وتعجب أهل زمانه منه ، وذلك أن الطاغية تيمورلنك لما استولى على مدينة حلب ٨٠٣ وتسلم قلعتها بالأمان بعد أن استحر القتل والأسر فى أهلها ، صعد إليها وجلس فى إيوانها وطلب القضاة والعلماء لملاقاته فامتثلوا أمره . وكان من عادته أنه إذا فتح مدينة يعقد مجلساً لمناظرة علمائه وإعناتهم ، وكأنه يريد أن يريهم أنه على حق فى عمله ، ويصبغ فظائعه المروعة صبغة شرعية . واتفق هؤلاء العلماء فيما بينهم أن يتولى القاضى ابن الشحنة الإجابة عن الأسئلة التى يوجهها تيمور إليهم ثقة بحذقه وحسن تصرفه . وكان للطاغية إمام من جلة المعتزلة هو القاضى عبد الجبار بن عبدالله الخوارزمى الحنفى ولد سنة ٧٧٠ وتوفى سنة ٨٠٥ وكان عالماً قديراً بارعاً متقناً لعلوم الدين واللغة والأدب ، يجيد اللغات العربية والفارسية والتركية ، وكان ذا ثروة طائلة وجاه عظيم ومنزلة رفيعة لدى تيمورلنك حتى انتهت إليه الرياسة فى أصحابه . وكان يصحبه معه فى غزواته لمناقشة العلماء ومناظرتهم وليكون حلقة اتصال بالترجمة بينه وبينهم . وقد كان القاضى عبد الجبار رحمة للمسلمين ، طالما أنقذهم من غضب الطاغية وسخطه ، وأطفأ عنهم نار ثورته وحدته . وكان ربما تبرم من صحبة تيمور لنك فى نفسه ولكن لا يسعه مخالفته مع ما يرجو فى ذلك من ثواب نفعه للناس لدى هذا الطاغية وكف شره عنهم .

عقد تيمور المجلس وأخذ يوجه إلى العلماء الأسئلة بوساطة إمامه ، وابن الشحنة يجيب عنها بلباقة ، فكان من ضمن هذه الأسئلة أن قال لهم : أى الطائفتين من القتلى هو الشهيد ، أمن قتل منكم أم من قتل منا ؟ وقد كان هذا السؤال محرجاً لولا مهارة القاضى ابن الشحنة ؛ فقد أجاب قائلاً : لقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثل ذلك فأجاب : فإنه وفد إليه أعرابى وسأله : يارسول الله ، إن الرجل ليقاتل حمية ، ويقاتل شجاعة ، ويقاتل ليرى مكانه ، فأينا فى سبيل الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو الشهيد فى سبيل الله ... فراق تيمورلنك هذا الجواب وأحسن إلى ابن الشحنة ، وأعجب بدهائه وحسن تخلصه ولطف احتياله وسرعة بديهته ، وجعل يؤانس العلماء ويلاطفهم ، ووعدهم العفو عنهم حتى أفرخ روعهم ؛ وأقبلوا يجيبون على أسئلة تيمور بما عندهم ، وكان آخر ما سألهم عنه أن قال : ما تقولون فى على ومعاوية ويزيد ؟ وما الحكم فى قتال

على ومعاوية ؟ وهل يجوز لعن معاوية وابنه ؟ فأجاب القاضي علم الدين القفصي : محمد بن ناصر الدين محمد بن محمد الدمشقي [1] قائلاً : إن عليًّا اجتهد وأصاب فله أجران ، ومعاوية اجتهد وأخطأ فله أجر واحد . فغاظ ذلك الجواب تيمورلنك وأهان العلماء وسبّ أهل حلب ، ورماهم بأنهم يزيديون يبغضون أهل البيت وشيعتهم ، فتدارك ابن الشحنة الأمر بلطفه وقال : إن القاضي علم الدين أجاب بما وجده في كتاب لم يمعن في معناه والغرض منه . فأعجب ذلك الطاغية ، وسكت عنه الغضب . وأجاب القاضي شرف الدين موسى ابن محمد بن محمد قاضي حلب المتوفى سنة ٨٠٣ بأن معاوية لا يجوز لعنه لأنه صحابي ؛ فثار الطاغية وسب العلماء ، ولولا أن القاضي شفع ذلك بقوله : إنه رأى حاشية على بعض الكتب بأنه يجوز لعن يزيد ، ولولا أن الطاغية كان قد وعد بالعفو ، ولولا حسن وساطة القاضي ابن الشحنة ، للاقى العلماء يومئذ من تيمور شراً مستطيراً .

هذا ، ولابن الشحنة نثر ونظم ليس عالي الطبقة ، بل هو كشعر الكثير من أبناء عصره

ومن ذلك قوله :

كنت بخفض العيش في رفعة ... معتدل القامة ظلي ظليل
فاحدودب الظهر وها أضلعي ... تعدّ والأعين مني تسيل

ومنه :

ساقي المدام دع المدام فكل ما ... في الكأس من وصف المدامة فيكا
فعل المدام ولونها ومذاقها ... في مقلتيك ووجنتيك وفيكا [2]

ومنه :

أسير بالجرعا أسيراً ومن ... همّي لا أعرف كيف الطريق

في منحنى الأضلع وادي الغضا ... وفوق سفح الخد وادي العقيق

هذا وقد كان أبو الوليد بن الشحنة ممدَّحاً . وممن مدحه الجمال عبد الله بن محمد بن زريق المعري ثم الحلبي . ولد سنة ٧٧٥ بالمعرة ونشأ بها ثم قدم مدينة حلب فاشتغل بها وتوفي سنة ٨٢٧ وكان فاضلاً أديباً ناظماً ناثراً محسناً ... قال فيه قصيدة مطلعها :

لم أدر أن ظُبَى الألحاظ والهدب ... أمضى من الهندوانيات والقضب

٣ — وأبو الوليد هذا كان يكنى بابن له اسمه الوليد كان آية في الذكاء أديباً ناظماً ناثراً . توفي شاباً في حياة أبيه حوالي سنة ٨٠٤ هـ

٤ — وأخوه فتح الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمود ولد سنة ٧٥٣ بحلب ونشأ بها . وأخذ عن أبيه وأخيه وغيرهما . وقدم القاهرة غير مرة . وناب عن أخيه في قضاء الحنفية بحلب وكان ذا حشمة ومروءة وعناية بالأدب . وله نظم قليل منه :

يا سادتي رقّوا لرقّة نازح ... لفظته أيدي البعد عن أوطانه
والله ما جلتم بخاطر عبدكم ... إلا وفاض الدمع من أجفانه

(يتبع)

أحمد يوسف نجاتي

الأستاذ بكلية اللغة العربية

(١) قال عنه في شذرات الذهب : إنه عني بطلب العلم في كبره ودار في الدروس واشتغل كثيراً ، لكن مع قصور فهم وقلة عقل وعناية بالعلم . ولي قضاء دمشق إحدى عشرة مرة في مدة ٢٥ سنة أولها سنة ٧٧٩ وولي قضاء حلب وحماة مراراً ، وكان عفيفاً ، وأصيب في الوقعة الكبرى بماله ، وأسرت له ابنة ، وتوفي سنة ٨٠٥

(٢) أخذ هذا المعنى وقصر فيه من قول ابن حيوس أبي الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس أحد الشعراء الشاميين المجيدين ، ولد بدمشق سنة ٣٩٤ وتوفي سنة ٤٧٣ :

ومهفهف يغني النديم بوجهه ... عن كأسه الملأى وعن إبريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها ... في مقلتيه ووجنتيه وريقه

وكلا الشاعرين عني بالجناس واللف والنشر ، ولكن للمتقدم فضل السبق وإجادة السبك . وبيتا ابن الشحنة الأخيران مشحونان بمراعاة النظير والتوجيه بأسماء بعض الأماكن

٣ ـ ابن خرداذبه

للأستاذ كوركيس عواد

لقد تطرق غير واحد من الكتبة والمؤلفين الأقدمين إلى ذكر هذا الكتاب، والكشف عن محاسنه ومساوئه. من ذلك ما حكاه المسعودي[١] بشأنه، نورده هنا استتماماً للموضوع، وإظهاراً لرأي مؤرخ وبلداني جليل، ارتآه في كتاب ثمين تتداوله الأيدي في يومنا. قال المسعودي:

« وقد ذكر عُبيْد الله بن خرداذبه، في كتابه المترجم بالمسالك والممالك، أن الطريق من موضع كذا إلى كذا مقدار كذا من المسافة، ولم يخبر من الملوك والممالك، ولا فائدة في معرفة المسافات والطريق، إذ كان ذلك من عمل الفتوح وحمال الخرائط[٢] والكتب. وذكر أيضاً أن خراج طساسيج[٣] العراق كذا وكذا من المال، وهذا ما ينخفض ويرتفع ويقلّ ويكثر على حسب[٤] الأحوال وتصرف الأزمان، وإن جبل العَرْج[٥] الذي بين مكة والمدينة متصل ببلاد الشام، إلا أن وصله بالجبل الأقرع من بلاد أنطاكية وإن ذلك متصل بجبل الآكام[٦] هذا عجيب من قوله، أما تراه علم أن أجزاء الأرض مماسة بعضها لبعض، متصلة غير منفصلة ولا متباينة مما بين بعضها ببعض إلا أن الأرض ذات وهاد وأنجاد وحدب. على أنه أحسن كتاب في هذا المعنى » اهـ. أو قوله الآخر[١] في هذا الكتاب:

« ومن كتبه[٢] النفيسة، كتابه في المسالك والممالك، وغير ذلك مما إذا طلبته وجدتَهُ، وإن تفقدته حمدته »

أو قوله الثالث[٣] في هذا السِفر عينه:

« ... وقد صنّف أحمد بن الطيب السرخسيّ[٤]، صاحب يعقوب بن إسحاق الكندي، كتاباً حسناً في المسالك والممالك والبحار والأنهار وأخبار البلدان وغيرها؛ وكذلك أبو عبد الله محمد بن أحمد الجَيهاني[٥]، وزير نصر بن أحمد بن إسماعيل بن احمد ابن أسد صاحب خراسان، ألّف كتاباً في صفة العالم وأخباره، وما فيه من العجائب والمدن والأمصار والبحار والأنهار والأمم ومساكنهم، وغير ذلك من الأخبار العجيبة والقصص الظريفة؛ وأبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه في كتابه المعروف بالمسالك والممالك، وهو أعم هذه الكتب شهرة في خواص الناس وعوامهم في وقتنا هذا »

وقد أشار ابن حوقل إلى هذا الكتاب إشارة خفيفة بقوله[٦]:

« ولا يقاربُ هذا التأليف عنده (عند قارئ الكتاب أو الناظر فيه. والكلام هنا على كتاب صورة الأرض) كتاب الجَيْهاني ولا يوافق رسم ابن خُرَّاذاذَبه ... »

---

(١) مروج الذهب (٢ : ٧٠ ـ ٧٢ طبعة باريس). وقد اختصر الحاج خليفة هذا الرأي في كشف الظنون (٥ : ٥١١ طبعة فلوجل)

(٢) الخرائط، مفردها الخَرِيطة: وعاء مثل الكيس، من أدم أو خرق، يشرج على ما فيه من كتب ودراهم يبعث بها إلى العمال (أنظر: تاج العروس ٤ : ١٢٨، ومفاتيح العلوم للخوارزمي (ص٦٤ طبع ليدن)

(٣) الطساسيج، وأحدها الطسوج، بفتح الطاء ووردت بضمها: لفظة فارسية بمعنى الناحية؛ وأكثر ما تستعمل في أرض السواد من العراق. وقد قسموا سواد العراق على ستين طسوجا (أنظر: معجم البلدان ١ : ٤١ طبعة وستنفلد، وتاج العروس ٢ : ٧٠، والألفاظ الفارسية المعربة لأدى شير ص ١١٢، والخزانة الشرقية لحبيب زيات ٢ : ١٠٥ـ١٠٦

(٤) في كشف الظنون: على حسن. وهو تحريف

(٥) تجد تفصيل ذلك في الصفحة ١٧٢ ـ ١٧٣ من المسالك والممالك

(٦) يعرف أيضاً بجبل اللكام

(١) مروج الذهب (١ : ١٣ طبعة باريس)

(٢) الضمير يعود إلى بن خرداذبه

(٣) التنبيه والاشراف « ص ٧٥ طبعة دى غوى، أو ص ٦٥ ـ ٦٦ طبعة مصر »

(٤) لم يتصل بنا نبأ شيء من هذا الكتاب

(٥) كتاب الجيهاني الموسوم أيضاً بالمسالك والممالك، من المصنفات الضائعة في وقتنا. وللكتبة الأقدمين آراء وأقوال طريفة فيه، لا مجال لذكرها هنا.

(٦) كتاب صورة الأرض [المسالك والممالك] لابن حوقل « الطبعة الثانية التي نشرها كريمرز J. H. Kramers في ليدن سنة ١٩٣٨، ص ٥ ».

ولابن حوقل كلمة ثانية بشأن هذا الكتاب ، إلى القارئ نصها[١] : « وكان لا يفارقني كتاب ابن خرداذبة وكتاب الجيهاني وتذكرة أبي الفرج قدامة بن جعفر . وإذا الكتابان الأولان قد لزمني أن أستغفر الله من حملهما واشتغالي بهما عن ما يلزمني من توخى العلوم النافعة والسنن الواجبة ... » !

ومن الآراء الطريفة التي وقفنا عليها بصدد هذا الكتاب ، ماحكاه البشاري المقدسي بقوله ، وهو رأى تفرد به : « ومن مفاخر كتابنا (يعني كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) الإعراض عما ذكره غيرنا ، وأوحش شيء في كتبهم ضد ما ذكرنا . ألا ترى أنك إذا نظرت في كتاب الجيهاني وجدته قد احتوى على جميع أصل ابن خرداذبة وبناه عليه ، وإذا نظرت في كتاب ابن الفقيه[٢] ، فكأنما أنت ناظر في كتاب الجاحظ[٣] والزيج الأعظم ، وإذا نظرت في كتابنا وجدته نسيج وحده يتيماً في نظمه[٤] »

وكذلك ما ندد به البشاري المقدسي ، حين قال :

« ... وأما الجاحظ وابن خرداذبة ، فإن كتابيهما (في المسالك والممالك) مختصران جداً لا يحصل منهما كثير فائدة[٥] ... »

ومع ذلك ، وجدنا المقدسي ، ينقل غير مرة من كتاب ابن خرداذبة[٦] .

ولم يكن المقدسي الوحيد بين الكتبة الأقدمين الذين عرفوا كتاب المسالك والممالك ونقلوا عنه نقولاً مختلفة ، بل هناك جماعة فعلوا فعله ، نذكر منهم : ابن رسته[٧] ، وابن الفقيه الهمذاني[٨] ،

(١) كتاب صورة الأرض « ص ٣٢٩ طبعة كريمرز »

(٢) هو كتاب البلدان . وقد طبع مختصره

(٣) كتاب البلدان للجاحظ ، من المفقودات فيما يظن . وقد نقل ابن خرداذبة عنه مرة واحدة (أنظر المسالك والممالك ، ص ١٧٠)

(٤) أحسن التقاسيم (٢٤١)

(٥) أحسن التقاسيم (ص ٤٠٥) . وفي كشف الظنون (٥ : ٥١٠ — ٥١١ طبعة فلوجل) رأى كأنه منقول من البشاري ويلاحظ أن اسم « الجاحظ » قد تحرف في الكشف إلى « الحافظ » فليصحح .

(٦) أنظر أحسن التقاسيم ، في الصحائف ٥٧ و ٥٠٥ : ١ و ١٨٩ و ٢٢٢ و ٣٦٢

(٧) الأعلاق النفيسة (ص ١٤٩)

(٨) مختصر كتاب البلدان (ص ٢٠٣)

والمسعودي[١] ، وأبا الريحان البيروني[٢] ، وياقوتاً الحموي[٣] ، والشريف الإدريسي[٤] ، والمقريزي[٥] ، والقلقشندي[٦] .

أما ابن خرداذبة نفسه ، فقد وجدناه ينقل أحاديث عن بعض معاصريه من ذلك قوله (المسالك والممالك ص ٤٨) : وخبرني الفضل ابن مروان ، والفضل هذا رجل من أهل البردان بالعراق استكتبه المعتصم وبلغ مقاماً رفيعاً في الدولة ، ثم تقلبت به الأحوال بين صعود وهبوط ، فذكر الطبري[٧] أن المعتصم غضب عليه سنة ٢٢٠ وحبسه ، ثم ذكر[٨] أن المتوكل عزله سنة ٢٣٤ عن ديوان الخراج ، وحكى في مكان آخر[٩] أن المستعين عزله سنة ٢٤٩ هـ عن ديوان الخراج

ومما أشار إليه ابن خرداذبة في نقوله هذه العبارة ص ١٠٦ : فحدثني محمد بن موسى ، وعبارته ص ١١٤ ، وحدثني أبو بكر بن عمر القرشي وعبد الله بن أبي طالب القرشي من كورة تونس بالمغرب قالا . وقوله ص ١٦٢ — ١٧٠ فحدثني سلام الترجمان ، وقوله ص ١٨٠ — ١٨١ وحدث أبو الفضل رائض بن الحارث بن أسد ، وقد ذكر الطبري أباه الحارث بن أسد في غير موضع من تاريخه[١٠]

وقد يعمد ابن خرداذبة أحياناً إلى إغفال من ينقل عنهم والاكتفاء بالقول ص ١٧٨ : وحدثني بعض من أثق به ، أو ص ١٨١ وحدثني محدث أنه ...

(١) مروج الذهب (٢ : ٣٢٦ طبعة باريس)

(٢) الآثار الباقية عن القرون الخالية (ص ٤١)

(٣) معجم البلدان (٤ : ٩٥ و ٦٠٢ طبعة وستنفلد

(٤) مختصر نزهة المشتاق طبعة رومة ، ص ٧٠ و ٣١٥) ، ومقدمة ابن خلدون (طبعة باريس ١ : ٩٣) في الكلام على كتاب نزهة المشتاق للادريسي .

(٥) الخطط للمقريزي (مطبعة النيل ١ : ٢١٧ و٢٣٦ و٢٦٢ و٢٩٦ و ٢٩٧ و ٣٤٤ و ٣٦٦ و ٣٧١)

(٦) صبح الأعشى (٤ : ٣١٥ و ٤٠٢ — ٤٠٥) .

(٧) تاريخ الطبري (السلسلة الثالثة ، ص ١١٨١ — ١١٨٦)

(٨) تاريخ الطبري (السلسلة الثالثة ، ص ١٣٧٩)

(٩) تاريخ الطبري (السلسلة الثالثة ، ص ١٥١٣)

(١٠) تاريخ الطبري (السلسلة الثالثة ص ١٦٠٥ و ١٦١٩ و ١٦٥٧)

والآن بعد أن أطلنا الكلام على كتاب المسالك والممالك، نعود إلى بقية مؤلفات ابن خرداذبة

٤ — كتاب الطبيخ

٥ — كتاب اللهو والملاهي في خزانة الأستاذ حبيب زيات[١]

مخطوط عنوانه « مختار من كتاب اللهو والملاهي لابن خرداذبة » ولا ندري ما إذا كان هذا « المختار » للمؤلف نفسه، أم أنه لشخص آخر. وليت صاحب المخطوط، وهو الباحث الكبير المعروف بسعة اطلاعه وبعد تحقيقه، يعني بنشره، فيضيف بذلك مأثرة جديدة إلى مآثره العلمية الجمة

٦ — كتاب الشراب

٧ — كتاب الأنواء

٨ — كتاب الندماء والجلساء

والغريب أن هذه المصنفات الثمانية باستثناء المسالك والممالك لم نقف ألبتة على ذكر لها، في ما سوى الفهرست لابن النديم. وهذا كشف الظنون للحاج خليفة، وهو من أوسع المراجع التي تقفنا على الكتب، لم يتطرق إلى تسمية شيء منها، اللهم إلا المسالك والممالك، وما قاله فيه لا يتعدى كونه رأياً منقولاً عمن سبقه، كما أسلفنا القول في ذلك في موطن آخر من بحثنا

هذا ونحن على يقين من أن لابن خرداذبة تصانيف أخرى، الثمانية المشار إليها أعلاه. فقد أورد المسعودي[٢] مقالة ابن خرداذبة في « الموسيقى »، وهي التي قالها بحضرة الخليفة المعتمد

فهل تكون هذه « المقالة الموسيقية » فصلاً أو قطعة من أحد الكتب التي ألممنا إليها، أم أنها شيء قائم بذاته فات ابن النديم ذكره، فكان نصيبه الخلود على يدي المسعودي ؟ ؟

وقد أثنى المسعودي ثناء عاطراً على « تاريخ » ابن خرداذبة الذي لا ذِكْرَ له بين الكتب المنوه بها آنفاً. وهذا قوله بالحرف الواحد[١] :

« ... وعُبَيد الله بن عبد الله بن خرداذبه؛ فإنه كان إماماً في التأليف، متبرعاً في ملاحة التصنيف، اتبعه من هذه طريقته وأخذ منه ووطئ على عقبه وقفى أثره. وإذا أردت أن تعلم صحة ذلك فانظر إلى كتابه الكبير في التاريخ؛ فإنه أجمع هذه الكتب جداً، وأبرعها نظماً، وأكثرها علماً، وأحوى لأخبار الأمم وملوكها وسيرها من الأعاجم وغيرها ... »

وهي لنعم الشهادة يصدرها مؤرخ جليل ثبت كالمسعودي!

وفي مكان آخر لمح المسعودي إلى « تاريخ ابن خرداذبه ». فقال بعد كلام نقلناه في مطاوي بحثنا ما هذا نصه[٢] :

« على أنه — أي كتاب المسالك والممالك — أحسن كتاب في هذا المعنى. وكذلك كتابه في التاريخ وما كان من ذكر الأمم الماضية قبل مجيء الإسلام ... »

(البقية في العدد القادم)

كوركيس عواد

(١) أنظر كتابه « الديارات النصرانية في الاسلام » (ص ١٢٨) وقد نقل من هذا المخطوط نبذة تجدها في الصفحة ٩٠ منه

(٢) مروج الذهب (طبعة باريس ٨ : ٨٨ — ١٠٢)

(١) مروج الذهب (طبعة باريس ١ : ١٣). وقد اختصر قوله السخاوي في الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ١٥٥ — ١٥٦)، والحاج خليفه في كشف الظنون (٢ : ١٠١ — ١٠٢ طبعة أوربة)

(٢) مروج الذهب (طبعة باريس ٢ : ٧٢)

٢٩ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل التاسع — اللغة والأدب والعلوم

تتألف السنة الهجرية من اثنى عشر شهراً قمرياً[1] ، ويتأخر التقويم القمرى عن التقويم الشمسى سنة فى كل ثلاث وثلاثين سنة ونصف تقريباً ، ولذلك لا يستعمل هذا التقويم إلا فى تحديد الأعياد الدينية والمواسم السنوية ؛ فلا يستعمل فى حساب الفلك ولا فى تحديد الفصول . وإنما يستخدم فيها التقويم القبطى .

وقد ذكرت فيما يلى الشهور القبطية بأسمائها الحديثة[1] مع ما يقابلها من التقويم الميلادى

توت	ويبدأ فى العاشر أو الحادى عشر من سبتمبر	
بابة	« العاشر أو الحادى عشر من أكتوبر	
هاتور	« التاسع أو العاشر من نوفمبر	
كيهك	« التاسع أوالعاشر من ديسمبر	
طوبة	« الثامن أو التاسع من يناير	
أمشير	« السابع أو الثامن من فبراير	
برمهات	ويبدأ فى التاسع من مارس	
برمودة	« فى الثامن من إبريل	
بشنس	« فى الثامن من مايو	
بؤونة	« فى السابع من يونيو	
أبيب	« في السابع من يوليو	
مسرى	« فى السابع من أغسطس	

ويلحق بالسنة القبطية خمسة أيام أو ستة تسمى أيام النسئ والشهر القبطى ثلاثون يوماً ، ويضاف إلى كل سنة من السنوات الثلاث المتتالية خمسة أيام، وإلى السنة الرابعة ستة أيام . والسنة القبطية الكبيسة تليها مباشرة سنة ميلادية كبيسة . فالسنة القبطية تبدأ فى الحادى عشر من سبتمبر فقط عند ما يسبق هذا الشهر سنة قبطية كبيسة أو تلحقه سنة ميلادية كبيسة . ولذلك تتشابه الأيام المتقابلة فى التقويمين القبطى والميلادى بعد شهر فبراير التالى . ويبدأ القبط تأريخهم من عصر دقلديانوس سنة ٢٨٤ م

ويقسم المصريون المحدثون السنة إلى ثلاثة فصول كما كان يقسمها أسلافهم وهى : الشتاء والصيف والنيل . ويستعمل الفلكيون تقويم الأبراج القمرية التى اعتاد أهل الجزيرة العربية تنظيم شؤونهم المتعلقة بالفصول عليها

ويبدأ الوقت المدنى فى مصر وغيرها من البلدان الإسلامية من غروب الشمس إلى الغروب التالى ، فيحسب الليل السابق مع النهار التالى ، وتسمي الليلة السابقة ليوم الجمعة مثلاً ليلة الجمعة

---

(١) جرى المؤرخون الأوربيون علي أن أول يوم فى الهجرة كان يوم الجمعة السادس عشر من يوليو سنة ٦٢٢ ميلادية ؛ إلا أن كوسان دى برسفال Coussin de Perceval فى كتابه : مقالة فى تاريخ العرب Essai sur I,histoire des Arabes بين خطأ ذلك . فالعام الهجرى الأول كان العام الحادى عشر بعد المائة من عهد كان العرب يستعملون فيه حساباً قرياً شمسياً ناقصاً جاعلين العام الثالث من كل ثلاثة أعوام ثلاثة عشر شهراً قمرياً . وقد حرم الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الطريقة فى الشهر الثانى عشر من العام العاشر للهجرة وقت الحج . ومن هذا يتضح أن العام الأول للهجرة بدأ على الأرجح يوم الاثنين التاسع عشر من إبريل سنة ٦٣٢ ميلادية ، وطبقاً لرأى كوسان دى برسفال تبدأ السنين العشرة الأولى للهجرة فى التواريخ التالية :

	سنة		سنة
العام الأول الاثنين ١٩ إبريل	٦٢٢	العام السادس الخميس ٢٣ إبريل	٦٢٧
« الثانى السبت ٧ مايو	٦٢٣	« السابع الثلاثاء ١٢ إبريل	٦٢٨
« الثالث الخميس ٢٦ إبريل	٦٢٤	« الثامن الاثنين أول مايو	٦٢٩
« الرابع الاثنين ١٥ إبريل	٦٢٥	« التاسع الجمعة ٢٠ إبريل	٦٣٠
« الخامس السبت ٣ مايو	٦٢٦	« العاشر الثلاثاء ٩ إبريل	٦٣١

وهكذا يبدو أن الأعوام الأول والرابع والسابع كان يتألف كل منها من ثلاثة عشر شهراً قرياً ، وأن العام السابع كان آخر هذه الأعوام وهكذا يبدأ الحساب القمري العادى بالعام الثامن ، ويمكننا أن نستخدم استناداً على هذا الرأى الجداول التى تشير إلى بدء السنين الهجرية ولكن لا ينبغى أن نعتمد على دقة هذه الجداول لأن بدء الشهر يحدد برؤية الهلال ولذلك يختلف باختلاف الأماكن ، ولم تبدأ السنة الهجرية من يوم هجرة الرسول صلعم من مكة كما يفترض أغلب مؤرخينا الذين بحثوا هذا الموضوع ، وإنما تبتدئ من أول يوم للقمر أو من شهر محرم السابق لهذا الحادث . ويقال إن الرسول بعد أن ظل مختفياً مع أبى بكر ثلاثة أيام فى غار ثور بدأ هجرته إلى المدينة فى التاسع من الشهر الثالث أى ربيع الأول بعد ستة وثمانين يوماً من بدء هذا التاريخ

(١) وقد ذكرت الأسماء القبطية القديمة فى كتاب Horae Aegyptiaca تأليف R. S. Poole ص ٧ — ٩ ، وقد أشير فيه أيضاً إلى اشتقاقها من أسماء الآلهة المصرية القديمة فى ص ١٤ و ١٥ و ١٨

ويوافق غروب الشمس الساعة الثانية عشرة ، فتكون الساعة واحدة بعد غروب الشمس بساعة، والساعة الثانية بعده بساعتين، وعلى هذا المنوال يحسب الوقت حتى الثانية عشرة . وبعد الثانية عشرة صباحاً تبدأ الساعة واحدة مرة أخرى ، ثم الساعة الثانية وهكذا [١] . ويملأ المصريون ساعاتهم ويضبطونها عند الغروب عند ما يسمعون آذان المغرب على العموم ، وتضطرهم طريقة حسابهم الوقت من الغروب ، إلى ضبط ساعاتهم كل مساء ، إذ أن الأيام تختلف طولاً وقصراً

ويبين الجدول الآتى أوقات الصلاة عند المسلمين[٢] مع ما يقابلها من الوقت الأوربى الظاهر عند الغروب على خط عرض القاهرة فى بدء كل منطقة من مناطق البروج

	غروب				عشاء		فجر		ظهر		عصر	
	اسلامى		أوربى		اسلامى		اسلامى		اسلامى		اسلامي	
	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق
يونيو ٢١	١٢	٠٠	٧	٤	١	٣٤	٨	٦	٤	٥٦	٨	٣١
يوليو ٢٢ مايو ٢١	١٢	٠٠	٦	٥٣	١	٣٠	٨	٣٠	٥	٧	٨	٤٣
أغسطس ٢٣ ابريل ٢٠	١٢	٠٠	٦	٣١	١	٢٢	٩	٢٤	٥	٢٩	٩	٤
سبتمبر ٢٣ مارس ٢٠	١٢	٠٠	٦	٤	١	١٨	١٠	٢٤	٥	٥٦	٩	٢٤
اكتوبر ٢٣ فبراير ١٨	١٢	٠٠	٥	٣٧	١	١٨	١١	١٨	٦	٢٣	٩	٣٥
نوفبر ٢٢ يناير ٢٠	١٢	٠٠	٥	١٥	١	٢٢	١١	٥٩	٦	٤٥	٩	٤١
ديسمبر ٢١	١٢	٠٠	٥	٤	١	٢٤	١٢	١٥	٦	٥٦	٩	٤٣

يطبع فى مطبعة الحكومة ببولاق[٣] تقويم صغير سنوى ، ويشمل هذا التقويم السنة الشمسية منذ بدأ الاعتدال الربيعى إلى نهايته ، وأيام الأسبوع والشهور الإسلامية والقبطية والسريانية والإفرنجية مع الإشارة إلى حركات الشمس فى منطقة البروج وأوقات الشروق والظهر والعصر . ويصدَّر التقويم بنبذة فى أهم المواسم والأعياد الإسلامية والقبطية وغيرها وبعض الملاحظات والإرشادات المتعلقة بالفصول . ويلحق بالتقويم نتيجة طبية وزراعية لكل يوم من أيام السنة . ويشير التقويم إلى الخسوف والكسوف كما يشمل أموراً كثيرة، تلائم خرافات الشعب وتتضمن آثاراً من التقويم المصرى القديم . ويقوم بعمل هـذا التقويم قسيس سورى مسيحي اعتنق الإسلام يسمى يحي افندى[١]

وليس للمصريين معرفة بالجغرافيا إلا فئة قليلة أكثر ثقافة . ويكاد المصريون يجهلون موقع أكثر البلدان الأوربية الكبيرة جهلاً تاماً لعدم وجود الخرائط الجيدة . وقلما يجرؤ بعض المتعلمين منهم على إعلان كروية الأرض ؛ إذ أن أكثر علمائهم على عكس هذا الرأى . والرأى السائد بين المسلمين على اختلاف طبقاتهم أن الأرض مهاد يحيط به المحيط[٢] الذى يحده جبال (قاف) كما يزعمون . ويعتقد هؤلاء أن هذه الجبال هى ذروة الأرض السابعة ، كما يعتقدون أن السموات سبع طبقات تعلو إحداها الأخرى

فإذا كان هذا هو حال العلم عند المصريين المحدثين ، فلا يعجب القارئ إذا وجد بعد هذا الفصل فصلاً ضافياً يصف خرافاتهم . والإلمام بهذه الخرافات لازم ليتبين القارئ أخطاءها وليستطيع

(١) وبالتالى إذا طرحنا ساعة الظهر العربية فى يوم معين من ١٢ تحصل على ساعات الغروب الأوربية فى هذا اليوم

(٢) وقد ذكرنا هنا أوقات العشاء والفجر والعصر تبعا للحساب الأكثر شيوعا فى القاهرة (أنظر فصل الدين والشرع)

(٣) وقد طبع فى هـذه المطبعة أكثر من مائة كتاب مدة زيارتى الثانية لمصر ، وكان أكثر هذه الكتب لاستعمال الجيش والبحرية ومستخدمى الحكومة وقد طبع منذ ذلك الوقت فى المطبعة نفسها كتاب ألف ليلة وليلة وخطط المقريزى وعدة كتب أخرى على نفقة بعض الأفراد

(١) وقد استقبلها أثناء مقامى الأخير بمصر بتقويم يحي افندى تقويم آخر ألفه محمود افندى ، وهذا التقويم الأخير مطابق للأغراض الفلكية وأحسن من السابق وهو مشرف لمؤلفة أيضاً

(٢) كما كان يعتقد اليونان فى عهد هوميروس وهزيود Hésiode

أن يفهم طباع المصريين . وإنا لنتوقع لهذا الشعب تقدماً عظيماً من الناحية الفكرية والأخلاقية باقتباس العلوم الأوربية فى عهد محمد على ، ذلك الاقتباس الذى قوّم إلى حد ما سلطته الجائرة ، ولكن ليس من المحتمل أن يتحقق هذا الرجاء قريباً على مدى واسع [1]

عدلى طاهر نور

(١) لاحظ البارون هامر برحستال بحق أن هــذا الفصل ناقص ، وكان بودى أن أزيد فيه لولا شعورى بواجب التقيد برغبة القارئ . وأخشى أن أكون قد استنفدت صبره بتسجيل موضوعات لا تهم غير المستشرقين فلم أدون بناء على التعديل الأخير غير بعض ملاحظات قليلة سريعة نتيجة لما رأيته من أن العلوم الأوربية مقصورة على هؤلاء المستخدمين الذين أكرهوا على تلقى العلم من المدرسين الافرنج ، ومن أن العادات الأوربية لم يجرؤ على اتباعها غير بعض الأتراك . وقد صرح لى بعض المصريين الذين تلقوا علومهم فى فرنسا أنهم ما كانوا يستطيعون أن يسيغوا شيئاً مما تعلموه هناك فى عقول مواطنيهم حتى الأقربين إليهم

هى والربيع . . .

العطر الأســـير

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

يا رَبيعَ الكَوْنِ ما ذَنْبِي إذا قَلْبِي جَفاكا ؟
الهَوَى لَمْ يَسْقِنِي إلاَّ خَرِيفاً مِنْ رُباكا
فأنا أوْراقُ دَوْحٍ ذابِلاتٌ فى ثَراكا
وأنا آهاتُ طَيْرٍ مُسْتَضامٍ فى ذُراكا
وأنا عِطرٌ أسِيرٌ يَسْألُ اللهَ الفَكاكا
أطْلِقِينِي أنتِ ... إنِّي كِدْتُ أسْتافُ الهَلاكا !

أطْلِقِينِي وَاسْبَحِي ما شِئْتِ فِي الدُّنْيا بِفُلْكِي
لاَ تَخافِي الغَيْبَ ، إنَّ الغَيْبَ سِرٌّ شَعَّ مِنْكِ
فإذَا جاءَتْكِ أيَّامِي هَوْجاءَ التَّشَكِّي
أحْرِقِي فِي لَهَبِ النَّشْوَةِ إيمانِي وَشَكِّي
وَانْسَخِينِي قُبْلَةً تَبْحَثُ فِي جَنْبَيْكِ عَنْكِ
جَذْوَةٌ أنْتِ وَقَلْبِي حَطَبٌ لِلنَّارِ يَبْكِي ...

ما لِعَيْنَيْكِ وَضَوْءِ الفَجْرِ تاهَا فى خَيالى !
أأنا بَحْرٌ مِنَ الأحْزانِ نَشْوانُ الضَّلالِ
كُلُّ مَنْ شارَفَ مَوْجِي ذابَ كالوَهْمِ حِيالى !
أمْ أنا كالحَبَبِ المَشْدُوهِ فِي كَأْسِ اللَّيالى
زالَ كَوْنِي وَتَلاشَى كُلُّ شَيْءٍ فى ظِلالى
غَيْرَ طَيْفٍ مِنْكِ مَحْزُونِ الهَوَى باكِي الجَمالِ !

محمود حسن اسماعيل

وجـــوه طريفة

للأســـتاذ سيد قطب

طالعينى فى كل يوم بوجه ... فلديك الوجوهُ شتى طريفه
وَافجَئينى لديكِ بالخطرِ المحبو [1] ... بِ يُجَدِّدُ حياتَنا المألوفه
بتُّ أشتاقُهُ وأرقُبُ ماذا ... يحملُ اليومُ من أمانٍ مَخُوفه !
كلُّ سَمْتٍ أراكِ فيه جميلٌ ... كلُّ ظلٍّ أراكِ فيه شفيفه
أنتِ ما أنتِ ؟ عالَمٌ مترامٍ ... أبدَعَ الفنُّ والمنى تأليفه
أنت كَنزٌ فَفيكِ تَحيا طيوفٌ ... كل طيفٍ له رُؤاهُ المطيفه
تارَةً أنت حرّةٌ أصطليها ... وإذا أنتِ كالرِّياضِ الوريفه
وَتلوحينَ قطعةً من حنانٍ ... وَتَلُوحِينَ بعد حِينٍ مُخِيفه !
وأرى فيكِ طفلةً لم تبارحْ ... ملعبَ الطفلة اللَّعوبِ الخفيفه
وإذا أنتِ قَهْرَمانَةُ دَهْرٍ ... مُوغلٍ فى المَسارِبِ الملفوفه
وإذاماانطويتِ أمسيتِ سِرًّا ... صَانَهُ الدهرُ مُحْكِمًا تَغليفه
وإذا ما انطلقت مثلَ شُعاعٍ ... كنتِ رَقراقةً وكنتِ لطيفه
لكِ طعمٌ أذوقُهُ بل طعومٌ ... كُلُّهَا ناضِجٌ هَوِيتُ قُطُوفَهْ
هُوَ طَعْمُ الحياةِ فى فورةِ النُّضْجِ ... شَهِيُّ الجَنَى خبرتُ صُنُوفَهْ

(حلوان) **سيد قطب**

(١) نلاحظ أن هذا الشطر يزيد فيه سبب خفيف
(الرسالة)



التشريع الإسلامى الدائم والمؤقت

كتب صديقى الأستاذ الجليل الشيخ محمود شلتوت مقالاً فى عدد الرسالة الممتاز تحت هذا العنوان (الهجرة وشخصيات الرسول) وليس المهم فى هذا المقال تقسيم شخصيات الرسول ، فذلك أمر يعرفه كل العلماء ، وإنما المهم والجديد فى هذا المقال ما جاء فيه من توزيع أحكام الشريعة الإسلامية على تلك الشخصيات ، ومن جعل التشريع الدائم والمؤقت تابعاً لهذه الاعتبارات ، وهذا أمر جديد لم يظهر إلا فى عصرنا . وإذا أمكن الاتفاق عليه بيننا أمكن حل مشاكلنا التشريعية ، وزالت أكبر عقبة فى سبيل وضع تشريع إسلامى يفى بحاجات المسلمين فى هذا العصر ، ولا يمكن أحداً أن يوجه إليه أى طعن .

وخلاصة ما يرمى إليه هذا المقال أن الذى يعد شرعاً دائماً هو ما يرجع إلى شخصية الرسول من العقائد وأصول الأخلاق والعبادات ، وما عدا ذلك مما يرجع إلى شخصية الإمام أو المفتى أو القاضى فليس بشرع دائم ، وإنما هو شرع مؤقت يمكن أن يتأثر بالاجتهاد ، وأن يترك العمل به لسبب من الأسباب .

على أن لي فيه رأياً آخر لا أبديه الآن ، لأنا نريد الإصلاح من أى سبيل ينتهى بنا إليه ، ويحقق رغبتنا فى رفع شأن هذه الشريعة الغراء .

(عالم)

أين علقمة وعبيد بين شعراء الجاهليين

أراد الأستاذ عبد المتعال الصعيدى فى مقال له عن الشعر الجاهلى (بالعدد ٤٥٤ من الرسالة) ، أن يدحض آراء بعض أدبائنا المعاصرين ممن يشكّون فى نسبة هذا الشعر إلى أصحابه ؛ ويزعمون أن بلوغه هذا الحد من الكمال والإتقان مما يخالف سنّة النشوء والارتقاء

وقد رأى — فى صدد ذلك — أن يثبت وجود نوع من الشعر السقيم المختل الأوزان ، يعتدُّه الخطوة أو الخطوات الأولى التى مهدت السبيل إلى ظهور هذا الشعر القوى الناضج الذى انتهى إلينا من أدب الجاهليين . ووقع اختياره على عَبيد بن الأبرص كنموذج للشعراء المتخلفين ، أو أصحاب الفِطَر السقيمة ممن سبقوا بوجودهم أرباب الشعر الرصين ، وضرب المثل فى ذلك ببائيته المشهورة — أقفر من أهله ملحوبُ — فأورد عدةً من أبياتها ثم قال : « والحق عندى أن هذه القصيدة تمثل أولية الشعر العربى خير تمثيل ... وأن عبيداً فى هذا يمثل بين شعراء عصره حال الشاعر المتخلف ، لأنه لم يتهيأ له من أسباب النهوض ما تهيأ لهم ... »

وعجيبٌ حقاً أن نهبط بابن الأبرص إلى هذا الدرك الأسفل من منازل الشعراء ، وهو أحد العشرة الذين وقع الإجماع قديماً على تفضيلهم ؛ ولا تُعد بائيته هذه عاشرة القصائد المأثورة فحسب ؛ بل يضعها بعض النقّاد بين السبعة الأولى منها ، وهى المعروفة بالمعلقات . ومن هؤلاء ابن قتيبة صاحب كتاب «الشعر والشعراء»

وينفى تهمة التخلف عن عبيد أن جميع شعره — عدا هذه القصيدة — يجرى على الأوزان المعروفة فى قوة وجزالة تنهضان به إلى مصافّ كبار الشعراء من معاصريه ؛ فهو القائل فى الافتخار بمكارم خُلقه :

لعمرُك ما يخشى الجليس تفحُّشى
عليـه ولا أنأى على المتودِّد
ولا أبتغى ودَّ امرئٍ قل خيرُه
ولا أنا عن وصْلِ الصديق بأحْيَد

وقد سجل له صاحب (البيان والتبيين) قصيدة كريمة اللفظ والمعنى يقول فى مطلعها :

تلك عِرسى غضبى تريد زيالى ألبَيْنٍ تريد أم لدلال ؟
إن يكن طبّك الفراق فلا أحـ ـفِل أن تعطفى صدور الجمال

ومما أورده له صاحب الأمالى قولُه من قصيدة :

يا من لبرقٍ أبيتُ الليلَ أرقبه فى عارضٍ كمضىء الصبح لمّاح
دانٍ مسفٍّ فويق الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراح

وأورد الخطيب التبريزى فى كتابه « شرح القصائد العشرة » ـ عند تعرضه لذكر عبيْد ـ أن سعيد بن العاص سأل الحطيئة : من أشعر الناس ؟ قال الذى يقول :

أفلِح بما شئتَ فقد يُبلَغ بالـــضعفِ وقد يخدع الأريب !

... فشاعر هذا شأنه ، وتلك منزلته عند النقاد والشعراء ، لا ينبغى أن يوصف بالتخلف ، أو ينسب إلى الجهل بإقامة الأوزان على نهجها الصحيح . وإنما الأقرب إلى الصواب — وذلك رأى

خاص نتقدم به — أن تكون هذه البائية إنما جاءت على وزن أو أوزان هجرتها العرب فى أواخر جاهليتها . والأوزان كانت — وما تزال — فى تطور مستمر ؛ ونحن لا نستسيغ منها إلا ما ألفناه وأكثر الشعراء من القول فيه . وإلا فمن منا يستسيغ هذا الوزن مثلاً ، وهى لابن تقي من وشاحى الأندلس :

ياويح صبٍّ إلى البرقِ له نظرُ وفى البكاء مع الورْق له وطرُ

أو من منا يستسيغ قول (المهر بن الفرس) وهو من شعراء الموشحات فى غرناطة :

لله ما كان من يوم بهيجٍ بنهر حمْص على تلك المروج
ثم انعطفنا على فم الخليج نفض مسك الختام ...

ونعود فنقول : إنه لو كانت بائية عبيد نموذجاً للاختلال كما وصفت ، لكان للقدماء عن اختيارها مندوحة . وفى أشعار عبيد مما استقام وصحت طريقته ما يغنى عنها ويجزئ ، وجميع شعره من هذا النوع كما ذكرنا . والبيت الوحيد الذى أورده الأستاذ — من غير القصيدة البائية — وجعله دليلاً جديداً على قصور الشاعر ، هو بيت صحيح الوزن كما سجلته كتب الأدب . وإنما أخل الأستاذ بوزنه حين حذف (التفعيلية) الأولى منه : (وقالوا) — ولعل ذلك سهو منه غير مقصود . وصحة البيت نقلاً عن حياة الحيوان للدميرى (باب الذئب) :

(وقالوا) هى الخمر تكنى الطلا كما الذئب يكنى أبا جعدة

هذا عن عبيد ... أما علقمة الفحل فلا يقل عن صاحبه شأناً ؛ وما احتججنا به للأول نحتج به للثانى ، ثم نزيد عليه أن قصة تلقيب علقمة بالفحل ـ وهى مشهورة متداولة فى كتب الأدب ـ تعدُّ الدليل الأقوى على تبريزه فى الشعر ؛ حيث يشيرون فيها إلى أنه احتكم مع امرئ القيس إلى امرأته (أم جندب) وأنشدها كل منهما لنفسه شعراً ، فحكمت لعلقمة على زوجها . حتى قال امرؤ القيس : ما علقمة بأشعر منى ولكنك له وامق . ثم طلقها نخلفه عليها علقمة ؛ وسمى بذلك (الفحل)

إلى هنا أقف الحديث ... ولعل الأستاذ الفاضل يهتدى إلى « الحلقة المفقودة » من الشعر الجاهلي ، فى أقوال شعراء آخرين غير عبيد وعلقمة ؛ والله أسأل أن يوفقنا وإياه

« جرجا » **محمود عزت عرفة**

اقتراح

أرى من واجبى الآن — وقد فرغتم من نشر اللائحة القيمة التى أعدها الأديب « كوركيس عواد » وضمنها ما استطاع الوصول إليه من المؤلفات العربية التى نشرت سنة ١٩٤٠ ، البالغ عددها ٣٩ كتاباً — أن أشكر للأديب الفاضل هذه العناية الفائقة ، ولمجلتكم الغراء نهجها القويم وحرصها على التراث العربى المجيد

إنى أرى أن النهضة الثقافية الأدبية ، القائمة فى هذا الوطن العربى تستند إلى عوامل منها بعث هذا التراث ، واقتباس الملائم النافع من أدب الغرب وثقافته ، ثم توليد شىء جديد . ولكن ما هدف هذا البعث وما فائدته ، إذا لم تصل الكتب إلى أيدى القارئين ؟ وأنى لها أن تصل وهم يجهلون أنها أصبحت ميسورة ؟ أما الكتب المدرسية والمترجمة من قصص وغيره ، فينتشر خبرها حالما تطبع وأحياناً قبل ذلك ، وخاصة إذا تولت طبعها دار للنشر تتبع أساليب الإعلان الحديثة ، أو كان مؤلفوها من مهرة التجار

ولذلك كان لا بد أن تتولى إحدى المؤسسات الثقافية فى العالم العربى إعداد ثبت سنوى بكافة ما تخرجه المطبعة العربية فى سائر الأقطار . ومما يسهل هذه المهمة أن كل من ينشر كتاباً فى أى قطر مكلف بتقديم نسخة واحدة منه أو أكثر إلى المرجع الرسمى المختص بذلك . وأظن أن دار الكتب المصرية هى هذا المرجع فى القطر المصرى ، وأعرف أن دائرة المعارف تمارس هذا الحق فى فلسطين

ولما كانت مصر تنتج من الكتب أكثر من غيرها بكثير ، فإن دار الكتب المصرية ، تسدى إلى نهضتنا المباركة جميلاً تحمد عليه ، إذا هى اتصلت بالمؤسسات التى تمارس هذا الحق فى سائر الأقطار العربية وغيرها (فيما يتصل بالمطبوعات العربية) ، فحصلت على لوائح الكتب التى تصلها ، ثم جمعتها وصنفتها ونشرتها وسدت هذه الثلمة فى الأساس ، وأنارت السبيلَ للقارئين .

(القدس) **عصام الشريف**

نظرة فى ديوان الشبيبى

وقع فى كلمتى عن ديوان الشبيبى أغلاط مطبعية أرجو أن يكون كثير من القراء قد أدركوا صوابها . وهى :

١ — ولكن كان كل بيت تقع العين عليه يذكر بأن بيت الشبيبى . والصواب : يذكر بأنه ... الخ

٢ — ببغداد أشتاق العراق وها أنا
إلى الكرخ من بغـداد جم التشوق

والصواب : أشتاق الشآم

٣ — وطموحاً إلى ما يبقى له من العزة والسؤدد .

والصواب : ما ينبغي له

٤ — ثم الأبيات الثلاثة :

نظرت بني الدنيا فأصررت أنها
على الشر لا تنفك تجرى النحائت . الخ

هذه الأبيات قد وضعت فى غير موضعها . وضعت فى الكلام على حب الشاعر العراق ، وموضعها فى الكلام على نظرات الشبيبى فى الحياة

عبد الوهاب عزام

وفاة فيكتور مرجريت

توفى الكاتب الروائى الفرنسى المعروف فيكتور مارجريت فى بلدة مونيستييه قرب فيشى وهو فى الخامسة والسبعين من عمره . وقد ولد فى الجزائر سنة ١٨٦٦ . وانتخب فى سنة ١٩٠٦ رئيسا لجماعة رجال القلم وعين فى سنة ١٩١٤ رئيسا لجمعية فيكتور هوجو ، وكان فى أثناء الحرب العظمى ضابطا فى هيئة أركان الحرب ، وأسس جريدة « أنفورماسيون أونيفرسال »

وقد لفتت مؤلفات فيكتور مارجريت عند أول ظهورها نظر البيئات الأدبية الفرنسية لأسلوبها الواقعى الصريح ، حتى أنه جرد من وسام « الليجون دونور » عندما نشر كتابه المعروف « لاجرسون » فى ١٩٢٢ ، ومن مؤلفاته المشهورة : « البنى » ، و « فتيات » ، و « حدود القلب » ، و « الرفيق » ، و « جسمك لك » ، و « الماشية البشرية » ، و « نشيد الراعى » ، و « صوت مصر » ، وغيرها

بين بشر وتيمور

الدكتور بشر فارس كاتب منمِّق وأديب ضليع ، لا تعدم فى أسلوبه آبدةً من أوابد اللغة كانت هائمة فى المعاجم والأضابير قد أتى بها الدكتور مقيدة مكبلة ، فلولا القيد الذى به كُبِّلت ، والوثائق الذى إليه شُدت ، لنفرت شاردة وعادت كما كانت

والمعنى يتناوله الدكتور من جبته ، ثم ينفضه أمامك فجأة فيدهشك تكويره وتحويره وتعجبك طرافته ، فهو يتهيأ لعمله الأدبى كما يتهيأ القناصون للخروج للصيد فى أحراش أفريقيا ، أو طالب الحوت فى بحار القطب . فلهم لباسهم الخاص وسلاحهم وعدته وعتادهم ، وكلما كانت الرحلة شاقة مضنية كانت الغنائم أعجب وأغرب . وكم فى أسلوب الدكتور من طرف هى للقاعدين غرائب !

وهو حين يكتب فى الفن ينقاد لملكته بعد أن يكون قد هيأ لها الجو على النمط الذى هفا إليه مزاجه كمن يريد ليلة حمراء فينسرب إلى الغرفة ذات اللون الأحمر والستائر القرمزية والضوء القانى الجريح ! وأما حين يكتب فى النقد والبحث فهو يحمل تحت أبطه نُخبة ما خطه جهابذة الاستشراق (والدكتور بشر سريعهم) وكلما خط سطراً فتح من آثارهم سفراً يستلهم منه نصاً أو يطوف بنص ، وقد تخلَّى عن نافذ بصره وصحصحان بصيرته ، وألقى على وجهه بردة سوداء كتلك التى يصطنعها المصور حين يتملى آلته من الداخل ليخرج (العفريته) فأمامه (أى المصوِّر) الشئ مقلوباً ، وهو يعلم أنه كذلك ما دام مالكاً لحسه ، أما إذا غفا أو سها فالمقلوب هو الأقوم !

ومن هنا جاءت نقدات الدكتور للأستاذ تيمور فى مقتطف مارس ١٩٤٢ وتقويمه لبعض عبارات عامية وردت فى قصة المخبأ رقم ١٣ يقول الدكتور بشر عن قصة تيمور : (ومن الغريب فى هذا الصدد أن يقول ماسح أحذية « صوت فارى » ص ٨ من القصة وأقرب إلى الدارج «صوت فيرانى» ، هكذا النسبة إلى الفأر عن السوقة) . إلى هنا انتهى كلام الدكتور . ولا شك أن الناقد الفاضل كان يستلهم هنا نصاً لمستشرق جهبذ ، فلو نظر بعينه هو وهى نفـاذة نقـادة لعلم أن تيمور هو الأصدق والأقوم ، (ولكن لعن الله بردة المصوِّر) ، لأن المعنى هنا منسوب إلى الفقر لا إلى الفأر كما توهم الدكتور ، ولم توجد قط السوقة التى تنسب النسبة التى يزعمها الناقد فى مثل هذا الموضع ، وإن كان وجودها لا يستبعد فى مقبل الأزمان !

ويقول الناقد فى موضع آخر من المقال نفسه (ولربما أفلتت العامية من أنامله « أى أنامل تيمور » مثلاً «ساعتين والا أكثر» وهو يريد ساعتين مش زيادة) ، والحقيقة أن العامية هنا لم تفلت من أنامل تيمور ، والعبارة مستقرة لا تحاول إفلاتاً كما تشهد بذلك العامة ذاتها ، ولكن لم يرها الدكتور كذلك ، لأنه كما قلنا استطلع بردة المصوِّر ثم سها . وليس معنا ردّنا أن قصة تيمور خالية من الشوائب ولكن الدكتور بشر قد طعن فى غير مطعن

(القاهرة) **محمد لطفى**



من قصص الرأى

عبادة ...

للأستاذ محمد عنان

كل شيء كان يتعذب . . . الطيور فى ظل الأغصان فاغرة أفواهها تلهث ، والبهائم فى مرابطها تتألم فى استكانة وصمت ، والزبد يتناثر من أشداقها فى لهثات مطردة متقطعة ، وأوراق الأشجار متراخية فى ركود وإعياء ، والحقل متمدد تحت لهب يوليو العنيف يتلوى ويرسل من جوفه أبخرة حارة تشارك السماء فى لعنتها على قطيع القرويين الهزيل الجائع الذى كان يروى هذه الأرض بعصير حياته

كانت أبالسة الجحيم تملأ الحقل ، والشمس فى كبد السماء تصلى الأرض بكل ما فيها من قوة وما فى عناصرها من آلام ، والهواء يهب ساخناً كاوياً يشوي الحياة ويخنقها ، ويدفع العرق غزيراً على الوجوه القروية الكالحة العابسة ، والأبدان الفاترة الضامرة ، ويطفىء من جذوة نشاط الحركة التى كانت تنتج ما كلفوا القيام به من عمل . وكانوا يجاهدون ويغالبون فى صبر وجلد لحيوانات أضناها الجوع تحبو على بطونها إلى طعام بعيد

تحدثوا حتى فرغ كل ما فى جعبتهم من حديث ... اخترعوا حتى نضب خيالهم الجاف . وارتفعت عقيرة إحدى الفتيات بالغناء ... ردده البعض وآثر الآخرون الوجوم . واشتد ضغط الحياة فتبدد الصوت ... وانتشر على البوتقة الرهيبة صمت مروع كان فيه احتكاك المال بالشجيرات هو الصوت الوحيد لعجلة العمل المشئوم وهى تدور فى أبشع صورها وتحول فى همجية وقسوة خبزاً جافاً إلى ذهب

واخترق الصمت الحزين صوت رفيع يصيح ولا نبرات له . ماء ... ماء ... إن حلقى يلتهب . وجاءت إحدى العاملات بالماء من أقرب المصارف آسنا ساخناً ، فتجرعوه فى نهم وعادوا يعملون كآلات فى جمود ورباطة جأش

السماء ، والأرض ، والهواء ، والماء ، الطبيعة والإنسان ، كل هذه الأشياء القوية الكبيرة تتآمر على هذا القطيع الهزيل المريض . إنها البربرية وسط هالة من نور !

قالت هذا فتاة فى العشرين ، لها لون القمح قبيل الحصاد ، ورقة زهر القطن فى الصباح الباكر ، ورشاقة عود الذرة الناضج ، وعذوبة ظل التوت فى اليوم القائظ ... ترتدي ملابس الركوب وتمتطى خيرة خيول القرية ، وعلى رأسها قبعة واسعة تخفى قليلاً تاجاً ثميناً من الشعر الفاحم . تتأمل فى إشفاق زمرة من الشباب والنساء والأطفال ينقون لطع دودة القطن فى ركن قريب من أركان الحقل المترامى

كان يبدو عليها أنها ترى الحقل لأول مرة ، لأنها ذعرت وهمت أن تناديهم بأن يكفوا عند ما سمعت بكاء خافتاً مجهداً لرضيع بالقرب منها فى ظل مظلة من العشب كان فى قفص من سعف النخيل مفروش بالقش يحرك يديه وساقيه فى عصبية ويبكى .

اندفعت من فوق جوادها فى جزع وقفزت فى لهفة القناة التى كانت تفصلها عنه تدفعها فى ثورة وجموح أسمى عواطف البشر

كان إنساناً ضئيلاً ، باهتاً ضامراً ، محتقناً فى لون الأرض ، تفوح من ملابسه الممزقة القذرة رائحة كريهة عفنة ، وتغطى الأوساخ وجهه وشعره وأطرافه . وكان يبدو أنه بكى كثيراً حتى أنهكه البكاء

انحنت على الفراش فى حنو بالغ كأم وحملته بين ساعديها ونفسها تذوب رفقاً وشفقة

همت بالغريزة أن تعطيه ثديها ولكنها تذكرت فانحنت عليه وقبلته .

ورأتها الأم فأسرعت خوفاً من أن يكون فى وجوده ما يؤذى . وجارت الدموع فى عينيها وهى تعدو توجساً من وقوع هم جديد . ولكن نظرة الفتاة الوديعة ، ونومة الطفل الهادئة بين أحضانها رفعت قليلاً كابوس الشر الجاثم على صدرها فاقتربت متمهلة وقالت وهى تتنحى نادة ذراعاً تأخذ بها الطفل

والأخرى على ثديها محاولة فى جهد أن تبتسم :

— العفو يا سيدتى ! لسنا فى هذا المقام

وتنبهت الفتاة إلى الأم وما هى عليه من إعياء فقاطعتها وهي تحتضنه وتبعده عكس اتجاهها :

— لا . لا . . . دعيه لى الآن . . . اجلسى . استريحى . لا ترضعيه . اتركيه لى . . . إن لبنك الآن فى تسمم

فقاطعتها القروية فى سذاجة وشفتاها الجافتان تنفرجان عن شبح ابتسامة تائهة :

— إنها طفلة . و . . . صمتت عند ما رأت صورة الهلع التى ارتسمت على وجه الفتاة وهى تعاود بسرعة النظر إلى الوجه الصغير الغارق فى الأقذار والدموع

— آه . طفلة ! . . . ما أقسى هذا ؟ أهكذا تربى الأمهات ؟

واستطردت هامسة وهي تمسح على جبين الطفلة بمنديلها الصغير وتزداد بها تعلقاً والتصاقاً :

لماذا أحضرتها فى هذا المكان ؟ إنه يقتل فيها الإحساس بالعطف الأموى . إنه يصرع أنوثتها ويحولها إلى خانقة أطفال . ثم رفعت رأسها وسألتها فى إشفاق وتأنيب :

— لماذا لم تتركيها فى المنزل وتظلى فى رعايتها ؟

فأجابت القروية المشدوهة :

— كيف ! والخبز يا سيدتى ؟

— وزوجك ؟ أليس لك زوج ؟

— ولكن أجرة لا يكفينا

فقالت الفتاة فى حيرة :

— لكن . . . ! يجب أن تفعلى شيئاً . . . أى شىء . . . ليكن مثلاً . . . كم يبلغ إيرادك ؟

تخفضت المرأة رأسها فى حزن . . . أحست بمزيج عجيب من السرور والألم يضطرب فى قلبها القاتم ، فقد كانت هذه هى المرة الأولى التى تسمع فيها حديثاً يتعلق بحياتها إذا كان لها حياة بالمعنى المفهوم . . . واستيقظت أفكارها الراقدة المظلمة الراسبة فى قرارها الحزين . . . وأخذت تصف للفتاة آلامها فى نبرة خافتة محرومة من كل صفات الأنوثة والحيوية

أخبرتها أن القرية فئتان : عمال . . . وملاك . وأنها من الفئة الأولى التى تحيا تحت أقدام الأبقار وأطفالها يموتون جوعاً ، وأن أجر زوجها يتراوح بين القرشين والثلاثة يومياً ، وأنه يعمل ثلثى العام فقط ويقضى الباقي متعطلاً ، وأن لها عدا الرضيعة طفلة فى الخامسة ذهب الصديد ببصرها ، وطفلاً فى السابعة مريضاً لا يكف عنه المرض ؛ استعرض فى عمره الصغير آلام عدة أمراض لا يزال يعانى الآن بعضها ؛ ومات لها عدا ذلك ثلاثة أطفال . ولد الأول ميتاً ، وقضى الآخران فى سن الرضاع . . . وقصت عليها بعض ما تعانيه فى سبيل التوفيق بين مطالب هذه الأسرة الكبيرة القابلة للتضخم وبين الأجر الذى تناله مقابل المجهود المزدوج . . . هذا عدا ما يصيبها من ألوان القسوة وضروب المعاملة السيئة من زوجها . إنها تدرك السبب . وتعرف أنه يثأر لشقائه منها . كما تفرج هى عن نفسها أحياناً بالدموع وأخرى بضرب أولادها . إن حياتها سلسلة طويلة ثقيلة شقية متشابهة الحلقات؛ وإن الرضيعة فى قفصها المنكود أسعد حالاً منها؛ فأمامها وقت تستطيع أن تموت فيه طفلة . ثم غلبها التأثر فقالت والدموع تنهمر من مآقيها :

— ما أشد قسوة العيش يا سيدتى ! على الأقل بالنسبة إلينا نحن الأمهات العاملات

أنصتت الفتاة إليها فى ذهول وصمت . وعند ما فاضت عينا القروية بالدموع أحست بجرح ساخن عميق يصيب كرامتها كامرأة . . . وكالنائمة . . . ـ وأوضاع الحياة تتمرغ أمام عينيها ـ نفحتها فى خجل كل ما معها وعادت تسير بجوادها خبباً وكل ما حولها يتقلب ويلف فى رأسها ويدور

وروعت القروية . كان مبلغاً جسيماً جداً باعتباره منحة ؛ وأخذت تحدق فى الفضة التي تغمر قبضتها فى بلاهة وشك حتى أنها لم تجب زميلاتها فى التو عند ما سألنها فى فضول وهن يمددن أعناقهن من بين الشجيرات . بل كشفت عن رأسها وصدرها فى انفعال وعصبية ورفعت يديها ووجهها إلى السماء ، وفى صوت حار متهدج يمتزج بعبارات تنبعث من مكان عميق فى قلبها ، عبرات لم تسقط من عينيها من قبل ، أخذت تدعو للفتاة بطول العمر والستر وبلوغ المآرب وكل ما يملأ قلبها من أمانى الخير

وسرى خبر المنحة في أنحاء الحقل سريان روح الربيع فى العود الجاف ، فأفاق من جوده قليلاً قليلاً ، ونهض ينشد الابتسام فى هذا النسيم الرقيق الملىء بالحنان والعطف ، ويصغى

فى شغف إلى موسيقى الحادث فتطربه ، ويلعب كل على هذا الوتر الرقيق الرفيق ما فى أمانيه وأحلامه من ألحان قصصية فطرية أضافت إلى الحقيقة سطوراً شعرية فاتنة

وحار سؤال على الأفواه : من تكون هذه المحسنة الصغيرة الجميلة ؟

ولم تدم الحيرة طويلاً بفضل (معوّض الجمال) ، وكان يتنقل بين الحقل والقرية ينقل محصول القمح إلى الجرن

أخبرهم وهو يتعالى على ظهر ناقته الضامرة أنها ابنة صديق لحامد بك مثرى القرية وسيدها الأول ... كان هـذا الصديق فى يوم ما مأموراً للمركز، وهو اليوم أحد كبار موظفى الداخلية ، وأنها جاءت بناء على إرشاد طبيبها ، وستقضى بينهم وقتاً قد يكون طويلاً ... و ... والـكثير مما أثبتت الأيام أنه كان من نسج خياله ، والنتيجة اللازمة لقلة العرض وإلحاح الطلب

ومن هذا اليوم تعودوا أن يروها عند ما يجب أن تظهر الملائـكة فى أقسى ساعات العمل ، وفى حالات المرض والجوع والعرى التى كانت ترزح القرية تحت أعبائها الثقال ، وأصبح من المألوف لديهم أن يروها بينهم فى القيلولة ، عند ما يشتد ضغط الحياة وتتخلى عنهم السماء ، تلهو معهم بالعمل وتغنى وسطهم وهى تضحك ، وتنثر بحيويتها الفطرية زهور الربيع على أطلال خريفهم الـكئيب الدائم ، وتملأ الحياة من حولهم مرحاً وابتساماً

وكثيراً ما كانت تشاهد فى أزقة القرية بين الأطفال تداعبهم فى لطف، وتمتحن ذكاءهم فى براعة، وتثير فيهم حب النظافة بالانتقاد الخفيف والمنافسة الهادئة . أو بين القرويات فى دورهن تساعدهن فى بساطة وألفة على تنظيم أثاثهن عند ما كن يقمن بذلك أثناء زيارتها لهن

وقد كانت تجلس وسط رهط منهن تحدثهن حديثاً عادياً شاملاً وأسنانها البيضاء تسطع من بين شفتيها الخلابتين فى ابتسامة مشرقة ، وهن من حولها يصغين فى انتباه والسرور والإعجاب يملأهن

وكان حنوها البالغ على المرضى من الأسباب القوية التى كانت تقضى سريعاً على اليأس والـكآبة والمرض حتى أنه عرف عنها أنها لا تزور مريضاً حتى يشفى

ثم هى تغدق عطفها فى سخاء وغزارة منزهين عن الغرض ، وشعور صادر عن إحساس عميق صادق تدفعه فى حرارة رغبة روحية صافية لا تشوبها ذرة مادية . ومع أن قسوة الحياة وجود البيئة جعلت من هـذه المخلوقات التعسة حيوانات ضارية فإن القلب الـكبير وجد له صدى مضاعفاً فى القلوب المجدبة ... وقام هذا القطيع الـكبير المنهك يستظل بحنانها ، ويستمتع إلى جوارها بالنور والدفء ، ويستمرئ طعم الحياة الحلو الذى فقد بمجرد الإحساس بوجودها ... وقام كل يبحث بين طيات هذه النفس الواسعة عن معنى الخلجات الغامضة التى كانت تملأ نفسه ولا يستطيع إدراكها أو التعبير عنها ... هذه الرغبة فى عبادة الأكمل التى جعلت من الإنسان حيواناً راقياً ...

غمرت القرية روح عجيبة غيرت من كل شيء فيها ... وملأت هذه المخلوقة الصغيرة كل هذا الفراغ الترامى . . . حتى تكونت لهم أخلاق خاصة بها ، خفت الألفاظ البذيئة التى كانوا يتنادرون بها عادة فيما بينهم ، وأصبحوا يعدون كل كلمة تفوه بها حجة لاتقبل الجدل وبنداً يضاف إلى بنود دستورهم الأخلاقي الجديد

قالت يوماً لقروية رأت ما عليها طفلها من الإهمال : إن الفقر ليس معناه القذارة ، وإن النظافة أقل أسباب الصحة نفقات، وهي من ضروب الاقتصاد التى يجب أن تلازم الفقر... فتضاعفت كمية الصابون الواردة إلى القرية بشكل لم يسبق له نظير فى تاريخها

وحدث أن هاج ثور من ثيران العمدة وأخذ يغدو ويروح بين الأزقة الضيقة وينطح كل ما يصادفه بقرنيه الشرستين ، واتفق وجودها فى الشرفة ورأت فى جزع حياة المارة المعرضة للخطر . فدفع هذا الجزع قرويا شابا كان مشهوراً بين زملائه بالاستكانة والضعف الجسمانى إلى المغامرة بحياته ... ويقول الذين رأوا الحادث إن الشاب امتلأ فجأة بنور كضوء القمر ، والتمعت عيناه كنجمتين وانقض على الثور الهائج معرضاً حياته لموت محقق ، وقبض على قرنيه وضغطهما فى قوة هائلة جعلت الثور يتراجع ويسقط على قائمتيه ؛ ثم ربطه فى حبل وقاده إلى مربطه بين الدهشة والضجيج . ومما هو جدير بالذكر أن الفتاة قدمت إليه بهذه المناسبة قطعة فضية ظل يحتفظ بها كوسام برغم الظروف العسيرة التى مرت به

وكان هذا الحادث سبباً فى زواجه من فتاة كان يحبها وكانت ترفضه .

وأشد من ذلك غرابة أن قوة الشاب البدنية أخذت من هذا اليوم تزداد ، ومظهره أخذ يبدو أكثر نظافة وأناقة . وأنا وإن

كنت لا أستطيع تفسير هذه الظاهرة تحليلياً إلا أنى لا أشك مطلقاً فى أن هذا الحادث كان سبباً لها

تحققت إذن كل خيالات القرية الجائعة في هذا الملاك الشهى واندفعت بكل رغبتها فى الخلاص وأملها فى التخلص تقيد الشموع وتشعل الباخر فى معبد أقامته من الأمانى قرباناً للمعبودة السمراء

لقد ارتفعت وارتفعت حتى وصلت إلى مصاف الأنبياء أو فوق مكانة البشر

وكان الحقل يظل عابساً أو كالعابس حتى تمر به كنسمة الحياة فى وادى الموت فينقلب عبوسه إلى طرب ووجومه إلى ابتسام وخموله إلى جذوة من النشاط والحركة والمرح

وفى صباح خريفى رأوها كالعادة قدمة فى الطريق الضيقة الملتوية التى تصل الحقل بالقرية . تسير كالجدول الرقراق بجوادها الأبيض، يتبعها على جواد آخر شاب نظيف ممتلئ يطفح صحة وبشراً

حدثهم بالروح الطيبة التى اعتادوها فاطمأنوا إليه وازداد تعلقهم وتقديرهم واحترامهم لهـا عند ما ساعدها فى أدب جم (وهو لا يقل نظافة عن وكيل النيابة) على الترجل . وقابلوها والإشراق والابتسام يملأ وجوههم . ووقفوا فى خشوع يعبرون بوجوه صامتة تختلج عن مقدار ما يملأ قلوبهم من الإخلاص والحب ؛ وظلت هذه الزيارة تملأ كنسيم العصر حديثهم طول اليوم

وفى المساء عند ما لفظ الحقـل بقاياهم دفع الإعجاب الشديد قرويا فى سن الحلم إلى أن يلقى نظرة على الفتاة من وراء سياج حديقة المنزل وكان فى طريقه

ولم يكد يفعل حتى سمر فى مكانه واتسعت حدقتاه وشحب، وأخذ يرتعد كالمحموم ويدعو زملاءه فى إشارات مجنونة وينصحهم بالصمت والحذر بوضع سبابته الحائرة على فمه المرتعش ؛ وكل من كان يأخذ مكاناً إلى جواره كانت تعتريه نفس الحالة . ولم تمض مدة حتى تكونت جمهرة ترتعد وراء السياج

كانت المعبودة السمراء تتمرغ بين ذراعى الشاب الذى رأوه معها فى الصباح يغمر وجهها وتغمر وجهه بقبلات حارة فائرة ، وبلتصق بها وتزداد به التصاقاً حتى تكاد تفنى فيه ، وبقايا الغروب تلقى عليهما لوناً حيوانياً ساخناً يضىء وجه الفتاة الملتهب ووجنتيها المتقدتين ، ويشمل الرغبة العنيفة المنبعثة من عينيها الغارقتين فى الأحلام ، ويسدل ستاراً كثيفاً على الوداعة الملائكية التى اعتادوها

ولمـا همت تسير مع الشاب متحاملة بكل جسدها على ذراعه عرت القوم جِنة وذهبوا إلى القرية عدواً

وانطلق الخيال الخصب من عقاله ، وملأت الإشاعات بشكل مضاعف مجالس السمر ، على المصاطب ، وفى موارد المياه والمخابز .

وملأ الحنق والغضب قلوب القرويين

وباتت القرية ترعد من الألم وتعصف بها قوة عاتية ، غاضبة ، حائرة !

وفى الصباح عند ما قدمت عليهم عرتهم رعدة قوية — على رغم أنهم كانوا ينتظرون هذا القدوم بصبر نافد — وتصبب العرق البارد على أجسامهم فى غزارة ، وتسارعت دقات قلوبهم وهم يخفون رؤوسهم بين الشجيرات ويراقبونها من وراء الأوراق بأنفاس مكتومة ونظرات مرتبكة . وأخذت تنطلق بين الفينة والفينة أصوات كالفحيح بعبارات ساخطة مبهمة فى يأس كالبكاء

ولمـا حيتهم والدهشة تعقد لسانها أجابها البعض بأصوات مختنقة وهم يغالون فى الاختفاء ، وصمت أكثرهم شجاعة إمعاناً فى الازدراء والاحتقار !

وبعد أن توارت وسط هذه العاصفة الصامتة وقف الشاب الذى قهر الثور وهو يكاد يسقط وقد تهدلت تقاطيعه وعادت إليه فى الاثنتى عشرة ساعة الماضية هيئته الذليلة وسيماه المنزق ، وصاح منهوكا والدموع تملأ عينيه ، والعرق يغطى وجهه المغبر ... إنه خطيبها ... أقسم أن زينب الخادمة قالت لى ذلك ... إنه حلال ! حلال ! وهى ستتزوجه . إنه زوجها . أقسم بالطلاق أنه زوجها !

وعصر قلبه ألم كبير لم يقدر على مقاومته . ولكن ما قاله برغم تناقضه وجد مرتعاً فى النفوس الظامئة المصابة ؛ فقد تحدث فى الوقت المناسب أثناء تعادل القوى النفسية المتدافعة . وكاد القوم يثوبون ويعـدون خلفها يعفرون تحت أقدامها بالتراب وجوههم ؛ بل فكر البعض فى جعل التقبيل قبل الغروب سنة يجب أن تسنها شبيبة القرية ، ولكن زميلاً وقف يهدر وانفجر بصوت قوى كله حقد والشرر يتطاير من حوله ... ليكن خطيبها، زوجها ... أبوها ... إنها كانت تأكله ! إن عينيها حرقتانى وأنا وراء السياج ! لقد كانت تخدعنا هذه الـ . . وهم أن ينعتها بأحط النعوت ، ولـكن الـكلمات ماتت على شفتيه ، وعاد إلى عمله وهو يكاد يضرب نفسه !

وعاد الحقل إلى صمته الحزين الأبدى !

(أبو حمص) **محمد عنانه**

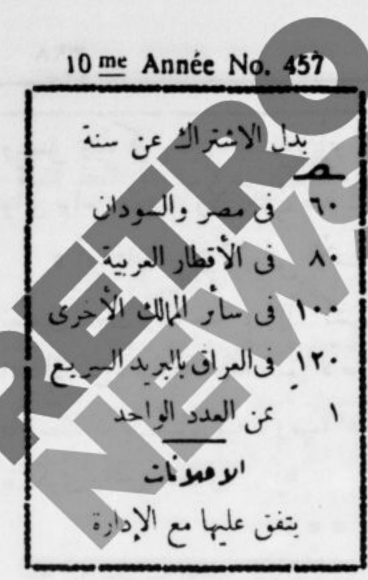
طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين

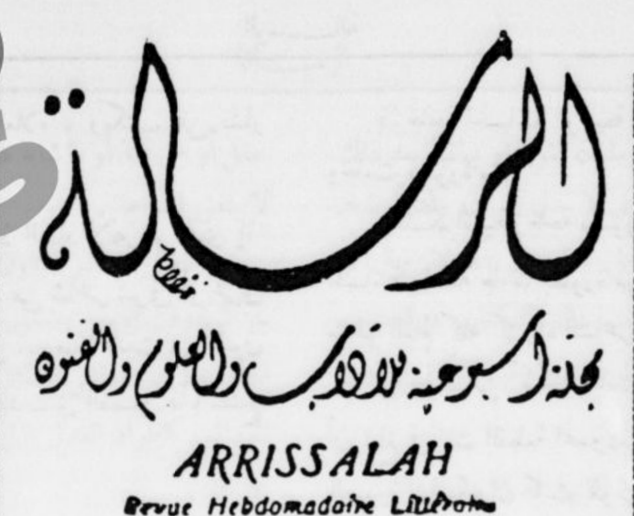


10me Année No. 457 — Lundi - 6 - 4 - 1942

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠


بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

العــدد ٤٥٧ «القاهرة في يوم الإثنين ٢٠ ربيع أول سنة ١٣٦١ — الموافق ٦ أبريل سنة ١٩٤٢» السنة العاشرة

الفهــــرس

ســـــؤالان متباعدان

للأستاذ عباس محمود العقاد

جاءني في هذا الأسبوع سؤالان متباعدان من طرفين متقابلين: أحدهما من أديب يسأل عن أبي تمام، والآخر من أديب يسأل عن المدرسة الحديثة في التصوير، أو عن المدرسة التي تزعم أنها تعتمد في تصورها على الوحي الباطن ولا تعتمد على المشابهات المحسوسة

أما الذي يسأل عن أبي تمام وهو الأديب «السيد حسن قرون التونسي بكلية اللغة العربية» فيسرد أسماء الشعراء الذين كتبت عنهم كتباً أو فصولاً في كتب ثم يقول:

«... ولكن شاعراً واحداً لم يفز منك بالإعجاب أو السخط، ولم يظفر منك بتزيين أو تهجين، وهو أبو تمام. ما الذي أبعدك عنه وما الذي أبعده منك؟ أما أنا فأعتقد صادقاً أو كاذباً أن شعرك وشعره ينبعان من منبع واحد ...»

ثم يقول: «فأبو تمام الذي أحدث ضجة في عصره، والذي كتب عنه الآمدي وغيره، والذي كان مثالاً للشعراء يحتذونه ويقلدونه، لا يظفر في العصر الحديث ببحث أو بكتاب أو بطبع ديوانه طبعة أنيقة. ليس هناك شاعر يمثل عصره تمام التمثيل إلا هذا الشاعر. وليس هناك شاعر يعلم البحث والتفكير والتعمق إلا هذا الشاعر؛ ولكنه ينسى ويقدم المجنون ابن الرومي،

ويهمل ويذكر رهين المحبسين أبو العلاء ، ويكتب عن بشار وأبي نواس ودعبل ولا يكتب عنه !

« أبو تمام حزين ثائر من الأستاذ العقاد لأنه هو الذى إذا تصدى لبحث وفاه حقه ، وإذا كتب عن شاعر شرقى أو غربى أعطاك صورة صادقة ناطقة طبق الأصل ... مهما ظننت بى الظنون فأنا مطالبك بالكتابة عنه ، ومهما اعتقدت بى الفضول فأنا مقتنع بفكرى راض بنظرتى ... »

* * *

وأنا يعجبنى الإعجاب لأنه دليل حسن على شعور كريم ، ولا يعجبنى أن يكون الإعجاب بأحد باباً للجور على آخرين

أما جوابى عن سؤال الأديب : لم لم أكتب عن أبى تمام ؟

فأبدأ بأن أبا تمام فى اعتقادى شاعر فى طليعة الصفوة من شعراء العصر العباسى وشعراء العربية عامة ، وإنه حقيق بكتاب أو برسالة ضافية كغيره من الشعراء الذين كتبت عنهم أو كتب عنهم النقاد السابقون واللاحقون

ولكننى لم أعرض له لأن الغالب فى كتاباتى من هذا القبيل أن ترجع إلى سببين : إنصاف مغبون ، أو تجلية ناحية قد نسيها النقاد أو فهموها على وجه آخر

وأبو تمام ليس بالشاعر المغبون ولا بالمجهول القدر فى زمانه وبعد زمانه . بل لعله أصاب من الرعاية والاعتراف بالفضل فوق حقه ، أو فوق ما أصابه معاصروه على التحقيق

كذلك ليس فى أبى تمام ناحية غامضة أو ناحية تتنازعها الأفهام وابتداله الفنية ؛ وإن جرى النزاع فى معنى من معانيه فهو نزاع لا يتسع حتى يتناول النفس الإنسانية فى آفاقها الواسعة ، ولا يترتب على البت فيه بت فى مشكلة عاطفية أو اجتماعية أو عقدة من عقد الحياة

فهو صاحب إجادات وليس بصاحب عالم

يسأل سائل : وما « صاحب عالم » هذه التى تميز بها بعض الشعراء ، وتجعلها ذريعة إلى الكتابة عن فريق وترك الكتابة عن آخرين ؟

فأقول : إن التمثيل هنا لازم لتقريب المقصود بالشاعر الذى « له عالم » والشاعر الذى لا عالم له وإن كانت له إجادات

فالملكة الشاعرية — بل الملكة الفنية عامة — هى أشبه الأشياء بالزجاجة المصورة التى ترسم ما يقابلها

فالزجاجة الحساسة الواسعة لا تدع مما يقابلها شيئاً إلا رسمته وجاءت بصورة منه

والملكة الفنية زجاجة مصورة تقابل العالم بأسره ، فإن كانت حساسة واسعة جاءتنا بصورة من العالم كله ، وأمكننا أن نعرف ما هو العالم كله كما رآه الشاعر فى قصيده

وإن لم تكن كذلك جاءت بقطعة منه ، وبلغت ما يتاح لها أن تبلغ فى تلك القطعة المحدودة ، ولكنك لا تبادل هذه الصورة بالصورة العالية وإن كانت تفوقها فى التظليل والتلوين

إن قطعة من مدينة القاهرة حسنة التصوير لتشترى وتقتنى ولا مراء ، ولكنك إذا أردت صورة المدينة برمتها فهذه الصورة الشاملة أولى بالشراء والاقتناء من كل قطعة محدودة ، بالغة ما بلغت من إتقان التظليل والتلوين

وأبو تمام يجيد فى هذا المعنى ويجيد فى ذاك ، ولكنه لا يعرض لك العالم كله فى حالة من حالاته ، ولا يخرج لك نسخة عالية تقرنها إلى النسخ الأخرى التى تستمدها من أمثال : ابن الرومى والمتنبي والمعرى فى الشعر العربى ؛ وأمثال : شكسبير وجيتى وليوباردى فى الآداب الأوربية

ابن الرومى له عالم كامل من الحياة الفنية ، والمتنبى له عالم كامل من الحياة العملية ، والمعرى له عالم كامل من الحياة الفكرية والروحية

فالعالم بكل صورة فنية فيه ممثل فى ملكة ابن الرومى ، أو فى تلك الزجاجة الحساسة الشاملة التى لا تدع شيئاً مما يقابلها إلا وعته على الطريقة الفنية

العالم بكل صورة عملية فيه ممثل فى ملكة المتنبى ، كما تمثل عالم الفكر والروح جميعاً فى ملكة أبى العلاء

حياة كاملة تعرضها من جانبها كل ملكة من هذه الملكات فنقول : إن نسخة من صور العالم قد زادت فى مجموعتنا الأدبية .

أما أبو تمام فلا يعطينا نسخة من صور العالم على نحو خاص به أيا كان هذا النحو فى قيمته وفى مرماه

عنده صورة حسنة جداً لمسجد السلطان حسن ، وصورة حسنة جداً لقنطرة قصر النيل ، وصورة حسنة جداً للهرم ؛ ولكن مدينة القاهرة كلها ليست هناك ، سواء « حسنة جداً » أو حسنة قليلاً ، أو غير حسنة على الإطلاق

وهذا الذي نعنيه بالشاعر الذى له عالم ؛ وهذا هو القياس الإنسانى الصحيح للشاعرية الممتازة فى بابها ؛ لأن الشاعرية

ملكة إنسانية قبل كل شيء ، وملكة لغوية أو بيانية بعد ذلك

وما قاله الأديب عن ابن الرومي لا يدل على أن كتاباً ضخماً في شرح أدبه كثير عليه ؛ بل يدل على أنه لا يزال في حاجة إلى كتب ضخمة إلى جانب ذلك الكتاب ، للتعريف بقدره ، والتنبيه إلى دقائقه ، والوصول إلى فهم الأدب والشعر عن طريق فهمه

فابن الرومي في الملكة الشعرية الفنية قمة لا تطاولها القمم ، مثل لا تقاربه الأمثال ، طراز ليس له في الدنيا نظير

نعم في الدنيا أقول ولا أقول في أدب العرب أو أدب الفرس أو أدب الروم أو أدب أمة واحدة من الأمم

في الدنيا كلها لا نعرف نظيراً لابن الرومي فيما رزقه الله من ملكة التصوير الفني ومن القدرة الشعرية على استيعاب كل مرئي رآه وكل محسوس أحسه وكل خالجة جرت بين طواياه

في الدنيا كلها نقول ونحن نعني ونعلم ما نقول . ومن لم يفهم هذا فليجتهد في فهمه ، قبل أن يجتهد في رفض رأي ليس عنده من أسباب رفضه مثل ما عندنا من أسباب الذهاب إليه ، وأسباب تأييده

بيتان اثنان من شعر ابن الرومي يصلحان لتقريب هذه الحقيقة ، لأنهما نظما بمحض الباعث إلى التصوير الفني ، ولم ينظما محاكاة للموضوعات التي يتناقلها الشعراء

وهذان البيتان هما قوله في وصف حقل من الكتان :

وجلس من الكتان أخضر ناعم توسنه داني الرباب مطير
إذا اطردت فيه الشمال تتابعت ذوائبه حتى يقال غدير

بيتان ليس لهما رنين ولا بهرج ولا بارقة من المحسنات وأفانين الأناقة ؛ ولكنهما لا يدعان محسوسة واحدة من محسوسات حقل الكتان إلا وعياها وسجلاها والتهماها كما يلتهم الفم الجائع مايشتهيه

فالصورة المرئية لها عناصرها التي تتم بها من جميع نواحيها : عنصر المنظر كله ، وعنصر اللون ، وعنصر اللمس ، وعنصر الوقت الذي تراها ، وعنصر الموقع الذي تقع فيه من المكان ، وعنصر الحركة .

ما من شيء يبقى في الصورة المرئية بعد استيعاب هذا ، وما من شيء من هذا لم يستوعبه ذانك البيتان

في كلمة « جلس » تمثيل للمنظر كله . اختارها ولم يختر كلمة حقل أو مزرعة أو ما شابه هذه الكلمات ، لأنها تمثل المنظر تمثيلاً لا يتفق لسواها

وأخضر تذكرنا اللون ، وناعم تذكرنا اللمس ، والتوسن يذكرنا وقت الوسن وشعور الوسن في وقت واحد ، وداني الرباب المطير يمثل لنا حواشي المكان حيث تحيط بذلك الكتان ، واطراد الذوائب كاطراد الغدير يمثل لنا الحركة على أحسن تشبيه وأصدق محاكاة .

تمت الصورة على هذا النحو لأن كل حاسة من حواس هذا الشاعر الخالد هي في جوعها إلى محسوساتها كالفم الجائع إلى الطعام الذي تقوم به الحياة

زجاجة حساسة شاملة لا تخطئ شيئاً مما يقابلها ، ونصيبه لأنها حية حية بالغة في الحياة ، لا لمراعاة النظير ولا لتجويد المحسنات ولا لطرق الأبواب التي تقدم بطرقها الشعراء

إذا قرئ ابن الرومي على هذا النحو عرف ابن الرومي شاعراً لا نظير له في آداب الدنيا ، وإنما الطريق إلى قراءته على هذا النحو أن نحس كما أحس وأن نعلم ما عنده لنبحث عنه ونلتفت إليه ونظفر به حيثما وجدناه

ولمن شاء أن يذكرني ما شاء من أبيات وصفه أبين له ما فيها من عناصر الاستيعاب التي لم تتفق لغيره من الشعراء ، فإنما وصفه لجلس الكتان نموذج قريب التناول لسائر الأوصاف

* * *

أما الأديب « ح . نظمي » الذي يسألني عن غلاة المحدثين من المصورين فينتظر مني جوابها مسهباً عن مدرستهم ومدارس أمثالهم في سائر الفنون ، لأن هذه البدعة قد عمت فنوناً أخرى ولم تنحصر في التصوير

والذي أراه أن الإسهاب هنا فضول لا حاجة إليه ، لأن بطلان الأساس الذي قامت عليه هذه المدرسة قد يظهر في بضعة سطور

فالمصورون على مذهب الغلاة المحدثين ينسون قواعد الرسم وينسون ملامح الشبه ، وينسون أصول التلوين ، ويرسمون الرجل فلا تعرفه بملامحه ولا بظاهر شكله ولا تميز بينه وبين غيره بعلامة تتفق عليها الأنظار ، لأنهم يزعمون أنهم يعرضونه لك كما يتمثل في الوعي الباطن أو كما يشعر هو في باطن وعيه ، ولا يعرضونه لك كما تراه بالعين

صلوات فكر
فى محاريب الطبيعة

[كتب كثير من هذه الخواطر فى الرستمية بالعراق العزيز ، فهى مهداة إليه]

للأستاذ عبد المنعم خلاف

١٤ - مغول الشوك

أنظر بعينيك وحاذر أن تدمى من مواقع النظار . . . واجمع أطراف ثيابك لا تعلق بها حمات الشوك فتتمزق ... وناقل الخطى فى حذر وخشية ، حتى لا تقع القدم على هذه الأسنة المشرعة ...

لا بلابل هنا ولا فراشات ، وإنما نمال تسعى فى حذر ... ولا ورق يرقص مع النسمات ، وإنما اهتزازات حراب تدمى جسم النسيم !...

ومع ذلك فقد مددت يدى وقطفت عذقاً . . . فإذا هندسة بارعة ، وإذا القلم الذى نسق الزهرة ونسج حريرها ووشى أفوافها قد صنع هنا كذلك عجباً !

يد الخالق تدبب الشوك ولا تدمى ، وتمط فم الخنزير ولا تتنجس !

١٥ - جانيات الشوك

جاء الربيع وأخرجت الأرض نباتها من الزهر والتمر والشوك... وخرج كل مالك يقطف ويجنى مما يملك من الحقول والبساتين

وخرجت جانيات الشوك إلى الأرض البور التى احتكرتها الطبيعة لنفسها لكى تخططها بالرياح وتسقيها بالسيح والمطر ، وتنبت فيها ما تشاء ...

خرجن يسعين حافيات قد لففن سيقانهن بخرق بالية حفظاً للجمال الذى من الخدش والتجريح . . . عليهن ثياب ممزقة ، وفى أيديهن حبال رثة ، يوزعن نظراتهن هنا وهناك على أديم الأرض باحثات عن أخصب البقاع بالشوك وأملئها بالعوسج ، فإذا وجدنه أعملن فيه فئوسهن الصغيرة ثم جمعنه وحزمنه وحملنه على ظهورهن وسرن به كالقنافذ ! وطفن به فى الأسواق فيشتريه بعض الناس بثمن بخس ليوقدوا به حماماتهم ومطابخهم .

ولا يبالين بالأزهار البرية الجميلة التى نبتت بجوار الأشواك ، إذ هن مشغولات بجمع ما يجلب ثمن الخبز ... إن الأزهار لا توقد ناراً فلا وزن لها فى أيديهن وأعينهن ...

هنا أمل وعمل من آمال القلوب وأعمال الأيدى يا أرباب الفكر !

هنا ملمس من ملامس الدنيا يا ذوى العيش الرافه الناعم .

يا جامعات الزهور من روضات القصور . صافحن الأيدى

والخطأ هنا أن « الوعى الباطن » لم يخلق ليلغى الوعى الظاهر أو يمنعنا أن نرى الدنيا ، ولكنه خلق ليظل وعياً باطناً حيث هو فى قرارة الضمير ، نستدل عليه بعلاماته التى تتفق عليها الأنظار . وما من أحد يبنى بيته أو يطبخ طعامه أو يخيط ملابسه أو يحضر دواءه على ما يتصوره هذا وذاك وأولئك فى وعيهم الباطن المزعوم . فلماذا يتغير وجه الإنسان لأن له وعياً باطناً أو لأن المصور له وعى باطن ، أو ما يزعم من هذا الهراء ؟

ومن البديه أن التصوير « فن » له أدواته وتحضيراته وملكاته التى لا تشبه ملكات الفنون الأخرى ؛ فما هى الدروس التى يتعلمها المصور ليصبح على هذا المذهب مختصاً فى صناعته ؟ ما هى تلك الدروس إذا نحن ألغينا الرسم والتلوين والملامح والأشباه ؟ أهى دروس التنجيم عن الوعى الباطن ؟ وكيف الاتفاق عليها ولا يوجد اثنان يتفقان على تسمية صورة من متعلمى ذلك التنجيم ؟

الواقع أن « الوعى الباطن » له مكان واحد من شؤون هذه البدعة المرضية ، ومكانه هو إظهار العلة المرضية التى تكمن فى بواطن المصورين المشغوفين بكل بدعة من هذا القبيل

فما لا شك فيه أنهم جميعاً قوم « تفهون » تتخطاهم العيون ، فهم بين مشوه أو ضئيل أو مهزوم النفس أو عاجز عن لفت النظر إليه ؛ فحيلتهم هى حيلة هذا الضرب من الناس فى اتخاذ المشاكسة والتحدى والإغراب وسيلة للتنبيه إليه ، وهذه هى الحقيقة الواحدة التى لها شأن « بالوعى الباطن » فى مذهب هؤلاء الغلاة ؛ فهم مصابون فى وعيهم الباطن يترجمونه كارهين ، ويعرضون على الناس من ثم أعراض مرض لا معارض فنون .

عباس محمود العقاد

الخشنة لأخواتكن جامعات الأشواك بأيديكن الناعمة ... فتلك أيضاً صدقة !

١٦ — قذارة عليها طهارة

رأيت قذارة عليها أشعة الشمس ! طهارة وصفاء يتنازلان إلى عالم النجاسة والكُدْرَة ... الطهارة تمد يدها إلى النجاسة لتطهرها وترفعها إليها ... العالى ينظر إلى السافل نظرة رائية مسعدة منقذة ولا يخشى أن يتلوث ويتسفل .

وهكذا النفوس الشمسية : تضىء للمظلمين ، وتطهر المتنجسين وترفع السافلين ...

١٧ — كما تنظر الحشرات

وضعت رأسى مرة بين الأعشاب مستلقياً ، فغطت الحشائش وجهى ، ونظرت السماء من خلالها ، فرأيت مقطعاً من مقاطع الدنيا فى نظر بعض الأحياء الضئيلة القميئة ...

نظرت الدنيا نظر حشرة من تلك الحشرات التى تختبئ فى الأعشاب ...

صار كل شىء عظيماً جداً فى عينى ، حتى هذه الأوراق الصغيرة صارت فى زَيْغ البصر كالجبال الشاهقة التى تناطح السحاب ... وخيل إلىّ أنى فى غابة هائلة كثيفة مظلمة ...

ورأيت الفرق الهائل بين الدنيا فى نظر إنسان والدنيا فى نظر حشرة

وكل حى له دنيا رهينة بحواسه وهندسةِ وَضْعِه وقامَتِه .

فلو سجد بعض المتكبرين المتغطرسين برءوسهم حيث يضعون أقدامهم لتغير نظرهم للحياة ولأنفسهم وللناس ...

١٨ — مفارقات

سقطت فَرَاشةٌ على زهرة ؛ وسقط جُعَلٌ على بَعْرَة ، وسقطت عيناى عليهما !

كان كل منهما فى شغل بعالمه عن عالم الآخر ، ولكن قلبى كان فى شغل شاغل بعالميهما ...

لقد رشفت الفراشة رشفة من رحيق الزهرة ثم شالت عنها إلى غيرها ، ولكن الخنفساء لم تبرح مكانها ، فرزقها كثير ...

إنها حيث تسير تجد العفونات والقذارات فتأكل وتتناسل

أما الفراشة فمجهودة كالرغبات الطائرة ... تسافر كثيراً حتى تظفر بملء أوعيتها ...

لا شك أن جامع الخير والجمال من الدنيا يَلقُطُه لقطاً من ثنايا الشر والقبح ويتعب فى تحصيله تعب هذه الفراشة المجهودة

١٩ — الوحوش المحبوبة

كانت عناكب كثيرة صغيرة آمنة فى بيوتها تنسج الشباك للصيد ... فانقضت عليها عصفور صغيرة وابتلعتها واحدة فواحدة أمام عينى ...

والناس يزعمون أن العصافير وديعة ويحبونها ، ولكن من يدرس حياتها يعلم أنها شرسةٌ مشاغبة مقلقة كثيرة التصايح من أول النهار إلى آخره ، ولها وجه حادُّ الملامح ومنقارٌ جارح وطباع عصبية . وإنما يشفع لها جمال منظرها ورشاقة جسمها وضآلة حجمها ...

وكم غَرَّ المنظرُ وفجع المَخْبَر ! وكم رحم الناس ضعيفاً هو أقسى على الحياة من الذئب !

٢٠ — غضب الضعفاء

اشتبك عصفوران فى عراك ، وصارا يتصايحان صياحاً لفتنى إليهما ، ثم نقر كل منهما الآخر بمنقاره نقرة ، ثم افترقا من غير دم

فقلت لقد فضحتما ضعفكما ... فما كان ينبغى لكما أن تقدما على غضب ، لأنكما لا تمثلان قوته العنيفة

وينبغى للضعيف ألا يغضب ، لأن غضبه يزيده ضعفاً بما ينال من نفسه ، وما ينال من هزء الناس به ...

إن الغضب يحتاج إلى قوة يُفجِّر بها الدم !

٢١ — شباك العنكبوت

لماذا هذا الترقب والانتظار للختل والاغتيال أيتها العناكب ؟

لماذا تنسجين شباكك وتطرحينها فى طريق الفراشات والنحل التى تحصل غذاءها بجهودها لتقنصيها وتشربى دماءها وأنت فى مكانك ؟

لماذا تقطعين الطريق على العاملات المجهودات أيتها القعدة الكسيحة ؟

بخيط خفىّ رقيق تلقينه للريح تستطيعين أن تقتنصى أجنحة رفافة عاملة !

تمتصين دماء الغافلات المخدوعات وترصّعين بحطام جثثها

وأشلائها بيوتك الواهنة التي لم تقم على أساس ...

ولـكن لا ملام عليك ولا تثريب ... وإنما على أيدٍ تملك المكانِسَ التي تستطيع أن تبطشَ بكِ وتدكّ بيوتك وتخلص الضعفاء من أحابيلك ، ثم لا تفعل !

٢٢ – الهالوك

وهذا أيضاً نبات طُفَيْلي كسيح الساق لا يضرب بجذرٍ في الأرض ليقوم عليه ويستغنى به عن الاعتماد على الغير . رأيته يمد حباله وشباكه فيصطاد شجيرات من الورد والخشخاش ويقطع طرق غذائها ويسلبه لنفسه ويخنق أطفالها من الأزهار الجميلة ويلف قوام جسمه المتهالك على سيقانها ليعتمد عليها ، ثم يزهر ويضحك وينظر إلينا بوقاحة !

لقد أصاب شجيرات الورد بالشلل فلم تزهر وأزهر هو ... فلم أر بداً من أن أفصل بين الأصيل والدخيل الغاصب الوقح بضربة فأس وإعمال يد لأخلص أطفال الورد المختنق الجائع المغيظ

أبداً يرْصُد عالم الشر قريناً من جنوده لـكل فرد من عالم الخير يعلن عليه حرباً ...

فعلى إنسان الخير أن يقف دائماً في مكانه من الصف ، وأن يُعمِل فأسه دائماً في بستان الحياة يستأصل بها جذور الشر ويسحق أزهاره وثماره . وإلا لم يجد لنفسه غذاء ولعينه مسرحا ، ويفسد عليه عالم الشر كلَّ إحساس بجمال الحياة ، ويسلبه متاعه بمعشوقاته من بنات الطبيعة الفاتنات

٢٣ — السائرات المطرقات

سائراتٌ مكبوباتٌ الوجوه الطويلة ، تنظر إلى الأرض دائماً كاسِراتِ الجفون

كُتَلٌ لحمية متجلدة ماتت أعصابها من فرط الضرب والحمل والإرهاق ووراثات الاضطهاد ...

قطعٌ من الصبر والبلادة وموت النفس والهوان والسآمة .. عيونها عميقة تنظر بهدوء لما حولها كأنها عيون فلاسفة فرغوا من حل جميع العقد والمشكلات وليس لها دموع تبكي بها وتعلن الشكوى ...

تريد أن تفرّج عن قلوبها فترسل صوتها للترتاح ، فتخرج قلوبها مع همومها من حلاقيمها في صوت مُنْكَر فيأبى الناس عليها ذلك ويردون أصواتها وهمومها إلى نحورها ...

اغفروا أيها المالـكون للمملوكين إذا تنَفَّسوا

ارحموا الأغبياء والمحدودين فإنهم ما خلقوا أنفسهم حتى يعاقبوا أو يعاتبوا ...

لا البلبل خلق نفسه ولا الغراب يا أولى الألباب !

ترى ، متى يشعر الفلاحون والعمال بالرحمة لهذه المخلوقات فيعاملوها معاملة رُفْقَةِ العمل ؟ ولـكن الفلاحين والعمال لا يشعر رعاتهم نحوهم برحمة . فهم كذلك لا يشعرون بها لرعاياهم . كَيْلاً بكَيْلٍ ... والموج دائماً ينحدر من الأعلى للأدنى ...

متى يأتي اليوم الذي ترتاح فيه هذه المخلوقات وتتخذ للزينة والجمال وحدهما وتقتنى في حدائق الحيوان كمخلوقات أثرية تدل على عهد باد من عهود شقاء الإنسان وشقوة سكان الأرض معه ؟

هو اليوم الذي يقتنى فيه كل فلاح وعامل حاجته من مخلوقات الحديد والفولاذ

عبد المنعم محمد خلوف

أحزان الأسود وأفراح القرود

يوم فضيحة «آدم» و «حواء»

للدكتور زكي مبــارك

سارت الأمور إلى ما شاء القدَر أن تسير إليه ، وذاق آدم لأول مرة لذعة الندم الأليم ، فقد كان يملك زجر حواء عن قرب شجرة التين ، لو قُدِّر له أن يمسك فلم يخضع لسلطان حسنها الوهّـاج ...

وانزعجت حواء لمـا أصاب الجنة من زلزال ، فعرفت من أخطار الخطيئة ما لم تكن تعرف . وأدركت أن المزاح في تفسير الحرام والحلال عَبَثُ أطفال

— آدم ، لا تبتئس ، فقد عجّل الله بالعقوبة ، ولم يبق إلا أن نأنس بالاطمئنان

— وما هي العقوبة التي عجّل بها الله يا حواء ؟

— هي ما أصاب الجنة من زلزال ، فقد هدأت العواصف والقواصف ، وعاد كل شيء إلى قراره المألوف

— الزلزال الخطر هو البلبلة التي تثور في صدري ، وما أحسبني سأستريح ، وهل أنت مطمئنة يا حواء ؟

— لا ، وإنما أردت أن أهوّن عليك وقْع ما نحن فيه ، فمـا زال قلبي يرتعد من هول الصدمة ، وليتني متُّ قبل الخطيئة وكنت نسياً منسيًّا !

— أرأيت يا حواء عواقب الإصاخة لأقوال المفسدين ؟ ألم أنهكِ عن صحبة الحية ؟ ألم أخوّفك من الاستماع إلى إبليس ؟

— ليتني أطعتك ! ليتني أطعتك !

— وهل تنفع شيئاً ليت ؟

— في ليت تعزيةٌ للخائبين ، فلنتعزّ بها إلى حين !

وفي أثناء هذا الحوار كان آدم يلاحظ أن أسراباً من الطير والحيوان تنظر إليه وإلى حواء باستغراب ثم تنصرف ، فما الذي جدّ عليه وعلى حواء بعد الزلزال حتى يقع ذلك الاستغراب ؟

وحانت من آدم التفاتة فرأى سوأة حواء بادية ، وأطرق فرأى سوأته قد انكشفت والعياذ بالذوق ، وكذلك أدرك أن أسراب الطير والحيوان قد هالها أن يعرى آدم وحواء وهما في حال تسر العدو وتحزن الصديق

كانت الفاجعة أعنف ممـا يتصوره الخيال ، فقد فُطر آدم على الحياء ، ألم يكن أول مخلوق ستر ذلك الشيء ؟ أما الكلام عن حياء حواء ، فهو حديثٌ مُعاد ، فما استطاع أحد من سكان الفردوس أن يتوهم صورة المنطقة المحرمة من جسمها الجميل

— أتصنع المعصية كل هذا يا آدم ؟

— وأشنع من هذا ، فقد يعاقَب العصاة بالقتل

— الفضيحة أبشع من القتل

— أنا لا أراها كذلك ، فالقتل أخطر وأعنف

— الرجل يُقتل بالسيف ، والمرأة تُقتل بالفضيحة ، فأنا وحدي المقتولة بعقوبة اليوم

— وما المخرَج يا حواء ؟

— نخصِف على هاتين السوأتين من ورق الجنة ، إلى أن يقضي الله في أمرنا بمـا يشاء

* * *

لا موجب للاطالة في تصوير جزع آدم وفزع حواء ممـا صارا إليه ، فالوصف لا يحيط بصورة الحزن الذي يساور النفس النقية حين تسقط أول مرة ، فهي تتخيل أن شبح الفضيحة يلاحقها في كل طريق ، وأن الموجودات كلها عيون تنظر إليها باحتقار وازدراء ، ولا كذلك النفس الخبيثة ، فهي لا تتأثر بالفضيحة إلا بمقدار ما يتأثر الصخر الأصم بهبوب الريح

كان آدم على فطرته الأولى يوم اقترف ما اقترف ، وكان وحيداً في بلواه ، فلم يجد من أصدقاء السوء من يهوّن عليه مصيبة العصيان

وحواء ؟ وحواء ؟

كانت زهرة نضيرة لم تسمع بأن في الوجود لوافح ترزأ الأزهار بالذبول

وهل كانت حواء تجدّ وهي تدعو رفيقها إلى قرب الثمر الممنوع ؟

إن شئت حدثتنا أن تمردها على الأوامر الربانية لم يكن إلا فنًّا من فنون الدلال . ولعل هذا هو السبب في أن الجنة لم تُصب بأذًى بعد أكلها من شجرة التين ، وإنما وقع ما وقع حين هفا آدم ، لأنه رُزق من العقل ما يكفي للتمييز بين المحرَّم والمباح

وزاد في هم حواء عرفانُها بخطورة النزق بعد الذي كان ، فصارت تصرخ من وقت إلى وقت صراخاً يصل إلى مسامع سكان الفردوس بأعنف مما يصل صوت المظلوم إلى آذان القضاة العادلين . . . وكذلك لطف الله بحواء ، فأمر ورق الجنة أن

يكون عند ما تريد ليحميها من فضول العيون

لا موجب للاطالة بتلخيص الصفحات التى دوّنها شيث ابن عربانوس فى هذا المقام ، فما نطيق ولا يطيق القراء مواجهة ما انطوت عليه من أحزان وكروب ، فلننظر كيف تسامع سكان الجنة بفضيحة آدم وحواء فى لحظات

فى لحظات ؟ وكيف ؟

كان جمهور أهل الجنة فى ذلك الوقت جمهوراً قليل الأهمية من الوجهة العددية ؛ وللجماهير الصغيرة محاسن وعيوب ، فمن السهل أن نكوّن رأياً عاماً فى الجمهور الصغير بخطبة أو خطبتين وأن نروضه على الفضائل المنشودة حين نشاء بأيسر عناء ، ولكن من الصعب أن نصدّه عن تسمّع الأخبار السيئة ، فهو يُقبِل عليها بشهية عجيبة ، وهو يجد لذة فى مضغ أحاديث الإفك والبهتان ، وقد يتزيّد فيضيف المآثم إلى الأبرياء ، ليظفر بالقوت المحبوب وهو الاغتياب ، فما يطيب للرجل الحقير أو الجمهور الصغير غير الخوض فى الأحاديث التى تشوّه أقدار الأكابر من الرجال !

وعلى هذا وصلت أخبار آدم وحواء — أخبارهما المزعجة — إلى جميع سكان الجنة فى لمحات معدودات ، وصار الحديث عن مصيرهما الفاجع زاد الألسنة فى كل مكان

فكيف تلقّى الفردوسيون ذلك النبأ الفظيع ؟

انقسموا إلى فريقين : فريق الجازعين وفريق الشامتين

فمن الذى جزِع ؟ ومن الذى شَمِت ؟

جزع الأسود ، وفرح القرود ، ولذلك حديثٌ يستحق التسجيل :

لم يكد يتسامع الأسود بفضيحة آدم حتى صاموا عن الطعام حزناً لبلية ذلك المخلوق النبيل ؛ ثم اجتمعوا فى « غابة العَرِين » ليسمعوا خطبة كبيرهم غَضَنْفَلوث ، وقد خطبهم فقال :

« سُجَرائى وأشبالى

ترامتْ إلىّ وإليكم أخبار الفضيحة التى رُزىْ بها آدم ، وقد جزعتُ لها كما جزعتم ، برغم اختلاف الجنس ؛ فنحن نمشى على أربع وهو يمشى على اثنتين ، وقوّتنا بالظفر والناب ، وقوّته بالقلب واللسان ؛ ولكن هنالك آصرة تجمع بيننا وبين ذلك المخلوق ، وهى الكرامة الذاتية ، فهو يأبى الضيم كما نأباه ، وهو يُزهَى ويختال كما نُزهَى ونختال . ولست أعرف قيمة شجرة التين حتى أحكم له أو عليه ، فنحن لحميّون لا نباتيون ، ومن الصعب أن ندرك ما فى التين من دواعى الاشتهاء ، وقد حلّ به ما حل ، وذاق من علقم الفضيحة ما ذاق ، وسيقضى الله فى أمره بما يشاء ، فهل ترون من الجرأة على الله أن نعلن الحداد لمصيبة آدم المظلوم ؟ »

أحد الأسود : أنحزنُ لمصيبة مخلوق عصى الله ؟

غضنفلوث : إذا كان مخلوقاً كريماً ، وآدم مخلوقٌ كريم ، فهو وحده الذى يستتر حين يلامس أنثاه ، وما رأيته أبداً فى موقف ينافى الأدب والحياء

أسدٌ آخر : وكيف نجيب إذا عدّ الله حزننا لآدم ضرباً من العصيان ؟

غضنفلوث : الله أكبر من أن يستظهر على عباده المذنبين بشماتة حيوان

أسد ثالث : العطف على المذنبين إغراء بالذنوب

غضنفلوث : هنا دقيقة تخفى عليك ، وهى أن العطف على المذنب يجتثّ من صدره بذور العصيان ، ويضيفه إلى أهل الطاعة والامتثال

أسد رابع : نحن مع الله فى التنكيل بالمجرمين

غضنفلوث : ومن نحن حتى نشارك الله فى الجبروت ؟

أسد خامس : نحن أسود

غضنفلوث : والأسود تحفظ الأدب مع الله فتترك له التفرد بالثواب والعقاب

أسد سادس : لا يجوز العطف على مخلوق خدعته أنثاه

وهنا انبرتْ لَبَوْلوث زوجة غضنفلوث فقالت فى زئير يوقظ الأموات :

« لعلكم تريدون التعريض بحواء ، فهل تعرفون حواء ؟ إسألونى أخبركم : لقد كانت تجيء من لحظة إلى لحظة لتداعب الأشبال بأناملها اللطاف . وكنت أقدر أول الأمر أنها تفعل ذلك بسبب حرمانها من النسل ، ثم عرفت أنها مفطورة على الرفق والحنان ، وأنها لا تعيش إلا فى ظلال الرفق والحنان ... ويلى عليك يا حواء ، فما رأيت أرخم منك صوتاً ، ولا أنضر وجهاً ، ولا ألطف مِشية ! كنت أنظر إلى نهديك الكاعبين فأعجب

وأطرب وأشاق ، ما أجمل نهديك يا حواء ! وما أشد جزعي حين أتذكر أنك لم تُرزَقي طفلاً يباغم حَلَمَتيك في جذل وانشراح ! وهل أنسى أن حواء أرشق مخلوقة تمشي على اثنتين ؟ لقد كان تثنيها وهي تتخطر فوق شط الكوثر يخلع قلبي »

غضنفلوث : حواء جميلة إلى هذه الدرجة ؟

لبلوث : وأجمل من الغزال المكحول بمرود السحر والفتون

— عطف الأنثى على الأنثى معروف !

— وتحامُل الذكر على الأنثى لا يحتاج إلى تعريف . . .

وبلى عليك يا حواء ! أأنت تُفضَحين بين سكان الفردوس فضيحة جديدة ؟

— وهل كانت لحواء فضائح قديمة ؟

— من يومها وهي فضيحة الفضائح ، فمشيتها فضيحة ، ونظرتها فضيحة ، ونبرتها فضيحة ، ودلالها فضّاح فضّاح فضّاح . وبلى عليك يا حواء ، وبلى عليك يا أختي !

— يظهر أنك مفتونة بحواء !

— وكيف لا أُفتَن بأنثى تفردت بالجسم الأملس إلا ببعض شعرات . ولوجازت الغيرة على مثلي لأصبحت من الهوالك

ثم تعكّر هذا الحوار الرقيق بأصوات غليظة وصل صداها البغيض إلى ساحة العرين ، فما تلك الأصوات ؟

تلك أصوات القرود وقد شمتوا بآدم وحواء ، فكانوا يثبون إلى الأشجار ثم ينزلون ، في انجذاب يشهد بأنهم صاروا من الفرح مجانين ، ثم بدا لهم أن يضعوا أخشاباً في الكوثر ليركبوها ، كما كان يصنع آدم وهو يداعب حواء

وسمع الأسد الأكبر بهذا الضجيج فأقبل يعنّف شيخ القرود

— ما هذه الضجة ، أيها القرد ؟

— نحن نحتفل بعدل الله

— وما ذلك العدل ؟

— هو الحكم على آدم بما هو له أهل

— وما خطر ذلك الحكم الذي استوجب أن تقيموا من أجله هذا الاحتفال ؟

— لقد كُشِفت سوأة آدم ، ولله الحمد !

— إن سوأة آدم من أمام ، فهو يسترها بلا عناء ، وسوأتك من خَلف أيها القرد ، وستظل إلى الأبد وأنت مفضوح ، لأنك شمتَّ بآدم المظلوم

— كيف يكون مظلوماً وقد عصى الله ؟

— ذلك شرف لن تناله أبداً . لأنك ضعيف

— وهل تحتاج المعصية إلى قدرة ؟

— نعم ، ولأجل هذا سأعصى الله كما عصاه آدم

— فتأكل من شجرة التين ؟

— أي تين يا قرد ؟ إن لي في العصيان مذهباً لا يخطر للقرود في بال

— وما هو ذلك المذهب ؟

— هو أن أبطش بكم جميعاً في لحظة واحدة فأريح الوجود من وجوهكم القباح

— أنت إذن لا تخاف الله ؟

— وكيف أخاف من يسمح بأن تكون للقرود دولة ؟ أنا كافر بالله ، كافر ، كافر ، إن جاز عنده أن تقوم دولة للقرود أو أشباه القرود ؛ ففضوا هذا الاحتفال السخيف ، وعودوا إلى حظائركم صاغرين ، وإلا نكلت بكم أشنع تنكيل

— وهل صنعنا شيئاً يعاب ؟

— إن الشماتة إثمٌ حقير وخسيس ، وهي لا تقع إلا من الأوشاب ، فازووا أيها القرود قبل أن يحل عليكم غضبي ، فأنتم أحقر من أن تبوءوا بغضب الله ، ولعله منحنى من الشراسة ما منح لأؤدب ما يجلّ عن تأديبه من القرود والثعالب والذئاب

* * *

حين وقع الزلزال في الجنة نظر رضوان فرأى الحية تزحف بسرعة تفوق المألوف من زحفها الممقوت ، فأدرك أن عليها جانباً من المسئولية ، فمنعها من الخروج إلى أن تنجلي الأمور . ونظر فرأى إبليس يهرول ليقتحم باب النجاة ، فردّه على عقبيه إلى أن يأذن الله بأن يكون من الناجين

ثم سُمِع هاتفٌ يصيح :

— ماذا تستفيد يا آدم من الاختباء في تلك الألفاف ؟ (١)

---

(١) إشارة إلى ما جاء في كتاب « شيث » وما جاء في « التوراة » من أن آدم وحواء اختبئا في ألفاف الأشجار حياء من الله بعد انكشاف الستر عن السوأتين المجهولتين

أثر الآداب الأجنبية
فى الأدب الفرنسى
للأستاذ صلاح الدين المنجد

إن لامتزاج الآداب بعضها ببعض ، أثراً بالغاً فى ازدهارها ونموها ، لما فى ذلك من لقاح مثمر وإحياء باهر ، ولما تكتسبه من أناقة فى العرض ، وطرافة فى التصوير ، وبراعة فى الخيال ، ورهافة فى الذوق

ولعل ازدهار الأدب العربى فى العصر العباسى آية على فائدة اللقاح فى الأدب وطيب جناه ، فقد حليت نغماته ، وطرفت ألوانه ، وتدفقت الحياة فى صوره وتهاويله ، وخرج من الجمود إلى الحركة ، ومن القيود إلى الانطلاق

وقد كان الأدب الفرنسى أكثر الآداب تأثراً بالآداب الأجنبية ، ولعل أعظم روائعه كانت من وحى البلدان المجاورة وآدابها . على أن هذا التأثير كان يقتصر على الفكرة ، لا على الشكل فى أكثر الأحايين

بدأت فرنسة تستمد من آداب الأمم المجاورة مادة لأدبها ، منذ أوائل القرن السادس عشر . فقد كان القصاصان « مرغريت د فالوا M. de Valois » و « برانتوم Brantôme » ينهجان نهج « بوكاتشيو » القصصى الإيطالى : حتى إذا كان النصف الثانى من هذا القرن ازداد هذا التأثير واتسع . فأسست طائفة من الأدباء مجمعاً لبعث الأدب الفرنسى سموه Pleïade ورأسهم « رونسار » الشاعر ، وكانوا معجبين بالشاعر الإيطالى « بترارك Pétrarque » ، فتتبعوا أشعاره بالدراسة والترجمة والنشر ، ونهجوا نهجه فى نظمه وأفكاره . وفى الحقبة نفسها ، أى فى النصف الثانى من القرن السادس عشر ، قامت فى مدينة « ليون » فى الجنوب ، مدرسة خاصة تمجيد آراء ذلك الشاعر الإيطالى وتقليد أشعاره

فلما جاء القرن السابع عشر ، عكف « موليير » على المسرح الإيطالى يقتبس منه . وهذا الاقتباس واضح فى روايته L'Etourdi وغيرها . وكان يحتفظ فى أحايين كثيرة ، بالنماذج الإيطالية Types نفسها

وظل تأثير الأدب الإيطالى فى الأدب الفرنسى مستمراً . ففى القرن الثامن عشر ، أولع الأدباء الفرنسيون بالآثار الإيطالية المسرحية « كرينار Regnard » و « لوساج Le Sage » و « ماريفو Marivoux » أما فى الشعر ، فكان بعض المحدثين آنئذ ، يقلدون « تانسيل Tansille » . ويستقون من « لوتاس Le Tasse »

على أن القرن السابع عشر قد عرف أدباً آخر ، أثر فى الأدب الفرنسى ؛ وكان ينبوعاً ارتشف منه الاتباعيون مادة لروائعهم ؛ وهو الأدب الإسبانى . فقد عب منه كثيرون ومنهم « كورنيل Corneille » فى مأساته « السيد Cid وأعجب الأدباء الفرنسيون « بلوب د فيرجا Lope de Verga و « آلاركون Alarcon » و « تيرسو د مولينا Tirso de Molina واقتبسوا من آثارهم ، ونقلوا إلى الفرنسية بعضها . وقد استمر هذا التأثير حتى القرن الثامن عشر ؛ فقد اقتبس « لوساج » من المسرح الإسبانى فكرة روايته « الشيطان الأعرج » كما اقتبس « بومارشيه » منه روايته « زواج الفيجارو »

* * *

ثم جاء الأدب الإنجليزى يؤثر فى الأدب الفرنسى . ولم تؤثر أمة فى فرنسة تأثير انجلترا فيها . فقد كان أثرها ظاهراً فى نواحى شتى : فى الأدب ، والفلسفة ، والسياسة ، والأذواق . وكانت ملجأ لكثير من الأدباء الفرنسيين ومنفى . فقد رحل إليها فولتير ، ومونتسكيو ، وبوفون ، وروسو ، وشاتوبريان ، ومدام دستال وغيرهم ؛ فأقاموا فيها وأعجبوا بها . وقد أبان فولتير فى « رسائله الإنكليزية Lettres Anglaises » عما أحس به فى تلك البلاد .

— لا نجو من حسابك يا مولاى

— وكيف تنجو من حسابى ، وأنت جان أثيم ؟

— لك الأمر من قبل ومن بعد

— ولهذا أدعوك إلى الوقوف غداً فى ساحة العدل ، فأحضر من تريد من الشهود ، ومن تشاء من المحامين ، ليرتفع اللبس فى تقدير مالك وما عليك

— أنت الشاهد وأنت الوكيل ، فاقض بعدلك ورحمتك ما أنت قاض

— هو ذلك ، ولكنى أريد أن أقيم بنفسى أول محكمة فى الوجود

(للحديث شجون) زكى مبارك

وتكلم ، ماراق له الكلام ، على الدين والفلسفة والأدب والشعر فيها . حتى أنه حاول أن يقتبس من شكسبير بعض مشاهد رواياته . ثم نقلت روايات « ريشاردسون Richardson » و « سويفت Swift » و « دفوا Defœ » فلقيت إعجاباً وأثارت حماسة . ودبت الحياة فى الشعر الفرنسى التثقيفى Didactique مذ قرأ الناس « تومسون Thomson » و « جراى Gray » . وكان شعر « أوسيان Ossian » مقدمة للشعر الإبداعى . وأثرت فلسفة « لوك J. Locke » و « هيوم Hume » فى رجال الموسوعة الفرنسية . وأصبح طراز الحكم الإنجليزى مثلاً أعلى عند سياسى فرنسة . فلما شبت الثورة الفرنسية ، انقطع هذا الاتصال ؛ على أنه عاد أشد قوة ، وأعظم شأناً بعدها . وانكب الشعراء الإبداعيون آنئذ على روائع « بيرون Byron » و « شيلى Schelly » و « شكسبير Shakespeare » يقلدونها مرة ويستوحونها مرات

وما كاد الهرم يدرك القرن الثامن عشر حتى تسرب الأدب الألمانى إلى فرنسة . وكان لنقد « ليسنغ Lessing » أثر بعيد فيها . ثم جاء « جوته » ونشر « ڤرتر » فألهبت المشاعر والعواطف ؛ وهزت الناس ، فانتحر منهم عدد كثير تقليداً لڤرتر . ثم أخذ الفرنسيون يقلدون « شيلر Schiller » وأخذت فلسفة الألمان تحل محل الفلسفات الأخرى . ولعل أنطق صورة لهذا التأثير كتاب « مدام دستال » عن « ألمانية Allemagne » ، ثم عرج الناس وأخذوا يتتبعون آثار « جوته » و « شيلر » و « هوفمان » و « هنرى هاين »

***

وفى أواخر القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين ، اتجهت فرنسة نحو الآداب الأسكاندنيافية والروسية ، فقد استهوى الفرنسيين نجاح الروايات الروسية ، كما جذبتهم الروايات الإنجليزية من قبل ، فترجمت روايات « غوغول » و « تورجنيف Tourguenev » و « دستويفسكى Dostoïeveski » حتى ألفها وتناقلها ، ونحا بعض الأدباء في رواياتهم نحوها

على أن هذا التأثير قد اتسع منذ أوائل هذا القرن العشرين ؛ لسرعة المواصلات ، وانتشار المجلات ، وازدهار المؤلفات . وغزت أسواق فرنسة مؤلفات الأمم كلها . فكبيلنغ ودانونزيو . وسلمى لاجرلوف ، وبرنارد شو ، وأوسكار وايلد ، أثروا فى الكتاب المعاصرين وإن لم تظهر آثار هذا التقليد واضحة بعد .

وكذلك بدأت مؤلفات الكتاب العرب تظهر بالفرنسية أيضاً . فقد نقلت لها أعظم آثار الأستاذين توفيق الحكيم ومحمود تيمور ، وبعض آثار الأستاذ الدكتور طه حسين وبعض مقالات للأستاذ الرافعى

أما فى القرون الخالية فقد كان للشرق العربى أثر فى بعض مؤلفات شعراء فرنسة وكتابها ، كلامارتين ، وباريس ، ولوتى ، ورينان ، وجيرار دونرفال ، والأخوين تارود ، ودورجليس ، وغيرهم ممن زاروا بلاد الشام ومصر وتمتعوا بما فيها من روعة وجمال وسحر ، فوصفوها وخصوها بالكتب . ولا ننس ما كان لكتاب ألف ليلة وليلة الذى نقل إلى الفرنسية منذ قرون ، من أثر وما كان لكتب السياحات والرحلات والعجائب التى نقلت من قبول وتأثير وإعجاب [1]

وهكذا نجد أن الأدب الفرنسى قد استمد كثيراً من آداب الأمم الأخرى ، فكان ذلك من أسباب ازدهاره ونموه ، ورقته وسموه

(دمشق) صلاح الدين المنجد

(١) سنعود فنبين أثر الشرق فى الأدب الفرنسى بعد قريب

من أدب القرن التاسع

كتاب «سحر العيون»

للأستاذ أحمد يوسف نجاتي

- ٢ -

٦ - ومن أولاد أبي الوليد بن الشحنة أوحد الدين عبد اللطيف بن محمد بن محمد بن محمد بن محمود : ولد سنة ٧٨٨ وتلقى العلم ببلده وبالقاهرة ، وولي قضاء مدينة « صفد » مراراً ، وناب في القاهرة عن قاضيها [1] وتوفي بها بالطاعون [2] سنة ٨٣٣ هـ . رحمه الله

وهؤلاء المتقدمون من بني الشحنة أدركهم الموت قبل مولد البدري صاحب « سحر العيون » ؛ وأما الذين عاصرهم البدري وانتمى إليهم فمنهم :

٧ - محب الدين أبو الفضل بن المحب أبي الوليد المتقدم ابن كمال الدين ، فهو محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمود وهو من أشهر بني الشحنة وسيرهم ذكراً : ولد بمدينة حلب سنة ٨٠٤ ، فهو أسن من البدري بنحو ٤٣ سنة ، وسافر مع والده صبياً لم يبلغ عشر سنين إلى مصر ، ثم قدم إليها مستقلاً بنفسه بعد ذلك ، وتلقى العلم بمدن الشام ومصر ، وجد في الطلب ، وأخذ عن كثيرين من أجلاء عصره بالقطرين ، وكان آية في الذكاء وقوة الحافظة حتى قيل فيه :

ابن الزمان بمثله لشحيح ... سمح الزمان بمثله فعجب له

والذهن صاف واللسان فصيح ... فالأصل زاكٍ والخلال حميدة

وفيه يقول بعض شيوخه [1] :

أقسمت إن جد وطال المدى ... أروى الورى من بحره الزاخر

فقل من بالسبق قد فضلوا ... (كم ترك الأول للآخر ؟)

ولما كملت أدواته ، ولي الوظائف الجليلة من قضاء وتدريس ونحوهما فولي قضاء الحنفية بمدينة حلب سنة ٨٣٦ وعظمت رياسته وظهرت كفايته ، وانطلقت الألسنة بذكره ، وظل في مدة الظاهر جقمق [2] بين رفعة وخفض وولاية وعزل حتى ولي كتابة السر بالقاهرة سنة ٨٥٧ ، ولم يلبث أن صرف عنها وبقي بالقاهرة حيناً من الدهر في عيشة غير راضية ، ثم رحل إلى بيت المقدس وأقام بها إلى سنة ٨٦٢ ثم عاد إلى وطنه حلب . ثم ولي كتابة السر بالقاهرة ثانية سنة ٨٦٣ ، فسار فيها سيرة مشكورة وأقبل

---

(١) هو القاضي زين الدين عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن علي ابن هاشم اللقهي المصري توفي سنة ٨٣٥

(٢) في سنة ١٨٣٣ اشتدت وطأة الطاعون بالشام ومصر قال ابن حجر أركب أربعون نفساً مركبا يقصدون الصعيد فما وصلت منتصف الطريق حتى مات الجميع وأن ثمانية عشر صياداً اجتمعوا في مكان فمات منهم في يوم واحد أربعة عشر فجهزوا الأربعة فمات منهم وهم في الطريق ثلاثة فلما وصل بهم الآخر إلى المقبرة مات !

(١) هو بدر الدين محمد بن أبي بكر بن محمد بن سلامة المارديني الحلبي الحنفي كان فقيهاً فاضلا متفنناً علوم الشريعة واللسان ولد سنة ٧٥٥ وتوفي بحلب سنة ٨٣٧

(٢) هو الملك الظاهر أبو سعيد جقمق بن عبد الله العلائي الظاهري ولي سلطنة مصر والشام سنة ٨٤٢ وكان ملكا جليل القدر عظيم السلطان قد صفا له الوقت وطابت في زمنه الأيام وعمر كثيراً من المساجد والمدارس والقناطر والجسور ، وعمر مسجد الخيف بمنى ، وجدد في الحرم الشريف مواضع ، وكان قد حبب إليه البر وعمل الخير فأنفق في سبيل ذلك أموالا طائلة ، وكان محباً للعلماء والفقهاء والأشراف والصالحين مكرماً لهم جواداً عف الذيل واليد واللسان شجاعاً فقيهاً فاضلا ، وأخذ بنيه بالتفقه في الدين وتلقي العلم عن أجلاء عصره (وكان ابنه نور الدين أبو المعالي محمد المولود في سنة ٨١٦ ماهراً في العلم حافظاً للقرآن الكريم ، وله ألف ابن تغرى بردى كتابه « النجوم الزاهرة » ، وأدركته منيته في سنة ٨٤٧ (وهي السنة التي ولد فيها صاحبنا البدري) ، ثم لما أحس الملك الظاهر جقمق بدنو أجله خلع نفسه من الملك في أوائل سنة ٨٥٧ وعهد بالأمر إلى ولده الملك المنصور عثمان ، ولم يلبث أن توفي في ٣ صفر سنة ٨٥٧ ؛ وخلع ولده المنصور عقب ذلك وتولى الملك بعده الملك الأشرف إينال العلائي الآتي ذكره

عليه السلطان الأشرف « إينــال » إقبالاً عظيماً حتى كان هو المنشئ لعهده فى مرض موته لولده أحمد الملقب « بالمؤيد » ، وبقى بعـد ذلك بالقاهرة يتقلد وظائف القضاء والتدريس ، ولاقى كثيراً من صروف الزمان ومنافسة الأقران حتى توفى بالقاهرة فى أوائل سنة ٨٩٠ . فبان من هذا أن الذى أنشأ عهد « إينال » لولده « المؤيد » هو أبو الفضل المحب الأصغر لا أبوه أبو الوليد المحب الأكبر المتقدم والمتوفى سنة ٨١٥ ، ولـكن رأيت فى فهرس دار الـكتب بالجزء الخامس صفحة ٢٧٣ ما يأتى :

« عهد للسلطان المؤيد أبى الفتح أحمد بن الملك الأشرف « إينال » تأليف العلامة أبى الوليد قاضى القضاة محب الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن غازى بن أيوب الشهير بابن الشحنة التركى الحلبى الحنفى المولود سنة ٧٤٩ ، والمتوفى بحلب يوم الجمعة الثانى عشر من شهر ربيع الآخر سنة ٨١٥ هـ أوله : هذا عهد شريف تبسم ثغر رَبيعه لما تنسم الخ (نسخة ضمن مجموعة فى مجلد مخطوطة بقلم معتاد) اهـ رقم ٥٩ ؛ وهذا غير معقول ، فإن الملك الأشرف سيف الدين أبا النصر إينال العلائى — وهو الثانى عشر من ملوك الجراكسة — إنمـا ولى مملـكة مصر فى شهر ربيع الأول سنة ٨٥٧ : (بعد وفاة أبى الوليد المحب الأكبر والد أبى الفضل المحب الأصغر بنحو ٣٢ سنة) ؛ واستمر الملك الأشرف « إينال » سلطاناً إلى أن خلع نفسه وعقد الولاية لولده الملك المؤيد شهاب الدين أبى الفتح أحمد فى ١٤ من جمادى الأولى سنة ٨٦٥ بعـد وفاة أبى الوليد بنصف قرن (فينبغي إصلاح ما فى فهرس الدار بنسبة العهد إلى كاتبه ، وإنما كان الاشتباه ، لأن ابنى الشحنة هذين الأب وابنه يلقب كلاهما « بالمحب ابن الشحنة » ، وإنمـا يميز بينهما بالـكنية ؛ فـكنية كاتب العهد أبو الفضل توفى سنة ٨٩٠ ، وكنية والده أبو الوليـد وتوفى سنة ٨١٥ . هذا ، وقد توفى الأشرف « إينال » عقب ذلك بيوم واحد (١٥ جمادى الأولى سنة ٨٦٥) ، ومكث ولده المؤيد أحمد سلطاناً زهاء خمسة أشهر ، ثم خلعه أتابكه (مربيه) الملك الظاهر «خشقدم» سيف الدين فى شهر رمضان سنة ٨٦٥ الذى كان سلطاناً باراً محبًّا للخير توفى فى شهر ربيع الأول سنة ٨٧٢ .

ولقد كان المحب بن الشحنة أبو الفضل عالماً جليلاً أديباً فصيحاً بديع النظم والنثر سريعهما حلو الحديث حسن العشرة يميل إلى النـكتة اللطيفة والنادرة الظريفة ، عذب الروح رقيق الطبع علىَّ الهمة صبوراً على محن الدهر ورزايا الأيام ، ذا شغف بجمع الـكتب واقتناء النادر منها . وله مصنفات فى الفقه والأصول والحديث والتفسير والتاريخ وغيرهما . وله من مطلع قصيدة وهو بالقدس :

قلب المحب بدار البين مشغول ... كما حشاه بنار البعد مشمول
وطرفه الليل ساه ساهر أرق ... ودمعه فوق صحن الخد مسبول

وله مما يقرأ على قافيتين :

قلت له لمـا وفى موعدى ... وما بقلبى لسواه غلق
وجاد بالوصـل على وجهه ... حبى سما كل حبيب وفق

وله يطلب الإجازة فى سنة ٨٢٨ من الأستاذ العلامة أحمد ابن حجر المشهور المتوفى سنة ٨٥٢ :

وإذ عاقت الأيام عن لثم تربكم ... وضنّ زمانى أن أفوز بطائل
كتبت إليكم مستجيزاً لعـلّنى ... أبلّ اشتياقى منكم بالرسائل

ومن مؤلفاته التاريخ المسمى (نزهة النواظر فى روض المناظر) وهو تاريخ كبير جعله كالشرح لتاريخ أبيه المسمى (روض المناظر فى علم الأوائل والأواخر) السابق . وله ــ كما فى فهرس الدار ــ كتاب (الدر المنتخب فى تاريخ مملـكة حلب) ضمنه تاريخ مدينة حلب وآثارها ومعاهدها ومعابدها وجوامعها ومدارسها وغير ذلك مما يتعلق بشؤون مملـكة حلب التاريخية والجغرافية ، وجعله ذيلاً على (بغية الطلب فى تاريخ حلب) . تأليف العلامة المؤرخ كمال الدين أبى حفص عمر بن عبد العزيز بن أحمد بن أبى جرادة العقيلى المعروف بابن العديم الحلبى المولود سنة ٥٨٦ والمتوفى سنة

٦٦٠ ؛ وقد انتهى فى تاريخه إلى سنة ٦٥٠ ؛ ومنه بدار الكتب ١٤ جزءاً متتابعة فى ثلاثة مجلدات . وقد رتب المحب بن الشحنة تاريخه على تمهيد وفاتحة وخمسة وعشرين باباً . وقد طبع بمدينة بيروت سنة ١٩٠٩ م ، وبدار الكتب الملكية نسخة منه قيمة رقم ٢٣٢٦ تاريخ ، وأخرى رقم ٢٣٢٧ . هذا وفى كشف الظنون فى الكلام على (بغية الطلب فى تاريخ حلب) لابن العديم ما يأتى :

والذيل عليه لأبى الحسن على بن محمد بن سعد الحلبى الجبريني المعروف بابن خطيب الناصرية المتوفى سنة ٨٤٣ ، رتب الأعيان على الحروف وسماه (الدر المنتخب) . ولما طالعه الحافظ بن حجر حين قدم حلب سنة ٨٣٦ ألحق به أشياء كثيرة ثمينة وأثنى على صاحبه . ثم ذيل عليه موفق الدين أبو ذر أحمد بن إبرهيم بن محمد الحلبى المتوفى سنة ٨٨٤ وسماه (كنوز الذهب فى تاريخ حلب) . ولم يذكر فى كشف الظنون أن ابن الشحنة ألف تاريخاً لحلب اسمه (الدر المنتخب) فلعله جمع هذه الذيول قبل وفاته سنة ٨٩٠ وتصرف فيها ونسبها لنفسه – والله أعلم – أو لعله ألف تاريخاً لحلب مستقلاً واستعار اسمه من اسم تاريخ خطيب الناصرية . وقد يرجح هذا بما ذكره صاحب كشف الظنون فى موضع آخر قال (كنوز الذهب فى تاريخ حلب) لأبى ذر أحمد بن البرهان إبرهيم الحلبى المتوفى سنة ٨٨٤ ذيل به (الدر المنتخب فى تراجم أعيان حلب) . وأقول إذا علمت أن محب الدين بن الشحنة كان زوج السيدة خديجة بنت القاضى علاء الدين على بن محمد بن سعد المتقدم المعروف بابن خطيب الناصرية مؤلف (الدر المنتخب) هان الخطب ووضح المشكل ، على أنه يؤخذ من ترجمته الطويلة فى الضوء اللامع أنه ألف تاريخين وذكر له عدة مؤلفات فى علوم مختلفة .

(يتبع)

أحمد يوسف نجاتى
الأستاذ بكلية اللغة العربية

أحــــلام اليقظة

للدكتور محمــــد حسني ولاية

قص عليّ صبي في الرابعة عشرة من العمر الحلم الآتي :

« بينما كنت واقفاً في غرفة الدراسة أجيب على سؤال وجهه إليّ مدرسي ، اختفى عن ناظري التلاميذ والمدرس وجميع ما في الغرفة سوى (السبورة) ، وانقلبت أرض الغرفة الخشبية إلى أرض صحراوية ، ثم ما لبث أن أطل من خلف أعلى (السبورة) رجل ذو منظر مخيف ، عريض الوجه ، منبعج الأنف ، غريب الخلقة ، ذو مخالب كمخالب النمر ، مرتد ثوباً أخضر وقلنسوة خضراء ، ممسك بطفل صغير في الثانية من العمر ، وقد ارتدى ثوباً أحمر وقلنسوة حمراء ، وكان الطفل كثير الشبه بالرجل ، ولكن أنفه لم يكن منبعجاً ، ولم تكن له مخالب

« وبعد برهة شطر الرجل الطفل الصغير شطرين بيديه القويتين ، فصحتُ من شدة الجزع بأعلى صوتي . . . ثم سمعت مدرسي يقول : « لا تخف » ؛ ثم أفقت ووجدتني واقفاً أمام مدرسي كما كنت ، وعاد كل شيء إلى ما كان عليه . . . »

لاحظت أن الحالم يشبه أمه البلجيكية ، وأن أخاه البالغ من العمر ثلاثة عشر عاماً يشبه أباه المصري ، وقد كان الأب شديد القسوة وكثيراً ما كان يضربه ضرباً مبرحاً ؛ أما أمه ، فكانت لينة القلب

أدى تحليل الحلم إلى استكشاف عقدة Complex في عقل الصبي الباطن ، مؤسسة على نزعات ترمي إلى التخلص من أخيه الذي كان مريضاً بالحصبة عندما كان في الثانية من العمر ، وكان الحالم حينذاك في الثالثة فألبس المريض رداء أحمر وقلنسوة حمراء ؛ وقد ظلت هذه العقدة محتبسة في العقل الباطن منذ إحدى عشر سنة ، والسبب في نشوء هذه العقدة هو العناية الفائقة التي وجهها الوالدان إلى الطفل المريض ، ومن ثم تشبثت بالحالم غيرة شديدة من أخيه

يمثل الرجل الوحشي أب الحالم ويرمز الطفل الصغير إلى أخيه ، وقد شوهت هيئة الأب والأخ في الحلم بعمل الطاقة الكابتة : « الرقيب الحلمي » ؛ وكأن الصبي يقول لأبيه : « مزّق أخي بمالك من البطش والقوة ، وخلصني منه ، ليخلو لي الجو . . . »

قال لي الصبي إنه لا يكره أخاه ، ولكن نشأت بينهما حزازات ، لأن والده يدلل أخاه كثيراً ويغضي عن هفواته ، وقد استغل أخوه هذا التحيز من جانب الأب ، فلجأ إلى ضربه وسلب الحلوى والنقود منه ، فهو في عرفه صورة مصغرة من أبيه

وقد قص عليّ الصبي حلماً ليلياً يدل على مبلغ استقرار نزعة التخلص من أخيه في سريرته :

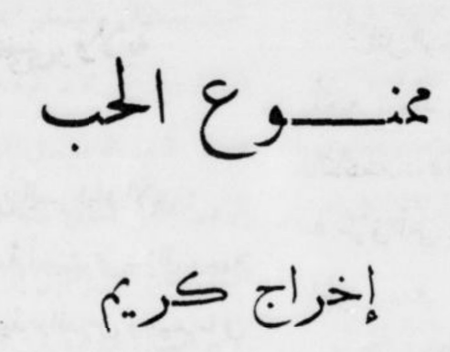
«رأى منذ عهد قريب صبيًا في عمر وهيئة أخيه يقود طائرة ، ثم وقفت الطائرة في الهواء بجوار نافذة منزله ، فاستقلها كراكب فأطلق قائد الطائرة العنان لطائرته ، ولكنه بعد مضي زمن قليل أصابته رصاصة لم يعرف مصدرها فصرعته . فما كان من الحالم إلا أن حل محله وقاد الطائرة بنفسه »

يعني هذا الحلم أنه يريد التخلص من أخيه الذي كانت له الكلمة النافذة والسلطة والقيادة في محيط العائلة

ورأى في حلم ليلي آخر أنه يسير في أرض صحراوية انبعثت صخرة من الأرض ومنعته من استئناف السير ؛ وترمز الصخرة هنا إلى أخيه ، لأنه واقف له بالمرصاد

محمد حسني ولاية

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١/٢١ سنة ٩٤٢ في القضية رقم ٦٧٦ سنة ٩٤١ ضد حبشي محمود سليمان بياع غاز بشارع أبو عبد الله بدمنهور بالحبس شهراً مع الشغل والنفاذ والنشر على مصاريفه لبيعه غازاً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة



ممنـــوع الحب

إخراج كريم



تتجوزى عزيز ؟! ده أنا أقتلك وأقتل روحى كمان

حاليـــاً بسينما ســـتوديو مصر

٤ ـ ابن خرداذبه

للأستاذ كوركيس عواد

(تتمة)

٦ — الخصومة بين ابن خرداذبة وأبي الفرج الأصفهاني

(ا) تمهيد

كان الأستاذ كامل كيلاني قد أحسن غاية الإحسان بنشره بحوثاً طليّة في وصف بعض « الخصومات » أو « المناظرات » الأدبية القديمة[1] التي دارت رحاها بين طائفة من أكابر العلماء، وكن لها شأن في توجيه الرأي الأدبي في تلك الأزمنة الغابرة. وما من شك في أن هاتيك الخصومات تمثل لنا لوناً من ألوان الثقافة، وتكشف عن منحى من مناحي المجتمع، كما أنها توضح لنا بأجلى بيان ما كان يضطرم أحياناً في نفوس بعض الأدباء من حبٍّ للتنافس، وميلٍ إلى الظهور والتصدُّر، وانسياقٍ لعوامل الحقد والضغينة؛ وتفصح لنا عما كانت تنطوي عليه أخلاق بعضهم من كبرٍ أو مكابرة، وعنت أو دهاء ... ومهما يكن من أمر، فإن تلك الخصومات صفحة أدبية رائعة الجمال، إذ شحذ مسطّروها أذهانهم لإحراز الفوز، وأفرغوا ما في وسعهم من الأدلة والبينات التي كانت تتجاوب أصداؤها بينهم، وتتدافع تدافع السيل العرم، لتنال مكانها من الظفر!

ولقد وقفنا على شيء يقرب من ذلك، نشب بين اثنين من أشهر الكتبة الأقدمين، وهما ابن خرداذبة وأبو الفرج الأصفهاني. وإذا تكلّمنا على الأول منهما بما مرَّ بك تفصيله، فلنقل كلمةً وجيزة نمهد بها موقفه من الخصومة، فنقول:

(ب) أبو الفرج الأصفهاني

إن شهرة أبي الفرج البعيدة، تغني عن التعريف به. وكتابه العظيم الموسوم بـ « الأغاني » الذي سلخ في جمعه وتأليفه على ما قال خمسين سنة، لمن أعظم الكنوز الأدبية قيمة، وأحفلها مادة! وكفاه من سمو المنزلة ومزيد الاعتبار أن الصاحب بن عباد — وهو من هو —. « كان في أسفاره وتنقلاته يستصحب حمل ثلاثين جملاً من كتب الأدب ليطالعها، فلما وصل إليه كتاب الأغاني لم يكن بعد ذلك يستصحب سواه لاستغنائه به عنها! »[1]

وكان الصاحب هذا يقول: « لقد اشتملت خزانتي على مائتين وستة آلاف مجلد[2]، ما منها ما هو سميري غيره (أي غير كتاب الأغاني) ولا راقني منها سواه ... »[3]

وكان عضد الدولة « لا يفارقه في سفره ولا حضره، ولقد كان جليسه الذي يأنس به، وخدنه الذي يرتاح إليه »[4]

ولأبي الفرج كتب عديدة أخرى ذكرها مترجموه ورواة أخباره. ضاع أغلبها، ففاتنا بضياعها من الخسارة بما لا يمكن التعويض عنه!

ولسنا في مقام التبسط في ذكر ترجمته، فذاك أمر معروف مشهور، وإنما اكتفينا بالتنويه بكتابه الأغاني، لما له من الخطر في الخصومة التي أشرنا إليها. أما من أراد الوقوف على أخبار أبي الفرج، فعليه بها مفصلة في « تصدير » المجلد الأول من الأغاني المطبوع في دار الكتب المصرية. ففيها كل الغناء

وما لا بد من النص عليه، هو أن أبا الفرج توفي في أواسط المائة الرابعة للهجرة (أي في سنة ٣٥٦ للهجرة)، وهي المائة التي ازدهر فيها الأدب العربي، واستقام أمره، واتسعت مادته

(ج) الخصومة

والخصومة التي سنذكرها، تختلف عن كثير من الخصومات لأنها جرت بين شخصين باعد بينهما الزمن! فقد ذكرنا من قبل أن ابن خرداذبة نادم المعتمد الخليفة العباسي، وخص به، وكانت وفاة المعتمد في سنة ٢٧٩ هـ. فيكون ابن خرداذبة من أبناء المائة

---

(١) أنظر « المقتطف » في أجزاء متفرقة من سنة ١٩٢٩ و ١٩٣٠ و ١٩٣١. حيث أورد هنالك أخبار ست مناظرات جرت بين الهمذاني والخوارزمي، وبين الكسائي وسيبويه، وبين المتنبي وأبي فراس، وبين المتنبي وابن خالويه، وبين المتنبي والحاتمي، وبين المعري وداعي الدعاة. ونظن أن هذه المناظرات جمعت في كتاب قائم بنفسه

(١) وفيات الأعيان (١ : ٤٧٥)

(٢) جاء في « مختار الأغاني في الأخبار والتهاني » لابن منظور (١ : ٢) قول الصاحب: « ولقد اشتملت خزانتي على مائة ألف وسبعة عشر ألف مجلد ... » وهي رواية تختلف عن التي أوردناها. ولعل هذه الرواية أقرب إلى الحق وإن كان يرى فيها أيضاً مبالغة

(٣) معجم الأدباء (٥ : ١٥٠ مرجليوث)

(٤) مختار الأغاني (١ : ٣)

الثالثة للهجرة ، ولعله تعداها فعاش بعض السنين من المائة الرابعة

أما أبو الفرج الأصفهاني ، فقد وُلِدَ سنة ٢٨٤ ومات سنة ٣٥٦ للهجرة . فهل يكون قد أدرك فى أوائل شبابه شيخوخة ابن خرداذبه ؟ وهل يكون قد حصل بينه وبينه تنافر وتباغض أدّى بأبى الفرج إلى أن يقف موقفه المريب بإزاء زميله على ما سنوضحه ؟

فإذا طالعت كتاب « الأغانى » لأبى الفرج ، ألفيته يذكر ابن خرداذبة فى مواطن عديدة منه ، ويستشهد بأقواله ولكنه لا يذكره إلا ليثلبه ، ويحط من قدره ، ويجرده من كل حسنة سواء أكان لذلك كله موجب أم لم يكن ! وهو لا يروى قولاً من أقواله إلا ليردّ عليه ويضعّفه ويتعمد تزييفه ! فهو على ما يبدو ظاهر التحامل . على أننا لا ندرى ما مبلغ الصحة فى ما حكاه عن ابن خرداذبة . ولا الدواعى الحقيقية التى حملته على أن يشدّد النكير على صاحبه ، لأن مؤلفات ابن خرداذبة التى ندد بها وانتقد أقوالاً منها قد ضاعت بأجمعها ! ولهذا ، نرانا فى هذه الخصومة سنصغى — على الرغم منّا — إلى شهادة جانب واحد ! وللتاريخ أن يحكم على صحة هذه الشهادة ، ولعل الأيام تكشف لنا مصنفات ابن خرداذبة ، فنعود نستمع إلى أقوالها ، وقد ينجلى الأمر إذ ذاك وتتضح الحقيقة !

وإليك أقوال أبى الفرج فى خصمه ، استخلصناها من أماكن مختلفة من كتاب الأغانى :

قال فى (٥ : ٣ من طبعة الساسى ، أو ٥ : ١٥٦ من طبعة دار الكتب المصريه)[1] ما هذا بحرفه :

« وذكر ابن خرداذبة ، وهو قليل التحصيل لما يقوله ويضمنه كتبه ، أن سبب نسبته (أى نسبة إبراهيم الموصلى) إلى الموصل ، أنه كان إذا سكر كثيراً ما يغنى على سبيل الولَع :

أناجت من طرق مَوْصل   أحمل قلـــل خَمْرِيَا
من شارب الملوك فلا   بُدَّ مِن سُكْرِيَا

وما سمعت بهذه الحكاية إلا عنه ؛ وإنما ذكرتها على غثاثتها لشهرتها عند الناس ، وأنها عندهم كالصحيح من الرواية فى نسبة إبراهيم إلى الموصل ، فذكرته دالاً على عواره » اهـ .

وقال فى (١ : ١٨ س ، أو ١ : ٣٦ د) :

« وذكر ابن خرداذبة أنه (الكلام على معبد المغنى) غنّى فى أول دولة بنى أمية وأدرك دولة بنى العباس وقد أصابه الفالج وارتعش وبطل ، فكان إذا غنى يُضحك منه ويُهزأ به . وابن خرداذبة قليل التصحيح لما يرويه ويضمنه كتبه . والصحيح أن معبداً مات فى أيام الوليد بن يزيد بدمشق وهو عنده . وقد قيل : إنه أصابه الفالج قبل موته وارتعش وبطل صوته . فأما إدراكه دولة بنى العباس فلم يروه أحد سوى ابن خرداذبة ، ولا قاله ولا رواه عن أحد وإنما جاء به مجازفة » اهـ .

ونظير ذلك قوله فى (٦ : ١٥ س ، أو ٦ : ١٧٣ د) :

« وذكر ابن خرداذبة ، أنه [يقصد يحيى المكيّ] مولى خُزاعة . وليس قوله مما يُحصل ، لأنه لا يعتمد فيه على رواية ولا دراية » ! ومثله قوله (١٣ : ١٥٤ س) :

« ويزعم ابن خرداذبه ، أن الصنعة فيه [فى بيتين من الشعر أوردهما الأصفهانى] ليزيد[1] وليس كما ذكر ، وإنما أراد أن يوالى بين الخلفاء فى الصنعة ، فذكره على غير تحصيل ، والصحيح ، أنه لمعبد ... »

وشبيه به ما رواه فى (١٠ : ١١٥ س) :

« وذكر ابن خرداذبه ، وهو ممن لا يحصل قوله ولا يعتمد عليه ، أنه [أى عَلَّويه المغنى] من أهل يثرب ، مولى بنى أمية »

أو ما قاله فى (٨ : ١٥٦ س ، أو ٩ : ٢٧٦ د) :

« وممن دونت صنعته من خلفاء بنى العباس ، الواثق بالله ، ولم نعلمه حُكى ذلك عن أحد منهم قبله ، إلا ما قدمنا سوء العهدة فيه عن ابن خرداذبه ، فإنه حكى أن للسفاح والمنصور وسائرهم غناء ، وأتى فيها بأشياء غثة ، لا يحسن لمحصل ذكرها » !

ومما يتصل بها المعنى ، ما حكاه أبو الفرج فى (٨ : ١٤٤ س أو ٩ : ٢٥٠ د) :

« قال مؤلف هذا الكتاب : المنسوب إلى الخلفاء من الأغانى والملصق بهم منها ، لا أصل لجله ولا حقيقة لأكثره ، لا سيما

---

(١) نرمز إلى طبعة الساسى بحرف (س) وإلى طبعة دار الكتب بحرف (د)

(١) هو يزيد الثانى ابن عبد الملك الأموى ، كانت خلافته من سنة ١٠١ إلى ١٠٥ هـ

ما حكاه ابن خرداذبة ، فإنه بدأ بعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فذكر أنه تغنى فى هذا البيت :

كأنَّ راكبها غصنٌ بمَرْوَحَة

ثم والى بين جماعة من الخلفاء واحداً بعد واحد ، حتى كأن ذلك عنده ميراث من مواريث الخلافة أو ركن من أركان الإمامة لا بدَّ منه ولا معدلَ عنه ، يخبط (يعنى ابن خرداذبة) خبطَ العشواء ويجمع جمع حاطب الليل ... ! »

أو ما سطره فى (١٣ : ١١٠ س) :

« وذكر ابن خرداذبة ، أن المهدى اشتراها (اشترى الجارية بصبص) وهو ولى العهد ، سراً من أبيه ، بسبعة عشر ألف دينار ، فولدت منه عُلَيَّة بنت المهدى . وذكر غير ابن خرداذبة ، أنه غلط في هذا ، وإن الذى صح ، أن المهدى اشترى بهذه الجملة جارية غيرها وولدت عُلَيَّة ... »

***

فهذه ، على ما رأيتَ ، آراء صريحة ، طعن فيها أبو الفرج بصاحبه ، وضعَّف مرويّاته . وليس بوسعنا أن نبدى فيها رأياً للسبب الذى قدمناه فى محل آخر من هذا المقال . ونضيف الآن إلى ذلك ، أن عشرات الكتب فى الغناء والمنادمة والشراب وما اتصل بهذه الموضوعات من قريب أو بعيد ، مما صنفه أقدم الكتبة كاسحق الموصلى ، ويحيى بن أبى منصور الموصلى ، وعبد الله بن هارون ، ويونس الكاتب ، وعمر بن بانة ، وحسن ابن موسى النصيبى ، وأبى حشيشة الطنبورى ، وجحظة ، وأبى أيوب المدينى ، وغيرهم ، كل تلك الأسفار قد ضاعت وامّحى أثرها ، ولم يبق لنا منها سوى أسمائها الجليلة التى حفظها لنا ابن النديم وغيره فى تصانيفهم

هذا ، وقد ذكر أبو الفرج زميله فى أماكن أخرى من أغانيه ، ونقل عنه أخباراً ومرويات لا فائدة من إيرادها هنا . غير أنه فى بعض نقوله كان يمر به دون ما تجريح ، ذلك إذا راعى جانب الهدوء والاعتدال فى القول ، وإلا ، فلا أقل من أن يتوّج ما ينقله عنه بعبارة « وزعم ابن خرداذبه »[1] ، ولا يخفى على اللبيب ، ما تنطوى عليه لفظة « زعم » !

(١) كما فى (٦ : ١٦١، ٣ و ٨ : ٢٢ س د) من الأغانى .

فهل كان أبو الفرج فى مواقفه النقدية يتعمد الإساءة إلى أقرانه ومعاصريه ممن ألف فى موضوع الأغانى وما إليها ؟ أم إنه كان على حق فيما فند وزيّف ، وقد وقفنا على رأى له فى كتاب من هذا القبيل ، ننقله إلى القارئ ، لما فيه من مغزى أدبى ، قال :

« وذكره جحظة [الكلام هنا على أحمد النَّصِيبى المغنى الطنبورى] فى كتاب الطنبوريين ، فأتى من ذكره بشىء ليس من جنس أخباره ولا زمانه ، وثلبه فيما ذكره ، وكان مذهبُه — عفا الله عنا وعنه — فى هذا الكتاب ، أن يَثْلِبَ جميع من ذكره من أهل صناعته بأقبح ما قَدَرَ عليه ، وكان يجب عليه ضد هذا ، لأن من انتسب إلى صناعة ، ثم ذكر متقدمى أهلها ، كان الأجمل به أن يذكر محاسن أخبارهم وظريف قصصهم ومليح ما عرفه منهم ، لا أن يثلبهم بما لا يعلم وما يعلم . فكان فيما قرأت عليه من هذا الكتاب أخبار أحمد النصبى ، وبه صدّر كتابه فقال :[1]

وحسب القارئ أن يسأل لماذا حمل أبو الفرج على جحظة فى موقفه من أحمد النَّصبى ؛ وندد به لأنه ثلب مَن تقدمه ، وهو نفسه لم يطبق هذا المبدأ فى موقفه من ابن خرداذبة على ما مر بنا

٧ — ختام البحث

رأى القارئ فى تضاعيف هذا المقال أن ابن خرداذبة كان إلى جانب مركزه الاجتماعى مؤلفاً فى ميادين الكتابة المختلفة ، فقد صنف فى التاريخ والبلدان والأنواء والأنساب والموسيقى والمنادمة والشراب وغير ذلك . . . وأن الكتبة انقسموا بشأنه فريقين : له وعليه . فأفراد الفريق الأول وعلى رأسهم المسعودى مدحوه ، وقرظوا كتبه ؛ والفريق الثانى ، وعلى رأسهم الأصفهانى حملوا عليه حملة شعواء فأوسعوه نقداً وتجريحاً

ومن العسير علينا أن نبدى رأياً أو نقول قولاً فى هذا الموقف الذى ينقض أوله آخره ، ونحن فى وقت نتلمس فيه تآليف ابن خرداذبة التى دارت عليها رحى الخصومة ، فلا نجد منها شيئاً ما ، كما أننا لا نجد أغلب الكتب التى تناظرها فى البحث لنتحقق صحة ما قيل فيها ، وقد يتاح حينذاك الحكم لها أو عليها !

(بغداد) كوركيس عواد

(١) الأغانى (٥ : ١٠٣ س ، أو ٦ : ٦٣ د)

الهـــــند . . .

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

هى الدرة اليتيمة فى التاج البريطانى ! من أجلها حقدت الدول على بريطانيا ، وبسببها تحملت انجلترا الكثير من الشدائد ونزلت بساحتها الكوارث . إليها رنت أبصار الفرنسيين ، وهفت قلوب الألمان، وداعب طيفها اليابان . وها هى ذى اليوم تستعد للهجوم، وتتحفز للوثوب على الهند .

لقد داعب نابليون طيف الهند ! اشتد العداء بين فرنسا وانجلترا ، ورأى نابليون أن خير طريق لقهر انجلترا هو غزوها فى بلادها « وإرغامها على إملاء شروط الصلح فى لندن » !

حينذاك يسجد العالم أمام نابليون ، وتحت أقدام فرنسا والفرنسيين ! ولكن دراسة هذا المشروع ردت نابليون إلى صوابه فعلم أن غزو انجلترا ضرب من الأوهام والأحلام . إذن أين يوجه الطعنة القاتلة إلى بريطانيا ؟ هداه تفكيره إلى أن خير طريق للوصول إلى هذه الغاية إنما يكون بالاستيلاء على مستعمراتها وبخاصة الهند ، وكيف يكون ذلك ؟ إن ذلك يمكن أن يتحقق إذا تمكن من غزو مصر ، فمن مصر يمكن السير براً إلى الهند . ألم يفعل ذلك الاسكندر المقدونى أكبر قواد العصور القديمة ؟ لم لا يفعل نابليون بونابرت أكبر قواد العصور الحديثة ؟ وعبارة نابليون « لضرب انجلترا يجب أن نكون سادة مصر » مشهورة معروفة ، وفى نفس المعنى قال تاليران : « عن طريق مصر نصل إلى الهند » . وتنفيذاً لهذه الخطة قدم نابليون بحملته المشهورة إلى مصر فى أول يوليو سنة ١٧٩٨ ، وبقى بها سنة وبضعة أشهر ، ورأى بعينى رأسه آماله تنهار ومشروعه يفشل ، وتحت جنح الليل البهيم غادر مصر فى ٢٢ أغسطس سنة ١٧٩٩ وبعد قليل لحق به جيشه ؛ وهكذا فشلت الحملة ولم يستطع نابليون الوصول إلى الهند .

ومن أجل الهند وحرصاً عليها خرجت بريطانيا على صداقتها التقليدية للروسيا وناصبتها العداء طوال القرن التاسع عشر لأنها رأت فى مطامع روسيا وفى توسعها فى آسيا خطراً على الهند ، ولكن الخطر الألمانى وحد بين صفوف البريطانيين والفرنسيين والروسيين . ومن أجل الهند والمستعمرات البريطانية الأخرى ناصبت ألمانيا انجلترا العداء . وقد فزعت انجلترا من تقدم الألمان نحو القوقاز فى الصيف الماضى وسارعت إلى احتلال إيران ، وكل ذلك لتأمين الهند .

والهند تجذب أنظار العالم اليوم لعاملين :

١ — اقتراب الخطر اليابانى منها .

٢ — ذهاب السير سترافورد كريبس إليها لحل مشاكلها المتعددة ووضع نظام جديد لحكمها .

مشاكل الهند

ليس هناك دولة فى العالم تحاكى الهند من حيث كثرة مشاكلها وتعددها وصعوبة حلها ، فهى من ناحية من أغنى بلاد العالم ، ومن ناحية أخرى من أكثر جهاته ازدحاماً بالسكان . ومع هذا فإن حكمها ليس بالأمر اليسير الهين ، وذلك لتباين دياناتها واختلاف عناصرها وكثرة لغات أبنائها وكراهية طوائفها بعضها لبعض كراهية شديدة

يبلغ عدد سكان الهند ٣٢٠ مليون نسمة ، ومساحتها مليوناً ونصف مليون ميلاً مربعاً ، أو قدر نصف مساحة أوربا . على أن بريطانيا لا تهتم بالهند حباً فى حكمها ، ولكن لأنها سوق عظيمة لمصنوعاتها ومورد هام للمواد الخام . وقد كانت صادرات بريطانيا إلى الهند فى كثير من السنين أعظم من صادراتها إلى أى دولة أخرى . وقد بدأت الهند تدخل فى الدور الصناعى وقد جاء هذا الدور على يد البريطانيين وتحت إشرافهم

ومشكلة الهند أمام انجلترا تنحصر فى أمرين : الإشراف على سكانها البالغ عددهم ٣٢٠ مليوناً ، وترقية التجارة البريطانية مع الاحتفاظ بالسلام . وليس من السهل حكم دولة معقدة كالهند

ذلك لأن التباين بين سكانها عظيم بدرجة يستحيل معها تحقيق أي وحدة حقيقية بين أجزائها ، فلكل إقليم من أقاليمها ولكل دين من أديانها وطائفة من طوائفها أفكارها ومعتقداتها ، ويتكلم سكانها ١٧٠ لغة ، وتنقسم إلى ٢٤٠٠ طائفة . ومن أبنائها ٢١٧ مليوناً من الهندوكيين و٦٠ مليوناً من المنبوذين ، وهؤلاء هم أحط سكانها ، وهم محرومون من الحقوق المدنية ؛ والبراهمة وعددهم ١٤ مليوناً ، والمسلمون وعددهم ٦٦ مليوناً

وبالهند سبعمائة مقاطعة تحقد الواحدة منها على الأخرى وتملك خمسي أرضها ؛ وعدد سكانها ٧٥ مليوناً ، وأكبر مقاطعاتها حيدر أباد وسكانها ١٣٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة . وبعض هذه الولايات قديمة التاريخ ، وبعضها حديثته

على أن البريطانيين حين قدموا الهند عقدوا معاهدات مع كثير منها وضمنوا لها استقلالها الذاتي وأقروا حكامها ، وقد احترمت هذه المعاهدات حتى الوقت الحاضر . وهؤلاء الحكام ليسوا مستقلين ولكن يخضعون لجلالة ملك بريطانيا وإمبراطور الهند ولنائبه الحاكم العام

والهند ما تزال أمة زراعية وأهم محصولاتها القمح والقطن ، وتعتمد الزراعة في كثير من جهاتها على الري ومعظم أمطارها موسمية ؛ وهي في البنغال وأسام وبرما فقط تكفي للزراعة . أما في باقي الأجزاء فتختلف الأمطار من عام لعام مما عرض الهند لكثير من المجاعات التي كانت تقضي على الملايين من أبنائها . وقد خفف التقدم الحديث في وسائل النقل من وطأة هذه المجاعات . وتعنى حكومة الهند الآن بمشروعات الري وبواسطتها استطاعت أن تزرع ٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ فداناً

ويتزايد عدد سكان الهند عاما بعد عام (٥٠ مليوناً في السنين الأخيرة) ولكن عدد المهاجرين من أبنائها ما زال قليلاً ، ولذلك يتعذر على الكثير من أبنائها الحصول على طعامهم ، ويضطر الكثيرون منهم إلى الاستدانة على المحصول الجديد قبل نضجه

موقف بريطانيا

ليست مشاكل الهند الاجتماعية والاقتصادية من خلق بريطانيا ومع هذا يلقي الهنود تبعتها دائماً على بريطانيا ويطلبون منها حلها واشتراك أبنائها في حكم بلادهم . وقد منحت بريطانيا الهنود كثيراً من السلطة الإدارية المحلية عقب الحرب الماضية إرضاء لهم ، فتركت لثمان من ولاياتها الكبيرة شئونهم الداخلية الخاصة بالتعليم والزراعة والصناعة والصحة والأعمال العامة ، وعينت كثيرين من أبنائها حكاماً لولاياتهم ، وأشركتهم في المجالس التشريعية ، وأنشأت مجلساً للدولة يرأسه الحاكم العام وعدد أعضائه ستون : منهم ١٦ من الهندوكيين و ١١ من المسلمين و ٣ من السيخ و ٣ من الأوربيين والباقي من موظفي حكومة الهند البريطانيين ، وجمعية تشريعية يرأسها كذلك الحاكم العام وعدد أعضائها ١٤٠ منهم ١٠٠ منتخبين ، ولكن حرمت هذه الجمعيات من بعض الحقوق الهامة فلا تسري قراراتها المتعلقة بالدين العام وبقوات الدفاع وبالسياسة الخارجية بدون موافقة الحاكم العام

وقد شعر كثير من الهنود أن الحقوق التي نقلت إليهم قليلة الأهمية وبذلك طلبوا من بريطانيا أن تمنحهم الحكم الذاتي وغلا بعضهم فطلب الاستقلال . على أن أي حل لا يرضي مختلف الطوائف سيكون نصيبه الفشل . ويجب أن تنتبه بريطانيا إلى مطالب المسلمين بصفة خاصة وذلك بالنسبة لعظيم عددهم وشدة تمسكهم بمطالبهم .

وقد طار إلى الهند أخيراً السير « ستراففورد كريبس » ليحاول حل القضية الهندية « وإن ذهابه إليها دليل على أن حكومة بريطانيا وشعبها يعلمان بأن مطالبة الهند بأن تكون أمة قائمة على حق » . ونحن نتمنى له التوفيق في مهمته

أبو الفتوح عطيفة

ميدان الأوبرا — مصر

دار الكتب الأهلية

تليفون ٤٩٥٦١

تعنى دار الكتب الأهلية عناية خاصة باصدار أحدث المؤلفات لكبار الكتاب ، وإليك بعض محتوياتها :

قرش	الكتاب	المؤلف
٢٢	على هامش السيرة (جزآن)	للدكتور طه حسين
٢٠	الأيام (جزآن)	« « «
١٦	مستقبل الثقافة في مصر (جزآن)	« « «
١٥	تجديد ذكرى أبي العلاء	« « «
١٢	دعاء الكروان	« « «
١٢	من الأدب التمثيلي اليوناني	« « «
١٠	أديب	« « «
١٠	مع أبي العلاء في سجنه	« « «
٢٠	مسرحيات توفيق الحكيم (جزآن)	للأستاذ توفيق الحكيم
١٥	عصفور من الشرق	« « «
١٥	تحت شمس الفكر	« « «
١٥	تحت المصباح الأخضر	« « «
١٥	من البرج العاجي	« « «
١٠	سلطان الظلام	« « «
٢٠	سعد زغلول	« عباس محمود العقاد
١٢	هتلر في الميزان	« « « «
١٠	رجعة أبي العلاء	« « « «
١٠	سارة	« « « «
٥	هدية الكروان	« « « «
٣٠	رسالة الغفران للمعري (جزآن)	شرح الأستاذ كامل كيلاني
٥	صور جديدة من الأدب العربي	للأستاذ كامل كيلاني
٨	سوء تفاهم	للدكتور بشر فارس
٧	زوبعة تحت جمجمة	للأستاذ محمود كامل المحامي
٥	حياة الظلام	« « « «
٨	نداء المجهول	« محمود تيمور
١٠	سياسة الغد	« ميريت بطرس غالي
١٠	في كتاب القرية	للأستاذ محمد عبد الجواد
١٢	تبسيط اللاسلكي	« عبد الرحمن البرقوقي
٧	المهندس الصغير	« « «
٣	قصص علماء الطبيعة	« « «
١٥	الصناعات الكيميائية في مصر	« حسن عبد السلام
١٥	حبك الصوف	للأستاذة هناء مغيث
٢٥	الحملة الفرنسية وظهور محمد علي	« محمد فؤاد شكري
٥	المفضليات الخمس	شرح عبد السلام هارون
١٠	روح الاشتراكية	لغوستاف لوبون
١٠	روح السياسة	« «
٨	روح الثورات	« «
٨	الآراء والمعتقدات	« «
١٢	رحلات	للأستاذ عبد الوهاب عزام
١٢	مشاهدات سائح في دول الشمال	لجميل خانكي
٥	المحاماة قديماً وحديثاً	« «
٦	معراج البيان	للأستاذ علام سلامه
١٠	مراجعات في الأدب والفنون	« العقاد

قرش	الكتاب	المؤلف
١٠	صور إسلامية (جزآن)	للأستاذ المشهدي
١٥	أناتول فرانس في مباذله	للأمير شكيب أرسلان
٧	اليوم والغد	للأستاذ سلامه موسى
١٥	الوراثة وتحسين النسل	« حسين الابياري
١٠	التعاون	« أحمد لاشين
١٠	أزهار الرياض في أخبار عياض	
١٠	الادارة الاسلامية في عز العرب	« محمد كرد علي
١٥	اشبنجلر	« عبد الرحمن بدوي
١٠	نيتشه	« عبد الرحمن بدوي
١٥	هتلر يتكلم أو هتلر قال لي	
١٠	قضية الفلاح	للآنسة ابنة الشاطئ
١٠	الريف المصري	« « «
٧	علم الاجتماع	للأستاذ مصطفى فهمي
٣٠	علم الاجتماع (جزآن)	لنقولا حداد
١٤	القاموس السياسي	للأستاذ أحمد عطية الله
٢٠	الحاكم بأمر الله	« محمد عبد الله عنان
١٥	فلسفة اللذة والألم	« إسماعيل مظهر
١٥	في الطريق	« المازني
٢٥	النظم الاسلامية	للدكتور حسن ابراهيم
٢٠	التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية	للأستاذ عبد الرحمن بدوي
٢٠	علم الاقتصاد (٥ أجزاء) ٩٢٠ صفحة	
١٠	هكذا أغني	« محمود حسن اسماعيل
١٥	الملاح التائه	« علي محمود طه
١٢	ليالي الملاح التائه	« « « «
١٠	أرواح شاردة	« « « «
٢٥	ديوان حافظ (جزآن) طبع الوزارة	
٢	صدحات عصفور	« مصطفى عبد الحميد
٨	ألحان العندليب	« إبرهيم طلعت
١٠	حكايات من الهند	« عبده حسن الزيات
٤	قصة الملك هنري الثامن	« عبد الرحمن فهمي
٢	اتجاهات العصر الجديد	« المنجوري
٥	رسائل الوطواط (جزآن) أدب . اجتماع	
٥	فن القراءة والالقاء والكلام	للدمياطي بك
٣	أثر القرآن في تحرير الفكر البشري	لعبد العزيز جاويش
٣	بولين أو غادة ليون	لأبي بكر المنفلوطي
٥	فندق الدانوب	للأستاذ محمود البدوي
٢	الرحيل	« « «
٢	رجل	« « «
٢	الصدى الحزين	« شفيق سكر
٢	سنتان في السودان	« إبراهيم صالح
١٥	الأسماء والصفات	للبيهقي
٤	رد الامام الدرامي على بشر العنيد	
٢	السعادة الزوجية	وضع زوجة
١٢	النهضة الأوربية	للأستاذ محمد بدران

يضاف ٢٠ ٪ مصاريف ارسال — المراسلات باسم مديرها « رشدي خليل »

دفين « لا كرُونيه »

للشاعر الأيرلندي تشارلز وولف

بقلم الأستاذ محمود عزت عرفه

[لا كرونيه ميناء على الساحل الشمالى الغربى من أسبانيا ، ودفينها هو السير « جون مور » أحد كبار قواد الانجليز فى حرب شبه الجزيرة . وكان قد التقى بالفرنسيين عند هذا الموقع وهو يحاول الارتداد إلى الساحل يوم ١٦ يناير ١٨٠٩م فانتصر عليهم وأوقف زحفهم . . . ولكنه أصيب بقذيفة من مدفع ، ومات متأثراً منها فى مساء اليوم نفسه . وقد احتفل الانجليز بتشييعه — فى منتصف الليل — احتفالا صامتاً مؤثراً ، ودفن تحت أسوار مدينة لا كرونيه . . .

أما تشارلز وولف صاحب هذه القصيدة فهو شاعر أرلندى عاش بين عامى ١٧٩١ و ١٨٢٣ م . ولم يعثر من شعره إلا على مقطوعات قليلة ؛ أهمها وأجودها جميعاً هذه القطعة التى كفلت — وحدها — لاسمه الشهرة والخلود]

مضينا بجثمانه إلى القبر حثيثاً ؛ فما دوّى لطبلٍ صوت ، ولا ارتفع لترنيمةٍ صدى . . .

وأودعناه مقرَّه الأبدى فى سكينة وهدوء لم يعكرهما جندىٌّ بقذوف تحية ، أو طلقة وداع .

كان ذلك والليل مظلم الرقعة حالك الجلباب ؛ فما أضاءتْ لنا فيه إلا خيوط من شعاع القمر واهية ، وإلا أقباسٌ متضائلة من مصباحنا الخافت . . .

وقد أضجعناه بثوبه العسكرى الذى مات فيه ، فبدا كجندى يستجمّ بعد طول جهاد ؛ ولم نُرِدْ أن نوشح صدره أو نلفّ جثمانه فى هذه الأسمال البالية التى يسمونها الأكفان . . .

كانت صلاتنا عليه قصيرة ومقتضبة ، ورتّلناها فى تأثر وإيمان ؛ أما كلمات الحسرة والألم المألوفةُ فى مثل هذا المقام ، فما فُهْنا منها بكلمة ! !

لقد تعلقت أعيننا فى سكون بهذا الوجهِ الشاحب ؛ بينا اتجهت بنا الأفكار إلى الغد المجهول فى مرارة وأسى .

كنا نفكر — ونحن نشق له لحده الضيق ونمهد له وساداً من التراب — فى العدوّ الذى سيطأ هذا الرفات الطاهرَ بقدميه ؛ والأجنبيِّ الذى سيمرّ فوقه ثانىَ عِطفِه . . . بعد أن نصبح نحن بمنأى عنه فوق أثباج هذا الخضم الجائش !

. . . سيتحدثون باستخفافٍ عن روحه الكريمة التى صعدت إلى بارئها ؛ وفوق رفاته الهامد سينبزونه بكلمات ملؤها السخرية والإقذاع ؛ ولكن عبثاً يحاولون تحريكه أو إقلاق سُباته فى هذا المضجع الذى سوّته له أيدينا بعناية ورفق .

فكَّرنا فى كل هذا . . . ثم أقبلنا نواصل العمل فى مهمتنا الشاقة المؤلمة ، حتى دقّ فجأة ناقوس الخطر مؤذناً بالانسحاب ؛ وسمعنا دوى المدافع التى راح العدوّ يصب قذائفها من مدىً شاسع . . . وعلى غير هدى . فأضجعناه فى أناةٍ وحَزَن ؛ ثم انصرفنا وقد أخلينا منه ساحةَ مجده التى مازالت بدمه مخضوبة . . .

لم نخُطَّ على قبره حرفاً ؛ ولم نُقِم فوقه تذكاراً أو نرفعْ نصباً ؛ بل خلفناه فى مضجعه فريداً مستوحشاً . . . وهيهات أن ينفرد أو يستوحش من كان له المجد جليساً ، والخلود صاحباً وأنيساً !

(جرجا) محمود عزت عرفه

المنصورة ...

للدكتور إبراهيم ناجى

بِأَىِّ مُعْجِزَةٍ فى الحُبِّ نَتَّفِقُ ؟

يا قَلْبُ لاَ يَتلاَقَى الفَجْرُ وَالغَسَقُ !

يا قَلْبُ إنَّا لَقِينَا اليَوْمَ جَوْهَرَةً

تَـكادُ فى ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ تَأْتَلِقُ

ظَلِلْتُ أَسْأَلُ نَفْسِى كَيْفَ تَعْشَقُهَا

بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا العُمْرِ تَحْتَرِقُ ؟!

وَا فَيْنَهَا وَفُلُولُ النُّورِ دَامِيَةٌ تَطْفُو وَتَرْسُبُ أَوْ تَعْلُو فَتَعْتَلِقُ

لمْ أَدرِ حِينَ تَبدَّتْ لِى إِذَا شَفَقِى

أَبْصَرْتُهُ أَمْ عَلَى المَنْصُورَةِ الشَّفَقُ

يا مَنْ مَنَحْتِ الأَمَانِى البِيضَ مَعْذِرَةً

إِنِّى بِهٰذِى الأَمَانِى البِيضِ أَخْتَنِقُ

أَيْنَ الهُدُوءُ المُرَجَّى في جَوَانِبِهَا ؟

إِنِّى رَجَعْتُ وَلَيْلِي كُلُّهُ أَرَقُ

أَقْبَلْتُ أَنْشُدُ أَمْنًا في هَوَاكِ بِهَا

فَلَمْ أَنَلْ وَتَوَلَّى قَلْبِيَ الفَرَقُ

لاَ بِالقُلُوبِ وَلاَ الأَرْوَاحِ يا أَمَلِي

إِنَّا بِشَىْءٍ وَرَاءَ الرُّوحِ نَعْتَنِقُ

وَيحِى عَلَى كَفِّكِ البَيْضَاءِ إِذْ بُسِطَتْ

عِنْدَ السَّلاَمِ وَوَيحِى حِينَ تَنْطَبِقُ

هَلْ يَسْمَعُ النِّيلُ إِذْ سِرْنَا بِجَانِبِهِ

وَالمَوْجُ مُجْتَمِعٌ فِيهِ وَمُفْتَرِقُ

صَوْتًا تَمَاوَجَ فى رُوحِى فَجَاوَبَهُ

مِنْ جَانِبِ القَلْبِ مَوْجٌ رَاحَ يَصْطَفِقُ

تَظَلُّ تَهْبُ أُذْنِى مِنْ أَطَايِبِهِ كَأَنَّهَا مِنْ خَفَايَا الغَيْبِ تَسْتَرِقُ

يا جَنَّةً مِنْ جِنَانِ اللهِ أَعْبُدُهَا لَنْ تَبْعُدِى وَلَدَىَّ السِّحْرُ وَالعَبَقُ

ناجى

الشعاع الغــــريب !

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

وَمَا أَنَا إِلاَّ شُعَاعٌ غَرِيبٌ تَأَلَّقَ بَيْنَ جُفُونِ الضَّبَابْ

لَهُ نَفْثَةٌ مِنْ وَرَاءِ السَّدِيمِ

تُثِيرُ عَلَى الأَرْضِ حُزْنَ التُّرَابْ

لَهُ نَشْوَةٌ فى الأَسَى وَالعَذَابِ أَمَا أَىُّ خَمْرٍ بِهٰذَا العَذَابْ !

تَوَهَّجَ حَتَّى بَكَاهُ الرَّمَادُ وَأَغْفَى فَجُنَّ عَلَيْهِ السَّحَابْ

يَلُومُونَ فِيهِ اشْتِعَالَ الضِّيَاءِ

وَهَلْ يَمْلِكُ النَّارَ قَلْبُ الشِّهَابْ

تَطَلَّعَ إِشْرَاقُهُ لِلسَّمَاءِ فَأَوْشَكَ أَنْ يَنْسِفَ الحِجَابْ

وَخَانَتْهُ إِيمَاءَةٌ لِلثَّرَى فَلَمْ يَلْقَ إِلاَّ الدُّجَى وَالخَرَابْ

فَظَلَّ عَلَى نَارِهِ وَالهَا يُدَمْدِمُ كَالمَوْجِ بَيْنَ العُبَابْ

حَزِينٌ وَتَضْحَكُ آهَاتُهُ شَقِىٌّ وَيُغْرِيهِ سِحْرُ الشَّبَابْ

يَعِيشُ عَلَى الوَهْمِ فى عَالَمٍ يُجَسِّدُ لِلطِّينِ وَهْمَ السَّرَابْ !

***

أَلَيْلاَى مَاتَ بِقَلْبِي الرَّجَاءُ

وَأَبْلَتْ حَيَاتِى الأَمَانِى الكِذَابْ

وَتُهْتُ فَلَمْ أَدْرِ أَنَّى التَفَتُّ إِلَى أَىِّ أُفْقٍ أَسُوقُ العِتَابْ !

محمود حسن اسماعيل

حكم فى القضية ن ١٢٥٠ عسكرية سنة ٩٤١ ضد مبروكة ابرهيم عبده بغرامة ٢ جنيه والنشر بتاريخ ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٤١ وذلك لبيعها قمحاً بسعر أكثر من المحدد .



شعر لولي الدين يكن لم ينشر

تربطني بأسرة فقيد الشعر والأدب ولي الدين يكن أواصر مودة وصداقة أثناء إقامتي الطويلة بحلوان معقل اليكنيين في العهد الغابر ، وقد كتبتُ في الرسالة سنة ١٩٣٨ عن نجله الشاعر المبدع فولاد يكن الذي لاقت أشعاره الفرنسية إعجاب أدباء فرنسا

وقد آلت إليّ بعض مخطوطات الفقيد وفيها مقطوعات شعرية لم تنشر بديوانه نظمها وهو يعاني شدة الداء ، وكان يشكو من الربو ، وها هي القطع أنشرها خدمة للأدب :

— ١ —

عمرَ الشباب لقد مضيت محبَّبا ... وتركت لي عمراً سواك بغيضاً

أمحى وتثبتني الشقاوة كارها ... مثل الكتاب يكابد التبييضا

عُوِّدْتُ أمراضي وطول تألمي ... حتى كأني قد ولدتُ مريضاً

— ٢ —

ترى ماذا وراءك من عجيب ... إذا فُتِحتَ ياباب المنون

مظاهرك السكون ولكن(١) ... أما وُلد الحراك من السكون

قد استعصى الرتاج على عقول ... وقد سُدَّ الطريق على عيون

قصارانا الظنون فما أجزنا ... مُذِ الأعصارِ ساحات الظنون

وما في دولة الأرواح روح ... دنت من عرش سلطان اليقين

— ٣ —

تحيرتُ كم أهفو وكم تتجنبُ ... وكم أرتضي بالصد منها وتغضبُ

وكم أتلهى بالأمانيّ دونها ... وكم أدّعيها لي هوًى وتكذّب

فهل لي ذنب يصغر العفو عنده ... أما إنه إن لم يكن فسأذنب

علامَ أظل الدهر أحمل هجرها ... تنعّم أيام النوى وأعذبُ

تنام وأبقى ساهراً كل ليلة ... وترتاح من حمل الهموم وأتعب

وتزداد أنساً حين أزداد وحشة ... وتنضر في روض الشباب وأشحب

لئن تك آلت أن تديم تجنباً ... فإني سآلو أن يدوم التجنب

لما الخير ما يجزى بمثل ما(٢) ... رأيت ولكن سوء حظي المسبب

(١) و (٢) كذا في الأصل

— ٤ —

(للأعادين في إحدى نوبات جنونهم)

إن تندموا ليس يفيد الندم ... قد قضي الأمر وجف القلم

الله خلاّق الورى عادل ... فلا يلومن غيره من ظلم

يا أمة يقتلها جهلها ... جهلُك لا يُشبه جهل الأمم

كامل يوسف

سرقة أدبية

نشرت مجلة الثقافة في العدد (١٧٠) مقالاً بعنوان « عذاب الكاتب » للأديب محمود محمود ... ، وقد قرأته فوقفت عند كل معنى من معانيه موقف المُتشكك المُتحير ، إذ شعرت تواً بأني قرأت هذا الحوار منسوباً إلى غيره ، ثم ما لبثت أن أدركت أنه منقول بالنص من مسرحية « The seagull » للكاتب الروسي Anton Tchehov ، وقد تَرجم ترجمة حرفية مع حذف بعض الجمل التي يقتضيها سياق المسرحية من الترجمة الإنجليزية المنشورة في كتاب Three Plays by Anton Tchehov طبعة Penguin من صفحة ٨٣ إلى ٨٦ ، وليس للكاتب من المقال إلا بضعة أسطر قدم بها هذا الجزء المسروق وتحوير يسير في الخاتمة يحمل نفس المعنى الأصلي

صبحي محمد عبد الخالق

آثار من أولية الشعر

قرأت ما كتبه الأستاذ الفاضل عبد العظيم قناوي في العدد (٤٥٥) من مجلة « الرسالة » الغراء تعقيباً على مقالي (آثار من أولية الشعر في الشعر الجاهلي) فوجدته يرى أن اضطراب قصيدة عبيد في عصر بلغ فيه الشعر آية الجودة لا يتخذ دليلاً على سنة النشوء والارتقاء ؛ مع أن وجود هذه القصيدة في العصر الجاهلي كوجود الأعضاء الأثرية في الإنسان الآن ؛ فإذا كانت هذه الأعضاء تتخذ دليلاً على سنة النشوء والارتقاء في الإنسان مع بلوغه آية الجودة في الخلق ، فكيف لا تتخذ هذه القصيدة في الشعر الجاهلي دليلاً على سنة النشوء والارتقاء . ولا يمنع من ذلك بلوغه آية الجودة التي يذكرها الأستاذ ، وإن كان كثير من الباحثين يرى فيه كثيراً من النقص ، ويرى أن تقليد ذلك

النقص فيه هو السبب فى تأخر الشعر العربى الآن

وقد ذكر الأستاذ أن عبيداً لم يكن شاعراً بسليقته ، وأن اضطراب شعره يرجع إلى هذه الناحية فيه ، وهذا قد أشرت إليه فى مقالى حين جملته من الشعراء المتخلفين فى عصرهم ، وهم الذين يتشبثون بآثار الماضى ، ولا يجارون شعراء الطبيعة المجددين ولا يتأثرون بابتكارهم وتجديدهم

أما قياس قصيدة عبيد (أقفر من أهله ملحوب) على محاولات المبتدئين فى عصرنا فقياس غير ناهض ، لأن قصيدة عبيد معدودة من عيون الشعر العربى ، ولم يؤخذ عليها إلا اضطراب الوزن والقافية ، ولم يكن هذا إلا بعد أن استقر أمر الوزن فى الشعر ، وجرى على سنة مطردة لا يشذ أحد عنها . أما فى عصر عبيد فلم يؤخذ عليها شىء من ذلك ، بل كانت تعد فيه آية من آيات الشعر العربى ، وهذا يدل على أن مسألة الوزن لم يكن ينظر إليها فى هذا العصر كما نظر إليها بعد ، ولا يمكن تفسير ذلك إلا بقرب عهده من عصر كان الوزن لا يراعى فيه مراعاة دقيقة ، وكان الشعر فيه أشبه شىء بما نسميه الآن الشعر المنثور . ولعل الأستاذ قناوى يقتنع بعد هذا برأيى فى قصيدة عبيد

وقد ظهر رد آخر على رأيى فى قصيدة عبيد للأستاذ الفاضل محمود عزت عرفة فى العدد (٥٤٦) من مجلة الرسالة ، وهو ينظر إلى تلك القصيدة نظراً يختلف إلى حد بعيد عن الرد السابق ، فيبرئها من كل عيب ، ويرفع من شأن عبيد فى مغالاة ظاهرة ، مع أنى لم أطعن فى قصيدته إلا من جهة الوزن ، وهذا لا يحط قدرها من جهة اللفظ والمعنى ، وعيب الوزن فيها معروف لدى جمهور العلماء ، ولم يأت الأستاذ عرفة فى نقضه بشىء ، وقد ذكر أن بيت عبيد المختل الوزن صحته :

وقالوا هى الخمر تكنى الطلا   كما الذئب يكنى أبا جعده

ولكن هذه الرواية غير متفق عليها ، ومن الجائز ان تكون محاولة من بعض الرواة لتصحيح وزن البيت ، على أن الأستاذ عرفة يكاد يتفق معى فى أن قصيدة عبيد يجوز أن تكون على وزن أو أوزان هجرتها العرب فى أواخر جاهليتها

ومما ألاحظه على كلا الردين أنهما لم يتعرضا لرأيى فى الإقواء ونحوه من عيوب القافية ، والأمر عندى لا يقف فى هذه الآثار عند الحد الذى ذكرت ، بل يتعداه الى ما حذفه الخليل عند تدوين العروض من الأوزان الشاذة ، فلا شك عندى فى أن هذه الأوزان كانت تمثل كثيراً من أولية الشعر ، وأنها لو وصلت إلينا لعلمنا منها ما له قيمة كبيرة عن حال هذه الأولية المجهولة

عبد المتعال الصعيدى

النهضة الأدبية فى السودان

من أبرز الأشياء التى تبدو للناظر فى نهضة السودان الحديثة وتتمثل أمام رواده وزواره هو شيوع الروح الأدبى وازدياد النشاط الفكرى ، ففى كثير من مدنه وعواصمه عدد من الجمعيات الأدبية يعنى عناية خاصة بدراسة الأدب العربى ومسايرة النهضة الفكرية فى العالم العربى المتوثب ، وتتبع حركته الأدبية ، واستعراض الآراء القديمة والحديثة فيها ، ثم بحثها واستخلاص نتائجها . لذلك لم يمض موسم من مواسم الأعياد الدينية إلا وتقام أسواق الأدب فى رحاب الأندية التى لم تخل إحداها من جمعية أدبية حتى الأندية الرياضية بجانب كل منها جمعية آداب . وفى « أم درمان » العاصمة الوطنية وكبرى مدن السودان يتجلى النشاط الأدبى فى أروع معانيه وأسمى روحه . و «نادى الخريجين» وهو أكبر أنديتها مسرح لمنتقى الأقلام ومعرض لدراسات الآداب العربية ، وبه يقام المهرجان الأدبى السنوى العام تستعرض فيه صور من الإنتاج الأدبى فى خلال العام ، ويستخلص منه ما وصلت إليه العقلية السودانية من بحوث . وقد اشترك فيه بعض كبار الأدباء المصريين فى دورته الأخيرة منهم من اشترك بنفسه ومنهم من اشترك بقلمه ، فأدوا بذلك واجب مصر الأدبى نحو السودان، وما ثقافة السودان إلا قبس من الثقافة المصرية ، وما أدب السودان إلا صورة من الأدب المصرى .

يقتنص نادى الخريجين كل فرصة ليقيم فيها سوقاً أدبية ، والأعياد الدينية هى أهم المواسم لديه ، ففى عيد الأضحى يجتمع المؤتمر السودانى العام لبحث مختلف الشئون السودانية ؛ وفى مقدمة بحوثه الناحية الأدبية . وفى عيد الهجرة الاجتماع الأكبر لجمع أموال التعليم الأهلى وتوجيهاته ، وهو سوق عظيمة للأدب لما يقال فيه من شعر ونثر . وفى عيد الميلاد النبوى يقام

مهرجان كبير لهذه المناسبة يتبارى فيه الخطباء والشعراء بما تجود به قرائحهم وما يجيش فى صدورهم . وفى عيد الفطر يقام المهرجان الأدبى السنوى العام الذى تقدم ذكره وهو أشبه بسوق عكاظ . وقد كان منتظراً أن يحضره الأستاذ الزيات ، والدكتور زكى مبارك ، والدكتور عبد الوهاب عزام ، وفاء بما وعدوا به لجنة المهرجان فى دورته الأخيرة ، ولكن جدت ظروف خاصة حالت دون حضور هؤلاء الأعلام الذين لهم منزلة عظمى فى قلوب الشباب السودانى المثقف ، فلعل الفرص تسنح لهم ولغيرهم من الأدباء بحضوره

وتعتبر مجلة « الرسالة » من أكبر المصادر الموجهة للشباب السودانى فى الناحية الأدبية ، وهى واسعة الانتشار يقتنيها كل مثقف ، ولصاحبها مكان رفيع فى المجتمع السودانى وهو لا يدرك مقدار ما يحمله له الشباب السودانى من حب وولاء ، وما يحفظونه له من إجلال وإكبار ، إلا بعد أن يشرف السودان فيرى ويسمع ذلك نفسه

عبد الرحمن الصائم

أذاعوا به

كتب إلىّ الأديب محيي الدين مسلاتى من حلب ما يلى :

« جلست إلى المذياع أستمع حديثكم القيم من محطة القدس وقد استرعى انتباهى من ذلك قولكم : « وبلغتهم دعوة صاحب (الرسالة) — فأذاعو بهـا — وتناقلوها بينهم سراعاً ... » ؛ وإن ما أعلمه أن يقال : « أذاعوها » لا « أذاعوا بها » ؛ فهل لأستاذى الكريم أن يتفضل فيبين ما يستند إليه فى هذه الصيغة »

وجوابى : أنه ليس هنالك فيصل يحتكم إليه الناس فيما استغلق عليهم من أمر هذه اللغة أصدق من كتاب الله تعالى ، وفيه يقول :

(وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف « أذاعوا به »)

(شرق الأردن) **محمد سليم رشدان**

١ — تزوج منها خطأ

تكرر فى قصة « المقاقير المخدرة » : (العدد ٤٤٧) استعمال « تتزوج منه ، والزواج منه ، وأتزوج منك » وهو خطأ ؛ قال فى « المصباح المنير » : زوجت فلاناً امرأة — يتعدى بنفسه إلى اثنين — فتزوجها ؛ قال الأخفش : ويجوز زيادة الباء فيقال : « زوجته بامرأة » ؛ وقد نقلوا أن أزد شنوءة تعديه بالباء ؛ وقول الفقهاء : « زوجته منها لا وجه له » ؛ وفى نسخة من التهذيب : « زوجت المرأة الرجل » ؛ ولا يقال : « زوجتها منه »

٢ — نصب الراية

قال الأستاذ كوركيس عواد فى العدد (٤٥١) : « نصب الراية فى تخريج أحاديث الهداية للزيلعى — نشرته مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد الدكن فى الهنـد » . والناشر هو المجلس العلمى بداهيل فى الهنـد ، وطبع فى القاهرة فى ٤ مجلدات ، وفى صدره مقدمة ضافية للأستاذ الشيخ محمد زاهد الكوثرى

محمد أبو الإبهاء



الحـــــزن

قصة من القصص الشعبى لسكان جزيرة بورنيو

مترجمة عن الانجليزية

بقلم الأستاذ ابراهيم عبد الحميد زكى

عند ما أراد الروح الأعظم بفضله وكرمه أن يجعل الإنسان على الأرض، ويخلقه على صورته التف حوله الملائكة فى غبطة وسرور، وتوسل إليه كل منهم أن يجعل له نصيباً فى هذا العمل الجليل. فسر الروح الأعظم لهذا الحب والإخلاص كل السرور وحقق لهم ما يرغبون

ثم حدث ذات يوم أن عم الحبور أرجاء الكون، وتجاوبت أنحاؤه بأصوات الموسيقى؛ وغنت الملائكة أغنيات الفرح وترددت النغمات العذبة فى كل مكان: فى الأنهار والأشجار والأزهار، وكيف لا يحدث ذلك وقد شاءت إرادة الروح الأعظم فى هذا اليوم أن ينفخ نسمة الحياة وروح الخلود فى قطعة الطين التى اشتركت الملائكة فى صنعها على صورته

على أن ملاكاً واحداً — وهو ملاك الحزن — لم يشترك فى هذا العمل المجيد ولم يكن له فى السرور نصيب. ذلك لأنه قضى أيامه كلها يبكى حسرات على مياه الأمطار التى كانت تتساقط دواماً فى البحار. فلما نظر الروح الأعظم إليه وجده غارقاً فى دموعه، فأراد أن يخفف عنه فقال له: لا تبك! إن كنت تود أن يكون لك نصيب فيما خلقت فسأمنحك ذلك. لقد تأخرت قليلاً وها هو ذا الإنسان قد تم خلقه وتكوينه، ولا يمكن أن نرجع فى هذا، ولكن انظر! إنه ما زال غضاً طرياً؛ فتقدم واجلس إليه، وكن حارساً عليه، وامنع عنه كل ما يشوهه، أو ينقص من كمال صنعه

فابتسم ملاك الحزن لهذا الفضل العظيم، إذ أى فضل أعظم من رعاية هذا الصنع الجميل ووقايته من كل شر وتشويه

وجلس الملاك إلى جانب الطين اللين وقد عرض لأشعة الماتاهارى (عين النهار أى الشمس) ليمتص منها حرارة الحياة ودفئها وأخذ يرقبه فى عناية وحذر خشية أن يحدث له ما يؤذيه

ومر الزمن فأحس ملاك الحزن بالوحشة وآلمته الوحدة فراح يحدث نفسه على هذا النمط: لم يعاملنى الروح الأعظم على كل حال معاملة عادلة. لماذا لم ينتظر عودتى قبل تكوين الإنسان وخلقه؟ وأى فخر وأى مجد يعود على من الجلوس هنا أرقب شيئاً قد تم صنعه وكمل تكوينه؟ وهل يوازن هذا بالاشتراك الفعلى فيه كما اشترك إخوانى الملائكة الآخرون؟؟

واختفت حينئذ البسمة التى علت وجهه من قبل، ووضع وجهه بين كفيه، وانهمرت دموعه على خديه، ونسى بذلك ما عهد إليه من حراسة الإنسان، فتساقطت الدموع كالمطر على الجسم الذى كان قد بدأ يجف، وعندئذ علق الغبار بمواقع الدموع، واستقرت بها الحشرات فشوهت الصنع الكامل الجميل

وجاء الروح الأعظم بعد ذلك بأيام قلائل تحف به الملائكة من كل جانب ليشهدوا مدى التقدم الذى أصابه الخلق الجديد؛ فلما رأوا ما فعل الحزن به لازموا الصمت، إلا ملكا واحدا هو ملاك العطف والحنان، فإنه لم يكد يرى الفساد الذى أحدثه إهمال أخيه حتى أجهش بالبكاء، وأسرع إلى الجسم يزيل ما علق به من غبار، ويرفع ما استقر به من حشرات

وقضى على ذلك أياماً طوالاً يحدوه الحب وتدفعه الرحمة حتى أتم عمله، وأصلح ما أفسده أخوه. فناداه الروح الأعظم وقال: ما أرفع مكانك، وما أجل شأنك في الخلق! لن يستطيع إنسان قط أن يقدرك حق قدرك. لتكن مباركاً منى. إذهب لتأدية رسالتك، فابك مع البائسين، وافرح مع السعداء المغتبطين، ومهد الطريق للمجهدين المتعبين، وخفف العبء عن الذين أثقلت كواهلهم مشقات الحياة. أما أخوك ملاك الحزن فلا مكان له فى السماء ولا نفع منه فى الأرض ... أنظر! ما شوه عملى العظيم إلا هو.

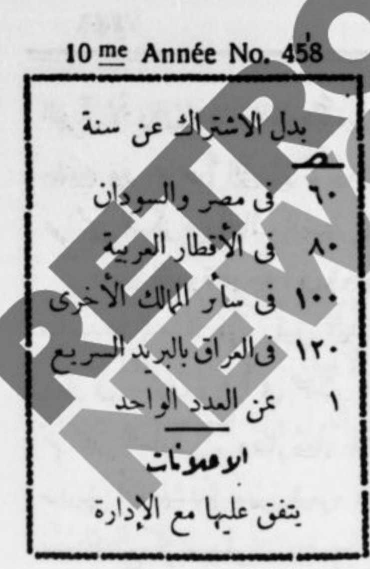
(الاسكندرية) ابراهيم عبد الحميد زكى

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



10 me Année No. 458

Lundi - 13 - 4 - 1942



بدل الاشتراك عن سنة

مص

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

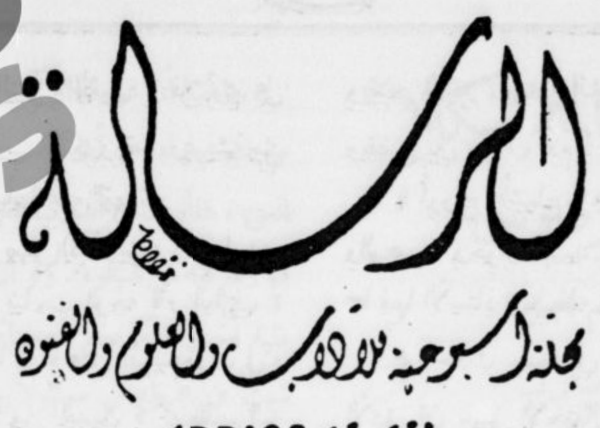
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ عن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــدد ٤٥٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٧ ربيع أول سنة ١٣٦١ — الموافق ١٣ أبريل سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

على محمود طه

« أرواح وأشباح »

على الضفة الشجراء من مصيف المنصورة عرفت «على طه» ، وعلى هذه الضفة الخضراء من مَرْبعها قرأت « أرواح وأشباح » . وكان بين اللُّقية الأولى للصديق وبين القراءة الأخيرة للشاعر إحدى وعشرون سنة

كان حين عرفته فى إبّان شبابه ، وكنت حين عرفنى فى عنفوان شبابى ؛ وابن آدم فى هذه السن ربيعٌ من أربعة الفردوس لا يُدرك بحدود الشعور ، ولا يوصف بلغة الشعر ؛ فهو منضور الخلقة ، مسجور العاطفة ، مسحور المخيِّلة ، لا يَنشد غير الحب ، ولا يبصرُ غير الجمال ، ولا يطلب غير اللذة ، ولا يحسب الوجود إلا قصيدة من الغزل السماوى يُنشدها الدهر ويرقص عليها الفَلك

وعلى ذلك كنا أيام تعارفنا وتآلفنا : هو على حال عجيب من مَواسٍ الهوى وما لابسها من ألوان وصور ، وأنا على عهد قريب من ترجمة (آلام فرتر) وما سايرها من أحلام وذِكَر !

قال لى صديقى « حسين » ونحن عائدان من نزهتنا اليومية فى الشقة الحلوية من شارع البحر :

« مِل بنا إلى قهوة (متيو) أعرفك بشاب من ذوى قرابتى يرضيك خلقه ، ويطربك حديثه ، وقد يعجبك شعره »

وكان شارع البحر كما هو اليوم متنزه المدينة ؛ وكان نصفه

الغربى لا يزال يومئذ مخطوطاً بين النيل والحقول ، فلا ترى على جانبيه غير مَماصٍّ القصب ، ومشارب الكازوزة ، وعريشة من عرائش الكرْم وألفاف الشجر تتفيأها هذه القهوة

دخلنا القهوة فوجدنا فى باحتها بعض الإغريق ، وعلى إحدى مناضدها المنعزلة فتى رقيق البدن شاحب الوجه فاتر الطرف ، ينظر فى سكون ويقرأ فى صمت . فلما رآنا هشَّ بقريبه ورفَّ لى ، ثم كان التعارف . وطارحناه طرفاً من الحديث ؛ ثم طلب إليه صديقى أن ينشدنا بعض شعره ، فنشط لهذا الطلب وارتاح كأنما نفَّسنا من كربه ، أو خففنا من عبئه ؛ ثم قال فى سذاجة الريفى ووداعة الطفل : « نشرت لى جريدة (السفور) هذه القصيدة وقدمتها بهذه الكلمة » . ثم أدى المقدمة عن ظهر الغيب وهمَّ بإنشاد القصيدة . وكنت حين ذكر السفور قد أصغيتُ سمعى وجمعتُ بالى ، فلم يكد يفرغ من سرد المقدمة حتى صحت به :

— أأنت صاحب هذه القصيدة ؟

— نعم

— وأنا صاحب هذه المقدمة

— عجيب ! !

كان ذلك فى سنة ١٩١٨ ؛ وكانت جريدة السفور يحررها يومئذ الأعضاء الأصدقاء من لجنة التأليف والترجمة والنشر ؛ وكان النظر فيما يرد على الجريدة من الشعر موكولاً لصديقى الأستاذ الجليل الشيخ مصطفى عبد الرازق ، ولى ؛ فأتى إلينا البريد فيما أتى هذه القصيدة غُفلاً من الإمضاء ، فقرأناها للاختيار ، ثم قرأناها للاختبار ، فوجدنا قوة الشاعر الموهوب تطغى على ضعف الناشئ البادئ ، فضننا بها على السَّل ، وصححنا ما فيها من الخطأ ، وقدمت لها ببضعة أسطر تنبأت فيها بنبوغ الشاعر ، ونصحت له أن يرفد قريحته السخية بمادة اللغة وآلة الفن ، وأخذت عليه أن يُكره قيثاره المرح على النغم الحزين واللحن الباكى وهو لا يزال فى روق الشبيبة كما يقول شعره

ثم تتبعت بعد ذلك علياً : تعقبت آثاره ، وتعرفت أطواره ، وتقصيت أشعاره ، فإذا الفراشة الهائمة فى أرباض المنصورة ورياض النيل ، تُصبح « الملاح التائه » فى خضم الحياة ، و « الأرواح الشاردة » فى آفاق الوجود ، و « الأرواح والأشباح » فى أطباق اللانهاية ! وإذا الناشئ الذى كان يحتشب الشعر ويتسمَّح فيه ، يغدو الشاعر المحلق بجناح الملك أو بجناح الشيطان ، يشق الغيب ، ويقتحم الأثير ، ويصل السماء بالأرض ، ويجمع الملائكة بالناس ، ويقضى بين حواء وآدم !

« أرواح وأشباح » هى ملحمة الرجل والمرأة ، وقصة الفن والوحى ، وحوار الجسد والروح ، وأنشودة الشباب والحب . سما فيها الأستاذ « على طه » إلى غاية من الفن قل أن بلغها شاعر

هى حادث جديد فى حياة الشعر المصرى لا يزكو بالنقد الأدبى أن يهمل الاحتفال بتسجيلها فى تاريخ الأدب . وهى قصيدة من النمط العالى لا تحك معدنها فى أية حُلقة من سلسلتها إلا ثبتت على المِحك ؛ فهى فى الصياغة مشرقة البيان منتقاة اللفظ ، وفى التفكير واضحة المنهج سديدة المنطق ، وفى التخيل بعيدة الغاية قريبة المأخذ . وأشهد أنى قليل الاهتزاز لأكثر الشعر وأكثر الغناء ؛ ولكن « أرواح وأشباح » هزت نفسى هزًّا شديداً ، فكنت أطيل الوقوف عند كل رباعية ، وأديم النظر فى كل بيت ، أتذوق جمال صياغته برفق ، وأستجلى سر بلاغته فى أناة . وإن « الحية الخالدة » و « الفنان الأول » و « حواء » لمن الروائع التى تطول على مقاييس النقد وتدخل فى منتخبات الخلود

على أن أسلوب هذه اللحمة ليس بدعاً من أسلوب على طه ؛ فإن الصفات الغالبة على أسلوبه كله هى الوضوح والأناقة والسهولة والسلامة . ومرجع ذلك فيه إلى ثقافته الرياضية . وليس كالعقل الرياضى شكيمةٌ للخيال الجموح يُسلس بها ويُصحِب . وما دام الخيال فى قيادة المنطق طار بالفكرة فى أجواء مشرقة لا سحاب فيها ولا ضباب ؛ فتتميز الألوان وتتحدد الخطوط وتتبين الصور . أما الخيال الشعرى الجامح ، فهو كالحب الصوفى الجامح ، لا يجد اللفظ الذى يُسفر ، ولا العبارة التى تُبين . إنما هى « شطحات » وراء الفكر لم تتضح فى الشعور ولم تستقم فى الذهن ، يحاول الشاعر أن يعبر عنها بالمجازات البعيدة والرموز الخفية ، فيغرب ولا يُعرب ، ويشير ولا يَدل

* * *

إن من عادتى فى هذا المكان من (الرسالة) ألا أجامل فى سياسة ولا أدب . وربما كان من الخير فى هذه المرة أن أدافع الظنون عن هذه العادة بذكر الحكم مؤيداً بأسبابه . وكان ذلك يقتضى تحليل القصيدة إلى عواملها البلاغية ، ولكن الكتاب فى أيدى القراء ، والتنبيه على مواضع الجمال فيه اتهام للأدباء !

(المنصورة) **احمد حسن الزيات**

اجتماع الملائكة
فى مسجد الفردوس
للتحدث فى نكبة آدم الجديد

للدكتور زكى مبارك

سمع الملائكة بما صار إليه أمر آدم ، وعرفوا أنه سيقدَّم للمحاكمة بلا تسويف ، وتراءى إليهم أنه قد يتخذ منهم شهوداً على براءته من تهمة العصيان . فاجتمعوا بمسجد الفردوس ليتشاوروا فيما يليق بهم أن يصنعوه إن دُعى فريقٌ منهم للشهادة فى ساحة العدل ... فما الذى دار من الأحاديث فى ذلك الاجتماع ؟

قبل أن ندون هذا المشهد نذكر أن شيث بن عربانوس يدير كلامهُ على أساس يخالف ما تعارف عليه جمهور المؤرخين ، فهو لا يرى أن آدم صاحب حواء كان أول آدم ، وإنما سبقته أوادم تعد بالمئات أو بالألوف . وسنرى كيف يحدثنا أن آدم حين هبط الأرض وجد فيها جماجم بشرية تشهد بأن الأرض سُكنَتْ قبله بأمم لا يعرف أخبارها غير علام الغيوب

وقد هالنى هذا الرأى ، فمضيت أستفتى المؤلفات الإسلامية لأعرف حظه من الصحة أو البطلان ، فماذا وجدت ؟

رأيت من يحكم بأن فى قول الملائكة : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » دليلاً على أنهم رأوا قبل ذلك أجناساً آدمية تفسد فى الأرض وتسفك الدماء . ورأيت من يجعل « الخليفة » فى قوله تعالى : « إنى جاعل فى الأرض خليفة » آدمَ جديداً يخلف الأوادم القدماء[1]

ومع أن هذه الأقوال لا تستند إلى نصٍّ قطعىِّ الثبوت والدلالة — كما قال أستاذنا الشيخ عبد الوهاب النجار ، رضى الله عنه وأرضاه — فهى تؤيد مذهب شيث بن عربانوس ، أو تجعله مذهباً لا يتأثم الباحث من الاعتماد عليه وهو يقص أخبار آدم الرسول

والحق أن عبارة القرآن وعبارة التوراة صريحتان فى أن آدم صاحب حواء هو أبو البشر . وعبارة القرآن أصرح فى هذا المعنى ، فالمألوف فى أسلوب القرآن أنه ينهى كل نبى عن الوقوع فيما وقع فيه من سبقوه . ولو أن آدم كان سُبق بأمم بائدة لقص الله عليه أخبارها كما صنع مع سائر الأنبياء ، فلم يبق إلا أن نعدّ شيث بن عربانوس مسئولاً عن القول بأن آدم صاحب حواء ليس أول إنسان شهد هذا الوجود

ويظهر أن كتاب شيث كان معروفاً فى بعض البيئات الإسلامية قبل أزمان طوال ، فقد رأينا أبا العلاء المعرى يقول :

جائزٌ أن يكون آدمُ هذا ... قبلهُ آدمٌ على إثْر آدم

ويقول :

وما آدمٌ فى مذهب العقل واحداً ... ولكنه عند القياس أوادمُ

ويقول فى شىء من الخبث :

قال قومٌ ولا أدينُ بما قا ... لوهُ : إن ابن آدمٍ كابن عِرسِ
جَهِلَ الناس من أبوه على الدهـ ... ـر ولكنه مسمًّى بحرس
فى حديثٍ رواه قومٌ لقومٍ ... رهن طِرس مستنسَخ إثر طرس

ولعل « الطرس » الذى عناه أبو العلاء هو كتاب شيث ابن عربانوس واسمه « تاريخ البشرية » وإن لم نجد فيه ذلك الاستهزاء البغيض

وقد أسرف أبو العلاء فى الغض من شأن آدم حين يقول :

قالوا وآدمُ مثلُ أوبرَ ، وابنُهُ ... كبناته ، جَهِلَ امرؤٌ ما أوبرُ

وهو قول لا يعتمد على بينة ولا برهان . وأسخفُ منه زعم فريق من قدماء الهنود بأن آدم كان عبداً من عبيدهم ثم هرب إلى الغرب ، ولم يَعد إليهم إلا حين أثقلته تكاليف الأبناء !

وبهذه المناسبة أقول : كان المرحوم مصطفى كمال زعم أن آدم وحواء من أصل تركىّ ، وقد أزعجنى هذا الزعم الفظيع ، فكتبت إليه خطاباً أثبتّ فيه أن آدم وحواء من أصلٍ عربىّ ، بشهادة الاشتقاق ؛ فآدم على وزن أفعل ، من الأُدمة وهى السُّمرة المشَبَّعة بالسواد ، وحواء على وزن فعلاء ، من الُحوَّة وهى سمرة الشفتين ، ثم رجّحت أنهما من أهل نجد ، بدليل ما فى أشعار آدم من الإقواء . وقد انتظرت أن يجيبنى مصطفى كمال — غفر الله له —

(١) آدم فى هذه العبارة ممنوع من الصرف للوصفية ووزن الفعل ، فسنرى بعد قليل أن هذه اللفظة عربية الأصل

ولكنه لم يفعل . فسألت بعض الأتراك المقيمين بالقاهرة فأخبرونى أن مصطفى كمال لم يكن يقبل الاطلاع على خطاب مكتوب بالحروف العربية بعد أن فرض على قومه جميعاً أن يكتبوا بالحروف اللاتينية

ما لى ولهذا ؟ إنما أريد أن يعرف قرائى أن كتاب شيث يقوم على أساس القول بأن آدم سبقته أوادم ، ليعرفوا كيف اشتجر الملائكة وهم ينظرون فيما صار إليه بعد العصيان

فى مسجد الفردوس

تنادَى الملائكة للاجتماع فى مسجد الفردوس ، فحضر فريق وتخلّف فريق ، وكانت حجة من تخلفوا أنهم أبدوا رأيهم فى آدم قبل أن يُخلَق ، فهم لا يحبون التدخل فى أمر مخلوق شرس لا يرضيه إلا أن يكون الوجود مسارح شقاق ونضال وصيال . وقد خلقه الله برغم رأيهم فيه ، فليصنع الله به ما يشاء . فهو المنتقم وهو الغفور !

ورأى الذين حضروا أن يصلّوا قبل الكلام فى قضية آدم ، لتزداد نفوسهم صفاء إلى صفاء ، فيسلموا من أوضار التطاول والإسراف ، فما يجوز أن يجلس أحدٌ مجلس القضاء إلا بعد الصلاة والقُنوت ، وبعد التحرر من شوائب الأهواء !

أحد الملائكة — هل ترون أن يكون لهذه الجلسة رئيس ؟

ملك آخر — إنما هلك الآدميون بسبب الرؤساء

ملك ثالث — كنت أحب أن تقول بسبب استبداد الرؤساء أو تناحر الرؤساء ، فالرياسة مأخوذة من الرأس ، وهو فى العرف مجتمع العقل ، فمن الواجب أن يكون لكل جماعة رئيس !

— ولكن ما حاجتُنا إلى رئيس ؟ !

— لينتظم الكلام عند اشتجار الجدال

— لا يحتاج المتكلمون إلى رئيس إلا حين تغلب عليهم شهوة الثرثرة ... إن وجود الرئيس هو فى ذاته شهادة بضعف المجتمع الذى يحتاج إليـه ، ولو أدّى كل مخلوقٍ واجبَه تأديةً صحيحة لتساوتْ أقدار المخلوقين . ولن تنجح أمة إلا حين يصبح كل فرد من أفرادها وهو مرءوسٌ لعقله ورئيسٌ على هواه . وقد حمانا الله من الأهواء فلن نحتاج إلى رئيس . وعلى هذا أرجو أن يدور الكلام بلا ترتيب ولا تنسيق ، على أسلوب الغابات لا أسلوب البساتين

— ماذا تريد ؟

— أريد أن يكون كلامنا طبيعيًا على نحو ما تكون الغابة ، ولا أريد أن يكون منسَّقاً على نحو ما يكون البستان ، فالفطرة فى الغابات أقوى من الجمال المصنوع فى البساتين

ثم دار الحديث على الصورة الآتية بلا تمييز بين الآراء[1] :

— أرأيتم كيف صحت فِراستُنا فى آدم فعصى ربَّه وغوَى ؟

— تريد الرجوع إلى التاريخ القديم يوم حاورنا الله فى خلق « آدم » ؟

— هذا ما أريد

— ولكن فاتك أن مضغ حوادث التاريخ عملٌ ضائع ، فآدم خُلِق بالفعل ، وهو شرٌّ موجود ، أو خيرٌ عتيد ، والمهم هو أن نحدد موقفنا بالنسبة إليه

— نحن من نور وهو من طين

— ولكنه أحدثَ فى الجنة زلزلة لن نستطيع مثلها أبدًا ، وستجعل له مكانةً فى التاريخ

— تحسده على ذلك ؟

— ومن أحسد إذا لم أحسد آدم ؟ فنحن جميعاً موكلون بعدِّ ما له وما عليه ، مع أنه خُلِق من طين ، فهل تكون للطين فاعلية يخفَى علينا سرها المكنون ؟

— إن تحقير الطين بدعةٌ أذاعها إبليس اللعين ، ويكفى الطينَ شرفاً أنه أصل آدم

— وآدم مخلوقٌ شريف ؟

— بالتأكيد

— وبرغم العصيان ؟

— أى عصيان ؟

— الأكل من شجرة التين

---

(١) معنى ذلك أن الحوار الآتى لن يكون دائماً بين شخصين ، وإنما هو حوار مرسل يقول فيه كل ملك ما يريد ، ومجموع أقوال الملائكة يصور فى جملته آراءهم المختلفة فى نكبة آدم الجديد

— إنما أراد الله أن يأكل من الشجرة المحرمة لنجد عملاً ، ولو نزّه الله آدم عن المعاصى لبقينا بلا أعمال . وهل يعيش القضاة والمحامون والشهود إلا بفضل انحراف الناس عن سواء السبيل ؟

— إن رأسى يدور من هول ما تقول

— وهل قلت غير الحق ؟ إن آدم هو مصدر الفاعلية فى جميع أرجاء الوجود ، ومن أجل ضلاله وهداه تُنصب الموازين

— نحن مقبلون على متاعب جديدة بسبب آدم الجديد

— وهل أنت راض عن الراحة التى عانيناها بعد انقراض آدم القديم ؟

— شكراً لك ، أيها الرفيق ، فقد خطر فى بالى مرةً أن الله قد يسرّح جيوش الملائكة بعد انقضاء مهمتهم فى مراقبة السلالات الآدمية

— أخطأتَ أخطأت ، فما كنا جنود شرطة ولا جنود استطلاعات ، وإنما خُلقنا للتسبيح والتقديس

— خُلقنا للتسبيح والتقديس ؟ يظهر أنك لم تفهم السخرية الملفوفة فى قوله تعالى : « إنى أعلم ما لا تعلمون »

— وكيف سَخِر الله منّا بهذه العبارة ؟

— حين عقّب بها على قولنا : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبّح بحمدك ونقدس لك » فهو لا يرى التسبيح والتقديس أفضل من الإفساد وسفك الدماء ، بدليل أنه سكت عما اتهمنا به الطبيعة البشرية

— تأدبْ أيها الملَك ، فأنت فى غفلة عما يعنيه صاحب العزة والجبروت ، ولو قضيت دهرك فى الاستغفار لعجزت عن محو هذا التطاول المقوت

— أريد أن أعرف كيف لا يكتفى الله بالتسبيح والتقديس ؟

— وما حاجة الله إلى التسبيح والتقديس من أقوام لا تعتلج فى صدورهم معانى الكفر والإيمان ، والشك واليقين ؟ إنما يرضى الله عن تسبيح من يهتدى بعد ضلال ، ويؤمن بعد كفران

— إن رأسى يدور من هذا التخريج

— سَلِم رأسك إن كان لك رأس ، أيها الشرطىُّ الذى يريد الإقامة بمنطقة ليس فيها خلائق

— أنفهم من هذا أن البشر أفضل منا ؟

— لك أن تذكر أن الله يعاقبهم بالانقراض ، ثم يتلطف فيخلقهم من جديد ، لحكمة سامية ، وكيف يغيب عنك المعنى الذى استوجب خلق آدم الجديد فى الفردوس ؟

— كنت أحب أن أعرف هذا السر العجيب

— خلقه الله فى الجنة ليأخذ فِكرةً عن النظام والترتيب والعدل ، وليكون له مَثلٌ أعلى يدور حوله حين يقيم مملكته الجديدة فى الأرض . ولو أن الله أنشأ الأوادم القديمة هذه النشأة لقلّ بغىُ بعضهم على بعض وسلموا من آفة الانقراض

— غضبة الله عليهم ، فما كانوا إلا وحوشاً فى ثياب ناس !

— هل تذكر بعض أعمالهم القباح ؟

— أعمالهم القبيحة تفوق العد والإحصاء ، ولكنى أرجح أن الله لم يعاقبهم بالهلاك إلا حين عاملوه بما لا يليق

— وكيف ؟

— كانوا يضيفون إليه أوامر ونواهى لم ينزل بها وحى ، ولا صَدَرتْ عن شرع ، ليسوموا رعاياهم سوء العذاب ، باسم الله وهم كاذبون

— كما صنع آدم الجديد ؟

— آدم الجديد لم يصل إلى ذلك الدَّرَك ، فقد عصى الله عن جهل

— إنما عصاه عن حذلقة

— وما حذلقة آدم الجديد ؟

— قال الله : « لا تقربا هذه الشجرة » فترك « هذه الشجرة » بعينها ثم قرب شجرة من ذات الجنس ، وهو يتوهم أن فى هذه الحذلقة ما ينجيه من العقاب

— إن آدم حيوان لئيم ! !

— وبلا عقل ، فلو كان يعقل لأدرك أن الله لا تخفى عليه خافية من حِيل الفقهاء ، وسنرى كيف يدافع غداً عن إثمه فى ساحة العدل

— لا يَبعُد أن يرضى الله عن بلاغته وهو يصوّر الدميم بصورة الجميل

— الجمال فى نظر الله هو الحق ، وذلّ من يزعم أنه يستطيع

مخادعة الله ، هلك آدم القديم بسبب الحذلقة الفقهية ، وسيهلك آدم الجديد بسبب الحذلقة الفقهية . وسنقول فيه كلمة الحق والصدق إن دُعينا للشهادة فى ساحة العدل

— تذكر أنه صاحب حواء !

— ماذا ؟

— آدم الجديد هو صاحب حواء

— لا أفهم ما تريد أن تقول

— أريد أن أقول إن آدم لن يهبط الأرض إلا ومعه حواء

— وتظن أننا نزور الشهادة من أجل حواء ؟

— أنا لا أدعو إلى تزوير الشهادة ، وإنما أدعو إلى الترفق بمن يملك امرأة جميلة

— بهذا هَلك بنو آدم الأول ، فقد كان فيهم من يخالف أمةً تعادى أمته من أجل وجهٍ جميل ، والجمال سهم يصيب صدر الأسد الرابض فى حمى العرين

— وما رأيك فى المَلك الذى نظّم باقةً من أزهار الفردوس ليتحف بها حواء ؟

— كان ذلك بوحى الله

— إنما كان ذلك بوحى الجمال

— هذا تخريج لا أرضاه

— إنما هو حساب يساق إليك

— الآدميون الأغبياء يهيمون بالجمال ، فكيف يعاب علينا أن نهيم بالجمال ؟

— ومن أجل الجمال عصى آدم ربه طاعة لحواء ، أفلا يستحق العطف ؟

— سأنظر فى هذه القضية

— العجيب أن تُخلَق بلا شهوات ثم تهيم بحواء ، فما حال آدم المظلوم فى حب حواء وهو مخلوقٌ موقَر بأوزار الشهوات ؟

— نهاه الله عن الانخداع لحواء وما نهانى

— كان الظن أن تفهم أن النهى لا يوجه إلا لمن تغيب عنهم دقائق الأدب الرفيع

— أتتهم الملائكة بالغباوة ؟

— أتهمك وحدك

— أنا ملكٌ مِثلك

— لن تكون مثلى إلا حين تعترف اعترافاً صريحاً بأن الجمال يزيغ البصائر والعقول

— ولن أعترف إلا إذا سمح جمهور الملائكة بأن أتهم الله بالغَرَض

— ماذا تريد ، يا زنديق ؟

— أريد القول بأن الله خصّ حواء بأشياء

— لتحلو فى عينى آدم ، لا فى عينيك

— أمركم عجَبٌ من العجب ، أنتم تعرفون أن الجمال فى ذاته شريعة أزلية ، ولا ينظر إليه إلا أصحاء القلوب ، كالشمس لا ينظر إليها إلا أصحاء العيون ، ونحن مطالبون بالنظر إلى جميع ما فى الوجود ، لنزداد يقيناً إلى يقين ، فكيف يجب النظر إلى زهرة نضيرة ولا يباح النظر إلى وجه جميل ؟

— اترك هذه الفلسفة وحدّد رأيك فى آدم

— هو من المذنبين

— لأنه غريمك فى حواء ؟

— غريمى فى حواء ؟ كيف ؟ وهل جُنِنْتُ حتى أهيم بمخلوقة لا تملك غير عينين نجلاوين ، ولا تعتزّ بغير قدها الرشيق وأنا أعرف أنها سرقت سواد عينيها من عيون الظباء ، ونهبتْ مرونة قدها من أعواد البان ؟ أنا أحب مخلوقةً مقتولة اللحظ ، مبحوحة الصوت ؟

— هى سبب نكبة آدم فلتهبط معه إلى الأرض

— يهبط وحده ، وتبقى حواء ، فما عددت عليها ذنباً يستوجب العقاب

— هذا ما أردنا أن نصل إليه ، فقد زعم خصومك أنك لم تراع الأمانة فى عدّ أعمال حواء

— إسمعوا ، أيها الملائكة ، إسمعوا ، هل تظنون أن الله يحتاج إلى من يعدّ على عباده الذنوب ؟ إنه عزّ شأنه يعلم من سرائر القلوب ما لا نعلم ؛ وهو لم يوكّلنا بعدّ الأعمال إلا ليختبر ما نحن عليه من الأدب والذوق ، فهو يبغض أن نكون جواسيس ، وهو يرجو أن نتخلق بأخلاقه فنتغاضى عن أشياء

— وهل يتغاضى الله عن أشياء ! !

— لو حاسبَ الله مخلوقاته بالعدل الحاسم لأهلك طوائف من الملائكة والناس

— من الملائكة ؟

— نعم ، من الملائكة ، الملائكة الذين يتعقبون رفيقاً من رفاقهم فيأخذون عليه أنه قدّم باقة من الزهر إلى حواء !

— لا تنس أنهم الملائكة الذين يرجون أن تتناسى ذنب آدم كما نسيت ذنوب حواء !

وهنا وقف أحد كبار الملائكة وصاح :

« أيها الرفاق المصطفَوْن

لا أحب أن نحترب فى شأن آدم أكثر مما احتربنا ، فلنا مع أسلاف هذا المخلوق تاريخ ، وستكون لنا معه تواريخ ، وأنا أدعوكم إلى الرفق به إن دعيتم إلى الشهادة غداً فى ساحة العدل ، فالصدق فى الشهادة يُطلب فى حالة واحدة ، هى الحالة التى يقضى فيها كتمان الشهادة بضياع الحقوق ، والترفق بآدم لن ينتصر به باطل ، ولن ينهزم به حق ، وأنا أخشى أن يغضب الله علينا إن أدينا الشهادة تأدية حرفية . وهل يحتاج القاضى العالم بالسرائر إلى شهود ؟ ! »

— ونُذنب بالكتمان ؟ !

— قد يكون الكتمان فى بعض الأحوال أشرف من البلاغ[1] ! ! !

— أوضِح ، أوضح

— آدم متهم بالعصيان ، ولهذه التهمة إن صحّت عواقبُ سود ، فعلينا أن نقف فى صفه صادقين أو مرائين

— وماذا يقول الله ؟

— سيقول إن ستر العيوب فضيلة لا يتحلى بها غير الملائكة والأنبياء !

« للحديث شجون » زكى مبارك

(١) البلاغ من معانيه الوشاية ، ومنه : « قدم فلان بلاغاً إلى النيابة العمومية » .

خُسرو وشـــيرين

في التصوير الإسلامي (*)

للدكتور محمد مصطفى

خسرو الثانى ، بن هرمزد الرابع ، بن خسرو أنو شروان العادل ، المعروف عند مؤرخي العرب باسم كسرى برويز ، أى كسرى الظفر ؛ وهو آخر ملوك الدولة الساسانية الكبار ، ملك إيران ثمانياً وثلاثين سنة (٥٩٠ — ٦٢٨م) ، فكان عهده من أطول العهود ، ملىء بالحوادث العظيمة ، والقصص الممتعة ، ذات الأثر البليغ فى الأدبين الإيرانى والتركى وفى الفن الإسلامي

تولى خسرو برويز عرش إيران والبلاد فى حالة ثورة واضطراب عظيم[1] ، فقد كان أبوه هرمزد عسوفاً شديد البطش ، وكان من آثار سياسته أن ثار به القائد الشهير بهرام جوبين[2] ، الذى هزم الترك سنة ٥٨٨ م وقتل ملكهم ساوه شاه وأسر ابنه بعد أن غنم ما يفوق الوصف ، فأوغر بذلك صدر هرمزد بالغيرة منه والحقد عليه . ورأى هرمزد فى انهزام بهرام جوبين أمام الروم فى موقعة عند اللاذقية سنة ٥٨٩ م[3] ، فرصة ليحط مقدار القائد العظيم فأمر بإحضار قميص من الشعر ، وسراويل أحمر ، ومعجر أصفر ، ووعاء فيه قطن ، ومغزل إلى غيرهما مما يصلح للنساء ، وأمر بعض أصحابه أن يحملها إلى بهرام[1] فألهمه الثورة . وثار الناس بهرمزد ودخلوا عليه القصر ونكسوه من العرش ، وكحلوا عينيه وحبسوه ، ثم قتلوه بعد ذلك ، وأنهى الخبر بذلك إلى خسرو برويز ، فطار بجناح الركض ، وجاء من أرمينيا حيث كان قد فر إليها لما أوقع بهرام جوبين بينه وبين أبيه ، فتغير رأى أبيه عليه وأراد أن يقتله . ولكن خسرو برويز لم يفلح فى مصالحة بهرام جوبين ، وفر ثانية ولجأ إلى موريس امبراطور الروم يطلب معونته ، فزوّده بجيش استطاع به أن يقهر بهرام جوبين ويضطره أن يفر فيلجأ إلى خاقان الترك حيث قتل فيما بعد .

وكانت لامبراطور الروم بنت متحلية بالخلال الحميدة والخصال المرضية تسمي « مريم » ، وكانت جميلة كالشمس إذا انكشف عنها السحاب ، فرأى أن يزوجها من خسرو ليتم بذلك ربط صلات المودة بين البلدين ، وقد تزوج خسرو من « مريم » ، فولدت له ابنه « شِيرُويَه »[2]

وبلغ خسرو برويز من سعة السلطان مبلغاً عظيماً ، فاستولى على مصر والشام وسائر ما كان يملكه الروم فى آسيا الصغرى ، حتى عسكرت جنوده على شاطئ البسفور فى مقابلة القسطنطينية ، ولكن بسطة السلطان هذه انقبضت فى آخر أيامه ، واستطاع « هرقل » امبراطور الروم أن يهزم جيوش خسرو بعد حرب طاحنة دامت أعواماً طويلة ، فثار الناس به وقبضوا عليه وحبسوه وولوا ابنه « شيرويه » العرش باسم « قباذ الثانى » ، فأمر بقتل أبيه « خسرو » وعقد الصلح مع الروم[3]

أما « شيرين »[4] ، فقد اختلف الرواة في أصلها ، فقال بعضهم — ومنهم الشاعر نظامى — إنها بنت ملك الأرمن ،

(*) ضاق المقام هنا عن نشر الكثير من الصور والحوادث التاريخية والمراجع ، وعن الاسهاب فى التوضيح الفنى للصور والمقارنة بين أساليب التصوير فى عصوره المختلفة ، فرأى كاتب هذه السطور أن يؤجل ذلك إلى كتاب يعده فى التصوير الاسلامى عن المنظومات الخمس للشاعر نظامى

(١) أنظر تفصيل ذلك فى « الشاهنامه » للفردوسى طبعة الدكتور عبد الوهاب عزام ، ج ٢ ص ١٩١ وما بعدها . وتاريخ الأمم والملوك للطبرى ، طبعة المطبعة الحسينية ج ٢ ص١٣٦ ومابعدها . و Th. Nöldeke, Gesch. d. Perser u. Araber z. Z. d. Sasaniden. aus d. arab. Chronik d. Tabori, Leyden 1879, p. 272 f.

P. M. Sykes, A History of Persia, London 1915, Vol. I, p. 518 f.

(٢) جوبين أى الخشبي ؛ وينتسب أمراء الدولة السامانية إلى بهرام جوبين هذا . ويقال إنه ألف كتاباً فى طرق الاصابة بالسهام . أنظر نولدكه نفس المرجع ص ٢٧٠ حاشية ٣ و ص ٢٧٢ حاشية ١ والشاهنامه ج ١ مدخل ص ٣٧

(٣) لم يذكر المؤرخون العرب والايرانيون شيئاً عن واقعة بهرام جوبين مع الروم عند اللاذقية ، أنظر نولدكه ص ٢٧٢ حاشية ٣

---

(١) عن الشاهنامه ج ٢ ص ١٩١ ، وانظر أيضاً المراجع الأخرى

(٢) يعتقد نولدكه (ص ٢٨٣ حاشية ٢) أن خسرو تزوج من مريم بعد التاريخ المذكور فى الطبرى والشاهنامه بعدة . وأنه لا يمكن الخلط بين مريم وشيرين ، لأن هذه كانت تسعى دائماً في أن يتولى ابنها مردانشاه الملك بعد أبيه خسرو ، وكانت لذلك تبغض شيرويه بن مريم

(٣) أنظر تفصيل هذه الوقائع فى سيكس ، نفس المرجع ج ١ ص ٥٢١ وما بعدها

(٤) شيرين أى الحلوة

أحبها خسرو حين فرَّ من أبيه هرمزد ؛ وقال آخرون أنها إيرانية كانت فى خدمة أحد الأشراف ، وكان خسرو فى صباه يتردد على دار هذا الشريف فأحب شيرين وأعطاها خاتماً ، فلما علم رب الدار بهذا الحب ، أمر أحد خدامه أن يغرقها ، وقد استطاعت شيرين أن تؤثر فى هذا الخادم ، فألقاها فى مكان من نهر الفرات قليل الغور ، فنجت من الغرق ولجأت إلى أحد الأديرة . ولما تولى خسرو العرش ، سار ذات يوم إلى ناحية هذا الدير ، فأرسلت إليه شيرين الخاتم مع أحد عساكره ، فذكرها وأخذها إلى قصره فى المدائن ، فعاشت معه وأخلصت له . وبعد مقتل خسرو رآها ابنه شيرويه ، فكانت فى نظره ذات وجه كالنهار الشامس ، وشعر كالليل الدامس ... فلما رآها كادت تزهق روحه شغفاً بها ... فتناولت شيرين السم لتضع حداً لهذا الحب وتبقى على إخلاصها لخسرو[1]

وكان لشيرين عاشق ثالث اسمه « فرهاد » : كان مثالاً إيرانيًّا بارعاً فى فنه ، اشتهر فى عصر خسرو برويز بنحت التماثيل والزخارف . ويقال إنه هو الذى نحت الصور الخالدة لخسرو فى « طاق بستان » ، وسيأتى ذكر ذلك فيما بعد

وقد نظم الشاعر الإيرانى نظامى الكنجوى قصة « خسرو وشيرين » ، وجعلها إحدى منظوماته الخمس[2] ، ثم اقتدى به كثير من شعراء الإيرانية والتركية ، فنظمها بالإيرانية خسرو الدهلوى ، وبالتركية شيخي[3] وعطائى وآهى[4] وغيرهم . ووجد الفنانون فى حوادث هذه القصة ومواقفها مادة ليس لها من نهاية يستلهمون منها فى رسم صور لا حصر لها ، فصوروها فى جميع مراحل التصوير الإسلامي وفى مختلف عصوره . وشاء القدر بذلك أن يخلد لأبطال هذه القصة صفحات فى كتب التاريخ والأدب والفن

(١) أنظر حاشية الدكتور عزام فى الشاهنامه جـ ٢ ص ٢٣٦ و Franz von Erdmann, Die Schöne vom Schlosse, Kasan 1832, p. 74 — 78, n. 39. و Nöldeke, p. 283 n. 2.

(٢) خمسه نظامى طبعة طهران سنة ١٣٠٠ هجرية ص٤٨ — ١٩٢

(٣) ترجم الأستاذ « جب » إلى الانكليزية ملخصاً لقصة « خسرو وشيرين » كما نظمها الشاعر التركى « شيخى » متتبعاً فى نظمها خطوات الشاعر نظامى الكنجوي . أنظر : I. Y. W. Gibb, a History of Ottoman Poetry, London 1900, Vol. I, pp. 314 — 325.

(٤) راجع الأستاذ « جب » نفس المرجع

يقول الشاعر نظامى الكنجوى[1] أن خسرو برويز ولد فى طالع حسن عند بزوغ فجر أحد الأيام ، فكان مولده كشروق الشمس فى الأفق من بين الظلمات ، يجلب معها السرور والخير والبركات والقوة والشباب ؛ وإذ مضى عام على ولادة ذلك الطفل وحلت ليلة القدر ، قام واقفاً على قدميه ، وبدأ لسانه يترثر بما وعاه من كلمات ، فعهد والده بتربيته إلى « بُزُرْجِمِيد[2] » الحكيم ، وفى رعايته نما ذلك الطفل إلى أن صار شاباً كامل التربية تام التهذيب ، وأميراً شجاعاً وبطلاً صنديداً ؛ وامتلأ قلب « هرمزد » بالسرور والشكر لله جلت قدرته ، الذى وهبه هذا الوريث الشهم السامى الأخلاق ، واعتزم أن يحكم المملكة التى سيرثها مثل هذا الإبن بعدالة أكثر من ذى قبل[3] ، ورسم بعقاب أيما رجل تعدى على أملاك آخر ، وقطع أذن وذنب أيما فرس دخل أرضاً مزروعة فأضر بها ، وصلب من سرق شيئاً

وذات يوم جلس هرمزد فى مجلس العدل يحكم بين الناس فدخل إليه بعض القرويين بمظلمة ، يشكون من ولده الأمير خسرو أنه حل الليلة الماضية فى بيت أحدهم عند مروره بقريتهم أثناء رجوعه من إحدى رحلات الصيد العديدة ، التى اعتاد الأمير الشاب أن يقوم بها . ولم ينته الأمر عند هذا الحد ، بل إن خسرو أمضى ليلته بأكملها فى ذلك البيت ، ومعه جماعة من أقرانه وأصحابه يتناولون الجام من الدام بعد الجام ، وهم يستمعون إلى نغمات مطرب الأمير ، وقد اندفع هو فى الغناء فاندفعوا هم فى الشرب وأكثروا حتى ثملوا . وما كان هذا كل ما اقترفه الأمير من ذنوب ، بل إن فرساً من مراكبه الخاصة جفل من مربطه وانطلق يلهو فى حقل رجل فقير فداس شيئاً من الزرع وأضر به . ثم إن أحد أصحاب الأمير رأى عناقيد من الحصرم متهدلة من بعض الكروم فى حديقة ، فأمر غلاماً من عبيد الأمير بأن يقطع منها عدة

(١) راجع Gibb, p. 314 ff. و Franz V. Erdmann, p. 75 و Laurence Binyon, p. 19 f.

(٢) بزرجيد : أى الأمل الكبير

(٣) اشتهر هرمزد بالعسف والجور وسفك الدماء ؛ فأطلعه أحد خواص أبيه على رقعة كتبها أنو شروان بخطه يقول فيها إن هرمزد يحكم « اثنى عشرة سنة ثم بعد ذلك تدور عليه الدوائر فتصيبه الشدائد الفواقر » فأشفق هرمزد على نفسه حين قرأ الرقعة وتاب من سفك الدماء والأذى . أنظر الشاهنامه جـ ٢ ص ١٧٤ — ١٧٥ والحاشية .

ويحملها إليه ففعل . فثار الملك من سخطه على سلوك ابنه الأمير وأمر بالفرس فأعطى لصاحب الحقل الفقير ؛ وبالغلام فوهب لمالك حديقة الكروم ؛ وبأسلحة الأمير وشاراته ، فمنحت لسكان البيت حيث قضى ليلته . وكاد الملك أن يحرق ابنه لولا شفاعة بعض أكابر المملكة ، فعفا عنه بعد أن اعترف الأمير بسوء فعلته [1]

وفى (شكل ١) نرى [2] الأمير الشاب خسرو برويز وهو راكع أمام والده الملك هرمزد الجالس على العرش يسلمه أسلحته عقاباً له

(شكل ١)

لمخالفته ما رسم به والده ، ووقف على الجانبين بعض كبار المملكة يستعطفون الملك هرمزد ليعفو عن ولده خسرو . وسحن الأشخاص هنا اصطلاحية . وهذه الصورة [3] فى مخطوط لمنظومات الخمس للشاعر نظامى الكنجوى . كتبه درويش عبد الله الأصفهانى فى سنة ٨٦٨ هجرية (١٤٦٣ م) . والظاهر من الصور التوضيحية التى به أنه قد اشترك فى تصويرها غير واحد من الفنانين . ولهذا المخطوط ميزة كبيرة وهى انسجام الصور مع المتن . وهو الآن محفوظ فى مجموعة شستر بيتى بلندن

***

بعد ذلك بمدة قصيرة رأى خسرو فى منامه جدّه العظيم أنو شروان ، وقد وقف أمامه فى عظمة وجلال ، وأخبره أنه سيكافأ بقبوله جزاء فعلته دون تذمر ، ولتخليه عن مطربه وفرسه وغلامه وأسلحته ، وأنه سيحصل فى نظير ذلك على مطرب بارع فى فنه ، له صوت عذب حنون ، سيكون اسمه « باربُد » . وعلى

(١) قارن هذا بما جاء فى الشاهنامه ج ٢ ص ١٧٥ — ١٧٦

(٢) الصور المعروضة هنا من تصوير الأستاذ محمد محمود سيد أحمد شلبي مصور دار الآثار العربية

(٣) هذه الصورة منقولة عن كتاب : Schulrz, die pers. islam. Miniaturmalerei, II Taf. 45. وانظر أيضاً Binyon — Wilkinson — Oray, Persian Miniature Painting, P. 93, No. 69, Pl, LX A. و Kühnel, in : Survey of Persian Art, III, p. 1856.

جواد أسرع من فكر الإنسان ، سيكون اسمه «شَبْديز» [1] . وعلى امرأة لا تضاهى فى الحسن والجمال سيكون اسمها « شيرين » وأخيراً على العز والمجد بجلوسه على عرش إيران

وبعد هذه الرؤيا بمدة قصيرة جاء لزيارة خسرو صديقه الحميم « شابور » ، وقد كان مصوراً بارعاً ، يجيد الرسم والتصوير ، ولا يضارعه أحد فى هذا الفن ، وكان إلى جانب ذلك رحالة بكل قلبه وقالبه ، مولعاً بالأسفار ، مشغوفاً بالرحلات إلى البلاد البعيدة والغريبة . وفى سياق حديثه مع خسرو ، أخبره أنه قدم مرة إلى بلاد جميلة تسمى « أرمينيا » تحكمها ملكة عظيمة اسمها « مهين بانو » مشهورة بين ملوك الدول المسيحية . وأن وريثة هذه الملكة العظيمة هى ابنة أخيها الأميرة « شيرين » وأن هذه الأميرة ذات جمال فريد لا مثيل له ، وسحر ملائكى وفتنة تأخذ بمجامع الألباب . وقد اعتادت هذه الفاتنة أن تجوب نواحى المملكة على رأس « قطيع » من ثلاثمائة عذراء ، تنافس كل منهن الأخرى فى جمال النفس ورشاقة القوام ؛ ليس لهن من همّ سوى التفكير فى أماكن جديدة بعيدة ، يقضين فيها أوقات طويلة فى المرح والنزهة والصيد والقنص . وأخبره أيضاً أن الملكة « مهين بانو » تملك فرساً لونه أسود كلون الليل الدامس اسمه « شبديز » . وقد عجب خسرو لاتفاق الأسماء فيما رواه له صديقه شابور مع ما حفظه عن جده أنو شروان من أسماء عند ما ظهر له فى الحلم ، وأخذ يستزيد شابور من أخبار شيرين حتى تأجج قلبه من نيران الهوى ، وهام بها هياماً شديداً لمجرد سماع أخبارها ؛ وكانت نتيجة ذلك أنه أمر صديقه « شابور » بالسفر فى التو واللحظة إلى أرمينيا ، وأن يسعى هنالك فى ربط الصلة بينه وبين « حبيبته » شيرين

وصل شابور إلى أحد أديرة أرمينيا ، حيث علم أن شيرين قادمة بعد قليل مع صويحباتها العذارى ، وأنهن سيهبطن للراحة فى روضة مجاورة . ووجد شابور فى ذلك فرصة مناسبة ليستلفت نظر شيرين إليه ، فرسم صورة لخسرو وعلقها على شجرة فى مكان ظاهر من تلك الروضة ، ثم اختبأ منتظراً ما سوف يحدث . وأقبلت شيرين إلى الروضة ومعها صويحباتها ، ورأت الصورة فأعجبت بها ،

(١) شبديز أى من لون الليل الحالك السواد

وكأن الشخص الذى تصوره قد أثر فى نفسها تأثيراً شديداً فأمسكت بها بين يديها، واسترسلت فى البكاء، وهى تقبلها. وعند ما تبين صويحباتها شدة انفعالها، عملن على إبعاد الصورة عنها، ومزقنها خفية، وأفلحن فى إقناعها بمغادرة هذه الروضة لأنها مسكونة بالجان، وما كانت الصورة سوى عمل من أعمالهم

وفى (شكل ٢) جلست الأميرة شيرين فى روضة على سجادة تتناول صورة خسرو من إحدى الفتيات، وقد جلس إلى جوارها أربع موسيقيات: الأولى منهن إلى اليمين هى مطربتها الشهيرة «نيكيسا» وفى يدها الجنك، ثم ضاربة للدف، فثالثة تغنى وتصفق، ورابعة تعزف على المزمار. وقد وقف حولهما بعض صويحباتها وجواريها وأحد الحراس. وهذه الصورة[1] فى مخطوط للمنظومات الخمس للشاعر نظامى، مؤرخ سنة ٩٠٠ هـ (١٤٩٤ م) كتب للأمير ميرزا أحمد على فارسى أحد أمراء السلطان حسين بيقرا، واشترك فى تصوير الصور التوضيحية التى به بعض مشاهير المصورين فى ذلك العصر. وهذه الصورة من تصوير الفنان «ميرك خراسانى»، وهو إلى جانب ذلك خطاط مشهور. ويقال إنه أحد أساتذة المصور الشهير «بهزاد» وهذا المخطوط محفوظ فى المتحف البريطانى

(شكل ٢)

***

غادرت شيرين ومن معها الروضة الأولى ونزلن فى روضة ثانية، وكان شابور قد رأى وسمع من مخبأه هناك كل ما حدث وقيل، فسبقهن إلى الروضة الثانية ووضع صورة أخرى فى مكان ظاهر منها. وقد حدث هنا ما حدث فى الروضة الأولى وغادرتها شيرين وفتياتها إلى ثالثة، حيث كان شابور أيضاً قد سبقهن وعلق صورة ثالثة، وكانت شيرين قد غلبها حب خسرو لمجرد رؤية صورته، كما غلبه حبها لمجرد سماع أخبارها — والحب كما يقولون يعلم الحيلة والدهاء — فاحتفظت بالصورة هذه المرة، وأرسلت صويحباتها يبحثن عن صور أخرى فى الرياض المجاورة، وهى فى الحقيقة تود أن تخلو إلى نفسها. ورأى شابور أن الفرصة قد حانت، فخرج من مخبأه وتقدم إليها متنكراً فى زى راهب، وبعد أن جعلها تأمر بانسحاب أتباعها، أخبرها أنه مصور هذه الصور وأنها تمثل شخص الأمير خسرو برويز، وأن هذا الأمير قد تملك فؤاده حبها، وأرسل معه إليها خاتماً كدليل لمحبته لها. وهنا صارحته شيرين بحبها لخسرو، وتوسلت إليه أن يرشدها إلى الطريق نحو المدائن، عاصمة إيران. وبعد أن وصف لها شابور الطريق، انسحب ورجع من حيث أتى.



(شكل ٣)

وفى (شكل ٣) نرى أن الأميرة شيرين قد جلست فى روضة على عرش وجلس أمامها شابور وفى يده صورة خسرو، وأمام العرش فسقية بها ماء تسبح فيه أوزة، ووقف خلف «شيرين» بعض العذارى من صويحباتها، وحول شابور نرى الأتباع والخدم، منهم الجالس والواقف، وبعضهم يقوم بواجباته من تقديم الطعام والشراب. ولم ينس المصور أن يرسم صورة البستانى وفى يده جاروف يعمل فى الأرض. والرجال يلبسون عمائم تخرج منها عصا كانت الزى المتبع فى لباس الرأس فى عصر الدولة الصفوية. ونرى أن سحن الأشخاص فى هذه الصورة تمتاز بما بها من حياة وظهور التأثيرات المختلفة عليها

(١) منقولة عن كتاب: Martin, The Miniature ainting of Persia, India and Turkey, Vol. II, pl, 95 أنظر أيضاً A Survey of Persian Art, II, p. 1737; III, p. 1857 n. 4

من اهتمام وتفكير وسرور وحزن إلى غير ذلك مما امتازت به صور هذا العصر . وهذه الصورة[1] من تصوير « ميرزا على » أحد تلاميذ المصور بهزاد ، ومن مشاهير الفنانين فى عصر الشاه طهماسب ، وقد اعتاد هذا المصور أن يصور رجاله وهم ملتحين . وبالرغم من براعة « ميرزا على » فى تصوير هـذه الصورة ، فإنه فاته أن يمثل مقابلة شابور لشيرين وهما منفردان كما أراد ذلك الشاعر نظامى . وهذه الصورة فى مخطوط لنظامى كتب للشاه طهماسب ومؤرخ سنة ٩٤٦ ـ ٩٥٠ هجرية (١٥٣٩ ـ ٤٣م) ، واشترك فى تصوير الصور التوضيحية التى به خمسة من كبار فنانى ذلك العصر . وهو محفوظ فى المتحف البريطانى .

* * *

بعد انسحاب شابور من الروضة ، رجعت شيرين ومن معها إلى القصر ، وصعدت فى ذات الليلة إلى عمتها مهين بانو ، وأخذت تحدثها عن رحلاتها للنزهة والصيد ، وفى سياق كلامها أبدت رغبتها فى الخروج صباح اليوم التالى فى رحلة طويلة للصيد ، وهى لذلك ترجو عمتها إعارتها الفرس الأسود شبديز ، وقد أجابتها عمتها إلى ذلك . وفى الصباح الباكر تمنطقت شيرين بأسلحتها ، وركبت الفرس الأسود ، وخرجت مع فتياتها لصيد الغزلان . وكانت هذه فرصة لها كى تعدو بجوادها السريع خلف غزال وتغيب معه عن الأنظار ، وعبثاً حاول صويحباتها اللحاق بها أو البحث عنها ، فرجعن إلى مهين بانو وأخبرنها بالأمر ، فحزنت حزناً شديداً لاختفائها

وبعد أن ركبت شيرين سبعة أيام متوالية ، شعرت بالتعب يدب فى جسمها ، فترجلت ونامت بعد أن استودعت نفسها الله عز وجل ولكنها سرعان ما صحت من نومها على صهيل جوادها ، وتبينت أسداً يقترب من ناحيتها ، فأخذت سهماً وأطلقته على الأسد فقتلته . ثم تابعت السير حتى وصلت إلى روضة فى وسطها بركة جميلة من الماء ، فاعتزمت الاستحمام بها لشدة ما نالها من التعب وما كساها من الغبار . وعلى ذلك ربطت شبديز إلى شجرة ، وتجردت من ملابسها وأسلحتها وعلقتها إلى جواره ، ثم تمنطقت بقماش أزرق حول وسطها ونزلت فى الماء تستحم

وإذ هى تستحم قدم شاب إلى هذه الروضة ، ورأى شبديز مربوطاً إلى الشجرة ، فاقترب منه معجباً به ، وعند ذلك رأى الملابس والأسلحة معلقة إلى جواره ، وأخيراً رأى شيرين وهى جالسة فى بركة الماء تعبث فيه وتداعبه ، كأنها حورية جلست لتسحر من يرتاد ذلك المكان ، فشخص إليها خسرو — وكان هو ذلك الشاب القادم — وقد ألهاه جمالها الفاتن عن كل ما عداه . وشعرت شيرين بوجود غريب قريباً منها ، فالتفتت إلى الخلف . ولما رأت خسرو ارتبكت ، فانسحب هو فى حياء وانطلق يعدو بجواده بعيداً عنها ، وخرجت هى من الماء وارتدت ملابسها وامتطت شبديز فانطلق بها يسابق البرق . وهكذا التقى الحبيبان لأول مرة دون أن يعرف أحدهما الآخر ، ثم افترقا وقلب كل منهما يحدثه أنه رأى حبيبه

(شكل ٤)

وفى (شكل ٤) نرى شيرين وهى جالسة فى بركة ماء ، وإلى جوارها وقف (شبديز) جوادها الأسود الأصيل ، وعلى ظهره غطاء جميل ، وهو يصهل كأنه ينبهها لوجود « خسرو » الواقف بجواده على مقربة ، وقد وضع سبابته فى فمه لشدة ما اعتراه من تأثر عند رؤيته شيرين بجمالها الفاتن ، وقد صار وضع السبابة فى الفم من التقاليد التى اتبعها الفنانون فى تصويرهم خسرو عند رؤيته لشيرين ، كما نرى ذلك فى صور كثيرة لهما ، وهذه

(١) منقولة عن : Laurence Binyon, The Poems of Nizami, pl. VI. : أنظر Martin, II, pl. 132.

من أدب القرن التاسع

كتاب «سحر العيون»

للأستاذ أحمد يوسف نجاتي

— ٣ —

ولقد أنجب المحب بن الشحنة ورزقه الله ذرية مباركة طيبة منهم :

٨ — أثير الدين محمد (وهو سبط العلاء بن خطيب الناصرية ، أمه السيدة خديجة بنت العلاء) ولد أثير الدين فى شهر صفر سنة ٨٢٤ بحلب ونشأ بها ، وأخذ عن أبيه وغيره ، وناب عن أبيه فى القضاء بمدينة حلب سنة ١٨٣٩ وناب عن جده لأمه فى خطابة الجامع الكبير بهـا أيضاً ، ثم استقل بالقضاء فى أوائل سنة ٨٥٦ وقلد كثيراً من الوظائف الدينية والعلمية ، وقدم على أبيه القاهرة غير مرة وحج معه ، واتصل بعلم الدين السخاوىّ ، وفيه يقول كان كثير التودد خيراً من أخيه عبد البر ، ولـكن ذاك أفضل فى الجملة مع سكون هذا وتواضعه وأدبه . وتوفى فى جمادى الأولى سنة ١٨٩٨ بمدينة حلب

٩ — سرىّ الدين أبو البركات عبد البر الشحنة وهو أنبه أبناء المحب . ولد فى أواخر سنة ٨٥١ بحلب ، وانتقل منها صحبة أبويه إلى القاهرة وتلقى العلم بها عن أبيه وجده وكثير من فضلاء عصره كما سمع ببيت المقدس وغيره ، وعرف بالذكاء والفطنة ، وقلد كثيراً من وظائف القضاء والإفتاء والخطابة والتدريس بمدارس كثيرة بالقاهرة ، وفيه قيل :

دروس عبد البر فاقت على أبيه فى الحفظ وحسن الجدل
وذاك عنـد الأب أمر به نهاية السّول وأقصى الأمل

وولى قضاء حلب والقاهرة ، وارتفعت منزلته حتى كان جليس السلطان الغورى[1] وسميره ، ولا غرو فقد كان عالماً أديباً ذا حشمة وفضل وحسن بيان متقناً للعلوم الشرعية والعقلية واللسانية ، وقد ترجم له السخاوى ولم يسلم من غمزاته حتى قال فيه : وليس بثقة فيما ينقله ولا بعمدة فيما يقوله ، بل هو غاية الجرأة والتقول ، ولو تصوّن وسلك طريق السداد أو تستر أو تأدب مع مشايخ الوقت وفضلائه أوضبط لسانه عن الوقيعة فى الأكابر لـكان أخلص له وأقرب إلى محبة الناس فيه . إلى أن قال : وصار أبوه بسببه إلى غاية فى الامتهان ، وقاسى ألواناً من الذل والهوان ؛ ولـكن عسى أن يكفر ذلك عنه بعض ما اقترفه ، فالولد سر أبيه ... الخ . اهـ

أقول : يظهر أن عبد البرّ كان عنده شىء من الاعتداد بالنفس والاعتزاز بمكانته وأنه نافس السخاوى مع أنه أكبر منه وأعلم ، ولـكليهما تآليف فى علوم مختلفة . هذا إلى أنى لا أنزه ابن الشحنة من بعض ما وصفه به ، ولـكل جواد كبوة . وكان

(١) عاصر القاضى عبد البر بن الشحنة من ملوك مصر الملك الظاهر أبا سعيد جقمق المتوفى سنة ٨٥٧ ، والملك الأشرف إينال العلائى المتوفى سنة ٨٦٥ ، والسلطان الملك الظاهر سيف الدين أبا سعيد خشقدم الناصرى المتوفى سنة ٨٧٢ ، ثم الملك الأشرف (قايتباى المتوفى سنة ٩٠١، ثم ابنه السلطان الملك الناصر محمد توفى سنة ٩٠٠ ، ثم الملك الغورى (قانصوه ابن عبد الله) ولى سلطة مصر فى شوال سنة ٩٠٦ وكان ذا رأى وفطنة وخير وبر مع دهاء وطمع وعسف ، وقد نال أهل مصر من مماليكه أذى كثير حتى طغوا فى البلاد وأكثروا فيها الفساد ، فسلط الله عليهم السلطان العثمانى (سليم خان) ، وكانت بينه وبين السلطان الغورى الواقعة المشهورة بمرج دابق شمالى حلب سنة ٩٢٢ انتهت بقتل الغورى وزوال دولة المماليك الجراكسة من مصر وانتقال الأمر إلى الدولة العلية العثمانية .

الصورة[1] من تصوير « سلطان محمد » أحد مشاهير مصورى عصر الشاه طهماسب ، وهى فى مخطوط نظامى السابق ذكره المكتوب لهذا الشاه

وقد صور المصور « رضا عباسى » فى القرن العاشر الهجري صورة شيرين واقفة وهى تخرج من المـاء شبه عارية ، وهذه الصورة[2] محفوظة فى مكتبة الدولة ببرلين

(له بقية) محمد مصطفى

أمين مساعد دار الآثار العربية

(١) منقولة عن : Laurence Binyon, pl. VII وانظر أيضاً : Martin, II, pl 133 و S. P. A. III p. 1875; V pl. 898 و Sakisian, La Miniature Persane, pl. LXXXII, fig. 147

(٢) أنظـــر : Kühnel, Islam. و Schulz, II, Taf. 164 Miniaturmalerei, Taf. 88

بمصر فى ذلك الحين شاعر هجاء خبيث اللسان جعل لسانه مقراضاً للأعراض اسمه عبيد[1] السلمونى ؛ فكان من يتقى عرضه من كرام الناس يشتريه منه بالإحسان إليه أو بمداراته ، فاتفق أن تعرض للقاضى عبد البر وهجاه بقصيدة يقول فى أولها :

فشا الزور فى مصر وفى جنباتها ولم لا وعبد البر قاضى قضاتها

فأدبه السلطان الغورى وعقد له مجلساً بحضرته فى مستهل شهر المحرم من سنة ٩١٣ وأحضر عبيد السلمونى هذا مكبلاً فى الحديد ، فأنكر أن تكون القصيدة له ، فلم ينجه هذا من تعزيره وأليم تأنيبه

وللقاضى عبد البر بن الشحنة مؤلفات كثيرة ، منها « شرح منظومة ابن وهبان[2] فى فقه أبى حنيفة النعمان » وابن وهبان هو القاضى أمين الدين عبد الوهاب بن أحمد بن وهبان الدمشقى قاضى مدينة حماة توفى سنة ٧٦٨ ، ومنظومته قصيدة رائية من بحر الطويل عدتها ٤٠٠ بيت ، ضمنها غريب المسائل فى الفقه سماها : « قيد الشرائد ونظم الفرائد » ؛ ثم شرحها فى مجلدين وسماه : « عقد القلائد فى أصل قيد الشرائد » ، ثم شرحها قاضى القضاة عبد البر بن الشحنة شرحاً حسناً قيد فيه ما أهمله الناظم فى شرحه وألحق به مسائل أخرى وفروعاً غريبة ، وغير ما عسر فهمه من بعض أبياته بأوضح منه ، وسمى شرحه : « تفصيل عقد الفوائد بتكميل قيد الشرائد » ؛ وفرغ من تصنيفه فى شهر شوال سنة ٨٨٥ ، ثم هذبه سنة ٨٩٥ . ومن مصنفاته شرح منظومة جده أبى الوليد المتوفى سنة ٨١٥ ، والتى نظمها فى عشرة علوم . ومنها شرح « كنز الحقائق » فى فقه الحنفية (ومتن الكنز هو للامام أبى البركات عبد الله بن أحمد الحافظ النسفى المتوفى سنة ٧١٠) وسمى شرحه « الإشارة والرمز إلى تحقيق الوقاية وفتح الكنز » ومنها « تحصيل الطريق إلى تسهيل الطريق » وهو رسالة أولها : « الحمد لله الذى سهل لمن اختار من عباده طريقاً إلى الجنة » ، ذكر فيه أن بعض الناس أحدث فى طريق القاهرة حوادث تضر بعامة المسلمين ، فألف هذه الرسالة فى دفع مثل ذلك فى شهر شعبان سنة ٨٨٦ . ومنها : « زهر الروض فى مسألة الحوض » تكلم فيه عن حوض دون ثلاثة أذرع وعن حكم الوضوء فيه . وله « الذخائر الأشرفية فى ألغاز الحنفية » ، وله شرح « جمع الجوامع » المشهور فى أصول الفقه لتاج الدين عبد الوهاب بن على السبكى المتوفى سنة ٧٧١ وغير ذلك

وكان القاضى عبد البر شاعراً أديباً ومن شعره :

أأنصار الشريعة لن تراعوا سيكفى الله قوماً ملحدينا
ويخزيهم وينصركم عليهم (ويشف صدور قوم مؤمنينا)

وله مفتخراً ومعدداً مناقبه (وقد كان غير ذلك أولى به) :

أضاروها مناقبى الكبار وبى والله للدنيا الفخار
بفضل شائع وعلوم شرع لها فى سائر الدنيا انتشار
ومجد شامخ فى بيت علم مفاخرهم بها الركبان ساروا
وهمة لوذع شهم تسامى وفوق الفرقدين لها قرار
وفكر صائب فى كل فن إلى تحقيقه أبداً بصار

وكان بمصر فى ذلك العصر امرأة جميلة مغنية تسمى خديجة الرحابية ذات براعة فى الغناء والإنشاد يتعرض لها شبان عصرها وأهل الخلاعة منهم ، وكان ممن تعرض لها أحد المنتسبين للعلم المسمى محمد بن سالم بن خليل بن ابراهيم القاهرى الأزبكى ولد سنة ٨٥٥ وتوفى سنة ٩٠٠ . فقال القاضى عبد البر يعرض به :

إن تمنعت يا مهاة عن الوصل فإنى والله حلو الوصال
لست نذلا ولست فظاً غليظاً لا ولا فى الوجود شىء مثالى

---

(١) وممن هجاهم عبيد السلمونى : بدر الدين محمد بن محمد بن يوسف ابن عبد الكريم بن بركة القاهرى ، من أفاضل العلماء فى أواخر القرن التاسع ، فقد عرض به فى قصيدة قالها يمدح بها القطب الخيضرى (محمد ابن محمد بن عبد الله بن خيضر الدمشقى ولد سنة ٨٢١ وتوفى سنة ٨٩٤) يقول فيها :

ألا هكذا فليطلب المجد والعلا وإلا فجد الجاه والمال زائل
إذا كان علم المرء بالجاه والغنى فما السيف إلا غمده والحمائل
فواحرباً كم عز بالجاه جاهل وكم نال منه ما أرادوا أراذل
فيالك قطباً دونه الشمس فى الضيا ودون سنا عليائه البدر آفل

(٢) ولابن وهبان كتاب (أحاسن الأخبار فى محاسن السبعة الأخيار أئمة الخمسة الأمصار الذين اشتهرت قراءتهم فى سائر الأمصار) ألفه سنة ٧٥٦ ومنه نسخة خطية بدار الكتب رقم ٢٩٤٧

وكانت وفاة القاضى عبد البر بحلب فى شهر شعبان سنة ٩٢١ رحمه الله تعالى . ولسرى الدين عبد البر وأخيه أثير الدين أبناء بررة هم أحفاد المحب بن الشحنة ؛ ومنهم :

١٠ — لسان الدين بن أثير الدين أحمد ولد سنة ٨٤٤ بحلب ونشأ فى كنف أبيه وجده ، وربى تربية بنى الشحنة ، وقدم على جده المحب القاهرة ، ثم ناب عنه فى كتابة السر بها ، ثم ولى قضاء الحنفية بمدينة حلب ، وحج مع أبيه وجده ، ثم فارقهما من عقبة أيلة إلى حلب لمباشرة وظيفته . وكان عالماً عاقلاً عفيفاً كيساً . قال السخاوى : « ... مع فتور ذهنه ، وله نظم وسط فمنه لما فصل جده عن كتابة السر ليحل محله ابن الديرى[1] :

كتابة السر قد أضحت مشوهة   لما قلاها محب الدين قد هانت
وأصبح الناس يدعون المحب لها   كيما يرق عليها بعد ما بانت

توفى شهيداً بالطاعون سنة ٨٨٢ رحمة الله

١١ — وأخوه جلال الدين محمد ويكنى أبا البقاء مثل كنية البدرى صاحب « سحر العيون » : نشأ نشأة سلفه وأهله ، وتلقى العلم بحلب وبيت القدس والقاهرة ، وولى قضاء حلب سنة ٨٦٢ ، وقدم القاهرة غير مرة ، ثم أدركته منيته بها بعد علة طال أمدها فى شوال سنة ٨٩٢ رحمه الله . قال السخاوى : وكان ذا شكالة وهيئة ، غير محمود فى دينه ولا معاملاته ، عفا الله عنه وإيانا

١٢ — وأخوه عفيف الدين أبو الطيب بن أثير الدين ابن المحب حسين بن محمد ولد سنة ٨٥٨ وسمع عن جده وغيره ، وقدم القاهرة غير مرة ، وأخذ عن بعض علمائها ، وكان يتردد بينها وبين حلب ، وولى قضاء حلب وكتابة السر بها ، ولما عاد إلى القاهرة بعد موت أخيه التقدم سنة ٨٩٢ فى أيام الملك الأشرف أبى النصر

(١) ابن الديرى (نسبة لمكان قرب نابلس) هو القاضى برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن سعد المقدسى الحنفى نزيل القاهرة ، ولد سنة ٨١٠ وولى كتابة السر بالقاهرة سنة ٨٦٦ ولم يلبث أن فصل عنها وتوفى سنة ٨٧٦ ، وكان عالما أديبا تقلد عدة وظائف علمية بكثير من المدارس بالقاهرة ، كما ولي القضاء والخطابة وكتابة السر ، وكان حميد السيرة عف السريرة

قايتباى[1] أمر بنفيه إلى الواحات ، فذهب إليها ولبث بها حيناً حتى شفع فيه فعاد ، ثم توفى بالقاهرة مطعوناً فى شهر شوال سنة ٩١٠ رحمه الله ؛ قال السخاوى : وكان مع كثرة اشتغاله جامداً وله اعتناء بالخيول . ا ه

١٣ — عبد الغفور بن عبد البر توفى فى طفولته بالطاعون سنة ٨٠٢

١٤ — وأخوه قاضى القضاة محب الدين محمد بن سرى الدين قاضى القضاة عبد البر . ولد بمدينة القاهرة ونشأ بها ، واشتغل بالعلم على أبيه وغيره ، وولى نيابة الحكم عنده ، ثم نيابة الحكم عنه ، ثم قدم مدينة حلب عند انقضاء الدولة الجركسية سنة ٩٢٢ بعد أن حج وجاور بمكة . وكان لطيفاً أديباً حسن البزة جميل المطارحة لطيف المازحة مقداماً مهيباً دمث الطباع رقيق الحاشية أديباً شاعراً . وتوفى ببلدة حلب فى شهر شعبان سنة ٩٥١ رحمه الله ، ومن شعره :

يا حبيبي صل مُعَنَّى   ذاب وجداً وغراما
وارحمن صبًّا كساه   غزل عينيك سقاما
ورماه عن قسِيّ الحـاجب اللحظُ سهاما
أنحلته رقة الخصر   نحولاً حيث هاما
لا يرى إلا خيالا   إن تقل فيه نظاما
لم يذق من يوم غبتم   عنه لا أكلاً ولاما
أطلقت عيناه نهراً   طلقت منه المناما
أوقدت حشو حشاه   نار خديك ضراما
عجباً للنار فيه   وبه حزت القاما
إن بعد الوصل عادت   بك برداً وسلاماً

(يتبع)

أحمد يوسف نجاتى
الأستاذ بكلية اللغة العربية

(١) ولى السلطان قايتباي أمر مصر فى أوائل شهر رجب سنة ٨٧٢ وكان ملكا جليلا وسلطانا نبيلا ، وله اليد الطولى فى إسداء الخير والطول الكامل فى نشر المبرات ، وكان حسن العقيدة عظيم الاحتياط فى شأن الوظائف الدينية والعلمية : كالقضاء والفتيا والتدريس ؛ فلا يولى شيئا من ذلك إلا من طابت سيرته وعلم أنه أصلح من يقوم بما يعهد إليه بعد روية وبحث ، وله فى نشر العدل والعلم ما يحمد أثره ويطول شكره ؛ وتوفى فى ذى القعدة سنة ٩٠١ رحمه الله

هل فكرنا في المستقبل ؟!

للأستاذ عبد السلام المنياوى

يسألنى كثير من الناس : لماذا تعيش فى عزلة عن دولة الأقلام ؟ ولماذا تقنع بالصمت عن رسالة الدعوة ؟ ولماذا لا يرتفع صوتك فى مجال الإصلاح والتفكير ؟

أطيل الوقفة إزاء هذه الأسئلة ، ويمتد بى التفكير أمام هذا الغرض ، لا بحثاً عن الجواب ولا تلمساً للسبب ، ولكن ألمح فى سرعة صور هذا المحيط الذى نعيش فيه ، وأتمثل فى إنصات نفثات هذه القلوب المؤمنة فى سبيل الدين والوطن والحياة العزيزة

أجل أطيل النظر والاستعراض ثم ... أجيب ولكن إجابة الآسف الملتاع وأخشى أن أقول إجابة اليائس المتشائم ، ذلك لأننى أعتقد أن القلم يجب أن يستريح حينما يكون تعبه هباء ، وأن الدعوة يجب ألا توجه حينما لا تكون إلا في الهواء ، وأن الإصلاح يجب أن ينادى به حينما يهيأ الجو ويوجد الرجال !

فهل تهيأت القلوب للاستماع ؟ وهل آن للضمائر أن تنصت ؟ وهل بين المقتنعين من بيده التنفيذ ؟ إنا لنلتهب حماسة إلى خير هذا الوطن العزيز ، وتنفطر قلوبنا أسى عند ما نذكر هذه المخزيات المصرية ، ونرجو فى تلهف وطماعية أن تقر عيوننا حيناً من الدهر بما ينال هذا الشعب المجيد ، ونهتف من أعماقنا مع أستاذنا المراغى فى عقيدة وإيمان : لا بد من دين الله لدنيا الناس ، كما نضم صوتنا فى حرارة وإخلاص إلى الأستاذ الزيات إذ يقول : لا بد للاسلام من مؤتمر ... لسنا صادرين فى هذا عن عصبية ولا جمود بل هي عقيدة الفطرة ونطق الواقع وشهادة الأعداء ، وإنه ليمتزج بأفكارنا ونفوسنا امتزاجاً أن هذا العالم صائر يوماً لا محالة طوعاً أو كرهاً أو طبيعة إلى هذا المدى الإلهى الحكيم ...

ولكن دين الله ومؤتمر الإسلام لا بد أن نحتلّ بهما نحن المسلمين ! ولا بد أن نجاهد من أجلهما عواطف الزعماء ! ولا بد أن نمكّن لهما فى قلوب الشباب ! نعم لا بد أن نحتلّ وأن نجاهد ونمكن حتى نفيض على هذه الدنيا بما فى حيازتنا من كنوز طالما أغرونا بأن نستبدلها بزيفهم ، ونعيد إليهم باطلهم بعد ما نكون قد محوناه بحقنا الخالد ، وندفع بالتى هى أحسن السيئة حتى يدركوا وضع الشرق والغرب ويقروا على رغمهم بزعامة الإسلام والمسلمين

ولكن بيننا ربا وخمر ومقامرة ، وفينا تبذل وغرور وبغى ، ومنا أناس ينكرون — أو يتجاهلون — هذا الماضى المجيد . فماذا نعمل وبلادنا قد عجت بالمشكلات وشعبنا قد تفشته الأدواء ؟ ماذا نعمل وقد استعصت هذه « المشكلات » على الحل ، وأعيت هذه « الأدواء » علاج ذوى الغيرة من رجال الفكر والإصلاح ؟ لم لا استعصاء ولا إعياء ولكن يعوزنا الإيمان ويعوزنا الإقدام ويعوزنا النزول على حكم الله (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)

إن هذا الوقت الذى تمضى فيه « اللجان » إلى العمل ، وإن هذا الوقت الذى يكتبون فيه « تقاريرهم » وإن هذا الوقت الذى يجهدون فيه أنفسهم للبحث حرام أن تضيع هذه الأوقات فى غير ما ثمرة ! وحرام أن تصرف هذه الأموال بلا مقابل ! وحرام ألا يجد الناس ما يحميهم من أغوال الفقر وويلات الجهل وخفض المستوى العام بينما لا تبعد عنهم هذه الحماية إلا بمقدار ما يبعد هؤلاء عن معين الإسلام وقانون الإنسانية ! !

وإنا لنسمع العالم كله يتحدث عن « نظامه الجديد » ومن خلال هذا الصراع العنيف وفى وسط هذا الدوى الهائل يتردد فى الآفاق صدى صوت حبيب منعش هو أنشودة الحرية ورجاء السلام ومنية الاستقرار ، فسنة الله أن ينجاب الظلام عن الفجر ، وأن يتنفس الصبح بعد إدبار الليل ؛ ولا بد أن يرتفع المستقبل على أنقاض الحاضر ، وقد تواطأت الفكَر على أن هذا المستقبل ملىء بأساليب الهدم حافل بأنواع الإصلاح مشيد من لبنات قوية ليس من ذراتها اطمئنان إلى ترف ولا ركون إلى دعة ولا عزوف عن جد ... هذا هو الجيل الجديد وهؤلاء هم أبناء العهد الجديد ، فعلى أى أساس يكون مستقبل جيلنا المنتظر . وعلى أى الدعائم يرتكز عهدنا المنشود ؟ ؟

لقد قال الأستاذ إدوار مونتيه فى إحدى محاضراته : « لا شك أن الإسلام يعد من أكبر وسائل تمدين الناس وترفية أحوالهم الاجتماعية والدينية والخلقية والاقتصادية . الإسلام حضارة قائمة بنفسها رغم ضعف المسلمين فى فترة من الزمن ، وسينتبهون مرة ثانية فينشرون المدنية والرقى فى كل أنحاء العالم» وهذا برناردشو يقول : « إنى دائماً أحترم الدين الإسلامى غاية الاحترام ، لما فيه من القوة الحيوية ، فهو وحده الدين الذى يظهر لى أنه يملك القوة المحركة التى تغير صورة الكون ، ذلك لأنه يوافق كل جيل ، ويتمشى مع مصلحة البشر فى كل زمان ... لا شك أن العالم يقدر تكهنات رجل مثلى : أنا على يقين أن دين محمد سيكون دين أوربا فى غد . . . وقد رأى عظماء المفكرين من أهل النزاهة مثل كارلو وغوتى وجيبون فى القرن الـ ١٩ وجرب تقدير وإجلال دين محمد ، وقد أحدث رأيهم شيئاً من التغيير فى سلوك الأوربيين مع الإسلام ، لكن أوروبا هذا القرن (العشرين) قد تقدمت فى ذلك تقدماً بعيد الشأو وقد أخذوا يقمون فى الهيام بعقيدة محمد ، وفى القرن التالى سيكون أهل أوروبا أكثر معرفة بفائدة اعتقاد محمد فى حل مشكلاتهم ، وبهذا يمكنك أن تفهم ما تكهنت به ! »

بعد هذا — ولا أحسب نفسى فى حاجة إليه ، فربما قد رآه من إليهم أوجه الحديث — أحب أن نصل إلى خطة حاسمة فى هذا المعترك ، وأن نفكر جادين فى مستقبلنا مهما تكن الأوضاع ؛ ولنُولّ وجهنا إلى غير ما اتجهت القافلة ، وما دامت هذه المدنيات تنهار وهذه النظم تعلن عن نفسها بالفشل ، فمن الخطأ والحمق أن تنتمى إلى التقليد ، ولنستبق الزمن بأخذ أساليب الحكم والتشريع والقضاء على نظام إسلامى ، قبل أن نفعل تابعين وليس لنا يد . هذا الإسلام يا قوم ، اعرضوه على أنه فكرة من الفكر ، وكثيراً ما فشلت برامج وأهملت قوانين لم تتفق وهذا القانون السماوى . جربوه ... جربوه أيها الناس وإلا فقد دللتم على خبايا النفوس ومكنونات الصدور ... يجب أن نرى أمامنا الفرد المسلم والأسرة المسلمة والحكومة المسلمة والوطن المسلم ، ولنعتز بهذا الشرف الذى وضعنا فيه وخوّلنا إياه أحكم الحاكمين : شرف الوساطة بين السماء والأرض ، بين الله والناس ... !

هذا وإن الغرائز البشرية أو جُلّها البارز قد جعلت من الإنسان الذى يبغى كمال الحياة ويتلمس نور النعيم وينشد ذروة المجد ، مجاهداً يصارع نفسه ، ويجالد هواه ، وينازع فطرته التى تكونت من الأنانية والتكاثر والهلع والعجلة والجبن واللذة الخ . لا أقول كما قال الشاعر إنها كالطفل ، ولكن كما قال النبى إنها أعدى الأعداء ، جهادها هو الجهاد الأكبر ، والظفر بأسرها هو النصر المؤزر ...

ألا فانتزعوا أيها الشباب من بين جنوبكم هوى النفس ، ومن أذهانكم خمود الفكر ، ومن أعماقكم وهن العزيمة ، ثم هبوا فى إقدام لا يعرف التوانى ؛ وهنا تسطرون بحق أول صفحة من صفحات الجدارة بالحياة ! ؟

عبد السلام المنياوى

من غزل الملوك

للأستاذ عبد الله مخلص

كنتُ أعددت بعض فصول من كتاب باسم « العاطفة عند العرب » وبينها فصل عنوانه سلطان الحب وحب السلاطين فرأيت أن أنقل شيئاً منه لقراء الرسالة ترويحاً عن نفوسهم المكروبة فى هذه الأيام السود . قال سليمان بن الحكم الروانى الملقب بالمستعين وهو من بنى أمية :

عجباً يهاب الليث حدّ سنانى وأهاب سحر فواتر الأجفان
وأقارع الأهوال لا متهيّباً منها سوى الإعراض والهجران
وتملكت نفسى ثلاث كالدمى زهر الوجوه نواعم الأبدان
ككواكب الظلماء لحن لناظر من فوق أغصان على كثبان
حكّمت فيهن السلو إلى الصبا فقضى بسلطان على سلطانى
فأبحن من قلبى الحمى وتركننى فى عز ملكى كالأسير العانى
لا تعذلوا ملكاً تذلّل للهوى ذلّ الهوى عزّ وملك ثانى
ما ضرّ أنى عبدهن صبابة وبنو الزمان وهن من عبدانى
إن لم أطع فيهن سلطان الهوى كلفاً بهن فلستُ من مروان

وقال الخليفة هارون الرشيد العباسى يرثى جاريته هيلانة :

فارقت عيشى حين فارقتها فما أبالى كيفما كانا
كانت هى الدنيا فلما ثوت فى قبرها فارقت دنيانا
قد كثر الناس ولكننى لست أرى بعدك إنسانا

وكان للخليفة المأمون العباسى جارية بارعة الجمال ظريفة حاذقة بالغناء ونظم الشعر تدعى عريب وقد كان اشتراها من أخيه المعتصم بمائة ألف دينار ثم أعتقها، وكان المأمون شديد الكلف عظيم الشغف بها فقال مداعباً لها :

أنا المأمون والملك الهمام على أنى بحبك مستهام
أترضى أن أموت عليك وجداً ويبقى الناس ليس لهم إمام

فقالت يا أمير المؤمنين والدك أعشق منك حيث قال :

ملك الثلاث الآنسات عنانى وحللن من قلبى بكل مكان
مالى تطاوعنى البرية كلها وأطيعهن وهن فى عصيانى
ماذاك إلاّ أنّ سلطان الهوى وبه قوين أعزّ من سلطانى

ويرى القارئُ أن الرشيد أغار على أبيات ابن الحكم الأموى

وقال المعز لدين الله الفاطمى :

لله ما صنعت بنا تلك المحاجر بالمحاجر
أمضى وأقضى فى النفو س من الخناجر فى الحناجر
ولقد تعبت ببينكم تعب المهاجر فى الهواجر

وقال أيضاً :

أطلع الحسن من جبينك شمساً فوق ورد فى وجنتيك أطلاّ
وكأن الجمال خاف على الور د جفافاً فمدّ بالشعر ظلاّ

وقال السلطان سليم ـ بن السلطان بايزيد العثمانى ـ فاتح مصر :

لولا الإله وحرّ نار جهنّم لعبدتُه وسجَدتُ بين يديه

* * *

وهذه أشعار بعض الأمراء والوزراء الذين كانوا ملوكاً بالفعل فى إدارة الممالك وعبيداً فى دولة الحب

قال الأمير عبدالله بن طاهر بن الحسين من أمراء الدولة العباسية :

نحن قوم تليننا الحدق النجـ ـل على أننا نلين الحديدا
طوع أيدى الظباء تقتادنا العيـ ـن ونقتاد بالطعان الأسودا
نملك الصيد ثم تملكنا البيـ ـض المصونات أعيناً وخدودا
تتقي سخطنا الأسود ونخشى سخط الخشف حين يبدى الصدودا
فترانا يوم الكريهة أحرا را وفى السلم للغوانى عبيدا

وقيل إن هذه الأبيات هى لأصرم بن حميد ممدوح أبى تمام

وقال محمد بن عبد الملك الزيات الوزير العباسى :

صغير هواك عذبنى فكيف به إذا احتنكا
وأنت جمعت من قلبى هوًى قد كان مشتركاَ
وحسن رضاك يقتلنى وقتلى لا يحلّ لكا
أما ترثى لمكتئب إذا ضحك الخلىّ بكا

وقال سيف الدولة على بن عبد الله بن حمدان صاحب حلب يصف حجزه إحدى جواريه فى قلعة عند ما خاف عليها :

راقبتنى العيون فيك فأشفقـ ـت ولم أخلُ قطّ من إشفاقِ
ورأيت العدوّ يحسدنى فيـ ـك مجدّاً بأنفس الأعلاقِ
فتمنيتُ أن تكونى بعيداً والذى بيننا من الودّ باقِ
ربّ هجر يكون من خوف هجر وفراق يكون خوف فراقِ

وقال طلائع بن رزيك من وزراء الدولة الفاطمية من أبيات :

الناس طوع يدى وأمرى نافذ فيهم وقلبى الآن طوع يديه
فاعجب لسلطان يعمّ بعدله ويجور سلطان الغرام عليه
والله لولا اسم الفرار وإنه مستقبح لفررتُ منه إليه

عبد الله مخلص

٣٠ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

الأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل التاسع — اللغة والأدب والعلوم

يعتقد العرب بالخرافات اعتقاداً عظيما . ويعد عرب مصر أكثرهم تعلقاً بهذه الاعتقادات الباطلة . وأكثر هذه الخرافات اعتباراً الاعتقاد بالجن . ويقال أن الجن أصلهم سابق على آدم ، وإنهم في خصائصهم العامة طبقة من الكائنات تتوسط بين الملائكة والأنس وتقل عنهما فضلا . خلقت الجن من نار وتستطيع أن تتشكل بأشكال الأناس والبهائم والوحوش الخيالية وتختفي عن الأنظار كما تريد . والجن يشربون ويأكلون ويتناسلون مثل البشر أو معهم ، كما أنهم عرضة للموت وإن كانوا يعيشون أجيالاً عديدة . ويسكن الجن سلسلة جبال قاف التي يزعمون أنها تحيط بالأرض جميعها كما ذكر في الفصل السابق . ويعتنق بعض الجن الإسلام ، والآخرون كفرة . ويسمى هؤلاء الكفرة أيضاً شياطين ورأسهم إبليس ، إذ أنه تبعاً للرأى السائد ، جني مثل غيره من الشياطين لأنه خلق من نار بينما خُلق الملائكة من نور معصومين من الخطأ

ويخشى العرب الجن أخيارهم وأشرارهم كثيراً . ويحفظون لأخيارهم احتراماً عظيما . وقد جرت العادة عند هذا الشعب عند ما يصب أحدهم ماء أوغيره على الأرض أن يصيح أو يدمدم « دستور » مستأذناً أو مستغفراً الجنى الذى قد يوجد هناك . ويظن أن الجن ينتشرون فى طبقة الأرض الصلبة مثلما ينتشرون فى السماء حيث يقتربون من حدود السماء الأولى فيسترقون السمع عن المستقبل ويستطيعون هكذا أن يساعدوا العرافين والسحرة . ويعتقدون أيضاً أن الجن يسكنون الأنهار والخرائب والآبار والحمامات[1] والأفران والمراحيض . ولذلك عند ما يدخل أحد مرحاضاً أو يدلى دلواً فى بئر أو يوقد ناراً الخ . . . يقول « دستور » أو « دستور يا مباركين » . ويتلو الداخل بيت الراحة هذه العبارة مبتهلا إلى الله أن يحميه من الأرواح الشريرة . إلا أن البعض لا يذكرون اسم الله باعتبار أنه لا يليق النطق به فى مثل هذا المكان فيكتفون بقولهم : « أعوذ بك من الشياطين ذكوراً وإناثاً » ، وتفسر هذه العادات إحدى قصص ألف ليلة وليلة التى يحكى فيها أن تاجراً قتل جنياً بنواة تمرة كان يأكلها . ويظهر الجنى فى القصة نفسها وفى غيرها قدماً فى زوبعة من الرمل أو الغبار . والاعتقاد العام عند عرب مصر أن الزوبعة التى تثير الغبار أو الرمال ، وتكسح الحقول والصحارى ، يسببها تحليق هذه الكائنات[2] ويفوه المصريون عادة عندما تبدو الزوبعة قريبة منهم بتعويذة لإبعادها فيهتف بعضهم : « حديد يا مشئوم » إذ يظنون أن الجن يخافون هذا المعدن كثيراً . ويصيح آخرون : « الله أكبر » . ويعتقدون أن الشهب سهم يقذف به الله الشياطين ، ويصيح المصريون عند ما يرون شهاباً ساقطاً : « سهم الله فى عدو الدين » ويسمى العامة الشياطين عفاريت ، وقد وردت فى القرآن ذلك بهذا النص : « قال عفريت من الجن » وقد ترجم سيل Sale هذا اللفظ : « قال جن هائل » ، ويعتقدون أن العفاريت يختلفون عن الجن الآخرين بعظيم قدرتهم ودوام شرهم ، ويسمى الشيطان الأقوى ماردا

---

(١) العادة فى مصر أن يرسم المسلمون والمسيحيون صليباً على مدخل الحمام إذ يعتقدون أن هذا يمنع الجن من دخوله

(٢) وقد قست ارتفاع زوبعة فى مدينة طيبة فى ظروف ملائمة ، فقد لاحظت ارتفاعها من مكان عال وقت مرورها بمجموعة من النخيل هزتها هزاً عنيفاً ، على بعد منى وقد بلغ ارتفاع الزوبعة سبعمائة وخمسين قدما وأظن أنى رأيت زوابع أكثر ارتفاعا ، وقد قست زوابع أخرى فى المكان نفسه فبلغ ارتفاعها بين خمسمائة قدم وسبعمائه

يرتبط تاريخ الجن بعدة أساطير لم يذكرها القرآن ، ولذلك لا يؤمن بها المسلمون العقلاء . ويتفق الجميع على أن الجن خلقوا قبل الإنسان . إلا أن البعض يقولون لطبقة أخرى من الكائنات السابقة على آدم ذات طبيعة مشابهة . ويعتقد العامة أن الأرض كان يسكنها قبل آدم جنس من المخلوقات يختلف عن البشر شكلاً وقوة ، وأن أربعين ملكاً من هؤلاء ، أو اثنين وسبعين تبعاً لقول آخر ، سمى كل منهم سليمان ، حكموا هذا الشعب تباعاً . وكان أحد هؤلاء السليمانين يسمى جان بن جن . ويتوهم البعض أن الجن ، ويسمون أيضاً جاناً[1] ، اشتقوا تسميتهم من اسم هذا الملك . ومن هنا يعتقد البعض أن الجن يشبهون هذا الجنس السابق ولكن البعض يؤكد أن الجن كانوا طبقة من الكائنات مختلفة أخضعها الجنس الآخر .

ويعتقدون أن الجن كثيراً أو دائماً يتشكلون بأشكال القطط والكلاب والحيوانات المفترسة . وقد روى الشيخ خليل المدابغى — وهو من أشهر علماء مصر ، وقد ألف كتباً عديدة فى مختلف العلوم وتوفى فى سن متقدمة أثناء زيارتى الأولى لمصر — الحكاية التالية : « كان له — كما يقول — قط أسود عزيز ينام عند ذيل كلته . ففى منتصف إحدى الليالى سمع طرقاً على باب داره ؛ فقام القط وفتح مصراع الشباك وهتف : « من ؟ » فأجابه صوت : « أنا فلان (وذكر اسماً غريباً) الجنى ، افتح الباب » . فقال قط الشيخ : « إن المزلاج قرئ عليه اسم الله[2] » فقال الآخر : « إذن اقذف لي رغيفين من الخبز » فأجاب القط : « إن سلة الخبز سُمى عليها » فقال الغريب : « حسن . أعطنى على الأقل جرعة ماء . ولكنه رد عليه بأن وعاء الماء محفوظ بالطريقة نفسها . فسأل ماذا يستطيع أن يفعل وهو يوشك أن يموت جوعاً وعطشاً . فأشار عليه القط أن يذهب إلى باب الدار التالية . وذهب هو بنفسه وفتح الباب ثم لم يلبث أن عاد . وفى الصباح التالى غفل الشيخ عن عادة كان يراعيها دائماً فأعطى القط نصف الفطيرة التى كان يفطر بها بدلاً من قطعة صغيرة اعتاد أن يعطيه إياها . ثم قال له : «يا قطى ، أنت تعلم أننى فقير ، فجئنى إذن ببعض الذهب» فاختفى القط فى الحال بعد هذا الكلام ولم يره الشيخ بعد ذلك » .

والحكايات من هذا النوع تستوجب السخرية ، لكن من المستحيل أن نقف على حقيقة عقلية الشعب الذى أحاول وصفه دون أن أسرد حكاية أو أكثر

ويؤكد العامة أن أشرار الجن كثيراً ما يعتلون الأسطح والشبابيك ويقذفون بالقراميد والحجارة فى الشوارع والأفنية . وقد أخبرت من أيام قليلة بحادثة من هذا النوع أفزعت سكان أهم شارع فى القاهرة أسبوعاً بأكمله ، إذ كانت القراميد تقذف بكثرة من بعض المنازل كل يوم طول هذه المدة ، ولم يصب أحد . وقد ذهبت إلى مكان هذه الدعابة الجنية المزعومة للنظر والاستقصاء ولكن قيل لى عند وصولى إن الرجم انقطع . ولم أجد أحداً أنكر قذف القراميد أو شك فى أنه من أعمال الجن . وكانت الملاحظة العامة عند ذكر هذا الموضوع قولهم : « الله يحفظنا من شر أعمالهم »

وقد أخبرنى صديق بهذه المناسبة أنه قابل بعض انجليز لا يعتقدون بوجود الجن . وقد استدل بذلك على أنهم لم يشاهدوا أبداً تمثيلاً عاماً ، وإن كان منتشراً فى بلادهم التى سمع عنها منذ ذلك الحين باسم « كوميديا » قاصداً بهذه العبارة التمثيل المسرحى ؛ ثم قال بعد أن وجه الكلام إلى أحد مواطنيه ، ودعانى لأصدق على حديثه : « منذ زمن قصير وصف لى جزائرى منظراً من هذا النوع كان قد رآه فى لندن » ؛ فقاطعه مواطنه سائلاً : « أليست انجلترا أم لندن مدينة فى انجلترا ؟ » فأجابه صديقى بتحفظ وهو ينظر إلىّ أن لندن عاصمة انجلترا ، ثم أوجز موضوع المسرح فقال : « لا يمكن وصف الدار التى عرض بها التمثيل : كانت الدار مستديرة صفت على أرضيتها مقاعد عديدة وحولها مقصورات كثيرة الواحدة تعلو الأخرى حيث جلس أفراد الطبقات العليا ،

---

(١) ويعتبر بعض الكتاب الجان أقل طبقات الجن قدرة

(٢) وعادة الفقهاء (المتأدبين والأتقياء) أن يبسملوا عند قفل الباب بالمزلاج أو تغطية الخبز أو خلع الملابس ليلا أو فى مناسبات أخرى . وهذا كما يعتقدون يحفظ أموالهم من الجن . ويقال للشىء الذى ذكر عليه اسم الله « مسمى عليه »

وكان هناك فرجة مربعة كبيرة أسدل عليها ستار ، وعند ما غصت الدار بالمتفرجين الذين دفعوا مبالغ كبيرة للدخول أظلم المكان فجأة وكان الوقت ليلاً ، وكانت الدار قد أضيئت بعدة مصابيح ، إلا أنها أطفئت كلها تقريباً في وقت واحد دون أن يمسها أحد ، ثم رفعت الستارة الكبيرة ، فسمع المشاهدين هدير الموج وصفير الهواء ، ورأوا دون تمييز في الظلام الأمواج ترتفع وتزيد وتضرب الشاطئ ، وسمع في الحال صوت رعد مرعب ، ثم أضاء البرق للمشاهدين البحر الهائج ، وسقط حينئذ سيل من المطر الحقيقي ، وبعيد ذلك صفا الجو فظهر البحر بوضوح ، وشوهدت باخرتان على بعد اقتربتا ثم اشتبكتا في قتال أطلقت فيها نيران المدافع ، وعرضت بعد ذلك مجموعة مختلفة من المناظر الفريدة ، وأضاف صديقي : « من الواضح الآن أن مثل هذه العجائب لا بد أن تكون من أعمال الجن ، أو على الأقل عملت بمساعدتهم » ؛ وقد شرحت له هذه الظواهر ، ولكني لم أستطع إقناعه بخطئه

ويقال إن الجن يسجنون أثناء شهر رمضان . ومن هنا نرى بعض المصريات يرششن في وقفة عيد الفطر ملحاً على أرض الغرف مبسملات لمنع هذه الفزعات من دخول منازلهن . ويجب أن أشير هنا إلى بقية عجيبة من خرافة مصرية قديمة إذ يعتقدون أن لكل حي من أحياء القاهرة حارساً خاصاً من الجن ذا شكل أفعى

ويعتقدون أن القبور المصرية القديمة والهيا كل المظلمة تسكنها العفاريت . وقد استحال على أن أقنع أحد خدمي بدخول الهرم الأكبر معي لرسوخ هذه الفكرة في ذهنه . وينسب الكثير من العرب بناء الأهرام والآثار المصرية المدهشة جميعها إلى جان بن جان وأتباعه الجن . فهم لا يتصورون أن تقيم هذه الآثار يد بشر

وتطلق عبارة عفريت بالحرى على الشيطان ، إلا أن أرواح الأموات تسمى أيضاً بهذا الإسم . وينسج من هذه حكايات لا يقبلها العقل كما أنها تلقى في النفوس رعباً هائلاً . إلا أن هناك من لا يخشاها إطلاقاً . وكان في خدمتي طاه مضحك يتعاطى الحشيش أحياناً . وقد سمعته ذات ليلة ، بعيد دخوله خدمتي ، يدمدم ويهتف على السلم كما لو كان دهشاً لحادثة ما . ثم قال بأدب « ولكن لم تجلس في تيار الهواء ؟ تفضل بالصعود إلى المطبخ وسلني بحديثك قليلاً » . ولما لم يرد على خطابه المؤدب كرره عدة مرات حتى ناديت عليه وسألته إلى من يتحدث . فأجاب : « إنه عفريت جندي تركي صعد من البئر وجلس على السلم يدخن شبكه ويرفض أن يتحرك . تقدم من فضلك وانظر إليه » . ولما ذهبت إلى السلم وأخبرته أنني لا أرى شيئاً لاحظ أن سبب ذلك صفاء العقل . وقد قيل له فيما بعد إن المنزل ظل مسكوناً طويلاً ؛ وقد قرر أنه لم يُخبر قبلاً بهذا الموضوع المزعوم أن جنديًا تركياً قتل هناك . وقد صرح لي أنه كثيراً ما يرى العفريت بعد ذلك

ويعتقد المصريون وبعض الشرقيين بوجود الغيلان أيضاً . ويحسبون أن هذه الكائنات طبقة من الشياطين . ويقال إنهم يظهرون في أشكال الحيوانات والوحوش وأنهم يسكنون المقابر وغيرها من الأماكن المنعزلة ، وأنهم يأكلون الجثث ويقتلون من يوقعه سوء الحظ في طريقهم ويلتهمونه . ومن هنا تطلق عبارة الغول على آكلي لحم البشر

(يتبع) عدلي طاهر نور

فرحة الحياة !

للأديب عبد الرحمن الخميسى

أنَا حَىٌّ وَنَعِيمِى بِالحَياهْ ... فَرْحَةٌ تَغْمُرُ مِنْ قَلْبِى مَدَاهْ
أجْتَلِى فِى مَوْكِبِ الأيَّامِ مَا ... يَبْهَرُ النَّفسَ وَيَخْفَى مُنْتَهَاهْ
وَأرَى نَبْتَ الرُّمُوزِ امْتَدَّتْ ... فى طَوَايَاهَا عَلَى رُوحِ الإلهْ
وَأغَنِّى مِثلَمَا غَنَّى عَلَى ... جَنَّةِ الوَهْمِ هَزَارٌ لَا أرَاهْ
أنَا حَىٌّ ! يَا نَعِيمِى بِالحَياهْ !

بَيْنَ جَنْبَىَّ فُؤَادٌ كُلَّمَا ... نَفَخَ الإحْسَاسُ فِيهِ صَدَحَا
تَرْقُصُ الدُّنْيَا عَلَى أنْغَامِهِ ... كُلُّ مَا فِيهَا أسًى أوْ فَرَحَا
وَهُوَ مِرْآةٌ صَفَتْ كَمْ تَرْتَمِى ... صُوَرُ الكَوْنِ عَلَيْهَا مَرَحَا !
يَا أنَاشِيدِى تَبَارَكْتِ وَيَا ... بُورِكَ القَلْبُ إلَيْهِ قَدْ صَحَا
كُلُّ عِرْقٍ يتَغَنَّى بِالحَياهْ !

إنَّنِى الشُّعْلَةُ شَبَّتْ نَارُهَا ... وَسَرَتْ أنْفَاسُهَا بِاللَّهَبِ
يَا هَنَائِى بِالَّذِى يَأكُلُنِى ... مِنْ لَهِيبِى وَالَّذِى يُحْرِقُ بِى
يَا لِهَذَا الدِّفْءِ مِنْ سِرٍّ جَرَى ... فى كِيَانِى مِنْ وَرَاءِ الحُجُبِ
هُوَ لُغْزٌ خَالِدٌ مُسْتَتِرٌ ... أزَلِىٌّ قُدُمِىٌّ الأرَبِ
أنْتَشِى وَأفْنَى فِى لَظَاهْ

هَذِهِ الرُّوحُ التى تَسْكُنُنِى ... قَبَسٌ مِنْ هَالَةٍ تَجْذِبُنِى
وَلَقَدْ دَارَ بِجِسْمِى نُورُهَا ... بَاعِثًا فِيهِ حَيَاةَ الزَّمَنِ
يَا سُرُورِى بِالَّذِى أيْقَظَنِى ... مِنْ سُبَاتِ العَدَمِ المُرْتَهَنِ
وَانْتَشَى بِى وَانْتَشَى فِيهِ دَمِى ... وَشُعُورِى وَالَّذِى أوْجَدَنِى
أنَا حَىٌّ ... غَنِّ لِى لَحْنَ الحَياهْ !

إنَّنِى البُرْعُمُ قَدْ دَاعَبَنِى ... وَهَجُ الشَّمْسِ وَدَمْعُ السَّحَرِ
فَتَنَفَّسْتُ وَغَشَّتْ وَرَقِى ... نَضْرَةٌ تَسْبِى فُنُونَ النَّظَرِ
يَا شَبَابِى شَدَّ مَا أنْتَ قَلِقٌ ... عُودِىَ الأخْضَرُ عَذْبُ الصُّوَرِ
إنَّنِى أرْنُو إلَى الأفْقِ وَفِى ... طَلْعَتِى حَمْدٌ شَذِىُّ الصُّوَرِ
لِلَّذِى أوْرَثَنِى هَذِى الحَياهْ !

عبد الرحمن الخميسى

أين السـلام ؟...

للأديب على جليل الوردى

قالت وقد لاح عليها السَّقامْ : ... الحربُ طالت أين عهد السَّلامْ ؟

كُنَّا به فى عيشةٍ راضيهْ ... نمرح فى أنسٍ وفى عافيهْ
الأرضُ من فرحتنا زاهيهْ ... والطيرُ من نشوتنا شاديهْ
تشدو أغاريدَ المنى والغرامْ ... قد أخرستها الحرب أين السلام ؟

عهدٌ به طافتْ كؤوسُ الهنا ... ما بين أيدينا ، ورفَّ المنى
فعندليبُ السَّعدِ يشدو لنا ... ونحن نُبدى للدُّجى سرَّنا
فيا له عهداً كنفح الخزامْ ... أودتْ به الحربُ فأين السلام

أين زمانُ الأملِ الباسمِ ؟ ... أين خيالُ الشاعرِ الحالمِ ؟
أينَ هدوءُ الطائرِ الناغمِ ؟ ... وأين حُلْمُ العاشقِ الهائمِ ؟
أوْدَى بها طرًّا لهيبُ الخصامْ ... فأين أين الأمنُ ؟ أين السَّلام ؟

أينَ ابتساماتُ زهورِ الربيعْ ؟ ... ونايُ راعٍ من وراء القطيعْ ؟
وطفلةٍ غنَّت بلحنٍ بديعْ ... أهزاجَها ، والقلبُ منها وديع
أخرسَها قسرًا لهيبُ الخصامْ ! ... فأين أين الأمنُ ؟ أين السلامْ ؟

قلتُ وقلبى بالأسى مُفْعَمُ ... ونارُ حزنٍ فى الحشا تضرمُ
وعبرةٌ من مقلتى تسجمُ ... أكتمها عنها فلا تُكتَمُ !
لا تيأسى فاليأسُ موتٌ زؤام ... لا بدَّ من يومٍ يعودُ السلامْ

(الكاظمية — بغداد) على جليل الوردى



إلى الأستاذ توفيق الحكيم

صديقي العزيز!

قرأت لك في (الرسالة) منذ أسابيع كلمة صغيرة تذكر فيها أن في مصر كاتباً قال في سياق حديثه: إنه صديقك، وأنك تنكر أن يشرّف الناس أنفسهم بالانتساب إليك... ولم يخطر في البال أني مقصودٌ بتلك الغمزة، لأني أعرف أن منزلتي في نفسك لا تبيح لك أن تقع في مثل هذا الخطأ

ولكنّ ناساً حدثوني أنك تريدني بتلك الكلمة الصغيرة، وقد أردتُ أن أستوثق من نيتك، فتجشمت نفسي مقابلتك لأعرف رأيك قبل أن أردّ عليك، فكان جوابك أن تلك الغمزة موجَّهة إلى «فلان»، وأن أدبك لا يسمح بأن تُعرِّض بكاتبٍ له مثل مكانتي في نفسك وفي (الرسالة) الصديق

فهل أجد عندك من الشجاعة ما تَقوى به على التصريح باسم ذلك «الفلان»؟

لا تَخف، يا صديقي العزيز، فإن «الفلان» الذي حدثتني أنك تمنيه، لا يملك غير قلمه، والقلم في هذا الزمان يضر أكثر مما ينفع، وهل آذاني غير قلمي؟

أو ضِحْ، أو ضِحْ، فإن لم تفعل فسأنوب عنك في الإيضاح صَنَعَ الزمن ما صنع، واستطال الدهر ما استطال، فمن يعزّيني وقد استباح بعض الناس أن يكتب كلمةً تُوهم أنه أكبر من أن يكون صديقي؟!

زكي مبارك

إنشاء مكتب للتعاون الثقافي بين مصر والعراق

تنوي وزارة المعارف إنشاء مكتب لتنظيم التعاون الثقافي بين مصر والعراق والإشراف على ما يقتضي هذا التعاون، على أن يضم هذا المكتب أعضاء يمثلون البلدين وتكون له اجتماعات منظمة في القاهرة وبغداد

ويجوز لمن شاء من البلاد العربية أن ينضم إلى هذا المكتب بموافقة الحكومتين المصرية والعراقية

إنشاء متحف الحضارة المصرية

كان صاحب الجلالة الملك قد أبدى رغبته السامية في أن ينشأ متحف للحضارة المصرية يضم إليه كل ما يتصل بالعصور المختلفة ابتداء من عصر ما قبل التاريخ إلى العصر الحديث فألفت لجنة من رجال الجمعية الزراعية الملكية ووكلاء بعض الوزارات ومديري المتاحف المصرية المختلفة

وكان أول ما بدأت به اللجنة أعمالها أن طلبت إلى الهيئات المختلفة موافاتها عن طريق الإهداء أو الإعارة بالنماذج التي تمثل العصور المختلفة للحضارة المصرية التي رؤى أن يضمها هذا المتحف، وهي تمثل العصر الحجري القديم والحديث، ومصر القديمة، وحياة المصريين في مختلف الهيئات والحياة الاجتماعية والفنية لمصر القديمة والعصور اليوناني الروماني والقبطي ومصر من الفتح العربي إلى الفتح العثماني والدول الطولونية والفاطمية والأيوبية، والمماليك وعصر الأمراء المماليك من الفتح العثماني إلى الحملة الفرنسية والنهضة المصرية الحديثة من عهد المغفور له محمد على باشا إلى الآن والسودان المصري

وقد تعددت اجتماعات اللجنة للبحث في مختلف ما يتصل بإنشاء هذا المتحف، وكان ما قررته إقامة نموذج لحوض نهر النيل عن الجزء الذي يتفرع منه الفرعان عن ابتداء الدلتا على أن يكون طوله ١٤ متراً، لتكوين فكرة عامة عن التكوين الطبيعي لحوض النيل في العصور الجيولوجية ونوع النباتات التي عاشت في مصر في تلك العصور، وإقامة نموذج لإنسان ما قبل التاريخ، والتطورات المختلفة التي حدثت في تركيب جسمه في العصور المتطاولة

وتناولت اللجنة بالبحث في اجتماعها طائفة من الشئون المتصلة بكل عصر فرأت أن تؤلف لجاناً فرعية تضع كل منها مشروعاً عن كل عصر من العصور المختلفة ابتداء من عصر ما قبل التاريخ إلى العصر الحديث على أن تعرض جميع هذه المشروعات على اللجنة العامة لإقرارها والبدء في تنفيذها

في ديوان ولي الدين يكن

نشر الأستاذ كامل يوسف (بالعدد ٤٥٧ من الرسالة) أربع مقطوعات شعرية للمرحوم ولي الدين يكن، مهد لها بقوله إنها

مخطوطات للفقيد آلت إليه ، ولم تنشر فى ديوانه . ولكنى أنبه هنا إلى أن هذه المقطوعات نُشرت جميعها بديوان ولى الدين الذى أصدرته مطبعة المقتطف عام ٩٢٤ م ؛ ولا أعرف للشاعر ديواناً آخر غير هذا

فحبذا لو اقتنى الأستاذ نسخةً من ديوان الشاعر الكبير الذى تربطه بأسرته « أواصر المودة والصداقة » كما يقول ؛ ثم عرض عليها ما لديه من مخطوط ؛ حتى تستبين له حقيقة القطع التى لم تُنشر فيتفضل بنشرها . وإن كنا نشكُّ فى إمكان حصوله على ما يستوجب النشر ؛ لأن جامع الديوان هو أخو الشاعر – ولعله شقيقه – الأديب يوسف حمدى يكن . وهو قد استفرغ جهدَه فى إثبات كل ما أمكنه العثور عليه من شعر أخيه ، بين مخطوط ومطبوع ومحفوظ ، كما يشير إلى هذا فى مقدمته ، التى أعقبها تحليلٌ دقيق وعرض شامل لحياة الشاعر وخصائص شعره بقلم الأستاذ الكبير أنطون الجميِّل بك ؛ وكان الأخير من أصفياء ولى الدين وصفوة أصدقائه وخُلصانه .

(جرجا) محمود عزت عرفة

حول « ابن الرومى »

سيدى الأستاذ العقاد

قرأت معجباً ما خطه يراعك الكريم عن شعر ابن الرومى ، فنال منى الدهشُ لتعصّبك لهذا الشاعر ، ولعل هذا راجع إلى أن الأستاذ قد صاحب « ابن الرومى » أكثر مما كان ينبغي لمصاحبته . لهذا كان طبيعيًّا أن يخلع عليه أستاذنا الجليل لقب « شاعر العالم » غير منازع ؛ وأن يقول : إن شعره ليس فيه مغمز لنامز ، وإن إحساسه مرهفٌ غاية الإحساس ، وتصويره آية فى الإبداع

فما رأى سيدى الأستاذ فى بيتين مشهورين لابن الرومى قالهما فى روض سقته السُّحب أو أرضعته فأنبتت ألفى رضيع من بنى النضر حيث قال :

سقتْه ثُديُّ السُّحْب من مُرْضِعاتها
أفانينَ مما لم تَقَطَّرْهُ مُرْضِعُ !
كألْفَىْ رضيعٍ من « بنى النَّضْرِ » ضُمِّنُوا
محاسنَ هذا الكون ، والكونُ أجمعُ ...

فأى تصوير هذا يا أستاذنا العزيز ؟ وأى استيعاب فنى فيه قد أحس به الشاعر عند ما خالجه هذا المعنى ؟

ألا ترى معى أن من شعراء العبقرية المخلَّدين فى بطون الكتب وسجلّ الأزمان من أسفّ أحياناً وسجل له تاريخ الأدب ذلك ؟ ... هذا ما أردت أن أذكر به الأستاذ واضعاً بين يديه هذين البيتين إجابةً لرغبته التي رغب فيها إلى القراء أن يذكروه بما شاءوا من شعره ليدلهم على موضع الحسن فيه ؛ فرجاوتى أن ينجز الأستاذ ما وعد ، وأن يبين لنا موضع التصوير الفنى فى هذين البيتين ، مشكوراً من الشعر والأدب

ابو درويش

اكتشاف مصل لإطالة الحياة ومعالجة الجروح

من أنباء موسكو الأخيرة أن العالم الروسى بوجو مولتز ، الذى يقول بأن مدى عمر الإنسان العادى يجب أن يكون ١٥٠ سنة ، اخترع مصلاً يتصل بنظريته فى إطالة الحياة ، وهو الآن يستخدم فى معالجة الجرحى الذين ينقلون من الميدان الروسى ، وقد أسفر استخدامه عن نجاح

والمعروف أن لهذا المصل أثراً فى الخلايا الحية وكان قد صنع فى الأصل لمعالجة الشيخوخة الباكرة والاضمحلال الذى يعاجل الأجسام البشرية ، ولكن ظهر أنه يدمل الجروح ويرأب الكسور فى العظام ، وهو الآن لا يستخدم إلا فى المستشفيات العسكرية حيث ظهر أثره البالغ فى معالجة الجروح والكسور التى تحدثها شظايا القنابل والقذائف

الاستخلاص بمعنى الاستخراج

يقول الأستاذ داغر فى كتابه (تذكرة الكاتب) : يقولون « الكتب التى اعتمد عليها المؤلف فى (استخلاص) تاريخ ذلك العهد » والصواب تخليص أو تلخيص

وجاء فى (أساس البلاغة) للعلامة الزمخشرى : « والزبد خِلاص اللبن ، أى منه يستخلص بمعنى يستخرج » . فهو إذن استعمال صحيح لا غبار عليه

أنتم أعلم بأمر دنياكم

ساق الأستاذ القبانى (فى العدد ٤٥٢ من الرسالة) هذا الحديث بصيغة (أنتم أعلم بأمور دنياكم) وعزاه إلى صحيح مسلم. ولهذا الحديث ثلاث صيغ فى صحيح مسلم، ليس منها هذه الصيغة، بل منها صيغة (أنتم أعلم بأمر دنياكم) وهذه الإضافة للعهد، يعنى أن هذا الأمر الذى هو تأبل النخل أنتم أعلم به، وليس هناك صيغة تفيد النهى عن التأبير، فلا يخل هذا الخبر بعموم قوله تعالى: « فليحذر الذين يخالفون عن أمره ... » والأمر هنا مصدر مضاف يفيد العموم بخلافه فى الحديث فإنه بمعنى الشأن، والمراد بالشأن الشأن المعهود وهو تأبير النخل.

وقوله تعالى: « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى »، نص على أن قوله صلى الله عليه وسلم: « البات وحى منزل » على أن الأحاديث التى رواها مسلم تختلف بمن فى أسانيدها من الرجال اختلافاً يوجب النظر الدقيق فى درجاتها.

محمد أبو البهاء

الطلبة الغرباء فى مصر

أيها المصريون!

فى مصر — ومصر فى إكرام الضيف البلد الكريم — طائفة من طلاب العلم وفدوا من جاوة وسومطرة وجارات لها إلى كعبة الشرق الأزهر الشريف، فمنعت الحرب فى الشرق الأقصى عنهم رفد أهلهم وهم أبناء الأسر الكريمة ولهم بين الطلاب وعند أساتذتهم مقام محمود، فأصبحوا من الفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله، يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً

وإنا نهيب بذوى الخير أن يتفضلوا بمنع ذلّ السؤال عنهم ويسارعوا إلى خير هؤلاء. وعند الله أجر المحسنين.

وقسم الوعظ والإرشاد بالأزهر الشريف — وهو على بينة من ندى أهل وطنه وحميتهم — لا يطيل القول إيماناً منه بدافع النخوة فى نفوس المصريين، وثقة فى أن للبر والمعروف بمصر نفوساً تتنافس فى الخير فلا يحس النزيل بينهم إلا أنه بين أهله وعشيرته. ولا غرو فالإسلام رحم بين أهله. وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله.

وإنا لنذكر بوافر الحمد لسعادة صالح عنان باشا همته التى افتتح بها هذا الاكتتاب الخير

ونشكر للمقطم الغراء أن أذاعت دعوته وأيدته وحولت مبلغ تبرعه فى هذا السبيل، وقدره عشرة جنيهات إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر، والدال على الخير كفاعله

فإلى الخير الذى أنتم أهله، ومن أحق الناس به، نوجه إليكم هذا النداء وما تفعلوا من خير فلن تكفروه.

محمد أحمد العدوى
المفتش العام للوعظ والارشاد

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٨ فبراير سنة ٩٤٢ فى القضية رقم ٥٣٧ سنة ١٩٤٢ ضد حسنين رفاعى الفرباوى قومسيونجى بقراقص مركز دمنهور بتغريمه ٥٠٠ قرشا خمسمائة قرشا والنشر على مصاريفه لبيعه قمحا بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢١ يناير سنة ١٩٤٢ فى القضية رقم ٤١٨ سنة ٩٤٢ ضد سعيد ناجى شحاته بقال بسوق البندر بدمنهور بالحبس ١٠ يوما بالشغل والنفاذ وغلق المحل أربعة أيام والنشر على مصاريفه لامتناعه عن بيع السكر مع وجوده لديه

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢١ يناير سنة ٩٤٢ فى القضية رقم ٣٦٦ سنة ١٩٤٢ ضد سعد فرج الديب بقال بمحلة كيل مركز أبو حمص بالحبس ١٠ يوما مع الشغل والنفاذ وغلق المحل ثلاثة أيام والنشر على مصاريفه لبيعه سكرا وشايا بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢١ يناير سنة ٩٤٢ فى القضية رقم ٤٠٥ سنة ١٩٤٢ ضد عبد الحميد السيد الزبودى بقال بشارع أبو الريش بدمنهور بتغريمه ١٠٠ مائة قرشا وغلق المحل ثلاثة أيام والنشر على مصاريفه لامتناعه عن بيع السكر مع وجوده لديه

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢١ يناير سنة ٩٤٢ فى القضية رقم ٣٦٢ سنة ٩٤٢ ضد رجب محمود القبانى بقال بشارع أبو عبد الله بدمنهور بالحبس ١٠ يوما مع الشغل والنفاذ وغلق المحل ثلاثة أيام والنشر على مصاريفه لامتناعه عن بيع السكر مع وجوده لديه

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٤ يناير سنة ٩٤٢ فى القضية رقم ٢٧٧ سنة ١٩٤٢ ضد على أحمد سليم جزار بالعطف مركز المحمودية بالحبس شهرا بالشغل والنفاذ وغلق المحل ثلاثة أيام والنشر على مصاريفه لعرضه للبيع لحوما بسعر أزيد من المحدد

حكمة محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢١ يناير سنة ١٩٤٢ فى القضية رقم ٢٣٢ سنة ٩٤٢ ضد السيد عبده الفتاح تاجر زيت بدمنهور تبع دسونس مركز أبو حمص بتغريمه ٢٠٠ مائتى قرشا والنشر على مصاريفه لبيعه زيتا بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة



النحلة وعروس النيل

قصة من القصص الشعبي لسكان جزيرة « بورنيو »

نقلها عن الانكليزية

الأستاذ ابراهيم عبد الحميد زكى

أحست مرة نحلة صغيرة جميلة أنها قد جاوزت سن الطفولة وبلغت من القوة حداً يسمح لها بالطيران وحدها لتجمع رحيق الأزهار وتصنع منه الشهد. فلما حلقت في الجو حمل إليها الريح أريج زهرة حمراء من عرائس النيل كانت نامية على جوانب الغدير، فاتجهت إليها وكادت تسقط عليها لتمتص ما فيها من حلو الرحيق، ولكن « عروس النيل » أبت عليها ذلك وصاحت بها تقول: « لا! أيتها النحلة، لقد أتيت هنا تريدين أن تشقى لك طريقاً بين أوراقي في عنف وقوة كما هو شأن أبناء جلدتك، وإنك لترغبين أن تمتصي رحيقي بغير مقابل ... ولكن، لا ... إعلمي إن كنت لا تعلمين أن عليك قبل ذلك أن تدفعي ثمن ما تطلبين » ... فصعدت النحلة في الهواء قليلاً، وحامت حول الزهرة مرات كثيرة، وعلا أزيز جناحيها علواً كبيراً ثم قالت: « وما هذا الذي تطلبين « يا عروس النيل »؟ ألا يكفيك ما أنت فيه من نعيم: فها هو الماء العذب يجرى حواليك، وها هو النسيم العاطر يهب منك وإليك ...؟ »؛ فأجابت الزهرة: « ما أشد غباءك، وما أضيق ذهنك، أيتها النحلة الحمقاء؟ إن هنالك شيئاً ينقصني ولا جدال، فارحلي عني وابحثي عنه، فإذا اهتديت إليه وعثرت عليه، فعودي إليّ ... »؛ فتملك النحلة الغضب، وعلا أزيز جناحيها مرة أخرى، ثم انصرفت تبحث عما تريد منها « عروس النيل »

وبينما هي تطير حائرة مشغولة الفكر لمحت حشرة واقفة إلى جذع شجرة تقرضه، فأسرعت إليها وقالت لها: « أواه أيتها الحشرة! ألا نبئتني بما تريد مني عروس النيل؟ »؛ ولكن الحشرة كانت لاهية في نفسها معنية بأمرها فأجابتها: « اذهبي عني ... ماذا يعنيني من أمرك وأمر عروس النيل؟ ليس لديّ من الوقت متسع لكما ... ابحثي عن غيري! »؛ فصعدت النحلة ثانية إلى الجو، وعلا أزيز جناحيها من جديد، ولكنها رأت عنكبوتاً ينسج خيوط بيته في ركن تضيئه الشمس بنورها الساطع، فوقفت النحلة إلى جانبه وألقت عليه سؤالها؛ فقال لها العنكبوت: « إنها تريد ذبابة »؛ فأدركت النحلة أنه من أولئك القوم الذين يحسبون أمنياتهم صورة من أمنيات الآخرين، فولت وجهها شطر ناحية أخرى، وراحت تبحث عما تريد منها عروس النيل ...

ورأت فوقها سحابة فهرعت إليها وصاحت بها: « أتوسل إليك أيتها السحابة أن تخبريني ماذا أقدم لها؟ »؛ فأجابت السحابة « قطرات المطر » فسرت النحلة سروراً عظيماً وعادت إلى عروس النيل على جناح الريح وقدمت إليها قطرة من الماء تفوق في حسنها حبة اللؤلؤ، ولكن الزهرة تمايلت على غصنها وقالت: «لا، إن الماء عندي كثير وقطرات الندى تساقط على كل صباح » فنشرت النحلة مرة أخرى جناحيها وعادت للبحث والتنقيب. ورأت أشعة الشمس تداعب أوراق العشب فسألتها فقالت: « إنها تريد الدفء » فالتقطت النحلة إحدى الحباحب[1] ثم عادت إلى الزهرة وقدمتها إليها ولكنها أبت أن تأخذها وقالت: « إن لي في ضوء الشمس الدفء كله. عودي ثانية للبحث »

وشاهدت النحلة بومة فسألتها فقالت لها: « إنها تريد النوم فاذهبي إليها وروحي لها بجناحيك حتى تنام ». ولكن الزهرة قالت: « وماذا أفعل بالنوم. إن النوم يأتيني كل ليلة فلا حاجة لي به منك »

عندئذ كاد اليأس يتملك فؤاد النحلة فصاحت بصوت عال: « ترى ماذا تريد مني هذه الزهرة المتقلبة الأهواء؟ »

وشاء القدر أن يسمع هذه النصيحة العالية راهب عجوز يقطن كوخاً في الغاب فنادى النحلة وقال لها: « ما أشد غباءك أيتها النحلة! أتريدين أن تعلمي ماذا تريد منك عروس النيل؟ إنه هذا » ثم طبع على جناحيها قبلة من أعذب القبلات

فاغتبطت النحلة لذلك كل الاغتباط وطارت بأقصى سرعتها نحو الزهرة وقبلتها في خفة ودلال. وعندئذ أحست الزهرة بالسعادة والهناء، وتفتحت أوراقها واستسلمت للنحلة لتمتص منها ما تشاء من الرحيق

هذه هي قصة النحلة وعروس النيل ... والقبلة

« الاسكندرية » ابراهيم عبد الحميد زكى

(١) ذباب ذات ألوان يطير في الليل في ذنبه شعاع كالسراج

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



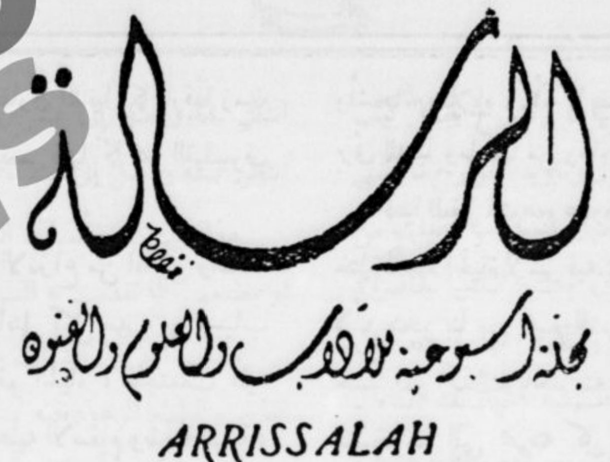
10 me Année No. 459

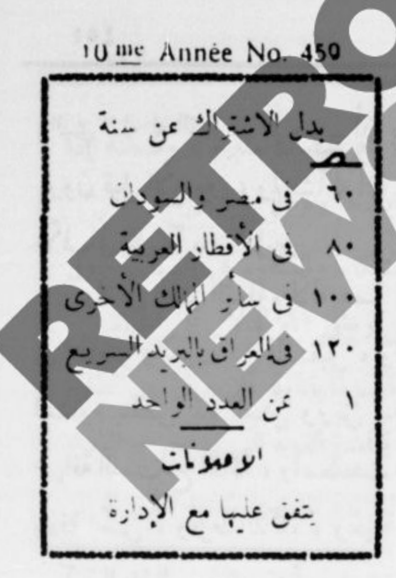
Lundi - 20 - 4 - 1942

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠




بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٥٩ « القاهرة في يوم الإثنين ٤ ربيع ثاني سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٠ أبريل سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

صفحة

ومن هو ليوپاردي ؟

الأستاذ عباس محمود العقاد

نعم ، ومن هو ليوپاردى ؟

سؤال كنت أنتظره من كثيرين بعد مقالي السابق عن الشعراء الذين « لهم عالم » من الأوربيين والعرب . وقد سألنيه أكثر من واحد وحق لهم أن يسألوا ؛ لأن ليوپاردى ضعيف الشهرة في البلاد الشرقية ويوشك أن ينساه القراء الأوربيون على ارتفاع شأنه بين النقاد والمعجبين بالأدب الفحل والأساليب الرصينة والنزعات « الإغريقية » الصادقة فى غير اصطناع ولا محاكاة

قلت فى مقالي السابق : « إن أبا تمام يجيد فى هذا المعنى ويجيد فى ذاك ، ولكنه لا يعرض لك العالم كله فى حالة من حالاته ، ولا يخرج لك نسخة عالية تقرنها إلى النسخ الأخرى التى تستمدها من أمثال ابن الرومى والمتنبي والمعرى فى الشعر العربى ، وأمثال شكسبير وجيتى وليوپاردى فى الآداب الأوربية »

فمن هو ليوپاردى هذا ؟

هو بالإيجاز ثالث الثالوث الأكبر الذى اشتهر بالتشاؤم فى أوائل القرن التاسع عشر : وهم بيرون الشاعر الإنجليزى ، وشوبنهور الفيلسوف الألمانى ، وليوپاردي الشاعر الفيلسوف الإيطالى الذى كان أصدق الثلاثة تشاؤماً وأحقهم جميعاً بالتشاؤم ،

والذي شاء له القدر - الرحيم - أن يفارق الدنيا كما فارقها زميله بيرون قبل الأربعين ، ولم يشأ له أن يعمر فيها كما عمر الفيلسوف الألماني إلى ما بعد الثمانين

ولد في عصر التشاؤم لأنه عصر الانتزاع من الماضي والشك في الحاضر والتهيب من المستقبل ، وابتلى بكل سبب من أسباب التشاؤم ينغص لذة العيش ويرنق صفو الحياة ، فاجتمعت عليه عراقة النسب مع الفاقة ، واصطلحت عليه الأسقام وضآلة البنية ، ودقة الحس ، وفرط الذكاء ، وخيبة الحب في مقتبل الشباب ، وسآمة البيئة الريفية التي نشأ بينها واضطر إلى البقاء فيها ، وأدركه الموت وهو أصم ونصف أعمى ومريض حرض منذ سنين

ومع هذا أي فحولة في الذهن ، وأي مضاء في البديهة ، وأي أمانة للأدب ، وأي صدق في التعبير ؟

لكأنما كانت ملكاته الأدبية عوضاً معادلاً لمصائبه الجسدية ، وكأنما خلق بنصيب عشرين في الذكاء وفي البلاء على حد سواء

تعلم في صباه ست لغات بغير معلم ، وهي الإغريقية والعبرية والفرنسية والانجليزية والألمانية والإسبانية ، فضلاً عن اللاتينية !

والتهم مأثورات الإغريق واللاتين جميعاً وأشربها إشراباً حتى أصبح وكأنه واحد من أدباء يونان الأقدمين

ولما ضعف بصره طفق يشكو في رسائله إلى أصدقائه ويقول : لا أقرأ اليوم إلا ست ساعات في النهار !

وفجع المسكين حتى في هذا فنهى عن القراءة وعن الإصغاء ! ووجب عليه أن ينفق أيامه في قرية لا يشغله فيها شاغل غير التفكير الذي يحرق رأسه وجسده ويضنيه ولا يريحه . ثم ذهب إلى روما وهو مطبوع على الجد ومعاشرة العقول الكبيرة فضاق بها ذرعاً واجتواها أشد اجتواء ، وعاب على أهلها أنهم قوم هازلون لا يقرنهم بأهل قريته الذين يعرفون الجد وإن كانوا جهلاء لا يعرفون

صورته التي صور الدنيا عليها أشبه شيء بالرسم المظلل الذي لا لون فيه غير السواد ، ولكنها مع سواد لونها صادقة في كل شيء ما عدا التلوين : صادقة في خطوطها ومسافاتها وأشباهها وكل لمحة من ملامحها ، ولا خداع في نقل شيء منها على الإطلاق لتسويغ رأي أو لمجاراة عقيدة . فهي الأمانة التي لا أمانة بعدها في الشعور وفي الأداء ، وهي الفحولة التي تعلو به فوق مصائبه وأشجانه وبلاياه ، كأنه لا يتشاءم لأنه محروم من رجاء ، بل لأنه يرثى للدنيا وما فيها من رجاء

لهذا العقل المتوهج عذره إذ رأى الحياة شراً ورأى أن الموت ختام لمأساة الحياة لا شر فيه . أو كما قال : « إن الموت ليس بشر لأنه ينجو بنا من جميع الشرور . وإذا أخذ من الإنسان شيئاً حسناً فهو كذلك يأخذ منه الرغبة فيه . إنما الشر الأكبر هو الشيخوخة التي تحرمه كل سرور وتبقي له اشتهاء ما حرمته ، ووصب الداء العياء ؛ ومع هذا يفرق الناس من الموت ويتوقون إلى الشيخوخة ! »

ولهذا القلب البائس عذره إذ رأى كل حسن في الدنيا قريناً للموت زميلاً للفناء . وأي شيء أبعد عن هذه المزاملة من « الموضة » أو « الجديلة » التي يلهج بها الحسان وغير الحسان ؟ أي شيء فيه من مخالفة الموت ما في دكاكين الزينة التي تتجدد فصلاً بعد فصل وموسماً بعد موسم ؟

لكن ليوباردي يعقد المحاورة بين المنية والجديلة فإذا هما شقيقتان وزميلتان . لأن الجديلة كالمنية موكلة بالقضاء على كل موجود وتقبيح كل حسن بعد استحسانه ، وتغيير كل عادة ألفتها الأبصار والأسماع ، وهي في سلطانها نافذة لا هوادة في أمرها ، ولا مناقشة لأحكامها ، ولا حيلة معها غير الخضوع والتسليم

تنادي الجديلة أختها : يا منية ! يا منية ! فلا تلتفت إليها المنية

ثم تعيد النداء فتجيبها متبرمة معرضة : إليك عني . إني آتية إليك لا محالة ، ولكن حين لا تريدينني ولا تهتفين باسمي . فتفهمها الجديلة أنها أخت شقيقة وليست « بعميلة » أو داعية أو فريسة

وتتفاهم الأختان بعد حوار كأمتع ما يكون الحوار ، ثم تتداعيان إلى السباق وكسب الجائزة في مضمار الهدم والتبديل . فتقول المنية لأختها : ساعديني !

وتقول الجديلة لأختها : لقد ساعدتك حتى الآن أكبر مساعدة في مقدوري ، وتركت عادة الموت بغير تبديل ، وقد غيرت فيما عداها جميع العادات !

وتشفق الأخت الكبيرة أن يجيء اليوم الذي تبطل فيه هذه العادة كما بطلت عادات

فلا تدعها أختها الصغيرة على إشفاقها وحذرها ، بل تجلب

الطمأنينة إلى ضلوعها التى لا قلب فيها ، وتشرح لهـا كيف تساعدها بإرهاق الأبدان وتسميم العقول وتعويد الجوارح ما يضنى ويسقم ويسلب النبطة بالحياة . بل تقول لهـا إنها جعلت من « الموضة » فى العصر الحـديث أن يعيش الناس لحاضرهم ولا يحفلوا بعد موتهم بالذكر الحسن والخلود المجيد ، وقد كان كلاهما حظاً مسلوباً من المنية وقدماً تستبقيه الحياة بعد الفناء . فإذا خسرت الحياة هذا القسم النفيس فذلك كسب عظيم للمنية ، وتلك هى الهدية التى تبذلها الأخت الصغيرة البرة للأخت الـكبيرة التى لا تحفظ الجميل . وعلى ذلك تتفق الأختان

* * *

وللشاعر المتشائم محاورات كثيرة على هذا النحو الطريف ، يعجب القارئ للعبقرية التى صبغتها بصبغة الفن الجميل وهى غارقة فى الحزن والألم والسآمة ، وخلقت منها للعقول متعة باقية وهى تنعى على كل متعة وكل بقاء

* * *

ولقد كانت قراءة ليوباردى وزميليه فى مقدمة القراءات المحبوبة عندى إلى ما قبل الثلاثين . ثم بقيت لها قيمتها الفنية الأدبية وبطل الولع بها والاشتياق إليها . فهى اليوم عندى فى مقام التقدير والذكرى ، وليست فى مقام الاصطفاء والمفاجأة

لم هذا ؟

لسبب يخيل إلى بعض الناس أنه مناقض للمعقول والمنظور ، وهو أن الشباب أميل إلى التشاؤم من الـكهولة والشيخوخة ، وأقرب إلى الطعن فى محاسن الحياة والجهل بتلك المحاسن وهى بين يديه

ولا مناقضة للمعقول فى هذا بل المناقض للمعقول أن يكون الأمر على خلاف هذا

فالشاب يخرج من بيته إلى معترك الحياة فيصطدم بالشدائد التي لم يعرفها بين الأب والأم والإخوان والأقربين ، ويرى أخلاقاً غير ما عهد وألف وانتظر : يرى أناساً ينزعون ما فى يده وقد كان يرى أناساً يعطونه ما فى أيديهم ، ويعلم أن نجاحه يغيظ قوماً يعاشرهم ويعاشرونه وقد كان يعلم أن نجاحه فرحة القلوب وقرة العيون ، ويرجو كثيراً ولا يظفر بغير القليل . والمرء إذا انتظر مائة ووصل إلى عشرين ناقم ساخط متبرم ، ولـكنه إذا انتظر خمسة ووصل إلى عشرة يشكر ويرضى ويستريح

هذا سبب من أسباب الشكاية والتشاؤم فى الشباب يزول أو يضعف كلما تقدمت به السن وجاوز أيام الدلال على الحياة

وسبب آخر أن الشباب يلتهم ما يتناوله فلا يفرق بين الطعام الفاخر والطعام المزهود فيه ، كالمعدة القوية التى تستخرج الغذاء من كل طعام ، أو كالمعدة الجائعة يتساوى لديها الخبز القفار والمائدة المنتقاة

فهو يظفر بالمتعة ولا يدرى ما هى المتعة ولا يقيس الفارق بينها وبين غيرها بمقياس صحيح

وهذا سبب من أسباب الشكاية يضاف إلى ما تقدم فيغرى بالتشاؤم فى أوائل الحياة

وسبب غير هذا وذاك أن طول العشرة داع من دواعى الألفة والمودة وإن تباينت المشارب فى أول اتصال . فإذا كانت الحياة قرينة ناشزة والشاب قريناً غضوباً فى بداية الزواج فقد تطول العشرة فيقل النشوز ويقل الغضب ، ويأخذ كل من الزوجين صاحبه على علاته ، ويصل بالإرضاء والإغضاء إلى تسويغ الـكريه وقبول المرفوض واستكثار القليل

وسبب غير أولئك جميعاً أن تقدير الشيء وأنت تحس أنك فاقده عما قريب غير تقديرك إياه وهو فى قبضة يديك غير مهدد بضياع .

فإذا اجتمعت هذه الأسباب لم يكن عجيباً أن يقل تشاؤم الشيخوخة ويكثر تشاؤم الشباب

ولهذا جنحت إلى ثالوث التشاؤم كله فيما دون الثلاثين ، وأحببت ذكراهم الآن كما يحب الإنسان ذكرى شبابه البا كر ، وإن يرى بعد غير ما كان يراه

تلك لمحة إلى ليوباردى

بل تلك إشارة إلى صورة العالم الحافل المرسوم بالظلال والظلمات بريشة ذلك العبقرى المحروم ، الذى لم يحرم الدنيا كما حرمته ، متعة لب ونفثة سلوى ورحمة عزاء

عباس محمود العقاد

الصوفيـــة

للدكتور عبد الوهاب عزام

سألنى الأديب ابراهيم العجلان رأيى فيما يثور من الجدال حول الصوفية وعن فتوى الطرطوشى التى نشرت فى الرسالة وفيها « مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلال ، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله ، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه السامرى كما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار قاموا يرقصون حوله ويتواجدون » الخ

وهذا جوابى للسائل الفاضل :

— ١ —

كان فى المسلمين منذ شاعت هداية الإسلام عبّاد زهاد لا يتميزون بلباس أو شارة ، ولا يفارقون الجماعة فى قول أو فعل ؛ ثم امتاز منذ أواخر القرن الثانى جماعة من الزهاد باسم الصوفية وحدثت لهم سنن وآداب ميزتهم عن جمهور الأمة ، ونشأت بينهم أقوال وأفعال لم تكن معروفة بين المسلمين . ثم نبغ لهم إمام بعد آخر كان لأقوالهم وأفعالهم آثار واضحة فى اتجاه الطريقة وحدودها

كان التصوف أول الأمر زهداً ، ثم صار معرفة وحباً ، ثم صار فناء، وخطت سبل لتربية السالكين فصار التصوف طريقة ، ونشأت فيه أساليب من النظر واختلط به آراء من الفلسفة فصار له فلسفة أو ما يشبه الفلسفة

وإذا أردت أن تتبع تطور التصوف فى تاريخ الرجال فانظر فى سير أمثال الحسن البصرى وسفيان الثورى ثم أمثال شقيق البلخي وابراهيم بن أدهم والسرى السقطى ومعروف الكرخى ، ثم أمثال الجنيد والشبلى وأبى يزيد البُسطامى ثم الحلاج والسهروردى المقتول وابن العربى

وليس التصوف مذهباً واضح الحدود بيّن المعالم يجمع كل من دخل فيه على آراء متفقة ، وأعمال متشابهة ، بل فيه آراء مختلفة وأقوال متباينة ، وسير شتى . فيه تصوف الخاصة والعامة وطريقة المقتصدين والغلاة وأقوال الصالحين والسكارى

— ٢ —

وقد ظهر فى التصوف منذ امتازت معالمه ووضحت رسومه أهل الصحو وأهل السكر ؛ الأولون يضبطون أنفسهم ويؤلفون بين أقوالهم وأعمالهم وبين الشريعة ، والآخرون يرمون حين يغلبهم الوجد بالكلام الغامض المبهم والقول لا يوافق الحدود التى حدتها الشريعة للعقائد والأعمال

وأرى أن أوضح مثل لهذين الضربين : الجنيد البغدادى وأبو يزيد البسطامى . كان الجنيد وقوراً رزيناً لا يغلبه الوجد على نفسه ؛ وأبو يزيد — كالشبلى البغدادى — يرمى بالكلمة بعد الكلمة ينكرها الناس ويضجون منها أو يعجبون لها ويتحيرون ، فيجتهد الجنيد فى تفسيرها وتأويلها . وفى كتاب اللمع لأبى نصر السراج أمثلة من هذا

وممن التزموا الحجة الواضحة كالجنيد جماعة ألفوا فى التصوف وبينوا حدوده وملاءمته للشرع ، مثل أبى القاسم القشيرى صاحب الرسالة ، والسراج صاحب اللمع ، وأبى طالب المكى صاحب قوت القلوب ، والغزالى

— ٣ —

والخلاف بين العلماء أهل الظاهر ، والصوفية أهل الباطن ، قديم مديد نشأ منذ صار التصوف طريقة واستمر إلى يومنا

وحسبك أن تقرأ ما كتب ابن الجوزى فى كتابه (تلبيس إبليس) : « العلماء يرمون الصوفية بالخروج على الدين ، والصوفية يرمون العلماء بالوقوف على الصور والأشكال ، ويرون أن علمهم لا يغنى فى سبيل الله فتيلاً » . وكم سخر الصوفية من أهل الظاهر ووصفوهم بالغلظة والجفاء والقصور عن إدراك البواطن وتذوق المواجد . وليس يتسع المقام لبيان هذا

وقد وجد العلماء فى سير بعض الصوفية ما يقوّى حجتهم ويصدّق دعواهم . وقد تسمى باسم الصوفية أفراد وطوائف جعلوا التصوف وسيلة إلى مآربهم وشهواتهم ؛ كما قال المعرى :

لو كنتم أهل صفو قال ناسبكم صفويةٌ فأتى باللفظ ما قلبا
جنـد لإبليس فى بدليس آونة وتارة يحلبون العيش فى حلبا

والشكوى من الصوفية قديمة نجدها فى رسالة القشيرى المتوفى سنة ٤٦٥ . ويقول فى مقدمة الرسالة : « ثم اعلموا حكم الله أن المحققين من هذه الطائفة انقرض أكثرهم ولم يبق فى زماننا هذا من هذه الطائفة إلا أثرهم ، كما قيل :

أما الخيـــام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحى غير نسائها

وحصلت الفترة فى هذه الطريقة ، لا بل اندرست الطريقة

بالحقيقة . مضى الشيوخ الذين كان بهم اهتداء ، وقلّ الشبان الذين كان لهم بسيرتهم وسنتهم اقتداء . وزال الورع وطوى بساطه ، واشتد الطمع وقوى رباطه ، وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة ، فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة ، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام ، ودانوا بترك الاحترام وطرح الاحتشام ، واستخفوا بأداء العبادات ، واستهانوا بالصوم والصلاة ، وركضوا فى ميدان الغفلات ، وركنوا إلى اتباع الشهوات ، وقلة المبالاة بتعاطى المحظورات ، والارتفاق بما يأخذونه من السوقة والنسوان وأصحاب السلطان

ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال، وادعوا أنهم تحرروا عن رق الأغلال ، وتحققوا بحقائق الوصال، وأنهم قائمون بالحق تجرى عليهم أحكامه وهم مُحو ، وليس لله عليهم فيما يؤثرونه أو يؤدونه عتب ولا لوم ، وأنهم كوشِفوا بأسرار الأحدية ، واختُطِفوا عنهم بالكلية ، وزالت عنهم أحكام البشرية ، وبقوا بعد فنائهم عنهم بأنوار الصمدية . الخ»

وقد حدثت بعد القشيرى أحداث . ونجمت مذاهب ضج الناس منها ، وضيع كثير من حقائق الطريقة وحفظت صورها ، وخف على العامة وأشباههم أن يراءوا بأقوالهم الغريبة وأفعالهم العجيبة ، إذ قصروا عن إدراك الدقائق، وعجزوا عن معرفة الحقائق

وفى الصوفية اليوم أهل الورع الصادقون الدائبون فى رياضة النفس وتهذيبها وكبحها ، وهداية الناس وتهذيبهم فى غير عجب ورياء، ولا جلبة وضوضاء . ومنهم الجاهلون الذين لا يعرفون من التصوف إلا الأصوات والحركات ، والملابس والشارات . وليس لهذا الأمر إلا تحكيم الشرع ، والاتفاق على فروضه وسننه وآدابه ، وكلهم مسلمون راضون بحكم الشريعة جديرون أن يجتمعوا عليها ، ويتآخوا فيها

وسأبين فى المقال التالى التصوف الذى يلائم الإسلام والذى ندعو إليه فى هذا العصر إن شاء الله

عبد الوهاب عزام

قبل اليوم المشهود

للدكتور زكي مبارك

قضى آدم فى صحبة حوّاء ساعات وهو ينتظر اليوم المشهود فى ساحة العدل ، وهى ساعات كانت أطول من الدهر وأثقل من الجبال

وزاد فى كروب تلك الساعات أن آدم لم يكن فى حقيقته إلا رِحفة فطرية يُعوزها الصقل والتهذيب ، فكان يبدئ ويعيد فى حكاية شجرة التين ، بعبارات محمّلة بعنجهية الملامة وفظاظة التربت ؛ وكانت حوّاء تصبر على أذاه فى حين ، وتثور فى أحايين ، وكذلك كانت تلك الساعات أعنف وأفظع من الحساب المرتقَب فى ساحة العدل

— آدم ، هل وصلت إليك الأنباء الأخيرة ؟

— أىّ أنباء ؟

— لقد اختصم الأسود والقرود

— ثم ؟

— ثم اختصم الملائكة المقرّبون

— وفيم يختصم أولئك وهؤلاء ؟

— فى أمرنا بعد العصيان

— وما قيمة ذلك ؟

— لقد فهمت ممـا سمعت أن الرأى العام يعطف على قضيتنا كل العطف

— الرأى العام كله ؟ كل سكان الجنة ينظرون إلى قضيتنا برفق؟

— ليسوا جميعاً سواء ، وإنما عطف علينا الأكابر من أولئك السكان

— والأصاغر ؟

— هم دائماً أصاغر ، ولا قيمة لضجيجهم الصخّاب

— ليس فى هذا ما يزيل مخاوفى ، يا حواء ، فما خشيت يوماً أن يصيبنى أذًى من أكابر الخلائق ، ولا جاز فى وهمى أن تصدرُ كلمة الإفك عن مخلوق جمّله الله بالقوة أو بالعقل ، وإنما الخوف كل الخوف من الأصاغر ، فهم الذين يذيعون الصحيح والعليل من أخبار السوء ، وهم الذين يطمسون محاسن الأكابر بالإفك والإرجاف ، ليقال إن الوجود ليس فيه فاضل ومفضول

— لا عليك من هؤلاء ، فلن يسمع أحدٌ ما يأفِكون ... وهل ضعُفت العقول حتى تُسيغ أقاويل المرجفين ؟

— لو كانت العقول تَنقُد كل ما تسمع ، وفى كل وقت ، لرجوتُ أن تسقط أراجيف الكاذبين ، ولكن العقول لا تَنقُد كل ما تسمع ، ولا تنصب ميزاناً لكل ما يقال ، وسترين يا حواء أن أصحاب العقول أقلية ضئيلة ، وهم مع ذلك لا يشغلون أنفسهم بإنصاف المظلومين ، وليس فيهم من يترك أعماله ليرفع الشبهات المفتراة من طريق المروّعين بالبهتان

— ألم تسمع أن الأسود غضبت من تطاول القرود ؟

— سمعتُ ، ولكنى أعتقد أنها غضبة وقتية ، فستجدُ للأسود شواغل تصرفهم عن تأديب أولئك الأنذال

— وقد غضبت البلابل أيضاً

— أعرف ذلك ، فقد سمعتها تقول إن آدم هو المخلوق الوحيد الذى يطرب لصوتها الرخيم ، وأنه إن خرج من الجنة فلن تهشّ للتغريد ... ولكن من يضمن أن يدوم هذا العطف ؟ نحن شجّعنا البلابل والعنادل على الغناء ، وأقمنا لهم دولة ، ونبّهنا الخلائق إلى ما يملكون من جواهر السجع والرنين . فهل يذكرون هـذا الفضل بعد أن نخرج من الفردوس ؟ أنا أخشى أن تصفق لهم الضفادع فيرون النقيق من صور الثناء !

— هل بلغك ما قالت الببغاوات ؟

— نعم سمعت أنها قالت « إن مخارج الحروف عند آدم سهلةٌ لينة ، وأنها تحاكيه في النطق بلا عناء ، فهو بذلك أجل مخلوق » وأنا من هذا أخاف يا حواء

— وكيف ؟

— ستستطيع الببغاوات أن تزعم أنها خلائف

— خلائفُ مَنْ ؟

— خلائف الحيوان الناطق

— خلائف آدم ؟

— إى ، إى ، أليست تنطق كما ينطق ؟

— ولكنها لا تفقه شيئاً مما تنطق ؟

— من حق الببغاوات أن تدّعى لأنفسها ما تشاء ، حين يغيب أهل العقل والبيان

— ولكن أهل الجنة سيذكرون دائماً أنك وحدك الشاعر والخطيب

— أهل الجنة لن يذكروا شيئاً ، وسوف تعلمين

— خبلتنى ، خبلتنى !

— إن كنتِ فى حاجة إلى مزيد من الخبال ، أيتها المخبولة الحسناء ... إسمعى

— إنك تُرعبنى حين تقول اسمعى

— إسمعى يا حواء ، ثم اسمعي ، المجد يحتاج إلى حراسة ، والأصدقاء يحتاجون إلى حراسة ، وقد تكون رعاية الغنم أسهل من رعاية الأصدقاء ، ولن يحفظ عهدنا أحدٌ حين نغيب

— ولا الظبى الذى ربيناه منذ أسابيع ؟

— سيجد ذئباً يرعاه ، وسيأنس بالأنياب الحِداد ، أضعافَ ما أنِس بالأنامل اللطاف

— هي أناملى ، لا أناملُك

— حتى فى أوقات الكرب الماحق لا تنسى المرأة أنها مخلوق لطيف !

— ترتاب فى جمالى ؟

— أستغفرُ الله !

— ولا تستغفر الحب ؟

— وأستغفر الحب وأتوب إليه !

— صِدق ، صِدق ؟

— وهل كذبتُ عليك يوماً يا حواء ؟

— أنا إذاً جميلة وأنت تحبنى ؟

— ما أحببتُك يوماً ، ولا رأيتك جديرة بالحب ، لأن عقلك أصغر من عقلى ، والحب تفاهم بين عقلين ، قبل أن يكون تلامساً بين جسمين ، ولكن صوتاً يزعجنى يا حواء

— وما ذلك الصوت المزعج ؟

— هو الصوت الذى يصرخ بأن لا بد لآدم من حواء

— تقول هذا وأنت الذى يُشغل عنى بما فى الفردوس من شجر ونبات وطير وحيوان ؟

— أنا شُغِلتُ عنك بتلك الخلائق ؟ هيهات ثم هيهات ! كنت أتأمل الأشجار لأعانق الغصن الذى يشبه قدك النشوان ، وكنت أداعِب الأزهار لأرى فيها شمائل من خدك الوهاج ، وكنت ألاعب الأطيار لأسمع سجعاً يذكّر بصوتك المقتول ، وكنت أناغى فصائل الحيوان لأعرف أن لك صوراً فى عيون الجآذر وأجياد الظباء . حبك يا حواء أذوانى وأضنانى وأبلانى ،

وستسمعين من أخبارى ما تكرهين

— عدَتْك العوادى ، أيها الفارس الجميل !

— سأصبح فارساً بلا فرَس

— أنت ؟

— نعم ، أنا ، فقد حدثنى أحد الملائكة أن الله لا يقيم وزناً لهفوات النساء ، فإن القضاء الذى سيقام فى ساحة العدل سيجعلنى المدين

— وحدك ؟

— وحدى !

— وإذن ؟

— وإذن أهبط الأرض وتبقَين فى الفردوس

— مع من ؟

— مع جميع هذه الخلائق من شجر ونبات وطير وحيوان ومع نهر الكوثر ، ومع الملائكة المقرَّبين

— أهذه خلائق ؟

— بالتأكيد ، وفيها الكفاية لمن يحتاج إلى أنيس

— وأصير كالدَّجاجة الحائرة عند غياب الديك ؟

— كيف تحارين وأنت بين المهتدين ؟

— هداية حواء فى غيبة آدم هى أقبح صورة من صور الضلال

— سيقضى الله فى أمرنا بما يشاء

— الله سيقضي بأن تعيش المرأة بلا رجل ؟

— سيقضى الله بالعدل ، فالرجل أذنب والمرأة لم تذنب ، والعقاب لا يحق على غير المذنبين

— تخرج من الجنة وأبقى وحدى بحجة أنك المذنب ؟

— بالطبع !

— وهذا عدل ؟

— هذا هو العدل .

— والله يريد ذلك ؟

— يقال !

— آدم ، سترى أننى أشجع منك ، وأوفى منك !

— من السهل أن تكونى أشجع منى ، ولكن من الصعب أن تكونى أوفى منى

— المرأة لا تعتصم بالدلال إلا فى أوقات الصفاء ، وهى عند الخطر فداء الرجل من جميع الأسواء . ألم تسمع حديث الصائد ؟

— وما حديث الصائد ؟

— إذا ساور الصائد أسداً ولَبُوَة ، كان عليه أن يقتل اللبؤة قبل أن يقتل الأسد

— ولماذا ؟

— لأن الأسد ينسحب بعد انصراع اللبؤة ، أما اللبؤة فتقاتل بعد انصراع الأسد إلى أن تموت

— وأنا سأجادل الله يا آدم

— وتجادلينه يا حواء ؟

— أنا أفصح من جميع المحامين ، والمرأة تحارب بالدمع حين تعجز عن المحاربة باللسان

— ولكن الله أكبر من أن ينخدع بدمع المرأة ولسانها

— أنا أعرف الله أكثر مما تعرف

— كل شيء جائز إلا أن تصل المرأة إلى معرفة الله على الوجه الحق

— أنت لا تعرف خطر المرأة حين تصرخ وتولول

— أو ينزعج الله عزّ شأنه بالولولة والصراخ ؟

— سترى كيف أصنع ، سترى ، سترى ، سأقيم مناحة في ساحة العدل ، وسيبكي معي جميع الإناث من الطير والحيوان

— والنتيجة ؟

— النتيجة معروفة منذ هذا الوقت ، فسيصفح الله عنك ، ليريح أهل الجنة من الولولة والصراخ

— ويقول التاريخ إن آدم نجا من العقاب لأن امرأته بكت في ساحة العدل ؟

— ما قيمة التاريخ ، وهو لفظٌ بلا مدلول ، ولا يعتزُّ به غير الضعفاء ؟

— وتقولين كلما اختصمنا إنك سبب نجاتي !

— هل يؤذيك أن تعترف بفضلي عليك ؟

— تمنّين عليّ قبل أن يقع الفضل المزعوم ؟ أنت السبب فيما أعاني من البلاء ومع هذا تطالبين بالثمن لدفع نكبةٍ جناها عقلُك المنخوب !

— أنا أعقل منك !

— لأنك أغريتني بالأكل من شجرة التين ؟

— وهل في الجنة شيء اسمه شجرة التين ؟

— تكذّبين الواقع الملموس ؟

— واقع ملموس ؟ ما هذا الكلام الأجوف ؟

— شجرة التين ، يا حواء ، شجرة التين

— قلت لك إن الجنة ليس فيها شيء بهذا الإسم الغريب

— ولم تقع في العصيان ؟

— أي عصيان ؟

— العصيان الذي أوجب أن نفتضح ، يا حواء

— وكيف افتضحنا ، يا آدم ؟

— بظهور السوأتين

— الطير والحيوان لا تعرف ستر السوأتين ، فأرح نفسك من هذا العناء

— أترين أن أواجه الله بهذا القول ؟

— واجِهِ اللهَ بما تشاء ، ولا تخف من غضبه عليك !

— وكيف ؟

— لأنه لن يصنع بك أشد مما صنع

— ماذا ؟ ماذا ؟

— لقد خلق لك ضميراً ، ثم خلق لك ضميراً ، لتقضي حياتك في عذاب !

— وإذن ؟

— وإذن تكفر بالله وتثور عليه

— لأصير ...

— لتصير حيواناً سعيداً كسائر أصناف الحيوان

— الفضيحة الأبدية ، ولا هذا المصير ، يا حواء

— ماذا تريد بنفسك يا آدم ؟

— أريد أن أكون أول مسئول أمام الله في هذا الوجود

— وما غنيمتُك من هذه المسئولية ؟

— هي أن أتشرف بالثواب والعقاب

— الله قد يعاقِب ولا يُثيب

— يهمني أن أعاقَب ولا يهمني أن أُثاب

— لأنك ...

— لأني رجل ، وسعادةُ الرجولة في احتمال التبعات

— وبهذه العقيدة ستلقَى الله في ساحة العدل ؟

— نعم ، نعم

— وإذن يكون من حقي أن أقول إني في صحبة رجل هو أشجع الرجال وأشرف الرجال !

(للحديث أشجان) **زكي مبارك**

برنامج الإصلاح فى جماعة كبار العلماء

أحــــلام ...

للأستاذ محمد محمد المدنى

كنت يوماً من الأيام راضى النفس، ساكن الجأش، هادئ العاطفة؛ ونظرت فإذا بارقة من أمل تبرق فى جو الأزهر فينبثق منها نور وهّاج تضوء به أرجاؤه، وتصفو له سماؤه، ويشرئب إليه الناس بأبصارهم وأعناقهم متطلعين

كتبت يومئذ فى (الرسالة) مقالاً: أما موضوعه، فهو موضوع اليوم « برنامج الإصلاح فى جماعة كبار العلماء »؛ وأما عنوانه الذى أوحت به النفس يومئذ، فقد كان كلمة جميلة خفيفة على الأسماع، أعتقد أنها ترجمة واضحة لما كان يدور بالنفوس المستبشرة قبل أن تكون عنواناً لمقال يتحدث عن أعمال « جماعة كبار العلماء »، تلك الكلمة هى « آمال ... »

ولكننى أعترف الآن أننى كنت مغالياً ومسرفاً فى الخيال إلى حد بعيد حين اخترت هذه الكلمة عنواناً لمقالى، وأنه كان علىّ يومئذ أن أذكر تاريخ الإصلاح فى مصر بوجه عام، وتاريخ الإصلاح فى الأزهر بوجه خاص، لأختار كلمة أخرى غير كلمة « الآمال ». ولست أدرى: أمن تقاليد (الرسالة) أن تسمح أحياناً لكتابها بتصحيح ما سلف من العناوين؟ ولكن أنّى ذلك وقد سارت بذكرها الركبان، وانقضى عليها أزمان وأزمان؟

عفا الله عما سلف! وليكن حديث اليوم تصحيحاً لحديث الأمس، ولنجعل عليه عنواناً غير ذاك العنوان، هو « أحلام ... »

***

كتب الأستاذ الكبير صاحب (الرسالة) مقالاً خطيراً بالعدد (٤٥٦) عنوانه « لا بد للإسلام من مؤتمر »؛ وقد استعرض فيه حالة الشرق والعرب، وذكر تودد الغرب إلى المسلمين فى ظروفهم الحاضرة، ثم عرج بالحديث إلى « العلماء » فقال:

« ولئن سألتنى بعد ذلك: هل بلّغ العلماء رسالة الله؟ لأقولن لك: « لا » مغلظة مكبرة مكررة! وأكبر الظن أنهم لا يؤمنون بأن لهم رسالة، وأن عليهم تبعة: رجال السياسة يعملون بحق أو بباطل، ورجال الحكم يتصرفون بعدل أو بظلم؛ أما رجال الدين في ممالك الوطن الإسلامي كله، فقد قنعوا باللقب والزى، واكتفوا بالشبع والرى، ورضوا أن يكونوا متوناً لذوى الطمع، وحواشى لأولى النعمة، وهوامش على صفحة الحياة! »

قال الأستاذ الزيات ذلك. ومضى فى مقاله البليغ يؤيده بالحجج، ويضرب له الأمثال، ويهز به النفوس، ويثير به كوامن الشجون؛ ثم قال: « لقد عقدنا الآمال بالأزهر فى كل ذلك، فهل عقدناها بلعاب الشمس؟ كانت جماعة كبار العلماء معقد الرجاء، ومناط الثقة ... ولكن برنامج الإصلاح الذى اقترحه شبابها المصلحون، وأقره أقطابها المخلصون، قد أدركته أزمة رجعية توشك أن تخنقه فى درج المشيخة؛ فإن عضواً من الجماعة يوجس منه شراً: فهو ينسج حوله الشكوك، ويؤلب عليه القوى وقد نجح فى ذلك. فهل يجوز فى ظن امرئ أن يكون فى كبار العلماء من يشتبه عليه الحق والباطل والخير والشر والصلاح والفساد؟ ذلك مالا نصدقه، ولا نود أن تجرى الأمور بما يحققه »

قرأت هذا المقال مثنى وثلاث ورباع، واشتد علىّ وقعه، وساءنى هذا النبأ الهائل الرهيب الذى تضمنه، وقلت لنفسى: هذا يوم له ما بعده! سوف يتكلم الأزهر، وسوف يدفع العلماء عن أنفسهم، وسوف تتحرك الجماعة الموقرة لتثبت للناس أنها سامعة لكل ما يدور حولها، وواعية لكل ما يقال عنها، ولكنى تلبثت لذلك أسبوعاً، واستظهرت من بعده بأسبوع آخر فلم أجد أحداً من الأزهريين، رسميين أو غير رسميين، يعرض لذلك بتصحيح أو تكذيب، ولم ألمح فى جو الجماعة ما يدل على أنها موشكة أن تجتمع لترى فى برنامج الإصلاح رأيها. وقد عنيت فى أثناء ذلك أن أستمع إلى أحاديث الناس فى الأزهر وغير الأزهر عن هذا الشأن الخطير، فسمعت أحاديث عجباً!

هذه رواية تقول: إن أشخاصاً معينين قد ألفوا التعويق عن الخير، والتخزيل عن الإصلاح، قد وقفوا من هـذا البرنامج موقف المحارب فى السر والعلن، وجعلوا يصرحون فى مجالسهم بأن هذه المقترحات لن تتم أبداً، ولن تأخذ طريقها إلى التنفيذ!

وهذه رواية أخرى تنقل عن أحد أعضاء الجماعة عبارة يدأب على ترديدها ويرمى بها فى وجوه الناس إذا سألوه فيقول: إن هؤلاء الشبان من أعضاء الجماعة يريدون أن يقلبوا الدنيا وأن يغيروا أوضاع العلم فى الأزهر. وأن يفسدوا الدين!

وهذه رواية ثالثة تقول: إن مديراً من مديرى إدارات الأزهر

قد ساءه أن تفكر الجماعة فى انتزاع إدارته من يده . فأقسم برأس جدوده من الشراكسة : لن يتم هـذا البرنامج ولو كان بينه وبين التمام خطوة واحدة

على أن أثراً آخر من آثار التفكير فى هذه المقترحات قد حدث فعلاً ، وبرز بروزاً رسمياً . ذلك أن لجنة معروفة فى إدارة المعاهد الدينية قد رأى بعض أعضائها فى هذه الاقتراحات مساساً بهم ، وتعريضاً بكفايتهم . فاتفقوا على أن يستقيلوا من هذه اللجنة ورفعوا استقالتهم فعلاً إلى فضيلة الأستاذ الأكبر ، ولكنه لم يقبلها وأمرهم بالبقاء فى أعمالهم !

وتقول جريدة « البلاغ » الغراء فى عددها الصادر مساء التاسع من شهر إبريل الحاضر ما نصه :

« قد ترددت إشاعات نرجو ألا تكون صحيحة ، خلاصتها : أن بعض أعضاء جماعة كبار العلماء مع قبولهم هـذا المبدأ وسائر المبادئ التى تحقق الإصلاح وتنظم جهود الجماعة والأزهر والتى انتهت إلى قبولها لجنة بحث المقترحات ، لا يرون أن تنفذ تلك الآراء لأن فى قبولها وتنفيذها اعترافاً ضمنياً بتقصير الجماعة عن التفكير فى ذلك فيما سبق ، وهذا موقف لا يرضاه أعضاء الجماعة لأنفسهم »

وهكذا تختلف الروايات تبعاً لتعدد مصادرها . ولكنها كلها تجمع على شىء واحد هو : أن عقبات تقف فى طريق هذه المقترحات وتحول بينها وبين النور أن تراه ، فهى لذلك حبيسة فى «درج المشيخة» وستظل حبيسة فى هذا الدرج حتى يأذن الله

* * *

يا ويلتا ! أيموت هـذا المشروع أيضاً كما ماتت من قبله مشروعات ؟ وماذا يقول الأزهر بعـد ذلك للأمة وقد نادى فى أرجائها البشير : أن قد استيقظ العلماء ، وهبوا للعمل ، وشمروا عن ساعد الجد فى خدمة الدين ونصرة الشريعة ؟

أهكذا يا مصر تنفرج فيك إلى هذا الحد « مسافة الخلف بين القول والعمل ؟ » . أحين تكون الأعمال فكراً تجول فى النفوس ، أو مشروعات تكتب على الأوراق ، يسمع الناس لها ضجيجاً عالياً ، ودوياً صاخباً ، ويرون من حولها هيئات تجمع ، وجلسات تعقد ، وأقلاماً تكتب ، وصحفاً تنشر ، وبشارات تتوالى ، ويخيل بها على الناس أن الأمر جد ، وأن الوعد حق ، وأن ساعة التنفيذ آتيه لا ريب فيها ؛ ثم تمضى الأيام ، وتتلاحق الشهور والأعوام وهذه المشروعات ساكنة لا حراك بها ، يعلوها غبار ، ويرهقها قتار ، وتوحشها ظلمات الإهمال أو النسيان

أجل ! أجل ! و « أىٌ هكذا خلقت ! »

ارجع ، أيها القارئ ، إلى مجموعات الصحف والمجلات والسجلات الحكومية تر العجب العجاب : برامج للتعليم بعضها فى أثر بعض ، وبرامج لإنقاذ الفلاح وتحسين حالة الفلاح ، وبرامج للشئون الاجتماعية ، يطنطن بها الدعاة ، وتمتلئ بها المسامع والأفواه ، وبرامج حتى للطرق ، وتنظيم المدن ، وتخطيط الشوارع تتداولها أوامر الإقرار تارة ، والإلغاء تارة ، والتعديل تارات ؛ وهكذا تفيض مصر بالبرامج إلى البرامج حتى لو عنينا بجمعها وترتيبها والتبويب لها لأخرجنا من ذلك كتاباً ضخما ذا مجلدات ! ولكنها برامج لم توضع لتنفذ وتطبق ، ولكن لتكون آية يستدل بها الناس على عبقرية واضعيها ، ولتكتب عنها الصحف أياماً أو شهوراً فتفيض فى تعديد مزاياها ، وتطنب فى بيان فوائدها وما يرجى من آثارها . وما بى من حاجة إلى دليل أؤيد به ما أقول . فهذا هو التعليم يتعثر فى خطاه ، وهذا هو الفلاح ما يزال كما كان يشرب الطين المذاب ، ويذوق من فقره ودَيْنه ومرضه ألوان العذاب . وهذه هى برامج مصلحة التنظيم يحسب الناس أنها لكثرة ما اعتورها ، وشدة الإبطاء فى تنفيذها ، قد وضعت لتنفذ وينعم بمزاياها سكان البلاد فى القرن الثلاثين ، لا فى هذا القرن العشرين !

فلماذا لا يكون الأزهر أيضاً كهذه المصالح الحكومية ؟ إننا معاشر الأزهريين مصريون ، ولا أحسب أن المصرية تتمثل بجميع خصائصها فى بيئة من البيئات كما تتمثل فى الأزهر ، فإذا أراد امرؤ أن يطبق على هذا الخلق الذى سجله أمير الشعراء على مصر حين قال :

« كل شىء فيه ينسى بعد حين »

وجد الأمثال بين يديه حاضرة فى الأزهر قبل سواه ، فله أن يمثل « بمشروع ترجمة القرآن » أو إن شئت فسمه « مشروع ترجمة تفسير القرآن » وله أن يمثل « بلجان العيد الألفى للأزهر » التى ألفت على الورق ، ورصدت فى السجلات ، ولم تعمل شيئاً ، بل لم تجتمع فيما أظن حتى اليوم ! وله أن يمثل « بمشروع تنظيم المكتبة الأزهرية العظيمة » الذى اجتلب له خبير فنى من المتخصصين فى برلين . وله أن يمثل « بمشروع إصلاح مجلة الأزهر » الذى ألفت له لجنة وقد كان الأستاذ الزيات أحد أعضائها ، ثم اختنق تقريرها وليداً وما زالت المجلة كما كانت بل أسوأ مما كانت كما يعترف بذلك رجال الأزهر المسئولون . وله أن

يمثل «بالبعوث الأزهرية» التي اهتممنا بها مرة في الدهر واحدة ثم لم تعد كأنها بيضة الديك التي يذكرها في بعض شعره بشار !

له أن يمثل بهذا كله مما ذكرنا، وله أن يمثل بغيره مما لم نذكر، فليس الأمر إذن أمر برنامج الإصلاح في جماعة كبار العلماء وحده، وإنما هو أمر الأزهر جميعاً. هو أمر برامج كثيرة حاولها الأزهر، وعنى بها فضيلة الأستاذ الأكبر؛ بل إننا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا: إن هـذه المشروعات جميعها إما بتفكير مباشر من فضيلته، وإما بتفكير يستمد من روحه وإلهامه، ويراد به تحقيق غايته في الإصلاح، وتنفيذ رغباته في النهوض بالأزهر، وإعلاء كلمة الله، وقد حظيت هذه المشروعات كلها بكفالته فاحتضنها وأيدها وأبدى رغبته في تنفيذها، فما هو السر إذن في أن هذه المشروعات النافعة تموت في طفولتها، بل تختنق في مهدها؟ ألا إن السر في ذلك لمعروف: إنه يرجع إلى الذين ألفوا أن يعوقوا الإصلاح، ويشككوا في الخير. يرجع إلى المخزلين المثبطين الذين يغشى النور أبصارهم فلا يحبون أن يروا إلا الظلام، ويدوخ الجو النقي الصافي رءوسهم فلا يحبون أن يعيشوا إلا في الفساد. إنه يرجع، يا سيدي الأستاذ الأكبر، إلى الذين مردوا على النفاق، ورضوا أفاويقه، وتلونوا في كل عهد بلونه ولبسوا لكل حالة لبوسها؛ ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم !

هنا فقط موضع العلة ومكان الداء، وهنا فقط مفصل الدواء، ومقطع العلاج، لمن أراد العلاج !

رباه ! ماذا قلت؟ وأي سر كشفت؟ ولكن ... لا ! إن الأمر لم يعد سراً. وهل سرٌّ ما تفيض به المجالس والأندية، وتخوض فيه الصحف والمجلات؟

إنني أتخيل أبناءنا وأحفادنا القادمين وقد أرادوا أن يحصوا لنا أعمالنا ويدركوا مبلغ برنا بوعودنا: أتخيلهم وقد وجدوا في صحفنا، في جرائدنا ومجلاتنا، مشروعات أعمالنا، فجعلوا يتابعون البحث في هذه الصحف عدداً بعد عدد، ومجلداً بعد مجلد، لعلهم يعثرون فيها على خبر التنفيذ كما رأوا أخبار التفكير، لعلهم يرون آثار الأعمال كما رأوا آثار الأقوال، ولكنهم - واخجلتاه - سيبحثون جاهدين، ثم يوالون البحث صابرين، فلا يجدون لهذه الأعمال أثراً، ولا يحسون منها شيئاً، ولا يسمعون لها ركزاً. فلعل أحدهم يومئذ يضطجع كما يفعل امرؤ أعياه البحث وأضناه التعب ثم يقول: رحمة الله عليكم أيها الآباء ! لقد كنتم تعرفون حقاً كيف تكون الـ «أحلام ... !»

محمد محمد المدني
المدرس بكلية العربية

وهم شـــائع

موشحة ابن زهر لا موشحة ابن المعتز

للأستاذ طه الراوي

ابن زهر

آل زهر أسرة إيادية أندلسية، برز كثير من رجالها في العلوم والآداب، وتفرد جماعة منهم في الطب والفلسفة. وكان إمام جماعتهم وواسطة قلادتهم أبو بكر محمد بن أبي مروان ابن أبي العلاء بن زهر المتوفى سنة ٥٩٦ هجرية. وقد تميز أبو بكر هذا في علوم كثيرة وآداب وفيرة. وبرع في علم الطب والفلسفة والآداب العربية. وكان حافظاً للقرآن راوياً للحديث، وعانى قرض الشعر، وله موشحات مشهورة يغنى بها، وهي من أجود ما قيل في ذلك. قال بعض من ترجموا له: «لم يكن في زمانه أعلم منه بصناعة الطب. وكان معتدل القامة، صحيح البنية، قوى الأعضاء، صار في سن الشيخوخة ونضارة لونه وقوة حركاته لم يتبين فيها تغير. وكان ملازماً للأمور الشرعية، متين الدين، قوى النفس، محباً للخير، مهيباً؛ وله جرأة في الكلام؛ وكان صائب الرأي، حسن المعالجة، جيد التدبير. وكان كثير الإبداع في الشعر مع سلامة ذوق وسجاحة طبع، وانسجام أسلوب، وجمال ديباجة. فمن ذلك قوله يتشوق إلى ولده:

ولي واحد مثل فرخ القطا ... صغير تخلف قلبي لديه
نأت عنه داري فيا وحشتا ... لذاك الشخيص وذاك الوجيه
تشوقني وتشوقته ... فيبكي علىّ وأبكي عليه
وقد تعب الشوق ما بيننا ... فمنه إلىّ ومنى إليه

ومن ذلك قوله:

إني نظرت إلى المرآة إذ جليت ... فأنكرت مقلتاي كل ما رأتا
رأيت فيها شييخاً لست أعرفه ... وكنت أعرف فيها قبل ذاك فتى
فقلت: أين الذي بالأمس كان هنا ... متى ترحل عن هذا المكان متى
فاستجهلتني وقالت لي وما نطقت ... قد كان ذاك وهذا بعد ذاك أتى
هوّن عليك فهذا لا بقاء له ... أما ترى العشب يفنى بعد ما نبتا

موشحة ابن زهر

قال جماعة ممن ترجموا له: من موشحاته قوله:

أيها الساقي إليك المشتكى ... قد دعوناك وإن لم تسمع

ومن أشهر المؤرخين الذين نسبوا هذا الموشح إلى محمد ابن زهر هو المحقق ياقوت بن عبد الله البغدادي الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هجرية. قال في ترجمة ابن زهر من كتابه (معجم الأدباء، صفحة ٢١٦ من الجزء الثامن عشر) ما نصه: «وانفرد ابن زهر بالإجادة في نظم الموشحات التي فاق بها أهلُ المغرب على أهل المشرق ... ومن موشحاته قوله:

أيها الشاكي إليك المشتكى ... الخ

وسرد الموشحة إلى آخرها. ومنهم موفق الدين أبو العباس أحمد ابن القاسم السعدي الخزرجي في كتابه (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) فقد أثبت له هذه الموشحة في جملة موشحات أخرى عند ما ترجم له في الباب الثالث عشر من الجزء الثاني من كتابه المذكور

ولا أدري أي شيطان سول لبعض المتأخرين أن ينسب هذه الموشحة إلى عبد الله بن المعتز فتهافت على هذا الخطأ جماعة من المعاصرين الذين أخرجوا للناس مجاميع أدبية فجزموا بنسبة هذه الموشحة إلى ابن المعتز مع أن ابن المعتز نفسه لا يعرف شيئاً من الموشحات ولا عهد لأهل زمانه بشيء منها، لأن المعروف بين مؤرخي الآداب العربية أن هذا الضرب من الشعر إنما هو من مبدعات متأخري الأندلسيين وعنهم اقتبسه متأخرو المشارقة. قال العلامة ابن خلدون في مقدمته «أما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق منه الغاية استحدث المتأخرون منهم فناً منه سموه بالموشح ... ينسبون فيها (الموشحات) ويمدحون كما يفعل في القصائد، وتجاروا في ذلك إلى الغاية ... وكان المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافر الفريري من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني، وأخذ ذلك عنه أبو عبد الله أحمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد ...» اهـ

ثم ألمع ابن خلدون إلى نبذة من تاريخ الموشحات عند الأندلسيين وأهل المغرب. وذكر أن المشارقة قلدوهم في ذلك فلم يدركوا لهم شأواً. ومنه يعلم أن هذا الضرب من الصناعة

الشعرية من مخترعات المغاربة ، وأن المشارقة أخذوه عنهم بالمحاكاة ليس غير

وقد ذكر المقّرى فى كتابه (نفح الطيب) نحواً مما ذكره العلامة ابن خلدون وعدّ الموشحات من خصائص الأندلسيين ومن مزاياهم التى بذّوا فيها المشارقة

ولا أدرى كيف يسوغ لمتأدب أن ينسب إبداع تلك الموشحة إلى ابن المعتز ، وابن المعتز نفسه لم يشر ولم يومِ إلى هذا الضرب من ضروب الشعر فى كتابه الذى ألّفه فى البديع ! ولو كان لهذا النوع من أثر فى زمانه لفسّح له الصدر من كتابه ولأوسع فيه الشرح والإيضاح والتنويع والتفريع ، ولكان من المتعذر أن يخفى على أساطين المؤرخين من أضراب ابن خلدون والمقّرى وغيرهما

ولا أدرى كيف التبست هذه الحقيقة على ناشرى بعض المجاميع الأدبية من المعاصرين فجزموا بنسبة تلك الموشحة إلى ابن المعتز مع ما اشتهر ، بل استفاض من أنها من نظم ابن زهر الإيادى الأندلسى ، ومع علمهم بأن الموشحات من مبدعات المتأخرين من الأندلسيين كما رأيت

ولعمرى إن ابن زهر الإيادى ليس بخفى الشأن بحيث يسوغ لمتأدب أن يختلس ثمار أفكاره فيلصقها بغيره ، كما أن ابن المعتز أشهر وأظهر من أن تخفى بدائع لبّه على ياقوت وابن أبى أصيبعة وابن خلدون والمقرى وأضرابهم من محقّقى المؤرخين ، ولكن ما الحيلة والتحقيق فى الناس قليل لأن مركبه صعب ، والتساهل كثير لأن مركبه وطئ

وأنا لم أكتب ما كتبت فى دفع هذا الوهم إلا لما رأيته فاشياً بين الشداة من المتأدبين الذين يتمدون على ما تخطه أقلام المعاصرين من غثّ أو سمين ، ولا يكلّفون أنفسهم مؤونة الرجوع إلى الأصول للتثبت من صحة تلك النقول . وهذا داء وبيل تطاير شرره وعم ضرره . وأكبر الظن أن هذا الوهم تسرب إلى المتأخرين من طريق (ديوان ابن المعتز) المطبوع فى بيروت المتداول بين الأيدى . ولا جدال فى أن الكثيرين من جمعة الدواوين حاطبو ليل ، يحشرون شعر هذا فى ديوان ذاك ، وشعر ذاك فى ديوان هذا . والشواهد على ذلك كثيرة مستفيضة ، وقد وقفت فى هذا الديوان على شعر كثير لا علم لابن المعتز به وإنما هو من نظم من تقدمه أو تأخر عنه

وكان الأقدمون يتلقون نتاج الأفكار وثمار الأقلام من طريق الرواية ويتبارون بتوثيق حلقات الأسانيد وحبك أطرافها بالتحقيق والتروى إلى أن يستوى بيدهم الحق ويستقيم الصدق ، فلما ذهب عهد الرواية وأخذ الناس يعتمدون فى الجمع على أيديهم دون عقولهم وراح الوراقون يستنّون فى ميدان الحشد والتكثير والتحويل والتغيير وضعفاء المتعلمين من ورائهم يتقفون ما يأفكون من غير ما تبصر ولا تدبر — أصبح الحق بينهما والتحقيق غريباً . فعلى من يترفعون عن التقليد الأعمى من أبناء هذا الجيل أن يعتمدوا فى تحقيق الحق وتمحيصه على الأصول الأصيلة من دواوين العلم ومجاميع الأدب ولا يصح لهم الاعتماد على غيرها إذا أرادوا أن يكونوا للحق إخواناً ولأهله أعواناً

(بغداد) طه الراوى

---

٣١ ـ المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل العاشر — « الخرافات »

لا يجوز عقلاً أن تثير هذه الأوهام التي توجد في أذهان شعب جاهل دهشتنا ؛ ولكن المصريين لا يظهرون احتراماً خرافياً للكائنات الوهمية فحسب ، وإنما يجاوزون ذلك إلى بعض أفراد من البشر منهم . وكثيراً ما يكون ذلك التقديس إلى أقل الناس استحقاقاً له[1] . فيعتبرون الأبله أو المجنون مخلوقاً عقله في السماء وجسده يختلط بالبشر . ويعدونه لذلك ولياً . ومهما ارتكب الولي المشهور من الخطايا — وكثير منهم يخالفون الدين — فهي لا تؤثر على قداسته إذا لم تعتبر نتيجة تجرد عقله من الأشياء الدنيوية ، فروحه أو قواه العقلية كلها مستغرقة في التقوى ؛ ولذلك تُترك شهواته بلا رقيب . ويحبس المجانين الخطرون ؛ أما هؤلاء الذين لا خطر منهم فيعتبرون أولياء . وأكثر أولياء مصر المشهورين معتوهون أو بله أو خداعون . ويسير بعضهم عراة تقريباً ويتمتعون باحترام زائد بحيث أن النساء بدلاً من تجنبهم يتكبدن أحياناً الكثير من تصرفاتهم الشاذة في الطريق العام ، ولا يشعر العامة بأي عار من هذه الأعمال التي يندر مع ذلك حدوثها. ويُرى آخرون لابسين مرقّعة مختلفة الألوان تسمى «دلق»[2] وهو مزين بالخرز ، ومعممين بعمة بالية وحاملين عصا شبك في أعلاها سبائب نسج مختلفة الألوان ، ويأكل بعضهم التبن أو خليطاً من التبن والزجاج المكسر ويلفتون النظر بأعمال غريبة مختلفة .

وكثيراً ما قابلت أثناء زيارتي الأولى في شوارع القاهرة رجلاً زري الشكل عاري الجسم تقريباً مضفر الشعر طويله ، راكباً حماراً يقوده رجل آخر . فيقف دائماً حماره أمامي مباشرة بحيث يقطع عليّ الطريق ويقرأ الفاتحة ، ثم يمد يده للسؤال . وقد حاولت أن أتجنبه في أول مرة ؛ إلا أن أحد المارين حذرني ملاحظاً أن الرجل ولي ، وأن علي أن أحترمه وأن أمنحه ما يريد حتى لا تصيبني مصيبة . ويتعيش رجال هذه الطبقة على الصدقات التي كثيراً ما يتناولونها دون سؤال . ويسمى القديس المشهور « شيخ » أو « مرابط » أو « ولي » ، ويسمى أيضاً على الأصح إذا كان به بله أو جنون أو خَبل « مجذوب » أو « مسلوب » . وتطلق عبارة « ولي » بدقة على القديس التقي السامي فقط ومعناها المختار . إلا أنها تطلق عامة على البُله أو المتباهلين ، حتى أن بعض الأذكياء جعلوا لفظ الولي معادلاً للفظ « بليد » ، ملاحظين أن تينك العبارتين متساويتا المعنى والقيمة العددية للحروف المكونة لكل منهما . إذ أن « ولي » مكونة من الواو واللام والياء ، وقيمة كل على التوالي ٦ ، ٣٠ ، ١٠ أي ٤٦ و « بليد » مكونة من الباء واللام والياء والدال وهي على التوالي ٢ ، ٣٠ ، ١٠ ، ٤ ومجموعها ٤٦ ، وكثيراً ما يسمى الغبي ولياً للدعابة .

ويعتقد مسلمو مصر وغيرها من البلدان اعتقادات باطلة عجيبة بالأولياء . وقد حاولت أن أستفهم عن أكثر هذه الاعتقادات غموضاً فكان الرد علي : « إنك تتدخل في أمور (الطريقة) » أي منهج الدراويش الديني . إلا أنني وقفت على كثير من الآراء العامة في هذه الموضوعات . وأظن أن ذلك هو كل ما يطلب تقريره في كتاب مثل هذا . وسأسرد مع ذلك أقوال بعض المتعلمين والدراويش فيما يتعلق ببيان إيمان العامة

وكل من يرتاب في وجود الأولياء يُرمى بالمروق ويتلى للحكم عليه نص القرآن : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . ويعتبر هذا النص كافياً للدلالة على أن هناك طبقة من الأفراد متميزة على البشر العاديين . وقد تساءل

(١) كما هو الحال أيضاً في سويسرا

(٢) وتنطق أيضاً وعلى الأصح «دالق» إلا أن العامة ينطقونها كما سبق

من هم هؤلاء الأشخاص أو ما حالهم ؟ والرد على ذلك أنهم أشخاص قصروا أنفسهم على عبادة الله واحتفظوا بإيمان صادق ، ومن الله عليهم بالقدرة على فعل الكرامات تبعاً لقوة إيمانهم [1]

يسمى أقدس الأولياء « قطباً » ، ويحمل هذا اللقب — على رأى بعضهم — رجلان ، ويقول البعض الآخر أربعة . وتعنى عبارة « قطب » محوراً ، ومن ثم أطلقت هذه الكلمة على الولى الذى يثق به الناس ويتبعونه ، ويطلق هذا اللفظ للسبب نفسه على الحكام الزمنيين أو السادة الأجلاء . وقد أُخبرت أن الرأى القائل بأربعة أقطاب خطأ شائع ، أصله توالى ذكر عبارة (الأقطاب الأربعة) التى تشير إلى مؤسسى أشهر الطرق الصوفية الرفاعية والقادرية والأحمدية والإبراهيمية ؛ ويُعتقد أن كلاً من هؤلاء كان قطب زمانه ؛ وقيل لى أيضاً أن الرأى القائل بقطبين خطأ عام أساسه اسمان : (قطب الحقيقة) و (قطب الغوث) ، لا يختص بهما على الأصوب غير شخص واحد فقط . ويطلق الذين يعتقدون بوجود قطب واحد عليه عبارة (القطب المتولى) وهو الحاكم الآن ، والذين يعتقدون بوجود قطبين على القطب العامل . ويحكم القطب الذى يراقب الأولياء جميعهم ، سواء أكان هناك قطب آخر أم لم يكن لأنه إذا وجد يكون دون الأول ، أولياء متفاوتى الرتب يقومون بأعمال مختلفة مثل النقباء والأنجاب والأبدال الخ ؛ وهم يعرفون وظائف بعضهم بعضاً ، وقد يعرف ذلك الأولياء الآخرون

ويقال إن القطب كثيراً ما يظهر ولكنه لا يعرف . وكذلك أتباعه ذوو السلطة .

ومع أن القطب يختفى دائماً فإن أماكن وجوده معروفة، ولكنه قليلا ما يظهر فيها . والمعتقد أن القطب يكون فوق الكعبة . وهو يصيح مرتين فى جوف الليل قائلا : « يا أرحم الراحمين » ، فيردد المؤذنون حينئذ ذلك الدعاء من مآذن الكعبة . وقد سألت حاجا فاضلاً فى هذا الموضوع فأقر لى أنه رأى بعينيه إماماً مرتباً ليصيح هذه الصيحة . ولا يعرف ذلك غير القليل من الحجاج . ويعتقد مع ذلك أن سطح الكعبة مركز القطب الرئيسى . ويفضل هذا المجهول الموقر مركزاً آخر بباب القاهرة المسمى باب زويلة ، وهو فى الطرف الجنوبي من ذلك القسم الذى يكون المدينة القديمة وإن كان فى قلب البلد الآن ؛ فقد امتدت العاصمة كثيراً نحو الجنوب والغرب . ويسمى العامة باب زويلة « باب المتولى » [1] لاعتقادهم أنه مركز هذا الكائن المجهول . ومن وراء أحد مصراعى الباب العظيم الذى لا يقفل أبداً فضاء صغير يقال إنه مكان القطب . ويقرأ الكثير من المارين الفاتحة ، ويتصدق البعض على سائل يجلس هناك ، ويعتبره الرعاع أحد خدام القطب . ويدق المصابون بالصداع مسماراً فى الباب لفك السحر ، كما أن المصابين بوجع الأسنان يخلعون سناً ويولجونها فى أحد شقوق الباب أو يلصقونها به بأى حال آخر حتى يضمنوا عدم إصابتهم بالمرض نفسه . وكثيراً ما يحاول بعض الفضوليين الاختباء وراء الباب آملين عبثاً اختلاس النظر إلى القطب لعله يظهر هناك . وللقطب فى مصر مراكز أخرى أقل شهرة . أحدها فى قبر السيد أحمد البدوى بطنطا ، والآخر فى مدينة المحلة وغيرها . ويعتقد أن القطب ينتقل من مكة إلى القاهرة أو من مكان إلى آخر فى لحظة . ولا يقتصر القطب على سكنى أماكنه العديدة المفضلة وإنما يتنقل فى أنحاء العالم بين جميع البشر من مختلف الأديان متخذا شكلهم وملبسهم ولغتهم ويوزع عليهم بواسطة أتباعه الأولياء أحكام القدر نعما ونقما . وحينما يموت قطب يتولى غيره مكانه فى الحال

ويروى الكثير من المسلمين أن إلياس ، ويخلطه العامة بالخضر [2] ، كان قطب زمانه ، وأنه يولّى الأقطاب المتعاقبين

---

(١) ويسمى ما يقوم به الولى من عجائب « كرامة » وما يأتيه الرسول « معجزة »

(١) عوضاً عن باب المتولى

(٢) لم يكن الخضر حسب رأى العلماء رسولا وإنما كان رجلا صالحا . كان وزير ذى القرنين الأول ومستشاره ، ولكنه على حد سواء رجل ملتبس فى أمره معاصر لسيدنا إبراهيم ، ويقال إن الخضر شرب من ينبوع الحياة وهو لذلك حى حتى يوم الحساب ، وأنه يظهر كثيراً للمسلمين فى حيرتهم ، ويلبس الخضر اللابس الخضراء ، ومن ذلك اشتق اسمه

إذ يقررون أنه لم يمت ويزعمون أنه شرب من عين الحياة . ويبدو أن اعتقادهم فى القطب مأخوذ مما قص علينا فى التوراة عن إلياس ورفعه إلى السماء ، وانطلاقه من مكان لآخر تحمله روح الله ، ومنحه أليسع سلطته الخارقة للعادة وتقليده إياه وظائفه، وخضوع الرسل الآخرين له ولوليه المباشر [١] . وينبذ بعض الأولياء لذات الدنيا ومحبة الإنسان ويعكفون على التأمل فى السماء وينقطعون للصلاة متوكلين على العناية الإلهية لسد حاجتهم ، إلا أن خلوتهم تعرف فيحضر العرب لهم الطعام يومياً . وهذا يذكرنا مرة أخرى بقصة إلياس إذا وضعنا كما يرى بعض الناقدين ، كلمة (عرب) بدلاً من لفظ (غربان) فى الآيتين الرابعة والسادسة من الإصحاح السابع عشر من سفر الملوك الثانى : « وقد أمرت (العرب) أن تعولك » ، « وكانت (العرب) تأتى إليه بخبز »

ويقال إن القطب يكلف بعض الأولياء القيام ببعض الأعمال الشاقة حسب قول محدثى ، ويقال هؤلاء الأولياء (أصحاب الدرك) ، وقد فسرت لى هذه العبارة ، ولا أعلم على أى أساس ، بمعنى المراقبين [٢] . وقد حكى لى الحكاية التالية لبيان وظائف هؤلاء، قال : اشتدت رغبة أحد تجار هذه المدينة الأتقياء فى أن يصير ولياً ، فتوجه إلى آخر ينتمى لهذه الطبقة المقدسة فتوسل إليه أن يساعده على التشرف بمقابلة القطب . وبعد أن احتمل الطالب امتحاناً صارماً لمعرفة بواعثه طلب منه أن يتوضأ مبكراً فى الصباح التالي ثم يقصد مسجد المؤيد حيث يوجد بإحدى زواياه باب زويلة أو المتولى السابق ذكره ، فيقبض على أول من يراه خارجاً من الباب الكبير لهذا المسجد . وفعل الرجل ما قيل له، وكان أول من خرج رجل شيخ مهيب المنظر ولكنه رث الثياب يلبس زعبوطاً من الصوف أسمر اللون ، وقد دل ذلك على أنه القطب . فقبل الطالب يده وتضرع إليه أن يقبله بين أصحاب الدرك . فقبل القطب التماسه بعد تردد طويل ثم قال : « التزم القسم الذى يشمل الدرب الأحمر [١] وما يجاوره » . وفى الحال وجد الطالب نفسه ولياً ، ولاحظ أنه يعرف أشياء تخفى على البشر العاديين ، إذ يقال إن الله يعلم الولى جميع الأسرار اللازم معرفتها . ويقال عادة إن الولى يعلم الغيب ويبدو هذا مناقضاً لما نقرأه فى عدة مواضع من القرآن إنه لا يعلم الغيب غير الله . إلا أن المسلمين وهم قلما يرتبكون فى مناقشة ما ، يبينون أن عبارات القرآن يقصد بها معرفة الأسرار بمعناها المطلق وأن الله يطلع الأولياء على مثل هذه الأسرار كما شاء ذلك

***

استدراك : وردت المقالة السابقة تابعة للفصل التاسع ، والصواب أنها ابتداء الفصل العاشر : « الخرافات »

(يتبع) عدلى طاهر نور

(١) أنظر سفر الملوك الأول الاصحاح ١٨ آية ١٢ والملوك الثانى الاصحاح الثانى ٩ — ١٦

(٢) ويوافق هذا التأويل تفسيراً ذكره كترمير Quatremère لكلمة (درك) فى كتابه تاريخ السلاطين المماليك Histoire de Sultans Mamelouks الجزء الأول ص ١٦٩ وقد استخرج هذا التفسير من مقابلة عدة عبارات جاءت بها هذه الكلمة

(١) وهو شارع يوصل من باب زويلة إلى الجنوب الشرقي ويكون جزءاً من الشارع الكبير الذي يمتد إلى القلعة

شباب الجيـــل

للأستاذ حسين الظريفى

إن للموطن من شبانه   كل ساعٍ رافعٍ من شانه

طائرٍ آناً على طائرةٍ   أصبحت فى الجوّ من عُقبانه

وعلى دبابة آونةً   يتحدى الموت فى ميدانه

ومن المدفع فى قبضته   يُرسل الحاصد من نيرانه

فى يديه قوة من قلبه   جازت الممكن من إمكانه

يتلقى الخطب فى صدرٍ له   عامرٍ بالمحض من إيمانه

لم يبت فى قلبه من موضعٍ   لسوى السعى إلى أوطانه

وهو فى شرخ شباب ناضرٍ   يسحب الأذيال من ريعانه

كتب الله لنا النصرَ به   وجميل الفضل من إحسانه

(بغداد)   حسين الظريفى

الحرب في البحر

للأستاذ عبد الرحمن البناء

ركِبوا الهولَ خيفةً أن يُضاموا   وَمِن الصعب أن تُضامَ الكرام

أعلنوا الحربَ والمدافعُ ثارت   بِبَراكِينِهاَ وأودى السّلام

ومشوا تحتَ وابلٍ من حريقٍ   فوقَ بحـــرٍ أمواجُهُ ألغام

ثَبَتوا كالجبالِ فوق جِبالٍ[1]   ماخِراتٍ بهم وهُم أعلام[2]

الأساطيلُ والقنابلُ أفنَتْ   ما بنَتْهُ السيوفُ والأقلام

إن تَرامَتْ ما بينَها بالمنايا   ضاقَ ذَرعاً بمن تُصيبُ الحِمام

أو أرادت إفناء مُلْكٍ عَتِيدٍ   لم يَحل دون قصدها استحكام

غيرَ أنَّ القَضاء قادَ إليها   طائراتٍ قضاؤها إبرام

فرَمى مخزَنَ العِتادِ شُواظٌ   من لهَيبٍ فشَبَّ فيها ضِرام

غَرِقَتْ ما نجا من الناسِ إلا   بعض ركّابها وفى الماءِ عاموا

ومتى تَغْرَقُ النفوسُ ببحرٍ   من نجيعٍ[1] ترسو به الأجسام

وَسَفِينٍ تَنُوءُ بالجُنْدِ مرّت   وعلى الجندِ هيبةٌ واحترام

كُلُّ فرْدٍ شاكى السلاح قوِىّ   مِلْءُ فيه على العدوّ انتقام

حَرَسَتْها لدى الوغَى طائِراتٌ   غير أن الوغى لها أحكام

باغتتها غوّاصـــةٌ بشظايا   لا يفل الحسامَ إلا الحسام

جَنَحَتْ للمغيبِ حيرَى فغابت   وتدلَّى على الضياء الظلام

نَزَلَتْ كالستارِ بعد فُصولٍ   مَثَّلَتْهَا لمن وعى الأيام

خطَرُ الغوّاصات قد زادَ لمّا   غَرِقَتْ فى دُموعِها الأيتام

كلما أبحَرَت وغاصت افتكِ   غاص منها فى البحرِ جيشٌ لهام

إن للغواصاتِ فى البحر حرباً   وقفَت عند حدِّها الأفهام

غرقٌ عاجلٌ وفتكٌ ذريعٌ   وصِراعٌ دامٍ ومَوْتٌ زُؤام

هى حوتُ الوغى وفى طرَفيها   للأساطِيلِ مِعْوَلٌ هدّام

تلبَسُ الماء إن رأتْ رَمْىَ رامٍ   مثلما يلبسُ الدروعَ الهمام

سُجِّرَ البَحْرُ فهو ميدانُ حربٍ   فيه للنارِ والحديدِ ازدحام

ملأتْ جوفَهُ البوارجُ ناراً   وَشَوَتْ لحمَ حُوتِهِ الألغام

(الطرابيدُ) حيثُ تُلقى بلاء   ما لنفسٍ من البلاء اعتصام

وَدَوِىُّ المدمِّراتِ كأن الـ   أرضَ مادت وللجبال اصطدام

وأباة تَذبُّ عن شرفِ النفـــسِ   وَيحلُو لنفسِها الإقدام

أسكتوا المِدفعَ الثقيل بحزمٍ   من حديدٍ وهمْ دَمٌ وَعِظام

أينما ولَّوا الوجوه رمتْهُم   قاذفاتٌ من الجحيم ضِخام

شهِدَ الله والتواريخُ أن ا   لحربَ فى البحرِ كلُّها إيلام

(بغداد)   عبد الرحمن البناء

(١) لفظة الأسطول وارتفاعه شبه بالجبل   (٢) الجبل

(١) الدم الأسود

حكم فى القضية ن ٢٤١ عسكرية الفيوم سنة ١٩٤٢ ضد عبد التواب محمد على وعبد الحميد محمد على من الفيوم بتغريم كل منهما ٣٠٠ قرشاً لبيعه قمحاً بسعر يزيد عن المقرر

حكم فى القضية ن ١٩٢٦ جنح عسكرية سنة ١٩٤١ ضد قطب على جهيم ومحمد أحمد الحناوى بتغريم كل منهما ٣ جنيه والنشر والتعليق وذلك بتاريخ ٢١ يناير سنة ١٩٤٢ لامتناعهما عن بيع الذرة بالسعر المحدد



الصفاء بين الأدباء

كنت قد نشرت في (الرسالة) كلمة أقول فيها: «مما يسترعي الالتفات أحياناً تلك اللغة التي يخاطب بها بعض الأدباء زملاءهم. فتراهم يقولون: «زميلنا أو صديقنا فلان يطلب إلينا كذا، ونحن نقول له كذا، والأجدر به أن يسألنا كذا» إلى آخر هذا الكبر والتكبر في التعبير»

وظاهر من روح هذه الكلمة أني أحض على توثيق صلات المودة الصافية بين الأدباء بدعوتهم إلى نبذ الألفاظ التي قد تحدث في نفوس زملائهم شيئاً من الامتعاض

ولكن الدكتور زكي مبارك فهم الأمر على وجه آخر فإذا هو يتفضل بزيارتي ليسألني: «أحقاً أنا أنكر أن يشرف الناس أنفسهم بالانتساب إليّ؟» يا للعجب! أهكذا يمكن أن تؤول المقاصد أحياناً بضدها؟!... ثم سألني أيضاً فيما سألني عن المقصود بهذه الكلمة. فقلت له: ما من أديب واحد قد عنيته بالذات؛ إنما هي كلمة عامة للنفع العام. ولئن كان لا بد من مناسبة أوحت بهذه الكلمة فربما كانت مقالة الأستاذ عباس العقاد التي يشكر فيها للدكتور طه حسين إهداءه إليه «دعاء الكروان». في الحق أنني لم أجد بالمقال الرقة التي كنت أنتظرها، واستأت في نفسي من الأستاذ العقاد بعض الاستياء، وأنا الذي يعتقد دائماً أنه يخفي وراء قناع الكبر والتكبر نفساً طيبة تتفجر إذا اطمأنت بأجمل عاطفة وأنبل إحساس. فالذي يستطيع التأثير في نفوسنا بكتاباته الإنسانية عن الكلب «بيجو» لا بد أن يحمل نفسا خليقة أن تفيض بالمودة نحو إنسان!

تلك هي المناسبة يا دكتور زكي. ولكنك شئت أن تحمل الكلمة على أنها غمزة مني لك. وأنا أبعد الناس عن الغمزات خصوصاً إذا تعلق الأمر بشخصي... فأنا لم أنشر قط يوماً كلمة تعمدت بها إيذاء أديب في شعوره. أنا الذي يجرؤ على مهاجمة المبادئ والنظم إلى حد التعرض للخطر... لا أجد من اللائق بأديب أن يهاجم أديباً ليخدشه في كرامته... لأن الأدب قبل كل شيء، مودة ومحبة ورحمة وصفاء... على هذا الوجه فهمت دائماً الأدب. فالأدب هو صنع الجمال. وعلى من يصنعون الجمال أن ينطووا على نفوس جميلة. وأنا الذي لا يختلط بالناس والأدباء إلا قليلاً لما في طبيعتي من وحشة وكآبة أشكو منهما، تجدني مع ذلك أحب الأدباء وأقدرهم ولا أقول فيهم قولة سوء... ولعلك لم تسمع مني غير ذلك. على أنك أيها الصديق العزيز، وأنت تأخذ كلمتي على أنها موجهة إليك قد ذكرت لي أسباب ظنك، فتحريتها بعد انصرافك، فاتضح لي أنك على حق، وأن الكلمة ينبغي أيضا أن تنصرف إليك، فقد تستعمل أداة التعظيم في مخاطبة الزملاء من الأدباء. فماذا يضيرك أن أشكو منك ومن كل أديب يسهو عن واجبات التواضع والمودة والمحبة التي تؤلف بين نفوس الأدباء جميعاً وتجعل منهم «دولة متحدة مقرها حديقة الصفاء الغناء»

وبعد، فليسمح لي الدكتور زكي أن أوجه إليه كلاماً وجهته إلى الأستاذ أحمد أمين منذ ستة أعوام، فقد تثمر بهمته ما فيه من فكرة خيرة.. لقد قلت وقتئذ: «لا شيء في الوجود أقوى من الابتسامة؛ ولكن... من ذا الذي أعطى القدرة على الابتسام الصافي الجميل في كل موقف وفي كل حين؟ أهو الجبار وحده؟ ألا ترى معي أن الجبروت إنما هو الصفاء؟

«إذا أردت أن تسلك طريق السلام الدائم، فابسم للقدر إذا بطش بك، ولا تبطش بأحد»... تلك كلمة لعمر الخيام. إن كنت من رأيي في كل هذا، فإن لي عندك حاجة: أن تنثر معي تلك الابتسامة بين الأدباء، فإن الأدب شيء جميل، هو جنة لا صخب فيها، وهو معبد لا تدخله الأحقاد. إن أعجب ظاهرة في أدبنا أنه لا توجد فيه صداقات عظيمة جديرة أن يتحدث عنها تاريخ الأدب، تلك الصداقات التي نراها في آداب الحضارات الكبرى قد أنتجت من الرسائل والأخبار والآثار ما لا يقوم بمال. ما الذي يعوزنا نحن؟ أهو شيء في الخلق؟ أم هو ضعف في النفس؟ أم هو نقص في الصحافة؟ لست أعلم؛ إنما الذي أعلمه: أن الصداقة الخالصة بين رجال الأدب والفكر، هي أظهر دليل على نضوج هذا الأدب وهذا الفكر

توفيق الحكيم

نقص الصفحات فى الجرائد والمجلات

تنفيذاً للأمر العسكرى القاضى بنقص الصفحات فى الجرائد اليومية إلى أربع ، وفى المجلات الأسبوعية إلى أربع وعشرين ، تصدر الرسالة ابتداء من هذا العدد على الشكل الذى أوجبه هذا الأمر مراعاة لظروف الحرب وما صارت إليه وسائل النقل وإنا لنرجو كتاب الرسالة أن يقتصروا فيما يبحثون على المهم ، وفيما يكتبون على المفيد ، حتى تنجلى عن العالم هذه الكروب التى غشيت الناس فى كل سبيل من سبل العيش ، وفى كل مرفق من مرافق الحياة

من غزل الملوك

طلعت علينا رسالة « أحمد » كعادتها زاخرة بالأبحاث العلمية والطرائف الأدبية ، والومضات اللغوية . فكان من بين تلك الباحث مبحث جليل للأستاذ « عبد الله مخلص » جمع فيه نتفاً من سلطان الحب ، وحب السلاطين ، ترويحاً لنفوس القراء المكدودة فى هذه المحن . ونحن مع تقديرنا لهذا اللون من ألوان البحث لا نحب أن يتواضع صاحبه فيلده طفيلياً يعبث به الزمن ولا تستمرئه العقول !

فهات من هذه الناحية بالعجب العجيب ... فإن البحث عنها شاق ، والسير فيها مخيف . فهى مبثوثة فى بطون الكتب ممزقة الأوصال ، مشوهة المراجع ، محفوفة الجوانب ... وليست من أدب المعدة . وإنما هى من أدب الروح .

(الكرنة — دار القاياتى) **حسن القاياتى**
عضو مجلس النواب

لابد للإسلام من مؤتمر

قرأت المقال القيم الذى به افتتحتم العدد رقم (٤٥٦) ، وفيه وصفتم حال المسلمين ودعوتم إلى عقد مؤتمر إسلامى . فقلت : مرحى لهذا الشعور السامى ، ومرحباً بهذه الدعوة المباركة !

ولست أكتمكم أن تكراركم القول فيه : أن مسلمى الحاضر هم (أعقاب) مسلمى الماضى ، ذكرنى أشياء ترددت طويلاً فى أمر التحدث بهـا . لقد ذكرنى كيف يحلو للمدخن أن يداعب لفافة التبغ حين تتناولها أنامله أو تطبق عليها شفتاه ؛ وكيف يلذ له أن يشاهد عمود الدخان يصّاعد منها رقيقاً أو كثيفاً ، قائماً أو لولبياً ويلهو بالنفخ عليه، ليغير وجهته أو يقطع أوصاله أو يشتته كالهباء، وكيف يستسيغ عبوره الفم إلى الحلق أو الخيشوم ، ويكاد يتولاه بالمضغ واللوك ليمتع به حاسة الذوق ، فوق ما يسدى به إلى حاسة الشم من فضل ومتعة ، ثم ذكرنى كيف يعامل لفافته ، بعد أن يقضى منها وطره ، فتجفوها أنامله إذ تدنو نارها ويلين طرفها ، وتنفر منها شفتاه إذ تترطب وتصطبغ ، ويمجها ذوقه إذ ترشح منها عصارة ، ويمقت خيشومه رائحتها القوية النتنة ؛ وكيف يقضى عليها بالخنق فى إناء أو بالطرح فى الطريق ، ويحول عنها بصره مشمئزاً ، ثم ينساها كأن لم تكن . ذكرت هذا وذاك حين خطرت ببالى (السبارس) أعقاب اللفافات ، وما كنت لأورد هـذا التشبيه ، لولا أنه جاء عفواً وفرض نفسه علىّ ؛ وما كنت لأستبيح لنفسى توجيه هذا النقد ، لولا أنه يشملنى كمسلم

أما فيما يتصل بعقد مؤتمر إسلامى ، فأذكر أنه عقد واحد فى القدس قبل عشر سنوات اشترك فيه ممثلون المسلمين فى جميع أقطار المعمور ؛ وأنه اتخذ مقررات ذات بال ، وأنشأ مكتباً دائماً ظل يعمل بضع سنوات ، ومن الضرورة القصوى أن تستمر الدعوة إلى مؤتمر إسلامى دورى ، يعقد مرة فى كل بضع سنوات فى إحدى العواصم الإسلامية . ولست أرى الحرب مانعاً لذلك ، إذ كل ما فيها أنها تقلل عدد الأقطار الممثلة فيه بعض التقليل . ثم هب أنها تجعل الاشتراك فيـه مقصوراً على بلدان الشرقين الأدنى والأوسط - بل هب أنها تضيق الحلقة أكثر من هذا فتحصره فى الأقطار العربية - أليس فيما يبقى من خيراته الشىء الكثير ؟ هل من المبالغة أن نقول إن الأقطار العربية قلب العالم الإسلامى ونواته ؟ وهل من الخطل أن نحسب الجمع بين رجالات الدين والعلم فيها أمراً قريب المنال ، وأن نعد اتفاق كلمتهم على الإصلاح خطوة واسعة نحو العمل الموحد المجدى فى سائر أنحاء ذلك العالم ؟ كلا ، بل هو من واقع الأمور

إنه لمن دواعى الأسف الشديد أن ينجح عضو من جماعة كبار العلماء فى « نسج الشكوك حول برنامج الإصلاح الذى تقترحه شبابها المصلحون وأقره أقطابها المخلصون ! » - على حد قولكم - ولكن ماذا فى هذا البرنامج ؟ ألا ينطوى على استعراض لمواطن الضعف ، ويوصى بطرق معقولة عملية للعلاج ؟ ألا يستنير بهدى الدين ، ويبصر بعين العلم ؟ فإذا كان كذلك ، فمن تكون جماعة « كبار العلماء » تلك التى ترضى لبرنامجها ذاك أن يعطله أحد - صغار - الجهلاء ؟!

نحن قوم لم نُرُض نفوسنا على التعاون ، وعملنا المنفرد أدعى إلى الأمل فى النجاح من عملنا المشترك . فما لنا لا نعمل أفراداً ،

ربما نألف العمل جماعات ؟ إن المؤتمر الإسلامي الذي سبق أن أشرت إليه لم تدع إليه جماعة أو هيئة . فلم لا يدعو إلى مؤتمر آخر رجل واحد أيضاً ؟ من يكون هذا الرجل ، وأنّى لنا به ؟ أين أنت يا ديوجينس وأين مصباحك ؟ هاته وتعال نبحث معاً !

(القدس) عصام الشريف

التميع في خضم الجماهير

إذا كان طريق إصلاح هذا الدين الحنيف أن نأتي على أسسه القويمة وأركانه الشديدة ، ونترك الرغبة في إرضاء الجماهير تتحكم فيه وتصرفه كيف تشاء وكما تهوى ، فلا كان إصلاح

والخير للإنسانية أن يظل الناجي على الشاطئ يشهد الغرقى تحوم فوق رؤوسهم طيور الموت ، وتمتد إليهم يد الفناء ، من أن يمد إليهم يده لينقذهم فيجذبوه هم نحو الفناء ، ويمضوا به صوب الأعماق

والخير للأزهريين ولرجال الدين أن يظلوا في جمودهم وخمودهم من أن يتحركوا حركة المذبوح ، وينتفضوا انتفاضة اليائس الذي يحطم كل شيء ، ولا يبقى على شيء .

وإذا كان سبيل الإصلاح أن ندع التيار يجرفنا في منحدره إلى القرار فلن يكون إصلاح ، ولن يكون فلاح ، وإنما هي الفوضى وخيبة الأمل

كتب أحد العلماء الأجلاء في أوائل إبريل بمجلة أسبوعية يغر الناس على الكذب ، ويحبب إليهم اختلاق الأكاذيب ، ويرغبهم في افتراء القصص الوقائع بحجة المرح والسرور ، ومن أجل التفكه والدعابة . وكان من أثر هذه الدعوة السيئة أن استجابت لها إحدى صحفنا الصباحية فنشرت عن مناظرة تقام بيناء كلية الشريعة ؛ يشترك فيها بعض أعلام الفكر الحديث . وما كاد الوقت يحين حتى توافد الناس إلى الكلية من كل صوب لسماع هذه المناظرة . وإذا بالواقع يروعهم ، وبالحقيقة تواجههم ، وإذا بها « كذبة إبريل »

فليهنأ الشيخ بنجاح دعوته ونفاذ رغبته !

وليت الأمر وقف عند هذا الحد ، بل جاءت ثالثة الأثافي — كما يقولون — إذ نشرت الأهرام تكذيباً للخبر وأردفته بكلمة لأديب أزهري ، كان أكثر استجابة لنداء شيخه الوقور وفيه يقول : « وشكراً للأهرام على مداعبتها اللطيفة ، وكل « إبريل » والأمة جميعها بخير وسلام »

أيها الذين آمنوا بالله ورسوله الكريم ، لن يكون إصلاحاً تميعنا ونسياننا لتعاليم من كان يمزح ولا يقول إلا حقاً ، ولن تكون نهضة فقداننا لمقوماتنا وشخصياتنا ، فننسى أنفسنا أمام هذه الفتنة القاسية

رويدكم يا دعاة الإصلاح ما دام مركبه سيحملكم إلى شاطئ غير الذي نروم ، وسيجعلكم تنحدرون من القمة إلى الهاوية ، بدل أن ترفعوا الناس إلى المعتصم .

السيد محمد

من عثرات الأقلام

١ — جاء في مقال (أثر الآداب الأجنبية) « في العدد ٤٥٧ » : ونسكلم ما راق له الكلام ، والصواب : ما راقه الكلام ، على ما في مختار الصحاح والمصباح وغيرهما

٢ — في بحث (كتاب سحر العيون) في « العدد ٤٥٦ » نسب (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) في موضعين إلى علم الدين السخاوي ، والصواب شمس الدين السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ ، وأما علم الدين السخاوي فقرئ مشهور توفي سنة ٦٤٣

٣ — في مبحث (كتاب سحر العيون) « في العدد ٤٥٧ » ثم قدم إليها مستقلاً . والصواب : ثم قدمها مستقلاً . على ما في الأساس والمصباح المنير وغيرهما

٤ — في ترجمة (ابن خرداذبة) « في العدد ٤٥٧ » : (بحوثاً طلية) والصواب : بحوثاً لها طلاوة

٥ — في مقالة (كتاب سحر العيون) — في العدد ٤٥٨ — واتصل بعلم الدين السخاوي . الصواب : واتصل بشمس الدين السخاوي ، وهو المؤرخ الناقد المشهور مفخرة مصر بل الشرق في القرن التاسع الهجري .

أحمد صفوان

الرسالة الصديق

يقول الدكتور زكي مبارك : « ... وإن أدبك لا يسمح بأن تعرّض بكاتب له مثل مكانتي في نفسك وفي الرسالة الصديق ... » فالكاتب قد أخطأ في وصفه (الرسالة) بصفة (الصديق) وأظنه جرى في أسلوبه هذا على قياس (رجل قتيل . وامرأة قتيل) بتذكير فعيل في المثالين . نعم هذا صحيح إذا كان (فعيل بمعنى مفعول) أما إذا كان (فعيل بمعنى فاعل) فيجب إلحاق هاء التأنيث بفعيل في حالة التأنيث . ولفظ (صديق) هنا بمعنى فاعل . إذن كان من الصواب أن يقول : (الرسالة الصديقة) كما تقول : الرسالة العظيمة ، والكاتبة البديعة ، ولا يصح خلاف ذلك .

(القاهرة) حسين الحرفي

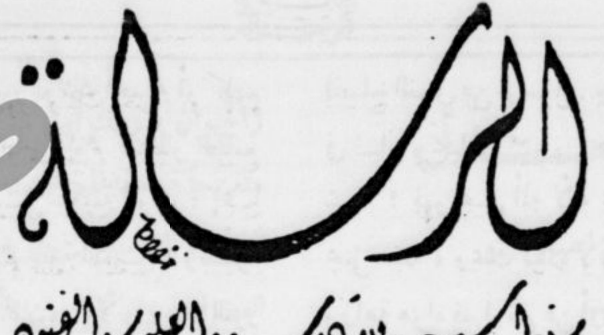


10 me Année No. 460

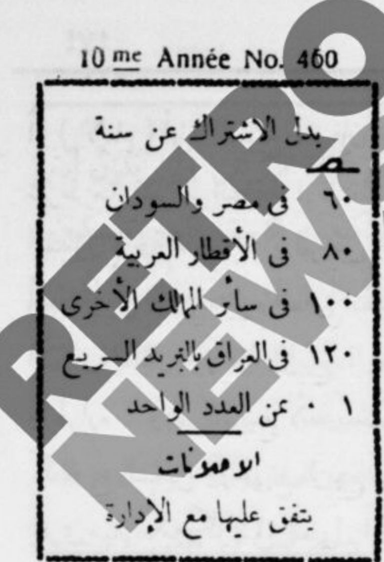
Lundi - 27 - 4 - 1942

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique


بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٤٦٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ١١ ربيع ثانى سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٧ أبريل سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الرجل المنتظَر ...

بهـذه الرجفة العظمى تبدد النظام العالمى كله ؛ فكأنما اجتمع اللاعبون بأقدار الأفراد ومصاير الأمم وقالوا لهتلر أجرإ العابثين : (بَوِّظ)[1] !!

وها هم أولاء يتحكمون فى قطع اللعب ، فيجمعون ثم يفرقون ، ويبددون ثم ينسقون ، وكل ما ورث الناس أو كسبوا من أديان ودساتير وقوانين وأنظمة وسنن قد أصابه الإلغاء أو التعليق . والواقع أن العالم العربى بأجمعه ليس منه فى هذه اللعبة العالمية لاعب ؛ إنما هو تلك القطع الجامدة التى تُقسَّم وتُقدَّم وتُصك ثم تذهب وتجىء بين اللاعبين دواليك حاملة على وجوهها المُلس قِيَمها الكسبية المختلفة من (الدش) إلى (البياظة) . فإذا طلبنا أن يكون لنا فى الدَّست حساب وليس فينا حاسب ، أو يعود علينا من ورائه اكتساب وليس منا كاسب ، كان ذلك من خداع النفس بالمحال وتعليلها بالباطل . والمتوقع الذى لا حيلة فيه أن نظل كما نحن لعبة تلعب أو نُهبة تُنهب حتى يبعث الله فينا الرجل الذى ننتظر

ولست أعنى بالرجل الذى تنتظره الأمة العربية : (المهدى)

(١) التبويظ كلمة مصرية معناها فى اصطلاح لاعبى (الدومينو) أن تقلب القطع على وجوهها قبل اللعب أو بين الدست والدست ، ثم تجال وتضرب بعضها فى بعض كى لا يكون بينها نظام ولا توافق

الفهرس

صفحة

أو (الإمام) أو (المسيح) ، فإن ظهور أولئك أحدهم أو كلهم شرط من أشراط الساعة ؛ فانتظار الناس إياهم كانتظار الطامع المطلول راحة الفوت ، أو المريض الشفى سكينة الموت ؛ إنما أعنى الرجل الذى ينتظره الناس انتظارهم طلعة الشمس ، وتنتظره الأرض انتظارها رجعة الربيع ! هو كالشمس لأنه يرسل النور والحرارة ؛ وهو كالربيع لأنه يبعث الحياة والنضارة . وظهوره كطلوع الشمس ورجوع الربيع سنة من سنن الله فى الكون ، يجرى بها حكمه كلما شاء للعقول الحائرة أن تهتدى ، وللقلوب الشتيتة أن تتحد ، وللنفوس العليلة أن تصح

كان هذا الرجل فيما خلا من الدهر يسمى رسولاً ؛ فلما ختمت الرسالة وانقطع الوحى ، كان يظهر فترة بعد فترة فى صورة ملك أو فاتح أو حاكم أو عالم أو مفكر . فيبين ما التبس من معانى الحق ، ويجدد ما انطمس من معالم الطريق . وكان نجاحه أو فشله فى التجديد والإصلاح أثراً من آثار قوته أو ضعفه ؛ فهو بين أصحاب السلطان يكون أسرع نجاحاً وأوسع إصلاحاً منه بين أصحاب الفكر . وقلما يأبه الناس لدعاة التجديد بالكلام مالم ينتشر صداه فى الأرض ويتسع مداه فى الزمن : لأن أصحاب الكلام إذا ملكوا الرأى فلا يملكون التنفيذ ، وإذا استطاعوا التشريع فلا يستطيعون الحكم . وقطرة القلم قد يفطن لها الفؤاد اليقظ ، ولكن وخزة السيف يثور بها الجسد الغليظ . وما كانت الوثبات الاجتماعية التى خلقت ناساً غير ناس ، وأبدلت نظاماً من نظام ، وفصلت تاريخاً من تاريخ ، إلا نتيجة لدفع المصلحين المسلطين الذين وضعوا الكتاب فى يد والسيف فى يد ، ثم كتبوا دستور الإصلاح بالمداد والدم

ولهذا الرجل الذى تنتظره الأمة العربية آيات تمهد له وتدل عليه : فمن الآيات المهيئة لظهوره انحلال الأخلاق فلا تماسك فى قول ولا فعل ، وتقاطع القلوب فلا تتواصل فى وطن ولا دين ، واستئثار النفوس فلا تتعفف فى صداقة ولا نسب ، وجموح الشهوات فلا تنقدع بلين ولا شدة ، واستبهام المذاهب فلا تستبين بنجم ولا شمس ، وانقطاع الأمة عن ركب الحياة فلا تتحرك رِقبلة ولا دِبْرة

ومن آياته المنبئة بوجوده أن يكون لغيره لا لنفسه ، ولأمته قبل أسرته ، ولإنسانيته بعد وطنيته . وبهذه الصفة الأخيرة يختلف المصلح القومى عن الرسول . ومصداق تلك الآيات أن تموت (أنا) فى لسانه وتحيا فى ضميره ، ويتحد فى ذهنه وجود ذاته بوجود شعبه ؛ فهو يحس ألمه لأنه مجتمع شعوره ، ويدرك نقصه لأنه مجتلى عقله ، ويملك قياده لأنه مظهر إرادته . وهو فى سمو نفسه ونزاهة هواه قد ارتفع عن أوزار الناس وأقذار الأرض ؛ فلا يطمع لأن غرضه أبعد من الدنيا ، ولا يحقد لأن همه أرفع من العداوة ، ولا يحابى لأن فضله أوسع من العصبية ، ولا يقول قولاً أو يعمل عملاً إلا إذا وافق الدين الذى يعتقده ، والمبدأ الذى يؤيده ، والشعب الذى يقوده

ثم هو فى ألمعية ذهنه ورصانة لبه وصلابة عوده وبعد همته يعظم على الأحداث ، ويعلو على الحوائل ، فلا ينضج رأياً إلا أمضاه ، ولا يرمى غرضاً إلا أصابه ، ولا يروم أمداً إلا أدركه

هذا الرجل الملهم الموهوب هو الذى ترقب ظهوره كل فرقة ، وترصد نجمه كل أمة . ولقد ظهر أمثاله فى بعض الأمم وهى على شفا الهاوية فأعادوها إلى الحياة وردوها إلى الجادة . ولا تزال الأمة العربية تحدق النظر العبران فى الأفق الغائم ترجو أن تنشق الحجب عن نوره . فهل آن يا أرحم الراحمين أوانُ ظهوره ؟

إن القطعان المهملة تدخل فى عهدة الذئب ؛ وإن القوى المتفرقة تجمع فى حساب العدو ؛ وإن اللآلىء المبددة إذا لم يضمها سلك لا ينتظم منها عِقد ؛ وإن الأمة التى لا تملك يوم المجد والفخار إلا أن تقول : كنت وكنت ، لا يزيد قدرها على قدر الرماد البارد الذى يقول : كنت فيما مضى جمرةً متقدة !

***

رباه لقد امتد بنا التيه فى مجاهل الأرض إلى قرون ، وفسد فى نفوسنا الإيمان بالحياة حتى تحول إلى ظنون . فمتى نخرج من التيه يا رباه خروج موسى ، ونتبوأ من صدر الحياة العاملة مكان محمد ؟ اللهم إنا نسألك الراعى الذى يطرد الذئب ، والنظام الذى يجمع الحب ، والدليل الذى يحمل المصباح ، والقائد الذى يرفع العلم ، والأستاذ الذى يعلمنا أن نصنع الإبرة والمدفع ، ونشق المنجم والحقل ، ونوفق بين الدين والدنيا ، ونوحد بين المنفعة الخاصة والمنفعة العامة . وكل أولئك يا رباه يجمعهم رجل واحد هو أشبه الناس بالمهدى المنتظَر والإمام المرتقَب والمسيح الموعود !

احمد حسن الزيات

فى ساحة العـــدل

للدكتور زكى مبارك

قبل أن أمضى فى الكلام عما وقع فى « ساحة العدل » أذكر أن فرصةً جميلة أتاحت لى مقابلة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ « محمد مصطفى المراغى » فتلطّف ـ حفظه الله ـ وقدّم إلىّ ملاحظاتٍ سديدة على بعض ما مرّ من الآراء فى هذه الأحاديث ؛ وكان من كلامه ما نصُّه بالحرف :

« أنت متجه إلى إلقاء تبعة المعصية على حواء ، وفاتك أن تذكر أن عدم تماسك آدم هو السبب فى تمرُّد حواء »

والواقع أنى طُفت بهذا المعنى فى « حديث السِّدرة » . ولكن عبارة الأستاذ الأكبر دقيقة جداً ، وهى من الإيجاز النفيس . ولعل فيها رداً على من غضبوا جاهلين يوم دعوناهم إلى الحزم فى معاملة النساء

سريرة آدم

ضاق صدر آدم بما وقع من قرب الشجرة المحرَّمة ، وفاض كربُه حين تذكَّر أن حديث الله مع الملائكة كان مقصوراً عليه فقد قال : « إني جاعلٌ فى الأرض خليفة » ولم يذكر حواء ، وكذلك سكتت الملائكة عن حواء ، فكيف يفوته أن يلتفت إلى هذا التفرد بالتكليف وهو غاية فى التشريف ؟

ثم تذكَّر أن الله عرَض الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبينَ أن يحملنها ؛ وتشجَّع آدم لحملها وهو لا يدرى أن شجاعته لم تكن إلا ضرباً من الظلم والجهل

لو كان آدم يعلم الغيب لأعلن عجزه عن حمل الأمانة بعد نكوص السموات والأرض والجبال ، ولكن شبابه فتَنه وأغواه فتوهم أنه يقدر على حمل جميع الأثقال

سيقف آدم فى ساحة العدل وهو نادم خـزْيان ... ألم يضيِّع الثقة بمواهبه السامية ؟ ألم ينهزم أمام امرأةٍ أعظم أسلحتها البكاء ؟

فى ساحة العدل ستحتشد الخلائق من الملائكة والجن والطير والحيوان ، وذلك أول معرض يعرفه التاريخ . ولن يكون آدم متفرِّجاً فى هذا المعرض ؛ ولكنه مع الأسف الموجع سيكون مَسْلاة المتفرجين . والويل كل الويل لمن يصبح فُرجةً لأهل الفضول ، ولو كانوا من الأشراف ، إن جاز لأهل الشرف أن يشهدوا موقفاً يتأذّى به رجلٌ شريف

سيقف آدم متهماً ، آدم الذى اصطفاه الله ، ولم يسمع فيه أقوال الملائكة المقربين ؛ فبأى وجهٍ يقف فى قفص الاتهام ، وأمام القاضى الذى منّ عليه بنعمة الوجود ؟

جهنم أروح من الوقوف فى ساحة العدل بالفردوس

كان آدم يتمثل من لمحة إلى لمحة شماتة الشامتين ؛ ثم يخفّ كربه كثيراً أو قليلاً حين يتذكر أن الذين اعترضوا على خلقه هم الملائكة ، والشماتة لا تجوز من أصحاب الأرواح النورانية

ولكن الجنة فيها سكان لا يمتّون إلى النور بعِرق ، ومن حقهم أن يشمتوا فى المخلوق الذى يفوتهم بمراحل أبعد مما بين الأرض والسماء

أتستطيع المعصية وهى حقيرة وخسيسة ودميمة أن تمنح الأنذال فرصة التعالى على الأبطال ؟

لو كان آدم يعرف أن المعصية ستجعل من حق الحشرات أن تسابق فى الزحف على البطون لتشهد موقفه فى ساحة العدل . . . لو كان آدم يعرف أن إبليس المطرود سيتبجَّح بأنه أغواه بلا عناء ... لو كان آدم يعرف أن الله يحبه ، وأن استهانة المحبوب بأوامر الحبيب من علائم الخذلان ... لو كان آدم يعرف أن الموت فى الطاعة أشرف من الحياة فى العصيان . . . لو كان آدم يعرف ، لو كان آدم يعرف ! !

طافت هـذه الخواطر بآدم وهو فى الطريق إلى ساحة العدل فكاد يُصعق من هول الموقف . وكاد يتمنى لو تحول إلى حيوان أعجم لا يفقه كنه التكاليف . وهل يستطيع مع المعصية أن يقول إنه أشرف من أى حيوان ؟

لقد عصى ربّه فغوى ، فما استعلاؤه وقد هوت به المعصية إلى الحضيض ؟

المعصية إثمٌ موبق ، ولو جازت على الجبل لحوّلته إلى هباء .

عصى آدم ربه فغوى ، فليستعد آدم لحمل جريرة العصيان .

وكيف يعصى الله من يعرف أنه خالق الأنوار والظلمات ؟

كيف يعصى الله من يعرف أنه واهب القدرة على العصيان ؟

وهل تكون الشهوة الأثيمة أعذب مذاقاً من العلقم الذى يتجرعه من يصد نفسه عن الآثام ؟ إن حرمان النفس من أهوائها فى سبيل الطاعة له طعم شهىٌ جداً ، فكيف غابت هذه الحقيقة عن آدم ؟ وكيف رضى أن يضام بسبب هواه فى مسايرة حواء ؟

لو كان يملك محو هذه الخطيئة بأى ثمن لكانت روحه أول مبذول ولكنه لا يملك محو ما وقع ، وسيؤدى ثمناً أعظم من الروح ، هو سمعته بين سكان الفردوس ، فسيشهدون جميعاً أنه مَدين ، وأن عقله لم يعصمه من الانحراف عن جادّة الرشاد . وسيرى بعينيه وجوهاً لا تعيش إلا من اغتياب الأحرار ، وهو الذى قدّم الزاد بنفسه لتلك الوجوه الشوهاء .

جَلجَلتْ هذه المعانى فى صدر آدم فجلس يستريح تحت إحدى الشجيرات وهو يتمنى لو ضلّ الطريق إلى ساحة العدل ، وخطرت له فكرة الهرب ولكن إلى أين ؟ وهل من عدالة الله مهرَب ؟

ثم تشجع لخاطر جميل طاف بنهاه ، فما ذلك الخاطر الجميل ؟

تذكر آدم أن الله يعاقب مرة واحدة ثم يصفح لأنه عظيم ، أما الذين يعاقبون على الهفوة الواحدة مرات كثيرة فهم صغار الخلائق . وما على آدم بأس من عقوبة تمر وتمضى ثم يواجه أعماله من جديد وقد تطهّر بالعقاب

وقاضى اليوم هو الله ، والعدل مضمون مضمون ، ولا خوف من التزيد والإسراف ، فليمض آدم إلى المحكمة وهو ثابت القدم رابط الجأش ، فما فى كل وقت تكون المحاكم إلى ذلك الجبار الرءوف ... وفى أثناء الطريق ثارت نفسه فدمدم :

« إن الله لا يحكم على آثم إلا بعد أن يتيح له الألوف من فرص المتاب . فكيف يعاقبنى لأول هفوة تبدُر منى ؟ »

فهتف هاتف : تأدب يا آدم ، واذكر نعمة الله عليك ، فما عاجَلك بالعقوبة إن كان سيعاقبك إلا ليؤكد كرامتك الذاتية بين الخلائق

— التعجيل بالعقوبة مزية ؟

— مزية عظيمة ، لو كنت تعرف

— أحب أن أعرف

— العقوبة حكمٌ لك لا عليك

— لم أفهم شيئاً ، أيها الهاتف

— ستفهم بعد لُحَيظات ، وستندم على أن لم تأكل شجرة التين بفروعها وجذورها

— أرجعُ فآكلُها أكلاً لَمّاً ؟

— احترس ثم احترس ، فأنت نبىٌ ، والأنبياء يراعون ظواهر الشرائع قبل أن يراعوا بواطن الحقائق ، ترفقاً بمن يغيب عنهم إدراك اللباب من أسرار الوجود

— إذن كان من حق ...

— لا حق لك فى شىء ، فامض خاشعاً إلى ساحة العدل

— بدون خوف ؟

— بأعنف صورة من صور الخوف ، لأن الله يبغض الآمنين أشد البغض

— وكيف ؟ كيف أيها الهاتف ؟

— لأن الشعور بالأمان بداية الخذلان ، والله لا يرضى لك أن تسير إلى الانحلال

سريرة حواء

رأت حواء بجزع وارتياع أنها لم تُدعَ لحضور « ساحة العدل » إلا مع الشهود ، فما معنى ذلك ؟ معناه أنها لم ترتق إلى منزلة العقاب ، ومعناه أن منزلتها فى هذه القضية منزلة ثانوية ، ومعناه أنها لم تجترح غير الإغواء ، وهو ذنبٌ مقسّم على ثلاثة شخوص : الحية وإبليس وحواء ... ثم صرختْ :

— أنا الجانية ، أنا الجانية ، وآدم لم يأكل ثمرة التين إلا من يدى

فهتف هاتف : لن يُنصَب للمرأة ميزان ، وهى التى تفرق

بين الابن وأبيه والأخ وأخيه ، ولن يغفر الله للمرأة أنها لا تدخل بيتاً إلا شطرته إلى شِيَع وأحزاب ، وقد كانت وستكون أول مصدر للنزاع والشقاق

— لعلك تريد حواء الأولى ، أيها الهاتف ؟

— حواء الأولى لم تعرف التبرّج

— وأنا متبرّجة ... أنا ؟ ؟

— نعم ، فقد شهدتُك تَنْظِمين من حبُوب البِسِلّة عِقداً تزيّنين به جيدك الأغيد ، ورأيتك تعصرين الزهر بين كفّيْك ثم تمسحين بعصيره أجزاء من جسمك البديع لتظهر عليه خطوط وردية أو عسْجَدِية

— وما العيبُ فى ذلك ؟

— العيب أنك لا ترضَين بما قسَم لك الله من الحظوظ

— وماذا أعطانى الله ؟ ماذا أعطانى ؟

— كل امرأة تقول هذا القول ، وما رضيت امرأةٌ عن نصيبها أبداً

— وما نصيبى ؟ وهل كان لى من النعيم نصيب ؟

— لك آدم يا حواء

— آدم الذى يريد أن يتمتع وحده بجريرة العصيان ؟

— تريدين أن تقاسميه أعباء هذه الجريرة ؟

— هى جريرتى وحدى ، وأنا صاحبة الحق الأول فى الوقوف جانيةً « بساحة العدل »

— وترين موقف الجناية من مواقف التشريف ؟

— هو فرصة لأن يصبح الجانى على ألسنة جميع الخلائق

— إن كان هذا ما تريدين فاطمئنى ، فلن تقع جريمة فى شرق أو غرب إلا قيل « فتِّش عن المرأة » . ولن يتنسّك عابد ، أو يترهب زاهد ، إلا طلباً للسلامة من كيد المرأة . ولن تخلو شريعة من التحذير المخيف ، التحذير من حبائل النساء . ولن يرتفع مرتفع أو ينخفض منخفض إلا وفى خياله أن امرأةً نصحتْه فارتفع ، أو خدعتْه فانخفض . ولن يبرع أديبٌ أو فنّان إلا وهو مَدين لمخلوقة سفيهة أو حليمة من بناتك يا حواء . ولن ينبغ كاتب أو شاعر إلا بوحى يُوحى إليه من إنسانة عليلة الطرف أو صحيحة الفؤاد . ولن يخلو كتابٌ من اسم المرأة ، ولو كان شريعة تتلقاها الأرض عن السماء

— أرحْتَنى ، أرحتنى ، أيها الهاتف

— إنما نريح مصدر التعب لنستريح !

جلسة علنية

صدر القرار بأن يحاكم آدم فى جلسة علنية يشهدها جميع سكان الفردوس ، فكان على الملائكة أن يهيئوا ساحة العدل تهيئة تسمح بأن يشهدها أولئك الخلائق بلا عناء

وكيف تحضر جميع الخلائق ؟

فى الطيور طوائف من الحواضن ، والطيور الحواضن لا تترك البيض المحضون ولو تعرّضت للموت من الظمأ والجوع ، فمن المستحيل أن تترك أعشاشها لتشهد محاكمة آدم صاحب حواء

وفى الأنعام بهائم تأكل الطعام وهى مطعونة بسهم الموت ، فلا أمل فى أن تتحرك لشهود القضاء فى ساحة العدل

وهنالك الحمير ، وهى لا تعلن عن سرورها بغير النهيق ، فمن الخير ألا تحضر مجلس القضاء ، وصوتُها أنكر الأصوات .

وفى الوجود خلائق لها أبصار ، وليس لها بصائر ، فمن الحزم أن تُراح من شهود جلسة لا يستفيد منها غير أرباب القلوب

ثم اتفقت آراء الملائكة على أن المراد بعلنية الجلسة إعطاء الفرصة لمن يستطيع الحضور ، وليس المراد أن تحضر الخلائق جمعاء ، وهل يتيسر لأسماك الكوثر أن تشهد محاكمة آدم وهى تُعرَّض للموت إن طال ثواؤها بالعَراء ؟

والحق أن الملائكة لم يشهدوا فى ماضيهم القديم أصعب من ذلك الموقف ، فقد كان عليهم أن يراعوا فى تهيئة ساحة العدل طبائع الطير والحيوان والحشرات ، فمن الطير أنواع تستريح إلى الأرض ، أمثال الحجَل والكروان والهداهد والطيور المائية ، ومن الطير أنواع لا تستريح بغير الوقوف فوق أعواد ، فكيف تُعَدُّ الساحة لأولئك وهؤلاء ؟ إن ذلك لا يتم بغير متاعب ، والجلسة مستعجلة ، ولا يمكن طلب التأجيل

وعرضت للملائكة مشكلتان فى غاية من الخطورة : المشكلة الأولى مشكلة النزاع الذى ثار بين الأسود والقرود بعد فضيحة آدم وحواء ، وهو نزاع قد يثور من جديد إن قضى الله على آدم بمـا يشرح صدور القرود

أما المشكلة الثانية فهى الخوف على الطيور المغردة من عدوان الطيور الجوارح ، فالصقر يشتهى الطير المغرد شهوة عارمة ، ويكاد يتوهم أن لحم الطير المغرد أطيب من خدود الملاح ، وتلك الطيور لن تسكت عن التغريد ، لأنها مفطورة على حب الغناء ، ولو فى حضور الشواهين ، والجمال قد يَجنِى على الجميل

قال أحد الملائكة : ولـكن نحن فى الجنـة ولا خوف من بطش الأقوياء بالضعفاء

فقال له صاحبه وهو يحاوره : كنا فى الجنة !

— كنا ؟

— نعم ، كنا ، وما فات مات

— أوضِحْ ، يا رفيقى ، أوضح

— كانت الجنة جنة

— فصارت ؟

— فصارت كما ترى ، ألا تعرف أن آدم عصى ربه فغوى ؟

— وما خـطرُ ذلك ؟

— هو خطرٌ فظيع فظيع ، وأنا أخشى أن تـكون معصيته قدوة سيئة لجميع سكان الفردوس ، فسيقول قائلهم : إن ما جاز صدوره عن الـكبار يجب صدوره عن الصغار

— وآدم كبير ؟

— هو كبير الـكُبَراء ، وستعرف صدق ما أقول بعد حين

— وإذن تكون معصيته شرًّا مستطيراً ، وأغلب الظن أن الله سيطرده من الجنة بلا إمهال

— برغم منزلته العالية ؟

— خفضته المعصية ، فلينزل إلى الحضيض ، إلى الأرض التى لا يعرف فيها السعادة غير الديدان ، فهى وحدها التى تُرزَق فى الأرض بغير حساب

— والنتيجة ؟

— والنتيجة أن جلسة اليوم تحتاج إلى حزم ، وهى تجربة قاسية ، فلنحاول تقسيم الحاضرين إلى طوائف تَفْصِل بينها حواجز ، لنأمن الثورة المرتقبة من هياج الغرائز النافية فى صدور الطير والحيوان . ولهذا اليوم ما بعـده يارفيق ، فإن نجحنا فى تنظيم هـذه الجلسة إلى أن تمر بسلام ، فسنكون أهلاً للثقة التى تمنحنا الحق فى أن نـكون على جميع الخلائق رقباء

اليوم المشهود

كان سكان الجنة تساموا بأخبـار حواء ، ولم يرها منهم إلا الأقـلُّون ، بسبب احتجازها بين البواسق ، وبسبب نفرتها من أهل اللغو والفُـضول ، وبفضل ما فُـطِرت عليه من الدلال المَدُوف بالـكبرياء

والفرصة الوحيدة لأن يروها أجمعون هى حضور محاكمة آدم فى ساحة العـدل ، فمن المؤكد أنها ستحضر لمواساة فارسها الجميل

خفَّ سكان الفردوس لمشاهدة حواء ، ولم يتخلف إلا من صدَّته الرعاية الواجبة للأفراخ أو الأشبال

من كان يظن أن الأسماك رحَّبَتْ بالموت لتقضى ساعة أو ساعتين فى مشاهدة حواء ؟

وتقدم غضنفلوث لتمتطى حواء ظهره المنيع ، فدخلت الساحة فى عِزة لا يظفر بمثلها الملوك

فـكيف كانت حواء فى ذلك اليوم ؟

كانت وكانت وكانت :

كان طرفها الـكحيل يَعد ويُخلف فى اللمحة الواحدة ألوف المرات ، وكأنه جذوات تختتل فى هدوء وسكون

وكان أنفها فى ملاحته يتموج تموّجاً نورانيًّا فى خدود يوحى بها لحُنُها الرنّان

وكان صوتها — صوت حواء الجميلة — يشهد بأن حناجر البلابل والعنادل أودعتْ حلقها الرخيم

وكان نحرُها — نحر حواء — مرمراً ينطق . وما أخطرَ المرمرَ الذى ينطق !

وكان لثناياها ريق يفوق ريق الحَبَب عند فورة الرحيق

وكان لذراعَيْها استدارة فنية تهتف بأن الله يزيد فى الخلق ما يشاء

أما جسم حواء فى جملته بلا تفصيل ، فهو الوجود فى جملته بلا تفصيل

كانت أرقّ من الأزهار فى آذار ، وأعذب من الأعناب فى آب

كانت أحلى من وسوسة الأمانى فى الصدر المكروب ، وأشهى من جلجلة المعانى فى القلب الموهوب

وكان تثنّيها يوهم بأن قوامها أُلِّف من خطرات تفوق العدّ والإحصاء

فى المكان المحدود من جسمها البديع ألوان وألوان ، فكأنّ كل جزء من أجزاء ذلك الجسم قصيدة تحترب فيها القوافى والأوزان ، والألفاظ فى الشعر الرائع تشبه الأوصال فى الجسم الفينان

كانت حواء فى ذلك اليوم . . . كانت وكانت وكانت

فكيف كانت ؟ كيف لا كيف ، ألم يكف أنها كانت حواء ؟

قال الصقر : لو كانت هذه أنثاى لنذرت الصوم عن لحوم الكنار شكراً لله على هذه المنحة الغالية

وقال الأسد : لو كانت هذه أنثاىَ لشكرتُ الله بالصفح عن القرود

وقال البلبل : لو كانت هذه أليفتى لابتدعت لحناً يسكر سكان الفردوس

فهتف هاتف : حواء لآدم ، وآدم لحواء ، وليس فى الإمكان أبدع مما كان . فغضُّوا أبصاركم عن حسنٍ هو عزاء آدم فى بلواه ، وهو حجته فى استباحة العصيان

محكمة ، محكمة !!

ونظر آدم فرأى جلال الله يُسيطر على الموقف ، ورأى أنه سيحاسَبُ أمام جميع الخلائق

— رباه ، أجرنى !

وكيف أُجيرك وأنت مذنب ؟

أحب أن يكون الحساب فى جلسه سرية

— لماذا ؟

— لأدافع عن نفسى بحرية ، فعندى كلام لا أحب أن يسمعه القرود ، ولأنى أخاف أن تنصعق حواء من شماتة الشامتين ، وهى أرقُّ من الوهم الذى يساور القلب الأوّاب

— لك يا مخلوق الأثير ما تريد على شرط أن تكتم ما سيدور فى الجلسة السرية ، فأنا أعلم أنك ستفوه بأقوال تزلزل عزائم الآساد فى رعاية الأشبال .

زكى مبارك

خسرو وشـــــيرين

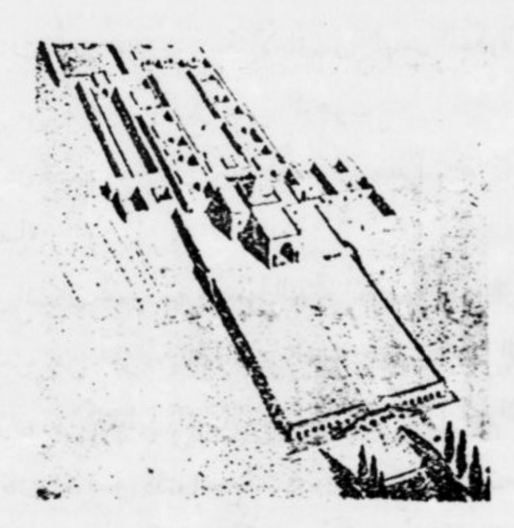
فى التصوير الاسلامى

للدكتور محمـــد مصطفى

— ٢ —

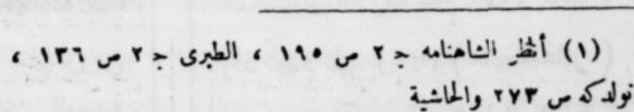
استطاع القائد بهرام جوبين أن يوقع بين الملك هرمزد وولده الأمير خسرو برويز ويغيّر رأيه عليه ، فاستحضر هرمزد صاحب سره وسأله أن يدبر فى الاحتيال لاغتيال خسرو ، فخدعوا بعض خواصه بمال وواضعوه على أن يسقيه سمًّا يقتله . ولمّا علم خسرو بذلك أشار عليه معلمه بُزرجميد الحكيم ، فركب تحت جناح الليل وخرج من المدائن يسوق طرداً وركضاً فى طريق آذربيجان[١] — أو كما يقول الشاعر نظامى الكنجوى — فى الطريق إلى أرمينية[٢] . وكان أن التقى بحبيبته شيرين وهى تستحم فى بركة الماء دون أن يعرف أحدهما الآخر ، وافترقا وقلب كل منهما يحدثه أنه رأى حبيبه ، فواصل هو طريقه إلى أرمينية ليحظى برؤيتها ، وتابعت هى طريقها إلى المدائن لتبحث عنه ... وكان خسرو — قبل أن يغادر قصره فى المدائن حيث كان فى انتظار نتيجة مساعى سفيره شابور — قد أخبر رؤساء خدمه وجواريه باحتمال مجىء سيدة جميلة ، ذات مقام رفيع ، ونزولها ضيفاً عليه ، وأمرهم بحسن استقبالها بما يليق بمقامها من الاحترام والإجلال ، وشدد عليهم فى إجابة جميع رغباتها

وصلت شيرين المدائن ، وتوجهت إلى قصر خسرو ، كما أوصاها شابور ، حيث أظهرت الخاتم الذى أرسله خسرو إليها ، فقوبلت بالترحاب ، ونزلت هنالك معززة مكرمة مطاعة من الجميع ؛ ولكنها لما علمت بغياب خسرو عن القصر ، شعرت بالسأم يدب حولها فيه ، ورغبت فى السكنى بعيداً عنه ، فأجيبت إلى هذه الرغبة ، وبنى لها قصر عظيم بين الهضاب المرتفعة ، لعلها تجد فيه من ضروب اللهو والتسلية ما يجلب السرور إلى قلبها ، وعرف القصر باسمها ، فقيل « قصر شيرين »



(شكل ١)

وفى (شكل ١) تخطيط[١] لقصر شيرين فيه محاولة لإرجاعه إلى حالته الأصلية نرى فيه ما كان عليه القصر من العظمة واتساع الأرجاء . وتوجد آثار هذا القصر بين الهضاب فى إيران على بعد حوالى عشرين ميلاً من الحدود العراقية فى الطريق إلى كرمانشاه[٢] . ويقول ابن الفقيه[٣] إن « السبب فى بناء قصر شيرين أن الملك أمر أن يبنى له باغ يكون فرسخين فى فرسخين وأن يصيّر فيه من كل صيد حتى يتناسل ، ووكل به ألف رجل



(١) أنظر الشاهنامه جـ ٢ ص ١٩٥ ، الطبرى جـ ٢ ص ١٣٦ ، نولدكه ص ٢٧٣ والحاشية

(٢) كانت أرمينية إذ ذاك — كما كانت آذربيجان — من أملاك إيران ، وكانت موضع مساومة بين موريس أمبراطور الروم وخسرو برويز ، نظير مساعدة موريس لخسرو ضد القائد بهرام جوبين الذى اغتصب عرش إيران . انظر المراجع السابقة وانظر أيضاً :

Laurence Binyon, The Poems of Nizami, p. 18

F. I. W. Gibb, A History of Ottoman Poetry, I, p. 317 و

(١) نقلا عن : Oscar Reuter, Sasanian Architecture, in, S. P. A., I, p. 542.

(٢) انظر : F. Sarre, Die Kunst des alten Persien, S. 38

و G. Bell, Palace and Mosque at Ukhaidir, pp. 44—50, pls. 51—73.

(٣) فى كتاب البلدان — طبعة ليدن — ص ١٠٨ — ١٠٩

وأجرى على كل رجل منهم خمسة أرغفة ورطلين لحماً ودورق خمر ، فأقاموا فيه سبع سنين حتى فرغوا منه . . . وسماه باغ نخجيران أى باغ الصيد » ويروى ابن الفقيه عن قصر شيرين أبياتاً منها :

ياذا الذى غره الدنيا وبهجتها　　وحسن زهرة أنوار البساتين
والدور تخربها طوراً وتعمرها　　باللبن والجص والآجر والطين
أما رأيت صروف الدهر ما صنعت
بالقصر قصر أَبَرْوِيزِ وشيرين
قد صار قفراً خلاء ما به أحد　　إلا النعام مع الوحشية العين
سبحان من خلق الدنيا ودبرها　　وأنشأ الخلق من ماء ومن طين

وصل خسرو إلى أرمينية ، ونزل ضيفاً على ملكتها مهين بانو ، فأخبرته عن اختفاء ابنة أخيها شيرين ، ودعته لأن يمكث فى أرمينيا طول مدة الشتاء ، فقبل الدعوة . وجاءه شابور بعد ذلك بأيام قلائل ، وأخبره بكل ما فعل . فأبلغ خسرو الملكة بوصوله وبما جاء به من الأخبار عن شيرين ، واتفقا أن يرجع إلى المدائن ليعود بها إلى أرمينية . وهكذا أمرت الملكة مهين بانو أن يركب شابور على الفرس « جُلْجون[1] » وهو فرس آخر فى حوزتها ، كان يضارع الفرس « شَبْديز » فى شهرته . ووصل شابور إلى المدائن حيث وجد شيرين قد تركتها إلى قصرها بين الهضاب ، فتبعها إلى هنالك وأبلغها رغبة عمتها ، وأقنعها بالعودة إلى أرمينية حيث ينتظرها خسرو ، فركبت شيرين الفرس « جُلْجون » — إذ كانت قد تركت شَبْديز فى المدائن — ورحلت إلى أرمينية فى صحبة شابور

وفى ذات الوقت جاء رسول من المدائن وأخبر خسرو بثورة القائد بهرام جوبين ، وأن الثوار قد قبضوا على أبيه الملك هرمزد وسملوا عينيه وأرغموه أن ينزل له عن العرش ، بعد أن أعلن بهرام جوبين طاعته لخسرو إذا هو تولى الملك . فأسرع خسرو إلى المدائن ، حيث توج ملكاً على إيران . وهناك علم أن شيرين قد رحلت مع شابور إلى أرمينية ، وأنها قد تركت له الفرس شبديز هدية منها . ولكن سرعان ما ظهرت نيات القائد بهرام جوبين الحقيقية ، وأنه قصد بهذه الثورة أن يغتصب عرش إيران لنفسه . وهكذا اضطر خسرو ـ وقد تبين قوة خصمه ـ أن يعمل بنصيحة معلمه بزرجميد الحكيم ، ويغادر البلاد بعض الوقت ، إلى أن يبدأ نجمه فى الارتفاع ، فيتحين الفرص لاسترداد حقوقه .

وأخيراً تقابل الحبيبان ، إذ جاء خسرو إلى أرمينية بعد وصول شيرين وشابور بوقت قصير . وصادف مجيئه خروج شيرين وصويحباتها للصيد ، فقابلته فى الطريق وعرف كل منهما الآخر ، وكاد يطير سروراً بهذا اللقاء ، وصحبته إلى عمتها مهين بانو ، فاستقبلتهما بما جبلت عليه من لطف وطيبة قلب . وانتهزت هذه العمة الطيبة فرصة انفرادها مرة بابنة أخيها شيرين ، وتوسلت إليها أن تحتفظ بوقارها فى جميع المناسبات ، وأن تناضل فى سبيل الدفاع عن شرفها ، والمحافظة على طهرها وعفافها ، فوعدتها شيرين بذلك . فسمحت لها العمة بالخروج مع خسرو فى رحلة إلى الريف ، حيث قضيا شهراً وهما يستمتعان بالصيد وضروب التسلية الأخرى .

وفى (شكل ٢) خسرو وشيرين وهما يدخلان أحد القصور فى أرمينية عند رجوعهما من الصيد ، وقد وقف فى استقبالهما بعض أكابر الدولة من أفراد الحاشية ومعهم الخدم والجوارى . وهذه الصورة[1] فى مخطوط للمنظومات الخمس للشاعر خسرو الدهلوى ، كتبه محمد بن الأزهر فى هرات سنة ٨٩٠ هجرية

---

(١) جلجون أى ذو اللون الوردي . ويروى أن جلجون وشبديز مما نسل فرس أصيلة أرمينية ، وأن أباهما تمثال لفحل جبل منحوت فى صخرة سوداء موجودة فى كهف بجبال أرمينية أنظر :
F. I. W. Gibb, I. p, 318 n. 2.

(١) منقولة عن : Martin, Les miniatures de Behzad dans un manuscrit persan daté 1485, pl. 12
انظر أيضا : Martin, Miniature Painting, II, pl. 77
و Glück und Diez Kunst des Islam, p. 510
و Binyon — Wilkinson — Gray, p. 95, no. 78 e, pl. LXII B

(١٤٨٥ م) . وكان مؤرخو الفن الإسلامي ينسبون الصور التوضيحية التي في هذا المخطوط للمصور بهزاد ، وذلك لما امتازت به من الدقة في رسم المباني والأشخاص . والظاهر أن بهزاد كان له في ذلك الوقت بمدينة هرات تلاميذ صوروا هذه الصور ، وأسبغوا عليها الكثير من روح أستاذهم[١] . وهذا المخطوط محفوظ في مجموعة شستر بيتي بلندن

***

قضى الحبيبان شهراً وهما يتسليان بالصيد ولعب الكرة وغير ذلك من أنواع التسلية ، إلى أن دعا خسرو شيرين لمأدبة أقامها لها في مضرب خيمه . وكانت مأدبة فخمة استمعا فيها لأغاني « باربد » مطرب خسرو و « نيكيسا » مطربة شيرين ، ومن بين شفاه هذين المطربين كان فيض الهوى يتردد ، وكانا يتجاوبان بما يكنه قلب كل من العاشقين للآخر



(شكل ٢)

وفي (شكل ٣) جلس خسرو على سجادة في منظرة بحديقة غناء ، يستمع لموسيقى مطربه باربد الجالس أمامه إلى جوار الفسقية وبين يديه « عود » كبير يحرك أوتاره ، بينما جلس بعض أكابر الدولة يستمعون لباربد ويتسامرون وهم يتناولون الطعام والشراب

(١) انظر : S. P. A., III, p. 1863

ووقف في خدمتهم الغلمان والسقاة والخدم ، وقد ظهر على وجه كل منهم مبلغ اهتمامه بما يعمل . ونلاحظ في هذه الصورة الدقة



(شكل ٣)

في تصوير المباني والأشجار والزهور ، وفي رسم الحيوانات على الحائط خلف خسرو ، وكذا صورة التنينين في أعلى القبة إلى جانبيها . وهذه الصورة[١] من تصوير « ميرزا علي » . وترى إمضاؤه في أسفل الصورة إلى اليسار . وهي في مخطوط نظامي المؤرخ بين سنتي ٩٤٦ و ٩٥٠ هجرية (١٥٣٩ — ٤٣ م) المكتوب للشاه طهماسب

واشتهر باربد[٢] بجمال الصوت وحسن التوقيع والمقدرة على وضع القطع الموسيقية وتأليف الألحان ، وصارت ألحانه حجة أساتذة الموسيقى ، وكان بارعاً في الضرب على العود . ويروى أبو الفرج الأصفهاني[٣] أنه « ضرب يوماً بين يدي كسرى فأحسن

(١) منقولة عن : Laurence Binyon. pl : XI
انظر أيضا : Martin, II, pl. 137 و S. P. A., III, p. 1879

(٢) يذكر باربد في الكتب العربية بأسماء متقاربة ، فمثلا يسميه أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني « الفهلبذ » ويسميه ياقوت الحموي في معجم البلدان « البهلبذ » ، وهو بهذا الاسم في قصيدة البحتري التي وصف بها إيوان كسرى ؛ أنظر كتاب البلدان لابن الفقيه — طبعة ليدن — ص ١٥٨ في الحاشية ، والشاهنامة ج ٢ ص ٢٤١ في الحاشية

(٣) في كتاب الأغاني — طبعة دار الكتب المصرية ج ٥ ص ٣٨١

فحسده رجل من حذاق أهل صنعته ، فترقبه حتى قام لبعض شأنه ثم خالفه إلى عوده فشوّش بعض أوتاره ، فرجع فضرب وهو لا يدري ، والملوك لا تصلح في مجالسها العيدان ، فلم يزل يضرب بذلك العود الفاسد إلى أن فرغ ، ثم قام على رجله فأخبر الملك بالقصة ، فامتحن العود فعرف ما فيه »

وكان بَارْبُد محبباً لخسرو برويز ومقرباً إليه ، فكان يقصده أصحاب الأمور لعرضها على خسرو إذا خافوا أن يبطش بهم .

ويروى ياقوت الحموي[1] أنه لما عرف خسرو برويز بمرض الفرس شَبديز – وكان عزيزاً عليه – قال: «لئن أخبرني أحد بموته لأقتلنه . فلما مات شبديز خاف صاحب خيله أن يسأل عنه فلا يجد بداً من إخباره بموته فيقتله . فجاء إلى البَهلَبَذ مغنيه ، ولم يكن فيما تقدم من الأزمان ولا ما تأخر أحذق منه بالضرب بالعود والغناء . قالوا كان لأبرويز ثلاث خصائص لم تكن لأحد من قبله : فرسه شبديز ، وسريته شيرين ، ومغنيه بهلبذ، وقال اعلم أن شبديز قد نفق ومات وقد عرفت ما أوعد به الملك من أخبره بموته فاحتل لي حيلة . فلما حضر بين يدي الملك غناه غناء روى فيه القصة إلى أن فطن الملك وقال له : ويحك ! مات شبديز . فقال : الملك يقوله . فقال زه ! ما أحسن ما تخلصت وخلصت غيرك ! ... » وقد ذكر هذه القصة خالد الفياض في شعر قاله وهو :

والملك كسرى شهنشاه تقنّصه	منهم بريش جناح الموت مقطوب
إذ كان لذّته شبديز يركبه	وغُنْج شيرين والديباج والطيب
بالنار آلى يميناً شدّ ما غلظَتْ	أنّ من بدا فنعى الشبديز مصلوب
حتى إذا أصبح الشبديز منجدلاً	وكان ما مثله في الناس مركوب
ناحت عليهّ من الأوتار أربعة	بالفارسية نوحاً فيه تطريب
ورنم البَهلَبَذُ الأوتار فالتهبت	من سحر راحته اليسرى شآبيب
فقال مات فقالوا أنت فهْت به	فأصبح الحنث عنه وهو مجذوب
لولا البَهلَبَذ والأوتار تندبه	لم يستطع نعى شبديز المرازيب

(له بقية)

محمد مصطفى

أمين مساعد دار الآثار العربية

(١) فى كتاب معجم البلدان – طبعة ليبزج – ج ٣ ص ٢٥١–٢٥٢

مراســلات ...

« هذا عنوان نرجو أن نكتب تحته فى الحين بعد الحين كلمات موجزة فى معان شتى ، وإن فى الإيجاز لبلاغاً لقوم يعقلون ! »

الضمير

سر غريب ، وروح عجيب ، أودعه الله الإنسان فجعل منه قوة مسيطرة عليه ، متصرفة فيه ، لا يملك لها دفعاً ، ولا يستطيع منها تخلصاً ، ولا يجد من دونها موئلاً !

آمنت بك يا رب ! خلقت الإنسان ضعيفاً ، وركبت فيه نوازع الشر والخير ، ثم قلت له بلسان قدرتك : اعمل ما شئت فقد جعلت عليك رقيباً لن تغيب عنه ولن يغيب عنك ، وليس إلى مصانعته أو مخادعته من سبيل !

آمنت بك يا رب ! هم ينكرون حسابك فى الآخرة وأنت تحاسبهم فى الدنيا ، وهم يتساءلون : كيف يكون لابن آدم معقبات من بين يديه ومن خلفه ؟ وأنت جعلت له معقباً فى قرارة نفسه

ولكن يا رب ، سؤالَ غير معترض عليك ، ولا معقب على حكمك : هل جعلت هذا الضمير أداة عذاب ، وكتبت به على فريق من الناس أن يظلوا منه فى حرب عوان مع هذه الدنيا الملتوية ؟ إن الباطل ، يا رب ، قد استعلى على الحق ، وطغى على الخلق ؛ وإن الرجل ليصدع بكلمة الصدق فيُتخذ سِخريا ، ويكون أضحوكة الضاحكين ، وأندورة المتندرين ، وإن الكاذب الخادع ليلتوى ويتخابث فيشق طريقه بين الناس فى أمن وطمأنينة وسلام !

لقد أصبح الباطل مُعِمَّا فى الناس مُخوِلا ، وأصبح الحق يتيما لطيما ! فماذا يفعل امرؤ ذو ضمير يدعوه إلى الإخلاص فى عمله والفناء فيه ، وهو يرى البيئة الفاسدة عدواً له ، وحرباً عليه ؟ ماذا يفعل إذا استحثه ضميره على السير فى طريق الخير قُدُما وهو يرى القافلة كلها تسير فى غير الطريق ؟ أيبطل مع المبطلين ، ويفسد مع المفسدين ؟ وأنى له ذلك وهو امرؤ ذو ضمير ؟ أم يصادم ويقاوم ويثور ويغضب ويجادل ويناضل ؟ وكيف يأمن مع ذلك على نفسه وخلقه ؟ ومتى يذوق طعم الراحة ؟

«ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ! »

محمد محمد المدنى

معارج الأحــــداث

للأستاذ سعيد الأفغاني

ولست أعنى بالأحداث من صغرت أسنانهم فقط ، وإنما عنيت مع ذلك ، أشباههم : ممن صغرت أقدارهم ، وضؤلت معارفهم ، ورقت عقولهم ، وانحطت هممهم وتخلفت أعمالهم ... ولو جللهم المشيب وعلت رؤوسهم النسائج البيض .

ولعمر الله ما أدرى لِمَ يُعرض الكتاب عن طبقة هى إحدى عوائق النهضة الصحيحة لعصرنا ، فلا يصفون منها ما يصف الطبيب من الجراثيم وأعراضها وفتكها ، ثم ما يكون من سبل الوقاية ، وطرق العلاج . وهى طبقة تراها منبثة فى الشوارع والأندية والمجامع والمعاهد والدواوين ... لم يرزقها الله من المواهب ما تستطيع أن تنفع به ، وحز فى نفسها شعورها بالضعة وسقوط المنزلة ، فاندفعت فى صفاقة وخفة تدّعى ما ليس فيها ، ثم ترامت فى الطامن على الناس ذوى الأقدار ليعتقد لهم الجاهل بذلك فضلاً .

فإن كنت تنسب أمر الأطفال الذين يبغون أن يكونوا زبيباً قبل (التحصرم) إلى غرة الحداثة ، فماذا أنت ناسب إلي ما أعرض عليك :

هذا أديب حباه الله كل المواهب اللازمة للأدب ، وأخذ نفسه بدرس طويل وصبر أطول حتى أخرج للناس أدباً نافعاً وأصبح مشاراً إليه ؛ فيطمح فريق من أحداثنا ، هؤلاء ، إلى مثل مكانته ، فلا يكلفه الأمر أكثر من محاولته جلب الأنظار إليه بالصراخ والغثاثة والدعوى العريضة ، فإذا شكا إليك إعراض الناس ، ونبهته إلى ماينقص من وسائل أو مواهب ، وأنه يحسن به أن يأخذ للأمر أهبته ، رماك – فى غيبتك – بالتثبيط ، وحمل عنه هذه الفرية من كنت تظن بعقله البعد عن الانخداع .

وهذا يريد أن يكون كاتباً ولما يُحسنْ سبك جملة صحيحة بعد ، ولما يستوعب فهم صفحة يقرؤها فهماً صحيحاً ، يعرض عليك مقاله فتنصحه بالتعلم ، فيزورّ عنك محتجاً بتحقير شهاداته العالية ويطوف إدارات الصحف أو المجلات هو ووسطاؤه ، فيروعك أن ترى سخفه منشوراً ، ويروعك أكثر أن تراه أحياناً قصد من لا تشك فى إطلاعه وبصره ، فيغشه فى فترة سأم وإعياء .

وذاك لم يدّع أدباً ولا كتابة ، ولكن حلاله أن ينتسب فى الباحثين ، فسطا على بحث نشر فى بلد بعيد ، وفقرات فى الموضوع نفسه من كتابين قديمين ، فقطّع ثلث خمسين قطعة ، ثم عاد فوصل بين ما قطّع بجمل من عنده ، وقدم فيها وأخر ، ثم رقّم هذه الجمل وجعل لكل رقم حاشية تدل على صفحة مصدره – تشبهاً بما فهم من الأسلوب الحديث – فاستوى له بإذن الله ما سماه بحثاً علمياً ، فإذا بك تجد كلاماً لا انسجام بين أجزائه ولا تساوق بين أفكاره يلعن بعضه بعضاً ، فإذا قلت له : إنه غير مفهوم ، أجابك : هذا هو الأسلوب العلمى

وذلك — عافاك الله — لا أديب ولا كاتب ولا باحث ، لكنه لغوى يا سيدى ، يعنى أنه يسود صفحات بالركاكة والابتذال والمط والتطويل والسخف ، حتى إذا واتاك صبرك وانتهيت منها قراءة ، وقذفت بالمجلة أرضاً ، وأغمضت عينيك تستعيد ما مرّ بك ... إذا كل ذلك : كلام فى أن (وابور الزلط) من عامية مصر ، أو أن (الجسر) فى عامية الشام هو (الكبرى) فى عامية مصر

وإن كان محاضراً لبث أسبوعين (يبشر) بمحاضرته ويدعو لها ويلقاك في الطريق ، أو حافلة الترام ، أو عند الوراق ، أو حاملاً حاجة ، أو منطلقاً عجلان ، أو منقلباً إلى دارك ... فاستوقفك ساعة وحدثك بمحاضرته وما حوت من نكات ، وأكثر عليك من حركاته و (تهريجه) ، حتى يقتلك قتلاً ، فلا يتركك إلا وقد أخذ عليك عهداً : لتحضرنها أنت وأهلك وأصحابك وجميع معارفك ، فإذا وفيت بعهدك ، فويل لك من نفسك ، وويل لأصحابك : لقد شبعتم خجلاً من أنفسكم وتهكماً ، وأوسعكم المحاضر الكريم غثاثة وثقلاً

وهذا نمط آخر خير مما تقدم : لا أديب ولا كاتب ولا باحث ولا لغوى ولا محاضر ولا شيء من الأشياء مما يبرز أثره إلى الوجود ، ولعله يحسن أن يسلخ أهاجى الأموات يهجو بها الأحياء ، ولعله يتمدح إلى الموسيقى باطلاعه على التاريخ ، وإلى الكيميائى بباعه فى الدين ، وإلى الرياضى بحذقه النحو ، وإلى التاجر بأنه شاعر ... تطمح نفسه إلى أن يسند دعواه بالانتساب إلي أى جماعة ذات شأن – ولو رسمياً – فى العلم أو الأدب أو الصحافة ، فلا ترى الجماعات فيه شيئاً يسيغ أن يسلكه فى زمرها ، فيشتد على أفرادها بالشتم والهجاء حتى تتحقق رغبته ، وما كانت لتتحقق

لولا خراب الضمير الأدبي فى بعض الأفراد

وآخرون من غير هذه الأنماط : منهم فى الشام ، ومنهم فى العراق ، ومنهم فى مصر ، أهمل الكتابة فى شأنهم الأدباء غفلةً أو تهاوناً ، على أن أمرهم سيئ العواقب على المستقبل : تراهم مبثوثين فى كل طبقة كما انبثت الطفيليات فى المواد الحيوية ، تبقث هى الجراثيم ، وعلى ضحاياها تحمل النتائج :

هنا نادٍ ذو غاية نبيلة يعمل بعيداً عن الدسائس ، فيندس فيه من لا يظهرون إلا على خراب غيرهم ، فلا يزالون به حتى تسودّ بين الناس صحيفته . وهناك صحيفة كانت راقية أخذت تشجع هذه الطفيليات بدل أن تنصحها أو تبعدها ، حتى انحط مستواها وكسدت سوقها بين العارفين

فإن رحت تبحث عن بواعث الداء وجدته فى فقدان الكرامة وضعف الضمير المسلكي عند القيمين على بعض دور الصحف والمجلات وأندية العلم ، ولو أنهم أقاموا لموازين الحق بعض الاعتبار ، لحفظوا أقدامهم من السقوط

أفليس من واجب الأدباء أن نرى هذه الألوان فى أدبهم ، وأن نجد فيه صفة هذه الطبقة والتحذير منها ومن ضررها على الناشئين وعلى سمعة البلاد الأدبية . ومعالجة هذا الداء واجبة ، إذ لا يخلو من مرضاه مصر من الأمصار . فهل لى أن أقرأ فى هذه المجلة الكريمة لكتابنا الاجتماعيين كلمات شافيات ؟

وبعد ، فلست متشائماً ، ولا أمنع أن يكون فيمن ينتسبون إلى العلم والأدب أناس علماء حقًّا أدباء حقًّا ، لهم كرامة وبهم شجاعة ؛ لكننى موقن أنهم مشتتون ، جهودهم ضائعة غير متضافرة ، مع إيثار منهم للراحة والسلامة ، فلهؤلاء أقول :

إنكم حقًّا فى سبيل صون ميادين العلم والأدب عن الأدعياء الأدنياء ستلقون أذًى كثيراً ولكن العاقبة لكم ، والغثاء أبداً إلى الاضمحلال . وما بلينا به بلى به من كان قبلنا ، ولم يخل عصر من مثل هذه الطبقة التى لا تحسن شيئاً وتستطيل على المحسنين ، وما جمع الله لذى كرامة : الصدع بالحق ، والسلامة من الناس .

« دمشق » **سعيد الأفغاني**

سيـــــلان

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

سيلان أو سرنديب اسم تردد على شفاه معظم المصريين منذ ستين عاماً . فى ذلك الوقت كانت الثورة العرابيــة تجتاز آخر مراحلها ، فقد كان زعماؤها يحاكمون وحكم عليهم بالإعدام فى ٣ ديسمبر سنة ١٨٨٢ وأبدله الخديوى توفيق فى الحال بالنفى المؤبد خارج القطر فنفوا إلى جزيرة سيلان وصودرت أملاكهم وجردوا من ألقابهم . عرف المصريون إذن جزيرة سيلان ؛ وتمـد خلد اسم هذه الجزيرة فى الأدب العربى بما كتبه فيها محمود سامى البارودى باشا من شعر مؤثر فى الحنين إلى الوطن والحزن لفراقه . قال يصف الرحيل عن أرض الوطن :

محا البين ما أبقت عيون المها منى ... فشبت ولم أقض اللبانة من سنى
عناء ويأس واشتياق وغربة ... ألا شد ما ألقاه فى الدهر من غبن
فإن أك فارقت الديار فلى بها ... فؤاد أضلتــه عيون المها عنى

وقد أسبغ النفى والحرمان عليه شارة التضحية والبطولة فـكتب شعراً يفيض عظمة وجلالاً قال من قصيدة فى منفاه :

علام يعيش المرء فى الدهر خاملاً ... أيفرح فى الدنيا بيوم يَعُدُّه
عفاء على الدنيا إذا المرء لم يعش ... بها بطلاً يحمى الحقيقة شدُّه

ومن قصيدة أخرى :

لم أقترف زلة تقضى علىَّ بمـا ... أصبحت فيه فماذا الويل والحرب
فهل دفاعى عن دينى وعن وطنى ... ذنب أدان به ظلماً وأغترب
فلا يظن بى الحسـاد مندمة ... فإننى صـابر فى الله محتسب
أثريت مجداً فلم أعبأ بما سلبت ... أيدى الحوادث منى فهو مكتَسب
لا يخفض البؤس نفساً وهى عالية ... ولا يشيد بذكر الخامل النشب

وقد قضى بها سبعة عشر عاماً ، ثم عاد إلى مصر فى شهر سبتمبر ١٩٠٠ بعد أن فقد نور عينيه . أما عرابى باشا فقد عاد فى أول أكتوبر ١٩٠١ . وقد مات بهذه الجزيرة من الزعماء السبعة عبد العال باشا حلمى (فى ١٩ مارس ١٨٩١) ودفن بكولمبو ، ومحمود فهمى باشا فى (١٧ يوليو ١٨٩٤) ودفن بكندى ويعقوب سامى باشا (أكتوبر ١٩٠٠) ودفن بكندى أيضاً

هذا ما كان منذ ستين عاماً . أما اليوم فإن العالم يذكر هذه الجزيرة بمناسبة اقتراب الخطر اليابانى منها ؛ فقد كان من آثار تطور الحرب فى الشرق الأقصى أن استهدفت هذه الجزيرة للغزو اليابانى . وقد كانت وقعت أول غارة جوية على عاصمتها كولمبو فى ٥ إبريل سنة ١٩٤٢ ، وحاول بعض جنود المظلات اليابانية الهبوط بها مما دعا القائد العام إلى أن ينبه السكان إلى وجوب مقابلة هؤلاء الجنود وإلقاء القبض عليهم أولاً بأول . ومنذ ذلك التاريخ بدأت هذه الجزيرة تحتل مكاناً ممتازاً فى أنباء العالم

هذه الجزيرة

تقع فى جنوب الهند ؛ وليس هناك شك فى أنها كانت متصلة بها يوماً ما إذ هى تشبهها من عدة وجوه . وشكلها كالكمثرى وهى أصغر قليلاً من إيرلندا ومساحتها ٢٥٠٠٠ ميل مربع ، وطولها من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ٢٧٠ ميلاً

أما من حيث التضاريس فإن وسط هذه الجزيرة تحتله كتلة جبلية يصل ارتفاعها فى بعض الجهات إلى أكثر من ٨٠٠٠ قدم وتحيط بهذه المرتفعات سهول ساحلية واسعة . والسهل الساحلى فى الشمال منبسط وتوجد به كثير من أشباه الجزر الرملية ، وتبعد شبه جزيرة مانو ٢٢ ميلاً فقط عن أقصى جنوب الهند ، وترتبط سـيلان بالهند بسلسلة من الشطوط الرملية والصخور تسمى بقنطرة آدم

ونظراً لقرب هذه الجزيرة من خط الاستواء فإنها دائمة الحرارة، ويخفف من حرارتها إحاطة الماء بها . وتسقط بها الأمطار صيفاً على الساحل الغربى نتيجة لهبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية عليه أما شرقها فتسقط أمطاره شـتاء لهبوب الرياح الموسمية الشمالية الشرقية عليه

الغلات والنبات

تغطى سفوح المرتفعات الدنيا غابات كثيفة وقد قطعت وزرع مكانها أشجار المطاط والشاى والـكاكاو ؛ وفى الوديان يزرع الأرز وأشجار جوز الهند . وتقوم عدة صناعات متصلة بجوز الهند فتجفف حباته وتصدر ، وتقوم المصانع بإعداد زيت جوز الهند وتصديره . ومن أهم التوابل التى تصدرها القرفة . وعلى الشواطىء يشتغل الأهالى بصيد السمك

٣٢ – المصريون المحدثون
شمائلهم وعاداتهم
في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل العاشر – « الخرافات »

ولما تولى الولي السابق ذكره أعماله أخذ يتجول في قسمه فرأى بائع فول يبيع لحرفائه كالعادة . فتناول حجراً وكسر بها قدر الفول ، فقفز البائع إليه وتناول جريدة بالقرب منه وضرب الولي بها ضرباً مبرحاً . ولم يشك الولي ولم يصرخ وانصرف حين أذن له . وحاول بائع الفول بعد انصراف الرجل أن يلتقط بعض ما تناثر من القدر ، وكان قد بقي منها قطعة في مكانها ؛ فلما نظر البائع فيها رأى ثعباناً ساماً ميتاً . فصاح مرتاعاً مما فعل : « لا حول ولا قوة إلا بالله ! أستغفر الله العظيم . ماذا فعلت ؟ هذا الرجل ولي وقد أتلف الفول الذي كاد يسمم حرفائي » . وجعل ينظر إلى كل مار طول هذا اليوم عسى أن يرى مرة أخرى الولي الذي أساء إليه ليستغفره . ولكنه لم يره لأن الولي كان مرضوض الجسم لا يستطيع أن يمشي .

وفي اليوم التالي نهض الولي بالرغم من ورم أعضائه وأخذ يعرج خلال قسمه فكسر جرة لبن كبيرة في دكان لا يبعد عن دكان بائع الفول كثيراً ، فعامله اللبان معاملة الفوال . وبينما كان يضربه أسرع بعض الناس إليه وأخبروه أن هذا الرجل الذي يضربه ولي ثم سردوا عليه قصة الحية التي كانت في قدر الفول وقالوا اذهب وانظر جرتك فسترى فيها شيئاً ساماً أو نجساً . ونظر الرجل فوجد في بقية الجرة كلباً نافقاً . وفي اليوم الثالث سار الولي في الدرب الأحمر يعرج على عصا متألماً ، فرأى خادماً يحمل على رأسه صينية عليها أطباق من اللحم والخضر والفاكهة أعدت لجماعة كانوا ذاهبين إلى النزهة في الريف فوضع الولي عصاه إذ ذاك بين رجلي الخادم فقلبه ، وتناثرت محتويات الأطباق في الشارع ، فأخذ الخادم يصب على الولي اللعنات ويضربه ضرباً عنيفاً ، وتجمع الناس ولاحظ أحدهم كلباً يأكل من هذا الطعام ثم لم يلبث

السكان

يسكن هذه الجزيرة أربعة ملايين ونصف مليون من الأنفس، وقد قدموا إليها من الهند في عصور متفاوتة ومعظمهم بوذيون ديناً . وفي كاندي معبد يسمى معبد السنة The Temple of the Tooth وهو من أعظم المعابد حرمة وقدسية لدى البوذيين . أما الباقون فيدينون بالهندوكية وقد جاءوا سيلان من الهند قديماً كغزاة ؛ أما اليوم فإنهم يهاجرون إليها كعمال يعملون في مزارع البن والشاي والمطاط . وفي الجهات الجبلية ما تزال بعض القبائل تعيش على الفطرة

وقد كانت هذه الجزيرة تابعة لحكومة الهند ، ولكن منذ سنة ١٨٠٢ فصلت عنها وأصبحت مستعمرة تابعة للتاج البريطاني

كولمبو

عاصمة الجزيرة وتقع على شاطئها الغربي وقد كانت محط أنظار اليابانيين وإليها وجهوا أول جهودهم وذلك بالنسبة لما لموقعها من أهمية : فهي محطة للفحم ، منها تتزود السفن المحيطية القادمة من أوربا إلى استراليا والشرق الأقصى ، وبها تمر السفن القادمة من شرق الهند إلى غربها تفادياً للمرور من مضيق (بلك) الضحل، فمعنى الاستيلاء عليها تعذر المواصلات بين شرق الهند وغربها وبين بريطانيا واستراليا ، وإضعاف مركز بريطانيا الحربي إضعافاً كبيراً

وقد علقت الديلي تلغراف على هجوم اليابانيين على كولمبو وسيلان فأشادت بالنصر العظيم الذي أحرزته القوات البريطانية في دفع العدوان الياباني عن الجزيرة ونبهت إلى أهمية موقع الجزيرة قائلة : « ولسنا نرى في جزيرة سيلان حصناً لحراسة الهند ومواصلات الهند مع الشرق الأوسط وأوربا فحسب ، ولكننا نرى فيها أيضاً مركزاً قوياً لتركيز الكرات وتوجيهها إلى خطوط الهجوم اليابانية البعيدة الانتشار »

أبو الفتوح عطيفة

أن نفق . فسارع إلى منع الخادم من ضرب الرجل وأخبره بالحادث الذى أثبت ولايته . فجعل الخادم يعتذر للولى ويرجوه أن يصفح عنه . غير أن الرجل سئم وظيفته الجديدة فابتهل إلى الله وإلى القطب أن يعفى منها ، وأجيب إلى توسلاته واستردت قدرته الخارقة للمادة . فعاد إلى دكانه وهو أسعد من قبل

هذه القصة يتقبلها القاهريون كأنها حقيقة ومن ثم أدرجتها هنا . لأننا عند الكلام على الخرافات نواجه الآراء أكثر مما نواجه الأفعال . ولست متأكداً أن القصة جميعها كاذبة ؛ فقد يكون هذا الولى المزعوم قد استخدم من يدخل الثعبان أو الكلب فى الوعاءين اللذين كسرهما . وقد قيل لى إن أكثر من واحد قد اشتهر بالولاية بمثل هذه الحيل

وفى مصر أولياء كثيرون يتقشفون تقشف النساك الهنود . وفى القاهرة الآن ولىّ طوّق عنقه بالحديد ، وشد نفسه إلى أحد جدران غرفته وظل على ذلك ثلاثين عاماً ، كما يقال ؛ ويزعم البعض أن هذا الولى كثيراً ما شوهد متدثراً كالنائم بملاءة ، ثم بعد ذلك مباشرة تزاح الملاءة عنه فلا يجدونه تحتها . ويذكر هذه القصص ويؤمن بها قوم يتمتعون بالعقل الرشيد . والضحك من هذه القصص أو عدم تصديقها يثير السخط الشديد . وقد حكى لى أخيراً أن ولياً قطع رأسه لجرم لم يرتكبه ، فتكلم بعد فصل رأسه عن جسده[1] ، وأن آخر حز عنقه فى أحوال مشابهة فخط دمه على الأرض إعلان براءته : أنا ولى من أولياء الله وقد مت شهيداً .

وهناك ظاهرة غريبة فى خلق المصريين وغيرهم من الشرقيين وهى أن المسلمين والمسيحيين واليهود يتخذون خرافات بعضهم بعضاً بينما يمقتون العقائد الأصلية . وقد يستخدم المسلمون عند المرض قسس النصارى واليهود للدعاء لهم ، وكذلك النصارى واليهود يدعون الأولياء المسلمين للغرض نفسه . ومن المألوف أن ترى المسيحيين يترددون على الأولياء فيقبلون أياديهم ويسألونهم الدعاء والنصح . ويجزلون لهم المال والعطايا .

وينسب المسلمون إلى الرسول معجزات كثيرة لا يقرها

(١) مثل رأس الحكيم « دوبان » فى قصص ألف ليلة وليلة

الإسلام . وهم يقولون أن هناك معجزات كثيرة لا تزال تتم إكراماً للنبى وشاهداً على رعاية الله له . ويروى الحجاج الذين زاروا المدينة أنهم يرون كل ليلة شعاعاً من النور الكامد يشع من قبة القبر النبوى إلى ارتفاع هائل إلا أن الشعاع يختفى عن الناظر عند ما يقترب من القبر[1] . وهذه معجزة من أكثر المعجزات اعتباراً ويروون أنها تشاهد للآن . وقد سألت أحد أصدقائى الحصفاء عن صحة هذا الزعم فأيده وجزم أنه كان يرى الشعاع كل ليلة مدة إقامته بالمدينة . وقال : إن ذلك دليل على رضا الله وإكرامه لسيدنا محمد (ص) ، ولم أجرؤ أن استفهم عن حقيقة ما يزعم رؤيته بعينه ولا الإشارة إلى أن أكثر الأنوار التى تضاء فى المسجد كل ليلة قد تحدث ذلك الأثر . غير أنى سألت صديقى أن يصف لى بناء القبر وقبته الخ ؛ فأجاب أنه لم يدخل الضريح ولا الكعبة لاضطراب أعصابه نتيجة لإعظامه هذه الأماكن المقدسة وخاصة قبر الرسول الذى يؤثر فيه تأثيراً شديداً ؛ ولأنه حنق المذهب لا يليق به أن يسير فوق هذه الأرض المقدسة ويتعرض كل حين لمكاره المشى حافياً ، ومن ثم كان عليه فى هذه الحالة أن يلبس خفا داخل الحذاء الخارجى ، وهذا ما لا يقدر عليه . ويزعم الحجاج أيضاً أنهم يرون دائماً على مسير ثلاثة أيام من المدينة نوراً فى اتجاه المدينة المقدسة ويعتقدون أنه ينبعث من قبر الرسول. ويقولون إنهم حينما يتجهون يشاهدون هذا النور تجاه المدينة . ولهذه الروايات جمال يؤثر فى النفوس

ويحمل المسلمون ، وبخاصة المصريون ، على اختلاف مذاهبهم ، ما خلا الوهابيين ، للأولياء المتوفين احتراماً وتقديساً لا سند لهما فى القرآن أو الأحاديث ، أكثر مما يحملون للأحياء منهم . ويشيدون فوق أغلب قبور الأولياء المشهورين مساجد كبيرة جميلة . وينصبون فوق قبور من هم أقل منهم شهرة بناء صغيراً مربعاً مبيضاً بالكلس ومتوجاً بقبة . ويقام فوق القبر مباشرة نصب مستطيل من الحجر أو القراميد يسمى

(١) يقال أيضاً أن هناك ظواهر مشابهة أقل بهاء تميز بعض قبور المدينة وغيرها

(تركيبة) ، أو من الخشب ويسمى (تابوتا) ، ويغطى النصب عادة بالحرير أو الكتان المطرز ببعض الآيات القرآنية ، ويحيط به قضبان أو ستر من الخشب يسمى (مقصورة) . وأكثر أضرحة الأولياء في مصر مدافن إلا أن أكثرها يحتوى على آثار قليلة لهم . وبعضها ليست إلا قبوراً فارغة أقيمت تذكاراً للميت . وأكثر هذه المقامات قدسية مقام الحسين إذ يقال إن رأس الحسين الشهيد مدفون به . ومنها أيضاً مسجد السيدة زينب وهو دون الأول قدسية . ومسجد السيدة نفيسة ، ومسجد الإمام الشافعي الذي ينتمي إلى مذهبه أكثر القاهريين . وتوجد هذه الأبنية السابقة ما خلا الآخرَيْن داخل العاصمة . أما مسجد السيدة نفيسة فهو في إحدى الضواحي الجنوبية ، ومسجد الإمام الشافعي في المقبرة الجنوبية الكبيرة

ويزور المصريون هذه الأضرحة وغيرها أحياناً إما إجلالاً للميت أو قياماً بأعمال تستحق الثواب لأجل هؤلاء المكرّمين معتقدين أنهم سينزلون عليهم البركات ، وإما بقصد التماس البرء من مرض أو طلب النسل ، مقتنعين أن فضائل الميت تكفل قبول دعواتهم قبولاً مرضياً . ويعتبر المسلمون أولياءهم المتوفين شفعاء لهم عند الله ويقدمون لهم النذور . ويحيي الزائر عند وصوله الضريح بالسلام ويسلم عليه أيضاً عند دخوله المدفن . ولكني أعتقد أنه قلما تراعى هذه العادة الأخيرة . ويواجه الزائر رأس الميت ، ومن ثم يولي القبلة ظهره . ويطوف حول المقصورة من اليسار إلى اليمين ، ثم يقرأ الفاتحة بصوت لا يسمع أمام باب المقصورة أو أمام جوانبها الأربعة . وقد يتلو بعد ذلك سورة أطول من الفاتحة ، كما قد يتلو في هذه الحالة (خاتمة) . وتقرأ هذه الأدعية لأجل الولي وإن كان يعتقد أيضاً أن الأجر ينعكس على الزائر الذي يتلو الصلاة . ويختم الزائر ذلك عادة بقوله : « إني وهبت ما قرأت من القرآن الكريم إلى من نذر له هذا المكان » أو « إلى روح هذا الولي » . ويبقى ثواب ما قرىء للقارئ وحده إذا لم يبين ما سبق أو لم يقصده . ويبتهل الزائر بعد تلاوة هذا إلى الله لاستدرار النعم فيقول عادة : « اللهم أتوسل إليك بالرسول وبمن وقف له هذا المكان أن تهبني هذه النعمة وتلك الأخرى » أو « حملي على الله وعليك يامن كرّس لك هذا المكان » . ويواجه البعض وهو يفعل ذلك جانباً من جوانب المقصورة . ويقال إن اللائق أن يواجه الإنسان المقصورة والقبلة ، ولكني أعتقد أن القاعدة نفسها تراعى في هذه الحالة كما تراعى في السلام ؛ وتوضع اليدان أثناء ذلك وضع الابتهال الخاص عقب الصلاة العادية ثم تسحبان بعد ذلك على الوجه . ويقبّل الكثير من الزائرين عتبة باب المقام وجدرانه ونوافذه ومقصورته الخ . . . إلا أن الشديد المحافظة يستقبح هذا لاعتباره تقليداً لعادة مسيحية.

ويوزع الأغنياء والميسورون عند زيارتهم قبور الأولياء المال أو الخبز على الفقراء . وكثيراً ما يمنحون السقائين نقوداً ليفرقوا الماء على الفقير والظمآن إكراماً للولي[1] . وهناك أيام خاصة في الأسبوع لزيارة بعض الأضرحة . فيزور الرجال مسجد الحسين على الأكثر يوم الثلاثاء ، والنساء يوم السبت . ويزورون مسجد السيدة زينب يوم الأربعاء ، ومسجد الإمام الشافعي يوم الجمعة . والعادة في هذه الحالات أن يحمل الرجال معهم آساً يضعون بعضه على النصب أو فوق الأرضية داخل المقصورة ، ويأخذون الباقي ثانية لتوزيعه على الأصدقاء . ويضع الفقير أحياناً خوصاً ، كما يفعل أغلب الناس على قبور الأصدقاء والأقارب ، وتضع نساء القاهرة بدل الآس والخوص ووروداً وزهوراً وياسميناً .

(يتبع) عدلي طاهر نور

(١) أنظر الكلام على السقائين في الفصل الرابع عشر .

حكم في القضية ٧٠٦ جنح عسكرية طنطا سنة ١٩٤٢ ضد عبد الوهاب السيد الهوارى بتسليمه لوالده لامتناعه عن بيع السكر بالسعر المحدد بجلسة ٢٣ فبراير سنة ١٩٤٣

حكمت محكمة بنها العسكرية في القضية ٤١ بنها سنة ١٩٤٢ بجلسة ٥ يناير سنة ١٩٤٢ بحبس بيومى أحمد منصور دوبدار شهرا مع الشغل والنفاذ والنشر لبيعه بأزيد من التسعيرة

تحيـــة فلسطين

للأستاذ بشارة الخورى

[ألقاها بالقدس فى زيارته الاخيرة]

« فلسطين » لست سوى دمعة   تهادت على بسمة حائرة
تعانقتا فاستحال العناق   لهيباً على شـــفة ثائرة

« فلسطين » يا حُلم الأنبياء   ويا خمرة الأنفس الشاعرة
حملنا لك المهج الظامئات   وأصدية القبل الطاهرة

« فلسطين » ياهيكل الذكريات   على جبهة الأعصر الغابرة
مضمخة بغبـــار الحروب   مخضبةً بالمـــنى الزاخرة

« فلسطين » يا جنحات الخيال   مجنحةً بالرؤى الساحرة
هنالك على شرفات النجوم   أرى مكة تلثم الناصرة

ألا قطرةً ، عرس قانا الجليل   ولو بين جدرانك الدائرة
ترد إلى الشعر وحى السماء   فتلهمه الأنفس الكافرة

بشارة الخورى

إلى ...؟

« للشاعر المجهول »

أبحتُكَ من قلبي نفائسَ عَطفِهِ
وحرَّرتُ فيكَ المالَ من رِبقَةِ الضَنِّ

وقلتُ مِثالٌ من جمالٍ أصونُهُ   فيَسْلَمُ من إفكِ الزمانِ ويستغنى
فلم ترَ صدرى من سهامِكَ فى حِمًى   ولم ترَ جَنبِي من نِصالِكَ فى أمْنِ
وعِشتُ يُرَ بِنى الحُبُّ أنكَ حافِظٌ   عهودى وأن الخُلْدَ بعضُ الذى أبنِى
فلمّا رأيتَ الوجدَ يغتالُ مُهجتى   وأيقنتَ أنى من غرامِكَ فى سِجْنِ
مَضَيْتَ إلى غيرى جهارًا وَخُنْتَنِي   فمن أىِّ وَحْلٍ صِيغَ طَبْعُكَ خبِّرنِى

« الشاعر المجهول »

إلى روح شقيقى « ابراهيم »

ما كان إلا دنيـــا محببة !

للآنسة فدوى طوقان

لاَ كَانَ عَامٌ ظَلِلتَ يَا سَكَنِي   فيهِ وَرَاءَ الحَيَاةِ وَالزَّمَنِ
مُسْتَوحِشاً فى الضريح مُنْفَرِدًا   مُرْتَهَنًا بالتُّرابِ والكَفَنِ
وَا حَرَّ صَدْرِى عليكَ وَا أَسَفِى   أنْ لَمْ تُمِتْنِي لواعِجُ الحَزَنِ
لَوْ أَنَّنى قمتُ بالوفاءِ ، أخِى   ما ظَلَّ روحى يجولُ فى بدنِي
أَنَّى تطيبُ الحياةُ بعدَكَ يا   أحْسَنَ ما فى الحياةِ مِنْ حَسَنِ
قَطَعْتُ عنّى أسبابَ بَهجتِها   وَصِرْتُ وَاللَّاعِجاتِ فى قَرَنِ

تَهجِسُ فى خاطرى ، أخِى ، ذِكَرٌ   تَظَلُّ مِنهَا الأشجانُ تَطرُقُنى
كُنتَ لعَمْرِى زَيناً لمجلِسِنا   وفتنةً مِنْ مُحبَّبِ الفِتَنِ
تدفعُ عنّا الهمومَ إنْ نزلَتْ   بالدّارِ يوماً طوارِقُ المِحَنِ
فكيفَ باللهِ صِرْتَ أكبرَها   وكيفَ أصبحْتَ مَصْدَرَ الشَّجَنِ ؟

أوْ لَيْتَنِي مِنْ لَدُنْكَ عَارِفَةً   آبَتْ بحِفظِ الجميلِ مِنْ لَدُنِي
وَاهاً لها مِنْ يدٍ مُبارَكةٍ   فيّاضةِ البِرِّ ثَرَّةِ المِنَنِ
ما كنتُ إلَّا مِنْ غَرْسِها فَنَناً   لو لم تُحِطْهُ بالحِفظِ لم يكُنِ
قد صُنْتَهُ فاستقامَ من أوَدٍ   لولاكَ لم يستقِمْ ولم يُصَنِ
واليومَ يُودى لَفْحُ السَّمومِ بِهِ   بعدَكَ مُنذا يقيهِ مِنْ وَهَنِ

لا خفَّفَ اللهُ ما أُكابِدُهُ   إنَّ سُلُوِّى عنهُ مِنَ الأَفَنِ
وإنَّ قلباً قد كانَ مأمَلَهُ   غيرُ حقيقٍ بالصَّبرِ أوْ قَمِنِ
أيامُ عُمْرِى تجهّمَتْ كَمَدًا   وكان فيها بشاشةَ الزَّمَنِ
واهاً لنفسى مِنْ طولِ وَحْشَتِهَا   ما أَنِسَتْ بعدَهُ إلى سَكَنِ

أوْدَعْتَ فى القبرِ سيرةً كَرُمَتْ   يالِىَ أمنْتُ غيرَ مُؤتَمَنِ
أمَا وَحُبّيهِ مثلَ سِيرَتِهِ   ما شامَ طرْفِى وَلَا وَعَتْ أُذُنِي



الرسالة هي الصديق

كتب الأديب حسين الحوفي كلمة نصّ فيها على أني أخطأت حين قلت « الرسالة الصديق » وساق كلاماً لا ينفع في « فعيل » بمعنى فاعل و « فعيل » بمعنى مفعول ، وسأصحح له هذا الخطأ حين أجد فرصة لا تدعونا فيها « الرسالة » إلى مراعاة الأمر العسكري بتحديد عدد الصفحات !

وأجيب بأن « الرسالة » هي « بُثينة » في قول جميل :

كأنْ لم نحارب يا بُثَين لو أنها تكشَّف غمَّاها وأنت صديقُ

وما وصفتُ « الرسالة » بالصديق إلا وفي خاطري هذا البيت . فهي إلى قلبي حبيب .

زكي مبارك

لمن (رسالة الحج) ؟

قبل ثلاثة أعوام قصدت مكة لزيارة قصيرة وكان لا بد لي من زيارة الصديق الشيخ عبد الوهاب الدهلوي وكانت في يدي نسخة من رسالة الحج ، فسألني الصديق وما تلك بيدك يا حسين ؟

قلت هي « رسالة الحج » لدبلوماسي ، وإنها لرسالة جيدة في أسلوبها وموضوعها . فقال : الأستاذ الدهلوي : هذه الرسالة لي وضعتها باللغة الأردية وطبعتها في سنة ١٣٥٢ هـ باسم « أسرار حج » وأهديتها فيمن أهديت إلى أستاذنا الشيخ عبد الله السندي ، وأنت تعرف هذا الأستاذ ، فله تلامذة نجباء ، وقد أعجبته الرسالة فدفعها إلى أحدهم فترجمها إلى الإنكليزية ، وبقيت في حوزته . وفي اجتماع ضم الأستاذ عبيد الله والأستاذ حافظ عامر قنصل مصر في جدة يومئذ جرى الحديث إلى تلك الرسالة ، فأخذ الأستاذ حافظ الترجمة الإنكليزية وعربها وطبعها ووضع عليها اسم « دبلوماسي »

ثم توالت السنون وأطلعتنا الصحف المصرية أخيراً على تقاريظ لطبعة ثانية من رسالة الحج تقول إنها للأستاذ حافظ عامر وفيها ثناء عليه أعمه كلمة لفضيلة الأستاذ المراغي في أحد أعداد الهلال

فرأيت أن أقول كلمة ترد الحق إلى نصابه : إن رسالة الحج ليست من تأليف الأستاذ حافظ عامر ولا من ترجمته . هي من تأليف الأستاذ الشيخ عبد الوهاب الدهلوي بالأردية ولا تزال تطلب منه في مكة . وأما الترجمة فقد قرأنا في كتاب حياة الرافعي للأستاذ العريان ما معناه ونصه : .الرافعي وحافظ صديقان بلغ من صداقتهما أن الرافعي كان يكتب لحافظ أسلوب المرافعة في المحاكم حينما كان الأستاذ حافظ محامياً في طنطا . وقد ظل هذا التعاون الأدبي متصلاً بين الرافعي وحافظ إلى ما قبل موت الرافعي ... ثم قال : كان ذلك في صيف ١٩٣٥ ، وكان الرافعي يقضي أجازته الأسكندرية ليعاون صديقه السياسي حافظ في إنشاء رسالة دينية . فما رأى الأستاذ حافظ عامر ؟

(جدة) **حسين محمد نصيف**

خُلُقٌ كقطرِ النَّدى صفا وزكا	في السِّرِ مُستَأْمَنٌ وفي العلَنِ
نفسٌ كصافي النَّميرِ مَوْرِدُهُ	ليسَ بذي كُدْرَةٍ وَلا أَسَنِ
مَنْذَا لصِدْقِ الوَلاءِ إنْ طُوِيَتْ	نفسُ وَلِيّ يوماً عَلى دَخَنِ
مَنْذَا لجَزْلِ القَرِيضِ وَا حَزَنِي	مَنْذَا لحُلْوِ الحديثِ واللَّسَنِ
مَنْ للنَّبِي إنْ كَبَا العَثَّارُ بِهَا	والأمرُ أعيَا عَلَى ذوي الفِطَنِ
« ما كان إلَّا دُنيَا مُحَبَّبَةً »	خالِصةً مِنْ شَوائِبِ الدَّرَنِ

أسْعَى إلى قبرهِ يُساوِرُني	شَوْقٌ إليهِ والدَّمعُ يَسْبِقُني
أحْنُو عليهِ أبكيهِ مِنْ أسَفٍ	أَسْقِي ثَرَاهُ بِأَدْمُعِي الهُتُنِ
أمْسَحُ مِنْ لَوْعَتِي بِتُربَتِهِ	مَسْحَ أكُفِّ الحَجِيجِ بالرُّكْنِ
لولا عظامٌ لنــا مُطَهَّرَةٌ	في التُّربِ لم نعترِضْ عَلَى وَطَنِ

« نابلس » **فدوى عبد الفتاح طوقان**

تذكير

كان الأستاذ عمر الدسوقي قد وعد قراء (الرسالة) الزاهرة في معرض مقال له أنه سيتولى كتابة بحث في الأدب اللبناني الحديث معتمداً على تعرفه بالأدب السوري اللبناني أثناء الحقبة التي سلخها في لبنان

ولقد تنظرنا أن يفي الأستاذ بما وعد، ولما يفعل

والأدب السوري اللبناني مفتقر الآن إلى مثل هذا البحث لا سيما أنه لم يُوفَّ من التقدير حقه؛ فمن الناس من أشاد به وأطراه بالغ الإطراء، سواء في الصحف أو في الإذاعة، ومنهم من بخسه حقه وانتقص من قدره

وإلى الآن لم يظهر الرجل الذي يتخذ مذهباً وسطاً، فلا يتبنى الأول وهو مبالغ فيه، ولا يتبنى الآخر وهو مبالغ فيه كذلك.

فلم يبق إلا أن نرجو الأستاذ الدسوقي أن يعتزم الأمر ثانية إن كان تقاعده عنه شغل. ويكون هذا الناقد النزيه، وهذا الباحث العادل البعيد عن التعرض، وعساه يوافينا عما قريب.

(بيروت) سهيل ادريس

«الرسالة الصديق»

جاء في العدد ٤٥٩ تحت هذا العنوان تخطئة لوصف (الرسالة) «بالصديق»، وأن الصواب وصفها «بالصديقة»؛ وقد ذكرت معاجم اللغة صحة وصف المؤنث «بالصديق».

فجاء بالقاموس في مادة «صدق»: (وكأمير الحبيب للواحد والجمع والمؤنث وهي بهاء أيضاً)؛ وجاء بالمصباح: (وامرأة «صديق» و«صديقة» أيضاً)

وجاء بالمختار: (والرجل «صديق» والأنثى «صديقة»، وقد يقال للجمع والمؤنث «صديق»)

إذاً، يصح أن نقول: (الرسالة) «الصديق» و(الرسالة) «الصديقة»... ولعل صحة وصف المؤنث «بصديق» بناء على ورود هذه المادة متعدية، فقد ورد: (صدق فلاناً الحديث والقتال)؛ ومنه المثل: (صدقني سن بكره)؛ فهي حينئذ «فعيل» بمعنى «مفعول»

فعلى هذا يكون ما ذكره الأديب الفاضل من القياس على «الرسالة العظيمة» و«الكاتبة البديعة» بعيداً. إذ الأولى صفة مشبهة: «كشريف» و«ظريف»؛ والثانية وصف لاسم الفاعل الذي على وزن «مُفْعِل»: «كنذير» و«سميع» وكلاهاتين الصيغتين يذكر مع المذكر ويؤنث مع المؤنث.

كلية اللغة العربية علي محمود الشيخ

إلى الدكتور حسني ولاية

لك يا حضرة الدكتور الفاضل أبحاث قيمة تتحف بها قراء الرسالة بين الفينة والفينة، فضلاً عما تخرجه المطابع لك بين الحين والآخر من ثمرات بعضها مؤلف وبعضها مترجم... وكلها تدور حول «علم النفس» وعلاقته بالمجموع العصبي للإنسان، فهل يتكرم سيدي الدكتور بالإجابة عما يلي: وله الشكر أولاً وآخراً

١ - ما هو الفرق بين الأمراض النفسية، والأمراض العصبية، وهل من الضروري أن يكون المريض بأعصابه عليلاً بنفسه؟!

٢ - ما هو القلق العصبي، وما علاقته بنفس المريض؟

٣ - هل نعتبر المجرم مريضاً بأعصابه أم بنفسه...

٤ - ما تعليل قولهم إن لكل شاعر شيطاناً من الوجهة النفسانية؟

٥ - نرى أن بعض مختلي الأعصاب، وبعض المجرمين، ينتجون ذرية صالحة جسمياً وعقلياً والعكس بالعكس... فأين قانون الوراثة هنا؟!

وفي انتظار الإجابة أقدم للدكتور العالم جزيل احتراماتي.

(النخيلي) محمد محمد مالك

إلى الأستاذ العقاد

كثير من الأدباء يتهمون إخوانهم بالأنانية وحب النفس، فأدباء الشيوخ الذين يحتكرون ميدان الأدب لا يبذلون أي جهد في تسديد خطى الشباب الناشئ

ولا أعرف السبب الذي يمنع أديباً مثل الأستاذ العقاد من تأليف كتاب عن الشعراء الناشئين الذين يدل شعرهم على نبوغ وعبقرية مثلما فعل الشاعر الإنجليزي المعروف «و. ب. يتس» الذي كتب عن «روبرت بودج»، «ولتردي لمار»، «هيلار بيلوك»، «ليونيل جونسون»، «أرنست دوسون» في مؤلفه «كتاب اكسفورد للشعر الحديث».

فشيوخ الأدب في أوربا لثقتهم بأنفسهم، وحبهم لفنهم، وإخلاصهم له يسددون خطى الأدباء الناشئين، ويشيدون بذكر الموهوب منهم. فما رأي الأستاذ العقاد في هذا الموضوع؟ وهل يعمل الأستاذ على إخراج مثل هذا المؤلف؟ إنه إن أخرج هذه الفكرة إلى حيز الوجود فسيكون قد أسدى خدمة جليلة للأدب العربي المستحدث بجانب خدماته العديدة التي سبق أن أسداها إليه

كمال الدين نشأت

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين - عابدين



10me Année No. 461

Lundi - 4 - 5 - 1942

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique


بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٤٦١ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٨ ربيع ثانى سنة ١٣٦١ — الموافق ٤ مايو سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

تعليقات وتعقيبات

للأستاذ عباس محمود العقاد

من تعقيبات القراء الأدباء على مقالى فى « ابن الرومى » كلمة كتبها الأديب « ابن درويش » فى (الرسالة) يقول فيها موجهاً الخطاب إلىّ :

« نال منى الدهش لتعصبك لهذا الشاعر ، ولعل هذا راجع إلى أن الأستاذ قد صاحب « ابن الرومى » أكثر مما كان ينبغى لمصاحبته . لهذا كان طبيعيًّا أن يخلع عليه أستاذنا الجليل لقب « شاعر العالم » غير منازع ، وأن يقول إن شعره ليس فيه مغمز لغامز ، وأن إحساسه مرهف غاية الإرهاف ، وتصويره آية فى الإبداع . فما رأى سيدى الأستاذ فى بيتين مشهورين « لابن الرومى » قالها فى روض سقته السحب أو أرضعته فأنبت ألفى رضيع من بنى النضر حيث قال :

سقته تَدِىُّ السحب من مرضماتها
أفانين مما لم تفطره مرضع
كألفى رضيع من بنى النضر ضُمنوا
محاسن هذا الكون ، والكون أجمع

فأى تصوير هذا يا أستاذنا العزيز ؟ وأى استيعاب فنى فيه ... الخ »

***

والأسئلة فيما نرى ضربان : سؤال يوجهه صاحبه وقد اجتهد فى أن يعرف غرض الكاتب فهما سائران فى طريق واحد . وسؤال يوجهه صاحبه وكأنه اجتهد فى نقيض ذلك ، ونقيض ذلك هو ألا يعرف غرض الكاتب وأن يتخذ له وجهة غير وجهته وطريقاً غير طريقته ، فهما مفترقان لا يتقاربان

وأحسب أن الأديب الذى وجه إلىّ ذلك السؤال لم يجتهد فى معرفة غرضى بمقدار اجتهاده فى الحيدة عنه ، فقوّلنى ما لم أقل، واعترض بعد ذلك فى غير موجب للاعتراض

فأنا لم أقل إن ابن الرومى شاعر العالم منازعاً أو غير منازع ، وإنما قلت إنه شاعر « له عالم » ، وفسرت ذلك بأنه قد نظر على طريقته إلى العالم كله فجاءت له فى شعره صورة فنية كاملة . وذكرت له نظراء فى تصوير العالم على طرق مختلفات كالمتنبى الذى نرى فى شعره صورة للعالم من الوجهة العملية ، والمعرى الذى نرى فى شعره صورة للعالم من الوجهة الفكرية ، وغيرهما بين شعراء الشرق والغرب كثيرون

وقد ينفرد ابن الرومى بمزية لم يسبقه فيها سابق من الشعراء الأقدمين والمحدثين فلا يكون معنى ذلك أنه شاعر العالم غير منازع ، لأن المزية كما يعلم الأديب لا تقتضى الأفضلية ، وربما عجز أناس أن يجاروه فى مزيته ويسبقوه فى مزية أخرى أو جملة مزايا لا تقل فى شأنها عما تفرد به وتقدم فيه

وإذا اعترض معترض على رجحان ابن الرومى فى مزية التصوير الفنى فسبيله إلى الاعتراض أن يذكر شاعراً آخر له حسنات فى هذا الباب أفضل من حسنات ابن الرومى وأدل على الملكة الفنية ، وليس سبيله أن يذكر الردىء أو المختلف عليه من كلام ابن الرومى المنسوب إليه

كذلك لم أقل إن شعر ابن الرومى « ليس فيه مغمز لغامز » لأن العلو فى الإجادة لن يمنع الإسفاف في الرداءة ، وابن الرومى نفسه يعلم هذا ويعتذر لرديئه بأبياته المشهورة التى يقول فيها :

قولا لمن عاب شعر مادحه ... أما ترى كيف رُكّب الشجر؟
ركب فيه اللحاء والخشب اليا ... بس والشوك دونه الثمر
وكان أولى بأن يهذب ما يخـ ... ـلق رب الأرباب لا البشر

وهى الأبيات التى افتتحت بها كلامى عن صناعة ابن الرومى فى الكتاب المطول الذى كتبته عنه ، لعلمى أنه يقول الردىء كما يقول الحسن ، وأن المغمز فى كلامه لمن شاء غير قليل

وبعد فمن هو الشاعر الذى يقال فيه إنه شاعر العالم أو إنه الشاعر العالمى إذا كان الإتيان ببيتين من شعره الردىء — على تسليم رداءته — حائلاً بينه وبين التفرد بمزية عالية ؟

من هو الشاعر الذى لا يؤتى له ببيتين بل قصيدتين يغمزها الغامز متى شاء ؟

فليست الطريقة التى آثرها الأديب « ابن درويش » بطريقة الاعتراض المأثورة فيما أرى ، وإنما الطريقة السوية أن نستنفد المحاسن حتى لا نبقى فيها بقية ، وأن نقرن بينها وبين محاسن من قبيلها تفوقها وتربى عليها ... أما ذكر بيتين أو قصيدتين لشاعر من كبار الشعراء فلا يغير الحكم عليه بالغاً ما بلغ الرأى فى استهجان البيتين أو القصيدتين

على أننى لا أذكر أننى قرأت البيتين فى ديوان ابن الرومى ، ولا أراهما مما يعاب سواء نسبا إليه أو إلى غيره ، ولا أعدهما من أبيات الوصف لأنهما أشبه بأبيات التخلص التى يأتى فيها الوصف عرضاً غير مقصود ، وإنما عنيت أبيات الوصف فانتظرت أن « يذكرنى من شاء بأبيات وصفه أبين له ما فيها من عناصر الاستيعاب »

ومع هذا أسأل الأديب : لماذا فهم أن إعجابى بابن الرومي راجع إلى أننى صاحبته أكثر مما كان ينبغى لمصاحبته ؟

إن ابن الرومى لم يكن له ديوان مطبوع يوم كانت دواوين المتنبي وأبى تمام والبحترى وأبى نواس والشريف الرضى وغيرهم وغيرهم مطبوعة متداولة فى أيدى القراء !

فإذا سعيت إلى قراءته مخطوطاً فإنما تكون المصاحبة الطويلة نتيجة الإعجاب وليست هى سبب الإعجاب

فلماذا يكون إعجابى به خطأ لا محالة فلا تفسير له إلا طول المصاحبة ؟ ولماذا يكون رأى الأديب فيه هو الصواب لا محالة لأنه لم يطل مصاحبته ، أو لأنه أطال مصاحبة الآخرين؟

وهل كان يجب أن أقول إن المتنبى أوصف من ابن الرومى لأكون قد صاحبت المتنبى كما ينبغي أن أصاحبه وأصاحب غيره ؟

ولم يجوز التعصب على ابن الرومى بغير سند ، ولا يجوز التعصب له بسند مفصل أو قابل للتفصيل ؟

إن الرجل لكما قلت بين شعراء العالم أجمع ، وإن الذي

ينكر مزيته لطالب بحسنات يثبتها لغيره ترْبى على الحسنات التى ثبتت له فى دواوينه ، فإن لم يستطع فما هو بناض من قدره ولو جاء له بعشر قصائد رديئات ، لا ببيتين أو عشرة أبيات .

* * *

وكتب إلينا الأديب « حسن محمد عبد الله شرارة » من بنت جبيل بلبنان يقول بعد مقدمة نشكره عليها : « ... ألا ترون أن بين ابن الرومى وأبى نواس صلة من الصلات أو وجه شبه كبير أو قليل ؟ فالدقة التى تتراءى فى شعر ابن الرومى والشمول الذى يبين فى معانيه يهيمن على خمريات أبى نواس ويشيع فيها . وكذلك الناحية الوصفية والتصويرية التى امتاز بها ابن الرومى قد امتاز بها أبو نواس على ما بين النفسين من تقارب فى هذا القلق والاضطراب والتعقيد . فخذوا أية خمرية من خمريات أبى نواس وغيرها أيضاً ترون ما أنا ذاهب إليه من هذه الدقة والسلاسة والعالمية والشمول ثم الإبداع الشعرى العظيم ... »

ورأيى أن أبا نواس وابن الرومى يتقابلان ولكنهما لا يتماثلان ولا يحسبان من « مدرسة » واحدة إذا قسمنا الشعراء إلى مدارس كما يقسمهم النقاد الغربيون

فابن الرومى حس متوفز ، وأبو نواس لذة حسية . ومن هنا يتلاقيان ، ومن هنا كذلك يفترقان

فابن الرومى يطلب اللذة الحسية لأنه يطلب كل ما يشغل الحس ؛ فهو وأبو نواس فى هذا متلاقيان

ولكن أبا نواس لم يطلب الحس لغير اللذة ، ولم يشغل حسه بغير المتعة ، فهو وابن الرومى فى هذا مفترقان بل جد مفترقين .

ما ذا يبقى من أبى نواس بعد المتعة الحسية ؟ ... لا شىء !

وما ذا يبقى بعد المتعة الحسية فى ابن الرومى ؟ يبقى الحس كله ، ويبقى ابن الرومي كله ، وتبقى لنا نفس إنسانية تعرف الآلام والمتع ، وتعرف المحاسن ولو لم تستخرج منها اللذات المتمات ؟

فلولا اللذات لما بالى أبو نواس بأن يحس الحياة . ولكن ابن الرومى يحس الحياة ولو لم تكن فيها لذات ، لأن الإحساس عنده هو الأصل الأصيل ، وليس هو الواسطة التى تنتهى إلى غايات

أين القرابة بين أبى نواس وبين القلوب الإنسانية فى عالم الألم ؟ أين الدنيا وراء مجلس الأنس والشراب ؟ أين الشمس ؟ أين السماء ؟ أين الربيع فى غير معارض المنادمة وما إليها ؟

لكنك تلتى مجالس المنادمة كلها ويبقى ابن الرومى فى دنياه غير منقوص الأداة

فهو معك حيث تكون النفس الآدمية ، وليس أبو نواس معك فى غير مكانه الذى يهواه

وإذا تقابلا فى الحان يوماً فهى مقابلة طريق لا تطول ، ثم يفترقان !

* * *

وعندى بعد ما تقدم تعليق على كلمة عجيبة سيق إلى كتابتها الأستاذ توفيق الحكيم وهو فى قبضة الأديب « الفلاّح » الدكتور زكى مبارك . فقال كلاماً لا يحسن السكوت عليه :

فماذا قال ؟

قال ما معناه أنه « صعب عليه » لأنه لم يجد فى شكرى للدكتور طه حسين تلك الرقة التي كان ينتظرها

وما هى تلك الرقة التى كان ينتظرها ؟ لا أدرى ، ولا أعتقد أن الدكتور طه اهتم بأن يدرى ، أو احتاج إلى رقة الأستاذ توفيق الحكيم التى أوشكت أن تُسيل عبراته ؛ لمَ ، والله لا أدرى ... وقد أدرى ويدرى القارئ معى بعد قليل !

فعندى قصة صغيرة أهديها إلى الأستاذ توفيق الحكيم لأنه رجل قصاص يجب أن يخاطب بأسلوبه

وهى قصة لا تتجاوز بضعة سطور ، ولكنها تفيد

قيل إن الدكتور طه حسين خرج من وظيفته بالجامعة المصرية قبل سنوات ؛ وقيل إنه أثنى على الأستاذ توفيق الحكيم فى بعض ما كتب وهو على جفوة مع رؤساء تلك الأيام ؛ وقيل إن الأستاذ توفيق الحكيم أشفق من مغبة تلك الجفوة فكتب يقول إنه لا يريد مدحاً من أحد . وكان رقيقاً جداً فيما قال ... !

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح

وقيل فى قصة أخرى — لأن القصة الأولى قد انتهت والحمد لله — إن الأستاذ توفيق الحكيم يسيل رقة حين ينكر أن الدكتور طه حسين رفع من شأنه بما كتب عنه ، لأنه أطنب فى وصف أديبة وفى وصف أديب ، فلم يرفع من شأنهما على ما يزعم ، وهما فى الحق أرفع شأناً عند أناس كثيرين من صاحبنا الحكيم !

وأدرك شهرزاد الصباح أو المساء على قصة أخرى تُمثَّل اليوم مع العقاد لأن خصومته قد تشبه خصومة الدكتور طه حسين قبل سنوات

فما الرأى فى تمثيلية تشتمل على فصول كهذه الفصول ؟ أليس فى التمثيل هوى لصاحبنا الحكيم ؟

قد يدرى القارئ الآن ما أدريه وما يدريه الدكتور طه وما يدريه العارفون وأوشك أن يدريه غير العارفين . فلا « يصعب عليهم » كما صعب على مولانا الحكيم !

عباس محمود العقاد

محاكمة « آدم » و « حواء »

فى جلسة سرية

للدكتور زكى مبارك

بين المحسوس والمعقول

سنجد فى حديث اليوم أن الله ظهر « لآدم » و « حواء » بصورة حسية ، وذلك يخالف العقيدة الإسلامية ، فكيف نقبل تلك الصورة مع تنزيه الله عن أن تراه الأبصار ؟

الحل سهل : فنحن نلخّص كتاب شيث بن عربانوس ، وهو كتاب وُضعتْ أصوله فى عهود فِطرية لا تُدرك المعقولات إلا عن طريق المحسوسات ، فهى لا تتمثل الله إلا بصورة حسية تراها العيون

وما وقع فى كتاب « شيث » وقع مثله فى النسخة الموجودة بين أيدى الناس من « التوراة » ، فعبارة التوراة صريحة فى أن الله ظهر لآدم ، وأن آدم وامرأته اختفيا بين أشجار الجنة حياء من ملاقاة الله وجهاً لوجه بعد العصيان

وعلى فرض أن التوراة الموجودة بين أيدى الناس هى التوراة الحقيقية ، وأنها لم تُصَب بتحريف ولا تبديل ، فمن الممكن أن نرجع نصوصها إلى الاستعارة التمثيلية ، كما صنع المفسرون حين وجدوا فى القرآن ألفاظاً لا تساير الروح الإسلامى إلا بعد التأويل .

والواقع أن الإنسانية فى عهودها الفِطرية جسَّمت جميع المعانى ، فقد جعلت لله وجهاً ويدَيْن ، وصورته بألوان لا نرضاها اليوم ، بعد أن ارتقت العقول فصار من السهل أن تؤمن بأن الله ليس كمثله شىء ، وأنه فوق ما تتصور الأوهام والظنون

وما سُقنا هذا التمهيد لقراء (الرسالة) وهم من الخواص ، وإنما أردنا أن نحرر الموقف تحريراً يرفع من طريقنا جميع العقبات لنصل إلى الغرض بسلام وأمان

الجلسة السرية

انزعج فريق من الذين حضروا الجلسة حين طلب آدم أن يحاكم فى « جلسة سرية » ، وأخذ منهم الغيظ كل مأخذ حين أجابه الله إلى ما طلب ، فقد كانوا يشتهون أن يُشبعوا ما انطوت عليه جوانحهم من شهوات الفُضول ، وكانوا يتوقون إلى معرفة ما سيدافع به آدم عن نفسه فى ذلك المقام الرهيب ، وربما كان فيهم من تسوقه ثائرة الحقد إلى رغبة التشفى من آدم وهو مأخوذ بجريرة العصيان

جزع آدم

كان الخوف من شماتة القرود هو الذى حمل آدم على طلب الجلسة السرية ، وفاته أن يذكر أن لعلنية الجلسة حكمة عالية ، فهى تدعو القاضى إلى التلطف فى الاستجواب ، ترفقاً بمن يحاسَب أمام جماهير لا تخلو من أعداء وأغبياء ، وفاته أيضاً أن يذكر أنه سيقف وحده أمام قاضيه ، وللوحدة رهبةٌ تُزيغ البصر وتَعقل اللسان

آدم يقف وحده أمام الله فى جلسة سرية ؟

وأين المحرّضون على المعصية وهم ثلاثة شُخُوص : إبليس والحية وحواء ؟

فإن كان الله يريد إقامة العدل فليطلب حضور المحرِّضين ليلقوا جزاءهم على التحريض

وما كاد هذا الخاطر يطوف بقلب آدم حتى صاح الهاتف :

— آدم ، لا تجمع بين المعصية والجهل

— أنا من العصاة ولستُ من الجاهلين

— إن اعتراضك على الله هو الغاية فى الجهل

— أنا لا أعترض على الله ، ولكنى أطلب إقامة العدل

— وما العدل عندك ؟

— هو أن يحاسَب المحرضون قبل أن أحاسَب

— ومن هؤلاء المحرضون ؟

— الحية وإبليس وحواء . ومهما يكن فلا أقل من أن يحاكم إبليس اللعين

— أترك إبليس فى غفوته ، يا آدم ، ولا توقظ الشر الوسنان

— لا بد من محاكمة هذا اللعين على التحريض

— إبليس لعين ؟

— بشهادة الله

— وكيف انخدعت بأحابيله وأنت تعرف أن الله شهد بأنه لعين ؟

— تلك هفوة أوقعنى فيها الجَدُّ العاثر

— آدم ، لا تجمع بين المعصية والجهل

— أراك تكرر هذه العبارة ، أيها الهاتف ، فماذا تريد ؟

— أريد القول بأن الله لم يعلن غضبه على إبليس إلا لحكمة سامية

— وما تلك الحكمة ؟

— هى أن يرفع الغشاوة عن أصحاب الغرور والغفلة والانخداع

— أوضح ، أيها الهاتف

— إن الله سخّر إبليس لامتحانك ، يا آدم ، وشاءت رحمته بك أن يعلن أن إبليس شيطانٌ رجيم ، لتنقطع حجتك فى الانخداع أو لتأخذ الحيطة لنفسك فتحترس من ذلك الناصح الظنين ... فإذا استطاع إبليس على سوء سمعته أن يحركك إلى العصيان ، فكيف يكون حالك لو كلّف الله بامتحانك أحد الملائكة المقرَّبين ؟

— آه ، آه ، آه ، صَعقتنى أيها الهاتف !

— ما صعقتك ، ولكننى نصحتك ، فاترك إبليس فى غفوته ، ولا توقظ الشر الوسنان

— وماذا يقول إبليس لو ألححتُ فى محاكمته على تهمة التحريض ؟

— سيصمُت صمت الأموات

— لماذا ؟

— لأنه على رأس الشُّرطة السِّرية

— هو إذاً جاسوس ؟

— إن كانت هذه اللفظة تشفى غليلك فاملأ بها مسامع الأرض والسماء !

— أراك تعطف على إبليس مع أنه شاقّ الله بعناد وكبرياء

— لا يستطيع مخلوق أن يشاقّ الله ، ثم يترك له الله أى فرصة للتمتع بنعمة الوجود

— أيرضى الله عن نزغات إبليس ؟

— لو أعلن رضاه لضاعت الفرصة فى امتحانك

— إن رأسى يدور من هول هذا المنطق

— كنت أنتظر أن يدور رأسك من هول ما صنعت بنفسك

— وماذا صنعتُ بنفسى ؟

— انخدعت بنصيحة مخلوق كتب الله عليه اللعنة إلى يوم الدِّين ، فكيف يكون حالك لو خَدَعك مخلوق غير ملعون ؟ إن إبليس فضح نفسه حين قَصَر دعوته على العصيان ، وكان فى ذلك ما يكفى لرفع الغشاوة عن عينيك

— آه ، آه ، آه ، صعقتنى أيها الهاتف !

— وسأصعقك مرة ثالثة فأقول : إنك شهدت على نفسك بالغفلة والحق حين انخدعت لمخلوق مفضوح ، فقد أعلن على رءوس الأشهاد أنه سيزيّن لك ولذريتك وأنه سيغويكم أجمعين ، فما دفاعك عن نفسك وقد صلصل الناقوس بأن إبليس غريمك وأنه سيصرعك حين يستطيع ؟ ما دفاعك وقد وضعت قدميك فوق أشواك سمعتْ أخبارها أذناك ، ورأتها عيناك ؟

— وترى أيها الهاتف أن أسكت فلا أطلب محاكمة إبليس على التحريض ؟

— ذلك ما أراه ، فأنا أخشى أن يظهر لسكان الفردوس أن إبليس أشرف منك

— أشرف منى ؟ وكيف ؟

— لأنه خادعٌ وأنت مخدوع ، فإن لم يكن أشرف منك فهو أقوى منك ، والقوة من علائم التشريف

— وألقى الله وحدى وجهاً لوجه فى هذا المقام الرهيب ؟

— كما لقيته وحدك وجهاً لوجه حين عصيته

— أكان الله يرانى عند العصيان ؟

— ألم تكن تعرف أنه يراك ؟ إن أوزارك بالجهل أوزارٌ ثقال !

— يظهر أنى سأخسر القضية فى ساحة العدل

— لا خسران فى ساحة العدل ، فستفوز بأعظم ربح وهو التأديب

— أترك الحية وأترك إبليس ، وأكتفى بحضور حواء

— لتحاسَب ؟

— لتشهد محاسبتى ، فقد يرى كرم الله أن يعفينى من الذل فما تكرم امرأةٌ زوجها إلا إذا كان من الأعزّاء ، وما أحسب الله يريد أن أهان

يوم الحساب

— من أنت يا هذا ؟

— عبدُك آدم

— وما تلك بيمينك ؟

— أمَتُك حواء

— وفيم حضرتما ؟

— لنقول : « ربنا ظلمنا أنفسنا ، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين »

— من علّمكما هذا الأسلوب من المتاب ؟

— هو بعض ما تلقينا من فيض هدايتك الربانية

— وما الذى كان يمنع من إعلان هذا المتاب بحضور سكان الفردوس ؟

— منع من ذلك الخوف من رفض هذه التوبة على مرأى ومسمع من القرود

— ولكن القرود خلقٌ من خلق ، ومن حقهم أن يشمتوا بالآثمين

— هذه بداية مرعبة ، وأنا أدعو الله أن يتفضل بإمهالى يوماً أو يومين لأستعد للدفاع

— أمهلتك أسبوعاً

وخرج آدم من الجلسة السرية وهو موقن بأن الأمل فى نجاته عزيز المنال !

فما الذى سيقع بعد أسبوع ؟ وهل يُفلح آدم وهو صاحب حواء ؟ نسأل الله الصفح عن آدم ، فما عرفناه إلا فتًى وهّاج الروح والفؤاد

« للحديث أشجان وشجون » زكى مبارك

خسرو وشيرين

في التصوير الإسلامي

للدكتور محمد مصطفى

— ٣ —

تنقل الحبيبان ومن معهما من أفراد الحاشية والجوارى والخدم من مكان إلى آخر، فوق الهضاب المرتفعة وفى السهول وبين المراعى والحقول، وهما فى رحلتهما إلى الريف ببلاد أرمينية، يلهوان بالصيد والقنص وأنواع التسلية والملاهى الأخرى، حتى وصلا إلى شاطئ نهر آراس، حيث تنبعث من الأرض رائحة المسك والطيب، ويجلب الهواء معه عطور الورود والرياحين وشذى الزهور والياسمين، فطاب لهما فى هذا المكان المقام، وأمرا بضرب الخيام. وهناك أقام خسرو مأدبة ثانية لحبيبته شيرين، استمعا فيها لألحان « باربد » وموسيقى « نيكيسا » وهما يرددان أناشيد الغرام، فينطقان بما ينبض به قلب كل من الحبيبين من عواطف ووجد وهيام

وفى صبيحة اليوم التالى لهذه المأدبة، جلس خسرو إلى جانب شيرين أمام إحدى الخيام، وإذا بأسد جائع ينقض عليهما والشرر يتطاير من عينيه، يريد أن ينال من خسرو كأنه يحقد عليه الاستئثار بشيرين الحلوة الجميلة؛ فقام إليه خسرو وهو أعزل من السلاح، وتهيأ ليقابله فى معركة حياة أو موت، بينه — وهو ذلك الملك المتوج على شعب إيران العظيم — وبين هذا الأسد الجائع — وهو ملك الوحوش أجمع وسيد الصحارى والبرارى — فتلقاه وقد شمر عن ذراعيه ليدافع عن حبيبته. ووهبه الحب قوة على قوته، فأمسك الأسد بيده اليسرى من لبدته، ثم هوى على أم رأسه بضربة شديدة من قبضة يده اليمنى كانت هي القاضية عليه. وقد حدث ذلك كله فى طرفة عين دون أن يجد الحارس الواقف على مقربة من الخيمة الوقت الكافى ليهجم على الأسد ويشج رأسه بسيفه. وكانت شيرين قد هرعت إلى باب الخيمة ووقفت به، تنظر إلى « المعركة » واجفة خائفة أن يصيب الأسد خسرو بسوء، ولكنها عند ما رأته ينتصر عليه، ازداد إعجابها بحبيبها واعتدادها به

وفى (شكل ١) نرى[1] خسرو وهو واقف أمام خيمته بجوار مجرى ماء، وقد أمسك بيده اليسرى لبدة الأسد، وتهيأ ليقضى عليه بضربة من قبضة يده اليمنى، وإلى اليمين أسرع حارس لمعاونته، وقد قبض بكلتا يديه على سيف امتشقه ليضرب به الأسد[2]، ووقفت شيرين وعلى رأسها تاج فى مدخل الخيمة تعض يدها وهى تنظر فى لهفة إلى خسرو، وإلى جوارها ثلاث



(شكل ١)

من صويحباتها يرقبن نتيجة « المعركة » ورجل من أفراد الحاشية تقدم لنجدة خسرو. ونلاحظ النقوش الجميلة الواضحة على قماش الخيمة، من فروع نباتية وزهور وصور حيوانات وطيور. وهذه الصورة فى مخطوط لأشعار إيرانية، كتب سنة ٨١٣ هجرية (١٤١٠ م) للأمير اسكندر سلطان حاكم شيراز، وهذا المخطوط محفوظ في مجموعة جلبنكيان

* * *

هكذا مرت الأيام ومضى الوقت والحبيبان يلهوان بالصيد والقنص، وإقامة الحفلات والمآدب، والاستماع إلى الغناء والموسيقى، ويشعران بالسرور والسعادة فى قرب كل منهما

(١) هذه الصورة منقولة عن : S. P. A., V pl. 861 B
انظر أيضا : S. P. A., III, p. 1845—46 و Sakisian, pl. XXX, fig. 44

(٢) نرى هذا الوضع فى الصور المماثلة . انظر مثلا : Binyon — Wilkinson — Gray, p. 65, no. 42 b, pl. XXXII C.

للآخر إلى أن كان ذات ليلة وقد عصف الهوى بنفس خسرو واستبدّ به الغرام فلم يستطع كبح جماحه ، فقرب منها يريد غوايتها ، ولكنها صدته ، وهي تذكر ذلك الوعد الذي قطعته على نفسها أمام عمتها « مهين بانو » الطيبة القلب ، فاستمدت منه الجرأة لتقسو عليه ، وتطلب منه أن يسعى لاسترداد عرش أجداده وأسلافه وينتصر على ذلك المغتصب ، وهو ذلك الملك القوى ، قبل أن يحاول غواية امرأة ضعيفة مثلها .

وكان لهذه الكلمات أثر شديد في نفس خسرو . ففي صبيحة اليوم التالي رحل قاصداً إلى بلاد الروم ، وقلبه ملىء بالحسرة المريرة لفراقه من حبيبته الجميلة . وفي الطريق مرّ على دير فيه راهب يتنسك ، فقرب خسرو من الدير وقال : « أيها الراهب المتنسك ، إني رجل من أهل إيران أقصد حضرة قيصر في رسالة ، فاخبرني بما يصير إليه حالي ، ويؤول إليه عاقبة أمري . فقال الراهب : أنت كسرى پرويز وقد هربت من يد بعض عبيدك ، وسيزوجك قيصر بعض بناته ، ويمدّك برجاله وأمواله فتعود ويهرب عدوّك إلى بلاد بعيدة ثم يقتل بأمرك هناك . فقال : لا كان غير ما ذكرت أيها الراهب ، ولكن متى يكون هذا ؟ فقال : بعد ستة أخرى ، إذا مضت خمسة عشر يوماً من السنة الثانية صرت ملك إيران ، وتسنمت التخت ولبست التاج [(١)] »

وقد كان ما تنبأ به هذا الراهب الصالح ، وتوجه خسرو إلى الملك موريس امبراطور الروم ، فاستقبله استقبالاً حسناً ، ودعاه إلى النزول في « هيروبوليس » فأقام بها . ثم زوّجه من ابنته « مريم » وزوده بجيش قوى ، تمكن خسرو بواسطته من أن ينتصر على القائد بهرام جوبين ، ويلجئه للفرار إلى خاقان الصين ، حيث يقتل بأمر خسرو [(٢)] .

وفي (شكل ٢) نرى الموقعة بين الملك خسرو والقائد بهرام جوبين ، وقد جلس خسرو في هودج على فيل كبير ، وفي يده قوس يسدّد منها سهماً . وإلى جانبه في وسط الصورة معلمه الوزير بُزرجميد الحكيم ، وقد ركب على فرس وفي يده اسطرلاب يحدد به الوقت الملائم لهجوم خسرو على القائد بهرام جوبين ليضربه الضربة القاضية . ونرى المعركة حولهما قائمة على قدم وساق ، والمحاربون يحملون الأعلام وهم على ظهور الجياد ،



(شكل ٢)

يتطاعنون بالحراب والسيوف ويتراشقون بالسهام ، وقد سقط البعض منهم صرعى على الأرض ، وراحت جيادهم تعدو هنا وهناك وهي حائرة . ويلاحظ ما هو واضح في هذه الصورة [(١)] ، من الحركة والحياة ، وما يبدو على سحن الأشخاص فيها من الاهتمام . وهي تنسب للمصور « سلطان محمد » أحد مشاهير مصوري عصر الشاه طهماسب الأول الصفوي ، لما فيها من ميزات امتاز بها أسلوبه في التصوير [(٢)] وهي محفوظة في المتحف الملكي الاسكتلندي

* * *

وللمرة الثانية توّج خسرو ملكا على إيران بعد فرار القائد بهرام جوبين إلى خاقان الصين ، فأرسل إليه خسرو من اغتاله هناك . ولما استتبت أمور پرويز وانتظمت أسباب سلطانه ، وأذعنت الملوك طوعاً وكرهاً لأوامره وأحكامه ، وأظلت على العالمين سحائب عدله وإحسانه ، قسّم الأرض أربعة أقسام ، وأرسل إلى كل قسم منها اثنى عشر ألف فارس ، ممن مارسوا الأمور وكابدوا تصاريف الدهر حتى صاروا أفراد الزمان ، وآساد

(١) عن الشاهنامه ج ٢ ص ٢٠٦ ، انظر أيضاً : Laurence Binyon, P. 18 و E. J. W. Gibb, I, p. 320 — 21

(٢) انظر تفصيل ذلك في الشاهنامه ج ٢ ص ٢٠٧ وما بعدها ، والطبرى ، طبعة المطبعة الحسينية ج ٢ ص ١٣٨ وما بعدها ، ونولدكه ص ٢٨٢ وما بعدها ، وسيكس ج ١ ص ٥١٩ وما بعدها

(١) منقولة عن : Binyon — Wilkinson — Gray, pl. XCIV A

(٢) انظر : S. P. A., III, p. 1876 و B — W — G, p. 137, no. 166

الضراب والطعان، وأوصى السكل بالتيقظ والتحفظ وحفظ الممالك، وضبط المسالك. ثم رزق من زوجته مريم بنت موريس إمبراطور الروم ابناً دعاه بين الناس «شيرويه». ولما مضى ثلاث ساعات من الليل على ولادته، حضر المنجمون عند الملك، فسألهم عن طالع المولود، فقالوا: أيها الملك، إن الأرض تمتلىء من هذا المولود شراً، ولا يحمد أحد سيرته، وهو يمرق عن الدين، ويخرج عن طاعة رب العالمين[1]. وكان ما تنبأ به المنجمون، ولزم شيرويه نحس طالعه، حتى أمر بقتل أبيه خسرو، ثم مات هو بالطاعون كما سيأتي ذكر ذلك فيما بعد



(شكل ٣)

وفي (شكل ٣) نرى خسرو في يوم تتويجه ملكاً على إيران وقد جلس على عرش في منظرة بحديقة غنية بأشجار السرو والفاكهة والزهور والورود. ويحيط به بعض كبار المملكة وهم يتحدثون ويتناقشون، ويقدم لهم الخدم والسقاة الطعام والشراب، ووقف حولهم رجال الحرس ومعهم أسلحتهم، وغلمان «البازدارية» وهم يحملون صقور الصيد. ووقف على سطح المنظرة ستة من أفراد الحاشية يتجادلون ويشيرون إلى أسفل، ويبدو كل منهم أنه يود أن يسبق زملاءه في التعرف على كبار الدولة الواقفين حول خسرو. وهذه الصورة[2] عليها إمضاء

(١) انظر الشاهنامه ج ٢ ص ٢٣٣

(٢) منقولة عن: Laurence Binyon, pl. IX انظر أيضاً: Martin, II. pl. 135 والدكتور زكي محمد حسن، التصوير في الاسلام، اللوحة ٣١ شكل ٤٢

المصور «آقاميرك»، ولكن بعض مؤرخي الفن الإسلامي[1]، يقولون إنه لا يمكن التثبت بوجه قاطع من صحة هذه الإمضاء، بالرغم مما هو واضح في هذه الصورة من الدقة في رسم الزخارف والزركشة على الملابس وغير ذلك مما امتاز به أسلوب آقاميرك في التصوير. ونشأ هذا المصور من أسرة كريمة المحتد في أصفهان، تنتسب إلى آل البيت، ثم رحل إلى تبريز حيث تعلم التصوير على المصور «بهزاد» وكان آقاميرك من الأصدقاء المقربين للشاه طهماسب الأول[2]، ويقال إنه ما زال يشتغل بالتصوير في بلاط هذا الشاه حتى سنة ٩٥٧ هجرية (١٥٥٠م). ويظهر أن المصور قصد بهذه الصورة أن يبيّن ما كان عليه بلاط الشاه طهماسب من الأناقة والبذخ والروعة والجلال، وأنه صوّر الشاه نفسه في شخص خسرو الجالس على العرش، كما يتضح ذلك من سطر الكتابة في أعلى بناء المنظرة. وهذه الكتابة تقرأ «اللهم خلد دولة السلطان الأعظم والخاقان الأعدل الأكرم السلطان ابن السلطان بن السلطان أبو المظفر السلطان شاه طهماسب الحسيني[3] الصفوي بهادرخان خلد الله تعالى ملكه وسلطانه وإلى (كذا!) يوم الدين». وهذه الصورة في مخطوط نظامي السابق الذكر المكتوب للشاه طهماسب بين سنتي ٩٤٦ و ٩٥٠ هـ (١٥٣٩ — ٤٣ م) وهو محفوظ في المتحف البريطاني

(له بقية)

محمد مصطفى
أمين مساعد دار الآثار العربية

(١) انظر: Kübnel, Book Painting, in: S. P. A., III, p. 1874

(٢) تولى الشاه طهماسب الأول ملك إيران مدة ٥٤ سنة (٩٣٠ — ٩٨٤ هجرية). انظر: Zambaur, Manuel, p. 261

(٣) ينتسب ملوك الدولة الصفوية إلى الامام موسى الكاظم من نسل الحسين بن علي رضي الله عنهما. انظر سيكس ج ٢ ص ٢٤٠، وانظر كتابة مماثلة باسم الشاه «عباس الحسيني الموسوي الصفوي» في: G. Wiet, L'exposition persane de 1931, p. 56

قصة رمزية فى فصل واحد

صدى الأجيــــال

للأستاذ فؤاد البهى السيد

المسرح : خيال الإنسان

الزمن : قبيل النوم فى الفترة التى يهوم فيهــا الإنسان بين اليقظة والحلم

الأشخاص : العقل الواعى . الرقيب . العقل الباطن

النظارة : الإنسان

النفس وعاء ترسب فى قاعه مغامرات ونوازع إنسان الغابة الأول ، وغياهب الطفولة المشرئبة إلى الاشباع ، وتطفو على سطحه النوازع المهذبة التى تتمشى وروح العصر . وبين العالمين يقوم الرقيب ، ليمنع فيض ما رسب فى القاع من عناصر العقل الباطن على المنطقة التى خلصت من الشوائب ، وسمت صعدا إلى القمة ، حيث العقل الواعى . وبين اليقظة والنوم يغفو الرقيب أحيانا فينسل عقل الغابة والفطرة الأولى إلى القمة راقصا رقصة الدغل ، مصوراً أحلام البرارى ، بينما العقل الواعى يغط فى نوم عميق .

صدى الأجيال

الظلام يلف الوجود فى شملة كثيفة داكنة ، والانسان قد أغمض عينيه وهجع فى فراشه ، وصمت كل شىء من حوله ، وسكن الوجود وهدأ يقبل النوم عليه خفيفاً لطيفاً كالنسيم ، ويتركه ليقظة نائمة ، وبين تلك اليقظة وهذا النوم يرتفع حوار العناصر من أعماق النفس

الرقيب : صه ، إنك لن تخطو !

العقل الباطن : إنما هى ذكرى الغاب ... ما أرانى أرقص صعُداً نحو القمة ، مجتازاً حدودك محطماً أغلالك . إنما أدور حول نفسى ... تلك سنتى وأنت بها عليم خبير

الرقيب : ما أراك خادعى هذه المرة أيضاً ؟

العقل الباطن : وهل ترانى خدعتك أبداً ؟

الرقيب : لطالمــا غافلتنى ، وتسللت إلى قمة النفس ، وهناك رحت ترعد وتبرق ؛ رحت تستعيد لنفسك ذكرى قد اندثرت وماتت : ذكرى الغاب والدَّغل ، ذكرى البرارى والفطرة

العقل الباطن : أى هراء هذا ؟ أترانى أقوى على مغالطتك ... لقد كنت تغفو فأنسل صعداً ، وتستيقظ فأنسل هابطاً . أتذكر مرة واحدة خطوت فيها أمامك وأنت يقظ متسنم قمة النفس — إنى لأحترمك ولا أقوى على فعل ما تأباه وأنت يقظ

الرقيب : أنت تخشانى وترهبنى فقط . ما أغرب منطقك ، إنك دائماً تغالط !

العقل الواعى : أرى عراكاً وأسمع صخباً ... لقد اختلط الوجود حيالى ، فلا أكاد أميز شيئاً ، من يدرى ؟ لعله حلم بعيد لم يستكمل نموه بعد

الرقيب : (وقد اقترب صوته واستبان) صه !

العقل الباطن : ... ...

العقل الواعى : ما وراءك يا رقيب ؟

الرقيب : لا شىء ... لا شىء ... إنما كنت أشهد عراك العناصر ، عراك الأجيال السجينة

العقل الواعى : ما أرانى أفهم عنك

الرقيب : (وقد أخذ صوته يخفت ويبعد شيئا فشيئا) ... أحقاب وعصور وأجيال سجينة هناك فى الأعماق ، تجاهد وتكافح لتصخب وتضج على مسرح وجودك لكنها لا تفلح فى عبور القناة التى بناها الزمن وأقامتها الحضارة ، فتعود لترقص وتدور حول ما يصوره لها وهمها أنه الحاضر

العقل الواعى : ما أرانى أفهم عنك أيضاً ، بل ما أرانى أكاد أسمعك

الرقيب : إنه عراك ... سمه كيف شئت ... سمه يقظة الماضى ، أو سمه حلم الزمن ، أو سمه ...

العقل الواعى : (وقد أخذ يغط فى نوم تقطعه يقظة يتلوها إغفاء) ماذا ... عراك ... ماضى ... زمن

العقل الباطن : (مخاطبا الرقيب) ترى ماذا بينى وبينك ؟

الرقيب : لا شىء

العقل الباطن : ما كنه هذا العداء الذى تضمره لى ؟

الرقيب : من قال إنى أعاديك ، إنى أمنعك فقط

العقل الباطن : ولماذا تحرمنى الحرية . . . لماذا تحرمنى النور ؟

الرقيب : بل قل لماذا أحرمك الظلام ، أتراك تحيا فى النور أنت ابن الماضى الذاهب فى القدم . . . أنت ابن الظلام . . . ابن الكهف والغار . . . أنت ابن . . .

العقل الباطن : ليكن من أمرى ما يكون ، فلماذا تقف بينى وبين التصعيد ؟

الرقيب : لماذا ؟ ما أعجب أمرك ! طبيعة الحياة الحاضرة ... الوجود كله يقف الآن بينك وبين ما تريد ... لقد تبدل العالم وتغير . لقد دار الفلك دورته ، وتغيرت الأرض غير الأرض و ...

العقل الواعى : فلك ... أرض ... ما لك تهذى اليوم هكذا ؟

العقل الباطن : ... ...

الرقيب : دع الفلك والأرض والهذيان ... ها أنت قد أوشكت أن تنام ...

العقل الواعى : أ ... نا ... م ...

الرقيب (لنفسه) : ما أقسى الحراسة وكل ما حولى يغرى بالنوم والإغفاء والراحة !

العقل الباطن (مخاطباً الرقيب) : لقد نام الطفل

الرقيب : بل قل قد نام الجبار

العقل الباطن : جبار (يقهقه ضاحكا بخشونة) إنه طفل ، إنه صنع يدىّ هاتين ... أنا الذى منحته الوجود والحياة ... فى البدء تآلفت ذراته وتجمعت ثم خفت فطفت وكانت قشرة ، وتركزت فهبطت فكنت القاع واللب

الرقيب : قل ، صفا وتنقى فطفا : وحملت الشوائب وحدك فرسبت

العقل الباطن : ليكن من أمر خلقه وخلق وتكوينه وتكوينى ما يكون فهو ما فتئ طفلاً وأنا ما زلت جباراً

الرقيب : إذاً فما أغربه طفلاً يهيمن على جبار !

العقل الباطن : (يهبط متكفئا متركزاً نحو القاع)

الرقيب : يرى أين ذهب الجبار ، أعنى الطفل الذى تمخض عن الجبار

(يهفو من بعد صوت مضطرب فيه حدة وفيه لين ... تستبين النغمات وتنسجم فاذا دوى طبل وأنة ناى ...)

(الرقيب لنفسه) : لقد راح العقل الباطن يرقص فى الأدغال ، لعله عاد إلى عالمه وماضيه الذى فيه يحيا ويتنفس ... بل لعله سئم الحوار ويئس من الإقناع

العقل الباطن : (يدور مبتعداً فاذا النغمات صدى يتردد فى جوانب النفس من بعيد ، وينأى فاذا نغماته وإذا صداه صمت وهدوء وموات ... يدور ويقترب فتعلو ألحانه ويصخب ضجيجه)

الرقيب (وقد خدرت هذه الألحان أعصابه) : أف ! ما أقسى الحراسة ، وكل ما حولى يغرى بالنوم والإغفاء والراحة

(يهوم نائماً ، ثم يستيقظ فزعا ، ثم يعود ليهوم ويغفو على ألحان الناى والطبل)

العقل الباطن : (تنسل عناصره فى خفة ولين وحذر ، تخطو متدثرة مستترة فى صبغات وألوان وأشكال وخيالات لتموه على العقل الواعى حتى لا توقظه فيطردها ... تخطو وتطفو صعداً ... ...)

... ...

وكانت إغفاءة... وكان حلم ! ؟

فؤاد البهى السيد

ذكري ميلاد الرسول

للأستاذ محمد يوسف موسى

[بقية ما نشر في العدد ٤٠٨]

يقول ابن إسحاق فيما يرويه ابن هشام في سيرته : إن عبد المطلب جد الرسول قد نذر — فيما يزعمون — لئن وُلد له عشرة نفر ثم بلغوا مبلغ الرجولة لينحرن أحدهم لله عند الكعبة . فلما توافى بنوه عشرة وصاروا رجالاً ، جمعهم وأخبرهم بنذره ودعاهم إلى الوفاء به ، فأطاعوا وقالوا : كيف تصنع ؟ فذهب بهم إلى هُبل — أعظم أصنامهم وكان مقاماً داخل الكعبة — وأقرع بينهم بالقداح ، فخرج القدح على عبدالله أحب بنيه إليه ، فأخذه والده إلى إساف ونائلة — وكانا كذلك صنمين — وأخذ الشفرة وهم بذبحه ، فقامت إليه قريش وبنوه ومنعوه ما أراد من الأمر الجلل ، وانتهى الأمر باستشارة عرافة لعلها تأمر بما يكون فيه من هذه الكارثة مخرج ، فأشارت عليهم بأن يقرعوا بين عبد الله وعشر من الإبل — وهي مقدار الدية — فإن خرجت القرعة على الإبل نحروها ونجا عبد الله ، وإلا زادوها عشراً ثم عشراً حتى يرضى الله . وأخيراً رجعوا وظلوا بقوامهم يستوحونها وفي كل مرة يخرج القدح على عبد الله ، حتى بلغت الإبل مائة ، فخرج القدح عليها ثلاث مرات متواليات ، فنحروها فداء عنه ، وكان فرح عظيم [1]

هل ترى سخرية أكبر من هذه ؟ كبار العقول والأحلام يحكمون ما صنعوا وأقاموا من أصنام في أنفسهم وبنيهم ودمائهم ! « ولقد كان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذه ربًّا ، وجعل الثلاث الباقيات أثافيّ لقدره ، وإذا ارتحل تركه ، فإذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك [2] »

(١) « سيرة ابن هشام » طبع مصطفى محمد ج ١ ص ١٦٤.

(٢) كتاب « الأصنام » لأبي المنذر الكلبي طبع دار الكتب ص ٣٣

وإذا كان العرب — كغيرهم من الأمم — من الناحية الدينية والناحية الاجتماعية في حاجة إلى دين جديد يخرجهم من الضلال للهدى ومن الظلمات للنور ، وينقذهم مما تردوا فيه من جهالة جعلتهم عبيداً لما يصنعون من أصنام وأوثان . هذا الدين الجديد كان الإسلام الذي يتفق والإنسانية التي بلغت النضج الكامل . جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، فاضطرب لمولده رجال اليهودية والنصرانية ، إذ رأوا فيه قضاء على ما كان لهم من حول وسلطان

هذا الدين كان حرياً بنا أن نعتز به ونهتدي بهديه ، وقد رأينا كيف جعل من العرب المتمادين المتقاطعين أمة متماسكة متحدة ملكت في سنوات معدودات بلاد فارس والروم ، وكيف قدم للعالم مبادئ وتشريعات فيها الصلاح كل الصلاح والخير كل الخير ، وكيف أسس حضارة لا تزال مضرب الأمثال

نحن — وسائر المسلمين في العالم من أدناه إلى أقصاه — نحتفل كل عام بميلاد محمد صلى الله عليه وسلم ، ونلقي في كل ما نقيم من حفلات ما يأخذ بالأسماع والألباب من النثر والشعر ، فنظن أننا بهذا قضينا واجب الذكرى بخاتم النبيين الذي كان بعثه بشير رحمة للعالمين . لا ، والله ، لن نقضي حق هذه الذكرى المجيدة إلا إذا كنا أهلاً لهذا الدين الذي نشرف بالانتساب إليه ، وإلا إذا أخذنا بتشاريعه وآدابه وتقاليده . وإن أمة لا تعدل إلا الكلام تنمقه ، والمآثر تعددها ، والتاريخ تنقر عنه في حسرة وألم ، لهي أمة مقضي عليها بالانحلال . لقد صرنا في زمن يعتبر فيه طلب التشريع الإسلامي ضرباً من العبث ، والمناداة بتقاليد الإسلام عودةً للرجعة . وهؤلاء الذين يرموننا بالعبث والرجعية يرون الخير في أن يأخذوا من تقاليد أوربا وحضارة أوربا التي نشاهد مبلغ ما صارت إليه وما فعلت بأصحابها ! وهم مع هذا كله يحتفلون بميلاد الرسول وبهجرته وبكل ذكرياته وأيامه المجيدة ، ظانين أنهم بما يلقون أو يسمعون من الخطب قد قضوا ما عليهم من واجب !

لمحمد صلى الله عليه وسلم الذي نتذكر هذه الأيام من كل

عام مولده هدىً وسنن فى كل نواحى الحياة ، وللدين الذى أرسل به تشاريع تناولت جميع الشئون ، ونجاحنا فى هذه الحياة وسعادتنا فيها فى الدار الآخرة رهن بإتباع هذا الدين فى الجليل من الأمر والحقير ، وكرامتنا كامنة لهـا مقوماتها وخصائصها فى أن نلجأ إلى هذا الدين وحده ، نأخذ منه مانحتاج من تشريعات وقوانين وتقاليد هي مجلبة للعزة والفخر .

يبدأ الاحتفال وينتهى فى القليل من الزمن ، ويعود كل من المحتفلين إلى داره . فليتذكر كل منا إذن إذا ما خلا بنفسه بعد أن انفض الحفل : أنه مسلم ، وإنه منذ ساعات كان الاحتفال بذكرى ميلاد نبي الإسلام ورسوله ، وإن هذا الإسلام يوصى — فيما يوصى به — بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإن كان فى ذلك غضب الرؤساء وأولى الأمر ، وبالرفق بالفقير وإعطائه حقه ، وبالإخلاص لله فى السر والعلن ، وبعدم خشية أحد إلا الله مالك الأمر كله ، وبعدم استخذاء الإنسان فلا يذل لغيره من المخلوقين مثله ، وبالغضب لله كلما امتهن شيء من دينه أو ديست شرائعه ، وباعتبار الناس جميعاً إخوة لا فرق بين جنس وجنس ما داموا جميعاً تحت راية الإسلام . فإذا تذكر هذا كله ، فليسأل نفسه : أين هو من هذا الذى يأمر به الإسلام ؟ وهل هو مؤمن حقاً يفهم الدين ويعمل به ؟ أم مسلم لأنه ولد فى أسرة مسلمة ونشأ فى بلد إسلامى ؟ بعد هذا إن عرف من نفسه أنه مؤمن حقاً بقلبه وعمله ، فليحمد الله وليعلم أنه يحتفل بقلبه وعمله فى كل حال بالإسلام ورسوله وبمولد هذا الرسول وبعثته ، ما دام يعرف الدين ويعمل به ، ويحترم الرسول ويعمل بسنته وهديه . وإن عرف من نفسه غير ما تقدم ، فليعلم أنه مراء يظهر الاحتفال بصاحب الإسلام ويمتهن الإسلام ورسوله بالإعراض عما جاء به من هدى وشرائع وسنن وآداب ، وليندم وهو فى سعة من أمره ، وليعزم على أن يكون فى غده خيراً منه فى يومه . هدانا الله سواء السبيل ، ووفقنا إلى الصراط المستقيم .

محمد يوسف موسى

المدرس بكلية أصول الدين

مراسلات . . .

اختلاف الأزهريين

يختلف الأزهريون فى آرائهم كما يختلف سائر الناس . واختلاف الرأى أمر لا بد منه فى قضايا العلم والبحث ، ولكن الظاهرة الغريبة التى أصبحت شأناً من شئون الأزهر الخاصة ، وعلامة من علاماته المميزة ، هى التفاوت البعيد فى النظر إلى الأشياء والحكم عليها ، مع أن القوم يشربون من معين واحد ، ويصدرون عن ثقافة ما ترى فى أصولها من تفاوت : يرى الرجل منهم أو من غيرهم رأياً فيعلنه للناس فاذا أهل الأزهر فيه فريقان يختصمون : هذا يرفعه إلى السماء ، ويصفه بأنه رأى عظيم يرجى منه الصلاح ويرتقب فيه الخير ، وذاك يخفضه إلى الأرض ويراه شراً مستطيراً وفساداً يجب أن يوقي الناس خطره ويجنبوا ما فيه من وبال ! ولم يغب عن القراء ما كان من أمر جماعة كبار العلماء فى « فتوى الأربعاء » ثم فى « برنامج الإصلاح » . وقد نشر عالم فاضل فى « الرسالة » بحثاً جيداً عن « شخصيات الرسول » فوقف الأزهريون منه موقفين متناقضين : قالت طائفة منهم : لم يأت بجديد ؛ وقالت طائفة : إنه قال بما لم يقله أحد من قبله ! ولو اقتصروا على هذا الخلاف فى الشكل لهان الأمر ، ولكنهم اختلفوا أيضاً فى الموضوع اختلافاً بعيداً ، فمنهم من رآه فتحاً فى الدين عظيما ، ومنهم من رآه شراً مستطيراً ، وناراً توشك أن تلتهم الأخضر واليابس !

والأزهريون قوم مؤمنون ، والمؤمن سريع الغضب ، سريع الرضا ، ولذلك غضبوا على الأستاذ الإمام محمد عبده فرموه بالكفر والإلحاد ، ثم رضوا عنه فهو الآن من الأئمة المصلحين . والأستاذ الأكبر المراغى كان خارجاً على الدين وهو رئيس للمحكمة الشرعية العليا ، ثم عاد إلى الدين فجأة بعد توليه مشيخة الأزهر ! والزيات ، وطه حسين ، والعقاد ، وشلتوت ، والزنكلونى ، ومبارك ، وهيكل ، وغيرهم قد ذاقوا من ذلك ما ذاقوا . ولست أدرى : أفى الأزهر الآن جماعة مرشحون لهذا الغضب ؟

اللهم حوالينا ولا علينا !

محمد محمد المدنى

نحو المحور الاسلامى

للأستاذ صالح جودت

وعبقريٍّ مُبْدعٍ فنّه … من عالمٍ فوق نُهى الآخرهْ
ما علّموه الشعرَ لكنه … لألاؤه من روحه الشاعرهْ
حديثُهُ السحرُ سوى أنه … من غير وَحْي الجِنّة الكافره
من العبير القُدْسِ افتنّهُ … ومن رُبى إلهامه العاطره

قام إلى قومٍ عُفاةٍ نيامْ … بشِرعة الحق ودين السماحْ
ينشر فى الأرض لواء السلام … ويمحق الظُّلمَ بحد السلاحْ
عقيدةُ الأحرار تمحو الظلام … وترسل الروحَ طليقَ السراح
ألا لوجهِ المجد هذا القيام … وفى سبيل الله هذا الكفاح ؟

فى زُمَرٍ مُختلفات القبيلْ … قلوبها شتّى فلا تلتقى
لم يَكُ للمجد إليها سبيلْ … ينهض فى تاريخها المُمْلَق
طافت بها مُعجزةٌ للرسول … تعقد تاجَ الأرض لِلْمَشرق
وتنزع الحقَّ من المستحيل … بالوحدةِ الزاهرةِ الرونقِ

مَنْ ذلك الأمِيُّ من « يَعْرُبِ » … يحلم فى الأرض بمجد السماءْ
ويبعث الصيحة فى « يَثْرِبِ » … فيحشد الأمّةَ حول اللواء
يا عَجَباً من سِحْر هذا النبى … العبقريّ الفَرْدِ فى الأنبياء
كيف مَضَى بالبلد المجدبِ … للملكوتِ بين قَرْنَىْ ذُكاء ؟

يا سيرةً من غابر الأعْصُرِ … خفّاقةً خلف حجاب السنينْ
لم تَخْفَ عن كسرى ولا قيصرِ … وإن طوتْها غفلةُ الحاضرينْ
عُودى إلى أقوامنا وانظرى … ما تفعل الفُرْقةُ بالهاجرين
لم يبقَ إلا أَمَلٌ ينبرى … ضياؤه اللماح من « عابدين »

فى ناظِرَيْهِ موعدٌ للوفاقْ … ومن خلال الغُرْبِ صدقُ الوعودْ
يُهيب بالشام ويدعو العراقْ … ويبسط الكَفّينِ لابن السُّعود
سِيرُوا إلى ميعاده يا رفاقْ … وحققوا وحدتكم فى الوجود
قد ساد أعداءٌ لنا فى الفراق … وآنَ فى وحدتنا أن نسود

لُوذُوا بحبل الله واستعصموا … بالعُروةِ الوُثْقى ولُمُّوا الشتاتْ
وَلْيَنْتَظِمْكُمْ مِحْوَرٌ مُسلمُ … تسمو أمانيه بأم اللغاتْ
لا يَثْنِكُمْ يأسٌ فتستسلموا … له فإن اليأسَ صِنْوُ المماتْ
إن لم تَفُزْ بالمجد أيديكمُو … فلن تنالوا المجدَ بالمعجزات !

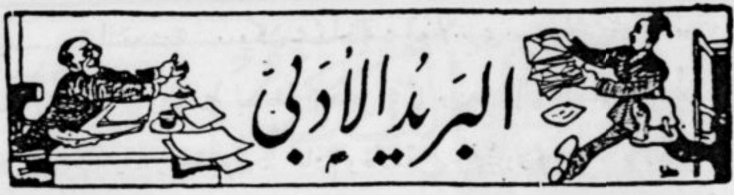
صالح جودت

الحـــرب في البحر

للأستاذ محمود البشبيشى

[لا يعنى إخفاق هذه القصيدة فى مسابقة الشعر العربى من إهدائها إلى جهرة أهل الأدب ، وبخاصة الأستاذان الفاضلان : صاحب (الرسالة) والدكتور زكى مبارك] :

يكاد اليم ينتــثر انتثاراً … إذا ما عاصفٌ منها أغارا !
جبالٌ فى المحيط تسير هوناً … وفى الهيجا سهامٌ لا تجارى
وفوق اليم تحسبها قصوراً … تميس إذا عصوف الريح ثارا
تخب عرائساً ، وتخف أُسداً … وتفتك جنة وتشب نارا !
تدك مدائناً عزت وطالت … فتنسفها وتذروها غبــارا
إذا انطلقت تدفعت الدواهى … وإن دارت رأيت الموت دارا
وإن شامت بوارق من عدو … مضت للهول ترتقب انتصارا
يحوم فوقها طيرٌ مريد … عنيد لا يرد ولا يبارى !
إذا احتدم القتال رأيت جناً … توثب للردى ومضى وطارا !
وفى جوف الخضم لها وليد … يروع البحر فتكاً واقتدارا
تسرب فى المحيط أذى وشراً … وعاث بموجه وبه توارى
مع الحيتان يسبح مطمئناً … ومن نتكاته الكون استجارا
ويرنو للسفين بعين غدر … خؤون فى الخديعة لا يجارى
وإن يرم السفينة خلت طوداً … ترنح ثمت انفجر انفجارا
وكم ليل ببحر الروم كادت … له الأفلاك تنتثر انتثارا
تقاذفت البوارج فيه ناراً … فريع النجم وانكدر انكدارا



من الدكتور عزام

يا أخي صاحب الرسالة

السلام عليكم

كتبت مقالي الأول عن الصوفية آملاً أن أتابع الكتابة في هذا الموضوع الجليل ، ثم قضت أمور أن أستأنف سفري إلى بغداد الذي أزمعته منذ شهرين . فإن انفسح الوقت أرسلت مقالاتي من دار السلام ، وإلا فموعدنا العودة القريبة إن شاء الله . وفي مأثور كلام الصوفية : « الصوفي ابن الوقت » . وفي هذا يقول جلال الدين :

صوفي ابن الوقت باشد أي رفيق

نيست فرد ا كفتـه أزشرط طريق

(يا رفيـقي ، الصوفي ابن الوقت ،

وليس من شرط الطريق أن تقول غدا)

فنسأل الله أن ييسر لنا الأوقات ويهيئ لنا خيرها

والسلام ... **عبد الوهاب عزام**

آفة أدبية فأين المبادئها ؟

أحسن الأستاذ الفاضل طه الراوي في إزالة ذلك الوهم الشائع من نسبة موشحة مشهورة إلى ابن المعتز ؛ في حين أنها من آثار أحد شعراء الأندلسيين ... ومثل هذا الوهم كثير الورود في الأدب العربي ، ولقد تغاضى عنه الرواة ، واستساغه الأدباء على مختلف العصور ، حتى أصبح آفةً لا مخلصَ للأدب منها ؛ وهي آفة تفرّد بها أدبنا العربي دون آداب الأمم جميعاً ؛ ولم تمنعها شهرةُ بعض شعرائنا وجرَيان قولهم على الألسنة من أن تحرمهم ثمار بعض هذه الآثار الرائعة التي كفلت لأسمائهم الخلود .

فهذا أبو تمام يصف الخمر في إحدى مدائحه بقوله :

يخفى الزجاجةَ لونُها فكأنها في الكف قائمة بغير إناء

ولها نسيم كالرياض تنفستْ في أوجُه الأرواح بالأنداء

... ثم نجد البيتين بنصهما في قصيدة للبحتري ؛ فما ندرى أنلوم الشاعر على تجرّيه ، أم نلوم جامع ديوانه قلّة تحرّيه ... والأبيات المشهورة التي أولها :

قالوا : هجرتَ الشعر قلت : ضرورة

باب البواعث والدواعي مغلقُ

... ينسبها أدباؤنا الأفاضل جامعو (المنتخب) إلى أبي المظفر محمد بن احمد الأبيوردي ؛ في حين يُوردها البستاني في دائرة معارفه منسوبةً إلى أبي إسحق الغزّي الأشهبي . وقد مات أول الرجلين عام ٥٥٧ والثاني عام ٥٢٤ ؛ وكلاهما عاش في خراسان ، مما قد يشير إلى مصدر هذا الالتباس في آثارهما .

وأعجب من هذا أن قصيدة واحدة يدعيها أكثر من أربعين شاعراً ، وهي النونية التي مطلعها :

صاح في العاشقين يا (لكنانه) رشأ في الجفون منه كنانه

فلو أبصرتها والليل ساج خلت الشهب تنحدر انحدارا

تراها خردًا عقدت عليها قباب الماء تنهمر انهمارا

وآونة ترى أتون نار تفجر صاعقًا ورمى دمارا

يجن الموج من فرق إذا ما رأى الأطواد قد طوت البحارا

تقحم لا تهاب كأن بحرًا من الآساد فوق البحر مارا

تزاور في العباب تروم فتكاً كخيل في الوغى شقت غبارا

فطورًا للردى تمضي يميناً وطورًا للردى تمضي يسارا

ترى طودًا يغير على سواه تأمل هل ترى طودًا أغارا ؟

على جنباتها أسدٌ كبار تصاول مثلها أسدًا كبارا

تحف بها ولائد ضاريات كما هيجت أشبالاً صغارا

قذائف تملأ الأعماق رعباً وتنسج من شظاياها ستارا

تكر على العدو مدمرات وتبعث من جوانحها الدمارا

تمزق ستر حالكة الدياجي وتكسو صفحة الإصباح قارا

فرب قذيفة عصفت بليل فهب الليلُ يلتمس الفرارا

وتقرمي اليم أكبادًا رطابا وتودعه النفائس والنضارا

ربيب العلم ويحك بعض هذا طويت شرائع الدنيا احتقارا

ألا نفس ترد الحرب سلماً وتجعل ظلمة الدنيا نهارا !

محمود البشبيشي

هذه أمثلة لدينا عشرات منها ، وقد يتجمع لدى بعض الأدباء منها مئات ومئات ؛ أفليس من الواجب تطهير الأدب من كل هذا ، حتى تستقيم طرائفه ، وتتضح معالمه ، وتزول عنه آخر سمة من سمات الفوضى والاضطراب ؟

نحن أحوج ما نكون إلى هيئة أدبية تشرف على هذا العمل ، لأنه مما لا يُجتزأ فيه بجهود الأفراد ، أو يكتفى فى مثله بإشارات الأدباء وتلميحات المتأدبين .

(جرجا) محمود عزت عرفه

فى « دعاء الكروان »

رأيت فى قصة « دعاء الكروان » للدكتور طه حسين بك غلطة نحوية أحببتُ نشر تصويبها فى (الرسالة) وها هى ذى :

فى (ص ١١٢ س ١٧) قال الدكتور طه : ودتْ عليهم آمنة التى رأت الشر بشعاً والإثم « عريان » والجرم منكراً . اه والصواب أن يقول : والإثم « عرياناً » ؛ وإنه ليخيل إلىَّ أن كلمة « عريان » التبستْ عليه فظنها غير منصرفة ؛ والصواب هو أن « عرياناً » منصرفة لأنها صفة على وزن فعلان وتؤنث بالتاء نحو « ندمان » ومؤنثة « ندمانة » ؛ و « عريان » ومؤنثة « عريانة » . أما الصفات التى على وزن فعلان ومؤنثها على وزن فعلى فهى التى لا تنصرف نحو « عطشان » ومؤنثة « عطشى » . فهل نسى الدكتور بيت الألفية :

وزائدا فَعلانَ فى وصف سلمْ من أن يُرى بتاء تأنيث خُتم ؟

« بغداد » ضياء شيت

تناقض

تحدث الدكتور زكى مبارك عن مجلة (الرسالة) الغراء ، فقال فيما قال : « الرسالة الصديق » ؛ فخطَّأه بعض الأدباء ، فرد هو وغيره بأن معاجم اللغة تصوِّب هذا التعبير ؛ وقد كان الأديب الذى اعترض على الدكتور يستطيع أن يجعل نقده فى الصميم ؛ فيقول : إن الدكتور زكى مبارك بتعبيره السابق قد ناقض نفسه إذ يذكر القراء أن الدكتور قام منذ حين بحملة لغوية جال فيها وصال على صفحات هذه المجلة لكى نسير باللغة العربية إلى « التقعيد » ... وكان مما قاله : إنه لا يرى معنى لاتحاد وصف المذكر والمؤنث بصيغة « فعيل » ؛ وذهب إلى أن الواجب أن نفرق بينهما فنقول : خادم وخادمة ، وعجوز وعجوزة ، وصديق وصديقة ، وجريح وجريحة ، وقريب وقريبة ... الخ . مخالفاً فى ذلك ما يكاد يكون مجمعاً عليه فى هذه المسائل ؛ فكيف يأتى اليوم ليحتج بأقوال المعاجم ؟ وكيف يناقض اليوم ما قاله بالأمس ؟

كلية اللغة العربية « أ . سهد »

كتابان جديدان

أصدرت حديثاً مطبعة (فتى العرب) فى دمشق كتابين جديدين للقصاص البارع الأستاذ معروف الأرناؤط ، أولهما « طارق بن زياد » ، والثانى « فاطمة البتول » ؛ وهما بأسلوبه القصصى الفذ المعروف لدى قرائه فى كتابه « سيد قريش » ؛ ولعلى أتحدث إلى القارئ الكريم عن أولهما ، إن يتسع لذلك صدر (الرسالة) ، وأغلب ظنى أنه سيتسع ، فهى مجلة العرب كافة توغل فى ديارهم وتحدثهم بما يقولون

« شرق الأردن » محمد سليم رشدان

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٨ يناير سنة ٩٤٢ فى القضية رقم ٤٤٢ سنة ٩٤٢ ضد زكى محمد ابراهيم خباز بالموردة بأبو حمص بتغريمه ١٠٠ قرشاً مائة قرشا والنشر على مصاريفه لبيعه خبزا بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة



الآخر ...

للكاتب القصصي أرثور شنيتزلر (*)

ARTHUR SCHNITZLER

وحدى !... وحدى !...

أنا جالس إلى منضدتى ، والمصابيح تتقد ... الباب المؤدى إلى غرفتها مفتوح ، ونظرى يسبح فى ظلام الغرفة ... الأضواء الشمشمة المنبعثة من الدور المقابلة تنعكس على زجاج نافذتى . . . يا الله !... كل شىء قد تبدل ، وأى تبدل !... كانت تسبل بعناية ستائر مكتبى ، وتدنى بعضها من بعض لتمنع عن تقاربنا ، فى غيرة لا توصف ضوضاء الشارع والأنوار المجاورة ...

الساعات تمر ، طفت فى غرفتى ، ثم طفقت أطوف فى غرفتها فتمددت على كرسيها الطويل بدون حراك ، وأخذت أصوب نظرى إلى النافذة ، التى تكشف لي عن عالم أصبح بعدها عديم الأهمية ... ثم وقفت إلى منضدتها ، وتناولت بيدى أقلامها الحبرية والرصاصية التى لما تزل تعبق بأريج أناملها ... انحنيت بعد ذلك على الموقد المطفأ ، وشرعت أحرك الأوراق والفحم ، فكان كل ذلك ، وقد استحال إلى رماد ، يصر صريراً محزناً ، عند ما يلامسه المحرك الغليظ الفظ ...

***

أذهب كل صباح إلى المقبرة ! الخريف المتأخر تنيره شمس باردة ، وبخلة ... لا أكاد أبصر الجدار الأبيض عن بعد ، حتى أشعر بحرقة فى عينى . . . أطوف بين صفوف الأضرحة أراقب الذين يصلون ويبكون ، أصبحت أعرف بعضهم ، وما يدهشنى هذه الطريقة المتشابهة التى تكاد تكون هى هى عند الجميع وتلك الحركات التى يكررها كل منهم فى كل مرة بدقة فائقة ...

أصبحت أعرف تلك النادة التى تتهالك عند أقدام ضريح يعلوه صليب ، فتجهش فى البكاء ، وتذرف ذات الدموع ، تضع ذات أزاهير البنفسج على الأرض المبللة ، ثم تنهض وقد راق لون محياها بعض الشيء ، وتنطلق تعدو ، حتى تبتعد عن المقبرة بخطوات سريعة ، ثابتة . . . إنها تبكى شاباً قضى فى الرابعة والعشرين ... خطيبها بدون شك ... ولكن ؟ ... كيف تقوى على النهوض ؟ ... ومن أى ينبوع تستقى ذلك العزاء الذى يلمع فى نظراتها كلما همت بالذهاب ؟ ... لشد ما أريد أن أتبعها ، وأن أصرخ فى وجهها : « لا عزاء أيتها المجنونة البائسة ! » ولكن . . . وأنا . . . أنا وقد اعتدت أن أحج كل يوم إلى هنا ... عم أبحث إذن ؟ ...

أولئك النساء ذوات البراقع الحريرية ، والقفازات السود ، يضايقننى كثيراً ... لا ريب أنى مثلهن ، شاحب اللون ، منتفخ الأجفان ، ولكننى وأنا ثمل بشىء سام ، منقطع النظير ، لا أتحمل هذا التأثر الذى يرتسم على وجود الآخرين ، فأنظر بشىء من الحسد إلى كل من تهزه الرعشة التى تهزنى ...

والآن ، فإن ثائرتى لتثور لمجرد الافتكار بأن جميع هؤلاء الذين يتيهون بين الأضرحة يفترسهم نفس الألم الذى يفترسنى ، ذلك الألم الخالد الذى نعجز عن التعبير عنه ! أوه ! يا للرحمة !... جميعهم يتألمون كما أتألم ، والأيام تمر ، فتجلب أفكاراً جديدة ... وتبعث آمالاً جديدة ... وتعيد بصورة أكيدة ، ربيعاً ينشر خضرته الصفيقة أمام أبصارنا ... فيعود الهواء فاتراً ، وتعود الأزهار تعطر الجو بأريجها ... وتعود النساء تبتسم كما كانت تبتسم من قبل ... فنخدع عن أنفسنا مرة ثانية ... نخدع عن أنفسنا ، وننسى حزننا ! !

***

أقف دائماً على بعد بضع خطوات من النجف الذى يواريها ... عند ما يوضع الحجر أستطيع أن أتكئ على درجات الضريح الباردة ، وأستطيع أن أنحنى على قبرها ، وأن أجثو أمامه ... أما الآن فلا أجرؤ على الاقتراب خشية أن ينهال الحصى على نعشها ... ورغم ذلك ، تنتابنى بعض الأحيان رغبة شديدة ، لا تقاوم ، للارتماء على ذلك النجف ، ونبشه بأصابعى ... إن ألمى

(*) ولد سنة ١٨٦٢ وتوفى سنة ١٩٣٣

لا يعرف الصبر ، ولا يجد إلى العزاء سبيلاً ... إنه ألم وحشي تسطك له أسنانى ... أصبحت أبغض كل شىء . وجميع الناس وعلى الأخص أولئك الذين يتألمون مثلى !!!

هؤلاء الرجال والنساء ، والأطفال ، الذين أصادفهم كل يوم يثيرون حفيظتى ... ليتنى أستطيع أن أطردهم ... إن الحزن ليضيّق على الخناق بصورة خاصة ، عند ما يخطر لى أن أحدهم ربما كان قد زار المقبرة للمرة الأخيرة البارحة إذ أحست بسكون أله ، ولاحظ أنه يخف من يوم لآخر ، وهو يعود من مدينة الأموات فعاد منها لا يتألم ... واستيقظ مع الصباح باسماً !... آه !... كم أبغض أولئك الذين يستعيدون ابتسامهم !!!

هل يأتى يوم أستعيد فيه أنا أيضاً ابتسامى ؟... وأنسى ؟... إن ذكرى شبابى لا تكاد تفارقنى : إنى لأرى نفسى وقد اجتزت الغابة إلى جانبها ... كان لا بد لى أن أكون سعيداً جداً ، وقد كنت بالفعل سعيداً جداً ... ولكن هنالك لحظات تلتهم فى أحشائها كل شىء ، تلتهم المستقبل والماضى لأنهما الخلود نفسه !

لم أكن قط من أولئك المتنزهين الهادئين الذين يعبرون الطريق ، ويتوغلون فى الحقول ، ويتمددون بلطف فى ظلال الدوح ، ليستروحوا النسمات البليلة التى ينعشهم بها صباح منوّر كلا ! لم أكن من هؤلاء ، وإنما كنت أتسلّق الأشجار ، لأستكشف آفاقاً أوسع ، وكنت أشاهد الطريق إذ ذلك تتوارى فى السهول البعيدة ، حيث يحتضر الربيع ...

فى هذه الغرفة ، وإزاء هـذه النافذة ذاتها ، التصقت بى ذات يوم ، وأخذت تعانقنى وتقبلنى ... رعشة باردة هزتنى ... الدقائق ، الساعات ، الأيام ، السنون ، كل ذلك طفق يهرب مسرعاً ، مسرعاً ... إنتهى عهدنا ، دب إلينا الهرم ... أدركتنا النهاية ... بمثل هذه الأفكار كنت أدنّس حبنا ، باعترافى بقابليته للزوال والفناء ، وهكذا كنت أدنّس ألمى الآن ، بتفكيرى بأنه قد يأتى يوم أستعيد فيه ابتسامى !

ولكن من هو هذا الرجل ، ذو الشعور الشقر والنظرات الكئيبة ؟ ومَن يبكى ؟ ... إنه ليزور كل يوم ضريحاً بجوار ضريح امرأتى . . . وإنه ليلفت أنظارى إليه ، لأنى لم أستطع أن أبغضه كالآخرين ... إنه يأتى كل يوم قبلى ، ولا يفارق موقفه حتى بعد ذهابى ... وقد كان من الممكن ألا أشعر بوجوده لو لم ألمحه ذات يوم يرمقنى بحنان زائد ، أربكنى وأزعجنى ... فتفرست فى وجهه ، ولكنه حوله عنى شيئاً فشيئاً ، ثم راح يبتعد وهو محاذ للجدار ... من المرجح أننى عرفته قبل اليوم ... إن وجهه ليس غريباً عنى ...

أين رأيته إذن ؟ ... فى سفر ؟ ... فى مسرح من المسارح أو شارع من الشوارع ؟ ... يخيل إلى أنه يشعر بحزنى بصورة غريزية . ولعل حزناً كحزنى يمضه . . . هذا الافتراض يفسر نظراته التى لا أجد إلى نسيانها من سبيل ... إنه شاب وجميل !

ها قد جلست مرة أخرى إلى منضدتى ، أزهار ذابلة تكتنف رسم المرأة التى كانت قرينتى ، بل سعادتى ، بل دنياى !... بدأت أفهم الأشياء وأقدرها . . . الأيام التى عشتها أخيراً غشّت على عقلى ... ولكنى انتهيت بأن وجدت نفسى ...

للمرة الأولى منذ شهر ، عزمت على أن أشغل نفسى بشىء ، أن ألتمس مكتبتى ، أن أنظر فى بعض الأوراق ، أن أفكر ... ولكنى لم أفعل شيئاً من ذلك ... بل عدت إلى المقبرة ... كان الليل قد شرع ينشر أجنحة السوء ، ولم يكن فى المقبرة أحد ... للمرة الأولى جثوت على ضريحها ، وطفقت أقبل الأرض التى حنت عليها فوارتها بين تضاعيفها ... وأخذت أبكى : نعم بكيت لا صوت ... لا نأمة ... صمت رهيب ... هواء ساكن ، بارد ... ثم نهضت ألتمس الخروج بين صفوف الأضرحة من جهة الكنيسة ... لا أحد ... كان القمر يسكب ضوءه على الصلبان والأحجار بصورة لا يمكن أن يفوتنى معها وجود شخص ما ... فلما هممت بالذهاب ، صادفت امرأة فى نقاب الحزن ، وفى يدها منديل ... إنى أعرف النساء ... كانت الطريق العريضة المؤدية إلى المدينة بيضاء تحت أشعة القمر ، وكنت أسمع وقع خطواتى ، لم يكن هنالك من يتبعنى ، وهكذا بلغت منفرداً أطراف المدينة حيث استقبلتنى منازل الضواحى ، والفنادق ، وتردّدت فى أذنى أصداء الجلبة والضوضاء ...

أشعر بشىء من التحسن فى حالتى . . . الآن وقد عدت ، أحس برغبة ملحة ذهبت عن خاطرى منذ عهد طويل ، أحس

برغبة قوية لفتح نافذتي ، لأسمع جلبة الشارع ، بل لأسمع أصواتاً بشرية ، ولكن الليل شاخ وصمت . . . وأناملي تكاد تجمد من البرد وأنا أخط هذه السطور . . . والضوء يضطرب رغم سكون الهواء ...

كنت مستنداً إلى جدار المقبرة ، وكانت تحجبني عنه صفصافة ضخمة ، وقد بكرت كثيراً لأكون الأول ، فأدركت المقبرة وفي غرفة الحضار مصباح ... توافد بعدي كثيرون ، نساء على الأخص ... وفجأة ... هو ! ...

اقترب بهدوء ، من المكان المعتاد ، بعينيه الواسعتين ، الحزينتين ، ثم جثا على قدميه ، فبذلت قصارى جهودي لأراه جيداً ... وإذا به يجثو على ضريح امرأتي !!!

انقطعت عن كل حركة ... وشعرت بأنفاسي تتردد لاهفة ، متقطعة !... وأحسست بأصابعي تتشنج على أغصان الصفصافة ... مرت دقائق ... لم يكن يصلي ... ولم يكن يبكي ...وأخيراً نهض وراح يطوف بين الأضرحة بدون وجهة معينة كما كان من عادته أن يفعل ... فاقتربت من الضريح ، ووقفت على مقربة منه مستنداً إلى حاجز حديدي يكتنف ضريحاً آخر ، وإذا به يعود من ناحيتي وينظر إليّ بهدوء ... ثم يستأنف سيره ... ويمر ... أردت أن أتقدم منه وأن أسأله ، ولكني لم أفعل بل ظللت أشيّعه بأنظاري زمناً طويلاً إلى أن اختفى وراء الكنيسة ...

لا أعرف بماذا كنت أشعر ، ولا أعرف بماذا أشعر الآن ! ولكن سيأتي يوم ، ربما كان غداً أراه فيه ، وأستفسره وأعرف كل شيء !

***

آه ! يا لها من ليلة ! لا أجد إلى الرقاد فيها من سبيل ! إن الساعة لما تزل دون الواحدة بعد ... فلماذا لا أعود إلى المقبرة ؟ ولكن ماذا أستطيع أن أفعل هناك ... ألا بضع ساعات صبر ! بضع ساعات فقط ، وجنوني يعرف له حداً ... ويتضح كل شيء .

أجل على ضريح امرأتي ! هنالك رأيته مرة ثانية !

كنت على خطوات معدودة منه ، فلماذا لم أنقضّ عليه ؟ ولماذا لم أقطع عليه الطريق عند ما شاهدته يبتعد ؟

أليس من حق أن أسأله عن اسمه ؟ وممن أستطيع أن أستفهم إذا لم أستفهم منه ؟

حين حاول تخطي الباب ، تبعته ، ولكن يظهر أنه أحس بي

أجل لست مخطئاً . لا بدّ أنه أحسّ بي ، إذ حثّ خطاه مسرعاً ، فحثثت خطاي أنا كذلك . ولكني عند ما أدركت الباب كان قد غاب عن ناظري ، ثم لم ألبث أن أبصرته ثانية يستقل سيارة ، حتى إذا صعد إليها انطلقت تعدو به مسرعة ... ولم تكن هنالك سيارة أخرى، فطاردته راجلاً ، ولكنه لم يلبث أن بعد عني كثيراً ، فوقفت أشيعه بنظراتي مدة غير قصيرة . كانت الطريق مستقيمة ، فما زلت أراقبه عن بعد حتى اختفت السيارة ، وتوارت عن الأبصار

من هذا الرجل الذي يجثو على ضريح امرأتي ؟ ومن يكون لها ؟ كيف أعرف ذلك ؟ وكيف أراه ثانية ؟ آه ... إن ماضيّ بأسره ليتفكك ويتحدد ... إن ماضيّ بأسره لتعبث به يد المسخ والتشويه !

هل أنا مجنون ؟ أمن الممكن ألا تكون قد أحبتني ؟ . . . ألم تكن تقف وراء هذا الكرسي ؟ ... وتضع شفاهها على جبيني ؟ وتلف ذراعيها حول عنقي ؟ ... ألم نكن سعيدين معاً ؟ ولكن من يكون هذا الشاب الأشقر الجميل ، إذن ؟ . . . ولماذا بدا لي أن محياه ليس غريباً عني ؟ ... إنه ليخيل إلى الآن أنني شاهدته مراراً في المسارح والمغاني ، جالساً تجاهنا ، ونظره عالق بامرأتي ، لا يكاد يحيد عنها ! ... ألم يكن هو الذي وقف ذات يوم عند مرور سيارتنا ، وتبعنا زمناً طويلاً بنظراته ؟ من هو إذن ؟ من هو ؟ من ؟ من ؟ ... أيكون عاشقاً « أفلاطونياً » لم تعرفه هي ؟ ولم تمل إليه قط ؟ . . . لو كان الأمر كذلك لعرفته أنا أيضاً ، إذ كان لا بد له أن يبحث عن وسائل يرانا بها في المجتمعات ، ويتحدث إلينا ... ولكن كلا ... لعله كان يحذرني . فتعرّف على امرأتي ولم يتعرف علي ، وتبعها في الشوارع وتجرأ على توقيفها ... كلا ! ... لو جرى شيء من ذلك لكانت أعلمتني به ... ولكن هل كانت تعلمني به ؟ ... أليس من الممكن أن تكون أحبته ؟ . ولكنها كانت تحبني ! . كانت تحبني ؟ . من أين لي هذه الثقة ؟ ألأنها كانت تقول لي ذلك ؟ . جميع النساء يقلن ذلك ! والخبيثات يسرفن فيه أكثر من الطاهرات

أوه ! لا بد لي من إيجاده والاستفسار منه . ولكن إذا كانت قد أحبته ، فماذا يجيبني ؟ إني أزور ضريحها لأني كنت أحبها ، ولكنها لم تعرف ذلك قط ! وهل أستطيع أن أضطره إلى الاعتراف بالحقيقة ؟ فما العمل إذن ؟

وهل أستطيع أن أستأنف الحياة على هذه الصورة ؟

لم أشاهده طيلة ثلاثة أيام . كنت أذهب كل يوم ، ولكنه لم يكن يأتي ... الحفارون يجهلون اسمه ، لا يعرفه أحد ... لعله سافر . ولكنه لا بد له أن . . . لا بد له أن . . . وإذا كان قد توفي وإذا كان قد توفي ؟ لأنه لا يستطيع أن يحيا بدونها ! آه . إن هذا الافتراض ليبعث على الضحك ، أيكون هنالك رجل آخر لا يستطيع أن يحيا بدونها ؟

ليس لي سوى رغبة واحدة ، وهي أن أقول له : سيدي المحترم ، لا تذهب في تفجعك عليها إلى هذا الحد ، إذ من المحقق إنها أحبتني أنا أيضاً ! » أريد أن أجعله غيوراً ...

قذفت برسمها تحت منضدتي ... هو ذا في وسط الغرفة ، على الأرض بين رسائلها المبعثرة ، بين تلك الرسائل التي كانت تحفظها في خزائنها وأدراجها ... فتحتها كلها ، ونبشت فيها ... ماذا وجدت ؟ ... رسائل كنت بعثت بها إليها ... وأزهاراً كنت قدمتها إليها ... وأشرطة حريرية ... وتذكارات ...

لعل بين تلك الأزهار زهرة مقدمة من قبله ... كيف الوصول إلى معرفة ذلك ؟ ... وماذا كنت أبغي العثور عليه ؟ ... وهل تحتفظ المرأة بشيء يمكن أن يخونها ذات يوم ؟

أفرغت جيوبها ... قلبت أثوابها ... باحثاً ... منقباً ... عن ورقة رقيقة تكون قد نسيتها سهواً ... ولكنها لم تكن قد نسيت شيئاً !

لم أعد بعد ذلك إلى المقبرة وأصبحت أرتجف لمجرد التفكير بمشاهدة ذلك الضريح مرة أخرى !

أحيا الآن ساعات أخف وطأة من قبل ، لأن الأيام الأولى قد عبرت دون أن يصاب عقلي بخلل ، فعليّ أن أمتنع بعدم إمكان معرفة الحقيقة أبداً

كم أحسد الرجال الذين يعرفون أن نساءهم تخونهم ، إذ أنهم متأكدون من مصيبتهم على الأقل ! وكم أحسد أولئك الذين إذا أمضهم الشك ، استطاعوا أن يراقبوا نساءهم ، على رجاء أن تخونهن كلمة ، أو نظرة ، أو حركة ، أو إشارة !

أما أنا فقد قضي علي ألا أستطيع شيئاً من ذلك قط ، لأن الضريح أبكم لا يبدي ولا يعيد !

ويتفق لي أحياناً أن أهبّ في الليل من نومي ، مذعوراً ، يرهقني كابوس هائل لعلي دنست ذكرى امرأة طاهرة ، وزوج مخلصة !

آه !. . لو أستطيع أن أحب ذكرى تلك المرأة التي منحتني ذلك المقدار العظيم من السعادة !

وآه ! لو أستطيع أن أبغض ذكرى تلك المرأة التي خانتني ، وعبثت بشرفي وكرامتي !

أعدت رسمها إلى منضدتي . رفعته من الأرض ووضعته في مكانه المعتاد . ولكن لماذا لا أستطيع أن أعبدها و ... أن أجثو أمام رسمها كما أجثو أمام رسم قديسة ، وأجهش في البكاء ؟

ولماذا لا أستطيع أن أحتقرها ؟ وأن أمزق هذا الرسم ؟ وأن أدوسه بنعالي ؟

طيلة ليال عديدة لبثت أحدق النظر في هاتين العينين الصامتتين ، الباسمتين ، المحاطتين بالرموز والألغاز !

ايزاك شموسه

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



10 me Année No. 462

Lundi - 11 - 5 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ عن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٦٢ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٥ ربيع ثاني سنة ١٣٦١ — الموافق ١١ مايو سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

وهـــذا كتاب ...

قال لي صديق منذ شهرين : إن العقاد يخرج كتاباً عن محمد. فقلت له : ذلك ما تمناه الناس وتوقعناه نحن منذ أخذ العقاد يعالج بعض هذا الموضوع في (الرسالة) . ولعل هذا الكتاب يكون الأول في بابه ؛ لأن العقاد صاحب جد وصراحة ؛ فهو لا يتكلف ما لا يحسن ، ولا يحسن ما لا يعتقد ، ولا يعتقد ما لا يسوغ في المنطق . وإذا كان الذين كتبوا عن محمد إنما كتبوا للدين أو للدنيا أو للأدب أو للهوى ، فإن العقاد لن يكتب إلا للعقل . وإذا استراب أكثر الناس بأكثر هذه الكتب لأن صاحب الدين موافق وصاحب الدنيا منافق وصاحب الأدب خدّاع وصاحب الهوى متعصب ، فإن القُراء على اختلاف ثقافاتهم ودياناتهم سيُخلدون بثقتهم إلى العقاد لأنه سيكتب غير ما كتب هؤلاء جميعاً

ثم قدّرت في نفسي النواحي البكر التي سيطرقها العقاد من هذا العالم الأعظم فكأنما قدّرت عن تلقين الغيب : قدّرت أنه لن يكتب ترجمة ولا سيرة ولا قصة ، لأن الناس في القديم والحديث ، وفي الشرق والغرب ، لم يكتبوا غير ذلك ؛ وذلك الذي كتبوه إنما كان مداره على الوحي والرسالة والمعجزة والدعوة ، وإدراك العظمة أو العبقرية في هذه الأمور موقوف على الإيمان بها ؛ فلو أن امرأً غير مسلم حاول أن يستشف من خلال ما ينكر من هذه الصور الإسلامية صورة محمد في نفسه ، لما وجد فيما بقي على الهامش أو علق بالإطار ما يقنعه بأن محمداً لو لم يكن أعظم

الفهرس

الرسل بدينه ، لكان أعظم الأبطال بخلقه

فصورة محمد فى نفسه هى الناحية التى طوّف حولها الرُّوَّاد ولم يدخلوا ، وحوَّم فوقها الورَّاد ولم ينزلوا ؛ وهى التى قدَّرتها على التخمين فى خطة العقاد ، ثم قرأتها على اليقين فى (عبقرية محمد) . وأشهد الله أنى لو مضيت على المخيَّل فيما أكتب عن هذا الكتاب لما كذبنى الظن ، ولا أخطأنى الصواب . ذلك لأن العقاد كاتب مؤمن بالعقل والرجولة ؛ فإذا درسته أو قرأته على ضوء هذا الإيمان تكشف لك عن منطق فحل لا يتناقض فى الرأى ، ولا يتعثر فى الأداء ، ولا يتكثر باللغو ، ولا ينزل عن طبقته حتى فى المقاصد المبتذلة والمعانى المطروقة . وإيمانه بالعقل والرجولة هو الذى بعثه على أن يكتب كتابين فى أدب ابن الرومى وفى سياسة سعد زغلول على كثرة الأدباء والساسة . فإذا كتب عن محمد فإنما يكتب بوحى هذا الإيمان عن عبقريته « بالقدار الذى يدين به كل إنسان ولا يدين به المسلم وكفى ، وبالحق الذى يثبِّت له الحب فى قلب كل إنسان وليس فى قلب المسلم وكفى » ، « وبالقياس الذى يفهمه المعاصرون ، ويتساوى فى إقراره المسلمون وغير المسلمين » « ليقيم البرهان على أن محمداً عظيم فى كل ميزان : عظيم فى ميزان الدين ، وعظيم فى ميزان العلم ، وعظيم فى ميدان الشعور ، وعظيم عند من يختلفون فى العقائد ولا يسعهم أن يختلفوا فى الطبائع الآدمية[1] »

والحق الذى لا تجوّز فيه أن كتاب « عبقرية محمد » هو التفسير الملهَم المحكم لقول الله تعالى لنبيه الكريم : « وإنك لعلى خلق عظيم » . ولا يدهشنك أن أقول إن شهادة الله لرسوله بعظمة الخلق ظلت مجهولة النور والمدى والدلالة فى التفسير والتاريخ حتى جاء العقاد فصورها بأبعادها وحدودها وألوانها وسماتها كأنطق ما يكون المثال وأصدق ما تكون الحجة . هل تجد معنى من معانى الأخلاق فنى فى شرحه وتشريحه من الريق والمداد على طول القرون ما فنى فى معنى الصّداقة والصديق ؟ ومع ذلك تقرأه فى فصل (محمد الصديق) من كتاب العقاد فتجده معنى من معانى العظمة لم يتمثل فى ذهن كاتب من قبل على هذه الصورة . إقرأ قوله على سبيل المثال : « ... وهنا أيضاً قد تمت لمحمد معجزته التى لم يضارعه فيها أحد من ذوى الصداقات النادرة . فأحدقت به نخبة من ذوى الأقدار تجمع بين عظمة الحسْب وعظمة الثروة وعظمة الرأى وعظمة الهمة ؛ وكل منهم ذو شأن فى عظمته تقوم عليه دولة وتنهض به أمة — كما أثبت التاريخ من سير أبى بكر وعمر وخالد وأسامة وابن العاص والزبير وطلحة وسائر الصحابة الأولين — وربما عظم الرجل فى مزية من المزايا فأحاط به الأصدقاء والمريدونْ من النابغين فى تلك المزية ، كما أحاط الحكماء بسقراط القادة بنابليون . بل ربما أحاط الصالحون بالنبى العظيم كما أحاط الحواريون بالمسيح عليه السلام وكلهم من معدن واحد وبيئة متقاربة . أما عظمة العظمات فهى تلك التى تجذب إليها الأصحاب النابغين من كل معدن ومن كل طراز ؛ وهى التى يتقابل فى حبها رجال بينهم من التفاوت مثل ما بين أبى بكر وعلى ، وبين عمر وعثمان ، وبين خالد ومعاذ ، وبين أسامة وابن العاص : كلهم عظيم ، وكلهم مع ذلك مخالف فى وصف العظمة لسواه

تلك هى العظمة التى اتسعت آفاقها وتعددت نواحيها حتى أصبحت فيها ناحية مقابلة لكل خلق ، وأصبح فيها قطب جاذب لكل معدن ، وأصبحت تجمع إليها البأس والحلم ، والحيلة والصراحة ، والألمعية والإجتهاد ، وحنكة السن وحمية الشباب

تلك هى بلا ريب عظمة العظمات ، ومعجزة الإعجاز فى باب الصداقات »

أعداد الرسالة الخاصة

في سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية ، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة ، ينوه بفضله ويعرف بأهله . وستبدأ بعدد العراق . والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا الواجب بإرسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

ذلك سمو العقاد فى المطروق المبتذل ، فما ظنك به حين يعالج الأحرار الأبكار من معانى العبقرية المحمدية فى السياسة والإدارة والرياسة والبلاغة ؟ أما تحليله البراعات الخلقية والنفسية فى محمد الزوج والأب والسيد والعابد ، ودفعه الشبهات المريضة عن دعوة الرسول وعظمته فى تحكيم السيف وتحليل الرق وتعدد الزوجات ، فغاية الغايات فى دقة الفهم وشدة الحجاج وقوة الأسلوب . ولو لا أن العقاد أدركه نسيان الإنسان فأراد غار ثور وكتب غار حراء ، لقلت إن كتابه قبس من الوحى نزل عليه من السماء !

احمد حسن الزيات

(١) ما بين الأقواس من مقدمة الكتاب

رفع عيسى . . .

للأستاذ محمود شلتوت

ورد إلى مشيخة الأزهر الجليلة من حضرة عبد الكريم خان بالقيادة العامة لجيوش الشرق الأوسط سؤال جاء فيه : « هل « عيسى » حي أو ميت في نظر القرآن الكريم والسنة المطهرة ؟ وما حكم المسلم الذي ينكر أنه حي ؟ وما حكم من لا يؤمن به إذا فرض أنه عاد إلى الدنيا مرة أخرى ؟ » . وقد حول هذا السؤال إلى فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء فكتب ما يأتي :

. . . أما بعد ، فإن القرآن الكريم قد عرض لعيسى عليه السلام فيما يتصل بنهاية شأنه مع قومه في ثلاث سور :

١ — في سورة آل عمران قوله تعالى : « فلما أحس عيسى منهم الكفر قال : من أنصاري إلى الله ؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله آمنّا بالله ، واشهد بأنّا مسلمون : ربّنا ، آمنّا بما أنزلت واتّبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين . ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ؛ إذ قال الله : يا عيسى ، إنّي متوفيك ورافعك إليّ ومطهّرك من الذين كفروا ، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ، ثم إليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون » : ٥٢ — ٥٥

٢ — وفي سورة النساء قوله تعالى : « وقولهم : إنّا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ، وما قتلوه يقيناً ، بل رفعه الله إليه ، وكان الله عزيزاً حكيما » : ١٥٧ — ١٥٨

٣ — وفي سورة المائدة قوله تعالى : « وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم : أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ قال : سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ، إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتني به : أن اعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد » : ١١٦ — ١١٧

***

هذه هي الآيات التي عرض القرآن فيها لنهاية شأن عيسى مع قومه ، والآية الأخيرة (آية المائدة) تذكر لنا شأناً أخروياً يتعلق بعبادة قومه له ولأمه في الدنيا وقد سأله الله عنها وهي تقرر على لسان عيسى عليه السلام أنه لم يقل لهم إلا ما أمره الله به : « اعبدوا الله ربي وربكم » ؛ وأنه كان شهيداً عليهم مدة إقامته بينهم ، وأنه لا يعلم ما حدث منهم بعد أن « توفاه الله » !

وكلمة « توفى » قد وردت في القرآن كثيراً بمعنى الموت حتى صار هذا المعنى هو الغالب عليها المتبادر منها ، ولم تستعمل في غير هذا المعنى إلا وبجانبها ما يصرفها عن هذا المعنى المتبادر : « قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم . إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم . ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة . توفته رسلنا . ومنكم من يتوفى . حتى يتوفاهن الموت . توفني مسلماً وألحقني بالصالحين »

ومن حق كلمة « توفيتني » في الآية أن تحمل على هذا المعنى المتبادر وهو الإماتة العادية التي يعرفها الناس ، ويدركها من اللفظ ومن السياق الناطقون بالضاد . وإذن فالآية لو لم يتصل بها غيرها في تقرير نهاية عيسى مع قومه لما كان هناك مبرر للقول بأن عيسى حي لم يمت

ولا سبيل إلى القول بأن الوفاة هنا مراد بها وفاة عيسى بعد نزوله من السماء بناء على زعم من يرى أنه حي في السماء ، وأنه سينزل منها آخر الزمان ، لأن الآية ظاهرة في تحديد علاقته بقومه هو لا بالقوم الذين يكونون آخر الزمان وهم قوم محمد باتفاق لا قوم عيسى

أما آية النساء فإنها تقول « بل رفعه الله إليه » وقد فسرها بعض المفسرين بل جمهورهم بالرفع إلى السماء ، ويقولون : إن الله ألقى على غيره شبهه ، ورفعه بجسده إلى السماء ، فهو حي فيها وسينزل منها آخر الزمان ، فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ، ويعتمدون في ذلك :

أولاً : على روايات تفيد نزول عيسى بعد الدجال ، وهى روايات مضطربة مختلفة فى ألفاظها ومعانيها اختلافاً لا مجال معه للجمع بينها ؛ وقد نص على ذلك علماء الحديث . وهى فوق ذلك من رواية وهب بن منبه وكعب الأحبار وهما من أهل الكتاب الذين اعتنقوا الإسلام وقد عرفت درجتهما فى الحديث عند علماء الجرح والتعديل .

وثانياً : على حديث مروى عن أبى هريرة اقتصر فيه على الإخبار بنزول عيسى ؛ وإذا صح هذا الحديث فهو حديث آحاد . وقد أجمع العلماء على أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة ولا يصح الاعتماد عليها فى شأن المغيبات .

وثالثاً : على ما جاء فى حديث المعراج من أن محمداً صلى الله عليه وسلم حينما صعد إلى السماء وأخذ يستفتحها واحدة بعد واحدة فتفتح له ويدخل ، رأى عيسى عليه السلام هو وابن خالته يحيى فى السماء الثانية . ويكفينا فى توهين هذا المستند ما قرره كثير من شراح الحديث فى شأن المعراج وفى شأن اجتماع محمد صلى الله عليه وسلم بالأنبياء وأنه كان اجتماعاً روحياً لا جسمانياً « انظر فتح البارى وزاد المعاد وغيرهما »

ومن الطريف أنهم يستدلون على أن معنى الرفع فى الآية هو رفع عيسى بجسده إلى السماء بحديث المعراج بينما ترى فريقاً منهم يستدل على أن اجتماع محمد بعيسى فى المعراج كان اجتماعاً جسدياً بقوله تعالى : (بل رفعه الله إليه) وهكذا يتخذون الآية دليلاً على ما يفهمونه من الحديث حين يكونون فى تفسير الحديث ، ويتخذون الحديث دليلاً على ما يفهمونه من الآية حين يكونون فى تفسير الآية !

ونحن إذا رجعنا إلى قوله تعالى : « إنى متوفيك ورافعك إلى » فى آيات آل عمران مع قوله : « بل رفعه الله إليه » فى آيات النساء وجدنا الثانية إخباراً عن تحقق الوعد الذى تضمنته الاولى ، وقد كان هذا الوعد بالتوفية والرفع والتطهير من الذين كفروا ، فإذا كانت الآية الثانية قد جاءت خالية من التوفية والتطهير ، واقتصرت على ذكر الرفع إلى الله فإنه يجب أن يلاحظ فيها ما ذكر فى الأولى جمعاً بين الآيتين .

والمعنى أن الله توفى عيسى ورفعه إليه وطهره من الذين كفروا . وقد فسر الألوسى قوله تعالى : (إنى متوفيك) بوجوه منها وهو أظهرها « إنى مستوفى أجلك ومميتك حتف أنفك لا أسلط عليك من يقتلك ؛ وهو كناية عن عصمته من الأعداء وما هم بصدده من الفتك به عليه السلام لأنه يلزم من استيفاء الله أجله وموته حتف أنفه ذلك » وظاهر أن الرفع الذى يكون بعد التوفية هو رفع المكانة لا رفع الجسد خصوصاً وقد جاء بجانبه قوله : (ومطهرك من الذين كفروا) مما يدل على أن الأمر أمر تشريف وتكريم . وقد جاء الرفع فى القرآن كثيراً بهذا المعنى : « فى بيوت أذن الله أن ترفع . نرفع درجات من نشاء . ورفعنا لك ذكرك . ورفعناه مكاناً علياً . يرفع الله الذين آمنوا » الخ ... وإذن فالتعبير بقوله : « ورافعك إلى » وقوله : « بل رفعه الله إليه » كالتعبير فى قولهم : « لحق فلان بالرفيق الأعلى » وفى « إن الله معنا » وفى « عند مليك مقتدر » وكلها لا يفهم منها سوى معنى الرعاية والحفظ والدخول فى الكنف المقدس . فمن أين تؤخذ كلمة السماء من كلمة (إليه) ؟ اللهم إن هذا لظلم للتعبير القرآنى الواضح خضوعاً لقصص وروايات لم يقم على الظن بها فضلاً عن اليقين برهان ولا شبه برهان !

وبعد فما عيسى إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، ناصبه قومه العداء ، وظهرت على وجوههم بوادر الشر بالنسبة إليه ، فالتجأ إلى الله شأن الأنبياء والمرسلين فأنقذه الله بعزته وحكمته وخيب مكر أعدائه . وهذا هو ما تضمنته الآيات « فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله » إلى آخرها ، بيّن الله فيها دقة مكره بالنسبة إلى مكرهم ، وأن مكرهم فى اغتيال عيسى قد ضاع أمام مكر الله فى حفظه وعصمته « إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلىّ ومطهرك من الذين كفروا » فهو يبشره بإنجائه من مكرهم ورد كيدهم فى نحورهم ، وإنه سيستوفى أجله حتى يموت حتف أنفه من غير قتل ولا صلب ، ثم يرفعه الله إليه . وهذا هو ما يفهمه القارئ للآيات الواردة فى شأن نهاية عيسى مع قومه متى وقف على سنة الله مع أنبيائه حين يتألب عليهم خصومهم ، ومتى خلا ذهنه من تلك الروايات التى لا ينبغى أن تحكم فى القرآن ،

ولست أدرى كيف يكون إنقاذ عيسى بطريق انتزاعه من بينهم ورفعه بجسده إلى السماء مكراً ؟ وكيف يوصف بأنه خير من مكرهم مع أنه شئ ليس فى استطاعتهم أن يقاوموه ، شئ ليس فى قدرة البشر ! ألا إنه لا يتحقق مكر فى مقابلة مكر إلا إذا كان جارياً على أسلوبه غير خارج عن مقتضى العادة فيه . وقد جاء مثل هذا فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين »

والخلاصة من هذا البحث :

١ — أنه ليس فى القرآن الكريم ولا فى السنة المطهرة مستند يصلح لتكوين عقيدة يطمئن إليها القلب بأن عيسى رفع بجسمه إلى السماء وأنه حى إلى الآن فيها وأنه سينزل منها آخر الزمان إلى الأرض

٢ — أن كل ما تفيده الآيات الواردة فى هذا الشأن هو وعد الله عيسى بأنه متوفيه أجله ورافعه إليه وعاصمه من الذين كفروا ، وأن هذا الوعد قد تحقق فلم يقتله أعداؤه ولم يصلبوه ، ولكن وفاه الله أجله ورفعه إليه

٣ — أن من أنكر أن عيسى قد رفع بجسمه إلى السماء وأنه فيها حى إلى الآن وأنه سينزل منها آخر الزمان فإنه لا يكون بذلك منكرا لما ثبت بدليل قطعى فلا يخرج عن إسلامه وإيمانه ولا ينبغى أن يحكم عليه بالردة ، بل هو مسلم مؤمن ، إذا مات فهو من المؤمنين يصلى عليه كما يصلى على المؤمنين ويدفن فى مقابر المؤمنين ولا شية فى إيمانه عند الله والله بعباده خبير بصير

أما السؤال الأخير فى الاستفتاء، وهو (ما حكم من لا يؤمن به إذا فرض أنه عاد مرة أخرى إلى الدنيا) فلا محل له بعد الذى قررناه ولا يتجه السؤال عنه والله أعلم .

محمود شلتوت

خصومات أدبيـــــة !

للأستاذ توفيق الحكيم

من كان يتصور أن دعوتى إلى الصفاء بين الأدباء تثير خصومات أو ذكريات عن خصومات ! فلقد كتب الأستاذ « عباس محمود العقاد » فى العدد الماضى من « الرسالة » قصة طريفة أهداها إلىّ . هى الآتية :

« قيل إن الدكتور طه حسين خرج من وظيفته بالجامعة المصرية قبل سنوات . وقيل أنه أثنى على الأستاذ توفيق الحكيم فى بعض ما كتب وهو على جفوة مع رؤساء تلك الأيام . وقيل إن الأستاذ توفيق أشفق من مغبة تلك الجفوة فكتب يقول إنه لا يريد مدحاً من أحد ... وأدرك شهر زاد الصباح أو المساء على قصة أخرى تمثل اليوم مع العقاد لأن خصومته قد تشبه خصومة الدكتور طه حسين قبل سنوات ... »

والتعليق على هذه القصة الطريفة لا يحتاج إلى عناء . لأن الأساس الذى بنيت عليه وهو شبهة الخصومة بينى وبين العقاد قد انهار فى اليوم ذاته الذى ظهر فيه مقاله . فقد طلع لحسن الحظ عدد مجلة الثقافة فى مساء ذلك النهار وفيه تحية منى للعقاد وثناء على كتابه « عبقرية محمد » بما هو أهله

يضاف إلى ما تقــدم أن « ما يدريه العارفون وأوشك أن يدريه غير العارفين » هو أن موقفى اليوم يشبه فى كثير من الوجوه موقف العقاد . وأن من بين المجلات والصحف والأقلام ما يعلن تجريحى وخصومتى بمختلف الأسباب لمين الأغراض

بقى بعد ذلك عنصر واحد من عناصر القصة سكت طويلاً عن تجليته ظناً منى أنه لن يؤخذ على سبيل الجد . أما وقد أخذه الأستاذ العقاد على أنه حقيقة ، فن الواجب إذن أن أوضح ولو كان فى الإيضاح إساءة للدكتور طه . فإن هذا الوقت هو أحب الأوقات عندى لإساءته لا لإرضائه

إن حقيقة الخصومة بينى وبين طه حسين فى تلك الأيام من عام ١٩٣٤ كانت خصومة أدبية صرف ، ولكن الدكتور طه أراد أن يقحم فيها عنصر السياسة ليظهرنى فى صورة « يهوذا » ويظهر نفسه فى صورة « المسيح » . فاخترع تلك القصة اختراعاً

ولكن الحقيقة ما لبثت أن ظهرت فى اليوم التالى واضحة مبينة

إلى هنا ينتهى التعليق على هذه القصة . ولكن هنالك قصة أخرى للأستاذ العقاد مهداة إلىّ أيضاً ، وربما احتاجت إلى تعليق طويل لأنها تمس قضية أدبية تحدث فى جميع الآداب فى كل زمان . تلك هى قضية الناقد والكاتب . فقد ذكر الأستاذ العقاد إنى أنكر أن الدكتور طه حسين رفع من شأنى بما كتب عنى . وأنا حقاً أنكر ذلك كل الإنكار ومن يحرص على كرامة الفن لا يسعه أن يقول غير هذا القول . فما من مخلوق على الأرض يرفع أو يخفض من شأنى غير فنى ولما ترجم هذا الفن أو بعضه إلى لغات أجنبية وجد من أعلام نقادها من يرفع شأنه كما وجد فى اللغة العربية طه وأمثاله . فالفن هو الذى يكرم نفسه أو يتهمها فى كل مكان وزمان يحل فيهما . حقاً أن طه حسين استقبل كتاب أهل الكهف استقبالاً رائعاً ، لكن لا ينبغى أن ننسى غيره . فبمراجعة تاريخ الحوادث يتضح أن أول من نوه بالكتاب تنويهاً جيلاً كان الشيخ مصطفى عبد الرازق ثم الأستاذ المازنى ثم الأستاذ العقاد على هذا الترتيب . ولعل العقاد قد أشار فى نقده إلى انتفاع بعض المؤلفين الأوربيين بجوهر الأسطورة ونفى عن « أهل الكهف » تهمة الاقتباس أو النقل عن الأجانب وأظنه فضلها من حيث طريقة التصرف على ما قرأ فى بعض اللغات عن فكرة القصة . فلما اطمأن طه حسين إلى آراء هؤلاء أقبل فصاح صيحته المشهورة كأنها صيحة « يوحنا المعمدان » وهو يبشر بالمسيح . فقد قال بهذا النص : « أما قصة الكهف » فحادث ذو خطر ، لا أقول فى الأدب العربى المصرى وحده . بل أقول فى الأدب العربى كله . وأقول هذا فى غير تحفظ ولا احتياط . وأقول هذا مغتبطاً به مبتهجاً له . وأى محب للأدب العربى لا يغتبط ولا يبتهج حين يستطيع أن يقول وهو واثق بما يقول أن فناً جديداً قد نشأ فيه وأضيف إليه . وإن باباً جديداً قد فتح للكتاب وأصبحوا قادرين على أن يلجوه وينتهوا منه إلى آماد بعيدة رفيعة ما كنا نقدر أنهم يستطيعون أن يفكروا فيها الآن . نعم هذه القصة حادث ذو خطر يؤرخ فى الأدب العربى عصراً جديداً . . . ويمكن أن يقال إنها أغنت الأدب العربى وأضافت إليه ثروة لم تكن له . ويمكن أن يقال إنها

قد رفعت من شأن الأدب العربي وأتاحت له أن يثبت للآداب الأجنبية الحديثة والقديمة ... بل يمكن أن يقال إن الذين يحبون الأدب الخالص من نقاد أجانب يستطيعون أن يقرأوها إن ترجمت لهم ، فسيجدون فيها لذة قوية ، ويجدون فيها متاعاً خصباً وسيثنون عليها ثناءاً عذباً كهذا الذي يخصون به القصص التمثيلية البارعة التي ينشئها كبار الكتاب الأوربيين » وكان لتلك الكلمة أثر قوى ذو دوى لأن طه حسين وضع الأمر كما رأينا في صيغة التقرير بمذهب جديد . كأنه «سانت بوف» يعلن أمر المذهب الرومانتيكي عند ظهور تمثيليات « هوجو » !! ولنسلم بأن طه حسين هو النشيد الأول بشأن أهل الكهف ومؤلفها . فهل هذا حدث جديد في تاريخ الآداب ؟ ألم يصح مثل هذه الصيحة « تورجنيف » عند ما استقبل أول أعمال « تولستوى » قائلاً : « ظهر كاتب روسيا الأعظم ! » أو لم يفعل مثل ذلك « أرنولد بنيت » عند ما أشاد بقصة « الدس ها كسلى » بقوله : « هذا كاتب يلحق مباشرة بقصاصى روسيا العظام ! » أو لم يصنع هذا « أناتول فرانس » بمذكرات مارى باسكرشيف » عند ما أعلن أنها أثر خالد للانسانية ! فإذا هذه الأعمال قد ظهرت ومؤلفوها قد برزوا للعالم بين يوم وليلة . هل استلزم ذلك التحميل بأثقال الديون والتكبيل بحبال الجميل نحو أشخاص النقاد ؟ أو أن الأمر لا يعدو في تلك البلاد أن ناقداً أدى واجبه بأمانة وإخلاص ، لا نحو شخص من الأشخاص ولكن نحو آداب وطنه وفن بلاده ؟ لم نسمع في غير مصر أن الناقد إذا أثنى على كتاب حسب أنه تفضل على مؤلفه ورفع شأنه من الحضيض . وإن على المؤلف واجباً مقدساً هو أن يشترى من فوره سبحة كيلا ينسى أن يسبح بحمد الناقد أناء الليل وأطراف النهار . شأنه شأن القاضي الذي يصدر حكماً ينقل أحد المتقاضين من الفقر إلى الغنى . فيظل طول حياته يقول في مجالسه ... أنا الذي أغنيت فلاناً ونقلته من حال إلى حال وخلقته هذا الخلق الجديد . وينسى أنه كان مظهراً لحق هـذا الفلان لا أكثر ولا أقل . اللهم أن في هذا لاهداراً لكرامة العدالة وكرامة الفن !

ولكن من الإنصاف أن أقول : إني لا أشك في أن طه حسين في أول الأمر كان يصدر حقاً عن عقيدة الناقد الذي يؤدى واجب النقد والفن وحدهما ، فلم يكن قد رآني وما كنت قد رأيته ، وما كان تصادم الطباع والخصال قد لعب دوراً في تقدير الأمور ، وسواء كان طه مخطئاً أو مصيباً في رأيه الذي أبداه ، فهذا ليس من شأني ولا من شأن الأشخاص ، إنما هو من شأن النقاد ورجال الجامعة والباحثين من هذا العصر وما بعده ممن يعنون بتمحيص مذهب أستاذ من أساتذة النقد والأدب .

على أني إذا تفرغت للنقد يوماً ، فإني أرجو أن أؤدى واجبي بمثل هذه الحرارة والأمانة والقوة نحو آثار طه وغيره من الأدباء ؛ وإذا تحقق أملي وأقمت في أوربا بعد الحرب ، فسوف يكون من شأني القيام بهذا العمل نحو هذه الآثار في تلك البلاد

إلى هنا ينتهي ما بيني وبين طه حسين ، إذا كانت شؤون الآداب والفن هي حقاً ملك البحث والدرس والزمن والوطن لا ملك الأشخاص

أما مشاعري الخاصة كانسان نحو الدكتور طه ، فليس الظرف اليوم مواتياً للأطناب في وصفها ، وسأختار الزمان والمكان اللائقين للافاضة بها دون أن يحمل فعلي على غير محمله

وأخيراً ، أوجه خطابي إلى الأستاذ العقاد قائلاً :

« إنك للمرة الأولى تخاطبني بهذه اللهجة التي كنت تخاطب بها « الرافعي » رحمه الله ! »

أبهذه السرعة تضع الناس في صف أعدائك ؟ لعلك لفرط ما قاسيت من شر الناس ، ولقلة ما وجدت من خيرهم ، أصبحت مثل « هملت » : تستل سيفك لتضرب من خلف الأستار دون تبين الوجه . فطعنت صديقاً وأنت لا تدرى

توفيق الحكيم

خسرو وشـــــيرين

فى التصوير الإسلامى

للدكتور محمد مصطفى

— ٤ —

لما رحل خسرو إلى بلاد الروم ، ليطلب مساعدة الإمبراطور موريس على القائد بهرام جوبين ، ضاق فى عينى شيرين ريف أرمينية على اتساع أرجائه ، وكثرة ملاهيه ، وتنوع ضروب التسلية فيه ؛ فرجعت إلى عمتها مهين بانو ، حزينة على فراق حبيبها ، آسفة لقسوتها عليه ، فنشطت عمتها فى جلب السرور إلى قلبها ، والترويح عن نفسها ، وإماطتها بما يفسها أحزانها

وكان خسرو قد نجح — بفضل مساعدة إمبراطور الروم — فى استرداد عرش أجداده ، وتوّج للمرة الثانية ملكا على إيران ، وحكم بالعدل بين رعيته ، فصار محبباً إليها . ولكنه لم يجد فيما يحيط بجلال الملك من مباهج الحيـاة ، ما يخفف عنه لوعة الحزن والأسى ، التى يشعر بها فى قرارة نفسه لغياب شيرين

وماتت مهين بانو ، تلك العمة الطيبة القلب ، فصارت شيرين ملكة أرمينية ، ولكنها لم تستطع نسيان أحزانها ، بل زادت كآبة لما علمت بزاوج خسرو من مريم . وأرادت أن تجد العزاء والسلوى فى الشعور بقرب حبيبها منها ، فرحلت من أرمينية إلى « قصر شيرين » بين الهضاب المرتفعة فى إيران ، ومعها جمع كبير من صويحباتها وأتباعها ، كان بينهم شابور بقى فى خدمتها بأمر من صديقه خسرو ، يرعاها فى وفاء وإخلاص . ولما وصلت إلى قصر شيرين أرسلت شابور إلى المدائن ، بعد أن أوصته ألا يخبر خسرو عن وجودها فى قصرها ، مخافة أن تعكر عليه صفو حياته الزوجية . ولكن شابور لم يكترث لتحذيرها ، وجاء إلى المدائن حيث وجد خسرو فرحاً مسروراً ، لتلقيه أنباء مقتل القائد بهرام جوبين ، فأخبره بوجود شيرين على مقربة ، وزاده بذلك طرباً وحبوراً ، ثم رجع إلى قصر شيرين

وكان لقصر شيرين ـ بالرغم من كل ما فيه من الاستعدادات العظيمة لاستقبال ملكة أرمينية ـ نقيصة واحدة ، هى وجود المراعى والأغنام بعيداً عنه ، فى ناحية الجبل الأخرى ، ولهذا السبب لم يكن فى استطاعة شيرين أن تحصل على أى مقدار من اللبن . واشتكت من ذلك يوماً ما أثناء وجود شابور ، فأخبرها عن مثّال ماهر ، واسع الحيلة ، كان زميلاً له فى أيام الدراسة ، اسمه فرهاد[١] ، يظن أن فى استطاعته أن يذلل هذه العقبة وأن يعمل شيئاً فى سبيل إرضاء رغبتها . وذهب شابور فأحضر فرهاد[٢] . وما كاد هذا يقف بين يدى شيرين ويتطلع إليها ، حتى غمره حبها وتولاه الذهول ، فلم يفقه من كلامها شيئاً ، واضطر أصدقاؤه بعد ذلك أن يفسروا له رغباتها ، وأخذ فرهاد فى تنفيذ ذلك بجد واجتهاد ، حتى أمكنه بعد شهر واحد أن ينحت فى الصخر قناة تخترق الجبل ، وتصل بين القصر من ناحية وبين المراعى فى الناحية الأخرى . وأخذ رعاة الأغنام يحلبون اللبن ويسكبونه فى القناة فيجرى فيها إلى القصر ، وبذلك صار فى إمكان شيرين أن تحصل فى صباح كل يوم على ما تحتاج إليه من اللبن الطازج[٣] . وأعجبت شيرين بهذا العمل الهائل الذى يفوق مقدرة البشر ، فأطنبت فى مديح فرهاد ، وأرادت أن تكافئه بما يريد من الذهب والأحجار الكريمة ، ولكنه أبى أن يأخذ شيئاً ، وفر هارباً إلى الصحراء ، حيث هام على وجهه كالمجنون .

وسمع خسرو بهذا الحب فأرسل من أحضر فرهاد من .

(١) نظم بعض الشعراء بالايرانية والتركية قصة « فرهاد وشيرين » على حدة ، معتمدين فى نظمها على ما رواه الشاعر نظامي عن هذه القصة فى منظومة « خسرو وشيرين » . انظر الشاهنامه ج ٢ ص ٢٣٧ فى الحاشية و E. J. W. Gibb, History of Ottoman Poetry

(٢) انظر صورة الشابور وهو يقدم فرهاد لشيرين فى Mehmet Aga-Oglu, The Khusraw wa Shirin Manuscript in the Freer gallery, in : Ars Islamica, IV (1937) fig. 3.

(٣) يروى ابن الفقيه فى كتاب البلدان — طبعة ليدن — ص١٠٩ ، أن الملك خسرو جلس مع شيرين يتناول الشراب ، فلما سكر قال لشيرين : سلينى حاجتك . فقالت : حاجتى أن يكون لى فى هذا الباغ (قصر شيرين) نهران من حجارة يجرى فيهما الخمر واللبن . قال : أفعل ذلك . ونسيه الملك ، فاستحيت شيرين أن تذكره ، فعمل الفهربذ غناء وذكره حاجة شيرين فأمر ببناء النهرين .

الصحراء ، ولما مثل بين يديه ، حاول أن يثنيه عن حبه لشيرين ، ولكنه لم يفلح بالوعد ولا بالوعيد أن يزحزحه قيد أنملة بعيداً عن ذلك . وأخيراً عمد خسرو إلى الحيلة ، فوعده أن يزوجه شيرين ، إذا استطاع أن يشق طريقاً فى صخر جبل بيسُتون[1] ظناً منه أن ذلك سيصعب عليه . ولكن فرهاد وافق فى الحال ، وقبل هذا الشرط ، ورحل إلى جبل بيستون ، حيث بدأ بنحت لوحة عليها صور شيرين وخسرو وشبديز ، وجعل من صورة شيرين رمزاً لحبيبته ، لكي يراها فى كل لحظة تطل عليه لترى بنفسها مقدار كده وتعبه وما يبذله من العناء فى سبيل الزواج بها ، ولكي يلجأ إليها فى ساعات فراغه ليبثها غرامه وشقاء قلبه فى حبها . وبلغ شيرين ذلك ، فجاءت إلى جبل بيسُتون لتسرى عن فرهاد ، ولكنه عند ما فوجئ برؤيتها ، كاد أن يفقد صوابه ، لفرط ما طغي عليه من السرور ، فأشفقت عليه شيرين وأعطته جرعة من شراب ، تمكن بها من استعادة صوابه الفاقد ، لحدثها عن مبلغ هيامه بها وعن حالته التعسة .



(شكل ١)

وفى (شكل ١) جاءت شيرين لزيارة فرهاد ، وهى راكبة على جواد أصيل ، عند ما علمت بما يكنه لها من الحب المبرح ، ونراه هنا — ومعه أدوات النحت — حيث يعمل فى الطريق الذى يشقه بجبل بيسُتون ، وهو راكع أمامها يرتشف من قَعْب[1] خزفى جرعة من شراب أعطته إياه شيرين لتهدئة ما طغى عليه من الوجدان بتأثير هذه الزيارة الفاجئة . وإلى جوار فرهاد لوحة نحتها فى الصخر لتخليد ذكرى فتح هذا الطريق العظيم ، وقد نحت فى أعلى هذه اللوحة صورة خسرو وهو واقف بين حبيبته شيرين وبين موبذ الموبذان[2] ، وفى أسفلها صورته وهو راكب على الفرس شبديز . وقد أراد المصور أن يمثل هنا الصور الشهيرة التى نحتها المثّال فرهاد فى صخور « طاق بُستان » والتى خلدت لهذا المثال شهرة واسعة[3] (أنظر شكل ٢ القادم) . ونلاحظ فى هذه الصورة الغبار الذى يتطاير خلف جواد خسرو على هيئة السحب الصينية « تشى » ، وهذا يدل على مقدار ما بلغه تأثير التصوير الصينى فى أسلوب مدرسة شيراز التيمورية فى إيران . ومن ميزات أسلوب هذه المدرسة ما نراه فى هذه الصورة من الحركة والحياة فى رسم المنظر فى الهواء الطلق ، بخلاف ما كان متبعاً فى المدارس السابقة لهذه ، من رسم المناظر فى داخل المبانى وما يقتضيه ضيق المكان من الجمود الذى يظهر فى رسم الصور . كما أن رسم الأشجار المورقة المحيطة بالمنظر صار منذ هذا العصر من التقاليد المتبعة فى تصوير المناظر الخارجية[4] وهذه الصورة[5]

---

(١) يوجد مكان على بعد عشرين ميلا إلى الشمال من كرمانشاه به طريق منحوت فى الصخر بجبل بيستون يقال إنه من عمل فرهاد . انظر : Gibb, I, p. 322 n. 1

(١) قعب والجمع قعاب ، آنية للشرب تشبه فنجان الشاى ولكنها بدون يد ، يقال لها بالفرنسية Coupe وبالانجليزية Cup وبالألمانية Schale . والقعب هو الاناء الذى يكفى ما يحتويه من الشراب لاطفاء ظمأ الرجل أو الرجلين . والصغير من هذا النوع من الآنية يسمي « غمر » ، وهو الذى لا يكفى ما يحتويه من الشراب لاطفاء ظمأ الرجل الواحد . انظر قاموس Lane كلمة « قعب » والمراجع المذكورة فيه .

(٢) موبذ الموبذان ، لقب رؤساء الزردشتيين ، وكان للموابذة شأن عظيم فى عهد الدولة الساسانية . انظر الشهنامه ، مدخل ص ٧٧

(٣) انظر : B-W-G., p. 65, no. 42 c.

(٤) انظر : S. P. A., III, p. 1846

(٥) منقولة عن : B-W-G, pl XXXIII B . وللمقارنة انظر : Mehmet Aga-Oglu, in : Ars Islamica, IV (1937), fig. 4

فى مخطوط للمنظومات الخمس للشاعر نظامى يمكن تأريخه بين سنتى ٨١٣ و٨٢٣ هجرية (١٤١٠ — ١٤٢٠ م) ، وهو محفوظ فى مجموعة كارتيير بباريس



(شكل ٢)

وفى (شكل ٢) النقوش الخالدة التى يقال إن المثال فرهاد نحتها بداخل كهف الملك خسرو برويز فى طاق بستان . ويقع طاق بستان فى ناحيـة الشمال الشرقى من كرمانشاه ، فى سفح جبل بيستون[1] فى مكان ملئ بالخضرة الناضرة والمياه الجارية . ويتألف من عدة كهوف أمر بنحتها بعض ملوك الأكاسرة فى صخر الجبل . وينسب أكبر هذه الكهوف للملك خسرو برويز[2] ، وفى الحائط الخلفى لهذا الكهف نحت فرهاد هذه النقوش[3] ، فنرى فى أعلى الصورة خسرو بين شيرين وموبذ الموبذان ، أو كما يقول رأى آخر بين الإلهين هرمز وأناهيتا . هما يبايعانه بالملك . وفى أسفل الصورة خسرو على جواده شبديز[1]

ويذكر أبو عمران الكسروى طاق بستان فى الأبيات الآتية[2]

وهم نقروا شبديز فى الصخر عبرة ... وراكبه برويز كالبدر طالع

عليه بهاء الملك والوفد عُكّف ... يخال به فجر من الأفق ساطع

تلاحظه شيرينُ واللحظ فاتنٌ ... وتعطو بكف حسَّنتها الأشاجع

يدوم على كر الجديدين شخصه ... ويأتى قويم الجسم واللون ناصع

ويروى ابن الفقيه[3] أن بعض الملوك اجتاز هناك ونزل وشرب ؛ وأعجبه الموضع فاستدعى خلوقا وزعفرانا لخلق وجه شبديز وشيرين والملك فقال بعض الشعراء :

كاد شبديز أن يحمحم لما ... خُلّق الوجه منه بالزعفران

وكان الهمام كسرى وشيريـ ... ـن مع الشيخ موبذ الموبذان

من خَلوق قد ضمخوهم جميعاً ... أصبحوا فى مطارف الأرجوان

(له صلة)

محمد مصطفى

أمين مساعد دار الآثار العربية

(١) انظر : F. Sarre, Die Kunst des alten Persien, S. 38

(٢) يخالف الدكتور Erdmann هذا الرأى فى البحث الذى كتبه عن تاريخ طاق بستان . انظر : K. Erdmann, Das Datum des Taq-i-Bustan, in : Ars Islamica, IV (1937), p. 78 — 97. وانظر أيضاً المراجع المذكورة فى S. P. A, I, p. 496 n. I عن هذا الموضوع

(٣) هذه الصورة منقولة عن : K. Erdmann in : Ars Islamica, IV (1937), fig. 8 .

(١) انظر : Friedrich Sarre, Sasanian Stone Sculpture, in : S. P. A., I, p. 598

(٢) انظر كتاب البلدان لابن الفقيه — طبعة ليبزج — ص٢٠٢ — ٢٠٣

(٣) فى كتاب البلدان — ٢٠٣

في سبيل إصلاح الأزهر

الأستاذ محمد يوسف موسى

ليس كثيراً على (الرسالة) الغراء وصاحبها الجليل أن يُشغلا بالأزهر وإصلاحه ، وليس معنى إفراده بالكتابة ولفته لواجبه أنه دون الجامعة فهماً لتبعاته وقياماً بها . ولكن معنى هذا أن الأزهر لمصر وللعالم الإسلامي عامة ، كالقلب به صلاحه وقوامه ، وكالمنارة تهدى الضال وترشد السفر بما تبعث من ضوء وهدى . إنه الذي يقوم على ثقافة ناشئة الإسلام العالية من الصين في الشرق إلى المغرب الأقصى بأفريقية

لهذا كان حريًا بنا إنعام النظر والدرس ، والتعمق في التفكير والفحص ، لهذه الجامعة التي هي رابطة بلاد الإسلام ، لعلنا نقف على الداء ونصيب الدواء ، فينهض الأزهر بعد أن طال عليه الأمد وهو وسنان ، ويمضى لغايته قدُماً بعد طول عثار ، ويعود كما كان مصدر العلم النافع والعرفان الذى به ملاك الدين والدنيا .

لا ريب في أن الأزهر تخلف عما يراد منه ، يعرف هذا من اتصل به تلميذاً أو مدرساً ، ويشكو منه أبناؤنا وبخاصة غير المصريين الذين تركوا بلادهم خماصاً ليعودوا إليها بطاناً مليئين بالعلوم المجدية ، فإذا قلوبهم واجفة خشية أن يرجعوا إلى أوطانهم كما جاءوا إلينا بعد أن أضاعوا زهرة العمر ! هذا حق ، ولكن ما علة هذا وما أسبابه ؟ وهل إذا تبيّنا العلة كان من السهل أن نطبّ لها ونقتلعها من جذورها ؟

أعتقد أنه من الجرأة والمجازفة أن يزعم أحد منا أنه وقف على الداء كله ، وعرف له العلاج الشامل الكامل . ومع هذا كان من الواجب أن يدلى كل من تهيأت له الأسباب برأيه ، على أن يكون لنا من مجموع هذه الآراء ما يعين على تقويم المعوج ويهيئ السبيل للخير المرجى

***

١ — أول ما يلفت النظر فيما نحن بصدده أن طائفة منا تعيش في هذه الأيام بعقلية رجال القرون الوسطى . المدرس لا يعنيه إلا أن يفهم الكتاب المقرر وأن يُفهمه لطلابه ؛ فإن يسر الله والطلاب له هذا ، حمد الله ورأى أنه قام بواجبه . ليكن هذا الكتاب مليئاً بالمسائل والمشاكل اللفظية ، ومحشواً بغير قليل من الأخطاء العلمية ، فذلك لا يغير من وضع المسألة لدى الطلاب وعامة المدرسين ، ولا يلفتهم إلى محاولة فهم العلم نفسه والوصول إلى الحق ، سواء أكان في هذا الكتاب أم في غيره !

٢ — ثم لا يكاد الكثير منا يحس أن للأزهر رسالة يجب أن يضطلع بها ، ودوراً عليه أن ينهض بأعبائه . ولو أننا نفقه رسالتنا ونؤمن بها لما كان في أمورنا هذا الوهن ، وفى سُبلنا هذا العوج ، ولكنا أعرف بالإصلاح وأهدى لسبيله ، ولأصبنا من النجاح — على الأقل — ما أصاب رجال الجزويت المنبثين في شرق العالم وغربه

هؤلاء يفهمون رسالتهم التي وهبوها أموالهم وأنفسهم ، وهي غرس الدين المسيحي في قلوب من يلون أمر تربيتهم وتثقيفهم ، ونشر هذا الدين في جنبات الأرض جميعاً . لهذا يدرسون دينهم دراسة وافية ، كما يدرسون الدين الإسلامي كذلك ، لعلهم يجدون فيه ثغرة ينفذون منها للدعاية لدينهم . ومع هذه الدراسات الدينية العالية تراهم يشاركون مشاركة طيبة في العلوم الاجتماعية والعمرانية وفى الفلسفة والآداب ، ويتوسلون بهذه العلوم كلها ليصلوا إلى ما جعلوه لأنفسهم غرضاً وغاية . وهم في أمورهم عامة مخلصون متفانون ، لا يتهيبون عملاً ، ولا ينكصون عن تضحية ، يأتمرون ويتباحثون ويكيفون أنفسهم ومناهجهم حسب ما توحى به الأيام والمناسبات

أما نحن معشر الأزهريين فقد جهلنا العالم فأنكرناه ونكرنا ، وتجهمنا للعناصر الأخرى التي تتألف منها الأمة فتجهمت لنا ، وصرنا نعيش على هامش الحياة لا نحس بالغير ولا يحس بنا . منا من يفهم الدين على أنه شعائر جافة جدبة لا وسائل للفلاح والخير ! ومن يحذق قواعد النحو وأصول البلاغة ، ثم يعسر عليه أن يقيم لسانه بين الناس بأسلوب فصيح نفاذ للقلوب ! ومن

المدنيـــة والانسان

[إن المدنية التى لا تصون نفسها من الدمار ، لا يمكن أن تصون الانسان]

للأستاذ حسين الظريفى

كثر الكلام فى عناصر المدنية ومظاهرها ، وما لها من فعل وانفعال فى كل أبناء الحياة ، وكان من البداهة أن يزيد تأمل الإنسان فيما دخل عليه فى وسائل معاشه وطرق تفكيره ، وفيما وراء ذلك من مظاهر النفس والشعور ؛ فالمدنية الحديثة لم تدع شيئاً لم تأخذه بنصيب ، من بعيد أو من قريب ، فلم تقف عند حد الوسط الذى نشأت فيه ، وإنما فاضت عنه إلى خارج الحدود ، وإلى ما وراء البحار والجبال وكل حاجز أقامته الطبيعة فى قرونها الطوال ، ولم تتناول مظهراً واحداً من مظاهر الحياة ، وإنما جمعت كل هذه المظاهر ووضعتها فى موضع المحو والإثبات ، فأخرجت للناس مظاهر جديدة عليها طابع من التفكير الحديث وما يلى التفكير من إرادة ومن عمل ، ومن نتائج خطيرة تبطل دونها كل محاولة مقابلة

على أن صراعاً قام ولم يزل قائماً بين ما وصل إليه العلم الحديث من فهم للحقائق وقيام بالعمل ، وبين ما يجر هذا العصر وراءه من تراث عقول خلت منذ أن رأت الأرض أول هلال فى الأفق . وما زال الصراع قائماً فى حرب تستحر هنا وتخف هناك ، فتتغير الحقائق وتتبلور ثم تنصب فى شكل جديد تؤثر على الناس فيما لديهم من وسائل الحياة ، وفيما عندهم من أساليب الفكر والبيان

لقد كانت تبشرنا المدنية الحديثة بإحلال الرخاء فى كافة الأرجاء ، وكانت أبلغ كلمة تخرج من أفواهها تلك التى تصور الشعوب فى وحدة كاملة شاملة غير متنافرة الأجزاء ، تفاهمها دائم ، وسعيها وراء الصالح العام

تلك أمنية تملأ خيال كل مفكر ، وتسيل على لسان كل ذى بيان ؛ إلا أن مدنيتنا الحديثة كانت تحاول إلهامنا اليقين فى قرب حلول الساعة التى يكون فيها الناس أمة واحدة ، فشحذت العزائم وانطلقت الجوارح تعمل فى هذا الحقل ، والجميع يأملون ويعملون

كان فى الإمكان أن يتعارف الناس على غير ما تعارفوا عليه طيلة القرون التى خلت . فتخرج الشعوب عما رزخت تحت أعبائه

يرى الحق فيما قال الغزالى مثلاً وإن كان الخطأ فيه بيناً ، والإلحاد والكفر فيما ذهب إليه الفلاسفة وإن كان الصواب فيه واضحاً ! ومن يعلم الأخلاق ولا يتخلق ، والفلسفة ولا يتفلسف ، والأصول والفقه ولا يجتهد ، وعلم الكلام ولا يستطيع أن يجادل عن الدين خصومه الحاضرين لا من عفت آثارهم الأيام !

وكان من هذا كله ، ومن تخلفنا فى الطريق ، أن تجاهلتنا وزارة المعارف فى أمور كان لا يصح فيها التجاهل ، وإن أغضينا العين على القذى . أذكر من هذه الأمور ما كان من الوزارة حين ألفت لجنة رسمية لتأريخ أعلام الإسلام ، فى التشريع واللغة والأدب وسائر نواحى النشاط العلمى ، فلم يكن فيها أحد من الأزهر ! وما يجرى هذه الأيام بين سمعنا وبصرنا من السفارات العلمية بين رجال الجامعة والعراق ، دون أن نخطر على البال فيستغنان بنا فى هذا السبيل ! وهكذا صرنا كما قال الشاعر :

ويقضى الأمر حين تغيب تيم ... ولا يستأمرون وهم شهود

أو كما قال الآخر :

يخلفون ويقضى الناس أمرهم ... وهم بغيب وفى عمياء ما شعروا

٣ — وثالثة الأثافى توسيد الأمر أحياناً إلى غير أهله ، والثقة بمن لا يستحق ، ورعاية جانب الطلاب على حساب العلم . وتفصيل هذا فى الكلمة التالية إن شاء الله تعالى

وإنى لأرجو مخلصاً غاية الإخلاص لفضيلة الأستاذ الأكبر الإمام المراغى ، وموقناً بأنه خير من يفهم الأزهر ورسالته ويقدر على إصلاحه ، والسير به حتى يبلغ الهدف المنشود ـ أن تكون هذه الكلمة فاتحة لأخريات من إخوانى الذين يحسون ما أحس من نقص يجب علاجه وتلافيه وتبعات جسام يجب القيام بها ... والله الهادى إلى الصراط المستقيم .

محمد يوسف موسى
مدرس بكلية أصول الدين

من ضيق فى ناحية الحقائق وسعة فى ناحية الخيال ، وتسخر الطبيعة بمـا فيها من قوى كامنة وساكنة لانتفاع الناس بها بعد أن كانت مصادر الهيلم فى وادى الظنون والأوهام

غير أن المدنية وقد نفذت من المادة إلى داخل النواة فأخرجتها بمظاهر مختلفة فيها منافع للناس ، قد وقفت دون المشاعر فلم تأخذها إلا بطرف يسير ، لا تفتأ فيه أن تنقلب إلى ما كانت عليه متى أثيرت فى النفوس تلك الغرائز التى تحيا فى قاعها ، وتعمل على إحياء السيرة التى كان عليها الإنسان فى أول عهده بالحياة ، فكانت هناك بقية مما يتصل بالروح بعيدة عما هى لصيقة بالمادة ، وفى هذه الشقة يضيع التوازن ويحل الاضطراب

واليوم ، وبعد أن قامت الحرب على قدم وساق وما تزل قائمة تتردد فى أسماعنا أصوات أولئك الذين أشعلوها وما زالوا يمدونها بالوقود ؛ وهى تحمل نغمات الوعد بإحلال السلام بعد إنهاء الحرب وإحراز النصر ؛ ولكن فاتهم أن السلام شىء غير مجرد الكلام وأن نزع السلاح لا يضع خيراً ولا يرفع شراً ، وأن أصل الداء فيما نحن عليه من عقائد وأفكار وأخلاق تحدث خروقاً كثيرة فى مدنيتنا الحديثة

لقد أردنا من المدنية أن تقينا شرور الطبيعة وأن نجد على راحتها الشفاء من كل داء ، ولكن فاتنا أن المدنية التى لا تقدر على حماية نفسها من الدمار لا يمكن أن تصون غيرها مما يخشى الوقوع فيه . وما دامت المدنية لم تكن فى وضع تقوى فيه على رد كل يد ، تخرج عليها مما حولها ومما عندها ، فإن الإنسان ولا ريب غير بالغ ما يريد الوصول إليه من إملاء الحياة بالحياة وطبع الأيام على حد السلام

إن للمدنية يداً دخلت المواد كلها ، ولكنها صنعت فيما صنعت تلك القلاع الطائرة التى تحمل الموت الزؤام ، وتلك البروج المتحركة التى ترمى بشرر كالقصر ، ومن ورائها ضروب من الوسائل التى تنشر الموت والخراب ، ونحن بعد ذلك أولو مدنية وفى تطور إلى الأمام !

أنا لا أنكر أن للمدنية فضلاً سابغاً على بعض المرافق وفى بعض الجهات ، ولكنه فضل غير جامع وغير مانع لما يظهر من نقص وافتقار . لقد أعطتنا المدنية الحديثة متعة جديدة بما ابتكرته من وسائل الترفية وفنون المسرات ، ولكنها لم تنقص من أطراف ما يدخل الناس من هموم وأحزان ، وإنما زادتها أضعافاً مضاعفة ، وكانت الحياة سلوة أبنائها ، لا يشترون لذائذها إلا بأزهد الأثمان ، فعادت وقطوفها مرفوعة وممنوعة إلا عمن أعطى المال غير صاغر وكان من أهل الثراء

يمكن أن يقال : إن المدنية لم تبلغ بعد شأوها ، وإنها ما زالت دون المدى الذى تسمى إليه ، ولكنها ولا ريب قد بلغت فى مختلف مراحلها حداً لم يعد جديراً بها ألا تحسب لأرواح الملايين من الناس أى حساب ، وأن تقيم قوة الحديد والنار فى موضع التفاهم وتبادل الآراء ، دون أن يمنع التقاتل ما أعدته الطبيعة من حواجز أقامتها بفعل الأجيال ، ثم انطلقت قوى الخراب واليباب تفعل فعلها فى البر والبحر وعلى متون الهواء ، واستحر القتل فاخترقت خطوط الدفاع وتناول الدمار كل مرفق من المرافق . تلك ظاهرة ولا كالظواهر : تبعث فى نفسى فكرة الانتقاض على هذه المدنية التى لم تستخدم فى شىء بأكثر مما استخدمت فى إهلاك النسل والحرث . ولست أشك فى أن المدنية الحديثة ذات جروح دامية ، وأن داءها فى نفسها ، وأنها الآن يعز عليها الأساة

« بغداد » **صبيح الظريفى**
المحامى

من مذكرات قاضي شرعي

١ – من التعليم إلى القضاء

للأستاذ علي الطنطاوي

يسألني كثير من الإخوان، كيف وجدت القضاء؟ إني وجدت القضاء راحة جسم وتعب بال، وعلو منزلة وقلة مال، واكتساب علم وازدياد أعداء، وحملاً كبيراً نسأل الله السلامة من سوء عاقبته:

أما أنه (راحة جسم) فذلك أني كنت في التعليم أتكلم ولا أسمع، فصرت الآن أسمع أكثر مما أتكلم. وكنت لا أقدر على السكوت لأني إن سكت تكلم العفاريت (أعني التلاميذ)، حتى أنه ربما أصابني أحياناً أذى في حلقي فجعلني أغص بالماء الزلال، وأشرق بالريق، وأجد للكلمة الواحدة انطلق بها مثل حزة السكين ثم لا أستطيع الصمت دقيقة لئلا يفلت من يدي طرف السلكة فينفرط العقد ويبطل النظام. وكنت أدخل الصف (الفصل) وأخرج منه خمس مرات أو ستاً في اليوم ولا أقعد على كرسي لئلا يرى الشيطان مني غفلة فيعطس في مناخر التلاميذ فيحدثوا في الفصل حدثاً، وياما أكثر أحداثهم! وأيسرها ضجة كضجة حمام انقطع ماؤه كما يقول الشاميون في أمثالهم العلمية. ثم إذا خرجت من الصف لأستريح راحة ما بين الدرسين (الحصتين) لحقني طائفة من الطلاب يسألونني فأقف لهم حتى ينفخ إسرافيل المدرسة في صوره فيحشر الطلاب والمدرسون إلى نار العمل. فأصل آخر النهار بأوله وأنا قائم على أمشاط رجليّ ولساني لا يكف عن الدوران في فمي... فغدوت الآن ولا عمل لي إلا القعود على كرسي القضاء أقول الكلمة بعد الكلمة وأسمع سيلاً من الكلام مما له موضع أو ليس له مكان، وإلا كتابة القرارات (أي السجلات في عرف الفقهاء)، وقد كفاني الكاتب (أحمد) الله فماله كل ما سوى ذلك من الأعمال، وما ينغص عليّ هذه الراحة إلا خشية ثقل اللسان من كثرة الصمت فلا ينطلق بعد كما كان ينطلق، وإن كان ذلك نعمة ترجى، وإن كان لساني هو مصدر أذاي ومن الخير لي أن يثقل أو يكلّ

أما (تعب البال) فلأني أحمل على عاتقي حقوق الناس، وأحكم في الأعراض وهي (لعمر أهل المروءة) أثمن من المال وأغلى، فإذا قمت أو قعدت لم أزل مفكراً في هذه القضية وتلك الدعوى، لا لصعوبة فيها أو تعقيد، فطريق القانون واضح لمن كان أكبر همه ظاهر القانون، وكان دينه عبادة حروفه، بل لأنفذ من خلال الفكر إلى مقصد القوانين وهو إقامة العدل. فأنا أفكر لأعرف المحق من المبطل، وأنضو عن المتقاضيين ثياب التصنع والرياء، لتبدو حقائقهم عارية، وما ذلك بالأمر اليسير ولا المطلب الهيّن، وإذا كنت قد وصلت مرة بالفراسة في لحظة خاطفة إلى ما لا يوصل إليه بمرافعة شهود فذلك من فضل الله، بيد أنه لا يدوم، ولا بد من الرجوع إلى الحكم بالشهادات التي قد يعلم القاضي أنها شهادات الزور، وأن الشهود فساق لا عدالة لهم ولا تقبل من مثلهم شهادة، وكانت القرائن تقطع بكذبها — والقرائن والأمارات من أسباب الحكم — كما بيّن ذلك ابن قيم المدرسة الجوزية[1] في كتابه الجليل أعلام الموقعين، ولكن لا سبيل لنا إلى الأخذ بها إلا أن تنظر وزارة العدل في دمشق في الاقتراح الذي رفعته إليها في هذا الموضوع وتتخذه أساساً لإصلاح شامل يخلص الناس من شهود الزور الذين صارت لهم جماعات ومراتب وأجور مسعّرة ودخل فيهم من يعتقد الناظر إليه أنه من الأولياء، ويجده مباحثه من العلماء، وهذا شر استطار شرره، وعم الأنام خبره، وشملهم ضرره — فكيف يهدأ بال من يغلب على ظنه أو هو يعلم فساد البيّنة ثم يضطر إلى الحكم بها؟

هذا وقد نجاني الله بما ركب في طبعي من الحدة في الخلق والشدة في الحق من منغصات القضاء، من الوساطات والالتماسات والهدايا والرشوات والولائم والدعوات، وسلمني من ذلك كله أني لا أعرف في الحق لطفاً ولا مجاملة ولا خجلاً ولا فرقاً وأرجو دوام ذلك.

أما (علو المنزلة) فلأن لاسم القاضي دون الحاكم الذي وإن علت رتبته وزادت وظيفته، له في الأسماع رنة إكبار، وفي القلوب صورة إعظام، وله هيبة وله جلال، خلع ذلك المجد عليه أولئك الأبطال نجوم فلك العدل، ودراريه الهاديات، أفذاذ الدهر وأبكار الزمان، الذين يحق لنا أن نفاخر بهم أمم الإنس والجن، وأن نجمل قضاءنا بهم أول ما نعقد عليه الخناصر إذا عددنا المفاخر، وما زال قضاء كل أمة أول مفاخرها، وقضاتنا

---

(١) الجوزية بجوار دار آل العظم في البذورية بدمشق وقد جددت بناءها جمعية الأسعاف الخيري ومدرسة ابن القيم التي كان يجري فيها هي كما أظن التي في منحدر الخيضرية (الخضيرية) بدمشق. وقبره في السنانية بدمشق معروف رحمه الله.

الأولون شريح وإياس وشريك وأبو يوسف والعز بن عبد السلام ومنذر بن سعيد ومن أذكر الآن ومن لا أذكر ممن يقصر عنه العد ، ويضيق الحصر .

ولو لا أني عامل على تأليف محاضرة وافية بهـذا الغرض ولا يجمل بي إذاعتها بالنشر قبل نشرها بالتلاوة لأفضت في هذا الموضوع إفاضة من وجد مجال القول واسعاً ، والمقول جديداً مسمناً ، والسامع مصغياً متشوقاً متلهفاً — لذلك يعظم الناس اسم القاضي ، لأنهم يذكرون به هؤلاء وأمثالهم ، وعهداً رحم الله ذلك العهد ، كان فيه القاضي قاضياً في كل خصومة بشرع الله ، حاكماً بما أنزل . لم يكن المسلمون يهجرون فيه جواهرهم ولآلئهم لخزيفات يستجدونها من أيد أشحة بها لأنها لا تملك غيرها ، ولا يدعون شرع أحكم الحاكمين لشرع بشر من ماء وطين ، وكان من مشاغل علمائهم البحث في الحسن والقبح هل هما شرعيان أو عقليان وكثر في ذلك الكلام ، فلما صرنا إلى هذه الأيام ذهب ذلك الخصام وحل مكانه الوئام . واصطلح أهل عصرنا من الناشئة والشبان على أن الحسن ما حسنه (أولئك ...) والقبح ما قبحوه ، وارتضينا كلنا هذه النتيجة التي انتهينا إليها ، وصممنا الوقوف عليها ، وسكن الجدال فلا قيل ولا قال ، وكفى الله (المؤمنين) القتال ، والحمد لله على (كل) حال

وأما (قلة المال) فلأن أجر القاضي الشرعي في بلادنا أي مرتبه قليل قليل ، وهو أدنى من سائر الحكام المدنيين ؛ مع أنه يشترط فيه إجازة (ليسانس) الحقوق ، والفوز في الامتحان الملكي ، وسبق الاشتغال مدة في المحاماة ... وهذا حديث له مكان آخر .

وأما (اكتساب العلم) فهو النعمة المفردة بين نعم القضاء المتعددة ، اللهم بعد نعمة الثواب إذا كان الله يكتبه لمقصر مثلي لا يستحقه بعمله ولم تصف له نيته ولم يتجرد بعد عن حب الشهرة والجاه ، وإن ضعفت رغبته فيهما وهانا عليه — إن المطالعة هي نعمة هـذه المحنة في المهنة ، ولقد كنت أطالع دائماً وأنا معلم ، بل إني لا أعرف أنه مرّ عليّ يوم واحد منذ عقلت إلى اليوم لم أقرأ فيه شيئاً ، غير أني استفدت من القضاء الأنس بكتب الفقه والاستمتاع بها مثل استمتاعي بكتب الأدب أو قريباً منه . وعندي مجموعة منها صالحة إذا أنا استمررت على النظر فيها رجوت أن أكون يوماً من الأيام من أوعية هذا العلم . ذلك لأني أداب على القراءة ولا يمنعني من السؤال عما لا أعرف حياء ولا كبر ؛ ولأن لي بحمد الله ذاكرة لا تمسك النصوص بحروفها ولا الأرقام ولا الأبيات ، غير أنها في حفظ المسائل ومواطن وجودها من العجائب . وما أعهد أني نسيت مسألة قرأتها أو سمعتها ، وما أعهد أني تعرفت بإنسان وحفظت اسمه إلا بعد المخالطة الشديدة الزمن الأطول ، ثم إني أنسى اسمه إذا فارقته مع أني لا أنسى الوجه ولو رأيته مرة واحدة ، ولا أعرف تعليل هذا الأمر

وأما (ازدياد أعداء) القاضي العادل القائم بإحقاق الحق ، والموظف النزيه المستقيم ، فشيء مشاهد مسلم به لا يحتاج إلى بيان . وإذا كان قد روي عن أبي ذر أنه قال (كلمة الحق ما تركت لي صاحباً) وذلك على عهد الصحابة وفي أفضل القرون ، فما بالك بعصرنا ؟ وماذا يقول القاضي وما قضية تعرض عليه إلا وفيها اثنان يقضي لأحدهما على الآخر ، فمن قضى عليه جعله عدواً له ماعدا النادر الأندر من الناس الذي يرضى بالحق ولو كان على نفسه . وأكبر المصيبة أنه قد يكون المبطل المقضي عليه ، أو الشفيع المردودة شفاعته كبيراً في قومه ، وجيهاً في بلده ، فإذا ألزمته ما يلزمه شرعاً أثار عليك الشعب والحكومة ، وافترى عليك الفرى ، وأساء فيك رأي رؤسائك فآذوك وضروك وأخروا ترفيعك . والمعروف عند أولي الأمر أن الموظف الصالح هو الذي لا يسخط عليه أحداً ولا يثير مشكلة ، ولا يكون ذلك لقاض عادل وموظف نزيه ، وإنما يكون لمنافق في جيبه ألف وجه في كل وجه مائة لسان، يقابل كلا بالوجه الذي يحبه ، ويخاطبه باللسان الذي يرضيه

وخلاصة القول أن القضاء (حمل ثقيل) وهم طويل ، ولو أن الله أغناني عنه وكتب لي أن أعيش بقلمي ومؤلفاتي ، أو لو أني رزقت مرتبة أهل الورع لما أقدمت عليه ولآثرت التعليم فهو أسلم ، ولكني وقعت والله لا يكلف نفساً إلا وسعها . وإن وسعي وغاية جهدي العزم الصحيح وبالله التوفيق على أن لا أحكم في قضية مما لم أعرف حكم الشرع فيها على مقدار طاقتي فأسير عليه ، وأن لا أتعمد الزيغ والظلم تعمداً ، ولا أنوي الميل مع أحد الخصمين ، وأن لا تأخذني في الحق رغبة صديق ولا رهبة ذي سلطان . أما الخطأ فلا أملك دفعه إلا بالانتباه ، أما الجهل فلا أقدر معه إلا على التعلم والسؤال

هذا وقد فسروا حديث القاضي والقاضيين أن القاضيين اللذين في النار هما قاض يقضي بالجور وقاض يقضي بالجهل . ونحن نسأل الله لنا ولكل محب للحق أن يوفقنا إلى اتباع الحق ، وأن يعلمنا ما ينفعنا ويرزقنا العمل بما علمنا ويزيدنا علماً .

(النبك — سورية) علي الطنطاوي

نظام الصدقات فى الإسلام

للسيد على حسين الوردى

إن علم المالية العامة علم حديث ، ولم يعر الناس التفاتهم إليه إلا فى هذه العصور الأخيرة وذلك بعد أن تطورت الحكومات الحديثة وتشعبت وظائفها وانتشرت فى الناس مبادئ الديمقراطية

لقد كانت الشعوب ــ فيما مضى ــ لا يعنون بمالية الحكومة من حيث وارداتها أو مصروفاتها إذ كانوا يعتبرونها مما يخص الملك ومن يلوذ به من الوزراء والعمال . . . وكانت الحكومات القديمة بدورها لا تهتم إلا بتوفير المال لخزينة الملك مستعملة فى ذلك كل ما تستطيع من وسائل مشروعة أو غير مشروعة . فلم تكن ــ كالحكومات الحديثة ــ توجه قسطاً كبيراً من عنايتها إلى العدل فى فرض الضريبة ، وفى توزيع عبئها توزيعاً مناسباً بين طبقات الأمة ، وإلى إنفاق الواردات العامة فيما ينفع الناس ويزيد الرفاه فى المجتمع[1]

وقد كان الملك ــ الذى كانت الحكومة القديمة ممثلة فى شخصه ــ يتبع فى إدارة ماليته العامة النظام الفردى إذ كان يعتبر المال المجموع ملكاً خاصاً له يتصرف به كما يشاء ولذا كان يسعى جهده لجباية أكبر كمية ممكنة من المال ، وصرف أقل ما يمكن منها، ثم توفير المقادير المتبقية استعداداً للطوارئ أو إشباعاً لرغباته الشخصية التى كان لها إذ ذاك المقام الأكبر فى إعداد الميزانية العامة . ولقد كان بعض الملوك يصرفون جزءاً مما يجمعون فى الأعمال والمشروعات العامة ، ولكنهم ما كانوا يعتبرون ذلك حقاً واجباً عليهم إنما هو فضل على الناس ومنة يتفضلون بها عليهم .

ولم تكن الضرائب المباشرة معروفة حينذاك ، فكانت الحكومة تعتمد غالباً على الجزية من القبائل المغلوبة أو على أملاك الدولة ومناجمها أو على ضرائب المكس والغرامات والمصادرة . . .

وقد لجأ الأثينيون والرومان أخيراً إلى الضرائب المباشرة وقت الحرب فقط . وإن عبقرية الرومان الإدارية قد أدت بهم إلى ابتكار نظام بديع فى جباية الضرائب ، ولكن هذا النظام لم يكن يعنى بشىء من التوزيع العادل فى فرض الضرائب إنما كان موجهاً نحو الكفاءة فى جبايتها فقط[2]

هذه صورة مختصرة وددنا أن نظهر بها للقارئ حالة الأمم قبيل ظهور الإسلام ، من ناحية المالية العامة لكى تتضح له الخطوة الجبارة التى خطتها الدولة الإسلامية فى هذا السبيل ، ولكى يدرك أيضاً أهمية تلك الخطوة فى إرشاد الناس إلى جلالة هذا الموضوع وفى توجيه العالم نحو هذا الوضع الذى تتمتع به الأمم الحديثة اليوم فى تنظيم ميزانياتها على أساس العدل والمنفعة العامة

إننا نجد ــ للمرة الأولى فى التاريخ ــ وذلك على عهد الإسلام تلك العناية الكبرى التى توجه نحو أموال الأمة فى جبايتها وصرفها وفى اعتبارها أنها لا تخص فرداً معيناً ، إنما هى أموال الأمة جميعاً ويجب أن تنفق على مصالحها الحيوية بكل دقة

ولا حاجة بنا أن نذكر هنا ما كان الخلفاء يلزمون أنفسهم به ــ فى العناية بأموال الأمة ــ من شدة وتقشف . وإن ما يرويه التاريخ عن عمر بن الخطاب أو على بن أبى طالب أو غيرهما لدليل كاف على عظم تلك الخطوة التى خطاها المجتمع على عهد الإسلام فى سبيل التمدن الحقيق

لسنا نود التوسع فى هذه الناحية فهى أوضح من أن تحتاج إلى توسع ، ولكننا نريد أن نبحث فى ناحية أخرى من هذا الموضوع ، وهى ناحية العدل فى توزيع عبء الضريبة على الأفراد إذ هى فى الحقيقة من أعظم النواحى شأناً فى علم المالية العامة

إن من الهين ــ نسبة ــ أن تعد للضرائب إدارة كفؤة تستطيع بها أن تجهز للأمة ما تحتاج إليه من مال فى سبيل مصالحها العامة ، ولكن الصعوبة كل الصعوبة هى فى فرض الضريبة العادلة التى تنتج خير ما يمكن من الآثار الاجتماعية والاقتصادية . حقاً لقد شغلت هذه النقطة أقلام الباحثين فى هذا الزمن أكثر مما شغلتهم أية ناحية أخرى من هذا العلم الواسع .

لقد كان الرأى السائد منذ آدم سميث أن الفرد يجب أن يؤدى إلى الحكومة مبلغاً يتناسب مع جسامة موارده الخاصة . يظهر أن فى هذا الرأى شيئاً من الحق ، إذ من العدل أن يساهم الفرد فى مالية الدولة بالنسبة إلى أرباحه أو ثروته التى يتمتع بها فى ظل تلك الدولة[1]

ولكن قد يعترضنا فى ذلك رأى له وجاهته : فهل يجوز أن يؤخذ من أولى المكاسب الضئيلة عشر ما يكسبون مثلاً ، ويؤخذ

---

(١) Lutz, Public Finance

(٢) Lutz, Public Finance

(١) Adam Smith, Weatth of Nations.

العشر كذلك من أولئك الأغنياء والموسرين الذين تأتيهم الأموال سيولاً كل حين ... أفي هذا عدل ؟

وهل إن وطأة الضريبة التي يشعر بها أولئك الكاسبون الضعفاء تساوي أو تقارب ذلك الأثر الذي يكاد لا يحس به الأغنياء عند إعطاء عشر ما يحصلون عليه سنوياً من الأموال الطائلة ...

اختلف الكتاب حول هذه النقطة الحساسة ، ولا يزال حتى الآن ناشباً بعض النشوب ، بيد أن معظم الكتاب المحدثين قد أجمعوا أخيراً على أن من العدل ألا تكون نسبة الضريبة متساوية على جميع الأفراد ، وهي ينبغي أن ترتفع شيئاً فشيئاً كلما زادت أرباح الفرد أو ثروته مائة بعد مائة ، وهذا هو ما نجده اليوم مطبقاً في أغلب الأمم الراقية . وقد وصلت النسبة في بعض الدول إلى ٨٪

وإذا رجعنا إلى النظام الذي كان متبعاً على عهد الإسلام ، نرى أن المشرع الإسلامي قد فطن إلى هذه النقطة ، ونجد أن الدولة الإسلامية قد سارت حسب تلك الطريقة :

يحدثنا أبو يوسف عن الزهري عن سالم عن ابن عمر : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب كتاباً في الصدقة فقرنه بوصيته ولم يخرجه حتى مات ، فعمل به أبو بكر ثم عمر من بعده ، فكان فيه : في كل أربعين شاة شاة واحدة حتى تصل إلى مائة وعشرين ، فإذا زادت فشاتان عن كل أربعين حتى تصل إلى مائتين ، فإذا زادت فثلاث شياه حتى ثلاثمائة ، فإذا زادت ففي كل مائة شاة شاة[1] ... »

هذا مثل واحد نورده للقارئ يتضح له فيه أن هذا النوع من الضرائب قد طبق في الإسلام قبل ما يناهز الثلاثة عشر قرناً من تطبيقه أخيراً في الأمم الحديثة .

ويجدر بنا أن نذكر أن النسبة المتصاعدة هذه في فرض الضريبة لم تستعمل إلا حديثاً جداً ، وذلك تحت ضغط المبادئ الديمقراطية والاشتراكية التي تغلغلت أخيراً في صميم المجتمع

ولا تعجب — أيها القارئ — إذا علمت أن من كان يقول بها قبل جيل أو جيلين كان يعتبر من الشيوعيين أو الفوضويين وكان يتهم بأشنع التهم وأبشعها

أجل ، ولا يزال بعض الكتاب المشهورين حتى اليوم يؤمنون بوجوب تشجيع الإنتاج والجهود المربحة حيث ينبغي ألا يصادر قسم كبير من الأرباح بهذا النوع من الضرائب[1] . هذا ولكن الرأي الغالب اليوم والذي يحتمل أن يسود العالم غداً يؤيد تلك الضريبة ذات النسبة المتصاعدة ، ويرى من الإنصاف أن تكون الوطأة التي يشعر بها دافعو الضريبة متساوية في الثقل لدى الجميع ، أغنياء وفقراء ، فكلما كان المشرع حريصاً على العدل في توزيع الضريبة ، كانت النسبة ذات تصاعد أعظم .

ولا يعزب عن البال أن من أهم الضرائب الحديثة هو التقليل من ذلك الفرق الشاسع في توزيع الثروة بين الناس ، حيث يموت البعض جوعاً بينما يلعب الآخرون بالمال لعباً

قد لا نخطئ الحق إذا قلنا إن المشرع الإسلامي كان يرمي إلى نفس الأهداف التي يرمي إليها اليوم المشرعون في هذا الموضوع . ولعلنا لا نغالي إذا قلنا إنه قد فاقهم في بعض النواحي

حقاً إن الدولة الإسلامية كانت أول دولة في التاريخ سنت نظاماً في الضرائب ابتغت فيه العدل وتوزيع الثروة العامة على أساس المساواة

ثم ينبغي ألا ننسى بأن معظم الضرائب كانت — في ذلك العهد — ضرائب مباشرة حيث لا يخفى ما لهذا من الأهمية في تاريخ الضرائب . لقد كانت الضرائب المباشرة لم تفرض في الأمم القديمة — كما قلنا آنفاً — إلا نادراً وذلك عند الحرب إذ لم يكن الإدراك السياسي قد وصل إلى تلك الدرجة التي يستسيغون بها فرض الضرائب مباشرة

والضرائب المباشرة بلا ريب هي المرحلة التي توصل إليها المجتمع في تطوره السياسي والاجتماعي

وهناك نواح أخرى في ضرائب الإسلام تتجه في مراميها إلى نفس الهدف الذي ذكرناه آنفاً ألا وهو العدل ، وذلك مثل عدم استثناء النبلاء والطبقات الأرستقراطية من الضريبة ، وهو ما كان شائعاً في العالم حتى القرون الأخيرة ، ومثل التفريق في نسبة الضريبة على إنتاج المكابدة وإنتاج اليسر ... الخ .

وعسانا نستطيع أن نوفي ذلك حقه في فرصة أخرى

(بيروت — الجامعة الأمريكية) علي حسين الوردي

(1) كتاب الخراج لأبي يوسف ٣٤ ، ١٨

(1) Bastable, Public Finance

من غزل الملوك

قصيدة للسلطان سليم فاتح مصر

للأستاذ عبد الله مخلص

وقع في الكلمة التي نشرتموها في (العدد ٤٠٨) من (الرسالة) بعنوان «من غزل الملوك» بعض أغلاط مطبعية مثل «أن الرشيد أغار على أبيات ابن الحكم الأموى» ؛ وصوابها «أن ابن الحكم الأموى أغار على أبيات الرشيد» . كما أن عجز البيت الأول من أبيات المعز لدين الله الفاطمي : (تلك المحاجر «بالمحاجر») صوابه: (تلك المحاجر «بالمعاجر»)

ورأيت بهذه المناسبة أن أبعث إليكم بقصيدة السلطان «سليم» التي قتصرت على ذكر بيت واحد منها في تلك الصفحة ، وهو مما كنت اطلعت عليه في المصادر التركية في ترجمة السلطان المشار إليه. أما القصيدة كلها ، فقد عثرت عليها في مخطوط اقتنيته أخيراً اسمه «بستان العارفين ونزهة الناظرين» جمع الحاج أحمد بن حسن الشامي، ويقول : إنه شرع فيه وأتمه في جامع السفاحية بحلب المحمية في سنة ١٠٤١ هـ :

البـــدر أشرق بالجمال عليهِ
والسلسبيل يسيل من شفتيه
والغصن نال اللين من عطفيه
قمر يصول ولا وصول إليه   جرح الفؤاد بصارمَيْ لحظيْهِ

وأحلّ في وسط الفؤاد مقامهُ
نشق المحبّ من الوشام خزامه
وافى بوصلٍ والجمـــال أمامه
ما قام معتدلاً يهزّ قوامه   إلّا تهتّكت الستور عليهِ

يمشي بعجبٍ في غلائل سندس
ألوانهـا كبنفسجٍ في نرجس
كأسي نديمي والمدامة مؤنسي
يا طيب ليلتنا ونحن بمجلس   نهض الحبيب لنا على قدميهِ

شقّ القلوب بورده وشقيقهِ
ونمـــا على عشاقه بعقيقه
وهما على كأساته برحيقه
يسقي المدامة من سلافة ريقه   ويخصّنا بالسحر من عينيهِ

نلنـا المسرّة ساعة بجوارهِ
وقد ارتقينا للهنـــا في داره
وأعمْنـــا من خمرة بعقاره
عيناه نرجسنا وآس عذاره   ريحاننا والورد من خديهِ

الخال من مسكٍ يفوح بنـدّهِ
يسطو عليَّ بجزره وبمـدّهِ
سعد السعود وفي إليّ بسعده
كتب المهيمن في صحيفة خدّهِ   لاماً وعقرب فوقها صدغيه

جن الظلام على الضيا فتبسّماَ
والمسك في زهر الرياض تنسّماَ
نمّ العـــذار بخدّه فتحكما
ما الشَعر نمّ بعارضيه وإنما   أصداغه جارت على خديهِ

لمـا أتى بجحافلٍ من جندهِ
فأردت رشف رحيقه من شهدهِ
دبّ العـذار على صحيفة خدّهِ
يا شَعر في بصري ولا في خدّهِ   إني أغار من النسيم عليهِ

ملك يجـور على الملوك بظلمهِ
لم يخشَ من جور الزمان وجرمه
ناديتُ من فرط الهيام وغمّهِ
عجبي لسلطان يعمّ بحكمه   ويجور سلطان الغرام عليهِ

إني بأوصـــاف المحبّة عائذٌ
وبباب من أهواه شخصي لائذٌ
جيش المحبّـة في فؤادي واقذٌ
والناس تحت يدي وحكمي نافذٌ   وأنا وكلّ الناس طوع يديهِ

الطرف منّي في محبّتـه عَمِي
والدمع يجري في خدودي عندمِ
وعروس مكّةَ والحطيم وزمزمِ
لولا الإلهُ وحرّ نار جهنّمِ   لعبدته وسجدت بين يديهِ !



أجوبة عن أسئلة

وجّه إلىّ الأديب محمد محمد مالك فى العدد ٤٦٠ من الرسالة أسئلة تتعلق بالأمراض العصبية والأمراض النفسية نجيب عنها فيما يلى :

١ — الأمراض العصبية Nervous Diseases :

أمراض ناتجة من التهاب أو انحلال الأعصاب أو النخاع الشوكى أو مراكز المخ الحركية والإحساسية والحاسية والتوازنية ويتمخض عنها أنواع مختلفة من الشلل أو إحساسات غريبة أو حركات اختلاجية أو اهتزازية أو تشنجات فى العضلات أو اضطراب في الحواس أو اختلال فى التحكم فى قضاء الحاجة أو فقدان التوازن ، أو تشيكلة من بعض هذه الأعراض

٢ — الأمراض النفسية Neuroses أو Psychoneuroses

أمراض تتمخض عن أعراض متولدة من عقد دفينة فى العقل الباطن . وكثيراً ما يقلد المريض بها أعراض الأمراض العصبية من غير قصد

وأهم الأمراض النفسية القلق العصبى (أو بالأحرى القلق النفسانى) والهستريا والوسواس والخور النفسانى (النورستانيا) والهجس بالمرض hypochondria

٣ — الأمراض العقلية Psychoses

أمراض تتولد من انحلال خلايا القشرة المخية والألياف المرتبطة بها خصوصاً فى مناطق المخ الصامتة silant areas

وليس من الضرورى أن يكون المريض بأعصابه عليل النفسية ولكن قد تنجم من الأمراض العصبية عقد نفسية مثل عقدة الضعة Inferiorty complex

وهناك أمراض تحدث أعراضاً عصبية وعقلية معاً كالشلل الجنونى العام الناتج من الزهرى فقد يصاب المريض به بهواجس العظمة أو سواها مصحوبة أو متبوعة بشلل فى عضلات الجسم واهتزازات فى الأعضاء واللسان الخ ...

٤ — القلق النفسانى :

هو الخوف من شىء مجهول للمريض ويعرفه فرويد بكونه خوفاً من خطر غريزى، وقد ينتج مثلاً من وجود عقدة الخصى castration complx فى العقل الباطن . وهذه العقدة وليدة تهديد الأم لطفلها باستئصال أعضائه الجنسية بسبب عبثه بها على أن أى حادث مخيف يعرض للانسان قد يتسبب عنه القلق فى المستقبل باختفاء ذكرى الحادث فى العقل الباطن وبقاء القلق متسلطاً على العقل الواعى . ويعزو المريض قلقه عادة إلى أسباب لا تمت إلى السبب الأصلى بصلة

٥ — الإجرام :

يعتبر المجرم مريض النفس أو مريض العقل . وقد سبق أن أرسلت إلى مجلة الرسالة الغراء بحثاً فى هذا الشأن

٦ — شيطان الشاعر :

يرى يونج أن العقل الباطن سجل لاختبارات البشر الأزلية؛ فالسحر والشياطين والجن والأصنام والأديان والآلهة والمرأة والرجل إلى غير ذلك ممثلة جميعها فى العقل الباطن فيما يسميه النماذج القديمة archetiypes . وعندما تزود هذه النماذج بطاقات عقلية كبيرة يعبر الشاعر عنها تعبيراً تتفاوت درجة غموضه أو وضوحه حسب قوة الرقيب censor وحين يتناولها العقل الواعى بالصقل والتهذيب تصبح منسجمة ومنطقية فى الظاهر

وتمثل الرموز التى يلجأ إليها الشعراء للتعبير عن أغراضهم لغة الرجل البدائى الكائن فى سريرتنا

وليس شيطان الشاعر سوى عقله الباطن ، أو بالأحرى ما يسميه يونج « اللاوعى الشامل » collective unconscious

وتبدو قوة هذا الشيطان الهائلة عندما يستحوذ على عقل الشاعر الواعى شىء من الذهول . وهنا تكون المقطوعات الشعرية شبيهة بالأحلام

٧ — الوراثة :

يرث الإنسان بعض صفات والديه وأجداده العقلية والجسمانية فى شكل ظاهر والبعض الآخر فى شكل كامن ، وهذا هو السبب فى كون بعض مختلى الأعصاب والمجرمين ينجبون ذرية صالحة جسمانياً وعقلياً ، ولكن هذه الذرية ورثت اختلال الأعصاب والإجرام فى شكل كامن بدليل أن هذه الصفات الكامنة قد تصبح ظاهرة فى أبنائهم وأحفادهم

محمد حسنى ولاية

جواب

أشكر للأستاذ (عبد الفتاح اسماعيل — بفرشوط) تحيته وحسن استقباله للرسالات وأجيبه عما سأل فأقول :

« أعم الرجل وأخول » يرويان بالبناء للفاعل والمفعول فهو مُعِمّ مُخوِل بالكسر والفتح أى كثير الأعمام أو كريمهم ،

وقد روى بالكسر قول حسان « قبر ابن مارية المعِم المخول »
وروى بالفتح قول امرئ القيس « بجيد معَم فى العشيرة مخوَل »
وفى بعض ما يروى عن اللغويين هنا اضطراب ، والمعتمد ما ذكرنا

المدنى

قد يحتاج المرسل الى قيد

أرسل الزميل الفاضل الأستاذ الشيخ محمد محمد المدنى كلمة عن اختلاف الأزهريين وبواعثه التى ليست للحق والله - دائماً - وقد كان موفقاً فيما عرض له فى إيجاز وتهكم ، إلا أنه استكثر من ضرب المثل للذين أوذوا بسبب تفرق رأى الأزهر فيهم لجانبه الصواب فى بعضها . لقد قال : « والزيات ، وطه حسين ، والعقاد ، وشلتوت ، والزنكلونى ، ومبارك وهيكل ، وغيرهم قد ذاقوا من ذلك ما ذاقوا »

أعتقد أن من هؤلاء السادة — الذين أجلّهم جميعاً — من سمت به عظمته ونبل مقصده وجميل توجيهه ، عن أن يكون فى أمره خلاف بين الأزهريين أو غيرهم . ومنهم من أجمعوا على جلالة منزلته فى العلم والبحث ، وعرفان حظه من الإخلاص والعاطفة الدينية . ومنهم أخيراً من قعدت به منزلته المحدوده من أن يكون موضع حديث الأزهريين عامة ، بله اختلافهم . والأمر أوضح من أن يكون فى حاجة إلى تمثيل أو تعليل !

محمد يوسف موسى

حول العقاد وابن الرومى

تكشّف تعقيبُ الأستاذ عباس محمود العقاد على اعتراضى الذى وجهته إلى حضرته على صفحات (الرسالة) الغراء عن ثغرة نفذت منها إلى حاجتى التى قضيتُها بردّه الكريم علىّ ...

أما ما يستأهل التعقيب ويدعو إليه ، فهو ما تفتح عنه ردّه من ظاهرتين خطيرتين : الأولى ما اقتضته الأمانة الأدبية التى فى عنقى من أن أصحح نسبة البيتين اللذين قلت عنهما : إنهما لابن الرومى ؛ وقال عنهما أدب العقاد : لا أراهما مما يعاب سواء نسبا إليه أو إلى غيره . فأقول : إن هذين البيتين من نظم كاتب هذه السطور ، وقد أردت أن أختبر بهما ذكاء العقاد

والظاهرة الثانية هى ما نضحت عنه معانى هذين البيتين من جنون الفكرة ، وطلاء التعبير اللذين عزّب فهمهما على فطنة أديبنا الكبير . فمن هم بنو النضر ؟ ومن أولئك الألفان الرضّع على التحديد ؟

(ابو دروبير)

(الرسالة) : ذلك عبث كنا نحب للكاتب وهو من رجال التعليم فيما نظن أن يتكرم عنه احتراماً للرجل الذى يكتب إليه ، وللقارئ الذى يكتب له ، وللمجلة التى يكتب فيها ، وللأدب الذى يعلمه

كم ذا ؟

... ضمنى وبعض الأصدقاء مجلس ، وتناشدنا أطراف الحديث ، فجرى على اللسان قول حافظ :

كم ذا يكابد عاشق ويلاقي في حب مصر كثيرة العشاق

وهنالك تضاربت الأقوال فى « كم ذا » ، وهل يجوز ذلك فى لغة العربية ؟ فقال قوم كما جاز فى ما ومن الاستفهاميتين . كأنما يقيسون ، وقد قال الآمدى وغيره — من علماء الأصول — إن اللغة لا تثبت بالقياس.... وقال آخرون : إن ذلك غير معهود فى الفصيح الصحيح من كلام العرب ... وهكذا أخذنا نقيمها إلى جهة ، أو نتلمس لها شاهداً ، فلم نجد إلا ما قال المتنبى : « وكم ذا بمصر من المضحكات » ، على أنها فى كثير من طبعات ديوانه وماذا . . . وأخيراً آثرنا أن نطرح هذا الإشكال - إن صح أن يكون - على قراء (الرسالة) الغراء علّنا نجد عندهم شفاء الغليل .

ابراهيم على أبو الخشب

جريدة الاصلاح فى عامها السادس

دخلت زميلتنا الإصلاح الأسبوعية فى عامها السادس مسددة الخطى مؤيدة العزيمة ، وستصدر فى خلال هذا الشهر بهذه المناسبة عدداً خاصاً محلى بصور أبناء الدقهلية البارزين من الأدباء والشعراء والفنانين لتكون أداة التعريف بينهم . وقد انضم إلى تحرير هذه الجريدة الرشيدة بعض كبار الأدباء ليساعدوها على تأدية رسالتها فى الأدب والإصلاح .

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين

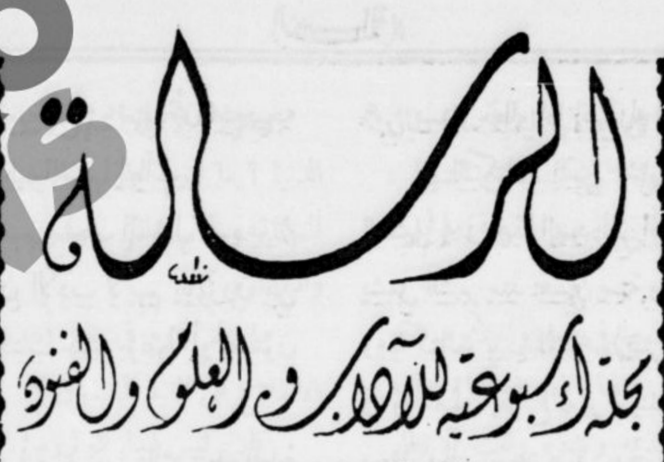


8me Année No. 463

Lundi - 18-5 1942

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique


بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ عن العدد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٦٣ « القاهرة في يوم الإثنين ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٦١ — الموافق ١٨ مايو سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

احتكار الأدب

للأستاذ عباس محمود العقاد

نشرت « الرسالة » في عدد مضى كلمة موجهة إلىَّ نعيد نشرها هنا للتعقيب عليها وهي :

« كثير من الأدباء يتهمون إخوانهم بالأنانية وحب النفس ، فأدباء الشيوخ الذين يحتكرون ميدان الأدب لا يبذلون أي جهد في تسديد خطى الشباب الناشئ ، ولا أعرف السبب الذي يمنع أديباً مثل الأستاذ العقاد من تأليف كتاب عن الشعراء الناشئين الذين يدل شعرهم على نبوغ وعبقرية مثلما فعل الشاعر الإنجليزي المعروف و . ب يتس الذي كتب عن روبرت بردج، وولتر دي لمار، وهيلار بلوك، وليونيل جونسون ، وأرنست دوسون ، في مؤلفه كتاب اكسفورد للشعر الحديث

فشيوخ الأدب في أوربا لثقتهم بأنفسهم وحبهم لفنهم وإخلاصهم له يسددون خطى الأدباء الناشئين ويشيدون بذكر الموهوب منهم . فما رأي الأستاذ العقاد في هذا الموضوع ؟ ... الخ الخ » .

كمال الدين نشأت

***

وفي هذه الكلمة الموجزة كثير من الخطأ الذي يشيع بين بعض المتأدبين الناشئين ولا ينفرد به صاحب السؤال وحده ، كما لاح لي من بعض الرسائل والأحاديث ، أو مما تكتبه الصحف

فى هذا المعنى، وهو خطأ يحتاج إلى تصحيح ؛ ونعتقد أن تصحيحه هو أنفع وجوه التسديد التى ينشدها صاحب الخطاب

فمن الخطأ « أولاً » أن يشايعهم صاحب السؤال على دعواهم أن أدباء الشيوخ يحتكرون ميدان الأدب لأنهم يظهرون من حين إلى حين بمقال فى صحيفة أو بكتاب جديد يؤلفونه أو يجمعون فيه ما سبق لهم نشره من المقالات

فلا معابة على الأدباء الشيوخ أن يصنعوا ذلك ، بل المعابة ألا يصنعوه وهو واجبهم المفروض عليهم . وقد يعاب عليهم مع ذلك أنهم قليلو الإنتاج بالقياس إلى ما ينبغى لهم أو ينتظر منهم . وإنما يعذرهم أناس لأن جمهور قراء الأدب عندنا لا يقبلون على المؤلفات إقبالاً يتيح للكاتب فى أسباب المثابرة ومتابعة التأليف ، ويلومهم أناس لأنهم يجهلون العقبات التى تحول دون الانقطاع للكتابة الأدبية فى بلادنا الشرقية

فالمفروض على أدباء الشيوخ خاصة أن يزيدوا إنتاجهم لا أن ينقصوه ؛ ولو أريد من الأديب أن يؤلف فى سن المراهقة والابتداء ، ثم ينقطع عن التأليف بعد النضج والاكتمال ، لكان هذا بدعة أخرى من بدع انقلاب الأحوال التى حقت على المتخلفين من شعوب الشرق أجمعين

وإذا كان الغرض هو الكتابة فى الصحف دون التأليف والتصنيف فليس بصحيح أن شيوخ الأدب يحتكرون الكتابة الصحفية أدبية كانت أو غير أدبية بأى معنى من معانى الاحتكار . بل ربما اقترنت بكل مقالة يكتبها أديب مشهور خمس مقالات أو ست أو سبع يكتبها أدباء ناشئون أو غير مشهورين ، وتكفى مراجعة قليلة للصحافة اليومية والأسبوعية والشهرية لتصحيح الخطأ فى هذا الباب

أما أن أدباء الشيوخ لا يبذلون جهداً فى تسديد خطى الكتاب الناشئين فما هو هذا الجهد المطلوب ؟ وعلى من التبعة إن صح أنه دون الكفاية ؟

أى جهد يسدد الخطى إن لم يسددها التدريس للطلاب أو الكتابة لمن يقرأ ويستفيد ؟

أما التسديد بالمحادثة والمناقشة فما هو الجهد الذى يطلب فيه من أدباء الشيوخ ؟ ولماذا نعرض هنا على الأديب الشيخ أن يجتهد ليبحث عمن يسدد خطاهم ولا يفرض على الناشىء أن يجتهد ليبحث عمن يسدد خطاه إذا اتسع له الوقت وساعفته شواغل الحياة ؟

إن الكتاب الذى أشار إليه صاحب الخطاب لا يصلح للتمثيل به فى هذا الصدد من أى ناحية من نواحيه . فهو كتاب يشمل الشعر منذ خمسين سنة ولا ينحصر فى شعر هذه الأيام ؛ وهو كتاب ندب الشاعر (يتس) لتأليفه ولم يفرغ لتأليفه ولا كان فى وسعه أن يفرغ له لو لم ينتدب لهذه المهمة معفى من تكاليفها ونفقاتها التى يعجز عنها . وهو بعد هذا وذاك كتاب يشتمل على أسماء أناس لا يعدون من الناشئين سواء من ذكرهم صاحب الخطاب أو لم يذكرهم فى خطابه . فروبرت بردج مات قبل تأليف الكتاب وعمره ست وثمانون سنة ، وروبرت بروك — إن كان هو المقصود دون روبرت بردج — مات فى الثامنة والعشرين وليست له فى الكتاب غير قطعة واحدة . وولتر دى لمار كان يدلف إلى السبعين عند ظهور الكتاب ، وقد بلغها هلير بلوك فى ذلك الحين . وليونل جونسون قد توفى قبل ظهور الكتاب بنحو أربعين سنة وهو فى الخامسة والثلاثين ، وأرنست دوسون توفى فى نهاية القرن الماضى وهو فى الثالثة والثلاثين

فليس بين هؤلاء شاعر واحد يعد بين الناشئين ولم يكن يتس مسدداً لخطاهم لأنهم بين صامد على قدميه مستقل عن الأساتذة والمرشدين ، ومفارق للحياة فى ريعان الفتوة أو بعد مقاربة الشيخوخة

وليست المسألة هنا مسألة ثقة بنفس أو حب لفن كما اعتقد صاحب الخطاب ، بل هى مسألة تاريخ محدود قد طلبت ملاحظته فى الاختيار ، وأعفى يتس فيه من أعباء المجازفة والانتظار

وفيما عدا هذه الحالة لا نذكر حالة أخرى فرغ فيها شاعر أوربى كبير للتأليف فى الغرض الذى يقترحه صاحب الخطاب على أدباء الشيوخ المصريين

وللأدباء الشيوخ العذر كل العذر بين المصريين أو بين الأوربيين إذا اختاروا للتأليف أغراضاً غير هذا الغرض الذى تنعكس به أوضاع الأمور . فإن الرجل الذى بلغ الخمسين وجاوزها يحق له أن يقصر مطالعته على المفيد المحقق الفائدة ليثابر على واجبه وعلى الانتفاع بمقروءاته . فليس فى وسعه أن يقرأ ست ساعات أو سبع ساعات كل يوم كما كان يفعل فى بواكير الشباب . وليس فى وسعه إذا اقتصر على ساعتين أو ثلاث أن ينفقها فى البحث

عمن يجربون الكتابة أو يشرعون فى تجربتها ليقرأ مائة مقال أو مائة كتاب عسى أن يظفر بينها بشىء يستحق التنويه ، ويستغنى عن التنويه لا محالة إذا كان له من القيمة والجودة ما يكفل له البقاء.

إنما يتيسر التشجيع للأديب الشيخ فى عمل واحد وهو عمل الصحافة الأدبية حين يتولى الإشراف عليها . فهو يقرأ ما يرد إليه من الشعر والنثر ويعنى بتنقيحه وتقديمه ونشره ولفت الأنظار إليه ، وهذا ما كنا نصنعه فى الصحف التى أشرفنا على أبوابها الأدبية ، ولو كلفنا الجهد الجهد فى القراءة والتصحيح والتنقيح .

أما الرجل الذى تشغله الحياة بمطالبها ويشغله الأدب بمطالبه بين قراءة وكتابة ، فتسديده مقصور على من يتصلون به وعلى ما هو مستطيعه . وليس مما يستطيع أن يترك كتاباً يؤلفه جهبذ من جهابذة الفن والحكمة ويضمن نفعه ومتعته ليقرأ خمسين كتاباً لا يضمن نفعها عسى أن يعثر بينها على شىء يرجو النتيجة بعد تكرار التجربة مرات

هذا ضياع للوقت وضياع للجهد وضياع للأدب ، وعبث تستغنى عنه الكفاءة المرجوة ولا نفع فيه لمن خلا من الكفاءة ، وعنمه مع هذا كله أنه غير مستطاع

على أن الأمر خطير جد الخطر من إحدى نواحيه التى يدل عليها ، وهى ناحية الروح التى ينم عليها شيوع هذه الأمانى والتعلات بين طائفة ولو قليلة من الناشئين

فإنها روح تدل على إعفاء النفس من كل واجب ، وإلقاء التبعة على كل كاهل ، ونسيان كل حق غير حق الأنانية بغير عناء ولا مقابل

يبدأ الناشئ بالكتابة اليوم ويريد أن يشتهر غداً بمقال واحد أو قصيد واحد ولا نقول بكتاب واحد . فإن لم يشتهر فليس اللوم عليه وعلى طمعه فيما لا يكون ولا ينفع الأدب والناس لو كان ... كلا ، بل اللوم على المشهورين الذين كان ينبغى أن يستأصلوا شهرتهم وأن يكفوا عن الكتابة وأن يفرغوا جهودهم وجهود قرائهم لشهرته هو دون غيره من الشيوخ والكهول والناشئين ، وإلا كانوا محتكرين للأدب الذى يحق له هو أن يحتكره ولا يحق ذلك لأحد من العالمين !

أعداد الرسالة الخاصة

فى سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية ، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة ، ينوه بفضله ويعرف بأهله . وستبدأ بعدد العراق . والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا الواجب بإرسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

وهؤلاء الأدباء المشهورون « الشيوخ » ما لزومهم فى هذه الدنيا ؟ ما لزوم تجاربهم الماضية ودراساتهم الطويلة وجهودهم المضنية وحياتهم التى يعيشون فيها أبداً بين الأذى والإنكار والكنود ؟

هل لهم لزوم فى نفع أنفسهم ونفع قرائهم ونفع الأدب بالاطلاع على المفيد المضمون ؟

كلا . ليس لهذا كله لزوم ... ! وإنما هم لازمون لشىء واحد وهو شهرة من يريد الشهرة العاجلة على شريطة أن يشتهر وحده ولا يشتهر واحد من أنداده فى السن والقدرة ! !

وهل لهؤلاء الأدباء الشيوخ حق ؟ هل لهم فضل يجب الاعتراف به على أحد ؟

معاذ الله ... من أين لإنسان غضب الله عليه فنشأ فى الدنيا أديباً شرقياً أن يطمع فى حق أو فى اعتراف ؟

إنما عليه أن يقرأه القارئ الناشئ عشر سنين وعشرين سنة ولا يقول له مرة واحدة أحسنت واستحققت من الكرامة والثناء ؛ ولكنه هو عليه أن يقف على باب كل مطبعة ليتلقف منها كل كتاب ألفه كل شاب فى العشرين فلا ينام ليلته قبل أن ينفخ كل بوق ليقول ما يحلو للمؤلف من ثناء وتنويه . فإن لم يفعل فيا للاحتكار ، ويا للأنانية ، ويا للغدر والكفران بالحقوق !

تعس الشرق إن كانت هذه روح الجد فى شباب يتولى قيادته الفكرية بعد جيل . ومن رحمة الله بالشرق ألا ترى هذه الروح فى غير القليل من المتواكلين

وتجربتى أنا فى هذا الميدان قد يعرفها المتعقب لتاريخ الكتابة الحديثة بغير بحث طويل

فما لجأت قط إلى أديب مشهور لأتكئ إلى شهرته وأستفيد من ثنائه ، وما استبحت قط فى كتاب من كتبى التى أطبعها أن أذيع كلمات التقريظ التى يخصنى بها الكبراء ومنهم زعيم مصر « سعد زغلول »

هذه تجربتى مع من تقدمونى وسبقونى إلى ميدان الكتابة والشهرة . أما الذين لحقوا بى فإذا استثنيت أفراداً جد قليلين من صحبى — وإن شئت فقل تلاميذى — فلا حق لى

عندهم ولهم عندى جميع الحقوق .

قرأونى عشر سنين فما نبسوا بكلمة تقدير واحدة ، وتعرضوا للكتابة أياماً فاعتقدوا أننى قصرت غاية التقصير لأننى لم أفرغ نهارى وليلى للثناء عليهم والتبشير بدعوتهم ، ووجب إذن أن أفعل ما يريدون وإلا ...

وهنا المثرة كما يقول شكسبير !

وإلا ماذا ؟ إننى رجل لو جاءنى أحد فقال لى عش ألف سنة سعيداً وإلا . . . لأوشكت أن أجيبه بالرفض بعد هذا الاشتراط قبل إتمامه

فإذا جاءتنى شرذمة من خشاش الأرض لا يعرفون لى حقاً ويفرضون علىّ أن أنتحل لهم كل حق مصدوق أو مكذوب وإلاحطمونى وهدمونى وذروا ترابى فى الهواء فماذا ينتظرون منى ؟ ولماذا يغضبون إذا تركتهم يهدموننى ؟ ألأنهم لم يستطيعوا هدمي ؟ أ كان من الاحتكار أيضاً أننى لم أنهدم كما أرادوا فعرفوا أنهم عاجزون وأنهم هازلون ؟

إن حق التشجيع فى معاملة الناشئين مقرون بحق الأدب والتوقير فى معاملة الشيوخ والكهول

بل حق الأدب والتوقير مقدم بحكم السبق فى الزمان ، لأن الشيوخ والكهول كتبوا قبل الناشئين ، وبحكم الحق لأن الأديب الناشئ يستفيد حين يقرأ سابقيه وليس الأديب الكهل أو الشيخ على ثقة من الفائدة إذ يقرأ للناشئين ، وبحكم الاستطاعة لأن القارئ الناشئ قد استطاع أن يقرأ فعلاً ما هو مطالب بتقديره وليس لأحد أن يفرض استطاعة الكهل أوالشيخ أن يقرأ كل ما يكتبه الدارجون فى طريق الكتابة

ولكنهم هنا يطلبون التشجيع ويعفون أنفسهم من واجب التوقير ... ويهددون !

ومن طلب ذلك فما هو بأهل للتشجيع

ومن قبل ذلك فما هو بأهل للتوقير

أما الذين يعرفون الحقوق ثم لا يحتكرونها كلها لأنفسهم فليس عندهم من سبب لاتهام المشهورين أو غير المشهورين بالاحتكار ، ولا يلومون أحداً على الاشتهار لأنهم هم يتعجلون الاشتهار

عباس محمود العقاد

مراسلات . . .

ليت أشياخى !

ليت أشياخنا بالأزهر شهدوا الحفل العظيم الذى دعا إليه معالى وزير العدل فى قاعة الجمعية الجغرافية ليسمعوا — كما سمع الوزراء والمستشارون والقضاة والمحامون وغيرهم — محاضرة الدكتور عبد الرازق السنهورى بك عن « مشروع تنقيح القانون المدنى »

ليتهم شهدوا هذا الحفل ليشهدوا منافع لهم ، وليعلموا أن رجلين اثنين أخلصا لعملهما ، وأخلص كل منهما لصاحبه ، سهرا الليالى واستعذبا العذاب حتى أخرجا هذا المشروع الخطير !

ليتهم سمعوا هذا المحاضر اللبق يقول فى عبارات واضحة قوية : « إن الفقه الإسلامي لجدير بأن يكون أهم مصدر من مصادر التشريع الحديث ، وإن على أهله لواجباً أن يخلّصوه مما علق به من آثار الجمود والركود ، وأن يقربوا للناس سبل الانتفاع به . وإن المشروع المقترح بكل ما فيه من مبادئ وأحكام ، إما مستمد من هذا الفقه فعلاً ، وإما مستمد من غيره ، ولكنه لا يتعارض مع روح الشريعة السمحة »

ليت الذين ملأوا الدنيا دعاء ونداء بالتشريع الإسلامى قد سمعوا هذا المحاضر ، ثم سمعوا وزير العدل من بعده ، وهما يوجهان الدعوة عالية إلى رجال الفقه والقانون لينظروا هذا المشروع ، ويدرسوا ما فيه من مبادئ وأحكام قبل أن يعرض على « البرلمان »

ليت الأزهر ، ليت كلية الشريعة ، ليت « الجماعة » !

ليت ... ! وهل ينفع شيئاً ليت ؟

أيها الأشياخ المكرّمون ! واحدة من اثنتين : إما أن تكونوا دُعيتم فلم تحضروا ، وإما أن تكونوا نُسيتم فلم تُذكروا ! وأيتهما كانت فهل أنتم متداركون ما فات ؟ هيهات ! هيهات !

محمد محمد المدنى

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

وإن عدتم عدنا — جوائز وزير المعارف —
فى سبيل الوحدة العربية — بين القومية والانسانية

وإن عدتم عدنا

لعل القراء لاحظوا أنى انصرفت عن مجادلة من يتعرضون لمقالاتى بالنقد والتجريح فى بعض الجرائد والمجلات . ولعل فيهم من توهم أنى تعبت من النضال فاعتصمت بالصمت البليغ !

والواقع أنى أسكت طائعاً عن بعض المجادلين ، لأنى أومن بأن من حقهم أن يثوروا على آراء دفعتهم إلى مُحرجاتها برفق أو بعنف ، وما يجوز لى أن أتنقب ناقداً بما لا يرضيه ، مع أن قلمى هو السبب فى إثارته إلى الجدال والصيال

ولهذا المعنى سكتُّ عن كلمة جارحة نشرتها مجلة الثقافة « عملاً بحرية النشر » كما قالت ، وهى كلمة « منسوبة » إلى إحدى أديبات فلسطين ، وفيها شفاء لبعض الصدور المراض

ولهذا المعنى أيضاً سكتُّ عن كلمة تطاولَ بها أحد محررى « الثقافة » الغراء ، لأمنحه فرصة يقول فيها عنى ما يريد

ولكن « الثقافة » فيها كاتبٌ اسمه « قاف » وقد أراد هذا الكاتب متفضلاً أن يشغل نفسه بالقصائد التى تنشرها « الرسالة » باسم « الشاعر المجهول » . وما يؤذينى أن تُنقد القصائد التى تُنشر فى « الرسالة » ، لأن مجلة الرسالة لا تنشر من الشعر إلا ما يثير لنفاسته أقلام الناقدين

إن « قاف الثقافة » توهَّم أن « الشاعر المجهول » هو « الكاتب المعروف » وساق عبارة دلَّ بها قراءه على أنه يَعنى الدكتور زكي مبارك

أهلاً وسهلاً !

ولكن هل يعرف « قاف الثقافة » أنى سأسوق إليه كلاماً يزلزل « جبل قاف » ؟

إن قاف الثقافة بعيد كل البعد عن الذوق الأدبى ، وهو لم يتوار فى أحد بسفوح « قاف » إلا لينجو بنفسه من الرجفات التى تزلزل قمم الجبال

ومَن ذلك القاف ؟ وما صبرُ مجلة الثقافة عليه وقد زعمت أن عندها علماء من كل صنف ؟ أيكون آخر ما عندها من الأصناف ؟

إن درس اليوم هو الفَيصل فى معضلات النقد الأدبى ، وسيعرف به قاف الثقافة ما لم يكن يعرف ، وسيذكرنا بالخير الجزيل إن كان من الصادقين

وإلى قراء الرسالة أحتكم ، وفيهم ألوف من رجال الأدب والبيان ... قال الشاعر المجهول :

أبحتُك من قلبى نفائس عطفه ... وحرَّرتُ فيك المال من ربقة الضَّن
وقلتُ مثالٌ من جمالٍ أصونهُ ... فيسلم من إفك الزمان ويستغنى
فلم تر صدرى من سهامك فى حمى ... ولم ترجيبى من نصالك فى أمن
وعشتُ يرينى الحبُّ أنك حافظٌ ... عهودى وأن الخلد بعض الذى أبنى
فلما رأيتَ الوجدَ ينتال مهجتى ... وأيقنتَ أنى من غرامك فى سجن
مضيتَ إلى غيرى جهاراً وخنتنى ... فمن أىِّ وحلٍ صِيغ طبعُك خبِّرنى

تلك هى القطعة التى اعترض عليها قاف الثقافة ، وقد اخترمها اختراماً ليخفى عن قرائه مقام البلاغة فى الكلمة التى ثار عليها عقله الحصيف

فما تلك الكلمة ؟ هى كلمة « وحل » فقد رآها كلمة قبيحة لا يجوز ورودها فى قصيدة من قصائد التشبيب !

وأقول إن كلمة « وحل » هى أبلغ كلمة فى هذا المقام ، ولا يستطيع « قاف » أن يأتى بكلمة أقوى منها

وكلمة « وحل » وردت فى قول مسلم بن الوليد :

مشينا بها مَشْىَ المقيَّد فى الوحلِ

فعدَّها القدماء أبلغ كلمة فى هذا السياق

وقبل ذلك وردت فى قول الأعشى

تدبُّ كمَشْى القطاة القطو ... ف فى وَحَل النِّهى تخشى رقيبا

وأقبح من كلمة « وحل » كلمة « مستنقع » وقد عُدَّت أبلغ كلمة فى قول شوقى وهو يذكر ما أنعم به السلطان على الضفادع :

وزاد أن جاد لمستنقعِ

وقبل ذلك وردت فى قول أبى تمام

فأثبت فى مستنقع الموت رِجله

فماذا نصنع فى تثقيف قاف الثقافة ، وهو لا يعرف الأبجدية من البلاغة العربية ؟

لو كان هذا القاف يعرف أسرار البلاغة لأدرك أن الكلمات تأخذ قوتها وبلاغتها من السياق ، وأن الكلمة القبيحة قد تصبح وهى نهاية فى الجمال إذا أوجبها مقتضى الحال

ولكن هذا المتأدب حديث العهد بالدراسات الأدبية ، فهو محجوب عن سرائر الألفاظ والمعانى

هو رجلٌ رقيق تؤذيه الأخيلة الجافية ، لأنه من أبناء القرن العشرين ، فإن لم يكن كذلك فهل يستطيع أن يناقش هذه الأحكام القاسية ؟

يا قاف « الثقافة » الغراء :

إذا لم تستطع شيئاً فدَعهُ وجاوزْهُ إلى ما تستطيعُ

وإلا فهل تملك من القدرة ما تجاربنى به فى ميدان النقد الأدبى ؟

إرجعْ إلى كلمتك فى مجلة الثقافة ثم اسأل نفسك ، فإن فعلت فسترى أنك وقعت فى غلطة ذوقية لا يقع فيها إلا من كان فى مثل حالك

ولى أن أوجّه إليك هذا السؤال :

كانت مجلة الثقافة تتقى شرّى فتسكت عما أصوّب إليها من مؤاخذات فكيف استباحت فى الأشهر الأخيرة أن تناوشنى أربع مرات بلا موجب يفرضه الحرص على خدمة الأدب أو الحق ؟

كانت مجلة الثقافة أعلنت على لسان أحد مراسليها أننى كنت البادئ بالعدوان فى جميع الأحيان

فما عذرها وقد هاجتنى أربع مرات بعد أن رُفع بينى وبينها غصن الزيتون ؟

جوائز وزير المعارف

منذ أيام أقيمت حفلة فى مكتب وزير المعارف لتوزيع الجوائز على الفائزين فى مسابقة الأدب العربى ، وهى جوائز تفضّل بها معالى الأستاذ نجيب الهلالى بك ، أما الجوائز الرسمية ، فسيظفر بها أولئك الطلبة بعد الفوز فى امتحانات القسم الخاص

والظاهر أن بعض المسؤولين فى وزارة المعارف قد نظر فيما سيلقى أمام الوزير من خطب وقصائد ، فكانت النتيجة أنْ سلمتْ الحفلة من جميع العيوب ، وأن جاءت شاهداً جديداً على أن الإيجاز من فنون البيان

وقد رأيت أن تكون لى كلمة فى تلك الحفلة بعد أن لاحظت أن كبير مفتشى اللغة العربية ومراقب الامتحانات سكتا فى خطبتيهما عمن أعان الفائزين إعانة حقيقية حين شرح لهم موضوعات المسابقة فى « بعض » المجلات

وعند ذلك قال معالى الهلالى بك : « الحِذق يفهم » ؛ وهى كلمة لم يسمعها جيداً مندوب جريدة (الدستور) ، فصاغها من عندياته بأسلوب غير مقبول

والمطالبة بجائزة لمن شرح موضوعات المسابقة الأدبية على صفحات (الرسالة) ليست جديدة ، فقد طالبتُ بهاء الوزير السابق ، فوعد ثم صُرفَ عن الوفاء

أفلا يكون من حق ذلك الباحث أن ينتظر من الوزير الجديد جائزة سنية تشجعه على شرح الموضوعات الآتية لمسابقة العام المقبل ؟

لمعالى الوزير أن يختار أحد أمرين : الأمر الأول أن يعدّ معاونة الطلبة على الفوز فى المسابقات واجباً على جميع المفتشين ؛ والأمر الثانى أن يرى تلك المعاونة تطوعاً يؤديه أهل الحرص الشريف على فوز التلاميذ

وفى كلا الحالين يكون الباحث الذى تفرّد بشرح موضوعات المسابقة الأدبية فى عامين متواليين أهلاً للتفرد بالثناء

فما رأى معاليه فى هذا الكلام ؟

ومتى تفكر وزارة المعارف فى تقدير أتعاب الباحثين ؟

فى سبيل الوحدة العربية

كنت أتأهب للرد على كلمة نشرت فى إحدى المجلات تعريضاً بالدكتور عبد الوهاب عزام ، وكان ألقى خطبة فى كلية الآداب دعا فيها إلى الاعتزاز بالقومية العربية . وللدكتور عزام حقوق : لأنه من أفاضل الباحثين المصريين ، ولأنه على جانب عظيم من الأمانة والصدق ، ولأن اتهامه بالغرض إثمٌ دميم

ثم فوجئت بخبر يشرح الصدر وهو اعتزام « الرسالة » إصدار أعداد خاصة بالأقطار العربية ، للتنويه بتلك البلاد ، وللتعريف بما عند أهلها من فضائل وآداب

وإذا استطاع أخونا الزيات أن يفى بما وعد ، وعلى الوجه الذى يريد ، فلن يكون عمله الصالح إلا أداء لديون طُوِّق بها جِيد مصر فى مناسبات مختلفات ، فقد أشرت فى مقالاتى غير مرة إلى الأعداد الخاصة بمصر فى مجلات العراق وسورية ولبنان ، ودعوتُ إلى أن نجزى أولئك الإخوان وفاء بوفاء

ولكن هناك صعوبات تعترض هذا المشروع الجليل ، وأخطر الصعوبات هو ضعف الإحاطة بخصائص تلك البلاد . ولتوضيح هذا المعنى أقول :

سيبدأ الأستاذ الزيات بإصدار عدد خاص بالعراق ، لأنه أقام فيه ثلاث سنين ، ولن يجد صعوبة فى تمثُّل ما فيه من مواهب ومطامح وآمال ، ولأنه سيجد من إخوانه فى القاهرة وبغداد من يساعده على إصدار ذلك العدد الخاص

فما الذى سيصنع حين يتأهب لإصدار أعداد خاصة بالأقطار المغربية واليمنية والحجازية والسورية واللبنانية ؟

أنا بمشيئة الله حاضر لمساعدته على العدد الخاص بلبنان . فسأزوره فى فرصة سعيدة عند اجتماع المؤتمر الطبى العربى فى بيروت ، فمن أنصار الزيات فى غير العراق ولبنان ؟

الخطب أسهل مما نتوهم ، ولكن ... ولكن على شرط أن يهاجر الزيات من المنصورة إلى القاهرة ليستوحى من فيها من العارفين بخصائص الحياة الأدبية والاجتماعية فى تونس والجزائر ومراكش واليمن والحجاز وسورية وفلسطين

إن استطاعت « الرسالة » أن تصدر عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة فستؤدى للأدب الحديث خدمة معدومة النظير والمثيل

ولكن متى تصدر « الرسالة » عدداً خاصًّا بالسودان ؟

السودان جزء من مصر ، ولكن محاسنه محجوبة عن جماهير المصريين ... فهل أستطيع أن أقول لإخوانى فى السودان إن الرسالة ستصدر عدداً خاصاً بالسودان بمناسبة المهرجان الأدبى المقبل ؟

بين القومية والإنسانية

وأرجع إلى تفنيد التهمة التى سيقت ظُلماً إلى الدكتور عبد الوهاب عزام فأقول :

إن الذين كَبُر عليهم أن ندعو إلى القومية العربية لم يجدوا حجةً تستر غرضهم المعروف غير القول بأن القومية تنافى الإنسانية ، لأنهم فيما يزعمون لأنفسهم دعاة التحرر من الرجعية ، والرجعيةُ فى أنظارهم هى الوقوف عند حدود الوطن واللغة والدين

ونقول إن حجتنا هى الصحيحة ، وإن الأساس لكل إصلاح هو أن تبدأ بنفسك ، والذى يعجز عن إقامة بيت فى القاهرة لا يستطيع إقامة عش فى فيافى اليابان

وقد حدثنا كم ألف مرة أن لمصر قومية عربية توجب عليها أن تنظر بعين الأخوة إلى من يفهم عنها وتفهم عنه ولو كان مسكنه فوق أسوار الصين

وحدثنا كم أيضاً أن مصر لن تصمّ آذانها عمن يدعوها باسم الأخوّة الإسلامية ، ولو كان من سكان المريخ

فيافلانُ الذى قضى رُبع قرن فى تنفير مصر من العواطف العربية والإسلامية باسم الغيرة على الإنسانية ، يافلان مكانك مكانك ، فلن يَقبل الله لك عملاً ، ولن تُحشر فى زمرة المهتدين

وعند الله الجزاء لدعاة البر والخير والإصلاح السليم .

زكى مبارك

السيلو هو السيرة والسير

للأب أنستاس مارى الكرملي

١ — تصدير

زارنى ولدى بالروح كوركيس حنّا عوّاد فى ١٩٤٢/٣/١٥ وقال لى: « يا أبتِ بينما أنا أتصفح المجلد الـ ٨٧ من المقتطف (ديسنبر ١٩٣٥) ص ٦٣٠ وقع نظرى على هذه العبارة وهى : « وقد اصطلح العلماء على تسمية هذه المخازن [مخازن الطعام] باسم سيلو Silo ، وأصل هذه الكلمة بحسب أقوال الغربيين ، ويظهر أنها استعملت أولاً فى أسبانيا والمغرب الأقصى . فحبذا لو عُنى أحد اللغويين بالبحث عن أصل اشتقاقها . وقد اصطلح على تسميتها فى القطر المصرى بالصوامع ، لأن الفلاح اعتاد أن يطلق اسم صومعة على المخزن المبنى بالطين الذى يحفظ فيه غلاله ، وكان الكاتب جلال حسين أول من أطلق عليها هذا الإسم فى مقالات له نشرت فى المقطم » انتهى».

ثم زاد ولدى على ما تقدم نقله ما هذا إيراده : « ثم تصفحت ما جاء من أجزاء المقتطف فى مجلداته التالية إلى هذا اليوم فلم أجد من تعرض لهذا البحث ولم أوفق فى عثورى على معرفة الأصل العربى ، فهل لك أن تذكر لنا اللفظة المأخوذة منها الكلمة الغربية ؟ » .

فقلت له : إنى قد بحثت عنها فى معجمى الكبير (الساعد[1]) ولكن البحث عنها فى هذا البحر الخِضَمّ يحتاج إلى وقتٍ ، فتى ما سنحت لى الفرصة أحقق الأمنيّة ، وأنقل ما قيدته فى دفاترى . واليوم قد ظفرت بهذا الموضوع ، فآتى به وأطلع الأدباء عليه بنشره فى هذه المجلة .

(١) سمع كثيرون بمعجمى هذا الواسع المتضمن ألفاظاً لا تحصى مستدركة على أصحاب الدواوين العربية الكبرى ، والتى لا ترى فى القاموس ولا فى الأوقيانوس ولا لسان العرب ولا تاج العروس ولا أى معجم كان من تأليف الأقدمين والمحدثين من الناطقين بالضاد وأبناء سائر البلاد . لأنه وعب كلاً من عهد الجاهلية وصدر الاسلام وعهد العباسيين ومصطلحات العلوم والفنون والصنائع ، فقد تجىء أسئلة عن ألفاظ غريبة من ديار النيل وربوع الشام وأرجاء فلسطين ، ومن شمال أفريقية وأصقاع أميركة المختلفة بل من أقطار استرالية والهند الهولندية فأبعث إليهم بما يشفى غلتهم ويروى غلتهم ، ويزيل كل شبهة عنهم . وأ كثر ما أدرجه فى الصحف والمجلات من عهد بعيد مقتبس من معجمى هذا « الساعد » ، ولا يمكننى أن أتولى طبعه لعظمه وسعته

٢ — أقسام مخازن الطعام

تقسم مخازن الطعام إلى قسمين كبيرين : قسم يتخذ فوق الأرض وقسم يتخذ فى السراديب أى تحت الأرض . وليس للغربيين إلا اسم واحد لهذين القسمين وهو (سيلو Silo) . أما العرب ، فقد سموا باسمين مختلفين هذين المخزنين : فالذى يبنونه أو يتخذونه فوق الأرض يسمونه السيرة أو السِّير ، وهو الذى نقل إلى (سيلو الغربية كما سترى) وقسم تحت الأرض وهو المسمى عندهم مطمورة .

٣ — السيرة والسير

قال صاحب كتاب الزردقة[1] فى ص١٤٣ ـ ١٣ وما يليه :

(١) الزردقة لا ترى في معاجنا العربية القديمة ولا الحديثة مع أنها من عصر العباسيين النير الراق . ولما كان أغلب النساخ يجهلون الكلمة ومعناها وأصلها صحفوها منذ أقدم الأزمنة بصور شتى نعرف منها الزردقة (بتقديم الزاى على الراء) . والزرطفة (بزاى فراء فطاء ففاء موحدة فهاء) . والزرطقة (كالسابقة لكن بجعل الفاء قافاً) . قال صاحب المذكرة : الزردقة : هى ضم علم الحيوان إلى علم الفلاحة . وقال أيضاً : رأى النبطى وقسطوس وابن العوام وكثير من الروم : ضم الحيوان إلى كتب الفلاحة . وسموا المجموع (زردقة) حتى اشتغل الأدِم والنطريف وسومارس وأرجانس بإفراده انتهى نقله بحروفه

وفى كشف الظنون المطبوع فى الآستانة فى سنة ١٣١١ فى كلامه على (كامل الصناعتين) :

« والزرطقة هى عبارة عن تربية الخيل فى تعليمها ولوازمها » اه . وفى النسخة المطبوعة فى ديار الأفرنج باللغتين العربية واللاتينية : « الزرطفة [أى بالزاى والراء والطاء والفاء والهاء] ولا جرم أنها تصحيف الرزطقة [بتقديم الراء على الزاي يليها طاء فقاف فهاء] إذ الكلمة لاتينية الوضع ووردت مصحفة تصحيفات أخر كما أشرنا إليها قبيل هذا ، ومنها أيضاً : زردقة وزرتقة ورزدقة ورشتقة ورشنقة إلى غيرها

فاجتزأنا بذكر ما وقع عليه بصرنا ، وكلها لم تذكر فى معجم ، وكأن المستشرقين لم يعثروا على واحدة منها ، مع أن جمهوراً منهم عثروا على كشف الظنون وطالعوه من أوله إلى آخره واستشهدوا بأقواله فى مواطن لا تحصى

وفى خزانة ديرنا البغدادى كتاب خطي ظفرنا به فى سنة ١٩٤٠ م فاقتنيناه وعنوانه « كتاب البيطرة » وقد نسخ فى سنة ١٣١١ للهجرة . وفي آخره كتاب آخر اسمه « مختصر كتاب الزردقة » [كذا] .

وفى هذا السفر الجليل نسخة فى خزانة دار الآثار القديمة ببغداد وقعها فيها ١٣٤ ؛ لكن ليس فيها كتاب الزردقة ، وقد اقتنتها الدار فى السنة التى اقتنينا فيها نسختنا ، أى ١٩٤٠ م

اعلم أن (السيرة) بالكسر و (السَّيْر) بالفتح ، أن يكدّس الطعام أو الميرة أكداساً وصُبَرا ، ثم يجمع بينها وتصومع ، ثم تُسَيَّغ فتصمد دفعاً لعادية الأمطار والثلوج عنها وحفظاً لها من كل ضرر ، فإن وضع هــذا الطعام أو هذه الميرة فى حفرة فهى المطمورة » انتهى بنصابه

وقد نقَّرنا عن السيرة والسير فى كتب متون اللغة ، وهى عندنا كثيرة لا يرى أمثالها عند كثيرين من أصحاب خزائن كتب أبناء يعرب ولا فى دور أبناء الغرب فلم نظفر بما يفيدنا هذه الفائدة المطلوبة هنا ؛ لكن لها وجه وجيه فى اللغة ، فقد جاء فى كتبنا عن أحد معانيها : السيرة : الميرة[1] . فيكون مجيئها بمعنى مخزن السيرة من باب حذف المضاف وإبقاء المضاف إليه ، ومنه الآية : واسأل القرية . ومعناه : أهل القرية . وفى الحديث : « وإن مجلس بنى عوف ينظرون إليه أى أهل المجلس على حذف المضاف . وفى الأساس : رأيتهم مجلساً أى جالسين . وعندنا من الشواهد ما يقع فى جزء من أجزاء هذه المجلة لكثرتها وسماعها عن الأئمة الأعلام الأثبات الذين لا يشك فى فصاحتهم ولا فى بلاغتهم ، ولا فى عروبتهم المحضة

وأما (السَّيْر) بمعنى السيرة والميرة التى وردت فى (الزردقة) فلم نجدها فى كتاب لغة ؛ لكنا وجدنا فى اللسان والتاج وغيرهما (المَيْر) بالفتح بهذا المعنى عينه . وقد رأينا أن (السيرة) بمعنى (الميرة) وردت فى كلام الأقدمين ودواوين اللغة ، فتكون (السَّيْر) للمَيْر من هذا القبيل أى لغة فيها . فتكون (السيلو) من (السير) عن طريق اليونانية ، فقد حكى اللغوى العظيم بوازاق فى معجمه أصول الألفاظ اليونانية ، أن الأغارقة يقولون للسيلو (مخزن الطعام فى ص ٨٦٦ من تصنيفه البديع Siros [بكسر السين] قابلها بِـ Seiros [بفتح السين] بمعناها فلم يبق شك فى أنهما مثل (سِيرة) و (سَيْر) بكسر السين فى الأول وبفتحها فى الثانى والمعنى واحد ، ثم نقلها عنهم أهل الغرب جميعاً فقال اللاتين Sirus ونقلها عنهم باللام والإنكليز والفرنسيون والإسبانيون فقالو سيلو أى Silo (باللام)

ولماذا جعلوا اللام فى مكان الراء فلأحد سببين : إما لمقاربة مخرج الراء من اللام فأبدلوا إحداهما بالأخرى ، وإما لأنهم سمعوها من بعض العرب من قديم الزمان باللام . فالذين نطقوا بها منذ القديم بالراء جاوروا عرباً يلفظون راءها على أصلها . والذين نطقوا بها باللام كالفرنسيين والإسبانيين والإنكليز جاوروا عرباً يجعلون الراء لاماً . وهذا ما ورد نظائره فى كلام السلف الصالح القديم فقالوا : هدر الحمام هديراً وهدل هديلاً ، واعرنكس الشعر واعلنكس أى تراكم وكثر أصله . والعرجوم والعلجوم، وأربَّ فى المكان إرباباً وألب فيه إلباباً : إذا قام به . والشواهد لا تحصى لكثرتها .

الأب أنستاس مارى الكرملى
من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

---

(١) وجود السيرة بمعني الميرة ذكره جميع أرباب المعاجم وهو من غريب المعانى . وسبب هذه الغرابة أن ليس للسيرة جميع المشتقات ومعانيها العائدة إلى مادة الميرة ومشتقاتها . فعندنا فى هذه المادة مارفلان عياله يميرهم ميرا جاءهم بطعام ؛ وأمار عياله وامتار لهم المائر اسم فاعل ، والمير مصدر والطعام ، والميرة بالكسر الطعام ، يمتاره الانسان . والميار : جالب الميرة إلى نظائر هذه الاشتقاقات وكلها فى مادة (م ى ر) التى بحث عنها ابن فارس في معجمه البديع « مقاييس اللغة » فقال فيها ما نقله : مير الميم والياء والراء أصل صحيح هو المير ومرت ميراً والميرة الطعام ينقل من بلدة إلى بلدة أخرى. وقالوا ما عنده خير ولامير والمادة تدل على التغذية والطعام انتهى .

فلا جرم أن السيرة بمعنى الميرة لغة من لغاتهم التى تجعل ميم بعض الألفاظ سينا كما قالوا : السقاط والمقاط وهم سفلة الناس . والضرس كالضرم ككتف وهو من ينضب من الجوع . وموج متلاطس ومتلاطم . والسغل والمغل والسرطراط كالمرطراط ، واستقع لونه وامتقع إلى ما لا يحصى ذكره

فلله در ابن فارس كيف توصل إلى حل معنى (م ى ز) وحل كل مادة من مواد اللغة الضادية مع وفرتها الجمة وكشف ما فيها من دقائق المعنى . فقد اتفق تحليله لمادة (م ى ر) مع ماجاء من جنسها فى الفرنسية إذ جعلت (ميمنا) العربية (نونا) فى لغتهم وقالوا Nourrir ومعناها : أطعم وغذى وأعاش وأعالَ . وبالانكليزية to nourich فمادة نشوئها (م و ر) كما لا تخفى على أحد

وأما مادة (س ى ر) فليس فيها إلا (السيرة) بمعنى الميرة وليس فيها مشتقات من أفعال وأسماء تفيد معنى السيرة أو الطعام أو الغذاء من بعيد ولا من قريب

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٧ يناير سنة ٩٤٢ فى القضية رقم ١١٥ سنة ١٩٤٢ ضد صابحة هليل العجيبي أرملة بالدلنجات بتغريمها ١٠٠ مائة قرش والنشر علي مصاريفها لعرضها للبيع قمحاً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٤ ديسمبر سنة ٩٤١ فى القضية رقم ٢٤٢ سنة ١٩٤١ ضد عبد الحميد على الجمال بياع بعزبة راشد تبع دسونس مركز دمنهور بتغريمه ١٠٠ مائة قرش والنشر علي مصاريفه لبيعه كبريتاً وغازا بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكم فى القضية المستأنفة رقم ٤٨١٢ سنة ١٩٤١ بتاريخ ٣ مايو سنة ٩٤١ ضد عبد العزيز عبد السميع يحى سكنه الرويس بتغريمه جنيه لبيعه مسامير بسعر أزيد من التسعيرة

خسرو وشيرين

في التصوير الإسلامي

للدكتور محمد مصطفى

— ٥ —

ودّعت شيرين فرهاد بعد أن استرد شعوره ، وتركته وزلت بجوادها الجبل قاصدة قصر شيرين ، وإذا بالجواد يكبو وتكاد شيرين أن تسقط من فوقه . فأسرع فرهاد إليها ، وقد أراد أن يقوم أمامها بعمل من أعمال الرجولة والبطولة ، وحملها هي وجوادها على كتفيه ، ونزل بها ذلك المنحدر الشاق . فتعجبت شيرين بقوته الهائلة



(شكل ١)

وفي (شكل ١) تقدم فرهاد لنجدة شيرين ، عندما تعثّر جوادها الأصيل وكادت تزل قدمه ، فحملها هي وجوادها على كتفيه ونزل بهما ذلك المنحدر الشاق[١] ، وقد ظهرت على وجهه دلائل السعادة لهذا العمل الذي جلب إلى قلبه الغبطة والسرور . ونرى خلفه اللوحة التي نحتها لتمثيل خسرو وهو واقف بين شيرين وموبذ الموبذان . وهذه الصورة[١] كانت مع عدة صور أخرى ضمن مخطوط للمنظومات الخمس للشاعر نظامي مؤرخ سنة ٨٦٨ هـ (١٤٦٣م) . ويمكن تاريخ هذه الصور[٢] حوالي سنة ٨٥٤ هـ (١٤٥٠ م) . وهذه الصورة[٣] محفوظة في مجموعة شستر بيتي بلندن

* * *

بلغت مسامع خسرو أخبار تطور العلاقات بين شيرين وفرهاد، من عطفها وإشفاقها عليه ، إلى إعجابها به ، فخاف أن تبلغ هذه العلاقات بينهما مدى أبعد من ذلك . أضف إلى ذلك أنه علم أن فرهاد قد قرب من إتمام مشروعه الهائل ، وإنه على وشك الوصول إلى نهاية الطريق الذي يشقه في صخور جبل بيستون . فجمع خسرو وزراءه وسألهم عن حيلة تعفيه من وعده لفرهاد ، فأشاروا بما أملته عليهم قلوبهم الجامدة القاسية ، التي لا يعرف الحب إليها طريقاً ، والتي ماتت فيها العواطف وتحجرت دماء الشباب . إذ أرسل خسرو إلى فرهاد الشاب المفعم بالحماسة للحياة، امرأة عجوزا قد فرغت من تجاريب الزمان ، أخبرته في رفق قاتل، وتؤدة خانقة ، أن شيرين قد اختارها الله تعالى إلى جواره[٤] ... يا لله ! ... ماتت شيرين ! ... فيالها من حياة تعسة يائسة ! ... ولكن ... لا !... فإن قلوب المحبين خالدة لا تموت !... وشعر فرهاد كأن روح شيرين ترفرف عليه، وتدعوه ليصعد إلى جوارها، إلى حياة أخرى خالدة هادئة ... وصعد فرهاد إلى صخرة شاهقة تشرف على ذلك الطريق الذي شقه في سبيل القرب من حبيبته ... فصار آخر طريق يسلكه ليصل من هذه الدنيا ... دنيا الخبث والشقاء والبؤس ... إلى دنيا الصفاء والأحلام والخلود ... وعلى سطح هذه الصخرة الشاهقة ، سجد فرهاد أمام روح شيرين الطاهرة البريئة ... وقد مثلت أمامه ، فرآها بعيني بصيرته ، وقبّل لها الأرض في خشوع وخضوع ...

---

(١) توجد عدة صور في وضع مماثل لهذا . أنظر مثلا : B—W—G, pl. CI B. M. S. و Dimand, A Handbook of Mohammeden Decorative Arts, fig. 1 p. 31.

وللمقارنة أنظر صورة من مخطوط لخسرو وشيرين للشاعر التركي (شيخي) في: Arnold and Grohmann, The Islamic Book, pl. 94 B.

(١) منقولة عن : Schulz, Taf. 39

(٢) أنظر : S. P. A., III, p. 1856 و B-W-G, p. 68, no. 69

(٣) أنظر صورة أخرى من هذه المجموعة في (العدد ٤٠٨) من (الرسالة) ص ٤٣٦ (شكل ١)

(٤) أنظر صورة لفرهاد وهو يستمع إلى الخبر الكاذب عن موت شيرين في : Schulz, II, Taf. 57, Abb. 1

ثم قام وقد افترت شفتاه عن ابتسامة الواثق من مآله ، ولاحت على وجهه دلائل الغبطة والسعادة ، وألقى بذلك الجسد الفاني إلى الطريق ، فصعدت روحه الخالدة إلى السماء ، وهى تنظر وراءها ، إلى تلك الابتسامة الباقية على شفتيه ، فترى فيها ما للموت من جمال ... وكيف لا يكون للموت جمال ... ؟ !



(شكل ٢)

وفى (شكل ٢) يرقد فرهاد رقدته الأخيرة ، بعد أن ألقى بنفسه من أعلى الصخرة ، فسقط إلى جوار أدواته التى كان يعمل بها فى نحت الطريق بجبل بيسُتون . وإلى اليمين أسرع رجل إليه ، وقد عقلت الدهشة لسانه ، فوضع يده على فمه . وانطلقت الغزلان والطيور مبتعدة عن مكان هذه المأساة الموحشة ، كأنها تفر من هول القضاء المحتوم . وهـذه الصورة[١] فى مخطوط[٢] للمنظومات الخمس للشاعر خسرو الدهلوى ، كتب فى هرات سنة ٨٩٠ هجرية (١٤٨٥ م) ومحفوظ فى مجموعة شستر بيتى بلندن

أفلحت مكيدة وزراء خسرو ، ومات فرهاد وهو يعتقد أن شيرين قد ماتت ، فأراد أن يلحق بها . وحزنت شيرين على فرهاد حزناً شديداً ، فأمرت ببناء قبة فوق المكان الذى مات فيه ، لتكون رمزاً للحب الطاهر البرىء ، وكعبة يحج إليها كل محب صادق فى حبه

***

لم يكن حزن شيرين لموت فرهاد إلا لإشفاقها عليه وإعجابها به ، فقد كان صادقاً فى حبه ، عفيفاً أبىّ النفس ، وفيًا كامل الرجولة . وماتت مريم ابنة امبراطور الروم ، وزوجة خسرو وأم ابنه شيرويه . فأرسل خسرو الرسل إلى شيرين يطلب ودّها ، ولكنها رفضت أن تقابلهم ، وأصمت أذنيها دونهم . وحاول شابور ، صديق الطرفين ، أن يوفق بينهما ، فبذل فى هذا السبيل كل ما أوتى من ذكاء وسعة حيلة ، ولكنه لم يفلح . فقد كانت شيرين غضبى لزواج خسرو من مريم ، ولقسوته الشديدة على فرهاد . وأراد خسرو أن يسرى عن نفسه ، فاختار لذلك سيدة جميلة من سيدات البلاط ، اسمها «سكّر» ولكنه سرعان ما سئم صحبتها وتاقت نفسه إلى حبيبته شيرين ، فرحل إلى الهضاب المرتفعة فى طلب الصيد ، وضرب خيامه على مقربة من قصر شيرين . وكانت هى – على مر الأيام – قد بدأت تشعر بالأسف ، لمعاملتها رسله بهذا الجفاء ، فرضيت أن تستقبله فى قصرها . وما كادا يتقابلان فى أول لقاء بعد هـذه الحوادث ، حتى ثارت ثائرتها ، وأخذت تمنفه لخيانته وقسوته ، ثم صرفته من بين يديها ، فرجع كسير القلب حزيناً . وعادت شيرين ثانية تشعر بالأسف لجفائها معه ، وأرادت أن تصلح ما أفسدت ، فتسللت من قصرها ، وتوجهت إلى مضرب خيامه فى زى أحد غلمان الملك . وهناك قابلها شابور ، فتوسلت إليه أن يخبئها فى منظرة ، ففعل ذلك . وأغرى خسرو حتى أدب مأدبة فى هذه المنظرة . وكان شابور قد أخبر نيكيسا بوجود شيرين ، فغنّت أثناء المأدبة بصوت رخيم تحركت له أوتار قلب خسرو ، ورد عليها باربد بأغنية أثارت عواطف الجميع ، فلم تتمالك شيرين نفسها دون أن تتنهد ، وتفصح بذلك عن وجودها . وهنا رفع شابور الستار عن مخبئها ، ورآها خسرو أمامه ، وهى ترنو إليه ، ولسانها حالها يقول[١]

لا رأى السوء من يراك يد الدهـ ... ـر وأحيـا الإله من حياكا
أى نور لناظرىّ إذا ما ... مرّ يوم وناظرى لا يراكا

(له بقية) **محمد مصطفى**

أمين مساعد دار الآثار العربية

(١) عن الشاهنامه ج ٢ ص ٢٣٧

(١) منقولة عن : Martin, Les miniatures de Behzad, pl. 13

(٢) راجع ما كتبناه عن هذا المخطوط فى العدد ٤٦٠ من (الرسالة) ص ٤٨١ — ٤٨٢ شكل ٢

محاكمة قصاص

للأستاذ عبد الوهاب الأمين

هذا حديث كنت شاهده عرضاً ، وكان قد جرى بين صديق لى من القصاصين وبين إحدى الإنجليزيات ، لم أشترك فيه إلا بالسمع فقط وإلا بإشارة عارضة أو نظرة تأييد وموافقة عندما كان يفزع إلىّ أحد المتحادثين فى غضون الحديث ، فكنت اعتصم بالصمت طوال سيره

وقد بدأ هذا الحديث أول ما بدأ تغلب عليه مسحة من التزمت الذى يقتضيه مثل هذا الموقف ، ثم أخذ يتحدر شيئاً فشيئاً إلى الكثير من اللجاجة وقليل من قسوة اللفظ كنت أرى أنهما غير مصطنعين

وقد سجلت هذا الحديث لأنه يمثل متهماً يدافع عن نفسه فى اتهام لا يمكن أن يبرز فى غير هذا السياق من الأخذ والرد ، ولأنه يمثل مفهوماً للأدب الحديث بين عصرين وحضارتين وجنسين

***

قالت الجليسة لرفيقى بعد تطور الكلام — وكان فى حفلة من الحفلات العامة — الذى بدأ كما يبدأ كل كلام بين غريبين ببعض المجاملات المعروفة :

— علمت أنك تكتب القصص الصغيرة ، فهل كان ذلك منك اختياراً ، أم أنك كنت تقتفى أثر أحد من الأدباء الذين أعجبت بهم ؟

فأجاب صاحبى :

— من المؤكد أنه اختيارى الخاص ؛ وإن كان قصدك بالاقتفاء « التقليد » ، فإن القليل عندنا من أدباء العربية من يكتبون القصص الصغيرة والأقل منهم من يجيدها . وإن كان قصدك اقتفاء سير الأدب الغربى ، فأنت تعلمين أن مثل هذا لا يمكن أن يسمى اقتفاء أو تقليداً ، لأن جميع الأدباء الغربيين تقريباً يكتبون القصص ، بل لعلهم لا يكتبون سواها ، فلا يمكن أن يكون كل واحد مقلداً لكل واحد

— أنا لا أفرق بين الاقتفاء والتقليد ، وإن كنت فى الحقيقة لا أرى فى التقليد العيب الذى ترونه فيه أنتم معشر الشرقيين ، فالحقيقة أن الابتكار نفسه هو تقليد مضاعف

— قد يكون ذلك حقاً ، ولكن رغبة الأديب فى القالب الذى يفضله لأداء رسالته الأدبية لا يمكن أن يبت فيه غيره هو . ولا أظن أن هناك من الأدباء الناجحين من سار على طريق مفترح . والحال فى هذا كالحال فى جميع الأشغال والأعمال ، فلا يفرض النجاح لعمل ما إذا كان ذلك العمل غير مرغوب فيه ، وإذا لم يكن الإلهام من المجهول هو السائق الأول له

— لماذا فرضت أن يكون العمل غير مرغوب فيه إذا كان تقليداً ؟ قد تجيد عملاً ما ولا تدرى أنك تجيده حتى يتضح ذلك بمناسبة ما !

— إن ميلى إلى كتابة القصص الصغيرة ليس من هذا النوع ، فإنى لم أكتشفه فى نفسى اكتشافاً ، بل رأيتنى مدفوعاً إليه

— وكيف كنت تشعر عند ما كتبت أول قصة ؟

— لا أذكر أول قصة كتبتها ، ولكنى أذكر أول قصة لى نشرت ، وقد كانت سخيفة !

— لم أكن لأستغرب هذا القول منك ، ولن أستغربه إذا سمعتك بعد عشر سنوات تقول عن قصتك التى نشرت أمس أنها سخيفة ! إن فى كتابة القصص لمجالاً كثيراً للسخف ، والغريب أن أول من ينبه إليه بعد فوات الوقت هم كتابه !

رأيت صاحبى يتقبل هذا الهجم بصبر وأناة ، ويحاول أن يدور بالحديث غير مداره ، ولعلها هى الأخرى أدركت أنها قاسية بعض القسوة فى قولها ذاك فأردفته قائلة :

— كنت أقصد أن أقول هذا على سبيل المدح لكتاب القصة لا على سبيل القدح فيهم ، فالحق أن الاعتراف بالواقع لا يكون أكثر تجلياً مما هو عليه لدى أرباب القصة

فقال صاحبى :

— لعلك صادقة فى قولك هذا . إن « دستويفسكى » مثلاً لم يكن يتسنى له أن يبلغ من الفن تلك الذروة التى بلغها لو لم يكن كما وصفت . وكذلك « ل . هـ . لورنس » — من كتابكم — فهو من عباد الواقع ومن أربابه الذين خدموه

فسألته وتقدمت إلى الأمام قليلاً ، وكأنها تريد أن تدعوه إلى معركة :

— هل تحب « لورنس » ؟

— كثيراً جداً

— وماذا يعجبك فى فنه ؟

— إذا طرحنا بيانه الرائع وقدرته الفنية على الأداء جانباً ، فإنى أعجب ، بالإضافة إلى ذلك ، باتجاهه الأدبى ، ولعلى من الزمرة الذين يَسمونه بالنبوة بين كتاب جيله !

— لعلك مغرق فى تحمسك ... إن « لورنس » أديب ولا شك ، ولكنه ليس كما وصفته . إنه أديب منافق ! ولكنى لا أريد أن أجادلك فى موضوع «لورنس» بل أود أن تشرح لى كيف تكتب قصصك

— إن كان قصدك وصف الكتابة ونوع المؤثر الذى يحدوبى إليها ، فإنى فى الحقيقة لا أقدم على كتابة قصة قبل أن ينزع بى نازع إلى الكتابة . ولا أظن أن وضعى فى ذلك يختلف كثيراً عن وضع الشاعر عند ما تتكون فيه الرغبة إلى نظم القصيد . وفى أكثر الأحيان أرانى أكتب قبل أن يتكون فى مخيلتى كيان القصة أو عمودها الفقرى كما يصطلحون !

فسألته المحدثة بابتسامة غامزة :

— ألا ترى أنك تخلق من أبطال قصصك مخلوقات مبتسرة ! أليس هذا الإنشاء اعتباطاً ؟

فأجاب صاحبي القصصى وكان قد رفع قدح الشاى إلى فمه فأنزله مسرعاً :

— إنى لا أعدو فى ذلك ما تصنعه الطبيعة فى خلق أبنائها ! وأظن أن مهمة الفنان فى هذه الحياة هى أن ينوب عن الطبيعة الأم !

فكأن هذا الجواب أرضاها ، فقالت وهى تهز رأسها هزة الموافق :

— ذلك صحيح ... وماذا عن العقدة (Plot) ؟

— هنا موضع الخلاف كما يقولون ، فأنتم فى الغرب تقيمون لها الوزن كل الوزن ؛ أما نحن هنا فقليلاً ما نعنى بها عنايتكم هذه ، وأظن أنك تلاحظين أن آداب الأمم الغربية القريبة إلى الشرق أقل نزوعاً إلى « العقدة » فى قصصها منها فى الأمم الضاربة إلى الغرب . وأقرب مثال إلى ذلك فى نظرى هو الأدب الروسى الذى نستطيع أن نقول : لا عقدة فيه

— ولكن أدبكم على ما أسمع ليس فيه ذلك العمق الموجود فى الأدب الروسى

— ذلك لأن أدبنا لا يزال فى طور التكوين

— وقد كان الأدب الروسى كذلك فى بداية أمره ، ولكنه لم يكن كأدبكم هذا الذى نسمع به ولا نستطيع أن نراه . إن نقدة الأدب عندنا يرون أن أدبكم العربى المعاصر لا يمكن نقله على صورته إلى اللغات الأخرى ، وعلى الأخص منه الشعر ، وليس كذلك الأدب الروسى أو غيره

— قد يكون هناك سبب أساسى وهو أن اللغة العربية عميقة الأداء، وأن بعض تعابيرها قد تجمدت كما يقولون ، ولكن المهم فى نظرى هو سير لغتنا بقوة الاستمرار فقط مدة طويلة من الزمن لا بقوة الحياة كما كان ينبغى لها أن تسير ، ولذلك فإنها تخلفت عما سواها من اللغات فى الأداء ، وعليها أن تجتاز كثيراً من العقبات قبل أن تستعيد ماضيها الحافل

وهنا حدثت فترة فى الحديث واتصل نظر المتحاورين بما يجرى فى القاعة من أخذ ورد ثم عطفت المتحدثة مرة أخرى إلى صاحبي وسألته :

— هل تفضل طريقة غير طريقة القصص فى الأداء والخلق كأديب ، أم أنك قانع بفنك ؟

فأجابها صاحبي بعد فترة وجيزة بتؤدة :

— كنت أتمنى أن أكون شاعراً ولكن ذلك ليس بيدى ، وأظننى لا أعدو الشاعر فى وضعى الآن كقصاص ، ولكنى كما قلت لك لا أفضل على كتابة القصة شيئاً

— ذلك ما ظننت

وبعد برهة وجيزة أخرى رأيت صاحبي ينحاز إليها سائلاً : هل لى أن أستوضح السيدة أمراً ؟

— نعم

— ماذا تفضلين من أنواع الأدب ؟

— القصة

— وهل أنت قصاصة ؟

فابتسمت المحدثة ابتسامة رطيبة وأومأت إليه برأسها :

— لا أكذبك يا صديقى ! إننى أنا أيضاً قصاصة !

ففتحت عينى مستغرباً ، وكذلك كان صاحبي ، فقد جاء جوابها هذا أغرب ما فى الحديث !

عبد الوهاب الأمين

٣٣ - المصريون المحدثون

شمـــائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل العاشر — « الخرافات »

لا تكاد القرية المصرية تخلو من ضريح ولي يزوره الكثيرون ولا سيما النساء في يوم خاص من الأسبوع . ويحمل بعض النساء إلى هنالك خبزاً للعابرين الفقراء وغيرهم . ويضع بعضهم أيضاً قطعاً نقدية صغيرة فوق القبر تقدمة للشيخ أو صدقة لأجله . وقد اعتاد الفلاحون كذلك أن ينذروا لأوليائهم ذبائح . مثال ذلك أن ينذر الرجل للشيخ فلان (المتوفى) ماعزاً أو ضاناً إذا أبل من مرض أو أنجب ولداً أو بلغ مراماً ، فيضحى بالذبيحة عند قبر الشيخ إذا قضى حاجته حالته ، ويولم بلحم النذر للفقراء . وثواب ذلك يبقى للولي . وكثيراً ما ينذر الجداء الصغيرة لتذبح في المستقبل فيشرم أذنها اليمنى أو يعلمها بعلامة ما . وليس من النادر أن ينذر الفلاح نذراً لا يبتغي منه شيئاً غير البركة . وقد ينذر أحياناً عجلاً يذبحه حين يكبر ويسمن ، فيترك العجل طليقاً يرعى برضاء الجيران في كل مكان حتى حقول القمح . ثم يذبح العجل ويؤدب بلحمه مأدبة عامة . وكثيراً ما ذبحت ثيران كبيرة بهذه الطريقة

يكرم كل ولي مشهور تقريباً بالاحتفال بمولده فيزور الناس قبره في ذلك اليوم تبركاً ، ويستأجرون الفقهاء لتلاوة القرآن على روح الولي . ويقوم الدراويش بالذكر . ويعلق من يسكن بجوار الضريح مصابيح أمام أبوابهم ، ويقضون نصف ليلهم في التدخين واحتساء القهوة والاستماع إلى رواة القصص في المقاهي أو تلاوة القرآن والأذكار . وأمام بابي الآن عدة مصابيح علقت احتفالاً بمولد شيخ يجاور ضريحه المنزل الذي أسكنه . وكثيراً ما يعلق المسيحيون المصريون كذلك المصابيح في مثل تلك الأحوال.

وتستمر هذه الأعياد بضعة أيام غالباً . وأشهر موالد القاهرة بعد المولد النبوي مولدا الحسين والسيدة زينب ، وقد وصفتهما في فصل لاحق من الأعياد الدورية العامة في مصر . ولا يواصل أكثر المصريين زيارة قبور الأولياء المشهورين للتبرك فحسب ، وإنما يواصلونها خشية نزول المصائب بهم إذا قصروا في ذلك . وهكذا يقاسي الآن أحد معارفي مرضاً يعزوه إلى إهماله حضور مولد السيد احمد البدوي في العامين الأخيرين ، وقد جاء أوان الاحتفال بأحد موالده . ويكاد ضريح هذا الولي يجتذب زائرين من العاصمة وأنحاء مصر السفلى أثناء الموالد السنوية الكبيرة بقدر ما تجتذب مكة حجاجاً من أنحاء العالم . ويقام للسيد البدوي ثلاثة موالد سنوية إكراماً له . ويقام أحدها حوالي اليوم العاشر من شهر طوبه (١٧ أو ١٨ يناير) والثاني في الاعتدال الربيعي [١] أو نحو ذلك ، والثالث وهو المولد الكبير يقام بعد الانقلاب الصيفي بشهر تقريباً (أو حوالي منتصف شهر أبيب) عند ما يزيد ارتفاع النيل ولم تقطع السدود بعد . ويستمر كل مولد ثمانية أيام ، فيبدأ يوم جمعة وينتهي بعد ظهر الجمعة التالية . وتقام في كل ليلة ألعاب نارية . ويحتفل بمولد السيد ابراهيم الدسوقي بعد كل من الموالد السابقة بأسبوع في دسوق على الضفة الشرقية من فرع النيل الغربي . وكان السيد ابراهيم ولياً ذائع الصيت يلي السيد البدوي في الشهرة .

وتعتبر موالد السيد البدوي والسيد ابراهيم الدسوقي أسواقاً عامة فضلاً عن كونها أعيادا دينية ، ويقيم أكثر زائري مولد السيد ابراهيم في مراكبهم . ويعرض بعض دراويش السعدية من أهل رشيد ألعابهم بالثعابين ، ويحمل بعض هؤلاء ثعابين شد فيها بحلقة فضية وقاية من لدغها ؛ ويأكل آخرون بعض هذه الثعابين حية . ولا يزيد الاحتفال الديني في الموالد جميعاً على إقامة الذكر [٢] وتلاوة القرآن . وقد جرت العادة أن يقوم المسلمون — كما كان يفعل اليهود — بتجديد بناء قبور أوليائهم وتبييضها وزخرفتها وتنطية التركيبة أو التابوت أحياناً بغطاء جديد ؛ وأكثر هؤلاء يفعلون ذلك رياء كما كان يفعل اليهود [٣]

يكثر الدراويش في مصر كثرة عظيمة ، ويحترم المصريون

---

(١) ويسمى (شمس الكبيرة)

(٢) سأصف الذكر وصفا تاما في فصل آخر عن الأعياد الدورية العامة

(٣) انظر انجيل متى ٣٢ /٢٩

— وخاصة الطبقات السفلى — هؤلاء الذين يعكفون على الرياضة الدينية ويعيشون على الصدقة احتراماً كبيراً ؛ ويستخدم بعض الدراويش الحيل المختلفة للاشتهار بقداسة فائقة وقدرة القيام بالكرامات ، ويعتبر الكثير منهم أولياء

ويحمل من ينحدر مباشرة من ذرية أبي بكر أول الخلفاء لقب « الشيخ البكرى » ، ويعتبر ممثل ذلك الخليفة ، ويسيطر على جميع طوائف الدراويش بمصر ؛ ويعتبر « الشيخ البكرى » الحالى ، وهو أيضاً من سلالة النبى صلى الله عليه وسلم نقيب الأشراف . ولعمر أيضاً ممثل هو « شيخ العنانية » أو « أولاد عنان» ، وهم طائفة من الدراويش سموا هكذا باسم «ابن عنان» أحد شيوخهم المشهورين . وليس لعثمان ممثل ، إذ أنه لم يترك خلفاً . ويسمى خليفة على « شيخ السادات » ، وهو لقب دون لقب « نقيب الأشراف » . ويدعى كل شيخ من هؤلاء الثلاثة « صاحب سجادة » سلفه العظيم . وكذلك « شيخ الطائفة » من طوائف الدراويش يسمى «صاحب سجادة» مؤسس الطائفة . وتعتبر السجادة العرش الروحى . وفى مصر أربع سجاجيد كبيرة وهى لتلك الطوائف الكبيرة التى سأذكرها الآن

أشهر طوائف الدراويش فى مصر ما يأتى :

أولاً : طائفة (الرفاعية) أسسها السيد أحمد الرفاعى الكبير . وأعلام الرفاعية وعمائمهم سوداء ، وقد تكون العمائم من الصوف الحالك الزرقة أو الموصلى القاتم الخضرة . ويشتهر دراويش الرفاعية بأعمالهم العجيبة [1] . ويدّعى (الملوانية) أو (أولاد علوان) وهم فرقة من الرفاعية أنهم يغرزون المسامير الحديدية فى أعينهم وأجسامهم دون أن يقاسوا ألماً . والظاهر أنهم يفعلون ذلك بطريقة تخدع من يصدق مثل هذه الأعمال . وهم يحطمون أيضاً على صدورهم كتلاً من الحجارة ويبتلعون الحجر والزجاج . ويقال إنهم يخترقون أجسامهم بالسيوف وخدبهم بالمسلات دون ألم أو جرح . غير أنه قلما تشاهد هذه الألعاب الآن . وكانت العادة كما أخبرت أن يقوم الدروبش بتجويف قطعة من جذع النخل ويحشوها بخرق غمست فى الزيت والقطران ويشعلها . ثم يحمل هذا الجسم الملتهب تحت ذراعه في موكب دينى وليس على جسده غير سروال فينبعث اللهب على صدره وظهره ورأسه ولا يبدى ألماً .

و (السعدية) فرقة أخرى من الرفاعية أشهر من الأولى أسسها الشيخ سعد الدين الجباوى ، وأعلامها وعمائم أعضائها خضراء وقد تكون العمائم قاتمة . ويوجد فى هذه الطائفة دراويش يمسكون الثعابين السامة والعقارب بلا خوف ، ويلتهمون بعضها . إلا أنهم ينزعون أنياب الثعابين حتى يأمنوا شرها . ولا شك أنهم يعدمون العقارب سمها أيضاً . ويركب شيخ السعدية فى بعض المناسبات كمولد النبى (صلعم) حصاناً ويسير به على أجسام بعض دراويشه وغيرهم وهم راقدون على الأرض . ويقرر جميعهم أن وطء الحصان لم يؤذهم [1] ويسمى هذا الموكب (الدوسة) . ويعيش الكثير من دراويش الرفاعية والسعدية على إخراج الثعابين من البيوت . وسأتكلم عن براعة هؤلاء المشعوذين فى فصل آخر .

ثانياً : (القادرية) أسسها السيد عبد القادر الجيلانى النبيه الذكر . وبيارق القادرية وعمائمهم بيضاء . وأغلبهم صيادون فيحملون فى المواكب الدينية شباكا مختلفة الألوان يرفعونها على دعائم تمييزاً لطائفتهم .

ثالثاً : (الأحمدية) وهم طائفة السيد أحمد البدوى . وهذه الطائفة كثيرة العدد ومحل الاحترام . وراياتهم وعمائمهم حمراء .

وتعتبر (البيومية) ومؤسسها السيد على البيومى ، و (الشمراوية) ومؤسسها الشيخ الشمراوى [2] و (الشناوية) ومؤسسها السيد على الشناوى فرقاً من الأحمدية . ويشترك الشناوية في اليوم الأخير من مولد شفيعهم الكبير السيد احمد البدوى فى طنطا بنصيب غريب ، إذ يجرون حماراً فى ذلك اليوم ويتركونه يدخل المسجد من تلقاء نفسه . فإذا دنا من الضريح حيث يحتشد الجماهير نتف كل من استطاع بعضاً من شعره كتعويذة حتى يصبح جلد الحيوان المسكين عارياً كراحة اليد . وهناك فرقة أحمدية أخرى تسمى (أولاد نوح) كلها شبان يلبسون (طراطير) تعلوها شرابة من قطع الجوخ المختلف الألوان . ويحملون سيوفاً خشبية وسياطاً من الحبال السميكة المجدولة المسماة (فرقلة) ويلبسون عدة عقود من الخرز .

رابعاً : (البراهمة) أو (البرهامية) وهم طائفة السيد إبراهيم الدسوقى الذى سبق الكلام عن مولده . وأعلامهم وعمائمهم

(١) ويعتبر دراويش مصر أقل مهارة من الهنود فى ألعاب الشعوذة

(١) سأصف هذا وغيره من أعمال الدراويش وصفا كاملا فى الفصول المتعلقة بالأعياد الدورية العامة

(٢) تنطق هكذا بدلا من الشعرانى

خضراء . وهناك فرق أخرى ينتمى بعضها إلى الطوائف السابقة ؛ ومن أشهرها (الحفناوية) و (العفيفية) و (الدمرداشية) و (النقشبندية) و (البكرية) و (الليثية)

والإلمام بكل عقائد الدراويش وقوانينهم وشعائرهم مستحيل ؛ إذ أن أكثرها مثل عقائد الماسونية لا تذاع على غير المطلعين على أسرارها . وقد وصف لى درويش أعرفه كيف أخذ (العهد) أى ميثاق التعريف بالسر وهو يكاد يكون واحداً عند الطوائف جميعها . استقبل شيخ الدمرداشية صاحبي هذا فتوضأ وجلس أمامه على الأرض . ثم ضم كل من الشيخ والمريد يده اليمنى إلى يد الآخر بالطريقة السابق وصفها عند عقد الزواج . وبهذه الحالة واليدان مغطاتان بكم الشيخ أخذ المريد العهد مردداً وراء الشيخ هذا الكلام التالى بادئاً بالتوبة : « أستغفر الله العظيم (ثلاث مرات) الذى لا إله إلا هو الحى القيوم . أتوب إليه وأسأل عفوه وغفرانه وإعتاقه من النار » ثم يسأله الشيخ هل يتوب إلى الله؟ فيجيب المريد أنه يتوب إلى الله ويرجع إلى الله . وإنه نادم على ما ارتكب من المعاصي ويقرر أنه لا يعود إلى غيه . ثم يردد بعد الشيخ أنه يستخير الله العظيم والرسول الكريم . وإنه يولى عليه السيد عبد الرحيم الدمرداش الخلوتى الرفاعى النبوى محتذياً مثال شيخه ومرشده إلى الله تبارك اسمه وتعالى . وإنه لا يحيد عن تعاليم الطريقة ولا ينفصل عنها ، ويشهد الله على ذلك مقسما بالله العظيم ثلاث مرات . ثم يقرأ الشيخ ومريده الفاتحة معاً . ويختم المريد الحفل بتقبيل يد الشيخ . وتقوم أعمال الدراويش الدينية على الذكر خاصة، فيصيحون أو ينشدون واقفين فى حلقة مستديرة أو مستطيلة أو فى صفين متقابلين أو جالسين : «لا إله إلا الله» أو « الله الله الله » أو يرددون أدعية أخرى ، ويكررونها حتى تخور قواهم ، وهم أثناء ذلك يحركون الرأس أو الجسم جميعه أو الذراعين . ويستطيعون لدأبهم على ذلك أن يواصلوا هذه الحركة بلا انقطاع مدة تثير الدهشة . وكثيراً ما يصحبهم من وقت لآخر عازف أو أكثر على (الناى) أو على (الأرغول) وآخرون ينشدون القصائد الدينية.. ويستخدم بعض الدراويش أثناء الذكر طبلاً صغيراً يسمى (بازا)[1] أو دفا . ويقوم البعض الآخر برقص غريب سأصفه مع أشكال مختلفة للذكر فى فصول قادمة

عدلى طاهر نور

(١) أنظر وصف هذه الآلات فى فصل الموسيقى

من التاج

«فاروق أنت هُداها كُلَّما عشيت»

[إلى عزيز مصر «الفاروق»، تحية لعيد جلوسه الملكي السعيد]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

نُورٌ مِنَ اللهِ تَرْعَاهُ الْعِنَايَاتُ هَاتُوا أَغَانِيَكُمْ فِي حُبِّهِ هَاتُوا!

وَجَلْجِلُوا فِي فَمِ الدُّنْيَا بِعِزَّتِهِ
فَنَحْنُ مِنْ دُونِهَا فِي الْأَرْضِ أَمْوَاتُ

وَرَدِّدُوا فِي مُحَيَّا الْوَادِي بَشَائِرَهُ فَمَا لَنَا غَيْرُهَا لِلْمَجْدِ آيَاتُ

وَانْشُوا كَمَا خَطَرَتْ مِصْرٌ بِسَاحَتِهِ
نَشْوَى تُرَنِّحُ جَنْبَيْهَا الصَّبَابَاتُ

غَدَا هَوَاهَا دَمًا يَجْرِي بِمُهْجَتِهِ
كَمَا جَرَتْ بِحَيَاةِ الْبَحْرِ مَوْجَاتُ

حَنَا عَلَيْهَا كَمَا تَحْنُو الظِّلَالُ عَلَى
سَارِي هَجِيرٍ لَهُ فِي الدَّوِّ آهَاتُ

حَنَا عَلَيْهَا كَمَا يَحْنُو الشُّعَاعُ عَلَى مُحَيَّرِ اللَّيْلِ تُشْقِيهِ الْمَفَازَاتُ

حَنَا عَلَيْهَا كَمَا تَحْنُو الْمُنَى فَجَأَتْ قَلْبًا تُرَاوِغُ جَنْبَيْهِ الْمَلَالَاتُ

حَنَا عَلَيْهَا وَسَقَّاهَا الْعُلَا فَمَضَتْ وَمَا لَهَا غَيْرُ مَهْدِ النَّجْمِ غَايَاتُ

مُمَلَّكٌ فِي شَبَابِ الْعُمْرِ تَحْسَبُهُ لِحِكْمَةِ الرَّأْيِ تَحْدُوهُ الْقَدَاسَاتُ

آسَاسُ مُلْكِ الْوَرَى سَيْفٌ وَصَوْلَجَةٌ
وَمُلْكُهُ الضَّخْمُ تُعْلِيهِ الْحُشَاشَاتُ

أَحَبَّهُ النَّاسُ حَتَّى لَوْ سَجَا حُلُمٌ بِغَيْرِ رُؤْيَاهُ تُبْلِيهِ النُّفَاثَاتُ

أَحَبَّهُ النِّيلُ ... سَلْ أَمْوَاجَهُ تَرَهَا
وَمِلْءُ أَقْدَاحِهَا مِنْهُ بَشَاشَاتُ

أَحَبَّهُ الطَّيْرُ ... حَتَّى قَالَ أَعْجَمُهَا
مِنْ نَشْوَةٍ بِالْهَوَى: أَيْنَ الرَّبَابَاتُ؟

أَحَبَّهُ الشَّرْقُ ... حَتَّى صَارَ قِبْلَتَهُ
أَنَّى مَشَى خَلْفَهُ تَمْشِي السِّيَاسَاتُ!!

أَحَبَّهُ اللهُ ... إِذْ أَوْحَى لِكُلِّ هَوًى
بُشْرَى هَوَاهُ فَحَفَّتْهُ الضَّرَاعَاتُ ...

كَأَنَّمَا حُبُّهُ لِلْكَوْنِ هَادِيَةٌ مِنَ الشَّرَائِعِ سَاقَتْهَا الدِّيَانَاتُ

مُتَوَّجٌ فَوْقَ عَرْشٍ مُنْذُ مَا بَزَغَتْ شَمْسُ الْوُجُودِ تُحَيِّيهِ الْبَرِيَّاتُ

شَعَّتْ عَلَى مَفْرِقِ التَّارِيخِ صَفْحَتُهُ
كَأَنَّهَا لِظَلَامِ الدَّهْرِ مِشْكَاةُ

مِنْ عَهْدِ فِرْعَوْنَ مَا زَالَتْ عَظَائِمُهُ
تُتْلَى بِهَا لِبَنِي الدُّنْيَا رِوَايَاتُ

أَهْرَامُ خُوفُو تَهَابُ الْجِنُّ سَاحَتَهَا كَأَنَّمَا هِيَ لِلْأَقْدَارِ خَيْمَاتُ ...

مُخَبَّآتٌ وَأَسْرَارُ السَّمَاءِ بِهَا كَأَنَّمَا هِيَ لِلْأَفْلَاكِ جَارَاتُ ...

وَخَيْلُ «رَمْسِيسَ» .. مَا زَالَتْ سَنَابِكُهَا
تُلْقِي حَدِيثَ الْوَغَى عَنْهَا الْفُتُوحَاتُ

وَالسَّيْفُ فِي يَدِ «إِبْرَاهِيمَ» مَا فَتِئَتْ
لِلنَّصْرِ تُرْعِشُ حَدَّيْهِ الْخَيَالَاتُ!

وَادٍ أَشَمُّ الْعُلَى مَرَّتْ بِهِ حِقَبٌ أَيَّامُهُنَّ بِكَفِّ الدَّهْرِ رَايَاتُ

ضِفَافُهُ مَنْزَهُ الدُّنْيَا وَمَعْبَدُهَا وَنِيلُهُ لِعَذَارَى السِّحْرِ مِرْآةُ

وَلِلطُّيُورِ بِهِ شَدْوٌ كَأَنَّ عَلَى إِيقَاعِهِ مِنْ أَغَانِي الْخُلْدِ رَنَّاتُ

شِعْرٌ مِنَ النَّغَمِ الْعَالِي يُسَاجِلُهُ
مِنْ أَفْرُعِ الدَّوْحِ تَسْبِيحٌ وَإِنْصَاتُ ...

وَلِلرِّيَاحِ أَبَارِيقٌ مُخَتَّمَةٌ بِمِثْلِ صَهْبَائِهَا لَمْ تَسْقِ حَانَاتُ

تَجْرِي بِأَسْرَارِهَا لَمْ يَدْرِ شَارِبُهَا
أَسِرٌّ هُنَالِكَ أَمْ لِلرُّوحِ إِفْلَاتُ ..؟!

دُنْيَا مِنَ السِّحْرِ لَمْ تُكْشَفْ سَرَائِرُهَا
لِسَاحِرٍ لَمْ تُكَاشِفْهُ السَّمَوَاتُ ...

سَجَتْ رُبَاهَا .. وَقَلْبُ الْأَرْضِ مُضْطَرِمٌ
تُفَزِّعُ الْجِنَّ مِنْ شَكْوَاهُ أَنَّاتُ

فَارُوقُ .. أَنْتَ لَهَا فَجْرٌ عَلَى يَدِهِ تَرَقْرَقَتْ مِنْ ضِيَاءِ اللهِ هَالَاتُ

فَارُوقُ .. أَنْتَ مَلَاذٌ عِنْدَ حَيْرَتِهَا عَلَى يَدَيْكَ لَهَا تُرْجَى الْمَنَارَاتُ



حول ابن الرومي وصراحة الأدباء

كتب « ابن درويش » في العدد السابق من الرسالة كلمة يقول فيها ما معناه أنه كشف ثغرة نفذ منها إلى ذكائي، وأنه نسب إلى ابن الرومي بيتين ليسا له وإنما هما من نظمه وفيهما من جنون الفكرة وطلاء التعبير — كما قال — ما عزب فهمهما على فطنة أديبنا الكبير ، فمن هم بنو النضر ؟ ومن أولئك الألفان الرضع على التحديد ... ؟ »

ويتفق هذا في الوقت الذي يسألني فيه بعضهم : لم لا يسدد الأدباء الشيوخ خطى الأدباء الشبان ... فهل من حاجة إلى هذا السؤال أو إلى جواب عليه وهذا واحد من الناشئين يستهدي الأدباء الشيوخ على هذا المنوال ؟

ونعود فنقول إن الثغرة التي كشفها صاحب السؤال إنما دلت على شيء لا يريده هو ؛ وذاك أن العقاد رجل تلهمه البصيرة ما يكشف النيات قبل أن يكشفها أصحابها ، فعرف أن صاحب السؤال عابث لا يجد في طلب الفهم وقال : « إن الأسئلة ضربان : سؤال يوجهه صاحبه وقد اجتهد في أن يعرف غرض الكاتب فهما سائران في طريق واحد ، وسؤال يوجهه صاحبه وكأنه اجتهد في نقيض ذلك . ونقيض ذلك هو ألا يعرف غرض الكاتب وأن يتخذ له وجهة غير وجهته وطريقاً غير طريقه ، فهما مفترقان لا يتقاربان . وأحسب أن الأديب الذي وجه إلى ذلك السؤال لم يجتهد في معرفة غرضي بمقدار اجتهاده في الحيدة عنه ... » ، فهل أراد صاحب السؤال هذا أو هو لا يعرف ما يريد ؟

أما الواقع فهو أنه لا يعرف ما يريد ؛ لأنني على فرض تصديق نسبة البيتين إلى ابن الرومي لم يكن في ذلك شيء يستحق الدلالة عليه أو يستحق عناء التلفيق . فليس مطلوباً مني أن أذكر كل بيت في ديوان ابن الرومي المخطوط الذي لا تتداوله الأيدي ؛ وليس مطلوباً من ابن الرومي أن يعتصم شعره من بيتين بالنين أدنى الحضيض من مراتب الرداءة والغثاثة ؛ وليس من البعيد أن يكونا منسوبين إليه في بعض كتب الأدب ولا من المستحيل أن يكون راويهما شريفاً مستحقاً للتصديق

فلو صدقت أنا نسبة البيتين إلى ابن الرومي لما كان في ذلك

فَارُوقُ . . . أَنْتَ هُدَاهَا كلمَّا عَشِيَتْ
وَعَصَبْتَهَا عَنِ النُّورِ الضَّلاَلاَتُ..

فَارُوق... كَمْ رُحْتَ فِي الْبَلْوَى تُهَدْهِدُهَا
وَمَنْ سِوَاكَ إِذَا تَطْغَى الْبَلِيَّاتُ ؟!

كَمْ بَائِسٍ كُنْتَ سُلْوَانًا لِكُرْبَتِهِ
لَوْلاَكَ مِنْ دَمْعِهِ يَرْوَى وَيَقْتَاتُ

وَكَمْ شَقِيِّ الثَّرَى، عَارِى الأَدِيمِ، مَضَتْ
رَفْرَافَةً مِنْكَ تُحْيِيهِ السَّعَادَاتُ !

وَكَمْ خَرِيفٍ عَلَى الأَكْوَاخِ أَهْلَكَهُ
نَدَاكَ فَهْوَ رَيَاحِينٌ وَأَيْكَاتُ

فى كُلِّ يَوْمٍ شُعَاعٌ آلِقٌ ذَهَبَتْ
تَطُوفُ مِنْكَ بِهِ لِلنَّيْلِ دَارَاتُ

عَطْفٌ وَبِرٌّ وَإِحْسَانٌ وَمَرْحَمَةٌ
يَاقَوْمُ مِنْ هَهُنَا تَزْكُو الْعِبَادَاتُ

قَالَ الْمُصَلُّونَ: مَنْ هَذَا فَقُلْتُ لَهُمْ :
فِى كُلِّ بَيْتٍ هُدًى مِنْهُ عَلاَمَاتُ

هَذَا الَّذِى يُرْهِبُ الأَيَّامَ صَوْلَجُهُ
لِلَّهِ مِنْ نُسْكِهِ تَمْتَدُّ رَاحَاتُ

يَقْظَانُ لِلْوَحْدَةِ الْكُبْرَى لَدَى وَطَنٍ
كَادَتْ تُمَزِّقُ جَنْبَيْهِ الْخِلاَفَاتُ !!

مَا فَاتَهُ مَثَلٌ أَعْلَى لِمِصْرَ ، وَلَا
لِغَيْرِ عِزَّتِهَا مِنْهُ صَبَابَاتُ ...

فَارُوقُ.. قُدْنَا إِلَى الأَفْلاَكِ وَامْضِ بِنَا
شَعْبًا إِلَى الْمَجْدِ تَحْدُوهُ الْبُطُولَاتُ

وَاسْمَعْ نَشِيدَ الْحِمَى ... مَا فِى مَقَاطِعِهِ
إلاَّ قُلُوبٌ إِلَى « عَبْدِينَ » مُزْجَاةٌ

شِعْرٌ ضِيَاؤُكَ يَجْرِى فِى مَسَابِحِهِ
كَمَا جَرَتْ بِضِيَاءِ الطُّورِ « تَوْرَاةُ » ...

محمود حسن اسماعيل

عجب ، وإنما العجب أن أجزم بالنفى فأتمدى أمانة العلم إلى شعودة المجون ... فكيف وقد ألمت بالحقيقة وقلت إننى لا أذكر أننى قرأت البيتين فى الديوان ؟

أما كلمة « النضر » التى ظن صاحب السؤال أنها كانت حليقة أن تهدينى إلى تأليفه للبيتين فسر ذلك جهله بمعنى الكلمة لا جهلى أنا بمعناها ومدلولها . وهذان هما البيتان اللتان وردت فيهما الكلمة

سقته ندى السحب من مرضعاتها
أفانين مما لم تقطره مرضع

كأنى رضيع من بنى النضر ضمنوا
محاسن هذا الكون ، والكون أجمع

فلو كانت كلمة النضر بغير معنى كما توهم صاحب السؤال لجاز أن يعاب معنى البيتين

ولكن « النضر » هو جد بنى هاشم ، وبنوه هم بنو هاشم من قريش . وعلى هذا يصح أن يكون معنى البيتين أن بستاناً حافلاً بالأزهار التى رضعت ندى السحب جمع متفرق الجمال كما يجمع بنو هاشم محاسن الكون وهم رضعاء . . . وهذا معنى كما قلت لا يعاب .

نعم هو معنى لا يمكننى أن أعيبه إلا إذا كنت فى جهل صاحب السؤال بمعنى كلمة النضر ولست كذلك بحمد الله

وبعد ، فاننى أدع لحضرات القراء أن يصفوا هذا السائل بما يستحقه ، وأكتفى بأن أستخرج من سؤاله دليلاً آخر لم يرده حين استباح عبثه المعيب . . . ذلك أننا على حق فى معاملة أمثاله بما يشكونه وهم عابثون

ولنا عودة إلى صداقات الأدباء ، وما كتبه الأستاذ توفيق الحكيم بصددها فى مقال تال .

عباس محمود العقاد

مأساة فرنسا للأستاذ الصاوى

الأستاذ أحمد الصاوى كاتب طريف أنيق : طريف فى اختيار موضوعه ، وأنيق فى ابتكار عرضه . وطرافته فى الأداء والوضع ، لا يماثلها إلا طرافته فى الإخراج والطبع . والصفة الغالبة أو المزية الفارقة فيما ينتجه الأستاذ الصاوى هى الذوق . والذوق ملكة الفنان وملاك الفن . وأجمل ما فى أسلوبه من صفات البلاغة الإيجاز والحياة والتنوع ، وذلك سر ما يشعر به قارئه من الجاذبية واللذة .

ولعل صاحب (إبر النحل) قد وصف نفسه أصدق الوصف بهذا العنوان ؛ فهو فى رياض الأدب والفن تلك النحلة التى لا تنفك طائفة على الزهر ، أو عاكفة على الرحيق ، تلسع أحياناً وتعسل دائماً ؛ وهى فى لسعها وعسلها تدافع عن الخير وتنتج الخير

(مأساة فرنسا) هى كما قال الأستاذ الصاوى وثائق « يمكن مع التسامح أن تعد شبه دائرة معارف شائقة لهذه الحرب ، تشمل الحوادث الطريفة والأسرار الخفية التى لا تنشرها الصحف من حربية وسياسية واقتصادية ونفسية — إلى أعمال الجاسوسية والدسائس والمنافع والفتن التى تهدم البلدان من الداخل — معروضة بطريقة نزيهة واقعية . وهى ملخصات كتب شهود عدول من أعظم كتاب العالم »

وذلك هو الوضع الصحيح لموضوع هذا الكتاب ؛ أما أسلوبه ومعرضه وشكله فتمثيل وتفصيل لما ذكرناه وأجملناه فى صدر هذه الكلمة .

الزيات

بين ديكارت وابن يعيش

نعلم كيف أثبت ديكارت وجود نفسه ، فقد قال : أنا أشك فأنا أفكر ، فأنا إذن موجود .

وبالأمس كنت أقرأ فى شرح ابن يعيش على مفصل الزمخشرى فوقفت فيه على قوله : « ... ألا ترى أنك إذا قلت : عدمتُنى ، فمعناه علمتُنى غيرَ موجود . ومحال أن تعلم شيئاً وأنت غير موجود ، لأنك إذا علمت كنت موجوداً ، وصحته على الاستعارة » ص ٨٨ ج ٧ ط المنيرية (ولا طبعة مصرية غيرها فيما أعلم) .

فأنت ترى أن ابن يعيش المتوفى سنة ٦٤٣ هـ سبق ديكارت الذى عاش فى النصف الأول من القرن السابع عشر (١٥٩٦ — ١٦٥٠) إلى الشعور بالفكرة التى قام عليها عمود من أعمدة فلسفة أبي الفلسفة الحديثة .

سبق ابنُ يعيش ديكارت إلى الشعور بهذه الفكرة ، ولكن ديكارت جاء بعد ذلك فصاغها فى منهج فلسفى متين ، فكان هذا الفرقَ بينهما .

أفلا يوحى هذا بألا نتهم الشرق بقصور عقله وألا نغالى فى تمجيد عقل الغرب ؟

المنهج وحده هو الذى ينقص الشرق .

السيد يعقوب بكر

رفع عيسى

قرأت فى العدد (٤٦٢) من مجلة الرسالة الغراء فتوى فضيلة الأستاذ الجليل محمود شلتوت فى رفع عيسى عليه السلام ، فوجدته يذهب فيها إلى ما رآه بعض المفسرين من أن الرفع كان بعد الوفاة ، لقوله تعالى (إنى متوفيك ورافعك إلى) وقد رأى فيها أن المراد رفع المكانة لا رفع الجسد ، ولو حمله على رفع روحه إلى الملأ الأعلى لكان أولى وأقرب

ولكنى أرى مع هذا أنه إذا كان لهذا الرأى ما يرجحه مما جاء فى تلك الفتوى ، فإن للرأى الآخر المشهور وجوهاً ترجحه أيضاً ، لأن الثابت من التاريخ أن أمر عيسى عليه السلام قد انتهى فى اليوم الذى وقع فيه الصلب على من شبه به ، فإذا كان عيسى عليه السلام قد توفى فى ذلك اليوم ولم يرفع جسده إلى السماء ، فإن إلقاء شبهه على غيره وصلبه بدله لا يكون مفهوماً من الناحية التاريخية ، لأن وفاته تحقق الغاية التى يطلبها خصومه من صلبه ، فلا يكون هناك داع إلى ما حصل من ذلك الصلب ، بل إن إلقاء الشبه على غيره فى هذه الحالة لا يمكن قبوله ، لأن موته لا يجعل سبيلاً إلى اشتباه غيره به ، وكل هذا على الرأى المشهور ظاهر كل الظهور ، وقد أجابوا عن الآية السابقة بأن واو العطف فيها لا تقتضى ترتيباً ، فمن الجائز أن يكون توفى بعد الرفع ، ومن الجائز أن تحمل الوفاة على النوم ، كما قال الله تعالى : (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها)

وإنى أرى بعد هذا أن الأجدر بنا ترك الاشتغال بمثل هذه المسائل ، لأنه لا يضرنا فى ديننا أن يكون عيسى قد توفى ولم يرفع جسده ، ولا أن يكون جسده قد رفع حياً ، فذلك أقرب إلى أن يكون من الغيب الذي استأثر الله بعلمه ، لأنه حصل بدون أن يراه أحد ، فكان سراً لا يعلمه إلا الله تعالى ومن وقع له .

عبد المتعال الصعيدى

كم ذا بطابر هاشى

قرأت كلمة للأستاذ الفضال (إبراهيم أبو الخشب) بالرسالة يسأل فيها عن حكم (ذا) فى مثل هذا التعبير

وأعتقد أنها زائدة على رأى من يجيز زيادة الأسماء وكما قرر الخضرى فى حاشيته على ابن عقيل عند الكلام على (ذا) فى باب (الموصول) وعليه خُرّج قول الشاعر :

دعى ماذا علمت سأتقيه ولكن بالمغيّب خبرينى

فى أحد قولين

ويجوز أن تكون اسماً موصولاً (على رأى الكوفيين فإنهم لا يشترطون فى موصوليتها أن يسبقها (ما) أو (من) كما ورد فى الخضرى والصبان)

وعلى الوجه الثانى تكون (كم) استفهامية مراداً بها التهويل ويكون الكلام على حذف مضاف والتقدير (كم مقدار ما يكابد ...) أو لا حاجة إلى التقدير فإن الاسم الموصول (ذا) مدلوله متعدد بقرينة المقام

وعليه يُخَرّج قول أبى الطيب :

وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا

ولعل فى هذا مقنعاً للأستاذ (أبى الخشب)

(المنصورة) **محمود البشبيشى**

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين



10 me Année No. 464

Lundi - 25 - 5 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٤٦٤ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٥ مايو سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

من صور الريف

لحيـــــة بيضاء ...

ليت شعرى ماذا كان يمكن هذا المخلوق أن يكون لو أنه تعلم ؟ الغالب فى الظن أنه لو كان تعلم الحقوق لما برع إلا فى ابتكار الحيل التى تحمى اللصوص، وتأليف الحجج التى تخدع القضاة، وتدبير الخطط التى تضلل الشُّرَط. ولو كان تعلم الطب لما اشتغل إلا بتركيب السموم، وتزوير الشهادات، وتخدير المدمنين، وإجهاض الحوامل. ولو كان تعلم الأدب لما نبغ إلا فى قصص التجسس والتلصص والائتمار والدعارة. ولو كان تعلم الزراعة لما برَّزَ إلا فى زراعة التبغ والأفيون والحشيش. ولو كان تعلم الهندسة لما افتنَّ إلا فى اختراع المخابئ السرية والمزالق الجهنمية والمفاتيح التى تتحدى كل قفل

ذلك لأن كل نزعة للشر أو نزغة للشيطان إنما وجدت أصلها فيه بحكم الطينة ومقتضى الفطرة ؛ فهو قروى أمى فقير وضيع، ولكن غرائزه الشريرة العارمة تندلع من جوانب جسمه كألسنة اللهب أو أرجل الأخطبوط فتجعل له شخصية غريبة فيها لكل ضرر مصدر، ولكل خطر اتجاه !

نشأ بين لِداته من أطفال القرية كما ينشأ الزُّنبور بين النحل أو الثعبان بين الحمام ؛ فكان لا ينفك ضارباً هذا بعصا، أو قاذفاً ذاك بحجر، أو خاطفاً لعبة من بنت، أو سارقاً شيئاً من بيت ! فلما جاوز حد الطفولة دخل فى خدمة الفجّار والمجّان،

فكان يخدم أولئك فى تدبير الجرائم ، ويخدم هؤلاء فى إعداد الولائم . وهو فى غضون هذا المهد (التحضيرى) كان لا يفتأ يمرن ملكاته الإجرامية لحسابه الخاص ، فكان يسرق من البيوت الآنية والثياب ، ومن الحقول القطن والذرة ، حتى صار فى حد الرجال ، فعد من ذؤبان القرى وغربان الأسواق ؛ فكل جريمة له فيها يد ، وكل سرقة له منها نصيب !

وكانت مزيته بين اللصوص التجسس والاحتيال والمفاوضة وإخفاء المسروق وتعمية الأثر ، لأنه كان ضئيل الخلقة فلا يرهب بمنظره ، ضعيف القوة فلا يغنى بعضله . ثم تفاقم شره واستطار أذاه ، فكان لا يقع إلا على منكر ، ولا يتقلب إلا فى معصية . غير أن إجرامه ظل من النوع الحقير لضعف بنيته وضعة بيته ، فلم يستطع أن يكون رئيس منسر يفرض الأتاوة بالسطوة ، ويستغل اللصوص بالنفوذ ؛ إنما كان أكبر همه أن يسطو فى الليل على أرزاق الأرامل ، ويتدسس فى النهار إلى أموال العميان ، حتى انقضت شبيبته وكهولته على حال متصلة من الإثم لم تسكن جوارحه فى خلالها عن الشر إلا وهو مجروح فى مستشفى ، أو مطروح فى سجن . كل ذلك ولم يدخل فى ملكه عقار ، ولم يجتمع فى جيبه نقد ، ولم يبت فى داره قوت

فلما قيده الكبَرُ وحطَّمه ، وعممه الشيب ولثَّمه ، أصبح بحكم السن عاجزاً عن نقب الجدار وتسلق الدار ، فأرسل لحيته شبراً تحت ذقنه ، ثم ضخم العمامة ، وبيّض الجلباب ، وأمسك السبحة ، ومشى فى الأزقة مشية الوقار والتؤدة ، يتمتم بالأدعية ، ويجهر بالتحيات ، ويواظب على الصلوات ، ويجلس على المصاطب يتحسس الأخبار ، ويتسقط الأسرار ؛ فإذا وقف على خلاف أو خصومة بين والد وولده ، أو بين أخ وأخيه ، أو بين صديق وصديقه ، أو بين زوج وزوجه ، اندس إليهما بالإغراء ، وسعى بينهما بالنميمة ، وحمّل هذا على ذاك ، حتى تقع الفرقة أو تحل الكارثة . فإذا انتهى الخلاف إلى المحكمة ، وسوس للمتخاصمين أو لأحدهما بالحيل التى تطمس الحق أو توسع الخصومة أو تمرتل القضية ؛ لأنه يزعم لنفسه العلم بالقانون والمرافعات لطول ما وقف أمام القضاء وعاش بين البوليس . أما إذا خذله الشيطان وتغلب السلام استفز بالسباب حمية بعض الشباب فيضربه ، ثم تكون الترضية أو تكون القضية . فإذا تعذّر الدس وتحاماه الناس عمد إلى قطعة متروكة مما يملك الغير فاحتلها واستغلها ، فتنشب بينه وبين المالك معركة قضائية لا يصبر فيها صاحب الحق على بطء القضاء وتعقد الإجراء وفحش التكاليف ، فيطلب مصالحة الغاصب بالنزول له عن بعض من حقه أو جزء من ماله

ذلك عمله بالنهار ؛ أما عمله بالليل فصلاة العشاء حاضرة ، ثم إحراق الحشيش جماعة ، ثم التهجد طويلاً ، ثم الهجود قليلاً . فإذا طلع الفجر الكاذب خرج إلى المسجد يهدج تحت الجدران ، وعيناه تبصان فى حلك الظلام بصيص الحباب ؛ فإذا لقى فى بعض الطريق حماراً أو عجلاً أو خروفاً أفلت من الحظيرة ، امتطاه أو قاده ثم انطلق به حثيثاً فى هوادى الليل إلى أقرب (مركز) من مراكز اللصوص فيتركه هناك ليصرّفوه ويضيفوه إلى حسابه . ثم يعود إلى القرية وقد هتك الصباح ستر الظلام ، فيأوى إلى بيته ندمان على أن فاتته صلاة الفجر مع الإمام !

وفى ليلة نادية من ليالي المحاق خرج المتعبد القانت على عادته يريد المسجد . وكان الناس قد فطنوا إلى فقد الصغار من مواشيهم فأغلقوا الزرائب وأحكموا الإغلاق . فلما أرسل عينيه الثاقبتين فى الخرائب والأجران فلم تقعا على حيوان مهمل أو متاع متروك ، أخذ يهوِّد فى مشيه ثم وقف يفكر . وكانت نفسه النوية قد استهواها الظلام والسكون فمض عليها الشر وعصفت بها المغامرة ، فرجع إلى داره وأخذ معولاً وعتلة ثم انحط من بعض السطوح على دار العمدة ثم شرع ينقب الجدار عن عجل السامرى

دُهم الشيخ فى السَّحر وسِيق فى الصباح إلى مركز البوليس فحاول أن يدحض التهمة عن نفسه باتخراع متنه وابيضاض شعره وارتعاش يده فلم يوفق

ودخل المجرم السجن أشوق ما يكون إليه ، وبدد الحلاق على أرضه الخشنة الغبراء ، خُصل لحيته الكثيفة البيضاء ؛ ثم لبث فيه مالبث ، وخرج للناس يسلط عليهم النمائم ، ويزرع بينهم الضغائن ، ويدبر فيهم المكايد ، حتى سولت له نفسه بالأمس أن يخزن قمحه قبل أن تأخذ الحكومة نصيبها المفروض منه، فتجاهل السلطة ، وتحدى العمدة ، وضرب الحارس . ثم بات هو وأهله فى سجن (المركز) ، ثم قدموا فى الصباح جميعاً إلى المحكمة العسكرية !

تلك صورة من صور الريف الكريهة قدمناها مصغرةً إلى المشتغلين بعلم النفس الجنائى لعلهم ينتهزون هذه الفرصة قبل أن تفوت ، فيدرسون هذا الرجل العجيب قبل أن يموت !

(المنصورة) **احمد حسن الزيات**

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

ينبوع حلوان ، وما أدراك ما ينبوع حلوان ؟ ! — عناد بعض المؤلفين — النواب الجامعيون — مع الدكتور طه حسين — امتحان جديد — يقال ويقال وما أكثر ما يقال ؟

ينبوع حلوان

منذ أكثر من عامين فوجئ سكان حلوان بينبوع يتفجر بقوة وعنف ، وتسامع بذلك أهل العلم بخصائص الينابيع ، فأسرعوا إلى تحليل ماء الينبوع الجديد ، ثم عظمت دهشتهم وعظم فرحهم حين وجدوه يُغنِي المصريين عن استيراد المياه المعدنية من الأقطار الأوربية . فأهلاً وسهلاً بالنعمة التي يصغُر بجانبها صادق الحمد وعاطر الثناء

ولكن هذا الينبوع السعيد هدد بقدومه جماعات المتجرين بالمياه المعدنية ، فماذا يصنعون ؟ وهل يجوز السكوت عن ثروة تعتزّ بها مصر على الزمان ؟

هداهم الحسّ التجاري إلى طَمْر الينبوع قبل أن تلتفت الحكومة المصرية إلى منافعه الحقيقية ، فتحرسه من مكايد أهل البغي والعدوان

وكيف يُطمَر الينبوع ؟ وفي أي وقت ؟ يُطمَر بأكياس الأسمنت ، وفي غفوة الليل ! !

وهنا تُرسم صورة قليلة الأمثال ، بين صور الخيال

كان الينبوع يُغنّي نشيد الحرية ، فقد طال سجنه في غيابات الصخور ألوفاً من السنين . وهل يعلم إلا الله مقدار الآماد التي قضاها ذلك الينبوع وهو سجين ؟

لقد تلقته رمال حلوان بترحيب رنّان ، وكان في أشد الشوق إلى ذلك الترحيب . ألم يكفِ ما عاناه من الحبس الطويل في ظلمات الصخور الصمّاء ؟

هو يُغنّي ، والرمال تُغنّي ، وما أجمل الغناء حين يلتقي الحبيب والمحبوب !

كان الليل ليل حلوان ، وليلُ حلوان موحش حين يغيب بدر السماء ... وكان الينبوع حديث العهد بالميلاد ، ولا علم له بمتاعب الأحياء ، فكان يُغني ويغني بلا حذر ولا احتراس

وفي حومة تلك الفرحة الشعرية نظر فرأى جماعات لهم وجوه بَشرية ، ولهم قلوب حَجَرية ، فانزعج وارتاع

ما ذا يريد هؤلاء ؟

ما ذا يريدون ؟

كان الينبوع يعرف أنه فكرةٌ نقية طاهرة ، وأنه لن يسيل فوق الرمال إلا كما يسيل القلم النبيل فوق الأوراق ، فما بلاؤه بهذه الوجوه السود في ليلة سوداء ؟

أيكون هؤلاء مصريين ؟

أيكونون أجانب ؟

وما خوف أولئك وهؤلاء من ينبوع سيمحو عللهم الدفينة بلا تفريق بين هذه الديانة أو تلك ، وبلا تمييز بين هذا الجنس أو ذاك ؟

طُبْ . طُبْ ، طُبْ !

ما هذا ؟ ما هذا ؟

تلك أكياس الأسمنت تُلقَى بغلظة وبوحشية في ثغر الينبوع لتصدّه عن الابتسام لجمال الوجود

وينظر الينبوع فيرى الرمال أضعف من أن تحميه ، ويرى الأمة في غفلة عن قيمته الذاتية ، ويرى الحكومة تنتظر آراء الخُبراء ، لتقرر حراسته من بني الأعداء ، وذلك لا يتم إلا بعد أسابيع طوال !

فماذا يصنع ؟

أيخضع ويستكين إلى أن يظفر بتقرير المصير ؟

وكيف وفيه قوة عارمة تذيب الألوف من أكياس الأسمنت ؟

الرأيُ أن يدفع الينبوع تلك الأكياس ، وأن يهدّد بالغَرق من ينزلون لتثبيت تلك الأكياس ، فكان للينبوع ما أراد

فإذا سمعتم أن خلائق ماتت بلا علة فاعرفوا أنها تعرضت لطمر ذلك الينبوع النفيس في تلك الليلة الظلماء

وإن سمعتم أن ذلك الينبوع لم ينقطع عن الغناء ، فاعلموا أنه موصول الأواصر بوحي السماء

ولكن ما الموجب للحديث عن ينبوع حلوان في هذا الوقت؟

ليتني أعرف !

عناد بعض المؤلفين

قرأت كلمة الأستاذ محمود عزت عرفة فى التعقيب على الكلمة التى نشرتها « الرسالة » لسعادة الأستاذ طه الراوى ، الكلمة التى بيّن فيها أن موشحة « أيها الساقى » ليست لابن المعتز ، وإنما هى لابن زهر أحد شعراء الأندلس

وأقول إن هذه الموشحة لها عندى تاريخ ، فقد نسبتُها إلى ابن المعتز فى الطبعة الأولى من كتاب « مدامع العشاق » ، ثم ارتبت بعد ذلك فى نسبها فأضفتها فى الطبعة الثانية إلى « أحد الشعراء » وقد صح عندى أن نسبها إلى ابن المعتز نسبٌ مدخول

وفى سنة ١٩٢٧ كتبتُ عن ناظمها الأصيل كلمة فى الصفحة الأدبية بجريدة البلاغ تحت عنوان : « عرفناه ! عرفناه ! »

وكان الظن أن تستفيد اللجنة التى ألّفت كتاب الأدب للسنة التوجيهية من ذلك التحقيق الأدبى ، ولكنها خشيتْ أن يقال إنها استفادت من جهود أحد « أصدقائها » فى هذه البلاد !

والآن وقد وصل التحقيق من أحد فضلاء العراق لم يبق ما يمنع من تصحيح تلك الغلطة فى مطبوعات وزارة المعارف المصرية !

النواب الجامعيون

كثرت الحفلات فى هذه الأيام لتكريم الشبان الذين نجحوا فى انتخابات مجلس النواب من أبناء الجامعة المصرية ، وهم الأساتذة محمد فريد زعلوك وأحمد قاسم جودة وجلال الدين الحمامصى وحسين شمير وعلى كريم ومحمد مصطفى خليفة ومحمد زكى علام .

فما معنى ذلك ؟

أيكون معناه أن الفكرة الجامعية ستسيطر على الحياة النيابية ؟

أيكون معناه أن التفكير الحر ستكون له أسندة من أولئك الفتيان ؟

ليت ثم ليت ؟!

أيكون معناه أن الحركة الفكرية ستظفر برعاية جديدة تصدّ عنها عوادى الجهل ؟

ليت ثم ليت !

كنت أنظر إلى ما يصنعه النواب والشيوخ الوفديون فى عهد الوزارة الماضية فأعجب وأطرب ، فقد كانوا يقهرون تلك الوزارة على السماح بنشر ما يمنعه الرقيب ، وكان سبيلهم إلى ذلك أن يثيروا المشكلة فى مجلس النواب أو مجلس الشيوخ ، فيصبح من حق الجرائد أن تنشر ما تعرّض لمنعه الرقيب

فهل ننتظر من النواب الجامعيين مواقف تشبه تلك المواقف فى الانتصار لحرية الرأى والفكر والبيان ؟

وهل نرجو أن يكون لجهادهم النيابى لونٌ يتسم بالغيرة على الحرية الفكرية ؟

كل ما أخشاه أن ينساقوا مع التيارات السياسية لتقام لهم حفلات جديدة باسم الوزراء الجامعيين !

عذركم مقبول ، أيها الفتيان ، فالأدب الصِّرف لا يسوق لأصحابه غير المتاعب ، ولا يؤهلهم لغير التمرس بمعضلات الوجود

أعداد الرسالة الخاصة

فى سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية ، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة ، ينوه بفضله ويعرف بأهله . وستبدأ بعدد العراق . والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا الواجب بإرسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

مع الدكتور طه حسين

المعروف أن بينى وبين الدكتور طه « ما صنع الحدّاد » وإن كنت أجهل المراد من هذه العبارة المصرية ، ولكن ما صنع الحداد لا يمنع من لقاء الدكتور طه حسين ، لأنه جارى بوزارة المعارف ، والجيران يتلاقون كارهين أو طائعين ، وفى ذلك التلاقى يجرى الحديث حول محصول الحركة الأدبية فى هذه الأيام ، وهو يقرأ جميع ما تنشر المجلات ليعرف إلى أى مدى ينتهى جموح بعض الكاتبين !

— أنت يا دكتور زكى تتجاهل أن الدنيا فى حرب.

— وماذا يصنع الكاتب فى أيام الحرب ، ياسيدى الدكتور ؟

— يكتب ثم يطوى ما يكتب إلى أن تجىء أيام السلام

— وإذا نَشر ما كَتب ؟

— يعاقب بالصمت.

— ولكن الكتابات الأدبية كالود الصحيح وهو يُطلب فى جميع الأوقات

— هنالك أوقات تكون منها الصحة ضرباً من الاعتلال ، ويكون الفوز لأهل الأمراض

— وهل وصلنا إلى هذه الغاية يا سيدى الدكتور ؟

— لم نصل إلى هذه الغاية ، ولكنى أخشى عواقب هذه الحال

— وما هذه الحال ؟

— هي ضعف الأعصاب عند جميع الناس ، بحيث يجوز الضجر من أجل الأشياء ، وأشرف المعاني

— ولكن المفكر مسؤول أمام قرائه في كل وقت ، وفيهم من يجهل أن الدنيا في حرب

— من واجب المفكر أن يعلّم قراءه ما يجهلون

— وهذا ما أصنع يا سيدي الدكتور

— هل علمتهم أن الدنيا في حرب ؟

— قصصت عليهم قصة الطائر الغريب

— وما قصة الطائر الغريب ؟

— هو طائر يساير الأنوار المبثوثة فوق الشواطئ

— لأي غرض ؟

— ليعرف مسابح الأسماك فيهديها سواء السبيل

— الناس يقولون غير ذلك !

— وماذا يقولون ؟

— يقولون : إن الطائر يضع المصابيح ليجتذب الأسماك إليه

— وماذا أصنع إذا كانت الطبيعة ترى النور سر الجاذبية ؟

— ومن أجل هذا تطالب بحرية الفكر والرأي ؟

— هو ذلك !

— إكتم هذا الحديث يا دكتور زكي ، ولا تخبر أحداً بأنك حاورتني في الأنوار والظلمات

— سمعاً وطاعة ، يا سيدي الدكتور ، فلن أنشر هذا الحديث إلا بعد انتهاء الحرب

اتحاد جديد

تقوم الشواهد في كل يوم على أن الحكم للسيف والمدفع ، وأن المعاني الروحية في سبيل الزوال ، فكيف نلقى القراء في حدود ما عودناهم لعهد السلام ؟ وكيف نناضل لحفظ سلطان الرأي في زمن تضعضعت سلطنة الرغيف ؟

هل نترك معالجة المشكلات اليومية وننصرف إلى معالجة المشكلات التاريخية ؟

هل نتحدث عن جبل واق الواق في أساطير الأولين ؟

لا هذا ولا ذاك ، فسترون كيف نخرج من امتحان هذا الزمان بأمان

يقال ويقال

يقال : إن المؤلفات الأدبية ظفرت في هذه الأيام برواج لم تعرفه من قبل ؛ ويقال : إن السبب في هذا الرواج هو نفرة العقول من سخف الدعايات الأجنبية

ويقال : إن الحرب علمت المصريين أشياء وأشياء ، ولكنها غفلت عن تعليمهم معنى التضامن الوطني ، فجهلوا التعاون في توفير الأقوات

ويقال : إن وزارة الشؤون الاجتماعية قضت أعواماً في تعريف الصناع والزراع بأنهم تمشاء ، ولم تعلمهم كيف يدفعون التعاسة بشرف النضال في المطالب الحيوية

ويقال : إن في النية فرض ضريبة على النساء اللائي يتباهين بنشر صورهن في بعض المجلات

ويقال أيضاً : إن أزواجاً سيعاقبون على السماح لزوجاتهم بالاشتراك في « المراقص الخيرية » ! !

وسمعت ثم سمعت أن الدولة ستحرم الرّياء الاجتماعي تحريماً قاطعاً ، وأنها لن تبيح شرف النيابة عن الأمة لمن يسمح لزوجته بإقامة حفلات الاستقبال

وحدثني من أثق بصدق روايته أن الميسر سيكون من المحرّمات ، وأن السهر في المنازل سيُمنع بعد صلاة العشاء

صلاة العشاء ؟ . . . صلاة العشاء ؟

يظهر أنني انتقلت إلى الحديث عن أهواء التاريخ !

زكي مبارك

خسرو وشـــيرين

فى التصوير الإسلامى

للدكتور محمد مصطفى

(تتمة)

بعد أن رفع شابور الستار عن مخبأ شيرين ، تقدم خسرو إليها ، نخرّت أمامه ساجدة تقبل الأرض تحت قدميه ، وطفقت تشكو إليه بثها وحزنها ، وتذرى دمعها ، وتمرى جفنها ، فأحضر



(شكل ١)

خسرو موبذ الموبذان وأمره أن يزوجه شيرين ففعل[١] . وشاء أن يعم الفرح والسرور قلوب المقربين إليه ، فأمر موبذ الموبذان فزوج مطربه باربد ، نيكيسيا ، مطربة شيرين ، وصديقه شابور ، هماين ، صديقتها ، وأجلس شابور على عرش مملكة أرمينيا مكافأة له على مساعيه التى كللت بهذا النجاح . وبعد أن قضى الزوجان الحبيبان فى قصر شيرين وقتاً هنيئاً سعيداً ، رجعا إلى المدائن حيث أقاما حفلات الزواج الرسمية وتوّجت شيرين إلى جانب خسرو ملكة على عرش إيران .

(١) أنظر ما يرويه الفردوسى عن زواج خسرو وشيرين فى الشاهنامه جـ ٢ ص ٢٣٧ — ٢٣٩

وفى (شكل ١) يجلس خسرو وشيرين فى إحدى الليالى على عرش فاخر تـ بمنظرة جميلة ، فى وسط حديقة غناء . وأمام العرش شموع موقدة تحيط بفسقية تسبح فيها ثلاث أوزات . وإلى اليمين بعض رجال الحاشية ومعهم الخدم والسقاة يحملون الطعام والشراب ؛ وإلى اليسار يجلس فريق من وصيفات شيرين ، وهن يروين القصص لتسلية الزوجين الحبيبين . وإحداهن — وهى الجالسة إلى الخلف بجانب المنظرة — لها سحنة أوربية ، ويظهر من ملامحها أنها رومية الأصل[١] . وهذه الصورة[٢] من تصوير آقا ميرك[٣] أحد مشاهير مصورى عصر الشاه طهماسب الأول الصفوى ، وهى فى مخطوط نظامى السابق الذكر[٤] المكتوب لهذا الشاه .

وفى (شكل ٢) يجلس خسرو فى روضة على سجادة جميلة ، وقد وضع سبابة يده اليمنى فى فمه ، وهو يتحدث إلى شاب راكع إلى يمينه ، بينما يعتمد بمرفقه الأيسر على ركبة زوجته شيرين



(شكل ٢)

(١) انظر Laurence Binyon, p. 20

(٢) منقولة عن: Laurence Binyon, pl. X انظر أيضاً : Martin, II, pl. 136 و Sakisian, pl. LXXIX fig. 142 و S. P. A., V, pl. 896

(٣) أنظر ما كتبناه عن هذا المصور فى العدد ٤٦١ من « الرسالة » ص ٥٠١ شكل ٣

(٤) أنظر ما كتبناه عن هذا المخطوط فى العدد ٤٥٠ من « الرسالة » ص ٢١٢ شكل ٢

مولياً ظهره إليها . وإلى اليمين تجلس نيكيسا مطربة شيرين وهى تعزف على « الرباب » . ويظللهم جميعاً فرع من شجرة زاهرة ، وقف عليه عصفور رشيق له ذنب طويل ، وقد انحنى إلى الأمام كأنه يتأهب لالتقاط قطعة الحلوى التى فى يد شيرين . وهذه الصورة[1] مرسومة على « لوحة » من نسج الحرير ، كتب عليها من الخلف « عمل أستاذان خطاى » فظهرت الكتابة مقلوبة فى أعلى الصورة إلى اليمين . وهذه الكتابة تدل على أن مصور هذه الصورة فنان من التركستان الصينية ، كما يظهر التأثير الصينى بوضوح فى طريقة تصوير فرع الشجرة والزهور ، وفى رسم العصفور الواقف عليه . ويعتقد الدكتور كينل[2] أنها من تصوير فنان صينى أراد أن يمارس التصوير فى إيران فرسم موضوع « خسرو وشيرين » ، ويظهر أنه رأى صوراً كثيرة لخسرو وهو يضع سبابته اليمنى فى فمه علامة لدهشته إذا فوجئ برؤية شيرين الجميلة[3] ، فرسمه هنا أيضاً فى هذا الوضع ، مع عدم وجود ما يبرر الدهشة ، إذ تجلس شيرين إلى جواره ، ولا يفاجأ برؤيتها . ويؤرخ الدكتور كينل[4] هذه الصورة من الثلث الأول للقرن التاسع الهجرى (١٥ م) ـ وهو الأرجح ـ بينما يؤرخها الأستاذ « كوماراسوامي[5] » فى القرن العاشر الهجرى (١٦م) وهذه الصورة محفوظة فى متحف الفنون الجميلة بمدينة بوسطون .

***

هكذا مضت الأيام وتوالت السنون وخسرو ينعم بالحياة السعيدة مع زوجته الحبيبة ، وقد خلبته الدنيا فاسترسل إليها . إلى أن كان ذات يوم وقد جلس فى إيوان المدائن ، وحوله الحراس الأشداء الأقوياء ، وبين يديه رجال حاشيته وبلاطه ، تحيط به من كل ناحية مظاهر القوة والأبهة والجلال ، وكانت بيده مرآة صقيلة جميلة ، هى تحفة نادرة تليق بمقامه السامي الرفيع ، يتطلع فيها إلى وجهه فى زهو وخيلاء وغرور . وعلى حين بغتة انتفض هذا الملك الجبار ، إذ رأى بين شعور لحيته السوداء المرسلة بعناية فائقة ، شعرة بيضاء ، تتألق بينها ، كأنها نجمة بعيدة فى ليل دامس الظلام . وبهت خسرو لهذه الظاهرة العجيبة ، وأرسل يدعو معلمه بزرجيد الحكيم ، ليسأله رأيه فى هذا الأمر الغريب . ولما حضر ذلك الرجل الخبير بدواخل الأمور ، ابتسم وحاول أن يسرى عن الملك ، ثم أخذ يشرح له نظام الكون ، ومصير الخلق ، وأفهمه أن دوام الحال من المحال ، وأن مآل كل شئ إلى الزوال

***

وشب شيرويه بن خسرو من زوجته مريم بنت أمبراطور الروم ، وقد تحقق فيه ما تنبأ به المنجمون عند ولادته ، ومرق عن الدين ، وخرج عن طاعة رب العالمين ، فلم يحمد أحد سيرته إذ كان مطبوعاً على الشر والإثم . وصادف أن رأى يوماً زوجة أبيه شيرين ، فراقت فى عينيه الآثمتين ، واشتهاها لنفسه . وهيأت له نفسه الشريرة أن يقتل أباه ، فيحصل على العرش ، ويستأثر بالملكة الجالسة عليه

وذات ليلة أرسل شيرويه رجلاً من صنائعه ، تسلل إلى مخدع الملك ، وطعنه طعنة نجلاء أصابته فى مقتل ، ثم فرّ هارباً . وصحا خسرو والدماء تنزف من جرحه بغزارة وتبين أنه لا أمل له فى النجاة من جرحه القاتل ، واشتهى جرعة من الماء يخفف بها آلامه وأوجاعه . ولكنه أبى على نفسه أن يوقظ زوجته الحبيبة شيرين . وبعد أن ملأ ناظريه من وجه شيرين ، أغمض جفنيه ، واستسلم للموت ، فجاء برداً وسلاماً عليه ، وأسلم الروح

وشيئاً فشيئاً صحت شيرين ورأت خسرو يرقد إلى جوارها وقد فارقته الحياة ، فبكت وتوجعت ، ولكنها تمالكت نفسها ، إذ علمت أن أمامها واجباً نحو زوجها الراحل يجب عليها أن تؤديه وقامت إلى جثمانه ، فغسلته وضمخته بالعطور والزيوت ، وأعدته لموكبه الأخير[1]

(١) منقولة عن Amanda K. Coomaraswamy, Les miniatures orientales de la collection Goloubew au Museum of Fine Arts Boston, pl. XXX, fig. 55 a

وانظر أيضاً : Schulz, II, Taf. 65 و Martin, II, pl. 51 و Sarre & Martin, pl. XVII 2 و Kühnel, Miniatur, Abb. 39 و Migeon, Manuel, I, p. 150, fig. 25 والدكتور زكى محمد حسن — التصوير فى الاسلام — اللوحة ١٦ شكل ٢١

(٢) انظر : Kübnel, Miniaturmalerei, p. 55 .

(٣) راجع ما كتبناه عن ذلك فى العدد ٤٠٨ من « الرسالة » ص ٤٣٨ شكل ٤

(٤) انظر : Kühnel, Book Painting, in : S. P. A., III, p. 1854, n. 4 .

(٥) انظر : Amanda K. Coomaraswamy, p. 37—40

(١) لا يسهب الشاعر نظامي فى سرد حادث مقتل خسرو ، ويخالف فى ذلك ما يرويه المؤرخون من أن شيرويه حبس أباه ثم أمر بقتله وهو فى السجن . أنظر تفصيل ذلك فى الشاهنامه ج٢ ص ٢٥٠ وما بعدها والطبرى ج ٢ ص ١٥٩ وما بعدها ونولدكه ص ٣٧٩ وما بعدها

وفى (شكل ٣) تقف شيرين مع إحدى وصيفاتها ، وهى تبكى وتندب زوجها الراقد جثمانه على السرير ، وفى صدره جرح غائر تتدفق منه الدماء . وإلى اليمين يفر القاتل هارباً من الباب وفى يده سيف مسلول يقطر منه الدم . ونلاحظ الزخرفة النباتية الجميلة فى بلاط أرضية الغرفة ، وما يظهر على الحائط من نقوش دقيقة من صور آدمية ورسوم حيوانات وطيور . وهذه الصورة[١] فى مخطوط للمنظومات الخمس للشاعر خسرو الدهلوى ، كتبه الخطاط سلطان على فى سنة ٩٠٠ هجرية (١٤٩٦ م) وهو محفوظ فى مكتبة الدولة ببرلين[٢]



(شكل ٣)

بعد أن هيأت شيرين جثمان خسرو لموكب الجنازة ، جاءها رسول من قبل شيرويه ، يبلغها هيام سيده بها[٣] وتظاهرت شيرين بالقبول ، ولبست أبهى ملابسها ، وتزينت بأجمل زينة لديها ، فابتهج شيرويه وظن أنها رضيت به . ولما وصل الموكب إلى القبر ، أدخل النعش إليه ، وبقيت شيرين بمفردها فى القبر إلى جانب جثمان زوجها تحرسه . ولما أقفل الباب رفعت الغطاء عن صدر خسرو وقبلت مكان الجرح ، ووضعت خدها على خده واستلت خنجراً أغمدته فى قلبها ، ثم بقيت تحتضن حبيبها بين ذراعيها

خاتمة

يقول صاحب الشاهنامه[٤] : ينبغي لمن يطالع أحوال خسرو برويز ويقرأ أخباره أن ينفض ذيله من الدنيا الغرّارة الغدّارة ، فلا يسترسل إليها ، فإن سمّها يغلب ترياقها ، وآمال بنيها تنتج إخفاقها . وقبيح بالعاقل أن ينوى الإقامة فى المراحل ، ولو أمكن دفع طارق الحدثان ، بالملك والسلطان ، والتمكين والإمكان ، والأنصار والأعوان ، لكان خليقاً بذلك خسرو برويز الذى عم أمره طلاع الأرض ، وأطاعته ملوك الشرق والغرب ، وكان يحمل إليه خراج الهند والروم والترك والصين ؛ وقد جاء خبر موته إلى النبى صلى الله عليه وسلم يوم صلح الحديبية مع أهل مكة[١]

وفى وفاة خسرو يقول الشاعر[٢] :

هى الدنيا تقول بملء فيها :	حذار حذار من بطشى وفتكى
ولا يغرركم حسن ابتسامي	فقولى مضحك والفعل مبكى
بكسرى برويز اعتبروا فإنى	أخذت الملك منه بسيف هلك
وكان قد استطال على البرايا	ونظم جمعهم فى سلك ملك
فلو شمس الضحي جاءته يوماً	لقال لها عتواً : أف منك
ولو زُهر النجوم بغت رضاه	تأبى أن يقول : رضيت عنك
فأمسى بعد ما ملك البرايا	أسير الموت فى ضيق وضنك !

(تم)

محمد مصطفى
أمين مساعد دار الآثار العربية

(١) منقولة عن : Schulz, II, Taf. 58, Abb. 1 أنظر أيضاً : Arnold and Grohmann, The Islamic Book, pl. 49 B
(٢) أنظر : Schulz, I, p. 112—113
(٣) أنظر تفاصيل أخرى فى الشاهنامه جـ ٢ ص ٢٠٦ — ٢٠٧
(٤) جـ ٢ ص ٢٤٥ وما بعدها

(١) أنظر نولدكه ص ٣٠٣ حاشية ١
(٢) نقلا عن الشاهنامة جـ ٢ ص ٢٥٦ بدون أى ذكر لاسم الشاعر . وقد تفضل الأستاذ محمد البرهامي منصور بالقسم الأدبى بدار الكتب المصرية وأرشدنى إلى أن هذه الأبيات من قصيدة لأبى الأعرج السارى يرثى عز الدولة ، أنظر شرح شواهد الشذور ص ٢٧ — طبعة العامرة العثمانية — تأليف الشيخ محمد على الفيومى الشافعى

في الفلسفة الإسلامية

ابن باجه

للأستاذ عمر الدسوقي

لمحة تاريخية

فتح العرب الأندلس في أواخر القرن الأول الهجري على يد طارق بن زياد وموسى بن نصير ، وظلت الأندلس ولاية تابعة للبيت الأموي في دمشق ، ولما سقطت دولة بني أمية ، وأسس بنو العباس ملكهم في بغداد ، وأخذوا يضطهدون الأمويين ، فرّ الأمير عبد الرحمن بن معاوية الملقب بالداخل إلى الأندلس في سنة ١٣٣ هـ ، ٧٥٠ م . وقد أفلح في تجديد ملك بني أمية بالأندلس ، ولكنه لم يتسم هو أو خلفه بلقب أمير المؤمنين أو خليفة المسلمين ، وإنما كان ذلك في عهد عبد الرحمن الثالث الأموي ٣٠٠ — ٣٥٠ هـ و ٩١٢ — ٩٦٠م ، وظلت الخلافة قائمة حتى سنة ٤٠٣ هـ ، ١٠١٣ م حين غلب الأمويون على أمرهم وانتشرت الفتن في البلاد ، وضرب البربر قرطبة ، ومن ثمّ استقل كثير من الأمراء بمقاطعات صغيرة ودعوا بملوك الطوائف : كبني عباد بإشبيلية ، وبني الأفطس ببطليوس ، وبني ذي النون بطليطلة ، وبني هود بسرقسطة ، وبني عامر ببلنسية ، ومجاهد العامري بجزر البليار

وفي ذلك الوقت قامت في المغرب ثورة تدعو إلى استقلاله عن الأندلس ، وانفرد بالحكم فيه المرابطون . وقد حدث أن دعا ملوك إشبيلية المرابطين لنجدتهم في بعض حروبهم ضد الفرنجة ، فأعانوهم ثم تغلبوا على بقية الأندلس وظلوا يحكمونها أكثر من نصف قرن حيث ذهب ملكهم في بلاد المغرب على يد الموحدين الذين ورثوا عنهم الأندلس وحكموها مدة قرن من الزمان ١١٤٩م - ١٢٣٢ م ؛ وبعد سقوط هذه الدولة عادت الأندلس إلى التفرقة والانقسام ، ثم أخذ ملك حكامها يتقلص تدريجياً إلى أن أجلى العرب عن غرناطة آخر حصونهم سنة ١٤٩٢ م

أما الحالة الفكرية فكان المغرب في أثناء حكم الأمويين يعتمد على الشرق في كل شيء تقريباً من الناحية العلمية ، وكان يستمد النضوج الفكري ، وقد اجتهد الأمويون ولا سيما في خلافة الحكم بن عبد الرحمن ٣٥٠ — ٣٦٦ هـ في جلب كثير من الكتب الثمينة التي ألفت في الشرق ، كما كان علماء الشرق الذين ضاقت بهم الحال في بلادهم يجدون في الأندلس سوقاً رائجة لأفكارهم ومعلوماتهم ، وكذلك كان كثيرون من محبي العلم في الأندلس يقصدون الشرق واردين العلم من منابعه الأصلية ، فيمرون بمصر والشام وبغداد والحجاز وقد يذهبون إلى فارس . على أن الحياة الفكرية لم تبلغ أشدها في المغرب إلا في عهد المرابطين ، ثم بلغت أوجها الذهبي في زمن الموحدين حيث ظهر ابن طفيل وابن رشد وابن زهر وغيرهم . ويجدر بنا قبل الكلام عن ابن باجة أن نبدي الملحوظات الآتية :

١ — كان المغرب بعيداً عن المنازعات الدينية العنيفة التي ظهرت في الشرق ، فلم يسد فيه إلا مذهب مالك ، ولم يكن فيه لا مجوس ولا زنادقة ، ولم يظفر فيه كثير من علماء الكلام والجدل . وكان أهم ما يعتنى به أهله ولا سيما في عصر الأمويين الطب والرياضيات والتنجيم . وكان الناس مشغوفين بالشعر والتاريخ والجغرافيا، ولم تكن موجة التفلسف قد غمرتهم وأفسدت عقولهم كما هو الحال في المشرق . هذه كانت حال الأندلس أول الأمر

٢ — ولكن نجد أن المذهب الظاهري الذي يمثله ابن حزم — وهو من أشد المذاهب ضيقاً — يسيطر على الأندلس ، حتى نرى كل من يفكر في الفلسفة يضطهد . فلما قدم عبد الله بن مرة القرطبي إلى بلاد الأندلس يحمل الفلسفة الطبيعية (التي يمثلها الكندي) في عهد عبد الرحمن الثالث أحرقت كتبه أمام ناظريه ولهذا لم يجد الفلاسفة جواً من الحرية حتى ينشروا آراءهم . ولقد اضطهد ابن باجة وابن رشد من العامة والخاصة على السواء ؛ ولهذا أيضاً اتخذ فلاسفة الأندلس النظرية القائلة بأن الفلسفة لا تصلح للعامة وإنما هي وقف على الموهوبين من الخاصة ، وسنجد كذلك محاولتهم في التوفيق بين الفلسفة والدين

٣ — لم يوجد في الأندلس جماعة يقومون بالنقل والترجمة ويتقدمون بعرض الآراء الفلسفية كاليعاقبة والنساطرة في الشام والعراق ؛ أما اليهود الذين ادعى كثير من المستشرقين بأنهم كانوا الواسطة في نشر الفلسفة بين مسلمي الأندلس فأثرهم ضئيل ، وهؤلاء كانوا تلامذة للمشارقة فتأثر باخيا بن باقودا بإخوان الصفاء وتأثر ابن جبرول وغيره بفلاسفة المشرق الإسلاميين[1]

وعلى العموم فقد كانت الحياة بالأندلس غير ملائمة لجو الفلسفة، وكان الفيلسوف يشعر بوحشة نوعاً ما لشدة التعصب وضيق العقل

(١) أنظر دي بور ترجمة أبي ريده ص ٢٣٧

من هو ابن باجه

هو أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ المعروف بابن باجَّه[1] ولد فى مدينة سرقسطة فى أواخر القرن الخامس الهجرى فى ذلك الوقت الذى عصفت فيه ريح الانحلال بدولة بنى أمية بالأندلس، وشب أبو بكر والمرابطون يحكمون فى البلاد، فاتخذه حاكم سرقسطة أبو بكر بن ابراهيم صهر أمير المرابطين جليساً له ووزيراً مما أوغر صدر العساكر والفقهاء[2] ولكن الأحوال فى سرقسطة اضطربت وهاجمها ألفونس الأول ملك أرجونة فسقطت فى يده عام ٥١٢هـ، ١١١٨م. فرحل عنها ابن باجه، وذهب إلى أشبيلية، واستقر بها وألف فيها بعض رسائله فى المنطق كما يقول مونك[3]، وقد فرغ من إحداها فى شوال سنة ٥١٢ هـ، وتوجد فى مكتبة الاوسكوريال تحت رقم ٦٠٩. ثم قصد ابن باجَّه مدينة غرناطة وأقام بها مدة، ومن ثم ذهب إلى بلاد المغرب. ولما مر بشاطبة اعتقله الأمير أبو إسحق بن يوسف بن تاشفين كما روى الفتح ابن خاقان بسبب لم يذكر ولعله الزندقة، ولكن مالبث أن أطلق سراحه بشفاعة والد الفيلسوف ابن رشد

وروى أن أبا بكر بن يحيى بن تاشفين استوزر ابن باجَّه عشرين سنة، ولكن «مونك» يشك فى ذلك لأن الحوادث التاريخية لا توافق هذه الوزارة؛ إذ أن أبا بكر بن تاشفين كان قد فر من فاس سنة ٥٠١هـ ـ ١١٠٧م؛ وذلك قبل نزوح ابنه إلى بلاد المغرب فيظهر أن مسألة الوزارة هذه غير صحيحة

مات ابن باجه ولم يعدُ طور الشباب، وقيل إنه مات مسموماً إذ كاد له أطباء بلده حسداً منهم وحقداً. وكان ابن باجه قد منى بأعداء كثيرين، وكانت وفاته فى رمضان سنة ٥٢٣هـ ١١٣٨م بمدينة فاس، وكان قبره بجوار قبر القاضى ابن العربى

ومن أشهر أعدائه الذين حاربوه ورموه بالزندقة والكفر والخروج عن جادة الدين الفتحُ بن خاقان الغرناطى صاحب «قلائد العقيان»؛ ومما قاله قادحاً فيه: «إن ابن باجه رمد جفن الدين. وكمد نفوس المهتدين، اشتهر سخفاً وجنوناً، وهجر مفروضاً ومسنوناً، ناهيك من رجل ما تطهر من جنابة ولا استنجى من حدث، ولا أقر بباريه ومصوره ... نظر فى تلك التعاليم، وفكر فى أجرام الأفلاك وحدود الأقاليم، ورفض كتاب الله الحكيم، واقتصر على الهيئة: (الفلك)، وحكم للكواكب بالتدبير، واجترأ عند سماع النهى والإيعاد، واستهزأ بقوله تعالى: «إن الذى فرض عليك القرآن لرادُّك إلى معاد»؛ فهو يعتقد أن الزمان دور، وأن الإنسان نبات له نَوْر، جمامه تمامه، واختطافه قطافه. وانتمت نفسه إلى الضلال وانتسبت، ونفت يوم تجزى كل نفس بما كسبت، فقصر عمره على طرب ولهو، وأقام سوق الموسيقى، فهو يعكف على سماع التلحين، ويعلن بذلك الاعتقاد ولا يؤمن بشىء قادنا إلى الله فى أسلس قياد، مع منشأ وخيم ولؤم أصل وصورة شوهها الله وقبحها[1]»

ولا شك عندى وعند كل ذى لب أن هذا كلام متحامل فيه كثير من لغو القول وسخف العقل وتحريض للعامة ضد الفلاسفة

منزلته

يقول ابن أبى أصيبعة عن ابن باجه: «كان فى العلوم الحكمية علامة وقته وأوحد زمانه. وكان متميزاً فى صناعة الطب، وكان متقناً لصناعة الموسيقى، جيد اللعب بالعود[2]»؛ وعده ابن خلدون من أكابر فلاسفة الإسلام بالأندلس، وشهد له ابن طفيل فى حى بن يقظان بالتقدم والفضل، كما أن ابن رشد أعجب به كثيراً وحاول شرح بعض كتبه؛ وعندنا أن لابن باجه ميزتين:

١ — إنه أول المشتغلين بالفلسفة فى الأندلس بعد أن ظلت كتب الفلسفة زمناً طويلاً مطمورة فى مكاتب المغرب، ولهذا كانت خطوته جريئة؛ إذ الغلبة الفكرية كانت لرجال الدين، وهذا يعلل لنا ما لاقاه من اضطهاد وعداوة ظاهرة، ويفسر لنا ما قاله الفتح بن خاقان آنفاً

٢ — إنه أول فلاسفة الإسلام الذين حاولوا أن يبحثوا الفلسفة مستقلة عن الدين، وأن فى إمكان العقل الإنسانى أن يصل إلى المعرفة الحقيقية وكشف أسرار الوجود دون ما حاجة إلى التصوف والإجهاد بالعبادة

ومع ذلك لم يستطع ابن باجه أن يتم مؤلفاته لانشغاله بأمور الدنيا، ولأن المنية اخترمته وهو فى ريعان الشباب. واستمع لابن طفيل يقول فيه: «ثم خلف من بعدهم خلف آخر أحذق منهم نظراً وأقرب إلى الحقيقة، ولم يكن فيهم أثقب ذهناً ولا أصح نظراً ولا أصدق روية من أبى بكر بن الصائغ، غير أنه شغلته

(١) الباجة بالتشديد كما قال ابن خلكان وصاحب نفح الطيب ومعناها للفضة بلغة نصارى الأندلس
(٢) قلائد العقيان للفتح بن خاقان
(٣) Munk فى كتابه Mélanges de phelosophie Juife et Arabe

(١) قلائد العقيان ص ٣٤٦ — ٣٤٧ (٢) طبقات الأطباء ص ٦٢

الدنيا حتى اخترمته المنية قبل ظهور خزائن علمه وبث خفايا حكمته .
وأكثر ما يوجد له من التآليف إنما هى كاملة ومجزومة[1] » ؛
وقد تأثر به ابن طفيل فى حى بن يقظان تأثراً عظيماً ، وما حياة
حى بن يقظان نفسه ووصوله إلى المعرفة الحقيقية فى جزيرته الخالية
من السكان إلا محاولة من ابن طفيل للبرهنة على رأى ابن باجه
فى تمكن العقل الإنسانى من كشف أسرار الوجود وحده

مؤلفاته

ذكر ابن أبى أصيبعة عدداً كبيراً من كتب ابن باجه وأهمها :
شرح كتاب السماعى الطبيعى ، قول على بعض كتاب الآثار
العلوية لأرسطو ، قول على بعض كتاب الكون والفساد لأرسطو ،
ثم تعليقات على كتابَى الحيوان والنبات لأرسطو ، وله تعاليق
على بعض المسائل الهندسية ؛ أما مؤلفاته فكثيرة منها : كتاب
فى الاسطقسات : (النار والماء والهواء والتراب) وكلام فى البرهان ،
وكتاب النفس ، وكتاب اتصال العقل بالإنسان ، ورسالة الوداع
وكلام فى الغاية الإنسانية ، وفصول قليلة فى السياسة الدنية ،
ورسالة تدبير المتوحد ... إلى غير ذلك من الكتب

وليس لدينا وللأسف شىء من كتب ابن باجه ، ولقد أشار
« مونك » إشارة موجزة إلى ما تحتويه رسالة الوداع سنذكرها
فيما بعد ؛ ولخص أيضاً رسالة تدبير المتوحد ، أو نقلها عن العبرية
رواية عن موسى الأربونى Moise de narbonne أحد فلاسفة
اليهود فى القرن الرابع عشر الميلادى ، وشارح رسالة حى بن
يقظان . وقد ذكر بروكلمن رسالة مخطوطة فى مكتبة برلين حاول
نشرها الدكتور فروخ[2] ، ولم ينشر منها إلا صفحتين هما عبارة
عن جمل مقتضبة غير متماسكة . ويظهر أن موضوع هذه الرسالة
هو الغاية الإنسانية ، كما أن هناك رسالة فى المنطق لابن باجه
فى مكتبة الأسكوريال سبقت الإشارة إليها فى أول المقال ، وقد
كشف أبو ريدة مترجم دى بور جزءاً من رسالة تدبير المتوحد
فى المكتبة التيمورية بمصر (رقم ٢٩٠)[3]

١ — رسالة الوداع[4]

كتب ابن باجه هذه الرسالة لأحد تلاميذه وأصدقائه قبيل

(١) حى بن يقظان طبعة دمشق ص ٦٦
(٢) مجلة الأمالى السنة الأولى عدد ١١ ص ٢٩
(٣) دى بور ترجمة أبى ريدة ص ٢٤٦ (هامش رقم ١)
(٤) Munh, Mélanges p. 386

اعتزامه رحلة طويلة حتى يكون على بينة من آرائه إذا قدر لهما
ألاّ يلتقيا . وأول ما يظهر لقارئ رسالة الوداع رغبة المؤلف
فى إحياء معالم الفلسفة والعلم ، لأنهما فى رأيه جديران بإرشاد
الإنسان إلى الإحاطة بالطبيعة ، وبهدايته بعون الله إلى معرفة
ذاته ، وبالاتصال بالعقل الفعال الذى يفيض من الله . ويتكلم
فيها عن خلود النفس البشرية ، وعن العوامل التى تؤثر فى الإنسان
وتدفع العقل فى سبيل الفكر ، وشرح غاية الوجود الإنسانى
وغاية العلم وهما التقرب من الله عز وجل ، وكلامه فى خلود النفس
مبهم ، ويقول باتحاد النفوس[1] ، وقد أخذ بهذا الرأى ابن رشد
وكان لرأيه أثر كبير عند الفرق المسيحية حتي اضطر القديس توماس
وألبرت الكبير للرد عليه فى مؤلفات خاصة . هذا وقد عاب ابن
باجه الغزالى وقال : إنه خدع نفسه وخدع الناس حين قال فى
المنقذ من الضلال : إنه يستطيع أن يكشف العالم الحقيقى والعقلى
ويرى الأمور الآلهية بالخلوة ويلتذ التذاذاً كبيراً

ومن هذا نرى أن ابن باجه يهاجم الغزالى بعد أن كان تأثيره
عظيماً فى بلاد المغرب ، وبعد أن أسكت صوت الفلسفة فى المشرق ،
وتراه لا يؤمن إلا بطريق العقل سبيلاً للوصول إلى المعرفة الآلهية

٢ — رسالة تدبير المتوحد[2]

ذكر هذه الرسالة ابن رشد فى آخر كتابه على العقل الهيولانى
حيث قال : « أراد أبو بكر بن الصائغ أن يختط خطة للمتوحد
فى هذه الأمة ، ولكنه لم ينجزها وكثير منها غامض ، وسنحاول
فى غير هذا المكان شرح غاية المؤلف من هذه الرسالة لأنه أول
من سار فى هذا المضمار ولم يسبقه فيه أحد »[3] . بيد أن ابن رشد
لم ينجز وعده ولم يبق لنا إلا ما نقله مونك عن موسى الأربونى ،
وهذا المخطوط الموجود بالمكتبة التيمورية وهو غير كامل

وقد قسم الأربونى هذه الرسالة ثمانية فصول ، ويظهر أن غاية
ابن باجّة فيها هى إثبات قدرة الإنسان المتوحد المنتفع بمحسنات

(١) مجمل هذا الرأى على حد ما ذكر ابن رشد : أن العقل الفعال
يفيض بالصور والمعقولات من عند الله سبحانه ، ولما كان الله أزلياً كان
العقل الفعال أزلياً كذلك ، لأنه جزء من الكون الذي يقول ابن رشد
بأزليته ، وهذه المعقولات والصور التى يفيض بها العقل الفعال دوماً لا بد
أن تعقل ولا تعقل إلا بانسان ، إذاً فأزلية العقل الفعال تستلزم أزلية الانسان
(النوع الانسانى) ، ومعنى اتحاد النفوس أنها ممثلة فى العقل الفعال الدائم
الخالد ، وأن الانسانية دائمة خالدة ، وأنها تتحد فى العقل الفعال
(٢) مونك ص ٣٨٩ (٣) المرجع ذاته

الحياة البعيد عن مفاسدها، على الاتصال بالعقل الفعال بقواه الفكرية وحدها. ولا يوصى ابن باجة بالخلوة – كما يفهم من لفظ المتوحد – إنما يرشد الإنسان المشتغل بشئون الحياة إلى سبل الوصول إلى الكمال، وهو يشير إلى إمكان ذلك سواء كان هناك رجل واحد أو عدة رجال فى درجة واحدة من الفكر، وقد يستطيع هذا أهل بلد بأسره إذا كان تام النظام. ولم تخف على ابن باجة صعوبة هذا الأمر فأوصى المتوحد بالعيش فى أغزر المدن علماً، أى فى أقربها إلى الكمال، وأجمعها لأهل الفضل والحكمة. وسنعرض فيما يلى أهم ما جاء بهذه الرسالة نقلاً عن « مونك » مختصرين ما أمكن [1]

الفصل الأول

تكلم ابن باجة أولاً عن لفظ « تدبير » وأنه يدل فى أوسع معانيه على مجموعة من الأعمال ترمى إلى غرض معلوم، فلا يمكن أن يستدل به على عمل واحد، بل على جملة أعمال تنجز تبعاً لخطة معينة كالتدبير السياسى والحربى. وينبغى أن يكون تدبير المتوحد على مثال تدبير الحكومة الكاملة، ومن علامات الحكومة الكاملة ألا يكون بها أطباء أو قضاة؛ لأن أهل هذه المدينة لا يتناولون من الغذاء إلا ما يوافقهم، وبذا تختفى الأمراض الناجمة من الغذاء، وأما الأمراض التى تصيبهم بسبب عوارض خارجية فتزول بنفسها. ولما كانت العلاقة بين أهل المدينة بعضهم مع بعض أساسها المحبة امتنع الخلاف فاستغنى عن القضاة. والحكومة الكاملة تكفل للفرد أن يبلغ فيها أرقى منزلة من الكمال؛ لأن الكل يفكرون بأعدل تفكير، وينظرون أدق نظر، ويطيع كل فرد ما تأمر به القوانين، لأنه يكون عالماً بها، وبذلك تخلص أعمال الإنسان من الخطأ والهذر والختل فلا يكون الناس بحاجة إلى الطب الأخلاقي وهو ما لا غنى للجمهوريات الناقصة عنه

(البقية فى العدد القادم)

(بيروت) محمد الدسوقى

(١) وجدنا فى كتاب تاريخ فلاسفة الاسلام للأستاذ محمد لطفى جمعة ترجمة لما ذكره مونك عن ابن باجة ونقلا لكتاب تدبير المتوحد، ولكن من الأسف لم يذكر الأستاذ جمعة أنه نقله عن مونك، كما أن ترجمته تدل إما على قلة اكترات أو عدم فهم، وذكر كذلك ما نقله مونك عن الفتح ابن خاقان وطعنه فى ابن باجه الذى نقلناه سابقا ولم يرجع إلى قلائد العقيان لينقل منه النص العربى فجاءت ترجمته مشوهة، كترجمته لتدبير المتوحد، وهذه زلة من الأستاذ كنا ننزهه عنها

مراسلات . . .

الغيرة

إنى لتدركنى الشفقة أحياناً على هذه الكلمة المفردة، كما يشفق امرؤ ذو قلب على عزيز قوم ذلّ، وغنىّ قوم افتقر. إن أحداث الزمان قد جارت عليها، وإن الدهر القُلَّب الذى يتنكَّر لكل شىء قد تنكَّر لها. إنها كالموظف المعزول الذى لم يعد يظهر فى ديوان عمله، أو كالعقد الثمين المتألق الذى لا يجد صدراً يزينه. إنها كالقلادة الرفيعة التى مات صاحبها وبقيت فى « مخلفاته » تندبه فى صمت، وتذكِّر به كلما رمقتها العيون!

لقد كانت « الغيرة » معنى مشرقاً فى صدور الرجال، فأصبحت رسماً باهتاً فى بطون الكتب؛ وكانت « مادة » ملموسة بارزة الأثر فى حياة الناس، فأصبحت « مادة » قابعة فى قواميس اللغة!

لقد فتشت عنها فى نواح كثيرة من نواحى الحياة، فلم أجدها كنت أحب أن أجدها: لم أجدها فى البيت لأنى وجدت « المرأة » تحكم « الرجل »، فلا يغار على حقه المغصوب، ولا يألم لسلطانه المسلوب؛ ولم أجدها فى الطريق، لأنى وجدت المخازى تعرض على قارعته فى صور مألوفة، وأشكال معروفة، فلا يغضب عليها غضوبٌ ولا يَحمَى بها صدرُ مِغيار! ولم أفتقدها بين سُمَّار الليل فى النوادى الآثمة والمجتمعات المتهتكة، لأنى أعلم كيف تصرع هناك الفضيلة ويصفع الحياء! ولم أجدها فى « مكاتب الموظفين »، لأنى وجدت الأعمال فيها مهملة، والأوراق مكدسة والناس على أبوابها يستصرخون ولا من يجيب الصريخ!

وأخيراً، فتشت عنها عند الذين يتنادَوْن « بالإصلاح »، ويتحلَّوْن « بالفضيلة » فلم أجدها: لم أجد من يغار على البرامج المعطلة، والأمانة المضيعة، والوعود المهملة، والفساد الذي استشرى، والنار التى تومض من خلال الرماد!

فأين – يا رب – أجدها؟ أين « الغيرة »؟!

محمد محمد المدنى

السيلو هو السيرة والسير

للأب أنستاس مارى الكرملي

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

٤ — السيرة أو السير لمخزن المبرة فى بعض لغات الشرق الأولى

ذكرنا بعض الألفاظ المقابلة لهذه الكلمة فى اليونانية، واللاتينية والإنكليزية والفرنسية والإسبانية، فيحسن بنا الآن أن نذكر لها مقابلات فى بعض اللغات المبثوثة فى الشرق الأدنى.

فى التركية يسمى هذا المخزن (كندوج) بالفتح وقد نقلوها من الفارسية (كندو[1]) بالفتح. « شيء يبنى كهيئة الدن، فيجعل فيه الدقيق وغيره »، وهى فى التركية الكنجاكية. وأما الترك الصميم فيقولون: كَنْدُك، بفتح الكاف وإسكان النون وضم الدال المهملة وفى الآخر كاف. وقد توسعوا فى معناها حتى أطلقوها على كل صبرة عظيمة من الطعام يصومع ويصمد حتى يظهر للناظر إليه كأنه دن كبير موضوع على وجه الأرض، فسبب التسمية واضح، فما الكندوج أو الكندك الآدنّ كبير أو كما يسميه الغربيون (سيلو).

وقد قال صاحب محيط المحيط بهذا الصدد ما هذا نصه بأصله: « الكندوج [وقد ضبطها ضبط قلم بالضم] شبه مخزن من تراب أو خشب توضع فيه الحنطة ونحوها. معرب كندو بالفارسية » انتهى.

وهو ترجمة نصّ فريتغ ترجمة غير مضبوطة وهذه عبارته بحروفها اللاتينية:

(Pers كَنْدُو) Structura, in puam recondvnt res, ei similis, puam مخزن Appellant. Karr كَنْدُوج Vasa a liasve

ومعناها على ما يبدو لى: الكَندوج[2] بناية على هيئة

(١) وهى فى أصل معناها علي ما فى كتاب (ديوان لغات الترك، لمحمود بن الحسين بن محمد الكاشغري الذى ألفه سنة ٤٦٦ للهجرة والمطبوع فى المطبعة العامرة فى دار الخلافة العلية سنة ١٣٣٣ هـ الجزء ١ : ٣٩٩)

(٢) وهى مضبوطة بالفتح، وهذا هو الصحيح الوارد فى جميع نسخ القاموس المخطوطة المضبوطة ضبطاً. والبناية قد تكون من الخشب أو من التراب باللغة اللاتينية كما في العربية

مخزن تحفظ فيها « الآنية وسائر الأشياء » انتهى. فالظاهر من هذا الكلام أن فريتغ لم يفهم كلام صاحب القاموس، فأساء فهماً وأساء نقلاً ثم أخطأ كل من جاء بعده نقلاً عنه. وعلى أثره أخطأ جميع اللغويين المحدثين من العرب وجماعات المستشرقين النقلة، وليس لنا متسع لإظهار شوائبهم ومعايبهم فهى أكثر من أن تحصى. فنكتفى بما نقله الشرتونى فى أقرب الموارد. قال: الكُندوج (وضبطها) بالضم جرياً على القياس اللغوى لا على السماع[1] والنقل على حد ما فعل صاحب المصباح وهو ليس حجة يعتمد على لغته الفصحى لأن لغته عربية فقهية وهى عثرة فى طريق المحققين: شبه مخزن من تراب أو خشب توضع فيه الحنطة ونحوها (معرَّب) وفى المصباح: « ويطلق على الخزانة الصغيرة ».

وقال صاحب البستان: الكندوج (وضم الأول أيضاً): شبه مخزن من تراب أو خشب تحتكر فيه الحنطة دخيل (٥ — قلنا وقوله: تحتكر تغيير لقول الشرتونى « توضع فيه » وهذا هو الصواب لأن الغاية من وضعه فى الكندوج حفظه من الآفات الجوية لا الاحتكار وهذا وهم منه، فأراد أن يغير عبارة الشرتونى فى نصها ويحسّنها ليبيّن تفوّقه عليه أو اختلافه عنه فاضرّ نفسه إذ لم يخفَ على أحد نقله وفساد معناه.

وورد فى معنى مخزن الطعام فى الكردية: چال وچالو وچاله. ونكتفى بهذا القدر.

٥ — المطمورة بمعنى مخزن الطعام

نظن أننا وفينا موضوع (السيرة) و (والسير) حقه من البحث. بقى علينا أن نعالج موضوع (المطمورة) وقبل أن نعرفها، نقول للواقفين على مقالنا هذا: إن المطمورة وردت بمعنيين: معنى ذكرته كتب اللغة ومعنى أهملته، فنبدأ بذكر الأول فنقول:

المطمورة على ما ورد فى القاموس: « الحفيرة تحت الأرض » وزاد فى التاج: يوسع أسافلها، تخبأ فيها الحبوب. والجمع المطامير: وطمرتها أنا: « ملأتها » — والكلمة قديمة فى لغتنا الشريفة وهى فى العراق من أقدم الألفاظ على ما نعهد. وقد ذكرها الليث

(١) مما حفظنا وارداً على فعلول المفتوح الأول، نقلا عن الأئمة الأثبات الثقات — وهى مدونة فى معاجم اللغة: صعفوق، وترنوق، وصعفول، وطرخون، وبرشوم، وقربوس (على لغة): وبعكوك، وكرموص، وصندوق (على لغة) وسنطور، وسنطور، وقرقوف، وطرخون، وزرنوق، وزرزور — ومن الأعلام: شمعون، وسنهور، وسعدون، وخلدون، وعبدوس، وسمحون، وعبدون، إلى غيرها

فى عينه فقال : « المطمورة : حفرة يطمر فيها الطعام أى يخبأ (ج) مطامير . وكل من جاء بعد الليث وألف كتاباً فى اللغة نقل هذه العبارة ولم يعزها إلى قائلها الأول وهى نفس العبارة التى أخذها عنه الزمخشرى فى كتابه (مقدمة الأدب) فى ص٢٣ من نسخته المطبوعة وهذا نصها : (المطمورة : جاء . غـلَّه وفى النسخة المحفوظة فى الخزانة البدليانية فى مدينة اكسونية زيادة هى : المطمورة حفرة يطمر فيها الطعام أى يخبأ . ج : مطامير » ٥١

وأهل العراق يُسمُّون بالمطمورة كل ما يتخذ لحفظ الطعام فيه ، إن كان فى بطن الأرض ، وإن كان على وجهها ، فهى كاللفظة الإفرنجية Silo تتخذ للدلالة على المعنيين أى بمعنى السرداب فى بطن الأرض والمخزن الذى يبنى على ظهرها . وهى عامة الاستعمال فى شمال العراق إلى جنوبيه ، ولا ينطقون بغيره ، فإذا كان لحفظ الغلة فى بطن الأرض كان الموطن مهيأ دائماً . أما إذا كان فوق الصعيد فإن أصحابه يجعلونه جرة عظيمة ، ثم يسنمونها على هيئة مخروط ثم يسيّعونها ويصمدونها ، حتى إذا نزلت بها نوائب الجو من مطر وثلج وبرد ورياح قاومتها أحسن مقاومة ودفعت أضرارها على أتقن وجه وأسدَّه

فتسمية أبناء الرافدين هذين الضربين من مخزن الطعام لا غبار عليه وإن اختلفت هيئتهما لأن أصل التسمية صار يقع على معنى « المخزن » الحافظ للغلة ، أياً كان شكله . ولهذا فالعراقيون يحتفظون بهذا الاسم لقدمه عندهم ، ولصحة عربيته ، ولبقاء الأسماء على مسمياتها وإن اختلفت صورها وأشكالها وكيفية اتخاذها

وأهالى شمالى العراق يسمون مخزن الطعام على وجه الأرض اللوث ، وتلفظ بالفتح أى Loth ويجمع على ألواث على ما أفادنى ولدى بالروح (ميخائيل حنا عواد) وهو من نوابغ الشبان ، ويصنع بأن تحفر دائرة فى الأرض عمقها بين ١٠ و ١٥ سنتمتراً تسع الكمية الموجودة عند صاحب الطعام ، ثم تكدس الغلات شيئاً على شىء من تبن أو شعير أو حنطة وتجمع على هيئة مخروط وُيسيَّع خارجها ويصمد ، حتى إذا جاءت الأمطار وانحدرت عليها ولت فى وجهها بسرعة من غير أن تبقى فيها أثراً . والذين يكدسون الأطعمة على وجه الأرض من حنطة أو شعير يكونون أرباب حول وطول ، ولهم نواطير أقوياء يذبون عنها اللصوص والسراق . وأما الذين لا نواطير لهم فيجعلونها فى چالات (جمع چال) يحفرونها فى الأرض ويقيدونها بالقار الحسن منعاً لتسرب الماء والرطوبة إليها وچال (ويقال چاله وچالو) كردية معناها هذه الحفيرة

واللوث من أصل عربى فصيح معناه فى أصل وضعه : القوة والشدة لأن جمعك الشىء على الشىء الآخر تعصبه وتشده ، ومن هذا أيضاً قولهم : هذه ناقة ذات لوثة إذا كانت كبيرة الشحم واللحم معصوبة مشدودة ولا يمنعها ذلك من السرعة فهى صفة حسنة لها

وقد ذكر لى ولدى ميخائيل أن بعض المزارعين فى أنحاء بغداد يسمون (المطمورة) التى تقام على سطح الأرض (جبراية) والجمع جبارى . وأما الذين فى أرجاء تكريت فيسمونها جبريَّة وزان قبطية . وأما أهل ديار المنتفق فى جنوبى العراق فينطقون بها على أصلها الفصيح بالميم ، أى أنهم يقولون (جَمْرِيَّة) وهى من مادة (جمر) أى جمع شيئاً على شىء ، ورفع رأس المجموع . وهذا التحقيق من وحى المؤرخ المحقق الأستاذ يعقوب نعوم سركيس حفظه الله ورعاه

ومما ذكره لى ولدى بالروح ميخائيل عواد أن لأهالى تكريت ومن فى أنحائها لفظاً آخر لهذه المطمورة هى (اللُّود) وتلفظ Lod وتجمع على ألواد ، والهمزة لا تكاد تلفظ وكأنك تلفظها بإسكان اللام وهى عندهم غرفة مستطيلة أو مربعة يخزن فيها التبن وأحياناً الحنطة والشعير ولا تكون مسقوفة فى أغلب الأحيان ، وتكاد تكون أرضها بمستوى سطح ما يجاورها من الأرضين أو ما انخفض عنه بقليل . و (اللود) يعرفها بهذا اللفظ وهذا المعنى أعراب شمر من عشائر العراق وتشبه كل الشبه (اللوث) المار ذكرها والمستعملة فى الموصل وأرجائها . ولعلها لغة فيها ، وقد ورد مثل هذه اللغة عند كثيرين من الأقدمين فقد قالوا : مدد الخبز ومرنهُ . وقالوا : الشيث تعريب الفارسية شِيِود وقد قلبت الواو ياء والدال المهملة الفارسية ثاء مثلثة

٦ – المطمورة بمعنى السجن والمطبق

وأشرنا إلى أن للمطمورة معنى آخر ، لم يرد فى معاجم اللغة وكان معروفاً فى القرون الوسطى أى فى عهد العباسيين ، بموجب التعبير العربى . وهذا المعنى هو السجن المظلم يسجن فيه المحكومون عليهم بالحبس الأبدى وورد أيضاً بمعنى جب عميق مغطى بغطاء ينقلب للحال بمن يطأه تخلصاً منه بسقوطه فيه وموته فيه حياً جاء فى تاريخ الرسل والملوك للطبرى فى ٣ : ٢٢٠٧ فى طبعة الإفرنج ما هذا نقله : « وفى يوم الثلاثاء لثمان خلون من جمادى الأولى ، دخل المكتفى إلى داره بالحسنى ، فلما صار إلى منزله

أمر بهدم المطامير التي كان أبوه اتخذها لأهل الجرائم » . انتهى

وفى مروج الذهب (٨ : ٢١٥ من طبعة الإفرنج) : « وأمر بهدم المطامير التى كان المعتضد اتخذها لعذاب الناس وإطلاق من كان محبوساً فيها ، وأمر برد المنازل التى كان المعتضد اتخذها لموضع المطامير إلى أهلها وفرق فيهم أموالاً »

ويخيل إلىّ أنه كان فى العراق وديار الشام ووادى النيل وسائر البلاد الشرقية مطامير مختلفة العدد وقد اتخذت فى قرى عديدة حتى أن بعض القرى بقى اسم المطامير عليها لاشتهارها بها وإن زالت عنها . وقد جاء فى معجم البلدان لياقوت : « مطامير جمع مطمورة ، وهى حفرة أو مكان تحت الأرض وقد هيء خفياً يطمر فيه الطعام أو المال ، إسم قرية بحلوان العراق ، وذات المطامير بلد بالثغور الشامية له ذكر فى كتاب الفتوح . . . ويقال له : المطامير أيضاً غير مضاف »

وفى كتاب الأنساب للبلاذرى بعد أن ذكر إلى أى ضيعة نسب أبو محمد المطاميرى قال : « وتوفى فى جمادى الآخرة سنة ٣٦٣ﻫ ، وكان فتوحها على ما قال الطبرى (٢ — ١٦٦٧) سنة ١٢١ﻫ على يد مسلمة بن هشام بن عبد الملك » فيظهر من هذا أن العرب كانوا يعرفون المطامير واتخاذها للطعام وللسجن قبل الإسلام ، على ما يرى فى استعمالهم لتلك الأسماء

ولما مر ابن بطوطة فى المائة الثامنة للهجرة = ١٤ للميلاد بندربار من ديار الهند رأى أن كل مسلم يشرب الخمرة يحد ثمانين جلدة ويسجن فى مطمورة ثلاثة أشهر لا تفتح عليه إلا حين طعامه » (راجع رحلة ابن بطوطة طبع الإفرنج ٤ : ٥٢)

ومن يطالع فى معجم دوزى ما جاء على المطامير منقولاً عن المسافرين والكتبة يتحقق أن المطامير كانت فى جميع ديار الشرق الأدنى لغايات مختلفة فلتراجع فيه إذ قد ضاق بنا الموطن عن هذا البحث الجليل

أما من يحب أن يتابع فى تصانيف الإفرنج هذا الموضوع فعليه بمطالعة ما جاء باسم Oubliettes الإنكليزية وبعنوان Oubliette بالفرنسية فيقع على حكايات وتفاصيل فى غاية الغرابة والعجب والاستفادة . ثم كتب عديدة تبحث فى هذا الموضوع

٧ — مترادفات المطمورة وما يقابلها فى لغات الامم الشرقية

رأينا العراقيين لا يستعملون إلى لليوم إلا لفظة واحدة هى (المطمورة) والآن أخذ بعضهم ينبذون استعمال هذه اللفظة ظناً منهم أنها عامية وأخذوا يستعملون فى مكانها (الهُرْى) ويجمعونها على (أهراء) قلنا : إنهم فى ضلال مبين ، لأن المطمورة وردت فى جميع كتب الفصحاء التى تكلمت على أمثال هذه المخازن ولم تهملها . وثانياً لأنها صحيحة الاشتقاق من لغتنا المحضة وثالثاً لأن المطمورة استعملت لمخزن الطعام الذى تحت الأرض ، ولما فوق الأرض . قال فى النهاية فى مادة (ط م ر) « وفى حديث مطرف : من نام تحتَ صدف مائل وهو ينوي التوكل فليرم نفسه من طمار وهو ينوى التوكل : طمار بوزن قطام : الموضع المرتفع العالى . وقيل : هو اسم جبل ، أى لا ينبغى أن يعرض نفسه للمهالك ويقول : قد توكلت . انتهى كلام ابن الأثير فهنا نص واضح على أن مادة طمر تفيد الدفن والحبس وتفيد أيضاً العلوّ والارتفاع ، فصحّتْ إذن المطمورة للاستعمالين .

ورابعاً أن الهرى يقابل الإفرنجية Grarge والإنكليزية Granary فهو إذن غير المطمورة .

خامساً أن الهرى ليست عربية بل لاتينية Horreum ومعناها كما هو فى العربية أى البيت الكبير يجمع فيه طعام السلطان فليست إذن بالمطمورة وهل نبدل الصحيح الفصيح بالدخيل القبيح ؟

وقد ذكرنا سابقاً ما يقابل مخزن الطعام فى الأرض فى الفارسية والتركية والكردية . وأما فى الإرمية (السريانية والكلدانية فالمطمورة تسمى (مطمورتا) وتجمع على (مطمورياتا) كما هو مدون فى معاجمهم المعتمدة ومعناها المخبأة أيضاً

٨ — خلاصة هذه المقالة وزبدتها

خلاصة هذه المقالة وزبدتها : أن اللفظة الغربية (سيلو Silo) من أصل عربىّ هو (سَيْر) بالفتح ، أو (سِيرة) بالكسر ، ثم نقل إلى الأوربية باللام ، على لغة كانت لبعض قدماء العرب ينطقون بالراء لاماً فى كثير من الألفاظ . ولا نزال نسمع مثل هذا الإبدال إلى عهدنا هذا ، ولا سيما فى ديار العراق

ولقد وجدنا أحسن لفظة تستعمل اليوم بمعناها هى (المطمورة) لأنها خالية من معنى ثان يشوشها ، ولأنها عربية صميم لا غبار عليها ، ولأنها مستعملة فى العراق منذ عهد العباسيين ، بل قبل وجودهم فيه ، ولأن كل كلمة سواها كثيرة المعانى تفسد المعنى الرئيسى الأصيل ، ولأن (الصومعة) وجمعها (صوامع) لا ينجلى لأبصار الأدباء إلا بمعنى مسكن الراهب أو ما يشبهه . فما بقى علينا إلا أن نتبع الفصيح المتنع الذى قاوم الأدهار ، وصبر على فساد الأشرار ، ووبلغ إلينا سالماً من كل الأخطار !

(بغداد) **الأب انستاس مارى الكرملى**



حول غزل السلطان سليم

قرأت في عدد « الرسالة » الأخير قصيدة غزلية للسلطان سليم الأول فاتح مصر نشرها الأستاذ عبد الله مخلص ، وقد سبق أن رأيت هذه الأبيات في مصادر أخرى غير التي استقى منهـا الأستاذ ، وهي مباينة لما نشره الأستاذ منها ، أما المصدر الذي تحت يدي فهو « عثماني تاريخ وأدبيات مجموعة س » بتاريخ ٣٠ نيسان سنة ١٣٣٤

وقد اطلعت على القصيدة أيضا في « خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر » . وهنالك خلاف في نسبة هذه القصيدة فقد جاء في « دائرة المعارف » أنها للسلطان أحمد خان الأول ، وجيء مكان البيت السادس ببيت آخر لطلائع ابن رزيك الوزير الشاعر العربي المتوفى سنة ٥٥٦ ، وقيل إن البيتين الأخيرين مع بيت المقطع لابن رزيك

وغزل ابن رزيك موجود في وفيات ابن خلكان وهو عبارة عن سبعة أبيات ، وهو خلاف غزل السلطان سليم المنشور في عدد « الرسالة » ٤٦٢ ، وهو برمته للسلطان نفسه

أما سبب الأخطاء التي وقع فيها صاحب خلاصة الأثر ودائرة المعارف ، وبعض المجاميع الأدبية التي تقول إنه للسلطان أحمد أو إن بعض أبياته لابن رزيك فيرجع إلى أن غزل السلطان فيه تشابه مع أبيات ابن رزيك في الوزن والقافية .

ثم إن القصيدة التي بين يدي سبعة أبيات لا غير ، أما التي جاء بها الأستاذ مخلص فأحد عشر بيتاً . هذا إلى أن الشطرات والمصاريع الموجودة بين الأبيات الكاملة غير موجودة فيما قرأت من المصادر . فما رأي الأستاذ في هذا ؟

ثم هنالك تباين بين نصي القصيدتين ، فقد جاء في البيت الأول في القصيدة المنشورة بالرسالة « قمر يصول . . . » وعندي « ظبي يصول » ثم في البيت الثاني : « ماقام معتدلاً يهز قوامه » وعندي « وهز » إلى غير ذلك والأبيات ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ المذكورة في « الرسالة » غير موجودة أصلاً في المصادر التي أشرت إليها .

فإلى الأستاذ مخلص ، وإلى جمهور قراء الرسالة من الباحثين أقدم هذه المشكلة لعل أحدهم يستطيع أن يلقي ضوء نستنير به

ابراهيم أحمد أدهم

السلطان « سليم » والشعر

قرأت الشعر الذي أورده الأستاذ الفاضل عبدالله مخلص منسوباً إلى السلطان سليم العثماني ؛ وأنا لا أجزم بتزوير هذا الشعر على السلطان ؛ ولكني أقول : إنه « تخميس » لقصيدة في الغزل ، من تلك « التخميسات » التي لهج بها شعراء العصر التركي . ويستطيع القارئ أن يستخرج القصيدة الأصيلة من ثنايا الشعر ، وأولها :

قمرٌ يصول ولا وصـول إليه جرحَ الفؤاد بصاريْ لحظَيه

فيجدها ملتئمة اللفظ ، متسقة المعنى ، بعد حذف هذه الإضافات الظاهرة بها ، والتي استوجبها فن « التخميس »

فهل يُنسب للسطان أصلُ القصيدة أم تخميسها ؟ أم هو صاحب الأصل والتخميس معاً ؟ ذلك ما نسأل عنه الأستاذ المخلص على أن السلطان سليم لم يشتهر بإجادته اللغة العربية ، فضلاً عن نظمه الشعرَ فيها ؛ وإن كان بعض المصادر يشير في معرض الحديث عنه إلى كثرة مطالعته للتواريخ وتفرُّسه في اللغتين : الفارسية والرومية : (أخبار الأُوَل للاسحاقي)

فإذا أضفنا إلى ذلك شهرةَ هذا السلطان التي قد تغرى بعض الشعراء بنظم أشعار ينسبونها إليـه ، ويذكرون فيها « المُلك والسلطان » تمويهاً على الرواة والناقلين — جاز لنا أن نشك في نسبة هذه القصيدة إليه ، كما نشك فيما يذكرونه من أنه خطَّ بيده على مقياس الروضة — حيث كان ينزل أثناء مقامه بمصر — هذين البيتين ، وهما :

الملك لله ، من يظفر بنيل منى يُردّ قفراً وينزلْ بعده الدركا
لو كان لى أو لغيرى قدر أنملة فوق التراب لصار الأمر مشتركا!

ولا يبعد أن يكون هذا من قبيل ما يُنسب من الشعر إلى « آدم » أبى البشر ، وإلى إبليس وبعض « الهواتف » من الجان . . . مما كان يتخطفه الرواة والناسخون، لطرافة مصدره، وغرابة مخبره

« جرجا » محمود عزت عرفة

لمن رسالة الحج

طلبت إلى الأستاذ حافظ عامر بك أن يكشف الغموض الذى ضرب به بعضهم حول تأليفه (رسالة الحج) فقال :

أتيح لى أن أؤدى فريضة الحج أيام كنت سفير مصر فى جدة عام ١٩٣١ / ١٩٣٥ فجمعتنى المناسبات بالفيلسوف الهندى الشيخ عبيدالله السندى ومريده الدكتور سيد فيروز زيدى فتحدثت إليهما عن أسرار الحج وفلسفته حديثاً حرصاً على حفظه لما له من الأهمية ولقد نعيت فيه على قادة الرأى الإسلامى إهمالهم قاعدة إسلامية أساسية ألا وهي حج بيت الله الحرام . ثم انفض موسم الحج وأخذت طريقى إلى جدة مقر عملى الرسمى فى القنصلية المصرية . وما كاد يستقر بى المقام حتى لحق بى الدكتور فيروز زيدى موفداً من قبل أستاذه الشيخ السندى لأخذ مذكرات لشتى أحاديثى عن الشئون الإسلامية عامة ورسالة الحج خاصة ، ولم يكن لدى من الأحاديث المدونة غير نقاط دونتها في مذكرتى، فاستبقيت الدكتور فيروز حتى أتممت له رسالة فى أسرار الحج وفلسفته ، وطلبت من الدكتور أن يكتب ما أمليته عليه من صورتين بالآلة الكاتبة ، وأخذ الدكتور صورة للأستاذ الفيلسوف الهندى واحتفظ بالصورة الأصلية . ثم سافر الدكتور فيروز وهو يقول : (لقد أهديت إلىّ يا سيدى كنزاً ثميناً من التعاليم السامية التى لا تشترى بالذهب وهديتنى بتوفيق الله ووجهتنى توجيهاً صحيحاً نحو الإسلام الخالد الصالح لكل زمان ومكان) »

وحدث أن زار حافظ بك مصر وطنه فانتهز هذه الفرصة لطبع الرسالة ونشرها فى العالم الإسلامى وكذلك فعل فكانت الطبعة الأولى من رسالة الحج ، ولقد كان نصيب الشيخ عبد الوهاب الدهلوى من رسالة الحج لحافظ بك أن أهديت إليه نسخة من الطبعة الأولى فى أثناء تجواله ببغداد ، فهل ترد الهدية بعد بضع سنين بالتجنى على مهديها ؟

سيد عثمان المراغى

كم ذا من جديد

طلبت إلى حضرات القراء — فى شىء من الرجاء — أن يدلونى على شاهد من الصحيح الفصيح وردت فيه « كم » مقترنة بـ « ذا » حتى يكون ذلك هو الفيصل بينى وبين إخوانى الذين اختلفتُ معهم فى بيت « حافظ » — كم ذا يكابد عاشق ويلاق - فإنى لم أعثر إلا على بيت « المتنبى » - وكم ذا بمصر من المضحكات — وهو مما لا يصح الاستشهاد به من ناحيتين :

الأول : أن « أبا الطيب » لا يعتبر فيمن يؤخذ عنهم الفصيح الصحيح ...

الثانى : أن الرواية متضاربة ، فتارة : « كم ذا » ، وأخرى : « ماذا » ...

ولكن الأستاذ البشبيشى أبى إلا أن يشرفنى بالرد ، فراح يعرب ويخرّج ويؤول ... فهل يتفضل « من جديد » بإعادة النظر ، لعله يأتى بما يقنع ؟... فإنى أرجو أن يكون « أبا حسن » هذه القضية ...

ابراهيم على أبو الخشب

فى الفن الإسلامى

كتب إلىّ قارئ فاضل يسألنى أن أكتب فى ناحية معينة من (الفن الإسلامى) ، وشاء أن أجيبه على صفحات (الرسالة الصديق) وإنى إذ أشكر لحضرته ما غمرنى به فى خطابه من كلمات طيبة ، أرجو أن تتيح لى الظروف قريباً إجابته إلى سؤله

محمد مصطفى

جريدة الوفاق فى عامها الخامس عشر

استقبلت جريدة الوفاق عامها الخامس عشر من عمرها المديد ؛ وهى تعالج الأدب والسياسة والاجتماع ، ولم يفتها — وهى التى تصدر فى غير العاصمة — أن تعنى بالناحية الإخبارية فضربت فى هذا المجال بنصيب

حكمت محكمة المنوفية العسكرية فى الجنحة ٧٧ سنة ١٩٤٢ بحبس عثمان محمود عثمان الجندى فلاح من جريس مركز أشمون خمسة عشر يوماً بالشغل لبيعه قمحاً بسعر أزيد من التسعيرة

حكمت محكمة المنوفية العسكرية فى الجنحة ٢٢٠ سنة ١٩٤١ بتغريم كل من محمد محمد نويشى ومحمد محمد محمد نويشى الجزارين بشبين الكوم ٣٠ جنيها لبيعهما لحوما بسعر أزيد من التسعيرة

حكمت محكمة المنصورة العسكرية فى القضية رقم ١٠٣ سنة ١٩٤٢ ضد عبده عبد المحسن عبده من المنصورة بالحبس شهراً بالشغل لبيعه لحوماً بأكثر من التسعيرة



قصة مصرية

واصلون ومنبتون

للأديب لبيب السعيد

لم يكن يرى شيئاً من هذه المناظر الجميلة المتنوعة التي يمر بها القطار ، ولم يكن يسمع شيئاً مما يدور حوله من أحاديث الناس . كان في دنيا الماضي يجوس خلالها ، ويقف على بعض مشاهدها وقفات طويلة مفكرة . هو ماض أليم ، ولقد كان نجح بعد جهود مرّة في إسدال الستار عليه ، وفي نسيان ما فقد فيه من آمال عزيزة فرّح فقدها قلبه قبل جفنه ، ولكن هذا الماضي انبعث الساعة أقوى وأوجع ما يكون !

كان يرتقب قطار الأسكندرية الذاهب إلى مصر ، فما راعه إلا ضابط كبير من رتبة « قائمقام » يربت على كتفه في بعض العنف قائلاً : « مجاهد ! من أين وإلى أين » . ولقد ذعر مجاهد أول الأمر إذ وجد صاحب اليد التي تربت على كتفه ضابطاً كبيراً لا يعرفه ولا يذكره ، ولكنه ما لبث أن ملك نفسه حين تبسم الضابط ضاحكا وهو يقول : « ألا تعرفني ؟ ألا تذكر محمد رأفت زميلك في مدرسة القربية الابتدائية في مصر ؟ ما أضعف ذا كرتك وأقل وفاءك ! ألست تذكرني حقيقة ؟ وهل نسيت ثالثنا ابراهيم عثمان ؟ إني أذكر بيتكم في القربية ، كم لعبنا فيه أنا وأنت وإبراهيم ! وأين ابراهيم يا مجاهد ؟ وأين مستقرك أنت الآن ؟ » وأجاب مجاهد في انكسار واختصار : « إبراهيم لا أعرف عنه شيئاً . إن خمسة وعشرين عاماً ليست قليلة يا بك . فأما أنا – وألقى بطرفه إلى الأرض خجلاً – فدرس هنا في طنطا في مدرسة شمس المعارف الأهلية . . . »

وجاء القطار ، فتصافحا وافترقا : الضابط إلى عربات الدرجة الأولى ، ومجاهد إلى عربات المؤخرة . . .

كان هذا اللقاء النّشرر الذي سعّر الوجد في صدر مجاهد ، ليس من حقد على زميله الذي ابتسم له الزمان فسار إلى غايته ، ولكن حقداً على الزمن الذي كاد له فرده خلف الصفوف . . .

ما أمض أن يتطلع إنسان فيرى رفاقه تقدموه على حين يرى نفسه منبتّاً فاقد الأمل ! لقد كان مجاهد أذكى لداته لبّاً وأقوامهم للتعلم استعداداً . . . ومحمد بك رأفت هذا الضابط المظيم الذي تنبئ شاراته النحاسية عن رتبته . كان أحد التلاميذ الكثيرين الذين كانوا يرنون دائماً إلى مجاهد معجبين ، ووادّين من كل قلوبهم لو يكون لهم بعض تفوقه وبعض رضاء المعلمين عنه . وآباء التلاميذ وأمهاتهم في حي القربية لم يكونوا يعرفون أنموذجاً ينبهون أبناءهم إلى احتذائه غير مجاهد . نعم ، مجاهد ! الذي يعمل الآن مدرساً أهلياً في مدرسة فقيرة ، والعطل من حلية الدبلوم ! والذي يتقاضى راتبه منجما من نصف جنيه ومن ريال !

كان مجاهد قد أحرز البكالوريا والتحق بمدرسة الحقوق ، وكان جده وذكاؤه يسوقان له البشرى ويضيئان بين يديه مناهج الأمل ، ولكن ظروفاً ألمت بآله ، فوجد نفسه يوماً مضطراً إلى العمل كيفما اتفق ليعول أسرة فيها بنات وبنون كالفراخ الزّغب . . .

ولم يبح لأحد من لداته بأمره ، ولم يفعل سوى أن مرّ بردهات المدرسة وأفنيتها جميعاً كأنما يأخذ لعينه الزّاد من منظرها وانطلق وراء أسرته في موطنها الأصليّ ، وهو يمسك بقلبه خشية أن يتصدّع . . .

وحين يَبْصر برفاقه الطنطاويين في إجازة العيد توارى منهم خجلا ، وإشفاقاً من أسئلتهم المحرجة عن أسباب انقطاعه عن الدراسة ، ولكن الحظ السيء مع ذلك أوقعه فيهم غير مرّة ، فعانى أسئلتهم ، وأجاب ، والحزن يمزّقه والكلمات تحتضر على شفتيه ، أنه يعمل مدرساً في مدرسة شمس المعارف . وتلقى من سخريتهم وضحكاتهم ما شاءوا وشاءت له الظروف . . .

وحين كانوا يقبلون على البلد صيفاً ، كان يلتقى ببعضهم

أحياناً ، فكانوا ـ وهم لم يتجاوزوا بعد عهد الطالب ـ يتكلمون إليه تكلّم من تعلم لمن لم يعرف من العلم شيئاً ... يتحدثون فيسرفون فى الإساءة إليه من حيث يشعرون أو من حيث لا يشعرون، قال أحدهم مرة وهو ضاحك : مجاهد هذا يصلح وكيلاً لمكتبي حين أكون محامياً ، فهو خير من يجمع لى عناصر الدفاع ؛ وأردف آخر : ولكنى لن أدعه لك فإنى سآخذه فى بطانتى حين أكون وزيراً . لقد كانوا يتحدثون منذ شبابهم الباكر حديث الحكام ، فكانت لهجتهم الشامخة العابثة تدمي قلبه الذى لم يكن وطّن للمصائب . ولقد كان يملأ نفسه الرقيقة العزيزة أنهم كانوا يفيضون أحياناً فى الحديث عن موضوعات فى القانون كان هو قد اطلع عليها قبل فراقه المدرسة وبدأ يشغف بها

كانت أياماً سودا . . كان يعرف أنه فى عمله الضئيل يعيش بلا أمل . وكان يتنبأ بأنه لن يتسم لنفسه ألبتة ؛ فإن فعل فستكون بسمة غير بسمته المعهودة : بسمةً أخرى هى بنت الكآبة وأخت الدمعة الحارة . لقد استبعد يوماً أن يكون هو مجاهد صاحب الآمال المرسلة بالأمس ، وود الموت صادقاً ، وما منعه أن يقبل عليه غير خوف على أعزاء له صارت إليه أزمّة أمورهم ، وفى رقبته باتت مسؤولية رعايتهم

وها هى السنون لم تُنصف السبّاق المنبتّ، وتركته مردود الجناح مكفوف الطّماح ، يريد التقدم فلا يستطيع . إنه منذ عمل مدرساً وهو يلوك منهج السنة الثالثة الابتدائية فى الحساب والجغرافيا والتاريخ ... يشقى بتكراره ، ويشقى بتلاميذ لا يبدو فيهم النابغ إلا نادراً : مظهرهم لا يشرح صدراً ، وعيونهم تنمّ عن أنهم جياع ، وملابسهم تنم عن أن أهليهم يعانون فى معاشهم مصاعب شداداً ... ! وأبناء الميسورين منهم يذيقونه بعبثهم واستهتارهم عذاباً شديداً ، فإن نهر واحداً منهم جاءه الناظر يقول حانقاً : تصرفاتك تنفّر التلاميذ وآباءهم من المدرسة وتحيلهم إلى مدرسة التاج التى تنافسنا !! ويتيه الناظر فيحتمل مجاهد ، ويقول فيسّمع ، ويأمر فيطيع ...

وها هم بعض تلاميذه قد سبقوه أيضاً : نالوا حظ التعليم العالى ، ثم تخرجوا إلى الحياة شباناً ناجحين ... وبقى هو وحده خلف هؤلاء ، وهؤلاء جميعاً ، لا يصل أن يكون مرؤوساً للكثير منهم !

ما برح مجاهد فى عمله الشاق يصحح أكداس الكراسات ويغدو على الصبيان الشياطين نحو ثلاثين حصة فى الأسبوع ، فيخلع من شبابه وصحته بُرداً بعد بُرد ... وهو مع ما يبذل من جهود لا يتقدم ولا يزيد إلا ضنًى كذُبالة تضئ للناس وهى تحترق !

لقد كان يوشك أن يموت كمداً وألماً كلما ذكر أنه لا يحمل إلا شهادة يحملها الصبيان ويتقدم لها فى العام أكثر من خمسة آلاف طالب . إن المفتش والناظر والمعلمين والطلاب لا يقيسون كفاية المعلم إلا بمقياس واحد : « الشهادة » ... وهو سطا به الدهر سطوةً حرمته هذه « الشهادة » ... فسلام على الحياة الرغدة ، وعلى التقدم ، وعلى الأمل ... ! وويلٌ لابنه من الخجل الشديد حين يسأله زملاؤه عما يحمل أبوه من شهادات ... !

هذه الآلام التى ظلت تعبث به سنين طويلة استطاع اليأس ولا شيء غير اليأس أن يواريها انكشفت اليوم حين التقى مجاهد برأفت بك . . . فهى تلذعه لذعاً أليماً ، وتعيد له مأساته جديدة

أين أيام مدرسة القربية حين رأفت وإبراهيم عثمان لا يتركانه إلا لماماً ، حين كانت الحياة لينة الأعطاف عليهم جميعاً ، وكان هو أذكاهم وأقواهم ! خفض الزمان الثقيل ورفع الخفيف ! ! هذا رأفت وصل يقيناً ، فكيف بإبراهيم وهو كان أنشط من رأفت وأذكى وألمع ؟ ... كيف وهو منذ طفولته أبعد مطمحاً وأكبر لبانة ؟ هو لا بد الآن يتسوّر المجد ... حكم الله ! إثنان يركضان دراكا وثالثهم يزحف زحف الكسيح ! واضطرب كيان نفسه ... وفاضت عيناه بالدمع الغزير ... كأنما كان معه فى القطار ميت عزيز! والتفت فرأى أناساً يرقبونه فى تعجب ، فاستحى أن يبدو أمامهم فيّاض الشؤون ، وأحب أن يكذب ظنهم ، فوقف فى نافذة القطار ليدع للهواء تجفيف الدمع بدل المنديل ...

أنّى لمجاهد بالعزاء ، وهو من بين أترابه الحى الميت ؟ ما أشوق مجاهد إلى الانفراد بنفسه ليتعاطى البكاء دواء يشفى دائه الثائر ! ؟ ولكنه لا يستطيع حتى هذه اللذة ، لأن السافرة كثيرون ، والفضال كثير !

وحلق فى السماء ضارعاً يشكو بثه وحزنه إلى الله ، ولكنه

ذكر أن الله عليه غضبان ، فهو منذ خاطت له الأيام محنته يغسل أشجانه فى الكأس المحرّمة ، فأرجع بصره إلى الأرض خاشئاً ذليلاً حيران ...

وخفف القطار الجاهد من سيره وهو داخل محطة بنها ، وأقبل الباعة على السَّفْر يصيحون : التين ! الكازوزة ! خبز وبيض ! سجاير ! كانت نداءاتهم عالية مسرعة ملحة كأنما يستنجزون بها المسافرين صدقة ! وفى زحمة العربات وغمار اللَّغط ، كان صوت عالٍ مسرع ملحٌ كسائر أصوات الباعة ، ون أسود خاشماً : الكتب ! التتائج ! القصص ! طوالع الملوك ... ونظر مجاهد إلى صاحب الصوت مأخوذاً ... إنه رجل ترهقه ذلة ناطقة ويحوطه انكسار يروع ... إنه رجل مشتعل الرأس شيباً وعلى صفحته خطوط تتكلم بما يؤوده من أوقار الدهر وعما يُظلم عليه من شباب الحياة . كل ما بين ذراعيه عدد من الكتب الرخيصة التى لا تروج إلا عند العوام وأشباههم وليس ثمنها ببالغ مهما بلغ عشرين قرشاً .

هذا البائع المسكين يهيج موضع الإشفاق والحب والرحمة فى مجاهد . ما أشبهه بإبراهيم عثمان فى جملة سمته ، ولكن هذا البائع بادى البؤس ، وإبراهيم وهو ابن الأسرة الغنية يتفيأ ظلال النعمة ... ولكن هذا البائع مكتئب وكأن الدموع فى عينيه تضطرب ، والعهد والظن فى إبراهيم أنه مملوء الوجه بنضارة الحياة ، منفرج الثغر دائماً عن بسمة لا تغيض . . . ولكن هذا البائع يزحف إلى الستين ، وإبراهيم وهو فى سن مجاهد لمـا يقتحم الأربعين

إن قلب مجاهد لينازعه إلى إبراهيم صديق الطفولة والصبا . يارُبَّ يوم أمضياه فى مرح لا تشوبه شائبة ، ويا ربَّ أقاصيص تبادلاها على صفاء ومحبة !

ليت مجاهداً يرى إبراهيم ليحيى وإياه ذكريات صباهما السعيد . ليته يراه فلقد يجد فيه متنفساً لصدره الضيق وروحاً لقلبه المحرور كما كان يجد فيه عوناً على مشاكله الصغيرة أيام الحداثة . . . بل ليته لا يراه مدّ العمر حتى لا يزداد قلبه احتراقاً حين يرى نفسه خلف الزِّحام وتربه فى مقدمة الموكب ...

يا ويلتـا ! أشَرِبَ أحدٌ من لداته كأس البؤس مريرة كما شرب ؟ لقد حادت عن قصدها أحلامه وصدعه وحده ريب الزمان !

ودنا البائع من مكان مجاهد يتخطى أمتعة المسافرين فى عناء ، ويرفع من نداءاته كأنما يسترحم بها وبنظرات عينيه سفاراً سيتركونه فى جزيرة مهجورة ... دنا من مجاهد ، وما التقت عينه بعينه حتى هرع إليه : مجاهد ؟ مجاهد أفندى . . . أإنك لأنت مجاهد ! !

— نعم ، هو أنا ؛ وأنت ؟ أتكون إبراهيم عثمان ؟

وتعانق الصديقان القديمان ... ولكن صفير القطار لم يمهلهما حتى يعرف كل منهما شيئاً عما كان فى حياة صاحبه ...

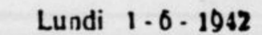
هبط إبراهيم ... وانطلق القطار بمجاهد ...

(منصورة) لبيب السعيد

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



0 me Année No. 465



Lundi 1 - 6 - 1942

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ عن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٤٦٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٦١ — الموافق أول يونية سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

صداقات الأدباء

للأستاذ عباس محمود العقاد

لو تكلم القدر لأسمعنا العجب من ظلم الناس ، وهم يحسبون أنهم المظلومون لأنهم يطلبون ولا يجابون ، ولا يسألون أنفسهم مرة لماذا يحال بينهم وبين ما يطلبون !

فربما طلبوا ما لا يكون ، وربما طلبوا شيئاً وهم يريدون غيره بل يريدون نقيضه ، وربما طلبوا الشيء وتوسلوا إليه بغير وسيلته ، ثم يعرفون خطأهم فلا يطلبونه بعد ذلك بوسيلته المثلى

والأستاذ توفيق الحكيم أراد الصفاء بين جميع الأدباء ؛ فهل أراد شيئاً يكون فى هذه الدنيا ؟ وهل أراده حقاً ؟ وهل توسل إليه بالوسيلة المثلى ؟

إن ثلاث « لاءات » مفخمات غير أصدق جواب على هذه الأسئلة الثلاث

فالصفاء بين جميع الأدباء معناه الصفاء بين جميع الناس ، وليس هذا بميسور ولا هو بلازم للأدب ولا للأدباء

فلماذا تصفو العلاقات بين جميع الأدباء ، وهى لا تصفو بين جميع الآدميين ؟ إن الصفاء قد يتحقق بين طبيب ومهندس ولا يتحقق بين مهندسين أو طبيبين . وقد يتاح لرهط من الأدباء كما يتاح لرهط من أبناء الصناعات المختلفة ، ولكنه لن يتاح لجميع الأدباء في وقت واحد ، ولن يتاح لجميع الناس من صناعات

الفهرس

شتى ولا صناعات متفقة . وليس تخصيص الأدباء هنا بالمطلب المفهوم إلا إذا عممنا الطلبة للأدباء وغير الأدباء ، ورفعنا الكدر من جميع الأحياء . وهذا ما ليس بكائن ، ولا نراه مما يكون

فالأستاذ توفيق الحكيم هنا لم يطلب شيئاً يجاب

ولكننا نعود فنسأل : هل طلبه حقاً ؟ وهل اجتهد فى تحقيقه فتوسل إليه بوسيلته المثلى ؟

إن الذى يطلب الصفاء لا يبحث عن أسباب الكدر بملقاط ليخلقها خلقاً بين رجلين على أحسن ما يكون من الصفاء ؛ بل هو يمحو منها ما وجد إن كان له أثر محسوس ، ولا يوجد منها ما ليس له وجود ولم يحسه أحد ولا توهمه ، ولا وقع فى ظن من الظنون

فماذا صنع الأستاذ توفيق الحكيم ؟

حمل ملقاطه ووضع مجهره على أنفه وراح ينبش ما بين السطور وأطال النبش بينها ليصيح بعد ذلك : وجدتها ! وجدتها ! ...

هنا سبب من أسباب الكدر كامن بين السطور لعله لا يظهر على وجه الكلام ولكنه مستور هنالك لمن يبحث عنه ويجرى وراءه ، وهو لهجة تعالٍ فى الشكر ، أو لهجة يخيل إلى من شاء التخيل أنها تشف عن التعالى ولا تبرئ الشكر من الجفاء .

ثم يصيح برجلين يفهمان ما يقولان وما يقال لهما : أرأيتما ؟ أليس خليقاً بكما ألا تصفوا ؟ أيليق بكما أن تصفوا وبينكما هذا الذى أراه مانعاً للصفاء !

ذلك ما صنعه الأستاذ توفيق الحكيم

فهل فى وصفه مبالغة ؟ وهل صورناه بغير صورته القريبة التى تعرض نفسها لكل من ينظر إليها ؟

أهدى إلىّ الدكتور طه حسين قصته « دعاء الكروان » فجعلت هذا الإهداء موضوع مقال من أعماق النفس فى معنى الكروان ودعاء الكروان وذكريات الكروان ، وقرأه كثيرون من الأدباء فحدثونى عنه حديث رضى وسرور ، وفى مقدمتهم الدكتور طه مهدى دعاء الكروان

أما الأستاذ توفيق الحكيم فماذا صنع ؟

لم يرضه ما أرضى الدكتور طه ولا ما أرضى الأدباء ولا ما أرضى كثرة القراء ، وراح يتحدث ويكتب ليقول : هنا صفاء ... فكيف بالله يليق هذا الصفاء ؟

لو كان الأستاذ توفيق الحكيم يطلب الصفاء ويتوسل إليه بوسيلته المثلى لكانت له ندحة مما صنع ولو لم أكتب ذلك المقال عن دعاء الكروان .

نعم كان فى وسعه أن يقول بينه وبين نفسه : لعل واجب الشكر قد أُدى فى رسالة أو فى مقابلة ، أو سيؤدَّى فى سانحة أدبية يأتى أوانها فى حينها ، أو لعلى أعرف الحقيقة إذا عنيت بالسؤال عنها عند أهلها .

هذا ما كان فى وسع طالب الصفاء أن يصنعه ولو لم أكتب مقالى فى « دعاء الكروان »

ولكن الأستاذ الحكيم لم يصنعه . ولم يزل يحمل ملقاطه ويضع مجهره على أنفه ، ليخلق الكدر من شىء يبحث عنه بين السطور ، ولا يراه على ظاهر السطور

أهذا هو طلب الصفاء والسعى إليه ؟

فماذا يكون السعى إلى خلق الكدر والإشفاق من دوام الصفاء ؟

* * *

كانت المناقشة بين الأستاذين زكى مبارك وتوفيق الحكيم قائمة يوم لقيت الأستاذ توفيقاً فى إحدى المكتبات وفيها صديقنا الأستاذ على أدهم . فجرى ذكر تلك المناقشة وصارحت الحكيم فيما أراه فقلت له : إنك لم تبحث عن أسباب الإنصاف بعض بحثك عن أسباب الجفاء ؛ لأننى لا أعرف ولا أذكر أننى قصرت فى حق زميل إبان اشتغالى بالصحافة وتولّى فيها صفحة للأدب ودراسة المصنفات . فكل أديب أرسل إلىّ كتاباً فى هذه الأثناء فقد نوهت به وكتبت عنه ، ولكننى أنا أرسلت كتباً إلى زملاء يعرضون للمصنفات فى المجلات فلم يذكروها ولم يشيروا إلى صدورها . فلماذا نسيت هذا وحاسبتنى على ما تقول إنه شكر لم يبلغ ما تتخيله من الرقة والنعومة ؟ لماذا تحاسب من يكتب ولا تحاسب من يهمل ؟ ما الذى يعفى أولئك الزملاء من عرفان حق ، ويوجب علىّ أنا أن أبلغ الغاية التى يتخيلها كل متخيل من عرفان الحقوق ؟

وتكلم الأستاذ الحكيم عن أولئك الزملاء فقلت له : إننى لا أفردهم بالملاحظة ولا أستثنيك أنت منها . فقد كتبت عنك مرتين أو ثلاثاً فكم مرة كتبت عنى ؟ وما الذى يعفيك من هذا

الواجب الذى لا أذكرك به إلا لمناقشة رأيك لا لأننى أطلبه أو أحتاج إليه ؟

ثم بينت له موقفى من تقريظات العظماء الذين يثنون على كتبى فأشكر لهم ثناءهم ولا أنشره فيما أطبعه من كتبى ، وإن كان فى نشره فخر أعتز به كما يعتز به سائر المؤلفين

بينت له ذلك لكى لا يقع فى روعه أننى أطالبه بواجب الكتابة أو أتقاضاه حقاً من الحقوق . فلو أردت ذلك لعمدت من قبل فى عشرات السنين الماضية إلى نشر الكتابات التى وصلت إلى يدىّ وهى مما يسمَح بنشره فى جميع البلدان

ثم افترقنا ولم أسمع من الأستاذ الحكيم فى تلك المقابلة ما يذهب بدهشتى من سعيه إلى الصفاء بذلك الأسلوب ، ومن محاسبته إياى على الوهم بين السطور وهو يرى أناساً يسهون كل السهو عن حق الأدب وحق الزمالة ، فيغضى عن الحقيقة الماثلة ، وينسى السطور وما بين السطور

وفارقنى تلك الليلة ولا أدرى ما فى نفسه ، ولعله كما علمت بعد أيام قد تبين صواباً فيما قلت أو فى بعض ما قلت فعدل إليه وكتب مقاله المشكور عن كتابى « عبقرية محمد » فقدمه بكلمات يقول فيهـا : « وقد سمحت لنفسى بالسبق إلى أداء هذه التحية ، لأنى فطنت إلى أنى المتخلف دون غيرى عن أداء الواجبات ، وليس لى من عذر إلا انصرافى عن باب النقد منذ أول الأمر » .

وهو موقف بار أحمده له كل الحمد وأعتقد أنه قد حُسب له عند القراء كما حسب له عندى فى عداد الخلائق المرضية والفضائل الخلقية . ثم وجه إلىّ بعد أيام أخرى خطاباً يقول فيه :

« إنك للمرة الأولى تخاطبنى بهذه اللهجة التى كنت تخاطب بها الرافعى رحمه الله . أبهذه السرعة تضع النـاس فى صف أعدائك ؟ لعلك لفرط ما قاسيت من شر الناس ، ولقلة ما وجدت من خيرهم ، أصبحت مثل « هملت » تستل سيفك لتضرب من خلف الأستار دون تبين الوجوه . فطعنت صديقاً وأنت لا تدرى »

ولا أظن أننى أشبه «هملت» فى كثير من خصاله وفعاله ؛ ولكنى إذا سئلت لم صنعت صنيع « هملت » ؟ أفلا يجوز لى أن أسأل : ولم الوقوف وراء الأستار ، وأولى من ذلك الخروج إلى وضح النهار ؟ أليس هنالك بعض اللوم على من ينصت خلف الستر ليسمع ما لا يُسمع ، أو ليقول ما لا يقال ؟ !

* * *

وبعد ، فمـا العبرة من كل أولئك فى تاريخ الأدب ونقده وسلوك الأدباء مشهورين كانوا أو غير مشهورين ؟

العبرة من أولئك « أولاً » أن الأستاذ الحكيم يقول بعد الإشارة إلى ثناء الدكتور طه عليه منذ سنوات : « ... لم نسمع فى غير مصر أن الناقد إذا أثنى على كتاب حسب أنه تفضل على مؤلفه ورفع شأنه من الحضيض ، وأن على المؤلف واجباً مقدساً هو أن يشترى من فوره سبحة كيلا ينسى أن يسبح بحمد الناقد آناء الليل وأطراف النهار ... »

كذلك يقول الأستاذ الحكيم اليوم . فليذكر مقاله الأدباء الناشئون الذين يؤمنون بكفاءة تشبه كفاءته الفنية ، ليذكروا أنهم يطلبون شيئاً ينكرونه جاهدين بعد بضع سنوات : يطلبون التشجيع ثم ينكرون التشجيع ، وكان أحرى بهم ألا يطلبوه وألا ينكروه ، فما سمعنا فى غير مصر أن الأدباء المشهورين مسئولون عن شهرة كل أديب ينشأ بعدهم ولا يعرف لهم حقهم ، وإلا كانوا هم الملومين المقصرين

وعبرة أخرى أن الأستاذ الحكيم يذكر التعالى فى موقف الكاتب وينسى أنه اختار لأدبه عنوان « البرج العاجى » وهو عنوان الأدب المصطلح على وصفه بالتعالى بين نقاد الغرب وشعرائه . فليترك برجه العاجى إذن أو فليتركنا نحن نتعالى ونتواضع كما نشاء

وعبرة ثالثة أن الأستاذ يحن إلى صداقات فى الأدب المصرى كالصداقات التى أثرت عن كبار الأدباء الغربيين

وأن أناساً لتأخذهم السممة البعيدة فى زمانها أو البعيدة فى مكانها فليلحقونها بعالم الخيال وعالم المثال ويسهون عن الواقع الذى لا يقبل المحال

وأعيذ الأستاذ أن يكون من هؤلاء

فتاريخ الآداب الأوربية بين يديه يستطيع أن يرجع فى كل ساعة إليه ، ويستطيع أن يعلم بعد المراجعة أن فى الأدب العربى حديثه وقديمه صداقات تضارع تلك الصداقات مع حسبان الفارق فى البيئة والزمن والمناسبة

أعداد الرسالة الخاصة

فى سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية ، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة ، ينوه بفضله ويعرف بأهله . وستبدأ بعـدد العراق . والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هـذا الواجب بإرسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

الخطاب الذى احترق

بسعير الانفاس

« للكاتب المجهول »

هو خطاب تلقيته من « فلانة » فى سنة ١٩١٩

فما صبرُ القلب على غرام مشبوب يدوم ثلاثة وعشرين عاماً هى كألف سنة مما تعدّون ؟ ما صبر القلب على « فلانة » وفى مثلها قال المجنون :

وشاب بنو ليلى وشبّ بنو ابنها وأعلاق ليلى باقياتٌ كما هيا

كان الدهر سمح فى غفلة من غفلاته بأن ألقاها بعد طول الفراق ، ثم استيقظ الدهر فعرفت ما لم أكن أعرف ، عرفت أنى لن ألقاها بعد ذلك ولو انتظرت إلى أن تشيب ناصية الزمان

فمن يبيعنى مثقالاً من الصبر الجميل عسانى أتناسى أحزانى وأشجانى ؟

وهل يباع الصبر فى هذه البلاد ؟

وهل ترك الاتجار فيها بما تحدث عنه القرآن من عدس وبصل وفول مجالاً للاتجار بالصبر الجميل ؟

خذوا أملاكي وخذوا حياتى فى سبيل لحظة واحدة أقضيها فى حضرة « فلانة » لأجدد التوبة من ذنوبى ، ولأجدد العهد ، إن كانت ترتاب فيما بينى وبينها من عهد

أكان ذلك اليوم آخر أيامى ؟

أفى الحق أنى لن ألقاها بعد الوشاية اللئيمة التي نفرتّها منى ؟ دنيا من الأحلام تقوّضت فى لحظة أو بعض لحظة بفضل

كلمة نقلها أو اختلقها نمامٌ أثيم ، فما ذنبى ولم أقل فى « فلانة » غير الصدق ؟

ما ذنبى ولم أقل إلا أنها كانت على تطاول الأيام أحب إلى قلبى من سائر عرائس الشعر والخيال ؟

ما ذنبى ولم أوجه إليها فى حياتى كلمة واحدة تجرح الذوق ؟

إنما الذنب ذنب من ائتمنته نخان ، وكنت أحسبه أهلاً لتلقى أسرار الروح الحزين ، وهل كنت أول عاشق خدعه الواشون والرقباء ؟

الله يعلم كيف انخدعت ، فقد حسبت أن طهارة القلب تُعدى ، وظننتُ لجهلى أن فى الدنيا ناساً يتذوقون أخبار الحب العفيف ، ولم أكن أدرى أنى أكتب لنفسى صحيفة الاتهام وأنا برىء ، وكم فى السجن من أبرياء !

لن أرى ذلك الوجه الأصبح بعد اليوم لأن صاحبته لا تريد أن ترانى

وكيف أراها وهى تصدر أمرها المطاع بأن أرد إليها الخطاب الوحيد الذى طلّت به قلبى سنة ١٩١٩ ؟

ومن يصدق يا فلانة أننا كنا رفيقين فى ذلك التاريخ ؟

هو خطاب أحرقته أنفاس الوجد ولم يبق منه غير أطياف ، فما حرصك عليه وهو خيال فى خيال ؟

سأردّ ذلك الخطاب بلا تسويف

لا ، لا ، لن أردّ ذلك الخطاب ولو قُطّعت أوصالى ، فهو الوثيقة الباقية على أنك كنت رفيقة صباى ، يا مثال الشرف والطهر والعفاف

سيوضع ذلك الخطاب فى كفنى يوم أموت ، فانبشى قبرى وخذيه إن عرفت طعم الحياة بعد موتى ، يا قريبة المذول الذى أفسد ما بينك وبينى ، وهى أول مرة عرفت فيها عن تجربة أن الدخان القريب يُعمى العيون

لو كنت فاجراً لعرفت ذنبى واسترحت

وهل يكون الفجور أشنع مما وقعت فيه ؟

أنا أسلمت زمام أسراري لمخلوق توهمته يدرك شرف الحب ، فكان منه ما كان ، فمن يصلح ما بيننا وقد ضاق فى وجهى صدرك الرحب ، ونقلك الغضب إلى الوقوف فى صف الزمان

أنا حزين ، حزين ، حزين

وما أحزن على نفسى ، فقد شبعت من الزمان وشبع منى ،

فهل يعنى الأستاذ صداقة شعراء البحيرة فى انجلترا ؟ هل يعنى صداقة شلى وبيرون هناك ؟ هل يعنى صداقة جيتى وشلر بين شعراء الألمان ؟ هل يعنى صداقة تولستوى وتورجنيف وديستفسكى بين عظماء الأدب العالميين من الروسيين ؟

إن كان يعنى هؤلاء وأمثال هؤلاء فهو واجدٌ فى الأدب العربى الحديث صداقات من طراز تلك الصداقات ، وواجدٌ من هناتهم فى الغرب نظائر لما يشكوه من هنات الزملاء المصريين والشرقيين والطبيعة البشرية واحدة فى كل مكان ... تلك أصدق حكمة من الناس قالها إنسان .

عباس محمود العقاد

ولم يبق لى ما أخاف عليه بعد أن عانيت فى دهرى ما عانيت ، وإنما أحزن لارتيابك فى أمانتى ، وعنك تلقيت دروس الأمانة والصدق والوفاء

فإن فقدت عطفك فقداً أبدياً فقد خسرت بجانبه مودة ذلك العذول ، وكنت أحسبه أشرف الناس ، وهو لك قريب ، وظلم ذوى القربى أشد من وقع الجراز المصقول كما قال بعض القدماء

الوداع ، يا رفيقة صباى ، وداع الزهر الظامئ لقطرات الغيث ... أما الخطاب فقد أحرقته أنفاسى ، وأما العذول فسيحل عليه غضب الله ولعنة الحب ، ولن يلقى فى دهره غير الشتات ، وسيكون هو وأهله ومن يحيط به طعاماً لنيران الوشايات والأباطيل

الوداع ، يا رفيقة صباى ، وداع الطفل لأمه الرءوم ، وداع الموجة المتكسرة على الشاطئ الأمين ، وداع الوليد للحياة وقد أعجله الموت فى يوم الميلاد ! !

لقيتك بعد يأس ، يا رفيقة صباى ، فكاد يقتلنى الجنون ...

فما الذى سيجنى الواشى وقد أفسد ما بينك وبينى بكلمة أقصر من ومضة البرق وأطول من كيد الزمان ؟

ومن أعجب العجب أن يكون ذلك الواشى أنضر من طلعة الصباح فى عين الشريد الذي طال شقاؤه بظلمات الليل

فما معنى ذلك ؟

هو الحية الملساء التى تسربت إلى رياض الفردوس لفتنة أبينا « آدم » وأمنا « حواء »

هو السم المدوف فى طيات « البرشام » الملفوف

هو العذول الذى استمد من شره أقطاب الصبابة والوجد والحنين

لن أراك ، يا رفيقة صباى ، بعد اليوم ، لأن قلبك أرق من أن يحتمل فظاظة الأراجيف ، ولأن لك زوجاً يؤذيه أن يكون لزوجته فى العشق تاريخ

الوداع ، وداع القلب الخائف لأطياف الأمان

الوداع ، وداع الجسد للروح

الوداع ، وداع الشاعر لديوان من أشعار الوجدان أكلته النار فى يوم عاصف

الوداع ، وداع المحب للمحبوب على غير أمل فى اللقاء

الوداع ، وداع المحكوم عليه بفراق الأهل إلى أن يموت فى غيابات السجون

لن نلتقى بعد اليوم ، يا رفيقة صباى ، إلا فى الفردوس

وأين أنا من الفردوس ؟

وهل لمن باح بأسرار الحب أملٌ فى الجنة والرضوان ؟

زعم الإنسان أنه أعظم من سائر الحيوان بفضل النطق ، وبالنطق هتكتُ أسرار الحب ، فضاعت منى رفيقة صباى ، فتى أعرف فضل الصمت ؟

الوداع ، الوداع ، وداع الكاتب لبياض الورق وسواد المداد

الوداع ، الوداع ، وداع الشاعر لعباب النيل فى ليلة قمراء من ليالى الصيف ، وإلى غير ميعاد ...

« الكاتب المجهول »

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

أغرب ما قرأت — نهاية فلان — بين الكفر والايمان

أغرب ما قرأت

فى بعض الأحيان نقرأ أشياء تلفت النظر لسبب أو أسباب ، ثم نراها أهون وأصغر من أن يجرى القلم فيما تنطوى عليه من غرض بعيد أو قريب

وآفة الأدب العربى لهذا العهد أنه لا يلتفت إلى الجزئيات ، بحجة أنها فى الغالب من توافه الشؤون ، مع أن الحوادث الصغيرة قد تضمر فى طياتها متاعب خطيرة ، ومع أن العقل يوجب أن ندرس جميع الأشياء دراسة نقد وتشريح

وأنا اليوم أسوق خبراً تافهاً جدًّا ، وإن كنت أعتقد أنه أغرب ما قرأت ، فما ذلك الخبر التافه الغريب ؟

للشركات الأجنبية فى مصر أسلوب ظريف في اختيار اللغة التى تُعامِل بها الجماهير ، فهى تكتب باللغة العربية فى حال ، وبإحدى اللغات الأوربية فى أحوال ، فإن كان ما تكتبه نوعاً من الإعلان جملته باللغة العربية ليفهمه الجمهور بلا عناء ، وإن كان ما تكتبه متصلاً بالعقود جملته بلغةٍ أعجمية ، لتخفى دقائقه على أكثر الناس !

هذا هو الخبر ، فهل ترونه من التوافه ؟ وهل ترون أنه على تفاهته يستحق الالتفات ؟

نهاية فلان

هو كاتبٌ فصيح يعرفه قراء اللغة العربية من أعوام طوال ، ثم تحوّل فجأةً إلى كاتبٍ عاميّ اللغة والمذهب ، فما سببُ هذا التحول المزعج ؟

كان فى بداية حياته الأدبية يرتاب فى قدرته على الإنشاء الفصيح ، فكان يبحث عمن يقوّمون عباراته ، ويرفعون عنها آصار العُجمة والتهافت ، وبهذه الخطة كانت ثقته بنفسه تضعُف من يوم إلى يوم ، ثم رأى أن يتحرر من سيطرة المراجعين والمصححين فأعلن أن اللغة العامية أحسن اللغات وأنه سيجعلها لغته المختارة إلى أن يقضي الله فى أمره ما هو قاض .

كان فلان ولن يزال من أهل الرأى وأصحاب الخيال ، وكَذَب من ادّعوا أنهم قولوه ما لم يقُل وأنهم مصدر الوحى لأدبه الجيل

فهل نرجو أن ينظر فلان فى هذه الكلمة الخالصة لوجه الأدب والحق ، فيكتب اللغة الفصيحة على سجيته وفى حدود ما يطيق ليصبح بعد قليل وهو من أساطين البيان ؟

فلان شخصية كريمة الجوهر ، وضياعُها على الأدب الفصيح ضربٌ من الخُسران ، فهل يرفق بنفسه فيروضها رياضةً جديدة على أساليب الفصحاء بلا تكلف ولا افتعال ؟

القليل من وحى الطبع أجدى وأنفع من الكثير المصنوع ، فارجع إلى طبعك يا فلان ، وانتفع بما فيه من ثروة أصيلة ، قبل أن يصعُب انتشالك من هُوّة مذهبك الجديد ، صانك الله وحماك !

بين الكفر والايمان

قيل وقيل : إن الأدب سيجوز فيه ما يجوز فى جميع الصناعات ، فيحترفه من يشاء حين يشاء ، ولو كان صغير الرأس أو نحيل الوجدان

وأقول : إن الأدب شريعة ربانية لا يصلح لها غير المصطفَين من أرباب القلوب ، فمن العسير أن يضاف إلى أهل الأدب من لا يخطُ حرفاً إلا وهو مَسُوقٌ بإرادة خارجية ، على نحو ما يصنع الفارس الذى رسمته يد البهلوان فى أحد الأشرطة السينمائية

الأدب إيمانٌ وثيق لا يعرف الأشخاص ولا الأزمان ولا الظروف ، فليس بأديب من يفرح لأن صدراً يحتضنه بلؤم أو بشوق ، ليجعل من أنامله أداةً يلتقط بها الأشواك ، وليس بأديب من تخدعه الخوادع الوقتية ، فيتوهم أن الخلود نعمةٌ يجود بها أهل الفناء

الأدب فوق ما يتوهم الأصاغر من طلاّب المِنح الذواهب ، الأدب قوةٌ ذاتية يتوحّد بها صاحبها توحد الليث ، فليس منا من يرى الحياة أو الجاه فى التشرف بخدمة هذا المخلوق أو ذاك ، وليس منا من يعقّ إخوانه ليظفر بازاد المأدوم بالزور والبهتان ... الأدب الحق منحة ربانية يجود بها الله على أرباب القلوب

زكى مبارك

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٨ مارس سنة ١٩٤٢ فى القضية رقم ٦٥٤ سنة ١٩٤٢ ضد عبد المنعم اسماعيل رحال تاجر بدمنهور بالحبس شهرا مع الشغل وغلق محله لمدة ثلاثة أيام والنشر على مصاريفه لبيعه ذرة بسعر أزيد من التسعيرة

رســـالة الطالب

[مهداة إلى طلاب العرب فى جميع الأقطار]

للأستاذ سعيد الأفغانى

« سلمنى طالب فى طريقى كتاباً باسمى ففضضته فإذا هم يطلبون منى أن أجيب كتابة على هذا السؤال : ما هى السبل التى ترونها ناجعة فيتجه إليها الطلاب ليكونوا الجيل الجديد : عماد البلاد الحقيقى ؟ وقد آثرت نشره هنا فى مجلة العرب تعميماً للفائدة ، وسلكت فى الاجابة طريق التبسيط والمثل ، متجافياً عن القواعد والنظريات ، وكل ما يحول دون فهم الطلاب لها الفهم الجيد »

أراد أحد كبار المحدثين أن يختصر الطريق على طالب يتخرّج عليه فى الحديث ، فحفّظه مدة عشر سنين أربعمائة ألف حديث بأسانيدها . فلما أتقن الطالب الحفظ وودع أستاذه قبل سفره إلى أهله ، لم ينس هذا الأستاذ أن يخبره : أن هذه الأحاديث أربعمائة الألف كلها موضوعة لا تصح . فأسقط فى يد الطالب وقال : « أضعتَ يا سيدى عمرى فى حفظ ما لا يصح . أساغ فى ذمتك إهدار عشر سنين هن أنضر العمر ؟ » . فابتسم الأستاذ ، وهدأ من حزن تلميذه قائلاً : « لم يضع شىء ، الآن يا بنى أبصرت الطريق ، وصرت آمناً عليك كل تدليس ، مطمئناً إلى دخولك غمار هذا المجتمع الزاخر بالوضع والكذب والتلفيق ، ولن تعجزك بعد هذا معرفة الصحيح »

***

أعجبتنى طريقة هذا المحدث ، ووضحت لى حكمة الأصوليين القائلين : « درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة » . والخير فى أن نحكم الوسائل السلبية لكل أمر قبل العناية بوسائله الإيجابية ، وأن نعنى بدفع الضار أضعاف ما نعنى بجلب النافع . فهل من حرج على إذاً ، إن أنا عدلت عن بيان ما يجب لبناء الجيل الجديد إلى بيان أسباب إخفاقنا نحن أبناء الجيل الحاضر فلعل أول النجاح لأبناء المستقبل أن يتوقّوا ما ارتطم فيه مَن قبلهم

تسألون — أيها الطلاب — عن السبل الناجعة فى تكوين الجيل الجديد ؛ ألا فاعلموا أنها سبيل واحدة فقط ، خطوتها الأولى أن تتجنبوا ما تورطنا فيه نحن أبناء الجيل الحاضر ، من عبودية لكل تقليد ضار فى أخلاقنا وعاداتنا ونظمنا وتعليمنا . ولقد كان من أعظم الأسباب فى إخفاقنا أمور ثلاثة : خلق منحل تستره دعاوٍ عريضة من الكمال والفضيلة والوطنية ؛ وعلم مزيف كاذب خير منه الجهل الصريح ؛ وفقر فى وسائل كسب العيش من طرقه الشريفة ، هو أحد المظاهر فى فقدان الرجولة . لم يثبت لنا — ولا حكم للنادر — أثر نافع فى باب من أبواب الجد ، ولم نستطع أن نتحرر مما غرسوا فى أفكارنا فأكثرنا مقلدون ببغاوات .

فإن رأيتمونا بعد هذا — والعالم من حولنا يجدّ — أحلاس الملاهى والمقاهى والحانات ، مبددين فيها دم الشعب وثروته ، نصف نهارنا ومعظم ليلنا ، حاملين لأنظاركم أخنث الهيئات و(أميع الموضات) من تلميع وجوهنا وأحذيتنا وتصفيف شعورنا حتى إطالة أظافرنا ... إن رأيتمونا كذلك فاغفروا لنا هذه الإضاعة وهذا الانتحار ، فلعلنا ضحايا خطط خفية محكمة

لا تمقتونا على إهانة الخلق وتبديد الثروة وقتل الوقت ووأد الكرامة والرجولة ، فما ينتظرنا من مقت الله والوطن أكبر من مقتكم .

لا تقلدونا ، فإنكم مخلوقون لزمان غير زماننا ، لزمان صعب كله جد ، لا مكان فيه لغير المجدين العاملين ... وما كان زماننا لعباً ، ولكنا طبعنا على غرار واحد : أن نكون أطفالاً كباراً عالة فى كل شىء ، لا نهتف إلا بما يوحى إلينا ، معطلين عقولنا وضمائرنا ، أبواق دعايات نموهها بالعلم أحياناً ، وبالنهوض بالوطن والدين أحياناً ، ثم نروغ إلى حيث نؤدى الحساب ونأخذ الأجر ونتلقى التعليمات لنعيد تمثيل الدور كرة أخرى

منا الذين ورثوا الثروات الطائلة ، ولم يكن آباؤهم قد أخذوهم بتثقيف ولا تهذيب اعتماداً على غناهم ، فلما آلت إليهم الثروة كانوا على جهل تام بطرق تنميتها وحفظها فوكلوا أمر تدبيرها إلى مرتزقين خانوهم ، وانصرفوا إلى حاناتهم ومقاهيهم ومحال رذائلهم فما زالوا بها حتى خرجوا عن آخر قرش منها ؛ وألحت الرذيلة ، ولم يكن بدٌّ من كسبٍ ما بعد أن ركبتهم الديون ، وكان هناك من يحتاج إلى أسماء أسرهم الفخمة فباعوه ضمائرهم ومصالح وطنهم وكانوا شر قدوة لمن دونهم

ومنا الذين آلت إليهم الضياع الواسعة والقرى الغنية ، فأنفوا السكوت فيها ومباشرة الأعمال الزراعية ، والزراعة لا تدر خيرها إلا على من يمنحها جهوده كلها ، وهؤلاء استكبروا أن يكونوا (فلاحين) كآبائهم وأرادوا أن يعيشوا (بكوات)

فما زالت زراعتهم تخسر حتى رهنوا القرى والضياع فى مصارف أجنبية ، تخلى بيدها الرهن ، ثم صاروا إلى مآل أرباب الثروات

ومنا الذين أرسلتهم أممهم ليأتوها بعلم الغرب وثقافة الغرب ومحاسن الغرب ؛ وأنفقت عليهم من أموال فقرائها ومساكينها ، ولم يمنعها فقرها من السخاء بالإنفاق ، رجاء أن يعوضوا عليها بعلمهم وخبرتهم أضعاف ما خسرت ... ثم رجعوا ... فإذا بعضهم عمى عن ذلك كله ، وأتانا بمفاسد الغرب وانحلال الغرب وأزياء الغرب وخموره ورقصه ... وأنا أقسم غير متحرج ، أنك لو طفت الغرب كله لما رأيت من يعكف على الملاهى والقمار والخمور عشر الوقت الذى يعكفونه ... وهؤلاء — كما تعلم — أرباب أعمال لو قاموا بواجباتها لما فرغ أحدهم لغير طعامه يلتهمه التهاماً ، ونومه يقطعه تقطيعاً

ومنا الذين أخفقوا فى أن يعرف لهم أثر ما فى علم أو أدب ، وأصر عليهم من منحهم الوظائف والشهادات أن يذكروا بشىء من الأشياء ، فراموا شهرة من أخصر طريق . وهل أخصر من أن ينكر امرؤ الوحى حتى يسمى بيننا مفكراً ، ولو جهل أين ولد الرسول ، وأين تقع مكة من الشام ؛ أو أن ينتقص النبي والخلفاء فيكون مؤرخاً ، ولو اعتقد أن فاتح بغداد هو عمر ابن الخطاب ؛ أو يشتم الدين فيكون حر الأفكار ... فيشتغل بعض الطلبة بالرد عليه فى الصحف ، فيشتغل الناس بأمره ولو ساعة من نهار

ومنا الذين إذا كانوا فى وظيفة لم يفهموا ما يفهمه كل موظف فى العالم المتمدن من أن الموظف أجير لأرباب المعاملات ، إذا قصر فى الواجب عليه كان خائناً كالأجير الذى يسرق الوقت المأجور عليه ... فهم لا يفهمون الوظيفة إلا كرسياً ينتفخون عليه مصعرين خدودهم ، بأيديهم لفائفهم يدخنون ويتماجنون ، وأرباب المصالح وقوف يتألمون !

ومنا المتبطلون المأجورون لكل دعاية أجنبية : يروجون لها ويؤلفون لها الجمعيات والأحزاب ... فنا بحمد الله دعاة الفاشية والشيوعية والديمقراطية والدكتاتورية والإباحية ، وما شئت من مذاهب ونحل ودول ... كل ذلك يجد من يخدمه ويتعصب له وينافح عنه ؛ فإذا رحت تبحث عمن يخدم قضية بلاده خالصة ، رجعت خجلاً من ضآلة عددهم فى هذا الخضم الزاخر !

ومنا الذين إذا خرجوا من حيث يدرسون ، تحلقوا حلقاً فى حانات موبوءة ، وخيمة الهواء ، منتنة الريح ، إلى جانب مدارسهم ، على مرأى من طلبتهم ، يلقنونهم بذلك أقبح المثل وأحط الأخلاق وأبذأ الوقاحات ... حتى إذا كان للمعارف يوماً من الأيام وزير قوى الخلق غيور ذو نخوة ، وأذاع على موظفيه بلاغاً يحظر فيه على رجال التعليم ارتياد مباءات السقوط ، أمضى هؤلاء البلاغ ، وهرعوا من فورهم سراعاً إلى حاناتهم تلك ، فشربوا نخب البلاغ معربدين معططين ، وأصابت فيهم الوقاحة المتسفلة أحط دركاتها

أجل ... أيها الأعزاء ... منا كل ذلك ، ومناشر من ذلك مما لا أستطيع التصريح به ... فإن كنتم لا تتوقعون من هذه الجرائم الطفيلية خيراً ، لا لأنفسهم ولا لبلادهم ولا لأممهم ، فهذا هو الذى وقع ، وإن قدرتم أنهم يأتون على أمتن القواعد من أساسها ، فهذا ما أريد منهم ، وهذا ما عصف ببنائنا من قواعده . وإن عزوتم ما فى البلاد من كرامة وفضيلة إلى عمار الشعب وطلبته المعصومين وبعض خاصته المهذبين فأنتم على صواب

وإياكم أن تظنوا أن هذه السموم التى حملناها — شاعرين أو غافلين — هى محصول وطنكم ، أو أن بلدكم مما ينبت هذه الرذائل ، وفى فطنتكم غنًى عن التصريح ، وصدق الله العظيم (1)

* * *

وبعد ، فأحسبنى عددت — بأوجز لفظ — بعض الأسباب فى إخفاق جيلنا ، مما تسمح به الظروف ، وعسى أن ينفس الله الخناق فأعود ببعض التفصيل لما أجملت ؛ فإن وقاكم الله — أيها الطلاب — هذه الشرور ، وحمى جيلكم من هذه الآفات وتوابعها ، كونتم بأيسر سبيل عماد البلاد الحقيقى قوياً سليما

وإن كان لا بد من نصيحة إيجابية بعد ما تقدم ، فهى فى أن تأخذوا من مدنية الغرب أسباب القوة المادية كلها : فى العلم والتنظيم والصناعات ... أما غذاء أرواحكم وقانون أخلاقكم ، فانشدوهما فى تراثكم المجيد ... وحذار حذار أن تخدعوا عما مدت لصرفكم عنه الأحابيل ، وتنوعت المكائد ، ولطفت الحيل ، ودقت الأساليب ، وخفيت الخطوات ... ألا وهو : دينكم وثقافتكم ؛ عضوا عليهما بالنواجذ ، ففيهما — أيها الناشئون — كل قوتكم وعماد سلامتكم ، أفراداً وجماعات ...

لا تحيدوا عن سماحة القرآن وسمو الإسلام وتعاليمه قيد شعرة ، وكونوا فى ذلك رجالاً كل الرجال

(1) الآية : ٢٧ من سورة النمل

وتضلعوا جهد طاقتكم من تاريخكم المجيد ولغتكم الكريمة ، ساميين عظيمين كما خلقهما الله ، لا كما ينشرهما أبواق الدس من الجاهلين الادنياء ... وإن آنستم من بعض مرشديكم انتقاصاً لأبطالكم ، أو تزهيداً فى تاريخكم ، أو تحقيراً لكريم تقاليدكم ، أو تهويناً للغتكم ، فانبذوا إليه على سواء ، واعلموا أنه مأجور جاهل ، فلا تهتموا به ، فإنه يزاد أجره ، ويُعلى مقامه على قدر ما يحدث من فتنة أو ضجة ... دعوه يمت بدائه ، واعكفوا أنتم على دراسة تاريخكم ولغتكم ودينكم فى دور الكتب منقبين ممعنين فلكم على ذلك أجر المجاهدين الصابرين

ثم لا تسمحوا لأيٍ كان ، مهما عظمت مكانته أو طغت سطوته ، أن ينال من هذه الثلاث : كرامتكم ورجولتكم وعروبتكم ... فإنه لا خير لنا ولا لبلادنا فى شاب : لا كريم ولا عربى ولا رجل ! !

وكل ما أسأل الله : أن يعزكم ويعز وطنكم بكم ، وأن يجعلكم ممن قال فيهم : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين »

« دمشق » سعيد الأفغانى

فى الفلسفة الإسلامية

ابن باجه

للأستاذ عمر الدسوقى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

الفصل الثانى من تدبير المتوحد [1]

تكلم ابن باجّه فى هذا الفصل عن أعمال الإنسان ، والفرق بينها وبين أعمال الحيوان . أمّا الأعمال البشرية المحضة الخاصة بالإنسان فهى الصادرة عن الإرادة المطلقة : أى الإرادة المصحوبة بالاختيار والروية والتفكير الحر ، لا عن غريزة ثابتة فى الإنسان ثبوتها فى الحيوان . وقد يشارك الإنسان الحيوان فى بعض أفعاله كأن يهرب من مفزع أو يكسر عوداً خدشه ، لأنه خدشه فقط ، فهذا عمل حيوانى ، أمّا أن يكسره لئلاً يخدش غيره أو عن روية توجب كسره فذلك عمل إنسانى .

فالعمل الحيوانى إذاً هو الذى يصدر عن انفعال نفسانى وغريزة ثابتة كالغضب والخوف ، أمّا العمل الإنسانى فهو الذى يوحيه الفكر سواء تقدم الفكر انفعالٌ نفسانى أو مؤثر غريزى أم أتى بعده ، وسواء كانت الفكرة يقينية أو مظنونة . ويندر أن تكون أعمال الإنسان حيوانية على الإطلاق — لأنها على الأقل يصحبها التفكير فى تنفيذها — أما الأعمال الإنسانية البحتة فقد توحد ، وإذا تعاونت الغريزة والفكر كان النهوض للعمل أقوى .

وأمّا من يفعل الفعل لأجل الرأى والصواب ، ولا يلتفت إلى ما يحدث فى النفس البهيمية ففعله أولى أن يسمى إلٰهياً لا إنسانياً

ولهذا وجب على المتوحِّد أن يكون فاضلاً حتى إذا قضت النفس الناطقة بأمرٍ لم تعاند فيه النفس البهيمية ، لأنها إذا عاندت وضعت العراقيل والصعاب ، وكان حدوث العمل بكرهٍ وعسر .

والرجل الذى تتغلب فيه النفس الحيوانية على الناطقة أقل من الحيوان لأن الحيوان يسير على طبيعته وسجيته ، أمّا هذا النوع من الرجال الذى يملك الفكر الإنسانى ، ويمكنه أن يتقن العمل ويتقاعد عن ذلك فهو أقل من الحيوان ؛ لأنه مع ذكائه ووقوفه على الخير والشر تراه يتبع الحيوان ، ومثل الذكاء فى هذه الحال مثل الغذاء الشهي يعطي لبدن سقيم .

إن الجماد يتحرك إلى أسفل بالطبيعة ، وليس له قصد فى حركته ، والعمل الحيوانى فى النفس كالغذاء والتولد والنمو يتم بدون قصد أى يتم بالطبيعة والغريزة . أمّا العمل الإنسانى فهو يصد دائماً عن تفكير وإرادة منًا ولذلك كان فى قدرتنا التحكم فيه ، وعلى هذا فالغايات والعلل النهائية لا تعين ولا تحدَّد إلاّ بالأعمال الإنسانية التي هى مدار البحث .

الفصل الثالث

بعد أن تكلم على الأعمال الإنسانية التى تحدد الغاية ، وأن الغاية التى يجب أن يتوخاها المتوحد هى النفاذ إلى المعقولات أخذ يفرق بين العقل والروح والنفس ، وليس للمؤلف رأى خاص ، وإنما يردد ما ارتآه الفلاسفة ثم يتطرق إلى العالم الروحانى ويرى ابن باجة أنه أربعة : العقول الفلكية ، والعقل الفعّال ، والعقل الهيولانى ، والجزء المفكر من النفس الإنسانية بما يشتمل عليه من قوى كالفنطاسيا Sense Commun والخيال ، والذاكرة والمفكرة ... الخ .

(١) نقل هذا الفصل الأستاذ أبو ريده عن النسخة التيمورية ، ونحن هنا نلخصه عن مونك مع الموازنة بينه وبين ما نقله مترجم دى بور

أما العقول الفلكية فلا علاقة لها بالمادة ، وأما العقل الفعال فهو الذى يشكل المادة ويظهرها فى صور مختلفة ، وأما العقل الهيولانى فهو الذى يشمل الأشياء المادية المعقولة[1]

الفصل الرابع

فى غايات أعمال الإنسان ، فأعمال تخدم البدن ، كالأكل والشرب واللبس ، وغايتها التمتع المادى ، وإتمام الشكل الجسمانى ولا ينبغى إهمالها . وأعمال غايتها خدمة الروح وتشكيلها (الروح بما فيه الجزء الحيوانى والفكر) وتلك الأعمال تختلف باختلاف طبيعة الأشياء التى تقصد إليها نبلاً وخسة : (ا) فمنها ما يلذ للحس الباطنى كغرور بعض الناس بارتداء الثياب الجميلة فى الظاهر وهم يهملون الملابس الداخلية (ب) ومنها ما يلذ الخيال كأن يتسلح الإنسان فى غير أوقات الحرب (حـ) ومنها ما يقصد به التسلية والسرور كاجتماع الأحباب والألعاب ، والعلاقات الشريفة بالمرأة Relations galantes ، والترفه والسكن الجميل ، واقتناء الأثاث والبلاغة والشعر (د) الأعمال التى غايتها كمال العقل والفكر كأن يدرس رجل علماً لذاته كى يكمل عقله لا ليعود عليه بنفع مادى ، أو كأن يقدم على الأعمال الشريفة الكريمة بدون ترقب نتيجة معينة

الفصل الخامس

إن من يقتصر على الأعمال الجسمانية يضع نفسه فى صفوف الحيوان ، ومن يهمل الوجود الجسمانى ألبتة يعمل ضد القانون الطبيعى ، وهذا لا يجوز إلا فى حالات استثنائية حيث يكون احتقار الحياة فرضاً على الإنسان كأن يموت فى سبيل الدفاع عن الوطن أو الدين ، ولا يمكن أن يصل الرجل المادى إلى السعادة

وعلى المتوحد ألا يتناول من الأعمال الجسمانية إلا ما كان وسيلة فى مدّ أجله ، وعليه ألا يقدّم العمل الجسمانى على الروحانى أبداً ؛ ثم لا يأخذ من أرقى أنواع الأعمال الروحانية إلا ما كان ضرورياً للمعقول ؛ ثم يتعلق فى النهاية بالمعقول المطلق ؛ لأنه بالعمل الجسمانى يكون مخلوقاً إنسانياً ، وبالروحانى يكون مخلوقاً أرفع ، وبالمعقول يصير معقولاً سامياً إلهياً .

فالفيلسوف إذاً إنسان سام إلهى على شرط أن يختار من كل نوع من الأعمال صفة ، وأن يختلط بأهل كل طبقة من الناس لأجل أسمى ما فى كل واحد منهم من الصفات ، وأن يميز نفسه عن الجميع بأعماله المتناهية فى الرفعة والمجد ، فإذا ما وصل الإنسان إلى الغرض النهائى ، أى عند ما يفقه العقول البسيطة والعقول المفارقة Intelligences separées يصير واحداً منها (يظهر أن هذا فى الحياة الدنيا وفيه مخالفة للفارابى) ، ويمكن أن يسمى مخلوقاً إلهياً بحق وجدارة

الفصل السادس والسابع والثامن

على الرغم من أن الفكرة التى يرمى إليها ابن باجه فى هذه الفصول غامضة كما صرح بذلك ابن رشد ، وعلى الرغم من أن الفصل الثامن والأخير وجد فى النسخ ناقصاً فإنا نستطيع أن نوجز ما يريده ابن باجه فيما يأتى :

إن الهيولى لا يمكن أن توجد مجردة عن صورة ما ، أما الصورة فقد توجد مجردة عن الهيولى[1] ، وإلا لما استطعنا أن نتصور إمكان أى تغير ، لأن التغير إنما يكون ممكناً بتعاقب الصور الجوهرية ، وهذه الصور من أدناها وهى الصورة الهيولانية إلى أعلاها وهى العقل المفارق – العقل الفعال – تؤلف سلسلة والعقل الإنسانى يجتاز فى تكامله مراحل تقابل تلك السلسلة حتى يصير عقلاً كاملاً[2]

وفى النفس الإنسانية قوى مختلفة فمنها ما يدرك المحسوسات ومقره « الفنطاسيا » أو الحس المشترك ، ومنها القوة المتخيلة التى تظهر فى الميل الطبيعى L'appétit[3] والشهوة ، وهذان مشتركان فى الإنسان والحيوان ، ومنها القوة الفكرية . وهناك نوع موهوب من الناس عنده قوة أخرى لا تحتاج فى إدراك الأشياء إلى برهان أو دليل ، وإنما يكون ذلك بطريق الوحى والإلهام والرؤيا الصادقة ، وهذان النوعان الأخيران خاصان بالانسان[4]

ولأجل أن يدرك الإنسان كماله يدرك أولاً الصور المعقولة

---

(١) يظهر أن ابن باجة لم يوضح العقل الهيولانى أو أن مونك لم ينقله كما يجب ، وعلى كل فهذا التقسيم الذي ذكره ابن باجه ذكره ابن رشد والعقل الهيولانى عند ابن رشد هو عقل الانسانية فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها وهو أزلي . ولعل ابن رشد فهم ما قصده أستاذه ابن باجه أكثر منا

(١) يخالف بذلك رأى أرسطو الذى يقول بأن المادة لا تنفصل عن الصورة إلا فى الذهن (٢) دى بور ص ٢٤٣

(٣) مونك ص ٣٩٩ للملحوظة الأولى

(٤) توجد بعض أعمال يحتويها الطبيعة بعض الحيوان ، ولقد أبدى أرسطو نفس هذه الملحوظة وقال إنه يوجد فى بعض الحيوان حذر شديد ولا سيما تلك التى ليس فيها الدم كالنمل والنحل — مونك نفس الصفحة

للجسمانيات ، ثم تصورات النفس المترددة بين الحس (القوة القوة المتخيلة) ، ثم العقل الانسانى فى ذاته ، ثم العقل الفعّال ، الذى فوقه ، وينتهى إلى إدراك عقول الأفلاك المفارقة ، ويترقى الانسان فى هذا السلم ويصل إلى ما هو فوق طور العقل وإلى ما هو إلٰهى

ويقول المؤلف : « إن العقل الفعال لا ينقسم أى لا يتجزأ ، وكل نوع من الكليات يوحد فى العقل الفعال كوحدة ، وعلى هذا فعلم هذا العقل المفارق واحد وإن كانت موضوعاته مختلفة بتعدد الأنواع ، وإنما كانت متعددة لأنها تظهر فى مواد مختلفة . وفى إمكان العقل بالفعل[1] أن يقرب هذه الكليات منه ويدركها ولأجل هذا كان الإنسان أقرب المخلوقات إلى العقل الفعال . فالعقل الإنسانى يصل إلى معرفة الكلي بشروق نور العقل الفعال ، وكل إحساس أو تخيل غير معرفة الكلي فهو معرفة خادعة[2] . إن العقل الإنسانى يصل إلى كماله بالمعرفة العقلية لا بالخيالات الصوفية الدينية التى لا تبرأ من شوائب الحس . والنظر العقلى هو السعادة العظمى لأن غايته المعقولات كلها . وإذا كان الكلى بهذه الثابة فلا يمكن القول ببقاء العقول الإنسانية بعد هذه الحياة »

أما النفس التى تدرك الجزئيات بتخيلها لها على نحو يجمع بين الإحساس والتعقل والتى يتجلى وجودها فى شهوات متعددة وأعمال متنوعة كامر فقد تستطيع البقاء بعد الموت وتلقى الثواب والعقاب . إن العقل أو الجزء المفكر فى النفس واحد فى كل عاقل ، وعقل الإنسانية فى جملتها هو وحده الأزلى وذلك باتحاده بالعقل الفعال . وقد تأثرت الأفكار المسيحية بنظرية وحدة النفوس[3] هذه إبان القرون الوسطى وعرفت بنظرية ابن رشد

ويقول مونك : « إن ابن باجه لا يوضح بجلاء الطريق التى تتم بها تلك الحركة السامية ، وكيف يتصل العقل الإنسانى والعقل الفعال العام ، وقد رأينا فى رسالة الوداع أنه مضطر إلى إدخال قوة فوق الطبيعة لإتمام هذا الاتصال » هى إشراق نور العقل الفعال على العقل الإنسانى .

(١) العقل بالفعل هو عقل الانسان ويسمى العقل المنفعل وهو يفنى بفناء الانسان — ومع أن ابن باجه يقول إنه بالتفكير يستطيع هذا العقل بالعقل أن يتصل بالعقل الفعال ومع هذا لم يبين لنا كيف يكون الاتصال وتراه يضطر إلى إدخال قوة خارجية يسميها الالهام أو الوحى حتى يتم هذا الاتصال .

(٢) يتأثر هذا برأى أفلاطون والكليات هنا تشبه عالم المثل عند أفلاطون

(٣) لقد وضحنا هذه النظرية فى المقال السابق كما نفسره ابن رشد

المتوحد

والواضح عند ابن باجه هو ذلك الطريق الخلقى الذى رسمه للمتوحد والذى ينصحه فيه ألاّ يرتبط بالرجل المادى ولا بالرجل الذى ليس له إلا غاية روحانية نفسانية « التى تتردد بين الحس والعقل » ، ولو فى أرقى أنواعها ، وواجبه أن يرتبط بالفلاسفة والحكماء ، ولما كان هؤلاء يوجدون بقلة فى بعض الأمكنة وتخلو منهم أمكنة أخرى ، وجب على المتوحد أن يبتعد عن الناس على قدر الإمكان ، ولا يختلط بهم إلا لأجل الضروريات بمقدار ضرورى ، كما يجب عليه أن يعطى نفسه بأكمله لتعليمه الإلٰهى ، وأن يضئ لمن حوله كالنور ، ويهب نفسه سراً لإدراك علم الخالق Cult du Createure كما لو كان ذلك أمراً معيباً ، وعليه أن يرتاد الأماكن التى بها العلماء والحكماء إن وجدهم ، وأن يجتنب الشبان القليلي الخبرة . ولا يرى ابن باجه فى هذا التوحد مناقضة لعلوم السياسة التى تقول : إن مجانبة الناس خطأ ؛ ولا العلوم الطبيعية التى تقول : بأن الإنسان مدنى بالطبع ؛ لأن هذين المبدأين صحيحان نظرياً إذا تملك الرجال كمالاتهم الطبيعية ، ولما كان هذا نادراً وجب على المتوحد الابتعاد عن المجتمع[1] .

« بيروت » عمر الدسوقى

(١) راجع الفصول الخمسة الأولى من رسالة تدبير المتوحد حتى نفهم برنامجه . وعلى العموم فأفكار ابن باجه كلها أو جلها على الأقل موجودة فى حى بن يقظان . وهو عند ابن رشد أوضح ، وأثر ابن باجه فى هذين الحكيمين عظيم جداً .

بمناسبة مرور أربعين عاما على وفاة

السيدة عائشة عصمت تيمور

للأستاذ إسحق شموش

في مثل هذا الشهر (مايو) من عام ١٩٠٢ ، فجع الأدب العربي بوفاة الأديبة الكبيرة عائشة عصمت تيمور ، التي جدّدت في العصر الحديث عهد ربات الخدور بالأدب ، وساهمت في النهضة النسائية المصرية بنصيب وافر وقسط عظيم

وهي تمت إلى الدوحة التيمورية الكريمة التي منحت العربية ما لم تمنحه أية أسرة مصرية أخرى ، لغويين وشعراء ، وكتاب ، وقصصيين ، نهضوا بلغة الضاد وآدابها نهضة جبارة ، وسعوا لرفعهما إلى مصاف سائر اللغات والآداب الراقية سعياً يبعث على التقدير والإعجاب

فالسيدة عائشة هي كريمة رب السيف والقلم إسماعيل باشا تيمور ، وشقيقة اللغوى القدير أحمد باشا تيمور ، وعمة القصصى الأستاذ محمود تيمور الذى يعد بحق خير خلف لخير سلف

وقد ولدت في مدينة القاهرة سنة ١٢٥٦ هجرية الموافقة لسنة ١٨٤٠ ميلادية ، وأبدت منذ نعومة أظفارها ميلاً قوياً للدراسة ، وشغفاً عظيما بالمطالعة ، فتعلمت العربية ، والتركية ، والفارسية ، وأجادت الكتابة والنظم في كل منها إجادة غير يسيرة ؛ إلا أن والدتها حاولت صرفها عن الأدب إلى التطريز والنسج ، ولكن بدون جدوى ، فنشأ عن ذلك نزاع بينهما ، وصفته عائشة في مواضع مختلفة من مؤلفاتها :

« لما تهيأ العقل للترقى ، وبلغ الفهم درجة التلقى ، تقدمت إلىّ ربة الحنان والعفاف ، وذخيرة المعرفة والإتحاف ، والدتى تغمدها الله بالرحمة والغفران ، بأدوات التطريز والنسيج ، وصارت تجد في تعليمي ، وتجتهد في تفطيني وتفهيمي ، وأنا لا أستطيع التلقى ، ولا أقبل في حرفة النساء الترقي ، وكنت أفر منها فرار الصيد من الشباك ، وأتهافت على حضور محافل الكتاب بدون ارتباك ، فأجد صرير القلم في القرطاس أشهى نغمة ، وأتحقق أن اللحاق بهذه الطائفة أوفى نعمة ، وكنت ألتمس من شوق قطع القراطيس ، وصغار الأقلام ، وأعتكف منفردة عن الأنام ، وأقلد الكتاب في التحرير ، لأبتهج بسماع هذا الصرير ، فتأتى والدتى وتعنفنى بالتكدير والتهديد ؛ فلم أزد إلا نفوراً ، وعن صنعة التطريز قصوراً »[1]

وعلى نقيض ذلك كان والدها يشجعها على دراسة الأدب وممارسته : « فبادر والدى تغمّده الله بالغفران ثراه وقال لها : دعى هذه الطفيلة للقرطاس والقلم[2] »

وقد كررت الإشارة إلى تشجيع والدها بصورة أوضح في مقدمة ديوانها التركي الفارسي ، فوضعت على لسانه وهو يخاطب والدتها العبارات التالية :

« ما دامت ابنتنا ميّالة بطبعها إلى المحابر والأوراق ، فلا تقفي في سبيل ميلها ورغبتها ، وتعالى نتقاسم بنتينا : تخذى « عفت » وأعطنى « عصمت » ؛ وإذا كان لى من « عصمت » كاتبة وشاعرة ، فسيكون ذلك مجلبة الرحمة لى بعد مماتى[3] » .

وقد تحقق رجاء اسماعيل باشا تيمور ، فكانت « عصمت » مجلبة رحمة له ، بل ومجلبة شهرة وفخر كذلك

وتزوجت « عائشة » باكراً جداً في الرابعة عشرة (١٨٥٤ — ١٢٧١) من محمد بك توفيق الاسلامبولى ، ورزقت منه بـ « محمود » و « توحيدة » ، غير أنها رزئت بفقد هذه الأخيرة قبل أن تتجاوز الربيع الثامن عشر ، فبكتها أحر بكاء ، إلى أن كلَّ بصرها ، وأصيبت برمد شديد لبث يختلف عليها إلى آخر حياتها

وقد رثت « توحيدة » بقصيدة رائعة ، مطلعها :

إن سال من غرب العيون بحور ... فالدهر باغ والزمان غدور[4]

وربما كان أجود ما فيها البيت التالى :

لوبث حزنى فى الورى لم يلتفت ... لمصاب قيس، والمصاب كثير[5]

وقد جمع شعرها العربى في ديوان « حلية الطراز » كما جمع شعرها التركى والفارسى في ديوان « شكوفه » . ومن آثارها النثرية مجموعة قصص على نمط « ألف ليلة وليلة » دعتها « نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال » ، وأبحاث اجتماعية معروفة بـ « مرآة التأمل في الأمور »

ويتسم شعرها بالنزوع إلى القديم نزوعاً قوياً ، ولا سيما في تشبيهاته واستعاراته وكناياته ، فاللحاظ سيوف ، والخدود ورود ، والقدود غصون ، والأسنان درر ، وباب الممدوح كعبة

(١) و (٢) كتاب « نتائج الأحوال فى الأقوال والأفعال »
(٣) مقدمة ديوان « شكوفه »
(٤) و (٥) ديوان « حلية الطراز » ص ١٧

أولى السجود ، وليس الممدوح سوى كوكب يتألق فى سماء العز والمجد ، أو بدر يلمع فى ليالى الشقاء والبؤس ... الخ

والميزة البارزة فى شعرها التى تجعل له قيمة أدبية ، هى الصدق فى التعبير عن عواطفها ، وهذا الصدق أكثر ما يتجلى فى مراثيها التى تبكى فيها أعز الناس لديها ، وأحبهم إليها

وقد قصرت شعرها ، أو كادت تقصره على أغراض ثلاثة :

١ — « المدح » : ويشكل قسماً كبيراً من شعرها ، ويكاد ينحصر فى خديو مصر الذى يمثل لديها الزعيم السياسى والدينى معاً ، الجدير بالطاعة العمياء والإعظام الذى لا يقف عند حد

ومما لا ريب فيه أنها كانت صادقة الولاء فى مدحها ، ولم تتخذه أداة للكسب كما كان يفعل كثير من شعراء عهدها

غير أنها أسرفت كثيراً فى مدح الخديو حتى أنها لم تتورع عن رفعه إلى مصاف الملائكة ، ونسب أكبر مقدار من أكرم الصفات والمزايا إليه :

لو قيل للشرف اختر قال خدمته
أو قيل للدهر سابق عزمه افتضحا [1]

فالنصر عونك ، والزمان مطاوع
والسعد عبد ، والكمال صديق [2]

ولا فرق عندها بين خديو وآخر ، إذ أن مدحها للخديوية نفسها لا لشخص الخديو ، وهذا هو السر فى كونها مدحت الخديو سعيد والخديو اسماعيل ، كما مدحت الخديو توفيق والخديو عباس ؛ كأنما كل من يتسنم أريكة الخديوية يصبح أهلاً للمدح ، وأى مدح !

٢ — الرثاء : وقد توفرت على الرثاء بقدر ما توفرت على المدح ، وكما قصرت مدحها أو كادت تقصره على الخديو ، قصرت رثاءها أو كادت تقصره على أفراد أسرتها والمقربين إليها ، فرثت ابنتها ، ورثت شقيقتها ورثت والدها ووالدتها وأستاذها الشيخ ابراهيم السقا الخ ...

وفى رثائها أيضاً لم تتحرج من الغلو والإسراف

عز العزاء على بنى الغبراء لما توارى البدر فى الظلماء [3]

أو :

إنى ألفت الحزن حتى إننى لو غاب عنى ساءنى التأخير [4]

(١) ديوان « حليه الطراز » ص ١٥ (٢) ديوان « حلية الطراز » ٢٢
(٣) « « « ص ٢٨ (٤) « « « ص ١٩

وقد برعت فى هذا الضرب من الشعر براعة فائقة ، ووفقت إلى تصوير لوعتها وحزنها عند ما كانت تحد بها المصائب توفيقاً عظيماً مما يدل على أنها كانت ترثى عن حرقة حقيقية لا أثر للتكلف والتصنع فيها .

٣ — الغزل : وأكثره من الغزل الصوفى الذى يكاد يكون مقصوراً على النبى العربى محمد بن عبد الله ، وقد مهدت له بـ « قالت مستغيثة » أو « قالت توسلاً » وما أشبه

ومن أروع قصائدها فى هذا الغزل الدينى ميميتها التى مطلعها :

أعن وميض سرى فى حندس الظلم
أم نسمة هاجت الأشواق من أضم [1]

حيث تقول :

روحى الفداء ومن لى أن أكون له
هذا الفداء وموجودى كمنعدم

وما هى الروح حتى أفتديه بها
وهى البناث بناء الظلم والظلم [2]

وتتخلل بعض قصائدها أبيات قليلة ، فيها عن نفسها حديث لا يخلو من فخر وتحد :

ولقد نظمت الشعر شيمة معشر قبلى ذوات الخدر والأحساب
وخصصت بالدر الثمين وحامت ال خنساء فى صخر وجوب صعاب [3]

كما لا يخلو من إشارة مزهوة إلى فضلها على سائر النساء اللواتى إن نظرن فى المرآة فللتجمل والتزين ، وأما هى :

فجعلت مرآتى جبين دفاترى وجعلت من نقش المداد خضابى
كم زخرفت وجنات طرسى أنملى بعذار خط أو إهاب شباب [5]

ومع أنها شاعرة لا ناثرة فقد لجأت إلى النثر أحياناً لمعالجة بعض القضايا النسائية كقضية السفور والحجاب مثلاً التى أثارها فى عهدها المصلح الاجتماعى الكبير قاسم بك أمين ، إلا أنها لم تبد فى هذه القضية رأياً صريحاً كما أنها لم تثبت على رأى واحد بصددها ، فقد يفهم أنها حجابية من الأبيات التالية :

بيد العفاف أصون عز حجابى وبعصمتى أسمو على أترابى [4]
ما ساءنى خدرى وعق عصابتى وطراز ثوبى واعتزاز رحابى
ما عاقنى خجلى عن العليا ولا سدل الخمار بلمتى ونقابى

(١) ديوان « حلية الطراز » ص ٤ (٢) « ديوان حلية الطراز » ص ٥
(٣) « « « ص ٣ (٤) « « « ص ٣
(٥) ديوان « حلية الطراز » ص ٣

عن طي مضمار الرهان إننا اشتكت
صعب السباق مطامح الركاب[١]

كما يفهم أنها سفورية من الجملة التالية :

« وأنا بين جدران الخدر كفطاط سجنها المطر ، وعاقها عن الانسياب برق يخطف البصر »[٢]

وأما موقفها من قضية المرأة المسلمة ، فهو موقف المحافظات المسرفات فى المحافظة ، ولا أدل على ذلك من بحثها « مرآة التأمل فى الوجود » حيث تصطنع لسان فقهاء الإسلام لمعالجة مواضيع على جانب كبير من الخطورة :

« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم . فالرجل يقوم بأمر الزوجة مجتهداً فى حفظها وصيانتها وأداء كل ما تحتاج إليه ؛ ثم إن الحق لم يكتف بالحكم حتى بين السبب بقوله بما فضل الله يعنى بأمور لها وفرة فى العقل والدين ، ولذا جعل لهم الولاية والإمامة ، وجعل فيهم الخلفاء والأئمة ، وميزهم فى الشهادة بين الأمة ، فقال فى آية أخرى : فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى »[٣]

إن الرجال أسود عزت رفعة تسطو على روض العلا وتصول
لهم النضير بكل غصن مثمر وسواعد للساميات تطول
حازوا المكارم تحت عزة فضلهم وشهودهم بين الأنام عقول[٤]

وهى تخلص من ذلك إلى استنكار بحث الشبان حين الزواج « عن الحلى والحلل والضياع والعقار ، لا عن النسب والتدين والعفة والوقار[٥] وتصب جام غضبها على الرجال الذين يتركون سلطتهم تنتقل إلى زوجاتهم ، وتضرب لهم المثل التالى :

وهو أن أسداً تكاسل عن الصيد ، وغله الجبن بالقيد ، فأمر لبوته أن تنوب عنه ، وتأتى بالفريسة بدلاً منه ، فانقادت لأمره ، وسارت على ما عهدته من سيره ، واستمرت مدة على هذا الحال . فلما طال الشرح عليها صارت تصطاد وتأكل ما اشتهت من أطايب اللحوم ولذائذ الأكباد ، وتلقى إليه من فضلات ما يبقى . فاستشاط الأسد غيظاً ورأى أن ذلك إهانة لوقاره ، ومجلبة لعاره ، فقال لها خزيت يا لكاع ، كيف تأتينى بسقط المتاع ، وتجسرين على أكل المطايب قبلى ، وتخفضين رفعتى وتنسين فضلى ؟ إن كان غلب الشره عليك ، واستحيت أن تأكلى بحضرتى ، فأعدى لى أطايب الطعام ، وقدميها إلى أولاً كما جرت به العادة فى سالف الأيام . فضحكت اللبوة منه ، وقالت قد أخطأ وهمك ، وغلظ فهمك ، إنى لم أنس فضلك ، ولم أجهل قدرك ، ولكن كان ذلك مذ كنت أنت أنت وأنا أنا ؛ وأما الآن فقد انعكس الحال وصرت أنا أنت ، وأنت أنا ، فلك على ما كان لى عليك . فأفحم الأسد ، ورجع على نفسه باللوم رجوعاً ، وآلى على نفسه ألا يستعين بها على الصيد ولو مات جوعاً[١]

وهذا المثل كالأمثلة النثرية التى تقدمته – يدل دلالة واضحة على أن صلة نثرها بالقديم وثيقة ، كصلة شعرها ، إن لم تكن أقوى وأشد ، إذ جرت فيه على نسق المقامات وكليلة ودمنة ، فأغرقته فى فيض من المحسنات البديعية ، اللفظية منها والمعنوية ، وأفعمته بالأمثلة على ألسنة الطيور والحيوانات

وعلى كل فما لا ريب فيه أن تأثيرها فيمن تتلمذ عليها من ذوات الحجال كان عظيما ، ولا سيما فى الأديبتين النابهتين أمينة نجيب وباحثة البادية (ملك حفنى ناصف) اللتين برّزتا على أقرانهما ، ونعمتا بشهرة أدبية واسعة

ونحن إذ نذكر اليوم السيدة عائشة تيمور ، فإننا نذكر أول من رفعت لواء الأدب من ربات الخدور فى النهضة الحديثة ، وأول من لجأت فى العصر الأخير لبيان بنات أفكارها إلى روائع النظيم والنثير .

ايزابل شموسه
أستاذ الأدب العربى الحديث
بالجامعة العبرية

(١) « بلاغة النساء فى القرن العشرين » ص ٩٩ – ١٠٠

(١) ديوان « حلية الطراز » ص ٤
(٢) « بلاغة النساء فى القرن العشرين » ص ٩٢
(٣) « « « « « ص ٩٥
(٤) « « « « « ص ١١٤
(٥) « « « « « ص ٩٦

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ٩٤٢ فى القضية ١٦٥٠ سنة ٩٤١ بتغريم عبد الفتاح على سيد أحمد بقال بالزقازيق جنيهين وغلق المحل يوما لامتناعه عن بيع كبريت بالتسعيرة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ٩٤٢ فى القضية ١٦٩٦ سنة ٩٤١ بتغريم زكيه إبراهيم ديب من القراموص خمسين قرشا لبيعها ذرة بأزيد من التسعيرة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ٩٤٢ فى القضية ١٢٢٦ سنة ٩٤١ بتغريم كل من ابراهيم محمد عبد العال ومحمد حسن عيرة بالزقازيق ١٠٠ قرش وغلق المحل يوما لبيعهما خبز بأزيد من التسعيرة

٣٤ – المصريون المحدثون
شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الحادي عشر – « الخرافات »

هناك شعائر درويشية كأشكال الدعاء، وطرق الذكر لا يراعيها غير طوائف خاصة، كما توجد شعائر أخرى تقوم بها الطوائف المختلفة. ونذكر من هذه طقوس (الخلوتية) و (الشاذلية) وهما فرقتان كبيرتان لكل منهما شيخ. والفارق الرئيسي بينهما أن لكل منهما أسلوبه الخاص في الأدعية التي يرددونها صباح كل يوم، وأن السابقين يتميزون عن الآخرين بالخلوة أحياناً، ومن ثم سموا خلوتية. وهؤلاء يتلون دعاءهم قبل الفجر ويسمى (وِرْد السحر) أما دعاء الشاذلية فيقرأونه بعد الفجر ويسمى (حزب الشاذلي). وقد يعتكف الخلوتي أربعين يوماً وليلة في خلوته صائماً، من بزوغ الفجر إلى غروب الشمس طول هذه المدة. ويعتكف جماعة منهم أحياناً في خلوات مسجد الشيخ الدمرداش شمال القاهرة ثلاثة أيام وليال بمناسبة مولد هذا الولي، ولا يتناولون أثناء ذلك غير قليل من الأرز وكوبة من الشراب عند المساء. ويشغلون أنفسهم بقراءة أدعية لا يعرفها غيرهم؛ ولا يخرجون من الخلوة إلا للصلاة جماعة في المسجد، ولا يجيبون أبداً من يكلمهم إلا بقولهم: « لا إله إلا الله ». ويتبع هذا النظام تقريباً أولئك الذين يعتكفون مدة الأربعين يوماً فيقضون الوقت مرددين الشهادة سائلين العفو حامدين الله.

يكاد دراويش مصر جميعهم أن يكونوا تجاراً أو صناعاً أو مزارعين. وهم لا يحضرون طقوس بعضهم إلا مصادفة؛ غير أن بعضهم لا عمل له غير الذكر في الموالد والحفلات الخاصة والإنشاد في الجنازات. ويطلق على هؤلاء لفظ (فقير)؛ ومعنى ذلك المعوز عامة، إلا أنه يطلق على الأتقياء المساكين خاصة. ويعتاش البعض من تقديم الماء إلى المارة في شوارع القاهرة وزوار الأعياد الدينية. فيحملون الماء على ظهورهم في أباريق من الفخار أو من جلد الماعز. والقليل منهم يسلكون حياة التجول ويعيشون على الصدقات بلجاجة ووقاحة شديدتين. وبعض هؤلاء يميزون أنفسهم على طريقة الأولياء المشهورين بلبس (الدلق) أي السترة المرقعة، وحمل العصا المعلق في أعلاها قطع النسج المختلفة الألوان، ويلبس البعض الآخر ملابس غريبة مختلفة الألوان

ويتخذ بعض الرفاعية ممن لا يحترفون إخراج الثعابين من المنازل، حياة التجول في بلاد القطر مستفيدين من خرافة مضحكة أذكرها الآن: كان سي[1] داود العزب وهو ولي مبجل من بلدة تفاهنه[2] في الوجه البحري يملك عجلاً يقوم على خدمته. فتعود بعض الرفاعية منذ وفاته تربية العجول في بلدة هذا الولي أو مدفنه وتمرينها على صعود السلم والاضطجاع عند ما تؤمر بذلك، ثم يذهب كل منهم وعجله متجولاً في البلاد لجمع الصدقات. ويسمى العجل (عجل العزب). وقد دعوت مرة أحد هؤلاء الدراويش إلى منزلي. وكان العجل — وهو الوحيد الذي رأيته — جاموساً يتدلى منه جرسان، أحدهما في طوق حول عنقه، والآخر في حزام حول جسمه. وقد صعد السلم جيداً، إلا أنه أظهر ضعف مرانه من كل الوجوه. ويعتقد العامة أن عجل العزب يجلب إلى المنزل بركة الولي الذي سمي هذا الحيوان باسمه

وفي مصر دراويش جوالة من الترك والفرس، وإلى هؤلاء الدراويش تنسب صفة اللجاجة والوقاحة أكثر مما تنسب إلى القلائل من المصريين الذين يعيشون معيشتهم. ويحدث كثيراً في شهر رمضان خاصة أن يذهب درويش أجنبي إلى مسجد الحسين الذي يتردد إليه كثير من الترك والفرس، وقت صلاة الجمعة فيمر بين المصلين عندما يخطب الخطيب ويضع أمام كل امرىء قصاصة من الورق كتب عليها بعض كلمات تحث على الصدقة. وبهذه الطريقة يتناول من المصلين كلهم أو غالبهم قطعاً من ذوات الخمسة فضة أو العشرة فضة أو أكثر. ويحمل الكثير من دراويش الفرس في مصر ملعقة خشبية وطاسة مستطيلة من جوز الهند أو من الخشب أو المعدن حيث يتناولون الصدقات ويضعون الطعام. ويلبس أغلب الدراويش

(١) « سي » اختصار عامي لكلمة سيدي المختصرة من سيدي

(٢) لعلها بلدة « تفهنا العزب » بمركز زفتى مديرية الغربية

(المترجم)

الأجانب ملابس خاصة تبعاً لطوائفهم . وأهم ما يميزهم لباس الرأس، وأكثر أنواعه شيوعاً ما صنع من اللبد على شكل قالب السكر المخروطى . وتتكون ملابسهم الأخرى من صدرية وسروال واسع أو آخر ضيق ، أو قميص وحزام ، وعباءة غليظة . ويتظاهر الفرس هنا بأنهم سنيون . ويعتبر الأتراك أكثر الطائفتين إزعاجاً ولجاجة . وأذكر هنا خرافة أخرى هى اعتقاد المصريين والعرب عامة بأن للطيور والحيوانات لغة تتفاهم بها وتسبح بحمد الله

ومن أهم المميزات فى خرافات المصريين المحدثين اعتقادهم بالتمائم والأحجبة التى يستند أكثرها على السحر ، ويشتغل بكتابة هذه التعاويذ أحياناً جميع مدرسى الكتاتيب القروية تقريباً . على أنه قلما يدرس من يقوم بهذا العمل شيئاً من السحر أكثر من الحصول على بعض صيغ من الأحجبة يتألف معظمها عادة من آيات قرآنية وأسماء الله مع أسماء الملائكة والجن والرسل ، أو الأولياء المشهورين يختلط بها تركيبات عددية وأشكال هندسية ويتوهم الناس أن ذلك كله له خاصية خفية عظيمة

وأكثر الأحجبة اعتباراً مصاحف القرآن ، وقد جرت العادة أن يحمل أتراك الطبقتين الوسطى والعليا وغيرهم من المسلمين مصحفاً صغيراً فى غلاف من الجلد المزركش أو المخمل يعلقونه على الجانب الأيمن بخيط من الحرير يمر فوق الكتف الأيسر . غير أن هذه العادة لم تعد شائعة كثيراً . وقد لاحظت أثناء زيارتى الأولى أنه قلما يرى تركى فاضل من السلك الحربى لا يحمل الغلاف السابق ذكره ، مع أنه كثيراً ما لا يحوى حجاباً ؛ ولا يزال النساء يحملن المصحف وغيره من الأحجبة ، فيضعنها فى أغلفة من الذهب أو من الفضة المذهبة أو الساذجة . ويعزو المسلمون إلى المصحف وأكثر الأحجبة قوة كبيرة ، ويعتبرونها حافظة من المرض والسحر والحسد وغير ذلك من البلايا

وهناك كتاب أو دَرج يجىء بعد المصحف مكانةً به سور قرآنية تكون فى العادة سبعاً كسور : الأنعام والكهف ويس والدخان والرحمن والملك والنبأ أو غيرها . ويوجد حجاب آخر يوضع عادة داخل غطاء الرأس ، ويعتقد أنه يقى حامله من الشيطان ومن كل جن شرير . وهذا الحجاب قطعة ورق كتبت عليها الآيات التالية[1] : «ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم » : (سورة البقرة آية ٢٥٥) ؛ « فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين » : (سورة يوسف آية ٦٤) ؛ « يحفظونه من أمر الله » : (سورة الرعد آية ١١) ؛ « وحفظناها من كل شيطان رجيم » : (سورة الحجر آية ١٧) ؛ « وحفظاً من كل شيطان مارد » : (سورة الصافات آية ٧) ؛ « وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم » : (سورة يس) ؛ « والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ » : (سورة البروج الآيات ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢) . وكثيراً ما تكتب أسماء الله التسعة والتسعون ، فى ورقة يحملها الشخص ، فتجعله كما يعتقد محلاً خاصاً لرعاية هذه الصفات الكريمة جميعها . ويعتقد كذلك أن كتابة أسماء الرسول التسعة والتسعين على أى شىء تكون حجاباً كما روى الإمام على عن النبى (ص) يبعد كل مصيبة ووباء ويحفظ من الضعف والحسد والسحر والحريق والدمار والقلق والحزن والضيق . ويضيف المسلم بعد ذكر كل من هذه الأسماء قوله : اللهم صل وسلم عليه[1] . وتنسب مثل هذه الخصائص إلى حجاب يتضمن أسماء أصحاب الكهف واسم كلبهم[2] . وتنقش هذه الأسماء أحياناً فى قاع طاسات الشراب ، وغالبا على صينية الطعام المستديرة من النحاس المبيض . وهناك حجاب آخر يظن أن له تأثيراً مماثلاً . ويتألف هذا الحجاب من أسماء مخلفات النبى وهى تتألف من سبحتين ومصحف فى أجزاء غير مرتبة ، ومكحلة وسجادتين ورحا وعصا وسواك وحلة[3] والأبريق الذى كان يستعمله النبى صلعم للوضوء ،

(١) وتسمى « آيات الحفظ »

(١) كتب إلى أحد الأصدقاء وكان أستاذى ، قبل أن أترك منزلى بالقاهرة للعودة إلى انجلترا ، على قصاصة ورق : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، ثم قطعها نصفين وأعطانى النصف المكتوب عليه : محمد رسول الله ، ثم أخفى النصف الآخر فى أعلى دولاب صغير فى غرفة الجلوس المعتادة ؛ وذلك لضمان عودتى إلى القاهرة ثانية ، إذ يعتقد أن الشهادة لا يمكن أن تبقى ناقصة ، فيعيدنى هكذا دوام الاحتفاظ بالنصف الآخر إلى النصف السابق

(٢) يقال إن هؤلاء كانوا فتية من نصارى افيزوس Ephesus لجأوا إلى كهف هرباً من اضطهاد الأمبراطور دقيلوس Decius فناموا هناك تحت حراسة كلبهم مدة ٣٠٠ سنة شمسية أو ٣٠٩ قمرية . (سورة الكهف)

(٣) يحتفظ فى مسجد الغورى بالقاهرة بقميص يقال إن النبى (صلعم) كان يلبسه . وقد صر هذا القميص فى شال كشميرى ولا يعرض لغير العظماء

ونعل وبردة[1] وثلاث حصر ودرع ورداء طويل من الصوف، وبغله الأبيض (الدلدل) وناقته (العضباء). وتكتب أيضاً بعض الآيات القرآنية على قصاصات من الورق يحملها الناس وقاية من الشرور، واستشفاء أو اكتساباً للحب والصداقة الخ. ويحمل الكثير من المصريين المحدثين رجالاً ونساء وأطفالاً هذه الأحجبة وغيرها في أغلفة من الذهب أو الفضة أو القصدير أو الجلد أو الحرير الخ.

ومن الشائع أن ترى الأطفال المصريين يحملون أحجبة ضد الحسد[2] داخل غلاف مثلث الشكل يعلق في أعلى غطاء الرأس. وكثيراً ما يعلق على الجياد معلقات مماثلة. ويتقي المصريون الحسد بشتى الاحتياطات ويسعون قلقين لدفع نتائجه الوهمية عنهم. وقد يعبر البعض عن إعجابه بشيء إعجاباً يعتبر غير لائق فيعنفه من أزعجه هذا بقوله: (صل على النبي) فإذا امتثل الحاسد وقال: «اللهم صل عليه» لا يخشى شر.

ومن غير اللائق أيضاً أن يعبر الشخص عن إعجابه بآخر أو بأي شيء لا يملكه بقوله: «يا سلام[3]» «ما أجمله» ويستحسن في مثل هذه الأحوال أن يقول: «ما شاء الله» التي تشير إلى الإعجاب والخضوع لإرادة الله أو الرضا بها. فكثيراً ما يكون الأجدر بالبدى إعجابه أن يقول ما شاء الله ويصلي على الرسول.

وقد بينت في الفصل الثاني من هذا الكتاب خوف نساء مصر من أثر الحسد على أولادهن. والعادة في هذا البلد أن يقول من يحمل ولد غيره بين ذراعيه: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل على سيدنا محمد، ثم يقول ما شاء الله. والشائع أيضاً أن يقول المصري عند ما يبدى إعجابه بصبي: «أعوذ برب الفلق لأجلك» مشيراً إلى سورة الفلق التي تنتهي بالتعوذ من شر الحسد. وقد ينظر بعض الناس إلى طفل أو يلوح أنه يحسده فيعمد الوالدان أحياناً إلى قطعة من أطراف ملابسه فيحرقانها مع قليل من الملح. ويضيف البعض إلى ذلك الكزبرة وحجر الشب الخ ويبخران الطفل بالدخان ويذران عليه الرماد،

ويجب عمل هذا على ما يقال قبيل الغروب عند ما يحمر قرص الشمس

ويستعمل المصريون الشب كثيراً لمنع أثر الحسد، فيضعون على الجمر قبيل الغروب قطعة منه بحجم الجوزة تقريباً حتى تنقطع عن الفوران، ويتلو من يقوم بهذا العمل أثناء احتراق الشب الفاتحة والسور الثلاث الأخيرة ثلاث مرات. ويبدو كما قيل أن الشب عند ما ترفع من النار تتخذ شكل الحاسد، ثم يسحقها ويمزجها بقليل من الطعام يرميه إلى كلب أسود ليأكله. وقد شاهدت هذه العملية يقوم بها رجل ظن أن امرأته نظرت إليه نظرة حاسدة. وقد اتخذت قطعة الشب وقتئذ شكلا يشبه شكل النساء كثيراً فقرر الرجل أنه وضع خاص تعودت عليه امرأته. إلا أن الشكل الذي يتشكل به الشب يكاد يتوقف على ترتيب الجمر ومن الصعب أن يكون هذا الشكل بحيث لا يرى فيه الخيال بعض الشبه بالإنسان — وهناك طريقة أخرى يتوهم الناس أنها تدفع تأثير الحسد وهي أن توخز قطعة من الورق بإبرة ويقول الواخز هذه عين فلان الحاسد. ويعتبر الشب حجاباً ناجعاً ضد الحسد. وقد يعلق الناس أحياناً قطعة من حجر الشب مسطوحة ومزينة بشراريب في أعلى غطاء رأس الطفل. وتستعمل الأصداف والخرز بالطريقة نفسها وللغرض نفسه. وهناك أصداف صغيرة تعتبر واقية من الحسد خاصة تعلق في عدد الجمال والجياد وغيرها من الحيوان وعلى غطاء رأس الأطفال أحياناً. ولا شك أن هذه المعلقات يقصد بها جذب العين فتمنعها من رؤية الشيء المراد حفظه من الحسد

عدلي طاهر نور

(١) البردة التي يلبسها فلاحو مصر قطعة مستطيلة من الصوف السميك تشبه الحرام فيما عدا اللون، إذ تكون على العموم سمراء أو شهباء. ويبدو أنها كانت في الأزمنة الأولى مخططة دائماً. إلا أن بعض البرد الحديثة ساذجة والبعض الآخر ذات خطوط متقاربة جداً بحيث تبدو للناظر القريب أنها ذات لون واحد. وتوصف بردة النبي (صلعم) أنها كانت حوالي سبعة أقدام ونصف طولا، وأربعة ونصف عرضاً. وكان يستعملها كما تستعمل الآن لبسها نهاراً والتغطية ليلا

(٢) تبين هذه الخرافة عادات كثيرة كانت تبدو خلافاً لذلك غامضة.

(٣) أو «يا سلام سلم»، ولفظة السلام من أسماء الله

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ١١ مارس سنة ٩٤١ في القضية ١٧٢٩ سنة ١٩٤١ بتغريم محمد حسن الديب بكفر أيوب ١٠٠ قرش لامتناعه عن بيع قمح بالتسعيرة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ٩٤٢ في القضية ١٩٨٤ سنة ٩٤١ بحبس خطاب غنيم حسن البقال بالزقازيق خمسة عشر يوما بشغل وغلق المحل يوما لبيعه عدس بأزيد من التسعيرة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ٩٤٢ في القضية ٢٠٠١ سنة ٩٤١ بحبس ابراهيم مصطفى محمد الجزار بكفر عثمان أسبوعين بشغل وغلق المحل يوما لبيعه لحم بأزيد من التسعيرة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ٩٤٢ في القضية ٢٦ سنة ٩٤٢ بتغريم عبده مصطفى السيد الجزار بالابراهيمية ٢٠٠ قرش وغلق المحل يوماً لبيعه لحم بأزيد من التسعيرة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ٩٠٢ في القضية ٤٩١ سنة ٩٤٢ بتغريم محمد أحمد صبري بالزقازيق ٣٠٠ قرش لبيعه ذرة بأزيد من التسعيرة

نعمة السلم

للأستاذ عبد اللطيف النشار

أكان خداع النفس للنفس أن أرى
جميع عباد الله أهلاً وإخوانا
أنعمة سلم تلك أم تلك نقمة تطامنُ إنسان بصاحب ذؤبانا
فإن تبنُ الحرب الضروس بشرها فيا رب خير جره الشر أحيانا
عرفنا العدى لا بارك الله فى العدى
وحسبك أن تمتاض بالجهل عرفانا
فيا نعمة للحرب باركت أنعماً لسلم جدير أن يعمر دنيانا
ودون الرضى أن يسلم الجسم وحده إذا المرء لم يسلم ضميراً ووجدانا
نعيم لعمرى قد فقدناه إذ غدت بقاع الثرى والماء والجو ميدانا
نعيم فقدناه ولكن إلى مدى فبالحرب نستبقى مع السلم نعمانا
ودونك فلتغرس سياجاً يحوطه من الشر إن أنشأت للخير بستانا
نعيم لعمرى جلستى بين صبيتى أحادث أزهاراً وأنشق ريحانا
وأدنى إلى النعمى يقينىَ أننى سألقى غداً هذا الجميع كما كانا
فلا سلم حتى يعرف المرء أنه يرد إذا ما شاء ختلاً وعدوانا
أيا خضرة الزرع الندىّ تألقى لهيباً وكونى يا شجيرات نيرانا
إذا ما عدا عادٍ عليك فإنما تعود القوى حسناً عليك وإحسانا
كذلك نعمى السلم يُحمد غبّها تذكُّرها شوقاً إليها وتحنانا
إذا صوح الروض النضير ذممته فهلا حمدت الروض إذ كان ريانا
ولولا انصراف النفس عن خُدَع المنى
لكان نعيماً أن نصادق أعدانا
فتوسيع آفاق المحبة مطلق من النفس أحقاداً تسوء وأضغانا
أسفت على الانسان ليس بقادر على الحب إلا أن يعادىَ إنسانا
فقدنا نعيم السلم من طول حرصنا عليه وحبّاً أن نوسع دنيانا
متى نستعده نستعده وحكمة فنعطىَ كلاً مثلما كان أعطانا
وفى القصد إبقاء على كل نعمة فلست بمعطى الود غير الذى صانا
أمِنّا فساوينا الأحباء بالعدى فيا ليتنا ننسى العدو وينسانا
حليفتنا، مدى اليمين وجدّدى مواثق قد ضمتك أمس وإيانا
صوالحنا فى الحرب والسلم قاربت عقولاً وأدنى حافز الحب وجدانا
ألست التى أخلاقها جُلُّ مجدها وما أجمل الأخلاق للملك بنيانا
ونحن بنى البردىّ أقلامنا جرت وما كان فى دنيا الكتابة إلا انا
سننا العهود والمواثيق سنة وما كان أولانا بذاك وأحرانا
فنحن بنى الشرق المضئ بنوره طلعنا على الدنيا يقيناً وإيمانا
وإن يخفر الشرقىّ عهداً وذمة وقد خلق الشرقى للناس أديانا

عبد اللطيف النشار

سلميون محاربون (*)

للأستاذ حسين الظريفى

رعا الله فتيان البلاد فإنهم نسور هبوب، أو ليوث وثوب
وأنهمو لا ينثنون عن المدى وليسوا بهيّابين كل هيوب
إذا دخلوا الميجاء يوم كريهة فهم بين طعّان وبين ضَروب
وقاذف نار من حديد كأنها رجامُ سماء من بنات شَعوب
يطير بمجنح الطائرات إلى المدى بكل طلوع، أو بكل غروب
ويركب متن السائرات، وما له بها من ونى فى جَيْئَةٍ وذُهوب
مصفحة الأطراف مضبورة القرا تمج لهيباً موصلاً بلهيب
وليس بهم إن أوجب السلم نفسه سوى كل داعٍ بينهم ومجيب
يحيّون بالريحان كل مسالمٍ بخالص ودٍ لم يكن بمشوب
وما فيهمُ إلا أخو كل برّة وكل طليق الراحتين وهوب
لقد كتبوا تاريخهم بدمائهم على كل يومٍ بالجهاد عصيب
صحائف نصرٍ بالدماء خضيبة وراء حروبٍ أوصلت بحروب
وساروا على أشلائهم لرجائهم ففازوا بنصرٍ من لدنه قريب
هم النبع لطفاً والحجارة شدة ونعجز أن تأتى لهم بضريب

حسين الظريفى

(*) قطعة من رواية « الفداء » للشاعر: قيد التأليف



مذهب الشك قبل ديكارت

وردت كلمة للأستاذ (السيد يعقوب بكر) فى العدد (٤٦٣) من الرسالة يقارن فيها بين ديكارت فى قوله: « أنا أشك فأنا أفكر فأنا موجود » وابن يعيش فى كلمة له: « إنك إذا قلت: عدمتنى، فمعناه علمتنى غير موجود، لأنك إذا علمت كنت موجوداً وصحته على الاستعارة »

وقد أورد ابن يعيش هذه الكلمة فى شرحه على مفصل الزمخشرى فى قواعد اللغة العربية — أوردها عرضاً وهو يناقش تركيباً من حيث معناه، ثم تركه ومضى فيما يعنيه من شرح القضايا الأخرى

فابن يعيش لم يكشف مذهباً فلسفياً، بل لم يجل بفكره أن يقف عند هذه القضية قليلاً ولا كثيراً، فكيف ينتظر منه أن يسايرها إلى غاياتها ويتخذها أساساً لمنهج فلسفى؟

فليس الفرق أن هذا لم يصح مع أنه السابق وذاك صاغ مع أنه اللاحق؛ ولكن الفرق هو أن ابن يعيش يناقش تركيباً عربياً من حيث معناه ثم يتركه إلى غيره؛ وديكارت درس طويلاً مختلف المذاهب الفلسفية التى تقدمته فرأى الفلاسفة عاجزين عن حل ما تصدوا لحله من المشاكل العقلية فتركهم يائساً « ألا يطفئ غلته من جداولهم » . ولجأ إلى الشك بعد أن لج به اليأس، فشك فى كل رأى وعقيدة فى طريقى المعرفة: العقل والحواس، حتى لشك فى وجوده فإذا هو مضطر أن يعترف بحقيقة لا شك فيها وهى أنه يشك أى يفكر فهو لا بد أن يكون موجوداً، فوضع قاعدته: « أنا أفكر فأنا موجود » وهو لم يثبت بذلك وجود جسمه ولا نفسه بل ذاته المفكرة

ثم مضى فى تفكيره على هذا الأسلوب حتى شاد فلسفة رفيعة تضىء الطريق لأصدقائها وأعدائها على السواء.

إن كان أحد قد سبق ديكارت بشىء من فلسفته — فيما أعلم — فليس ابن يعيش الذى عاش فى القرن الثالث عشر الميلادى متقدماً نحو أربعة قرون على ديكارت الذى عاش فى النصف الأول من القرن السابع عشر (١٥٩٦–١٦٥٠) بل فيلسوف آخر عاش فى القرون الوسطى الأوربية فى عصرها الأول الذى يسمى فى تاريخ الفلسفة « عصر آباء الكنيسة Patristic Period »

وقد سبق ديكارت بأكثر من اثنى عشر قرناً، وهو القديس « أوريليوس أوغسطين Aureluis Augustinus » فيلسوف المسيحية. وقد ولد عام ٣٥٣م فى « تجستي Tagaste » فى شمالى أفريقية لأب وثنى وأم مسيحية ملؤها الإخلاص والحماسة لدينها فنشأ وثنياً على ملة أبيه، ثم اعتنق المسيحية فى الرابعة والثلاثين من عمره، فصار فارسها الأوحد الذى يناضل عنها بكل ما أوتى من قوة وبراعة؛ ورأى فيه المسيحيون إمامهم الذى إليه يرجعون فى مشاكلهم فلا يذكر اسمه فى مجال خلافى حتى ينحسم الخلاف فى رضا واستسلام فهو الفيصل الذى لا معقب له.

قرر أوغسطين — وهو يفصل رأيه فى المعرفة — أنه إذا جاز للانسان أن يرتاب فيما تمده به الحواس من معلومات فلا يجوز له الريب فيما يزوده به العقل؛ لأنه حق ثابت، إذ الشك لا يمتد إلى شعور الإنسان بإحساساته الباطنة، كما أن الشك فى الإحساسات الخارجية يتضمن الاعتراف بوجود ذات تشك، لأنى إذا كنت أشك، فإنى أعلم بشكي أنى موجود؛ فالشك إذن يتضمن الاعتراف بوجود المفكر من غير شك ولاخطأ، فإذا تشككت فى كل شىء، فلن أخطئ إذ لا بد أن يكون المخطئ موجوداً.

وهكذا يمضى الفيلسوف فى فلسفته فيثبت وجود الله وقدرة العقل على تحصيل المعرفة التى مصدرها الله ويبين الكيفية التى خلق الله بها العالم، ويفصل رأيه فى الروح والمادة والأخلاق وطريق الاتحاد بالله والسعادة الأخروية. وقد توفى عام ٤٣٠ م.

ومن مفكرينا المسلمين اثنان شكا كديكارت فى كل شىء وإن لم ينتهيا إلى ما انتهى إليه من خلق فلسفة شاملة تفيض باليقين والإيمان من طريق العقل: أحدهما فيلسوف المعرة أبو العلاء الذى انتهت به قسوة الحياة وآلامها الملحة إلى الشك بالتشاؤم فلم يبق له إلا الإيمان بالألم كما يرى ذلك من قرأ له لزومياته ورسائله إلى داعى الدعاة ورسالة الغفران. وثانيهما حجة الإسلام الإمام الغزالى الذى انتهى من الشك إلى الإغراق فى التصوف كما يرى ذلك من قرأ كتابه « المنقذ من الضلال » . ومما هو جدير بالالتفات هنا تشابه القديس أوغسطين والإمام الغزالى

فى كثير من آرائهما وحياتهما ومنزلتهما فى الدين ، فأوغسطين فى المسيحية هو الغزالى فى الاسلام ، وكل منهما اضطرته ظروفه المحيطة به ، والتى كانت تهدد دينه أن ينبرى ليدافع عنه أعداءه فوفق فى دفاعه كل توفيق

(تسالونيك) محمد خليفة التونسى

من محام شرعى الى قاض شرعى

حضرة الأستاذ على الطنطاوى المحترم

السلام عليكم ورحمة الله ... جاء فى مذكراتكم المنشورة فى العدد (٤٦٢) من (الرسالة) المجيدة ما نصه :

« ولا بد من الرجوع إلى الحكم بالشهادات التى قد يعلم القاضى أنها شهادات زور ، وأن الشهود فساق لا عدالة لهم ، ولا تقبل من مثلهم شهادة ، وكانت القرائن تقطع بكذبها — والقرائن والأمارات من أسباب الحكم — كما بين ذلك ابن قيم المدرسة الجوزيه فى كتابه الجليل « أعلام الموقعين » ؛ ولكن لا سبيل إلى الأخذ بها إلا أن تنظر « وزارة العدل » فى (دمشق) فى الاقتراح الذى رفعته إليها فى هذا الموضوع ، وتتخذه أساساً لاصلاح شامل يخلص الناس من شهود الزور ... فكيف يهدأ بال من يغلب على ظنه ؛ أو يعلم فساد البينة ، ثم يضطرون إلى الحكم بها »

ألا فليهدأ الأستاذ بالاً ، وليطمئن قلباً ، وليقر عيناً ... فليس فى الأرض — أو على الأقل — ليس فى بلد من بلاد الاسلام قانون شرعى أو وضعى يجبر القاضى على الحكم ببينة يعلم أنها زور ، لا سيما إذا كانت القرائن تقطع بكذبها ، بل حتى إذا كانت القرائن توجب الشك فيها ، أو تجبره على قبول شهادات الفساق الذين لا يقبل من مثلهم شهادة . ويكفى فى تعليل إبطال هذه الشهادات وعدم العمل بها أن يقال : « لم تطمئن المحكمة لهذه الشهادات فردّتها » ؛ وإن استؤنف هذا الحكم فسيصدق (مئة فى المئة) ، إذ لا تملك محكمة الاستئناف القوة على جبر القاضى بالعمل بما يراه باطلاً

وانظر — رحمك الله — كم بالغ الفقهاء فى وجوب تحرى القاضى وبحثه عن أحوال الشهود ، حتى لو ظهر كذبهم بعد التزكية لم يعمل بشهادتهم . فهذا من جهة الشرع ؛ وأما القوانين الوضعية ، فقد جعلت تقدير الشهادات عائداً لضمير القاضى وألغت التزكية — وهى بحالها الحاضرة جديرة بالالغاء —

إذن ، لا يتوقف التخلص من شهادات الزور على نظر وزارة العدل فى الاقتراح الذى رفعتموه إليها للأخذ بالقرائن والأمارات فى هذا الموضوع

إنما الأخذ بالقرينة والأمارة موضعه فيما تنعدم فيه الشهادة فيكون الحق عرضة للضياع إذا لم يؤخذ بالقرينة والأمارة

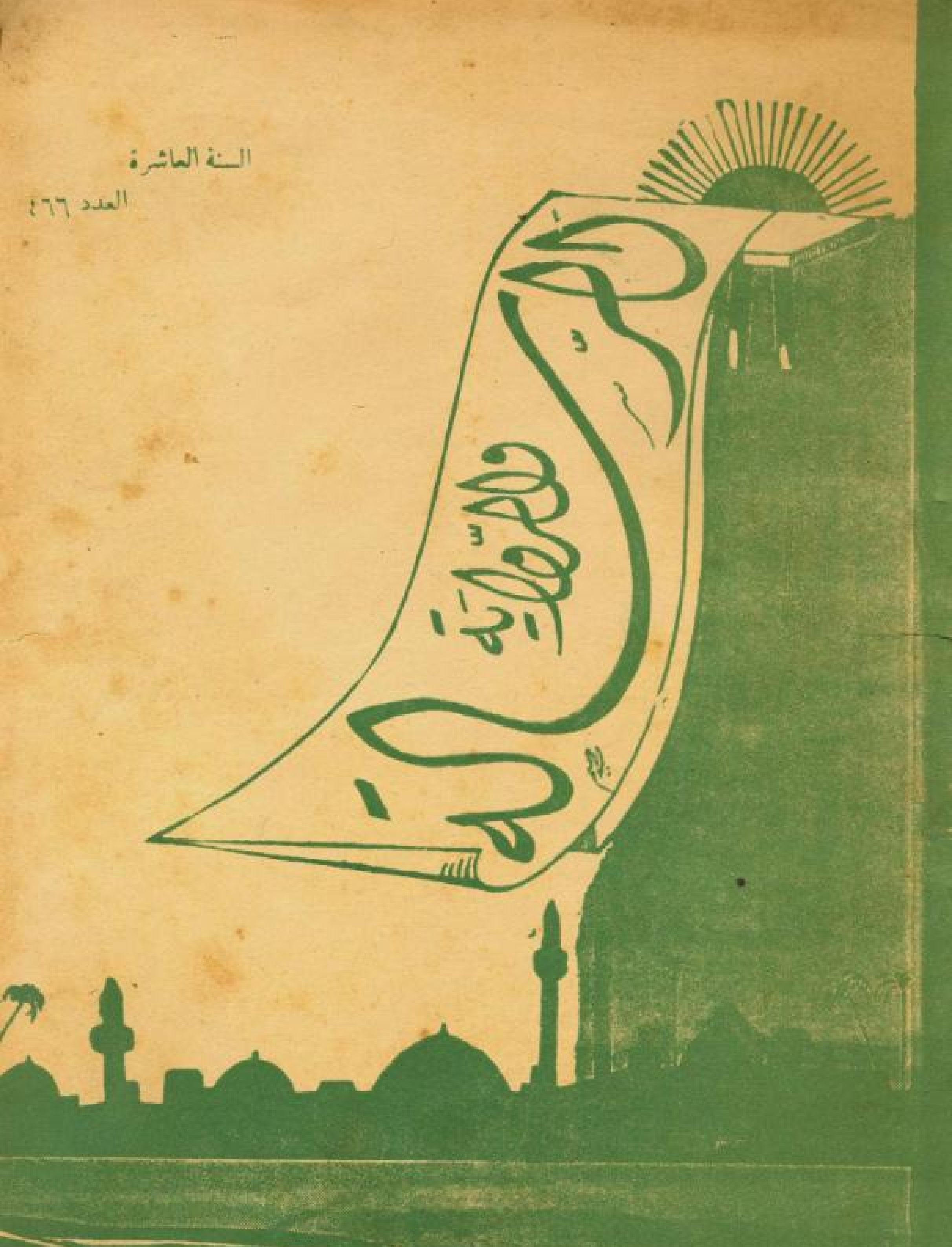
ولو أن الأمر على ما ذكر الأستاذ من أن القاضى مضطر للحكم بشهادات يعلم أنها زور ، لكان هذا هو الظلم الذى ليس بعده ظلم ، ولما جاز للمسلمين أن يسكتوا عنه لحظة واحدة ، حتى تبدل الأرض غير الأرض ... وكيف يكون كذلك وهم — فى محاكمهم الشرعية — يعملون بشريعة الاسلام . وهى وهذا ضدان مفترقان ؟

نعم ، بعض قوانيننا التى يجرى العمل بها فى المحاكم الشرعية — فيما سوى مصر — تحتاج إلى نظر وتعديل ، ولكن ليس فيها هذا الظلم

وتعقيب آخر : قلتم فى آخر مقالكم : « وقد فسروا حديث القاضى والقاضيين أن القاضيين اللذين فى النار هما ... الخ » ؛ وهذا ليس تفسيراً للحديث ، وإنما هو من صلب الحديث بلفظ آخر ؛ ولفظة (فى الجامع الصغير) : « قاضيان فى النار ، وقاض فى الجنة : قاض عرف الحق فقضى به ، فهو فى الجنة ؛ وقاض عرف الحق فجار متعمداً ، أو قضى بغير علم ، فهما فى النار »

(اللد — فلسطين) داود حمدان

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)


السنة العاشرة
العدد ٤٦٦
الرسالة

10me Année No. 466

Lundi - 8 - 6 - 1942





صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٦٦ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٦١ — الموافق ٨ يونية سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

الصفاء بين الأدباء أيضاً

للأستاذ توفيق الحكيم

كانت دعوتى إلي الصفاء بين الأدباء خالصة لوجه الأدب . فأدباء مصر البارزون الدائبون على الإنتاج لا يتجاوز عددهم العشرة مع التسامح الشديد ، بينما نظراؤهم فى بلد كفرنسا يبلغون أكثر من مائتين من المشهورين المنتجين ، ومع ذلك نطلع على صحفهم الأدبية فلا نرى غير تكاتف وتساند على أداء رسالة الأدب والفكر . إن الفن طويل والحياة قصيرة ، وكان الأجدر بنا نحن العشرة أن نوجه صراعنا لا إلى بعضنا البعض ، بل إلي الفن ومصاعبه وأسراره . إن « جوته » حتى وهو مستشار للدولة ما كان يستغنى يوماً عن صديقه « شيلر » وهما يعملان فى عين الفرع من الأدب التمثيلى ، فكانت بينهما مراسلات لا تنقطع طول النهار على قرب الديار ، جمعت فى مجلدين يرى المطلع عليهما كيف أنهما كانا يتشاوران فى تفاصيل القصص الذى كانا ينشئان ويتحاوران فى أمر بناء الوقائع ورسم الأشخاص ، بل وفيما ينبغى أن يختار لذلك القصص من اسم وعنوان ... كنت أحب لأنفسنا مثل هذا الصفاء الذى يخرج فى جوه الفن الصافى . ولكن الأستاذ عباس محمود العقاد فى مقاله « صداقات الأدباء » رد يقول إن صاحب الدعوة إلى الصفاء هو الذى بحث عن أسباب الكدر بملقاط ليخلقها خلقاً بين رجلين على أحسن ما يكون

من الصفاء ! فإذا صح هذا الزعم كان حقاً مما يدعو إلى الأسف بل إلى السخرية ! وربما كان ظاهر الوقائع يدل على ذلك ؛ ولكن هل كانت تلك حقيقة المقاصد والنوايا ؟ ليس من واجب الأستاذ العقاد فيما أرى أن يبحث خلف أستار الظاهر ، وليس من حق أن أطالبه بالنفوذ إلى أعماق النفوس ، فليكن الله وحده إذن شهيداً على ما أضمرت . وقد رأى الأستاذ العقاد أن يجزى واحدة بواحدة، فلم يفته فى ختام مقاله أن يدس هو الآخر سبباً من أسباب الكدر بينى وبين الدكتور طه حسين بقوله : « إن الأستاذ الحكيم يقول بعد الإشارة إلى ثناء الدكتور طه عليه منذ سنوات : لم نسمع فى غير مصر أن الناقد إذا أثنى على كتاب حسب أنه تفضل على مؤلفه ورفع شأنه من الحضيض الخ الخ » . ومضى يصورنى فى هيئة الناكر للجميل ، والأستاذ العقاد ولا شك قد فهم أنى ما قصدت بإيراد هذه العبارة وأمثالها إلا مجرد إظهار الإساءة لطه حسين وهو فى أوج نفوذه . فقلت ما نصه : « إن هذا الوقت هو أحب الأوقات عندى لإساءته لا لإرضائه . . . وأما مشاعرى الخاصة كانسان نحو الدكتور طه فليس الظرف اليوم مواتياً للأطناب فى وصفها ؛ وسأختار الزمان والمكان اللائمين للأفاضة بها دون أن يحمل فعلى على غير محمله » . لكن . . . ما دام الأمر قد حمل على غير وجهه وسجل علىّ سبباً من أسباب الكدر النائمة من الصفاء ، فهل أحجم عن العمل على إزالة الأكدار ؟ وإذا كانت الظروف هى التى شاءت أن تختار الزمان والمكان اللائمين للأفاضة بما عندى ، فماذا يجب أن أصنع أمام مشيئة الأقدار ؟ فلأتكلم إذن ولأقص القصة كما رأيتها وعشتها . . .

الحقيقة أنها كانت قصة انتهت مع الأسف بانهيار صداقة من أعظم الصداقات التى عرفها أدبنا المعاصر . لقد كان مبدأ ظهورى فى الجو الأدبى كما هو معلوم نشر «أهل الكهف» عام ١٩٣٣ ، ولم تكن هذه الرواية بالطبع بدايتى الأولى فى هذا اللون من التأليف ، بل كانت ثمرة تجاريب عشرة أعوام أو يزيد سابقة على الشروع فى وضعها ؛ فلقد كنت قبل ذلك أكتب للمسرح المصرى روايات مما يلائم جمهور تلك الأيام . فمثلت لى أربع قصص وعهد بالخامسة إلى المرحوم سيد درويش ليضع ألحانها ولكنه اختلف مع المسرح على الأجر المطلوب . وكانت هنالك فيما أذكر سادسة وسابعة لست أدرى ما حدث لهما . وإنى وإن كنت أوثر نسيان هذه الروايات الأولى إلا أنى لا يجب أن أنكر فضلها على تكوينى الفنى الأول ، فلقد كانت هى خير مران لى على ممارسة الحوار ، ثم اتسعت آفاقى باتساع نطاق مطالعاتى فى أصول هذا الفنّ فى الآداب الأجنبية . وضاقت بى مصر فرحلت إلى فرنسا بعد أن كنت قد سجلت اسمى فى جدول المحامين ومهدت أمرى لحياة مجدية . ولكن أى شيطان فى أعماق نفسى كان يدفعنى إلى إضاعة حياتى وراء فن لم يكن له بمصر أى احترام ؟ وهنالك فى فرنسا قرأت كثيراً وكتبت بالفرنسية نحو أربع روايات تمثيليــة مزعت الواحدة تلو الأخرى تمزيقاً عقب الفراغ منها واطلاع بعض أرباب ذلك الفن عليها . فلم أكن قد اهتديت بها إلى شىء يذكر . ولبثت فى هذا الجهاد زمناً لا أجد فى آدابنا العربية مرجعاً لهذا الفن ولا مصدراً محترماً يجعلنى أبدأ منه أو أضيف إليه . إنما كان علىّ أنا أن أخلق البداية خلقاً . وكتبت بعد ذلك عدة روايات من بينها « أهل الكهف » دون أن أدرى أنها موفية بالغرض بعض الشىء أو قريبة من الهدف الذى أسمى إليه . وقد اشتغلت بالقضاء فأنسانى هذه «الخزعبلات» ودفنت مخطوطاتى فى حقائبى طويلاً أتنقل بهـا من بلد إلى بلد ومن قرية إلى قرية ، حتى وقعت مخطوطة « أهل الكهف » ذات يوم فى يد قاض مثقف من زملائى كان يذكر أيامى الماضية فى مسارح القاهرة . وانتقل بالمخطوطة إلى العاصمة ، ومن هناك أرسل إلىّ يقول إنه ساع فى طبعها . فتملكنى الدهش . ما معنى الطبع ؟ ولماذا ؟ وماذا يحدث إذا طبعت غير خسارة المصاريف ؟ فلما أصر أصررت على ألا يتجاوز عدد المطبوع مائتين من النسخ . وهو أكبر عدد يمكن توزيعه على المعارف والإخوان . أما أكثر من هذا فلا أعرف ما أصنع به ، وليس لدى مكان أخزن فيه هذه الأكداس من الورق .

ونشرت «أهل الكهف» وحدث ما يعرفه الناس . فقد قام الدكتور طه حسين يعلن فى (الرسالة) بصراحة وقوة أن الأمر ليس فقط أمر كاتب وكتاب ، إنما هو « باب أدبى جديد فتح فى الأدب العربى ... الخ الخ » . وظلت تلك عقيدة طه حسين يناضل عنها حتى عند ما عارضته بعدئذ بقولى إن الحوار الأدبى عرفه الجاحظ ووجد منه كثير فى كتاب الأغانى ، فقد أبى الاعتراف بذلك وأصر على اعتبار « أهل الكهف » مبدأ ظهور « الحوار الأدبى التمثيلى » باباً من أبواب الأدب العربى كما هو مقرر فى الآداب الأجنبية باباً من أبوابه . ولقد كان طه حسين مخلصاً فى مذهبه

إلى حد أغضب الكثيرين وإلى حد استطاع معه أن يقنع صفوة من المفكرين ، أذكر منهم « لطفي السيد » الذي استقبلني بعد نشر « شهرزاد » بقوله : « أنت شيخ طريقة ... أقصد في الأدب . وطه حسين على حق . وطه بخيل وهو لا يصر هـذا الإصرار إلا إذا اقتنع »

تساءلت فيما مضى وأتساءل الآن مرة أخرى : هل كان في طاقتي أو طاقة إنسان فرد أن يشكر طه حسين على كل هذا ؟! في الحق أن عمله كان أجل وأضخم من أن أتولى أنا وحدي شكره . لقد كان على الأدب العربي ممثلاً في رجاله وهيئاته أن يقوم بذلك . ولعل التاريخ يصنع هذا لو ثبت له أن طه مصيب

على أني في حقيقة الأمر لست أذكر ما اعتراني من شعور في ذلك الوقت ، وأغلب الظن أني شغلت عن الأدب العربي وأبوابه ومذاهبه بشيء أجل بكثير من كل هـذا : هي صداقة طه حسين نفسها . فقد بعثت إليه ببرقية ، وأنا لا أعرفه ، غداة ظهور مقاله المشهور ، أشكره فيها شكراً حاراً . ثم تركت إقليمي الذي كنت فيه وكيلاً للنائب العام وجئت مصر فلقيت طه حسين ونشأت بيننا مودة كانت أرفع وأجل من أن تعيش طويلاً . لقد لبثنا شهوراً وكأن أحدنا قد عثر على شيء ثمين بعثوره على الآخر . إن طه شخصية عظيمة باهرة . إنه من شخصيات التاريخ بلا جدال . والتاريخ فيما يخيل إليَّ فنان ، يتخير أشخاصه بيده ويطبعهم بخاتمه حتى قبل أن يلبسهم أدوارهم ويدفعهم إلى مصائرهم العظمى ! لقد كان حديث طه يسحرني ، وشئونه تعنيني ... لقد كان مجرد اسمه يذكر أمامي يجعل نفسي تتفتح مبتهجة كأنها زهرة مر عليها نسيم ! وربما كنت أنا أيضاً أنزل من نفسه بعض هذه المنزلة . فقد كتب ذات مرة يقول : « إني أسمع اللوم لأني أحب توفيق الحكيم ، وأقرأ الشتم لأني أكبر توفيق الحكيم ، وأنا أبسم للوم اللائمين وأضحك لشتم الشاتمين . لأني لم أحب هذا الكاتب إلا لأنه الممنى الحب ، ولم أعجب بهذا الكاتب إلا لأنه الممنى الإعجاب ! »

لكن ... وا أسفاه ! لقد تغلب أولئك الشاتمون واللائمون آخر الأمر ، وفازوا بمآربهم وأشعلوا نار الوقيعة بيننا ، واضعين أيديهم على مواطن الضعف فينا ، وضعف الفنان هو عزته وكرامته وإن شئت فقل غروره ... وهكذا لم يستطع طه حسين أن يحتفظ طويلاً بابتسامه وضحكه أمام الساعين بالسوء ؛ ولم أستطع أنا أن أحتفظ باتزاني ، فأنقذ المودة الصادقة ، وأضحى بالعزة الكاذبة ...

وبهذا حطمنا تلك الجوهرة التي منحتنا إياها السماء ... من أجل ... من أجل ماذا ؟

لست أدري ما حدث بعد ذلك ، فذاكرتي الآن لا تسعفني ، كل ما أذكر أننا حاولنا أن نرم ما تحطم ... ولقد أقمنا معاً بعض الصيف في جبال الألب ... فضحكنا كثيراً ، ولهونا طويلاً ، بل لقد ألفنا معاً هناك كتاباً ... ولكن ... ولكنها مع ذلك لم تكن الصداقة الأولى ... لماذا ؟ لعل شيئاً في نفسينا لم يكن صافياً كل الصفاء ، أو في نفسي أنا على الأقل ... إني أعترف ، لقد كنت أمتنع عن كل ما يؤخذ على أنه ملق أو زلفى ... لقد كان طه حسين وقتئذ كما هو الآن شخصية ذات نفوذ ، وأنا أكره إرضاء أصحاب النفوذ

أنا الذي كان ينبغي له أن يهدي إلى طه حسين كثيراً من كتبه ، أو على الأقل « أهل الكهف » ... كنت أتردد في كل طبعة تصدر لهذا الكتاب أو غيره ، ولم أجد في نفسي الشجاعة أو القوة على القيام بهذا الواجب الضئيل ... لماذا ؟ لأن طه من أصحاب النفوذ ! هذا أيضاً ما جعلني أصمت عن التنويه بآثاره وأنا أقدر الناس على فهم ملكاته وهباته ... ولكني الآن وقد وضعت بين تهمتين : الزلفى أو نكران الجميل ... فإني أوثر التهمة الأولى : فلقد سبق أن اتهمت بها في مجال السياسة ، فلم تلبث براءتي أن ظهرت ، فمن السخف أن أقيم لمثل هذه الأشياء بعد اليوم وزناً ... لقد كادت تضيع بسببها أيضاً صداقتي « بمحمد العشماوي » ، فلقد تجنبته عن عمد بلا جريرة يوم عين وكيلاً لوزارة المعارف منذ أعوام ، لكنه فطن إلى الأمر ، فما زال يظهر لي من المودة أضعاف ما كان يظهر من قبل ، حتى اطمأنت نفسي ، وأيقنت أنها صداقة حقيقية بين عقلين وروحين ، لا شأن فيها للنفوذ ، ولا دخل للمناصب

إن الخلق العظيم حمل لا يقوم به غير العظماء ... ! هم وحدهم الذين أعطوا الشجاعة والقوة على أن يسيروا قدماً نحو الجميل النبيل من الأخلاق دون أن يلتفتوا يميناً أو يساراً ، ودون أن يصغوا إلى همس الهامسين وتأويل المؤولين ! !

والآن ، لعلي قد رددت على كلمة الدكتور طه حسين التي نشرها في (الأهرام) ، ولعله اقتنع بأن الأمر لم يكن جحوداً ولكنه تردد ، وهذا لا يغير من الموقف كثيراً ، ولكن هذا خلقي ، فليساعدني على علاجه أصدقائي ! !

(البقية على صفحة ٦١٢)

الدكتور طه حسين يتحدث عن :

الحب الضائع

للدكتور زكى مبارك

حين تلطف صاحب العزة الدكتور طه بك حسين فأهدى إلىّ نسخةً من « دعاء الكروان » لم يفته أن يقول إنه سيهدى إلىّ بعد أسابيع نسخة من « الحب الضائع »

وقد التفت ذهنى إلى مدلول هذا القول ، فمن عادة الدكتور طه أن يتظاهر بالتواضع ، وأن يعلن أنه لا يعنى ما يقول ، وأن الناس لا يقبلون على مؤلفاته إلا متفضلين ، فكيف حرص هذه المرة على التبشير بكتابه الجديد ؟

وزرته بعد ذلك فى مكتبه بوزارة المعارف لشأن من الشؤون التعليمية فأدركت من سياق كلامه أنه سيرسل إلىّ كتابه الجديد يوم الخميس ، فما هذا الكتاب الذى يحدثنى عنه الدكتور طه مرتين قبل أن يظهر فى أسواق الورّاقين ؟

ثم جدّت شواغل صرفته وصرفتنى عن التلاقى نحو أسبوعين ، فلم يهد إلىّ كتاب « الحب الضائع » إلا يوم أهديت إليه كتاب « ملامح المجتمع العراقى » ، والجروحُ قِصاص !

كان من همى أن أعرف ماهيّة الكتاب الذى بشرنى به الدكتور طه مرتين قبل أن يظهر فى الأسواق ، فكانت النتيجة أن أقرأ منه خمسين صفحة فى الطريق ، وأن أستأنف قراءته فى العصرية لأفرغ منه قبل أن ينتصف الليل

فما جزاء المؤلف الذى يفرض علينا أن نقرأ نحو ٢٢٤ صفحة فى يوم واحد ؟

جزاؤه أن نسوق له الحمد والثناء بغير حساب ، فما تسمح الظروف بأن نجد فى كل يوم كتاباً يجذبنا إليه بهذا السحر الغريب .

وما « الحب الضائع » ؟

هو كتابٌ يصوّر العواطف الطبيعية فى الريف الفرنسى لعهد الحرب الماضية . والكتاب ليس بجديد ، لا فى الروح ولا فى الأسلوب ، فله أمثال تعدّ بالعشرات أو بالمئات ، ومع هذا فلن يقول الفرنسيون حين يُترجَم إلى لغتهم « هذه بضاعتنا رُدّت إلينا » لأن طه حسين حين يقتبس لا يفوته أن يضفى ثوب الابتكار على الاقتباس .

والمهمّ هو تنبيه القراء إلى قيمة هذا الكتاب ، فمن المؤكد أن فيهم من تغيب عنه مراميه على وجهها الصحيح ، وقد يكون فيهم من يتصور أنه كتابٌ فى الحب ، والحبُّ عند الغافلين عبثٌ ومزاح !

هو كتابٌ فى الحب ، على نحو ما يتصور أديبنا العظيم طه حسين ، والحبُّ عند من يكون فى مثل حالته العقلية آصرةٌ معقّدة إلى أبعد الحدود ، فهى تمسّ الآباء والأمهات قبل أن تمسّ البنين والبنات ، وهى تقلقل المجتمع قلقلة لا يعرف مداها غير الشغوفين بدراسة أهواء العقول وأحلام القلوب

> **أعداد الرسالة الخاصة**
>
> فى سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية ، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة ، ينوه بفضله ويعرف بأهله . وستبدأ بعدد العراق . والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا الواجب بإرسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

والمؤلف يُجرى الحديث على لسان فتاة تؤرّخ حياتها من مساء إلى مساء ، بعبارات فطرية قليلة التنميق والتهويل ، وهو فى أثناء ذلك يُنطق الفتاة بأقوال تفصّل من العُقد النفسية أشياء وأشياء

والمتأمل يرى فى الكتاب دقائق يمسها المؤلف برفق ، لأنه لا يريد أن يجعل فتاته كثيرة الاستقصاء ، وإن زعمت لنفسها نية الاستقصاء ، وهذه إحدى النواحى الطريفة فى هذا الكتاب الطريف .

فالآنسة مادلين لم تلتفت إلى دفتر اليوميات إلا بعد عصرية قضتها مع صواحب ألِفن كتابة اليوميات ، ومن هذا نعرفُ أن المؤلف يريد النص على أن النساء ينقلن عن النساء أكثر مما ينقلن عن الرجال

ثم نمضى مع صاحبة اليوميات فنعرف أنها تعيش بين أهل جعلت فواجعُ الحرب أيامهم بؤساً فى بؤس ، ومع هذا يحتال المؤلف فينطق الفتاة بكلمات نعرف منها أن للشباب أحلاماً تنسى

أصحابها فواجع الحرب ، فقد رأينا مادلين تداعب خيال العيش المقبل من وقت إلى وقت ، برغم ما يعانى أهلها من متاعب وكروب

وكلام المؤلف فى تصوير عواطف الأبوّة والأمومة عند الفرنسيين غاية فى الصدق ، وهو يسوق كلامه على قلم الفتاة بأسلوب حزين ، يلائم الحياة فى ذلك البيت الحزين .

والواقع أن « عاطفة السّكن » قوية عند الدكتور طه إلى أبعد الحدود . والسكن هو الكلمة العربية التى تماثل الـ Foyer فى اللغة الفرنسية ، فهو حين يدور حول هذا المعنى يفصّله أجمل تفصيل ، وبلا تكلف ولا افتعال

ولم يكن بدٌّ من الحديث عن الوطنية الفرنسية لعهد الحرب الماضية ، فهل يُنشئ المؤلف خطبة على لسان تلك الفتاة ؟

يكفى أن يشير إلى أن تلك الأسرة ظهرت فيها ظاهرة من جنون ، وهى تطوُّع الأخ الأصغر للخدمة العسكرية قبل أن يبلغ سن الحرب ، فقد كان يقول :

« صُرع أحد أخوىّ وجُرِح الآخر ، وما ينبغى أن تخلو ميادين الحرب من أحدنا » . وهى عبارة فى غاية من القوة ، وقد ساقها المؤلف فى بساطة توهم أنه لا يعنى ما تنطوى عليه من مقاصد وأغراض .

وهنالك نظرية أخلاقية تعرض لها المؤلف فى عدة مواقف ، وهى النظرية الخاصة بمواجهة الحياة ، ومن رأى المؤلف أنه لا بدّ للأحياء من أن يعيشوا ، وأن اجترار الأحزان مرض يجب دفعه بلا إمهال

ولا يفوت المؤلف أن ينص على ما يقع من المضارّة بين الأخ والأخت ، ولا يفوته أن يجسِّم النفاق الذى يقع فى البيوت عند تبادل الاستغفال بين الجيل القديم والجيل الجديد

وأقول مرة ثانية إنى أريد تنبيه القراء إلى قيمة هذا الكتاب لأنه كُتِب بطريقة يغلب عليها الرمز والإيماء ، وإن كان غاية فى الصراحة والوضوح ، عند من يساير المؤلف فى أشواطه الطوال

وهل فيمن قرأوا هذا الكتاب من تنبّه إلى نظرية دقيقة ساقها المؤلف فى أسطر معدودات بالصفحة الثامنة والستين ؟

فى تلك الأسطر يشير المؤلف إلى أن الحيوان المتوحش يحتلّ صدر الإنسان المتحضر ، ولم يفته إلا النص على أن الحضارة سلاح جديد يزيد التوحش ضراوة إلى ضراوة واستذآباً إلى استذآب

وهنالك صفحة عجيبة غريبة تذكّر بأدب أبى حيّان التوحيدى فى تشريح العواطف ، وهى الصفحة الخاصة بالشوائب التى تفسد الوداد ، ومن تلك الصفحة نعرف كيف جاز أن يتعرض الدكتور طه لتقلبات فى الودّات والصداقات يستغفلها مَن لا يعرف ما فُطِر عليه من توهج الإحساس

تلك الصفحة تفسر ما يقع فيه الدكتور طه من وقت إلى وقت ، فهو يقطع ما بينه وبين أصدقاء لا يجود بأمثالهم الزمان ، وهو قد يصل أقواماً لا يمتّون إلى روحه بسبب قريب أو بعيد ، ولعله أكثر الناس ابتلاء بالمخادعين والمرائين ، لأنهم أحرص على مراعاة الظواهر من المصافين والموافين ، والكاذب يسبق الصادق إلى امتلاك القلوب الخواضع لخوادع الوداد

وتلك الصفحة غاية فى القوة من الوجهة الأخلاقية ، فالجهل يصدنا عن مراعاة الواجب فى معاملة الأصدقاء ، فنتوهمهم يقبلون منا كل شىء ، ويغفرون لنا جميع الذنوب ، ولو عقلنا لأدركنا أن الصديق ينتظر أن يسمع منا ما يحب فى كل وقت ، ويرجو أن نرى سيئاته أشرف من الحسنات ، وأن نعدّه أعظم مخلوق جادت به على الأرض السماء

ومن يُسمع الصديق كلمة اللطف إذا بخلنا بها عليه ؟

وماحاجة الصديق إلينا إذا صارحناه بعيوبه كما نصارح الأعداء؟

آفة الصداقة أن نعاملها كما نعامل العداوة ، باسم الحرص على الشجاعة الأدبية ، مع أن للصداقة حقوقاً أيسرها التغاضى عن هفوات الصديق

ونحن فى الغالب نلاطف الأعداء ليصيروا أصدقاء ، ونتناسى حقوق الأصدقاء ، لأن ودهم مضمون ، ثم تكون النتيجة أن يعدّنا الأعداء من أهل الرياء ، وأن يعدنا الأصدقاء من أهل العقوق

والدكتور طه لا يلتفت إلى ما يفسد الصداقة عن عمد وإصرار ، لأنه أوضح من أن يحتاج إلى التفات ، وإنما يلتفت إلى الشوائب التى تصدر عن نبرات الصوت ، وحركات الجسم ، ولحظات الطرف ، وهى « أشياء يسيرة تحسُّ وتُلحظ ، ولكنها لا تكاد تثبُت للتصوير والتعبير . هى أيسر من ذلك وأدق . هى تنفذ من أعماق النفوس إلى أعماق النفوس ، لا تكاد تمر على الألسنة ، ولا تكاد تستقر فى العقول ، ولا فى مظاهر الحس والشعور ، وهى من أجل ذلك مؤذية مهلكة شديدة الخطر على الحب والود ، وعلى ما بين الناس من صلات ، هى أشبه بهذه الجراثيم التى كانت تفتك بحياة الناس وتذيع فيهم ألوان الوباء

والموت دون أن يحس لهما الناس وجوداً ، أو يستطيعوا منها احتياطاً . ولكن العلم قد كشف هذه الجرائم ، وأخذ يعلّم الناس كيف يعرفونها وكيف يدرسونها وكيف يتقونها ... فمتى يستكشف العلم هذه الجرائم المعنوية التي تفسد الود وتفتك بالحب وتقطع أمتن ما يكون بين الناس من صلات ؟ »

وهذا كلامٌ نفيس جدًّا ، وهو غرة هذا الكتاب النفيس

ثم تكون المشكلة الأساسية ، وهي زعزعة الحب في قلوب الأزواج ، وفي هذه المشكلة يتحدث الدكتور على لسان مادلين حديث الخبير بدقائق هذه الشئون ، فيرينا أن عاطفة الحب تحتاج إلى رعاية موصولة ، وأن المرأة قد تفقد قلب زوجها حين تُشغل عنه بشاغل شريف مثل تربيب الأبناء

وأقول : إن لهذه المشكلة جوانب مختلفة ، فالذرية قد تقوّى الحب بين الزوجين ، وربما جاز القول بأنها تخلّد ذلك الحب ، ولكن على شرط أن يَسلم الزوج من الفتن الخارجية ، وهي فتن لم ينج منها زوج مادلين

والحق كل الحق أن المرأة لا تُشغل عن زوجها بشيء ، وهي لا تحب أطفالها إلا لأنهم مظهر الصلة بالزوج ، فإذا استطاعوا أن يصدوها عنه بسببٍ قريب أو بعيد ، فهم لها أعداء

أما بعد ، فلقصة « الحب الضائع » ذيول يضيق عنها هذا الحديث ، وسيلمّ بها القارئ في أناة وهدوء ، فيدرك مقاصدها الصحاح ، ومن المؤكد أنه سيعترف بقيمة هذه القصة من الناحية الأساسية ، وهي تجسيم العُقد النفسية ، وقد تكون هذه القصة فاتحة لفن جديد في أدب الدكتور طه حسين

فإن لم يكن بدٌّ من توجيه بعض المؤاخذات إلى المؤلف ، فأنا أوجه إليه مؤاخذتين اثنتين : الأولى لفظية والثانية معنوية :

أما المؤاخذة الأولى ، فأمرها هيّن ، وهي الخطأ في بعض الأفعال ، والتكلف في بعض التعابير ؛ فهو قد استعمل الفعل « آويت إلى ... » مرات كثيرة بهذه الصورة ، وذلك يشهد بأنه ليس غلطة مطبعية ، وإنما هو خطأ وقع فيه المؤلف ؛ والصواب « أويت » ، لأنه مجرد لا مزيد ... وهو قد أكثر من عبارة « ها أنا هذه » ، وهي عبارة ثقيلة لا تستحق غير الموت

أما المؤاخذة الثانية ، فهي خطيرة ، ولكن كيف ؟

قصة « الحب الضائع » تسير في الطريق الذي يسميه الفرنسيون Roman à thèse ، فهي قصة تشرح نظرية أو نظريات ، والمؤلف نفسه حدثنا أن راوية الحديث ديكارتية العقل ، فهل كان الأمر كذلك ؟

الدكتور طه هو المنشئ الأول ، فهو المسئول عن خطأ مادلين في التشريح والتعليل ، ومادلين تنظر إلى المشكلات من جانب واحد ، مع أن لكل مشكلة جوانب

قد يجيب بأنه يسوق الحديث على لسان امرأة ، والمرأة ترتكز عواطفها في ناحية واحدة ، فلا ترى ما عداها من النواحي ، ولو بلغت الغاية في التدقيق والاستقصاء

إن أجاب بهذا فسنقول : إنه أضاع فرصة النص على أن مادلين ضلّت سواء السبيل وهي تشرح ما تعرّضت له القصة من علل وأسباب ، وكان هذا النص سهلاً على المؤلف لو التفت إليه ، فهل يلتفت حين ينشئ قصة ثانية على هذا النحو من الإنشاء ؟

بقيت ملاحظة أخيرة ، وهي ملاحظة أراها على جانب من الأهمية ، وإن تمثلت في صورة جنسية ، ولا حياء في الأدب ولا في الدين :

في « دعاء الكروان » جرى الحديث على لسان امرأة ، وفي « الحب الضائع » جرى الحديث على لسان امرأة ، فما هذا البدع في حياة رجلٍ من أكابر الرجال ؟

وهل يمضي الدكتور طه في إيثار هذا الوضع المقلوب ؟

الرأي عندي أن يسير على السُّنة الطبيعية ، فيشرح في أقاصيصه أهواء الرجال ، ومتاعب الرجال ، وأن يترك أهواء النساء ومتاعب النساء لإحدى بنات حواء

ثم أما بعد ، فقد شغلت نفسي بالدكتور طه وكتابه سهرتين كاملتين ، فمن حقي عليه أن يراعي ما نبهته إليه ، وله مني خالص التحية وصادق الثناء

زكي مبارك

« أرواح وأشباح »

تحفـــة فنيـــة

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

خلقها صاحبها الأستاذ على محمود طه الشاعر الملهم ، فسواها صنيعاً شائقاً يمتع الأدباء أفئدتهم وألبابهم بجماله ، ويكبرونه لطرافته وما فيه من أسرار الفن والشعر ... فما هي هذه الأسرار ؟

إن هذا الصنيع منظومة أنافت على أربعمائة بيت فى شأن يعنى الإنسانية بأسرها ، لأنه يتعلق بالفطرة البشرية ؛ استوحى الشاعر فيها أساطير الإغريق الشعرية ، وسيرة « آدم » و « حواء » ، ومعنى هبوطهما من الملأ الأعلى ، وخبرة الفنان فى حياة الإنسان ؛ وفاض شعره من نفس جياشة ومخيلة قادرة أرته أبطاله كأنهم أحياء يسمع أصواتهم ؛ وجادت قريحته فى تصويرهم ، حتى كان من سحر فنه أن جعل قراءه يرونهم ويسمعون حديثهم ، كما رآهم وسمعهم فى خياله

بهذه الميزات مجتمعة استحق الصنيع اسم ملحمة [1] ، وعظم شأنه فى الأدب العربى

ليست ملحمة حماسية ، بل هى قصة الروح والجسد فى محاورة موضوعها تجاذب الرجل والمرأة وأثر الغريزة فى الفن بينهما ؛ وهذا موضوع جدّي بعيد الغور ، أحسنَ معالجته شاعر مثقف

فما هى عناصر الشعر فى هذه الملحمة ؟ إنها أثمار المخيّلة والشعور وهِزّة الإلهام ...

***

إن الشاعر تخيّل الروح فى عالم الأرواح ، مجرّدةً يقظى لفضيلتها الملائكية ؛ وتخيّلها — على الأرض — ناعسة فى طيفها منذ أمّها وتضمّنها ضعيفاً تصوّنها فى الإنسان ...

وتصوّر أرواحاً نزيهة تتحادث فى الفن الرفيع بين الرجل والمرأة ، وفى الجمال والشهوات والأهواء ، وفى الخطيئة وتبعتها على الرجل هى أم على المرأة ؟

واختار لهذه المحادثة روح فنان شاعر حان بعثه فى الأرض ، وأرواح شخصيات من عهد الآلهة والفنانين الذين تصفهم أساطير الأولين ، ليدور الحديث بينها فى الموضوع على التبيّن من سيرة الإنسانية منذ نشأتها حتى اليوم ؛ وجعل رمزاً إلى القدرة سمّاه : « صوتَ السماء » ، ليهديها إلى حقيقة المقدور ؛ وفرض أن حرم النزاهة والطهر فى السماء مسرح فسيح الأرجاء ، يقع فيه ما تصوّر من انطلاق تلك الأرواح فى سحرها ، ومن حركاتها وإشاراتها ودلالات ملامحها فى محاورتها ، ومن مرور الفنّان بها وهو فى صحبة مَلَك يجوب به أجواز السماء ، ومن اشتراك الثانى فى المحاورة ، ثم الأول إلى لحظة بعثه ...

ذلك هو الخيال الأصلى فى الملحمة ؛ أما فروعه وحواشيه ، فهى الخيالات البلاغية فى الأسلوب ، وقد زان الأصل والفرع من هذا الخيال ، وزاد مزيته أعلاق فكرية تتعلّق بالغريزة والنفس والجمال وبالحياة الاجتماعية ، ولطائف أدبية كالإشارة إلى مانا وفنون هاواى ، وإلى خروج موسى ببنى إسرائيل من مصر ، وقصته فى أرض مدْين

فهذه مخيّلة قادرة اقتطفت من معارف الشاعر ، وغيّرت ما كان بين المقتطف وغيره من أوضاع العلاقة والمناسبة ، وأنشأت بذلك معانى وصوراً ومشاهد مثالية ، أى لم توجد مجتمعة فى الحقيقة وإن عُرفت أقسامها متفرقةً ؛ وأحيت أبطالاً خياليين فكأنك تراهم فى مُتحدّثهم ، وتداخلك حساسات وخوالج من مَحضرهم ؛ وأودعت الملحمةَ أثمار فروعها من الألمعيّة والبديهة وغيرهما ... فمن الألمعية فى تشبيهات جديدة قوله :

على مذبح الحب من قلبها   سراج يسبّح مَن لألأه

... ...

وتمشى الحياة على نوره   وما نوره غير عين امرأة

أهلّ بقلب كفرخ القطا   يرفرف تحت جناح القدر

هو المرح الشارد المستهام   شرود الفراشة عند المساء

ومن الألمعيّة فى إدراك ما لا يُرى فى الشيء أول وهلة وهو على الحقيقة فيه :

هو الحب ؟ ... لا ... بل نداء الحياة

تلبيـــه أجسادنا الظامئـــة

ومن الألمعيّة فى توحيد المتضادين :

هنالك (فى الأرض) حيث تشبّ الحياة

وحيث الوجود جنين العدم

---

(١) كلمة استعملها المعربون أولا اسماً للون الأصلى الأوفر فى الأدب الأجنبى من هذا الفن

. . . .

وحيث السعادة بنت الخيال ولذتها من معانى الألم

سلا مجده الضخم فى قبلة تذل وتسعد من ذاقها

ومن البديهة كلمة تاييس ، حين وصل الشاعر فى وصفه حواء إلى هذا البيت :

فيا لكِ من طفلة فذة ورحماك سيدة العالَم !

وقالت بليتيس : يحاول بالشعر إغراءنا ...

هو الموقف الضنك ما يتقيه

فقالت تاييس على الفور : كما يتقى باشــق صائده

فجاءت بأبلغ ما يخطر للموافق ويناسب المقام .

أما الشعور فأثماره ما خامر اللحمة من الوجدانيات ؛ وهى عنصر أسلى فى كنه الشعر كالخيال : لأن الحب والبغض ، واللذة والألم ، أمور توجد فى صميم الشهوات والأهواء والخوالج الإنسانية جيماً ، أيا كان باعثها وكان الإسم الذى تسمى به ؛ والأصل أن خاصّة التلذذ والتألم والحب والبغض ، وطلبِ كل جميل ونفع وخير ، وتجنّبِ كل قبيح وضر وشر ، هى خاصة فى البشر أجمعين . ولذا فإن كل حسّة تعرو نفس إنسان ويصفها وصفاً صادقاً تجد لها صدى فى القلوب . وشاعرنا الملهم صادق الوصف فى ملحمته . وحسبنا شاهداً وقع هذه الأبيات من وصفه حواء :

وكم ذكريات لها عذبة أعيش عليها وأحيا بها

. . . .

يسائلنى القلب عن أمرها وأسأله أنا عن سرها

ويعطفنى فى الهوى ضعفها وأنسى بأنى فى أسرها

. . . .

أحاول أفهمهــــا مرة فأعيا بها وبتفكيرها

ومن وصفه استنكار بليتيس فى غضبتها على الفنان :

تأثّم بالفن حتى غوى وما الفن بالمرأة الخاطئة

. . . .

ألم ينعم الخلد من عطرها ألم يعبد الحسن فى زهرها ؟

ومن وصفه هوى الانتقام فى بليتيس إذ تقول :

أذله هــــذا الفتى . . . .

واغرِس فى قلبه زهرة من الشر راوية نامية

. . . .

إذا استافها الرجل العبقرى تحول كالحيوان الوخم

تضج البلاهة من حوله وينظر كالصنم المبتسم

وإذا ما تضاعف نشاط الذهن والمخيلة ، وزادت يقظة الشعور حتى تناهى نشاطهما ويقظته معاً ، فذلك فوران النفس المشحوذ فى الشاعر الموهوب فوراناً يضطره إلى الإفضاء بما يخامرها ، فيتبعث منها الشعر ؛ وذلك هو شيطان الشاعر فى حسّة تجليه ؛ وتلك هى الملكة أعظم ما تكون حرية وانطلاقاً ، وأرفع ما تكون سمواً ، وهى بعينها هِزّة الإلهام الذى ابتدع هذا الصنيع الباهر .

ولقد كلت صفاته الشعرية بما عليه من مسحة عقلية ، لا من العقل الفلسفى الهادئ ، بل من العقل الذى جعل اللحمة مشابهة للحقيقة ، إذ خلت من التناقض فى مواقف أبطالها وفى نفوسهم الظاهرة أحوالها من كلامهم على ما شاءت لهم الفطرة والأقدار واستقام فى خيال الشاعر .

* * *

ومما زاد اللحمة مشابهةً للحقيقة إتقان المحاورة بين أبطالها ، إتقاناً جعلها حية ، طبيعية ، شائقة ، فقد أبدى كل منهم رأياً وعرض حججه ، وفى كل من آرائهم شىء مقبول ، أو على ظاهر من الحق ؛ وكان كلامهم سؤالاً يستدعى جواباً ، أو قولاً يجلب اعتراضاً أو تحذيراً ؛ واستيفافاً يسلم صاحبه جدلاً ، أو يبدى تحفظاً ؛ وبياناً يحوز موافقة ، أو يثير دهشة أو إعجاباً

ثم إن هذا الموضوع خرج فى وحدة سالمة من الاضطراب ومن النظام الرتيب ، إذ له مدخل شعرى لطيف الإشارة إلى الغرض منه ، ووسط يشرحه ، وخاتمة يحسن السكوت عليها ؛ وأجزاؤه مرتبة ترتيباً يوثق العلاقة بينها ، ويشد فيه بعضها بعضاً ، ويجمع بينها ارتباط قوىّ .

ومن صفات هذه اللحمة وضوح موضوعها لأن وقائعه مختارة بذوق سليم ، مسلسلة سلسلة طبيعية معقولة ، خالصة من كل تفصيل لا طائل وراءه ، ومن كل حادث أو موقف ليس يوافق شرح هذا الموضوع أو ليس بسبيله .

وزد أن اللحمة كلها شائقة جد شائقة بما بين أجزائها من تناسب موفّق ، وبما فيها من إشارة — عن بصيرة وفى قصد — إلى الأسباب فى أقوال أبطالها وفى حركاتهم ، ومن تشويق إلى الوقوف على الحكم فى آرائهم الشائقة فى ذاتها ، وإن كانت لا تحول حيلولة دون تمكين البصير من حزره قبل الأوان ؛ وأيضاً أن عنصر الوحدانيات داخل فى المواضع اللائقة من الكلام المزدان — على اعتدال — بخواطر نيّرة ، وعبارات أنيقة وإشارات بارعة . ومن إشارات :

الـــزكاة (*)

هي التأمين الاجتماعي من الفقر والجوع

للأستاذ عبد العليم رزق الدهشان

« إن الله فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم قدر الذى يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما يصنع أغنياؤهم . ألا وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً ويعذبهم عذاباً أليماً » (حديث)

(١) ماهو « التأمين الاجتماعى » ؟ (٢) أساسه (٣) الفرق بينه وبين الاعانة (٤) تطور فكرته واتساعها (٥) التأمين ضد البطالة (٦) الفكرة قديماً وحديثاً (٧) المشرع الاسلامى أول من حقق الفكرة بفرضه « الزكاة » (٨) مقارنة سريعة بين الزكاة وبين التأمينات الاجتماعية عامة (٩) حاجتنا اليوم لضريبة خاصة تفرض لصالح الفقير .

١ — « التأمين الاجتماعى » تعبير حديث يطلقه المشرعون على نظام من التأمين يقصد به حماية « الجماعة » ضد أخطار الطبيعة والاقتصاد التى لا يد لها فيها ولا حيلة لها لدفعها : كالموت والشيخوخة والبطالة ... الخ . ويقصدون « بالجماعة » هنا مجموعة الأشخاص الذين اضطرتهم ظروفهم المادية إلى تكوين طبقة اجتماعية خاصة ؛ ويخصصونها عادة لطبقة « العمال » لأنها الطبقة التى لا تستطيع — لفقرها — أن تدرأ عن نفسها وطأة هذه الأخطار

٢ — وفكرة التأمين الاجتماعى هى فكرة التأمين العادى ، فأساس كليهما الأقساط الدورية التى تدفع لضمان التعويض عن خطر متوقع . غير أن التأمين الاجتماعى يمتاز عن التأمين العادى بأنه ليس تأمين فرد لمصلحته الخاصة ، ولكنه تأمين جماعة لصالح أفرادها . فهو مبنى على فكرة التضامن بين أفراد الأمة ، فيساهمون جميعاً — كل على قدر سعته — فى دفع أقساط هذا التأمين ، وتتولى الدولة جمعها منهم على شكل ضريبة أو رسم . فيصير التأمين بذلك التزاماً اجتماعياً عاماً كالخدمة العسكرية ، والتعليم الإلزامى ، والالتزامات الصحية وغيرها . وبهذا لا يتحمل المؤمن لمصلحته تكاليف التأمين الاجتماعى ، بل يتحملها أفراد الجماعة القادرون ، برغم عدم انتفاعهم بهذا التأمين

٣ — ويختلف التأمين الاجتماعى عن « الإعانة » فى أنه حق للعامل ، له أن يطالب به بمقتضى نصوص القانون ، دون أن يكون فى هذا مساس بكرامته أو امتهان لآدميته ، فى حين

(*) نشرت « المجلة الجديدة » لصاحبها الأستاذ سلامة موسى ، فى عددها الصادر فى ٢٨ أبريل سنة ١٩٤٢ ما يلى :
« إننا لا ننتظر من أصحاب الثروات الكبرى أن يتنازلوا عن جانب من أرباحهم من تلقاء أنفسهم ، أو بحكم العواطف الانسانية النبيلة ، أو خضوعاً لاجبار أدبى نشىء مثل الزكاة . إنما يجب أن تفرض عليهم فرضاً الضرائب التصاعدية التى يقف وراءها القانون يعاقب من لا يؤديها . وهذا الحل مؤقت فقط . وهذه الضرائب هي الشكل الوحيد « للتأمينات الاجتماعية التى تفرضها الدول الحديثة الآن » ، أما الزكاة فنظام بال لم يعد يتفق مع مقتضيات اليوم . »

دمى الوهم سافو ولا تحقرى ... بلتيس معجزة الشاعر
فما تتقيه بحيّاتنا ... إذا هو ألقى عصا الساحر

ومنها :

رأى جسم « حواء » فاشتاقه ... فهاجت به النزوة المسكرة
... ...
سما جسمها وتأبى عليه ... فجرّد فى وجهها خنجره

هذه ملحمة شائقة أيضاً بأسلوب من الفصاحة والبلاغة لاءم موضوعها ، وتلوّنت لهجته تبعاً لطبيعة ما تضمّن من خواطر وجدانيات ؛ وهو أسلوب محكم الصياغة دقيق ، إن أضيف إليه شيء — بغض النظر عن ميزان الشعر — أضعف المعنى فيه ، وإن حذف شيء منه أحدث الحذف غموضاً ؛ سليم من التصنع لخلوّه من مخالفة طبائع الأشياء بالغلو والإغراق فى المعنى ، أو بالمجازات والاستعارات البعيدة ، أو بفرط المحسنات ، أو بكل أولئك ؛ أسلوب واضح من ذلك الوضوح الذى يكون فى طبيعة ذهن المنشئ قبل أن يكون فى معانيه ، ويكون فى معانيه قبل أن يكون فى كلماته وكلمه ، منسجم فى ائتلاف شامل وجرس مطرب

ذلك هو الشعر المتدفق من ملكات طليقة حرّة ، ومن عقلية مثقفة ، فى أسلوب عربى مبين ، عليه طابع من الوضوح والأناقة ، معتاد من صاحبه ؛ وليس كشعر يتقطر من ملكات طغت عليها الحافظة ، ويقال فى موضوعات لم يؤثر شيء منها فى نفس الناظم ، وإن كثرت فى النظم كلمات ومعان ينلب وجودها فى الشعر

وتلك أسرار الشعر والجمال والفن الرفيع فى كتاب : « أرواح وأشباح » : الذى جمع من المميزات ما جعله تحفة فنية بديعة ضُمّت إلى كنز الأدب العربى الخالد ، وبرهاناً على فضل المجدِد والتجديد .

محمد توحيد السلحدار

أن الإعانة ليست إلا هبة لا حق له فيها ؛ فهى صدقة تمنح أو تمنع بحسب رغبة المحسن ، ولو كان هذا المحسن هو الدولة

٤ — لهذا ... أخذت التشريعات الحديثة بفكرة التأمين الاجتماعى ، وطبقتها على كثير من أخطار النشاط الاقتصادى . وكان أول هذه المخاطر عناية منها « مخاطر الحرفة » ، فأوجبت نوعاً من التأمين يقوم بدفع أقساطه أرباب الأعمال والدولة لصالح العمال ضد « حوادث العمل »

ثم اتسعت فكرة التأمين الاجتماعى ، وشملت نواحى أخرى كثيرة ، فظهر تأمين ضد « المرض » يعطى العامل الحق فى نفقات العلاج وتعويضه عما يخسره مدة مرضه ؛ وتأمين ضد « العجز » يعطيه الحق فى التعويض عما يفقده من قوته أثناء العمل ، وتأمين لمصلحة « الأرامل والأيتام » ضد وفاة عائلهم ، وتأمين ضد « الشيخوخة » يعطى لمن بلغ سناً معينة إيراداً سنوياً

٥ — ولم تقف فكرة التأمين الاجتماعى عند هذا الحد ، بل اتسعت غايتها واتجهت حديثاً نحو نوع هام من التأمين ، هو التأمين ضد « البطالة » ذلك الخطر الاقتصادى الذى يلحق بالعامل فيحرمه عمله ، مصدر قوته ، وعماد حياته ، رغماً عنه ، وبدون خطأ منه . . . فليس من العدل ولا من المنطق أن يوجد نظام للتأمين ضد أخطار وقتيـة ، كالإصابة والمرض ، دون أن يفرض نظام للتأمين ضد هذا الخطر الفادح . وخاصة بعد ظهور النظريات الإدارية الحديثة التي جهرت بأن وظيفة الحكومات لم تعد قاصرة على الدفاع عن البلاد وضبط الأمن فى داخلها ، وإنما عليها — إلى جانب هذا — واجب هامٌّ هو : « الإسعاف الاجتماعى » لحماية الشعب من التفكك والانهيار . و « البطالة » من أهم عوامل الاضطراب الاجتماعى ، لأنها تخلق فى نفوس العمال وفى الأمة بأسرها روح عدم استقرار ، كما أنها تعطل قوى الدولة المنتجة وتزيد فيها نسبة الجرائم

لهـذا — وبرغم الاعتراضات الكثيرة التى ووجه بها هذا النوع الجديد من التأمين — اضطر بعض الدول — أخيراً — إلى الأخذ به حماية للعامل المتعطل من مفاسد الفقر والجوع ، وحماية لكيانها من انتشار الأفكار المتطرفة الهدامة . وكانت انجلترة أسبقها جميعاً فى هذا المضمار ، ففرضته بقانون ١٦ ديسمبر ١٩١١ بينما لم تأخذ به ألمانيا إلا عام ١٩٢٧ . وقد قدر ما دفعته انجلترة على هذا النوع من التأمين وحده فى مدة عشر سنوات من ١٩٢٠ إلى ١٩٣٠ بمبلغ ٦٤٠ مليوناً من الجنيهات .

والتأمين ضد « البطالة » هو أسمى ما وصلت إليه فكرة التأمينات الاجتماعية من الرقي ؛ وتحمل مزاياه — التى يجنيها العامل والدولة معاً — على الاعتقاد بوجوب تعميمه بين كافة أفراد الأمة ممن هم فى حاجة إليه . على أن هذا الاعتقاد لا يعدو — حتى الوقت الحاضر — طور الفكر والخيال عند الدول التى أخذت بهذا النوع من التأمين ، فما زالت هذه الدول تقصره على بعض طوائف العمال فى بعض الصناعات ، ولم تجرؤ أكثر الحكومات مشايعة للعمال على تعميمه لأن الحكومات تراه عبئاً على الميزانية ، وإثقالاً لكاهل دافعى الضرائب من الأغنياء ...

٦ — دع ذلك . . . ففكرة تعميم هذا النظام التى تشغل الآن عقول الدول ، كانت قد شغلت قبلهم منذ أقدم العصور ، عقول الاقتصاديين والفلاسفة .

ففكر « أرسطو » فى وجوب التعاون بين أفراد الشعب أغنياء وفقراء فى نظريته : « النقود لا تلد النقود » . وتكلم « سان توما داكان » على وجوب التعاون بين الطرفين على إيجاد معيشة هادئة ، فى نظريته « الثمن العادل » وأخرج « لا سال » نظريته عن « الأجر الحديدى » قاصداً بها هذا المعنى . وتعتبر أفكار « سيسموندى » أساساً لفكرة التأمين الاجتماعى عند ما تكلم عن وجوب تدخل الدولة لحماية العمال من المرض والبطالة . كما يعتبر « ليلاى » صاحب مذهب الإصلاح الاجتماعى ، لأنه فكر تفكيراً جدياً فى وجوب بناء الجماعة على أساس من الأخلاق والدين ، لا على المادة وحدها ، وقال بأن وظيفة الدولة بالنسبة لأفرادها ، ووظيفة رب العمل بالنسبة لعماله ، يجب أن تكون هى وظيفة رئيس العائلة بالنسبة لأفراد أسرته . كذلك نادى « البرت دى من » بوجوب الاحتفاظ بكرامة الإنسان ، فلا يصح اعتباره آلة يركن إليها وقت الحاجة فقط . وقال « ليون بورجوا » بوجوب التضامن بين أفراد الدولة بناء على نظريته « شبه العقد » ؛

فالإنسان يولد مديناً للمجتمع بعمل الأجيال السابقة ، ووفاء دينه لا يكون إلا بمساعدته بقية أفراد الأمة . وظهرت حديثاً نظرية « الفائض الاجتماعى » لـ « أنتاليون » وفيها يقول بوجوب تدخل الدولة لتفرض على الأغنياء القيام بالتضحية لصالح الفقراء ، لا على سبيل الصدقة أو الإعانة ، ولكن لأن الملكية الخاصة نوع من الامتياز تمنحه الهيئة الاجتماعية للأفراد بناء على فكرة المصلحة العامة . وعند « برناردشو » فى كتابه « رأس المال » أن الذهب المودع فى المصارف إنما هو قيمة معادلة لما زاد على حاجة الغنى من أرغفة الخبز وقطع الجبن واللحم ، وعليه إعادة بعضها لأخيه الفقير ليستعين بها على القيام بالعمل المنتج .

٧ — هذه هى فكرة التأمين الاجتماعى وما بلغته من رقى ، وتلك هى أحلام الفلاسفة والاقتصاديين عنها ؛ فهل جحدها الشرع الإسلامى أو وقف منها موقف العاجز ؟ ! . . .

الحق الذى لا مراء فيه أن الشرع عند ما فرض الزكاة ركناً من أركان الإسلام الخمسة ، منذ ألف وثلاثمائة وستين عاماً قد حقق بها أحلام هؤلاء الفلاسفة ، وأوجد فى حيز الإمكان والعمل ما عجزت عنه ـ حتى اليوم ـ أحدث الحكومات . بل إنه قد سما بالفكرة إلى درجة التقديس ، وأنزلها منزل العقيدة والإيمان ، وذكرها مقرونة بالصلاة فى اثنتين وثمانين آية من القرآن ، لجعل إعطاء الفقير والبائس والمحروم ، ما يحتاجون إليه من غذاء وكساء ومأوى ... عبادة لله ...

٨ — ولا شك أن « الزكاة » تأمين اجتماعى عام إجبارى ضد الفقر والجوع :

(١) فهى « تأمين » : لأنها مبنية على فكرة دفع أقساط حولية ، لضمان التعويض عن خطر متوقع ، أو واقع هو الفقر .

(ب) وهى تأمين « اجتماعى » : لأنها مبنية على فكرة التضامن بين أفراد الأمة ، فيساهم الأغنياء ـ كل بحسب ثروته ـ فى دفع أقساطها لصالح الفقراء

وقد حدد الشرع فيصلاً بين الغنى والفقر بأشياء خمسة : منزل للسكنى ، وملابس عادية ضرورية ، وغذاء يوم كامل ؛ وقال البعض شهراً : ودابة للركوب ، وسلاح للجهاد ... فمن زاد ماله على هـذه الخمسة فهو غنى تجب عليه الزكاة فيما زاد ، ومن نقص ماله عنها ، فهو فقير تجب له الزكاة

(ج) وهى تأمين « عام » : لأنها لم تفرض لصالح فئة معينة أو طبقة معينة ، ولكنها فرضت لصالح كل شخص اضطرته الظروف فأحوجته ، سواء أكان عاملاً أم غير عامل .

(د) وهى تأمين « إجبارى » : لأنها واجب محتم على الأغنياء لصالح الفقراء ، وعلى الحكومة أن تتقاضاها طوعاً أو كرهاً ، حتى قال عنها الخليفة الأول « أبو بكر » : (والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه) ؛ وقد قاتلهم فعلاً ...

وبهذا تمتاز عن التأمينات الاجتماعية الحديثة التى بقيت اختيارية فى كثير من الدول كفرنسا ... ! !

(هـ) وهى — أخيراً — تأمين ضد « الفقر والجوع » : فهى لا تقتصر على نوع معين : كالإصابة ، أو المرض ، أو العجز ، أو الشيخوخة ؛ ولكنها تشمل هذا جميعاً ، كما تشمل « البطالة » كسبب أساسى للفقر والجوع ، بل وتمتد إلى الأخطار الطارئة ، حتى تشمل من خانته الظروف ، فأصبحت ثروته مثقلة بالديون !!

ومن انقطعت به الطريق أثناء السفر فلم يجد ما يعينه على بلوغ الغاية أو الرجوع . . .

٩ — هذه هى « الزكاة » : تأمين الإسلام ضد الفقر والجوع ، وركن من أركانه الخمسة ، فهل فكر فيها ولاة الأمور — فى دولة دينها الرسمى هو الإسلام — كحل حاسم لما يعانيه الشعب الآن من عنت وضيق وحرمان ؟ أو هل فكر فيها ولاة الأمور ، لا على أنها زكاة ، فليست العبرة بالأسماء ، ولكن بالمسميات ، بل على أنها قانون يجب أن يُفرض لصالح الفقير ، كما فرض فى بلاد العالم المتمدينة التى تعمل حكوماتها لصالح الشعب ، لا لصالح طبقة المترفين ؟ !

نذكر أنه فى أواخر شهر مارس من العام الماضى ، وجه أحد النواب سؤالاً إلى رئيس الوزراء عن « إلزام الأغنياء بدفع زكاة أموالهم ... » ؛ فأجابه دولة سرى باشا بأن : « الحكومة ترى أن نظام الضرائب المتبع فى مصر لا يخرج عن أن يكون صورة من صور الزكاة ... » ! ! وقد قابل النواب هذه السؤال بضجة ، اختلط فيها الضحك بالاحتجاج ! ! (هكذا) : الصفحة

الأولى من (أهرام) أول أبريل سنة ١٩٤١

أما ضحك نواب الأمة على هـذا السؤال فإنما يذكرنا بقول المتنبي :

وكم ذا بمصر من المضحكات   ولـكنـه ضحـك كالبكا

وأما نظام الضرائب المتبع فليس صورة من صور الزكاة فى شيء. فهذه التى تجبى ، لا حق للفقير فيها ، ولـكنه حق الدولة تتقاضاه لتصرف منه على شئونها ... ولا يوجد لصالح الفقير ، فى مصر ، قانون ينظم له إعانة أو يفرض له حقاً ... بل على العكس يعتبر القانون طالب الإعانة متسولاً ، والمتعطل ومن لا مأوى له متشرداً ومشبوهاً ، ولا جزاء ولا صلاح لهؤلاء إلا السجن ! وإعانة الحكومة — إن وجدت — فهى اختيارية ، ويقتصر أكثرها على مكافحة الأمراض بإنشاء المستشفيات . فليس للفقير – فى هذه الدولة أيضاً – أن يرغم الدولة على أن تبنى له مستشفى !

هذا ... فى حين أن « الزكاة » هى « تمليك مال معلوم لشخص معلوم » ذلك لأنها « تأمين » لا يصرف إلا للمؤمن له فحسب ، أى للفقير . وقد قال أبو حنيفة : « لا يجوز أن تصرف الزكاة فى بناء مسجد أو مدرسة أو فى حج أو جهاد أو فى إصلاح طرق أو سقاية أو قنطرة ، أو نحو ذلك من تـكفين ميت ... الخ وكل ما ليس فيه تمليك لمستحق الزكاة » . ذلك لأن التمليك ركن من أركانها ...

فما أوسع الفرق إذن بين « الزكاة » وبين الضرائب الحالية فى مصر ! !

* * *

وبعد ... لقد سمعنا ، أخيراً ، رئيس الحـكومة يتحدث عن « العدل الاجتماعى » ويقول : « إن مصر ملك مشاع لجميع المصريين » و « أن هناك حداً أدنى لمطالب الحياة يجب على المضطلعين بتبعات الحـكم أن يوفروه للفقراء ... »

وسمعنا من مدير الجمعية الزراعية — فى الاجتماع الزراعى — أنه يعمل شخصيًّا فى مزارعه الخاصة على أساس من الإصلاح الاشتراكى مستلهماً فى ذلك أحكام القرآن الـكريم ؛ كما سمعنا مدير التفتيش الزراعى يتساءل قائلاً : « لماذا لا نسن قانوناً يحمى العامل عند الضعف أو الشيخوخة ، كما يحمى من يتركهم بعده من ذرية ضعاف ... ؟ ! »

سمعنا هذا إلى جانب ما سمعناه من صيحات دعاة الإصلاح ، ومنهم الدكتور الهراوى الذى اقترح لعلاج مشكلة الفقر فى مصر فرض نظام التأمين الاجتماعى (! !) الذى فرض فى أوروبا منذ سنة ١٨٨٠

هل معنى هذا الاتجاه الحديث أن النور بدأ يتسرب إلى قلوبنا وأن الإيمان سيصل حتماً إلى ضمائرنا ... وإننا سنؤمن ... قريباً بما آمن به الأوائل منا ، والمحدثون فى أوروبا وأمريكا ، من أن الله قد فرض على الأغنياء فى أموالهم قدر الذى يسع الفقراء ... وأنه لن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما يصنع الأغنياء ؟ ! !

عبد العليم رشوى الدهشان
المحامى

على هامش كتاب عبقرية محمد

في مجلس الأستاذ

« أبي الوفاء الشرقاوي »

[مهداة إلى الأستاذ الكبير «عباس محمود العقاد»]

للأستاذ محمد حسنين مخلوف

آذنت الشمس بالمغيب ونحن في حضرة الأستاذ أبي الوفاء الشرقاوي يحدثنا فننعم بسحر البيان ، وعذوبة النغم الوسيقي ينبعث من قلبه المطمئن ، ويتنقل في أبراج الفكر كما تجرى الشمس في مسارها المقدر منذ الأزل وإلى الأبد ، رتيبة الحركة ، رصينة الخطوة ، فيبعث في القلوب حرارة الإيمان ، ويهبها نفحة من سر الوجود ، ويضفى عليها من نعيم الأمل أشعة مضيئة قوية . وأشرقت نفسه العالية ، وانطلق لسانه الفصيح ، وضاء جبينه الأسمر العريض ، بنور العقل القوى النادر ، وراح يترسل ويتبسط وهو يمد يده لِلصَّفِيّ الحبيب[1] يتناول الكتاب الجديد[2] . ودار الحديث حول المؤلف الموهوب صاحب القلم الجبار ، عدة العقل الشرقي وذخره في ميدان المنطق والبيان .

قلت : لقد كان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين » وإن لهذا الكتاب في النفس فرحة ، كفرح المسلمين بعمر بن الخطاب ...

قال الإمام : ـ بعض هذا . ولنجعل كتابه فيصلاً ـ أرأيتم قصة شيخ جليل كان يرشد ويعلم ، وكان له تلاميذ ومريدون ، وكان من أحبهم إليه شاب صاحب علم وقلم ، وفلسفة وبلاغة ، كتب في قصة آدم عليه السلام رسالة لطيفة ، حتى إذا أتمها مضى بها إلى الشيخ يستأذنه في قراءتها ، فأذن له ... وجلس الشيخ يسمع والمؤلف يقرأ ... وكانت العبارة عالية ، والأسلوب خلاباً . ومضت آيات الإعجاب الشديد تتدفق من فم الشيخ عند كل مقطع . فهو لا يخفي سروره ولا يكتم طربه من قوة السبك وإشراق الديباجة ، ويهز رأسه ويدق كفاً بأخرى وهو يقول : « الله الله يا شيخ على » وكان هـذا اسم المؤلف « إن من البيان لسحراً يا شيخ على » « هكذا العلم يا شيخ على » واتصلت حلقة الإعجاب وتدفق الشيخ على يتابع فصول الرسالة تلاوة حتى جاء ذكر الشجرة والثمرة ... فوصف الأمر بأنه معصية من آدم عليه السلام ـ وكان هذا يخالف ما يراه الشيخ الجليل ـ فإذا به يستمر في هز رأسه هكذا وفي دق كفيه هكذا ويصيح : « كفرت يا على »

وطوى الشاب رسالته وعاد بها إلى حيث لا يعرف الرواة مصيرها ...

* * *

وقام الإمام من المجلس وبقينا نحن لنقضي السهرة ، وكتاب العقاد سميرنا المؤنس ، نستروح نسمات الروح الأمين من ثنايا السطور والكلمات . وقد تحلقنا حول الشعلة الوهاجة المنبثة من « عبقرية محمد » عليه السلام .

وايم الحق لقد كانت براعة العقاد بما صورت من عظمة العبقرية المحمدية في بلاغة معجزة ، ومنطق قوى ، وعلم غزير . تأخذ بمجامع القلوب وتتكشف عن شخصيته الفذة

* * *

ولما كنا من غدنا لقينا الامام في مجلسه وقد عاد يحنو على «عبقرية محمد» عليه السلام وتبدت في وجهه الوسيم تباشير الرضا . وعدنا نصل حديث الأمس فقلنا : وكيف حال صاحبنا ؟ !

قال الامام : لقد جاوز الشجرة والثمرة ... وإذا كان للقصة أن تعود.« فالله الله يا عقاد ! »

قلنا : لقد جعل المؤلف فساد المجتمع .والبيئة والخلق وطغيان الشهوات واستشراء الضلال وانحلال الوشائج ، كل أولئك إلى لهفة المقول على مخرج من ظلام الجاهلية وانحطاط الوثنية وشعوذة الكهان ... مدعاة لتوقع رسالة نبى ، أو هى إرهاص بمقدمه ..،

قال الإمام : إنه لحق . وإنه لنظر سديد ومنطق سليم . كان التوفيق رائد العقاد في تصويره وعرضه . وإنه ليحاصر شرود

(١) هو الشاعر الصدق الأديب الشيخ حسن الغزالى

(٢) كتاب عبقرية محمد للأستاذ عباس العقاد

العقل بقوة الحجة ، ويأخذ عليه المسالك ببراعة خلابة ، كمهندس عبقري يوافيه السيل بالماء العمم فلايزال به يجمعه ويركزه ويشق له المجرى العميق المستقيم ، فيسيطر عليه ويحقق آية الله في إرساله . لقد بلغ المؤلف هنا غاية الروعة العقلية ، وذروة القوة المنطقية

قلنا : أو نقيس فساد الماضي بفساد الحاضر ؟ وضلال العقل الوثني الذي كان يعبد الحجر والحيوان ويهيم في فيافي الظلام بين شهوة وقوة وفتنة .. بضلال العقل الوثني اليوم الذي يقدس الشهوة ، ويتعبد بالرذيلة ، ويهيم في فيافي الظلام بين مادية وقسوة وفتنة ؟!

قال الإمام : إذا أغفلنا الفارق الجوهري بين الحالين جاز لنا أن نعقد القياس بينهما ... ولكن إذا كانت البصيرة مشرقة والمحاجة بريئة والفهم مستقيماً لم يقع هذا ... فهم في الماضي كانوا في حيرة مرهقة ... مرضى ينقصهم طبيب ودواء ؛ ولكنهم اليوم مرضى لديهم الطبيب والدواء . وإنما ينقصهم عقل رشيد وإدراك سليم

قلنا : وهل لنا أن نسأل : « وأين النبي المنتظر ؟! »

قال الإمام : كيف السؤال ؟! عند ما كان النهر يجري دافقاً سيالاً يحمل الخصب والنماء ، تركوه ينحدر إلى البحر ويتلاشى بين أمواجه . فلما تكشفت عنهم غاشية الجهل ، واستيقظت فطرة الإدراك ، عرفوا نظام الري والزراعة ؛ ولما تدرجت فطرة الإدراك في مراقي الكمال عرفوا كيف يستغلون مساقط المياه في توليد قوة الكهرباء ؛ فاتسعت آفاق النفع وتعددت صوره وأشكاله ؛ فإذا جئنا اليوم لنهرنا هذا — وأشار إلى النيل — وأردنا أن نفيد منه كما أفاد المتحضرون من أنهارهم ، ترانا نبحث عن المخترع الذي يجري التجارب ، ويفني العمر ليبتكر لنا نظام توليد الكهرباء من الماء ؟! أم ترانا نعمد إلى ما وصلوا إليه هناك في الغرب من نتائج في هذا السبيل ؟!

قلنا : إذا كتب لنا التوفيق فنحن نطبق ما علمناه منهم

قال الإمام : كذلك أمر الرسالة المحمدية ... كانت البشرية في فساد يتطلب علاجاً ... فجاءت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم علاجاً ، وجاءت رسالته دواء ، فشرعت نظاماً وحققت نفعاً ، وقررت للعمران دستوراً مكيناً ، وأضاءت الشعلة المقدسة الباقية على الزمان ، وتركتها في أمة الإسلام سراجاً منيراً ، ونظاماً قويماً ، تسعد ما استضاءت بنورها ، وتمسكت بعروتها ؛ وتشقى ما بعدت عنها وجاوزت حدودها . وظلت هي على الدهر وهاجة النور خالدة الضياء ... فإذا فسد أمر البشرية اليوم واختل نظامها وعادت إلى وثنية منحطة ، وضلت في ظلام الرذيلة والشهوة والقسوة ... لم تكن في حاجة إلى نبي جديد ... بل في حاجة إلى عقل كهذا — ولوح بالكتاب — يعود بالناس إلى حيث يجدون الطبيب والدواء . وإلى ذهن خصيب موهوب يحسن مخاطبة العقول ، وإلى رأس يحسن الفهم والتقدير ويملك البيان بمثل هذه الروعة في « عبقرية محمد » ... نبي جديد ؟! لعمر الحق أتسألون جادين أم هازلين ؟!

قلنا : معاذ الجلال في مجلس الإمام ! إنما هي قولة أرسلها قلم في إحدى المجلات ...

قال الإمام : خلوا عنكم هذا ... وخذوا فيما أنتم بسبيله من هذا الجد الرصين . فإنما أنتم بصدد « عبقرية محمد » صلى الله عليه وسلم يصورها لكم « عباس محمود العقاد »

ونهض الإمام من مجلسه فقد آذنت صلاة العشاء

(نجع حمادي) (لها بقية) **محمد حسنين مخلوف**

حكمت محكمة المنوفية العسكرية في الجنحة ٣٥٢ سنة ١٩٤١ بحبس رتيبة عمارة يوسف من ميت خاقان مركز شبين الكوم عشرين يوماً بالشغل لبيعها ذرة بسعر أزيد من التسعيرة

بعض ما نحب وما نكره

للأستاذ حسين الظريفي

لكل منا ما يحب وما يكره من الأشياء والأشخاص لغير علة ظاهرة لديه . وقد تمتلئ النفس بهذا الشعور إلى حد يبعث فيها الرغبة بالبحث عن العلة ، فلا يكاد يجد لها وجهاً تحمل عليه ، ويظل يحمل فى طيات نفسه ما تنفعل به من الحب أو الكره لهذا أو ذاك ، وهو فى حيرة من أمر ما يملك عليه وعيه وما وراء وعيه من دفائن الشعور .

ولا يقف الشعور عند حد امتلاء النفس به ، وإنما قد يفيض على اللسان ويظهر بأعمال الجوارح ، فتندفع بفواه المجهولة ، إلى استحسان أو استهجان ما لولاه لما بدا لنا رأى فيه . وقد نصدع أو ندع لمجرد إشباع تلك العاطفة العمياء ، فتحدث لنا من المشاكل ما نحن فى غنى عنه

ويظل أحدنا طول الحياة ، وهو رهين حبه لهذا أو كرهه لذاك ، وما حبه وكرهه إلا وليد نظرة عابرة ، هى أجدر بأن تولد وتموت ولا تعقب . وقد يحاول الخلاص من هذا الشعور الخاص ولا يجد السبيل إليه

وقد يكون لهذا الشعور من الأثر فى سلوكنا ما نظل رازحين تحت أعبائه مدى الحياة ، فتسوء علائقنا بهذا ، لا لشىء إلا لأن أول نظرة ألقيت عليه كانت وحياً بالنفرة منه . وقد يكون من الخير لنا أن نصل به ما انقطع ، ولكن ذلك الشعور الغامض يأبى إلا أن يرى الشر فيه ، وقد تكثر مظاهر هذا الشعور فى ناحيتيه الإيجابية والسلبية ، فتزداد به متاعبنا فى الحياة ، ونريد الخلاص ولات حين خلاص . ذلك لأن فيما وراء هذا الشعور باعثاً تطاول عليه الزمن ومحاه من الذاكرة ، ولكنه بقى حياً فيما وراء الوعى ، ولا يكاد يجد فرصة الظهور حتى ينساب إلى مجرى الشعور ويوقع أثره الخاص .

ويخطئ أولئك الذين يعللون هذا الانفعال بفعل الغريزة ، فليس فى الأمر شىء مما يتصل بالفطرة ، وإنما هو من فعل التجارب الماضية . تلك التى حدثت لنا فى فجر الحياة فأحدثت فى نفوسنا هذا الانبساط أو الانقباض . ثم جللها الزمن برداء الصفاء من ساحة العقل الشاعر فانحدرت إلى ما وراءه واستقرت فى قاع العقل الباطن حية فتية ولكنها لا تهز النفس إلا بيد ذات قفاز ، ولا تظهر إلا بوجه مستعار . وذلك هو موضع الخطأ الذى وقع فيه أولئك الذين قالوا بأن هذا الحب أو الكره وليد الفطرة أو الغريزة وأنه لا يمكن أن يعلل بشىء آخر

ولا ريب فى أن تجارب الماضى من الكثرة بحيث لا يمكن أن تعد أو تحد ، وهى بالقياس إلى هذه الكثرة تحدث فى نفوسنا مظاهر الانفعال بالسرور أو خلافه ، ما قد يكون له الأثر البالغ فى أسلوب تفكيرنا وفى اتجاه إرادتنا فى الحياة . غير أننا مما لا ريب فيه أيضاً لا نقتصر فى نفوسنا على جذوة هذا الحب أو الكره الذى يبعثه ما جوزينا به على تجاربنا الماضية من خير أو شر ، فإن لنا من الحب ما هو ربيب رفقة وتصاف ، وما هو وليد تصافح فى المصالح ، وإن من الكره ما تنشئه تجربة غير ذات علاقة بتجربة بعيدة

هنالك أمر له خطره فى تحليل هذه الظاهرة النفسية ، هو أن عامل انبعاث هذه الظاهرة ، وأعنى به الحدث الماضي الذى ارتبطت به وانبعثت عنه ، قد يظل كامناً وراء حاجز من الزمن فلا تمتد يد الذاكرة إليه ، ولكنه لا يندر أن يبعث أحدنا فى عامل هذا الشعور الغامض فيقع على مصدره فى تجربة ماضية شبيهة بهذه التجربة الجديدة ، ويرجع وملؤه الاقتناع بأن رابطة التناظر كانت علة هذا الشعور الذى امتلأت به النفس بعد أول نظرة ألقتها العين . فإذا كان فى المنفعل بهذا الشعور الجديد المفاجئ من قوة التذكر وبعد النفوذ إلى ما وراء الشعور ، ما يمكن به الوصول إلى موضع التجربة الماضية من قاع النفس ، وأخرجها إلى عقله الواعى ، فقد أمكن له التغلب على عاطفة حبه أو كرهه الهوجاء ، واستطاع أن ينظر إلى الشىء بنظرة حرة مستقلة ، وأن يوليه ما يستحقه من رغبة فيه أو ميل عنه . وبتحديد موقفنا الجديد

من الأشياء والأشخاص تريح أنفسنا من كثير من المتاعب

هنالك أمثلة كثيرة مما نحب متأثرين بالماضي الذى أحييناه وبالتجارب السارة التى خلت فيه . فنحن نحب الربع الذى وهبناه طفولتنا ومنحناه أيام صبانا ، ونحب المنزل الذى عرفناه والفناء ، وقد تتطور بنا الحياة فننتقل إلى ربوع جديدة وديار جديدة هى أمثل وأكمل من تلك التى تركنا عليها أيام الشباب ، ولكنا نظل حملة لأرق عواطف الحب والولاء لذلك الوطن الأول . لأنا نرى فيه ظل ذلك الصبا الذى خلعناه ، ولأنه يذكرنا بما كان لنا فيه من تجارب سارة . فكأنما نحن وإياه مزيج واحد

كذلك نحن نحب رفيق صبانا ، لأن لصحبته ارتباطاً بكثير من تجاربنا السارة الماضية ؛ فإذا نحن لازمناه بعد دور الشباب ، كانت ملازمتنا إياه عاملاً فى بعث كثير من صور الماضى الذى خلا ... تلك الصور التى أحييناها بغفلات الشباب وملأناها بمسراته ... فإذا هي انبعثت — ولو فى الذاكرة — من جديد ، كان فى انبعاثها إعادة لذلك الشعور الذى رافقها أول مرة ... وفى ذلك رجوع بالنفس إلى زمن الصبا عن طريق إثارة ماوعاه .

ونحن نحب أيضاً قراءة الكتب التى سبق أن قرأناها فى فجر حياتنا وفى أيام دراستنا ، لا لأنها من المعنى والمبنى ما تستحق عليه الإعادة ، ولكن لأنها ترتبط فى الذاكرة بسلسلة ما حدث لنا فى شبابنا من الحوادث السارة ، بحيث يصح الادعاء بأننا قد ننسى لحظتنا الحاضرة لنعود إلى الماضى ونحيا فيه ، فنستمتع بذات اللذة التى تمتعنا بها لأول مرة ، ونحيى نفس الشعور الذى أحييناه فى ذلك الماضى البعيد

إن هذه الظاهرة النفسية — ولا ريب — تثبت لنا بقاء ما يحدث لنا فى أيام الحياة ؛ فالتجربة لا تفنى وإن تكن قد تنسى مهما ثقلت عليها وطأة الزمن فى روحاته وغدواته ، وإنما تنزوى فى ركن قصى من أركان باطن العقل ، حتى إذا حدث ما يرتبط وإياها برباط من التناظر ، تحركت وهى فى قاع النفس ، ومدت يدها إلى رفيقها الجديد ، فأوحت له بما عندها من معنى ، وأحدثت فى نفس صاحبه ما تفرضه عليه من شعور خاص

تلك هى العلة فى أنا قد أحببنا هذا لأول لقاء ، وأنا قد كرهنا ذلك بعد أول نظرة ؛ فما ذلك الحب وهذا الكره إلا وليد تجربة سارة وأخرى غير سارة . فقد يكون وجه من أوليناه الحب شبيهاً بوجه رفيق لنا سبق أن أحببناه ، وكان هذا علة فى هذا الحب الجديد . وقد يكون صوت من كرهناه مضارعاً لصوت مربية لنا غير محبوبة ، وكانت هذه المضارعة فى الصوت باعثاً على نشوء كرهنا الحادث

إن فى نفس كل منا كثيراً من التجارب السارة والمؤلمة ، وهى تحدث فى نفوسنا من المشاعر ما يتفق وإياها فى جليل أو قليل ، فنحب ونكره لعوامل دفينة فى طيات النفس ، وقد تبقى فى أكثر الأحيان غير معروفة ، ولكن ليس كل ما نحب وما نكره من هذا القبيل

(بغداد) حسين الظريفي
المحامي

قبل الرحيل

نشـــيد الأغلال !!

[إلى ذات الرداء الجازع ... !!]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

سئمتُ عذابَ الحبِّ ! فليمضِ عطرُهُ
وسحرُ أغانيهِ إلى غيرِ رجعةِ !
سقاني بما لم يَنْقَ منهُ مُحيَّرٌ
على الأرضِ ... يُسقى الموتَ في كلِّ خطوةِ
وقيّدَ أيامي بنارٍ حملتُها مقيّدةَ الأنفاسِ حولَ سريرتي !
وألقى شبابي في هشيمٍ مفزّعٍ
يُباغتُه الإعصارُ من كلِّ وجهةِ ...
فيا من أناديها ... فيأتي جوابُها
أناشيدَ أحزانٍ تُفتّتُ مهجتي
ويا من أوافيها وقلبي مرفرفٌ
فيرتدُّ مخنوقَ الأسى كالذبيحةِ
ويا من أغنّيها فينسابُ دمعُها كأنّ أغاريدي معينُ البليّةِ
ويا من يحبُّ القلبُ ... دنياكِ طلقةٌ
فخلّي بقايا الحبِّ تُبلي بقيّتي !
هبيني انطلاقَ الروحِ ... إنّ صبابةً
من الأفقِ الأعلى تنادي حُشاشتي
عبدتُكِ حتى لم أدعْ لمتيّمٍ
على هذه الدنيا خيالاً لنشوةِ ...
سلي العشبَ ... هل خمرُ الأصيلِ تدفّقتْ
لغيرِ خطانا فوقَهُ كلَّ زورةِ ؟
سلي الريحَ ... كم مرّتْ بنا وهي زامرٌ
يرنّحُ بالأنفاسِ نايَ « الجزيرةِ » ؟
لها زجلٌ دامي الرنينِ كأنّما تذيعُ شكاياتِ الزمانِ الخفيّةِ
أدارتْ كؤوساً أترعتْها بحبّنا
غراماً ، وطارتْ للضفافِ البعيدةِ ...
هبينا رياحاً بأرياحٍ ! وسافري سِراعاً بنا نحوَ المغاني السعيدةِ
شتينا على الدنيا فلم نرَ فوقها سوى خطواتٍ حائراتِ التلفّتِ
ألا ليتَ هذا العمرَ كأساً ، وحبّنا
رحيقاً ، فنحسو الحبَّ حتى الثمالةِ !!
هبيني انطلاقَ الروحِ ... إنّي مُصفّدٌ
يُجرّعُ من وهمِ الهوى وهمَ خمرةِ ...
أدورُ بعينيْ تائهٍ فأرى الصِّبا ظلاماً شقيّاً في ليالٍ شقيّةِ
وأسكرُ ... لا من أيِّ خمرٍ ! وإنّما
غرامُكِ والأشعارُ أذهلنَ يقظتي !!
أراكِ فيهتاجُ الأسى في سريرتي
كما هاجتِ الذكرى بنفسٍ حزينةِ
بعينيكِ معنًى لستُ بالغَ سرِّهِ
ولو قادَ نورُ الغيبِ أسرارَ نظرتي
رحيقٌ بكأسٍ ؟ أم سكونٌ بواحةٍ ؟
ورؤيا بفجرٍ ؟ أم صلاةٌ بكعبةٍ ؟
وفي وجهكِ النشوانِ عطرُ صبابةٍ يذكّرُ أحلامي بطهرِ النبوّةِ
وصوتُكِ أم ذكرى حنينٍ مرجّعٍ
يُدندنُ في قلبٍ غريبٍ مشتّتِ ؟
أحسُّ به في كلِّ فجٍّ بخاطري صدى قُبلةٍ حيرى إليَّ تهادتِ
رفيفٌ بأيكٍ ؟ أم نشيدٌ على فمٍ إلى اليومِ لم يخنقْ صداهُ بنبرةِ ؟
سرقتِ حياةَ الموجِ ، طوراً وديعةً
كحلمٍ حزينٍ ، أو تبسّمِ طفلةِ
وطوراً هديرُ البحرِ منكِ ارتعاشةٌ
كأنكِ بحرٌ من شبابٍ وفتنةِ !

وَصَدْرُكِ لَوْ يَدْرِى الْهَوَى وَهْوَ قَاتِلِي
أَمَانٌ لِرُوحِي مِنْ رِيَاحِ الْمَنِيَّةِ
نَشِيدٌ بِهِ الْحَنَانِ مِنْ قَلْبِ مِزْهَرِ
يَدُ اللهِ كَانَتْ فِيهِ أَقْدَسَ رِيشَةِ
وَطَيْرَانِ فِي أَيْكٍ زَوَى الْخُلْدُ عِطْرَهُ
فَحُرِّمَ لَا يَسْرِى بِهِ طَيْفُ نَسْمَةِ
وَحُلْمَانِ ... لَكِنْ مِنْ لَهِيبٍ وَنَشْوَةِ
غَرِيقَانِ فِي الرُّؤْيَا بِأَطْهَرِ غَفْوَةِ !

وَذَاتُكِ فَجْرٌ فِي لَيَالِيَّ هَائِمٌ — يُبَارِكُ بِالْأَنْوَارِ مِحْرَابَ عُزْلَتِي
تَنَزَّهَ عَنْ قَيْدِ الزَّمَانِ ، فَعُمْرُهُ — خُلُودٌ مُضِيءٌ فِي الضُّحَى وَالْعَشِيَّةِ
وَثَغْرُكِ يَا وَحْيَ الْأَنَاشِيدِ رَحْمَتِي — إِذَا ظَمَأُ الْإِلْهَامِ أَشْعَلَ غُلَّتِي
غِنَائِي ، وَخَمْرِي ، وَانْتِعَاشِي ، وَسَكْرَتِي
وَسِحْرِي ، وَشِعْرِي ، وَابْتِهَالِي ، وَسَجْدَتِي
تَمَنَّعَ حَتَّى كَادَ لَوْ خَطَرَتْ بِهِ — بَنَانُكِ يَنْفِيهَا عِتَابَ الْقَدَاسَةِ !
كَأَنِّي بِهِ نَبْعٌ مِنَ النُّورِ وَالْهَوَى — تَخَيَّرَ لِلْحِرْمَانِ أَمْنَعَ ذِرْوَةِ
هَبِينِي شُعَاعًا فِي الضُّحَى رَفَّ حَوْلَهُ
وَصَلَّى وَلَاقَى اللهَ فِي خَيْرِ بُقْعَةِ ...

سَلَامًا نَجِيَّ الرُّوحِ يَا طَيْفَ رُوحِهَا — إِذَا هِيَ أَشْقَاهَا هَوَانَا فَمَلَّتْ
تَظَلُّ تُصَافِينِي إِذَا صَدَّ نُورُهَا — وَتَحْنُو إِذَا ازْوَرَّتْ دَلَالًا وَتَاهَتْ
أُرِيدُ لِأَنْسَاهَا ... فَأَلْقَاكَ فِي دَمِي — نَبِيًّا مِنَ الذِّكْرَى عَتِيَّ الرِّسَالَةِ
تُشَعْشِعُ بِالْأَحْلَامِ رُوحِي وَفِي الْكَرَى
تُفَجِّرُ مُوسِيقَا الْحَنَانِ الشَّجِيَّةِ ...
سَلَامًا حَبِيبَ الرُّوحِ ... يَا طَيْفَ رُوحِهَا
أَغِثْ شَجَنِي ، وَارْحَمْ شَبَابِي وَعِلَّتِي !
أَهِمُّ عَلَى نِسْيَانِهَا ... وَامْضِ طَائِرًا
يَعِيشُ عَلَى ذِكْرَى الْهَوَى فِي الْخَمِيلَةِ
تَرَكْتُ لَكَ الْمَاضِي رَبِيعًا مُقَدَّسًا — فَأَيَّانَ تَطْرُقْ فِيهِ تَسْمَعْ تَمِيمَتِي
فَفِيهِ جَلَالٌ مِثْلَمَا فِيكَ خَالِدٌ — وَفِيهِ كَمَا فِيهَا عَوَالِمُ هَيْبَةِ
وَفِيهِ رُبًى خُضْرُ الظِّلَالِ عَوَارِفٌ — بِسِرِّ هَوَانَا فِي شَذَى كُلِّ زَهْرَةِ
فَطُفْ مِثْلَمَا طُفْنَا زَمَانًا بِسَاحِهِ
وَذُقْ فِيهِ طَعْمَ السِّحْرِ مِنْ كُلِّ ذَرَّةِ
وَنَاجِ طُيُورًا لَمْ يَزَلْنَ بِأُفْقِهِ — يُرَتِّلْنَ تَوْرَاةَ الْهَوَى كُلَّ لَيْلَةِ
وَحَوِّمْ عَلَى غُدْرَانِهِ تَلْقَ عِنْدَهَا — أَمَاسِيَنَا سَكْرَى عَلَى كُلِّ ضِفَّةِ
وَعَلِّمْنِيَ السُّلْوَانَ إِنْ كُنْتَ سَالِيًا
فَإِنِّيَ عَنْهُ فِي عَمَاءٍ وَضَلَّةِ

ظَلَلْتُ عَلَى نَارِي أُرَاوِدُ طَيْفَهُ — فَيَخْفَى وَيَرْمِينِي بِنَارٍ جَدِيدَةِ !
فَيَا رَبَّةَ الْأَحْلَامِ فُكِّي وَثَاقَهَا — وَلَا تَحْسَبِيهَا غَيْرَ رُؤْيَا جَمِيلَةِ
تُرِيدِينَ أَسْرِي فِي الْهَوَى ، وَأَنَا الَّذِي
تُحَطِّمُ أَغْلَالَ الزَّمَانِ سَكِينَتِي !
أَلَا أَطْلِقِينِي لِلسَّمَاءِ ، وَحَلِّقِي — إِذَا شِئْتِ فِي دُنْيَا خَيَالِ الرَّهِيبَةِ
غَدَوْتُ رَمَادًا أَنْتِ سِرُّ انْطِفَائِهِ — وَأَنْتِ بِهِ سِرٌّ يُخَلِّدُ جَذْوَتِي ...
أَلَا مَنْ لِطَيْرٍ فِي رَوَابِيكِ هَائِمٍ — وَيَشْتَاقُ لِلْحِرْمَانِ فِي كُلِّ لَحْظَةِ !
هَبِيهِ لِصَحْرَاءِ الْأَسَى ، فَلَرُبَّمَا
يُضِيءُ مِنَ الْأَحْزَانِ نُورُ الْحَقِيقَةِ !

محمود حسن اسماعيل



صاحب اللحية البيضاء

١ – سيدى الفاضل رئيس تحرير الرسالة الغراء

صورت لنا فى عدد الرسالة الماضى بقلمك الممتاز صورة صادقة حية لمجرم بالطبع criminel né الذى نادى بوجود أمثاله العبقرى الفذ لمبروزو Lambrozo ، إذ يقول إن عدداً كبيراً من المجرمين معرضون حتما لارتكاب الجرائم إذ يولدون وتولد معهم غرائز سيئة تحول بينهم وبين المعيشة الصالحة ، وما يستطيعون لنزعات الشر مقاومة . ويتميز هذا المجرم بصفات خَلقية وخُلقية : فهو قصير القامة كذى اللحية البيضاء ، صغير الجمجمة ؛ ضيق الجبهة، ناتىء عظام الخدين ، دقيق الشفتين ، غائر العينين ، مفرطح الأذنين ، كبير الفك الأسفل ، بليد الحس الأدبى (dûrete du sens moral)

ولئن فشلت نظرية هذا الجهبذ فما كان ذلك إلا لأنهم حشو منها على الأخلاق ، فمادام المجرم يعلم أن الجريمة مقدرة عليه كقسمة الأرزاق، مات ضميره واندفع كالتيار العرم يكتسح أمامه كل شىء، ولا يصبح لكلمات العدالة والجزاء والقصاص قيمة ما ، ومعنى ذلك الفوضى المطلقة . على أن علماء الوراثة بما قاموا به من دراسات فنية وإحصائية قد أقاموا الدليل على وراثة صفات الإجرام من جيل لجيل تذكيها فساد البيئة وانحطاط الوسط الاجتماعى

فليتك يا سيدى المحترم ترشدنا نحن أعضاء معهد الدراسات الجنائية العليا إلى هذه الشخصية النادرة . فما وجدنا طيلة دراستنا بالسجون المصرية والإصلاحيات إلا إجراماً مكتسباً ؛ فلعلنا نجد فى ذى اللحية البيضاء ما يؤيد نظرية العالم الإيطالى

عباس فهمى محمد بدر
بالمعهد الجنائى

(الرسالة) : الصفات التى ذكرها الكاتب الفاضل تنطبق على ذى «اللحية البيضاء» ، وهو الآن سجين بمركز طلخا ، ومن الممكن زيارته فيه

٢– سيدى الأستاذ الكبير رئيس التحرير

وبعد فأمر صاحب (اللحية البيضاء) موضوع حديثكم الشيق فى الرسالة الماضية ليس بخاف على أهل العلم ، فهذا الرجل يشكو إغراقاً فى تعويض نقص ، وهو علة نفسانية تنشأ مع من تحوطت شخصيته فى طفولته بتحكم الوسط الذى نشأ فيه فحد ذلك من التمتع بالقوة فى كافة مظاهرها ، وهى غرض كل كائن حى ، ونتيجة هذا الحد أن القوة النفسية المحرومة من العمل تلجأ إلى الإغراق فى إظهار كيانها لإثبات وجودها المنكور عليها . فالإجرام فى ضوء علم النفس الحديث هو تعويض نقص تعويضا مفرقا

وكان رأى لمبروزو فى أوائل هذا القرن أن الإجرام استعداد وراثى ، ولكن علم النفس الحديث لا يميل للأخذ بهذا الرأى الآن ؛ ويرى أن التربية فى سنى حياة الطفل الست الأولى مصدر كثير من العلل النفسانية والاجتماعية

على أن هناك تعويضاً طبيعياً : فالأصم الذى تفقده أذنه عن إدراك ما يناله غيره تراه ينزع إلى تعويض هذا النقص بالنشاط فى ناحية أخرى . وهنا يكون النبوغ عادة

قال أناتول فرانس مرة : إن نابليون كان متهماً فى رجولته ، فأشعل الحرب فى كل أوربا إعلاناً لرجولته . ومثل هذا القول يقال فى كل إنسان حدت ظروفه من ممارسته حقه الطبيعى من القوة

كامل يوسف
عضو المعهد البريطانى الفنى بلندن

مراكز الثقافة العربية فى القاهرة ودمشق وبغداد

تقدمت المباحثات بين وزارة المعارف وبين الهيئات التعليمية المختصة فى كل من العراق وسورية وفلسطين ولبنان فى سبيل إنشاء مكتب التعاون الثقافى بين هذه البلاد وإيجاد وحدة ثقافية عربية تجمع الشباب العربى تحت علم هذه الثقافة

وقد علمنا أن النية متجهة إلى إنشاء مراكز لهذه الثقافة العربية الموحدة فى كل من القاهرة ودمشق وبغداد يمكن من طريقها تبادل الآراء وإلقاء المحاضرات العلمية والأدبية التى يتردد صداها على نطاق واسع فى هذا المحيط

والمفهوم أن الأقطار العربية الشقيقة قابلت مشروع التعاون بينها وبين مصر بارتياح كبير

كم ذا ...

١ – أشكر للأستاذ الفاضل إبراهيم أبى الخشب دقته وأدبه ، ولكنى أعجب من إنكاره على سلوك مذهب التخريج والتأويل والإعراب ... فى الحكم على (حافظ وأبى الطيب) حين استعملا

هذا التعبير (كم ذا ...) فقد أراد الأستاذ فى كلمته الأولى إقامة هذه العبارة إلى جهة أو التماس شاهد من كلام يحتج به

فأما إقامتها إلى جهة فما أظنها تؤدى معنى غير تخريج العبارة على وجه من وجوه النحو والبلاغة ، وهذا ماذهبت إليه فى كلمتى السابقة ؛ وكنت ولا أزال أنتظر من الأستاذ أن ينظر في وجوه التخريج التى أخذت بها

وأما الشاهد الذى يتمسك به متابعة للآمدى وأمثاله من علماء أصول اللغة فلا يزال يعوزنى ، ولعل هـذا التعبير من أوليات (أبى الطيب) وعهدنا به مبتدعاً جريئاً . وإنى لحسن الظن به وإن غضب (ابن خالويه) . والسلام **محمود البشبيشى**

٢ — قرأت إجابة أستاذنا الجليل البشبيشى ؛ ثم عدم اقتناع الأستاذ « أبو الخشب » بما جاء فيها ، فرأيت أن أدلى برأى أعتقد أن فيه شفاء الغلة .

(ا) أرى أن بيت المتنبى « كم ذا بمصر من المضحكات ... » على هذه الرواية ، وعلتى فى ذلك أن المتنبى كانت له ألفاظ يكثر استعمالها فى شعره ، ومن هذه الألفاظ « ذا » (راجع يتيمة الدهر ج ١ ص ١٣٧ طبعة الصاوى) وقد تابع حافظ المتنبى فى مثل هذا التعبير .

(ب) لم أجد شاهداً من أشعار العرب ، ولا من مأثور كلامهم على مجىء « ذا » بعد كم على طول ما بحثت ، وإن كان هذا لا يمنع من جواز وجوده .

(ج) مثل هذا التعبير لا يتنافى مع قواعد اللغة ، ومن السهل تخريجه بأعراب ذا منادى حذف منه حرف النداء . وكم خبرية حذف تميزها .

(د) قد يعترض على هذا التخريج من يقول إننى ارتكبت من أجله حذف تميز كم الخبرية وحذف حرف النداء من اسم الإشارة . وردى على مثل هذا المعترض هين

فأما حذف تميز كم الخبرية فإن النحاة قالوا إنه غير حسن ، ولم يمنعوه (راجع ابن يعيش ج ٤ ص ١٢٩ الطبعة المنيرية) وإذا راعينا ما أبيح للشعراء من جواز الجرى على الآراء غير الحسنة لم نجد فى ذلك قبحاً . وإذا نحن احتكمنا إلى معنى البيتين وجدناه رائعاً

وأما حذف حرف النداء من اسم الإشارة فجرى فيه المتنبى على رأى الكوفيين الذين استدلوا على جواز ذلك بقوله تعالى : « ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم » .

ومن المعروف أن المتنبى نشأ فى الكوفة ، فلا عجب إذا جرى على آرائهم في كثير من شعره مما عده العلماء — جهلاً منهم — خطأ من المتنبي . وهذا هو يقول :

« هذى برزت لنا فهجت رسيسا »

لحذف حرف النداء من اسم الإشارة مصداقاً لما ذهبت إليه .

(منيل الروضة) **راتب خليفة**

الصفاء بين الأدباء أيضا

(بقية المنشور على صفحة ٥٩٠)

أنا الذى لا ينام الليل إذا استدان قرشاً حتى يوفيه ، هل كنت أستطيع أن أنام طويلاً على دين مثل هذا الدين ؟ !

وبعد ... فليسمح لى الدكتور طه أن أداعبه قليلاً : إنك — أيها الدكتور العزيز — قد شهرت أمرى للناس هذه الشهرة الواسعة ... ولكن ... هل ترى وقد مضى على ذلك نحو عشرة أعوام — أن الأدب العربى قد أفاد حقـاً من ذلك شيئاً يستحق هذا العناء ؟ قد تجيبنى بابتسامتك الساخرة : « وما لنا وللأدب العربى ؟ حسبك أنك أنت قد انتفعت يا توفيق الحكيم ! »

آه ... أيها الدكتور العزيز ... هنا تجدنى أجيبك بابتسامة حزينة : إنى لم أنتفع بقدر ما أضمت ، فإن الشهرة قد جاءتنى حقيقة ببعض المال ... ولكن ، هل كنت محتاجاً إلى ذلك المال ؟ إنى لم أكن معسراً ولا فقيراً . أجاءتنى بالمركز الاجتماعى ؟ كلا ... فقد كنت قبلها من رجال القضاء المحترمين ، ولو أنى بقيت كذلك ، ولا شىء غير ذلك ، لظفرت بالحياة الهانئة الهادئة النافعة — على الأقل — للعدالة والناس ، ولتزوجت الزوجة الصالحة ، وأنجبت الأولاد البررة المفلحين ...

ولكن الشهرة وما يحيط بها من الإشاعات والأقاويل والأباطيل قد حالت بينى وبين ذلك الخير ؛ فبعد أن كانت تسعى إلى طلبى الأسر وأنا فى القضاء تحوطنى الثقة والهيبة أصبحت تنفر منى اليوم ويحملنى الجميع عبء الإثبات لأقنعهم بأنى محل ثقة واطمئنان ! لقد جاوزت الأربعين وما أبصر بعدُ فى الأفق طيف واحة مورقة فى صحراء حياتى المحرقة . ما قيمة الشهرة بغير سعادة ؟ وفيم الأدب والفن بغير هناء ؟ إن أردت الحقيقة أيها الصديق فإن خير ما أعطيتنى كانت صداقتك الأولى التى دامت شهرين ... ثم ... ثم إذا كل شىء بعد ذلك يتحول إلى كلمات فى كلمات وهباء فى هباء ... والسلام .

توفيق الحكيم

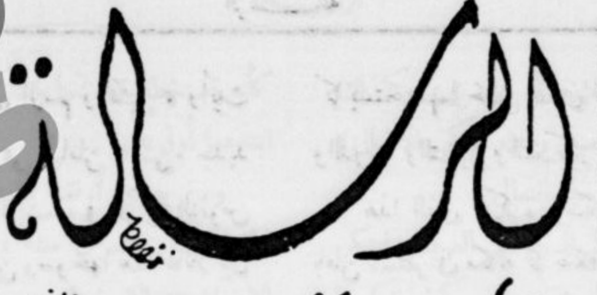
(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



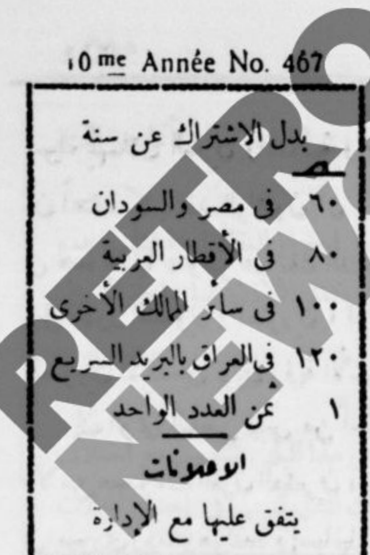
10me Année No. 467 — Lundi - 15 - 6 - 1942

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique



العـــدد ٤٦٧ « القاهرة في يوم الإثنين أول جمادى الآخرة سنة ١٣٦١ — الموافق ١٥ يونية سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

مســـاجلات

للأستاذ عباس محمود العقاد

لقيني كاتب معروف يتشيع للبدع الحديثة حتى تقدم فيترکها ويتشيع لغيرها فقال لي :

إنك أنكرت « الوعي » الباطن في التصوير ، وأخذت على غلاة المحدثين أنهم يعتمدونه في صورهم ، مع أنك ترجع إليه في شعرك وترسم بالقلم نظائر لما يرسمونه بالريشة

قلت : مثل ماذا ؟

قال : مثل قولك في وصف قبة الفضاء إحدى الليالي :

كأنها الهاوية المقلوبة
كأنها الجمجمة المنخوبة
تهمس فيها الذكر المحبوبة

وهذا من صور الوعي الباطن وليس من صور العيان

والذي قاله الكاتب المعروف يخالف الواقع ولا يؤيد المدرسة التالية من المصورين ، أو مدرسة « السريالزم » على وجه من الوجوه

فأنا ، من جهة ، لم أنكر الوعي الباطن ولا موجب لإنكاري إياه ، وإنما أنكرت أن يكون وجود الوعي الباطن ملغياً للوعي الظاهر وللمشاهدة الحسية والمرئيات العيانية ، وأنكرت أن يكون الوعي الباطن ملغياً لقواعد التصوير قديمها وحديثها ، فلا تبقى للمصور مزية على الجاهل بفن التصوير ، لأنهما على حد

سواء يهملان التلوين والمشابهة وأصول الرسم والتمثيل ، وأبيت أن أعتقد كما يعتقد الواهمون أن « الوعى الباطن » شيء جديد فى هذه الدنيا ، وهو هو تلك الملكة الراسخة فى قرارة النفوس قبل ظهور التصوير والمصورين ، فلم يكن رسوخها هذا حائلاً بين المصورين الأقدمين وبين رؤية الأشياء كما يمثلها العيان

إن الوعى الباطن ليس من اختراعات هارتمان ولا فرويد ، ولا من مصنوعات القرن العشرين ، ولكنه ملكة إنسانية وجدت فى مصورى روما وهولندة وإسبانيا كما توجد فى المصورين المحدثين؛ فلماذا نلغى العيون اليوم ولا نرى الأشياء إلا بالتنجيم والتخمين ؟ ومن الذى قال إن حامل الريشة هو المتخصص فى تنجيمات الوعى الباطن دون المعلم والمهندس والطبيب والكاتب والشاعر وسائر المثقفين وغير المثقفين ؟

هذا كلامى عن « الوعى الباطن » لا يدحضه الشعر الذى ذكره الكاتب المعروف وأراد أن يسلكنى به فى عداد أولئك المنجمين

على أن الشعر الذى ذكره الكاتب المعروف يعطى العيان حقه ويعتمد على الحس ولا ينسى المشاكلة ولا المشابهة من جانبها الظاهر ولا من جانبها الباطن أقل نسيان

فالتجويف ملحوظ فى قبة الفضاء ، وفى الجمجمة المنخوبة ؛ وهمس الذكر يقترن بالرأس ويقترن بالسماء فى لياليها المرهوبة ، وإذا تسربلت السماء بسربال الرهبة ، فالشعور الذى توحيه إلى النفس أقرب شيء إلى شعور الإنسان أمام الرؤى التى أحاط بها عالم الفناء والأبدية

فالمشابهة الحسية والمشابهة المعنوية متوافرتان هنا كل التوافر ، وليس فى « السريالزم » أثر للمشابهات ولا للتوافق فى الرسم والتصوير.

على أننا نذهب مع الكاتب المعروف إلى أقصى مداه ونفرض أن وصفى الفضاء فى إحدى الليالى المرهوبة بالجمجمة المنخوبة وعى باطن ليس فيه من الوعى الظاهر كثير ولا قليل

نفرض أننى رجعت إلى « الوعى الباطن » فى بيت أو بيتين أو عشرة أبيات من عشرة آلاف بيت . فأين هذا من إلغاء الحس والعيان كل الإلغاء ، وتطليق العيون والأسماع إلى آخر الزمان ؟ إن تسلل الوعى الباطن مرة فى كل ألف مرة لهو احتمال جائز موافق لطبيعة السوانح الباطنية . أما الوهم الذى لا يجوز ولا يوافق طبيعة من الطبائع ، فهو أن نصبح كلنا وعياً باطناً وأن تصبح الدنيا كلها موعية باطنية لا تستخدم فيها عين ولا أذن كما يستخدمهما خلق الله فى المسكن والملبس والطعام والشراب والدرس والتخيل والتفكير

هذا الذى ننكره وينكره كل ذى عينين وكل ذى وعى باطن مستقر فى مكانه كما خلقه الله . أما المصورون الذين يقذفون بالألوان والرسوم إلى عرض الطريق ليحدثونا باسم « الوعى الباطن » فأول ما ينبغى أن يسمعوه منا أنكم يا هؤلاء لستم بأصحاب الاختصاص فى هذه الأسرار . فإذا فشلتم فى حمل الريشة وخلط الألوان فقد فشلتم فى وظيفتكم المعترف بها وادعيتم لأنفسكم وظيفة لا يعترف لكم بها إنسان ، ولا حاجة بالناس إليها لأنهم جميعاً أصحاب « وعى باطن » مثلكم وزيادة . . . فما حاجتهم إليكم وإلى غيركم من أدعياء هذه الكهانة المعروضة عليهم فى ثوب التصوير ؟

* * *

ومن المساجلات التي نُبهت إليها كلمة لأديب يكتب فى « الثقافة » بتوقيع « محمد مندور » قال فيها عنى فى صدد الكلام على أبى العلاء ورسالة الغفران :

« . . . والعقاد يبدأ فيؤكد — فيما يعلم — أن فكرة أبى العلاء فى هذه الرحلة إلى العالم الآخر لم يسبقه إليها أحد غير لوسيان فى محاوراته فى الأولب والهاوية . وهذا قول عجيب يدخل فى سلسلة تأكيدات الأستاذ العقاد التى لا حصر لها فى كل ما كتب ، والتى كثيراً ما تدهشنا لجرأتها ؛ ففكرة الرحلة إلى العالم الآخر قديمة قدم الإنسانية ، عرفها اليونان قبل لوسيان ، وعرفها العرب قبل أبى العلاء »

لا يا شيخ !

العالم الآخر قديم قبل لوسيان ، والجنة والنار قديمتان قبل أبى العلاء !

سبحان الله ! كنا نظن غير هذا . . . كنا نظن أن الجنة والنار خلقتا بعد المعرى بثلاث أربع سنوات ! وأن لوسيان ظهر على الأرض فظهر معه الجحيم السفلى الذى تحدث به اليونان

أما وصاحبنا المدهوش من جرأتنا يؤكد لنا أن الأمر على غير ذلك فلنرجع إذن عن توكيداتنا الجريئة ، ولنعلن التوبة بين يديه لنقول له : صحيح . صحيح والله . . . الجنة والنار كانتا معروفتين قبل أبى العلاء ، والعالم السفلى كان معروفاً قبل لوسيان ... ولندن ... لندن نعم لأجل خاطرك كانت موجودة

قبل رحلات المسافرين إليها ، وكذلك والله باريس ، وكذلك والله القاهرة ، وكذلك والله الهند والصين وبلاد تركب الأفيال ، أو بلاد تمشي على الأرض ولا تركب حتى النعال

أفادك الله يا مولانا الذي يتربع على الكرسي العريض لينكر على المساكين من أمثالنا توكيداتهم الجريئة ويعلمهم كيف تكون التوكيدات من آخر طراز

وأى توكيدات ؟

توكيداته التي لا جرأة فيها هي أننا نحن المساكين ، أو أن أحداً من خلق الله أجمعين ، يجهل أن أبا العلاء قد تكلم عن شيء معروف حين تكلم عن الجنة والنار ، وأن لوسيان لم يكن أول من سمع بالعالم السفلي بين قدماء اليونان

فنحن بعد الاستئذان في قليل من الجرأة التي يدهش لها صاحبنا بحترى مرة أخرى فنقول له إننا لم نجهل معرفة الناس بالجنة والنار وهبوط الملائكة وصعود الشياطين قبل أبي العلاء ، وأن أحداً من القارئين لم يجهل هذا ، ولا يحسن بأحد أن يرمى أحداً بجهله . فهذا تحصيل حاصل مفروغ منه ، وليس أدعى إلى الدهشة من مجازف بحترى على توكيده ... ولكننا إذا تكلمنا عن الآثار الأدبية التي تتخذ من الرحلة بين الجنة والنار موضوعاً لها ، فهذا كلام آخر يجمل به أن يصغى إليه ؛ وإذا جمعنا بين المعرى ولوسيان في هذا الصدد فذلك مبحث يصح النظر فيه والاستفادة منه : أما أن يتربع متربع على كرسي الفتاوى ليحدث قراءه بوجود السماء والأرض والملائكة والشياطين قبل الكتابة عنهم والرحلة إليهم ، أو بوجود لندن وبرلين قبل كتب السياحة والرحالين ، فلا يستغرب أن يجترئ بعض القراء ، ويا له من اجتراء ، فيزحزح له كرسيه قليلاً إلى الوراء !

بل لا نظن أن القارئ يكتفى بزحزحة الكرسي قليلاً إلى الوراء إذا كان ممن يعلمون أن « العقاد » قد سبق إلى كتابة هذا ، فقال قبل عشرين سنة عن رحلة أبي العلاء : « أى شيء من هذه الأشياء لم يكن من قبل ذلك معروفاً موصوفاً ؟ وأى خبر من أخبار الجنة المذكورة لم يكن في عصره معهوداً للناس مألوفاً ؟ كل أولئك كان عندهم من حقائق الأخبار ووقائع العيان ... »

ثم قال : « فهي رحلة قديمة كما قلنا ولكنه أعادها علينا كأنه قد خطا خطواتها بقدميه وروى لنا أحاديثها كأنما هو الذي ابتدعها أول مرة ... »

ومن يدرى ؟ فقد يكون من اجتراء العقاد أنه اختلس هذه الحقيقة قبل عشرين سنة ، ولم ينتظر الإذن قبل اجترائه على الاختلاس والادعاء !

***

ولا شك أن « المندورين » في هذا البلد كثيرون مع اختلاف في الأسماء والعناوين ... فمنهم ذلك الذى تسمي في إحدى المجلات باسم « مصطفى » ليستر ما في مقاله من سوء النية وهو يتكلم عن النبي العربي ، ويتميز غيظاً لأننا عرضنا لتعدد زوجات النبي في كتابنا « عبقرية محمد » فرددنا أسبابه إلى مصلحة الدعوة الإسلامية ولم نتخذ منه ذريعة لتلويث السمعة كما فعل المتعصبون من المبشرين والمستشرقين . وليس هذا بالعلم ولا بالمنطق في رأى أذناب الاشتراكية الرعناء . . . إنما العلم والمنطق أن تلوث كل عظيم في تاريخ بني الإنسان ، لأن مقاصد الاشتراكية الرعناء لا تستقيم لأصحابها وفي الدنيا عظمة شريفة تستحق التبجيل والولاء . وكفى بحقارة مذهب لا يستقيم إلا بتلويث كل عظيم !

أعداد الرسالة الخاصة

في سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية ، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة ، ينوه بفضله ويعرف بأهله . وستبدأ بعدد العراق . والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا الواجب بإرسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

قال ذلك « المصطفى » المزعوم إننا دافعنا عن محمد فقلنا : « إنك لا تصف السيد المسيح بأنه قاصر الجنسية لأنه لم يتزوج قط ؛ فلا ينبغي أن تصف محمداً بأنه مفرط الجنسية لأنه تزوج بتسع نساء »

ثم قال ذلك المصطفى المزعوم معقباً على كلامنا : « ولكن ما رأى العقاد لو قال الناقد : إني أرى المسيح قاصر الجنسية وما أنفى عنه هذه الصفة »

ورأى العقاد أن الناقد لن يقول ذلك لأنه كان من أساطين المبشرين . فإن أعدته الاشتراكية الرعناء بسوء أدبها فجوابه إذن أن نرده إلى تاريخ النبي كما فعلنا فنريه بما يفقأ عينه أن الرجل الشهوان يجمع بين تسع زوجات من الأبكار الحسان وهو قادر على ذلك كل القدرة ولا يختار زوجاته كما صنع النبي من المسنات التأيمات اللائى لم يشتهرن بالجمال ، ثم تكون البكر الوحيدة منهن بنت أبي بكر الصديق التي يرجع التزوج بها إلى أسباب المصلحة الإسلامية قبل كل اعتبار

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

عبد القادر حمزة باشا — موسم الامتحانات فى المدارس المصرية — أحزان « توفيق الحكيم » وتفوذ « طه حسين » ...

عبد القادر حمزة باشا

فاتنى فى العام الماضى أن أشهد مأتم الأستاذ عبد القادر حمزة — طابتْ تُربتُه ، وكَرُمتْ ذكراه — ولم يفتني أن أشهد المأتم الذى أقيم فى هذا المساء بجوار دار (البلاغ) ، تحية لروح ذلك الشهيد ، شهيد القلم الحرّ ، والرأى الصريح

وأقول : إنى ما شعرت بحزن أو لوعة حين تجددت الصورة لموت ذلك الصديق ، فهل خمد أسفى عليه وما قدُم العهد ؟

أشهد أنى لم أجد فى نفسى استعداداً للتحسر والتفجع ، كما ينبغى أن يقع فى مثل هذا الظرف ، وإنما توجهتْ نفسى إلى معنًى آخر هو نقد الأسلوب المتبع فى إقامة الذكريات لهذا الطراز من الرجال

وأشرح هذا المنى فأقول : إن عبد القادر لم يمت إلا بعد أن أقام ألوف البراهين على أن للقلم دولة فى هذه البلاد ، وبعد أن أقام ألوف الشواهد على أن الذاتية السليمة تصل بصاحبها إلى أشرف الغايات ، وترقم اسمه فى صحيفة الخلود

فما الذى يمنع من أن تكون الحفلة التى تقام لذكراه حفلة فرح وابتهاج ؟

كنت أحب أن يتنادى من اشتركوا فى تحرير (البلاغ) — وهم يعدُّون بالعشرات — إلى إقامة سهرة طريفة على متن النّيل فى ليلة قمراء ، تحيةً للكاتب العظيم الذى أرّخ مجد النيل أعظم تاريخ

كنت أحب أن نتنادى لإقامة حفلة بهيجة فى « معبد الكرنك » ، وهو المكان الذى أوحى إلى عبد القادر أن يكون إماماً فى تاريخ مصر القديم ، ولعله أول مؤرّخ جعل الإيمان بعظمة مصر عقيدة عقلية ، وعقيدةُ العقل أعظم من عقيدة الروح

لو سمحت شواغل الحياة بأن يتنادى أصدقاء (البلاغ) لتكريم صاحب (البلاغ) لكان لهم فى تكريمه أسلوب لا يخطر لأهل هذا العصر فى بال

فهل « تنبسط » الاشتراكية بهذا الجواب أو يملأها سم البغضاء وصديده لأن فى العالم الإنسانى رجلاً باقياً بغير تلويث !

وقال ذلك المصطفى المزعوم : إن العقاد « يقيم الحجة على نبوة محمد باضطراب الأحوال وقت نشوئه فى بلاد العرب ... ترى أين يكون إقناع العقاد لو انبرى مسلم — قبل أن يتصدى من لا يدين بالإسلام — وقال : إن الأحوال الحاضرة أشد قساوة مما مضى فى عهود الإنسانية جميعها ... وإذن فالحال المعاصرة تستلزم نبياً ينشر الخير والعدل . فأين هذا النبى ممن عرفهم العالم حالياً ... »

والعجيب أن يسألنى هذا المصطفى المزعوم عن رأيى وقد بينته صريحاً فى الكتاب نفسه حين قلت : إن العالم حائر فى طلب العقيدة أو « طلب المسوغ للوجود . لأن الوجود وحده لا يكفى الإنسان إلا أن يكون على طبقته مع الحيوان . فالإيمان للمستقبل ، وعسى أن يكون المستقبل للإيمان ... »

قلت ذلك فى ختام الكتاب وجملته خلاصة الرأى فيه وموضع العبرة منه ، ولا أزال أقول كما قلت دائماً إن خلاص العالم مرهون بالإيمان ، وإن حياة الناس بغير عقيدة نبيلة هى حياة حشرات

ولكن الإيمان الذى يحتاج إليه العالم لن يكون إيمان المعدات والأمعاء ، لأن الإنسانية لن تحتاج إلى رسل وحكماء ليعلموها عبادة الطعام والشراب ، وإن أحقر حصان معلق فى مركبة نقل ليعلم من هذه الفلسفة ما يعلمه كارل ماركس ولنين وإخوان هذه العصبة أجمعين

إنما يحتاج العالم إلى إيمان يليق بأبناء آدم ، ولا يحتاج إلى إيمان يزعم أنه يخلصه من ضرورات المعدة بعبادة هذه المعدة فى الصباح والمساء ، وفى ساعة العمل وساعة الرياضة ، وفيما يدير عليه تجارب العلم ومطالب الفن وأشواق النفس وعقائد الضمير .

قبّحت عقيدةً كهذه العقيدة إن قضى بها النحس على أمة من الأمم . فهى عقيدة لن تخلص الناس من ضرورات المعدة وخسائسها بل تفرض عليهم عبادتها وتسجل عليهم الخضوع لرهبة الجوع إلى آخر الزمان . وقبّح من رسل أولئك الرسل الذين لا جديد عندهم يعلمونه الناس وراء ما علمته الحشرات قبل ملايين السنين . وأبى الله أن « تنبسط » الاشتراكية الرعناء إن كان تحقير عظماء الإنسانية وتحقير الإنسانية كلها فرضاً لزاماً لمن يسترون شرورهم بأمثال هذه الدعوات .

عباس محمود العقاد

لن نبكي على شيخ الصحافة المصرية ، وهل مات حتى نبكي عليه ؟ وما البكاء على كاتب لم يفارق دنياه إلا بعد أن ملأ صرير قلمه مسامع الزمان ؟

الواجب أن نفرح لأن مصر أنجبت كاتباً سياسيًّا يندُر وجود مثله فى الأقطار الأوربية والأمريكية . وأعيذ القارئ أن يتهمني بالمبالغة والتهويل ، فالمصاعب التي قهرها عبد القادر لو صادفت أكبر كاتب فى أعظم بلد لأضافته إلى المدحورين

الواجب أن نفرح لأن جو مصر سمح بأن يكون أحد أقطاب الصحافة اليومية من أكابر المؤلفين ، وتلك إحدى الأعاجيب .

الواجب أن نفرح ، لأن جو مصر سمح بأن يكتُم كاتبٌ بلاءه بأعدائه نحو ثلاث سنين ، ليلقاهم بعد ذلك فى ميدان لا يخرجون منه سالمين

كان عبد القادر كما وصفت ، وفوق ما وصفت ، فكيف نحيي ذكراه بالحزن والانقباض ؟

ومتى نفرح إذا تناسينا اعتزاز الأقلام بتاريخ ذلك الشهيد ؟

كان عبد القادر يحب جريدته أكثر مما يحب نفسه ، ولهذا كان يستكتب رجالاً بينه وبينهم ضغائن وحقود ، ليبرئ ذمته من حق جريدته عليه

وكانت البراعة القلمية هي الخصيصة الأساسية فيمن يعرف من الكتّاب ، ولو كانوا من خصومه الألدّاء

وكان لا يسمح بنشر كلمة تؤذي أحد محرري (البلاغ) من قرب أو من بعد ، وقد اتفق لي أن أرجوه نشر مقال أرسله المرحوم مصطفى صادق الرافعي في إيذائي ، لأقيم الدليل على تشجيع الحرية الفكرية ، ولكنه رفض ، وكانت حجته أن سماحي بنشر مقال الرافعي لا يعفيه من حق علي عبد القادر !

هل تعرف أن قوماً زعموا أنك مت ؟

كذَبوا ، فما يموت من تحيا ذكراه على سنان قلمي !

موسم الامتحانات

وزارة المعارف فى نظر المنصف أعظم الوزارات حيوية ، بدليل ما نشاهد من كثرة التغيرات والتقلبات ، وهل يتغير أو يتقلب غير الأحياء ؟

ولكن هذه الوزارة التي تفكر فى كل شيء ، وتشغل بأخبارها جميع الناس ، تنسى شيئاً فى غاية من الأهمية ، وهو تعديل مواعيد الامتحانات

ما الذي يوجب أن تكون تلك المواعيد فى وهج الصيف ؟ أيكون ذلك نقلاً عن الأمم الأوربية ؟ هو ذلك ، ولكن أين جو مصر بالقياس إلى الأجواء الأوربية ؟

أعصاب التلاميذ فى شهر يونية لا تحتمل أى إجهاد ، ولو شئت لقلت إن التلاميذ يعانون التعب قبل يونيه بشهرين ، فكيف تجود قواهم بالمحصول الذي يعيّن منازلهم من الفوز أو الإخفاق !

وهل سمعتم حديث المصحِّحين ؟

التصحيح نوع من القضاء ، ولا يجوز للقاضي أن يحكم إلا وهو سليم الأعصاب ، فكيف تكون مصاير التلاميذ بأيدي مصححين لم تبق منهم متاعب العام الدراسي غير أشباح ؟

يجب أن تكون الامتحانات فى شهر مارس ، أو يجب أن أن تكون أهم مواد الامتحان فى شهر مارس ، لنجد تلاميذ ومصححين ، ولنطمئن إلى العدل فى سلامة الحكم على أبناء الجيل الجديد

فإن عزّ على وزارة المعارف أن تترك خطةً سارت عليها عشرات السنين فلتجمل التصحيح فى أيدي رجال خُفِّف عنهم عناء العام الدراسي بعض التخفيف ، ليراجعوا الأوراق بعناية والتفات ، أو ليكونوا فى حال غير الحال التي نعرف ، فأكثر من يُدعَون إلى التصحيح يعتذرون ، لأنهم لا يلقون الصيف إلا بعد طول العناء بالتدريس والتصحيح

أما بعد فقد أعلنت هذا الرأى مرات فى الأعوام الماضية ، ولم أجد من يسمع ، فهل يكون من حظ هذا الرأى أن يضاف إلى الآراء التي يدرسها وزيرنا الحصيف ؟

أعزاء توفيق الحكيم

لم أكن أنتظر أن يكون عتبي على الأستاذ توفيق الحكيم فرصة لمجادلات ومساجلات يجرى بها قلمه مع الكاتبَين العظيمين عباس العقاد وطه حسين

وعلى قلة ما يجشّم أخونا الزيات نفسَه فى مراسلة أصدقاء الرسالة من مهجَره الجميل ، فقد كتب إليّ يخبرني أنه خفف كلمتي فى عتب الأستاذ توفيق الحكيم ، لأنه لا يقبل أن يفسد ما بيني وبين توفيق لشبهة نفاها توفيق .

وأحسن أخونا الزيات فيا صنع ، فما أدرى كيف كنت أثبُت أمام ضميرى لو نُشرت كلمتى كاملة ثم ظهر أن أخانا الحكيم يطوى صدره على تلك الأحزان السّود .

لطف الله بى فنجانى من هول هذا الموقف بفضل حكمة « المهاجر الرفيق » ، فلله الحمد ، وعلى المهاجر الثناء .

ولكن يظهر أن أحزان توفيق الحكيم لن تنجيه من « الوقوع فى قبضة الأديب الفلاح » فسأسمعه اليوم كلاماً يسرّه فى حين ويحزنه فى أحايين ، وفقاً لحالته النفسية وهو يقرأ ما أقصّه عليه بلا تخويف ولا تزهيب .

دار الأستاذ الحكيم فى رده على الأستاذ العقاد حول « نفوذ » الدكتور طه حسين ، فماذا يريد أن يقول ؟

هل يتوهم أن « نفوذ » الدكتور طه تميمةٌ تعيذه شر أقلامنا إذا رأيناه انحرف عن القبول من شريعة الأدب الرفيع ؟

وما احتياجُنا إلى « نفوذ » الدكتور طه حسين ، ونحن نعرف أن ذلك النفوذ بلاءٌ عليه ، لأنه يبعده منا ويقرّبه إلى سوانا ، وفردوس الأدب هو النعيم الباق على الزمان .

يستطيع الدكتور طه بكفايته العلمية أن يكون أكبر موظف فى الحكومة المصرية ، ولكنه لا يستطيع الزعم بأن سلطان القلم يفوقه أىّ سلطان .

لقد أبيت أن أهنئ الدكتور طه بمنصبه الجديد فى وزارة المعارف ، لأنى كرهت أن يقاس الفوز بمقياس الوظائف ، ثم سارعتُ فهنأته بكتاب « الحب الضائع » لأغريه بالمضى في هذه الطريقة من طرائق التأليف ، ولأفهمه أنى لا أقيم وزناً لغير محصول الأقلام الجياد .

الدكتور طه رجلٌ ضرّار نفّاع ، ولكن من العيب على حامل القلم أن يرجوه أو يخشاه ، فما هذا الذى تقول ياعمّ توفيق ؟!

أترك هذا وأنتقل إلى مشكلة أساسية ، وهى مشكلة قد تخرج الأستاذ الحكيم من فردوس الأدب الرفيع

صديقنا توفيق يتألم ويتوجع ، لأن شهرته الأدبية أبعدته من الانخراط فى سلك رجال القضاء . فما معنى ذلك ؟

معناه أن هذا الرجل يعيش بين رجال الأدب عيش الغرباء ، وإلا فهل يجوز لكاتب له عقيدة أدبية أن يتوهم أن فى الدنيا حظاً أعظم من حظوظ أرباب الأقلام ؟

وصديقنا توفيق يقول بعبارة صريحة إنه لا يجد أسرة تعطف عليه ، فتزوّجه بُنيّة يسكن إليها وتسكن إليه ، لأن الشهرة الأدبية أضافته إلى المشبوهين !

غضبة الأدب عليك ، يا توفيق ! فما أوذىَ الأدب بأقبح ولا أبشع ولا أفظع مما جرى به قلمك الأهوج

وبمن تثق الأسر الكريمة إذا لم تثق برجال الأدب الرفيع ؟

ولأى فارس تخضع المرأة النبيلة إذا فاتها الخضوع لأحد فرسان البيان ؟

أتقول هذا الكلام يا توفيق فى مجلة مثل الرسالة وهى عنوان الفحولة الأدبية ، ثم تنتظر أن نراعى أحزانك فلا نرد عليك ؟

وأرجع إلى الموازنة بين حال القاضى وحال الكاتب فأسألك : أتعتقد مؤمناً بأن القاضى يخدم العدالة بأكثر مما يخدمها الكاتب ؟

قضاة مصر جديرون بالاحترام والتبجيل ، فالشكوى من الفوضى مست أكثر الهيئات ثم استحيت فلم تمس رجال القضاء

ومع هذا فلا يسيغ ذهنى أن يكون القاضى العادل أشرف من الكاتب الصادق ، إلا أن يتبذل الكاتب فيقترح زواج هتلر من أم كلثوم لتنتهى الحرب !

أيهون الأدب على أهله إلى هذا الحد من الهوان البغيض ؟

أيكون اليأس من الاقتران بامرأة لها سيارة وعمارة باعثاً على الضجر من صحبة الكتاب والخطباء والشعراء ؟

أيكون « نفوذ » طه حسين شيئاً يُخاف فتُحبر فيه المقالات الطوال المراض ؟

آه ثم آه !!

لو كان بيدى شىء من الأمر لقضيت بنفى توفيق الحكيم إلى جزيرة واق الواق ، ليعرف أبناؤنا وتلاميذنا أن للأدب سيطرة سماوية تبغض التأدب مع غير صاحب السماء

أنت فى جماعتنا دخيل ، يا توفيق ، لأنك تقدّم علينا رجال القضاء ، ولأنك تهيّب أصحاب النفوذ ، وبين النفوذ والنفوس جناس معلول ، إن كنت تذكر المبادئ من علم البديع

مقالك الحزين كاد يبكينى ، يا توفيق ، ولكنى تجلدتُ وتماسكت ، فراراً من الرثاء لك والبكاء عليك .

أبعدَ عشرين سنة خدمت فيها القلم ، على حد ما زعمت لنفسك ، تعود فتمنّ على الأدب بأنك أضعت من أجله أشياء وأشياء ؟!

مثـــال . . .

رأى الأزهريين فى لبس القبعة

للأستاذ محمد محمد المدنى

كتبت فى إحدى « مرسلاتى » كلمة موجزة عن « اختلاف الأزهريين » سجلت فيها ظاهرة غريبة ربما عدت شأنا من شئون الأزهر الخاصة ، وعلامة من علاماته المميزة : تلك هي التفاوت البعيد فى النظر إلى الأشياء والحكم عليها مع أن القوم يشربون من معين واحد ، ويصدرون عن ثقافة ما ترى فى أصولها من تفاوت ، وقد اختصرت فى ذلك بعض الأمثلة ، ولم أعرض لذكر الأسباب فكتب إلى كاتبان فاضلان من قراء « الرسالة » يسألنى أحدهما أن أذكر بعض المثل واضحة مفصلة ، ويسألنى الآخر أن أبين الأسباب التى تفضى بالأزهريين إلى هذا الخلاف فى الحين بعد الحين . ولست أحب أن أعرض لذكر الأسباب كما يريدنى أحد هذين الكاتبين ، فأنه ليعلم أن القول فى ذلك مؤلم موجع فى بعض نواحيه ، وفى الأزهر نفوس لا نحب لها أن تألم ، وجنوب عزيز علينا أن تُقض ، فحسبنا أن نذكر بعض المثل الواضحة فى هذا الشأن تبصرة وذكرى لعلهم يرجعون :

المثال الذى اخترته ليس فكرة من الفِكَر التى تشغل الناس اليوم وإنما هو فكرة تاريخية قد تداولتها عهود ، ومرت بها أطوار تبتدىء من أواخر القرن الهجرى الماضى : ذلك المثال هو « رأى الأزهريين فى لبس البرنيطة » . وقد اشتغل الأزهريون بهذا الموضوع أربع مرات : اشتغلوا به لأول مرة فى عهد الشيخ محمد عليش مفتى السادة المالكية المتوفى سنة ١٢٩٩ هـ ، وقد سجلت « الرسالة » رأى هذا الشيخ فيما نشرته « الناقد الأزهرى » (بالعدد ٤١٦ ص ٨١٣ من السنة التاسعة) ، وقد جاء فى ختام هذا الرأى ما نصه :

« إنه تقرر فى شريعة المسلمين أن حكم هؤلاء — يقصد لابسى البرنيطة — أمرهم بالتوبة والرجوع إلى دينهم ، والتزيى بزى المسلمين ، وإمهالهم لذلك ثلاثة أيام ، فإن فعلوا ذلك قبلت توبتهم ، وخلى سبيلهم ؛ وإن تمت الأيام الثلاثة ولم يتوبوا قطعت رقابهم بالسيف ، ولا يغسلون ، ولا يصلى عليهم لموتهم على الكفر ... »

واشتغل الأزهريون بهذا الموضوع مرة ثانية فى عهد الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رضى الله عنه وأرضاه ، حينما سأله الحاج مصطفى الترنسفالى فى أنه يوجد أفراد فى بلاد الترنسفال تلبس البرانيط لقضاء مصالحهم وعود الفوائد عليهم فهل يجوز ذلك ؟ فأجابه بفتواه المختصرة التى أقامت الأزهر يومئذ وأقعدته . وهذا نصها كما جاء فى محفوظات دار الإفتاء المصرية (رقم ١٩٠ — ٦ شعبان ١٣٢١ هـ) : « أما لبس البرنيطة إذا لم يقصد فاعله الخروج من الإسلام والدخول فى دين غيره فلا يعد مكفراً . وإذا كان اللبس لحاجة من حجب شمس أو دفع مكروه أو تيسير مصلحة لم يكره كذلك لزوال معنى التشبه بالمرة »

ثم عرض الأزهر لهذا الموضوع مرة ثالثة فقيل إن جماعة كبار العلماء أو لجنة منها بحثته وأصدرت فيه رأيها وهو يقضى بعدم جواز لبس البرنيطة . ولم أطلع على سند هذا الرأى لأنه ليس للجماعة مكتب ولا سجل منظم تقيد فيه بحوثها ، وتسجل آراؤها . وقد أردت فى العام الماضى أن أطلع على بعض الرسائل العلمية التى تنال بها عضوية الجماعة فتدافعنى الموظفون فى الإدارة العامة واحداً إلى واحد ، ثم لم أهتد إليها ولم يبح لى أحد بسرها !

وأخيراً عرض لهذا الموضوع رجل الفقه والإفتاء الأستاذ الكبير الشيخ عبد المجيد سليم ، وقد سأله مفتى مدينة كوملجنة بتراقيا الغربية بما خلاصته : « إننى بصفتى الرسمية لا أقر لمن يلبسون القبعة فى بلادى ببدعتهم هذه ، ولا أوقع على وراثتهم

نفيناك ، نفيناك ، ولن نلتفت إليك بعد اليوم ، إلا أن تُستتاب فتتوب .

الخلوة إلى القلم نعمةٌ لا يدركها من يرى السعادة فى الخلوة إلى امرأة .

وسواد المداد فى بياض القرطاس أجل من الخيلان السود فى الخدود البيض ، وهذا كلامٌ لا يفهمه الأدباء الدخلاء .

لا تؤاخذنى ، يا توفيق ، فى القسوة عليكَ ، فأنا أحاول رجعك إلى فردوس الأدب الرفيع ، فهل ترجع ؟ وهل تعود ؟

عندنا « نفوذ » لا يقاس إليه النفوذ الذى تعرف

عندنا أرواح وقلوب . عندنا نار تصهر روحك حين تريد

فهل ترجع إلى عشك ، أيها العصفور من الشرق ؟

زكى مبارك

من المسلمين ، ولا على زواجهم من المسلمات ، فيسخطون عليّ ، ويتخذونني شكية عند الناس وعند الحكومة ، وفي اعتقادي أني لا أحكم فيهم بغير ما حكم به الشرع الإسلامي . فإن كنت على حق فساعدوني رحمكم الله وأيدوني بكلمتكم الفصل ؛ وإلا فدلوني على ما هو الحق الحقيق بالاتباع »[1]

ولم يكن فضيلة الأستاذ الكبير عضواً بجماعة كبار العلماء حين صدر الرأي الذي أشرنا إليه ، وإنما أسند إليه منصب الإفتاء وعين عضواً بالجماعة بعد ذلك ، فماذا قال ؟ إني أثبت هنا نص فتواه التي هي فصل الخطاب في هذا الباب ، لما فيها من فقه جيد ، ولما أرشدت إليه من مبدأ عام في الحكم على الناس بالكفر أو الإيمان :

نص الفتوى

« . . . أما بعد فاعلم — هداني الله وإياك إلى الحق ورزقنا اتباعه وجنبنا الزلل في القول والعمل — أن علماءنا قالوا إن الكفر شيء عظيم فلا نجعل المؤمن كافراً متى وجدنا رواية أنه لا يكفر ، فلا يكفر مسلم إلا إذا اتفق العلماء على أن ما أتى به يوجب الردة ، كما أنه لا يكفر مسلم متى كان لكلامه أو فعله احتمال ولو بعيداً يوجب عدم تكفيره ، فقد روى الطحاوي عن أبي حنيفة رحمه الله وأصحابنا أنه لا يخرج الرجل من الإيمان إلا جحود ما أدخله فيه ، ثم ما يتيقن بأنه ردة يحكم بها له ، وما يشك بأنه ردة لا يحكم بها إذ الإسلام الثابت لا يزول بشك مع أن الإسلام يعلو . وينبغي للعالم إذا رفع إليه هذا ألا يبادر بتكفير أهل الإسلام مع أنه يقضي بصحة إسلام المكره ، وقد قال صاحب جامع الفصولين بعد نقله هذه العبارة ما نصه : « أقول : قدمت هذه لتصير ميزاناً فيما نقلته في هذا الفصل من المسائل فإنه قد ذكر في بعضها أنه كفر مع أنه لا يكفر على قياس هذه المقدمة » اهـ

وقالوا أيضاً : إن مناط الكفر والإكفار التكذيب أو الاستخفاف بالدين ، فقد نقل صاحب نور العين على جامع الفصولين عن ابن الهمام في المسايرة أن مناط الإكفار هو التكذيب أو الاستخفاف بالدين . وقد قال في جامع الفصولين ما نصه : « شد زناراً على وسطه ودخل دار الحرب للتجارة كفر . قيل في لبس السواد وشد الفائرة على الوسط ولبس السراغج ينبغي ألا يكون كفراً ، استحسنه مشايخنا في زماننا ، وكذا في قلنسوة المغول إذ هذه الأشياء علامة ملكية لا تعلق لها بالدين » اهـ

إذا علمت هذا علمت أن مجرد لبس البرنيطة ليس كفراً لأنه لا يدل قطعاً على الاستخفاف بالدين الإسلامي ولا على التكذيب لشيء مما علم من الدين بالضرورة حتى يكون في ذلك ردة . نعم إذا وجد من لابس القبعة شيء يدل دلالة قطعية على الاستخفاف بالدين أو على تكذيب شيء مما علم من الدين بالضرورة كان ذلك ردة فيكفر . وعلى ذلك يكفر كل من حبذ أو استحسن ما هو كفر إذا وجد منه ما يدل على ذلك دلالة قطعية ، وإذا لبسها قاصداً التشبه بغير المسلمين ولم يوجد منه ما يدل على الاستخفاف بالدين ولا على التكذيب لشيء مما علم من الدين بالضرورة كان آثماً فقط لما روى أبو داود في سننه : حدثنا عثمان بن أبي شيبة . حدثنا أبو النضر — يعني هاشم بن القاسم — حدثنا عبد الرحمن ابن ثابت . حدثنا حسان بن عطية عن أبي جنيب الجرشي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تشبه بقوم فهو منهم » قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وهذا إسناد جيد ، وبين ذلك في كتابه « اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم » ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام « فهو منهم » أنه كافر مثلهم إن تشبه بهم فيما هو كفر كأن عظم يوم عيدهم تبجيلاً لدينهم ، أو لبس زنادهم ، أو ما هو من شعارهم قاصداً بذلك التشبه بهم استخفافاً بالإسلام كما قيد به أبو السعود والحموي على الأشباه ، وإلا فهو مثلهم في الإثم فقط لا في الكفر كما في الفتاوى المهدية . وإنما شرطنا في الإثم قصد التشبه لأن في الحديث ما يدل على ذلك إذ لفظ التشبه يدل على القصد ؛ ومن أجل ذلك قال صاحب البحر ما نصه : « ثم اعلم أن التشبه بأهل الكتاب لا يكره في كل شيء ، فأنا نأكل ونشرب كما يفعلون ، إنما الحرام هو التشبه فيما كان مذموماً وفيما يقصد به التشبه . كذا ذكره قاضيخان في شرح الجامع الصغير »

وكتب ابن عابدين في حاشيته على البحر تعليقاً على هذا ما نصه : « أقول : قال في الذخيرة البرهانية قبيل كتاب التحري . قال هشام : رأيت على أبي يوسف نعلين مخصوفين بمسامير فقلت : أترى بهذا الحديد بأساً ؟ قال : لا . فقلت : إن سفيان وثور بن زيد رحمهما الله تعالى كرها ذلك لأن فيه تشبهاً بالرهبان : فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس النعال التي لها شعر

---

(١) الاستفتاء والفتوى مسجلات بمحفوظات دار الافتاء المصرية « رقم ٢٤٥ — ١٤ جادى الآخرة سنة ١٣٤٧ »

وأنها من لباس الرهبان . فقد أشار إلى أن صورة المشابهة فيما تعلق به صلاح العباد لا تضر ، وقد تعلق بهذا النوع من الأحكام صلاح العباد ، فإن الأرض مما لا يمكن قطع المسافة البعيدة فيها إلا بهذا النوع » اﻫ

وعلى هذا فهؤلاء الناس الذين لبسوا القبعة آثمون إذا قصدوا من لبسها التشبه بالكفار . أما إذا لبسوها غير قاصدين التشبه بهم كأن كان لبسهم إياها لدفع برد أو حر أو غير ذلك من المصالح فلا إثم . وهذا كله إذا لم يوجد منهم ما يدل دلالة قطعية على استخفافهم بالدين أو تكذيبهم لشيء مما علم من الدين بالضرورة وإلا كانوا كفاراً مرتدين يحكم عليهم بأحكام المرتدين من عدم صحة أنكحتهم وعدم توريثهم من الغير إلى غير ذلك ، والله سبحانه وتعالى أعلم »

***

أما بعد . فهذا مثال نذكره لينتفع به من يريد الانتفاع ، وليعلم الذين يعجلون بالحكم على آراء الناس أن الريث أولى بهم وأجدر أن يهديهم سبيل الرشاد ، فإن قوماً منا قد اقترنت بعض الفِكَر العلمية فى أذهانهم بقداسة تجعلهم ينفرون ممن يعرض لها بوزن أو تمحيص ولو زيف أدلتها ، وبين ما فيها من خطأ ، فتراهم يجزعون لما يصيب هذه الفِكَر ويضطربون ، وتراهم يسفون أحياناً ويتزيدون ، وربما أضافوا إلى الباحثين ما لم يقولوا ، أو أولوا فى كلامهم ما لم يقصدوا ؛ ذلك بأنهم لا يرجون علماً ، ولا يقصدون حقاً ، وإنما يريدون أن يثيروا كلاماً فى مقابلة كلام ليقول العامة الذين لا يفقهون : لقد رد فلان على فلان ! وآية ذلك أن كلامهم لا يصبر على البحث ، ولا يثبت أمام النقاش العلمى ، فتراه يتخاذل ويتهالك ويذوب كما يذوب الثلج تحت حرارة الشمس ، ولو شئنا لضربنا فى ذلك الأمثال ، ولكننا نضن بأنفسنا وبقرائنا أن نشتغل بأكثر من هذا المثال

محمد محمد المدنى

المدرس بكلية الشريعة

التفـــاحة ...

للأستاذ راشـــد رستم

عادل — أحبك يا « سهام »

سهام — تحبني ! !

— نعم أحبك ... وهل في الأمر غرابة ؟ !

— لا ...

— نعم إني أحبك لأنك تحبينني

— ألهذا السبب أنت تحبني ؟

— طبعاً لا ... ومع ذلك لماذا لا ؟ ...

***

سهام — ولكن كيف عرفت أنني أحبك ؟

عادل — هذا سر ...

— سر ... وهل بين المحبين سر ؟ !

— وأيّ سر ... إن بين المحبين سر الأسرار ، بل ليس بين غير المحبين سر مثل سر المحبين

— سر الأسرار أم لا أسرار ! !

— إذا لم يكن بين المحبين سر ، فإنه يجب عليهما أن يخلقا لهما « سرا » سرا ...

— دعني من فلسفة الأسرار ... أريد أن أعرف السر ! !

— أي سر ؟

— السر الذي تدعى الآن أنه سرك

— كيف ... ألا تعرفينه ؟

— إذا كنت أعرفه ما كنت سألتك عنه

— وما دمت لا تعرفينه فلا داعي لذكره

— بالعكس ... يكون الحال أدعى لمعرفته

— لا أظن ذلك ، فإنه شيء يدرك ولا يشرح

— ولكن أنت قلته الآن منذ قليل

— إذن أنت تعرفينه

— وهل في هذا شك ... بل ومنك عرفته

— إذن لماذا تحاورينني هكذا ؟ !

— لكي أمتحنك

— تمتحنينني! ولماذا تمتحنيني ؟ وفي أي شيء ؟ دعينا من هذا الكلام ... ليس هذا هو سبب المحاورة ... أفصحي ... أفصحي

— ماذا تعني ؟

— أعني أنه يهمك جداً أن تعرفي كيف ...

***

سهام — اسمع يا « عادل » ، أنت تحبني ما في هذا شك ، ولكن ، ألا تدرى أنه يسر المرء أن يعرف كيف ولماذا أحبَّه غيره ... ثم هل في هذا عيب ؟ !

عادل — كلا ... ولكن عليه أن يبحث فيتعب فيعرف فيرتاح ... وليس عليه أن يجلس فيسأل فيجاب فيرتاح ...

— ألا تحب لي الراحة ؟

— ليس في هذا شك ... ولكن ، أليس التعب في سبيل الحب راحة ؟

— بالله لا تتعبني واختصر الطريق

— اسمعي يا «سهام» ، أنا لا أريد تعبك ولا الإطالة عليك، ولكن الذي أحب هو الذي يعرف كيف أحب

— لا ، أنت غلطان ، إن الذي أحبَّ لا يعرف كيف أحب ، ولكنه يعرف فقط أنه أحب

— إذن ، لماذا تتعبينني ؟ !

— اتق الله ، من الذي يتعب الآخر ... ومع ذلك ، فإن التعب في سبيل الحب راحة . أليس كذلك ؟ ثم إن الذي أريدك أن تفهمه هو أن المحبوب يفرح ويفرح جدا إذا عرف كيف ولماذا أحبه حبيبه

— ليس من السهل الإجابة على هذا السؤال

— ولكنك أحببتَ فجربتَ فعرفتَ

— وأنت يا سهام ، ألم تحبي قبل هذه المرة ؟

***

سهام — أولاً ، ما معنى هذه المرة ؟

عادل — أريد أن أقول ...

— لا تقل شيئاً ... سأريحك ... نعم ، كنتُ ظننت أنني أحببتُ قبل هذه المرة ! !

— ولكن ... ؟

— ولكن لم أحب ...

— والآن ؟

— والآن ... والآن ... وقد أوقعتني ... فماذا عساي أن أقول ! !

— أولاً ، لست أنا الذي أوقعك ، ثم لا تنسى أن من حفر بئراً لأخيه وقع فيه ! !

— وهل الحب يا عادل بئر ؟

— بئر ... وأيُّ بئر ! ! إنه بحرٌ ... بل هو محيط ... ! !

— أعوذ بالله ... إنه إذن مخيف ! !

— إذا كان مخيفاً ، فلماذا أوقعت نفسك فيه ؟ !

— يا ظالماً ! حقًّا إنك مغالط كبير ... هل أنا وقعت فيه ، أم أنك أنت الذى أوقعتنى فيه ؟ !

— أنا أوقعتك ... أم أنت التى وقعت ؟ !

— أتريد أن تقول إننى أنا التى أوقعت نفسى وأنك لم تقع معى ؟

— لا ... أنا لا أريد أن أقول هذا ... ثم كوني وقعت معك أو لم أقع — هذا شىء ، وإنك وقعتِ أو لم تقعى — هذا شىء آخر ... ومع ذلك ، هل وقعت أنا معك ؟

— هذا سؤال لا يوجه إلىَّ ... أنتَ الذى تجيب عليه !

— أنا لم أر أحداً أوقع غيره

— كيف ... مع أنك وقعت مع الواقع ! !

— هذا اعتراف آخر

— وهل أنت فى حاجة إلى اعترافات ؟

— لا ... ولكنك أنتِ تحبين الاعتراف

— أنا ... ! !

— نعم ... بدليل أنك تصرحين بها ...

— إنك أنتَ الذى تجعلنى أصرح

— الأمر على العكس ، أنا لم أطلب منك تصريحاً ، فإننى مقتنع بأنك تحبيننى ... كما أننى أحبك ... ! !

— هكذا ... هكذا ... ! !

***

عادل — وهل عندك شك فى هذا . . . ألم أذكره فى أول حديثي فى صراحة يعجب لها الكثيرون ...

سهام — يعجب لها الكثيرون ! ولماذا ؟

— لأن أغلب الرجال لا يميلون إلى الابتداء بالاعتراف ...

— وهل تظن أنك بدأت واعترفت ! ؟

— من غير شك . وقد قلت ذلك فى أول كلمة لى معك ...

— أتحسب هذا اعترافاً ؟

— كيف لا ؟ وإلا فما هى هـذه الصراحة النادرة فى مثل هذا الموقف بين رجل وسيدة ؟

— عجباً . . . ما هذا التجنى على المرأة ؟ وهل محرَّم على الرجل أن يبادر ويبوح بحبه ؟

— لا . ولكن بالله لا تخرجى عن الموضوع ...

— إننى أتكلم فى صميم الموضوع ... أليس الحب هو شريعة البشر جميعاً ... الرجل والمرأة على السواء ؟

— نعم

— إذن لماذا هذه التفرقة . . . ألا تعلم أن المرأة والرجل يكمل بعضهما بعضاً ؟

— هذا صحيح ، ولم ينكره أحد ، ولكن ما هى نسبة تكملة الواحد منهما للآخر ؟

— سؤال غريب ... إن الاثنين يتمان وحدة ؛ وأما نسبة الواحد إلى الآخر فى تكميل الوحدة فهى مسألة ثانوية ...

— هذا القول يذكرني بأسطورة التفاحة ...

— أسطورة التفاحة ؟ !

***

عادل — نعم . يولد ابن آدم فتقطع له تفاحة ، يعطى نصيبه منها ، والنصيب الآخر يعطى لمن ستكون شريكته فى الحياة ، وعند ما يتلاقيان ينطبق النصيبان ويلتصق الجنبان

سهام — ولكن هيهات أن يجد المرء الجزء الآخر من التفاحة نفسها بسهوله ...

— إذا كتب له أن يجدها فإنه واجدها ولو كانت هى القشرة ... ولو كانت كذلك فى الطرف الآخر من العالم ...

— ألهذا الحد تهزأ بالجزء الآخر من التفاحة ؟

— يعلم الله ما أنا بهازئ ، ولكنى أقرر الحقائق وأنا آسف

— إذن على هذا الأساس يجب أن يفسح للحب المجال ، فإنه هو عنصر التعارف والتقارب وهو عامل الانطباق والتوفيق

— هذا صحيح ، ولذلك لست أرى حرجاً على الرجل فى أن يبدأ فيبوح بحبه ، فقط يبوح لمن ؟

— لمن ؟ وهل فى هذا خلاف ؟ طبعاً يبوح به إلى من أحب

— إذن لماذا تنكرين على ما صرَّحتُ به لك فى أول الحديث ؟

— وهل تظن أن هذا اعتراف منك ؟

— ! ! ... وإلا فما هو ؟

— فى الواقع لا أرى فيه إلا أنه خطة منك لتأخذ منى أنا الاعتراف ...

— وهل تظنين يا سهام أنك اعترفت لى بشىء ؟

— أتريد منى بهذه الطريقة اعترافاً آخر ؟ ألم يكفك سرورك باعترافى السابق ، أو بتعبير أصح بوقعتى التى وقعت فيها ! ...

حنين مسلتين

NOSTALGIES D'OBÉLISQUES

للشاعر الفرنسي تيوفيل جوتييه

THÉOPHILE GOUTIER

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

بعد أن تغادر حدائق التويلري المغروسة أمام متحف اللوفر ترى ميدان الكونكورد أجمل ميادين باريس . وفي وسط هذا الميدان الفسيح الحي تنهض إحدى المسلات المصرية ، وقد أقيم قريباً منها على الجانبين فواراتان . وإذا وقفت أمام هذه المسلة رأيت عن يمينك المعبد La madeleine وعن يسارك مجلس نواب فرنسا مطلاً على نهر السين ، وأمامك طريقا يصل إلى غابة بولونيا

منذ زهاء ثلاثة وثلاثين قرنا أنشأ هذه المسلة وأختها إمبراطور مصر رمسيس الثاني ، حيث أقامهما عند باب معبد الأقصر ، وقد ظلت المسلتان معاً واقفتين أمام هذا المعبد الضخم حتى القرن الماضي حينما أهدى محمد على الكبير إحداهما إلى ملك فرنسا لويس فيليب ، وهي القائمة الآن بميدان الكونكورد ، وأما المسلة الثانية فظلت حيث أنشئت وحيدة

أنشأ الشاعر الفرنسي تيوفيل جوتييه قصيدتين إحداهما على لسان المسلة الغريبة بباريس ، والأخرى على لسان المسلة المقيمة بالأقصر . وتيوفيل جوتييه من أدباء القرن التاسع عشر ، ولد في أوائله وبدأ حياته رساماً ، ثم ترك ريشة المصور إلى قلم الأديب ؛ غير أنه ظل في الأدب رساماً كذلك ؛ وهو يرى أن من حق الأدب أن ينافس الفنون الأخرى كالرسم والتصوير والحفر ، فيما تتناوله من الموضوعات ، وقد حقق فكرته في ديوانه (Emaux et Camées) فموضوعاته تصوير لما تراه العين قبل أن تكون تصويراً للاحساس والشعور ؛ فتراه يصور لك مثلاً تمثالاً في متحف ، أو آنية مزخرفة ، أو باريس تغطيها الثلوج ، إلى غير ذلك من صور . وهو الذي أذاع نظرية الفن للفن ؛ فأهم شيء عنده هو الجمال الفني والأسلوب ، أما الفكرة والأخلاق ففي المرتبة الثانية . وهو ممن حل الشعر من قيود الشخصية ، وكان قدوة لغيره في استخدام الأساليب الدقيقة المصورة . ولعلنا نوفق يوماً إلى دراسة مذهبه في الفن ، ونقد هذا المذهب

ولم يقتصر تيوفيل جوتييه على قرض الشعر ؛ بل له قصص قصيرة ، وروايات مطولة ، منها رواية كتبها عن مصر ، تسمى قصة المومياء ، وصف فيها مصر القديمة ، حياتها ومجدها . وقصيدتا المسلتين بديوانه الذي تحدثت عنه ، وهأنذا أنقلهما إلى اللغة العربية ، محافظاً كل المحافظة على ما قصد إليه الشاعر من صور وأفكار

١ – مسلة باريس

في هذا الميدان أتضجر ، أنا المسلة المبعدة عن أختها . الجد والصقيع والرذاذ والمطر ، بردت جنبي الذي علاه الصدأ

وقمتي المدببة العتيقة التي كانت محمرة في أتون سماء ذات لهب[1]

ارتدت الشحوب من حنينها إلى الوطن في جو لا يزرق أبداً

لِمَ لا أقف الآن قريبة من أختي ذات اللون الوردي ، أمام التماثيل الضخمة العابسة ، وأعمدة بيبان الأقصر ، غامسة في الزرقة الدائمة رأسي الهرمى القرمزي ، وكاتبة

(١) يقصد سماء مصر

— الواقع أنني مسرور جداً ...

— أمر عجب ! !

— حقاً ، إنني مسرور جداً ، لأنها حالة أنت ذاتك مسرورة منها ...

— عجباً ... ومن أدراك بأنني مسرورة و ... جداً ؟

— أنت ...

— أنا ... !

— نعم أنت ...

— سبحان الله ... وكيف ... ؟

— بنظراتك ...

— نظراتي ! !

— أظنك ستقولين إنها خطة أخرى ...

... ...

— ولكن هل تثق أنت بنظراتي ؟

— تفتك أنت بنظراتي

— ! ! ...

— أنظرى في عيني . ألا ترين عينيك فيهما ؟ !

— ! ! ...

— إنها وحدة الوجود ...

— وهي لذة الوجود ...

راشد رستم

خُطى الشمس بظلّي فوق الرمال .

رمسيس ! كاد الخلود يوماً ما يتصدع حين تدحرج جسمي الجليل مقتلماً كعود من عشب ، باريس تتخذه لعبته .

الديدبان[1] الصخرى حارس الآثار الضخمة ، يقف بين معبد[2] كاذب قديم ، وبين مجلس النواب .

فوق مقصلة[3] لويس السادس عشر ، أقيم صخر نسي مغزاه ، وفيه سرّ الذي نسي منذ خمسة آلاف عام .

العصافير الطليقة تدنس رأسي الذي كان يطير مسرعاً حوله اللقلق الوردي ، والصقر ذو الريش الأبيض ، والمناسر الذهبية .

نهر السين الأسود ، مأوى مياه الطرقات ، النهر القذر المكون من صغار الجداول ، دنّس قدمي التي كان يقبّلها عند فيضانه النيل أبو الأنهار .

النيل العملاق ، ذو اللحية البيضاء ، المحفوف بنبات اللوتس والخيزران ، والذي يصب منبعُه المنحدر تماسيح بدل صغار الأسماك

العجلات الذهبية المطعمة بأصداف كالنجوم ، عجلات الفراعنة العظام الأقدمين ، كانت تمرّ بجانبي ، أنا المجروحة الكبرياء ، برؤية عربة الكراء ، مقلة آخر ملوك فرنسا[4]

قديماً أمام حجرى العتيق ، كان الكهنة الأبرار ، وقلانسهم على جباههم ، يتمشون فى المحراب المقدّس الخفيّ ذى الرّموز المصوّرة الذهبية .

أما اليوم فأنا عمود ليست له قداسة الدين ، أقيم بين فوارتين ، وتمر بى بنت الهوى صريعة فى مركبتها .

أرى طول العام مواكب الوسرين ، وأتباع صولون[5] ذاهبين إلى دار النيابة ، والفجرة منطلقين إلى غابة بولونيا .

أفّ ! فى مائة عام أىّ هيا كل عظمية قبيحة ، سيصير إليها هذا الشعب الماجن المجنون الذى يرقد من غير لفائف ، فى ناووس يغلقه مسمار !

ليس له تحت الأرض مقابر فى مأمن من الفساد ، تلك المراقد التى ينام فيها الموتى جيلاً بعد جيل .

أيتها الأرض المقدسة ، أرض الهيروغليف ، وأرض الأسرار الكهنوتية ، حيث آباء الهول تشحذ مخالبها على زوايا قواعد التماثيل

وحيث النواويس ترن تحت الأقدام ، وحيث العقبان تبنى عشاشها . إننى أبكيك يا مصرى القديمة بدموع من جرانيت .

(١) تقصد نفسها (٢) معبد مادلين (٣) أقيمت المسلة فى المكان الذى كانت مقصلة لويس السادس عشر قد أقيمت فيه .
(٤) لويس فيليب (٥) يقصد النواب .

٢ – مسلة الأقصر

هأنذى أسهر حارساً وحيداً لهذا القصر الكبير الخرب فى وحدة أبدية وأمام اللانهاية ، تنشر الصحراء تحت الشمس المحرقة ملاءتها الصفراء إلى أفق لا يحده شيء ، أفق مجدب صامت لا نهاية له

وفوق الأرض العارية تبدو السماء — وهى صحراء أخرى زرقاء - نقية تامة النقاء لا تسبح فيها قطعة واحدة من السحاب

النيل ذو المياه الكدرة التى ينعكس الضوء فوق أديمها ، كأنما هو قشرة رصاصية — يلمع تحت أضواء عمودية شاحبة ، مكسر الصفحة بفرس النهر

والتماسيح الشرهة إلى الاقتناص ، تكاد تنضج فى جلودها فوق الرمال الملتهبة ، تغرب فى الضحك ، وتخالها ترسل الزفرات

واللّقلق : منقاره إلى حوصلته ، ساكن فوق قدمه النحيلة يقرأ على قاعدة بعض الأعمدة الألقاب المقدسة للمعبود « توت »

والضبع يضحك ، وابن آوى يعوء ، والصقر كأنه فاصلة سوداء فى صفحة السماء النقية – جائع يصرصر ، راسماً دوائر فى الهواء

ولكن ضوضاء هذا القفر يحجبها تثاوب تماثيل أبى الهول متعبة من احتفاظها السرمدى بالسكون

فجر خلقته الأشعة البيضاء ، تنعكس فوق الرمال ، والشمس المتلألئة على الدوام ، وأى فجر يشبه ما يبعثه نور الشرق الحزين !

هنا الهواء لا يجفف يوماً دمعة فى عين السماء الجامدة ، والزمن متعباً يتكيء على هذه القصور الصامتة

ليس عندى ما يغيّر وجه السرمدية ، فمصر فى هذا العالم الذى يتغير فيه كل شيء ، تتربّع فوق عرش الثبوت

عندما يساورنى الضجر ، أتخذ الفلاحين والموميات التى عاصرت رمسيس رفقاء وأصدقاء

هأنذى أرى عموداً مائلاً ، وتمثالاً ضخماً بلا وجه ، وزوارق ذات قلاع بيضاء صاعدة هابطة فى النيل

كم أتمنى أن لو كنت كأختى ، قد نقلت إلى باريس العظيمة وغرست هناك فى ميدان ، قريبة منها لأتسلى !

إنها ترى هناك شعباً حيّاً واقفاً يتأمل نقوشها وخطوطها المقدسة التى يسبح الفكر لدى قراءتها فى عالم الأحلام ...

الفوّارتان القامتان بجانبها تقذفان رذاذها الملوّن بألوان قوس قزح على غبار صخرها القرمزى الذى عاد إليه الشباب ...

لقد نحتت مثلى من الصخور الوردية بأسوان ، غير أننى بقيت فى مكانى القديم . إنها حية ... أما أنا ... فقد مت !!

(حلوان) أحمد أحمد بدوى

غزل الملوك

والقصيدة المنسوبة الى السلطان سليم

للأستاذ عبد الله مخلص

أرانى مديناً بالشكر للأديب الموهوب الأستاذ حسن القاياتى عضو مجلس النواب لاهتمامه وعنايته بالصفحة التى ملأتها من غزل الملوك بالرسالة الغراء . وكنت أتمنى لو أن أعمالى الطويلة العريضة تمكننى من النزول على رأى الأستاذ الكبير والغوص فى بحار الغزليين من الملوك والأمراء والتقاط دراريهم اللامعة ، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله

وأشكر للأستاذين الفاضلين إبراهيم أحمد أدهم ومحمود عزت عرفة ملاحظاتهما القيمة على القصيدة المنسوبة إلى السلطان الدالة على رغبتهما فى استكناه الحقائق وخدمة الآداب فأقول :

إن السلطان سليما الأول الملقب بـ « ياوز » هو ابن السلطان بايزيد الثانى وحفيد السلطان محمد الفاتح ، وهو تاسع السلاطين العثمانيين وفاتح مصر والشام وبلاد العرب فى آسية وأفريقية ، وهو الذى نقل الخلافة الإسلامية من بقايا العباسيين فى مصر إلى السلطنة العثمانية فجمعت بينهما من أيامه . وقد توفى هذا السلطان العظيم سنة ٩٢٦ الهجرية الموافقة لسنة ١٥١٩ الميلادية

ويقول من ترجم له من المؤرخين إنه كان يقرض الشعر فى اللغتين الفارسية والتركية ويأتون على ذلك بشواهد من شعره

إلا أن أحمد بن يوسف بن أحمد الشهير بالقرمانى المتوفى سنة ١٠١٩ هـ ١٦١٠ م يقول عن السلطان إنه كان يجيد اللغة العربية أيضاً وينظم نظماً بارعاً حسناً[1]

ومن هؤلاء المترجمين نامق كمال المعدود من أعاظم الأدباء والمجددين فى الأدب التركى فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى المتوفى سنة ١٣٠٥ هـ ١٨٨٧ م

فقد قال عن السلطان سليم فى صدد إيثاره المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، وتفضيله اختيار الضرر الخاص فى سبيل النفع العام ما تعريبه[2] :

« إن السلطان ضحى بنديمه يوسف الذى كان أعز عليه من نفسه ، والذى أعلن حبه له وافتتانه به بالأشعار الرائقة التى نظمها فيه ومنها :

لو لا الإله وحرّ نار جهنم لعبدته وسجدت بين يديه

ضحى به فى سبيل مقاصده بعد ما أحبه حباً يقرب من العبادة ، وأظهر من بعده الصبر الجميل

فهذا البيت المفرد من القصيدة هو الدائر على الألسنة إلى الآن ، وهو الذى حملنى على نسبة القصيدة بتمامها إلى السلطان سليم

أما المخطوط الذى نقلتها منه فهو ينسبها إلى السلطان أحمد ، ومن واجب الأمانة أن أنقل هنا عنوانها وهو : « ومما نظمه المرحوم المغفور السلطان بن السلطان السلطان أحمد خان »

أما السلطان أحمد الأول بن السلطان محمد الثالث فقد كان من السلاطين الذين دافعوا عن البلاد وذادوا عن حياضها ، وقد كان ينظم الشعر فى اللغتين العربية والفارسية وقد توفى سنة ١٠٢٦ هـ — ١٦١٧ م

وإذا اعتبرنا أن المخطوط الذى نقلنا منه القصيدة قد أُلف فى سنة ١٠٤٢ هـ أى بعد وفاة السلطان « أحمد » بستة عشر عاماً فيكون مؤلفه أقرب إلى الزمن الذى عاش فيه صاحب القصيدة ؛ ويجب علينا أن نقرّه على نقله وأن نقول : إن هذه القصيدة هى للسلطان أحمد لا للسلطان سليم ما دمنا لا نجد مستنداً لدعائنا سوى البيت الذى استشهد به نامق كمال . وهذه هي القصيدة التى نسبها محمد المحبّى المتوفى سنة ١١١١ هـ ١٦٩٩ م إلى السلطان أحمد[1] :

جرح الفؤاد بصارمٍ لحظيه ظبي يصول ولا اتصال إليه

إلا تهتكت الستور عليه ما قام معتدلاً وهزّ قوامه

ويخصّنا بالغنج من جفنيه يسقي المدامة من سلافة ريقه

ريحاننا والورد من خديه عيناه نرجسنا وآس عذاره

إنى أغار من النسيم عليه يا شعر في بصري ولا فى خده

ويجور سلطان الغرام عليه عجبي لسلطان يعزّ بعدله

لعبدته وسجدت بين يديه لولا أخاف الله ثم جحيمه

وأنت ترى أن هذه القصيدة تتألف من سبعة أبيات بينا القصيدة التى نقلناها من المخطوط ونشرت فى العدد ٤٦٢ من الرسالة الغراء هى أحد عشر بيتاً مخمّسا .

أما قصيدة طلائع بن رزيك الملقب بالملك الصالح من وزراء

(١) أخبار الدول وآثار الأول صفحة ٣١٦
(٢) أوراق پريشان ترجمة السلطان سليم ص ٣٧٠

(١) خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادي عشر جزء ١ صفحة ٢٨٤

الدولة الفاطمية بمصر المتوفى سنة ٥٥٦هـ ١١٦٠م فهي[1] :

ومهفهف ثمل القوام سرت إلى — أعطافه النشوات من عينيه
ماضي اللحاظ كأنما سلت يدي — سيفي غداة الروع من جفنيه
قد قلت إذ خط العذار بمسكه — في خده ألفيه لا لاميه
ما الشعر دبّ بعارضيه وإنما — أصداغه[2] نفضت على خديه
الناس طوع يدي وأمري نافذ — فيهم وقلبي الآن طوع يديه
فاعجب لسلطان يعمّ بعدله — ويجور سلطان الغرام عليه
والله لولا اسم الفرار وإنه — مستقبح لفررتُ منه إليه

وسواء أكانت القصيدة للسلطان سليم كما ظن قبلاً أو للسلطان أحمد كما ترجح معنا الآن، فإن معانيها مقتبسة من قصيدة الملك الصالح، بل إن الرابع والخامس والسادس من أبيات هذه القصيدة قد نقلت بالحرف تقريباً ، فلا وجه لاعتبار ذلك من قبيل توارد الخاطر ووقع الحافر على الحافر .

وبإضافة تلك الأبيات الثلاثة مع البيت القائل :

يا طيب ليلتنا ونحن بمجلس — نهض الحبيب لنا على قدميه

إلى القصيدة الأصلية أصبحت أحد عشر بيتاً .

بقي علينا معرفة الذي خمس القصيدة وزاد فيها تلك الأبيات . وجواب هذا السؤال وارد في المخطوط من أنها للسلطان أحمد فيكون هو نفسه قد خمّسها بعد ما زاد عليها تلك الأبيات وبينها أبيات الملك الصالح الثلاثة

أما القول بأن السلطان سليماً لم يؤثر عنه نظم الشعر بالعربية ففيه نظر ؛ لأن المؤرخين يذكرون أنه عند ما عاج بحماة الشام في طريقه إلى مصر وحل ضيفاً مكرماً في الزاوية القادرية ارتجل بيتين من الشعر في مدح بني الكيلاني من أحفاد عبد القادر و كتبهما في جدارها . ثم إنه عند ما سمع خرير مياه نهر العاصي وصرير أخشاب النواعير التي تنتشل ماء النهر كأنها تئن نظم بيتين آخرين البيت الثاني منهما هو :

وإني على نفسي لأجدر بالبكا — إذا كانت الأخشاب تبكي على العاصي

أما البيتان اللذان خطهما بيده على مقياس الروضة ، فهما ليسا له ، بل هما من قصيدة لأبي العلاء المعري هي[1] :

الموت ربع فناء لم يضع قدما — فيه امرؤ فثناها نحو ما تركا
(والملك لله من يظفر بنيل غنى — يردده قسراً وتضمن نفسه الدركا)
(لو كان لي أو لغيري قدر أنملة — فوق التراب لكان الأمر مشتركا)
ولو صفا العقل ألقى الثقل حامله — عنه ولم تر في الهيجاء معتركا
إن الأديم الذي ألقاه صاحبه — يُرضي القبيلة في تقسيمه شُركا
دع القطاة فإن تقدر لفيك تبت — إليه تسرى ولم تنصب لها شَركا
وللمنايا سعى الساعون مذ خلقوا — فلا تبالي أنصّ الركب أم أركا؟
والحتف أيسر والأرواح ناظرة — طلاقها من حليل طالما فُركا
والشخص مثل نجيب رام عنبرة — من المنون فلمّا سافها بركا

في حين أن قطب الدين الحنفي المتوفى سنة ٩٩٠هـ – ١٥٨٢م يقول[2] :

ورأيت بيتين بالعربي بخطه (أي خط السلطان سليم) الشريف كتبهما في علو المقياس في الكوشك الذي أمر ببنائه لما افتتح مصر وسكن الروضة قد انمحى لطول الزمان مداده ،

اكذبيني

للشاعر الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد

اكذبيني مرة أو فاكذبيني مرتين
ألفُ ألفٍ من أعاجيبك في غش ومين ،
لن تبيد الفارق الخالد يا قرة عيني
والسموات التي بينك في اللب وبيني

***

اكذبيني واكذبيني — كلما شئت اكذبيني
ما عناء اللب عندي — إن أبى أن تخدعيني؟
أنا في ثروة وفر — منه مهما تسلبيني
أنقصيها ... أي ضير؟ — درهماً أو درهمين !!

عباس محمود العقاد

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٩٩ .
(٢) في الهامش المحفوظ أهدابه

(١) لزوم ما لا يلزم جـ ٢ ص ١٥٦
(٢) الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ١٢٣

وماًل إلى لون البياض سواده ، وكان هذا الكوشك محترماً مقفلاً لا يصل إليه أحد لعظمة بانيه ، ولا يتبذل بالدخول إليه لعظمة راعيه ، فدخلت إلى مصر فى سنة ٩٤٣ ، وكان يوم كسر النيل السعيد ففتحوا هذا الكوشك لبكلر بكى مصر يومئذ خسرو باشا وكنت مصاحباً لمعلم مولانا عبد الكريم العجمي ، فطلع وأطلعنى معه فى صحبة خسرو باشا المذكور ، فرأيت على الرخام الأبيض كتابة خفية لا تكاد تظهر إلا بتأمل هذين البيتين :

الملك لله من يظفر بنيل منى ... يردده قسراً ويضمن بعده الدركا
لو كان لى أو لغيرى قدر أنملة ... فوق التراب لكان الأمر مشتركا

وكتبه سليم بذلك الخط والقلم . ولعمرى إن كان هذان البيتان من نظم المرحوم فهما غاية فى البراعة ، ونهاية فى التمكن من الصناعة ، فيدل على تمكنه — رحمه الله — فى اللسان العربى أيضاً ، لأنهما من أعلى طبقات الشعر العربى البليغ المنسجم ؟ وإن كان قد تمثل بهما وهما لغيره ، فهذه أيضاً مرتبة علية فى حسن التمثيل وحسن الاستحضار وفهم الأشعار العربية وذوقه لها ، وهذا القدر يستكثر على علماء الروم (أى العثمانيين) ، وعلماء العجم المكبين على علوم العربية فضلاً عن سلاطينهم المشغولين بضبط الممالك وفتحها ؛ والفائقون فى ذوق الشعر العربى وحسن آدابه من العلماء والموالى فى غاية القلة معدودين منهم ، ولا يعدّ هذا نقصاً فيهم ، لأن فهم الشعر العربى على وجهه كما ينبغى قليل أيضاً فى علماء العرب ، إلا من توغل منهم فى الأدب ، وتعب فى تحصيله ودأب .

ويقول القرمانى[1] :

ولما كان (أى السلطان) بمصر كتب على رخام فى حائط القصر الذى سكن فيه بخطه فقال : ونقل البيتين السابقين وقال محمد عبد المعطي بن أبى الفتح بن احمد بن عبد الغنى بن على الإسحاقى المتوفى سنة ١٠٣٢ هـ ١٦٢٢ م ما قاله قطب الدين الحنفى وكأنه نقله عنه[2] .

أما نامق كمال المتقدم ذكره فيقول عن هذين البيتين ما تعريبه[3] :

لما ولى السلطان سليم الملك أنشد القطعة الشعرية التالية وهى من بنات أفكاره ، وسجد أمام العظمة الإلهية معلناً عجزه ومسكنته فقال :

الملك لله من يظفر بنيل منى ... يرد قهراً ويهوى نفسه الدركا
لو كان لى أو لغيرى قدر أنملة ... فوق التراب لكان الأمر مشتركا

وقد نقلنا البيتين المذكورين لوجود بعض المباينة فى البيت الأول بين قول أبى العلاء المعرى وبين ما نقله قطب الدين الحنفى والقرمانى ونامق كمال .

هذا ما استطعت الإلمام به من أمر القصيدة المنسوبة إلى السلطان سليم بسطته للقارئ الكريم ، وفوق كل ذى علم عليم

عبد الله مخلص

(١) أخبار الدول وآثار الأول ص ٣١٦
(٢) أخبار الدول فيمن تصرف من أرباب الدول ص ١٤٦
(٣) أوراق پريشان ترجمة السلطان سليم ص ٣٧٥

اجتماعيات

الحسن المبتذل ...

للأستاذ حسن القاياتى

لقد أبدعَ الحُسنُ حتى مَلكْ ... وَرَقَّ لَهُ الطُّهرُ حتى هلكْ ! !

تَسامى إلى الغيدِ كلُّ العيون ... كأنَّ الجمال بدا من فلكْ

مضى الجهلُ يَقْرِى غَوِىَّ الجمالِ ... كضيفِ الجراثيم عند الحلكْ [1]

بنَاتُ الهوى ما بناتُ الهوى ... حُلِىٌّ يُباعُ وَلَا يُمتَلَكْ ! !

بِمَنْ أنزل السحرَ سحرَ الجفونِ ... بعينيك يا بدرُ مَنْ أنزلكْ ؟ !

تُبيحُ الغريرةَ بذلَ الضنين ... فتحنو عليك بما ليس لكْ

سَلِ الغُصْنَ مَالتْ بِهِ المُصْبِيات ... أَلَمْ تأسَ للزَّيْغِ إذْ مَيَّلَكْ ؟ !

فَدَيْتُكَ يا غُصْنُ أنِّى هَوِيت ... وَباللهِ يا زهرُ مَنْ أذبلكْ ؟ !

إذا قُمتَ يا وردُ فى العابثين ... تلهى بِبذلك مَنْ قَبَّلكْ ...

إذا فُجِعت حُرَّةٌ فى العفاف ... فقيلَ : البغىُّ لطُهرِ المَلَكْ !

هو الحُسْنُ يُلثَم لَثْمَ الكئوس ... ويؤكل بالعذل أو يمتلكْ [2]

أعصرُ الهوى مثلتكَ الفتاةُ ... فَمَالَكَ تُزْرِى بِمَنْ مَثَّلكْ ؟ !

إذا كنتَ يا بنتُ صُنْعَ الزَّمانْ ... تبَنَّاكِ لِلغَىِّ أَوْ عَدَّلكْ

يَذُمُّ الغَوِىُّ سَبايا الغواة ، ... نَبِىُّ الطهارة مَنْ أرْسلكْ ؟ !

أتبكى عَلى الحُسنِ إذ يستبيك ... وَتُنحِى عَلَى الحُسنِ إذ نَوَّلَكْ ؟ !

بِوُدِّكَ أَنَّ الهوى كالهواءِ ... تَرِفُّ بِهِ الرُّوحُ أَنَّى سَلَكْ !

أُبيحَ الهوى فاستباح القلوب ... تباركتَ يا حُسْنُ ما أعدلكْ ؟ !

جمالَ الأبياتِ كم تستطيلُ ... تحنَّنْ رعاكَ الذى عَدَّلَكْ !

بنفسِىَ ما أجمل التائهات ... وإن قلتُ : يا وَصْلُ ما أجملكْ !

شكاةُ الخرائد أسرُ الحجال ... فِداؤكَ يا حُسْنُ مَنْ عَطَّلَكْ !

إذا مُلِكَ الحُسْنُ هَدَّ الفؤادَ ... مَلالاً ويا طيبه إنْ مَلكْ ! !

القاهرة : السكرية ... حسن القاياتى

(١) الحلك : الظلمة ؛ إشارة إلى حياة الجراثيم والميكروبات فى الظلام

(٢) يمتلك : يمضغ ؛ والملك : كل ما يمتضغ كاللبان

العودة إلى مسقط الرأس

« للامرتين »

للأستاذ على شرف الدين

نعم عدتُ يا دارىَ النائيه ... ومهدَ طفولتىَ الخاليه

أعيشُ بظلِّكِ ما قد حييتُ ... لأقضى أيامىَ الباقيه

بعيداً عن المدن الصاخبات ... فثروتُها خُدعةٌ فانيه

نشأتُ من المهدِ بين الرُّعاةِ ... أحِنُّ إلى الغنمِ الثاغيه

وأتبعُ فى السهلِ ضِلَّ الخراف ... على هَدْىِ آثارها الباديه

أتابعُها خَطْوةً خَطْوةً ... إلى النبع فى القبة الحاليه

ولى مِثلُهم فى رَواحِ القطيع ... أغانىُّ هاتفةٌ شاديه

وأغسلُ من بيضِ أصوافها ... على ضفةِ البركةِ الجاريه

وأصبو إلى هَزَجاتِ المساءِ ... تُبدِّدُها ريحُهُ الساريه

وأصغى إلى عرباتِ الحقول ... فأسمعُ نغمتَها النائيه

قسا حِملُها فوق أعطافها ... فناحتْ بأحمالها القاسيه

أحِبُّ الرَّنينَ الأصمَّ الجميلَ ... لأجراسِ حُملانها الراعيه

تصلُّ هُناكَ بأعناقها ... من الغاب ، أو ذروةِ الرابيه

فيا وطنى ، لا عَدَتْنى بكم ... ظِلالٌ مقدسةٌ واقيه

وصفصافة كُلِّلَتْ بالندى ... فتشهد أغصانَها باكيه

بكتْ تربَها حين طال الغياب ... فجادتْ بأدمُعِها شاكيه

فياسرحتى هوِّنى من شجاكِ ... وأحنى مِنَ الغُصُنِ العاليه

على غائبٍ كنتِ تبكينه ... فعادَ لأوطانه ثانيه ! !

على شرف الدين

حكت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٨ إبريل سنة ١٩٤٢ فى القضية رقم ٧٤٢ سنة ١٩٤٢ ضد عبد المنعم على الغول بقال بدمنهور بالحبس عشرة أيام مع الشغل وغلق محله ثلاثة أيام والنشر على مصاريفه لبيعه أرزاً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٥ فبراير سنة ١٩٤٢ فى القضية رقم ٤٧٧ سنة ١٩٤٢ ضد دردير عباس صاحب مخبز بدمنهور بتغريمه ٢٠٠ مائتى قرش والنشر على مصاريفه لعرضه للبيع خبزاً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة



عدد الرسالة الخاص بالعراق

تُحسن « الرسالة » غاية الإحسان بما تهيأ له من إصدار أعداد خاصة عن الأقطار العربية الشقيقة ؛ فتلك لعَمرى أجل خدمة تؤديها هيئة أو فرد ، لنصرة هذه اللغة الشريفة ، وإذكاء روح الوحدة والتعاون بين شعوبها التى ناء بها الضعف ، وأذهب ريحَها التفرقُ والخذلان .

و « الرسالة » أقدر « هيئة ثقافية » على الاضطلاع بهذا العمل الذى تعرضت له ؛ بل لا نغالى فى الزعم بأنها تبلغ من هذا أضعافَ ما قد تبلغه « هيئة سياسية » تقيِّدها الرسميات ، وتحوط عملها العراقيل الظاهرة والخفية ... وشتان ما بين القوتين : قوة الأدب فى صراحته ونفوذه وسلامة مقصده ، وقوة السياسة فى التوائها وتنكرها وتستر أغراضها ومراميها ...

على أننا نحب — وعدد العراق بسبيل الإعداد — أن نوجه أنظار أدبائنا الأفاضل ممن سيتاح لهم الاشتراك فى تهيئة هذا العدد إلى وجوب الإطناب فى تاريخ العراق الحديث حتى يتهيأ لكل عربى طُلَعَةٍ أن يعرف عن حياة العراق الاجتماعية والسياسية والأدبية والاقتصادية والعمرانية ... ما فيه الغَناء .

نحب أن نعرف عن بغداد فيصل وغازى مثل ما نعرف عن بغداد أبى جعفر وهرون ، إن لم يكن أكثر ... ولكن محاسن نهضة العراق الحديثة موضعَ كلام كثير ؛ ولكن لتذكروا لنا أيضاً بعض المساوئ التى قد تأخذها العين ؛ فنى ذلك نفع للعراق وخدمة للعرب جميعاً .

ولا نحب بذلك أن نترك الماضىَ إلى هذا الحاضر الحافل المتشعب ، فاضى العراق وتاريخ دُوَله مما تلذّ لنا قراءته فى كل وقت ؛ لأنه تاريخنا جميعاً : تاريخ حضارتنا وديننا ولغتنا وقوميتنا ؛ وصورةٌ من مجدنا الذى نصبو إليه مخلصين ، ونهفو إلى استعادة ذكرياته والتأسى بعِبَره ، حتى تأذن لنا الأيام بأن نستعيد مفقوده ونحيى موءوده .

... فلنقرأ من خير هذا الماضى وشره ما يعيننا على إدراك حقائق الحاضر حتى نعرف فيه طريقنا ونتميز موقفنا ...

وأخيراً نسأل أدباءنا ، ولتكن أجوبتهم على ذلك فى العدد الخاص : أين من يعقد لنا مقارنة بين بغداد القديمة والحديثة (مع خريطتين لهما) ؟

أين من يحدثنا عن آثار العراق الباقية إلى اليوم ، والتى قد تُتاح مشاهدتُها لمن يزوره ؟

أين من يذكر لنا مشاهده المأثورة وقبوره المشهورة ؟

أين من يذكر لنا لهجاته القديمة والحديثة ؟

أين من يصف لنا أزياءه وما مرت به من أطوار وتغيرات ؟

أين من يحدثنا عن خصائص شعبه فى غير تمويه ، وعن أنظمة حكومته فى غير تعقيد ، وعن جميع مواهبه ومقوماته فى غير تحيُّف ولا مغالاة ؟

أين من يطوى بنا المكان والزمان إلى حاضر العراق وغابره فنراهما ونعيش فيهما ، ونتحدث عنهما حديث الواثقين العارفين ؟

أين من يفعل ذلك كله ؟

أين ؟ أين ؟ ... كما يقول الدكتور الجليل زكى مبارك ، الذى نقترح عليه أن يحدثنا عن كل شىء فى العراق سوى « ليلى المريضة » ... فقد آن لها — وحق أدبه الرفيع — أن تشفى !

(جرجا) **محمود عزت عرفة**

رجوع إلى ديكارت وابن يعيش

قرأت فى العدد ٤٦٥ من الرسالة كلمة قيمة للأستاذ (محمد خليفة التونسى) استهلها بالرد علىّ فيما قلته فى العدد ٤٦٣ من أن ابن يعيش سبق ديكارت إلى الشعور بالفكرة التى بنى عليها أبو الفلسفة الحديثة منهجه الموصِّل إلى اليقين بعد الشك ، ومن أن ديكارت عمل ما لم يعمله ابن يعيش فصاغ هذه الفكرة فى منهج فلسفى فكان هذا الفرق بينهما .

استهل الأستاذ كلمته بالرد علىّ فيما قلته ؛ فقال إن ابن يعيش لم يكشف مذهباً فلسفياً ، لأنه كان يناقش تركيباً عربياً من حيث معناه ، ولأنه لم يجُلْ بفكره أن يقف عند هذه القضية قليلاً ولا كثيراً ، فليس الفرق أن ديكارت صاغ وابن يعيش لم يصغ

وأنا أشكر للأستاذ عنايته بتمحيص ما قلت ؛ ولكنني أرى أنه فهم كلامي على غير الوجه الذي قصدتُ ، ومال به إلى غير الطريق الذي نهجت ، فظن أنني أريد أن أقول إن ابن يعيش كشف مذهباً فلسفياً .

ففي الحق أنني ما أردت أن أقول ذلك ، وما خطر لي ذلك ببال ، فابن يعيش رجل نحوي قبل كل شيء ، وهو في قوله لم يحاول مطلقاً أن يثبت وجود نفسه لأنه ما شك مطلقاً في وجود نفسه ، وإنما كان — كما يقول الأستاذ — يناقش تركيباً عربياً من حيث معناه .

إنما أردت أن أقول إن الفكرة التي بنى عليها ديكارت مذهبه وهي أن في تفكير المرء برهاناً على وجوده قد شعر بها ابن يعيش مجرد شعور فقال في عرض كلام له عن تركيب عربي إن في علم المرء برهاناً على وجوده .

ففكرة ديكارت قريبة الشبه من فكرة ابن يعيش وإن لم تكن هي ذاتها . وذكره لها في عرض كلامه النحوي معناه أنه لم يصغ هذه الفكرة في منهج فلسفي . وما كان غرضي مما قلت أن أهزّ مؤرخي الفلسفة هزاً عنيفاً لينتبهوا إلى أن ابن يعيش سبق ديكارت في منهجه الذي انتقل به من الشك إلى اليقين ، وإنما قصدت إلى أن أعرض مثالاً طريفاً لتوارد الخواطر بين الشرق والغرب .

فهذا تفصيل ما أجملت ، لعله يوضح ما انبهم ويفسر ما استسر

***

على أنني لا أود أن أترك القلم قبل أن أنبه الأستاذ إلى أن ابن يعيش — كغيره من النحويين المتأخرين — كان يعيش في بيئة فلسفية كلامية ، فتأثر — كما تأثر هؤلاء — بهذه البيئة في منهج تفكيره وفي عرض تفكيره ، وهذا يتضح لمن يقرأ في شرحه على المفصل .

وقصدي من هذا الكلام أن أنص على أنني وإن لم أحمل كلامه السابق على أنه كلام فلسفي إلا أنني أشم فيه رائحة فلسفية وألمح فيه مخايل التفلسف .

فهذا ما جوز لي قرن ديكارت بابن يعيش :

وللأستاذ مني تحية صادقة . **السيد يعقوب بكر**

إلى من يهمهم الأمر في وزارة المعارف

لفت نظري أثناء مطالعاتي ما جاء بالجزء الرابع من كتاب «A primary course in English.» المقرر تدريسه لطلبة السنة الرابعة بالمدارس الابتدائية تأليف E. T. Dleave, M. A. و S. Walwyn, B. A. المطبوع في مصر في ٤ أغسطس سنة ١٩٣٦ بالصفحة رقم ١٢١ أثناء كلامهما عن (الأسكندرية) قولهما : إن عمراً (بن العاص) عند ما وصل إلى الأسكندرية على رأس جيشه الذي سلمه قيادته الخليفة عمر بن الخطاب في سنة ٦٤١ عمد إلى تخريب كثير من مبانيها كما أحرق مكتبتها في ثلاثة وثمانين ومائة يوم . وهو ما يأتي بنصه :

"But in the year 641 the Caliph Omar sent an army to Alexandria. The Leader, whose name was Amr, destroyed many of the buildings and burnt the library. It took 183 days to burn all the books."

واتهام عمرو بإحراق مكتبة الأسكندرية لم يكن سوى فرية قررها بعض المؤرخين لم تعدم من المنصفين من يفندها ويظهر زيفها . وإنه ليصعب على المرء أن يصدق هذه الفرية التي افتراها بعضهم على عمرو والعرب مع ما اشتهر عنهم من حبهم للعلوم وترجمتهم لآداب وفنون كثير من الدول الأجنبية عنهم والمخالفة لهم في اللغة والدين والجنس

وما دامت هذه الفرية لا تزال تتأرجح بين الإثبات والنفي والتقرير والتكذيب ، فقد كان من الواجب حذفها من الكتاب خشية رسوخها في أذهان صغار الطلبة الذين يأخذون مثل هذا الكلام المرسل على عواهنه قضية مسلمة ويحسبونه من الحقائق الثابتة وهو محض اختلاق ؟

هل تراجع مثل هذه الكتب في وزارة المعارف مراجعة دقيقة ، أم أن المسئولين في وزارة المعارف لا يرون في مثل هذه الكتب ما يستحق عناء المراجعة والاهتمام ؟

(الأسكندرية) **أحمد عبد اللطيف المغراوي**

الأدب بين الشيوخ والشباب

أذكرتني تلك الكلمات الرصينة التي تدبجها براعة الأستاذ الزيات في صدر رسالته ، كما أذكرتني كذلك ثورة الكاتب الكبير العقاد على الشاب الأديب الذي كتب إليه يقول له : « إنكم لا ترشدوننا ، ولا تأخذون بأيدينا » . . . بذلك العنوان

والخصومة بين الشيوخ والشبان ، أو الشبان والشيوخ ، خصومة قديمة يرجع تاريخها إلى عهد بعيد

وكان الظن إذا ثارت خصومة أدبية بين « الشبان والشيوخ » أن تكون على شاكلة تلك الخصومة التي كانت بين « الهمذاني والخوارزمي » والتي انكشف القناع فيها عن أن « الهمذاني » هذا شاب جدير بإكبار الشبان واحترام الشيوخ ، إلا أن شبابنا — كما يقول « شوقي » — قنع لا خير فيهم ...

وأحب أن ألفت الذهن إلى أن الشيوخ كذلك قضت عليهم الزمانه ، وقتلهم حب الظهور ، فاكتفوا من الأدب بطنين اللقب وناموا إلى ذلك . ولا يعنيهم — حين يكتبون — أصابوا أم خابوا ، ما دام لهم شهرة ، ولقلمهم رواج

ابراهيم على أبو الخشب

إلى الأب أنستاس الكرملي

بمناسبة ما سجله العلامة الفاضل الأب أنستاس الكرملي بمجلة (الرسالة) العدد (٤٦٤) عن كلمة « الطمورة » العربية الخالصة يجدر بنا أن نقول : إن استعمال هذه الكلمة لم يختص به أهل العراق فحسب ، وإنما ينطق بها أهل السودان أيضاً

وأهل السودان لا يعنون بها « ما يتخذ لحفظ الطعام إن كان على وجه الأرض أو كان على خارجها » ، كما يفعل أهل العراق ، وإنما يقصدون بها إلى المعنى الذي نصت عليه قواميس اللغة وهو : « المطمورة : حفرة يطمر فيها الطعام : أي يخبأ (ج) مطامير . »

أما ما يتخذ لحفظ الطعام خارج الأرض ، أو ما يكاد يعبر عنه قول الأب الفاضل : « أما إذا كان فوق الصعيد ، فإن أصحابه يجعلونه جرة عظيمة ، ثم يسنمونها على هيئة مخروط ثم يسيفونها ويصمدونها حتى إذا نزلت بها نوائب الجو من مطر وبرد وثلج ورياح قاومتها أحسن مقاومة ، ودفعت أضرارها إلى أحسن الوجوه » ؛ فإن أهالي السودان يعبرون عنه بكلمة « السِّوَيبه »

وعلى ذكر هذه الكلمة « السويبه » ، نتقدم بها إلى الأب الفاضل راجين منه أن يتفضل ويرشدنا : هل لهذه الكلمة أصل في اللغة العربية بما يفيد هذا المعنى الذي يقصد إليه بها أهل السودان ، أو ما يقرب منه ؟

« الأبيض — سودان » عبد الرحمن أحمد سعد

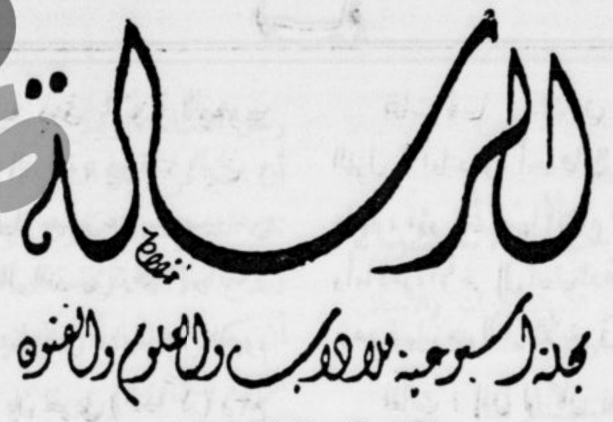
(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



10 me Année No. 468

Lundi - 22 - 6 - 1942


بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة


الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٦٨ « القاهرة في يوم الإثنين ٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٢ يونية سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

مثل المصرية الحديثة

— ١ —

لا تزال السيدة و ... على العهد بها طاهرة القلب حاضرة اللب ساحرة الحديث حرة الفكر ، لا تختلف وهى عقيلة تدبر البيت وتدير المزرعة ، عنها حين كانت معلمة تسوس الفصل وترأس المدرسة ، ولا يزال بهوها الجميل يستقبل في مساء الخميس من كل أسبوع نفراً من خليط الخاصة فيهم الأديب والطبيب والمحامى والجندى والفلاح والواعظ ، وكلهم إما قريب أو صديق أو صهر

والسيدة و ... مثل صادق للمصرية الحديثة حين تراها في ثوبها الأنيق ، المحكم على قدها الرشيق ، تتخذ من البهو مكان القلب ، فترسل الدم بالحياة والنشاط والرغبة والبهجة إلى كل عضو من أعضاء المجلس

جمال السيدة فاتن ؛ ولكن جلال الحشمة فيه يكف عنه النظر الشهوان فيقف على حدّ الإعجاب به

وأدب السيدة رائع ؛ ولكن روعته آتية من قوة الذكاء لا من سعة الاطلاع ؛ فهى ترى الرأى في بعض معانى الأدب فتحسبه من نتاج الذهن فيه عالى النمط ، وهو في حدود الوسط

وعلم السيدة دون الكفاية ؛ ولكنها ترفده بقليل من الدعوى المقبولة ، فترفعه البالغة منها والمجاملة منك إلى المستوى اللائق بالمرأة المثقفة

الفهرس

وذوق السيدة رفيع ؛ ولـكنه ذوق الأنوثة الموهوب لا ذوق الحضارة المكتسب ؛ أرهفته بالقراءة ، وصقلته بالمران ، حتى أوشك أن يكون من خلالها الأصيلة يصدر عنه ما يصدر عن الطبع السليم من حسن الاختيار وجمال التنسيق وصحة المواءمة .

وزوج السيدة طبيب ؛ ولـكنه يعمل فى عيادته عمل النهوم بالعلم والمال ؛ فهو لا ينفك طول يومه بين تفريق (التذاكر) وجمع النقود ثم لا يعلم من دنياه شيئاً بعد ذلك . فهى التى تدبر المنزل وتدبر العزبة وتربى الأولاد وتنمى الثروة وتراجع البنك وتعامل الناس ، ثم تجمل من بيتها ومكتبتها وحديقتها جنة يسكن إليها زوجها المكدود وولدها المجهود وقريبها المكتئب وزائرها المتطلع

قد يكون لمزاولتها التعليم فى شباب العمر بعض الأثر فى تكوينها على هـذه الشيمة من حسن الإدارة وحب النظام وبراعة الحيلة ولطف المداخلة ؛ ولـكن المرأة المصرية على الجملة تبذ الرجل فى هذه الخلال متى سلمت فطرة الله فيها من بطر النعمة وزيف التربية وسوء المحاكاة

* * *

زرت ندِّيها فى يومها المختار فوجدته حافلاً بمن يندون إليه فى العادة من الأقارب الأدنين والأصدقاء الخلَّص ؛ وكانت هى حين أخذت مجلسى تناقل المحامى حديث السياسة ، وزوجها يساجل الواعظ حديث الدين ، وكان الضابط البطين والفلاح البدين يلقيان السمع إلى هذين مرة ، وإلى ذينك أخرى تبعاً لارتفاع الصوت واشتداد الجدل . وكان محضر السيدة فى الصالون ، ورشاقتها فى الإشارة ، ولباقتها فى الحديث ، وتجلى ذوقها وروحها فى طراز الأثاث ، وطرافة ألوانه ، وانسجام قطعه ، وحسن توزيعه ، كان كل أولئك قد غمر الجالسين بشعور من السمو لم يألفوه ، فرقت الأصوات ، واتَّأدت الحركات ، واتزنت الكلمات ، وسما كل شىء فى كل نفس . وللزى الذى ترتديه ، وللمكان الذى تجلس فيه ، وللرجل الذى تتحدث إليه ، أثر فى نفسك يصدر عنه الفعل مطابقاً للحال التى أحدثته

قالت لى السيدة وقد ترامى بنا الحديث إلى أثر المرأة فى الإصلاح ومكانها فى الأدب :

— ما بال فلان وفلان يحبان أن يُذكرا بمعاداة المرأة وما أظنها وقعت فى حياتهما موقع العائق عن إنتاج أو إصلاح أو سعادة ؟

فقلت لها : ذلك فى رأيى ضرب من الحب ونمط من الغزل ! أما دعوة أحدهما إلى استعبادها فلأنه شقى فى الحصول عليها ، فهو ينتقم منها انتقام الصائد الأرعن من الطائر المسحور . وأما دعوة الآخر إلى استبعادها فلأنه يئس من الوصول إليها ، فهو يزهد فيها زهد الفأر الأبتر فى قدرة السمن . والمثلان معروفان !

فقالت : إذن لو كان نصيبهما من المرأة خيراً مما كان ، لأصبحت حواء خيراً من آدم ، ولـكانت المرأة المصرية خيراً من المرأة الأوربية ! وهنا ابتدرنى الواعظ إلى الـكلام فقال :

— لا يجوز فى الدين ولا فى العقل أن تـكون حواء خيراً من آدم . ذلك أنها خلقت من ضلع أعوج ، فمن طبيعتها ألا تستقيم . وما لا يستقيم لا يصدر عنه استقامة ولا عدل . ولو أن الله أراد لها غير ذلك لخلقها من رأس آدم فهيمنت عليه ، أو من إحدى جوارحه فسعت معه

فقالت السيدة : ولم لا يكون لخلقها من ضلع آدم حكمة أخرى يا أستاذ ؟ أليس فى خلقها من أحناء صدره تعيين لوظيفتها وتوجيه لرسالتها ؟ إن حنوها على الزوج والولد ، كحنو الضلوع على القلب والـكبد . والأسرة التى تشبل عليها المرأة هى العضو الرئيسى فى جسم الأمة ، كما أن الأجزاء التى تشبل عليها الضلوع هى الأعضاء الرئيسية فى جسم الإنسان

قال الطبيب : معنى ذلك أن عمل المرأة لا يتعدى المنزل

فقالت السيدة : وهل ذلك يسير ؟ إن المنزل عالم أصغر ينطوى فيه العـالم الأكبر . وإذا كانت الأمة هى الأسرة مكرَّرة ، والوطن هو الدار مكبَّرة ، فإن المرأة القائمة على شؤونهما لتحتاج من الثقافة والحصافة ما يحتاجه رجل الدولة . إن فى البيت حجرة طعام ، وغرفة نوم ، وبهو استقبال ، وقاعة مكتبة ، وحديقة زهر ، ولـكل مكان من هذه الأمكنة ثقافة خاصة لا بد للمرأة الصالحة أن تحذقها جميعاً

ومضت السيدة فى حديثها العذب تفصّل هذا الإجمال ، والطبيب والمحامى يصغيان إصغاء الإعجاب ، والضابط والفلاح ينظران نظر العجَب ؛ أما الشيخ فقد كان همه كله من هذا الحديث ، أن يرقب اتفاقه أو اختلافه مع القرآن والحديث

(للحديث بقية)

احمد حسن الزيات

طلائع هجوم الصيف

رجال الأدب ورجال القضاء

[ما رأى الأستاذ الزيات والأستاذ العقاد في موضوع هذا الحديث ؟]

للدكتور زكي مبارك

أشرت فيما سلف إلى خطأ الأستاذ توفيق الحكيم حين « منّ » على الأدب بأنه هجر من أجله القضاء ، فقد كان « وكيل نيابة » ، وكان يستطيع بقليل من الصبر أن يصير من القضاة المحترمين ، على حدّ تعبيره الجميل !

ولو أن هذا « المنّ » صدَر عن رجل غير توفيق الحكيم ، لكان من السهل أن نضيفه إلى العامية الفكرية، والأفكار كالناس فيها عوام وخواص، فلم يبق إلا أن نحكم بأن ذلك «المنّ» هفوة قلم وقع فيها توفيق الحكيم وهو يحاور طه حسين

وقبل أن أواجه موضوع هذا الحديث ، أسجّل أن رجال القضاء في مصر أقاموا ألوف البراهين على أنهم من أرباب الفكر المُشرق ، وأن نزاهتهم فوق الأوهام والظنون

ولكنى مع هذا لا أقبل القول بأن رجال القضاء أرفع منزلةً من رجال البيان ، وما يسيغ ذهنى أن يكون فى خلق الله من يتفوق فى الرفعة والشرف على صاحب القلم البليغ

ثم أواجه الموضوع فأقول : على أى أساس يقوم القولُ بأن رجال القضاء أعلى من رجال البيان ؟ !

أيكون الأساس هو الفرق بين تكوين القاضى وتكوين الأديبَ مَن النواحى العقلية والذوقية والروحية ؟

إن كان ذلك هو الأساس ، فنقضُه أسهل من السهل ، والقضاة أنفسهم يعرفون أن تكوين الأديب من أخطر المعضلات ، وأن الله قضى بأن تكون دولة القلم إلى آحاد ، ولو كانت تلك الدولة فى أمة يعد أفرادها بمئات الملايين

إن من حق كل متخرج فى كلية الحقوق أن يكون من رجال القضاء ، وليس من حق كل متخرج فى كلية الآداب أن يصير من رجال البيان ، لأن للأدب شرائط أساسية ، ومن تلك الشرائط أن يكون المرشح للأهلية الأدبية له قلب وذوق وروح ، وكلية الآداب هى التى تنطق بهذا الحكم ، لأنها تريد أن يكون ميزانها أدق الموازين ، ولأنها تعرف أن الأدب غاية عزيزة المنال

ومهمة القاضى أسهل من مهمة الأديب ، لأن القاضى يحكم وفقاً لقانون مكتوب ، ولا يطالَب فى كل يوم بالاجتهاد

هل سمعتم حديث عبد العزيز باشا فهمى ؟ إن لم تكونوا سمعتموه فاسمعوه :

حين عُيّن عبد العزيز باشا فهمى قاضى القضاة حكم على نفسه بالعزلة القاسية ، فكان لا يذهب إلى المحكمة إلا فى عربة « مقفولة » ، وكان يرفض أن يستقبل أحد الزوّار فى البيت ، ليسلم من جميع المؤثرات الخارجية

فهل ترون الأديب يملك هذا الحق من اعتزال الناس ؟

هيهات ، ثم هيهات !

واجب الأديب أن يدرُس جميع الخلائق، وأن يطّلع على المستور من الطبائع ، وأن يشارك العابدين فى المساجد ، واللاهين فى الفنادق ، ليعرف دخائل النفوس والقلوب، وليكون على بينة من تطور الأذواق والعقول

الوجود كله كتابٌ مفتوح ينظر فيه الأديب صباحَ مساء والقاضى لا يحس الوجود كما يحسه الأديب ، إلا أن يكون قاضياً أديباً ، وفى القضاة أدباء تدل عليهم البوارق الفكرية من حين إلى حين

الأديب يتلقى وحى الحياة فى كل وقت ، وهدَف الأديب هو استجلاء الغوامض من السرائر ، وقد يتسامى فيحاول قراءة السطور فى صحائف الغيوب

وظنُّ الأديب فى بعض الأحوال أصدق من اليقين ، لأن فطرته تخضع فى كل لحظة إلى التقويم والتثقيف ، فهو أعظم الناس روحانية بلا نزاع ولا جدال

قد يُصدر القاضى عشرات الأحكام أو مئات الأحكام بقليل من الجهد ، حين تتقارب أو تتماثل موضوعات الخصومات ، ثم تظل

أعداد الرسالة الخاصة

فى سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية ، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة ، ينوه بفضله ويعرف بأهله . وستبدأ بعدد العراق . والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا الواجب بإرسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

منزلته الرسمية فى أمان ، لأنه لا يطالَب بالابتكار فى القضاء ، ولو شئت لقلتُ : إن الابتكار قد يحرَّم عليه فى بعض الأحيان

فهل يظفر الأديب بمثل هذا الحق فيعالج الموضوع الواحد بأسلوب واحد بضع مرات ؟

وهل يستطيع كاتبٌ مثلى أن ينشر فى مجلة (الرسالة) مقالاً نشره من قبل فى جريدة (البلاغ) مع شىء من التبديل والتعديل ؟

حرفة الأدب فظيعة فظيعة ، فهى تقضى بأن يكون مصير صاحبها مرهوناً بأقرب مثال أو أحدث قصيد ، ولكل إنسان أن يكتفى بماضيه إلا الأديب ، فهو مسئول أمام قرائه عن يومه الحاضر ، وقد يُسأل عن جهاده فى المستقبل البعيد !

فأين القاضى من هذه المتاعب ؟

ومن يَسأل القاضى عن يومه أو غده ، وهو عن ماضيه غير مسئول ؟

بعد ثلاث دقائق من المدة المقررة لاستئناف الحكم لا يجوز للمظلوم أن يرفع شكواه إلى غير السماء

أما الأديب فيُسأل عن أحكامه بعد الأعوام الطوال ، ومن حق كل مخلوق أن يتزيد عليه كما يريد

قولوا الحق ، أيها القضاة العادلون

أفيكم من يشقى بحرفته كما يشقى الأديب ؟

القانون يحميكم من عبث الجاهلين والسفهاء ، فلا تُكتب هنكم كلمة مدخولة ، ولا يتطاول عليكم أفّاك ، ولا يعترض سبيلكم أبناء السبيل

ومن أجل هذا أقول بعبارة صريحة إن جهادنا فى دنيانا أخطر من جهادكم فى دنياكم ، وإن تأهبنا لفهم معضلات الوجود أقوى من تأهبكم لفهم تلك المعضلات

فاعترفوا — غير مأمورين — بأن تكوين القاضى لا يقاس إلى تكوين الأديب

ثم ماذا ؟ ثم يكون أساس المفاضلة أن القاضى يخدم العدالة ، وهو الحظ الذى ضاع على الأستاذ توفيق الحكيم حين أغراه الدكتور طه حسين بأن يُحشر فى زمرة الأدباء ، وتلك أول مرة يحشر فيها (المؤمن) مع من يبغض !

وأقول إن خدمة العدالة من أهم أغراض الأديب ، فهو أقدر الناس على وزن المعانى ، وهو الفيصل فى تقدير المناقب والمثالب ، وعن قلم الأديب يأخذ القضاة دقائق المحاسن والعيوب

وفى صدر كل قاض حاسة أدبية تهديه حين يوفَّق إلى الأحكام الصِّحاح

القاضى لا يتعرض لأى تعب حين يحكم بالعدل ، وإنما يثاب على الحكم بالعدل ، أما الأديب العادل فيقضى دهره فى مكاره لا تطاق

إن حكم الأديب بالعدل فى قضية الفن فهو ماجن ، وإن حكم بالعدل فى قضية الفكر فهو زنديق ، وإن عادى الزعماء فهو من الخوارج ، وإن صادق الزعماء فهو من الوصوليين ، ولا تقع محنة فى أى انقلاب إلا على رءوس رجال البيان

كل حكم يقابل بالرضا المطبوع أو المصنوع إلا حكم الأديب ، لأن الجمهور يعرف أنه غير مؤزَّر بالقُوى الرسمية ، وهل يهاب الناس القاضى إلا لأنهم يعرفون أنه يستطيع « حبس » من يشاء حين يشاء ؟

الأديب يملك الحكم ولا يملك التنفيذ ، والقاضى يملك الحكم والتنفيذ ، فهو فى نظر الدهماء أعظم من الأديب ، وهو كذلك فى نظر توفيق الحكيم !

نحن — رجالَ القلم — خدّام العدالة فى نصابها الحق ، ولو خلت الدنيا من أسنّة أقلامنا لأضحت وهى أقفر من الجنة بعد خروج آدم المظلوم

بأقلامنا تصور الغرائب من أوهام العقول وأحلام القلوب ، بالعدل والقسطاس . وعنا يأخذ القضاة أصول الحكم السليم من شوائب الأغراض

ومزية الأديب — مزيته الحقيقية — أن الشعوب لا تعرف قدره الصحيح إلا حين ترتفع ، ولعل هذا هو السبب فى أن قضاة المسلمين لأيام عزهم كانوا من رجال القلم البليغ

ما مجد مصر وما سلطانها فى العصر الحديث ؟

أ كان القضاة هم الذين سمَوْا بها إلى تلك المكانة العالية ؟

ما ارتفع من قضاة مصر غير الأدباء من أمثال سعد زغلول وقاسم أمين ، ومن والاهم من كتّاب التشريع بأسلوب الأدب الصحيح

العدالة عندنا — رجالَ القلم — وما نبغ نابغٌ إلا بوحى تلقّاه عن أدبنا الرفيع . عندنا الحب المقدَّس ، عندنا الروح الأمين . فأين من يزعم أنه عرف فكرة العدل قبل أن يأخذ عنا فكرة القسطاس بين الألفاظ والمعانى ؟

إن قيل إن لغة القانون أدقّ من لغة الأدب أجبنا بأن القانون لا تكون له لغة إلا حين يكون المؤلفون فيه من أدباء المشرّعين .

ومن الذى يعلّم الناس دقائق الفروق فى التعابير الفقهية والاقتصادية والديبلوماسية ؟

عِلمُ ذلك عند أصحاب الأقلام الجياد ، وما جاز لمشرّع أن يوازن بين لفظ ولفظ ، وبين عبارة وعبارة ، إلا وهو مسيّر بقوة أدبية تدله على ما فى الألفاظ والعبارات من أعصاب وأحاسيس ، والألفاظ تقتتل وتصطلح كما يفعل الأحياء .

إن رجال القضاء لا ينسون أبداً أن أحد أقطاب الأدب الفرنسى كان يقرأ صفحات من « القانون المدنى » قبل أن يشرع فى الإنشاء ، وهم يذكرون هذه القصة كلما بدا لهم أن يفضّلوا اللغة القضائية على اللغة الأدبية ، فكيف غاب عنهم أن القانون المدنى أنشأه رجلٌ أديب ؛ وكيف فاتهم أن الدقة والوضوح لا يصدُران إلا عمن تمرّس بالإنشاء البليغ عدداً من السنين ؟

وما يقال عن « القانون المدنى » يقال عن « الفقه الإسلامى » فرجال الفقه فى الشريعة الإسلامية كانوا من أقطاب الأدباء ، وكان جهادهم فى تحرير الألفاظ والمعانى يفوق جهاد أبى تمام والبحترى والرضىّ ، وإن تناساهم تاريخ الأدب فلم يذكر لهم ذلك المقام المحمود .

وأرجع مرة ثانية إلى كميّة الإحساس بالوجود عند القاضى وعند الأديب فأقول :

القاضى لا يلتفت إلى إشكال إلا حين يُدْعى إليه ، فهو فى أغلب أحواله من المحايدين ، بدليل أنه لا يُفتى إلا من يستفتيه ، وقديماً قيل :

« لو أنصف الناس استراح القاضى »

فهل يكون الأمر كذلك بالنسبة إلى الأديب ؟

الأديب لا ينتظر قدوم المستفتين من الشرق أو الغرب ، وإنما يمضى فيشرّح آلام الناس قبل أن يحسوا تلك الآلام ، أو قبل أن يقهرهم استفحالها على الأنين والصراخ .

والأديب يدرس الوجوه بأعمق مما يدرسها الطبيب .

ومن غرائب الأديب أنه يعرف أعمار الأصوات والملامح والعيون ، فإذا حدّثه محدّث عن طريق المِتاف أدرك عُمر ذلك المحدّث وتبيَّن ملامح وجهه ولفتات عينيه ، وإن لم يره من قبل

ومن هنا كان الأديب أول من يدل أمته على المخوف من الحوادث والخطوب ؛ ومن هنا أيضاً كان الأدب أسبق من الطب ومن القضاء ، لأنه فطرة وجودية عاصرت أقدم عهد من عهود التاريخ .

ولو كان القاضى يحسّ الوجود بمقدار ما يحسه الأديب لانتفع أعظم الانتفاع من الوجهة الأدبية بما يشاهد كل يوم من اصطراع النوازع والأحاسيس فى ساحات القضاء ، ولكن الواقع يشهد أن محصول القضاة فى الأدب قليل قليل ، بالقياس إلى الفرص المتاحة لدرس نزغات النفوس وأهواء القلوب .

والإنصاف يوجب أن نقرر أن القاضى منهىٌّ عن تعقّب الناس ، فلا يجوز له أن يمرّن قلمه بتصوير ما يُعرض عليه من آثام وذنوب ، وقد يحرم عليه أن يحكم قبل استخبار البينات والشهود ، وإن كان يعرف كيف يفصِل بأدلة نفسية فى بعض الأحايين .

القاضى لا يطالَب بما يطالَب به الأديب ، والناس أنفسهم يكرهون أن يعرف القاضى سرائرهم ، ولكنهم يحبون أن يُفصح الأديب عما يضمرون ، لأن علم القاضى بسرائرهم أخطر عاقبةً من علم الأديب ، والإنسان حيوانٌ لئيم !

وإعفاء القاضى من تعقب الناس أراحه من درس مشكلات النحائز والطبائع ، إلا فى الشؤون القلائل ، فهو بين أهل الفكر من السعداء .

أما الأديب فهو كلّ يوم فى حال أو أحوال .

على الأديب أن يحدثك عن نفسك بما تجهل من نفسك ، وعليه أن يدخل فيما لا يعنيه فينشر المطوىّ من أخبار بيتك وإن لم « يتشرف » بزيارة ذلك البيت .

الأديب مسئول عن تقديم صورة صحيحة لكل فضيلة ، ولكل رذيلة ، ولكل وهم ، ولكل وسواس ، وهو مع ذلك مطالَبٌ بالتصوّن المطلَق ، فلا يجوز له أن يعرف من يشاء من طبقات المجتمع ، ولا يُقبل منه أن يتعرف إلى أولئك أو هؤلاء ، وإلا تعرض للمرذول من إفك السفهاء .

أما القاضى — وما أسعد القاضى ! — فهو لا يحكم إلا بعد أن يشتجر فى حضرته المحامون والشهود ، ليعرف خفايا القضايا بأيسر عناء ، ولا مُعقّب لحكمه حين يحكم ، وهو نفسه لا يملك الرجوع فى قضائه حين يريد .

وفي هذا المأزق تظهر قيمة المسئولية الأخلاقية في حياة القاضي وحياة الأديب

القاضي ينفض يديه من كل مسئولية بعد الحكم المؤيد بالبينات والشهود

أما الأديب فيستفتي ضميره فيما قضاه ، ولو طال الزمان ، وقد يتعرض لأقبح السخرية حين ينتقل من رأى إلى رأى ، وما يعرف مخاصموه أنه لا يرجع عما رآه في الأمس القريب أو البعيد إلا لعرفانه بأنه المسئول الأول عن رعاية العدل

ومن الأسباب التي توجب أن يكون إحساس القاضي بمعضلات الوجود أقل من إحساس الأديب أن التنافس بين رجال القضاء لا يقاس إلى التنافس بين رجال البيان

القاضي في إحدى محاكم الأسكندرية لا يعرف شيئاً عن زميله بإحدى محاكم القاهرة أو المنصورة أو أسيوط ، لأن « سرية القضاء » مبدأ مصون

أما الأديب في القاهرة فأحكامه وأخباره منشورة بين جميع الناطقين بالضاد ، وقد تنوشه أقلام أجنبية لا يعرف ما ترمي إليه من خبيث المعاريض

لو تعرضت أحكام القضاة لنقد العلانية ، كما تتعرض أحكام الأدباء لنقد العلانية ، لعرف قوم أن أعصاب الأدباء الكبار صيغت من الفولاذ ، وأن الأديب لا يسيطر على زمانه إلا بعد أن يعجز عن هدمه أبناء الزمان

بقيت مشكلة خطيرة في الفرق بين مكانة القاضي ومكانة الأديب

للقاضي نظام تضع رسومه كلية الحقوق ، فما النظام المرسوم للأديب ؟

أيكون الأديب من يظفر بدرجة جامعية تمنحها كلية الآداب ؟

وكيف وكلية الآداب تنكر هذا الحكم ، كما أشرت من قبل ؟

إذن يكون من حق كل مخلوق أن يدعي الأدب حين يشاء ، وهذا هو الواقع بالفعل ، وهو السبب في أن ملكية الأدب الدعاة صارت أعرض من الصحراء ، فكيف يحفظ الأديب الموهوب مكانته في الوجود ؟ وكيف يرفع العقبات التي يضعها في طريقه « كبار » الأدعياء ؟

الجهاد الموصول هو سناد الأديب الحق ، وما استطاع أديب أن يظفر بمكانة عالية إلا بعد جهاد يدوم عشرين سنة أو تزيد ، وهي مدة كافية لموت الطفيليات

فليس بأديب من يقول : « خذوا بيدي » كما يقول الضعفاء

وليس بأديب من ينتظر العون من هذا الحزب أو ذاك

وليس بأديب من يتشبث بأذيال أحد النوابغ ليضمن له الرزق الحرام أو الحلال ، كالرزق الذي يضمن للمستأدب المجهول حين يتصل بالأديب المعروف

الأدب الذاتي هو شخصية ذاتية ، وما يضيع أديب إلا حين يقبل أن يكون من المحاسيب

ألكم خصوم أموات كالخصوم الذين نعرف ، أيها القضاة المحترمون ؟

يخاصمكم من يخاصم وهو مدرع بعلوم الشرائع ؛ ويخاصمنا من يخاصم وهو « لبلاب » يعتصم بهذا الجذع أو ذاك

أما بعد فهذه كلمة أردنا بها وجه الحق في إعزاز الأدب الرفيع ، ومن موجبات الفوز أن يكون الطرف الثاني في القضية هم رجال العدل ، وعليهم نعول في تأييد ما قدمناه من البينات ، ومنهم ننتظر إنصاف الأدب من القضاء

مضت أزمان وأزمان والأدب في محنة بسبب تخلف أهله عن الميادين الرسمية ، أو بسبب تودد أهله إلى الميادين الرسمية ، فمن واجبنا اليوم أن نرفع راية الاستقلال ، وأن نعتز بالقلم الذي أقسم به ذو العرش المجيد

تستطيع كل أمة أن تخلق من الطبقات ما تشاء ، ولكن الأمم مجتمعة تعجز عن خلق أديب واحد ، لأن الأدب منحة ربانية تفوق هبات الممالك والشعوب

فمن طاب له أن يمن علينا بأنه هجر من أجل الأدب هذه الطبقة أو تلك ، فليعرف اليوم أننا أصحاب الحق في أن نمن على من نمنحه متفضلين لقب الزميل ، أو لقب المريد

الأدب شريعة من الشرائع ، ومن واجب كل شريعة أن تنفي من يؤمن بها على حرف

وصدق الله العظيم حين قال « وما على الرسول إلا البلاغ »

زكي مبارك

الشخصية الهستيرية

للدكتور محمد حسنى ولاية

وصف كريبلين Kraeplin الشخصية الهستيرية قال :

١ – لم يعثر على أى نقص فى ذكاء ١٦٤ من المرضى بالهستريا إذ لم يكن هناك اضطراب فى الإدراك أو قوة التدليل ، بل الهستيرى كثير التقلب فيما يفكر فيه ، وتستحوذ عليه بدوات وأوهام قوية الحيوية ، فإن أمانيه غير منظمة وسطحية ولو أنها متسعة النواحى والأرجاء ، ومقدرته على تكييف نفسه لأى ظرف فائقة ولكن ينقصه الثبات وقوة الاحتمال . ويمتاز بانقياده إلى كل شىء جديد ، فإذا استعرضنا حوادث التاريخ وجدنا أن أول الناصرين وأكثر المحاربين حماسة لبلوغ الأهداف المعجزة هم الهستيريون

يدس الهستيرى أنفه فى شؤون الناس لاستنشاق أسرارهم والوقوف على أحوالهم ، ويلذ له أن يكون ماثلاً فى عيون الجماهير وأذهانهم فلا يفتأ ينقب عن وسائل جديدة للوصول إلى هذه الغاية

٢ – إن الارتباطات العقلية سطحية فى الهستيرى الذى يمتاز بكونه متسرعاً ومركزاً اهتمامه فى نفسه فقط . أما حكمه على أمر من الأمور فرهين أول أثر يتركه هذا الأمر فى نفسه بما يتمشى مع نزواته الشخصية . وعلى الرغم من أنه شديد العناد ، لا تلين له قناة ، فإنه يغير مبادئه بسرعة لأنها لم تكن قط متغلغلة فى أعماق نفسه .

وإن الميل إلى حلم اليقظة day dreaming وثيق العلاقة بالخيالات والبداوات phantasies الممتلئة حيوية ، فهو يتوهم نفسه فى مواقف لا تمت إلى الحقيقة بصلة ، ويحيك حول هذه المواقف خيالات متشعبة مترامية ، فقد يرى نفسه بطل حوادث نظرية مختلفة أو ضحية هجمات أعداء وهميين . ومما يزيد الطين بلة أنه يترجم أوهامه وبدواته إلى لغة الحقيقة فيتمادى فى اختلاق حوادث متصلة بالواقع يدعمها ببراهين تبدو قاطعة

٣ – ذاكرة الهستيرى واهية لا يعتد بها لأنها رهينة عوامل انفعالية شتى فهو ينسى الحوادث التى لا تروق له ويعلى من شأن ماضيه ويشوه حقائقه ليكون وفق رغباته الشخصية

٤ – الهستيرى نارى الانفعالات لا يستطيع أن يتحكم فى أعصابه ، متطرف فى حبه وكرهه ، يرتجف الناس خوفاً من غضباته وعنف هياجه ، فهو شديد التقلب فى سلوكه دون مقدمات ولا سابقة إنذار . وهو إما رائع فى الفرح أو غارق فى الهم

وتقترن بهذه الثروة الكبيرة من الانفعالات صفة الصلابة والعناد وعدم المبالاة التى تدعو الهستيرى إلى الاختيال على جثث الموتى ، وقد ارتسمت على فمه ابتسامة . أما السبب الذى يفسر هذا السلوك المتناقض المتنافر ، فهو عدم التناسب بين الانفعال والتعبير عنه .

٥ – لا يفكر الهستيرى إلا فى نفسه . وإن تقديره البالغ فيه لنفسه متعطش دائماً إلى الإقرار والتثبيت ، ويسره دائماً أن تتجه أنظار جميع الناس إليه . أما أمانيه فلن تقف عند حد .

ومما يحدوه إلى المجازفات ، التنقيب عن كل شىء يمتاز به على الآخرين . وهو يعرف جيداً كيف يتحكم فى بيئته ليكون طاغيتها بكل الوسائل الماثلة لديه .

ومن الطرق التى يلجأ إليها الهستيرى فى كفاحه لنيل تقدير الجماهير إنكار الذات (ظاهراً) والفدائية ، واستعذاب العذاب فى سبيل تحقيق المبادئ السامية ، وهو يتشدق بأنه يضحى بنفسه فى سبيل مساعدة الفقراء وخلاص الموزين ، وبأن حياته رهينة كل غاية تفيد الإنسانية ، فليعترف له جميع الناس بفضله وتضحيته . وما حب الهستيرى للعذاب إلا لكسب أهمية خاصة فى أعين الناس . على أنه يلذ له أن يكون غامضاً غير مفهوم .

٦ – يمتاز الهستيرى بقوة فائقة على انتحال أعراض المرضى الآخرين وبإطالة مرضه عن طريق الإيحاء الذاتى auto-suggestion ويفيض سيل وحيه على الأشخاص الموالين له أو القريبين إليه .

وإن النفوذ الذى يستمتع به الهستيريون والجاذبية الشخصية التى تقود إليهم الناس أفواجاً مبنية على طبيعة قوة إيحائهم .

٧ – على الرغم من وفرة الانفعالات السطحية تظل الغرائز الطبيعية فى سبات عميق ؛ فالهستيرى لا يبالى الجوع والتعب والأرق وحرمان غريزته الجنسية من الاستمتاع ؛ فهو إما أن يكبتها أو يدعها تتخذ مظهراً شاذاً . وكثيراً ما يلجأ الهستيرى إلى التهديد بالانتحار ، وهذا يدل على المستوى الأدبى الدنىء الذى انحطت إليه شخصيته .

دكتور محمد حسنى ولاية
طبيب بصحة بلدية الأسكندرية

من وثبات العبقرية

نظام الزكاة فى الاسلام (*)

وهل روعى فيه العدل

للسيد على حسين الوردى

ذكرت فى مقالى السابق أن الضرائب المباشرة لم تكن معروفة لدى الأمم القديمة إلا نادراً ، إذ أن النضوج السياسى لم يكن قد وصل بالناس إلى تلك الدرجة التى يستسيغون فيها دفع ذلك النوع من الضرائب

لم يكن الفرد ، فى الزمن القديم ، يعتبر الحكومة تمثله أو تمثل مصلحته العامة ؛ إنما كان على العكس يرى فيها عدوه الأكبر الذى لا هم له إلا ابتزاز أمواله وامتصاص دمه من غير منفعة محسوسة تأتيه من وراء ذلك ، ولهذا فقد كان الفرد يعتبر الضريبة عبثاً ثقيلاً ينبغى التهرب منه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً[1] . ولم يكن جباة الملك يجرأون إذ ذاك أن يفرضوا الضريبة المباشرة على أموال الناس أو إنتاجهم حيث تجبى منهم حقاً مشروعاً كما هو الحال فى هذا العصر ، فجل ما كان الجباة يعملونه هو أن يقفوا عند مدخل البلد ليقتطعوا من التجار والفلاحين جزءاً مما يحملون على أنها حصة الملك جزاء حمايته إياهم أو سماحه لهم بتكسبهم في البلاد التى هى تحت سيطرته

هذا ولا ريب فى أن فى مثل هذه الضريبة غير المباشرة ظلماً لا شك فيه ، إذ أن دافع الضريبة يستطيع عادة أن يحول عبئها إلى عاتق غيره ، فإذا دفع التاجر مثلاً جزءاً من بضاعته إلى الحكومة أدخل ذلك غالباً فى حساب تكليف البضاعة وأضافه إلى سعر البيع ليتحمل المشترون عبء الضريبة . وفى هذا يتمثل الظلم ، لأن معظم الضريبة تقع حينئذ على كواهل الفقراء إذ أنهم هم معظم المستهلكين للبضائع ملابس وطعاماً ... هذا بينما يدفع الأغنياء قسطاً ضئيلاً من الضريبة لا يتناسب مع ثرواتهم الطائلة . ولا مراء فى أن ما نراه من تعسف فى هذا النوع من الضرائب ، لا يوجد إلا قليلاً فى الضرائب المباشرة ، لأن النسبة فيها تؤخذ ضخمة من الأغنياء ، صغيرة من الكادحين ، وحيث يعامل فيها كل فرد حسب مقدرته وظروفه الخاصة . وقد يُعفى منها كثير من الناس الذين كانوا يدفعون الضرائب غير المباشرة وهم لا يشعرون

ولكن الضريبة غير المباشرة ، رغم هذه المساوىء ، ظلت مستعملة طيلة القرون الماضية ، ولا تزال مستعملة إلى اليوم فى كثير من الأمم الحديثة ، وذلك لسهولة جبايتها وقلة التكاليف فيها ، إنما أخذت فى الواقع تفقد أهميتها شيئاً فشيئاً ، إذ بدأت الضرائب المباشرة تحتل مكانها ، وهذا بلا شك سمو من المجتمع فى أخلاقه السياسية[1]

* * *

هذه نبذة موجزة من تاريخ الضرائب وددت أن أبين بها للقارىء شيئاً من مجرى التطور فيها حيث سار المجتمع فى طريقه الطبيعى من غير تنكب أو طفور . لكننا إذا رجعنا إلى نظام الضريبة فى الإسلام نجد ثم وثبة بذت مجرى ذلك التطور وسارت فى سبيل الكمال خطوات

لقد فرض الشارع الإسلامى أغلب صدقاته بنسبة معينة على ثروة الفرد أو إنتاجه تؤخذ منه مباشرة بعد النظر فى ظروفه الخاصة وبعد استثناء حد أدنى من غير زكاة

لسنا ننكر أن من الصعب وضع حد فاصل يميز بين الضريبة المباشرة من غير المباشرة ، فكثير من الضرائب التى نحسبها مباشرة لأول وهلة هى فى الحقيقة غير مباشرة ، لأن دافعها قد يستطيع بعد زمن تحويل عبئها إلى عاتق غيره . ولكننا على كل حال نستطيع أن نقول بأن الإسلام قد شرع فى هذا الشأن شرعة جديدة لا شك فى صلتها بالعدل والخير ، إذ جعل الضريبة حقاً واجباً على الفرد يجب أن يؤديه للدولة بصفته

(*) الزكاة صدقة والصدقة زكاة اختلف الاسم واتفق المسمى (الماوردى فى أحكامه السلطانية)

(1) Dalton. Public Finance

(1) Seligman, Essays in texation

عضواً فيها ، وإذ أمر كذلك بأن تختلف نسبة الضريبة بين شخص وآخر نظراً إلى ما عليه الشخص من عسر أو يسر في وضعه الاقتصادي أو في إنتاجه

وهنا نصل بالقارئ إلى نقطة جوهرية من هذا الموضوع ألا وهو التفاوت في فرض الضريبة حسب تفاوت الناس في أرزاقهم وحظوظهم في الحياة . إذن يجب علينا أن نفهم أهمية ذلك في النظام الحديث إذ يعني به كتاب اليوم عناية كبرى لما له من مساس بالعدل الذي هو أحد الأركان الأربعة للضريبة المثالية ، وأهم تلك الأركان على الإطلاق[1]

لقد كانت الضريبة في الزمن القديم تجبى على السواء من جميع الناس إلا الذين يستثنيهم الملك من رجال دين أو نبلاء ، فلم تكن الحكومات تعنى إذ ذاك بما تعنى به الحكومة الحديثة – كما ذكرنا – من تفريق في نسبة الضريبة defferentiation أو إعفاء منها حسب ما يمليه العدل أو مصلحة الأمة

لقد وضع الكتّاب المعاصرون لهذا الغرض في مسألة التفريق والإعفاء أربع قواعد فيما يخص دافع الضريبة أو ثروته :

فالقاعدة الأولى : مصدر الثروة — إذ يميز فيها بين الثروة التي تأتي صاحبها نتيجة للعمل والمكابدة ، وبين التي تأتي صاحبها وهو في بحبوحة من الراحة والنعيم

هذان فلاحان مثلاً ، أحدهما يملك الأرض الخصبة أو يسق زرعه ديماً أو سيحاً ، والآخر لا ينتج إلا في أسوإ الظروف من أرض ضعيفة وماء بعيد . فهل من العدل أن تفرض الضريبة بنسبة واحدة على إنتاج هذا وإنتاج ذلك ؟ لا بد إذن من تفريق

والقاعدة الثانية : طبيعة الثروة — إذ يميز فيها بين الثروة الصالحة التي تفيد الأمة والتي ينبغي تكثيرها ، وبين غيرها من الثروات ؛ وقد يفرّق مثلاً بين إنتاج الخضر والفواكه التي يسرع إليهما الفناء ، وبين إنتاج الحبوب التي يمكن خزنها وادخارها

والتفريق في هذا ضروري في العهد الذي تصعب فيه المواصلات وتقل فيه وسائل الخزن المبرّدة ، حيث يجب على زارع الثمار أن يبيع ثماره في أوانها المناسب ، وإلا خسر مجهوده وخسر فوق ذلك الضريبة التي دفعها إذا كانت مفروضة عليه

والقاعدة الثالثة : مآل الثروة ومصيرها — هل تصرف في إطعام العائلة والضيوف وفي الإحسان ، أم تبذّر هنا وهنالك على موائد الخمر والميسر ، أو تكدس قناطير مقنطرة من غير تنمية أو إنتاج ؟

والقاعدة الرابعة : هي أن ينظر إلى حالة الشخص (دافع الضريبة نفسه) : أمتزوّج هو أم أعزب ؟ أمدين أم دائن ؟ ... الخ

هذه هي الأسس التي وضعها الكتاب المحدثون في تحري العدل والصالح العام عند فرض الضريبة إذ يفرّق بين إنتاج وإنتاج وبين ثروة وثروة . ولكن يجب ألا يغرب عن بالنا أنه لم تصل اليوم أية دولة على وجه الأرض إلى تطبيق هاتيك الأسس جميعاً تطبيقاً تاماً ، إذ أن ذلك يقتضي جهداً هائلاً ويصادف كثيراً من العقبات العملية التي تحول دون النجاح التام فيه أو التي قد تنتج من المساوى ما هو أعظم مما كان يخشى منه

إن التفريق في الضريبة خير لا مرية فيه ، ولكن من أين لنا ذلك العبقري النزيه الذي يضع لكل حالة نسبتها العادلة . كذلك ما أعظم الصعوبة التي تعانيها الإدارة إذ ذاك – ارتباكاً وتعقيداً ، وهؤلاء الطامعون الماكرون من موظفين في الضريبة أو دافعين سيجدون في هذا الوضع المعقد أعظم الفرصة لنشبهم أو تهربهم من دفع بعض الضريبة أو كلها . ويظهر من هذا أن المشرع الحديث أصبح بين نارين: بين سوء الظلم في عدم التفريق ، وبين الصعوبة والارتباك في إدارة الضرائب عند التفريق إذ يكثر الاختلاس والروغان . وبذا يتضح السبب في قلة اندفاع القوم في هذا السبيل ، إذ نجد التفريق مهملاً في الأمم الحديثة أحياناً

***

هذا مجمل الوضع كما نراه اليوم في العالم المتمدن ، أما إذا رجعنا ببصرنا إلى الدولة الإسلامية فقد تأخذنا الدهشة لما نرى فيها من اهتمام جدي بهذه المسألة فقد ميز الإسلام إنتاج الأرض التي تسقى عذباً أو سيحاً من إنتاج الأرض التي تسقى بالدلو والقرب والساقية ، حيث جعل العشر على الأولى بينما فرض نصف العشر على الأخرى وذلك لمؤونة القرب والساقية والدلاء[1]

أما التفريق في الضريبة حسب خصوبة الأرض وكلفة الإنتاج فقد ألح إليه محمد بن الحسن وأبو يوسف وغيرهما إذ قالا : لا يحسب العشر على نفقات البقر ، أو أجرة العمال العاملين في الإنتاج[2]

ومن هذا نستنتج أن زارع الأرض الضعيفة يؤدي زكاة

(١) Adam Smith, Mealth of nations

(١) كتاب الخراج لأبي يوسف

(٢) الجامع الصغير في الفقه لمحمد بن الحسن

أقل من غيره لأنه يحصم من إنتاجه نفقات البقر والعمال ، وهى أكثر من نفقات الأرض الخصبة فى ذلك طبعاً .

ويقول أبو يوسف : إنه إذا أطعم رب الأرض غيره من مزروعه أو أكل هو فليس على ذلك عشر [1] .

وقد جعل بعض الفقهاء ربع العشر على ما تكثر مؤونته من المعادن المستخرجة من باطن الأرض ، أما التى تقل فيها المؤونة ففيها الخمس [2] .

وعن على بن أبى طالب أن الخمس فى المعادن المستخرجة من أرض خراج أو عشر . ولا خمس فى الفيروزج الذى يوجد فى الجبال ولا فى اللؤلؤ أو العنبر وكل حلية تخرج من البحر [3] لأنها متعبة كبيرة الكلفة .

وعن أبى حنيفة فى رجل مر على العاشر بمال فقال أصبت منذ شهر أو علىّ دين أو قال أديت الزكاة إلى عاشر آخر أو أديت زكاته أنا وحلف على ذلك فهو صادق [4] .

ولا يجب الزكاة عند الشافعى إلا فيما زرعه الآدميون قوتاً مدخراً ؛ أما البقول والخضر التى ليس لها ثمرة باقية فلا زكاة فيها [5]

أما المواشى فلا زكاة فيها إلا إذا كانت سائمة ترعى الكلأ فتقل مؤونتها ويتوفر درها ونسلها ، فإن كانت عاملة أو معلوفة لم تجب فيها زكاة [8] . وبعدُ أليس فى هذا كله تفريق ؟ ...

وقبل أن نختم المقال يجب ألا يفوتنا ذكر النصاب الذى يحتم الفقه الإسلامى الوصول إليه حيث تؤخذ الضريبة متصاعدة بعده ، ولا ضريبة على ما دون النصاب فى جميع الممتلكات والثروة . وقد جعل الإسلام لكل شىء من ذلك نصابه المعلوم ، فنصاب الغنم مثلاً أربعون ، والبقر ثلاثون ، ومحصول الزرع خمسة أوسق ، والذهب عشرون مثقالاً ، والفضة مئتان [6] ...الخ

ولا ريب أن فى هذا عدلاً ، إذ يستثنى به كثير من الفقراء عن دفع الضريبة ، ويقع معظم ثقلها على عاتق الموسرين المترفين

* * *

لعلى بهذا قد عرضت على القارئ صورة لما كان يراءى فى ضرائب الإسلام من العدل ، ولكن تذكر يا سيدى القارئ ، ما قلت لك آنفاً ، من أن العدل ليس وحده هو ما يلزم للضريبة المثالية من أركان، فثمت ، على الأقل ، ثلاثة أركان أخري ، كما وضع آدم سميث، لازمة للضريبة المثلى هى : (١) الإنتاج (٢) والملاءمة (٣) ثم اطمئنان الحكومة والدافعين إلى ما يؤخذ أو يعطى . . . ولكن يا ترى هل كان الإسلام معنياً بجميع هذا الأركان فى صدقاته ؟ أجل ... ولعلى أستطيع أن أفى ذلك بعض حقه فى فرصة أخرى

على حسين الوردى
بالجامعة الأمريكية
بيروت

(١) كتاب الخراج لأبى يوسف
(٢) الماوردي فى الأحكام السلطانية
(٣) الجامع الصغير فى الفقه لمحمد بن الحسن
(٤) « « « « « «
(٥) الماوردى فى الأحكام السلطانية
(٦) « « « «
(٧) الماوردى فى الأحكام السلطانية

على هامش النقد

كتب وشخصيات

للأستـــاذ سيد قطب

تمهيد :

أردت أن أجمع بين هـذه الكتب وهؤلاء الكتاب ؛ لا لأنها تتفق فى فكرة أو اتجاه ، ولا لأن بينهم — فى هذه الأيام — مصافاة أو مجافاة ! ... ولكن لأن كلاً منهم يجرى فى كتابه هذا على منهجه ويستخدم أفضل قواه

خطر لى مرة أن أكتب مقالاً أو مقالات تحت عنوان : « لا يعرفون أنفسهم ! » وفى مقدمة من كنت أعنيهم بهذا العنوان ثلاثة من الكتاب : طه حسين ، وتوفيق الحكيم ، وأحمد أمين !

من المبادئ الاقتصادية الأولية أن يستخدم الفرد أحسن مواهبه ؛ وهؤلاء الكتّاب لا يستخدمون أحسن مواهبهم فى كثير من الأحيان ، فلو كنت أملك الحجر على الناس فى بعض التصرفات ، لحجرت على هؤلاء الثلاثة فى بعض الاتجاهات ! تحقيقاً لهذه القاعدة الاقتصادية ، وتحقيقاً لمصلحتهم ومصلحة الأدب على السواء

فأما الدكتور طه حسين ، فهو لا يعرف نفسه حقاً حين يحاول أن ينشئ أدباً غير ذلك الاستعراض الحلو لخطرات النفس وخلجات الضمير ، وغير ذلك اللمس الخفيف الرفيق للانفعالات والوجدانات . الاستعراض هو فن طه حسين الأصيل الذى يجيده فى « الأيام » و « على هامش السيرة » و « مع أبى العلاء فى سجنه » ، ثم فى « دعاء الكروان » وفى « الحب الضائع » فى هذه الأيام

فأما حين يسرف فى استخدام مواهبه ، حين يستخدم مواهب الصف الثانى لديه ـ إذا استعرنا الاصطلاحات الحربية ـ فى مثل « الأدب الجاهلى » و « مع المتنبى » وفى نقد الكتب أو كتابة المقدمات ... فإنما يسرف على نفسه أولاً وعلى مواهبه ، ويسرف على الأدب ثانياً وعلى قرائه ، أولئك الذين يريدونه فى خير حالاته ؛ وإن لم يكن فى حالاته الأخرى من المتخلفين

وأما توفيق الحكيم فإنه لا يعرف نفسه أصلاً ، حين يحاول أن ينشئ أدباً غير القصة ، وغير الحوار بشكل خاص . الحوار هو فن توفيق الحكيم الأصيل ، فما هى إلا كلمة خاطفة من هنا وجملة عابرة من هناك حتى تستوى الفكرة التى يعالجها حية شاخصة ، أشبه شئ بالخطوط السريعة فى تحديد ملامح الوجوه

وقد اهتدى إلى أحسن مواهبه فى أهل الكهف وشهرزاد وبيجماليون فى ناحية ... وفى نهر الجنون » و « سر المنتحرة » و « الخروج من الجنة » فى ناحية أخرى ، على تفاوت فى الطاقة والاتجاه ...

فأما حين تسوّل له نفسه أو يسوّل له بعض الصحفيين أن يكتب أشياء مما يكتب فى شتى الصحف والمجلات ؛ وحتى حين يكتب قصصاً غير الحوار وغير معالجة مشكلة فكرية فى هذا الحوار ، فإنه يجنى على مواهبه ويجنى على قرائه على تفاوت الجناية فى هذين الاتجاهين ، ويستحق الحجر الذى يضرب على المسرفين فى الجهد أو فى المال !

وأما أحمد أمين فقد ظهر أول ما ظهر بكتابه « فجر الإسلام » ثم تابع السلسلة فى « ضحى الإسلام » بأجزائه الثلاثة ، فقلنا : رجل متزن يهتدى إلى خير مواهبه فيستخدمها أحسن استخدام .

ثم صدرت « الثقافة » فاستهوته المقالة ، وهنا خانه الاهتداء إلى أفضل ما فيه ، واستمرأ هذا الجهد الوقتى المتقطع فكثرت مقالاته ، وكثرت إذاعاته ، وجمع هذه المقالات فيما أسماه « فيض الخاطر » على ثلاثة أجزاء .

هذا « الفيض الخاطر » هو اللفتة الخاطئة فى حياة أحمد أمين الأدبية ، وهو الانحراف عن الطريق السوى الذى خلق له ، وهو التعطيل للوظيفة الأساسية التى انتدبته لها المكتبة العربية .

ولو أنه سار فى الطريق ، فوضع لنا — بدل الأجزاء الثلاثة من « فيض الخاطر » — ثلاث حلقات جديدة فى سلسلة تاريخ الأدب العربى ، ولو أنه تابع هذه السلسلة إلى عصر النهضة الحالية ، لأدى للمكتبة العربية أجل الخدمات .

ولكنه استهواء الصحافة ، وتوزيع الجهد ، والإسراف على النفس وعلى القراء !

* * *

فى الكتب الثلاثة أو الأربعة التى اخترت أن أجمع بينها فى هذا الحديث يهتدى مؤلفوها إلى أفضل مواهبهم ويستخدمونها على أفضل الوجوه . فكل منهم يجرى فى ميدانه الأصيل ، ويجرى على أصول الجرى فى هذا الميدان ؛ وهى — من هنا — تمثل أصحابها خير تمثيل ، وترسم مناهجهم فى الأداء وفى التفكير .

فأما العقاد فهو أبداً مهتد إلى مواهبه لم يضل فى تقدير واحدة منها ، وهى مواهب متنوعة ولكنها جميعاً أصيلة وتكاد أن تكون متكافئة ، فإذا شئنا الاختيار والمفاضلة ، فأفضلها فيما يبدو « دراسة الشخصيات »

وقد انساق العقاد منذ نشأته الأدبية تقريباً فى هذا السياق عامداً أو غير عامد ، فهو أكثر كتابنا المحدثين دراسة للشخصيات : الأدبية والفكرية والسياسية والإنسانية . كتب عن : المتنبى وابن الرومى وأبى العلاء وجيتى وتوماس هاردى وطاغور ، وكثيرين من أمثالهم قدامى ومحدثين . كما كتب عن : كانت ونيتشه وماكس نوردو وشوبنهور ، وكثيرين من أمثالهم . وكتب كذلك عن : هتلر ومصطفى كمال وسعد زغلول . وعن : محمد عبده وغاندى .

ثم ها هو ذا يكتب عن « محمد » كتابه الأخير

وليست كثرة الشخصيات التى كتب عنها « العقاد » هى التى تجعله دارس شخصيات ، فكثيراً ما يكتب الكاتبون عن عشرات الشخصيات ومئات الأعلام أوصافاً لهم وحوادث فى حياتهم ، ثم يخرج القارئ من هذا كله بأوصاف ومعلومات لا يتبين منها ملامح شخصية واحدة من هذه الشخصيات

إنما ميزة « العقاد » الفذة أنه مصور ملامح ، ومشخص هيئات ، وراسم صور حية من اللحم والدم والصفات والسمات والهواجس والأفكار ... لديه لكل شخصية يدرسها مفتاح يدير به اللولب ، فإذا أنت أمام هذه الشخصية ، وإذا أنت تملك هذا المفتاح ، وإذا أنت تستطيع تفسير الحوادث التى ألمت بحياة هذا الإنسان ، كما تملك تفسير استجاباته لهذه الحوادث

كل إنسان كتب عنه «العقاد» تستطيع أن تعرف « من هو » ، وإن لم تعرف كل ما وقع له من أحداث

تلك هى الموهبة المتفردة التى تجعل « العقاد » دارس شخصيات ، لأنه هو نفسه شخصية واضحة المعالم والسمات

وفى هذا الكتاب الأخير « عبقرية محمد » تتجلى هذه الموهبة على أتمها وأكملها ، وينضج نضجها واستواؤها على فصول الكتاب وجمله وفقراته . فهو من هذه الناحية أدل ما يكون على أكمل موهبة من مواهب « العقاد » . فأما تفصيل ذلك ، فعند الكلام عن الكتاب

وأما « بيجماليون » فيستوى فيه كذلك توفيق الحكيم على نهجه فى « أهل الكهف » و « شهر زاد » بعد ما بعد بنفسه طويلاً عن هذا النهج : حوار ، حول مشكلة من مشاكل الفكر الإنسانى . . . كم بلغ فى هذا الحوار من الإجادة ، كم خطا فيه إلى الأمام أو إلى الوراء ؟ هـذا ما يتبين فى الحديث الخاص عن هذا الكتاب

وأما « دعاء الكروان . وعلى هامش الحب » فجدولان جديدان فى إنتاج الدكتور طه حسين ، ولكنهما ينبعان من نفس المعين الذى نبعت منه « الأيام » . إلا أنهما مقدرة جديدة فى هذا الاتجاه . فقد كنت أعجب — ولكن لا أرى عجباً — فى أن يكتب الدكتور «الأيام» فيصور خلجات نفسه وهواجس ضميره ، ويتلمس وقائع حياته ويلم بحوادث أيامه . أما أن يصور خلجات نفس أخرى وهواجس ضمير آخر ، وأما أن تكون تلك النفس نفس امرأة ، وهـذا الضمير ضمير امرأة — بل امرأتين بل امرءات ! — وأما أن يطرد هـذا التصوير بنفس القوة والعذوبة والوضاحة التى فى « الأيام » ، فهذه هى المقدرة الجديدة التى سيبين عنها المقال

وأترك القارئ الآن وقد علم لماذا اخترت أن أجمع بين هذه الكتب وبين هؤلاء الأشخاص . وفى الأسبوع القادم سآخذ فى الحديث الموضوعى إن شاء الله

سيد قطب

دجـــلة يطغى

[بمناسبة فيضان دجلة هذا العام]

للأستـــاذ حامد مصطفى

أرأيت هذا الخلق العجيب الذى لم ينل منه مرّ الدهور ولا تقلب الحدثان . . . تمضى الحوادث وتتصرّم الأجيال ونحن نعتقد أن الإنسان إنما يجرى لأجل ويسعى إلى أمد، ولـكن كرّ الأيام واعتراض التجارب تـكاد تجعلنا نوقن بأن البشر إنسان واحد منذ وجد إلى أن تقوم قيامته ... وما هو ذلك الفارق بين إنسان اليوم وإنسان المـاضى وإنسان المستقبل ؟ ألسنا نوعاً واحداً ذا طبيعة واحدة وآمال متماثلة ؟ خلق متماسك الحلقات متصل الوجود يسعى بعضه إلى خير باقيه ؛ زرع أوله فحصد آخره، وبنى ماضيه فتوطن حاضره، وجرب سلفه فأفاد الخلف ؟

هذا دجلة يصخب ؛ يزخر عبابه، وتزُم أمواجه، ويصمّ هديره، يمر ببغداد اليوم وقد مرّ بها من قبل أيام الرشيد، واخترق دولة بابل وآشور، وجرى قبل ذلك كله فى أمم قد خلت لا يعلمهم إلا الله . فهل تغير الناس أم تغير دجلة ؟ وهل كانت مياهه فى تلك الأحقاب غيرها فى أيامنا هذه ... أم أن الناس اليوم هم غيرهم فى تلك الأيام ؟ ليس من البعيد أن يكون دجلةُ المـاضى دجلةَ الحاضر بمائه وهديره وطغيانه ؛ أما إنسان دجلة اليوم فلا يبعد أيضاً أن يكون هو إنسان دجلة الماضى . وما الذى يدرينا أن الحياة على وجه هذه الربوع لم تدُر وتتكرر كما دارت مياهها وتقلبت . ألم تسمع قول الماضين :

كالبحر يمطره السحاب وما له فضل عليه لأنه من مائه

وقولهم :

خفف الوطء ما أظن أديم الأ رض إلا من هـذه الأجساد

زُمّ يا دجلة بمائك واصخب وتهدّد فلن نفهم من لغتك حرفاً كما لم تفهم منها القرون الأولى شيئاً . الناس يحيون على شاطئيك ويمر بهم العيش ألواناً وأطواراً وهم لا يكادون يبدلون ولا يتبدلون : فظالم متمادٍ فى ظلمه، وضال متفانٍ فى ضلاله، وذو مال لم تشبعه الدنيا فتحيل لها شتى وجوه الحيل يبتغى الرفاه والمزيد، وشعوب رزحت فى أطواق الذل والجهل وناءت بأغلال الاستضعاف فلم تتململ فى أقفاص الهوان ... لقد خدع جمال الحياة ولذة الدنيا وركود النعمة أقواماً لو غالبتهم على المال ما غلبوا، أو جاريتهم على كسب الحطام ما وهنوا

لقد ثار ثائر دجلة اليوم كما ثار ثائره من قبل فأقضّ على الناس المضاجع وهلعت طوله قلوب أهل الريف ؛ أولئك يخشون على أنفسهم وأموالهم وأولادهم ، يخيل إليهم أن ما هم فيه من نعيم مقيم وعيش رغيد وآمال باسمة وحياة حالمة سيكون مآله مآل ثراء قارون ومدنية بابل . وأولاء يرون بين الأمواج القضاء النازل على ما بذروا وزرعوا وما أعدوا لنيل العيش وسد الجوع واتقاء الآفات . هذا شأن الناس على شاطىء دجلة والفرات وروافدها كل عام فى مثل هذه الأيام

لقد استطاع سكان العراق القدماء اتقاء هذا البلاء الذى تناهب نفوس المعاصرين ، فـكانوا ينامون آمنين مطمئنين لا يخافون على نفس ولا مال ، حتى لقد هزئوا بطغيان النهر ولم يقلبهم الصرّى[1] وكانت القنى تنهب الماء نهباً فتملأ به رحاب المزارق فتنقلب صحراؤه جناناً خضراً وحدائق غلباً . حتى لقد كان الطير ينتقل بين الرقة والأبلة قرب خليج البصرة فلا يجد إلا ظلاً ظليلاً وماء سلسبيلاً ، ويجرى الأرنب بين الأشجار فيستريح إلى جانب النهر ولا يقف به خببه حتى يدرك غايته لا يشتكى عناء ولا لغوباً ، ويجرى ساعى البريد بين بغداد والشآم لا يرى شمساً ولا زمهريراً . لقد كان (السواد) جنة الدنيا وقلب الأرض تجبى إليه ثمرات كل شىء ، وتجتمع فى سرته الدنيا ؛ كل ذلك بهذا الفضل من الماء الذى يهددنا فى هذا الشهر من كل عام ، والذى صرنا نخافه ونخشاه ونتقيه ولا نكاد نملك فى صده ودرء عاديته سوى جهد ضئيل لا يكاد يوازى جهد البغاث فى دفع الطير الـكاسر

يقولون إن فى الهند والصين أنهاراً يتقرب إليهـا الناس بالارتماء فى مياهها والغيبة بين أمواجها حتى لتتكاثر الجثث على شواطئها فما يزيد ذلك عابديها إلا رغبة فى إرضائها وتزاحماً على الموت فى أجوافها . وليس ذلك بالعجب الـكبير ؛ فإن القوم تمثلوا القوة فى أعظم شىء فى أعينهم فترضوه وخافوه وافتدوا منه الأجيال بعدد يسير من الضحايا ليس مصيرهم فى عقيدتهم إلا نعيماً مقيماً ؛ إنما العجب من قوم رقت عقائدهم ودقت أفهامهم ونضجت

(١) الصرى الماء يطول مكثه وفى لغة بغداد (النزيز)

معارفهم ثم هم يرون الخلود لأجسادهم ولا يرونه لأرواحهم ، فماتت قلوبهم وذلت نفوسهم . أما ماديتهم فهى وارفة وأجسامهم فهى ناضرة يصح فيهم قوله تعالى : « وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم) . أولئك تقربوا بالدنيا إلى الآخرة وبالأجسام إلى الأرواح ، وهؤلاء تقربوا إلى دنياهم بأخراهم وبأرواحهم إلى لذة أجسامهم فذلوا وأضاعوا الدنيا والآخرة ، وزهدوا فى الخير الدائم ونعيم الأجيال وحرية الأرواح ولم يروا شيئاً أن تكون لهم المادة ولا يكون لهم شىء من المعنى

لقد كان للناس عبرة فى مظاهر الطبيعة وتقلبات الحوادث، وكان لهم عظات تتكرر وتقسو فى التنبيه والإرشاد ، وكان للناس أجمعين فى كل ما يتقلبون فيه ويعانون تجارب يكفي أدناها لليقظة والاعتبار ... ولكن هيهات ، فإن الناس لا يفهمون من لغة الطبيعة وتضافر الآيات إلا عوارض لا رأى لها ولا غاية ؛ وما الشمس فى مجراها والقمر فى دورته والأرض فى حركتها وانسلاخ النهار من الليل وجرى الأنهار وهديل الأطيار إلا ألوان من اختلاف المادة ، واتصال الطبيعة لا شأن لها ولا غرض إلا خدمة الإنسان وتعرضها له بالمتعة والانتفاع ... وكأن الطبيعة أدركت من الإنسان ذلك الهزؤ وتلك المهانة فأخذت تتحداه وتتعرض له بالنكبات تلو النكبات وبالمصائب بعد أمثالها ؛ وكلما تقدم فى المعرفة والعمران وازداد غروره فى تملك ناصية الطبيعة والتمكن منها كانت هذه تجد الفلتات فتتسرب إليه من حيث اطمأن وتنوبه من حيث أمن ؛ فتجد المصنع يتفجر ، والمنجم يثور ، والسفينة لا تنقذها مهارة ربانها ، أو البركان يعصف بالأرض ومن عليها ، وربما لا تجد يوماً يمر دون أن تفلت الطبيعة من يد الإنسان فتبدد آماله وتبدل خططه .

لقد مرت على دجلة القرون والأحقاب وهو يجرى بمائه إلى البحر فياق فيه بالكنوز وبالقوة ، ولم يحظ أهله منه إلا بالنزر اليسير من الحظ الكبير حين كان الناس جهالاً وحين كانت الطبيعة أقوى من الإنسان . إن فى دجلة من الخير والقوة مالا ينضب معينه ولا تنفد مادته . ولقد قعد ابن دجلة يتمطى على جانبيه عصوراً طوالاً حتى أدركه هذا العصر عصر القوة والابتداع فوجده قاعداً وقد قام الناس، وفقيراً وقد استمتع بالثراء كل ذى نأمة .٠ أفلا تمتد الأيدى إلى مصدر الغنى وينبوع القوة فتجعل من الفقر غنى ومن الضعف قوة ؟... أفلا يجدر بنا أن نكف من غرب دجلة بالآلة ووسائل الإنتاج الحديثة بدل أن نتعهد شاطئيه كل عام بالأيدى والمساحى و « الهزات[1] » ثم نحن لا نصد من عادية النهر قليلاً ولا كثيراً ، ولا يعود علينا ذلك بإصلاح دائم ولا بتقوى شاملة ... ؟ ألم يأن للذين يخشون طغيان دجلة كل عام أن يفكروا بالانتفاع من طغيانه فيكون لهم مورد خيرات ونعمة وجاه بدل أن يهتموا موسم كل فيضان بكفكفة ضفتيه خوف البلاء واتقاء الغرق ؟ لقد ملأنا أنفسنا خوفاً من دجلة ورعباً من أمواجه ، فقد تواردت علينا السنون ونحن لا نفكر فى شىء من أمر الرافدين إلا أن نصد البلاء ونَدفع النكبة حتى خيل إلينا أن ليس فى النهرين إلا الشر ، وأنهما لا يحملان بين أمواجهما إلا الرعب ، حتى صار لفظ « الطغيان » فى أفهامنا مرادفاً للغرق . . . أنعجز ونحن فى العصر العشرين عما عجز عنه قدماؤنا قبل الأدهار البعيدة والأزمنة السحيقة ؟

تعاقب علينا يا دجلة بالطغيان بعد الطغيان، وخاطب المعاصرين كما خاطبت القدماء ؛ فإن الناس لا يفهمون لغة الأمواج ولا يعقلون نداء النذر ، ولن تزال شواطئك صحارى يابسة ومنازل خاوية حتى تستبدل بالمسحاة « الحراثة[2] » وبالهزة « الكراكة[3] » ، وحتى يكون الطغيان أملاً ورجاء ، لا خوفاً وبلاء .

حامد مصطفى
ليسانس فى الآداب وفى القانون

(١) هزة فى لغة العمال مقدار من التراب يأخذه العامل على ظهره بخرقة ثم يلقيه فى مكان آخر . (٢) الحراثة هى الآلة البخارية للحرث
(٣) الكراكة هى الآلة البخارية للحفر والنقل

٣٥ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الحادي عشر — « الخرافات »

يستعمل كثير من المصريين — والنساء غالباً — « الميعة المباركة » لإبطال الحسد . والميعة مزيج من عقاقير مختلفة ستذكر فيما بعد ، وتجهز وتباع في الأيام العشرة الأولى من شهر محرم فقط . وكثيراً ما نرى حينئذ بائعي الميعة يتجولون في شوارع القاهرة صائحين : « يا بركة عاشورا المبارك[1] ، أبرك الستين على المؤمنين ياميعة مباركة » ويحمل بائع الميعة فوق رأسه صينية مستديرة يغطيها بقصاصات من الورق المختلف الألوان ، ويضع عليها المزيج الثمين ؛ ويتوسط الصينية كوم كبير من تفل مادة قاتمة الحمرة تستعمل للصبغة ، وتمزج بقليل من الميعة والكزبرة ، والحبة السوداء[2] . ويحيط بالكوم الكبير أكوام أصغر ، أولها من الملح الملون الأزرق والنيلج ، وثانيها من الملح الملون الأحمر ، وثالثها من الملون الأصفر ، ورابعها من الشيح ، وخامسها من تراب اللبان . وتلك هي مواد الميعة المباركة . ويدعو المشترون عادة البائع داخل المنازل ، فيضع الصينية أمامه ، ويتناول صحناً أو قطعة ورق حيث يضع من الميعة بقدر رغبة المشتري . فيأخذ من كل صنف قليلاً ويضيف إليه مقداراً آخر المرة بعد المرة منشداً أثناء ذلك دوراً طويلاً يبدأ هكذا : « باسم الله وبالله ، ولا غالب إلا الله ، رب المشارق والمغارب ، كلنا عبيده ، يلزمنا توحيده ، وتوحيده جلاله » وبعد أن يثني على فضائل الملح يقول : «أرقيك من عين البنت، أحمى من الخشب، ومن عين المره ، أحمى من الشرشرة، ومن عين الولد ، أحمى من الزرد ، ومن عين الراجل، أحد من المناجل . . . الخ » ثم يروي كيف أبطل سليمان حسد العين ، ويعدد بعد ذلك الأمتعة التي لا يخلو منها المنزل على الأرجح فيرقيها جميعاً من الحسد . وأكثر عبارات هذه الرقية مضحكة جداً، إذ هي ألفاظ أدخلت للسجع فقط . ويحتفظ المشتري بالميعة المباركة التي تباع الحفنة منها بخمسة فضة طول العام التالي فيحرق قليلاً منها كلما خشي حسد العين بحيث يتصاعد الدخان إلى المحسود

جرت العادة عند طبقات القاهرة العليا والوسطى أن يعلقوا في احتفالهم بالعرس القناديل في الطريق أمام منزل العريس، وكثيراً ما يحتشد الجمهور حول قنديل كبير جميل لمشاهدته، فالعادة حينئذ أن يلهوا الشاهدين بكسر جرة كبيرة، أو بحيلة أخرى حتى لا تسبب عين حاسد سقوط القنديل . وكثيراً ما تحدث حوادث تؤيد إيمان المصريين بخرافاتهم المتعلقة بالحسد . ومثل ذلك ما رواه صديق لي : من مدة قصيرة رأى جملاً يحمل جرتي زيت كبيرتين فصاحت امرأة أمام الجمل : يا سلام ! يا لهما من جرتين عظيمتين ! ولم يقل الجمال : صلى على النبي ؛ فلم يلبث الجمل أن سقط وكسرت رجله وكسرت الجرتان . وقد أخبرني أحد أصدقائي القاهريين بشكوى أسردها هنا توضيحاً لما قررت . قال صديق : « لما عدل الباشا عن احتكار بيع اللحم منذ أيام أصبح الجزارون يذبحون الحيوانات ويبيعونها في حوانيتهم . ومن المزعج تماماً أن ترى الخروف الجميل معلقاً أمام عين الجمهور كاملاً بذيله[1] وأعضائها فيشتهيها كل سائل يمر بجانبها فكأنما يتناول المرء سماً » وقد شكا إليّ طاهٍ الشكوى نفسها فكان يفضل أن يكلف نفسه مشقة الذهاب إلى دكان جزار لا يعرض اللحم على أنظار المارة ولو كان بعيداً .

يضع الكثير من تجار العاصمة وغيرها من المدن المصرية على واجهة حوانيتهم ورقة كتب عليها اسم الله أو اسم الرسول أو الإسمان معاً أو الشهادة أو البسملة أو حديث نبوي أو آية قرآنية مثل : إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً (سورة الفتح الآية الأولى) نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين (سورة الصف آية ١٣) أو ابتهال إلى الله مثل « يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم » . وكثيراً ما ينطق التاجر بهذا الابتهال عند ما يشرع في فتح حانوته صباحاً، وكذلك الباعة المتجولون كبائعي السلع الصغيرة والخبز والخضر الخ . عند ما يخرجون لجولاتهم اليومية . والعادة أيضاً أن يضع الرجل من الطبقة السفلى أول نقد يتناوله على شفته وجبهته ثم في جيبه

وكثيراً ما نرى في القاهرة غير الكتابات التي تعلق على الحوانيت هذا الدعاء « يا ألله » ينقش على أبواب الدور الخاصة والعبارتين : «الخلاق العظيم هو الباقي» أو «هو الخلاق العظيم الباقي

(١) هذا هو اسم اليوم العاشر من محرم (٢) أو حبة البركة

(١) يعتبر دهن الذيل لذيذاً

ترسمان بأحرف كبيرة على الباب لحرز وتذكرة لرب الدار أنه بشر يتوفاه الله[1] وكثيراً ما تكتب هذه الكلمات على باب الدار إذا كان صاحبه السابق أو أغلب سكانه السابقين أو جميعهم قد توفوا

إن أفضل الوسائل لإبعاد العلل والأمراض كتابة آيات من القرآن[2] في وعاء من الفخار يصب فيه قليل من الماء . ويرج حتى تزول الكتابة ثم يشرب المريض الماء المنقوع فيه هذا الكلام المقدس وهو ما يلي : ويشف صدور قوم مؤمنين (سورة التوبة آية ١٤) . يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور (سورة يونس آية ٥٧) . فيه شفاء للناس (سورة النحل آية ٦٩) . وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين (سورة الإسراء آية ٨٢) . فإذا مرضت فهو يشفيني (سورة الشعراء آية ٨٠) . قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء (سورة فصلت آية ٤٤). ومن هذه الآيات أربع لا تشير إلى أمراض الجسم وإن استعملت لذلك ، بل تشير إلى أمراض العقل . وتشير الآية الثالثة إلى فضائل العسل . وقد سألت شيخي أن يبين لي موضع هذه الآيات من القرآن فرجاني عندئذ ألا أترجمها بلغتي لأن ترجمة القرآن بغير ذكر النص الأصلي محرمة ، لا لأنه خجل من جريان العادة باستعمال هذا الكلام طلسماً فكره أن يعرف مواطني ذلك . وقد أوضح لي اعتقاده التام في تأثير هذه الآيات حتى على المريض الكافر وأظهر ثقته التامة بقوتها . وقال ملاحظاً : « إن الرسول (صلعم) قال : لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً » . وقد هدأت وسواسه في ذلك بإخباره أن للقرآن ترجمة انجليزية

ويعطى للمريض أحياناً لشفاء الأمراض وإزالة أثر السموم جرعة ماء في طاس معدني نقش بداخله آيات قرآنية ورسوم وأشكال طلسمية . وقد أهدى إلي أخيراً في القاهرة طاسة مثل هذه أعجب بها أصدقائي المسلمون كثيراً . وينقش أيضاً خارج الطاسة كتابات تمدد فضائلها ، وتشير إلى خواصها من إبطال السموم والحسد وشفاء الأمراض والعلل والموت . وقد رأيت هنا طاسة أخرى كالسابق وصفها تماماً ، غير أن نقوشها زالت قليلاً . ويعتقد أن أسرار القرآن كثيرة جداً . وفي ذات يوم رفضت أن أتناول طعاماً خشية الضرر فنصحني بقراءة سورة قريش إلى آخر « الذي أطعمهم من جوع » وأن أردد هذه العبارة الأخيرة ثلاث مرات . وقد جزم لي أن في هذا وقاية أكيدة من كل سوء أخشاه

عدلي طاهر نور

(١) أنظر الباب المنقوش في مقدمة الكتاب (٢) وتسمى آيات الشفاء

مراسلات . . .

الإصلاح

ما من رئيس أو وزير أو حاكم أو مدير في هذا البلد إلا وهو يتغنى بأنشودة « الإصلاح » ، ويضرب على وتيرته ، ويومض للناس ببريقه الخلب ، ويلمهم حواليه باسمه الجذاب ... ولكن دعوات « الإصلاح » تبدأ عندنا بداءة سارة ، ثم تنتهي إلى نهاية محزنة : تبدأ عالية مدوية يرتج لها الوادي من بطاحه وربانه ، ثم لا تلبث أن يأخذها الضعف شيئاً بعد شيء ، حتى تعود همسات خافتة لا تكاد تسمعها الآذان ، ثم تسكت بعد قليل سكتة الموت !

ولو أن امرأ عني بعرض ما ينشر في الصحف عن الإصلاح منذ النهضة الوطنية إلى اليوم ، ولا سيما إبان تغيير الوزارات ، وتقليد الرياسات ، وافتتاح المجالس ، وتأليف اللجان ؛ لرأى في الخطب الطنانة ، والأحاديث الرنانة ، والمذكرات المحبرة ، وعوداً بالعمل تتلوها وعود ، وبشارات بالإصلاح تردفها بشارات ... ولكن أعمار الرياسات المختلفة تنقضي — طال بها الزمان أو قصر — وشيء من ذلك لم يتحقق ، ثم تتبدل الرجال غير الرجال ، والمهود غير المهود ، فيعود الناس كرة أخرى إلى الخطب والوعود !

أين « المصلح » الصادق الذي يخلص لفكرة « الإصلاح » أكثر مما يخلص لشيء سواها ؟ إن الرجل ليضع بنفسه خطة النهوض ، ويرفع بيمينه شعلة التجديد ، حتى إذا اجتذب بها القلوب ، ووجه إليها النفوس ، ونال منها ما يصبو إليه من عرض هذا الأدنى ، تركها في مهب العواصف الجامحة من رغبات أو شهوات ، تتولاها شياطين الإفساد ، وهو عنها نائم .. ولعمري لو مس هذا « المصلح » في شخصه من قريب أو من بعيد ، لثار لنفسه ما لم يثر لفكرته ، ثم لثار له عشرات من أوليائه ومن خادميه لا يسألونه : لم ثار ؟

محمد محمد المدني



الصفاء بين الأدباء

صديقى الزيات

حتى أنت قد خاب أملى فيك ! أنا الذى دعا إلى « الصفاء بين الأدباء » كما رأيت ، وبذلت فى ذلك ما بذلت ، ورددت الحقوق إلى أصحابها ، وأديت الواجبات على تمامها ، وأزلت من النفس أسباب الكدر ، وطهرت القلم من أدران الشر ؛ فإذا كل هذا يسفر عن كلمة سمحتَ أنتَ بنشرها فى العدد الأخير من (الرسالة) كلها إيذاء لشخصى دون مبرر ، كلمة لم تدع إليها مساجلة أدبية ، ولم ينتفع بها الأدب والفكر ؛ لكن دعت إليها شهوة الهجوم والتجريح لمجرد الزهو والخيلاء بالهجوم علىَّ وتجريحى . ولعل السبب الوحيد فى ذلك أنى رجل هادئ الطبع كما تعرف ، نزّاع إلى الخير ، ينزه القلم عن أن يستخدم هراوة للبطش ... وكنت أحسب الشجاعة الحقيقية هى فى احترام أصحاب هذه المبادئ والنزعات ؛ ولكن صدمنى حقًا ما رأيت من أن الأدباء فى مصر — مع الأسف — لا يحسبون حساباً لغير الكاتب الذى يبرز مخالبه ، ويكشر عن أنيابه ، ويتهيأ دائماً للوثوب ... أنا الذى أراد من الأدب أن يكون حديقة غنّاء سياجها « الصفاء » ، إذا بى أراه حرشاً من الأحراش المأهولة بالضوارى ... ما هى فى واقع الأمر رسالة الأدب إلى البشر ؟ أهى شىء آخر غير ترويض كواسر الناس وإفهامهم أنهم أرق من الحيوان ؟ إن الأدب الرفيع هو الذى يثير المشاعر الرفيعة ، بما فيها من حق وحب وخير وجمال ... وإن الأدب الوضيع هو الذى يهيّج فينا الغرائز الحيوانية بشهواتها للفتك والبطش والعدوان ... كنت أظن — يا صديق الزيات — أن تلك هى رسالتك ، وأن عملك فى مجلتك هو توجيه الأدب إلى هذه الغاية الفضلى ، حتى ينشأ جيل سليم فاضل يرى الأدب على حقيقته : جنة سامية طاهرة ، لا مكان فيها لمن يبطش بالقلم ، ولكنها مكان من يعلّم بالقلم ، يعلّم الإنسان ما لم يعلم ... !

خاب أملى فيك — أيها الصديق — لا لأنى متألم من كلمة نابية نشرت ، فما أكثر السهام التى يرشقنى بها الناس فى كل ظرف ومناسبة ! فما من أحد مثلى يؤذى كل يوم ويشوه عمله وقصده وفكره تشويهاً بما يكتب عنه وما يوضع على لسانه وضعاً . ومع ذلك فأنا أمام كل هذا من أكثر الكتّاب احتمالاً وأقلهم احتفالاً ، ولعلى من أشد الناس رسوخاً فى عقيدتى : « لا ينبغى للأديب الفاضل على أى حال مقابلة القبيح بالقبيح ، بل يجب عليه المضى قدماً فى سبيل نثر الجميل النبيل من المشاعر فى كل القلوب ! » ... إنما الذى خيَّب أملى فيك هو أنى رأيتك قد حدت قليلاً عن رسالتك فى (الرسالة) ، وفى هذا خطر على شرف الغاية التى عاهدت نفسك والناس عليها ... قد أغتفر لك أهدارك حق الصداقة والزمالة ؛ أما هذه ، فلا ... هنا ونفترق ... وليكن اليوم آخر عهدى بك و (بالرسالة) والأدباء ... لن أكتب شيئاً لك ، ولن أذكر بعد اليوم أديباً بخير ولا بشر ... سأصمت عن أشخاصهم صمت القبر ، لأنصرف إلى الإنتاج وحده من حيث هو إنتاج ، ماضياً فى إصدار كتبى لقرائى الأوفياء ... فلا حلم فى صفاء ، ولا أمل فى مودة بين أدباء . على أنى قبل ذلك أحب أن أنوه بحق لك عندى وفضل لا أود أن أنساه : لست أعنى الآن فضل (الرسالة) المعروف فى شهرتى الأدبية ، بل فضلاً آخر لعلك تجهله أنت حتى الساعة : أتذكر يوم أعلنت إلىَّ عزمك على إصدار مجلة (الرواية) واعتمادك علىَّ فيها كل الاعتماد ؟ لقد كنت أنت الذى اقترح علىَّ فكرة تدوين ذكرياتى المنسية عن عهد اشتغالى بالقضاء ، فخرج كتاب « يوميات نائب فى الأرياف » . ربما لولاك ما اتجه ذهنى إلى هذا الأمر ، ولضاعت إلى الأبد معالم تلك الأيام ... أسجل لك مع الشكر هذا الصنيع ، وليشكرك عليه كل من أحب هذا الأثر ، واستودعك الله ...

توفيق الحكيم

(الرسالة) : جوابنا عن رسالة الصديق العزيز فى العدد القادم

التاريخ وشعر الملوك

لم يأت الأستاذ الفاضل عبد الله مخلص بما ينفى الشك فيما يتعلق بشعر السلطان سليم ؛ وقد اتضح الآن أن بيتى المعرى

(الملك لله من يظفر بنيل غنى ... الخ) منسوبان خطأ إلى السلطان سليم فى الكتب الأربعة التالية :

١ — الإعلام لقطب الدين الحنفى
٢ — أخبار الدول للقرمانى
٣ — أخبار الأول للاسحاقي
٤ — أوراق پريشان لنامق كمال

فهل لنا أن نثق الآن بهذه المصادر بعد أن وقعت جميعها فى هذا الخطأ البيّن ؛ ودلت على أنها تتوارث الأغلاط كما يتوارث الناس المرض الدسيس ؟ ...

هذا شيء ... والشيء الآخر أن هذه الأبيات الغزلية تتردّد فى نسبتها بين السلطانين : أحمد وسليم تبعاً لاضطراب الروايات واختلافها ؛ ثم هى مسروقة — أو جزء منها على الأقل — من أبيات للملك الصالح طلائع بين رزيك ، كما يشير إلى ذلك مقال الأستاذ ... فأى هذه الأقاويل أولى منا بالتصديق ؟ بل أيها أبعد عن تهمة الكذب والتلبيس ؟ !

... أخيراً يجيبنى الأستاذ عن مسألة التخميس بقوله :

« جواب هذا السؤال وارد فى المخطوط من أنها للسلطان أحمد فيكون هو نفسه قد خمسها بعد ما زاد عليها تلك الأبيات ، وبينها أبيات الملك الصالح الثلاثة » وأنا ما علمت قبل اليوم أن شاعراً يخمس لنفسه شعراً !

والأبيات بعد كل هذا ليست مما يستحق طول النقاش أو دقة التحرى ؛ فلا هى من جيد الشعر ولا من متوسطه ، وإنما هى إلى التكلّف أقرب وفى باب المصنوع أدخل . وإذا كان لنا أن نخرج بثمرة من كل ذلك ، فلتكن هذه الثمرة فى اعترافنا بأن كتبَ التاريخ القديمةَ عندنا فى حاجة إلى تحليل دقيق وتمحيص وافٍ نتميز بهما غثها من سمينها ؛ وإلا فالكفُّ عن قراءتها وتركُ الاعتماد عليها أولى وأحرى ...

ولنشكر أستاذنا الفاضل عبد الله مخلص الذى أتاح لنا ببحثه القيم ، أن نسوق مثلَ هذه الكلمة الصريحة .

(جرجا) محمود عزت عرفه

١ — حول لبس القبعة ، نصوص نواقصها

قرأت الفتوى التى نشرها الأستاذ المدنى فى العدد ٤٦٧ من مجلة الرسالة ، فرأيت أن أذكر القارئ بما أورده الإمام البيضاوى فى تفسيره : « وإنما عد لبس الغيار — أى الشنار — وشد الزنار ونحوهما كفراً لأنها تدل على التكذيب ، فان من صدق الرسول صلى الله عليه وسلم لا يجترئ عليها ظاهراً ، لا لأنها كفر فى أنفسها) اهـ . وبما قاله العلامة السعد فى شرح المقاصد :

« لو كان الإيمان هو التصديق لكان كل مصدق بشيء مؤمناً ، وعلى تقدير التقييد بالأمور المخصوصة لزم ألا يكون بغض النبي صلي الله عليه وسلم وإلقاء المصحف فى القاذورات وسجدة الصنم ونحو ذلك كفراً ما دام تصديق القلب بجميع ما جاء به النبي عليه السلام باقياً ، واللازم منتفٍ قطعاً . وأجيب بأن من المعاصى ما جعله الشارع إمارة عدم التصديق تنصيصاً عليه أو على دليله ، والأمور المذكورة من هذا القبيل ، بخلاف مثل الزنا وشرب الخمر من غير استحلال » اهـ

وحديث « من تشبه بقوم فهو منهم » قال الحافظ بن تيمية من كلامه فيه فى كتاب اقتضاء السراط المستقيم : « وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضى تحريم التشبه بهم ، وإن كان ظاهره يقتضى كفر المتشبه بهم » اهـ . ووقع خطأ فى سنده بتصحيف « أبى منيب » إلى « أبى جنيب »

٢ — ابن بندار

قرأت قطعة من أوائل كتاب المعرب للجواليقى فرأيت مصححه الأستاذ أحمد شاكر يقول فى ترجمة المؤلف ص ٢٨ — ٢٩ : « وقد حدث الجواليقى فى المعرب عن شيخين لم أعرفهما : أحدهما ابن بندار . والثانى عبد الرحمن بن أحمد ، روى عنه عن الحسن بن على ... وشيخه « الحسن بن على » هو أبو محمد الجوهرى الشيرازى مات سنة ٤٥٤ »

أقول : أما ابن بندار فهو أبو المعالى ثابت بن بندار المعروف بابن الحمامي ولد سنة ٤١٦ وسمع أبا الحسن بن رزمة وأبا بكر بن البرقانى وأبا على بن شاذان فى خلق كثير . قال ابن الجوزى : حدثنا عنه أشياخنا . توفى سنة ٤٩٨

وأما الثانى فهو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف ، سمع ابن المذهب والبرمكى وغيرهما وكان ثقة .. قال ابن الجوزى : حدثنا عنه أشياخنا . توفى سنة ٥١١

أحمد صفوان

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٣ مايو سنة ١٩٤٢ فى القضية رقم ٧٨٦ سنة ٩٤٢ ضد فاطمه فرج زايد فلاحة من عزبة راغب تبع الدفراوى مركز شبراخيت بتغريمها ١٠٠ قرش والنشر على مصاريفها لبيعها ذرة بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة



مرسى مطروح فى شتاء عام ١٩٣٨

عاصـــــفة ...

للأســـتاذ فؤاد البهى السيد

يوم عاصف ...

وسماء مُربدة سوداء ...

وريحٌ مجنونة هوجاء ، تضج وتصخب فى عنف وقوة ، فتكاد تجتث الأشجار والأحياء ...

وبحر ثائر ، وأمواج مزبدة غاضبة ، كأنما يعول فيها ألف مارد وشيطان .

تباً لهذه الصحراء من حرباء ...

وبغضاً لهذا البحر من منافق ...

لطالما كنت أحب هدوءها ، وأنعم بالسكينة فى جوارها ، ولم أك أدرى أنّ وراء هذا الهدوء كل هذه البراكين التى تقذف بالحمم واللهب ، ولم أك أعلم أن وراء هذه السكينة كل هذه الزلازل التى تحطم وتخرب . إنها الطبيعة انطلقت سافرة ، ونضت عنها قناعها ، وبان منها الناب والظفر ...

أويت إلى دارى ، وأوصدت علىّ أبوابها ووقفت وراء زجاج النافذة أشهد عراك العناصر وانطلاقها ، فإذا السماء ترجمنى ببرد كالصخر ، وإذا الزجاج يتحطم عن يمينى وعن شمالى ، وتتناثر شظاياه وتملأ أرض القاعة ، وكأنما ساء الطبيعة أن ترانى أتأمل وجهها الناضب ، والغضب يمسخ الوجوه ، ويضفى عليها ألواناً بغيضة ، وهى لا تحب للانسان أن يرى سوأتها وقبحها .

صافح سمعى قرع خفيف على باب الدار فقلت لنفسى وأنا أشعل لفافتى ، وأتأمل لهب الثقاب حتى لكأنما عزّ علىّ أن تخلو هذه الثورة كلها من لهب ونار ؟!

— ما خطب هذه الرياح التى ما تفتأ ترجمنى ، فما أنا بإبليس ، وما دارى بالعقبة وما تلك بشهور الحج ... وما ...

وعاد القرع قوياً شديداً ، فهبطت لأستقبل طريد العاصفة ، فإذا هو زنجى عملاق ، ابتلت منه الثياب ، واصطكت منه الأسنان ، وامتدت منه اليدان ترجوان مأوى وملجأ ، قلت فى حيرة :

— تفضل

قال وهو يوصد الباب وراءه :

— شكراً

قلت أحاوره :

— ما دفعك على السير والعاصفة فى نشوتها سكرى تحطم وتخرب ؟

قال :

— إنما كنت فى طريقى إلى دار مولاى السيد السنوسى

. . . .

السنوسيون

إنى أعرفهم وإن لم أكن قد رأيتهم بعد ...

عرفتهم فى مجدهم وإيمانهم وسحرهم الذى يسطو على هذه الصحراء ، فإذا كل ضارب فى أرجائها ودروبها ، وكل سار فى لياليها وأمسياتها صديق لهم أو رفيق أو تابع

عرفتهم من هذه الصورة الحلوة التى رسمها لهم رحالتنا الكبير أحمد باشا حسنين « فى صحراء ليبيا »

وعرفتهم مما كتبته عنهم « روزيتا فوربس » فى مغامراتها فى الصحراء الغربية مع رحالتنا ، حينما ضلا طريقهما وظلا بين الحياة والموت أياماً كانا فيها كالمشرف على هاوية ، يروعه عمقها وترعبه ظلمتها ، وهو على حافتها ، يهتز ويتأرجح فى فزع مميت ، ولقد نجت ونجا صاحبها ، وأهدت كتابها إليه

وعرفتهم من أحاديث رفاق عنهم بعد أن تركوا ديارهم ، واحتموا بمرسى مطروح من عذاب الاستعمار وشره

وعرفتهم مما كتبت عنهم الصحف فى قتالهم للمغتصب الفاتك

وعرفتهم فى احتمالهم الأذى ، واصطبارهم عليه وتجملهم له

وعرفتهم بعد ذلك ، ولقيتهم وصحبتهم طويلاً ...

. . . .

صاح رفيقى وكأنما هو يقرأ كل ما يدور بخلدى :

— أتعرفهم

فابتسمت له وأنا أقول :

أأنت تعرفهم . أعنى أصحبتهم طويلاً ؟!

فنظر إلى وهو يقول :

— أأعرفهم ؟!

ثم ابتسم الرجل ابتسامة حزينة واستطرد قائلاً :

— لقد ولدتنى أمى فى دارهم ، وعشت صباى وشبابى فى واحتهم الكفرة ، ثم رحلت عنها فيمن رحل لا ظاعنا لأعود ولكن طريداً فقد الدار والأهل ، والله وحده يعلم ماذا حل بالأم والزوجة والأطفال من بعدى . لقد أسرعت إلى بعيرى ورمحى ، لكن ماذا يجدى البعير والرمح والرفاق من حولى يموتون من حيث أرى ولا أرى ، ولقيت ابنى الصغير يهيم على وجهه باكياً صارخاً فمددت له يدى وأردفته ورائى وأسرع بى البعير يعدو ، وأحسست بالطفل يسقط فأمسكته من رجله وظل معلقاً هكذا ساعة أو بعض ساعة ، وأنا أعدو به وهو يبكى ، وأنا لا أكاد أسمع صراخه وبكاءه وسط هذا الصخب وتلك الضجة

ثم صمت الرجل ودوى صوت الرعد رهيباً قاسياً ، وثارت الطبيعة من حوله ومن حولى ، وعلا صوت ارتطام الأبواب والنوافذ ودقات قطرات المطر المتلاحقة السريعة على الزجاج ...

واستطرد يقول وكأنما هذه الطبيعة الغاضبة لا تعنيه :

— وأفقت لنفسى على تأرجح البعير وهو يمشى الهوينا ، وقد صمت الأصوات من حولى ، وابتلعت الصحراء صوت كل صارخ فيها وهاتف ، ونظرت لطفلى فإذا هو ثابت الأحداق ، وأحسست ببرودة بدنه كبرودة البئر فى ليالى الشتاء ، فاحتضنته وأنا أبكى بكاء لم أبكه من قبل ، وسار بى البعير فى دروب لا أعلمها ، وضللت فى الصحراء طويلاً ، ونفق البعير ، ودفنته مع الطفل وسرت وحدى كمخلوق معتسف ضال يهيم على وجهه ظامئاً ككلب يلهث ...

وصمت الرجل ولعله كان يجاهد عبرة تتألق فى محجريه ، وتنهدت وأنا أقول له :

— ما اسمك ؟ ... قال :

— فرحات ... فرحات يا سيدى ، وإن كنت لم أنعم بهذه الفرحة التى وسمونى بها قط ! ... ولعلهم كانوا يتشاءمون من مصيرى فسمونى بهذا الاسم ، كما يسمون اللديغ سليما وهو يعانى نفثة الأفعى أو سم العقرب

....

وفى الصباح علمت بما فعل السيل ودمر

فلقد صعق رجل وجمل بالجبل !

واجتاحت السيول سيارة براكبها فأغرقته وهو فى طريقه من السلوم إلى مرسى مطروح

وبعد أيام زارنى فرحات ، وتوثقت بيننا الألفة وظل عاماً معى ولم أك أدرى أن هذا العملاق الكبير يحمل بين جنبيه هذا القلب المطوف الحنون ... لقد كان وديعاً كحمل طاهر برىء !

ما أظن يا فرحات أنى سألقاك وقد نأت بنا الديار

من يدرى ؟

أتهيم الآن فى صحرائك ضالاً معتسفاً ؟ أم عدت إلى واحتك ؟ أم فاضت روحك ... ؟

الله وحده يعرف أين ألقت بك العاصفة ... ... ؟ !

فؤاد البهى السيد

حكم بجلسة ٤ مارس سنة ٩٤٢ فى الجنحة ٢٦٩ سنة ٩٤٢ عسكرية المنيا بتغريم على على محمود بالقيس ٣٠٠ قرشاً وغلق محله لمدة ثلاثة أيام لبيعه لحماً بأزيد من التسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٨ ابريل سنة ٩٤٢ فى القضية رقم ٦٧١ سنة ٩٤٢ ضد على رزق الهلب بقال بدمنهور بتغريمه ٢٠٠ قرش وغلق المحل لمدة يومين والنشر على مصاريفه لبيعه ذرة بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٢ ابريل سنة ١٩٤٢ فى القضية رقم ٢٧٦ سنة ١٩٤٢ ضد محمد مرسى الرومى تاجر غلال بالمحمودية بتغريمه ٢٠٠ قرش وغلق المحل لمدة يومين والنشر على مصاريفه لعرضه للبيع قمحاً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٢ ابريل سنة ١٩٤٢ فى القضية رقم ٢٦٠ سنة ١٩٤٢ ضد عبد الغنى عبد الله عميرة تاجر بشبراخيت بتغريمه ١٠٠ قرش وغلق المحل لمدة يومين والنشر على مصاريفه لعرضه للبيع عدساً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٠ ابريل سنة ١٩٤٢ فى القضية رقم ٧٥٣ سنة ١٩٤٢ ضد ابراهيم أحمد موسى تاجر منى فاتورة بدمنهور بالحبس خمسة عشر يوماً مع الشغل والنفاذ والنشر على مصاريفه لبيعه قماشا بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

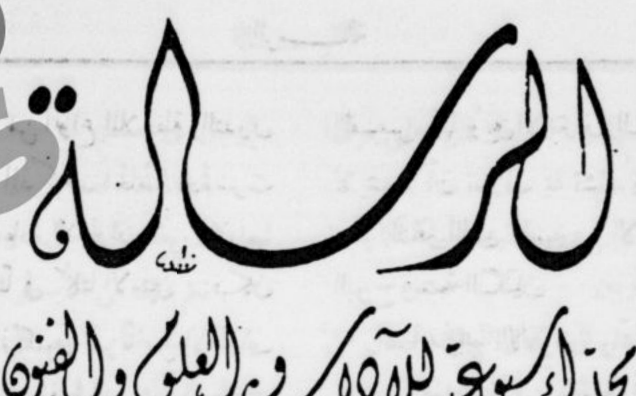


10me Année No. 469

Lundi - 29 - 6 - 1942

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique



العــدد ٤٦٩ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٩ يونية سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

الحب الضــــائع (*)

للأستاذ عباس محمود العقاد

تكلم سان بيف — إن صدقتنى الذاكرة — على أدب المذكرات الخاصة الذى شاع بين القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر فى طائفة المثقفين والمثقفات من أهل فرنسا فعلل شيوع هذا الأدب بحب الظهور أو حب التحدث عن النفس والمكوف عليها . وقال ما فحواه : إننا نحن الفرنسيين نحب أن يتحدث عنا الناس وأن نتحدث عن أنفسنا . فإن عز علينا ذلك فى المحافل والأندية خلونا إلى أنفسنا فكتبنا عنها فى مذكراتنا الخاصة وجعلنا من سيرتنا موضوعاً يشغلنا كأننا أبطال المسرح ونظارته فى وقت واحد . وهذا هو عنده — إن صدقتنى الذاكرة مرة أخرى — تعليل أدب المذكرات الذى شاع قبيل عصره بين الفرنسيين والفرنسيات

وصاحب هذا التعليل لم يوفِّ السبب الصحيح كل التوفية فيما نراه

فإن المذكرات الخاصة لم تشع بين الفرنسيين وحدهم فى تلك الفترة ، ولكنها شاعت كذلك بين الإنجليز وبدأت عندهم على الأرجح قبل ابتدائها عند الفرنسيين . فأثرت عنهم اليوميات من أوائل القرن السادس عشر إلى أيام الثورة الفرنسية ، وكانت لهم

(*) رواية جديدة للدكتور طه حسين بك

فيها أفانين لا تنحصر فى نوع واحد من أنواع الملاحظة والتدوين

والأغلب فى اعتقادنا أن كتابة المذكرات الخاصة عادة سرت إلى أبناء فرنسا وانجلترا مماً من عادة الاعتراف التى دان بها التابعون للكنيسة الكاثوليكية زمناً فى كلتا الأمتين . فكان إفضاء الكاتب بأسراره إلى دفتره المكنون ضرباً من الاعتراف بين يدى الكاهن بالخطايا والذنوب وخفايا النيات ، وأصبحت كتابة المذكرات هى باب الاعتراف الوحيد الذى ظل مفتوحاً لمن تحولوا عن الكنيسة الكاثوليكية وعدلوا عن الاعتراف بين أيدى الكهان

وربما أضيفت إلى هذا السبب أسبابٌ أخرى نفسية كمزاج البوح والمكاشفة الذى يطبع عليه بعض الناس ، وأسباب أخرى سياسية واجتماعية كاضطرام الفتن واختلاف العادات ، وصعوبة المفاتحة بالأسرار بين أناس متداورين مستريبين فيما يضمر كل منهم من العقائد والميول

والدكتور طه حسين قد جمع بين حسن الإلهام وحسن التعليل حين عرض لهذا الأمر فى الصفحات الأولى من روايته الجديدة « الحب الضائع » فقص لنا قصة الفتاة التى انتقلت من الاعتراف للقسيس إلى الاعتراف للدفتر وقال لنا بلسانها : « إنى لأفكر فى هذا فأذكر مواقف وقفتها فى عهد الطفولة ولا أزال أقفها إلى الآن وقد كدت أبلغ العشرين من العمر . وهى مواقفى من القسيس ... »

إلى أن تقول : « ... فأخترع الخطايا اختراعاً وألقيها إلى القسيس متكلفة غالية فى التكلف . فيقبل القسيس منى حيناً ويرفض حيناً آخر . حتى انتهى به الأمر ذات يوم إلى أن كلفنى أن أعترف له بكل ما أثقلت به نفسى من هذه الأكاذيب والأباطيل ونبهنى إلى أن الكذب عليه كذبٌ على الله ، وإلى أن هذه الخطيئة الساذجة فى ظاهر الأمر قد تستحيل إلى خطيئة مهلكة لأنها تعودنى الكذب ، وتغرينى بالتكلف ، وتدفعنى إلى النفاق ، وتنشئ بينى وبين الآثام صلات قد تنتهى بى إلى الشر . فأقلعت منذ ذلك اليوم عن انتحال الخطايا وتكلف الآثام للقسيس ، ولكنى ألاحظ الآن أنى قد جلست إلى هذا الدفتر لأنتحل الأحاديث وأتكلف الأسرار وما فى نفسى من حديث وما لضميرى من سر ... »

فها هنا طفلة أحبت الاعتراف لأنها أحبت أن تتشبه بالفتيات الناميات ولو فى انتحال الخطايا واختلاق الذنوب ، ثم حال القسيس بينها وبين الاعتراف الكاذب فرجعت إلى قسيس صامت لا يمنعها أن تعترف بما تشاء ولو لم تكن فيه مدعاة اعتراف ، وهو الدفتر الذى تطويه عن الانتظار وتجد عنده مزيجاً من متعة البوح ومتعة الكتمان

هذا مزاج الاعتراف واتخاذ الدفاتر الخاصة مماً قد مثل لنا على صورته الجلية الصادقة فى أطوار هذه الفتاة التى يحدثنا عنها مؤلف « الحب الضائع »

ولعلنا نلمس فى هذه الحقيقة طابع الصدق الفنى والصدق الواقعى الذى اتسمت به الرواية فى سرد حوادثها ووصف نسائها ورجالها

* * *

تأخذ فى قراءة هذه الرواية وتعبر منها صفحة بعد صفحة فلا يزال يرتفع فى خلدك شعور بالسؤال : متى كنت هنا قبل الآن !

أو لا تزال تشعر كشعور الرجل الذى رأى وجهاً عرفه ولا يذكر أين رآه أول مرة ، أو كشعور الرجل الذى رأى مكاناً تخيله ووصف له وظن أنه نزل به يوماً ولا يذكر متى كان ذلك اليوم

ثم تعرض مقروءاتك من بعيد وقريب فيتراءى لك من بينها اسم « فرتر » الذى لا ينساه طويلاً من عرفه بعض حين

أى نعم هو « فرتر » بعينه ... هو فرتر بلا مراء

أفمعنى ذلك أن رواية الحب الضائع تشابه رواية فرتر فى وقائعها ؟

أفمعناه أنها تشابهها فى سياقها أو أسلوب كتابتها أو طريقتها فى فن القصص أو مواقف الأبطال الموصوفين فيها ؟

كلا . لا تشابه من هذا القبيل بين الروايتين ، وكل ما بينهما من التشابه أنهما تتحدثان لنا عن حب يائس انتهى بامرأتين صديقتين إلى الموت . وهذا فى الحقيقة موضوع عام تشترك فيه روايات لا تحصى ، ثم لا تذكرك واحدة منها بالأخرى

إنما التشابه فى جو الطيبة والوداعة الذى يغمر القارىء وهو يتقدم فى قراءة الروايتين

وليس هذا كل ما هنالك وكفى !

بل هى طيبة لا تشبه كل طيبة فى لبابها ، لأنها طيبة جادة تعرف كيف تستسلم وكيف تجمح وكيف تنطوى على نفسها وكيف تقبل الحياة بشرائطها هى لا بشرائط الحياة

وهى كذلك طيبة لا تحسها من مصدر واحد فى الرواية ، فلا تحسها من الزوجة وحدها ولا من الزوج وحده ولا من

الصديقة التى خانت فقتلت نفسها ولا من الأسرة التى فرقها الموت أو جمعتها الشيخوخة والأسى

بل هى طيبة الجو كله ، وإن برزت فيه الخيانة كما تبرز الشياطين فى حظيرة الملائكة العلويين

وهى طيبة العلاقات والأواصر التى تخلق البيئة وتشمل من فيها ، فإذا هم كلهم طيبون يريدون ذلك أو لا يريدون

فتاة تتزوج بخطيبها الذى اختاره لهـا أهلها وقد فجعتهم الحرب فى أعز الأبناء . ثم تحب هذا الزوج وتخلص له وترزق منه صبياً يؤكد هـذا الحب بينهما ؛ ثم تساق إلى الأسرة صديقة فجعت فى قرينها فيلقاها الزوجان بالحفاوة والمودة والمؤاساة، ثم تنشأ بين الصديقة والزوج علاقة لم يحسبا لها حساباً ، وكان ينبغى أن يحسبا لها بعض الحساب ، فتهرب الصديقة من خطر الخيانة إلى مكان بعيد ، وتعالج المقاومة ما استطاعت حتى تعجز عنها وعن الصبر فتعود ، ولـكنها لا تطيق مقام الخيانة بين الزوجين فتحتال هى وعاشقها على اللقاء فى مزار مهجور . ويكبر على ضمير الرجل إثم الخيانة فيسوغه بالفلسفة التى يراها خيراً له من مصارحة نفسه بخيانة زوجة تخلص له ولا تفكر فى غير الإخلاص ولو على سبيل القصاص . أما الفلسفة التى اهتدى إليها ، فهى القول بتعدد الزوجات واستطاعة القلب أن يوفق بين حب اثنتين فى كثير من الأوقات ،أو كما قال الدفتر الذى تكتبه الزوجة لنفسها ونعلم منه وقائع القصة مروية بلسانها حيث تقول : « ... كنا نسمر فى بيتنا كما تعودنا أن نفعل مع جماعة من الأصدقاء الذين تعرفينهم ، وكنا نتجاذب الحوار فى موضوعات مختلفة كما تعودنا أن نفعل ، فانتهينا إلى الحب وانتهينا إلى الوفاء ، وأفضنا فى ذلك حتى عرض مكسيم لعادة تقرها بعض الجماعات المتحضرة : عادة تعدد الزوجات ، وإذا مكسيم يدافع عن هذه العادة دفاعاً حاراً ويذود عنها ذياداً عنيفاً ، وأنا أسمع ذلك ضاحكةمنه أول الأمر، ثم منكرة للغلو فيه ، ثم دهشة لهذه الحماسة التى يظهرها مكسيم ، ثم منتبهة لمـا كان يرد به فيليب من ألفاظ لا تخلو من تلميح وتعريض ، ثم تتفرق وقد وقر فى نفسى من هذا الحوار شىء لم يخل من تنغيص لما كان بينى وبين مكسيم من صفو... »

هرب الرجل من ألم الضمير إلى الفلسفة كما يفعل الرجال فى معظم الأحوال .

أما المرأة ، فقد هربت من ألم القلب إلى ملاذ آخر لعله أهون عليها من فلسفة الرجال ، وهو الموت !

نعلم ذلك من الأسطر الأربعة التى هى كل ما نبأنا بها المؤلف بلسانه بعد ختام الدفتر على نحو من الاقتضاب كأنما هو اقتضاب القطع بالسكين ... « وأصبح الناس ذات يوم وقد قرءوا فى صحف الإقليم نعى سيدتين أهدت كل واحدة منهما نفسها إلى الموت ، وجعل الناس فى المدينة إذا لقى بعضهم بعضاً يلمون بهذا النبأ ويقول بعضهم لبعض : يا عجباً ! كأنما كانتا على ميعاد ! »

هنا مظهر الطيبة القوية كلها أو مظهر القوة الطيبة كلها

فهنا صدمة طاغية تودى بحياتين ويوشك أن تودى بثالثة ، أو هى قد أودت فعلاً بما هو مساك تلك الحياة وهو الاطمئنان وسكينة الضمير

تمت هذه الخاتمة القاصمة دون أن تنفرج الشفاه بكلمة واحدة تبعثر آلام الصدور فى آذان من يعنيهم الأمر ومن لا يعنيهم من الفضوليين

ولو كانت طيبة سخيفة لاستنفدت نفسها فى المجاجة والثرثرة والقال والقيل فى غير طائل

ولو كانت قوة تخلو من الطيبة لما خلت من الإجرام والفضيحة والتنغيص الذى لا يطاق

ولـكنها الطيبة التى قلنا إنها تعرف كيف تستسلم وكيف تجمح ، وتعرف كيف تحب وكيف تموت . ومن عجائب الدنيا أنه لا يعرف كيف يحب وكيف يموت إلا من هو أحق الناس بالحياة

والسؤال الذى يخيل إلى أننى سامعه من كل لسان فى هذا الموقف هو : أفى العالم اليوم مثل هذا الحب ! وإن كان فى العالم أفى أوربا ؟ وإن كان فى أوربا أفى الديار الفرنسية ؟

وهنا الـكشف الذى يستحق أن تـكتب من أجله الروايات والمصنفات ، لا الرواية الواحدة ولا المصنف الواحد

فحب النزوات ما استغرق قط نفوس بنى الإنسان فى هذا الزمان ولا فى غير هذه النزوات

وفرنسا ليست ببدع فى ذلك بين أمم العالم الحديث . فليست فرنسا كلها باريس ولا باريس كلها بأحياء السهر والمجون ، بل هناك فرنسا أخرى كتب عنها العارفون واختبرها الناقدون

أعداد الرسالة الخاصة

فى سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية ، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة ، ينوه بفضله ويعرف بأهله . وستبدأ بعدد العراق . والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هـذا الواجب بارسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبـــارك

علاج النفس — الخادع المخـدوع — مداخل الشيطان — صـورة إسلامية — المنافق الجبل

علاج النفس

كتب إلينا حضرة (...) الموظف بوزارة المالية خطاباً يذكر فيه أنه يعانى أزمات نفسية تتمثل فى تجسيم الخلاف الذى يثور بينه وبين أهله وأصدقائه من حين إلى حين ، وهو يستحلفنا بالله أن ندله على طريق الخلاص من هذه الأزمات السُّود

ونحن من جانبنا نستحلفه بالله أن ينظر فى الصور الآتية :

١ — رجلٌ صائم يشعر بأن الصيام قد يحمله على سرعة الانفعال ، فهو يتجنب الاصطدام بالناس ، لئلا يؤذيهم بغير حق

٢ — رجلٌ ترك التدخين بعد طول العهد بالتدخين، فهو يعرف أنه فى الأيام الأولى محتاج إلى التصبُّر ، ومضطر إلى البعد قليلاً من المجتمع ، لئلا يحمله ضيق النفس على الوقوع فى محرجات لا تليق

٣ — رجلٌ مأزوم يخفى كربه عن زوجته وأبنائه ، فهو يتعمد عامداً عن الحديث فى المطالب الماشية ، لئلا تلوح فرصة يثور فيها كربه فتنفرج شفتاه عن بعض الألفاظ الغلاظ فى إيذاء الزوجة والأبناء

٤ — قاض ينسحب من الجلسة وقد أحسَّ بنوبة مَرضية خوفاً من الإضرار بالمتقاضين ، لأنه يعرف أن العلة ولو كانت خفيفة تعرّض أحكامه للاعتلال

٥ — مدرس غاضب على أحد التلاميذ ، وهو لحرصه على النزاهة يرفض امتحان ذلك التلميذ ، لئلا يؤثر غضبه فى تقدير الدرجات ، وهو نوع من القضاء

٦ — غريب يشعر بالضجر من أحد البلاد ، فيمنعه العقل من اغتياب ذلك البلد ، إيماناً بأن الغربة قد تلوّن أحاسيس المغتربين بالحزن والانقباض ، فهم يرون الدمامة ويعمَوْن عن الجمال

٧ — خصمٌ شريف يعرف أن الخصومة قد تفسد أحكام الرجال على الرجال ، فهو يحاسب نفسه قبل أن ينطق بكلمة تسيء خصمه اللدود

فما رأيك فى هذه الصور السبع ، ولها أمثال تفوق الإحصاء ؟

إن كان حكمك على هذه الصور يوافق أحكام أولئك الرجال فادرس نفسك وزمانك لتعرف أنك معرض لآفات نفسية تفرضها عليك الظروف فى هذه الأيام « البيض »

إحترس كل الاحتراس من نفسك فى هذه الأوقات ، واعلم أن سلامة الأعصاب تعرضتْ لمصاعب لا تطاق ، ومن النادر أن تجد رجلاً يساير الحياة بقلبٍ سليم ، وقد قضت متاعب الحرب بأن يصير الناس جميعاً مجنَّدين ، ولو كانوا من سكان المغاور والكهوف

يومك الحاضر متعب ، ولا تمر فيه لحظة بلا منغصات ، ولذلك أرجوك أن تسارع فتتهم نفسك قبل أن تتهم الأهل والأصدقاء عند اشتجار الخلاف

الملهمون الذين لا يكذبون ، وبسطوا للناس من أوصافها ما يأذن بحب كهذا الحب ، وجدّ كهذا الجد ، وطيبة كهذه الطيبة ، وكرامة كهذه الكرامة ، وإن كثرت من فوقها الفقاقيع التى تحجب القاع ، وتخدع فيه الأبصار والأسماع

وضمان هذه الحقيقة أن القلب الإنسانى حيث كان يفقد قابلية العيش إذا هو فقد قابلية الحب الذى يعز عليه أن يضيع ، والذى يؤثر أن يضيع الحياة ولا يضيعه وهو باق بعده بين الأحياء

إذا فنى من قلب الإنسان فى أرجاء الدنيا هذا المعين المقدس فنى الدنيا الفانية أو هى الأسطورة التى يستحمقها الخيال قبل أن تستحمقها العقول

وهذا هو الكشف الذى من أجله وحده تستحق رواية « الحب الضائع » أن تقرأ وتحفظ ، وفيها غير ذلك ما تستحق من أجله القراءة والحفظ والتأمل الطويل

***

وقد اشتمل غلاف الرواية على توابع أخرى من القصص الصغار التى تنتهى الواحدة منها فى بضع صفحات ، تختلف فى نمط التأليف وفى سرد الحادث وصور الأبطال ، ولكنها تتفق فى مزية واحدة تحمد للمؤلف الكبير ، وهى مزية الجد فى تصوير العاطفة التى هانت على ألسنة الناس وعلى نفوسهم فى مجالس أهل الفضول . فليس الحب الذى تحكيه هذه القصص الصغار نزوة جسد ، ولا مشغلة فراغ ولا لعبة هازلين ، ولكنه كما يجمل بالإنسان كأس تصلح أن يملأها الموت كما تصلح أن تملأها الحياة ، وتغترف من معين كامن فيما وراء الطبيعة كما تغترف من معين يسطع عليه نور الشمس وتخفق عليه نسمات الفضاء .

عباس محمود العقاد

ومن المؤكد أن « مرض العصر » لا يمسك وحدك ، لأنه وباء، والوباء لا يقتصر شره على الأفراد ، فهو يمس الجميع بلا استثناء

فهل تكون عند حسن الظن بك فتقف موقف الطبيب من مرضاه ؟

ومع من تجسّم الخلاف ؟

إنك تعامل أقواماً ضعُفت أعصابهم أقبح الضعف ، بسبب المفجرات التي ساقتها أعوام الحرب ، فهم فى حقيقة الأمر مرضى لا أصحاء ، والعاقل لا يطالب المريض بما يطالب به الصحيح

وأنا مع هذا أنصحك بما لا أنصح به نفسى ، فأنا أكتب هذه الكلمات فى أعقاب ثورة نفسية قضت بالقطيعة بينى وبين صديق لا ذنب له غير العيش فى أيام تجسّم فيها أشباح الهفوات

وما جاز عندى أن أنصحك بما لا أنصح به نفسى ، إلا لأنى أرجو أن تكون قدرتك على نفسك أكبر من قدرتى على نفسى ... وليتك تتأدب بأدبى ، فأنا لا أنفض يدىّ من صديق إلا بعد الصبر عليه عدداً من السنين الطوال ، ثم لا يكون عقابه غير الهجر الجميل

لطف الله بى وبك ، وهدانى وهداك ! !

الخادع المخدوع

هو من يوهمه اللؤم أو توهمه الحماقة أن صداقات الرجال تُنال بالرياء ، وأن لُطف المحضر يغنى عن صدق المَغيب

الصديق الحق هو الذى يستطيع أن يغزو قلبك بأشعة روحانية توحى إليك أنه أنيسك فى النعماء ، وحليفك فى الضراء ، وأن وداده الصحيح هو القبس الذى تستضىء به عند اعتكار الظلمات

الصديق الحق هو الذي يدرك بوضوح أن الصداقة تفرض عليه أن يكون سنادك فى جميع الأحايين ، وأن يؤاخى من آخاك ويعادى من عاداك ، ولو كنت على ضلال . وهل يستطيع الصديق أن يرى فى صديقه غير كرائم المناقب وروائع الخصال !

ليس بصديق من يرى عيوبك ، أو يسمع فيك أقوال مبغضيك . وليس بصديق من يجوز عنده أنك واحد من الناس يقترب إليه باسم الصداقة ، ويبتعد عنه باسم العقل . وليس بصديق من لا يراك فى جميع أحوالك أشرف الرجال

إن استباح الصديق أن يتعقب صديقه بالملام ، فى جد أو فى مزاح ، فهو عدو يلبس ثوب الصديق

قال الرسول عليه السلام : « أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً »

وقد أوّل قومٌ هذا الحديث فقالوا إن نصر الأخ الظالم هو نهيه عن الظلم

وأقول إن هذا الحديث الشريف يرمى إلى غاية لم يفطن إليها أولئك المؤولون ، وهو عندى دعوة إلى العصبية الأخويّة ، وهى الغاية فى شرف الإخاء ، وتلك العصبية توجب أن نكون فى صفوف الإخوان ولو كانوا ظالمين ، لأن الوداد الصحيح هو الاشتراك الوثيق فى المحاسن والعيوب

أقول هذا وأنا أعلم أن فى خلق الله من يثور على هفوات صديقه ليتسم بالنزاهة والعدل ، ولو عقل لأدرك أن مؤاخذة الصديق — ولو بحق — هى أقبح ألوان الظلم والجور والإجحاف

مراسل الشيطان

إن جاريت العقائد الدينية فالشيطان مخلوق يوسوس لك بلا انقطاع ليضلك عن سواء السبيل . وإن جاريت المذاهب الفلسفية فالشيطان هو هواك ، وأنت بين هذين الفرضين مسئول عن مقاومة هذا الهوى أو ذلك المخلوق ، لأنه فى حاليه مشئوم مشئوم

ينزغ الشيطان فيقول : لك أن تختار بين إيثار صديقك وإيثار الحق

وعند هذه الفكرة المضللة تلتفت فترى الحق أجدر بإيثارك فتثور على الصديق

ثم تلتفت مرة ثانية فترى ناساً يُعجبون بشجاعتك ونزاهتك لأنك آثرت الحق على الصديق

وتلتفت مرة ثالثة فتراك وُصفتَ بأوصاف لطاف هى منحة الشيطان لمن يثور على الصديق

ثم تلتفت مرة رابعة فتراك مسئولاً عن تبرير ثورتك على الصديق ، ولا يتمّ ذلك بغير مآثم يكون منها أنك أشرف من صديقك ، ولا يقول رجلٌ إنه أشرف من صديقه إلا حين يُشرف على هاوية الانحطاط !

إن الإفك فى محاربة عدوك أشرف من الصدق فى محاربة صديقك ، ولك أن تقول إنى أفضّل الإفك على الصدق فى بعض الأحيان

عِرضُ الصديق هو عِرضُك ، ولن تكون رجلاً إلا حين تفرح بضلال صديقك قبل أن تفرح بهُداه

كن صديقاً صدوقاً ، ثم تجرّدْ من سائر الفضائل إن شئت ، فما يقيم الله وزناً لغير أعمال الصديق الصدوق

إسمع كلامى ، يا غافل ، إن كان لك سمعٌ أو قلب ، إسمع ثم أجبْ :

هل تعرف لأى سبب قلّت الصداقات فى هذه السنين العجاف ؟ وأساعدك على الجواب فأقول :

قلّت الصداقات ، لأنها جواهر نفيسة وكريمة ، ونحن فى زمن لم يرتفع فيه غير ثمن الرغيف المخلوط بالتراب ... وما أحب أن أزيد !

صورة اسلامية

فى أحد أيام سنة ١٩٣٨ ـ وكنت ضيف العراق ـ أطلعنى السيد صادق الوكيل رحمه الله على قصة صدرت فى بيروت تسمى « خطيئة الشيخ » أو « توبة الشيخ » فما أذكر اسمها بالضبط ، ولعل إحدى المكاتب ترسلها إلىّ بالثمن محوّلاً على البريد فأعرف ما فيها من مقاصد وأغراض

أخذ السيد صادق الوكيل يقرأ من تلك القصة صفحات معيّنة ، وهى الصفحات التى يشرح فيها المؤلف كيفية الوضوء وكيفية الصلاة ، بصورة مُمزِج فيها القَصص بالتعليم ، ثم عقّب فقال : ترضينى هذه الطريقة ، فأنا أخشى أن يجيء يوم ننسى فيه كيفية الوضوء وكيفية الصلاة !

وفى صيف سنة ١٩٣٩ قضيتُ أياماً فى الأسكندرية لأستكمل الصور المنشودة لكتاب « أدب الشواطئ » وهو كتابٌ صرفتنى عنه صروف الحرب ، أو صرفنى عنه إقفار الشواطئ من احتراب العيون والقلوب ، وسأرجع إلى إتمامه ونشره يوم يرجع الأمان إلى صدر الزمان

وأواجه الغرض من هذه الكلمة فأقول :

فى ساحة الفتون بالشاطئ الإسكندرى لقينى الشيخ محمد أبو العيون ، وهو أزهرىٌّ طيب القلب جدًّا ، وقد تهمّ حين تراه بأن تسأله الدعاء ، على قلة هذا النوع فى هذا الجيل ، وإنى لأرجو أن يتفضل فيذكرنى بالدعوات الصالحات حين أخطر فى البال

كنت أمتع عينىّ بأحد ملاعب « التّنِس » فى الشاطئ حين لقينى الشيخ محمد أبو العيون ، وللملاعب التنس فوق الشاطئ الإسكندرى جاذبية تفوق الوصف ، ولكن قدوم هذا الشيخ الصالح صدّنى عن ذلك النعيم ، وأشعرنى أن للتقوى جاذبية رائعة ، وأن النظر فى وجه الرجل العابد يوحى من الشعر ما لا يوحيه النظر فى طلعة البدر الوهاج

ولم يكن بدٌّ من صحبة هذا الشيخ فى ذلك الوقت ، وكانت الشمس تتأهب للاستحمام ، وهى تستحم فى البحر كل يوم قُبَيل الغروب ، ولعل هذا هو السبب فى أن جسمها خالد الإشراق !

— هل يضايقك أن نتعشّى معاً ، يا حضرة الدكتور ؟

— أنا لا أتناول طعاماً بالليل ، ويكفى أن أكون فى ضيافتك الروحية

— تعال معى إلى الفندق ، فهنالك مشكلة ينفع فى حلها تعاون الرفاق

— وما تلك المشكلة ؟

— خادمٌ بالفندق يرفض أن يتعلم كيفية الوضوء وكيفية الصلاة ، مع أنى عرضت عليه خمسة قروش . ولو أنه استزادنى لزدته ؛ ولكنه يرفض

مضينا معاً إلى الفندق لحل تلك المشكلة ، وأنا أبتسم ابتسامةً تخفى على الشيخ ، فمن « المضحك » أن يُفكر روّاد الشواطئ فى تعليم خدَمَة الفنادق كيفية الوضوء وكيفية الصلاة

ونظرتُ إلى الخادم فرأيته فتًى تشهد ملامحه بأنه مسلمٌ لفظاً لا معنًى ، وأن طول عهده بخدمة الفنادق والقهوات راضه على اليقين بأن المصطافين ليس فيهم من يذكر الله بصدق وإخلاص ... وهل تزار الأسكندرية فى الصيف لأداء الصلوات ؟

عَرض الشيخ من جديد خمسة قروش ، وعرضتُ عشرة قروش فقبِل الخادم (وهو يضحك ضحكة السخرية) أن يطيعنا فيتعلم كيفية الوضوء وكيفية الصلاة

أخذ الشيخ يعلّم الفتى كيفية الوضوء بإيجاز ، وكان الموقف فى جملته من غرائب المضحكات ، لأن قروش الشيخ وقروشى جعلت الفتى من المأجورين المأزورين ، ولا قيمة لعبادة يكون جزاؤها بأيدى الناس !

كان الفتى يضحك ويلعب ، ثم تغيّر وجهه فجأة فصار فى خشوع النسّاك ، واحتجزَنا ساعتين لنعلّمه سائر الفروض الإسلامية ، ولم يَفُته أن يردّ القروش التى أخذها من الشيخ والقروش التى أخذها منى ، برغم الإلحاح فى قبول الهدية ، وكانت حجته أنه قضى فى صحبتنا لحظات هى أثمن وأنفس من أطايب الأموال

وفى الأسبوع الماضى زرت الأسكندرية لبعض الشئون ، فراعنى أن أجد فتى يهجم على يدى فيقبّلها بحرارة وشوق ، ثم يسألنى الدعاء ، وهو الفتى نفسه ، الفتى الذى علّمناه كيف يصلى وكيف يصوم

التصوير عند العرب (*)

للمرحوم أحمد تيمور باشا

للدكتور محمد مصطفى

خيل إليَّ وأنا أقرأ كتاب « التصوير عند العرب » أننى أجلس فى « الخزانة التيمورية » أراقب صاحبها - رحمة الله عليه - فأراه يقوم إلى أحد الرفوف ويتناول كتاباً معيناً ، من بين الكتب الكثيرة المرصوصة بعناية فائقة ، ليقرأ فيه ويسجل على حواشيه ما يخطر له من آراء وأفكار . وأكاد أرى هذا الكتاب وهو يهتز بين يديه طرباً وسروراً ، بل أكاد أسمع هذا الكتاب وهو يتغنى بمديح صاحبه ويفخر بين الكتب الأخرى بما خط على جوانب صفحاته من ملاحظات ترفع من قيمته فى أعين العارفين . نعم ... إن الكتب ترقص وتغنى إذا هى وجدت من يعني بأمرها ويرعاها فى عطف وحنان . ولو تركت « الخزانة التيمورية » وشأنها — وما فيها من عشرين ألف مجلد — لملأت جو القاهرة وضواحيها بما تتغنى به من أناشيد ، تشيد فيها بذكرى صاحبها الراحل الكريم ، ولكانت تجلب السلوة والعزاء إلى قلوب الكثيرين من سكان هذا القطر والأقطار الشقيقة ، بل إلى قلوب أناس عديدين عصفت بهم الشدائد فى تلك النواحى النائية البعيدة ، ولكانت تكف عن هذا الصراخ والعويل الذى ينبعث من « قبر » شاءت الأحوال أن تظل حبيسة فيه ، بعيدة عن عشاقها ومحبيها .

حقاً كان المرحوم أحمد تيمور باشا صاحب «الخزانة التيمورية» ومؤلف كتاب « التصوير عند العرب » من أولئك الذين أسعدهم الدهر بأن يولدوا فى وسط عائلى مولع بالأدب وقرض الشعر ، فهو الذى قالت في ولادته أخته عائشة التيمورية من أبيات :

لاح السعود وأسفر التوفيق وتلا لنا سور العلا توفيق

وكان قد سمى عند ولادته « أحمد توفيق » ولكن لقب العائلة غلب عليه . وقامت أخته عائشة على تربيته بعد وفاة والده اسماعيل تيمور باشا ، فتلقى علوم اللغة والمنطق والقراءات على فطاحل أساتذة ذلك العصر أمثال رضوان محمد وحسن الطويل والشنقيطى الكبير ، وظل مثابراً على الدرس ومجالسة العلماء والأخذ عنهم ، حتى أصبح الحجة فى اللغة من بعدهم . وكانت داره بدرب سعادة منتدى يؤمه شيوخ الأدب واللغة للبحث والمناقشة أمثال : أحمد مفتاح ، وطاهر الجزائرلى ، ومحمد عبده ، ويحيى الأفغانى ، وغيرهم كثيرون من علماء وأدباء الشرق والغرب . وفى هذا الوسط شب على حب جمع الكتب والتفنن فى اختيارها واقتنائها ، حتى بلغ ما جمعه فى خزانته ١٥٫٠٠٠ كتاب فى نحو ٢٠٫٠٠٠ مجلد أكثرها من المخطوطات . ويؤكد الأستاذ حسن عبد الوهاب[1] — وقد كان على اتصال به — أن « هذا العدد من الكتب قد اطلع عليه رحمه الله وعلق عليه ملاحظاتٍ له ، ما بين وفاة مؤلف أو بيان ذيول وضعت على الكتاب ، أو الإشارة إلى قوة المؤلف والاعتماد عليه فى النقل » مما يدل على سعة اطلاعه وحبه للآداب والعلوم والفنون .

وكان رحمه الله دقيقاً فى بحوثه العلمية ، متوفر النشاط ،

(*) نشره مع التعليقات الدكتور زكى محمد حسن

(١) فى ترجمة له التى نشرت فى كتاب : تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر للمرحوم أحمد تيمور باشا . ص ١٥٧ وما بعدها

خُذ علمى وأعطنى إيمانك ، أيها الجاهل السعيد ، فلا حياة للعلم بدون إيمان

المنافق الجميل

هو شجرة الخِلاف ، أو الصَّفصاف ، وهي شجرة غرسْتُها بيدى عشرات المرات ، قبل أن أهاجر من سنتريس إلى باريس

لايدوم جمال هذه الشجرة غير سنتين أو ثلاث ، ثم تُخَوِّخ ، والتخويخ فى عُرف أهل مصر هو أن تمتلئ الشجرة بعلة الجوف ، فيكون لها ظاهرٌ صحيح ، وباطنٌ عليل ، على نحو ما تكون شجرة الصفصاف بعد أعوام قصار ، وعلى نحو ما تكون ضمائر الأصدقاء المزيَّفين بعد أيام طوال !

رجال القلم هم أطباء النفوس والقلوب والعقول ، والطبيب بلا مَرضَى كالمحامى بلا قضايا والمدرس بلا تلاميذ

ومن أجل هذا أحبك ، أيها المنافق الجميل ، لأن وجودك فرصة لدرس الغرائز والسرائر والأهواء

أدامَ الله عليك نعمة الغدر ، وأدام علىَّ نعمة الوفاء .

زكى مبارك

يكثر من الكتابة والتأليف . وله مقالات كثيرة فى اللغة والأدب والحضارة العربية والتاريخ الإسلامي ، نشرها فى جرائد ومجلات عديدة : كالمؤيد والضياء والمقتطف والمقطم والأهرام والهلال والمهندسة والزهراء والهداية الإسلامية . أما ما ألفه من كتب فكثير ، ولم ينشر بعضها بعد ، وإنى أذكر البعض مما نشر منها مثل : تصحيح لسان العرب ، تصحيح القاموس ، نظرة تاريخية فى حدوث المذاهب الأربعة وانتشارها ، أبو العلاء المعرى ، تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر ، قبر الإمام السيوطى وتحقيق موضعه ، وأخيراً كتابه الفن التصوير عند العرب

وناشر هذا الكتاب — الدكتور زكى محمد حسن — غنى عن التعريف ، فقد تسنى لى أن أنشر على صفحات هذه المجلة حواراً علمياً بينى وبينه ، قابله بما نعهده فيه من رحاب وسعة صدر ! والمؤلف والناشر يتشابهان فى بعض الصفات كل على طريقته الخاصة وطريقة عصره . فكلاهما من هواة جمع الكتب ، الأول صاحب الخزانة الشهيرة فى الشرق والغرب ، والثانى كوّن لنفسه مكتبة فى الفن الإسلامى يتمنى الكثيرون — ومنهم كاتب هذه السطور — اقتناء مثلها . وكلاهما واسع الاطلاع ، الأول يحفظ بالذاكرة ويدون ملاحظاته فى « كراسات » للرجوع إليها ، والثانى يعتمد فى بحثه العلمى على طريقة « جذاذات الورق » — وإنى أفضل الجمع بين الطريقتين . وكلاهما معتد بنفسه وبمركزه العلمى ، الأول فى تواضع ، والثانى فيما تفرضه مقتضيات عصره من كبرياء لا ذنب له فيها

ولا غرابة إذن أن يقول الناشر فى تصدير الكتاب : « إن المؤلف كان حجة فى اللغة والأدب ، واسع الاطلاع على كتب التاريخ والبلدان ، نافذ البصيرة ، دقيق الملاحظة . فكان طبيعياً أنى لم أجد فى متن الكتاب ما يحتاج إلى تقويم أو تصويب من الناحيتين الأدبية والتاريخية ، ولكن دراسة الفنون والآثار الإسلامية لم تكن ناضجة فى مصر حين كتب فصول هذا الكتاب ولم يكن المؤلف — رحمه الله — إخصائياً وثيق الصلة بالدراسات الفنية فى الغرب ، فدفعنى هذا كله إلى الإقبال على التعليقات والدراسات الفنية مع توضيح الكتاب بالصور »

والحق يقال إن القارئ لا يدرى هل هو تواضع المؤلف الذى يطلق على هذا الكتاب مع ما نراه من غزارة مادته فى ناحيتى الأدب والتاريخ ، أم كبرياء الناشر وما أظهره من سعة الاطلاع فى تعليقاته ودراساته الفنية . وما الأدب والتاريخ سوى دعامتى الفن الإسلامى ، بهما يثبت قوامه ، وبدونهما تتقوض أركانه

وإنى لا أجد لتوضيح ذلك أقوى مما قاله المؤلف فى صلة الشعر بالفن ، فهو يقول فى مقدمة الكتاب : « وقد اعتمدت فى كثير مما ذكرته على الشواهد الشعرية ، لأنى وجدت الشعر أصدق قيلاً وأفصح بياناً فى هذه المواضيع ، فالشاعر إذا وصف فإنما يصف شيئاً موجوداً وقع عليه نظره فرواه لنا كما رآه ، ولأنه يجتهد فى تقريبه للأذهان فيصور من دقائقه فى شعره ما لا تصوره عبارة أخرى ، لا يقصد منها إلا رواية خبر ربما لا يهم راويه إلا ذكر جملته دون تفصيله »

وبدأ المؤلف كتابه بأنواع التصوير فذكر منها ما كان على الجدران والثياب والستور والأقداح والأوانى والمصابيح والأثاث والسلاح والنقود والشارات والبنود ، وفى الكتب والصحف والألواح . ثم أتبعها بذكر التماثيل على أنواعها من ثابتة ومتحركة ومصوتة بأنواع الحيل وتماثيل الحلوى والزهر والحقول واللعب وتماثيل الصبيان ، وأتى بعد ذلك على ما عثر عليه من أسماء المصورين . ويقول فى ذلك : « وفى هذا الفصل ما يدحض قول القائلين بقصور العرب فى هذا الفن البديع »

ويقع هذا القسم من الكتاب فى ١١٤ صفحة هى متن الكتاب الذى حرره المؤلف مع الحواشى التى خطرت له . وليست قيمة هذا القسم فى قلة عدد صفحاته أو كثرتها ، بل فيما تحتويه هذه الصفحات من بيانات ونصوص ، تدل على ما بذله المؤلف من جهود كبيرة ليجمعها من بطون الكثير من الكتب المطبوعة والمخطوطة . وليس أدل على ذلك من قول المؤلف فى مقدمته : ثم لا يخفى على من عانى أمثال هذه المباحث اعتياص هذا الموضوع ، والتواؤه على محاوله ، لتشتته بين تضاعيف الأسفار بعد ذهاب ما كتب عنه ، وجمع فيه . فلا غرو أن يعد صغيره كبيراً ، ويسيره كثيراً ، وألا يستهان بما يظفر به منه ، فإنه إن لم ينقع غُلّة ، ويصرح عن المحض ، فلا أقل من أن يتخذ أسًّا يبنى عليه »

وقد تحققت نبوءة المؤلف هذه واتخذ الكتاب أسًّا وبُنى عليه ، وجاءت تعليقات الناشر ودراساته الفنية متممة لهذا « الصغير الكبير ، واليسير الكثير » فرد النصوص إلى مصادرها ، ووضح الكتاب بالصور ، وعمل على إعداد فهرس هجائى طويل لمتن الكتاب وما كتبه من تعليقات وما رجع إليه من مصادر ،

وإني أشاركه رجاءه في أن يقبل المؤلفون على عمل مثل هذا الفهرس فيما يكتبون وينشرون

ولعل الناشر ظن أن ذكرى مؤلف الكتاب لا تزال حية في قلوب أفراد الجيل الحاضر، فرأى أن ذلك قد يعفيه من الترجمة له، على غير المألوف في نشر المخطوطات. وقد كنا نود لو أن الناشر كان قد افتتح هذا السفر الجليل بترجمة وافية لمؤلفه - رحمه الله - يجمع فيها شتات ما قيل وكتب عنه، لتبقى ذكراه خالدة مع كتابه، لنا وللأجيال القادمة. وإني أرجو أن يحقق الناشر هذه الرغبة إذا أتيح له أن ينشر من هذا الكتاب طبعة ثانية

وتكلم الناشر في تعليقاته (ص ١١٩ وما بعدها) عن موضوع «حكم التصوير في الإسلام» وأراد أن «يفند الحجج التي يسوقها أصحاب القول بأن التصوير لم يكن مكروها في فجر الإسلام». فحلل هذه الحجج تحليلاً علمياً ورد عليها. وقد تكون لي عودة لمناقشة هذا الموضوع في مقال آخر

وقد توخى الناشر الدقة التامة في تعليقاته وفي توضيح ما نشره من الصور؛ وليس أدل على ذلك من صورة لشخص على دعامة وجدت مدفونة تحت قاعة العرش في قصر الجوسق بمدينة سامرا، وصفها الناشر: (ص ١٤٣ وحاشية ١) بأنها لامرأة «تحمل على كتفيها عجلاً»؛ ثم قال في الحاشية: إن «أكبر الظن أن هذا الرسم توضيح لقصة فتنة محظية بهرام جور» وبعد أن سرد هذه القصة اختتم الحاشية بقوله: «ويرى القارئ صورة لهذا المشهد العجيب في مخطوط من المنظومات الخمسة للشاعر نظامي، كتب في تبريز للشاه طهماسب[1]»؛ وقد بدا للناشر بعد ذلك أن يغير رأيه في شرح هذه الصورة فقال: (ص ٢٥٣ وحاشية ١) إن هذا النقش «قد يمثل سيدة تحمل فوق كتفيها عجلاً، فيكون ذلك توضيحاً لقصة فتنة محظية بهرام جور»؛ وبعد أن تكلم باختصار عن هذه القصة قال: «ولكن الحق أننا لا نستطيع أن نجزم تماماً بأن الرسم يمثل سيدة وليس رجلاً، وبأن الحيوان المحمول عجلاً لا خروفاً؛ وإذا كان من المحتمل جدًّا أن يكون المقصود رسم رجل يحمل خروفاً فإن المنظر لا يكون من قصة محظية بهرام جور، بل يكون منظراً مسيحياً يمثل قصة الراعي الصالح»؛ وفي الحاشية روى هذه القصة وجاء بمراجع قيمة لبعض صور الراعي الصالح

والحق يقال أنه لا يمكن للقارئ أن يجزم بأي شيء من هذه الصورة وهي في حالتها الراهنة، والناشر على حق في كلا التفسيرين، ولكن إذا تأملنا الرسم الذي حاول فيه الأستاذ هرتزفلد (شكل ٦٥ ص ٨٨ من المرجع الذي ذكره الناشر) أن يرجع هذه الصورة إلى أصلها مع مقارنتها بتمثيلاتها على جدران قصر الجوسق بسامرا، أمكننا أن نتبين أنه لامرأة تحمل على كتفيها عجلاً، وأن نستبعد قصة الراعي الصالح البيزنطية الأصل، لما نراه في الصورة من التأثير الساساني الشديد، ولمشابهة صورة المرأة فيها من حيث الرسم والملابس لصور الآلهات على تيجان أعمدة قصر الملك خسرو الثاني الساساني. وكذلك لم يذهب الناشر بعيداً في ظنه أن هذه الصورة تمثل الراعي الصالح إذ لا يبعد — كما أثبت الأستاذ هرتزفلد ذلك في ص ٨٩ من المرجع السابق — أن تكون الصورة البيزنطية للراعي الصالح وعلى كتفيه الخروف قد أوحت للفنان الساساني أن يستبدل بالرجل امرأة وبالخروف عجلاً، فيمثل في صورته هذه «فتنة» محظية بهرام جور، وهي تحمل العجل على كتفيها، كي تتفق الصورة مع القصة الساسانية

ولا شك أن مراجع «الفن الإسلامي» التي ضمها الناشر لما ذكره المؤلف من مراجع الأدب والتاريخ، قد جعلت لهذا الكتاب ميزة خاصة به، فصار وافياً في الغرض الذي كتب من أجله

محمد مصطفى

أمين مساعد دار الآثار العربية

---

(١) وأظن أن الأمر قد اختلط على الناشر في هذه النقطة، إذ توجد في هذا المخطوط صور أخرى لقصة فتنة مع بهرام جور ليس بينها صورة لهذا «المشهد العجيب»: أنظر ما كتبناه عن هذه القصة في العدد ٤٥٠ من «الرسالة» ص ٢١٤ وما بعدها

شعر على بن أبى طالب

للأستاذ السيد يعقوب بكر

هل كان شاعراً ؟

لعلنا فى حاجة قبل كل شىء إلى أن نصل إلى رأى فى هذه المسألة : وهى هل كان على شاعراً أم لم يكن ؟ ذلك لأنه قد ثارت حول هذه المسألة مجادلات ؛ فذهب قوم إلى أن علياً كان شاعراً ، وذهب آخرون إلى أنه لم يكن كذلك ، وإنما كان كاتباً وخطيباً . أقول إننا فى حاجة إلى أن نصل إلى رأى فى هـذه المسألة قبل كل شىء . والواقع أننا لسنا فى حاجة إلى شىء بعد ذلك لأننا قد وصلنا فعلاً إلى رأى فى هذه المسألة : هو أن علياً كان من الشعراء . ولقد وصلنا إلى هذا الرأى بعد أن خطونا ثلاث خطوات :

١ — وجود الموهبة الشعرية عند على

ونقصد بالموهبة الشعرية هنا تلك الموهبة التى تولد مع الشاعر وتنمو بنموه وتنضج بنضوجه ، وتدفعه إلى قول الشعر ونظم القصيد . نقصد بها ذلك الاستعداد لقول الشعر واصطناعه وسيلة من وسائل التعبير عن النفس والتصوير لخلجات الوجـدان ونوازع القلب

هذه الموهبة الشعرية يكفى فى الدلالة عليها حياة النفس ، ويقظة القلب ، وتنبه الضمير ، والتأثر السريع العميق بما من شأنه التأثير السريع العميق . يكفى فى الدلالة عليها اتقاد العواطف وحرارة الانفعالات

ولقد كان على بن أبى طالب ذا موهبة شعرية على هذا الأساس. فلقد كان حى النفس ، يقظ القلب ، مُتنبِّه الضمير ، يتأثر تأثراً سريعاً عميقاً بما من شأنه التأثير السريع العميق ؛ ولقد كان متقد العواطف حار الانفعالات

ويكفى فى التحقق من ذلك قراءة ما صح من خطبه وكتبه ، ففي هذه الخطب والكتب نلمس الشعور الفياض ونحس به سارياً فى أثناء الكلام . فنحن إذا قرأنا الخطبة الشقشقية شعرنا بما يضطرم فى صدر على من الألم لظفر أبى بكر ثم عمر ثم عثمان بالخلافة دونه ، مع أنه — فى نظره هو — أحق منهم بها لقربه من الرسول وتحدره من بيته . وهذا الألم الذى يضطرم فى صدر على ألم قوى شديد ، ينفث فى الكلام مرارة يستشعرها القارئ ، وشكوى مفعمة بالأسى ، وظلالاً من الشعور بالحرمان

ونحن إذا قرأنا جوابه عن كتاب معاوية إليه شعرنا بإيمان صاحب الحق بما له من حق ، وحرصه عليه ، وثورة نفسه على من يسمى لاغتصابه منه أو حرمانه إياه أو الاستئثار به دونه

وهكذا تنتظم خطب على وكتبه نفسه الحماسية ووجدانه الثائر وعواطفه الجياشة ، وتقوم دليلاً على أنه شاعرى الروح عظيم الحظ من الموهبة الشعرية

ولقد أحسَّ بروكلمان هذه الموهبة الشعرية عند على فقال فى خلال حديثه عن الديوان المنسوب إليه Geschichte der Arab. Litteratur ، ج ١ ص ٤٣ : « ليس من شك فى أن علياً كان ذا ملكة شعرية ... »

٢ — نسبة أشعار إليه فى بعض المراجع العربية المعتمدة

(ا) جاء فى عيون الأخبار لابن قتيبة (جـ ٣ ص ٥ ط دار الكتب) : « وقال على بن أبى طالب كرَّم الله وجهه :

أخوك الذى إن أحوجتك ملمّة
من الدهر لم يبرح لها الدهرَ واجما
وليس أخوك الحقُّ من إن تشعّبت
عليك أمور ظل يلحاك لائما

(ب) جاء فى معجم الأدباء لياقوت (جـ ٥ ص ٢٦٣ ط مرجليوث) : « قرأت بخط أبى منصور محمد بن أحمد الأزهرى اللغوى فى كتاب التهذيب له قال أبو عثمان المازنى لم يصح عندنا أن على بن أبى طالب تكلم من الشعر غير هذين البيتين :

تلكم قريش تمنانى لتقتلنى ... ولا وجدِّك ما بروا ولا ظفروا
فإن هلكت فرهنٌ ذمتي لهم ... بذات روقين لا يعفو لها أثر

قال ويقال داهية ذات روقين وذات ودقين إذا كانت عظيمة[1]

وجاء فيه أيضاً (جـ ٥ ص ٢٦٦) : « ومما روى أن معاوية كتب إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام أن لى

(١) قال السيوفى فى شرح شواهد الحفى (ص ١٧٦ ط الطبعة البهدية) : « ... وقال المرزبانى فى تاريخ النحاة قال يونس ما صح عندنا ولا بلغنا أن على بن أبى طالب قال شعراً إلا هذين البيتين :

تلكم قريش تمنانى لتقتلنى ... فلا وربك ما بروا وما ظفروا
فان هلكت فرهن ذمتى لهم ... بذات روقين لا يعفو لها أثر

وقال وكيع فى الغرر حدثنى ثعلب عن ابن الأعرابى قال يصح أن علياً رضى الله عنه قال من الشعر تلكم قريش فذكر البيتين »

فضائل : كان أبي سيداً في الجاهلية وصرت ملكاً في الإسلام ، وأنا صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخال المؤمنين وكاتب الوحي . فقال أمير المؤمنين عليه السلام أبالفضائل تفتخر على يا ابن آكلة الأكباد ؟! أكتب إليه يا غلام :

محمد النبـــي أخي وصهري ... وحمزة سيد الشهداء عمي

وجعفر الذي يضحى ويمسى ... يطير مع الملائكة ابن عمي

وبنت محمد سكني وعرسي ... مشوب لحمها بدمي ولحمي

وسبطا أحمد ولداي منها ... فأيكم له سهم كسهمي

سبقتكم إلى الإسلام طراً ... صغيراً ما بلغت أوان حلمي

فقال معاوية اخفوا هذا الكتاب لا يقرأه أهل الشام فيميلوا إلى ابن أبي طالب

(جـ) جاء في مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني (ص ١٤ ط المطبعة الحيدرية بالنجف الأشرف) : وكانت فاطمة بنت أسد أمه لما ولدته سمته حيدرة فغير أبو طالب اسمه وسماه علياً . وقيل إن ذلك اسم كانت قريش تسميه به . والقول الأول أصح ، ويدل على ذلك خبره يوم خيبر وقد برز إليه مرحب اليهودي وهو يقول :

قد علمت خيبر أني مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

فبرز إليه علي عليه السلام وهو يقول :

أنا الذي سمتني أمي حيدره ... كليث غاب في العرين قسوره

أكيلكم بالصاع كيل السندره

(د) جاء في العمدة لابن رشيق (جـ ١ ص ١٤ ط الخانجي) :

« ومن شعر علي بن أبي طالب[1] رضي الله عنه وكان مجدداً قال له يوم صفين يذكر همدان ونصرهم إياه

ولما رأيت الخيل ترجم بالقنا ... نواصيها حمر النحور دوامي

وأعرض نقع في السماء كأنه ... عجاجة دجن ملبس بقتام

ونادى ابن هند في الطلاع وحمير ... وكندة في لخم وحي جذام

تيممت همدان الذين هم هم ... إذا ناب دهر جنتي وسهامي

فجاوبني من خيل همدان عصبة ... فوارس من همدان غير لئام

فخاضوا لظاها واستطاروا شرارها ... وكانوا لدى الهيجا كشرب مدام

فلو كنت بواباً على باب جنة ... لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

(١) قال في حسن الصحابة (جـ ١ ص ١١٨) : « قال ثعلب في قوله أنا الذي سمتني أمي حيدره لم يختلف الرواة أن هذا الرجز له ، وأيضاً قد اشتهر في كتب المغازي والسير أنه له » وقال (ص ١١٩) : « وقد نقل العلماء عن المازني أنه استقبح ضمير المتكلم بعد الموصول في أنا الذي سمتني أمي حيدره وقال لولا اشتهار وروده لرددته فهو نفسه معترف بأنه اشتهر أنه لعلي رضي الله عنه ولذلك كف عن رده »

وهو القائل بصفين أيضاً :

لمن راية حمراء يخفق ظلها ... إذا قيل قدمها حصين تقدما

فيوردها في الصف حتى يردها ... حياض المنايا تقطر الموت والدما

(هـ) جاء في ديوان الحماسة للبحتري (ص ٦١ ليدن) :

ومما يروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه :

من أي يومي من الموت أفر ... أيوم لم يقدر أم يوم قدر

وقال عليه السلام أيضاً :

أعلي يقتحم الفوارس هكذا ... عني وعنهم خبروا أصحابي

اليوم تمنعني الفرار حفيظتي ... ومهند بالكف ليس بناب

آلى ابن عبد حين شد ألية ... وحلفت فاستمعوا من الكذاب

ألا يصد ولا أهلل فالتقى ... بطلان يضطربان كل ضراب

فصددت حين تركته متجدلاً ... كالجذع بين دكادك وروابي

وكففت عن أثوابه ولو أنني ... كنت المجدل بزني أثوابي

(و) جاء في الكامل للمبرد (ص ٥٤٤ من الطبعة الأوربية) :

« ومن شعر علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – الذي لا اختلاف فيه أنه قاله وأنه كان يردده أنهم لما ساموه « يعني الخوارج » أن يقر بالكفر ويتوب حتى يسيروا معه إلى الشام ؛ فقال : أبعد صحبة رسول الله عليه السلام والتفقه في الدين أرجع كافراً :

يا شاهد الله علي فاشهد ... أني على دين النبي أحمد

من شك في الله فإني مهتدي

(ز) جاء في العقد الفريد لابن عبد ربه (جـ ٣ ص ١٢٣) :

« ... ومن قول علي كرم الله وجهه بصفين :

لمن راية سوداء يخفق ظلها ... إذا قيل قدمها حصين تقدما

فيوردها في الصف حتى يردها ... حياض المنايا تقطر السم والدما

جزى الله عني والجزاء بكفه ... ربيعة خيراً ما أعف وأكرما »

فهو غير قليلاً في ألفاظ البيتين اللذين ذكرهما ابن رشيق ، وزاد بيتاً ثالثاً

* * *

هذه جملة أشعار وجدناها منسوبة إلى علي في هذه المراجع العربية المعتمدة ، وهي بطبيعة الحال ليست كل ما في هذه المراجع ، فإننا لو بحثنا فيها أكثر مما بحثنا ، لوجدنا جملة أخرى من الأشعار المنسوبة إلى علي ؛ ولكننا نستطيع أن نقول واثقين : إن هذه الأشعار التي وجدناها هي معظم ما في هذه المراجع من الشعر المنسوب إلى علي ، وهي تكفينا على كل حال في هذا البحث

٣ – هذه الأشعار مما يمكن صدوره عن علي وفي عصر علي

هي مما يمكن أن يصدر عن علي ، لأنها تشف عن شخصيته

وتصور ما ألم به من الأحداث . فأنت إذا قرأت البيتين المذكورين له في عيون الأخبار طالعتك صورة الحكيم المجرب الذي يرى أن صداقة الصديق لا تكون إلا إذا حزن لحزنك وبكى لبكائك ووجم لوجومك ومن ينكر أن علياً كان حكيما مجرباً ؟ وكذلك إذا قرأت البيت المذكور له في ديوان الحماسة طالعتك صورة العاقل الذي يرى ألا فرار من الموت في أية حال من الأحوال ، ومن ينكر أن علياً كان عاقلاً ؟

وأنت إذا قرأت الرجز المذكور له في مقاتل الطالبيين ، والأبيات الستة المذكورة له في ديوان الحماسة ، طالعتك صورة الشجاع المغوار الذي يعمل جاهداً في نشر الإسلام بالسيف بعد أن لم تُجدِ الحجة ؛ ومن ينكر أن علياً كان شجاعاً مغواراً ؟

وإذا قرأت الأبيات الخمسة المذكورة له في معجم الأدباء ، طالعتك صورة صاحب الحق يدلّل على ما له من حق ، وكذلك كان على طيلة حياته ، فقد كان يشعر بحقر هذا ويألم لإغضاء أبي بكر وعمر وعثمان عنه ثم لتنكر معاوية آخر الأمر له .

فهذه الأبيات كلها تشف عن شخصيته ، وتصور نوازعه وخوالجه وروحه . ثم إنك إذا قرأت سائر الأبيات وجدت فيها صوراً من الأحداث التي ألمت به ؛ فالبيتان المشهوران المذكوران له في معجم الأدباء يصوران رغبة قريش في قتاله وقتله ، تلك الرغبة التي ظهرت في سير طلحة والزبير وعائشة إليه ووقوع وقعة الجمل بعد ذلك . والرجز المذكور في الكامل على قِصَره يعطينا صورة عن خروج الخوارج عليه واعتقادهم كفره ثم استتابتهم إياه . والأبيات التي قالها في صفين تصور هذه الوقعة أجمل تصوير وأقواه

فأنت ترى إذن أن هذه الأبيات التي وجدناها له مما يمكن صدوره منه لأنها تصور شخصيته وحوادث عصره

ثم هي أيضاً مما يمكن صدوره في عصره ، ونقصد بذلك أنها تتسم بالطابع الذي يطبع آداب هذا العصر وهو طابع القوة والصدق . فنحن نعرف أن هذا العصر عصر عربي خالص لم تشبه بعدُ شوائب العجمة ، فهو إلى البداوة أقرب منه إلى الحضارة . ونحن نعرف أيضاً أن الروح العربية الخالصة روح قوية صادقة لم يُغشّها شيء ولم يلبسها شيء . ولذلك وجدنا آداب هذا العصر العربي الخالص متسمة بهذه الروح العربية الخالصة بما فيها من قوة وصدق . وليست هذه الأشعار التي نقرأها لعلي ببعيدة عن هذا الطابع الذي يطبع آداب هذا العصر الذي عاش فيه علي . ويمكن لكل ذي ذوق أن يحس ذلك إحساساً واضحاً

هذه هي الخطوات الثلاث التي خطوناها فأدت بنا إلى الرأي الذي قدمناه في أول هذا القسم من البحث وهو أن علياً كان من الشعراء . وليست الخطوة الواحدة من هذه الخطوات بقادرة وحدها على أن تؤدي بنا إلى هذا الرأي ، وإنما هي تؤدي بنا إليه إذا تعاونت مع أختيها وانضمت إليهما

ونحن نحب بعد أن أثبتنا رأينا هذا أن نعود إليه فنقويه بأقوال بعض المؤيدين لنا من المتقدمين :

١ — يقول السيوطي (تاريخ الخلفاء ص ٧٠ ط الميمنية) : « وأخرج عن الشعبي قال كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان عثمان يقول الشعر وكان علي أشعر الثلاثة »

هكذا يقول الشعبي وهو ثقة ، ثم هو أيضاً من المتقدمين فقد كان معاصراً للحجاج وعبد الملك ابن مروان

٢ — يقول ابن عبد ربه (ج ٢ ص ١٢٣) : « وقال سعيد ابن المسيب كان أبو بكر شاعراً وعمر شاعراً وعلي أشعر الثلاثة »

فسعيد بن المسيب يقول قول الشعبي ، وهو ثقة فقد كان أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، ثم هو متقدم فقد كان معاصراً لعبد الملك وتوفي بالمدينة سنة ٩٨ هـ

(البحث بقية) **السيد يعقوب بكر**

على هامش النقد

كتب وشخصيات

للأستاذ سيد قطب

١ — « عبقرية محمد » للعقاد

العقاد رجل متعب بالقياس إلى النقاد وبخاصة فى كتاب « عبقرية محمد » ، فالناقد لا يحس بلذة عمله إلا حين يجد مجالاً لمشاركة المؤلف فى عملية الإنشاء والخلق . حين يجد مجالاً لمناقشة الفكرة ، والزيادة عليها فى بعض الأحيان ، أو التعرض لها من زاوية غير التى تعرض لها المؤلف ... وبالإجمال حين يجد له عملاً آخر بجانب المؤلف غير مجرد الاستعراض

والعقاد — وبخاصة فى كتابه الأخير — يحرم الناقد هذه اللذة ، ويكاد يقعده عن الكتابة ... وما جدوى أن يكتب الناقد ليقول : « هذا جيد ... وهذا جيد كذلك ... وهذا كذلك جيد أيضاً ! » حتى ينتهى من صفحات الكتاب وفصوله ، وهو يكرر جملة واحدة أو ما فى معناها ؟ إنها إذن تحية وليست نقداً كما يشاء النقاد !

الرجل موهوب — هذا ما لا شك فيه — ثم هو لا يقنع بهذه الهبة الضخمة — كما يقنع مع الأسف كثير من شبابنا المتطلعين إلى الشهرة فى هذه الأيام لمجرد إحساسهم بنوع من الهبة الطبيعية - إنما هو كذلك قارىء عظيم ، وقارىء يعرف كيف يقرأ وكيف يفيد من هذه القراءة ؛ قارىء يحس أن القراءة وظيفة له فى هذه الحياة ، لا يجوز أن تعوقه عنها وظيفة أخرى ، حتى وظائف كسب العيش ، ووظائف الخدمة العامة

ومن الموهبة الضخمة والقراءة الكثيرة ، كان هذا الذى يلاقيه الناقد من العنت والتعب حين يتعرض لأدب العقاد ولنثره خاصة ، فشعره لإجماله ولأنه تعبير عن النفس الإنسانية ، فيه مجال للشرح والتحليل واستخلاص ملامح النفس من خلاله ، وفى هذا كله إرضاء لشعور الناقد ، وإشعار له بأنه يعمل شيئاً بجوار الشاعر !

جالت فى نفسى هذه الخواطر وأنا أقرأ كتاب « عبقرية محمد » للمرة الثالثة ، عسى أن أجد ما أقوله غير « هذا جيد ، وذاك جيد ؛ وذلك كذلك جيد ... » ثم عدت لأرى أن الاستعراض أسلم طريق .

* * *

ما موضع هذا الكتاب فى مكتبة « محمد » وما وظيفته التى يؤديها ولا تؤديها المؤلفات الكثيرة والأخبار المروية ، عنه عليه السلام ؟

موضع هذا الكتاب أنه خلاصة لهذه المكتبة ولكنها خلاصة « مكيّفة » تكاد أن تكون شيئاً آخر غير ما استخلصت منه « خلاصة ماهر » والعقاد يقول فى أحد أبياته :

ليست خلاصة كل شىء غنية ... عنه وإن كانت خلاصة ماهر

ولكنها فى هذه المرة خلاصة تغنى من يريد أن يعرف من هو محمد على وجه التحقيق ، لأن فيها من التعليقات والتوضيحات والتحليلات ما يجعلها غنية وافية كل الوفاء ، وليس بالقليل أن تستعيض من مكتبته كتاباً

ووظيفته التى يؤديها وينفرد فى أدائها ، أن كل من عرف « محمداً » من قبل فى جميع الروايات والسير والأسانيد والشروح وكل من لم يعرفه كذلك ، كلاهما فى حاجة أن يعرف « محمداً » مرة أخرى فى هذا الكتاب ! وأن يرى صورته فى هذه المرآة الوضيئة ، وإنه لواجد حتماً فى الصورة عامة ، وفى كثير من جزئياتها جديداً لم يره من قبل فى أية مرآة ... وسينظر ويتأمل ثم يقول المرة بعد المرة : وىْ ... إن هذا القسم من الصورة لم يكن هكذا فى ضميرى ؛ أو يقول : نعم ... كنت أعرف ذلك ولكن ليس على هذا النحو الذى أراه الآن ! !

ومع هذا وذلك ، فليس فى « عبقرية محمد » خبر غير مروى من قبل ، ولا حادثة لم تكن كذلك معروفة ، ولا جزئية واحدة لم يتعرض لها الرواة والمحدثون ؛ وهذا ما يجعل البعض يقول لأول وهلة : كل ما فى الكتاب معروف ! وما قد يجعلهم

يحسون بالسهولة واليسر فى الجهد الذى بذله المؤلف !

والحقيقة أن هذا شعور خدّاع ، وأن عبقرية العقاد ونضوجه فى هذه الأيام هما اللذان يهيئان ذلك ؛ وإنها لعبقرية – لا شك – ونضوج أن تصنع من المادة الميسرة للجميع شيئاً لم يتيسر من قبل للجميع !

وإن العقاد لمحق حين يرى فى مقدمة الكتاب أن الثلاثين عاماً التى مضت بين مولد هذه الفكرة فى نفسه وبين تنفيذها ، كانت لازمة لفسح نفسه ، حتى تستطيع أن تستوعب انفساح « عبقرية محمد » ... وإن فى الكتاب للفتات نفسية وفكرية لا تتيسر لكل إنسان ، ولعلها لم تكن تتيسر للعقاد نفسه قبل هذا الزمان ... وإنه ليقول :

« أين كنا قبل تلك السنين الثلاثين ؟

« إنها مسافات فى عالم الفكر والروح ، لو تمثلت مكاناً منظوراً ، لأخذ المرء رأسه بيديه من الدوار ، وامتداد النظر بغير قرار »

والذين يعرفون طبيعة العقاد وانفساحها وتوفزها والتهامها لكل جديد ، وتجددها حيناً بعد حين ، وازدحامها بالخواطر عدد الثواني واللحظات ، هم الذين يعرفون حقيقة هذه المسافات فى عالم الفكر والروح ، ويعرفون أنه يعنى ما يقول حين يقول : « لو تمثلتْ مكاناً منظوراً ، لأخذ المرء رأسه بيديه من الدوار » !

***

قلت فى التمهيد لهذه الكلمات : إن العقاد دارس شخصيات وإن كل إنسان يدرسه العقاد تستطيع أن تعرف « من هو » وإن لم يستوعب كل صفاته وكل ما وقع له فى حياته ؛ وهذا ما تجده فى « عبقرية محمد » فى نضج واستواء ؛ وإنه ليبدأ بعد المقدمة مباشرة فى ص ١٦ فيرسم بخطوط سريعة التصميم الأولى للصورة تحت عنوانات : « عالَم . أمة . قبيلة بيت . أب . رجل » ... فتحس بعمل الريشة الماهرة المتيقظة لما تريد ، العليمة بقواعد التصميم والتلوين ؛ فإذا انتهى إلى ص ٢٦ أحسست أن التصميم كله قد تهيأ على اللوحة ، وأن صورة محمد وعصره ووظيفته فى هذا العصر قد برزت من خلال هذه الخطوط السريعة ، فلم يبق للريشة المدربة إلا التلوين ، وملء الفجوات ، وتوضيح القسمات ، وذلك هو بقية فصول الكتاب !

وسنحاول أن نعرض هنا بعض لمسات هذه الريشة المدربة فى تخطيط التصميم الأولى السريع :

يقول فى ص ٢٦ و ٢٧ : « عالم يتطلع إلى نبى ، وأمة تتطلع إلى نبى ، ومدينة تتطلع إلى نبى ، وقبيلة وبيت وأبوان أصلح ما يكونون لإنجاب ذلك النبي .... ثم ها هو ذا رجل لا يشركه رجل آخر فى صفاته ومقوماته ، ولا يدانيه رجل آخر فى مناقبه الفضلى التى هيأته لتلك الرسالة الروحية المأمولة : فى المدينة ، وفى الجزيرة ، وفى العالم بأسره

« نبيل عريق النسب ، وليس بالوضيع الخامل فيصغر قدره فى أمة الأنساب والأحساب

« فقير وليس بالغنى المترف ، فيطغيه بأس النبلاء الأغنياء ، ويغلق قلبه ما يغلق القلوب من جشع القوة واليسار

« يتيم بين رحماء ، فليس هو بالمدلل الذى يقتل فيه التدليل ملكة الجد والإرادة والاستقلال ، وليس هو بالمهجور المنبوذ الذى تقتل فيه القسوة روح الأمل وعزة النفس وسليقة الطموح وفضيلة العطف على الآخرين

« خبير بكل ما يختبره العربى من ضروب العيش فى البادية والحاضرة : تربى فى الصحراء وألف المدينة ، ورعى القطعان واشتغل بالتجارة وشهد الحروب والأحلاف ، واقترب من السراة ولم يبتعد من الفقراء

« فهو خلاصة الكفاية العربية فى خير ما تكون عليه الكفاية العربية ، وهو على صلة بالدنيا التى أحاطت بقومه ، فلا هو يجهلها فينغلق عنها ، ولا هو يغامسها كل المغامسة فيغرق فى لجها .

« أصلح رجل من أصلح بيت فى أصلح زمان لرسالة النجاة المرقوبة على غير علم من الدنيا التى ترقبها

« ذلك محمد بن عبد الله عليه السلام ... »

وذلك جانب من التصميم الأوليّ للصورة البارعة التى تأخذ هذه الريشة المدربة بعد ذلك فى ملئها وتلوينها بما هو أبرع من

هذه البراعة، وبما يتفق للألوان المنتقاة وللريشة الدقيقة فى اليد البصيرة من الإبداع

وليس من المستطاع بطبيعة الحال أن أنقل هنا أكثر من هذه الفقرات، فهنالك أشياء أخرى لا بد أن تقال.

* * *

قلت: إن كل الحوادث والأسانيد والروايات التى وردت فى «عبقرية محمد» مروية معروفة وليس فيها من جديد. إنما الجديد هو عرضها واستخدامها واستخلاص النتائج منها. وهو اختيار الحادثة المناسبة فى موضعها المناسب. ومن هذا كله تبدو الحوادث والروايات والنصوص فى مواضعها وكأنها جديدة هناك، يطالعها القارئ لأول مرة، ويخطر له من معانيها فى مواضعها هذه ما لم يخطر له قط وهو يراها من قبل مرة ومرة.

فسرية عبد الله بن جحش وأخبارها معروفة مكرورة ولكنها هناك تدل على «عبقرية محمد العسكرية» كأحسن ما تكون الدلالة بغير تعسف ولا عنت. وعهد الحديبية وأخباره معروفة كذلك مكرورة، ولكنها هناك تبرز بوضوح ويسر «عبقرية محمد السياسية» كأوضح ما تكون العبقرية السياسية بأى ميزان وزنتها به فى جميع الأزمان. وقصة الإفك مذكورة فى كل كتب السيرة والتفسير مشهورة عند المسلمين وغير المسلمين ولكنها هناك تصور «سماحة محمد» وتلمس النفس الإنسانية فتدرك حقيقة هذه السماحة ومداها الرفيع. وقصة المتاع وأزواج النبى التى ترويها الآية: «يأيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها... الخ» متداولة فى السيرة والتفسير ولكنها هناك دليل نفسى وعقلى لا يرق إليه الشك، ولا يجادل فيه إلا المكابرون على كذب ما افتراه المفترون من استغراق لذات الحس لمحمد عليه السلام

وهكذا وهكذا من حسن الاختيار ووضوح العرض، وبراعة التعليق، وعبقرية التحليل، ووضاحة التدليل.

(البقية فى العدد القادم)

سيد قطب

مطالعات فى الأدب الغربى

عقليـــات الشعوب

في معادلات رياضية

للأستاذ على كمال

« لن يوتانغ » أعظم الكتاب الصينيين المعاصرين ، وهو من أشهر مفكرى القرن العشرين وكتبه من أوسع الكتب الحديثة انتشاراً ، اكتسب شهرة واسعة لتوفقه فى فهم طبيعة العقل الغربى ومقارنته بأعرق العقليات الشرقية قدماً وهو العقل الصينى . وكتابه « أهمية الحياة » يعتبر أهم كتبه وقد أعيد طبعه فى أمريكا أكثر من عشر مرات فى نحو من سنتين . وفى هذا الكتاب فصول قيمة تنقل إلى القارئ منها خلاصة فصل طريف ضمنه دراسة لعقليات الشعوب حاول رسمها بمعادلات رياضية

« ... يظهر أن الجنس البشرى ينقسم إلى طائفتين : الواحدة مثالية والأخرى واقعية . والمثالية والواقعية هما القوتان المظيمتان اللتان تتجاذبان التقدم الإنسانى . فطَفْلُ الإنسانية قد صار ليناً مرناً بماء المثالية ... إن هاتين القوتين المثالية فى طرف والواقعية فى طرف آخر تتجاذبان فى جميع حقول النشاط الإنسانى ، والتقدم الحقيقى ممكن فقط بمزج هذين العنصرين بنسب موافقة حتى يظل الطين ليناً مرناً ، فلا يشتد طبعه فيصعب تدبيره ، ولا يلين قوامه فيصبح وحلاً . فالشعب الإنجليزى وهو أحكم الشعوب قد مزج الواقعية والمثالية بنسب موافقة فلم يترك المزيج قاسياً يصعب على الفنان تدبيره وتناوله ، ولم يتركه مرقاً فلا يقوى على حفظ شكله وقوامه

وبعض الأمم فى ثورات متتابعة ، ذلك لأنه قد حقن فى طينتهم الأصيلة بعض السائل من مثاليات الأمم الأجنبية التى لم تتمثل بعض فى طبيعتهم ، لهذا لم تقو طينتهم الأصيلة على حفظ شكلها

لقد فكرت فى معادلات يمكن بواسطتها أن نعبر عن التقدم الإنسانى وعن التغيرات التاريخية وهذه هى :

الحقيقة − الأحلام = كائن حيوانى

الحقيقة + الأحلام = صداع القلب (يسمى عادة : المثالية)

الحقيقة + روح النكتة = الواقعية

الأحلام − روح النكتة = التعصب

الأحلام + روح النكتة = الوهم

الحقيقة + الأحلام + روح النكتة = الحكمة

وعلى ذلك فالحكمة أو أرقى أنواع التفكير تتألف فى ربط أحلامنا بروح الفكاهة والنكتة ودعمها بالحقيقة نفسها

ولعل المعادلات التالية تفصل ما وصلت إليه من دراسة عقليات الشعوب ، والمجال واسع لمارضتها ونقدها

إذا رمزنا للحقيقة أو الواقع بالحرف « ح ق » وللحلم بالحرف « ح » ولروح النكتة بالحرف « ن » وللعاطفة بالحرف « ع » ، ثم استعملنا الأعداد ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١ لنتدلل على نسبة حظ الشعوب من هذه العناصر خرجنا من ذلك بمعادلات يظهر منها أن الجنس البشرى فى أفراده وجماعاته يسلك سلوكاً متبايناً بالنسبة إلى حظه من هذه العناصر بنفس الطريقة التى تسلك فيها العناصر والمركبات الكيميائية فى تفاعلها . وما دمنا لا نستطيع أن نخلق اصطلاحات كالمستعملة فى علم الكيمياء مثلاً فلنا أن نعبر عن هذه المركبات بمقادير ذرية كأن نقول ٣ ذرات فى الحقيقة حق$_{٣}$ ، وذرتين فى الحلم ح$_{٢}$ وهكذا

حق$_{٣}$ ح$_{٢}$ ن$_{٢}$ ع$_{١}$ = الإنجليزى

حق$_{٢}$ ح$_{٣}$ ن$_{٣}$ ع$_{٣}$ = الفرنسى

حق$_{٣}$ ح$_{٣}$ ن$_{٢}$ ع$_{٢}$ = الأمريكى

حق$_{٣}$ ح$_{٤}$ ن$_{١}$ ع$_{٢}$ = الألمانى

حق$_{٢}$ ح$_{٤}$ ن$_{١}$ ع$_{١}$ = الروسى

حق$_{٢}$ ح$_{٣}$ ن$_{١}$ ع$_{١}$ = اليابانى

حق$_{٤}$ ح$_{١}$ ن$_{٣}$ ع$_{٣}$ = الصينى

ولست أعلم عن الإيطاليين والأسبانيين والهنود ما يمكننى من وضع مثل هذه المعادلات لهم ، وأنا واثق بأن هذا

القليل الذى وضعته سيكفى لفتح سيل عرم على رأسى من النقد

ولا بد من الملاحظة على هذه المعادلات ، فمنها يظهر أن الفرنسيين أقرب الناس إلى الصينيين من حيث روح النكتة والعاطفية ، كما يتضح ذلك فى كيفية كتابة الفرنسيين لكتبهم وأكلهم وطعامهم . ولكن طبيعة الفرنسيين المتبخرة ناتجة عن مثالية أوسع تأخذ شكل الحب للفكر المجرد

واليابانيون والألمان متشابهون جداً فى فقدانهم لروح النكتة والفكاهة ، وما دام من غير الممكن وضع صفر كدرجة لهم فى هذا العنصر من مركبهم العقلى فأنا أضع « ١ » وأعتقد بأننى محق فى ذلك . غير أننى أعتقد بأن اليابانيين والألمان قد قاسوا كثيراً فى حياتهم السياسية ويقاسون الآن بسبب إخفاقهم فى امتلاك روح نكتة وفكاهة ملائمة . وعند ما وضعت ح٣ لليابانيين عنيت بذلك ولاءهم التعصبى لأمبراطورهم ولدولتهم الذى ما كان ممكناً لو أن فى عقليتهم بعض الشىء من روح النكتة

... إن هنالك تجاذباً طريفاً فى أمريكا بين المثالية والواقعية وكلتاهما متمثلتان بقوة كبيرة ، وهذا يفسر لنا النشاط والقوة التى يتصف بها الأمريكيون . إن الكثير من مثالية الأمريكيين نبيل بمعنى أن الأمريكيين يلبون بسهولة دعوة نبيلة محقة ، ولكن البعض من مثاليتهم يتصف بروح الأساطير

والإنجليز كما يظهر لى إجمالاً هم أحكم الشعوب ، فإن « حق٣ ح٢ » تنطق بالثبات والاتزان ، وهى أقرب المعادلات للمعادلة المثالية فى نظرى ، وهى (حق٣ ح٢ ن٢ ع٢) التى قصر الإنجليز عن بلوغها بدرجة واحدة فى العاطفة

***

من دراسة عقليات الشعوب نخرج بهذه النتيجة : فى الصين يعيش الرجل حياة أقرب إلى الطبيعة وأقرب إلى الطفولة ، حياة تمارس فيها الغرائز والعواطف بحرية تامة ، وتؤكد هذه الحياة بقوة ضد الفكر . وعلى هذا ففلسفتهم فى الحياة توصف بما يلى : أولاً : رؤية الحياة تامة فى الفن ، ثانياً : رجوع واعٍ للبساطة فى الفلسفة ، وثالثاً : « مثال » من التعقل فى الحياة . وخلاصة هذه الفلسفة جميعها هى عبادة الشاعر والفلاح والمتشرد »

على كمال

يا سـواقى . . .

[إلى التى ترعرع على غدرانها شبابى]

فرّقَ الدهرُ بيننا « يا سواقى » ... ومضى بى لغربتى واشتياقى
أين للقلب لحظةٌ من لياليـ ... ـكِ وصفوُ الحياةِ فى إشراق
كان لى فى رحابك الخضر دنيا ... من نعيمٍ ومن أغانٍ رقاقِ
والمنى عذبةٌ كإشراقةِ الوصـ ... ـلِ بروحِ المعذَّبِ المشتاقِ
والصبا جنّةٌ على ضفةِ الخلـ ... ـدِ ونورٌ يضئُ فى آفاقِ
ولقد كنتِ للشباب سُلافاً ... ونديماً حلوَ الحديثِ وساقى
كنتِ لى كوثراً يطهّر نفسى ... فنمَتْ منه عفّةً أخلاقى

يا « سواقى الفيوم » طال غيابى ... وفؤادى يذوب فى الأشواق
كنتِ دنيا من فتنةٍ وخيالٍ ... وجمالٍ من الطبيعةِ راقِ
كنتِ سلوى لمهجةٍ قد تلظت ... فى جحيمٍ من جفوةٍ وشِقاق
كنتُ أبكى فتحبسين دموعى ... بعزاءٍ كم فيه من ترياق
كم حلا لى فى نبعتيكِ اضطباحى ... وصفا لى من راحتيكِ اغتباقى
كنتِ نِعمَ الصديقُ إن عبسَ الدهـ ... ـرُ ونِعمَ المجيرُ مما ألاقى
ذقتُ طعمَ الوفاء من كوبك الحلـ ... ـوِ بريئاً من خدعةٍ أو نفاق
عاش فكرى مع الحياةِ أسيراً ... كبّلتهُ بشرِّها الدفّاق
ورأى عندكِ البشاشةَ والصفـ ... ـوَ ففنّى فى فرحةٍ وانطلاق
حال بينى وبينك اليوم عيشٌ ... لم ينلنى منه سوى الإرهاق
أين موجٌ من « بحرِ يوسفَ » يسرى ... والأغانى تسيلُ من أبواق ؟
ورياضُ « الفيوم » رنّحها الحسـ ... ـنُ فلاحتْ كجنّةِ العشّاق ؟
وغرامى الذى نما عند شطّيـ ... ـكِ وباركتِه بماءٍ مُراق ؟
وحبيبى الذى تلهّى به العيـ ... ـشُ وما فيه من كؤوس دِهاق ؟
خدعَتْ روحَهُ الزخارفُ فى الأر ... ضِ فأغشى من سحرها البرّاق
كم بعثتُ الرجاء شعراً فعادت ... همساتى بالعجزِ والإخفاق !
نسىَ الحبَّ والسواقى وصبّاً ... لم يزل سائراً على العهد باق

« يا سواقى » ذكراكِ تغشى كيانى ... فاحفظينى فى روحكِ الخفّاق
وخذينى من قبضة الفكر يوماً ... إنَّ عودى بناره فى احتراق
صنتُ فى مهجتى هواك فصونى ... عهدَ طفلٍ ربّيتِهِ « يا سواقى » !

« سلاح خدمة الجيش الملكى » **أحمد اسماعيل المليجى**



الصفاء بين الأدباء

صديق « الحكيم »

لو لم يكن النسيان عرَضاً ملازماً لك يا صاحب (أهل الكهف) لذكرتَ أن اسمى (الزيات) لا زكي مبارك ؛ وأنك لسانٌ لحرية الفكر ، لا عَينٌ فى رقابة النشر ؛ وأنك رسول الله إلى الأدباء ، لا سفيرُ الشيطان بين الأصدقاء . ولو أنك ذكرتَ واحدة من أولئك لما كان منك ذلك الكتاب ، ولا كان منى هذا الجواب

تستطيع أن تقول إنك حين كتبت ذكرتنى وأردتنى ، لأن الناشر شريك الكاتب ؛ وتستطيع كذلك أن تقول إنك تقدس حرية الفكر لو كان ما نُشر عنك فى الرسالة قد انتفع به الفكر ؛ ولكنك لا تستطيع أن تنكر أنك كفرت بنفسك وكذبت برسالتك ؛ لأن الرسول الصادق لا ينذر بالكدر وهو يبشر بالصفو ، ولا يبادر إلى القطيعة وهو يدعو إلى الصلة ، ولا ينفض يده من الدعوة لأنه سمع بعض الإنكار ولقى بعض العَنت !

لم يكفر برسالتك إلى الأدباء غير (العقاد) ، ولا شك فى إخلاصك للأدب غير (المبارك) ، فما بالك يا توفيق تئن قبل التعذيب ، وتُلق بيديك ورجليك إلى الصليب ، وتفضح بهذا الجزع نبوة الأديب ، وتقطع آياتك وبركاتك عن المؤمنين والكافرين على السواء ؟ !

تقول « إننى رحدت قليلاً عن رسالتى فى (الرسالة) » ؛ (وقليلاً) هنا معناها زكي مبارك . وزكى مبارك يا توفيق لون من ألوان الأدب المعاصر لا بد منه ولا حيلة فيه . هو اللاكم الأدبى فى ثقافتنا الحديثة . والرياضة كما تعلم ضرورة من ضرورات الحياة لسلامة الجسم والعقل . أما عنفه وشماسه فهما الصبغ المميز للونه . فلو شئت أن تجرد هذا اللاكم البارك من عنف الهجوم وخشونة المِراس لما بقى منه غير توفيق الحكيم وأسلوب الحكيم و « حمار الحكيم »

على أنه هو نفسه أول الشاهدين على أن صفارتى قد بُحّت من طول ما أهابت به وهو فى قفازه السنتريبى يهدر فى المجال بين الحبال مفضياً بعض الإغضاء عن قواعد الملاكمة

وزكي مبارك بعد ذلك سليم الصدر ، صريح القلب ، رياضى الروح ، لا يتحرج أن يطلب إلى (صديقه) فى مثال هذا المدد أن ينصره ظالماً أو مظلوماً فى حدود تفسيره الخاص !

ثم تقول : « إن الأدباء فى مصر ـ مع الأسف ـ لا يحسبون حساباً لغير الكاتب الذى يبرز مخالبه ، ويكشر عن أنيابه ، ويتهيأ دائماً للوثوب » ؛ فهل مصداق ذلك يا توفيق أنك أدرتَ ظهرك لخصمك وحملت علىّ ؟ ولكننى يا صديق أهشّ لإقبالك علىّ ولو بالهجوم . إن كشّرتك فى نظرى بسمة ؛ وإن زأرتك فى سمعى نغمة ؛ وإن عقدتك مني أيسر حلاً من الأنشوطة !

أما قطعك الأسباب بينك وبين الرسالة والأدباء ، فأمره يهون ما دمت تخرج كتبك إلى قرائك الأوفياء

وإذا جاز لى أن أوجهك مرة أخرى فإنى أنصح لك يا توفيق أن تؤمن برسالتك كما آمن ذوو الفضل من الكتّاب ، وأن تصبر على أذاها كما صبر أولو العزم من الرسل .

والسلام عليك من صديقك المخلص .

احمد حسن الزيات

أحزان توفيق الحكيم

لم يبق ريب فى أن صديقنا الأستاذ توفيق الحكيم حزن ، وإلا فكيف جاز له أن يقول إنه لن يكتب فى « الرسالة » بعد اليوم ، مع أنّ الرسالة صديق لجميع أرباب الأقلام ، ولا يرضيها أن ينقطع ما بينها وبين أصدقائها القدماء من صلات ؟

الرسالة لا تترك أصدقاءها أبداً ، ولن يتركوها ، لأن الصلة بين الرسالة وأصدقائها صلة روحية لا تقطعها ثورة لحظة أو لحظتين بعد قراءة كلمة نابية أو قاسية . والأدب كالحياة فيه كدر وصفاء . وسيشتاق الأستاذ الحكيم إلى « الرسالة » كما يشتاق الأليف إلى الأليف

ولكن ما الذى أغضبَ هذا الصديق حتى استباح ذلك الوعيد ؟

كنت أنتظر أن يتلطف فيشكرنى ، بعد قراءة الكلمة التى وجهتها إليه ، لأنى أردت بها إعزاز الذاتية الأدبية ، فما يرضينى

ولا يرضيه أن تكون فى الدنيا منزلة أشرف من منزلة رجال البيان ، وإن قضت المقادير بأن يظل القلم مضطهداً فى جميع العهود

والأستاذ توفيق الحكيم هو الذى أعلن الندم على الانتظام فى سلك الحياة الأدبية ، وكان فى مقدوره أن ينخرط فى سلك الحياة القضائية ، فهل يغضبه أن نعترض عليه فنقول : إن رجال الأدب يؤدون لأوطانهم خدمات تفوق ما يؤديه رجال القضاء ، وإن القاضى لا يستطيع القول بأنه أعظم من الأديب ؟

إن الأدب جعل من توفيق الحكيم شخصية يتكلم عنها الزيات والمازنى والعقاد ، فهل كان يظفر بمثل هذا الحظ لو أصبح من رجال القضاء ؟

وقد عِبتُ عليه أن يبدئ ويعيد فى الكلام عن نفوذ طه حسين ، وكانت حجتى أن الأديب يقتل نفسه بيديه حين يفرح بالمناصب الرسمية ، لأن المنصب الحق للأديب هو الفناء فى خدمة المعانى الروحية والعقلية . فماذا يملك الدكتور طه لنفسه حتى ترجوه أو نخشاه ، إلا أن نكون فى إيمان الرجل الذى وضع فى سيرة الرسول « رواية تمثيلية » ، وهو رجل يعرفه هذا الصديق الغضبان ؟ !

وعِبتُ على الأستاذ توفيق الحكيم أن يعلن أن العائلات صدفت عن عرض بناتها عليه بعد أن صار من الأدباء ، فهل سمع الناس فى الشرق أو فى الغرب أن الأديب الفحل يعجزه أن يقترن بمن يشاء من كرائم الملاح ؟

على رِسْلك ، أيها الأديب الحزين ، فنحن أول طبقة تثق بها الأمة المصرية ، وسنظل برعاية الله وسلطان الأدب فى أعظم مكان .

زكى مبارك

لوبيا والبلاد العربية

فكرة صائبة ورأى سديد هذا الذى انتهى بتفكير الأستاذ الزيات بإصدار أعداد خاصة من مجلة الرسالة الغراء بالأقطار العربية تنويهاً بفضلها وتعريفاً بأهلها . وليست هذه الفكرة بجديدة على أستاذنا الكبير فقد سبق أن تنبهت إليها الرسالة فى سنتها السابعة ولكن شاءت الظروف أن يمهل تنفيذها إلى أن بعثت من جديد ؛ وقد وجدت ترحيباً من قراء العربية . وإنا ندعو الله أن يوفق الرسالة فى خدمة البلاد العربية بإصدارها لهذه الأعداد .

على أن الذى لفت نظرنا نحن معشر اللوبيين بهذه المناسبة هو ما كتبه الأستاذ الدكتور زكى مبارك سواء فى ذلك عدد الرسالة ٣١٥ أو ٤٦٣ فقد قال فى العدد الأول مخاطباً الأستاذ الزيات : « ما رأيك إذا اقترحت عليك أن تصدر الرسالة أعداداً خاصة عن الحواضر المشهورة فى البلاد العربية مثل تونس والجزائر ومراكش واليمن والحجاز ... » ، وقال فى العدد الآخر مشجعاً الأستاذ الزيات على تنفيذ فكرته هذه « الخطب أسهل مما نتوهم ولكن . . . ولكن على شرط أن يهاجر الزيات من المنصورة إلى القاهرة ليستوحى من فيهما من العارفين بخصائص الحياة الأدبية والاجتماعية فى تونس والجزائر ومراكش واليمن والحجاز وسورية وفلسطين ... »

فالأستاذ الدكتور قد ذكر بلاد أفريقية الشمالية قطراً قطراً وتناسى جيرانه الليبيين وبلادهم فأخرجهم بذلك من زمرة البلاد العربية . واستكثر عليهم أن تعنى مجلة الرسالة ببعض أخبارهم وسواء قصد هذا الأستاذ الدكتور أم لم يقصد فإنا لا نستطيع تفسير إغفاله لبلادنا فى هاتين العبارتين اللتين كتبتا فى وقتين متباعدين إلا بهذا المعنى .

ومما يؤسف له أن كثيراً من قادة الرأى والفكر فى البلاد العربية عامة ، وفى مصر خاصة ، قد شاركوا الأستاذ الدكتور فى فكرته هذه[1] فكثيراً ما كتبوا عن الحلف العربى والوحدة العربية ، وتجاهلوا لوبيا قصداً أو عفواً مما كان له أثره السيئ فى نفوسنا

هذه كلمة صغيرة أردت بها دفع مظلمة عن وطنى العزيز ، طالما جرحت نفوسنا ، خصوصاً وأنها قد بدرت من رجال لهم فى قلوبنا كل احترام وتبجيل ، وموعدنا إن شاء الله العدد الخاص فسيكون خير حكم على عربية لوبيا وأهلها .

مصطفى بعيو الطرابلسى
كلية الآداب — القاهرة

---

(١) مجلة الرسالة حافلة بمقالات كثيرة فى هذا الموضوع فليرجع القارئ إلى السنة السابعة أو الثامنة مثلا .

ألف مصطلح طبي يقررها المجمع اللغوي

أعلن المجمع اللغوى انفضاض دورته هذا العام ، وقد بلغت جلساته التي عقدها خلال هـذه الدورة ست عشرة جلسة ، أما اللجان الفرعية التى تمهد عمل المجلس فقد بلغت عدتها خمسين جلسة أو أكثر . والمصطلحات التى عنى المجلس بدرسها فى هذا العام هى مصطلحات الطب فى علم الرمد والباثولوجيا وغيرهما .

ويبلغ عدد المصطلحات التى أقرها نحو ألف مصطلح ، وستوضع لها تعريفات علمية لغوية تشرح معناها وتبين الصلة بين وضعها اللغوى ومدلولها العلمى

والمنتظر أن يتخذ المجمع ما يرى من الوسائل لنشر هذه المصطلحات في أنحاء البلاد العربية لاستخدامها فى محيط الطب العربى .

١ — السناد فى الشعر

أخطأ الأستاذ محمود حسن اسماعيل فى صوغ قوافى قصيدته (نشيد الأغلال) المنشورة بالعدد ٤٦٦ من « الرسالة » ؛ فهو قد أردف فى بعضها بحرف الياء كقوله : سريرتى ، البعيدة ، المخيلة ، جديدة . الخ ، وأسس فى بعضها الآخر ، بجلبه ألف التأسيس فى مثل قوله : حشاشتى ، الثمالة ، تهادت ، الرسالة الخ ... فى حين اكتفى بحرف الروىّ « وهو التاء » فى سائر أبياتها مثل : وجهة ، رجمة ، وسجدتى ، فلّت ...

ومثل هذا الخلط بين أحرف القافية يسمى (سناداً) ؛ وهو من أبرز عيوب الشعر ، فما كنا نحب للأستاذ أن يقع فيه ...

٢ — أبيات لولى الدين

كنت رددت على أديب فاضل أورد فى الرسالة شعراً لولى الدين يكن وقال إنه لم يسبق نشره ؛ فبينت أن هـذا الشعر مطبوع بديوان الشاعر الذى صدر عام ١٩٢٤م . ولـكنى عثرت — من جهتى — على ثلاثة أبيات لم ترد فى هذا الديوان حقاً ؛ فأحببت إثباتها لتلافى ذلك إن أمكن فى الطبعات التالية . والأبيات واردة فى العدد الصادر بتاريخ ١٥ يناير سنة ١٩٠٩ م من « مجلة سركيس » الأدبية ، التى كان يصدرها المرحوم سليم سركيس . وها هى بنصها مع عنوانها :

لولى الدين بك يكن تحية للأحرار مرتجلاً :

سـلامٌ على أبطال قومٍ تجمّعوا
وراندهم حقٌ وناطقهم فَخَرُ

أقاموا على ضَـيْمٍ ثلاثين حِجّةً
ولـكن سيحييهم ـ رغم العدا ـ النصر

يقولون : هذا الدّهرُ رَبٌّ تقلُّبٍ
نعم صدقوا ، قد قُلِّب التاج والعرُ !

(جرجا) **محمود عزت عرفة**

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)